

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

اللهم صل على محمد وآله وسلم .

قال الفقيه القاضى الإمام الحافظ أبو الفضل عيَّاضُ بن موسى بن عيَّاض
اليحصي^(٢) رضى الله عنه: الحمد لله المتفرد^(٣) باسمه الأسمى^(٤)، المختص بالملك الأعز
الأسمى^(٥)، الذى ليس دونه منتهى، ولا وراءه مرعى^(٦)، الظاهر لا تحيلاً ووهماً^(٧)،

(١) فى ب : زيادة : وبه نستعين .

(٢) هو مؤلف الكتاب . وفوق كلمة « اليحصي » فى ا : « معا » ، وضبطت بالحركات
الثلاث . وقال القارى : اليحصي بثلاث الصاد ، والفتح أخف ، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك :
قبيلة من حمير باليمن . وقال : لاشك أن هذا الإدخال من المقال صدر من بعض أرباب السكال
من تلاميذ الصنف ، أو من بعده .

(٣) فى ب : المنفرد . وهما بمعنى التوحد الممتاز عن المشاركة .

(٤) الاسمى : الأعلى ؛ من السمو ؛ وهو العلو ، والارتقار ؛ أى الممتاز عن المشاركة فى
اسمه الأعلى .

(٥) الأعز : من العز والمنعة . والعز : حالة مانعة للإنسان عن أن يهان أو يقهر ويغلب .
والأسمى : من حميته ، إذا صنته ؛ أى هو فى غاية المنعة ، ونهاية الحماية بحيث لا يقربه أحد أولاً
وآخرأ .

(٦) أى ليس بعد الله لطالب مطلب ؛ لأن العقول وقفت ثمة ، فلايس وراء الله ، ولا وراء
معرفته ، والإيمان به - غاية تقصد . وأصل المرمى : الغرض الذى يرمى إليه ، وإليه ينتهى سهم
الرامى ، وبه يحوز السبق . كما أنه إلى الله تنتهى العقول ، وتقف ؛ فلايس وراء معرفته
والإيمان به مامتس ولا غاية يرمى إليها .

(٧) يعنى أن ظهوره تعالى - والظاهر الذى علم بالبصيرة ، أو الغالب - محقق مكشوف
للعقول ، ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الأدلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده
ووحدايته ، لا بحسب التخيل والوهم والظن . وفى ب : ولا وهما .

الباطن تَقْدُّسًا لَا عُدْمًا^(١) ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا^(٢) ، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعْمًا عَمَّا^(٣) ، وَبَثَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَنْفَسَهُمْ عُرْبًا وَعُجْمًا^(٤) ، وَأَزْكَاهُمْ مَحْتَدًا وَمَنْمَى^(٥) ، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِلْمًا^(٦) ، وَأَوْفَرَهُمْ عِلْمًا وَفَهْمًا^(٧) ، وَأَقْوَاهُمْ يَتِيمًا وَعَزَمًا ، وَأَشَدَّهُمْ رَأْفَةً وَرُحْمَى^(٨) ، وَزَكَّاهُ رُوحًا وَجَسْمًا^(٩) ،

(١) الباطن : الذى لا يدرك بالابصار إدراك إحاطة ؛ والمراد أنه ظاهر بكثرة الأدلة وقوتها وبنموت ذاته وأفعاله التى لا تحفى . باطن خفى عن إدراك كنه ذاته وحقيقة صفاته . والتقديس : الطهارة والتنزه . أى لتنزهه عن أن يحيط أحد بكنهه ، هذا إن أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا . والعدم : الفقد .

(٢) وسع كل شيء رحمة وعلما : أى أحاط بكل شيء برحمته وعلمه ؛ فإن كل شيء لا يستغنى عن رحمته وإيجاد وإمداد ، وعلمه شامل للجزئيات والكماليات .

(٣) وأسبغ : أتم وأكمل . والأولياء : جمع ولى . عما : جمع عميمة ، أى عامة ، شاملة تامة .

(٤) أنفسهم - بضم الفاء : جمع نفس . والمراد أنه من جنس البشر ؛ وإنما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة التى أهله الله تعالى بها لأن يكون أهلا لأمانته . وأنفسهم - بفتح الفاء : من النفاسة ، ونفس - بضم الفاء : صار مرغوبا فيه ؛ فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص عليه . وقيل الأنفس الأعلى والأشرف ، والأفضل .

(٥) أزكاهم : أكثرهم وأطهرهم . والمحتد : الأصل . منمى : نسبا أو نموا وزيادة ، وارتقاء . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أشرف العرب والمعجم ، وأعظمهم نسبا ، وحسبه ونسبه الذى انتهى إليه أزكى وأشرف من جميع الأنساب .

(٦) أرجحهم : رجحان العقل : زيادته . والحلم : قوة توجب الصبر على الأذى ، وضبط النفس عن هيجان الغضب .

(٧) وأوفرهم : أكثرهم وأتمهم .

(٨) فى ا ، ب : ورحمى - مقصور . والرحم ، والرحمى : الرحمة ، والعطف ، والشفقة وهو تعميم بعد تخصيص .

(٩) زكاه : التزكية : التطهير ، والزيادة ؛ أى خلقه الله زائدا على من سواه ، منزها عن دنس البشرية ، وجعله فى أكمل تقويم وأحسن صورة .

وَحَاشَاهُ عَيْبًا وَوَضْمًا^(١) ؛ وَأَتَاهُ حِكْمَةٌ وَحُكْمًا^(٢) ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا مُعْمِيًا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا^(٣) ، وَأَذَانًا صُمًّا ؛ فَأَمَّنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ^(٤) ، وَنَصَرَهُ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا^(٥) ، وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ عَنْ آيَاتِهِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْمًا^(٦) ، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى^(٧) . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً تَنْمُو وَتَنْجَى^(٨) ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا [كَثِيرًا]^(٩) .

أَمَّا بَقْدُ أَشْرَقَ اللَّهُ قَلْبِي وَقَلْبُكَ بِأَنْوَارِ الْيَتِيمِ ، وَلَطَفَ لِي وَلَكَ بِمَا لَطَفَ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ بِنُزُلِ قُدْسِهِ^(١٠) ، وَأَوْحَشَهُمُ مِنَ الْخَلِيقَةِ بِأَنْسِهِ^(١١) ،

- (١) حاشاه : جنبه ، ونزّهه ، وبرّاه . والوصم : كل عيب ، وعار .
 (٢) آتاه : أعطاه . والحكمة : العدل ، والنبوة ، والسلام الحق . وحكما : قضاء وفصلا للأُمور على الحق .
 (٣) غلفا : جمع أغلف ؛ أى منطى . ومعناه أن قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية ، فأزال النبي صلى الله عليه وسلم حجباها ، وكشف غطاءها حتى اهتدت .
 (٤) عزّره : وقّره ، وعظّمه ، وأعانه .
 (٥) مغنم : بمعنى النعم والغنيمة ، وهى ما يفتنم من كل شيء . قسما : حظا ونصيبا .
 (٦) صدف عن آياته : أعرض عن تدبر علامات نبوته .
 (٧) فى هذه : فى الدنيا . قال القارى : والمعنى : من كان فى الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته .

- (٨) تنمو : تزيد : وتنمى : ترفع . وفى ب . وتنمى - بالبناء للمجهول ، من الإنماء ؛ أى ويزيدها الله ، أو يزيد ثوابها أبدا ، والمعنى تزيد فى نفسها أو يزداد فيها .
 (٩) من ب . قال القارى (٨) : وهو محل بالسجع المرعى فى الفواصل .
 (١٠) النزل - بضم تين ، ويسكن الثانى فيها (وهما بالسكون فى ا ، ب) : الفضل والكرامة . والقدس : من أسماء الله تعالى ، بمعنى المنزه عما لا يليق به . وللنزل والنزل : ما يهب للضيف من الكرامة ، والمبارك . وقدس الله : الجنة ؛ أى شرفهم بإكرامه لهم فى جنته ؛ أى بإسكانه إياهم فيها ؛ وخصهم بتشريفه ، وعلو منازلهم ، وتطهيره لهم عن النقائص .
 (١١) أوحشهم : جعلهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم . والخلقة : الخلق . والأنس : ارتفاع العشمة مع وجود الهيبة . يعنى أن أنسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تبعدهم عن سواه .

وخصّهم من معرفته ومشاهدة [٢] عجائب مذكّوته وآثار قُدْرته بما ملأ قلوبهم حُبّة ، وولّه عقولهم ^(١) في عَظَمَتِهِ ^(٢) حَيْرَةً ؛ فجعلوا همّهم به واحداً ^(٣) ، ولم يروا في الدارين غَيْرَهُ [مشاهداً] ^(٤) ؛ فهم بمشاهدة جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ^(٥) يتنعمون ، وبين آثار قُدْرته وعجائب عَظَمَتِهِ يتردّدون ، وبالاتقطاع إليه أو التوكل عليه يتعزّزون ^(٦) ، لهمجين ^(٧) بصادقِ قوله ^(٨) : ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(٩) .

فإنك ^(١٠) كرّرت على السّؤال في مجموع ^(١١) يتضمّن التعريف بقُدْر المصطفى عليه [الصلاة] ^(١٢) والسلام ، وما يجب له من توقير ^(١٣) وإكرام ، وما حُكْم من لم يُوفِّ

(١) حبرة : مسرة . والوله : الحزن أو ذهاب العقل ؛ أى جعلها والهة متحيرة بتدبرها وتفكرها في عظمته . (٢) في ب : من عظمته .

(٣) الهم : العزيمة ، والإرادة ، والقصد ، وكل مطلوب بهمك ويعنيك . والمراد أنهم لما شاهدوا بآثار قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظمته ، وعلموا أن ماسواه كلاً شئ ، فوجهوا جميع وجوه الإرادة والعزيمة إليه ، وجعلوا قبلتهم واحدة ؛ فلا مراد لهم سواه ، لاشتغالهم به عما عداه .

(٤) ليس في ١ . قال القارى : لعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ « مشاهداً » فأسقطه مع أنه لا يتم بدونه التسجيع .

(٥) في ب : كماله . والجلال : العظمة ؛ يعنى أنهم يشاهدون جمال ربهم ، وأنوار ذاته بعيون البصائر في الآخرة ، فيكونون بذلك في نعيم .

(٦) يتعزّزون : التعزّز : تفعل من العز ، ضد الدل ، ويكون بمعنى القوة . قال القارى : وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم إلى غيره لا يتذلّلون ، لأنهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون . (٧) لهمجين : ملازمين مداومين ، مولعين ، متمسكين .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٩١

(٩) يعنى أن هؤلاء الخاصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بحبته ، وردم دائماً ذكر الله والإعراض هما سواه ، متمثلين بهذه الآية .

(١٠) فإنك جواب « أما » في : « أما بعد » التى سبقت .

(١١) مجموع : كتاب يجمع فيه صنف من الشائيل النبوية ، ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية . (١٢) ليس في ب . (١٣) توقير : تعظيم ، واحترام .

واجب^(١) عظيم ذلك القدر ، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر^(٢) ؛ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأتمتنا في ذلك من مقال ، وأبينه بتنزيل^(٣) صور وأمثال .

فاعلم - أكرمك الله - أنك حملتني من ذلك أمراً إمرأ^(٤) ، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسراً^(٥) ، وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعباً ، ملا قلبي رعباً^(٦) ؛ فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول ، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق^(٧) ، مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه ، أو يمتنع أو يجوز عليه ، ومعرفة النبي والرسول ، والرسل والنبوّة ، والحبّة والخلة^(٨) ، وخصائص هذه الدرجة العلية ، وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا ، وتقصّر بها الخطا^(٩) ؛

(١) في ب : يوف - بتخفيف الفاء . ويوف : يتم ويكمل .

(٢) قلامة ظفر : تقصيراً قليلاً بتقدير قلامة الظفر . والظفر للإنسان معروف . والقلامة : ما قطع منه . وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة .

(٣) بتنزيل صور : بتصوير صور وأمثال ، وتقرير محامل يزول به الإشكال ، إيضاحاً للمعنى ، وإيضاحاً إلى الذهن في البنى .

(٤) إمرأ : عظيماً ، أو عجبياً ، أو شاقاً ؛ أى كلفتني أمراً عظيماً ؛ أو عجبياً طاب به منى ؛ لأنى لست بأهل له ؛ وفيه تواضع وهضم لنفسه .

(٥) الإرهاق : تكليف ما لا يطاق . ندبتني إليه : طلبته منى ودعوتني إليه . عسراً : أمراً عسيراً . (٦) رعباً : خوفاً وفزعاً .

(٧) في ب : والكشف عن دقائق غوامض من علم الحقائق .

(٨) الخلة : الصداقة (القاموس) .

(٩) مهامه : جمع مهمه ؛ وهو القفر والمفاضة البعيدة . فيح : جمع أفيح أو فيحاء ، وهى الأرض الواسعة . والقطا : جمع قطاة ، طائر ؛ وتوصف بسرعة الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير . ويضرب بها المثل فيقال : أهدى من القطا . والمعنى أن هذه المهام مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها ، أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشى فيها من مد الخطا . والمراد صعوبة ما كاف به . وفى ا : وتقصّر - بالبناء للمجهول .

وَمَجَاهِلُ تَضَلُّ فِيهَا الْأَحْلَامُ^(١) إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمٍ وَنَظَرٍ سَدِيدٍ؛ وَمَدَاحِضُ تَزَلُّ [٣] بِهَا الْأَقْدَامُ^(٢) إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَتَأْيِيدٍ .

لَكِنِّي لَمَّا رَجَوْتُهُ لِي وَلَكَ فِي هَذَا السُّوَالِ وَالْجَوَابِ مِنْ نَوَالٍ وَثَوَابٍ^(٣) ،
بِتَعْرِيفِ قَدْرِهِ الْجَسِيمِ ، وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ ، وَبَيَانِ خِصَائِصِهِ الَّتِي لَمْ يَجْتَمِعْ قَبْلُ فِي مَخْلُوقٍ ،
وَمَا يُدَانَ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) بِهِ مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْحَقُوقِ ، لِيَسْتَقِينَ^(٥) الَّذِينَ
أَوْتُوا الْكِتَابَ ، وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ، وَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى^(٦) الَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ لِيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ؛ وَلَمَّا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو^(٧) الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ
الْفَقِيهَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ^(٨) ،
حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ^(٩) ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ^(١٠) ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ

(١) تَضَلُّ بِهَا الْأَحْلَامُ : تَضَلُّ : لَاهْتَدَى . وَالْأَحْلَامُ : الْعُقُولُ .

(٢) مَدَاحِضُ : مَزَالِقُ . تَزَلُّ : تَزَلُّقُ .

(٣) النَوَالُ : الْعَطَاءُ . وَالثَوَابُ : الْجِزَاءُ . (٤) يُدَانَ اللَّهُ : يَعْبُدُ وَيَطَاعُ .

(٥) اسْتَقِينَ : عِلْمٌ عَلَمًا مُحَقَّقًا لِأَشْبَهَةٍ فِيهِ . أَيْ يَقِينُ أَهْلُ الْكِتَابِ حَقِيقَةَ رِسَالَتِهِ ، وَيَزْدَادُ
إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّتِهِ بِتَحَقُّقِ مَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَمْدِ . وَالْمُرَادُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ :
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى . وَالْكِتَابُ : التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ . وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَبَاوِيَةِ .
(٦) كَانَتْ مَكْتُوبَةً فِي أ : وَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى مِيثَاقَ الدِّينِ ... وَكُتِبَ أَمَامُهَا فِي الْهَامِشِ :
عَلَى الدِّينِ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَةِ .

(٧) هُوَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ الزَّاهِدُ الْمُحَدِّثُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَوَادِ ، أَحَدُ شُيُوخِ الْمَصْنُفِ ، وَتَوَفَّى
بِقُرْطُبَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي : وَهُوَ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ ، يَعْرِفُ بِابْنِ
بِقُوَّةٍ ؛ وَهُوَ إِمَامٌ حَافِظٌ ، وَشَيْخٌ مِنْ شُيُوخِهِ الدِّينِ اعْتَمَدَ عَلَى النُّقْلِ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ .
(٨) هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ صَاحِبُ الْاسْتِيعَابِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ . وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ بْنِ عَامِرِ الْبَغْرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ . تَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ هـ .

(٩) مِنْ شُيُوخِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ . وَفِي ب : أَخْبَرَنَا - بِدَلِّ حَدَّثَنَا . وَاسْمُهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْمِيزَانِ (٢ - ٤٩٨) .

(١٠) هُوَ ابْنُ دَاسَةَ ، مِنْ مَشَائِخِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ . وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ .

ابن الأشعث^(١) ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد^(٢) ، حدثنا علي بن الحكم ، عن عطاء^(٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ^(٤) أَجَلَهُ اللهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٥) .

فَبَادَرْتُ إِلَى نُكْتِ مُسْفِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْفَرَضِ ، مُؤَدِّيَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقَّ الْمَفْتَرَضَ^(٦) ، اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتِعْجَالٍ^(٧) ، لَمَّا الْمَرَّةُ بِصَدْرِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ ، بِمَا^(٨) طَوَّقَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمِحْنَةِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا ، فَكَادَتْ تَشْغَلَ عَنْ كُلِّ فَرَضٍ وَنَقْلِ ، وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سُفْلِ^(٩) ؛ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَلَّ شُغْلُهُ وَهَمُّهُ كُلَّهُ فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا أَوْ يُذَمُّ بِحَالِهِ^(١٠) ؛ فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى حَضْرَةِ النَّعِيمِ^(١١) ، أَوْ عَذَابِ

(١) في ب : ابن أشعث . وهو صاحب سنن أبي داود . مات سنة ٢٧٥ هـ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٦٧ هـ . وله ترجمة في الميزان : (١ - ٥٩٠) . (٣) هو عطاء بن أبي رباح ، أو ابن يسار .

(٤) في ب : وكتمه . وفي الترمذی : ثم كتمه .

(٥) المراد بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتمين ؛ كتعليم حديث عهد بإسلام ما يتعلق بالصلاة ، ومستفت في الحلال والحرام . والحديث في سنن الترمذی : ٥ - ٢٩ . وسنن أبي داود : ٢ - ٨٢ .

(٦) نكت : جمع نكتة ، وهي المعنى الدقيق النادر ، والكلام القليل الحسن . مسفرة : مغشية وكاشفة . وفي ب : مسفرة ، وأمامها في الهامش : سافرة ، وعليها علامة الصحة . والمفترض : اللازم .

(٧) الاختلاس : اختطاف الشيء بسرعة .

(٨) في ب : بما ، والمراد ما كفه ولزمه من الأمور الشاغلة ، ومنه تقليد الأعمال السلطانية ، من الأمور الدنيوية .

(٩) أي تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين إلى أسفل سافلين .

(١٠) شغله : ما يشغل به نفسه من أفعاله وأقواله . وهمه : ما يهتم به ويعتني به . محله : مكانه . والحاء تفتح وتكسر فيها .

(١١) النعيم : الجنة . وحضرته ، حضوره .

الجسيم، واسكان عليه غُوبَصْتِه ، واستِنْقَازِ مُهَجَّتِه^(١) وعَمَلِ صَالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ ، وَعِلْمِ نَافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ .

جَبَر اللهُ صَدَعَ قُلُوبِنَا^(٢) ، وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا ، وَجَعَلَ جَمِيعَ [٣] اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا ، وَتَوَفَّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنْجِينَا وَيَقْرُبُنَا إِلَيْهِ زُلْفَى^(٣) ، وَيُحْظِيْنَا بِمَنَّةٍ [وَكْرَمِهِ]^(٤) وَرَحْمَتِهِ .

ولما نُوِيَتْ تَقَرُّبِيهِ^(٥) ، وَدَرَجَتُ تَبَوُّيِهِ^(٦) ، وَمَهَّدَتْ تَأْصِيلَهُ^(٧) ، وَخَلَّصَتْ^(٨) تَنْصِيلَهُ ، وَانْتَحَيْتُ حَصْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ ، تَرْجَمْتُهُ^(٩) بِـ« الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى » ؛ وَحَصَرْتُ الْكَلَامَ فِيهِ فِي أَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ - فِي تَعْظِيمِ الْعَلَى الْأَعْلَى لِقَدَرِ هَذَا النَّبِيِّ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَتَوَجُّهِ الْكَلَامِ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : فِي ثَنَائِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ^(١٠) لَهُ ؛ وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ .

(١) خُوبِصْتِه : نَفْسِهِ . وَالْمَهَجَّةُ : الرُّوحُ .

(٢) الْجَبَرُ : إِصْلَاحُ مَا انْكَسَرَ . وَالصَّدَعُ : الشَّقُّ .

(٣) زُلْفَى : قَرْبًا ، أَوْ تَقْرِيْبًا ، كَامِلًا . (٤) مِنْ ب .

(٥) تَحْتَ « نُوِيَتْ تَقْرِيْبُهُ » فِي ب : أَيْ لِلْأَفْهَامِ .

(٦) تَحْتَ كَلِمَةِ : « دَرَجَتِ تَبَوُّيِهِ » أَدْنَيْتُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ جَعَلَ تَبَوُّيَهُ مَرْتَبًا وَمُدْرَجًا ، دَرَجَةً دَرَجَةً فِي التَّأْلِيفِ .

(٧) وَمَهَّدَتْ تَأْصِيلَهُ : التَّأْصِيلُ : ذِكْرُ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ . يَعْنِي أَنَّهُ ذَكَرَ فِيهِ قَوَاعِدَ وَأَدْلَةً تَتَّبَعِي عَلَيْهَا مَشَاكِلَ أَبْوَابِهِ . وَتَحْتَ كَلِمَةِ « تَأْصِيلُهُ » ؛ أَيْ ذَكَرْتُ أَصُولَهُ .

(٨) فِي ب : وَخَلَّصَتْ .

(٩) الْمُرَادُ سَمِيَّتِهِ .

(١٠) الثَّنَاءُ : الْوَصْفُ بِالْجَمِيلِ . وَقَدَّرَ الشَّيْءُ : مَقْدَارُهُ وَشَرَفُ رَتَبَتِهِ .

الباب الثانى : فى تكميله تعالى له الحاسنَ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَقِرَانِهِ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَةِ والدَّنيَوِيَةِ فِيهِ نَسَقًا ^(١) ؛ وفيه سبعةٌ وعشرون فصلا .

الباب الثالث : فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها [٤] بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ ، وَمَا خَصَّ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ ^(٢) ؛ وفيه اثنا عشر فصلا ^(٣) .

الباب الرابع : فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمُعْجَزَاتِ ^(٤) ، وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخِصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ ؛ وفيه ثلاثون فصلا ^(٥) .

القسم الثانى - فيما يجب على الأنام ^(٦) من حقوقه عليه السلام ، ويترتَّبُ القولُ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : فى فَرَضِ الْإِيمَانِ بِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ؛ وفيه خمسة ^(٧) فصول .

الباب الثانى : فى لزوم محبته ومُنَاصَحَتِهِ ^(٨) ؛ وفيه ستة فصول ^(٩) .

الباب الثالث : فى تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره ؛ وفيه سبعة ^(١٠) فصول .

(١) قرانه : جمعه . نسقا : المراد أنه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض .

(٢) من كرامته : أى مما فيه تكريم وتبجيل له .

(٣) فى هذا الباب خمسة عشر فصلا ، كما سيأتى . وقال القارى : (١ - ٢٢) هكذا فى كل النسخ التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة ، والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ، ولعله أراد بالاثنى عشر فصولاً مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة .

(٤) الآيات : جمع آية ، وهى العلامة الدالة على نبوته ؛ والآية والمعجزة يشتركان فى الدلالة على صدقه ، غير أن المعجزة تنخص بالتحدى .

(٥) هى تسعة وعشرون فصلا ، كما يأتى .

(٦) الأنام : الخلق ، أو الإنس والجن .

(٧) هى أربعة ، كما سيأتى .

(٨) المناصحة : إرادة الخير للغير ، وإرشاده له .

(٩) هى خمسة كما سيأتى . (١٠) هى ستة كما سيأتى .

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ؛ وفيه عشرة فصول^(١) .

القسم الثالث - فيما يستحيل^(٢) في حقه ، وما يجوز عليه شرعا ، وما يمتنع^(٣) ويصح^(٤) من الأمور البشريّة أن يضاف^(٥) إليه .

وهذا القسم - أكرمك الله - هو سِرُّ الْكِتَاب ، وَلُبَّابُ ثَمَرَةٍ^(٦) هذه الأبواب ، وما قبله له كالتواعد والتهديدات والدلائل على ما نُورِدُهُ فيه من النَّكَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، وهو الحاكم على ما بعده ، وَالْمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هَذَا التَّأْلِيفِ وَعَدَّهُ ، وعند التَّقْصِي لموعده ، والتَّقْصِي عن عهده^(٧) ، يَشْرِقُ صَدْرُ الْعَدُوِّ اللَّعِينِ^(٨) ، وَيُشْرِقُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ ، وتَمَلُّأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحُ^(٩) صَدْرِهِ وَيَقْدُرُ الْعَاقِلُ النَّبِيُّ حَقَّ قَدْرِهِ^(١٠) . ويتحرَّرُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ [٥] :

الباب الأول : فيما يختصُّ بالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، ويتشَبَّثُ بِهِ الْقَوْلُ فِي الْعَصْمَةِ^(١١) ؛ وفيه ستة عشر فصلاً .

- (١) هي تسعة كما سيأتي . (٢) يستحيل : يمتنع امتناعاً قوياً حتى يلحق بالحال عقلاً .
- (٣) يضاف إليه : ينسب إليه . (٤) لباب كل شيء : خالصة .
- (٥) التقصّي : الاستقصاء ؛ وهو بلوغ أقصى الشيء وغايته . وقال الشهاب : أو هي التقصّي - بالضاد المعجمة ، من تقضي الأمر : إذا تم . والتقصّي : الخروج والتخلص .
- (٦) يشرق : أصل معناه وقوف الشراب ونحوه في الخلق ، والمراد يتألم ويفتأظ . والمراد بالعدو اللعين : إبليس ، أو جنس العدو .
- (٧) جوائنح صدره : الجوائنح : جمع جانحة ، وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب .
- (٨) يقدره : يعرف مقداره ، ويتصور عظيم مقامه .
- (٩) ويتشبت : يتعلق . والعصمة : منع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له ، أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها . والعصمة أيضاً تكون بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرّون عليها .

الباب الثاني : في أحواله الدنيوية ، وما يجوز طرؤه عليه من الأعراض البشرية^(١) ؛ وفيه تسعة فصول^(٢) .

القسم الرابع - في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سببه^(٣) صلى الله عليه وسلم ، وينقسم الكلام فيه في باين :

الباب الأول : في بيان ما هو في حقه سب ونقص ؛ من تعريض ، أو نص ؛ وفيه^(٤) عشرة فصول .

الباب الثاني : في حكم شائئه ومؤذيه ومُتنقصه وعقوبته^(٥) ، وذِكْر استنابته ، والصلاة عليه ، وورائته ؛ وفيه عشرة فصول .

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة [٥] ، ووصلنا للباين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه ؛ وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

واختصر الكلام فيه في خمسة^(٦) فصول ، وبتمامها ينتجز^(٧) الكتاب ، وتتم الأقسام والأبواب ، وتلوح في غرة الإيمان أمة منيرة^(٨) ، وفي تاج التراجم درة

(١) طرؤه : عروضه وحدوثه . الأعراض : جمع عرض ؛ وهو ما يعرض له من الأمور البشرية .

(٢) هي ثمانية ، لاسعة ، كما سيأتي .

(٣) تنقصه : نسب النقص إليه . والسب : الشتم . (٤) هي تسعة كما سيأتي .

(٥) الثاني : المنقص . وتنقصه : أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل .

(٦) سيأتي أنها عشرة . (٧) ينتجز : يتم ويكمل .

(٨) يلوح : يظهر . والغرة في الأهل : بياض في جبهة الفرس ، واللمعة : من لمع الشيء .

أضاء . والمراد أنه إذا تم ما في كتابه وانتقش في صحائف الأذهان ازداد نور الإيمان ؛ لأن الإيمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام إذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم وعجبه والعلم بما تؤدي إليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لأعلى عليين .

خطيرة، تزيج كل لبس^(١)، وتوضح كل تخمين وحَدْس^(٢)، وتشفي صدور قوم
مؤمنين، وتصدع بالحق^(٣)، وتعرض عن الجاهلين؛ وبالله تعالى - لا إله سواه -
أستعين .

القِسْمُ الْأَوَّلُ

في تعظيم العليّ الأعلى لقَدَرِ هذا^(٤) النبيّ
قولاً وفعلاً

قال [الفتية] ^(٥) القاضي الإمام أبو الفضل رَضِيَ الله عنه :
لا خفاء على مَنْ مارس شيئاً من العلم^(٦) ، أو خُصَّ بأذني لحة مِنْ فَهْمٍ^(٧) ،
بتعظيم الله تعالى قَدَرَ نبينا عليه [الصلاة و] ^(٨) السلام ، وخصوصه^(٩) إياه بنضائل

(١) تزيج : تزيل . واللبس : الخلط ، والاشتباه .

(٢) للتخمين والحدس : التخمين : قول من غير تحقيق . والحدس : قول صادر عن
ظن ووهم .

(٣) تصدع بالحق : تجهر بما يدل على الحق .

(٤) في ب : لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً . والمثبت في أ .
قال الخفاجي : في هذا الفصل ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم إِبْكَوْهُ أَنْفُسُ النَّاسِ ذَاتَا
وَحِسْبًا وَنِسْبًا ، وكونه خيراً ورحمة عامة في حياته ومماته ، وكونه نوراً محضاً للعالم ، وكونه
ذا صدور واسع منشرح ، ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره ، وأنه الصراط المستقيم .
(٥) من ب . وقال في نسيم الرياض : ما وقع في النسخ من مثل هذا وما شابهه ، من قوله :
الإمام - من تلامذته النساخ ؛ لأنه لا يمدح نفسه . وقال القاري : فيه إشعار بأنه من كلام غيره .

(٦) مارس : عالج ، ولازم ، وزاول .

(٧) لحة من فهم : شيء قليل من الفهم . (٨) من ب .

(٩) وخصوصه إياه : وتخصيصه .

ومحاسن ومناقب لا تنضب لزمام^(١)، وتنويه^(٢) من عظيم^(٣) قدره بما تكل عنه
الأسنة والأقلام :

فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ، ونبه به على جليل نصابه^(٤) ، وأثنى عليه
من أخلاقه وآدابه ، وحض العباد على التزامه^(٥) ، وتقلد إيجابه ؛ فكان جلّ جلاله
هو الذى تفضل وأولى^(٦) ، ثم طهر وزكى ، ثم مدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه
الجزاء الأوفى^(٧) ، فله الفضل بدءاً [٦] وعوداً^(٨) ، والحمد أولى وأخرى^(٩) .

ومنها ما أبرزه^(١٠) للعيان من خلقه على أتم وجوه السكال والجلال ، وتخصيصه
بالحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الكريمة^(١١) ، والفضائل العديدة ؛ وتأيدته

(١) لزمام : لضابط يريد ضبطها ، ويقصد ربطها ، ويجتهد في إحصائها .

(٢) يقال : نوهت باسمه ؛ إذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه .

(٣) فى ب : بعظيم قدره .

(٤) النصاب والمنصب : العلو والرفعة والشرف ؛ أى إن الله جل وعلا بذكره له صلى الله
عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل قدره ورفعته وشرفه .

(٥) الخض : الحث والطلب الشديد السريع .

(٦) أولى : أعطى . أو أنعم عليه بما علم المولى بأنه الأولى .

(٧) الأوفى : التام الكامل .

(٨) بدءاً وعوداً ؛ البدء : الابتداء . والعود : الرجوع ؛ أى أولاً وآخراً .

(٩) أولى وأخرى : أى هو مستحق للحمد فى أول الأمر وآخره . أو فى الدنيا والآخرة .

(١٠) ما أبرزه : ما أظهره ظهوراً تاماً . والعيان - بكسر العين : المعاينة . وفى ب : كتب

تحتها بكسر العين .

(١١) المذاهب : جمع مذهب ، وهو الطريق ، ويطلق على ما اختير من الأفعال وغيرها ،

كما يقال مذهب الفقهاء . والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم فى أحواله مع أمته أو فى نفسه .

بالمعجزات الباهرة^(١) ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البينة^(٢) التي شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه ، وعامها علم يقين من جاء بعده ، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا ، وفاضت أنواره علينا ، صلى الله عليه وسلم كثيرا .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ ، رحمه الله ، قراءة مني عليه^(٣) ؛ قال : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ، وأبو الفضل أحمد بن خيرون ؛ قالوا : حدثنا أبو يعلى البغدادي ؛ قال : حدثنا أبو علي السنجي ؛ قال : حدثنا محمد ابن أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ^(٤) ؛ قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس - أن^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق^(٦) ليلة أسري به ملجماً مسرجاً^(٧) ، فاستصعب عليه^(٨) ؛ فقال له جبريل : أيمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه . قال : فارتفض عرقاً^(٩) .

(١) الباهرة : العجيبة ، أو الظاهرة ظهوراً لا يمكن ستره ، أو الفائقة الغالبة القاهرة .
(٢) الكرامات : جمع كرامة ، وهي أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة ؛ فيكون للنبي وللولي ، وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى فيها . والبينة : الظاهرة .

(٣) هو شيخ المصنف قرأ عليه بالأندلس . وهو المعروف بابن سكرة ، استشهد بشعر الأندلس سنة أربع عشرة وخمسة ، وكان من أهل الحديث .

(٤) هو الترمذي ، صاحب الجامع الصحيح .

(٥) في نسيم الرياض : وهذا حديث حسن مسند في الترمذي وغيره (سنن الترمذي : ٥ - ٣٠١) .

(٦) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل ، سمي به لشدة سرعته .

(٧) ملجماً مسرجاً : مهياً للركوب بسرجه ولجامه . وفي ب ضبطت الجيم والراء بالكسرة .

(٨) فاستصعب عليه ؛ صعب ، أي إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ، أي امتنع وأبى أن يركب بسهولة .

(٩) فارتفض عرقاً : سال وتعبب عرقه .

البَابُ الْأَوَّلُ

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة^(١) يجميل ذكر المصطفى ،
وعد محاسنه ، وتعظيم أمره ، وتنويه قدره^(٢) ، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه ، وبان
فجواه ، وجمعنا ذلك في عشرة فصول :

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وأعداد المحاسن ؛ كقوله تعالى^(٣) : ﴿لقد
جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .
قال السمرقندي^(٤) [٦] : وقرأ بعضهم : من أنفسكم - بفتح الفاء . وقراءة
الجمهور بالضم .

قال^(٥) القاضي الإمام أبو الفضل - [وقفه الله] : أعلم الله تعالى المؤمنين ،
أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين : من الواجه بهذا

(١) مفصحة : دالة كاشفة ، مبينة .

(٢) وتنويه قدره : أى رفعة شأنه بإشاعته على وجه التعميم والتكريم .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٨ . رسول من أنفسكم : من جنسكم البشرى ، ومن قبيلكم
العربي . عزيز عليه ما عنتم : شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم في العذاب . حريص
عليكم أن تؤمنوا .

(٤) السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه المحدث المفسر .
وسياتى في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضي بواسطة واحدة .

(٥) هو المؤلف . وانظرها مشرق ٢ صفحة ٢ .

(٦) ليس في ب .

الخطاب^(١) أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه^(٢)، ويتحققون مكانه^(٣)، ويعلمون صدقه وأمانته؛ فلا يتهمون بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة^(٤)، [وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى^(٥): ﴿إِلَّا الْمُوْدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾]^(٦)؛ وكونه من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح^(٧)؛ وهذه نهاية للدح؛ ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد^(٨) كثيرة؛ من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم^(٩)، وشدة ما يُعنيهم^(١٠) ويضربهم في دنياهم وأخراهم، وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم.

قال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم.
ومثله في الآية الأخرى: قوله تعالى^(١١): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

-
- (١) الخطاب في الآية السابقة: لقد جاءكم . . .
(٢) يعرفونه: أي يعرفون ذاته وصفاته وأحواله، وذكره في الكتب القديمة.
(٣) مكانه: قدره ورتبته ومنزله.
(٤) ولادة أو قرابة: يعني أن كل قبيلة من العرب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم أب أو جد أو أم. أو قرابة له. أو المراد بالولادة: القرابة القرابية، وبالقرابة: القرابة البعيدة.
(٥) سورة الشورى، آية ٢٣.
(٦) ما بين القوسين في هامش ١، وكتب فيها بعد العبارة: من الأم العتيقة، وليس من الرواية. وليس ما بين القوسين في ب مما يدل على زيادتها. (٧) في كلمة: أنفسهم - بفتح الفاء.
(٨) حميدة: محمود. والمحامد: جمع محمداً، وهي المحمودات أيضاً.
(٩) رشدهم: إرشادهم. وإسلامهم؛ أي انقيادهم واستسلامهم.
(١٠) ما يعنهم: ما يشق عليهم. وفي ب: ما يعنهم - بضم الياء وسكون العين.
(١١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

وفي الآية الأخرى^(١) : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ .
وقوله تعالى^(٢) : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ .

وروى عن علي بن أبي طالب ، عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى^(٣) :
من أنفسكم^(٤) - قال : نسباً وصهرراً وحسباً^(٥) ؛ ليس في آبائي من لدن آدم سفاح ،
كُلُّنا^(٦) نِكَاح .

[قال ابن الكلبي^(٧) : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية .

- (١) سورة الجمعة ، آية ٢ . قال القاري : في الأميين ؛ أي العرب الذي غالبهم ماقرأ ولا كتب .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٥١ (٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٤
(٤) في نسيم الرياض : قال ابن النير : من أنفسهم : من جنسهم يعرفون حاله ، وأنه ماقرأ ولا درس ، وقد جاءه العلم فقص سير الأولين والآخرين على ما هم عليه حرفاً بحرف ؛ فيعلم الماقل أنه أمر خارق من عند الخالق ، كل ذلك إبلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته .
(٥) النسب : القرابة مطلقاً ، أو من جهة الآباء . والصهر : واحد الأصهار : أهل بيت المرأة . وقيل : كل أصهار : من كان من قبل الزوج ، ومن كان من قبل المرأة . والحسب : ما يعد من المآثر ، والشرف .
(٦) أي ليس في آبائي من حيث أبوتهم ، ولا في أمهاتي سفاح ؛ والسفاح : الزنا والفجور .
والنكاح هنا عقد النكاح والزواج . وفوق كلمة سفاح في ب : أي الزنا .
فقد صانه الله وأسلافه عما يشين ، وطهر أرحامهم عن دنس السفاح ، فلم يزل الرسول ينقل من الإصلاص الطاهرة إلى الأرحام الطيبة مصفي مهذباً .

(٧) ابن الكلبي : هو محمد بن السائب ، المفسر النسابة الأخباري (ميزان الاعتدال :

وعن ابن عباس رضى الله عنه - في قوله تعالى ^(١) : ﴿وَتَقَابُكُ فِي السَّاجِدِينَ﴾ - قال ^(٢) : مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ ، حَتَّى أُخْرِجَكَ نَبِيًّا [٣] .

وقال جعفر بن محمد : عَلِمَ اللَّهُ عَجْزَ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ ؛ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ الصَّفْوَ ^(٤) مِنْ خِدْمَتِهِ ؛ فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَخْلُوقًا مِنْ جَنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ ^(٥) [٧] الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا ^(٦) صَادِقًا ، وَجَمَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ ، وَمَوَافَقَتَهُ ^(٧) مَوَافَقَتَهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى ^(٨) : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَتَدِ اطَاعَ اللَّهَ﴾ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٩) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

قال أبو بكر بن طاهر : زَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَكَانَ كَوْنُهُ ^(١٠) رَحْمَةً ، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ؛

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١٩

(٢) قال السيوطي : هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ، وَالْبَزَارُ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١ - ٦٧) . وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ (٣ - ٣٥٢) : وَرَوَى الْبَزَارُ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَعْنِي تَقْلِبَهُ مِنْ صَلْبِ نَبِيٍّ إِلَى صَلْبِ نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجَهُ نَبِيًّا .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي هَامِشٍ ١ ، وَكُتِبَ بَعْدَهُ : مِنَ الْإِمَامِ ، وَلَيْسَتْ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَلَيْسَ فِي ب ، وَلَا فِي هَامِشِهِ .

(٤) الصَّفْوُ : الصَّافِي الْخَالِصُ . وَخِدْمَتُهُ : عِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ .

(٥) نَعْتُهُ : صِفَتُهُ .

(٦) سَفِيرًا : السَّفِيرُ : الرَّسُولُ .

(٧) بَيْنَ السُّطُورِ فِي ب : بِزَعِ الْخَافِضِ ، وَقَالَ الْقَارِي (١ - ٣٥) : هُوَ تَشْبِيهُهُ بِلَيْعٍ مُفِيدٍ لِلْمِائِلَةِ ؛ وَهُوَ أَنَّ طَاعَتَهُ عَيْنُ طَاعَتِهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَمَوَافَقَتُهُ مَوَافَقَتَهُ .

(٨) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةُ ٨٠ .

(٩) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ١٠٧ . (١٠) كَانَ كَوْنُهُ : كَانَ وَجُودُهُ .

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ^(١) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً ، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) : حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَّكُمْ . وَكَأَنَّ ^(٣) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(٤) : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا ؛ لِيَجْعَلَهَا لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا ^(٥) . وَقَالَ السَّمَرَقَنْدِيُّ : رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ : يَعْنِي لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ . وَقِيلَ : لِّجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهُدَايَةِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْمُنَافِقِ ^(٦) بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هُوَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ ؛ إِذْ عُوِفُوا بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُثْمِ الْمَكْدُوبَةِ ^(٧) .

وَحُكِيَ ^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِّجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ١٠٧

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، وَرَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ . (نَسِيمُ الرِّيَاضِ) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي : رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ . وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ ، وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي مَمَاتِهِ لِتَقْدِمِهِ فَرَطًا لَهُمْ .

(٣) فِي ب : كَمَا - مِنْ غَيْرِ وَאו .

(٤) هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَنَا وَسَنَدًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٧٩٢) وَفِيهِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً . وَبَقِيَّةُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي مُسْلِمَ : وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَتَّى فَاهَاكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ .

(٥) فَرَطًا وَسَلَفًا : أَيْ مُتَقَدِّمًا وَسَابِقًا .

(٦) الْمُنَافِقُ : مَنْ يُخْفِي الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

(٧) أَيْ الْمَكْدُوبَةُ لِّلْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَاقَبَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِالْإِسْتِثْصَالِ وَالْخُسْفِ وَالْمَسْخِ ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مُسْنَدٌ إِلَيْهِ فِي الطَّبْرَانِيِّ ، وَدَلَائِلُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ (١ - ٣٧) .

(٨) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَمْ يَوْجَدْ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ ،

هذه الرحمة شيء؟ قال : نعم ؛ كنتُ أَخْشَى العاقبة ^(١) فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ ^(٢) الله عز وجل على بقوله ^(٣) : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ^(٤) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .
وروى عن جعفر بن محمد الصادق - في قوله تعالى ^(٥) : ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ : أى بك ^(٦) ؛ إنما وَقَعَتْ سلامتهم مِنْ أَجْلِ كرامةِ محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى ^(٧) : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
قال كعب ^(٨) ، وابن جُبَيْر : المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام [٧] .
وقوله تعالى : مِثْلُ نَوْرِهِ ؛ أى نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سهل بن عبد الله ^(٩) : المعنى : الله هادى أهل السموات والأرض ؛ ثم قال :

(١) أَخْشَى العاقبة : أى سوء العاقبة .

(٢) إِذْ ثَنَاءُ العظيم يقتضى رضاه وقبوله ، وهو لا يرضى ويقبل إلا من كان مرحوما مقربا ، فلما علم ذلك من القرآن الذى هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وأمن سوء الخاتمة .

(٣) سورة التكويد ، آية ٢٠ ، ٢١

(٤) مكين : متمكن ذى قدر ومنزلة ، أو صاحب مكانة .

(٥) سورة الواقعة ، آية ٩١

(٦) أى بك : أى بسبب وجودك ، أو بسبب كرمك وجودك .

(٧) سورة النور ، آية ٣٥

(٨) فى ب : قال كعب الأخبار . . .

(٩) هو التسترى ، وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

مَثَل نورِ محمد إذ كان مستودعا في الأُصْلَاب^(١) كَمِشْكَاة^(٢) صَفَتْهَا كَذَا ؛ وأراد بالمصباح قلبه ، وبإلزاجة صدره ؛ أى كأنه كوكبٌ دُرِّيٌّ^(٣) لما فيه من الإيمان والحكمة ، تَوَقَّدَ^(٤) من شجرةٍ مباركةٍ ؛ أى من نور إبراهيم . وضرب^(٥) المَثَل بالشجرة المباركة .

وقوله : يكاد زيتها يضيء ؛ أى تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبينُ للناس قَبْلَ كلامه^(٦) كهذا الزيت .

وقيل في هذه الآية غيرُ هذا . والله أعلم .

وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا ؛ فقال تعالى^(٧) : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ :

وقال تعالى^(٨) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ .

ومن هذا قوله تعالى^(٩) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ .

(١) الأُصْلَاب : جمع صلب : الظهر ؛ والمراد أُصْلَاب الآباء .

(٢) المشكاة : كوة غير نافذة ؛ أى صفة نور محمد كصفة نور مشكاة

(٣) كأنه : كأن صدره . والدرى ؛ السكوكب المضيء .

(٤) في ب : توقد - بالبناء للمجهول .

(٥) وضرب المثل : أى شبه ظهور نبوة محمد المتصلة بأبيه إبراهيم ، بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة . « وضرب » - في أ : بالبناء للمجهول . وفي ب : بالبناء للمعلوم .

(٦) قبل كلامه : قبل دعواه النبوة وتحديه .

(٧) سورة المائدة ، آية ١٥ (٨) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٩) سورة الشرح .

شرح: وسع . والمراد بالصَّدر هنا: القلب . قال ابن عباس: شرحه بالإسلام^(١) .
وقال سهل : بنور الرسالة .
وقال الحسن^(٢) : مَلَأَهُ حُكْمًا^(٣) وَعِلْمًا .

وقيل : معناه أَلَمْ يُظْهِرْ قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس^(٤) . ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك :

قيل : ماسلف من ذَنْبِكَ - يعنى قبل النبوة .

وقيل : أراد ثَقَلَ أيام الجاهلية^(٥) .

وقيل : أراد ما أثقل ظهره من الرسالة^(٦) حتى بَأْغَمَهَا . حكاه الماوردي
والسُّلَمِيُّ^(٧) .

(١) فى ب : شرحه بنور الإسلام .

(٢) هو الحسن البصرى . مات بالبصرة سنة عشر ومائة .

(٣) - حكما - بضم الحاء وسكون الكاف : الحكمة . أو حكما - بكسر الحاء وفتح الكاف :
جمع حكمة . والحكمة : العلم بالحقائق النافعة والشرعية .

(٤) الوسواس : الشيطان ، أو الوسوسة . وقال القارى (٢ - ٤٣) : أى لا يشوش
عليك الوسوسون من الإنس والشیاطین .

(٥) ثقل أيام الجاهلية : الثقل ضد الخفة . وثقلها : عدم رضاه بما كانوا عليه من الشرك
وعبادة الأصنام والحاربة والمقاتلة ، وغير ذلك مما استقبجه النبي بسلامة فطرته .

(٦) من أعبأها ، أى لما فأساه من المشقة فى تلقيه الوحي ؛ من هيبة الملك ، وحفظ مايلقى
إليه ، وتكذيب قومه ، وغيرهم ، لما عرض نفسه على القبائل ، وشدة أذيتهم له عليه السلام
ولأصحابه ، ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر ، وتسهيل الله ذلك عليه .

(٧) الماوردي : هو أبو الحسن على بن حبيب ، صنف فى الفقه والتفسير والأصول .
توفى سنة خمسين وأربعمائة .

والسلى : هو أبو عبد الرحمن السلى النيسابورى ، واسمه محمد بن الحسين بن موسى ،
النيسابورى ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة ،
وتوفى فى شعبان سنة اثنى عشرة وأربعمائة . (ميزان الاعتدال : ٣ - ٥٢٤ ، وشرح القارى : ١ - ٤٤)

وقيل : عَصَمْنَاكَ ، ولولا ذلك لَأَفْتَلْتَ الذنوبُ ظَهْرَكَ^(١) ؛ حكاه السَّعْدِيُّ .
ورفعنا لك ذِكْرَكَ : قال يحيى بن آدم^(٢) : بالنبوة . وقيل : إذا ذُكِرَتْ ذُكِرَتْ
معى قول^(٣) : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وقيل : فى الأَذَانِ [٨] .

قال القاضى أبو الفضل^(٤) : هذا تقرير^(٥) مِنْ الله جلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ عَلَى عَظِيمِ نِعْمَةٍ لَدَيْهِ ، وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ؛ بَأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ
لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَايَةِ ، وَوَسَّعَهُ لِرِغْمِ^(٦) الْعِلْمِ ، وَخَلَّ الْحِكْمَةَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلِ أُمُورِ
الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَبَغَضَهُ لِسِيرِهَا^(٧) ، وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَظُهُورِ^(٨) دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ^(٩) الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ
مَكَانِهِ ، وَجَلِيلِ رُمْتَبَتِهِ ، وَرَفَعَهُ ذِكْرَهُ ، وَقَرَّانِهِ مَعَ اسْمِهِ [اسْمُهُ]^(١٠) .

(١) قال القارى : وهذا معنى بديع .

(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموى ، مولاهم بالكوفة ، أحد الأعلام ، أخرج له أصحاب
الكتب الستة ، توفى سنة ثلاث ومائتين .

(٣) قال القارى (١ - ٤٤) : الأظهر أن يقال : فى قوله : لا إله . . .

(٤) هو المؤلف .

(٥) التقرير : تثبيت وتمهيد . والإشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح . وهو بيان لحاصلها .

(٦) الوعى : الحفظ .

(٧) لسيرها : السير : جمع سيرة ، والمراد بالسيرة : الحالة والطريقة ، والضمير للجاهلية .

وكلمة « بغضه » جاءت بصيغة المصدر فى ١ ، والضبط المثبت فى ب .

(٨) ظهور دينه : الظهور بمعنى النبلية .

(٩) الأعباء : الأحمال والأثقال ، والمعنى هنا أن الله حملة أحمال الرسالة ، وألزمه بإجراء

أحكامها وتبليغها ؛ فكان فى أول الأمر فى حرج ومشقة من خوف التقصير ، فلما يسر الله له
ذلك انشرح صدره ، واستراح من ثقلها ، وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الأمة ، وأدى
الرسالة ؛ فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من أنه أقدره على التحمل والصبر (الشهاب) .

(١٠) أى كان ذكرك عين ذكرى ، لعدم انفكاكه عنه غالبا . « واسمه » الثانية ليست فى ب .

قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل عليه السلام ، فقال : إن ربّي وربك يقول : تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا دُكرتُ دُكرتَ معي .

قال ابن عطاء^(١) : جعلتُ تمامَ الإيمانِ بِذكرِ كُرى معك .

وقال أيضا : جعلتُك ذِكرًا من ذِكرِي ، فمن ذَكَركَ ذَكَرني .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكرُك أحدٌ بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية^(٢) . وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة .

ومن ذِكرِه معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه ؛ فقال تعالى^(٣) : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ . و﴿ آمِنُوا ﴾^(٤) بالله ورسوله ؛ فجمع بينهما بواو العطف المُشتركة .

ولا يجوز جمعُ هذا الكلام في غير حقّه عليه السلام .

حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجبائي^(٥) الحافظ فيما أجازَنيهِ [٨] ،

(١) ابن عطاء : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الزاهد البغدادي ، أحد مشايخ الصوفية بالعراق ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (القارى : ١ - ٤٦)

(٢) معنى كلام جعفر أنه لا يعترف أحد برسالتك إلا بعد أن يعترف بوحدانية الله وربوبيته ، لأنه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٢ وغيرها .

(٤) سورة النساء ، آية ١٣٦ ، وغيرها .

(٥) الجبائي : نسبة إلى بلدة بالأندلس ، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (القارى : ١ - ٤٦) .

وقال : « الحافظ » في اصطلاح المحدّثين : من أحاط علمه بمائة ألف حديث .

وقرأته على الثقة عنه ؛ قال ^(١) : حدثنا أبو عُمر النَّمَرِي ^(٢) ؛ قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن دَاسَةَ ؛ حدثنا أبو داود السَّجْزِي ، حدثنا أبو الوليد الطَّيَالِسِيُّ ^(٣) ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن منصور ، عن عبد الله بن يسار ، عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ الله عنه ، عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم ؛ قال ^(٤) : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ ^(٥) .

قال الخطَّابِيُّ ^(٦) : أرشدكم صَلَّى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة مَنْ سِوَاهُ ، واختارها بِمُثْمَرِ التي هي للنَّسَقِ والتَّراخِي ، بخلاف الواو التي هي للاشتراك .

ومثله ^(٧) الحديثُ الآخر ^(٨) : إِنْ خَطِيبًا ^(٩) خطب عند النبي صَلَّى الله عليه وسلم ؛ فقال : مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ ، وَمَنْ يَعْصِمُهُمَا ^(١٠) .

(١) في ب : فقال .

(٢) هو ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب وغيره .

(٣) مات سنة سبع وعشرين ومائتين .

(٤) في نسيم الرياض : هذا الحديث روى من طرق كثيرة ، وهو حديث صحيح .

(ابن ماجه : ٦٨٤) .

(٥) في نسيم الرياض : هذا النهى تنزيهى لرعاية الأدب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوى ،

بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا .

(٦) الخطَّابِيُّ : هو أبو سليمان البستي ، كان إماما كبيرا تفقه على القفال وغيره . توفي سنة

ثمان وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١-٤٧) .

(٧) ومثله : أى مثله في التنزيه عما يؤهم .

(٨) وهو حديث صحيح في صحيح مسلم ، وسنن أبي داود مسندا . (صحيح مسلم : ٥٩٤)

(٩) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم ، أو ثابت بن قيس .

(١٠) رشد : الرشد : الصلاح ، وهو خلاف الضلال . وأمام هذه العبارة في ب : « فقد

غوى » ، وعليها علامة الصحة . وغوى : ضل عن طريق الهدى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بئسَ خطيبُ القوم أنت ! قُمْ . أو قال : اذهب . قال أبو سليمان ^(١) : كرهَ منه الجمعُ بين الاسمين بحرفِ الكناية ^(٢) لما فيه من التسوية .

وذهب غَيْرُهُ إلى أَنَّهُ إنما كرهَ له الوقوفَ على « يَعِصُهَا » .

وقولُ أبي سليمان ^(٣) أَصَحُّ ؛ لما رُوِيَ في الحديث الصحيح أَنَّهُ قال : وَمَنْ يَعِصُهَا فقد غَوَى ، ولم يذكر الوقوفَ على يَعِصُهَا ^(٤) .

وقد اختلف المفسِّرون وأصحابُ المعاني في قوله تعالى ^(٥) : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ كَلِمَةً يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ هَلْ يُصَلُّونَ ۚ ۖ هَلْ رَاجِعَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةُ أَمْ لَا ؟ فَاجَازُهُ بَعْضُهُمْ ، وَمَنْعَهُ آخَرُونَ ، لَعَلَّ التَّشْرِيكَ ^(٦) ، وَخَصُّوا الضَّمِيرَ بِالْمَلَائِكَةِ ؛ وَقَدَّرُوا الْآيَةَ : إِنَّا اللَّهُ يُصَلِّي ، وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ ^(٧) .

(١) هو الخطابي السابق .

(٢) أى كرهه أن يعبر عنهما بضمير واحد هو ضمير التثنية ، إذ قال : ومن يعصها .

(٣) في نسيم الرياض : قال النووي : الصواب أن سبب النهي أن الخطبة شأنها الإيضاح واجتناب الرمز ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لفهم ، لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية ؛ لأنه ورد في مواضع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٥) هل يصلون : أى الضمير ، وهو الواو . . .

(٦) لعلة التشريك ؛ أى للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة في ضمير الواو .

(٧) أى من ذهب إلى أن العلة التشريك ، ولم يجوزها مطلقاً - خص الضمير بالملائكة ، وقدر في الأول ضميراً . وفي ب : والملائكة - بدل : وملائكته .

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال ^(١) : مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ ؛ فقال تعالى ^(٢) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وقد قال [٩] تعالى ^(٣) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

روى أنه لما نزلت هذه الآية قالوا ^(٤) : إِنْ مُحَمَّدًا يَرِيدُ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَانًا ^(٥) كما اتخذت النصارى عيسى ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ؛ فَتَرَنَّ طَاعَتَهُ بَطَاعَتَهُ رَغْمًا لَهُمْ ^(٧) .

وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أم ^(٨) الكتاب ^(٩) : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فقال أبو العالية ، والحسن البصري : الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه ؛ حكاه ^(١٠)

(١) فى نسيم الرياض : هذا الحديث قال المخرجون : إنهم لم يجدوه فى شيء من كتب الحديث ، وإن ورد ما هو بمعناه فى صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه : من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أُميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أُميرى فقد عصانى . (سنن النسائى : ٧ - ١٣٨) ، (صحيح مسلم ١٤٦٦) .

(٢) سورة النساء ، آية ٨٠ (٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ ، ٣٢

(٤) الذين قالوا : هم بعض الكفار ، والمنافقون .

(٥) حنانا : رحمة وعطفا ، والرزق والبركة . والمراد أن محمدا يريد أن يجعلنا ممن تترك به ، ونخضع له خضوعا يؤدى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم . وفى هامش ا : الحنان : الرحمة والعطف والبركة ، ومر ورقة بن نوفل بيلال ، وهو يمدب فقال : والله لئن قتلتهم لآخذنهم حنانا ؛ أى لآتمسحن به . (٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) رَغْمًا لَهُمْ : الرِّغْمُ : الغيظ ، والتذليل ، والقهر ، والإكراه ؛ أى إرادة ذلك بهم وتحصيله .

(٨) أم الكتاب : الفاتحة . (٩) سورة الفاتحة ، آية ٦ ، ٧

(١٠) هذا الأثر رواه الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس ، وصححه (الشهاب الخفاجى :

١٧٦ - ١٧٧ ، والقارى : ١ - ٥٠) .

عنهما أبو الحسن الماوردي، وحكى مكّي عنهما [نحوه] ^(١)؛ وقال : هو رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
وحكى أبو الليث السمرقندي مثله ، عن أبي العالية ، في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ قال : فبلغ ذلك الحسن ؛ فقال : صدقَ والله ونصح .
وحكى الماوردي ذلك في تفسير ^(٣) : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، عن
عبد الرحمن بن زيد .

وحكى أبو عبد الرحمن السلميّ ، عن بعضهم ، في تفسير قوله تعالى ^(٣) : ﴿ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ^(٤) ، واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ - أنه محمد صلى الله عليه
وسلم . وقيل : الإسلام . وقيل : شهادة التوحيد ^(٥) .
وقال سهل في قوله تعالى ^(٦) : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ - قال :
نعمتهُ بمحمد صلى الله عليه وسلم .
وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
أكثرُ المفسرين على أن الذي جاء بالصّدق هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ليس في ب .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٧

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٦

(٤) استمسك : تمسك . والعروة في الأصل : النبات الثابت في الأرض . ويقال لما يقعد في الجبل
ليدخل فيه اليد للتمسك . ومنه عروة القميص والكوز ، واستعمل هنا لما يستعصم به ويلتجأ
إليه . والوثقى : المحسكة . والمراد أن من صدق وآمن به سلم من كل سوء في الدنيا والآخرة .
(٥) شهادة التوحيد : قول لا إله إلا الله .

(٦) سورة إبراهيم ، آية ٣٤ ، وسورة النحل ، آية ١٨

(٧) سورة الزمر ، آية ٣٣ ، ٣٤

وقال بعضهم : وهو الذى صدّق به .

وقرى : صدّق^(١) - بالتخفيف .

وقال غيرهم : الذى صدّق^(٢) به المؤمنون [٩] . وقيل أبو بكر . وقيل على .

وقيل غير هذا من الأقوال .

وعن مجاهد - فى قوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ - قال : بمحمد

صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

الفصل الثانى

فى وصفه تعالى له بالشهادة^(٣) وما يتعلق بها من الثناء والكرامة^(٥)

قال الله تعالى^(٦) : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ يَازِّنُهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٧) : جمع الله تعالى فى هذه الآية ضروباً^(٨) من رتب

(١) فوق كلمة « صدق » فى ا : « خف » .

(٢) بالتخفيف أيضاً فى ب . (٣) سورة الرعد ، آية ٢٨

(٤) أى بأنه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم ببليغ أنبيائهم لهم .

(٥) الكرامة : الإكرام له ؛ يعنى أن المقصود فى الأول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفوس الناس ذاتاً وحسباً ونسباً ، وكونه خيراً ورحمة عامة فى حياته ومماته ، وكونه نوراً محضاً منوراً للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ؛ ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وأنه الصراط المستقيم . قال الحفاجى : وسيدكر فى هذا الفصل أن الله جعله شاهداً على أمته وسائر الأمم وأنبيائهم ؛ وما ذكر فيه من الثناء والإكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطراداً لمناسبتها له . وبهذا تتبين مناصرة ما عقد له الفصلان (الشهاب الحفاجى :

١ - ١٨٣) . (٦) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) ذكر المؤلف هذه الآية قبل ذلك صفحة ٢١ لتأييد كونه نوراً ، ثم ذكرها هنا

لكونه شاهداً على التبليغ . (٨) ضروباً : أنواعاً .

الأثرية^(١)، وُجِّلَ أوصاف من المدحة^(٢)؛ فجعله شاهداً على أمته لنفسه بما بلاغهم الرسالة؛ وهي^(٣) من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ ومُبَشِّراً لأهل طاعته؛ ونَذِيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته؛ وسِرَاجاً مُنِيراً يَهْتَدَى به لِلْحَقِّ.

حدثنا الشيخ أبو محمد^(٤) بن عتاب رحمه الله، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القابسي، حدثنا أبو زيد المروزي، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار؛ قال^(٥) : أَقْبَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بن عمرو بن العاص، قلتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قال : أَجَلٌ^(٦)، وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي التَّنْزِيلِ^(٧) : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٨)، وَحِرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ^(٩)، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِّتُكَ الْمُتَوَكِّلَ،

(١) الرتب : جمع رتبة ، وهي للمرتبة والمنزلة . والآثرة - بضم الهمزة وسكون الشاء : المكرمة . ويفتح الهمزة والشاء : الانفراد بالشيء . والمراد أن في الآية أموراً مخصوصة انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم . ويرجع الشهاب للمعنى الأول . ويرجع النووي للمعنى الثاني . وقد جاء الضبط الأول في ١ ، والضبط الثاني في ب . (٢) المدحة : الثناء ، والذكر الحسن . (٣) وهي : أي شهادته عليهم لنفسه بدون بينة .

(٤) قال الشهاب (١ - ١٨٦) : هو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف ، سمع منه في رحلته للأندلس . وهو من علماء الحديث . توفي سنة عشرين وخمسمائة (والقاري : ١ - ٥٣) . (٥) هذا الحديث تفرد به البخاري (البخاري : ٣ - ٨٣) . وقريب من معناه حديث في الترمذي : ٤ - ٣٦٩ ، وفي هامش ١ : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص . والمثبت على كل كلمة فيه علامة صح في ١ .

(٦) أجل : نعم . (٧) قال القاري (١ - ٥٥) : وهذا مذكور في القرآن ، ولعل معناه مذكور في التوراة . (٨) الحرز : أصل معناه : الحفظ ، ثم أطلق على المكان الذي يحفظ به ، فيقال : حرز حرز . والمراد بالأميين العرب : لغلبة الأمية فيهم ، أو لأنهم لا كتاب لهم .

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق^(١) ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يَغْفُو وَيُغْفِر^(٢) ، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ^(٣) ، بأن يقولوا : لا إلهَ إلا اللهُ^(٤) ، وَيَفْتَحَ به أَعْيُنَا عُمْيَا ، وَأَذَانَا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفًا^(٥) .

وذَكَرَ مثله عن عبد الله بن سَلَامٍ [١٠] وَكُتِبَ الْأَحْبَارُ ؛ وفي بعض طرقه ، عن ابن إسحاق^(٦) : ولا صَخِبَ في الأسواق ، ولا مُتَزَيْنَ بالفحش^(٧) ، ولا قَوَالٍ لِلْخَنَاءِ^(٨) ؛ أَسَدُّهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ^(٩) ، وَأَهَبُّ لَهُ كُلِّ خَلْقٍ كَرِيمٍ^(١٠) ، وأَجْعَلُ

(١) اللفظ : الرجل الشديد الغليظ القلب ؛ أى ليست له قسوة قلب ، ولا تشديد على الناس ؛ لأن مآته سمحاء . وليس بغليظ : ليس بعنيف ، والمراد أنه ليس بسيء الخلق . والصخاب : من الصخب ، وهو ارتفاع الصوت وشدة . والمراد نفي الصخب عنه مطلقا ؛ لأنه إذا اتقى في المحل المعتاد فيه اتقى في غيره بالطريق الأولى . والصخاب بالسين في ١ ، والبخارى ، وبالصاد في ب ، وهما بمعنى واحد .

(٢) لا يسىء لمن أساء إليه ، ويدفع بالتي هي أحسن ؛ وذلك لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وقد قال الله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . (٣) يقبضه : يتوفاه . الملة : الدين . العوجاء : غير المستقيمة . والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي عوجتها العرب بتغييرها ؛ لأنهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم ، وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية .

(٤) اقتصر على هذا من الدين القيم ؛ لأن العوج الواقع فيها يؤدي إلى الشرك وعبادة الأصنام .

(٥) قلوبا غلفا : لا تمى ماجئت به .

(٦) في ب : عن إسحاق ، وزاه تحريفا .

(٧) الفحش : القبح ، وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش . والمراد كل قبيح قولا كان أو فعلا ؛ أى لا يتأبس بأمر قبيح ، أو يتجمل وبياهى به .

(٨) الخنا : قبيح الكلام ؛ أى لا يصدر عنه شيء من ذلك .

(٩) أسدده : أوفقه للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل .

(١٠) أهب له : أعطيه .

السكينة لباسه، والبر شعاره^(١)، والتقوى ضميره^(٢)، والحكمة معقوله^(٣)، والصدق والوفاء طبيعته^(٤)، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامته^(٥)، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخالة^(٦)، وأسمى به بعد النكسة^(٧)، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة^(٨)، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمة خير أمة أخرجت للناس^(٩).
وفي حديث آخر: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة^(١٠):

(١) السكينة: الوقاء والطمانينة. والشعار: اللباس الذى يلبى الجسد.

(٢) التقوى: ما يقى من العذاب فى الآخرة. والضمير: ما يضر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لا ينسأه.

(٣) الحكمة: كل كلام جامع لما يرشد إلى الحق. معقوله: المراد أن الحكمة بعقله وإدراكه. أو المراد ما بعقله كله حكم ومواظ وعلم؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

(٤) أى لا ينطق بغير ما وافق الواقع، وإذا عاقد أحدا؛ أو وعد وعدا لا يخلفه؛ وهذا أمر طبيعى له جعله الله فيه.

(٥) إمامه: قد تكون بكسر الهمزة؛ أى قدوته؛ أو بفتح الهمزة، ويكون المعنى أن الهدى إمامه وقدامه، فهو ملاحظ له دائماً.

(٦) الحامل: الساقط الذى لا نباهة له. والخالة: الخول؛ أى بعد أن لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن فى الظاهر وإن كانوا فى علم الله خير أمة.

(٧) النكسة: خلاف المعرفة، ويطلق بمعنى المجهول. والمراد: إنى أرسله فى زمان جهالة، وضلالة، وفترة، فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم وهى على عادة الرسل عليهم السلام؛ فيصيرون به بعد خولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم.

(٨) العيلة: الفقر.

(٩) أخرجت: أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم.

(١٠) رواه الطبرانى، وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود (الدلائل: ١ - ٨٢). والدارى عن كعب موقوفاً، ورواه بإسناد ضعيف. (الشهاب: ١ - ٢٠٣، والقرارى: ١ - ٥٩).

عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ ، مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ ، وَمُهَاجِرُهُ ^(١) بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ قَالَ : طَبِيبُهُ ^(٢) ،
أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ ^(٣) اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

قَالَ السَّمُرْقَنْدِيُّ : ذَكَرَهُمُ اللَّهُ مِنْتَهُ ^(٦) أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، رِعْوًا

(١) مهاجره : محل هجرته التي هاجر إليها .

(٢) طيبية : اسم من أسماء المدينة .

(٣) الحمادون : الكثيرو الحمد .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ ، ١٥٨

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ ، وذكر المؤلف هذه الآية لتعلقها بما تقدم في التوراة ؛

من قوله : ليس بفظ ولا غليظ .

(٦) منته : إنعامه وامتنانه عليهم . وفي هامش : ١ : كتبت ذكرهم ، وعليها علامة الصحة .

وفي ١ : منته . والثبت في ب .

لَيْنَ الْجَانِبِ ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِينًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ ^(١) جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَمَحًا سَهْلًا ، طَلَقًا بَرًّا لَطِيفًا ^(٢) .

هَكَذَا قَالَ الضَّعَاكُ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِي : أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ [١٠] الْآخَرَى ^(٤) : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ^(٦) بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَسَطًا : أَيْ عَدْلًا خَيَارًا .

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ : وَكَأَمْ هَدَيْنَاكُمْ فَكَذَلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خَيَارًا عَدُولًا ؛ لِتَشْهَدُوا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أُمَّتِهِمْ ، وَيَشْهَدَ لَكُمْ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ .

(١) فِي ب : لَكِنْ .

(٢) سَمَحًا : سَهْلًا جَوَادًا كَرِيمًا . طَلَقًا : غَيْرَ عَبُوسٍ ، فِيهِ بَشَاشَةٌ وَسُرُورٌ . وَالْبَار : مَنْ

فِيهِ خَيْرٌ وَشَفَقَةٌ وَرَفَقٌ وَإِحْسَانٌ وَرَحْمَةٌ . وَاللَّطِيفُ : الشَّفِيقُ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٤٣

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ ، آيَةُ ٧٨

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةُ ٤١ .

(٦) الْأُمَّةُ : الْجَمَاعَةُ . وَالشَّهِيدُ : هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَى مَا عَمِلُوهُ . وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا : أَيْ جِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّهُدَاءِ شَهِيدًا عَلَى صَدَقَتِهِمْ ؛ أَوْ عَلَى الْأُمَمِ ، أَوْ عَلَى التَّبْلِيغِ .

وقيل : إن الله جلَّ جلاله إذا سأل الأنبياء : هل بلغتُم^(١) . فيقولون : نعم .
فتقول أممهم : ما جاءنا من بشير ولا نذير ؛ فتشهد أمةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم للأنبياء ؛
ويُرَكَّبُ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .
وقيل : معنى الآية : إنكم حُجَّةٌ على كلِّ مَنْ خالفكم ، والرسولُ حُجَّةٌ عليكم^(٣) .
حكاه السمرقندي .

وقال الله تعالى^(٤) ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .
قال قتادة ، والحسن ، وزيد بن أسلم : « قَدَمَ صِدْقٍ » : هو محمدٌ صلى الله عليه
وسلم ، يَشْنَعُ لهم^(٥) .

وعن الحسن أيضا : هي مصيبتهم بنبيهم^(٦) .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : هي شفاعَةُ نبيهم محمدٍ صلى الله عليه
وسلم ؛ هو^(٧) شَفِيعُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

(١) هل بلغتُم : سؤال الله ليظهر حال الأمم وفضل هذه الأمة ، وإلا فالله سبحانه وتعالى
يعلم السر وأخفى .
(٢) هذا حديث مرفوع أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري . (صحيح البخاري :
٩ - ١٣٢) .

(٣) أى إجماعهم حجة ، وشهادتهم مقبولة معتبرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع .
(٤) سورة يونس ، آية ٢

(٥) قدم صدق : تقدم ورتبة رفيعة عند الله . ويراد بقدم الصدق : تزكيتة المقرونة
بتصديقه ، وفيه مناسبة تامة لما نحن فيه . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) - عن الحسن
وقتادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شافع مطاع يتقدمهم ، كما قال : أنا فرطكم (أى
متقدمكم) على الخوض . وارجع إلى القرطبي ففيه أقوال أخرى كثيرة في معنى « قدم صدق » -
إن أردت .

(٦) أى وفاته صلى الله عليه وسلم قبلهم . وهذا المعنى منقول في القرطبي (٨ - ٣٠٦)
عن الحسن .
(٧) فى ب : وهو .

وقال سهل بن عبد الله التستري : هي سابقة رَحْمَةٍ أودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال محمد بن علي الترمذی^(١) : هو^(٢) إمامُ الصادقين والصدِّيقين ، الشَّفيعُ المطاع ، والسائلُ المُجابُّ محمد صلى الله عليه وسلم ، حكاه عنه السُّلَمي .

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه إياه مَوْرِدَ الملائكةِ والمَبرَّةِ^(٣)

من ذلك قوله تعالى^(٤) : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ .

قال أبو محمد مَكِّي : قيل هذا افتتاحُ كلامٍ بمنزلة : أصلحك الله ، وأعزك الله .

وقال عَوْنُ^(٥) بن عبد الله : أخبره بالعفو قبل أن يُخبره بالذَّنْبِ^(٦) .

وحكى السَّمَرَقَنْدِي عن بعضهم أن معناه : عافاك الله يا سَلِيمَ القلبِ : لم أَذِنتَ لَهُمْ ؟

قال : ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ، لم أَذِنتَ لَهُمْ لَخِيفَ عَلَيْهِ أَنْ

يَنْشُقَّ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَةِ هَذَا الْكَلَامِ^(٧) ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّى

(١) هو الحكيم الترمذی، وهو غير صاحب السنن .

(٢) في ب : هي - أي القدم . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) : وقال الترمذی الحكيم :

قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود .

(٣) أي خطاب الله تعالى لنبيه الكريم . والملائكة : المعاملة باطف وشفقة . والمبرة :

بهي البر ، وهو الإحسان والخير .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٤

(٥) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الزاهد الفقيه ، توفي في حدود

سنة ستين ومائة .

(٦) الذنب هنا : خلاف الأولى والأليق ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات القربين .

(٧) لأنه حينئذ يشعر بأنه وقع في الآثام .

سكن قلبه ، ثم قال له : لم أذنّت لهم بالتخلف ^(١) حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب .

وفي هذا من عظيم منزلته عند الله مالا يخفى على ذي لب ^(٢) .
ومن إكرامه إياه وبرّه به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب ^(٣) . قال نفطويه ^(٤) : ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم مُعَاتَبٌ بهذه الآية ، وحاشاه ^(٥) من ذلك ، بل كان مُحْيِراً ^(٦) فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقدؤوا لنفائهم ، وأنه لا حرج عليه في الإذن [لهم] ^(٧) .

قال القاضي ^(٨) أبو الفضل : يجب على المسلم المجاهد نفسه ^(٩) ، الراض بزمام الشريعة خلقه ^(١٠) أن يتأدّب بأدب القرآن في قوله ونعله ، ومُعَاطَاتِهِ ^(١١) ومُحَاوَرَاتِهِ ،

(١) كان هذا التخلف عن غزوة تبوك . (٢) اللب : العقل .

(٣) نياط القلب : نياط : عرق غليظ يملق به القلب من الوتين . وقيل : هو الوتين نفسه ؛ فإذا انقطع مات صاحبه ؛ فلذا كنى به عن الموت .

(٤) نفطويه : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة بينداد ودفن بباب الكوفة .

(٥) وحاشاه من ذلك : أي والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن يفعل ما يستحق العتاب عليه . قال في نسيم الرياض : لاعتاب في هذه الآية ، بل فيها إعزاز له وإكرام بالدعاء له ، وتصويب لفعله .

(٦) بل كان محيراً : بين الإذن وعدمه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَأَذْنِ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ . وفي ب : محيراً - بكسر الباء .

(٧) ليس في ب . (٨) هو المؤلف ، كما سبق .

(٩) المجاهد نفسه : بهتذيب الأخلاق ، والصبر ، وكسر شهوتها ؛ فإنه الجهاد الأكبر .

وفي ب : بنفسه .

(١٠) راض : من رضى الدابة أروضها ؛ إذا ذلتها لتتقاد لما تريد وتلين شكيمتها . والزام :

ما يقودها كاللجام . (١١) معاطاته : المراد بالمعاطاة هنا الأفعال الواقعة منه .

فهو عُنْصُرُ المعارف الحقيقية ، وروضةُ الآداب الدينية والدنيوية ^(١) ، وليتأمل هذه الملاحظة ^(٢) العجيبة في السؤال من رَبِّ الأربابِ ، المُنْعَم على الكلِّ ، المستغنى عن الجميع ، وَيَسْتَتِرُ ما فيها من الفوائد ^(٣) ، وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتبِ ، وأنس ^(٤) بالعفو قبل ذِكْرِ الذنب إن كان ثمَّ ذنب .

وقال تعالى ^(٥) : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ مَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) .

قال بعضُ المتكلمين : عاتبَ اللهُ تعالى الأنبياء عليهم السلام بعد [١١] الزلاّت ^(٧) ، وعاتب نبيّنا عليه السلام قبل وقوعه ، ليكونَ بذلك أشدَّ انتهاءً ومحافظَةً لشرائطِ الحجّةِ ، وهذه غايةُ العناية .

ثم انظر كيف بدأ بنبأته ^(٨) وسلامته قبل ذِكْرِ ما عتبه ^(٩) عليه وخيف أن

(١) فهو : الضمير للنبي ، أو للقرآن . والعنصر : الأصل . والروضة : أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة .

(٢) وليتأمل : وليتدبر ؛ أى المسلم .

(٣) يستتر : يبرز ويحرك ، أى يظهره لنفسه ولغيره . وفي ب : يتبين ويستثير . وقال القارى : يستثير : من ثار لشيء إذا ارتفع وانتشر ، والمراد يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج . ما فيها : أى الملاحظة والآداب القرآنية .

(٤) فى ب : وأنس .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤

(٦) أى لولا أن ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربْتَ الليل إلى مرادهم ميلاً ما قليلاً ؛ ففي هذه الآية تصرّح بأن الله عصمه عن الميل إلى خلاف الصواب ، فضلاً عن الوقوع فيه . وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من أنه لا ذنب له رأساً .

(٧) الزلاّت : جمع زلّة ، من الزلل ، وأصله دحوض القدم ، ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ؛ ولذا فسر بالخطأ ؛ فإن الزلّة ما صدر من سالك الطريق من غير قصد المخالفة .

(٨) أى لم يقل : لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً لولا أن ثبتناك ، فبدأ بنبأته على الواقعة ، وسلامته من المخالفة .

(٩) فى ب : ما عاتبه عليه .

يَرْ كُنَ إِلَيْهِ ، فَمَنْ أَشَاءَ عَقَبَهُ بِرَأَاهُ ، وَفِي طَى تَخْوِيفَهُ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ .
ومثله قوله تعالى ^(١) : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٢) .

قال على رضى الله عنه ^(٣) : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لا نُكذِّبُكَ وَلَكِنْ نَكْذِبُ مَا ^(٤) جئتَ به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) لما كذَّبَ به قومه حَزَنَ ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال : مَا يُحْزِنُكَ ^(٦) ؟ قال : كَذَّبَ بَنِي قَوْمِي ! فقال : إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ ، فأنزل الله تعالى الآية .

ففي هذه الآية مَنْزَعٌ ^(٧) لطيف المأخِذُ ، مِنْ تَسْلِيَتِهِ ^(٨) تعالى له عليه السلام ، وإلطافه به في القول ، بَأَنَّ قَرَّرَ ^(٩) عنده أَنَّهُ صَادِقٌ عِنْدَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مَكْذُوبِينَ لَهُ ، مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا ، وَقَدْ كَانُوا يُسْمُونَهُ - قَبْلَ النُّبُوَّةِ - الْأَمِينَ ،

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٣ (٢) يجحدون : ينكرون .

(٣) في تفسير القرطبي (٦ - ٤١٦) : قال أبو ميسرة : إن رسول الله مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا : يا محمد ، والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به ، فنزلت هذه الآية .
(٤) في ب : بما .

(٥) قال السيوطي في تحريجه هذا الحديث : لم أجده . وقال القاري : حديث جبريل هذا أورده بصيغة روى ، ولم أعرف من رواه .

(٦) في ب . ما يحزنك - بفتح الياء .

(٧) منزع لطيف : المراد به شيء يرجع إليه . لطيف المأخذ : حسن دقيق أخذه واستنباطه منها .

(٨) التسلية : تطيب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه .

(٩) قرر : بين وأثبت .

فدفع بهذا التقرير ارتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الكَذِبِ ^(١) ، ثم جعل الذَّم لهم بِتَسْمِيَتِهِمْ جاحدينَ ظالمينَ ، فقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

فحاشاه من الوَصْمِ ^(٢) ، وطَوْقَهُمْ ^(٣) بالمعاندة بتكذيب الآياتِ حَقِيقَةِ الظُّلْمِ ، إِذِ الْجَحْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عِلْمُ الشَّيْءِ ثُمَّ أَنْكَرَهُ ، كقوله تعالى ^(٤) : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلوًّا ﴾ .

ثم عَزَّاهُ وَأَنَسَهُ ^(٥) بما ذكره عَمَّنْ قَبْلَهُ ، ووَعَدَهُ النَّصْرَ بقوله تعالى ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٧) .

فَمَنْ قَرَأَ ^(٨) « لَا يُكْذِبُوكَ » بالتخفيف ، فعنائه : لَا يَجِدُونَكَ كَاذِبًا . وقال ^(٩) :
الفرَّاء ، والكسائي : لَا يَقُولُونَ إِيَّاكَ كَاذِبٌ .

وقيل : لَا يَخْتَجُّونَ عَلَى كَذِبِكَ ، وَلَا يُشَبِّهُونَهُ .

ومن قرأ بالتشديد ^(١٠) فعنائه : لَا يَنْسُبُوكَ إِلَى الكَذِبِ . وقيل : لَا يَعْتَدُونَ كَذِبَكَ .

(١) الارتِمَاضُ : أصل الارتِمَاض من الرَّمَاض ، وهي شدة الحرارة ، شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قايه . والسمة : العلامة .

(٢) حاشاه من الوصم : أى نزه الله النبي وبرأه من الوصم ؛ وهو النقص والعيب . والمراد به الكذب المذكور في الآية .

(٣) وطوقهم : وألزمهم . (٤) سورة النمل ، آية ١٤

(٥) التعزية : تسلية للصاب بما يخفف حزنه . وأنسه : أذهب وحشته وقلقه بمالقيه منهم .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٣٤

(٧) لكلمات الله : أى مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾ .

(٨) وهو نافع ، والكسائي . (٩) في ب : قال . (١٠) وهم الباقون .

ومما ذكر من خصائصه ^(١) وبرَّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم ، فقال تعالى : يا آدم ، يا نوح ، [يا موسى] ^(٢) ، يا داود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى . ولم يخاطب هو إلا : يأيها الرسول ، يأيها النبي ، يأيها المزمِّل ، يأيها المدَّثَر .

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى ^(٣) : ﴿ لَعَزَّكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ^(٤) يَعْمَهُونَ ﴾ .
اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلَّ جلاله بمُدَّة حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصله ضمُّ العين ، من العُمر ، ولكنها فُتحت لكثرة ^(٥) الاستعمال . ومعناه : وبثألك يا محمد . وقيل : وعيشك . وقيل : وحياتك .
وهذه نهاية التعظيم ، وغاية البرِّ والتشريف . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ ^(٦) ، وما برأ نفساً - أكرم عليه من محمد ^(٧) صلى الله عليه وسلم ، وما سمعتُ الله تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيره ^(٨) .
وقال أبو الجوزاء ^(٩) : ما أقسم الله تعالى بحياة أحدٍ غير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكرم ^(١٠) البرية عنده .

-
- (١) خصائص : جمع خصيصة . وهي ما خص به دون غيره تميزاً له وتفضيلاً له على غيره .
(٢) ليس في ١ . (٣) سورة الحجر ، آية ٧٢ .
(٤) سكرتهم : غفلتهم . يعمهون : يتحIRON ويترددون .
(٥) في ب : بكثرة . (٦) ذرأ : خلق . وبرأ : خلق .
(٧) في ب : غير محمد صلى الله عليه وسلم .
(٨) قول ابن عباس هذا رواه البيهقي في دلائله ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى .
(٩) أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله الراعي البصري ، يروى عن عائشة وغيرها ، وعنه قتادة وعدة ، وهو ثقة ، كما قال الحاكم . وتوفى سنة ثلاث وثمانين . وفي ب : أبو الخبر .
(١٠) البرية : الخليفة .

وقال تعالى^(١) : ﴿يَس . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . . .﴾ الآيات .

اختلف المُفسِّرون في معنى « يَس » على أقوال ؛ فحكى أبو محمد مَكِّيَّ [أَنَّهُ]^(٢) رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال : لى عند رَبِّي عشرةُ أسماءَ ، ذكر منها : طه ويَس - اسمانِ له^(٣) .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ، عن جَعْفَرِ الصادق - أَنَّهُ أراد : يَاسِيدُ ، مخاطبةً لنبيه صلى الله عليه وسلم [١٢] عليه وسلم .

وعن ابن عباس : يَس - يا إِنْسَانُ^(٤) ، أرادَ محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقال : هو قَسَمٌ ، وهو من أسماء الله تعالى^(٥) .

وقال الزَّجَّاجُ^(٦) : قيلَ معناه : يا محمد . وقيل : يا رجل . وقيل : يا إِنسان .

وعن ابنِ الحَنَفِيَّةِ : يَس : يا محمد .

وعن كَعْب : يَس : قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى به قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ والأَرْضَ بِاللَّيْلِ عام : يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . ثم قال : والقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .

(١) سورة يس ، آية ١ ، ٢ (٢) ليس في ا .

(٣) اسمان له : أى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم . وقال القارى (١ - ٧٤) : ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح ، وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى . وقال الشهاب . (١ - ٢٤٠) : فى سنده مقال .

(٤) رواه ابن أبى حاتم . وعن من اتل إنها لغة حبشية ، يسمون الإنسان « يس » . وعن ابن عباس إنها لغة طيء .

(٥) قال السيوطى : أخرجه ابن جرير .

(٦) الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد شيخ العربية ، الإمام فى الأدب . توفى سنة ست أو إحدى عشرة وثلاثمائة (الشهاب : ١ - ٢٤٣) . وقال القارى (١ - ٧٥) : توفى سنة عشر وثلاثمائة ينفد .

فإن قرّر أنه بين أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وضَحَ فيه ^(١) . أنه قسمٌ كان فيه من التعظيم ما تقدّم ^(٢) . ويؤكّد فيه القسمَ عطفُ القسمِ الآخرِ عليه ، وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسمٌ آخر بعده لتحقيقِ رسالته ، والشهادةِ بهدأيته : أقسم الله تعالى باسمه ^(٣) وكتابه إنه لمن المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراطٍ مستقيم من إيمانه ، أى طريقٍ لا اعوجاجَ فيه ، ولا عدولَ عن الحق .

قال النقاش ^(٤) : لم يقسم الله تعالى لأحدٍ من أنبيائه بالرسالةِ فى كتاب إلا له ، وفيه من تعظيمه وتمجيدِه - على تأويل من قال : إنه ياسيد - ما فيه ؛ وقد قال عليه السلام : أنا سيّدُ ولدِ آدمَ ، [ولا فخر] ^(٥) .

وقال تعالى ^(٦) : ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ ، وأنتَ حلٌّ بهذا البلدِ ﴾ . قيل : لا أقسمُ به إذا لم تكن فيه بعد خروجه منه ، حكاه مكي ^(٧) . وقيل : « لا » زائدة ؛ أى أقسم به وأنتَ به يا محمد حلالٌ ^(٨) . أو حلٌّ لك ما فعلتَ فيه على التفسيرين .

-
- (١) أنه : الضمير لـ « يس » . (٢) ما تقدم : أى من القسم بقوله : لمبرك .
 (٣) باسمه : وهو يس : العلم الدال على ذاته .
 (٤) النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد اللؤلؤى البندادى المفسر المقرئ توفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

(٥) ما بين القوسين ليس فى بـ . والفخر : ادعاء العظمة والشرف والإعلان بذكره ؛ أى لا أقول ذلك تبجحاً ولا افتخاراً بل تحديثاً بنعم الله وشكره . والحديث فى مسلم (١٧٨٢) ، وابن ماجه (١٤٤٠) . (٦) سورة البلد ، آية ١ ، ٢ .

(٧) أى « لا » نافية ، والبلد : مكة . وفى شرح القارى (١ - ٧٧) : هذا الذى حكاه مكي لا يستقيم تنزيله على الآية ، لأنه عكس مقتضاها ، ألا ترى أن الواو من قوله تعالى : وأنت حل . واو الحال ، وإذا كانت كذلك فيكون معنى الآية : لا أقسم بهذا البلد إذا كنت فيه ، وهو ضد ما قال مكي .

(٨) حلال : مقبى .

والمراد بالبلد عند هؤلاء مَكَّة .

وقال الواسطي^(١) : أى تخلف لك بهذا البلد الذى شرّفته بمكانك فيه حيّا ،
وبيركتك مميّتا - يعنى المدينة .

والأولُ أصحُّ ؛ لأنّ السورة مكية ، وما بعده يُصحّحه : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ
حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

وتخوّه قولُ ابنِ عطاء فى تفسير قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ قال :
أَمَّنْهَا اللهُ تعالى بَمُعامِهِ فيها وكونِهِ بها ، فإنَّ كَوْنَهُ^(٣) أَمَانٌ حيثُ كان .

ثم قال^(٤) : « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » : وَمَنْ قَالَ : أراد آدم فهو عامٌّ^(٥) ؛ وَمَنْ
قال : هو إبراهيم وما ولد - إن شاء الله - إشارةً إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فتتضمّنُ
السورةُ القَسَمَ به صلى الله عليه وسلم فى موضعين^(٦) .

وقال تعالى^(٧) : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ :

قال ابنُ عباس : هذه الحروفُ أقسامٌ^(٨) أقسم الله تعالى بها . وعنه وعن غيره
فيها غيرُ ذلك .

وقال سهيل بن عبد الله التستري^(٩) : الألف هو الله تعالى . واللام جبريل .
والميم محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التين ، آية ٣

(٢) فإن كونه ، أى وجوده . أمان : موجب للأمانة . حيث كان : حيث وجد بذاته الشريفة .

(٣) سورة البلد ، آية ٣

(٤) فالقسم على هذا بنوع الإنسان ، لأنه أشرف مخلوقاته .

(٥) أجدهما فى البلد الذى هو محله ، والثانى فى قوله : ومولود - على هذا التفسير .

(٦) سورة البقرة ، آية ١ ، ٢

(٧) الأقسام : جمع قسم ، بمعنى القسم به .

(٨) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وحكى هذا القول السمرقندي ، ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه : الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه .

وعلى الوجه الأول ^(١) يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ، ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ - أقسم بقوة قلب ^(٣) حبيبته [محمد] ^(٤) صلى الله عليه وسلم حيث حمل ^(٥) الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله ^(٦) .

وقيل : هو اسم للقرآن . وقيل : هو اسم لله تعالى ^(٧) . وقيل : جبل محيط بالأرض . وقيل غير هذا .

وقال جعفر بن محمد - في تفسير ^(٨) : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ : إنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال ^(٩) : النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم : انشرح من الأنوار .

(١) الوجه الأول الذى رواه عن ابن عباس ، وهو القسم بالحروف .

(٢) سورة ق ، آية ١

(٣) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما فى قوله : قات لها قفى قالت قاف .

(٤) ليس فى ب .

(٥) حمل : تحمل ، وأطاق خطاب الله ليلة الإسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته .

(٦) أى إن له صلى الله عليه وسلم حالا فى ثبات جنانه ورفعة شأنه ، لما أودع فى قلبه من

اليقين .

(٧) هو : أى ق .

(٨) على نحو ما مر من إطلاق حرف من الاسم على مسماه ، فهو على هذا بمعنى قيوم ، أو

قدير ، ونحوه .

(٩) سورة النجم ، آية ١

(١٠) وقال : أى جعفر ، فله فيه تفسيران ، أو عنه فيه روايتان .

وقال : انقطع^(١) عن غير الله .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ - الفجر : محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن منه تفجر الإيمان^(٣) .

الفصل الخامس

في قسمه تعالى [١٣] جدّه ، له ، ليحقق مكانته عنده^(٤)

قال جلّ اسمه : ﴿ والضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

اختلف في سبب نزول هذه السورة^(٥) ؛ فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لمؤذّر نزل به ، فتكلمت امرأة^(٦) في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم

(١) هذا تفسير آخر لقوله : هوى . وهذا المعنى الأخير أظهر ، لأنه من هوى النجم . إذا سقط من بين النجوم ، وهو إذا انقطع إلى ربه فارق الناس .

(٢) سورة الفجر ، آية ١

(٣) قال في نسيم الرياض : من فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان . ثم قال : والذي عليه المحققون من المفسرين أنه على حقيقته ، أو هو بتقدير مضاف : أى وصلاة الفجر . والليالي العشر : عشر ذى الحجة .

(٤) تعالى جدّه : عظّمته . له : متعلق بالقسم . والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) سبب النزول : أمر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ، ويجوز تمدده .

(٦) روى أن هذه المرأة هى أم جميل بنت حرب ، امرأة أبى لهب .

به المشركون عند فَتْرَةِ^(١) الوحي ، فنزلت السورة .
 قال القاضي الإمام أبو الفضل : تَضَمَّنَتْ هذه السورة من كرامةِ الله تعالى له ،
 وتنوُّبه^(٢) به وتعظيمه إياه ستَّة وجوه :
 الأول : القَسَمُ له عما أخبره به مِنْ حاله بقوله تعالى : « والضحى . والليل إذا سجى »^(٣) ،
 أى وربِّ الضحى ، وهذا مِنْ أعظم درجات المَبَرَّة^(٤) .
 الثانى - بَيَّانُ مكانته عنده وحُظُوته لَدَيْهِ بقوله تعالى^(٥) : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
 وَمَا قَلَى ﴾ ؛ أى ما تركك وما أَبْغَضَكَ . وقيل : ما أَهْلَكَ بعد أن اصْطَفَاكَ^(٦) .
 الثالث - قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ؛ قال ابن إسحاق :
 أى مالك فى مَرَجِيكَ عند الله أعظمُ ممَّا أعطاك من كرامة الدنيا .
 وقال سَهْلٌ : أى ما ما ذَخَرْتُ لَكَ مِنَ الشفاعة والمَقَامِ المحمود^(٨) خَيْرٌ لَكَ
 ممَّا أعطيتكَ فى الدنيا .

الرابع - قوله تعالى^(٩) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

-
- (١) أصل الفترة : مدة قابلية بين الشيئين ، والسكون . والمراد انقطاع الوحي عنه مدة .
 وكان الوحي قد تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوماً . وقيل : كانت المدة سنتين
 ونصفاً . والأول أصح . فقالت قريش ، إن محمداً ودعه ربه وقلاه .
 (٢) كرامة الله : إكرامه ، أى توقيره . وتنوُّبه به ، أى رفعة قدره ، وإشاعة فضله .
 (٣) الضحى : جمع ضحوة - كقريية : وهى أول النهار . سَجَى : دخل وأظلم . أو سَكَنَ .
 (٤) المبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان ، وكل أمر مرضى .
 (٥) سورة الضحى ، آية ٣
 (٦) اصطفاك : اختارك وقربك .
 (٧) سورة الضحى ، آية ٤
 (٨) المقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الأولون والآخرون .
 (٩) سورة الضحى ، آية ٥

وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الإنعام في الدارين . والزيادة^(١) .

قال ابن إسحاق : يُرْضِيهِ بِالْفَلَاحِ^(٢) في الدنيا ، والثواب في الآخرة :
وقيل : يُعْطِيهِ الْخَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ .

وروى عن بعض آل النبي^(٣) صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس آية في القرآن أَرْجَى مِنْهَا^(٤) ، ولا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النار .

الخامس - ماعددة تعالى عليه من نعمه ، وقرّره من آلائه^(٥) قَبْلَهُ في بقية السورة؛
من هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ، ولا مال له ؛
فأغناه بما آتاه ، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ، ويتجا فحْدَبَ عليه عُمُه
وآواه^(٦) إليه .

(١) شتات الإنعام : متفرقاته ، والزيادة : أى والزيادة على ذلك بما خصه به . أو الزيادة
على النعم المعروفة بلفظه ورضوانه .

(٢) فى أ : بالفالج - بضم الفاء ، وسكون اللام . وفى هامش ب : الفلج : النصر . والفالج :
الفوز والظفر بالأعداء ، فالمراد أنه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه .

(٣) هو على رضى الله عنه . أو الحسن بن محمد بن الحنفية ، أو غيرهما : قال في النسيم :
وطرقه متعددة فهي تعضده ، وهو في تفسير القرطبي : ٢٠ - ٩٦ ، وانظر أيضا صحيح
مسلم : ٢١٣٦ .

(٤) منها : أى من قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى . وارجع إلى القارى (١-٨٦) ،
ففيه حديث طويل عن أرجى آية في القرآن - إن أردت .
(٥) آلائه : نعمه .

(٦) فحْدَب . المراد العطف والشفقة . وعمه : هو عمه أبو طالب . وآواه : ضمه إليه
لترتيبه وحمايته . وفى هامش ب : فحْدَب عليه - بالجيم وضم الدال ؛ أى رقى عليه . ولم
أقف عليه .

وقيل : آواه إلى الله^(١) . وقيل : يتما : لا مثال لك ، فأواك إليه .
 وقيل : المعنى : ألم يجدك فهدى بك ضالاً ، وأغنى بك عائلاً ، وآوى بك
 يتما^(٢) - ذكره بهذه المنن^(٣) ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يمهله في حال صغره وعيئلته^(٤)
 ويثمه وقبل معرفته به ، ولا ودعه ولا قلاه^(٥) ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه !
 السادس : أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادة^(٦) ذكره
 بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ؛ فإن من شكر النعمة الحديث بها ؛
 وهذا خاص له ، عام لأمته .

وقال تعالى^(٧) : ﴿ والنجم إذا هوى . ماضٍ صاحبكم وما غوى . وما ينطق
 عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى .
 وهو بالأفقي الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده
 ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى .
 عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشئ السدرة ما يعشى . ما زاعغ
 البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

(١) أى قيل في تفسير هذه الآية : إن معناها آواه الله ، أى ضمه إلى نفسه ، ولم يحوجه
 لحماية أحد وإيوائه .

(٢) في نسيم الرياض : حكاه بـ « قيل » إشارة إلى ضعفه ، لأن هذا القول لا يساعده
 إعراب ، ولا يصحبه صواب ، فالأولى تركه .

(٣) المنن : جمع منة ، وهى الإحسان .

(٤) لم يمهله : لم يتركه . والعيلة : الاحتياج والفقر .

(٥) ماودعه ولا قلاه : ما تركه ولا أبفضه ، وقد تقدم .

(٦) بنشره : بإذاعته ، وإظهاره للناس . وأصل معنى الإشادة : رفع الصوت ، والمراد :
 إعلام الثقاتين .

(٧) سورة النجم ، آية ١ ، وما بعدها .

اختلف المفسرون في قوله تعالى : « والنجم » بأقوالٍ معروفة ، منها النجم على ظاهره ، ومنها القرآن^(١) .

وعن جعفر بن محمد أنه محمد عليه السلام ؛ وقال : هو قلبُ محمد^(٢) .
وقد قيل في قوله تعالى^(٣) : ﴿ والسماء والطَّارِق . وما أدراك ما الطَّارِقُ . النّجْم الثَّاقِبُ ﴾^(٤) - إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حكاه السُّلَمِيُّ .
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِدَّة ما يقف دونه العِدَّة^(٥) ، وأقسم جلَّ اسمُه على هداية المصطفى ، وتنزيهه عن الهوى^(٦) ، وصِدْقِهِ فيما تَلَا ، وأَنَّهُ وَخِي يُوحَى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ - عن الله - جبريل ، وهو الشديدُ القُوَى .
ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء^(٧) ، وانتهائه إلى سِدْرَةِ^(٨) الْمُنْتَهَى ،

(١) لأنه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح .

(٢) قال الخفاجي : إطلاق النجم على قاب النبي لإشراقه بالأنوار الإلهية ، وهو منبعها ومنبع الهداية ، وفيه خفاء . وقال القاري (١ - ٩٠) : ولعل المراد بهواه على هذا : ميله إلى ربه وغيبته عن غيره ، واستغراقه في حبه . وقد تقدم هذا القول لجعفر بن محمد .

(٣) سورة الطارق ، آية : ١ - ٣

(٤) الطارق : أصل معناه : الذي يأتي ليلا ، لأنه يطرق الباب المتناق ليلا . أو يطرق الأرض برجله ، ثم غلب على النجم لظهوره ليلا . والثاقب : المضيء ؛ وكأنه يشقب الظلام بضوئه فينفذ فيه .

(٥) العد - بكسر العين : الكثير . العد - بفتح العين : الإحصاء . وفي هامش ب : العد - بكسر العين : الذي يقف دونه الحصر ، والماء الكثير الذي له مادة لا تنقطع ، والله أعلم .
والعد - بفتح العين : العدد .

(٦) هذا ما دل عليه قوله تعالى : ماضل صاحبكم وما عوى . وما ينطق عن الهوى .

(٧) قال الشهاب (١ - ٢٧٢) الإسراء : إسراؤه من مكة لبيت المقدس . والمعراج : عروجه إلى الملائكة الأعلى ، وإن كان كل منها يطلق على الآخر . وابتداء القصة من قوله : « فاستوى . . . » إلى قوله : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . » في المعراج . وقال القاري : بقصة الإسراء ، أي بقصة المعراج المبتدأ بعد الإسراء إلى المسجد الأقصى ، كما أشار إليه بقوله : وانتهائه إلى سدرَةِ المنتهى .
(٨) سدرَة المنتهى : شجرة .

وتصديق بَصَرِهِ فيما رَأَى^(١) ، وأنه رأى من آيات رَبِّهِ الْكُبْرَى . [١٤] . وقد نَبَّه على مثل هذا في أول سورة الإسراء .

ولما كان ما كاشفَهُ به عليه السلام من ذلك الْجَبْرُوتِ^(٢) ، وشاهدَهُ من عجائب اللَّدْكُوتِ لا تُحِيطُ به العبارات ، ولا تستَقِلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَذْنَاهُ^(٣) الْعُقُولُ - رَمَزَ عنه تعالى بالإِيمَاءِ والكناية الدالة على التعظيم^(٤) ؛ فقال تعالى^(٥) : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ .

وهذا النوعُ من الكلام يُسَمِّيهِ أَهْلُ النَّدْوِ والبلاغة بالوَحْيِ والإشارة ، وهو عندهم أَبْنَعُ أَبْوَابِ الإِيجَازِ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ - انحصرت الألفهامُ عن تفصيل ما أَوْحَى ، وتاهت^(٦) الأحلامُ في تعيين تلك الآياتِ الْكُبْرَى .

قال القاضي أبو الفضل^(٧) : اشتملت هذه الآياتُ على إِعْلَامِ اللَّهِ تعالى بِتَرْكِيبَةِ^(٨) جُمْلَتِهِ عليه السلام ، وَعِصْمَتِهَا من الآفَاتِ في هذا الْمَسْرَى^(٩) ، فَزَكَّى فُؤَادَهُ وَلِسَانَهُ

(١) أى تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى : « ما زاغ البصر . . . » ؛ أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع .

(٢) كاشفه : عاينه . أى عاين الجبروت واطلع عليه . والجبروت : بمعنى العظمة والجلالة .

(٣) لا تستقل : لاتنفرد ولا تقوى . وأدنى : أقل .

(٤) رمز : أشار . والكناية : ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز إرادته . والكناية :

ما يقابل الصريح ، وهو المراد هنا . (٥) سورة النجم ، آية ١٠

(٦) انحصرت : أعيت وكلت . وتاهت : ضلت وتحيرت . والأحلام : العقول .

(٧) هو المصنف .

(٨) التزكية : تطهيره عن النقائص البشرية . والمراد بتزكية جملته : تطهير ذاته ، وتنمية

صفاته .

(٩) وعصمتها : حفظها . والآفات : جمع آفة ، ما يعرض من المفسد . والمسرى : مكان

السرى .

وَجَوَارِحَهُ : [فزگى] ^(١) قلبه بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ولسانه بقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ . وبصره بقوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى ^(٣) : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ^(٤) . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ^(٥) : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ^(٦) . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ .

« لا أقسم » : أى أقسم . « إنه لقول ^(٧) رسول كريم » : أى كريم عند مرسله . « ذى قوّة » على تبليغ ما حمله من الوحى ، « مكين » : أى متمكن المنزلة من ربه ، « رَفِيعَ الْمَحَلِّ عِزِّهِ » : « مُطَاعٌ ثَمَّ » : أى فى السماء . « أمين » على الوحى . قال على بن عيسى ^(٨) وغيره : الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فجميع الأوصاف بعد على هذا له .

(١) من ب .

(٢) أى ما مال بصره يمينا ولا شمالا ، ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه . وفى هذا بيان لثبات جنانه ، أو كمال أدبه ، وهو فى رؤيته لربه فى معراجيه .

(٣) سورة التكويم : الآيات من ١٥ - ٢٥

(٤) الخنس الجوار الكنس : الكسواكب التى تخنس بالنهار : أى ترجع . (مفردات القرآن) . والكنس : التى تغيب فى منارها .

(٥) عشمس : أقبل وأدبر ، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه . فالمسمة : رقة الظلام ، وذلك فى طرفى النهار ، وسيأتى ذلك .

(٦) ذى قوّة : هو جبريل - وقيل : هو النبي .

(٧) إنه ، أى القرآن .

(٨) هو على بن عيسى الرمانى النحوى ، وهو من أصحاب ابن دريد ، وصاحب كتاب النكت فى إعجاز القرآن ، إمام مشهور فى سائر العلوم ، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (القارى : ١ - ٩٤) .

وقال غيره^(١) : هو جبريل ، فترجع الأوصافُ إليه .
ولقد رآه - يعنى محمداً . قيل : رأى ربّه . وقيل : رأى جبريل في صورته .
« وما هو على الغيب بظنين » ، أى : بمتهم . ومن قرأها بالضاد فعنائه : ما هو
ببخیل بالدعاء به ، والتذكير بحكمه^(٢) وبعلمه ، وهذه لحمد عليه السلام باتفاق .
وقال تعالى^(٣) : ﴿ نَ . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ .
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ . فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَبْصَرِ
الْمُفْتُونِ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِيعِ
الْمَكْذِبِينَ . وَذُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيُذْهِقُونَ . وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ
بِنَمِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ۖ » .
أقسم الله تعالى بما أقسم به مِنْ عَظِيمٍ قَسَمِهِ عَلَى تَنْزِيهِهِ الْمُصْطَفَى بِمَا غَمَصَتْهُ^(٤) ،
الْكُفْرَةُ بِهِ ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، وَأَنَّهُ^(٥) ، وَبَسَطَ أَمَلَهُ^(٦) بقوله - محسناً خطابه :
« مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » .

وهذه نهايةُ المَبَرَّةِ في المخاطبة ، وأعلى درجاتِ الآدابِ في المُعَاوَرَةِ ؛ ثُمَّ أَعْلَمَهُ
بِمَالِهِ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ ، وَنَوَابٍ غَيْرِ مَنْقُوعٍ ، لَا يَأْخُذُهُ عَدٌّ^(٧) ، وَلَا يُعْتَنُّ بِهِ عَلَيْهِ ؛
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۖ ﴾^(٨) .

-
- (١) وهم الأكثرون من العلماء ، وهو قول جمهور المفسرين .
(٢) الدعاء : بمعنى الدعوة . والتذكير : التنبيه أو الوعظ .
(٣) سورة القلم ، الآيات من : ١ - ١٦ (٤) غمصته : عابته وحقرته .
(٥) هذا الضبط في أ ، ب . والمراد أنه جعله ذا أنس بقربه ، ومستأنساً بحبه .
(٦) وبسط أمله : الأمل : الرجاء ؛ وبسطه : توسيعه .
(٧) لا يأخذه عد : أى لا يحصى ولا يعد .
(٨) غير ممنون : غير منقطع ، أو غير ممنون عليك به من غيرك ، لأنه موهبة إلهية .

ثم أننى عايه بما منحه من هباته ، وهداهُ إليه ، وأكّد ذلك تنميماً للتمجيد^(١) ،
بحرفى التأكيد^(٢) ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ أَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . قيل : القرآن . وقيل :
الإسلام . وقيل : الطَّبْعُ الكريم . وقيل : ليس لك همة^(٣) إلا الله .
قال الواسطى : أننى عليه بحسن قبوله لما أسداه^(٤) إليه من نعمه ، وفضله
بذلك على غيره ؛ لأنه جبّله^(٥) على ذلك الخلق ؛ فسبحان اللطيف الكريم ، المحسن
الجواد ، الحميد الذى يَسِّرُ للخير^(٦) وهدى إليه ، ثم أننى على فاعله ؛ وجازاه عليه
سُبْحانه ، ما أَعْمَرَ نَوَالَه^(٧) ، وأوسع إفضاله^(٨) ؛ ثم سلّاه عن قولهم بعد هذا بما وعده
به من عِقَابِهِمْ^(٩) ، وتوعّدهم بقوله : ﴿ فَسْتَبْصِرْ وَيُبْصِرُونَ بِأَيْسَرِ الْمَقْتُونِ . إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

ثم عطف^(١٠) بعد مدحه على ذمّ عدوّه^(١١) ، وذكرِ سوء خلقه ، وعدّه معايبه ،
متولّياً ذلك بفضله ، ومُنْتَصِراً للنبيه ؛ فذكر بضْعَ عشرة خصلةً من خصال الذمّ فيه

(١) التمجيد : التعظيم . (٢) حرفاً التأكيد هما : إن ، واللام .

(٣) ليس لك همة : الهمة : العزم والمقصد . وفى أ : همه - بالهاء .

(٤) أسداه : أسدى : أعطى .

(٥) جبّله : خلقه مطبوعاً .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » . وتيسير الخير : تسهيله

بتهيئة أسبابه ، كما قال تعالى : ﴿ فَسَنيسره لِّلْيَسْرِ ﴾ .

(٧) ما أَعْمَرَ نَوَاله : ما أ أكثر عطاءه .

(٨) وأوسع إفضاله : الإفضال : الإنعام .

(٩) فى ب : عقابهم . وفى هامشه : خ : فى عقابهم ، يشير إلى ما فى نسخة أخرى .

وعقابهم : سوء عاقبتهم .

(١٠) عطف : التفت وعاد .

(١١) قيل : هو الأخنس بن شريق . وقيل : الوليد بن المغيرة ، أو أبو جهل : أو المراد

به جنس العدو .

بقوله^(١) : ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكَذَّابِينَ . وَذُؤا لَوْ تَذَهَنُ فَيَذْهَنُونَ^(٢) . وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ^(٣) . هَٰمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ^(٤) . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُنِيمٍ^(٥) . عَتَلٌ^(٦) بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قُلْ أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ^(٧) . ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الصَّادِقِ بِتَمَامِ شِقَاقِهِ وَخَاتَمَهُ بِوَارِهِ^(٨) بقوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرَطُومِ^(٩)﴾ ؛ فَكَانَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ [١٥] لَهُ أَتَمَّ مِنْ نَصْرَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَرَدَّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوهِ أَبْلَغَ مِنْ رَدِّهِ ، وَأَثَبَتْ فِي دِيْوَانِ مَجْدِهِ^(١٠) .

(١) سورة القلم ، آية ٨ - ١٥

(٢) وذووا لو تذهن فيدهنون : أى لو تلين فتدع نهبهم عن الشرك فيميلون إليك في بعض ما تدعوهم إليه .

(٣) حلاف : كثير الحلاف حقا وباطلا . مهين : ذو مهانة وحقارة .

(٤) هماز : عياب في أعراض الناس . مشاء بنميم : يقال للحديث على وجه السعاية للفساد .

(٥) مناع للخير : كثير النعم منه . أنيم : كثير الإثم .

(٦) عتل : جاف غليظ . زنيم : دعى ، كالوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة

سنة من مولده .

(٧) أساطير : جمع أسطورة ، أو إسطار ، والمراد : الأباطيل النسوبة إلى المتقدمين .

(٨) البوار : الهلاك والدمار .

(٩) سنسمه على الخراطوم : الوسم : العلامة والسكرى . والخراطوم : الأنف هنا . والمراد :

التشهير بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة ، أو فيهما .

(١٠) وأثبت في ديوان مجده : أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن

يشبته هو لنفسه .

الفصل السادس

فما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام^(١)

قال تعالى^(٢) : ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

قيل : طه : اسم من أسمائه^(٣) عليه السلام . وقيل : هو اسم الله ، وقيل : معناه يارجل . وقيل : يا إنسان . وقيل : هي حروف متطمة لِمَعَان .

وقال الواسطي^(٤) : أراد يا طاهر ، يا هادي^(٥) . وقيل : هو أمر من الوطء . والماء كناية عن الأرض ؛ أي اعتمد على الأرض بقدميك ، ولا تُعَبِّبْ نَفْسَكَ بالاعتماد على قدم واحدة ، وهو قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلمه من السهر والتعب وقيام الليل .

أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن^(٦) ، وعَبْدُ وَاحِد ، عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ، ومن أصله نقلت ؛ قال : حدثنا أبو ذرّ الحافظ ، حدثنا أبو محمد الحموي^(٧) ، حدثنا إبراهيم بن خزيمة^(٨) الشاشي ، حدثنا عَبْدُ بْنُ حُمَيْد ، حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ؛ قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى ؛ فأنزل الله تعالى : طه .

(١) يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به ، والرحمة له .

(٢) سورة طه : ١ ، ٢ .

(٣) من أسمائه : أي من أسماء النبي .

(٤) فالطاء في « طه » من طاهر ، والماء فيها من هادي وفي أ : يهاد . والمثبت في ب .

(٥) أحد العلماء الصالحين ، من رجال الأندلس . مات سنة ثلاث وخمسة ياشييلية .

(٦) هذا الضبط في الخفاجي والقاري مؤكداً بالعبرة .

(٧) عليها علامة الصحة بهامش أ ، وفي هامش ب : بالزاي .

يعنى طَا الْأَرْضَ يَا مُحَمَّد ، « مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى .
تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى » .
ولا خفاء بما فى هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة .
وإن جعلنا « طه » من أسمائه عليه السلام كما قيل ، أو جعلت قسما لحق الفصل
بما قبله^(١) .

ومثل هذا من نَمَطٍ^(٢) الشفقة والمبرة قوله تعالى^(٣) : ﴿ فَلَمَّا لَكَ بِأَخِيْعٌ نَفْسُكَ ﴾
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ؛ أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا ،
أو جزعا .

ومثله قوله تعالى أيضا^(٤) : ﴿ لَمَّا لَكَ بِأَخِيْعٌ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛
ثم قال^(٥) : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٦) .
ومِنَ هذا الباب قوله تعالى^(٧) : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ بِضَيْقٍ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ .

وقوله^(٨) : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ^(٩) بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

(١) أى التحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله ، لإتيانه بما أقسم به تعالى ،
تحقيقا لمكانته عنده ، وبما أفاده من نهاية المبرة فى مخاطبته ، وأعلى درجات الأدب فى محاورته .

(٢) النمط : الطريق ، وهو هنا النوع . (٣) سورة الكهف ، آية ٦

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ (٥) سورة الشعراء ، آية ٤

(٦) الخضوع : التذلل والانقياد . (٧) سورة الحجر ، الآيات : من ٩٤ - ٩٧

(٨) سورة الأنعام آية ١٠ ، وسورة الأنبياء ، آية ٤١ . قال فى نسيم الرياض : وبمحتمل

أن تكون آية الوعد (٣٢) وتماها : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ،
أى أهملتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ، ثم أخذتهم فكيف كان عقابي بإيهم ؟

(٩) حاق : أحاط بهم حيث أهلكوا .

قال مكي : سَلَاةٌ بِمَا ذَكَرَ ، وَهُوَ نَ عَلَيْهِ مَا يَلْقَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَعْلَمُهُ أَنَّ
مَنْ تَمَادَى ^(١) عَلَى ذَلِكَ يُحِلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ .
ومثْلُ هَذِهِ التَّسْلِيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ ﴾ .

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ .

عَزَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ ^(٤) وَمَقَالِهَا لِأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ ،
وَمِخْنَتِهِمْ بِهِمْ ؛ وَسَلَاةٌ بِذَلِكَ مِنْ مِخْنَتِهِ ^(٥) بِمِثْلِهِ مِنْ كِفَارِ مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ
مَنْ لَقِيَ ذَلِكَ ، ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ ، وَأَبَانَ عُدْرَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٦) : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ » ؛ أَيْ
أَعْرِضَ عَنْهُمْ ؛ « فَمَا أَنْتَ بِمَكُومٍ » ؛ أَيْ فِي أَدَاءٍ مَا بَلَغْتَ وَإِبْلَاغٍ مَا حُمِلَتْ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ؛ أَيْ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهِمْ
فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ ^(٨) .

سَلَاةٌ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى .

(١) تَمَادَى : تَطَاوَلَ ، وَأَصْرَ ، وَاسْتَمَرَ .

(٢) سُورَةُ فَاطِرٍ ، آيَةُ ٤

(٣) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ ، آيَةُ ٥٢

(٤) السَّالِفَةُ : التَّاقِدَةُ .

(٥) الْمِخْنَةُ : الْإِخْتِبَارُ وَالْإِبْتَلَاءُ .

(٦) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ ، آيَةُ ٥٤

(٧) سُورَةُ الطُّورِ ، آيَةُ ٤٨

(٨) أَيْ دَمَ عَلَى الصَّبْرِ فِي تَنْفِيزِ مَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَلَا تَحْزَنْ ، وَلَا تَخَفْ مِنَ الْأَعْدَاءِ ؛

فَإِنَّكَ مَحْفُوظٌ مَحْرُوسٌ ، لَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ .

الْفَصِيلُ السَّائِعُ

فَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ
وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَحُظْوَةِ رُتَبَتِهِ

قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ^(٣) لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ،
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ^(٤) ؟ قَالُوا : أَقْرَرْنَا . قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ^(٥) .
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ : اسْتَخْصَصَ ^(٥) اللَّهُ تَعَالَى [١٦] مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرُهُ ، أَبَانَهُ بِهِ ^(٦) ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ قَالَ الْمَفْسُورُونَ :
أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ ^(٧) ، فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَنَعَّمَهُ ^(٨) ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ
مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لِيَوْمٍ مَنَّ بِهِ .

وَقِيلَ : أَنْ يُبَيِّنَهُ لِقَوْمِهِ ، وَيَأْخُذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .
وَقَوْلُهُ : « ثُمَّ جَاءَكُمْ » : الْخُطَابُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْمَعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فِي ب : فَمَا أَخْبَرَ بِهِ تَعَالَى . . .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ٨١

(٣) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ : يَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ : أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ ، أَوْ أَخَذَ
اللَّهُ عَلَى الْأُمَمِ الْمِيثَاقَ الَّذِي شَرَعَ النَّبِيُّونَ تَعْظِيمَهُ ، فَأَضِيفَ إِلَيْهِمْ . أَوْ هُوَ بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ ؛ أَيْ
مِيثَاقَ أُمَمِ النَّبِيِّينَ .

(٤) إِصْرِي : عَهْدِي وَمِيثَاقِي . (٥) اسْتَخْصَصَ : خَصَّ ، وَاسْتَخْصَصَ .

(٦) أَبَانَهُ بِهِ : أَيْ أَظْهَرَ ذَلِكَ الْفَضْلَ لَهُ . أَوْ فَضْلَهُ وَمِيزَهُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ .

(٧) بِالْوَحْيِ : أَيْ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ .

(٨) وَنَعَّمَهُ : النَّمَتَ : الصَّفَةَ . وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم يبعث الله نبينا من آدمَ فعن بعده إلا أخذَ عليه العهدَ في محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بُعثَ وهو حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به ولينصُرَنَّهُ ، ويأخذَ العهدَ بذلك على قومه .

ونحوه عن السُّدِّي وقتادة في آي^(١) تضمنت فضله من غير وجه واحد .

قال الله تعالى^(٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ^(٣) وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى^(٥) : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ ^(٦) بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِ زَكِّيَّ ^(٧) بِهِ

(١) في آي : جمع آية . أي هذا المذكور مروي في جملة آيات . وهذه الرواية عنهما

أثبتها ابن جرير . (٢) سورة الأحزاب ، آية ٧

(٣) قيل : أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة ، وتصديق بعضهم بعضا ، وقيل : بأن يعلنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعلن محمد بأنه لاني بعده ، فبها تفضيل له صلى الله عليه وسلم .

(٤) ميثاقا غليظا : عظيما شأنه . (٥) سورة النساء آية : ١٦٣ - ١٦٦

(٦) قال الصيوطي : لم أجده في شيء من كتب الأثر . وقال في نسيم الرياض : لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ، ذكره في ضمن حديث طويل ، وكفى بذلك سندا لمثله ، فإنه ليس مما يتعلق بالأحكام . وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قاله عمر بعد تحققه - من أبي بكر رضي الله عنه - موت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٧) في ب : بكى . أي رثاه بعد موته .

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال^(١) «بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء ، وذَكَرَكَ في أولهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

بأبي أنت^(٢) وأُمِّي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودُّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين^(٣) «أطباقها يعذبون يقولون^(٤) : ﴿ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ .

قال قتادة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أوَّل الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث ، فلذلك وقع ذِكْرُهُ مقدما هنا قبل نوح وغيره .
قال السمرقندي : في هذا تفضيلُ نبينا صلى الله عليه وسلم ، لتخصيصه بالذِّكْر قبلهم ، وهو آخرهم .

المعنى : أخذ الله تعالى عليهم الميثاق ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ^(٥) .

(١) أول هذا الكلام : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ! لقد كان لك جذع تحبب الناس عليه ، فلما كثرت الناس اتخذت منبرا لتسميهم ، فحسب الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن . فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم . بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله . . .

(٢) بأبي أنت وأُمِّي : هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه وإظهار محبته ، أى لو نزل بك أمر يقبل فيه الفداء بأحد من البشر بذلت في فدائك أبوى فضلا عن المال وغيره .
(٣) أطباقها : طبقات النار .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٥) الذر : جمع ذرة ، وهى الخلة الصغيرة البيضاء أو الحمراء ، أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزءا من شعيرة ، وقيل : جزء من ألف وسبعة وعشرين جزءا منها . وقيل : أصغر شيء لا يعلمه إلا الله .

وقال تعالى ^(١) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ﴾ . قال أهلُ التفسير : أراد بقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ - محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بُعِثَ إلى الأحمر ^(٢) والأسود ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْفَنَائِمُ ^(٣) ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعْطِيَ فَضِيلَةً أَوْ كَرَامَةً إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهَا ^(٤) .

قال بعضهم : ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم ، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ . وحكى السمرقندي عن الكلبي - في قوله تعالى ^(٥) : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لَأَبِرَاهِيمَ ﴾ - أن الهاء عائدة على محمد ؛ أي إن من شيعة ^(٦) محمد لإبراهيم ؛ أي على دينه ومنهاجه ^(٧) . وأجازه الفراء ، وحكاها عنه مكي ^(٨) . وقيل : المراد نوح عليه السلام ^(٩) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٢) الأحمر والأسود : أي جميع الناس . أو العرب والعجم . أو العرب وغيرهم .
(٣) الفنائم : جمع غنيمة ، وهي ما يؤخذ من مال الكفار قهراً ، ولم تكن الغنيمة تحل للأنام السالفة كما تحل لهذه الأمة .
(٤) مثلها ، أي ما هو من جنسها ونوعها ، وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وإن كان أعظم منها في الحقيقة .

(٥) سورة الصافات ، آية ٨٣ (٦) الشيعة : الأتباع ، والمعروف في كلام العرب إطلاقه على المتأخر زماناً ، وقد يطلق على المتقدم ، كقول السكيت :

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب

(٧) منهاجه : طريقه الواضح . (٨) أشار بهذا إلى أنه قول صحيح منقول عن المفسرين ؛ لأن منهم من ضعفه وادعى أنه بعيد .

(٩) قال في نسيم الرياض : هو القول الصحيح . والمراد بكونه من شيعة أنه من نسله وعلى منهاجه في الدين والتوحيد .

الفصل الثامن

في إعلَامِ اللَّهِ تَعَالَى خَلَقَهُ بِصَلَوَاتِهِ^(١) عَلَيْهِ وَوَلَايَتِهِ لَهُ وَرَفَعِهِ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ؛ أَيِ مَا كُنْتَ بِمَكَّةَ ،
 فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ^(٣) :
 ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .
 وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ^(٤) : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا^(٥) لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى^(٦) : ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمَوْهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ
 فَتَضَيَّبَكُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ : فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ
 نَزَلَتْ^(٧) : ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ .
 وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ مَا يُظْهِرُ مَكَانَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَرَأَ^(٨) بِهِ الْعَذَابَ عَنْ
 أَهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ^(٩) ، نِمَّ كَوْنِ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ [١٧] بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ^(١٠) ، فَلَمَّا خَلَّتْ
 مَكَّةُ مِنْهُمْ عَذَّبَهُمُ [اللَّهُ]^(١١) بِتَسْلِيْطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ ، وَغَلَبَتِهِمْ بِإِيَّاهُمْ ، وَحَكَمَ فِيهِمْ
 سَيُوقَهُمْ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

(١) في ب : بصلاته .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٣) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٤) تزيلا : تفرقوا . (المفردات) .

(٥) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٦) سورة الأنفال ، آية ٣٤

(٧) درأ به : دفع به . وفي ب : درأته — بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء ؛

وفسره القاري (١ - ١١٣) فقال : أي ومن أبين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .

(٨) بسبب كونه : بسبب وجوده .

(٩) بين أظهرهم ، أي يقيمون معهم .

(١٠) ليس في ب .

وفي الآية أيضا ^(١) تأويل آخر :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ، قال : حدثنا أبو الفضل ابن خيرون ، وأبو الحسين الصيرفي ، قالا : حدثنا أبو يعلى ابن زَوْج الحرّة ، حدثنا أبو علي السنّجى ، حدثنا محمد بن محبوب المروزي ، حدثنا أبو عيسى ^(٢) الحافظ ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ^(٣) ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بريدة بن أبي موسى ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله على أمانين لأمتي ^(٤) : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ^(٥) فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ^(٦) . ونحو منه قوله تعالى ^(٧) : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وقال عليه السلام ^(٨) : أنا أمان لأصحابي . قيل : من البدع . وقيل : من الاختلاف والفتن .

(١) الآية هي : وما كان الله ليعذبهم . . . وقد سبقت .

(٢) هو الإمام الترمذى ، صاحب السنن .

(٣) ضبطت « نمير » - ضبط قلم - بفتح النون وكسر الميم فى ا ، والضبط للثبوت فى الحفاجى والقارى .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٥) أى أوحى الله بقرآن يدل على شيئين فيهما ما يدل على أن الله آمن أمتى من العذاب بهما . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٢٧٠ ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف فى الحديث .

(٦) فإذا مضيت : ارتحلت إلى الآخرة ؛ أى إذا مت بقى فيكم الأمان الآخر ، وهو الاستغفار . والاستغفار : هو الدعاء بالمغفرة . وقيل المراد به الصلاة . وقيل للإسلام .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٨) قال القارى (١ - ١١٥) : أنا أمان لأصحابي ، وفى لفظ : أنا أمانة لأصحابي ، وهو حديث صحيح رواه مسلم (مسلم : ١٩٦١) .

قال بعضهم : الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ماعاش ، ومادامت سنته ^(١) باقية فهو باق ، فإذا أميت سنته فانتظر البلاء والفتن ^(٢) .
وقال الله تعالى ^(٣) : ﴿ إِنْ أَفْلَحَ وَمَلَأْتُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ يَوْمَ تَفُوتُونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ، ثم بصلاته ملائكته ، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه .

[وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام : وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَى هَذَا ؛ أى فى صلاة الله تعالى على ملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة] ^(٤) . والصلاة من الملائكة [استغفار] ^(٥) ، ومنا له دعاء ، ومن الله عز وجل رحمة .

وقيل : يصلون : يباركون ^(٦) .

وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم - حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة .

وسندكر حكم الصلاة عليه .

وذكر بعض المتكلمين ^(٧) فى تفسير حروف « كهيمص » - أن الكاف من

(١) سنته : طريقته التى شرعها .

(٢) أميت : تركت ولم يعمل بها ، ولم يحرص الناس على تعلمها . والبلاء : المصائب ، كالطاعون ، والظلم . والفتن : محاربة الناس بعضهم بعضا .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ (٤) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ١ : من الأمم بخطه رضى الله عنه ، وليس من الرواية . (٥) ليس فى ب .

(٦) يباركون : يعطيه الله البركة ، والملائكة يطلبونها له . والبركة : النمو والخير الكثير .

(٧) بعض المتكلمين : يريد المفسرين .

« كَافٍ » ^(١) ، أى كفاية الله تعالى لنبيه ، قال تعالى ^(٢) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . والماء هدايته له ، قال ^(٣) : ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ . والياء تأييده ، قال ^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ . والعين عِصْمَتُهُ له ، قال ^(٥) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . والصاد : صلواته عليه ؛ قال ^(٦) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ . وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا ^(٨) عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ^(٩) وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ^(١٠) ﴾ ؛ مولاه أى وليه . وصالحُ المؤمنين : قيل : الأنبياء ^(١١) . وقيل ^(١٢) : الملائكة . وقيل ^(١٣) : أبو بكر ، وعمر . وقيل ^(١٤) : على . وقيل : المؤمنون على ظاهره ^(١٥) .

-
- (١) أى الكاف حرف من « كاف » الذى هو اسم لله تعالى : الكافي .
 (٢) سورة الزمر ، آية ٣٦ (٣) سورة الفتح ، آية ٢
 (٤) سورة الأنفال ، آية ٦٢ (٥) سورة المائدة ، آية ٦٧
 (٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ ، وفى هذه الحروف أقوال أخر ؛ أحدها أنه من التشابه الذى لا يعلمه إلا الله . وقيل : إنها أسماء للسور . . . (٧) سورة التحريم ، آية ٤
 (٨) تظاهرا عليه : تعاونا وتناصرنا . (٩) الولي ، والمولى : المعين والناصر .
 (١٠) ظهير : نصير ومعين . قال فى نسيم الرياض : وأفرد كلمة « ظهير » - لأنه جعل من ذكروا لاتفاقهم على ذلك - كالواحد ؛ أو لأن فعلا قد يقع للواحد وغيره .
 (١١) هذا التفسير مروي عن قتادة .
 (١٢) رواه القرطبي عن أبي زيد .
 (١٣) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم .
 (١٤) واختاره الإمام الرازي .
 قال فى نسيم الرياض : والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له ، الذى هو من مقاصد هذا الفصل .

الفصل التاسع

فما تضمنته سورة « الفتح » من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ^(١) : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ^(٢) . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا . وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوَاءً عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ

تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكرمه منزلته عند الله تعالى، ونعمته لديه - ما يقصر الوصف عن الانتهاء ^(٣) إليه ؛ فابتدأ جلّ جلاله - بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين ^(٤) بظهوره ، وغلبته على عدوه، وعُلُوّ كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له، غيرُ مُؤاخَذٍ بما كان وما يكون ^(٥) .

(١) سورة الفتح، الآيات : ١ - ١٠

(٢) من فسر بفتح مكة اقتصر على المقصود ، والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية . ومن فسر بالحديبية سماه فتحا لأنه وسيلة لما بعده من الفتح فاندرج غيره فيه بطريق الإشارة . (٣) الانتهاء إليه : أى بلوغه والوصول إلى نهايته .

(٤) القضاء البين : أى المقضى الظاهر الذى لا يشك به .

(٥) أى إعلامه بأنه مغفور له بقوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

قال بعضهم : أراد غُفْرَان ما وقع وما لم يَقَعْ^(١) ، أى إنك مغفور لك .
وقال مَكِّي : جعل الله المِنَّة سبباً للمغفرة ، وكل^(٢) مِنْ عنده ، لا إله غيره ،
[١٨] مِنَّة بعد مِنَّة ، وفضلاً بعد فَضْل .

ثم قال : « وَبُيِّمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ » : قيل : بخضوع مَنْ تَكَبَّرَ عَلَيْكَ^(٣) .
وقيل : بفتح مكة والطائف . وقيل : يَرْفَعُ ذِكْرَكَ في الدنيا وينصرك ويفغرك ؛
فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح^(٤) أُمِّ البلاد عليه وأحبها
له^(٥) ، ورفع ذكره ، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ، ونصره النصر
العزیز^(٦) ، ومِنِّتِهِ على أُمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتهم
بما لهم بعد^(٧) ، وفوزهم العظيم^(٨) ، والعفو عنهم ، والستر^(٩) لذنوبهم ، وهلاك عدوه^(١٠)
في الدنيا والآخرة ، ولعنهم وبعدهم من رحمته ، وسوء مُنْقَلَبِهِمْ^(١١) .

(١) أى عما يصح أن يعاتب عليه ، كما في قوله تعالى : « لَمَّا خَفَّعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » .
و « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » .
(٢) وكل : أى المنة والمغفرة حاصل من عنده تعالى . والمراد بالمنة الامتنان أو النعمة
التي هي الفتح ، أو قضاؤه ، ولما كان الفتح ناشئاً عن جهده وسميه مع ما يترتب عليه من
الأمور العظيمة صار سبباً للمغفرة .

(٣) الخضوع : الانقياد . وفي : لك ، وعليها علامة الصحة .
(٤) في ب : بفتح . (٥) وهى مكة .
(٦) النصر العزیز : العز لصاحبه ، أو العزیز : قليل النظير .
(٧) بعد : أى بعد ذلك ، أو بعد الحياة الدنيا من النعيم الخالد في الجنة .
(٨) الفوز : النجاة والظفر بالخير . وذلك في قوله تعالى : « وكان ذلك عند الله فوزاً
عظيماً » .
(٩) في قوله تعالى : « ويكفر عنهم سيئاتهم » .
(١٠) بقوله تعالى : « ويمدب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنن
السوء عليهم دائرة السوء » .
(١١) بقوله تعالى : « وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً » .

ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .
فَعَدَّةٌ مُحَاسِنَةٌ وَخَصَائِصُهُ ^(١) ؛ من شهادته على أُمته لنفسه ، بتبليغه الرسالة لهم .
وقيل : شَاهِدًا لَهُم بِالْتَّوْحِيدِ ، وَمُبَشِّرًا لِأُمْتِهِ بِالثَّوَابِ . وَقِيلَ : بِالْمَغْفِرَةِ .
وَمُنْذِرًا عَدُوَّهُ بِالْعَذَابِ .

وقيل : مُحَذِّرًا مِنَ الضَّلَالَاتِ لِيُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، ثُمَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .

وَيُعَزِّرُوهُ ؛ أَيْ يُجِلُّوهُ . وَقِيلَ : يَنْصُرُونَهُ . وَقِيلَ : يَبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِهِ .
وَيُوقِّرُوهُ ؛ أَيْ يَعَظُمُونَهُ .

وَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ : تُعَزِّرُوهُ - بِزَادِينَ : مِنَ الْعِزِّ ، وَالْأَكْثَرُ وَالْأَظْهَرُ ^(٢) أَنْ هَذَا فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ قَالَ : « وَتُسَبِّحُوهُ » ؛ فَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : جُمِعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ مِنْ
الْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ ^(٣) الْإِجَابَةِ . وَالْمَغْفِرَةُ ^(٤) ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْحُبِّ ،
وَتَمَامُ النِّعْمَةِ ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ ^(٥) الْإِخْتِصَاصِ . وَالْهُدَايَةُ ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْوِلَايَةِ ^(٦) ،
فَالْمَغْفِرَةُ تَبْرِئَةُ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَتَمَامُ النِّعْمَةِ لِإِبْلَاقِ الدَّرَجَةِ الْكَامِلَةِ ، وَالْهُدَايَةُ وَهِيَ
الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَشَاهِدَةِ .

(١) خَصَائِصُهُ : فَضَائِلُهُ .

(٢) بِمَعْنَى أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الضَّمَائِرِ : هَلْ كَلَّمَهَا اللَّهُ ، أَوْ لِلرَّسُولِ ، أَوْ بَعْضُهَا لِلَّهِ وَبَعْضُهَا لِلرَّسُولِ . وَاخْتَارَ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي « يُعَزِّرُوهُ » ، وَ « يُوقِّرُوهُ » - لِلرَّسُولِ .

(٣) أَعْلَامٌ : جَمْعُ عِلْمٍ ؛ وَهُوَ الْأَمَارَةُ وَالِدَلِيلُ . الْإِجَابَةُ : أَيْ إِجَابَةُ دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) ضَبَطَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَمَا بَعْدَهَا بِمَا عَطَفَ عَلَيْهَا فِي أ ، ب .

(٥) أَيْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّ أَنْبِيَائِهِ لِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ بِمَا لَمْ يَنْلَهُ غَيْرُهُ .

(٦) أَيْ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى تَوَلَّى أُمُورَهُ ؛ إِذْ هَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى قَرْبِهِ .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبته ^(١) ، وأقسم بحياته ^(٢) ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج ^(٣) به إلى المحل الأعلى ، وحفظه في المعراج حتى مازاغ البصر وما طغى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود ^(٤) ، وأحل له ولأمتة الفنائم ، وجعله شفيعاً مشفعاً ، وسيّد والد آدم ، وقرن ذكره بذكره ^(٥) ، ورضاه برضاه ^(٦) ، وجعله أحد ركني التوحيد .

ثم قال ^(٧) : « إِنِّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ » - يعني بيعة الرضوان ^(٨) ؛ أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك .

« يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » : يريد عند البيعة . قيل : قوة الله ^(٩) ، وقيل : ثوابه ^(١٠) . وقيل ^(١١) : منته . وقيل ^(١٢) : عقده ، وهذه استعارة ، وتجنيس ^(١٣) في الكلام ، وتأكيده لعقد بيعتهم إياه . وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم .

(١) أي اصطفاه . وخصه وأكرمه إكرام الحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أنا حبيب الله ولا خسر . (سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٨) .

(٢) وأقسم بحياته في قوله تعالى : « للمعرك » - على أحد الأقوال .

(٣) عرج : صعد . (٤) الأحمر والأسود : جميع الخلق .

(٥) قرن ذكره بذكره : في التشهد والأذان ، وفي مواضع في القرآن .

(٦) في مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . (٧) سورة الفتح ، آية ١٠ .

(٨) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى : « لقد رضى الله

عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » . والمبايعة كانت على ألا يفروا ؛ أو على الموت ؛ أو

على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر . . . (٩) أي قوة الله وقدرته في نصر رسوله فوق قواهم .

(١٠) أي ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم في مبايعتهم والوفاء بهم .

(١١) منته : أي نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز في الدنيا والثواب في الآخرة فوق

منهم عليك ، بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم .

(١٢) يعني أن الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها .

(١٣) تجنيس في الكلام : تفتن في المبارات الإيمانية .

وقد يكون من^(١) هذا قوله تعالى^(٢) : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ،
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٣) ؛ وإن كان الأول في باب المجاز^(٤) ،
وهذا^(٥) في باب الحقيقة ، لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله ، وهو خالقُ فعله ورميه ،
وقُدْرته عليه ومسببه^(٦) ، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيلُ تلك الرمية حيثُ
وصلت ، حتى لم يبقَ منهم من لم تملأ عينيه^(٧) ، وكذلك قتلُ الملائكة لهم حقيقة^(٨) .
وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي^(٩) ، ومتابله اللفظ
ومناسبته ؛ أى ما قتلتموهم ، وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء
والتراب ، ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع^(١٠) ، أى إن [١٩] منفعة الرمي كانت من
فعل الله ؛ فهو القاتلُ والرامي بالمعنى وأنت بالاسم .

(١) من هذا ؛ أى من قبيل جعل فعل الصبد عين فعل الله .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٧

(٣) أى لم تقتلوا قريشا إذ سلطكم الله عليهم ونصركم ، ولكن الله قتلهم ؛ إذ هو الخالق
لهذا الفعل فيكم وإن كنتم مباشرين له .

وهذه الآية تزلت في بدر ، أو في حنين (الشهاب : ١ - ٣٥٤) .

(٤) الأول : يد الله فوق أيديهم .

(٥) وهذا : أى القتل والرمي .

(٦) ضبطت الباء في ب بشدة مفتوحة .

(٧) أى من لم تملأ الرمية عينيه من التراب .

(٨) وكذلك قتل الملائكة : أى هو مثل إسناد القتل إلى الأفراد البشرية ، فقدرة
الملائكة مثل القوى البشرية في الاحتياج إلى القوة الإلهية ، والمخلوقات بأسرها متساوية في
رتبة العبودية .

(٩) المجاز العربي : يريد المجاز اللغوى في الاصطلاح العربى ، وهو استعمال اللفظ في

غير ما وضع له لملاقة بين المعنى المجازى والحقيقى . والملاقة هنا السببية (القارى : ١ - ١٢٩) .

(١٠) الجزع : الرعب والفرع .

الفصل العاشر

فما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده ،
وما خصّه الله به من ذلك سوى ما انتظم ^(١) فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قصّه تعالى في قصة الإسراء في سورة : سبحان ، والنجم ؛ وما انطوت
عليه القصة من عظيم منزلته وقُرْبِهِ ومشاهدته ما شاهد من العجائب .
ومن ذلك عِصْمَتُهُ من الناس بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
وقوله تعالى ^(٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

وقوله ^(٤) : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ
هَمَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ
بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴾ . وما رفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم ^(٥) لهلاكه
وخلوصهم نَجِيًّا في أمره ^(٦) ، والأخذ على أبصارهم ^(٧) عند خروجه عليهم ، وذهولهم

(١) أى غير ما دخل فيما قبله من الفصول . (٢) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ ، وقوله : إِلَّا تَنْصُرُوهُ ؛ أى إن لم تنصروه وتخرجوا معه إلى
غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه ، إذ أخرجه الذين كفروا وليس
معه إلا أبو بكر ، وهذا كان لما بايع الأنصار النبي بالمعقة ، وأمر أصحابه بالذهاب إلى المدينة ،
وأشفقت قريش من ظهور النبي ، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في أمره ثم هجرته
إلى المدينة ونجائه من مكرم . (٥) تحزبهم : تجمعهم في مشاورتهم مع أحزابهم .
(٦) وخلصهم ؛ أى بعد إخلاصهم في أذيتهم منفردين في دار الندوة للمشاورة في أمره
متاجين في ذلك .

(٧) أخذ الله على أبصارهم : منعها من رؤية النبي مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم .

عن طلبه في الغار ، وما ظهر في ذلك من الآيات^(١) ، ونزول السكينة عليه ، وقصة سُرَاقَة بن^(٢) مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسَّير في قصة الغار ، وحديث الهجرة .

ومنه قوله تعالى^(٣) : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

أعلمه الله تعالى بما أعطاه . والكوثرُ حَوْضُهُ . وقيل : نهر في الجنة^(٤) . وقيل : الخير الكثير . وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات الكثيرة . وقيل : النبوة . وقيل : المعرفة . ثم أجاب عنه عدوه ، وردّ عليه قوله^(٥) ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ أى عدوك ومُبْغِضُكَ . والأبتر : الحخير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذى لاخير فيه . وقال تعالى^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ والقرآن العظيم .

قيل : السبع المَثَانِي السُّور الطوال الأولى . والقرآن العظيم : أم القرآن^(٨) . وقيل^(٩) : السبع المَثَانِي : أم القرآن^(١٠) . والقرآن العظيم : سائر^(١١) . وقيل : السبع

(١) من الآيات الدالة على نبوته كنسج العنكبوت وتمشيش الحمام وبيضه . . .

(٢) كان سُرَاقَة يتبع النبي بعد خروجه ، لينال مكافأة جعلتها قريش لمن يأتي به .

(٣) سورة الكوثر . والأبتر : مقطوع الخير والبركة .

(٤) فى نسيم الرياض : وهو الصحيح .

(٥) رد عليه قول عدوه : إنه منقطع المقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه . . .

(٦) سورة الحجر : آية ٨٧

(٧) المثنى : جمع مثنى . وقال القارى : السبع المثنى : السور الطوال . وهو منقول عن

ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود .

(٨) أم القرآن : هى الفاتحة . وهذا التفسير مروي عن ابن عباس .

(٩) فى نسيم الرياض : وعليه أكثر الصحابة والتابعين ؛ وهو قول جمهور المفسرين .

(١٠) فى القارى (١ - ١٣٦) : وهو ما يقتضيه حديث البخارى : أم القرآن هى السبع

المثنى (صحيح البخارى : ٦ - ١٠٢) . سائر^(١١) : باقيه بعد الفاتحة .

الثانى : مافى القرآن ، من أمر ، ونهى ، وبشرى ، وإنذار ، وضرب مثل ، وإعداد نعم^(١) ، وآتيالك نبأ القرآن العظيم^(٢) .

وقيل : سميت أم القرآن مثنى لأنها تُثنى فى كل ركعة . وقيل : بل الله تعالى استثنائها لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذخرها له دون الأنبياء^(٣) .
وسمى القرآن مثنى ؛ لأن القصص تثنى فيه^(٤) .

وقيل : السبع الثانى : أكرمناك بسبع كرامات^(٥) : الهدى ، والنبوة ، والرحمة ، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال^(٦) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وقال^(٧) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٨) .

وقال تعالى^(٩) . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىُّ الْأُمِّىُّ الَّذِى يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .
قال القاضى^(١٠) : فهذه^(١١) من خصائصه .

(١) وإعداد نعم : تعداد نعم كثيرة .

(٢) أى أعطيناك علم ما اشتمل عليه من قصص ومواعظ .

(٣) فالثانى من الاستثناء المعروف ، واستثنائها : ميزها وخصها من بين الآيات . والمراد أنه اختارها ، أو حفظها ، ولم يبذلها لغيره من الرسل ، ولم يدخرها ويعطيها غيره لتميزه من بينهم .

(٤) تثنى : تكرر .

(٥) وهذا مروي عن الإمام جعفر الصادق .

(٦) سورة النحل ، آية ٤٤ (٧) سورة سبأ ، آية ٢٨ (٨) كافة : جميعا .

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٥٨

(١٠) هو المؤلف .

(١١) فهذه : أى البعثة العامة لم يشارك فيها غيره من الرسل .

وقد قرئ^(١) : وهو أب لهم . ولا يُقرأ^(١) به الآن [٢٠] لخالفته المصحف .
وقال الله تعالى^(٢) : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٣) ، وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ ﴾ .
قيل : فضله العظيم بالنبوة^(٤) . وقيل : بما سبق له في الأزل^(٥) . وأشار الواسطي
إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى ، صلى الله عليهما^(٦) .

-
- (١) فهي قراءة شاذة .
(٢) سورة النساء ، آية ١١٣
(٣) الكتاب : القرآن . والحكمة : الشريعة والسنة .
(٤) فضله العظيم : أى في هذه الآية بالنبوة ؛ فإنها أعظم النعم .
(٥) الأزل : القدم ، والوجود الذي لا أول له .
(٦) هذا في ١ ، ب .

البَابُ الثَّانِي

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا ، وقرآنه ^(١)

جميع الفضائل الدينية والدينية فيه نسقا ^(٢)

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الباحث عن تفاصيل مجمل قدره العظيم - أن خصال الجلال والكمال ^(٣) في البشر نوعان : ضروري دنيوي ^(٤) اقتضته الجبلة ^(٥) وضرورة الحياة الدنيا ؛ ومكتسب ديني ؛ وهو ما يُحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى زُلفي .

ثم هي على فئتين ^(٦) أيضا : منها ما يتخلص لأحد الوصفين ^(٧) . ومنها ما يمازج ويتداخل .

فأما الضروري المَحْض ^(٨) فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثل ما كان في جبيلته من كمال خاقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه ^(٩) ، وعزّة قومه ، وكرم ^(١٠) أرضه ؛ ويلحق به ^(١١) ما تدعوه ضرورة حياته إليه ، من غذائه ونومه ، وملبسه ومسكنه ، ومنكحجه ، وماله وجاهه .

(١) قرآنه : جمعه . (٢) نسقا : أي جميع الفضائل فيه متناسبة منتظمة .

(٣) الجلال : العظمة . والكمال : التمام .

(٤) دنيوي : لا يتعلق به ثواب ؛ أو مما لا بد منه فيها .

(٥) اقتضته الجبلة : دعت إليه . والجبلة : ما جبله الله عليه وخلقه . وفي هامش ب :

جبلة - بالتشديد والتخفيف . (٦) ثم هي : أي خصال الجلال والكمال على ضربين .

(٧) لأحد الوصفين : أي الضرورة والمكتسب المفهومين من التقسيم السابق .

(٨) المحض : الخالص . (٩) شرف نسبه : أي شرفه الحاصل له بسبب نسبه .

(١٠) وكرم أرضه : التي هي موطنه ومولده : مكة .

(١١) يلحق به ؛ أي بالضروري .

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة^(١) بالأخرى إذا قصد بها التقوى ومعوّنة البدن على سلوك طريقها^(٢)، وكانت على حدود^(٣) الضرورة وقوانين الشريعة^(٤).
وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية^(٥)، والآداب الشرعية : من الدين والعلم^(٦)، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والروءة، والصمت، والتؤدة^(٧)، والوقار والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة^(٨)، وأخواتها، وهى التى جماعها^(٩) حسن الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو فى الفريضة^(١٠) وأصل الجيلة لبعض الناس . وبعضهم لا تكون فيه ، فيكتسبها ، ولكنه لابد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجيلة شعبة^(١١) كما سنبيّن إن شاء الله .

(١) فى ب : الأخيرة . (٢) سلوك طريقها ؛ أى طريق الآخرة .
(٣) معنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة وإسراف ونقص وتفریط .

(٤) المعنى أن يكون ما يفعله من هذه الأمور على وفق الشريعة المطهرة ؛ فإنه إن لم يكن كذلك لاتفعله نية التقرب إلى الله تعالى ؛ وذلك كمن يأكل حراماً ويلبس منصوباً ، ليتعبد به ، أو يتصدق بمال حرام . (٥) العلية : الشريعة المحمودة .

(٦) والعلم : أى العلم بماله وما عليه ، بما به نظام معاشه ومعاده .
(٧) والصمت : المراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول . والتؤدة : التأتى وترك العجلة .

(٨) والمعاشرة : أى حسن للمعاشرة والاختلاط مع الناس ، وترك التحجب وهجر الإخوان بغير داع .

(٩) التى جماعها : التى يشملها ويجمعها .

(١٠) الفريضة : الطبيعية ، والجيلة . والمراد تكون فى بعض الناس من غير تعلم من أحد .

(١١) شعبة : حصة . وأصل معناه الفرقة والقطعة .

وتسكون هذه الأخلاق دُنْيوية إذا لم يُرَدَّ بها وجهُ الله والدارُ الآخرة؛ ولكنها كلها محاسنٌ وفضائلٌ باتِّفاق أصحابِ العقول السامية، وإن اختلفوا في موجب^(١) حُسْنِها وتفضيلها.

فصل

إذا^(٢) كانت خصالُ الكمال والجمال ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يَشْرُفُ بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت^(٣) له - في كلِّ عصر، إمَّا من نَسَبٍ أو جمال، أو قوة، أو عِلْمٍ، أو حِلْمٍ، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظمَ قَدْرُهُ، ويُعزَّبَ باسمه الأمثال، ويتقرَّرَ له بالوصف بذلك في القلوبِ أَثَرَةٌ^(٤) وعظمة، وهو منذ عصورِ خَوَالِ رِمِّمٍ بَوَالٍ^(٥)، فما ظنُّكَ بمُعْظِمِ قَدْرِ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال إلى مالا يأخذُه^(٦) عَدَّةٌ، ولا يعبُرُ عنه مَقَالٌ، ولا يُنالُ بِكَسْبٍ ولا حيلةٍ إلا بتخصيصِ الكبير المتعال^(٧)، مِنْ فَضِيلَةٍ^(٨) النبوة والرسالة، وَالْخَلَّةِ^(٩) والمحبة، والاصطفاءِ^(١٠).

-
- (١) موجب : سبب . وقد ضبطت في ابفتح الجيم . وفي ب بكسر ها . وقال الشهاب : بكسر الجيم لابتفتحها ، وكذلك قال القارى .
(٢) هذا الفصل معقود لحصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم ، مقتبسة من الكتاب والسنة . (٣) اتفقت له : حصلت له على وجه يشرف به بغير كسب .
(٤) أَثَرَةٌ - بضم الهمزة وفتحها وكسر ها ، وسكون المثانة وفتحتها ؛ والمأثرة والسكرمة من تلك الخصال التي وصف وانفرد واستأثر بها عن غيره .
(٥) رمم بوال : الرمم جمع رمة ، أو رميم ؛ وهى العظام وأجزاء البدن البالية . بوال : جمع بالية . (٦) مالا يأخذُه عد : لا يحيط به . والمراد : لا يعد لكثرة .
(٧) أى ينال بأن يخص الله به من يشاء . (٨) هذا بيان لقوله : مالا يأخذُه عد .
(٩) الخلة : الخاللة والصدقة .

(١٠) إشارة إلى ما ورد في الحديث: إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وإسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٢

والإسراء، والرؤية^(١)، والتزب والدفن، والوحى، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والنفام^(٢) المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود^(٣)، والصلاة بالأنبياء^(٤)، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم [٢١]، ولواء الحمد، والبشارة، والندارة^(٥) والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم^(٦)، والأمانة والهداية ورحمة العالمين. وإعطاء الرضا والسؤل^(٧)، واللكون، وسماع القول^(٨)، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية^(٩) الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع^(١٠) الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والمعجم^(١١)، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، ورد

(١) الرؤية : رؤية ربه . أو رؤية آياته الكبرى . أو رؤيته جبريل في صورته الأصلية .
(٢) والمقام المحمود : هو مقام يقوم فيه النبي للشفاعة العظمى ، فيحمده فيه الأولون والآخرون .
(٣) أى عموم رسالته .

(٤) إمامته لهم حين اجتمع بهم في المسجد الأقصى حين أسرى به .

(٥) أى كونه بشيرا ونذيرا . (٦) ثم : هناك . (٧) السؤل : كل مشؤل .

(٨) سماع القول : أى سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل ، بقوله : قل يسمع لك . وسل تعط . وحديث الشفاعة سيأتى في بابها .

(٩) إشارة إلى الآية الكريمة : يتلو عليهم آياته ويزكيهم . . .

(١٠) وضع الإصر : أى ثقل التكليف التى كانت فى الأمم السابقة .

(١١) تكليم الجمادات كما ورد فى الحديث : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على (مصحح)

مسلم (١٧٨٢) : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل غيره . والمعجم : المراد به الحيوان الذى ليس من شأنه النطق .

الشمس ، وقلب الأعيان^(١) ، والنصر بالرعب^(٢) ، والاطلاع على الغيب ، وظل النعام^(٣) ، وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام^(٤) ، والعصمة من الناس ، إلى ما لا يحويه مختفل^(٥) ، ولا يحيط بعلمه إلا ما نحته ذلك ومفضله به^(٦) ، لا إله غيره ، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس^(٧) ، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم^(٨) .

فصل

إن قلت - أكرمك الله : لا خفاء على القطع بالجملة^(٩) أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسن وفضلاً ، وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً . . . فاعلم - نور الله قلبي وقالبك ، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك - أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جملة الخلقة

(١) الأعيان : جمع عين ، وهي ذات الشيء نفسه . (٢) الرعب : الخوف .

(٣) ظل النعام : تظليلها له عليه السلام لئلا يؤذيه حر الشمس .

(٤) الآلام : جمع ألم ؛ وهو الوجع . والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع .

(٥) يحويه : يشمله ويجمعه فيحتوى عليه . والمعنى أن من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الإحاطة بها .

(٦) وهو الله تعالى .

(٧) القدس : أصل معناه الطهر . وقد ضبط في أ، ب بالسكون . وقال القاري (١-١٤٩) :

القدس - بضم وبضمتين ؛ أى المنزهة عن النقائص والزوال في الجنة .

(٨) الأداني : جمع أدنى ، بمعنى أسفل ، أو أقرب ، أو أنزل ؛ أى لا يدرك العقل سافلها

فضلاً عن عاليها ، ولا يصل لما يقرب منها فضلاً عما يبعد عنها . وفي هامش ب : خ : الفهم .

(٩) على القطع : على سبيل القطع . والجملة بمعنى الإجمال ، ضد التفصيل . والمراد أن هذه

المجمل قطعي .

وَجَدْتُهُ حَائِزًا لْجَمِيعِهَا ، مُحِيطًا بِشَتَاتٍ ^(١) مُحَاسِنِهَا دُونَ خِلَافٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الْأَخْبَارِ لَذَلِكَ ؛
بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ ^(٢) .

أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا ، وَتَنَاسُبُ أَعْضَانِهَا فِي حُسْنِهَا ، فَقَدْ جَاءَتْ الْأَنَارُ الصَّحِيحَةُ
وَالْمَشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ ، مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ،
وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَابْنُ أَبِي هَالَةَ ، وَأَبِي جُحَيْفَةَ ، وَجَابِرُ
ابْنِ سَمْرَةَ ، وَأُمُّ مَعْبُدٍ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُعَرِّضُ بْنُ مَعْقِيَبٍ ^(٣) ، وَأَبِي الطُّفَيْلِ ،
وَالْعَدَّاءُ بْنُ خَالِدٍ ، وَخُرَيْمٌ ^(٤) بْنُ فَاثِكٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَغَيْرُهُمْ ، مِنْ أَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ^(٥) ، أَدْعَجٌ ، أَنْجَلٌ ، أَشْكَلٌ ^(٦) ، أَهْدَبُ
الْأَشْفَارِ ^(٧) ، أَبْلَجٌ ، أَزَجٌ ، أَقْنَى ^(٨) ، أَفْلَجٌ ^(٩) ، مُدَوَّرُ الْوَجْهِ ، وَاسِعُ الْجَبِينِ ،

(١) شتات محاسنها : المتفرق من محاسنها .

(٢) مبلغ القطع : القطع : الجزم ؛ وذلك لتواتره وكثرة روايته المؤدية إلى الجزم .

(٣) في ب : ومعرض . - وضبطه بكسر الميم وسكون الميم وفتح الراء - وفي هامشه : خ :
ومعرض - وضبطه كما أثبتنا . وفي ا : ومعرض - وضبطه بفتح الميم وسكون الميم وفتح
الراء ، وتحتها « من الأم » . وفي الهامش : ومعرض - وضبطه كما أثبتناه وعليها صح . وقال
الغاري : وقال الفسائي : معرض - بكسر الميم وفتح الراء ، وهو مخالف للأصول المصححة ،
وللحواشي المصححة . (٤) في ا ، ب : خريم ، وفي هامش ا ، ب : صح بالراء .

(٥) أزهر اللون : قيل نير . وقيل حسن . وقيل أبيض . أو أبيض مشرب بحمرة . وفي
الصحيح : عن أنس ، لم يكن بالأبيض الأمهق ؛ أي الخالص البياض كالون الجير فإنه غير محمود .
وفي التماثل للترمذي : فسر الأزهر بالأبيض النير للشرق . وفي نسيم الرياض (١ - ٤٠٧) :
والحق أنه كان أبيض مشرباً بحمرة ، وهو أحسن الألوان .

(٦) أدعج : شدة سواد العين مع سمها . وقيل سواد السواد وبياض البياض .
أنجل أشكل : النجلة : سعة شق العين . - حسن . والشكلة : حمرة يسيرة في بياض العين .
(٧) أهدب الأشفار : الأهدب : الطويل الشعر النابت على الجفن . والأشفار : جمع شفر :
طرف الجفن . (٨) أبلج : الباج : نقاء ما بين الحاجبين من الشعر . أزج : مقوس الحاجب
مع طول امتداد . والأقنى : طول أنفه ودقة أرنبته مع حذب في وسطه .

(٩) أفلاج : الفلاج : تباعد ما بين الشبايا ، أو ما بين الأسنان .

كَثَّ اللَّحْيَةَ^(١) تَمَلَّأَ صَدْرَهُ ، سَوَّاءَ الْبَطْنِ وَالصُّدْرِ^(٢) ، وَاسِعَ الصُّدْرِ ، عَظِيمَ
لِلنَّكَبِينَ^(٣) ، ضَخْمَ الْعِظَامِ ، عَبِلَ الْمَضْدِينِ وَالذَّرَاعِينَ وَالْأَسَافِلَ^(٤) ، رَحْبَ
السَّكْفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ^(٥) ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ^(٦) ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ^(٧) ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ^(٨) ،
رَبْعَةَ الْقَدِ^(٩) ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ^(١٠) ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ
يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ إِلَّا طَالَهُ^(١١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَجَلَ الشَّعْرِ^(١٢) ،
إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا^(١٣) افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ^(١٤) ،

(١) كَثَّ اللَّحْيَةِ : لَحْيَتُهُ كَشِيفَةٌ غَيْرُ خَفِيفَةٍ .

(٢) سَوَاءٌ : مُسْتَوِيهِمَا . وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى اعْتِدَالِ خَلْقِهَا وَعَدَمِ خُرُوجِهَا أَوْ أَحَدِهَا
عَنِ الْإِعْتِدَالِ ؛ فَإِنَّ الْبَطْنَ إِذَا كَانَ بَارِزًا أَوْ مُضْمَرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا
بَرَزَ الصُّدْرُ أَوْ تَطَامَنَ . (٣) لِلنَّكَبِ : مَجْمَعُ عَظْمِ الْمَضْدِ وَالْكَتِفِ . أَيْ إِنَّهُ ضَخْمُهُمَا .

(٤) عَبِلَ : ضَخْمَ قَوًى . وَالْمَضْدِينِ : مِثْنَى عِضْدٍ ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الرِّفْقِ وَالْكَتِفِ . وَالْأَسَافِلُ :
جَمْعُ أَسْفَلٍ ؛ يَرِيدُ رِجْلَيْهِ ، أَوْ الْفَخْذَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ . (٥) رَحْبٌ : وَاسِعٌ .

(٦) سَائِلَ الْأَطْرَافِ : أَيْ مُمْتَدَّهُمَا امْتِدَادًا مُعْتَدَلًا بِغَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ . وَالْمُرَادُ
بِالْأَطْرَافِ الْأَصَابِعُ .

(٧) أَنْوَرَ : نِيرٌ . وَالْمُتَجَرَّدُ : الْجَسَدُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الثِّيَابِ .

(٨) دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ : الْمُرَادُ لَيْسَ بِمَرِيضٍ وَلَا مُتَكَاثِفٍ الشَّعْرُ . وَالْمَسْرُوبَةُ : شَعْرٌ مُسْتَطِيلٌ مِنَ
الصُّدْرِ لِلْسَّرَةِ ؛ فَهُوَ خَطٌّ مِنَ الشَّعْرِ بَيْنَهُمَا .

(٩) رُبْعَةُ الْقَدِ : الْقَدُ بِمَعْنَى الْقَامَةِ . وَرُبْعَةٌ : مُعْتَدِلٌ ، أَيْ مَرَبُوعٌ الْقَامَةُ .

(١٠) لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ . الْبَائِنُ : الظَّاهِرُ ؛ أَيْ لَمْ يَكُنْ مَفْرُطَ الطَّوِيلِ . وَالْمُتَرَدِّدُ : الْمُتَنَاهِي
فِي الْقَصْرِ .

(١١) يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ : يُوصَفُ بِهِ . طَالَهُ : غَلَبَهُ فِي الطَّوِيلِ وَزَادَ عَلَيْهِ .

(١٢) رَجَلَ الشَّعْرِ : يُقَالُ شَعْرُ رَجُلٍ : فِيهِ ثَنَانٌ قَلِيلٌ . فَشَعْرُهُ بَيْنَ الْجَمُودَةِ وَالسَّبُوطَةِ .

(١٣) إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا : كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهِ مُتَبَسِّمًا وَضَاحِكًا . وَالسَّنَا : اللَّعْمَانُ ؛ أَيْ إِذَا كَشَفَ

النَّبِيَّ عَنْ أَسْنَانِهِ فِي حَالِ ضَحْكِهِ ظَهَرَ فِيهِ وَبَيَاضُ أَسْنَانِهِ كَالْمَعْمَانِ الْبَرْقِ .

(١٤) عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ : حَبُّ الْغَمَامِ هُوَ الْبَرْدُ ؛ أَيْ مِثْلُهُ فِي بَيَاضِهِ وَنَقَائِهِ وَصَفَائِهِ .

إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه ، أحسن الناس عُنفاً ، ليس بمُطَّهم ولا مُكَلَّم^(١) ، مُتَماسِك البدن ، ضَرَب اللحم^(٢) .

قال البراء [بن عازب]^(٣) : ما رأيتُ من ذِي لَمَّة^(٤) في حَلَّة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيتُ شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٢] ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلأل في الجدر^(٦) . وقال جابر بن سُمرة - وقال له رجل : كان وجهه^(٧) - صلى الله عليه وسلم - مثلاً

السيف^(٨) ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديراً .

وقالت أم مَعْبِد^(٩) - في بعض ما وصفته به : أجملُ الناس من بعيد ، وأخلاه وأحسنه من قريب [صلى الله عليه وسلم تسليماً كما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره النافلون]^(١٠) .

(١) المطهم : السمين الفاحش السمن ، والنحيف الجسم الدقيقة ، فهو من الأضداد .
والسكلم : البادن كثير اللحم .

(٢) ضرب اللحم : أي قليل لحم البدن خفيفه لا إلى حد الهزال .

(٣) في هامش ب ، وعليها علامة صح .

(٤) اللمة - بكسر اللام وتشديد الميم : ما طال من شعر الرأس في أحد جانبيه .

(٥) في نسيم الرياض (٤١٧) : هذا الحديث رواه الترمذى وصححه . وهو في سنن

الترمذى (٥ - ٥٩٩) .

(٦) التلألؤ : اللعان والإضاءة . جدر : جمع جدار ، والناس تستعمله بمعنى الأساس .

أي نور وجه الشريف بشرق إشراقا يصل إلى الجدران المقابلة له .

(٧) في ب : كان وجه رسول الله . (٨) وتشبيهه بالسيف هنا في البريق واللمعان .

(٩) هي عاتكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة بنباء في طريق المدينة ، وقد نزل عليها

النبي في هجرته لما خرج من غار ثور ، وكان زوجها غائباً ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها

إياه ، فتمتته له في كلام بليغ . (١٠) من ب .

وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألاً^(١) وجهه تلاًلاً القمر ليلة البدر .
وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له^(٢) : مَنْ رآه بديهة هابة^(٣) ، ومن خالطه معرفة^(٤) أحبه ، يقول ناعته^(٥) : لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .
والأحاديثُ في بسطِ صفته مشهورة كثيرة ، فلا نطوّل بسرّها .
وقد اختصرنا في وصفه نُسكتَ^(٦) ما جاء فيها ، وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب ، وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تكفُّ عليه هناك إن شاء الله .

فصل

وأما نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونزاهته^(٧) عن الأقذار وعورات^(٨) الجسد . فكان قد خصّه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ، ثم تمّمها بنظافة الشرع^(٩)

(١) يتلألاً : يضئ ويشرق .

(٢) في نسيم الرياض : رواه الترمذی والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف .
(الترمذی : ٥ - ٥٩٩) ، وبعده قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ليس إسناده بم متصل .

(٣) بديهة : فجأة . هابه : خافه ، وعظمه ، ووقره .

(٤) خالطه : صاحبه وعرفه .

(٥) ناعته : واصفه .

(٦) النسكت : اللطائف والدقائق الحفية .

(٧) نزاهته : بعبه ، وخلوه منها ، وتنزهه عنها .

(٨) عورات : جمع عورة ؛ وهي كل ما يوجب خلافاً فيه ، أو يُستر ويستحي منه ، ممّا

يشين وينقص .

(٩) أي تم ما فطر عليه من ذلك ، وما خصه به . بما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء ؛

فاتصف بالنظافة الكاملة .

وخصال الفطرة العشر^(١) ، وقال^(٢) : بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ .

حدثنا سُفيان بن العاصي وغير واحد ، قالوا : حدثنا أحمد بن عمر . حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي^(٣) ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم ، [قال]^(٤) : حدثنا قتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال^(٥) : مَا شِمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ ، وَلَا مِسْكًا ، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ^(٦) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعن جابر بن سَمُرَةَ أَنَّهُ^(٧) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسح خَدَّهُ ؛ قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ^(٨) عَطَّار .

(١) الفطرة : الطبيعة والجملة التي خلق عليها ، وكونها عشرًا ، رواه مسلم في حديث مرفوع : عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، وتنف الإبط ، وحلق المانة ، وانتقاص الماء .
قال مصعب : نيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة - قال القاضي : للنسي الختان .
(صحيح مسلم : ٢٢٣) .

والبراجم : عقد الأصابع من ظهر الكف . وغسل البراجم : إزالة وسخها . وانتقاص الماء : هو الاستنجاء .

(٢) وقال : أي النبي .

(٣) في هامش ١ ، ب : الجلودى - بضم الجيم هو الصحيح .

(٤) من ب . (٥) صحيح مسلم : ١٨١٤ (٦) ريح : رائحة .

(٧) قال الحفاجي : هذا الحديث أخرجه مسلم . وأول الحديث : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وأنا معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا ، وأما أنا فمسح خدي ، فوجدت ليده بردا أو ريحا .
واقصر المؤلف على بعض هذا الحديث لمناسبته للفصل .

والحديث في مسلم : ١٨١٤ ، قال في نسيم الرياض : وكان من عادة النبي مسح وجوه الأطفال تأنيسا لهم ، وتطييبا لقلوب والديهم ، وشفقة عليهم .

(٨) الجودنة : شبه صندوق صغير مغطى بآدم يضع فيه العطار عطره .

قال غيره ^(١) : مسّها بطيب أو لم يمسّها ^(٢) ، يُصافِحُ المُصافِحَ فيظلُّ يومه يحدُّ رِيحَهَا ؛ ويضعُ يده على رأس العبيّ فيُعرِّف من بين الصبيان برِيحها ^(٣) .
ونام ^(٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دار أنسِ فعرّق ، فجاءت أمّه بقارورة ^(٥) تجمّع فيها عرقه ، فسألها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعلُه في طيّبنا ، وهو مِن أطيب الطيب .

وذكر البخارى في تاريخه الكبير ، عن جابر : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يمرُّ في طريقٍ فيتنبّه أحدٌ إلا عرّف أنه سلكه من طيبه ^(٦) .
وذكر إسحاقُ بن رَاهَوِيَه أن تلك ^(٧) كانت رائحته بلا طيب ، صلى الله عليه وسلم .

[وروى المُرزَنِي ^(٨) ، عن جابر : أُرْدَفَنِي ^(٩) النبيُّ صلى الله عليه وسلم خلفه ، فالتقمتُ ^(١٠) خاتم النبوة بغمي ، فكانَ يَمِيحُ ^(١١) على مِسْكَ] ^(١٢) .

(١) قال الخفاجى : هذا الحديث رواه البيهقى ، وأبو نعيم ، بسند فيه ضعف .
(٢) فى هذا إشارة إلى أن طيبه صلى الله عليه وسلم ذاتى .
(٣) أى برائحته الطيبة طيبا خافيا خسه الله به تكرمه له .
(٤) هذا بعض من حديث رواه مسلم ، واقتصر المؤلف منه على ما يناسب المقام اختصارا ،
والحديث فى صحيح مسلم : ١٨١٥

(٥) القارورة : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه .
(٦) أى من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به ، الباقية فيه .
(٧) أى تلك الرائحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق .
(٨) فى ب : المرى . وفى هامشه : هكذا وقع المرى . وثبت فى أ .
(٩) أُرْدَفَنِي : أركبني خلفه .
(١٠) الالتقام : أخذ الشيء وجمله فى فيه ، سواء ابتلعه أم لا .
(١١) نَمِ اللسك : سطع .
(١٢) فى هامش ب : ما بين القوسين كتب أمامه : هذا العلم من الأم ، وليس من الرواية .

وقد حكى بعضُ الْمُعْتَنِينَ ^(١) بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتفوطَ ^(٢) انشقت الأرضُ فابتلعت غائطه وبَوَّاهُ ، وفاحت لذلك رائحةٌ طيبة . صلى الله عليه وسلم .

[وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبراً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاءَ ^(٣) فلا ترى منك شيئاً من الأذى ! فقال : يا عائشة ، أو ما علمت أن الأرضَ تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، فلا يرى منه شيء] ^(٤) .

وهذا الخبرُ وإن لم يكن مشهوراً ^(٥) فقد قال قومٌ من أهل العلم بطهارة الحدَّثينِ منه صلى الله عليه وسلم . وهو قولُ بعضِ أصحابِ الشافعية ، [حكاه الإمام أبو نصر ابن الصبَّاح في شاملِهِ] ^(٦) .

وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية ، وتخرج ما لم يقعَ لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية . وشاهدُ هذا ^(٧) أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يُسْكِرُهُ ، ولا يَئِزُّ طيب .

(١) هو البيهقي - عن عائشة ، كما في نسيم الرياض الذي قال : إنه موضوع .

(٢) يتفوط : يأتي النائط ، وهو المكان للمنخفص ، على عادتهم في البراز ؛ لأنه أستر .

(٣) الخلاء : المكان الخالي البعيد عن البيوت ، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه لقضاء الحاجة ، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التفوط مطاقاً ، ثم صار عرفاً اسماً للبناء المعد لذلك .

(٤) في هامش ١ ، ب : ليس من الأصل .

(٥) قال ابن دحية : سنده ثابت ، وهو أقوى ما في الباب ، فلهذا نسبى المصنف عنه الشهرة دون الصحة .

(٦) في هامش ١ ، ب : ليس من الرواية . والشامل : اسم كتاب له .

(٧) وشاهد هذا : أي دليل القول بالطهارة .

ومنه حديث^(١) على رضى الله عنه^(٢): غسّلتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فذهبتُ أنظُرُ ما يكونُ من الميت فلم أجدُ شيئاً؛ فقلت : طُبِتَ حياً وميتاً، [قال : وسطمت^(٣) منه ريحٌ طيبةٌ لم تجِدْ مثلها قطَّ] ^(٤) .

ومثله^(٥) قال أبو بكر رضى الله عنه حين قبِلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد موته .
ومنه شُرْبُ مالك^(٦) بن سنان دمه يوم أُحُد ، ومعه إياه [٢٣] ، وتسويغه^(٧) صلى الله عليه وسلم ذلك له ، وقوله : لن تُصِيبه النار .
ومثله شُرْبُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير دمَ حِجَامَتِهِ ؛ فقال له عليه السلام : وَيْلٌ لَكَ^(٨) من الناس ، وَيْلٌ لَهم منك . ولم ينكره عليه^(٩) .

(١) ومنه : أى من الشاهد على أنه لم يكن منه - صلى الله عليه وسلم - شيء يكره ولا غير طيب .
(٢) قال الشهاب : رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، فى مراسيله : (ابن ماجه : ٤٧١) .
(٣) سطمت : ظهرت وارتفعت . (٤) فى هامش ١ ، ب : من الأم ، وليست من الرواية .
(٥) ومثله : أى قول على : طبت حيا وميتا . (٦) فى ب : ملك .
(٧) وتسويغه : أى تجوزّه له من غير إنكار . (٨) ويل : للتحسر والتألم .
(٩) هذا محط الدليل ؛ فإن عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دليل على جوازِهِ وطهارته .
وفى نسيم الرياض : (١ - ٤٤٨) قال السخاوى : سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ، ومالك بن سنان ، وقوله للأول : ويل لك ، وقوله لمالك : لا تمسك النار - ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب ؟

فأجاب بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير ، فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبي ، فتورد به غاية قوة البدن والقلب ، وتكسيه نهاية الشهامة والشجاعة ، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف المدل وقلة ناصره ، وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم ؛ فيحصل له ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمة ؛ أى الناشئة من حرمة صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق ، فقليل : ويل له لقتله وانتهاك حرمة ، وييل لهم لظلمهم وتمديهم عليه وتسفيههم .

وأما مالك فإزدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجه النبي ، وهو أقل من دم الحجامة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه يستشهد فى ذلك اليوم ، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به ، فأعلمه بالأهم بما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان .

وقد روى نحو من هذا عنه في امرأة شربت بَوْلَهُ ؛ فقال لها : لن تشككى وَجَعَ بَطْنِكَ أبدا . ولم يأمر واحدا منهم ^(١) بفَسْلِ فَمٍ ، ولا نَهَاهُ عن عَوْدَةٍ ^(٢) .

وحديثُ هذه المرأةِ التي شربت بَوْلَهُ ^(٣) صحيحُ الزم الدارُ قُطْنِي مسلما والبخارى لإخراجه في الصحيح ، واسم هذى المرأةِ بَرَكَة . واختلفت في نسبها .

وقيل : هي أم أيمن ^(٤) : وكانت تَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَدَحٌ من عَيْدَانِ ^(٥) بوضع تحت سريره يَبُولُ فيه من الليل ، فبال فيه ليلةً ، ثم افتقده ^(٦) ، فلم يجد فيه شيئا . فسأل بَرَكَة عنه ؛ فقالت : قَمْتُ وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم .

روى حديثها ابن جُرَيْج وغيره :

وكان صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ تَحْتُوْنَا مَقْطُوعَ ^(٧) الشَّرَةِ .

[وروى عن أمِّهِ آمَنَةُ أنها قالت : قد ولدته نظيفا ما به ^(٨) قَدَرٌ] ^(٩) .

(١) واحدا منهم : أى عن شرب دمه ، ومن مصه ، ومن شرب بوله .

(٢) ولو كان نجسا لأمر به ، ونهاه أن يعود لثله .

(٣) فى نسيم الرياض : هو فى أعلى درجات الصحة . والحديث فى سنن النسائى : ١ - ٣١

(٤) مولاته وحاضنته ومرضعته .

(٥) القدح : هو الإله الذى يشرب منه . عيدان : نخلة طويلة .

وفى هامش ب : العبدان : شجر كبار ، تسكون باليمن ، صغارها تسمى الرتم ، ومنه

قول الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبأ بالرتم

(٦) افتقده : طلبه وبحث عنه .

(٧) فى نسيم الرياض (١ - ٤٥٢) : سند هذا الحديث ضعيف جدا ، والذى صححه

المحدثون - كما فى التمهيد لابن عبد البر - أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وجعل له

مأذبة وسماه محمدا . (٨) ما به قدر ؛ أى ولدته نقيًا من الوسخ .

(٩) فى هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وعن عائشة رضى الله عنها : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .
وعن عليّ رضى الله عنه ^(١) : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسله ^(٢) غيري؛
فإنه لا يرى أحدٌ عَوَرتي إلا طُمِسَتْ عيناه ^(٣) .

وفي حديث عِكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم
نامَ حتى سُمِعَ له غَطِيطٌ ^(٤) ، فقام فصلى ولم يتوضأ ^(٥) - قال عِكرمة : لأنه صلى الله
عليه وسلم كان محفوظاً ^(٦) .

فصل

وأما وفورُ عقله ^(٧) ، وذكاؤه ^(٨) ، وقوةُ حواسه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ
حركاته ، وحسنُ شمائله - فلا مِريّة ^(٩) أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .
ومن تأملَ تديره أمرَ بواطنِ الخلقِ وظواهرهم ، وسياسةَ العامة والخاصة ^(١٠) ،
مع عجيبِ شمائله ، وبديعِ سيره ، فضلاً عما أفاضه ^(١١) من العلم ، وقرّره من الشرع دونَ

- (١) قال الشهاب : هذا الحديث رواه البزار والبيهقي .
- (٢) في ١ : ضبطت السنين مشددة وغير مشددة . وفوقها « معا » .
- (٣) طمس العين : إزالة ضوئها .
- (٤) الغطيط : صوت النائم إذا ارتفع نفسه .
- (٥) في نسيم الرياض : والأحاديث الدالة على أن نومه - صلى الله عليه وسلم - لا ينقض ،
وأنه تنام عينه ، ولا ينام قلبه - كثيرة صحيحة .
- (٦) حاصله أن النوم ليس ناقضاً بنفسه ؛ وإنما نقض ، لأنه مظنة الحدث ، والله تعالى
حفظه عن أن ينام قلبه .
- (٧) وفور عقله : تمامه ، وزيادته على عقل غيره .
- (٨) لبه : عقله .
- (٩) لا مريّة : لاشك ، ولا شبهة ، ولا جدال .
- (١٠) سياسة العامة والخاصة : تدير أمورهم والتصرف فيها .
- (١١) أفاضه : أذاعه .

تعلم سبق ، ولا ممارسة^(١) تقدمت ، ولأنهم طالعوا لا يكتب منه ، لم يمتز^(٢) في رُجحان عقله ، وثقوب^(٣) فهمه لأول بديهة^(٤) ؛ وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه^(٥) .
وقد قال وهب بن منبه : قرأت في أحد وسبعين كتابا ، فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا .
وفي رواية أخرى^(٦) : فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يُعطِ جميعَ الناس من بدء الدنيا إلى انتضاها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من [بين]^(٧) رمال الدنيا .

وقال مجاهد^(٨) : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يَرى من^(٩) خلفه كما يرى من بين يديه ، وبه فسّر قوله تعالى^(١٠) : ﴿ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ .

وفي الموطن عنه عليه السلام^(١١) : إني لأراكم من وراء ظهري .

(١) الممارسة : معالجة الأمر ومزاولته ؛ أي لم يتعلم من غيره ، ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجِه بعقله .
(٢) لم يمتز : لم يشك .
(٣) ثقوب فهمه : نفوذه وظهوره .
(٤) لأول بديهة : لأول نظرة نظرها .
(٥) لتحقيقه : بالشاهدة في عصره ، والتواتر بعد ذلك ، بحيث لا يشك فيه مسلم وعقل .
وفي ب : لتحقيقه ، وعليها علامة الصحة .

(٦) عن وهب أيضا .
(٧) من ب .
(٨) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ورواه مالك ، وأحمد ، وغيرهما .
وفي لفظه اختلاف . والمعنى متفق . والحديث في مسلم : ٣١٩ .
(٩) في ب ضبطت الميم بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » .
(١٠) سورة الشعراء ، آية ٢١٩

والمعنى : نرى قلب بصرك في المصلين خلفك لثراهم وتعلم ما يفعلون . وسياق الحديث للاستدلال به على قوة حواسه - صلى الله عليه وسلم - فيناسب التفسير بأنه يراهم بعينه حقيقة .
(١١) في الموطن : ١ - ١٦٦ ، وصحيح مسلم : ٣١٩

ونحوه - عن أنس في الصحيحين^(١) ، وعن عائشة مثله ؛ قالت : زيادةٌ زاده الله إياها في حُجَّتِهِ^(٢) .

وفي بعض الروايات^(٣) : إني لأُنْظَرُ من^(٤) ورأى كما أنظر إلى مَنْ بين يدي .
وفي أخرى^(٥) : إني لأُبْصِرُ مِنْ قَفَايَ كما أبصر من بين يدي .
وحكى بَقِيَّ بن مخلد ، عن عائشة ؛ [قالت]^(٦) : كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء^(٧) .

والأخبارُ كثيرةٌ صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للفلائكة والشياطين^(٨) .
ورُفِعَ^(٩) النجاشيُّ له حتى صلى عليه^(١٠) ، وبيتُ [٢٤] المقدس حين وصفه لقريش ،
والكعبة حين بنى مسجده^(١١) .

-
- (١) صحيح مسلم : ٣٢٠ ، وفيه : من بعد ظهري .
(٢) في حجته : المراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه . وقيل : في حجته على الكفار ؛ لأن هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة .
(٣) لمبد الرزاق ، والحاكم .
(٤) في ب : ضبطت الميم بالفتحة والكسرة وكتب فوقها « معا » .
(٥) لمسلم ، فيه - صفحة ٣١٩ : من ورأى ومن بعدى ، و « من بعد ظهري » بدل « من قفای » صفحة ٣٢٠ .
(٦) ليس في ب .
(٧) في نسيم الرياض : رواه الثقات كابن عجل ؛ فلا وجه لإنكاره . وقد أخرجه البيهقي عن عائشة أيضا . ونقل ابن دحية في كتابه الآيات اليبينات - عن ابن بشكوال - أنه ضعفه لأن في سنده ضعيفا .
(٨) في نسيم الرياض : وهذا مالا شبهة فيه .
(٩) يعني أن الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته - وهو ييلاد الحبشة - فرآه النبي من المدينة وصلى على جنازته .
(١٠) قال السيوطي : إنه لم يجده في كتب الحديث .
(١١) أي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها . قال السيوطي : رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة ، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم ، مرسلًا . وقال في نسيم الرياض : والمعروف أن جبريل عليه السلام أعلمه بحقيقة القبلة ، وأراه سمتها ؛ لا أنه رفع له الكعبة حتى رآها . وبهذا جاءت الآثار .

وقد حُكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحدَ عشر نجمًا ^(١) .
وهذه كلها محمولة على رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .
وذهب بعضهم إلى ردّها ^(٢) إلى العلم ، والظواهرُ تُخالفه ^(٣) ، ولا إحالة ^(٤)
في ذلك ، وهى ^(٥) من خواصّ الأنبياء وخِصّالهم ، كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
العدّل من كتابه؛ حدثنا أبو الحسن المقرئ الفَرَّغَانِيّ، حدثنا أمّ القاسم بنت أبي بكر ^(٦)
عن أبيها، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحَسَنِيّ، حدثنا محمد بن محمد بن سَعِيد،
حدثنا محمد بن أحمد بن سُلَيْمان، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همام ^(٧) ، قال :
حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثّاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ قال : لما تَجَلَّى ^(٨) الله لموسى عليه السلام كان يُبَصِّرُ النملةَ على الصفا ^(٩)
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ^(١٠) : ولا يبعدُ على هذا أن يختصّ نبيُّنا بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والخطوة ^(١١) بما رأى من آيات ربّه الكبرى .

-
- (١) قال السيوطي : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .
(٢) إلى ردّها : أى إلى تأويل الرؤية بالعلم وصرّفها عن ظاهرها .
(٣) والظواهر تخالفه : أى ظاهر العبارة يخالفه ، ولا مقتضى لصرّفها عن الظاهر .
(٤) ولا إحالة في ذلك : أى ليس في حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لأجله .
(٥) وهى : أى قوة البصر والحواس . (٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلّاباذى .
(٧) فى ب : هانىء ، وعليها علامة الصحة . وفى هامشه : كانت فى الأصل همام كما كتبت .
وهو هانىء بن يحيى . وقال الشهاب (١ - ٤٧٢) : ولفظ همام وقع فى كثير من النسخ .
والصواب هانىء كما أصلح .

- (٨) التجلى هنا : الظهور بلا كيف . (٩) الصفا : الحجر الصلد الأملس .
(١٠) فى نسيم الرياض (١ - ٤٧٣) : تحقيقه أن الله تعالى لما قرّبه حتى سمع كلامه حصل
له قوة روحانية ، واتصل به نور إلهى أثر فى روحه الحيوانية ، وزاد فى نورها الذى بانّشاره
فى البدن يحصل الإدراك ؛ فأدرك بذلك إدراكا خارقا للعادة .
(١١) الخطوة : زيادة القرب مع المحبة .

وقد جاءت الأخبار^(١) بأنه صرَّع رُكَّانُهُ أَشَدَّ أَهْلٍ وَقْتَهُ، وَكَانَ دَعَاةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَصَارَعَ أَبَا رُكَّانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدًا، وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ بِصِرْعِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو هريرة : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْيِهِ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنْ أَلْنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ^(٢).
وفي صفته أَنْ ضَحِكَه كَانَ تَبَسُّمًا، إِذَا التَفَتَ التَّفَتَ مَعًا^(٣)، وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقْلَمًا^(٤) كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٥).

فصل

وَأَمَّا فَصَاحَةُ اللِّسَانِ، وَبَلَاغَةُ الْقَوْلِ، فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ بِالْحُلِّ الْأَفْضَلِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، سَلَاةَ طَبِيعٍ، وَبَرَاةَ مَنَزَعٍ^(٦)،

(١) هذا إثبات لتفوقه على غيره في قوته البدنية بعدما أثبت قوة إدراكه صلى الله عليه وسلم والخبر في سنن الترمذي : ٤ - ٢٧٤

(٢) مكترث : الأكثر : المبالاة والاعتناء بالأمر ؛ أي إنا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه، وهو - صلى الله عليه وسلم - مستريح لا يرى به مشقة . أو إنا نبذل وسعنا وطاقتنا ، وهو غير مبال بمشيه .

(٣) التفت معاً : أي يقبل جميعاً ويدبر جميعاً . ومعنى « معاً » بجميعة .

(٤) تقلماً : المراد أنه - صلى الله عليه وسلم - يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا من غير مقارنة للخطى ؛ فإنه مشى النساء والمختالين .

(٥) ينحط من صلب : ينحدر من موضع مرتفع . والحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٥٩٨

(٦) السلاسة : السهولة ؛ أي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة من غير تكاف .

والبراعة : من برع الرجل ؛ إذا فاق غيره، وكثيرا ما تستعمل بمعنى الفصاحة . والمنزع - بفتح الميم والزاي : المأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره . والمراد أصله ومقره، يعني إنه صلى الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم هم أفصح الناس .

وإيجاز مَقَطْع^(١) ، ونَصَاعَة أَفْظ ، وجزالة قول^(٢) ، وصحّة مَعَانٍ ، وقلة تكلف ،
أوتى جوامع الكلم ، وخُصَّ بیدائع الحِكم^(٣) ، وعلم السنة العرب^(٤) ، يخاطبُ
كلّ أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزَع بلاغتها^(٥) ، حتى كان كثير
من أصحابه يسألونه في غير موطن^(٦) عن شرح كلامه وتفسير قوله .

ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك ونمته ؛ وليس كلامه مع قريش والأنصار ،
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعَار الهَمْدَانِي^(٧) ، وطهفة النهدي^(٨) ،
وقطن بن حارثة المَلَمِي^(٩) ، والأشعث بن قيس^(١٠) ، ووائل بن حُجر

(١) الإيجاز : التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل . مقطع : أى موجز في محل القطع والفصل
للأمور . أى ومقطعا موجزا ، من أوجز : أتى بكلام قلت مبانيه وكثرت معانيه .

(٢) النصاعة : الخالص والوضوح ؛ أى إن لفظه خالص من كل بشاعة ، وواضح لكل أحد
لخاطبته كل واحد على قدر عقله وبلغته . والجزالة : القوة والإتيان .

(٣) أوتى جوامع الكلم : آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني . وقيل
للمراد القرآن والحديث .

وخص بیدائع الحكم : أى خص النبي بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق إليها .

(٤) السنة العرب : لغاتهم . (٥) يباريها : يعارضها ويباريها .

(٦) في غير موطن : أى في مواطن كثيرة . وفي أعلى كلمة « أصحابه » علامة الصحة ،
وكتب أمامها في الهامش : الصحابة : وعليها صح .

(٧) ذو المشعَار وفد على النبي مرجه من تبوك ، وكتب له النبي كتابا سيأتي بعد قليل .
وفي ١ : المشعَار - بالعين المهملة والنيق المعجمة وكتب فوقها « معا » .

(٨) طهفة النهدي : هو خطيب نهد ووافدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما
قدمت عليه وفود العرب .

(٩) هو صحابي قدم على النبي وافدا لقومه ، فكتب له كتابا . والكتاب في نسيم
الرياض : ١ - ٤٨٢

(١٠) الأشعث بن قيس وفد على رسول الله سنة عشر في ستين راكباً ، فأسلموا ورجعوا
إلى اليمن وله قصة مع أبي بكر في نسيم الرياض : ١ - ٤٨٣

السِّكِنْدِي^(١) ، وغيرهم من أقبال^(٢) حَضْرَمَوْت وملك اليمن .

وانظر كتابه إلى همدان^(٣) : إن لكم فِرَاعَهَا ووَهاطَهَا وعَزَاها^(٤) ، تأكلون عِلَافَهَا^(٥) وترْعَوْنَ عَفَاءَهَا^(٦) ، لنا مِنْ دِفْنِهِمْ وصِرَامِهِمْ ماسلَمُوا بالميثاق والأمانة^(٧) ، ولهم من الصَّدَقَةِ الثُّلُبُ والثَّابُ والفَصِيل^(٨) ، والفارض والدَّاجِن^(٩) ،

(١) وائل بن حجر : من أقبال حضرموت ، وأبوه ملك من ملوكهم . وفد على رسول الله مسلما . وقد بشر الرسول أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام . وقد كتب له رسول الله كتابا - وهو في ١ - ٤٨٤ من نسيم الرياض .

(٢) الأقبال : جمع قيل ؛ وهو الملك من ملوك حمير واليمن .

(٣) كتبه النبي لما وفد عليه ذو الشمار الهمداني ، وارجع إليه في الفائق : ٣ - ٩٤ ، إن شئت .

(٤) فِرَاعَهَا : ما ارتفع من الأرض من مرتفعات البقاع أو أعالي الجبال - يعني أن النبي أقطعهم ذلك . ووَهاطها : ماسفل وانخفض من الأرض . وعَزَاها : ما اشتد وصلب من الأرض مما لا ملك لأحد عليه .

(٥) عِلَافُهَا : جمع عاف ، وهو ما تأكله الماشية .

(٦) عَفَاءُهَا : ما ليس لأحد فيه ملك ولا أثر .

(٧) الدَفْءُ : المراد الإبل والذئب . والصرام : جمع صرمة ؛ وهي القطعة من النخل ، ويجوز أن يكون التمر نفسه ، لأنه يصرم من النخل ؛ أي يجذ ويقطع . ماسلَمُوا : ما داموا يعطون من الزكاة المفروضة .

(٨) المراد بالصدقة : الزكاة . والثاب : الجمل المسن الهرم الذي سقطت أسنانه . والثاب : مثل الثاب إلا أنه مخصوص بالذوق الإناث . والفصيل : ولد الناقة الصغير الذي فعل عن رضاع أمه .

(٩) الفارض والداجن . الفارض : البقرة المسنة . والداجن : الذي يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للرعى ولا يعالج للعمل والحمل . والمعنى أن ما ذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم .

والكَبَشُ الحَوَرِي^(١) وعليهم فيها الصالح والقارح^(٢).

وقوله لنَهْد^(٣) : اللهم بَارِكْ لَهُمْ فِي مُحَضِّهَا وَنَحْضِهَا وَمَذْقِهَا^(٤) ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثَرِ^(٥) ، وَافْجِرْ لَهُ الثَّمَدَ^(٦) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا^(٧) ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعُ الْمَلِكِ^(٨) ، لَا تَنْطِطُ فِي الزَّكَاةِ^(٩) ،

(١) الكَبَشُ : الذكر الكبير من الغنم الذي يقودها غالباً . والحورى : المراد الكبير من الغنم ؛ وهو لا يؤخذ في الصدقة لكونه أنفسها ، ولأنه مما يحتاج إليه للضراب ، وفي : الحواري - بضم الحاء وتشديد الواو . والحواري : الأبيض .

(٢) الصالح : هو من البقر والغنم : ما كمل وانتهى سنه في السنة السادسة . والقارح : الفرس الذي دخل في الخامسة .

(٣) هذا إشارة إلى ما قاله النبي لطفة النهدي السابق ذكره حين وفد على النبي وشكا له ما أصاب قومه من القحط .

(٤) المحض : الخالص . والمحض : أصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن حتى يتميز زبدته فيؤخذ منه . والمذق : أصل معناه الخلط والزج ، ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء . يدعو لهم الرسول بأن يبارك الله لهم في ألبانهم بأقسامها : ما كان خالصاً لم يتميز زبدته ، وما ميز منه زبدته ، وما مزج بالماء . وذلك كله كناية عن خصب أرضهم وسمتها ؛ فإن الألبان إنما تكثر بنبات المرعى ، وهو إنما يكون بالمطر ؛ فكأنه قال : اللهم اسق بلادهم ، واجعلها مخصبة ملبنة . (٥) ابعت راعيها في الدثر : ابعت : أرسل . والدثر : الإبل الكثيرة . وقيل : الدثر : الحصب وكثرة النبات .

(٦) وافجر له الثمد : اجر : من تفجير الماء ، وهو جعله جارياً . والتمد : الماء القليل . فالمراد أكثر ما قل من مائه . (٧) كان مخلصاً : أى كان مخلصاً في إيمانه .

(٨) ودائع الشرك : المراد بها المهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة . وقيل : يجوز أن يكون المراد أن ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم . ووضائع الملك : الوضائع : جمع وضيمة - بمعنى موضوعة . والملك - بكسر الميم ؛ أى ما كان يوضع على الأملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين ؛ يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص . (٩) لا تلتط في الزكاة : لا تمنعها .

ولا تُلجِد^(١) في الحياة ، ولا تتناقل عن الصلاة .

وكتب لهم : في الوظيفَةِ الفريضة^(٢) : ولكم الفارضُ والفريش^(٣) ،
وذو العنان الرّكوب^(٤) ، والفَلَوُ^(٥) الضيّس [٢٥] ، لا يُمنع سَرَحُكم ، ولا يُعْضَد
طَلْحُكم ، ولا يُحْبَسُ دَرُّكم^(٦) ما لم تُضْمِرُوا الرِّمَاقَ ، وتأكلوا الرِّبَاقَ^(٧) ،
مَنْ أَقْرَ فَله الوفاء بالمعهد والذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَى فعليه الرِّبَوَةُ^(٨) .
ومن كتابه لوائيل بن حُجْر^(٩) :

(١) ولا تلجد : أُلجِد إلخادا : جار وعدل عن الحق .

(٢) لهم : لبنى نهد . والوظيفة : المعين في كل يوم ، أو في زمان معين ، من الطعام
وغيره من الرزق . ويطلق على العهد والشرط ، والمراد الأخير ؛ أى كتب لهم في العهد وما
شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم . والفريضة : ما فرض عليهم .
(٣) الفريش : الحديث العهد بالتاج . وقيل : ما لا يطبق حمل الأثقال من الإبل لصفره .
(٤) الركوب : المركوب الذلول . يعنى : لا تؤخذ الزكاة من الفرس المدل لركوب صاحبه ،
وكذا الصغير .

(٥) الفلو : المهر الصغير من الخيل ، لا يؤخذ في الزكاة . والضيس : المهر الصر الركوب
الصعب ، وكأنه كفى به عن صفره .

(٦) سرحكم : السرح : الماشية التي تسرح بالنداء للمرعى . والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع
عن مرعاها . يعضد : يقطع . والطلح : شجر عظام يقال له العضاء . دركم : الدر : اللبّن ،
والمراد به هنا الأنعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه لتحشر إلى المصدق .
وفي ب : سرحكم - بالجيم .

(٧) تضمروا : تخفوا وتسكتوا . الرماق : النفاق . والرباق : المراد اليهود . والمعنى : إن
هذا أمر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجموا عن الإسلام ، فإذا كان كذلك فعليكم ما طي
غيركم من الكفرة ؛ فالمراد ما لم تضمروا النفاق ، ثم تظهروا نقض العهد . وفي ب : الإرماق .
وفي الفائق : وروى : الرماق ، والمراد النفاق .

(٨) هذا في أ ، ب . أى يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له .

(٩) ارجع إليه - إن شئت - في الفائق : ١ - ٤

إلى الأقبال العبايلة، والأزواع للشايب^(١).

وفيه^(٢) : في التيممة شاة ، لا مقورة الألياط ، ولا ضناك^(٣) ، وأنطوا الشبجة^(٤) ، وفي السيوب الخمس^(٥) . ومن زنى مم^(٦) بكر فاصعقوه مائة^(٧) ، واستوفضوه عاما^(٨) ، ومن زنى مم^(٩) نيب فضر جوه بالأصاميم^(٩) ، ولا توصيم في الدين^(١٠) ، ولا عمة في فرائض الله^(١١) ، وكل مسكر حرام . ووائل بن حنجر يترفل على الأقبال^(١٢).

(١) الأقبال : الملوك . العبايلة : للقرون على ما حكمهم ، فلم يزالوا عنه . والأزواع : السادة الزهر الألوان الحسان الوجوه . وقيل : هم الذين يروعون الناس ؛ أى يمجبونهم لمنظرهم وجمالهم وهياتهم . والشايب : جمع مشبوب ، وهو الحسن الأزهر اللون .

(٢) وفيه : في هذا الكتاب .

(٣) التيممة : الأربعون من النعم ، وقيل : الخمس من الإبل . وقيل : هى أدنى ما تجب فيه الصدقة من النعم والإبل . مقورة الألياط : مقورة : مسترخية الجلد من الهزال ؛ فلا تؤخذ في الصدقة لردائها . والمقورة : السمينة أيضا ؛ وهذه لا تؤخذ أيضا لأنها أعلى ؛ والمأمور بأخذه الوسط . والألياط : جمع ليط - بكسر اللام ؛ وهو قشر العود ، والمراد الجلد . ولا ضناك : الضناك : الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .

(٤) أنطوا : أعطوا - لنة لأهل اليمن ، أو لبنى سعد . الشبجة : الوسط .

(٥) السيوب : جمع سيب ؛ وهو الركاز ، وهو المال المدفون الجاهلى .

(٦) مم : من . (٧) فاصعقوه : فاضربوه . (٨) واستوفضوه : انقوه .

(٩) فضر جوه بالأصاميم : أى ارجوه حتى يسيل دمه ويقتل . والأصاميم : الحجارة ، واحدها إصامة ، أو أضوم .

(١٠) ولا توصيم : التوصيم : من الوصم ؛ وهو العار والعيب ؛ أى لا كبر ، ولا عيب ، ولا عار ، ولا كسل في إقامة حدود الله ؛ فلا تحابوا فيها .

(١١) ولا عمة في فرائض الله : أى لا تخفى ولا تبتز فرائض تعالى ؛ بل تظهر ويجهز بها .

(١٢) يترفل على الأقبال : أصل الترفل : تطويل الرءاء والثوب ، وهو كناية عن جملة رئيسا عليهم محكما فيهم وفي أخذ صدقاتهم ؛ أى جملة النبي وآل على أمورهم وقبض صدقاتهم .

أينَ هذا من كتابه لأنس في الصدقة^(١) المشهور . لما كان كلامُ هؤلاء على هذا الحدِّ ، وبلاغتهم على هذا النمط^(٢) ، وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعمالها معهم ، ليُبينَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ، وليحدِّثَ الناس بما يعلمون .
وكقوله في حديث عطية السَّعْدِي^(٣) : فإنَّ اليدَ العليا هي المُنْطِية^(٤) واليدُ السفلى هي المُنْطَاة .

قال^(٥) : فكلمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلُغَتنا .
وقوله في حديث العامري^(٦) حين سألَه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : سلْ عنك . أى سلْ عَمَّ شئتَ ، وهى لغةُ بنى عامر .
وأما كلامُه المعتاد ، وفصاحتهُ العلوية ، وجوامعُ كَلِمِهِ ، وحِكْمُهُ الماثورة - فقد ألَّفَ الناسُ فيها الدواوين وُجِّعت في ألفاظها ومعانيها الكتبُ ، وفيها ما لا يُوازى^(٧) فصاحةً ، ولا يُبَارَى بلاغةً^(٨) ؛ كقوله : المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهُم^(٩) ، ويسعى بذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ^(١٠) ، وهم يدُّ على مَنْ سِوَاهُمْ^(١١) .

(١) انظر هذا الكتاب في شرح الخفاجى : ١ - ٥٠٢ إن شئت . (٢) النمط : الطريقة .
(٣) قدم على رسول الله في ناس من بنى سعد ، وهو أصغرهم ، خلفوه فى رحالهم ، فأمرهم الرسول أن يبعثوا إليه ، فاتاه ، فلما رآه قال : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا ، فإنَّ اليد ...
وارجع إلى هذا القول فى الفائق : ٣ - ١٠٣ ، وقال : هذه لغة سعد .

(٤) المنطية : المعطية . والمنطاة : المعطاة . (٥) قال : أى عطية السعدى .
(٦) هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل . (٧) يوازى : يماثل ، ويقابل .
(٨) لا يبارى : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(٩) تتكافأ دِمَاؤُهُم : التماثل ؛ أى هم متساوون فى القصاص والدية ؛ فشریفهم ومشروفهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وفقيرهم وغنيهم ، وأميرهم وسوقتهم سواء .
(١٠) يسعى بذمتهم أدناهم : المراد بالذمة العهد والأمان ؛ وأدناهم : أقلهم مقدارا ؛ أى إذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين ، لا يجوز نقضه لأحد منهم . (١١) وهم يد على من سواهم : معناه أنهم مجتمعون على أعدائهم ، يعاون بعضهم بعضا ؛ أى هم مستولون قاهرون لغيرهم .

وقوله : الناس كَأَسنان المشط^(١) . والمرء مع مَنْ أَحَبَّ^(٢) . ولا خير في صُحبة مَنْ لَا يرى لك مَا ترى له^(٣) . والناسُ مَعَادَن^(٤) . وما هلك امرؤُا عرف قَدْرَه^(٥) . والمستشار مُؤْتَمَن ، وهو بالخيارِ مَا لم يتسكَّم^(٦) . وَرَحِمَ اللهُ عبدا قال خيرا فغَنِمَ أو سكت فسَلِمَ .

وقوله : أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ^(٧) . وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ

(١) هذا مثل في تساويهم في الأحكام الشرعية . أو المراد تساويهم في الأنساب ، فإنهم كلهم أولاد آدم . والليم من كلمة « المشط » ضبطت في ب بالكسرة والضمة ، وعليها « معا » .
(٢) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أنس . وللرء مع مَنْ أَحَبَّ ، والمراد أنه معه في الحشر ومنازل الآخرة ، فيرتقى من منزلته لمنزلهم بسبب خلوص المحبة . والحديث في مسلم : ٢٠٣٤ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٥٩٥

(٣) حديث رواه ابن عدى في الكامل بسند ضعيف ، كما قال السيوطى في تخريجه .
(٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة . والمعادن : جمع معدن : منبت الذهب والفضة ونحوه ، ويطلق على مكان كل شيء فيه أصله ، وعلى كل أصل ، وعلى بيوت العرب . والحديث في مسلم : ١٩٥٨ . ويعنى صلى الله عليه وسلم بذلك أن بنى آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفا أعقب مثله ، وسرى طيب عرقه لفرعه ؛ ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ، ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا .

(٥) قال السيوطى : قال السمعاني : إنه حديث روى مسندا عن علي . وفي سننه من لا يعرف حاله .

(٦) وهو بالخيار ما لم يتسكَّم : معناه أنه مخير إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ، وإن شاء سكت ولم يتسكَّم . فإذا تسكَّم لزمه بيان رأيه ونصحه ، وذكر الصواب عنده . وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود .

(٧) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم . والكتاب في نسيم الرياض : ١ - ٥١١ . وفي صحيح مسلم : ١٣٩٤ ، والبخارى :

وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَحْسِنَ كُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطُونُونَ أَكْنَافًا ^(١) الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤَلَّفُونَ ^(٢) .

وقوله : لعله ^(٣) كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبخل بما لا يُعنيه .

وقوله ^(٤) : ذُو الْوَجْهَيْنِ لا يكون عند الله وجيهًا .

وسهيه ^(٥) عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات ^(٦) ، ووَاد البنات ^(٧) .

(١) هذا الحديث رواه الترمذی عن ابن مسعود : سنن الترمذی : ٤-٣٧٥ ، والموطون : الموطأ : من فيه لين ورفق وسهولة . والآكفاف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية ؛ أى من يلين جانبه لغيره .

(٢) أى الذين يألفهم الناس ويألفونهم . (٣) هذا حديث صحيح روى من طرق . والضمير فى « لعله » راجع لرجل مذكور فى أول الحديث : إن رجلاً من الصحابة استشهد بأحد ، فقالت أمه : يا بنى ، ليهنك الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : ما يدريك لعله . . . ويعنيه : يهمله وينفقه .

(٤) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار . وانظر سنن أبى داود : ٢ - ١٩٣ . والوجيه : الذى له قدر ومنزلة .

(٥) هذا حديث صحيح رواه الشيخان ، عن مغيرة بن سهم . والحديث فى مسلم : ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، وقيل وقال : مصدران بمعنى القول ، أو فعلان أحدهما مبنى للمجهول والآخر غير مجهول . ومعناه : النهى عن كثرة الكلام لما يؤول إليه من الخطأ . وكثرة السؤال : أى سؤال الناس ما بأيديهم استمطاء . أو السؤال عن أخبار الناس وأحوالهم . ومنع : المراد منع بذل ما يجب أو يستحسن . وهات : أى طلب ما عند غيره وسؤاله . والضبط المثبت فى ١ . وفى ب : قيل وقال - بفتح لامها .

(٦) العقوق : مخالفة الوالدين وإيذاؤهم ، وخس الأمهات مع أن عقوق الوالدين من الكبائر ؛ لأنهن أكثر حقاً ، وأشد شفقة على الولد . . . والضبط المثبت فى ب . وفى ١ : ومنع وهات - بكسرة واحدة فيهما .

(٧) الواد : دفن البنات فى حياتهن .

وقوله : اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ^(١) .

[وقوله] ^(٢) : وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا ^(٣) .

وقوله : أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ يَفِيضُكَ يَوْمًا ^(٤) ما .

وقوله : الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) .

وقوله في بعض دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتُلْئِمُ بِهَا شَعْمِي ^(٦) ، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ^(٧) ، وَتَزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلْهِمَنِي بِهَا رُشْدِي ^(٨) ، وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتْنِي ^(٩) ، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

(١) خالق الناس : عاشرهم ، وخالطهم وعاملهم .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن أبي ذر (سنن الترمذي : ٤-٣٥٥) .

(٢) من ب .

(٣) هذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم . وابن جرير في تفسيره ، عن مطرف بن عبد الله ، وكذا أخرجه البيهقي بلا سند ، وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الهون : من هان عليه الشيء : خف وسهل . أرشد النبي التحابين إلى الاقتصاد في المحبة وعدم البالغة فيها ، وأن يكونوا في ذلك على قدر متوسط ، فإن خير الأمور الوسط .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب . والترمذي عن أبي هريرة وقال الترمذي : الأصح أنه موقوف على علي . (سنن الترمذي : ٤ - ٣٦٠) .

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري : ٣ - ١٦٠ ، والترمذي : ٤ - ٣٧٧ .

(٦) الشعث : انتشار الأمر . أي تجمع ما تشعث وتفرق من أمري .

(٧) غائبي : باطني ، أو ماخفي من أموري ، أو قلبي . شاهدي : ظاهري . ومعنى زكيت : أي تجمعها عالية رفيعة بالأعمال الصالحة ، والصفات الحسنة .

(٨) الرشد : السداد والاستقامة .

(٩) ترد بها ألقى : ترد وتعيد وترجع ألقى إلى ما كانت عليه . والمراد عشيرته وأقرباؤه

وأهل جلدته ، فدعا الله أن يؤلفهم ويهديهم إلى الإسلام .

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء ^(١) ، ونزُلَ الشهداء ^(٢) ، وعيشَ السعداء ، والنصرَ على الأعداء ^(٣) .

إلى ما رَوَتْهُ الكُفَّةُ عن الكُفَّةِ من مقاماته ^(٤) ، ومُحاضراته ، وخطبه ، وأدعيته ، ومحاطباته وعهوده ، مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة ^(٥) لا يُقاس بها غيره ، وحاز فيها سبقاً لا يُقدَّر قدره ^(٦) .

وقد جمعتُ من كلماته التي لم يسبق إليها ، ولا قدَّر أحدٌ أن يُفْرِغ في قلبه ^(٧) [٢٦] عليها ؛ كقوله : حَيِّ الْوَطِيس ^(٨) . ومات حَتَفَ أَنْفَه ^(٩) . ولا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ من جُحْرِ مرتين ^(١٠) . والسعيد مَنْ وَعِظَ بغيره . . . في أخواتها مما يُدْرِك الناظر

(١) الفوز : النجاة : سأل الله النجاة من كل سوء ؛ أى مما قضيته وقدرته على من البلاء .
(٢) ونزل الشهداء : النزول : اسم لما يمد للضيف إذا نزل ، من القرى والكرامة . وضبطت الزاى فى بالسكون ، وفى ب : بالسكون والضم .

(٣) تمام هذا الدعاء فى نسيم الرياض : ١ - ٥٢٢

(٤) المقامات : جمع مقامة : اسم لمكان القيام ، وتوسعوا فيه فاستعملوه لمطلق المكان ، وزادوا فى التوسع حتى سمو به السلام الصادر فيه « مقامة » . فالمراد به السلام الصادر منه فى مجالسه ، وخطاب أمته فى حال حكمه ، وحروبه .

(٥) فى ب : مرقبة - بالقاف . وفى هامشه : كذا وقع بالقاف ؛ وصوابه بالتاء . وقال : المرقبة : الوضع المشرف العالى . (٦) قدره : مقداره . أى سبق كثير لا يلحقه فيه أحد .
(٧) القالب : ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر ليصاغ ، والمراد بالقالب هنا الالفاظ ، لأنها قوالب المعانى . عليها : على هيئتها .

(٨) حى : اتقد . الوطيس : التور ، أو شئ يشبهه .

(٩) مات حَتَفَ أَنْفَه : الحَتَف : الهلاك . والمعنى أنه مات من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه - على فراشه ، كأنه سقط على أنفه فمات . وهذا بعض حديث رواه عبد الله بن عتيك .

(١٠) هذا حديث صحيح رواه أبوهريرة ، يعنى أن المؤمن النطق لا ينخدع مرة بعد مرة (سنن ابن ماجه : ١٣١٨) .

العَجَبُ فِي مُضَمَّنِهَا^(١)، ويذهبُ به الفِكرُ في أداني^(٢) حِكْمِهَا .

وقد قال له أصحابه : ما رأينا الذي هو أفصح^(٣) منك . فقال : وما يَمْنَعُنِي ؟
ولمَّا أُزِيلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي ، لِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .

وقال مرة أخرى^(٤) : بَيِّدَ أَنِي^(٥) من قريش ، ونشأتُ في بني سَعْدِ ؛ فَجُمِعَ له
بذلك - صلى الله عليه وسلم - قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَائِلِهَا^(٦) ، وَنَصَاءَةُ الْفَاطِ
الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا ، إِلَى التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ^(٧) الَّذِي مَدَدَهُ الْوَحْيُ الَّذِي لَا يُحِيطُ
بِعِلْمِهِ بِشَرِّ^(٨) .

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبُدٍ^(٩) فِي وَصْفِهَا لَهُ :

(١) مضمنا : ما تضمنته من المعاني والتراكيب البديعة . وفي ١ : ضبطت الليم بشدة
مكسورة .

(٢) في أداني : في أقل ما تضمنته من الحكم .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان مسندا .

(٤) قال السيوطي : هذا الحديث أورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد .

(٥) بيد : غير .

(٦) العارضة : التجلد والقدرة على الكلام . والجزالة : يقال كلام جزل ؛ أى قوى شديد ؛
أى حلاوة كلام أهل البادية .

(٧) النصاعة : الخلوص . والمراد خلوصها من التعقيد والفرابة والوحشية . والرونق :
البهاء والحسن . وفي هامش إمامها : وفصاحة ألفاظ .

فكلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنمهم ، وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف ؛ فجمع
كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموماً ذلك إلى التأييد الإلهي .

(٨) بشرى : أى إنسان ؛ منسوب إلى البشر ، وهم بنو آدم .

(٩) أم معبد : كانت تنزل بين مكة وجبالها ، فنزل عليها النبي صلى الله عليها وسلم وأبو بكر
رضي الله عنه لما هاجرا فقدمت لهما القرى ، فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له . وحديث

أم معبد في الفائق : ١ - ٧٦

حُلُوُّ المنطق ، فَصْلٌ لَا تَزُرُ وَلَا هَذَرٌ ^(١) ، كَأَنَّ مِنْطَقَهُ خَرَزَاتٌ تُظَلِّجْنَ ^(٢) . وَكَانَ جَهْدُ الصَّوْتِ ، حَسَنَ النِّعْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

فصل

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَأُهُ فَعَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانِ مُشْكِلٍ وَلَا خَفِيِّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نُجْبَةٌ بَنَى هَاشِمٌ ، وَسُلَالَةُ قُرَيْشٍ وَصَمِيمُهَا ^(٤) ، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ ^(٥) ، وَأَعَزَّمُ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ^(٦) ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ ^(٧) عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

حَدَّثَنَا قَاضِي الْقَضَاءِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ : [قَالُوا] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ [قَالَ] ^(٨) : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَنَّ رَسُولَ

(١) فصل: أى فاصل بين الحق والباطل . نزر : قليل لا يفهم . والهدر : الهديان ، وضبطت الدال في ا ، ب بالفتح .

والهدر - بالسكون : مقابل للنذر ، أى ولا كثير فيعمل . وهو الضبط في الفائق .

(٢) منطق : ما ينطق به . خرزات نظمن : أى متناسبة ، لها رونق كالعقد للنظام .

(٣) جهر الصوت : عالى الصوت ، ليس فيه خفاء ولا تكسر .

(٤) النجبة : المختار . والصميم : الخالص .

(٥) في ب : وأفضل العرب . وفي ا : وأشرف ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه

أمامها : وأفضل .

(٦) تقرا : قوما . وفي ب : وأعزها .

(٧) هذا في ا . وفي ب : أكرم . . . وفي هامشه : بخ : من .

(٨) من ب .

الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَرْنَا ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ ^(١) .

وعن ^(٢) العباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، مِنْ خَيْرِ قَرَنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ ^(٣) الْقَبَائِلَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ لَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ ^(٤) نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا ^(٥) .

وعن وائلة بن الأسقع ، قال ^(٦) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .
قال الترمذى ^(٧) : وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ :

وَفِي حَدِيثٍ عَنْ ابْنِ عُمر ، رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ ^(٨) ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ [مِنْهُمْ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ] ^(٩) بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ .

(١) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ انْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِهِ (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥-٣ ، ٤-٢٢٩) .
وَالْقَرْنُ : مَقْدَارٌ مِنَ الزَّمَانِ ، وَيَطْلُقُ عَلَى أَهْلِهِ . أَرَادَ تَقْلِبَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مُسْنَدًا فِي دَلَالَتِهِ . وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ . (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥-٥٨٤) .
(٣) تَخَيَّرَ : اخْتَارَ . (٤) نَفْسًا : رُوحًا وَذَاتًا .

(٥) وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا : أَيُّ حَسَبًا وَشَرَفًا وَأَصْلًا .

(٦) صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٧٨٢ ، وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥-٥٨٣ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

(٧) إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ ؛ أَيُّ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ وَيُوجِدَهُمْ ، فَلَمَّا أَوْجَدَهُمْ تَخَيَّرَهُمْ .

(٨) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِيهِ .

وعن ابن عباس ^(١) : إِنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَى عَامٍ ، يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ ، وَتُسَبِّحُ لِلْمَلَائِكَةِ بِتَسْبِيحِهِ ^(٢) ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَلْقَى ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَهْبِطْنِي اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ ، وَقَذَفَنِي فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ؛ ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ ^(٣) الْكَرِيمَةِ وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ^(٤) ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِ أَبِي بَكْرٍ ^(٥) لَمْ يَلْتَقِ عَلَى سِفَاحِ قَطِّ ^(٦) .

ويشهد لصحة ^(٧) هذا الخبر شعْرُ العباس في مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشهور ^(٨) .

فصل

[٢٧] وَأَمَّا مَا تَدْعُو زُرُورَةَ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مِمَّا فَصَلْنَاهُ فَعَلَى ثَلَاثَةِ ضُرُوبٍ ^(٩) : ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قِلَّتِهِ ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ . فَأَمَّا مَا التَّمَدُّحُ وَالْكَامِلُ بِتَلَّتِهِ اتِّفَاقًا ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، عَادَةً وَشَرِيعَةً ، كَالْغَدَاءِ وَالنَّوْمِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحِكْمَةُ تَتِمَّادَحُ ^(١٠) بِقِلَّتِهِمَا ، وَتَتَدَمُّ بِكَثْرَتِهِمَا ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ

(١) قَالَ السَّيُوطِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَمْرٍو الْعَدَنِيُّ فِي مَسْنَدِهِ .

(٢) بِتَسْبِيحِهِ : بِتَقْدِيسِهِ وَتَنْزِيهِهِ .

(٣) الْأَصْلَابُ : يَعْنِي أَصْلَابُ أَجْدَادِهِ .

(٤) فِي ب : إِلَى الْأَرْحَامِ . وَفِي هَامِشِهِ : خ : وَالْأَرْحَامُ .

(٥) إِخْرَاجِهِ مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِهِ : تَوَلَّدَهُ مِنْهُمَا ، وَخَلَقَهُ مِنْ نَظْفَتِهِمَا .

(٦) السِّفَاحُ : الزَّنَا ؛ أَيْ أَبَوَا النَّبِيِّ - مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَحَوَّاهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَآمَنَهُ .

(٧) فِي ب : بِصَحَّةٍ . (٨) أَوَّلُ هَذَا الشَّعْرِ :

مَنْ قَبْلَهَا طُبْتُ فِي الظَّلَالِ وَفِي مَسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصِفُ الْوَرَقَ
وَسَيَّأَنِي بَعْدَ فِي كَلَامِ الْقَاضِي .

(٩) ضُرُوبٌ : جَمْعُ ضَرْبٍ : قِسْمٌ ، وَنَوْعٌ . (١٠) تَتِمَّادَحُ : تَمْدَحُ بِكَثْرَةٍ . أَوْ تَتَفَاخَرُ .

الأكل والشرب دليلٌ على النهم^(١) والحِرْصُ والشره^(٢)، وغلبةُ الشهوةِ مسببٌ لمَضَارِّ الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدْوَاء^(٣) الجسد وخِثَارَةِ النفس^(٤)، وامْتِلاءُ الدِّماغِ؛ وقِلَّتُهُ دليلٌ على القناعةِ، ومِلْكُ النفسِ؛ وقَمَعُ الشهوةِ^(٥) مسببٌ للصحة، وصفاءُ الخاطر، وحادَّةُ الذَّهْنِ^(٦)، كما أنَّ كثرةَ النومِ دليلٌ على الفُسُولةِ^(٧) والضعفِ؛ وعدمُ الذكاءِ والفطنة، مسببٌ للكسل، وعادةُ العجزِ، وتضييعُ العمرِ في غيرِ نفعٍ، وقساوةُ القلبِ وغفلته ومَوْنُهُ.

والشاهدُ على هذا ما يُعلمُ ضرورةً، ويوجدُ مشاهدةً، ويُنْقَلُ متواتراً^(٨) من كلامِ الأئمِّ المتقدمة، والحكماء السابقين، وأشعارِ العربِ وأخبارِها، وصحيحِ الحديثِ، وآثارِ مَنْ سلفٍ وخلفٍ، مما لا يُحتاجُ إلى الاستشهادِ عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهارِ العلمِ به^(٩).

-
- (١) النهم : الإفراط في شهوة الطعام .
 (٢) الشره : الحرص على الأكل والشرب .
 (٣) أدواء : جمع داء ، وهو المرض .
 (٤) خِثَارَةُ النفس : ثقلها وعدم نشاطها . وقد ضبطت الخاء في ا ، ب : بالفتح . وفي هامش ب ، خثرت نفسه - بالفتح : اختلطت .
 (٥) قمع الشهوة : القمع : القهر ؛ أى قهر شهوته ، وغلبتها حتى لا تخالفه .
 (٦) حدة الذهن : سرعة الفهم .
 (٧) الفسولة : عدم الهمة في أمور الدنيا والآخرة . وفي هامش ب : الفصل من الرجال ، وقد فصل فسلاً وفسولة .

- (٨) أى نقلاً متواتراً متتابعاً ، مرة بعد مرة .
 (٩) كقول الحارث بن كلدة - حكيم العرب : أفضل الدواء الإِزام ؛ أى قلة الأكل . وقول داود : إِيَّاكَ وكثرة النوم فإنه يفكر إذا احتاج الناس إلى أعمالهم . وقول قيس بن ساعدة : ما أفضل الأكل ؟ قال : ترك الإكثار .

ومن الشعر :

قارب فديتك إن أكلت وإن شربت وإن عشتنا
 وأنا الكفيل لك الحياء ة وأن تماغي ماحيتنا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفئتين بالأقل^(١).
هذا ما لا يُدْفَعُ من^(٢) سيرته ، وهو الذى أمر به ، وحَضَّ عليه ، لاسيما بارتباط
أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو على الصَّدَقِى الحافظ بقراءتى عليه ، حدثنا أبو الفضل الأصبهاني ،
حدثنا أبو نُعيم الحافظ ، حدثنا سُلَيْمان بن أحمد ، حدثنا أبو بكر بن سَهْل ، حدثنا
عَبْدُ اللَّهِ بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح - أَنَّ يَحْيَى بن جابر حَدَّثَهُ عن لِقْدَامِ
ابن مَعْدِيكَرِب - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال^(٣) : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا
من بَطْنِهِ^(٤) ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ^(٥) يُقِمُّنُ صُلْبَهُ^(٦) ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ^(٧)
غُثِّلَتْ لَطْعَامُهُ ، وَثُلْثَ لَشْرَابِهِ ، وَثُلْثَ لِنَفْسِهِ^(٨) .

وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ .

قال سفيان الثوري : بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يُتَلَكَّ سَهْرَ اللَّيْلِ .

(١) أخذ من هذين الفئتين ؛ أى النوعين ، وهما الأكل والشرب .

(٢) ما لا يدفع : ما لا يَنَازَعُ فيه .

(٣) هذا الحديث رواه الترمذى ، وابن حبان والحديث صحيح (سنن الترمذى : ٤ - ٥٩٠) .

(٤) فى ب : من بطنه ؛ كما أثبتناه . وفى هامشه : من بطن ، وعليها علامة الصحة .

وفى الترمذى (٤ - ٥٩٠) : من بطن أيضا .

(٥) الكاف من « أَكْلَاتُ » ضبطت بالفتحة والضمّة وعليها « معا » فى ا ، وفى هامشه :

قال الحافظ المزى : الأكلة - بفتح الهمزة : المرة من الأكل ، وبضم الهمزة مع سكون الكاف :
ما يجعل فى الفم ، وجمعه أَكْلَاتُ - بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة . وقد ضبطت الكاف
فى الترمذى بالفتح .

(٦) حسب : كفى . يقمن : يقوين . صابه : عظام سلسلة ظهره .

(٧) لا محالة : لا بد ، ولا حيلة .

(٨) بعد الحديث فى الترمذى : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال بعضُ السَّلَفِ : لا تَأْكُلُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا ، فَتَزُقُوا كَثِيرًا ،
[فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا] ^(١) .

وقد رَوَى عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَقْفٍ ؛
أَي كَثْرَةِ الْأَيْدِي ^(٢) .

وعن عائشة رَضِيَ الله عنها : لَمْ يَمْتَلِ جَوْفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شَيْعًا قَطًّا ،
وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَنْشَهَاهُ ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ ، وَمَا أَطْعَمُوهُ
قَبِلَ ، وَمَا سَتَوَّهُ شَرِبَ ^(٣) .

وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ ^(٤) ، وَقَوْلُهُ : أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؛ إِذْ لَعَلَّ
سَبَبَ سَوَالِهِ ظَنُّهُ صلى الله عليه وسلم اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ ؛ فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ ^(٥) ،
إِذْ رَأَاهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ ^(٦) بِهِ ، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ
ظَنُّهُ ^(٧) ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِتَوَلُّهِ : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ .

(١) ليس في ١ .

(٢) قَالَ السَّيُوطِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو يَعْنَى عَنْ أَنَسٍ وَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

(٣) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (١ - ٥٥٠) : وَهَذَا كَانَ غَالِبَ حَالِهِ ، فَلَا يَنَافِي مَا وَقَعَ لَهُ نَادِرًا
عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى طَبْعِهِ .

(٤) مَوْلَاةُ عَائِشَةَ . وَحَدِيثُهَا هَذَا أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ ، وَرَوَاهُ الشَّيْخَانُ ، وَفِيهِ :
وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْبُرْمَةَ تَفُورٌ بِاللَّحْمِ ، فَتَرَبَّعُوا لَهُ خَبْرًا وَإِدَامًا مِنْ إِدَامِ الْبَيْتِ ،
فَقَالَ : أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؟ فَقَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ هُوَ لَحْمٌ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ ،
وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ هَذَا اللَّحْمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ .
وَالْبُرْمَةُ : قَدْرٌ يَنْحَتُ مِنَ الْحَجَارَةِ . وَقِيلَ أَعْرَجٌ مِنْ ذَلِكَ فَيَشْمَلُ النِّحَاسَ وَالْحَدِيدَ وَغَيْرَهُمَا .
وَارْجِعْ إِلَى صَحِيحِ مُسْلِمَ : (١١٤٤ ، وَشَوَّاطُ : ٥٦٢ ، وَابْنُ خَرَّازٍ : ٧ - ٦١) .

(٥) سُنَّتُهُ : أَي طَرِيقَتُهُ الْمَشْرُوعَةُ لَهُ ، وَهِيَ جَوَازُ أَكْلِ الْهَدِيَّةِ ، وَإِنْ كَانَتْ صَدَقَةً .

(٦) لَا يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ بِهِ : لَا يَخْصُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَقْدِمُونَهَا عَلَى النَّبِيِّ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ .

(٧) أَي صَدَقَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ .

وفي حِكْمَةِ نُفْهَان : يا بني ، إذا امتلأت المَعِدَّة نامت الفِكرَةُ ، وخرست الحِكمةُ ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال سُحُنُون^(١) : لا يَصْلُحُ العِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ .

وفي صحيح الحديث^(٢) قوله صلى الله عليه وسلم : أما أنا فلا آكلُ مَتَكِثًا .
والانكسار : هو التمسك للأكُل ، والتَّعَدُّدُ^(٣) في الجلوس له كالمترتيع ، وشبهه مِنْ تَمَكَّنَ الجلسات التي يعتمدُ فيها الجالسُ على ماتِحَتِهِ [٢٨] : والجالسُ على هذه الهيئة يستدعى الأَكْلَ ويستَكْثِرُ منه .

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوسَ المُسْتَوْفِزِ مُقْعِيًّا^(٤) ، ويقول : [إنما]^(٥) أنا عبدٌ آكُلُ كما يأكل العبدُ ، وأجلس كما يجلس العبدُ^(٦) .
وليس معنى الحديث في الانكسار الميلُ على شِقِّ عند المحققين .

(١) سحنون : فقيه مالكي . وهذا لقبه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي . انتهت إليه الرئاسة في العلم بالمغرب ، وأدرك مالكا ، ولم يقرأ عليه ، وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك . توفي سنة أربعين ومائتين . وقيل : سنة خمس وأربعين ومائتين .

(٢) سنن ابن ماجه : ١٠٨٦ ، والبخارى : ٧ - ٩٣ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٢٧٣

(٣) التعدد : التثبت والتمسك من القعود .

(٤) المستوفز : الذى لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام . والإقواء : معناه أن يلمص إلى يته بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذه ويلصقهما بصدرة ، وربما يكون مع وضع يده على الأرض ، يشبه جلوس البدوى المصطفى ، أو أن ينصب قدميه واضعا على عقبه إلى يته ضامًا ساقيه وفخذه واضعا ركبتيه على الأرض . وإقواء النبي للأكل كان بإلصاق مقدمه بالأرض ناصبا ساقيه .

(٥) ليس في ١ .

(٦) المعنى أنى لست مخلوقا للعالم وتترفها ، فنظري إنما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره ، فلا ألتفت إليها ؛ وإنما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع ، كالعبد الوكيل بخدمة سيده .

وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا ، شهدت بذلك الآثار الصحيحة ، ومع ذلك فقد قال ^(١) : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .
 وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً ^(٢) على قلة النوم ؛ لأنه ^(٣) على الجانب الأيسر أهناً ^(٤) ، لهدؤ القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذٍ ، لميلها إلى الجانب الأيسر ؛ فيستدعى ^(٥) ذلك الاستئصال فيه والطول ^(٦) .
 وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق ، فأسرع الإفاقة ^(٧) ولم يغمره الاستغراق .

فصل

والضرب الثاني ما يتفق المدح ^(٨) بكثرته ، والفخر بوفوره ^(٩) ، كالنكاح والجاه ^(١٠) : أما النكاح فمتفق فيه ^(١١) شرعاً وعادة ؛ فإنه دليل الكمال ، وصحة الذكورية ^(١٢) ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية .
 وأما في الشرع فسنة مأثورة ؛ وقد قال ابن عباس ^(١٣) : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء - يشير إليه صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن أبي داود : ١ - ٢٠ ، ومسلم : ٥٢٨

(٢) استظهاراً : استمانة .

(٣) لأنه ؛ أى النوم .

(٤) أهناً : أسهل وألذ . وفى ب : أهدأ .

(٥) فيستدعى ذلك : فيقتضى ذلك .

(٦) الاستئصال فيه : ثقل بدنه فى نومه ، وغلبة النوم حتى يستغرق فيه . والطول ؛ أى طول نومه .

(٧) الإفاقة : التيقظ .

(٨) الضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة إليه . وفى ب : التمدح .

(٩) بوفوره : بزيادته .

(١٠) الجاه : علو القدر عند الناس ، والمهابة ، وتقوؤ الكلمة ، والاشتهار بذلك .

(١١) فيه : فى مدحه وثناؤه .

(١٢) صحة الذكورية : قوتها ، وسلامتها من الضعف والآفة .

(١٣) حديث صحيح رواه البخارى (صحيح البخارى : ٧ - ٤)

وقد قال عليه السلام : تَنَاقَحُوا تَنَاسَلُوا ، فَإِنِ مُبَاهٍ ^(١) بَكَمِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ ^(٢) مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ ، وَغَضِّ الْبَصَرِ الَّذِينَ نَبَّهَ
عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله : مَنْ كَانَ ذَا طَوَّلٍ ^(٣) فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ ،
وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ ^(٤) فِي الزَّهْدِ .

قال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : قَدْ حُبِّبَ ^(٥) إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ ؟
وَنَحْوُهُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ .

وقد كَانَ زُهَادُ الصَّحَابَةِ كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي ^(٦) ، كَثِيرِي النِّكَاحِ .
وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَالْحَسَنِ ^(٧) ، وَابْنِ مُعَرٍّ ، وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ .
وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا ^(٨) .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَهَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَا
عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا ^(٩) ؛ فَكَيْفَ يُثْنِي اللَّهُ بِالْعَجْزِ
عَمَّا تَعَدُّهُ فَضِيلَةً ؟

(١) تَنَاقَحُوا : التَّنَاقَحُ : التَّزَوُّجُ . وَالْمُبَاهَاةُ : الْمَفَاخِرَةُ .
وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف . ورواه الطبراني في الأوسط
من حديث سهل بن حنيف .

(٢) الحديث صحيح ، رواه الشيخان : مسلم : ١٠٢٠ ، والبخاري : ٧ - ٥ ، وسنن
النسائي : ٦ - ٤٨ . والتبتل : الانقطاع عن النكاح . وقمع الشهوة : قهرها .

(٣) ذَا طَوَّلٍ : الطول : سعة الرزق واللال بحيث تكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله .
وارجع إلى البخاري : ٧ - ٣ .

(٤) القدح : الطعن ؛ أى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس .

(٥) حُبِّبَ : أى النساء . (٦) السَّرَارِي : جمع سرية ، والسرية : هى الأمة للنكوح .

(٧) الحسن بن علي . (٨) عَزَبًا : ليست له امرأة .

(٩) فى قوله تعالى : « وسيدا وحصورا » - سورة آل عمران ، آية ٣٩

وهذا عيسى عليه السلام تَبَتَّل^(١) عن النساء ، ولو كان كما قررته اَنكَحَ^(٢) ؟
فاعلم أنَّ ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حَصُورٌ ليس كما قال بعضهم :
إنه كان هَيُوباً^(٣) ، أو لا ذَكَرَ له^(٤) ؛ بل قد أنكر هذا حُذَّاقُ المفسرين ونَقَّادُ
العلماء ، وقالوا : هذه نَقِصَةٌ وَعَيْبٌ ، ولا تَلِيقُ بالأنبياء .

وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها ، كأنه حُصِرَ عنها^(٥) .
وقيل : مانعا نفسه من الشَّهَوَاتِ .

وقيل : ليست له شهوةٌ في النساء .

قَدْ بَانَ لَكَ مِنْ هَذَا أَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّكَاحِ نَقْصٌ ، وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا
مَوْجُودَةً ، ثُمَّ قَمْعُهَا^(٦) ؛ إِمَّا بِمُجَاهِدَةٍ ، كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْ بِكَفَايَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،
كِيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا شَاغِلَةً^(٧) فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ حَاطَّةً
إِلَى الدُّنْيَا^(٨) .

ثُمَّ هِيَ^(٩) فِي حَقِّ مَنْ أَقْدَرَ عَلَيْهَا وَمُلِّكَهَا وَقَامَ بِالْوَجِبِ فِيهَا^(١٠) ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ
عَنْ رَبِّهِ - دَرَجَةٌ عُلْيَا ، وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ
عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ؛ بَلْ زَادَتْ ذَلِكَ عِبَادَةً ، لِتَحْصِينَ^(١١) ، وَقِيَامِهِ بِحَقُوقِهِنَّ ، وَاكْتِسَابِهِ
لَهُنَّ ، وَهَدَايَتِهِ إِيَّاهُنَّ ؛ بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حَظُوظِ [٢٩] دُنْيَاهُ ، وَإِنْ

(١) تَبَتَّلَ عَنْ النِّسَاءِ : انْقَطَعَ عَنْهُنَّ بِالسَّكِينَةِ وَلَمْ يَتَزَوَّج .

(٢) لَنِكَاحٍ : لَتَزَوَّج . (٣) هَيُوبًا : جَبَانًا عَنِ النِّكَاحِ .

(٤) فِي ب : مَعَهُ . (٥) حَصَرَ عَنْهَا : مَنَعَ . (٦) قَمَعَهَا : مَنَعَهَا .

(٧) فِي ب : مَشْغَلَةٌ . وَفِي هَامِشِهِ أَمَامَهَا : شَاغِلَةٌ .

(٨) أَيْ تَنْزِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ .

(٩) هِيَ : أَيْ الشَّهْوَةُ فِي الْجَمَاعِ .

(١٠) أَيْ مِنْ مَلِكِ شَهْوَتِهِ ، وَلَمْ تَمْنَعْهُ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ مَهْمَاتِ دِينِهِ وَدُنْيَاهِ .

(١١) لَتَحْصِينَ : أَيْ جَعَلَهُنَّ مَحْصَنَاتٍ بِنِكَاحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُنَّ .

كَانَتْ مِنْ حَظْوِظِ دُنْيَا غَيْرِهِ ؛ فَقَالَ ^(١) : حُبِّبَ ^(٢) إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ . . فدلَّ عَلَى أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّبِيبِ الَّذِينَ هُمَا مِنْ أُمُورِ دُنْيَا غَيْرِهِ ، وَاسْتِعْمَالَهُ لَذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ ، بَلْ لآخِرَتِهِ ؛ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي التَّزْوِيجِ ، وَلِلْقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطَّبِيبِ ؛ وَلِأَنَّهُ ^(٣) أَيْضًا مِمَّا يَحْضُرُ عَلَى الْجَمَاعِ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَيَحْرُكُ أَسْبَابَهُ .
وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ ^(٤) لِأَجْلِ غَيْرِهِ ، وَقَمَعَ شَهْوَتَهُ ؛ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مَشَاهِدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ وَمَنَاجَاتِهِ ^(٥) ؛ وَلِذَلِكَ مِيزَ بَيْنَ الْحُبِّينِ ^(٦) ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ ؛ فَقَالَ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي ^(٧) فِي الصَّلَاةِ ؛ فَقَدْ سَاوَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي كِفَايَةِ فِتْنَتِهِنَّ ^(٨) ، وَزَادَ فَضِيلَةَ بِالْقِيَامِ بِهِنَّ ^(٩) .

(١) فِي ب : وَقَالَ .

(٢) الْحَدِيثُ : حُبٌّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ : النِّسَاءِ ، وَالطَّبِيبِ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . قَالَ السَّيُوطِيُّ ، هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ . (سَنَنِ النَّسَائِيِّ : ٦ - ٤٤) .

(٣) وَلِأَنَّهُ : أَيْ الطَّبِيبِ .

(٤) الْخَصْلَتَانِ : هُمَا الْجَمَاعُ وَالطَّبِيبُ .

(٥) الْجَبْرُوتُ : الْمُرَادُ عِظَمَةُ اللَّهِ تَعَالَى سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ . وَالنَّجَاجَةُ : الْمَسَارَةُ بِتَلْقَى وَحْيِهِ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ .

(٦) مِيزَ : فَرَّقَ وَفَصَلَ . بَيْنَ الْحُبِّينِ : أَيْ حُبِّ مَا هُوَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ظَاهِرًا ، وَبَيْنَ مَا هُوَ حَقِيقَةُ اللَّهِ .

(٧) قُرَّةُ الْعَيْنِ : مَا يَسُرُّ مِنْ يَنْظُرِهِ .

(٨) يَعْنِي أَنَّ يَحْيَى وَعِيسَى تَبَتَّلَا وَتَرَكَمَا التَّزْوِيجَ مَعَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خَوْفًا مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ ، وَهِيَ تُمْكِنُ جَهَنَّمَ فِي الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْنَالِ بِهِنَّ عَنِ الْعِبَادَةِ ؛ وَهُنَّ لَمْ يَشْغُلَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَنْعَمَنَّ عَنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ فَسَاوَاهُمَا فِي عَدَمِ الْإِسْتِغْنَالِ ، حَقٌّ كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي فِرَاشِ زَوْجَاتِهِ ؛ وَأَعَاتَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ .

(٩) بِالْقِيَامِ بِهِنَّ : أَيْ لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَ بِقِيَامِهِ عَلَى زَوْجَاتِهِ ، وَكَسْبِهِ لَهُنَّ ، وَهَدَايَتِهِ لَهُنَّ ، مَعَ عَدَمِ غَفْلَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرَفَةَ عَيْنٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وكان صلى الله عليه وسلم ممن أُقْدِرَ على القوة في هذا ، وأُعْطِيَ الكثيرَ منه ؛ ولهذا أُبيحَ له من عددِ الحُرَّاتِ ما لم يُبيحَ لغيره^(١) .

وقد رَوَيْنَا عن أنس أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يَدُورُ على نسائه في الساعة^(٢) من الليل والنهار ، وهنَّ إحدى عشرة^(٣) .

[وعن طاوُس : أُعْطِيَ عليه السلام قوةَ أربعين رجلاً في الجماع .

ومثله عن صفوان بن سليم .

وقالت سلمى مولاته : طاف النبي^(٤) صلى الله عليه وسلم ليلةً على نسائه التسع ، وتطَهَّرَ من كل واحدة قبل أن يَأْتِيَ الأخرى ؛ وقال : هذا أطيب وأظهر^(٥) .

قال أنس : وكُنَّا نتحدَّثُ أنه أُعْطِيَ قوةَ ثلاثين رجلاً . خرَّجه النسائي ، ورَوَى نحوه عن أبي رافع .

وقد قال سليمان - عليه السلام^(٦) : لأطوفنَّ الليلةَ على مائة امرأةٍ أو تسعين ، وأنه فَعَلَ ذلك .

قال ابنُ عباس : كان في ظَهْرِ سُلَيْمَانَ مائة رجلٍ أو تسع وتسعين ، وكانت له ثلاثمائة امرأةٍ وثلاثمائة سُرِّيَّةٍ^(٧) .

(١) هذا من خصائصه بالنسبة لأمته ؛ فأبيحَ له أن ينكح من النساء ما شاء في أول أمره ، ثم حرم الله عليه بعد ذلك أن يزيد على ما في عصمته من أزواجه ، فقال : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَت يمينك » .

(٢) في الساعة : أى مقدار ساعة . والحديث في البخارى : ١ - ٧٣ ، ٧ - ٤٤

(٣) قال ابنُ حبان : كانت زوجاته تسماً ، وكانت عنده جاريتان (نسيم الرياض ١ - ٥٧١)

(٤) سنن ابن ماجه : ١٩٤ ، والبخارى : ٧ - ٤

(٥) ما بين القوسين عليه علامة الصحة في ١ . وفي ب : من الأم من غير الرواية .

(٦) الحديث في صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وروايته : على سبعين . . . مرة ،

وعلى تسعين . . . مرة أخرى . (٧) السرية : الأمة التى بوأها بيتا (القاموس) .

وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة .

وقد كان لداود عليه السلام على زُهدِه وأَكْمَلِه من عَمَلٍ ^(١) يده تسع وتسعون امرأة ، وتمت بزواج أورياً ^(٢) مائة .

وقد نبّه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ^(٣) : ﴿ إِن هَذَا أُخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً ﴾ .

وفي حديث أنس عنه ، عليه السلام : ^(٤) « فَضَّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ : بِالسَّخَاءِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ .

وأما الجاه ^(٥) فمحمودٌ عند العقلاء عادةً وبقدَرٍ جَاهِه عِظَامُهُ فِي الْقُلُوبِ ^(٦) .

وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام ^(٧) : ﴿ وَجِيهًا ^(٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ؛ لَكِن آفَاتُهُ كَثِيرَةٌ ^(٩) ؛ فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ لِعُقُوبِ الْآخِرَةِ ^(١٠) ، فَلَدَلَّكَ ذِمَّةُ مَنْ ذِمَّةً ، وَمَدَحَ ضِدَّةً ^(١١) .

(١) ألان الله له الحديد ، فكان يصنع منه الدروع ويبيعهما ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك .

(٢) الضبط في ب . وأورياء : اسم رجل - يمد ويقصر ، وزوجته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : « إِن هَذَا أُخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً . . . » . (٣) سورة ص ، آية ٢٣

(٤) قال السيوطي : رواه الدارقطني في الأوسط بسند جيد .

(٥) الجاه : كونه وجيهاً عند الناس ، بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له ، بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده ؛ وهي لانتقاد إلا باعتقاد السكال التام عندها .

(٦) أى يعظم الإنسان ذو الجاه فى القلوب بمقدار عظمة جأهه .

(٧) سورة آل عمران ؛ آية ٥٤

(٨) وجيهاً : أى عظيماً ذا جاه عند الله فى الدارين .

(٩) أى يمرض له - أى الجاه - ما يفسده ويجعله مذموماً كثيراً .

(١٠) أى لما يعقبه ويترتب عليه فى الآخرة .

(١١) ضده : هو التحول وعدم الشهرة بين الناس .

وورد في الشَّرعِ مدحُ الغمُولِ ^(١) ، وذمُّ العُلُوِّ في الأرض .

وكان صلى الله عليه وسلم قد رُزِقَ من الحِشْمَةِ ^(٢) ، والمِسْكَانَةِ في القلوب ، والعِظَةِ قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ، ويقصدون أذاه في نفسه خُفْيَةً حتى إذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجته ^(٣) .

وأخباره في ذلك معروفة سنيًا في بعضها .

وقد كان يُبَيِّتُ ^(٤) ويفرقُ لرؤيته ^(٥) مَنْ لم تره ، كما رُوِيَ عن قَيْلَةَ ^(٦) أنها لما رأت أنه أُرْعِدَتْ من الفَرَقِ ؛ فقال : يا مِسْكِينَةَ ، عليك السكينة ^(٧) .
وفي حديث أبي مسعود ^(٨) أن رجلاً قام بين يديه فأرْعِدَ ؛ فقال : هَوْنٌ عليك فإني لستُ بِمَلِكٍ . . . الحديث ^(٩) .

(١) كما ورد في حديث : رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .
وفي حديث : إن الله يحب الاتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا .

(٢) يريد بالحشمة : المهابة والعظمة في أعين الناس .

(٣) أى لأنهم لمهابة صلى الله عليه وسلم ، وعظمته في قلوبهم ، لا يواجهونه بالأذى . وضبطت الحاء في كلمة « خفية » في البضم والكسر ، وعليها « مما » .

(٤) يبيت : يتحير ويدهش . ويفرق : يخاف ويفزع .

(٥) في ب : من رؤيته .

(٦) هي قيلة بنت محزمة . وحديثها مذكور في شمائل الترمذى ، وفي سنن أبي داود ، وأخرجه ابن سعد بتمامه . وهو أنها رأت أنه صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ؛ قالت : فلما رأيته متخشعاً في الجلسة أُرْعِدَتْ من الفرق . . .

(٧) أُرْعِدَتْ : أى لحقتها رعدة من الخوف . والسكينة : الطمأنينة ، وعدم الخوف .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولاً . وعن قيس مرسلًا . وأخرجه الحاكم مثله وصححه .

(٩) وتامه : وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .

وهون عليك : لا تخف .

فَأَمَّا عِظْمُ قَدْرِهِ بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإِنَافَةُ رُتْبَتِهِ ^(١) بالاصطفاء والكرامةِ في الدنيا فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَايَةِ ^(٢)، ثُمَّ هُوَ فِي الْآخِرَةِ سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ ^(٣).
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم ^(٤) بأسره.

فصل

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّالِثُ، فَهُوَ مَا تَخْتَلِفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ، وَالتَّفْضِيلِ [٣٠] لِأَجْلِهِ، كَكَثْرَةِ الْمَالِ - فَصَاحِبُهُ ^(٥) عَلَى الْجَمْلَةِ مُعْظَمٌ عِنْدَ الْعَامَةِ، لِاعْتِقَادِهَا تَوْصِيلَهُ بِهِ إِلَى حَاجَاتِهِ، وَتَمَكُّنِ أَغْرَاضِهِ بِسَبَبِهِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً فِي نَفْسِهِ، فَتَى كَانَ الْمَالُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَصَاحِبُهُ مُنْفَقًا لَهُ فِي مُهِمَّاتٍ مِنْ اعْتِرَافٍ ^(٦) وَأَمَلٍ ^(٧)؛ وَتَصْرِيفُهُ فِي مَوَاضِعِهِ مُشْتَرِيًا بِهِ الْمَعَالِيَ وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ ^(٨)، وَالْمَنْزِلَةَ فِي الْقُلُوبِ ^(٩) - كَانَ فَضِيلَةً ^(١٠) فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِذَا صَرَّفَهُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ، وَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، كَانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الْكُلِّ بِكُلِّ حَالٍ ^(١١)، وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُمَسِّكًا لَهُ غَيْرَ مُوجِّهٍ وَجْهَهُ ^(١٢)، حَرِيصًا عَلَى جَمْعِهِ،

(١) إِنَافَةُ : عُلُوٌّ ، وَارْتِفَاعٌ .

(٢) فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَايَةِ : أَيْ هُوَ نِهَايَةُ النِّهَايَةِ لَيْسَ فَوْقَهُ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى .

(٣) هَذَا بَعْضُ مِنْ حَدِيثٍ فِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ (١٤٤٠)؛ وَهُوَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ .

(٤) هَذَا الْقِسْمُ ؛ أَيْ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ ؛ أَيْ جَمْلَتُهُ مَوْضُوعًا لِبَيَانِهِ . بِأَسْرِهِ :

(٥) فَصَاحِبُهُ : صَاحِبُ الْمَالِ . جَمِيعُهُ .

(٦) مِنْ اعْتِرَافِهِ : مِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَقَصَدَهُ مِنَ الضُّيُوفِ وَالْإِخْوَانِ وَأَرْبَابِ الْحَاجَاتِ .

(٧) وَأَمَلُهُ : وَرْجَاهُ ، وَرَجَا إِحْسَانَهُ وَإِكْرَامَهُ .

(٨) الثَّنَاءُ الْحَسَنُ : الذِّكْرُ الْجَمِيلُ . (٩) فِي ب : مِنْ الْقُلُوبِ .

(١٠) كَانَ فَضِيلَةً : أَيْ أَمْرًا فَاضِلًا مَحْمُودًا .

(١١) عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَغَيْرِهِمْ ، مِنَ الْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ . بِكُلِّ حَالٍ : أَيْ سَوَاءً

اِكْتَسَبَ بِهِ الْعَالِي وَالثَّنَاءَ أَمْ لَا .

(١٢) غَيْرَ مُوجِّهٍ وَجْهَهُ : غَيْرَ صَارِفٍ لَهُ فِي مَصَارِفِهِ مِنْ مِهْمَاتِهِ وَوُجُوهِ الْخَيْرِ .

عاد كُثْرُهُ كَالْعَدَمِ^(١)، وَكَانَ مَنَقَصَةً فِي صَاحِبِهِ^(٢)، وَلَمْ يَقِفْ بِهِ عَلَى جَدَدٍ^(٣) السَّلَامَةِ؛
بَلْ أَوْقَعَهُ فِي هُوَةٍ^(٤) رَذِيلَةٍ الْبُخْلِ، وَمَذْمَمَةِ النَّذَالَةِ^(٥)؛ فَإِذَا التَّمَدُّحُ بِالْمَالِ
وَفُضِّلَتْهُ عِنْدَ مُفَضِّلِهِ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ^(٦) لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَتَهْصِيرِهِ فِي
مُتَصَرِّفَاتِهِ^(٧)، فِجَامِعِهِ إِذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعَهُ، وَلَا وَجْهَهُ وَجُوهَهُ غَيْرَ مِلِّيٍّ^(٨) بِالْحَقِيقَةِ
وَلَا غَنَى بِالْمَعْنَى، وَلَا مُتَمَدِّحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ؛ بَلْ هُوَ فَقِيرٌ أَبَدًا غَيْرُ وَاصِلٍ
إِلَى غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ؛ إِذَا مَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَالِ الْمَوْصَلُ لَهَا^(٩) لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِ^(١٠)،
فَأَشْبَهَ خَازِنَ مَالٍ غَيْرِهِ، وَلَا مَالَ لَهُ؛ فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَالْمُنْفِقُ مِلِّيٌّ^(١١) وَغَنَى بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ الْمَالِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقُ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ.
فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ تَجِدُهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ،

(١) كَثْرُهُ : كَثِيرُهُ . كَالْعَدَمِ : إِنَّمَا كَانَ كَالْعَدَمِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ خَازِنٌ لِنَفْسِهِ ، حَارَسٌ
لِنَعْمَتِهِ ، يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي هَرَبَ مِنْهُ ، وَيَفُوتُهُ الْغَنَى الَّذِي طَافَهُ ؛ فَيَعِيشُ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ،
وَيَحَاسِبُ عَلَيْهِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .

(٢) وَكَانَ مَنَقَصَةً : وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ لَهُ ، وَوَصَفَهُ بِالْبُخْلِ .

(٣) الْجَدَدُ : الْأَرْضُ الصَّالِبَةُ ، وَالْمُرَادُ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكَةُ ؛ أَيْ لَمْ يَحْصُلْ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنَ النِّقْصِ
وَالْوَبَالِ وَالذَّمِّ .

(٤) أَصْلُ الْهُوَةِ : الْحَفْرَةُ الْعَمِيقَةُ .

(٥) النَّذَالَةُ : الدَّنَاءَةُ وَالْحَسَةُ . (٦) وَإِنَّمَا هُوَ : أَيْ الْمَالُ .

(٧) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَفِي الْحَدِيثِ (سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ٤ - ٥٧٢) : يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي ؛
وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ . فَمَنْ
لَمْ يَتَوَصَّلْ بِمَالِهِ إِلَى مَا ذَكَرَ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ يَكُونُ كَمَنْ لَا مَالَ لَهُ .

(٨) غَيْرَ مِلِّيٍّ : غَيْرُ غَنَى . وَفِي ب : غَيْرُ مِلِّيٍّ ؛ أَيْ غَيْرُ نَفَقَةٍ .

(٩) فِي ب : وَلَا مُتَمَدِّحٍ .

(١٠) لَهَا : أَيْ لِأَغْرَاضِهِ .

(١١) لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِ : لَمْ يَقْدِرْهُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ فِي أَغْرَاضِهِ .

(١٢) فِي ب : مِلِّيٍّ .

ومفاتيح البلاد^(١)، وأحلّت له الفنائم^(٢)، ولم تحلّ لنبيّ قبله، وفُتِحَ عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلادُ الحجاز واليمن، وجميعُ جزيرة العرب، وما دأبني ذلك^(٣) من الشام والعراق، وجُلبتْ إليه من أخماسها وجزئتها^(٤) وصدقاتها ما لا يُحصى^(٥) للفلوك إلا بعضه، وهادته^(٦) جماعةٌ من ملوك الأقاليم^(٧) فما استأثر بشيء منه^(٨)، ولا أمسك منه درهماً؛ بل صرفه مصارفةً، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين؛ وقال: ما يسرّني أن لي أحداً^(٩) ذهباً يبيتُ عندي منه دينار، إلا ديناراً أرضده^(١٠) لدين.

[وأنته دنانير مرةً قسمها، وبقيتْ منه ستة^(١١)؛ فدفعتها لبعض نسائه، فلم يأخذها نوم حتى قام وقسمها، وقال: الآن استرحت^(١٢)].

-
- (١) خزائن الأرض : دقاتها ومعادنها .
 - (٢) الفنيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال .
 - (٣) ما دأبني ذلك : ما قرب منه .
 - (٤) من أخماسها : من غنائمها ؛ لأنّ الفنائم تحمل خمسة أجزاء ، خمس للإمام ، وأربعة أخماس للجند . والجزية : ما يؤخذ من الكفار من الحراج على الرؤوس .
 - (٥) يحصى : يجمع .
 - (٦) هادته : أهدت إليه . والهدية : ما يبعث بلا عوض للمهدى إليه إكراماً .
 - (٧) أراد بالأقاليم : النواحي والبلدان .
 - (٨) فما استأثر : ما اختص نفسه بشيء منها دون أصحابه .
 - (٩) أحد : جبل قريب من المدينة ، كانت فيه غزوة أحد المعروفة .
 - (١٠) أرضده : أجعله معداً لسداد دين .
 - (١١) وهذا الحديث في الصحيحين وشروحهما . (صحيح مسلم : ٦٨٧) .
 - (١٢) في ب : وبقى منها بقية .
 - (١٣) ما بين القوسين كتب عليه في ١ ، ب : ليس من الرواية .

ومات ودرعهُ مرهونةٌ في نفقةِ عياله ^(١).

واقصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما ندعو ضرورته إليه .

وزهد فيما سواه ^(٢) ، فكان يلبس ما وجده ؛ فيلبس في الغالب الشملة ^(٣) ،
والكساء الخشن ، والبُرْد ^(٤) الغليظ ، ويقسم على مَنْ حضره أقبية الديباج
المُخَوَّصة ^(٥) بالذهب ، ويرفع لِمَنْ لم يحضره ^(٦) ؛ إذ المُبَاهَاة ^(٧) في الملابس والتزينُ
بها ليست من خصال الشرف والجلالة ، وهي من سمات ^(٨) النساء .

والمحمودُ منها نقاوة ^(٩) الثوب ، والتوسط في جنسه ^(١٠) ، وكونه لبسٍ مثله ^(١١) ،

(١) عياله : من تازمه مؤنته والإتفاق عليه . وحديث رهن الدرع مذكور في صحيح
البخارى (٤ - ٤٩) ، وهو : عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شحير . (٢) أى فيما سوى مقدار الضرورة .
(٣) الشملة : كساء يشتمل به . (٤) البرد : ثوب فيه خطوط .
(٥) الأقبية : جمع قباء ، وهو الخيط من اللباس . والديباج : نوع من أقبية الحرير .
والمخوصة : المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص .

(٦) ويرفع لمن لم يحضره : أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة . وهو
إشارة لقصة مخزومة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخزومة ؛ (صحيح مسلم : ٧٣١ ، ٧٣٢ ،
وصحيح البخارى : ٨ - ٣٨) ؛ قال : قال لى أبى : لما مسور ، بلغنى أنه صلى الله عليه وسلم
جاءته أقبية ، فاذهب بنا إليه ، فذهبنا فوجدناه فى منزله ، فقال : ادعه لى . فأعظمت ذلك ؛
فقال : يا بنى ، إنه ليس بجبار . فدعوته صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه قباء من ديباج مزور
بالذهب ؛ فقال : يا مخزومة ، خبات لك هذا ؛ فحمل رسول الله يريه محاسنه ، ثم أعطاه له . فنظر
إليه وقد رضى . وفى ب : لم يحضر :

(٧) المُبَاهَاة : إظهار الفخر . (٨) سمات النساء : خصال النسوة ، وعلامتهن .

(٩) منها : من الملابس . ونقاوة الثوب : كونه نقياً من الوسخ والنجاسة .

(١٠) أى لا يكون نفيساً جداً ولا خسيساً .

(١١) أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه . قال فى نسيم الرياض (١ - ٥٩٠) : واللازم
أن يلبس كل أحد على قدر حاله ؛ فلا يلبس النقى ما هو دون حاله ، ولا الفقير ما هو فوق حاله .

غير مُسْقَط لمروءة جِنْسِه^(١) تما لا بُودَكِّي إلى الشُّهْرَةِ في الطَّرَافَيْنِ^(٢) .
وقد ذمَّ الشرعُ ذلك^(٣) ؛ وغايةُ الفَخْرِ فيه في العادة عند الناس إنما يعودُ إلى
الفخر بكثرةِ الموجود ، ووُفُورِ الحال^(٤) .
وكذلك التَّبَاهِي بِمَجُودَةِ المسكن ، وسعةِ المنزل ، وتكثيرِ^(٥) آلاته وخدمته
ومركوباته .

وَمَنْ ملك الأرضَ ، وَجَبِي^(٦) إليه ما فيها ، فترك ذلك زُهْدًا وتزُّهاً^(٧) ، فهو
حائز لفضيلةِ المالِ ، ومالكٌ للفخر بهذه الخصلةِ إن كانت فضيلةً زائد عليها في الفخر ،
ومُعْرِق^(٨) في المدح بإضرابه عنها ، وزُهْدِه في فانيها ، وبذلها في^(٩) مظانها .

فصل

وأما الخصالُ المكتسبة من الأخلاقِ الحميدة [٣١] والآدابِ الشريفة
التي اتفق جميعُ العقلاء على تفضيل صاحبها ، وتعظيم المتَّصِفِ بالخلقِ الواحدِ منها ،

(١) في ب : لمروءة حسبه .

(٢) في الطرفين : غاية التعظيم ، وغاية الحسة ؛ فيكون بين بين ، وخير الأمور أوسطها .
والشهرة : اسم من الاشتهار ؛ وهو الظهور بين الناس . وقال النووى : كانوا يكرهون الشهرة بين
الشياب الجدد ، والشياب الرذلة ؛ إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا .

(٣) ذلك : إشارة إلى المباهاة في الملابس والتزين بها .

(٤) الغاية : النهاية . وكثرة الموجود : المراد به كثرة ما عنده من المال والملبس ونحوه .
ووفور الحال : المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره .

(٥) وتكثير آلاته : المراد بالآلات هنا : الفراش والأواني .

(٦) جبي : جمع .

(٧) الزهد : الرغبة عن الدنيا مع القدرة ، رغبة في الآخرة . وهذا في أ . وفي ب : زاهدا

بالنصب والرفع وعليها « معا » . (٨) معرق : أصل في الحسب وأكرم .

(٩) بذلها : إعطائها . مظانها : جمع مظنة : اللوضع الذي يظن كونها فيه . والمراد أنه

صلى الله عليه وسلم يبذلها في محلها الذي يرجى فيه ؛ كمحال البر والصدقة .

فَصَلَا عما فوقه^(١) وَأَثْنَى الشرعُ على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمُتَخَلِّق^(٢) بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة^(٣)، وهى المُسَمَّاة بِمُحْسِنِ الخُلُقِ ؛ وهو الاعتدالُ فى قُوَى النفس وأوصافها ، والتوسطُ فيها دون الميلِ إلى مُنَحَرِف^(٤) أطرافها ؛ فَجَمِيعُهَا قد كانت خُلُقَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها، والاعتدالِ إلى غَايَتِهَا ، حتى أَثْنَى اللهُ بذلك عليه ، فقال تعالى^(٥) : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ .

قالت عائشة - رَضِيَ اللهُ عنها : كان خُلُقُهُ القرآن ، يَرْضَى بِرِضَاةٍ ، وَبَسَخَطِ بَسَخَطِهِ^(٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : بُعِثْتُ لِأُتِمَّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ^(٧) .

قال أنس^(٨) : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناسِ خُلُقًا .
وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه مثله .

(١) عما فوقه : أى عما زاد على الواحد منه .

(٢) المتخلىق بها : الذى اتخذها خلقا ، واتصف بها .

(٣) كما ورد فى الحديث : السمات الحسن ، والتؤدة ، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة (الموطأ : ٩٥٤) . والمراد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء وفضائلهم .

(٤) المنحرف : المائل . أى إلى أطرافها المنحرفة . (٥) سورة القلم ، آية ٤

(٦) الحديث فى صحيح مسلم : ٥١٣ ؛ أى كان صلى الله عليه وسلم متمسكا بأوامر القرآن ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها ؛ فيرضى بكل ما يرضى الله ويستخط كل ما لا يرضاه ، كل ذلك لله ، لا لحظ نفسه . وفى هامش ب : يعنى التأدب بأدبه ، والتخلق بمحاسنه ، والالتزام لأوامره وزواجره .

(٧) الحديث فى الموطأ : ٩٠٤ ، قال ابن عبد البر : هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره . ومكارم الأخلاق كانت موجودة قبله - لاسيما فى العرب - فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة ، وزاد فيها ما لم يسبق إليه ، وجمع ما تفرق منها فيه وفى أمته .
(٨) الحديث فى مسلم : ١٨٠٥

وكان^(١) فيما ذكره المحققون محبوباً^(٢) عليها في أصل خلقته وأوّل^(٣) فطرته ،
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجوده إلى الله ، وخصوصية ربّانية .
وهكذا لسائر^(٤) الأنبياء ، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقّ^(٥)
ذلك ، كما عرّف من حال عيسى وموسى ، ويحيى ، وسليمان ، وغيرهم عليهم السلام .
بل غرّزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة ، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة ،
قال الله تعالى^(٦) : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

قال المفسّرون : أعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه .
وقال معمر : كان [يحيى]^(٧) ابن سنتين أو ثلاث ، فقال له الصبيان : لم لا تلعب ؟
فقال : أَلَلَّعِبِ خُلِقْتُ^(٨) !

وقيل في قوله تعالى^(٩) : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : صدّق يحيى بعيسى ؛ وهو
ابن ثلاث سنين ، فشهد له أنه كلمة الله ورُوحه .

وقيل : صدّقه وهو في بطن أمه ؛ فكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد ما في
بطني يسجد لما في بطنك ؛ تحية له .

(١) وكان : أى النبي .

(٢) محبوباً : مخلوقاً مطبوعاً .

(٣) أى من غير تسكف ولا تعلم . (٤) فى ب : وسائر . وسائر : باقى .

(٥) حقق ذلك : عرف أن مكارم الأخلاق فيهم جبيلة طبيعية .

(٦) سورة مريم ، آية ١٢ .

(٧) من ب ، وعليها علامة الصحة . وكلمة « معمر » ضبطت فى ب بضم الميم الأولى وتشديد
الميم الثانية للفتوحة . وفى التبصير (١٣٠٣) : بفتح اليمين وسكون العين .

(٨) قال السيوطى : رواه الديلمى عن معاذ بن جبل ولم يعنده . والحاكم فى التاريخ ، عن ابن
عباس مرفوعاً ، وسنده واه . وأخرجه أحمد فى الزهد ، وابن أبى حاتم فى تفسيره عن معمر .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٣٩ .

وقد نصَّ الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها^(١) :
« أَلَا تَحْزَنِي » - على قراءة « من قرأ » من تحتها ، وعلى قول مَنْ قال : إنَّ المُنَادِيَّ
عيسى .

ونصَّ على كلامه في مَهْدِهِ^(٢) ، فقال^(٣) : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴾ .

وقال^(٤) : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقد ذُكِرَ من حِكْمِ سُلَيْمَانَ وهو صبي يلعبُ في قصة المَرْجُومَةِ^(٥) ، وفي قصة

(١) سورة مريم ، آية ٢٤

(٢) المهد كلامهاد بمعنى الفراش المهد للنوم ، ثم خص بما ينام فيه الطفل ويقر فيه .

(٣) سورة مريم ، آية ٣٠

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٧٩ . آتيناه حكما : أى معرفة بموجب الحكومة . وعلمنا : بسائر

القضايا الشرعية . قال في نسيم الرياض : فهذا وأشباهه مما يدل على أنها أمور جبلية غير كسبية .

(٥) قال في نسيم الرياض (١ - ٦٠٢) : قصة المرجومة كالحكاها التمسالى أن امرأة كانت

بارعة الجمال - وهى من أهل الدين ، ولها حق ، فرفعت أمرها لأحد قضاة بنى إسرائيل ،

فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ؛ ثم ذهبت لثالث وثالث ورابع فكل راودها

عن نفسها ؛ فأتت نبي الله دودا فحجبت عنه ، فأجمع الأربعة أن يقولوا لداود : إن لها كلبا

تمسكه من نفسها وبزنى بها ، ففعلوا فأمر برجمها فرجمت .

فبينما داود عليه السلام يوما فى غلية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان ، وفيهم صبي

جليل ، فجعلوا سليمان قاضيا ، والصبي كامرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة ، وفعلوا مثل تلك

القصة بعينها من المراودة والتهمة ؛ وذلك بمرأى من داود عليه السلام - كما فى قصة المرجومة -

ففرقهم سليمان ، وقال لأحدهم : مالونه ؟ فذكر لونا ، ودعا كلبا بانقراده فذكر كل منهم لونا

مخالفا للآخر ؛ فأمر الصبيان فضربوهم .

فقال داود : لعل القضية هكذا ، فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد ،

فاختلفوا كالصبيان فأمر بهم فقتلوا . (وانظر أيضا القصة فى شرح القارى : ١ - ٢٢٦) .

الصبي^(١) ما اقتدى به داود أبوه .

وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما .

وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بِلِحِيَّتِهِ وهو طفل .

وقال المفسرون - في قوله تعالى^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾^(٣) من قبل ؛

أى هَدَيْنَاهُ صغيرا^(٤) ؛ قاله مجاهد وغيره .

وقال ابن عطاء : اصطفاه قبل إبداء خلقه .

وقال بعضهم : لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَمْرِهِ

عَنِ اللَّهِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِقَلْبِهِ ، وَيَذْكُرَهُ بِلِسَانِهِ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَلَمْ يَقُلْ أَفْعَلْ ؛
فَذَلِكَ رُشْدُهُ^(٥) .

(١) في نسيم الرياض (١ - ٦٠٢) : وقصة الصبي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ؛ قال : كانت امرأتان معها ابنتان لهما ، فأخذت أحدهما ، فتحاكها إلى داود عليه السلام ، فقضى به للسكبري . فدعاها سليمان ، وقال : هاتوا سكينتا أشقه بينكما ؛ فقالت الصغرى : رحمك الله ، هو ابنها لا تشقه ، فقضى به لها لشفقتها عليه ، ورضيت الأخرى بشقه لتتشارك في المصيبة . ونص الحديث في : (صحيح مسلم : ١٣٤٤ ، والبخاري : ١٩٥-٨) . ثم قال الحفاجي : وهذا مما لا شبهة في صحته . وأما الحديث الأول (قصة المرجومة) فالله أعلم بصحته ، وقد ورد في الإسرائيليات على غير رواية ابن عساكر .

(٢) سورة الانبياء ، آية ٥١

(٣) الرشد : الاهتداء لوجوه الصلاح .

(٤) هذا أحد التفاسير لقوله تعالى : من قبل . وقيل : قبل موسى وهارون . وقيل : قبل

محمد عليه السلام .

(٥) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره ؛ فيكون للمعنى آتيناه رُشدَه قبل أمره ،

فيدل ذلك على أن الإيمان واشتغاله بذكر ربه أمر مجبول عليه ؛ وقيل : إنه بالغ في الامثال حتى عبر بالماضى عن الحال .

وقيل : إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته^(١) كانت وهو ابنُ ستِّ عشر سنةً ، وإنَّ ابتلاءَ إسحاق^(٢) بالذَّبْحِ كان وهو ابنُ سبعِ سنين ؛ وإنَّ استدلالَ إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابنُ خمسةَ عشر شهرا^(٣) .

وقيل : أوحىَ إلى يوسف وهو صبي^(٤) عندما همَّ إخوته بإلقائه في الجُبِّ ، يقول الله تعالى^(٥) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ ﴾^(٦) بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ . [٣٢] إلى غير ذلك مما ذكرنا من أخبارهم^(٧) .

وقد حكى أهلُ السير أنَّ^(٨) آمنة بنتَ وهبٍ أخبرت أنَّ نبيَّنا محمدا صلى الله عليه وسلم وُلد حين وُلد باسطاً يديه إلى الأرض ، رافعا رأسه^(٩) إلى السماء . وقال في حديثه - صلى الله عليه وسلم^(١٠) : لَمَّا نَشَأْتُ بُغِضْتُ إِلَى الْاَوْتَانُ ، وَبُغِضَ إِلَى الشَّعْرِ ، وَلَمْ أُمَّمْ شَيْءَ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ^(١١) ، فمعضني اللهُ منهُما ، ثم لم أعدْ .

(١) ومحنته : التي وقعت له مع عمرو .

(٢) قال في نسيم الرياض : وهذا بناء على أن الذبيح إسحاق ، كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين . والمشهور - وهو مذهب الجمهور - أن الذبيح إسماعيل ؛ وهو قول أكثر الصحابة ، كابن عباس ، وابن عمر ، ومماوية ، وهو الظاهر .

(٣) في ب : سنة ، وفي هامشه : الصواب شهر .

(٤) وعن الحسن : وله سبع عشرة سنة .

(٥) سورة يوسف ، آية ١٥ (٦) لتنبئهم : لتخبرن إخوتك .

(٧) من أخبارهم : أى أخبار الأنبياء الدالة على أنهم محبولون على الكمال من ابتداء أمرهم في صفرهم .

(٨) هذا رواه ابن الجوزى في الوفا ، عن أبي الحسين مرسلا .

(٩) في ب : رافعا يديه ينظر إلى السماء .

(١٠) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس (الدلائل لأبي نعيم: ٢٣٦)

(١١) في نسيم الرياض : (١ - ٦٠٩) : وهذا إشارة إلى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ، ولفظه : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين =

ثم يَتَمَكَّنُ الأَمْرُ لَهُمْ ، وَتَتَرَادَفُ نَفَحَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ^(١) ، وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى يَصِلُوا الْغَايَةَ ، وَيَبْلُغُوا بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُم بِالنَّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ - النِّهَايَةِ دُونَ مُمَارَسَةِ وَلَا رِيَاضَةٍ ^(٢) ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ^(٤) .

وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطَبَّعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ دُونَ جَمِيعِهَا ، وَيُوَادُّ عَلَيْهَا ، فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ اكْتِسَابُ تَمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا نَشَاهِدُ مِنْ خِلْقَةٍ بَعْضِ الصَّبِيَّانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ ، أَوِ الشَّهَامَةِ ^(٥) ، أَوْ صِدْقِ اللِّسَانِ ، أَوِ السَّمَّاحَةِ ؛ وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا ؛ فَبَالَا كِتْسَابُ يَكْمُلُ نَاقِصُهَا ، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهِدَةِ يُسْتَجَابُ ^(٦) مَعْدُومُهَا ،

= كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ ؛ ثُمَّ مَا مَهَّمْتُ بَعْدَهُمَا شَيْءٌ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ . وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِلَفْظٍ آخَرَ : قُلْتُ لَيْلَةَ لَفَقَى مِنْ قَرِيشٍ كَانَ بِأَعْلَى مَكَّةَ يَرْعَى غَنَاءَ لَاهِلِهِ : أَبْصَرْتُ غَنَمِي حَتَّى أَتَمَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الصَّبِيَّانِ ، فَجِئْتُ أَذْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ فَسَمِعْتُ غَنَاءَ وَصَوْتَ دَفُوفٍ وَمَزَامِيرَ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : فُلَانٌ يَتَزَوَّجُ فُلَانَةً . فَاهْوَتُ بِذَلِكَ الْغَنَاءِ وَذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَمَا أَقْضَى إِلَّا حَرَّ الشَّمْسِ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي ، فَقَالَ لِي : مَا فَعَلْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ .

ثُمَّ فَعَلْتُ اللَّيْلَةَ الْآخَرَى كَذَلِكَ . وَاللَّهُ مَا مَهَّمْتُ بَنِيرَهَا مِمَّا تَفْعَلُهُ الْجَاهِلِيَّةُ . قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِ النَّوْمَ فِي الْمَرْتِنِ صَيَانَةً لَهُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا ارْتِكَابُهُ لِحَرَمٍ . وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي شَرْحِ الْقَارِي : ١ - ٢٢٩

(١) لَهُمْ : أَيْ لِلْأَنْبِيَاءِ . وَيَتِمَكَّنُ : يَقْرَأُ وَيُثَبِّتُ . وَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ مَا أُوْدِعَ فِيهِمْ مِنَ السَّكَالِ . وَتَتَرَادَفُ : الْمُرَادُ تَوَالِي . وَالنَّفَحَاتُ : جَمْعُ نَفْحَةٍ ، وَهِيَ بِمَعْنَى الْهَبَةِ وَالْعَطِيَّةِ .

(٢) دُونَ مُمَارَسَةِ : أَيْ مِنْ غَيْرِ تَسْكَرَارِ عَمَلٍ وَمُزَاوَلَتِهِ . وَالرِّيَاضَةُ : التَّمَرُّنُ فِي الْعَمَلِ . (٣) سُورَةُ يُوسُفَ ، آيَةُ ٢٢ (٤) حِكْمًا : نَبْوَةً . وَعِلْمًا : مَعْرِفَةً بِالْدِّينِ وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ . (٥) السَّمْتُ : الطَّرِيقَةُ ، وَهَيْئَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ . يَقَالُ : مَا أَحْسَنَ سَمْتَهُ . أَيْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ . وَالشَّهَامَةُ : حِدَّةُ الْفُؤَادِ وَالذِّكَاةُ وَالْجَلَادَةُ وَالنَّفَازُ فِي الْأُمُورِ . يَقَالُ : رَجُلٌ شَهْمٌ إِذَا كَانَ سَيِّدًا نَجِيًّا نَشِيطًا فِي اكْتِسَابِ الْعَالِي ، وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ لِلْمَلَاخَةِ وَالْحَصُومَةِ .

(٦) يُسْتَجَابُ : يَكْتَسَبُ وَيَحْصُلُ لِمَنْ لَمْ يُطَبَّعْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا وَطُبِّعَ عَلَى ضِدِّهَا .

وَبِمَتَدَلُّ مُنَحَرِفُهَا ، وَبِاخْتِلَافِ^(١) هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِيهَا^(٢) . وَكُلُّ مُبَسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ^(٣) . وَلِهَذَا مَا [قَدْ]^(٤) اخْتَلَفَ السَّلَفُ^(٥) فِيهَا : هَلْ هَذَا الْخُلُقُ جِبِلَّةٌ أَوْ مُكَتَسِبَةٌ^(٦) ؟

فَحَكَى الطَّبْرِيُّ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ جِبِلَّةٌ وَغَرِيزَةٌ فِي الْعَبْدِ ، وَحَكَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَالْحَسَنِ ، وَبِهِ قَالَ هُوَ .
وَالصَّوَابُ مَا أَصَلَّنَاهُ^(٧) .

وَقَدْ رَوَى سَعْدُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كُلُّ الْخِلَالِ^(٨) يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ^(٩) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ : وَالْجُرْأَةُ ، وَالْجُبْنُ^(١٠) غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ .

وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْحَمُودَةُ وَالْخِصَالُ الْجَمِيلَةُ^(١١) كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ أَصُولَهَا ، وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا ، وَنَحَقِّقُ وَصْفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ : أَيْ الْجِبِلِّيِّ وَالْمُكَتَسِبِيِّ . (٢) فِيهَا : أَيْ فِي الصِّفَاتِ الْجَمِيدَةِ .
(٣) هَذَا بَعْضُ مَنْ حَدَّثَ صَحِيحٌ : أَعْمَلُوا فَكُلُّ مُبَسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ . . . وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٢٠٤١ ، وَمُبَسِّرٌ : مَعْدُ مَهِيًا . (٤) لَيْسَ فِي ب . (٥) السَّافُ : مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ .
(٦) الْخُلُقُ : أَيْ الْحَسَنُ الَّذِي يُحْمَدُ بِهِ النَّاسُ . وَهَذَا فِي ب . وَفِي أ : جِبِلَّةٌ أَوْ مُكَتَسِبَةٌ . . .
— بِالْهَاءِ .

(٧) مَا أَصَلَّنَاهُ : قَدَمْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ أَصْلًا وَقَاعِدَةً ؛ مِنْ أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ جِبِلَّةٌ غَيْرُ مُكَتَسِبَةٍ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُكَتَسِبٌ بِالْعِلْمِ وَالرِّيَاضَةِ . (٨) الْخِلَالُ : الْخِصَالُ وَالصِّفَاتُ .
(٩) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (١ - ٦١٣) : هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَابْيَهَقَ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ . وَالْخِيَانَةُ : ضِدُّ الْأَمَانَةِ . يَعْنِي أَنَّ هَذَيْنِ لَا يَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا طَبِيعَةً مَخْلُوقَةً فِي الْمُؤْمِنِ مُطْلَقًا ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ جَبِلَّةٌ وَفَطَرَتُهُ سَلِيمَةٌ ، وَهَاتَانِ الْخِصْلَتَانِ فِي غَايَةِ الْقَبْحِ .
(١٠) الْجُبْنُ : عَدَمُ الْإِقْدَامِ لِلْخَوْفِ .
(١١) عَلَيْهَا عَلَامَةُ الصِّحَّةِ فِي ١ ، وَأَمَامَهَا فِي هَامِشِهِ : الشَّرِيفَةُ .

فصل

[في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقيق وصف النبي بها^(١)]

أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا^(٢) ، وَعُنْصُرُ بِنَايِيعِهَا^(٣) ، وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا - فَالْعَقْلُ الَّذِي مِنْهُ يَنْبَعُ^(٤) الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذَا ثَقُوبُ^(٥) الرَّأْيِ ، وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ^(٦) ، وَالْإِصَابَةُ ، وَصِدْقُ الظَّنِّ ، وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ وَمَصَالِحِ النَّفْسِ ، وَمَجَاهِدَةُ الشَّهْوَةِ^(٧) ، وَحَسَنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ ، وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ^(٨) ، وَتَجَنُّبُ الرِّذَائِلِ .

وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى مَكَانِهِ^(٩) مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَلُوغِهِ مِنْهُ وَمِنْ الْعِلْمِ الْغَايَةِ الَّتِي لَمْ يَبْلُغَهَا بَشَرٌ سِوَاهُ ، وَإِذْ جَلَالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِمَّا تَفَرَّعَ مِنْهُ^(١٠) - مَتَحَقِّقٌ^(١١) عِنْدَ مَنْ تَتَبَعَ مَجَارِيَ أَحْوَالِهِ^(١٢) ، وَأَطْرَادَ سِيرِهِ ، وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ^(١٣) . وَحَسَنَ شَمَائِلِهِ ، وَبَدَائِعَ سِيرِهِ ، وَحِكَمَ حَدِيثِهِ ، وَعِلْمَهُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ ، وَحِكَمِ الْحُكَمَاءِ ، وَسِيرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ^(١٤) ، وَأَيَّامِهَا^(١٥) وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ ،

(١) هذا الفصل معقود لبيان أصول الأخلاق صريحاً، والإشارة إلى جميعها تلويحاً؛ لتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم بها توضيحاً .

(٢) فروعها : أى الأخلاق . (٣) عنصر : أصل . (٤) ينبعث : ينشأ ويخرج .

(٥) ثقوب الرأى : نفاذ الرأى فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الأمور .

(٦) الفطنة : الحذق ، وحسن الفهم .

(٧) مجاهدة الشهوة : مدافعتها وممانعتها عما تريده ؛ فإنه جهاد أكبر .

(٨) اقتناء الفضائل : اكتسابها والتحلى بها .

(٩) إلى مكانه منه : إلى مكان النبي ومحلّه من كمال العقل .

(١٠) ما تفرع منه من الأخلاق الشريفة ونمراتها . (١١) هذا فى ١ ، ب .

(١٢) مجارى أحواله : المراد ما جرت به عادته فى أحواله .

(١٣) جوامع كلامه : الكتب الجامعة للحديث الشريف . أو كآمانته الجامعة للحكم التى

تتجلى فيها عقول البلاء والحكماء .

(١٤) الخالية : الماضية . (١٥) وأيامها : أى وقائعها فى حروبها ومجاداتها .

وسياسات الأنام^(١)، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب^(٢) النفيسة، والشيم الحميدة^(٣) إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة، وإشاراته حجة؛ كالعبارة^(٤)، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب^(٥)، وغير ذلك مما سنبيته في معجزاته إن شاء الله، دون تعليم ولا مدراسة^(٦)، ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم؛ بل نبى أمى^(٧) لم يعرف بشئ [٣٣] من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره، وعلمه، وأقرأه^(٨)، يعلم ذلك^(٩) بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً؛ فلا تطول بسردي^(١٠) الأقاصيص، وآحاد القضايا؛ إذ مجموعها مالا يأخذه حصر، ولا يحيط به حفظ جامع، وبحسب عقله كانت مآرقه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى، وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته، وعظيم مذكوته^(١١)، قال تعالى^(١٢) : ﴿وعلمك ما لم

(١) الأنام : الخلق .

(٢) وتأصيل : وتأسيس ؛ أى بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم .

(٣) والشيم الحميدة : الشيم : جمع شيمة ؛ وهى المادة ، والخلق .

(٤) العبارة : المراد تمييز الرؤيا . وفى ١ : العبادة - بالمدال .

(٥) الفرائض : علم يعرف به أحوال الموارث . والنسب : معرفة أنساب الناس .

(٦) ولا مدراسة : أى لم يعرفه بأخذه من الأفواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره .

(٧) الأمى : منسوب إلى الأم ؛ لأنه كيوم ولدته أمه : من غير قراءة وكتابة ؛ أو إلى أم

القرى . أو أمة العرب ؛ لأن القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم . والأمى : الذى لا يكتب ولا يقرأ الكتب .

(٨) أقرأه : أقدره على القراءة بما أوحاه إليه بواسطة الملك ؛ إذ قال الله له : اقرأ وربك الأكرم ...

(٩) يعلم ذلك : أى ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم .

(١٠) السرد : تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية .

(١١) المراد ما أطلعه الله عليه فى الإسراء من خلق الملائكة والسموات وإقداره على ذلك

فى برهة من الزمن . (١٢) سورة النساء ، آية ١١٣

تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ^(١) .
حَايَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ ^(٢) فَضْلِهِ عَلَيْهِ ، وَخَرَسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفِهِ يَحِيطُ
بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ .

فصل

وَأَمَّا الْحِلْمُ ^(٣) وَالْإِحْتِمَالُ ، وَالْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُكْرَهُ ؛ وَبَيْنَ
هَذِهِ الْأَلْقَابِ فَرْقٌ ، فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةٌ تَوْقُرُ ^(٤) وَتَبَاتٍ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ ^(٥) .
وَالْإِحْتِمَالُ ^(٦) : حَبْسُ النَّفْسِ ^(٧) عِنْدَ الْآلَامِ وَالْمَوْذِيَّاتِ . وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ ، وَمَعَانِيهَا
مُتَنَابِرَةٌ .

وَأَمَّا الْعَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ الْمَوَازِيءِ ^(٨) .

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ ^(٩) : ﴿ خُذِ
الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١٠) 》 .

رَوَى ^(١١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ عَنْ تَأْوِيلِهَا ^(١٢) ، فَقَالَ لَهُ : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ^(١٣) .

(١) أَيْ عَمَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِكَ وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِكَ عَلَيْهِ .

(٢) فَضْلُهُ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(٣) الْحِلْمُ : ضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ وَعَدَمُ إِظْهَارِهِ .

(٤) تَوْقُرُ : إِظْهَارُ الْوَقَارِ ، وَهُوَ السَّكُونُ . (٥) الْأَسْبَابُ الْحَرَكَاتُ ، كَالْفُضْبِ مِثْلًا .

(٦) ضَبْطُ اللَّامِ فِي بٍ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ وَعَلَيْهَا « مَعَا » .

(٧) الْمُرَادُ بِحَبْسِ النَّفْسِ ضَبْطُهَا حَتَّى تَخْضَعَ لِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَتَطْمَئِنَّ لِمَا يَأْمُرُهَا بِهِ .

(٨) الْمَوَازِيءُ : الْجُزْءُ عَلَى مَا فَعَلَ غَيْرُهُ . (٩) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ١٩٩ .

(١٠) الْعَفْوُ : السَّاهِلَةُ وَالْمَسَاحَةُ . وَالْعُرْفُ : الْمَعْرُوفُ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِتَرْكِ الْمَقَابِلَةِ .

(١١) هَذَا الْحَدِيثُ - كَقَالَ السَّيُوطِيُّ - رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبُو الشَّيْخِ ، فِي تَفَاسِيرِهِمْ .

(١٢) عَنْ تَأْوِيلِهَا : عَنْ تَفْسِيرِهَا . (١٣) يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم ذهب فأتاه^(١)، فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل مَنْ قطعك ،
وتعطي مَنْ حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وقال له^(٢) : ﴿ واضبر على ما أصابك ، إنَّ ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وقال تعالى^(٣) : ﴿ فاضبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ .

وقال^(٤) : ﴿ وليعفوا وليصْفَحُوا أَلَّا تُجِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ

رحيم ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور ﴾^(٦) .

ولا خفاء بما يؤثّر^(٧) من حلمه واحتماله ، وأنَّ كلَّ حليم قد عرفت منه زلة^(٨) ،
وحفظت عنه هفوة^(٩) ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا ،
وعلى إسراف الجاهل^(١٠) إلا حِلما .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التتلي^(١١) وغيره ، قالوا : حدثنا محمد
ابن عتاب ، حدثنا أبو بكر بن وafd^(١٢) القاضي وغيره ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا

(١) في ب : ثم أتاه .

(٢) سورة لقمان ، آية ١٧ . من عزم الأمور ؛ أى مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة
في إهمالها لأرباب كمالها .

(٣) سورة الاحقاف ، آية ٣٥ ، وأولو العزم : أصحاب الثبات والحزم من الرسل .

(٤) سورة النور ، آية ٢٢ (٥) سورة الشورى ، آية ٤٣

(٦) لمن عزم الأمور : من أهم الأمور التى ينبغى التصميم والعزم عليها .

(٧) يؤثّر : ينقل ويروى من حلمه وتحمله للأذى ، فإنه شائع غير خفى على أحد .

(٨) الزلة : السقطة والخطيئة . (٩) هفوة : سقطة .

(١٠) المراد بالجاهل هنا السيء الخلق المجازف فى أموره ، فهو خلاف الحلم . والإسراف :

الزيادة ومجاوزة الحد .

(١١) فى ا : التتلي . والتتلي فى ب ، عليها علامة الصحة . وقال القارى (١ - ٢٣٦) :

وقع فى بعض النسخ بالشاء المثلثة والعين المهملة ؛ وهو تصحيف فى المبني وتحريف .

(١٢) بالفاء ، وعليها علامة الصحة فى ا ، ب .

عُبَيْدُ اللَّهِ ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ ^(١) : مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ^(٢) مَا لَمْ يَكُنْ إِنْثَامًا ، فَإِنْ كَانَ إِنْثَامًا ^(٣) كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا أَنْتُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ ^(٤) إِلَّا أَنْ تُنْزَعَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ ^(٥) بِهَا .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ^(٦) وَشُجَّ وَجْهُهُ ^(٧) يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ! فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنًا ^(٨) ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً ^(٩) . اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٠) أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ ^(١١) كَلَامِهِ : يَا بَنِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١٢) ! لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(١) الحديث في الموطأ : ٩٠٣ ، والبخارى : ٤ - ٢٣٠ ، ومسلم : ١٨١٣

(٢) في هذا الحديث الأخذ بالأسهل والأرفق . ما لم يكن حراما أو مكروها .

(٣) أى موجب إثم من حرام أو مكروه .

(٤) أى لا يعاقب أحدا بتقصير وقع منه في حقه هو .

(٥) حرمة الله : ما حرمه وجمله محرما ممنوعا . وانتهاكه : التعمدى والتجاوز فيه .

والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، ١٨١٤

(٦) رباعيته : سن بين الثنية والتاب . والرباعيات أربع . وقد كسرها عتبة بن أبي وقاص .

(٧) شج وجهه : الشجة : جراحة في الوجه أو الرأس . وقد شجحه عبد الله بن شهاب

الزهرى . وارجع في تفصيل ذلك إلى سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٧ ، ٢٨ إن أردت .

(٨) لعنا : داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمه الله .

(٩) داعيا ورحمة : أى داعيا للناس إلى الله ، ورحمة للناس أجمعين ، بإخراجهم من

الكفر للإيمان ، وتأخير العذاب عنهم كفر ؛ لا لطردهم عن رحمه الله ، وإبعادهم عنه . والحديث

في صحيح مسلم : ٢٠٠٦ ، وصحيح البخارى : ٨ - ١٥

(١٠) قال السيوطى : إن هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث .

(١١) أى حين رأى ما أصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشجته في غزوة أحد .

(١٢) معناه : إني أجمل أبوى فداء دونك وأبذلها في حمايتك .

الكافرين دياراً^(١) . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا^(٢) ، فلقد وُطئ ظهرُك ، وأذمي وجهُك^(٣) ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً ، فقلت : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) وفقه الله : انظر في هذا القول من جماع^(٥) الفضل ، ودرجات الإحسان ، وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر [٣٤] والحلم ، إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق^(٦) عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم ، فقال : اغفر ، أو اهد ، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : لتوحي^(٧) ، ثم اعتذر عنهم بحملهم ، فقال : فإنهم لا يعلمون . ولما قال له الرجل^(٨) : اعدل ، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله .

ووعظ نفسه ، وذكرها^(٩) بما قال له ، فقال : ونحك^(١٠) ! فن يعدل إن لم أعدل ! خبت وخسرت^(١١) ! إن لم أعدل ! ونهى من أراد من أصحابه^(١٢) قتله .

- (١) لا تذر : لا تترك . دياراً : أحدا . (سورة نوح ، آية ٢٦) .
- (٢) لهلكنا من عند آخرنا : المراد لهلكنا من أولنا إلى آخرنا ؛ أي جميعنا .
- (٣) أذمي وجهك : جرح وجهك وسال منه الدم . (٤) هو المؤلف .
- (٥) جماع الفضل : ما يجمع كل فضل . (٦) أشفق عليهم : أبدى شفقه ورحمته لهم .
- (٧) فإن الطبع البشري يقتضي العطف والحنو على الأهل والأقارب بأي حال كانوا .
- (٨) هو ذو الحويصرة التيمي ، وهو حرقص بن زهير . وفي صحيح البخاري : هو عبد الله بن ذي الحويصرة التيمي . قال في نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل . وهو حديث صحيح رواه مسلم : ٧٣٩ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ ، والبخاري : ٤٧-٨ وأخرجه البيهقي أيضاً . (٩) أي عدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه ؛ وهو نهاية الحلم . (١٠) ويح : كلمة ترحم وتوَجع لمن وقع فيها لا يرضى . أو كلمة مدح وتعجب . فترحمه لما خالف رضاء الله تعالى عليه ، أو تعجب من صدور مثله من مسلم .
- (١١) ضببت التاء في « خبت » ، و« خسرت » - بالضم والفتح ، في ا ، ب ، وطى كل منها في النسختين « معا » . وفي هامش ا : الصواب بالفتح .
- (١٢) عمر بن الخطاب هو الذي أراد قتله وقيل : خالد بن الوليد .

ولما تصدَّى^(١) له غَوْرَثُ بن الحارث لِيَفْتِكَ به^(٢) ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنْتَبِذٌ^(٣) تحت شجرةٍ وحده قائلًا ، والناسُ قائلون^(٤) ، في غَزَاةٍ ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائمٌ والسيفُ صُلْتًا^(٥) في يده ، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : الله . فسقطَ السيْفُ مِنْ يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ قال : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ^(٦) ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرٍ^(٧) الناسِ .

وَمِنْ عَظِيمِ خَيْرِهِ فِي الْعَنُوفِ عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ^(٨) الَّتِي سَمَّيْنَاهُ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا - عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرِّوَايَةِ . وَأَنَّهُ لَمْ يُوَاخِذْ كَيْبِدَ بْنَ الْأَعْصَمِ^(٩) إِذْ سَحَرَهُ ، وَقَدْ أَعْلِمَ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنْ مَعَاقِبَتِهِ .

وكَذَلِكَ لَمْ يُوَاخِذْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ^(١٠) أَبِي وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جَهْتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ؛ بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِهِ^(١١) بَعْضُهُمْ : لَا يُتَحَدَّثُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(١) تصدى : تمرض .

(٢) هذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة .

(٣) منتبذ : جالس في ناحية منفرد .

(٤) قائلًا : أى مستريحًا في وقت القيلولة ، وهى وسط النهار إذا اشتد الحر .

والناس قائلون : أى كل منهم في قيلولة منفردًا عن أصحابه .

(٥) صلتا : مسلولا مجردا من غمده .

(٦) غير آخذ : أى خير رجل أخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه ، أى متصفا بالحلم

والعفو والكرم . (٧) صحيح مسلم : ١٧٨٦ ، والبخارى : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٤٨

(٨) هى زينب بنت الحارث بن سلام ، وحديثها فى « أبو داود » : ٢ - ١٥٩

(٩) هو رجل من بنى زريق ، وهم بطن من الأنصار وحديث هذا السحر فى البخارى : ٧ - ١٧٦

(١٠) كان رأس المنافقين . (١١) هو عمر بن الخطاب .

وعن أنس رضي الله عنه^(١) : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه بُردٌ^(٢) غليظ الحاشية ، فجَبَذَهُ الأعرابي^(٣) بردائه جَبَذَةً شديدة حتى أثرت حاشية البُردِ في صفحة عاتقه^(٤) ، ثم قال : يا محمد ، احْمِلْ لي على بعيري هذين من مالِ الله الذي عندك ، فإنك^(٥) لا تحمِلُ لي من مالك ومالِ أبيك .

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : المالُ مالُ الله ، وأنا عبده^(٦) ، ثم قال : ويُقَادُ^(٧) منك يا أعرابي ما فعلتَ بي . قال : لا . قال : لِمَ ؟ قال : لأنك لا تكفي بالسيئة السيئة .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم أمر أن يُحمَلَ له على بعير شعيرٌ ، وعلى الآخر تمرٌ .

قالت عائشة رضي الله عنهما : ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منتصرا^(٨) من مظالمة ظلمها قطُّ ما لم تكن حرمةً من محارم الله . وما ضرب بيده شيئا قطُّ إلا أن يُجاهِدَ في سبيل الله وما ضرب خادما قطُّ ولا امرأةً .

(١) قال السيوطي : هذا الحديث رواه الشيخان إلى قوله الآتي : من مال الله الذي عندك . قال : فضحك وأمر له بعماء . وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الأدب من حديث أبي هريرة . وارجع إلى الحديث أيضا في سنن النسائي : ٨ - ٣٠ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ .

(٢) برد : كساء كانت العرب تلتحف به . والحاشية : جانب الثوب .

(٣) جبذه : جذبه . وفي ب : أعرابي .

(٤) صفحة عاتقه : الصفحة : الجانب . والعائق : ما بين العنق والكتف .

(٥) لا تحمِلُ لي : لا تمطيني .

(٦) وأنا عبده : أتصرف في ماله بإذنه ، وأعطى من يأمرني بإعطائه . وهذا أُلطف رد .

(٧) يقاد منك : ويقتص منك ؛ والمراد تجازي على ترك أدبك .

(٨) منتصرا : منتقما وناصرا لنفسه على غيره .

وجيء إليه برجل^(١)، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ^(٢)، ولو أردتَ ذلك لم تسلطَ علي^(٣). وجاءه زيد بن سَعْنَةَ^(٤) قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجَبَذَ ثوبه عن منكبيه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بني عبد المطلب، مُطل^(٥)، فأنهره^(٦) عمر، وشدَّ له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يتسم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهو كُنَّا إلى غير^(٧) هذا أخوج منك يا عمر، تأمرني بحُسن القضاء، وتأمره بحُسن التقاضي^(٨). ثم قال: لقد بقيَ من أجله ثلاثٌ، وأمرُ عمرَ بَقْضِيهِ^(٩) ماله ويزيده عشرين صاعاً لما رَوَّعَهُ^(١٠)؛ فكان سببَ إسلامه.

- (١) قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه أحمد، والطبراني بسند صحيح؛ ولم يسمي الرجل.
- (٢) لن ترَاع: أى لا تخف منى ولا من غيرى، وكرره ليطمئن قلبه. والروع: الخوف والفرع.
- (٣) لم تسلط على: لأن الله عصمتى، فلن ينالنى ما أردته أنت ولا غيرك.
- (٤) هو جبر من أجبار اليهود. وفي ب: سَعْنَة، وسعية، وعليها «معا». وفي: سَعْنَة، وفوقها «معا» أيضاً. وفي هامشه: سَعْنَة - بالنون، وكان من أجبار يهود، وبنو سعية - بالياء باثنتين: من أهل الكتاب أيضاً.
- وأسيد بن سعية منهم، روي عنه المغازى، وهو من أسلم، وعنه يروى ابن إسحاق. ويقال في زيد بن سعية - بالياء أيضاً، والدارقطنى ذكره بالنون.
- (٥) مطل: جمع ماطل، ومطول. والمطل: التطويل في تأخير الحق، أو خالف الوعد فيه مراراً، والتسويق في العدة والدين.
- (٦) أنهره: زجره، والانتهاز: الإغلاظ في القول مع صياح.
- (٧) إلى غير هذا: أى غير هذا المقال.
- (٨) بحسن التقاضى: الطلب بلطف.
- (٩) في ب: يقضيه - بكسر الصاد، وبتشديد.
- (١٠) لما روعه: أى لأجل ترويع عمر وتخويفه له.

وذلك أنه كان يقول^(١) : ما يَبْقَى من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفْتُها في^(٢) عهد إلا اثنتين لم أخْبِرْهما^(٣) : يسبقُ حِلْمُهُ جهله [٣٥] ، ولا تزيدهُ شدةُ الجهل إلا حِلْمًا . فاختبره^(٤) بهذا ، فوجده كما وُصِفَ .

والحديثُ عن حِلْمِهِ عليه السلام وصَبْرِهِ وعَفْوِهِ عند القدرة^(٥) أَكْثَرُ من أن نَأْتِيَ عليه ، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواترًا مبلغَ اليقين : من صبره على مُقاساة^(٦) قريش ، وأذى الجاهلية^(٧) ، ومُصَابَرَتِهِ الشدائد الصعبةَ معهم إلى أن أظهره^(٨) الله عليهم ، وحكَّمَهُ فيهم ، وهم لا يَشْكُونُ في استئصال شَأْنِهِمْ^(٩) ، وإبادة خَضِرَائِهِمْ^(١٠) ؛ فإزاد على أن عفا وصفح ، وقال : ما تقولون^(١١) أُنِّي فاعلُ بكم ؟ قالوا : خَيْرًا ؛ أَخُ كَرِيم ، وابنُ أَخٍ كَرِيم ، فقال : أقولُ كما قال أخى يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبْ ﴾^(١٢) عليه-كم اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ، اذهبوا فأنتم الطُّلُقَاءُ^(١٣) .

-
- (١) كان يقول : الذى كان يقول هو يزيد بن سعدة اليهودى للتقدم . (٢) فى ب : من .
 (٣) لم أخبرهما : لم أعرفها . (٤) فى ب : فاختبرته بهذا فوجده كما وصف .
 (٥) فى ب : للقدرة . (٦) مقاساة قريش : المعاقبة : معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها ، وهذا فى أول بعثه .
 (٧) وأذى الجاهلية : أى أذى أهل الجاهلية ، وهم الكفار . (٨) فى ب : أظهره .
 (٩) استئصال شأنتهم : الاستئصال : قطع الشيء من أصله وإزالته بالسكينة . والشافة : قرحة تخرج فى أصل القدم فتسكوى فتذهب . والمراد : إهلاكهم أجمعين .
 (١٠) وإبادة خضرائهم : الإبادة : الإهلاك . والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم . والمراد هلاكهم جميعا ، وتقريب جمعهم . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم بأسرهم بحيث لا يبقى منهم أحد . (١١) ما تقولون : ما تظنون .
 (١٢) سورة يوسف ، آية ٩٢ . والتريب : التعمير والتوبيخ ؛ أى لا أوبخكم وأعيركم بما يجلسكم . أو لاعتب عليكم .
 (١٣) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير يطلق ويخلى سبيله . وقد قال النبى هذا القول لما فتح مكة . وارجع - فى ذلك - إلى سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٢ إن أردت .

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التَّغِيمِ ^(١) صلاة الصبح لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَخَذُوا ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ^(٣) 》， وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا 》 .

وقال لأبي سفيان - وقد سِيَّقَ إليه بعد أن جَلَبَ إليه الأحزاب ^(٤) ، وقتل عمه وأصحابه وَمَثَلَ بِهِمْ ^(٥) ؛ ففعا عنه ، ولا طَفَهَ في القول : وَيَحْكُ يَا أبا سفيان ! أَلَمْ يَأْنِ ^(٦) لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : فَقَالَ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ! مَا أَجْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ ؟

وكان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أبعدَ الناسِ ^(٧) غَضَبًا ؛ وَأَسْرَعَهُمْ ^(٨) رِضًا ، صلى الله وسلم .

(١) التَّغِيم : موضع على أربعة أميال من مكة ، وهو طرف الحرم من جهة المدينة .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٤

(٣) بطن مكة : الحديبية . أظفركم عليهم : أظهركم ونصركم عليهم .

قال السيوطي : وحديث أنس هذا رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٤) جلب : ساق وجمع . الأحزاب : جمع - زب : الناس المجتمعة من قبائل شق للحرب ، وذلك في غزوة الخندق .

(٥) مثل بهم : شوه خلقهم بقطع الأطراف وشق البطن وإخراج القلب ونحوه . وكان قتل عمه في أحد .

وقاتل حمزة هو وحشى بن حرب ، والقي مئاة به زوجة أبي سفيان هند ؛ ونسب هذا وذلك لأبي سفيان ؛ لأنه الباعث عليه والسبب لذلك القتال والمهيج له .

(٦) أَلَمْ يَأْنِ لَكَ : ألم يَدُنْ وقت علمك ؟

(٧) أى غضبه بعيد لا يكون منه إلا بعد أمور كثيرة ، بخلاف رضاه فإنه يرضى بأقل شيء .

(٨) في ١ : وأسرعه ، وعليها علامة الصحة . وفي الهامش أمامها : وأسرعهم ، وعليها علامة

الصحة أيضا .

فصل

وأما الجود والكرم ، والسخاء والسماحة - فعمانيها متقاربة . وقد فرّق بعضهم بينها بفروق ؛ فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ^(١) ونفعه ، وسمّوه أيضا حرّية ^(٢) ، وهو ضدّ النذالة ^(٣) .

والسماحة : التجافى ^(٤) عما يستحقّه المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضدّ المشكاسة ^(٥) .

والسخاء : سهولة الإنفاق ، وتجنّب اكتساب ما لا يُحمد ، وهو الجود ، وهو ضدّ التقدير ^(٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه الأخلاق الكريمة ، ولا يُبَارَى ^(٧) ، بهذا وصفه كلٌّ من عَرَفَه .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصّدق رحمه الله ، حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، حدثنا أبو الهيثم الكشميهني ^(٨) ، وأبو محمد السرخسي ،

(١) يعظم خطره : قدره ووقعه .

(٢) في نسيم الرياض (٢ - ٣٩) : أما تسمية الكرم حرية فلأن الحر خلاف العبد ؛ فالحرية الخلاص من منن الناس ، فإذا طوقهم مننه خلصت له الحرية ، لأن الإنسان عبد الإحسان .

(٣) النذالة : الخسة والحقارة ، وهي من لوازم البخل المقابل للكرم .

(٤) التجافى : التباعّد والترفع .

(٥) المشكاسة : سوء الخلق . وقيل : البخل . وفي هامش ب : أى صعب الخلق .

(٦) التقدير : التضييق في الإنفاق . قال الشهاب (٢ - ٤٠) : واعلم أن كلام المصنف هنا

غير موافق للغة ولا للعرف ، ولا أدري من أين أخذه ؛ فالمرء في اللغة أن الجود ضد البخل . والتقدير : التضييق في الإنفاق ، وهو ضد الإسراف والتبذير .

(٧) لا يوازي : لا يساوي ولا يقابل . ولا يبارى : لا يعارض . والمعارضة : أن تفعل مثل ما يفعل .

(٨) هذا الضبط في أ ، ب . وضبطه اللباب ، والشهاب (٢ - ٤٠) بكسر الميم .

وأبو إسحاق البليخي ؛ قالوا : حدثنا أبو عبد الله الفريزي ؛ قال : حدثنا البخاري ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن ابن المنذر ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ^(١) فقال : لا ^(٢) .

وعن أنس ، وسهل بن سعد مثله .

وقال ابن عباس : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ^(٣) ، وأجود ما كان ^(٤) في شهر رمضان ، وكان إذا أقيمه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الرّيح ^(٥) المرسلة .

وعن أنس أن رجلاً ^(٦) سأله فأعطاه غنماً بين جبّين ^(٧) ، فرجع إلى بلده ^(٨) ، وقال : أسلموا ؛ فإنّ محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى فاقةً ^(٩) . وأعطى غير واحد ^(١٠)

(١) عليها علامة الصحة في ١ ، وفي هامشه : شيئاً وعليها « صح » ، و « معا » . وفي هامش ب : قال المزني : المعروف شيئاً .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٠٥ ، وفيه : شيئاً .

(٣) بالخير : أي بما فيه نفع للناس .

(٤) في ب : ما يكون . وفي هامشه : ما كان . وفي هامش ب : أجود بالرفع ، بل يتعين ، وليس للنصب وجه مستقيم ، ذكره ابن الحاجب رحمه الله .

(٥) إرسال الرياح : إطلاقها بإذن الله . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٣ ، قال : المراد كالريح في إسرعتها وعمومها . (٦) هو صفوان بن أمية الجمحي .

(٧) بين جبّين : مائة وادي بين جبّين . والمراد أنها كثيرة ، كأنها تملأ ما بين جبّين ، والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٦ .

(٨) إلى بلده : مكة . (٩) فاقة : فقراً .

(١٠) ممن أعطاهم النبي مائة ناس كثير ، منهم أبو سفيان ، وابنه معاوية ، والحارث بن هشام ، وقيل : إنهم يملفون ستين من المؤلفة قلوبهم .

مائة من الإبل. وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة. وهذه كانت حاله^(١) صلى الله عليه وسلم قبل أَنْ يُبْعَثَ .

وقد قال له وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ^(٢) : إِنَّكَ تَحْمِلُ السَّكْلَ وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ .

ورَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سَبَايَاها ، وَكَانُوا سَنَةَ آلَافٍ .

وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ مَا لَمْ يُطِيقْ حَمْلَهُ .

وُحِلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا يَقْسِمُهَا ، فَأَرَادَ سَائِلًا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا .

وَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلَكِنْ ابْتَغِ^(٣) عَلَىَّ ، فَإِذَا [٣٦] جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ . . .

فَقَالَ لَهُ عُمرُ : مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ .

فَسَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَتُنْفِقُ وَلَا تَخَفُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا^(٤) :

فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعُرفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : بِهِذَا^(٥) أُمِرْتُ ، ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ^(٦) .

وَذَكَرَهُ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ^(٧) عَفْرَاءَ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِنَاعٍ

(١) فِي ب : خَلَقَهُ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصِّحَّةِ .

(٢) هَذَا بَعْضُ مَنْ حَدَّثَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٤١ . وَالسَّكْلُ : الْإِعْيَاءُ وَالثَّقْلُ .

(٣) ابْتِغَ : اشْتَرَى ، وَاسْتَفَ مَقْدَارَ مَا تَخْتَارُهُ حَوَالَةَ عَلَى . وَالْمُرَادُ اشْتَرَى بَشْمَنَ يَكُونُ ذَلِكَ

الْبُخْمَنُ عَلَى وَفِي ذِمَّتِي . (٤) الْإِقْلَالُ : الْفَقْرُ . وَذُو الْعَرْشِ : هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٥) بِهِذَا أُمِرْتُ : أَيْ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ مَخَافَةِ فَقْرٍ .

(٦) ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي شِمَائِلِهِ .

(٧) فِي هَامِشِ ب : صَوَابُهُ الرَّبِيعُ بِنْتُ ... وَفِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٨) : قَالَ السِّيُوطِيُّ :

ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ التِّرْمِذِيُّ فِي الشِّمَائِلِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ ، عَنْ الرَّبِيعِ بِنْتُ مُعَوِّذَ ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ .

من رُطب - يريد طَبَقًا ، وأَجْرٍ زُغَب ^(١) - يريد قَتَاءً ، فأعطاني مِلءَ كَفِّهِ حَلِيًّا وَذَهَبًا .

وقال أنس ^(٢) : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدَّخِرُ شيئًا لِنَفْسِهِ .

والخَبَرُ بِجُودِهِ صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير .

وعن أبي هريرة : أتى رجلُ النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، فاستَسَلَفَ ^(٣) له

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نِصْفَ وَسْقٍ ^(٤) ، فجاء الرجلُ يتقاضاه ، فأعطاه وَسْقًا ،

وقال ^(٥) : نِصْفُهُ قَضَاءٌ ونِصْفُهُ نَائِلٌ ^(٦) .

فصل

وأما الشجاعةُ والنجدةُ فالشجاعةُ فَضِيلَةُ قُوَّةٍ ^(٧) الغضبِ وانقيادِها للعقلِ ،

(١) وأجر : قَتَاءٌ صغار . والزغب : جمع أزغب ؛ أى ذوات زغب ، أى صغار الريش والشعر ؛ فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد : ٤ - ٥٨٠ ، وقال : قال أبو يعسى : هذا حديث غريب .

وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(٣) السلف والقرض بمعنى . (٤) الوسق : ستون صاعًا .

(٥) القائل هو الرسول . (٦) نائل : عطاء .

(٧) فى نسيم الرياض (٢ - ٥٠) : هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الأخلاق : إن الله

تعالى ركب فى الإنسان قوة هى مبدأ الإقدام على الأهوال وللهالك لتصوره أن من خاطر بالنفس

ربما يهلك النفس ، وأنه لا ينفى حذر من قدر ، وهى القوة النفسية الشنيعة . والشجاعة : انقياد

هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ؛ ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب

حتى يكون فعلها جميلًا محمودًا ؛ وإفراطها التهور وهو الإقدام حيث لا ينبغى ؛ وتقریطها الجبن .

وبهذا عرفت معنى الشجاعة .

والجراءة أعم منها . وفسرها ابن القوطية بالإقدام ؛ وهو تفسير لفظى بالأعم .

وَالنَّجْدَةُ^(١) : ثَقَّةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا^(٢) إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحَمَّدُ فَعْلُهَا دُونَ خَوْفِ .
وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا^(٣) بِالْمَسْكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ ؛ قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ
الصَّعْبَةَ^(٤) ، وَفَرَّ السَّكَمَةَ^(٥) وَالْأَبْطَالَ عَنْهُ شَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ ، وَمُقْبِلٌ
لَا يُدْرِكُ وَلَا يَتَزَحَّجُ^(٦) . وَمَا شَجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُخْصِيَتْ لَهُ قُرَّةٌ ، وَحُفِظَتْ عَنْهُ
جَوْلَةٌ^(٧) ، سِوَاهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَلِّيَّانِيُّ^(٨) فِيمَا كَتَبَ لِي^(٩) ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجٌ ، حَدَّثَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ النُّفَيْهِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ : سَمِعَ
الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ^(١٠) : أَفَرَزْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ :
لَسَكُنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ .

(١) النجدة : شدة البأس .

(٢) استرسلها : انطلاقتها ؛ أَيْ إِنْ الشَّجَاعَةُ جَرَاءَةٌ وَإِقْدَامٌ بِخَوْضِهِ لِلْمَالِكِ ، وَالنَّجْدَةُ :
ثَبَاتُهُ عَلَى ذَلِكَ مَطْمَئِنًا مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ مِنْ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ يَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، حَقٌّ يَقْضَى اللَّهُ لَهُ
بِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : الظُّفَرِ ، أَوْ الشَّهَادَةِ ؛ فَيَحْيَا سَعِيدًا أَوْ يَمُوتُ شَهِيدًا .

(٣) مِنْهُمَا : أَيْ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ . (٤) الْمَوَاقِفُ الصَّعْبَةُ : مَوَاضِعُ الْقِتَالِ الشَّدِيدَةِ .

(٥) السَّكَمَةُ : جَمْعُ كَمَى ، وَهُوَ الشَّجَاعُ . (٦) لَا يَتَزَحَّجُ : لَا يَزُولُ عَنْ مَقَرِّهِ .

(٧) الْجَوْلَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْمَسْكَانِ ، وَقِيلَ الْإِنْكَشَافُ وَالزَّوَالُ عَنِ الْمَوْقِفِ .

(٨) هَذَا الضَّبْطُ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٥٢) . وَقَالَ : هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ

الْجَلِّيَّانِيُّ - بَفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ التَّحْيَاتِيَّةِ ثُمَّ أَلْفَ وَنُونٍ وَيَاءٍ : نِسْبَةُ لِبَلَدَةِ جِيَانِ .

وَقَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ (١ - ٢٥٤) : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَيَّانِيُّ - بَفَتْحِ الْحَاءِ الِهْمْلَةِ وَتَشْدِيدِ

التَّحْيَةِ وَفِي آخِرِهِ نُونٍ ثُمَّ يَاءُ النِّسْبَةِ ، وَهُوَ الْحَافِظُ النَّسَائِيُّ . وَقِيلَ بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَالظَّاهِرُ

أَنَّهُ تَصْغِيفٌ . (٩) فِي ب : فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ .

(١٠) هَذَا الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤ - ٣٩) ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَنَازِي (١٤٠١) ،

وَالْتَرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ : ١٩٩

ثم قال : لقد رأيته على بَغْلته البيضاء وأبو سفيان ^(١) آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبيُّ لا كَذِبٌ ، وزاد غيره : أنا ابنُ عبدِ المطلب ^(٢) . قيل : فما رُئي يومئذٍ أحدٌ كان أشدَّ منه .

وقال غيره ^(٣) : نزل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن بَغْلته .

وذكر مسلم - عن العباس ، قال ^(٤) : فلما اتَّقَى المسلمون والكفار وَلَّى المسلمون مُدْبِرِينَ ، فظَفِقَ ^(٥) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركضُ بَغْلته ^(٦) نحو الكفار ، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكْفَهَا ^(٧) إِرَادَةً أَلَّا تُسْرِعَ ، وأبو سفيان آخِذٌ بِرِكَابِهِ ، ثم نادى : يَا لِلْمُسْلِمِينَ ^(٨) الحديث .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ، وأخوه من الرضاع .
(٢) هذا الضبط في ب ، ومسلم ، والترمذى . وفي أ - بكسر الباء . قال القارى (١-٢٥٦) : هو بسكون الباء ، مع أنها في أصل الإعراب بالجر . ومن قرأه بالكسر أراد إخراجَه من وزن الشعر .
(٣) أى غير البخارى ، ففي رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ؛ قال : لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوههم ، وقال : شأنت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا ، وهزمهم الله .

ولا شك أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى .

(٤) صحيح مسلم : ١٣٩٨

(٥) طفق : جعل ، وشرع .

(٦) يركض بَغْلته : يسوقها ويسرع بها ، ويضربها برجله لتسرع . وفي صحيح مسلم : قبل الكفار .

(٧) أكفها : أ منعها من السرعة .

(٨) قال في نسيم الرياض (٢ - ٥٧) : وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى .

وقيل : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غَضِبَ - ولا يَغْضَبُ إلا الله - لم يَقُمْ لَغَضَبِهِ شَيْءٌ ^(١) .

وقال ابنُ عمر : ما رأيتُ أَشْجَعَ ، ولا أَتَجَدَّ ، ولا أَجودَ ، ولا أَرْضَى ^(٢) ، [ولا أَفْضَلَ] ^(٣) مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عليٌّ رضي الله عنه : إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمَى الْبَأْسُ ^(٤) - ويروى : اشتدَّ البأسُ - واحمرَّتِ الْحَدَقُ ^(٥) اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ^(٦) ؛ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ، ولقد رأيتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُودُ ^(٧) بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا .

وقيل : كان الشجاعُ ^(٨) هُوَ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَنَا الْعَدُوُّ ، لِقُرْبِهِ مِنْهُ ^(٩) .

(١) في هذا إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحياناً ، ولكن ذلك كان غيرَ على حدود الله لا لنفسه .

ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة أن الغضب مقتضى للبطش والإقدام ، وهو من غمطها .

وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذی .

(٢) ولا أرضى : ولا أكثر رضا منه . (٣) من ب .

(٤) حمى البأس : المراد اشتد القتال . وفي صحيح مسلم : ١٤٠١ : احمر البأس .

(٥) الحدق : جمع حدة ، وهى ماتحت الأنف . واحمرارها يكون عند الغضب . والمراد : اشتد القتال ودام مدة .

(٦) اتقينا برسول الله : جعلناه وقاية لنا من العدو ، بأن يتقدم علينا ، فيدفع العدو ونحن خلفه .

(٧) نلود : نستتر ونلتجىء إليه .

(٨) هذا الضبط في ب . وفي ضبطت العين بالفتحة .

(٩) أى لقرب النبي من العدو .

وعن أنس^(١) : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناسٌ قبل^(٢) الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ، قد سبّتهم إلى الصوت ، واستبرأ الأنبياء^(٣) على فرسٍ لأبي طلحة عُرِي^(٤) ، والسيفُ [٣٧] في عنقه ، وهو يقول : لن تُراعُوا^(٥) . وقال عمران بن حصين : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة^(٦) إلا كان أول من يضرب .

ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول : أين محمد ، لا تجوتُ إن نجا^(٧) . وقد كان يقول^(٨) للنبي صلى الله عليه وسلم - حين افتدى^(٩) يوم بدر : عندي فرسٌ أعلفها كل يوم فرساً من^(١٠) ذُرّةٍ أقتلكَ عليها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلكَ إن شاء الله .

فلما رآه يوم أحد شد^(١١) أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه رجالٌ من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا^(١٢) ، أي خلوا

(١) الحديث في صحيح البخاري : ٨ - ١٦ ، وسنن ابن ماجه : ٩٢٦

(٢) قبل الصوت : جهته ونحوه . (٣) استبرأ الخبر : وقف على حقيقته .

(٤) عرى : ليس على ظهره شيء ، من سرج أو غيره .

(٥) لن تراعوا : الروع : الخوف ؛ أي ليس هناك شيء تخافونه .

(٦) كتيبة : جماعة عظيمة من الجيش .

(٧) دعاء على نفسه بالهلاك إن نجا النبي .

وارجع في هذه الحادثة إلى المغازي للواقدي : ٢٥١ ، وسيرة ابن هشام : ٣ - ٣٢

(٨) القائل هو أبي بن خلف .

(٩) افتدى : أي اقتدى أسيراً له ، وهو ابنه عبد الله . والافتداء : إعطاء الفدية لافتكاك

الأسير . (١٠) للفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً (النهاية) .

(١١) شد : عدا وأسرع . (١٢) هكذا : أتركوا سبيله .

طريقه ؛ وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايرُوا عنه تطايرَ الشعراء عن ظُهر البعير إذا انتفض^(١) ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم ، فطعنه في عنقه طعنةً تدأداً منها^(٢) عن فرسه مَراراً .

وقيل : بل كسر ضاماً من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول : قتلني محمد ، وهم يقولون : لا بأسَ بك . فقال : لو كان^(٣) ما بي بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد قال : أنا أقتلك ، والله لو بصقَ عليّ لقتلني . فمات بسرّف في قفولهم إلى مكة^(٤) .

فصل

وأما الحياء والإغضاء : فالحياء^(٥) رقةٌ تَمَرِي وجهَ الإنسان عند فعل ما يتوقعُ كراهته^(٦) ، أو ما يكونُ تركه خيراً من فعله .

والإغضاء : التغافل^(٧) عما يكره الإنسان بطبيعته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس حياءً ، وأكثرهم عن العوراتِ إغضاءً^(٨) ؛ قال الله سبحانه^(٩) : ﴿ إِن ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ... ﴾ الآية .

(١) انتفض بها انتفاضةً : قام بها قومة سريعة . تطايروا : تفرقوا فارين مسرعين . والشعراء : ذبابة لها إبرة (هامش ١ ، ب) . وفي المنازى : تطاير الشعاري ، والشعارير : جمع الشعراء . قال ابن هشام : الشعراء : ذباب صغير له لدغ . وفي النهاية : تطاير الشعر — بضم الشين وسكون العين ، وهو جمع الشعراء . وروى : الشمارير ، وقياس واحده شعور .

(٢) تدأداً : تدحرج ، وسقط ، ومال . وقال ابن هشام : تدأداً : يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج . (٣) في المنازى : لو كان الذي بي بأهل ذى الحجاز لما أتوا أجمعون .

(٤) سرف : اسم جبل قريب من مكة . قفولهم : رجوع السفنار إلى مكة .

(٥) في ١ : والحياء . (٦) ما يتوقع كراهته : المراد ما من شأنه أن يكرهه .

(٧) التغافل : المراد التجاوز .

(٨) العورات : كل ما يقيح إظهاره ، وهو جمع عورة . إغضاء : سكوتا وتجاوزاً .

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

حدثنا أبو محمد بن عتّاب ، بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد المرؤزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله [مولى أنس] ^(١) ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعتُ عبد الله مولى أنس ، يحدثُ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءَ من العذراء في خدرها ^(٢) . وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه .

وكان صلى الله عليه وسلم لطيفَ البشرة ^(٣) ، رقيقَ الظاهر ^(٤) ، لا يشافيه ^(٥) أحداً بما يكرهه حياءً وكرمَ نفس .

وعن عائشة رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحدٍ ما يكرهه لم يقل : ما بال ^(٦) ؟ فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون ، أو يقولون ^(٧) كذا ! ينهي عنه ، ولا يُسمي فاعله ^(٨) .

وروى أنس أنه دخل عليه رجلٌ به أثرُ صفرة ^(٩) ، فلم يقل له شيئاً - وكان

(١) من ب .

(٢) الحذر : البيت أو السر في جانب البيت ، أو قبة تضرب لها . والحديث في ابن

ماجه : ١٣٩٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠٩ ، والبخاري : ٨ - ٣٥

(٣) البشرة : ظاهر جلد الوجه والجسد كله .

(٤) الظاهر : ما يظهر من بدنه رقيق ، يظهر فيه بسرعته آثار الانفعالات النفسية .

(٥) لا يشافيه أحداً : لا يكلم أحداً ولا يواجهه .

(٦) البال : هو الحال والشأن .

(٧) إشارة وكناية عما يكره ، فلا يمين الصانع أو القائل .

(٨) ولا يسمي فاعله : أي بصريح اسمه ، بل يكفي عنه . ونهيه عما أنكره مأخوذ من الاستفهام

الإنكارى ، وسياق الكلام في قوله : ما بال فلان . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦

(٩) المراد بالصفرة لون الورس والزعفران ، يعني أنه كان خضب بذلك فبق عليه بقية منها .

لا يواجهُ أحدا بما يكره - فلما خرج قال : لو قاتمُ له : يفسلُ هذا^(١) - ويُروى : يَنْزَعُهَا^(٢) .

قالت عائشة في الصحيح^(٣) : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا مُتَفَحِّشا^(٤) ، ولا سَخَّابا بالأسواق^(٥) ، ولا يَجْزِي بالسِيئةِ السيئةَ ، ولكن يَغْفُو ويصْفَحُ . وقد حُكِيَ مثلُ هذا الكلام^(٦) عن التوراة ، ومن رواية [عبد الله]^(٧) بن سَلام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وروى عنه أنه كان من حَيَاتِهِ لَا يُنْثَبُ بِصِرِّهِ فِي وَجْهِ أَحَدٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْنِي عَمَّا اضْطَرَّهِ الْكَلَامُ إِلَيْهِ مِمَّا يُبْكَرُهُ .

وعن عائشة : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

فصل

وَأَمَّا حُسْنُ عَشْرَتِهِ وَأَدَبُهُ وَبَسْطُ خَلْقِهِ^(٨) صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخَلْقِ فَبِحَيْثُ انْتَشَرَتْ^(٩) بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ .

(١) هذا : أى أثر الصفرة والحضاب .

(٢) ينزعها : يزيلها . والشك من الراوى . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦

(٣) في الحديث الصحيح الروى عنها ، كما أخرجه البخارى : ٨ - ١٥ ، والترمذى : ٤ - ٣٤٩

(٤) الفحش : كل أمر قبيح ، أو شديد القبح قولاً وفعلًا ، والفاحش : من يصدر ذلك عنه . والمتفحش : من يتعمده ويبالغ فيه ؛ والظاهر أن المراد به بذاءة اللسان هنا .

(٥) سخاب : من السخب ، وهو رفع الصوت بمبالغة فيه ؛ وخص الأسواق ، لأنه فيها أقبح ، ولأنها محلّه ، وأما في المنزل ونحوه فلا حاجة إليه . وهو بالسین ، والصاد .

(٦) مثل هذا : الذى قالته عائشة . (٧) من ب .

(٨) بسط خلقه : المراد سعة خلقه . وقد ضبطت الطاء بالضمّة والكسرة وعليها «مما» في ١ .

(٩) انتشرت : كثرت واشتهرت .

قال على رضي الله عنه [٣٨] في وصفه عليه الصلاة والسلام : كان أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ^(١) .

حدثنا أبو الحسن على بن مشرق ^(٢) الأنماطي فيما أجازنيه ، وقرأته على غيره ، قال : حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هشام أبو مروان ، ومحمد بن المثنى : قالوا : حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن قيس بن سعد ، قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر قصة في آخرها ^(٣) : فلما أراد الانصراف قرَّب له سعدُ حماراً ، وطأ عليه ^(٤) بقطيفة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سعد : يا قيس ؛ اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركب ، فأُيِّت . فقال : إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تُنْصَرَفَ . فانصرف .

(١) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تسكليفهم . واللهجة : المراد الكلام . أصل العريكة : السنام ، والمراد أنه أسهل الناس طبعاً ، وأنه سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهور فيه . وفي ١ : أجود ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : أوسع ، وعليها «صح» أيضاً . (٢) هذا الضبط في ١ ، ب . وهو بالقاء في ميزان الاعتدال : ٣-١٥٦ (٣) هي ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول ؛ إذ مر به وهو جالس مع أخلاط المسلمين وغيرهم ، فنشئ المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم ، فغمر ابن سلول أنفه بردائه ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتغبروا علينا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ؛ فاستب للمسلمون مع الشركيين حتى هموا أن يتواثبوا ، فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله عنه ، وذكر ذلك له ، فقال له : يا رسول الله ؛ اعف عنه واصفح ، فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك ، فمعا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... (نسيم الرياض : ٢-٧١) (٤) وطأ عليه بقطيفة : القطيفة : كساء له وبر وخل وضعه على ظهر الحمار ليركب عليه .

[وفي رواية أخرى : اركب أمانى ، فصاحب الدابة أولى بمقدّمها] ^(١) .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثّمهم ، ولا ينقرّمهم ^(٢) ، ويكرم كرم كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر ^(٣) الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ^(٤) ولا خلقه ؛ يتفقّد أصحابه ^(٥) ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلساءه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو قاربته حاجة صابرة ^(٦) حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور ^(٧) من القول ؛ قد وسّع الناس بسطه ^(٨) وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سوا .

بهذا وصفه ابن أبي هالة ؛ قال : وكان دائم البشر ^(٩) ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بنفظ ولا غليظ ^(١٠) ، ولا سخاب ، ولا فحاش ^(١١) ولا عيب ، ولا مدّاح ، يتفأفل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه ^(١٢) .

-
- (١) ما بين القوسين كتب عليه في ١ ، ب : من غير الرواية .
 (٢) يؤثّمهم : يؤلف المسلمين بإيئاسهم ومداراتهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام ، وليحس من كان مخلصا بحجره خاطره والتودد إليه .
 ولا ينقرّمهم : أى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم .
 (٣) فى ١ : ويحذر - بتشديد الدال . وفى ١ : يحذر - بفتح الياء والدال .
 (٤) بشره : بشاشته .
 (٥) يتفقّد أصحابه : أى من فقدّه من أصحابه يسأل عنه أو يزوره ، أو يرسل إليه من يتعهده .
 (٦) صابره : أى صبر على سؤاله وعلى ذكر حوائجه .
 (٧) بميسور من القول : كوعده ، أو تسليته . (٨) بسطه : سرور ظاهره ، وطيب باطنه .
 (٩) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، لا يعبس فى وجه أحد . وابن أبي هالة : هو هند ربيبه من خديجة . (١٠) الفظ : السكرية الخلق . والفاظ : ضد الرقة .
 (١١) سخاب - بالصاد والسين : كثير الصياح . فحاش : ذا فحش فى قوله أو فعله .
 (١٢) لا يؤيس منه : لا يئأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه .

وقال الله تعالى^(١) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا^(٢) مِنْ جَوْلِكَ ﴾ .

وقال تعالى^(٣) : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .
وكان يُجِيب مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كَرَاعًا^(٤) وَيُكَافِي عَلَيْهَا^(٥) .
قال أنس : خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سَنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أَفْتُ قَطُّ^(٦) ، وَمَا قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لَمْ صَنَعْتَهُ ؟ وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ : لَمْ تَرَكْتَهُ^(٧) ؟

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ : لَبَّيْكَ^(٨) .
وقال جرير بن عبد الله : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَسَلْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ .

وكان يَمَارِحُ أَصْحَابَهُ ، وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِّثُهُمْ ، وَيُدَاعِبُ^(٩) صَبِيَانَهُمْ ، وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ^(١٠) ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحَرِّ وَالْبَدْوِ وَالْأُمَةِ وَالْمَسْكِينِ ، وَيَعُودُ الْأَرْضَى فِي أَقْصَى^(١١) الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٢) انفضوا : تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ، ولست بك باين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٦

(٤) كراعا : السكراع : ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظاف . وفي هامش ب : السكراع - من الدواب : ماديون السكب . والمراد أنه يقبل الهدية ولو كانت حقيرة .

(٥) ويكافي عليها : يجازي على الهدية بشيء مثلها أو أكثر .

(٦) أف : كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه . وفي مسلم : أفا .

(٧) الحديث في صحيح مسلم (١٨٠٤) ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥

(٨) لبك : كلمة يجاب بها المنادى . والحديث رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند واه .

(٩) المداعبة : المازحة مع لعب . (١٠) هذا في ب . وفي أ : حجزه - بضم الحاء ، والزاي .

وحجز الإنسان - بالفتح والسكر : حضنه وثوبه (اللسان - حجز) . والحجز : الناحية .

(١١) في أقصى المدينة : في أبعد مكان منها .

قال أنس : ما التَّعَمَّ أَحَدٌ ^(١) أذَنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِينَحَّى رَأْسَهُ حتى يكون الرجلُ هو الذي يُنَحِّي ^(٢) رَأْسَهُ ، وما أخذ أَحَدٌ بيده فيرسل ^(٣) يده حتى يُرْسِلَهَا الآخر ^(٤) ؛ ولم يُرْ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ ^(٥) له .

وكان يبدأ مَنْ تَقِيَهُ بالسَّلام ، ويبدأ أصحابه بالمُصافحة ، ولم يُرْ قَطُّ مَادًّا رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بِهِمَا على أَحَدٍ . يكرم من يدخلُ عليه ، وربما بسطَ له ثَوْبَهُ ، ويؤثِرُهُ ^(٦) بالوسادة التي تحته ، ويعزِمُ عليه في الجلوس عليها إنْ أبَى ، ويُسَكِّنِي أصحابه ^(٧) ، ويدعوهم بأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ ، ولا يَقْطَعُ على أَحَدٍ حَدِيثَهُ حتى يتَجَوَّزَ ^(٨) فَيَقْطَعَهُ بَنِيهِ أَوْ قِيَامٍ - ويروى : بانهاء أَوْ قِيَامٍ .

ويروى أنه كان [٣٩] لا يجلسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وهو يصلي إِلَّا خَفَفَ صَلَاتَهُ ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عادَ إلى صَلَاتِهِ .

وكان أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَشُّمًا ، وأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا ، ما لم ينزل عليه قرآنٌ أَوْ يَعِظُ أَوْ يَخْطُبُ ^(٩) .

(١) ما التَّعَمَّ أَحَدٌ أذَنَ رَسُولِ اللَّهِ : ما جعل أَحَدٌ أذنه محاذية لغمه فتحاذيه ، والمراد ما حدثه أَحَدٌ عند أذنه . والحديث في سنن أبي داود : ١٨٧

(٢) ينحى رأسه : أى يبعدها ويجعلها في ناحية منه .

(٣) فيرسل يده : أى يطلقها ويفسكها من يده .

(٤) عليها علامة الصحة في ا ، ب . وفي هامشها : الآخذ .

(٥) ولم ير مقدما ركبتيه : المراد أنه يخفض ركبتيه تمطيا لجلسائه . وقيل المراد بالركبتين الرجلين ؛ أى كان لا يمد رجليه بين أصحابه ؛ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان يساوى جليسه ، ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان التريب يحىء فلا يعرفه ويسأل عنه .

(٦) ويؤثره ، الإيثار : تقديم غيره على نفسه في بعض الأمور ؛ أى يفضل غيره .

(٧) يكنى أصحابه : يضع لهم كنية ، كأبى فلان ، أو يدعوهم بالكنية تسمىهم .

(٨) حتى يتجاوز : حتى يكثر فيتجاوز الحد . أو يخرج إلى ما لا يليق .

(٩) هذا الضبط في ا . وفي ب ضبطت الظاء في « يعظ » والباء في « يخطب » بالضم .

قال عبدُ الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثرُ تبسُّماً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس ^(١) : كان خَدَمُ المدينة يأتون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة ^(٢) بآيَتِهِمْ فيها الماء ، فما يُؤْتَى بآنيةٍ إلَّا غَمَسَ يدهَ فيها ، وربما كان ذلك في الغداة ^(٣) الباردة - يريدون به التبرُّك ^(٤) .

فصل

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميعِ الخلق ^(٥) فقد قال الله تعالى فيه ^(٦) : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٧) .
وقال تعالى ^(٨) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .
قال بعضهم : من فضله عليه السلام أنَّ الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال :
« بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ » .

وحكى ^(٩) نحوه الإمام أبو بكر بن فُورَك . حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخُشَنِي بقرائتي عليه ، حدثنا إمام الحرمَين ^(١٠) أبو علي الطَّبري ، حدثنا عبدُ الغافر

(١) صحيح مسلم : ١٨١٢ (٢) الغداة : صلاة الصبح .

(٣) الغداة : أول النهار .

(٤) بعده في ب : صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره القذاكرون ، وغفل عن ذكره النافلون .

(٥) قال في نسيم الرياض (٢ - ٨٤) : الفرق بين هذه الثلاثة أن الشفقة رحمة ورقة

قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه . والرأفة : التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإيناس ، وليست أشد من الرحمة كما توهمه بعضهم .

(٦) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٧) ما عنتم : العنت : الشقة ؛ أى يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته .

(٨) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٩) في ب : قال : حدثنا نحوه . . .

(١٠) في ب : إمام الحرمين حدثنا أبو علي الطبري .

الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجلودي، حدثنا إبراهيم بن سفيان، حدثنا مسلم ابن الحجاج، حدثنا أبو الطاهر، أنبأنا يونس، عن ابن شهاب، قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة^(١)، وذكر حنيناً^(٢)، قال: فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم^(٣)؛ ثم مائة، ثم مائة.

قال ابن شهاب، حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إليّ، فما زال يُعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ^(٤). ورؤي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه؛ ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجمت^(٥).

فغضب المسلمون وقاموا إليه^(٥)، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده^(٦) شيئا، ثم قال: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل^(٧) وعشيرة خيرا.

(١) من غزوات الرسول. وحنين: واد بين مكة والطائف. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان (شرح الفاري: ١ - ٢٧٥). والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٦.

(٢) النعم: اسم جامع للإبل، لا واحد له من لفظه، وجمعه أنعام: وقال العريزي: هو الإبل والبقر والغنم.

(٣) كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر، ولما شهد وهو كافر حينئذ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمرات؛ فبينما هو يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان - جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاء - وأدام النظر إليها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه. فقال له: أبا وهب؛ يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: ما طابت بهذا إلا نفس نبي! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وارجع إلى الإصابة (٣ - ٤٣٣). (٤) أجمت: فعات فاعلا جميلا محمودا. (٥) وقاموا إليه ليضربوه ويحازوه بما يستحقه.

(٦) زاده شيئا: أي على ما أعطاه أولا.

(٧) من أهل وعشيرة خيرا: المراد بدلا من أهل وعشيرتي الذين لم يحسنوا إلي.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ .

قال : نعم . فلما كَانَ الْغَدُ أَوَّالُ الْعَشِيِّ ^(١) جَاءَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ قَالَ مَا قَالَ ، فَرَدَّ نَاهُ فزعم أَنَّهُ رَضِيَ ، أَكْذَلِكَ ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا .

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ ^(٢) عَلَيْهِ ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ ^(٣) نَاقَتِي ، فَإِنِّي أَرْفُقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ ^(٤) ، فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ^(٥) ، فَأَخَذَهَا مِنْ قُدَامِ الْأَرْضِ ^(٦) ، فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ ^(٧) ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ^(٨) ، وَاسْتَوَى ^(٩) عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ ^(١٠) .

(١) فلما كَانَ الْغَدُ أَوَّالُ الْعَشِيِّ : المراد بِالْغَدِ صَبِيحَةُ الْيَوْمِ الَّذِي بَعْدَ الْيَوْمِ الَّذِي كَلَّمَهُ فِيهِ النَّبِيُّ . وَالْمَعْنَى : مَا بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ . وَالشُّكُّ هُنَا مِنْ الرَّاوِي .

(٢) شَرَدَتْ نَاقَتُهُ : تَفَرَّتْ مِنْهُ وَذَهَبَتْ فِي الْأَرْضِ .

(٣) خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي : لَا تَتَّبِعُوهَا وَاتْرَكُونِي أَحْتَالُ فِي إِسْأَاكِهَا .

(٤) أَيْ أَنَا أَشْفَقُ عَلَيْهَا وَأَعْلَمُ بِحَالِهَا مِنْكُمْ .

(٥) قَامَ الْأَرْضِ : الْقَامَ : جَمْعُ قَامَةٍ : كَنَاسَةٍ . وَالْمُرَادُ بِهَا النَّبَاتُ الَّذِي تَرْعَاهُ الدَّوَابُّ .

(٦) اسْتَنَاحَتْ : بَرَكَتْ وَمَكَّتْ عِنْدَهُ .

(٧) رَحَلَهَا : الرَّحْلُ لِلْإِبِلِ كَالسَّرَجِ لِلْفَرَسِ .

(٨) وَاسْتَوَى عَلَيْهَا : رَكَبَهَا .

(٩) دَخَلَ النَّارَ عَقُوبَةً لَهُ بِإِسَاءَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَزَّازُ ، وَأَبُو الشَّيْخِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْوُفَا .

ورَوَى عَنْهُ^(١) أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يُبْلَغُنِي^(٢) أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا ، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ^(٣) .
ومن شفقتة على أمته عليه السلام تَخْفِيفُهُ وتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةٍ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ ، كَقَوْلِهِ : لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي^(٤) لَأَمَرْتُهِمْ بِالسَّوَالِكِ مَعَ كُلِّ وَضوءٍ^(٥) .

وَخَبَرُ صَلَاةِ اللَّيْلِ^(٦) ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْوِصَالِ^(٧) ، وَكَرَاهَتِهِ دُخُولَ السَّكْبَةِ لثَلَاثًا يُعْنَتُ^(٨) أُمَّتَهُ ، وَرَغْبَتِهِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبَّةً وَلَعْنَةً لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ^(٩) فِي صَلَاتِهِ .

ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم [٤٠] أَنَّ دَعَاءَ رَبِّهِ وَعَاهِدَهُ ، فَقَالَ : أَيُّمَا رَجُلٍ

(١) الزَّأْوَى لَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ (سنن أبي داود : ٢ - ١٩٢) .

(٢) ضَبَطْتُ الْبَاءَ بِالسَّكُونِ وَبِالْفَتْحَةِ ، وَكُتِبَ عَلَيْهَا « مَعَا » فِي ب .

(٣) سَلَامَةُ الصَّدْرِ كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ بَغْضٌ وَلَا غَضَبٌ عَلَى أَحَدٍ .

(٤) لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي : لَوْلَا مَخَافَةُ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ .

(٥) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّكْتِ السَّتَةِ . (صحيح مسلم : ٢٢٠)

(٦) قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ : خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ قَتَعُجَزَا عَنْهَا .

(٧) الْوِصَالُ فِي الصَّوْمِ : هُوَ أَنْ يَصُومَ يَوْمَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ وَشَرْبٍ بَيْنَهُمَا ، وَنَهْيُهُ

عَنِ الْوِصَالِ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ (صحيح مسلم : ٧٧٤)

(٨) يُعْنَتُ : مِنَ الْعَنْتِ ؛ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ وَالْإِثْمُ . وَفِي ب ضَبَطْتُ : يُعْنَتُ كَمَا أَثْبَتْنَا ، وَضَبَطْتُ

أَيْضًا بِسَّكُونِ الْعَيْنِ وَكَسْرِ النُّونِ ، وَكُتِبَ عَلَيْهَا « مَعَا » . وَفِي هَامِشِهِ : خ : يَتَعَبُ . وَفِي : يُعْنَتُ كَمَا أَثْبَتْنَا ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَةِ .

وَحَدِيثُ كَرَاهَتِهِ دُخُولَ السَّكْبَةِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَصَحَّاحَاهُ ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَالْحَاكِمُ عَنْهَا أَيْضًا مُصَحَّحًا مُسْنَدًا . (سنن أبي داود : ١ - ٢٠١)

(٩) الْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ يَخْفَفُهَا وَيُسْرِعُ فِيهَا .

سَبَّيْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ ^(١) فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً ^(٢) ، وَصَلَاةً وَطَهُورًا ، وَفُوبَةً تَقَرُّ بِهِ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٣) .

وَمَا كَذَّبَهُ ^(٤) قَوْمُهُ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ ^(٥) السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكُ الْجِبَالِ لَتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ^(٦) .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

وَرَوَى ابْنُ الْمُنَكِّدِرِ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ . فَقَالَ : أَوْخَرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ^(٧) .

قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا خَيْرُ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ^(٨) .

(١) اللعن : أصل معناه الطرد والإبعاد ، ثم خص بالبعد من رحمة الله .

(٢) زكاة : تطهيراً له عما ارتكبه . (٣) صحيح مسلم : ٢٠٠٧

(٤) وهذا من عظيم شفقتة أيضاً . وهذا الحديث في البخارى : ٤ - ١٤٠

(٥) في ب : عليهما .

(٦) الأخشابان : مثني أخشب : جيلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي ، فيقال : أخشاب مكة ، وأخشبا مي ، وهما أبو قبيس وقميقعان . وفي هامش ا : الأخشاب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل أخشب . وأنشد أبو عبيد : كأن فوق منكبيه أخشبا .

(٧) أى يرجعوا عن المعاصي ، ويقبل الله منهم ذلك .

(٨) أيسرهما : أسهلها وأهونها على الأمة شفقة ورحمة منه عليهم . وبقية الحديث : ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، وصحيح البخارى : ٤ - ٢٣٠

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا^(١) بالوعظة مخافة السامة علينا .

وعن عائشة أنها ركبَتْ بعيرا وفيه صعوبة ، فجعلت تردُّه^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالرفق^(٣) .

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء ، وحسن العهد ، وصلة الرحم^(٤) - فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، قال : حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا محمد بن يحيى ؛ قال : حدثنا محمد بن سنان ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بُدَيْل ، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن ابنه ، عن عبد الله بن أبي أخمس^(٥) ، قال : بايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يبيع^(٦) قبل أن يبعث ، وبيعَتْ له ببيعة ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ، فنسيت^(٧) ، ثم ذكرتُ

(١) يتخولنا : يتعهدنا . والحديث في صحيح مسلم : ٢١٧٢

(٢) تردده : تمشى به وترجع ؛ وإنما فعات ذلك لتروضه حتى ينقاد لها .

(٣) فهذا دليل على شفقته . وهذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٠٠٤

(٤) الوفاء : ضد الغدر ونقض العهد . وحسن العهد : أى معااهد عليه والتزمه .

وصلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب والأصهار والرفق بهم والعفو عن زلاتهم ، ونصحهم واتودد لهم .

(٥) في هامش ب : قال الحافظ المزى : بعضهم يرويه أبى الحساء - بتقديم السين على الميم .

والأول أصح . والله أعلم . وقال القارى (١ - ٢٨١) : وهو بتقديم السين تصحيف .

(٦) أى باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٧) فنسيت : أى الوعد الذى جرى بيننا .

بعد ثلاث ، فجئتُ فإذا هو في مكانه^(١) ، فقال : يا فتى ، لقد شققتَ عليّ ، أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرُك^(٢) .

وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتني بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيتِ فلانة ؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة^(٣) .

وعن عائشة قالت : ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة ، لِمَا كنتُ أسمعُه يذُكرُها ، وإن كان لِيَذْبَحُ الشاةَ فيهديها إلى خلّائها^(٤) .
واستأذنتُ عليه أختها^(٥) فارتاحَ إليها .

ودخلت عليه امرأةٌ ، فهِشَّ^(٦) لها ، وأحسنَ السؤالَ عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وإنَّ حُسْنَ العَهدِ من الإيمان^(٧) .

ووصفه بعضهم ، فقال : كان يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ من غير أنْ يُؤْثِرهم^(٨) على مَنْ هو أَفْضَلُ منهم .

(١) فإذا هو في مكانه : فإذا النبي في مكانه لم يفارقه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ - ٢٠٣) ، وهو من أفرادهِ ، قال السيوطي : وأخرجه ابن مندة في المعرفة ، والحرائطي في مكارم الأخلاق .

(٣) هذا الحديث رواه البخاري في الأدب .

(٤) خلّائها : جمع خليلة ، بمعنى الصاحبة والصديقة .

والحديث في البخاري : ٥ - ٤٨ ، وفيه : وإن كان لِيَذْبَحُ الشاةَ فيهدي إلى خلّائها منها ما يسمهن .

وخلّائها : جمع خليلة ، أي صديقاتها .

(٥) أختها : أخت خديجة ، وهي هالة بن خويلد .

(٦) هش لها : فرح وأظهر السرّة بدخولها .

(٧) حسن العهد : أي رعاية العهود القديمة ، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك . من

الإيمان : من مقتضيات الإيمان .

(٨) يؤثّرهم : يخصّهم ويقدمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن آل أبي فلان ليسوا لى بأولياء غير أن لهم رَحِمًا سَأَبْلُهَا بِيَالِهَا^(١) .

وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته يَحْمِلُهَا على عاتقه ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها^(٢) .

وعن أبي قتادة : وقد وَفَدْتُ للنجاشي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يَخْدُمُهُمْ ، فقال له أصحابه : نَسْكُفِيكَ^(٣) . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمِينَ^(٤) ، وإني أُحِبُّ أَنْ أَكُفَّهُمْ^(٥) .

ولما جِيءُ بِأَخْتِهِ من الرضاعة الشِّمَاءِ في سَبَايَا^(٦) هَوَازِن ، وتعرَّفت له بسط لها رِدَاءَهُ ، وقال لها : إِنْ أَحْبَبْتَ أَقَمْتُ عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّةً ، أَوْ مَتَعْتُكَ^(٧) ورجعت إلى قومك ؛ فاخترت قومها فمتَّعها .

وقال أبو الطفيل [٤١] : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت

(١) الآل : الأهل والأتباع . والمراد هنا أبو العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان منافقاً في أول أمره ، ثم حسن إسلامه . والأولياء : جمع ولي ، وهو القريب ومن يتولى أمره ؛ أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائي لما علمت منهم .

أن لهم رحماً : أى قرابة سَأَبْلُهَا : سأصلها بصلتها الثلاثة بها . والبلال : الرطوبة والنداءة وكل ما يبل الخلق من المائعات . والمراد الصلة والإحسان . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٢ ، وصحيح البخارى : ٨ - ٧ ، وقال في البخارى : أبلها بيلالها ؛ يعنى أصلها بصلتها .

(٢) عاتقه : كتفه . وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه (١ - ١٣٠)

(٣) نسكفيك : أى نحن نخدّمهم ونسكفيك من تعاطى خدمتهم .

(٤) لأصحابنا الذين هاجروا لأرض الحبشة .

(٥) قال السيوطى : هذا الحديث رواه البيهقى في دلائله مسنداً .

(٦) هى بنت حليمة السعدية التى أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم . والسبايا : جمع سبية ، أى مأسورة .

(٧) متعتك : أى يحسن إليها ويمطئها . وهذا منه صلة رحم .

امراً حتى دنت^(١) منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

وعن عمر بن السائب^(٢) - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما ، فأقبل أبوه^(٣) من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ؛ ثم أقبلت أمه فوضع لها شق^(٤) ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

[وكان يبعث إلى ثوبية^(٥) مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل : مَنْ بقي من قرابتها . فقيل : لا أحد]^(٦) .

وفي حديث خديجة رضى الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم^(٧) : أبشِرْ ، فوالله لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب^(٨) المدوم ، وتقرب الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

(١) دنت منه : قربت من مكانه الجالس فيه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود (٢ - ٢١٧)

(٣) هو العمار بن عبد العزى .

(٤) شق ثوبه : جانبا من ثوبه .

(٥) ثوبية : أول من أرضعته مع ابنها مسروح أيا ما قبل حليلة . والخبر في الإصابة (٧ - ٥٤٩) .

(٦) في هامش ما بين القوسين من غير الرواية .

(٧) تقدم هذا وشرحه صفحة ١٤٦ والحديث في صحيح مسلم : ١٤١

(٨) ضبطت التاء في بالضم والفتحة ، وعليها « معا » . وفي هامشه : تكسب - بالفتح

التاء - أحسن . يقال ، فلان يكسب المدوم ، إذا كان مجدودا ينال ما يحرمه غيره . ويقال : هو

أكسب للمأدوم ، وأكسبك للمعدوم ، وأعطاكم للمحروم .

وفي هامش ب : تكسب - بفتح التاء - أحسن أيضا .

فصل

وأما تواضعه^(١) صلى الله عليه وسلم ، على علو منصبه^(٢) ورفعة رتبته - فكان أشد الناس تواضعا ، وأقلهم^(٣) كبرا .

وحسبك^(٤) أنه خير بين أن يكون نبيا مَلِكًا أو نبيا عَبْدًا ، فاختر أن يكون نبيا عَبْدًا ، فقال له إسماعيل عند^(٥) ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت^(٦) له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع^(٧) .

حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه - رحمه الله - بقرائه عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة ، حدثنا أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله ابن نمير ، عن مسعر ، عن أبي العنبر ، عن أبي العباس ، عن أبي مرزوق ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا له . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم^(٨) ، يعظم بعضها بعضا . وقال : إنما أنا عبد^(٩) آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

(١) التواضع : إظهار أنه وضيع ، وهو أشرف الناس (الشهاب الخفاجي) .

(٢) المنصب : الأصل والحسب .

(٣) في ب : وأعدمهم كبرا ، وعليها علامة الصحة . وقال القاري (٢ - ٢٨٧) : ذكر الحجازي أنه رواية . والمعنى أفقدهم كبرا .

(٤) حسبك : يكفيك في إثبات ما ذكر .

(٥) عند ذلك : عند اختياره العبودية .

(٦) بما تواضعت له : أي بسبب تواضعك له .

(٧) في صحيح مسلم (١٨٨) : أنا أول شفيع في الجنة .

(٨) الأعاجم : من عدا العرب ، وقد يختص بفارس .

(٩) أي لست بسلطان .

وكان يركب الحمار، ويُرْدِفُ^(١) خلفه، ويعودُ للمساكين، ويجالس الفقراء، ويُجِيبُ دَعْوَةَ العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حينما انتهى به المجلسُ جلس. وفي حديث عمر عنه: لا تُطْرُونِي^(٢) كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عَبْدُ اللَّهِ ورسوله.

وعن أنس^(٣) أن امرأةً كان في عقلها شيء^(٤) جاءت، فقالت: إن لي إليك حاجة^(٥). قال: اجلسي يا أمّ فلان في أيّ طرقٍ للدبنة شئتِ اجلس إليك حتى أقضي حاجتك.

قال: جلست، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركبُ الحمار، ويُجِيبُ دَعْوَةَ العبد؛ وكان يوم بنى قُرَيْظَةَ^(٦) على حمارٍ مخطوم^(٧) بمحبلٍ من ليفٍ عليه إكاف^(٨). قال: وكان يُدْعَى إلى خُبْزِ الشعير، والإِهَالَةِ السَّنَخَةِ فيُجِيبُ^(٩).

قال: وحجّ صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ^(١٠)، وعليه قَطِيفَةٌ^(١١) ما تساوي

(١) يردف: يجمعه رديفاً له؛ أي راكبا خلفه على دابته التي ركبها.

(٢) أطراه: بالغ في مدحه وجاوز الحد؛ أي لا تمدحوني.

(٣) الحديث في سنن أبي داود: ٢ - ١٨٩ (٤) كان في عقلها شيء: أي من جنون.

(٥) أي لي إليك حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها.

(٦) يوم بنى قريظة: اليوم هنا بمعنى الوقعة والنزوة. وبنو قريظة: قوم من اليهود بقرب

المدينة غزاهم النبي قبل غزوة الخندق. (٧) مخطوم: الخطام: ما يقاده الدابة.

(٨) إكاف: رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه، أو البردعة.

(٩) الإهالة: كل ما يؤتمس به من الدهن. أو الدسم الجامد. أو ما يذاب من الإلية،

والسنخة: متفيرة الرائحة.

(١٠) الرحل للجمل كالسرج للفرس، ورث: بال خلق.

(١١) قطيفة: كساء من صوف له خمل.

أربعة دراهم ؛ فقال : اللهم اجعله حَجًّا لا رِيَاءَ فيه ولا مُنْعَةً ^(١) .

هذا ، وقد فَتِحَتْ عليه الأرضُ ، وأَهْدَى في حَجِّه ذلك مائةَ بَدَنَةٍ ^(٢) .

ولما فَتِحَتْ عليه مَكَّةُ ودخلها بجيوش المسلمين طَاطَأَ على رَحْلِهِ ^(٣) رَأْسَهُ حتى كادَ يَمَسُّ قَادِمَتَهُ تواضِعاً لله تعالى ^(٤) .

وَمِنْ تواضعه صلى الله عليه وسلم قَوْلُهُ ^(٥) : لا تَفْضُلُونِي على يونسَ بنِ متى ، ولا تَفْضُلُوا بَيْنَ الأنبياءِ ، ولا تُخَيِّرُونِي على موسى ، ونَحْنُ أَحَقُّ بالشكِّ من إبراهيمَ ، ولو لَبِثْتُ ما لَبِثَ يوسفُ [٤٢] في السجن لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ ^(٦) .

وقال للذي قال له : يا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ : ذاك ^(٧) إبراهيمَ .

وسَيَأْتِي السِّكْلَامُ على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله .

وعن عائشة ، والحسن ، وأبي سعيد ، وغيرهم - في صِفَتِهِ ، وبعضهم يزيدُ على

(١) الرياء : ما يفعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه به . والسمعة : ما يفعل لأشيع ويسمع الناس به .

(٢) أهْدَى : بعث الهدى ؛ وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحدر فيه ويتصدق به من الإبل والبقر ، وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة ، وأكثر ما تطلق على الإبل ؛ وسميت بدنة لكبر بدنها .

(٣) في هامش ا : راحاته . وفي ب : راحته ، وفي هامشه : رحله .

(٤) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب . وقادمة الرحل : مقدمه .

(٥) قال في نسيم الرياض : قال السيوطي : لم أفق عليه بهذا اللفظ ؛ والذي في البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه : لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى . وفي سنن أبي داود : ما ينبغي لني أن يقول : أنا أفضل من يونس بن متى .

(٦) لبث في السجن بضع سنين . والمراد بإجابة الداعي : رسول الملك الذي دعاه للخروج .

(٧) خص إبراهيم ؛ لأن الله أمره باتباع ملة إبراهيم .

بعض : كان في بيته في مهنة^(١) أهله يُفَلِّي ثوبه^(٢) ، ويَحْلِب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخسف نعله^(٣) ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت^(٤) ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضجه^(٥) ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى عليه وسلم فتنتلق به حيث شئت حتى يقضى حاجتها .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة^(٦) ، فقال له : هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد^(٧) .

وعن أبي هريرة : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل^(٨) وقال للوزان : زن وأرجح^(٩) . وذكر القصة - قال : فوثب^(١٠) إلى

(١) مهنة أهله : المهنة : الخدمة . وكلمة « مهنة » ضبطت ميمه بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » في ١ ، ب . وفي هامش ب : بفتح الميم ، وخفضها خطأ ؛ قاله شمر عن مشايخه . وقال غيره : بالكسر وأنكر الفتح . قال الحافظ المزى : كسر الميم أحسن ، لأن مهنة على وزن خدمة ومعناه . وفي البخاري (٨ - ١٧) . . . سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

(٢) قيل : المراد بقلبه : تفتيشه لحرق فيه ، أو تعلق شيء به من شوك ونحوه ، وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع .

(٣) يخسف نعله : يخرزها .

(٤) يقم البيت : يكنسه ويزيل قمامته .

(٥) ويعلف ناضجه : الناضح : البعير الذي يستقي عليه .

(٦) رعدة : الرعدة : أن يرجف الإنسان ويضطرب .

(٧) القديد : هو اللحم الذي يقطع ويحمل في الشمس حتى يبس .

(٨) قال السيوطي : قد رأيت الذي ذكره المصنف في معجم الطبراني الأوسط ، ومسند أبي يعلى ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لبسها . والسراويل تذكر وتؤنث .

(٩) للوزان : أي الذي وزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي . وأرجح : أي زد له حتى

يترجح الميزان بزيادة الكفة التي فيها الدراهم ، فالرجحان : نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها .

(١٠) الذي وثب هو الوزان كما في القاري (١ - ٢٩٤) .

يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُهَا، فُجِزَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : هَذَا تَفْعَلُهُ ^(١) الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا ، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ . ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ ، فَذَهَبَتْ لِأَخِيهِ ، فَقَالَ : صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ .

فصل

وَأَمَّا عَدْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانَتُهُ وَعَفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ ^(٢) - فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ النَّاسَ ، وَأَعْدَلَ النَّاسَ ، وَأَعْفَى النَّاسَ ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مَنْذُ كَانَ اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ ^(٣) وَعِدَاؤُهُ .

وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ^(٤) : كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ . وَقَالَ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٌ ﴾ : أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ ^(٦) عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَارَبَتْ ^(٧) عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَمُوا ^(٨) أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلٍ - وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ؛ فَقَالُوا : هَذَا مُحَمَّدُ الْأَمِينِ قَدْ رَضِينَا بِهِ .

(١) هذا ؛ أى التقبيل .

(٢) اللهجة : اللسان وال كلام .
(٣) محادوه : جمع محاد - بتشديد الدال المهملة ؛ وهو المعادى والمخالف له ؛ وهو المحارب أيضا . وعداؤه : أعداؤه ومعادوه .

(٤) قال السيوطى : هذا حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم ، والطبرانى عن على كرم الله وجهه .

(٥) سورة التكويد ، آية ٢١ . مطاع : مكرم . ثم : عند الملأ الأعلى . أمين : موصوف بالأمانة .

(٦) وكثير منهم على أنه جبريل .
(٧) تحاربت : صارت أحزابا وفرقا لاختلاف آرائهم . وفى ١ : تحاربت - بالراء .
(٨) حكموا : ارتضوا بأن يكون الحاكم فى ذلك أول داخل .

وعن الربيع بن خثيم : كان يُتَّحَاكَمُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ ^(١) .
 حدثنا أبو علي الصَّدَقِ الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ،
 حدثنا أبو يَعْلَى ابن زَوْج الحُرَّة ، حدثنا أبو علي السَّنَجِيُّ ، حدثنا محمد بن محبوب
 المَرْوَزِيُّ ، حدثنا أبو عيسى ^(٢) الحافظ ، حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا معاوية بن هشام ،
 عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَاجِيَةَ بن كعب ، عن عليٍّ - أن ^(٣) أبا جَهْل قال
 للنبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ ، وَلَكِنْ نَكْذِبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 تَعَالَى ^(٤) : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ^(٥) .
 وَرَوَى غَيْرُهُ : لَا نُكَذِّبُكَ وَلَا أَنْتَ فِينَا بِمُكَذِّبٍ .

وقيل : إِنَّ الْأَخْنَسَ بن شَرِيقَ لَقِيَ أبا جَهْل يوم بَدْر ، فقال له : يَا أبا الْحَكَمِ ،
 لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ بِسَمْعٍ كَلَامُنَا ، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ ؛ صَادِقٌ [هُوَ] ^(٦) أَمْ كَاذِبٌ ؟
 فقال أبو جَهْل : وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ .
 وسأل هِرَقْل ^(٧) عنه أبا سفيان ، فقال : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْمُكَذِّبِ قَبْلَ أَنْ
 يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قَالَ : لَا .

(١) يعني أنه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض ؛ لأنه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه . وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .

(٢) هو الترمذی . (٣) سنن الترمذی : ٤ - ٢٦١ (٤) سورة الأنعام ، آية ٣٣
 (٥) المراد : لا يكذبونك : لا يحكون عليك بأن سجيبتك الكذب ، لأنك موصوف
 بالصدق عندهم في جميع شئونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله - وهو الآيات -
 فإنهم يجحدونه . (٦) من ب .

(٧) قصة أبي سفيان مع هرقل مروية في الصحيحين مفصلة . وارجع إليها في صحيح البخارى : ١ - ٧ إن أردت .

وقال النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ^(١) لَقُرَيْشٍ : قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غَلَامًا حَدَثًا ^(٢) ،
أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى [٤٣] إِذَا رَأَيْتُمْ
فِي صُدُغَيْهِ الشَّيْبَ ^(٣) ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ : سَاحِرٌ . لَا ، وَآلَهُ ، مَا هُوَ بِسَاحِرٍ .
وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ : مَا لَمَسَتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطَّ لَا يَمْلِكُ رِقَّهَا ^(٤) .
وَفِي حَدِيثٍ عَلَى - فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً .
وَقَالَ فِي الصَّحِيحِ : وَيَنْحَكْ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خِبتُ وَخَسِرْتُ إِنْ
لَمْ أَعْدِلْ ^(٥) .

قَالَتْ عَائِشَةُ ^(٦) : مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ
أَبْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ .
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ : قَسَمَ ^(٧) كَسِرَى أَيَّامِهِ ؛ فَقَالَ : يَصْلِحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ ^(٨) ،
وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ ^(٩) ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشَّرْبِ وَاللَّهُوِ ^(١٠) ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَاجِجِ ^(١١) .

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَكَانَ النَّضْرُ شَدِيدَ الْأَذْيَةِ
لِلْمُسْلِمِينَ . (٢) حَدَّثَنَا : شَابَا .

(٣) كَتَبَ بِذَلِكَ عَنْ أَنَّهُ تَمَّتْ رَجُولِيَّتُهُ ، وَكَمَلَ عَقْلُهُ بِمَجَاوَزَتِهِ سَنَ الشَّبَابِ .

(٤) وَهَذَا مِنْ عَفْتِهِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٩٩-٩٩

(٥) قَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ ، وَشَرَحَ غَرِيْبَهُ صَفْحَةَ ١٣٨ ، وَقَدْ ضَبَطَ التَّاءَ فِي الْكَلِمَتَيْنِ

هُنَا أَيْضًا بِالضَّمِّ وَالْفَتْحَةِ وَعَلَيْهَا « مِمَّا » فِي ١ ، ب .

(٦) تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ صَفْحَةَ ١٨١٣

(٧) ضَبَطَ السِّينَ فِي ١ بِالْفَتْحَةِ ، وَشَدَّدَتْ فِي ب .

(٨) لِلنَّوْمِ وَالتَّنَفُّيَةِ حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ مَسِّ الرِّيحِ الشَّدِيدِ .

(٩) لَعَدَمِ أَذْيَةِ الشَّمْسِ وَحَرِّهَا .

(١٠) لِقَلَّةِ الْمَصَالِحِ فِيهِ ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْبَلَالِ ، وَالنَّظَافَةِ مِنَ الْوَحُولِ . وَالْمُرَادُ بِاللَّهُوِ : سَمَاعُ

الْفَنَاءِ وَمُنَادِمَةُ التَّنْدَمَاءِ .

(١١) الْمُرَادُ بِالْحَوَاجِجِ : مَصَالِحُ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا اخْتِيرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِلْحَوَاجِجِ لَعَدَمِ الْمَانِعِ فِيهِ .

قال ابن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهُمْ ، يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأً نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله ^(١) ، وجزءاً للأهل ^(٢) ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستمين بالخاصة على العامة ، ويقول : أبلغوا ^(٣) حاجة من لا يستطيع إبلاغه ؛ فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع [إبلاغها] ^(٤) آمنه الله يوم الفزع الأكبر ^(٥) . وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بقرن أحد ^(٦) ، ولا يصدق أحداً على أحد .

وذكر أبو جعفر الطبري ^(٧) عن عليّ عنه صلى الله عليه وسلم : ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممتُ بسوء حتى أكرمني الله برسالته ؛ قلت ليلة لفلان كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأشمر بها كما يسمر ^(٨) الشباب .

فخرجتُ كذلك حتى جئتُ أول دارٍ من مكة سمعتُ عزفاً بالدُفوف والمزامير لعُرُسٍ بعضهم . جلستُ أنظر ، فضرب على أذني ^(٩) فَنِمْتُ ، فما أيقظني إلا مَسٌّ

(١) جزءاً لله : أى لعبادة الله وتلقى وحيه . (٢) وجزءاً للأهل : لمصالح أهل بيته .

(٣) في ١ : أبلغوني . (٤) من ب .

(٥) يوم الفزع الأكبر : هو يوم البعث والحشر ، وحيث يكون الناس كلهم في فزع وخوف من العذاب . وسيأتي هذا الحديث بعد . وهو في شمائل الترمذي ، وغيره ، كما سيأتي .

(٦) قال السيوطي هذا الحديث رواه أبو داود في مراسيله . والأخذ : المراد به هنا العقوبة . والقرف : التهمة . والذنب ، والكسب . وهذا من عدله . وفي هامش ١ ، ب : قرفت الرجل بسوء : ظننته به ، أو رميته به . وقرفه بالأمر ، إذا أضافه إليه .

(٧) قد تقدم هذا الحديث صفحة ١٣٠ ؛ وإنما أعاده المصنف هنا لبيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو ، وأن الله عصمه عن ذلك من أول أمره . وهو هنا فيه زيادة (دلائل النبوة للبيهقي : ١ - ٣٨٠) . (٨) السمر : التحدث بالليل . (٩) ضرب على أذني : نمت .

الشمس^(١)، فرجعت ولم أقض شيئاً. ثم عرّاني^(٢) مرةً أخرى مثل ذلك، ثم لم أقم بعد ذلك بسوء.

فصل

وأما وقارُه^(٣) صلى الله عليه وسلم وصمته وتوّدته ومروءته وحسن هديه^(٤) حدثنا أبو علي الجيّاني الحافظ إجازةً، وعارضتُ بكتابه^(٥)؛ قال: حدثنا أبو العباس الدلائلي، أنبأنا أبو ذر الهروي، أخبرنا أبو عبد الله الورّاق، حدثنا اللؤلؤي، حدثنا أبو داود، حدثنا عبد الرحمن بن سلام، حدثنا حجاج بن محمد، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب^(٦)؛ سمعتُ خارجةَ بن زَيْد يقول: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَوْقَرَ الناسِ في مجلسه^(٧)، لا يكادُ يُخْرِجُ شيئاً من أطرافه^(٨).

وروى أبو سعيد الخدري: كان^(٩) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثرُ جلوسه صلى الله عليه وسلم مُحْتَبِياً^(١٠).

-
- (١) مس الشمس: مس حرها.
- (٢) عرّاني: طرأ على، وعرض لي.
- (٣) وقاره: سكونه وطمانينته ورزاقته.
- (٤) حسن هديه: سيرته وطريقته.
- (٥) وعارضت بكتابه: قابلت نسختي بنسخته حال القراءة. فاللعن أنه حدثه به قراءة منه، وهو مقابل له، وفي يده كتابه.
- (٦) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: أهيب.
- (٧) أي أعظمهم وقاراً إذا برز للناس وجلس معهم، بخلاف ما إذا خلا مع أهله أو مع خاصته فإنه يندسط معهم ويلاطفهم.
- (٨) من أطرافه: أي أطراف بدنه كرجليه.
- (٩) سنن أبي داود: ٢ - ١٩٠.
- (١٠) الاحتباء: أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه. وفي هامش ب: الحبوة: ضم الساق إلى البطن بثوب. وفي ب: احتبى بثوبه.

وعن جابر بن سُمرة أنه تَرَبَّع^(١) ، وربما جلس القُرُفَاء^(٢) ، وهو في حديث قَيْلَة^(٣) ؛ وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ؛ يُعْرِضُ عَنْ تَكَلُّمٍ بِغَيْرِ جَمِيلٍ ، وكان ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وكلامُهُ فَضْلًا^(٤) ، لا فُضُولَ ولا تَقْصِيرَ^(٥) ، وكان ضَحْكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمُ ؛ تَوْقِيرًا لَهُ ، واقتداءً بِهِ . مَجْلِسُهُ مَجَاسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ [٤٤] ، وَخَيْرِ وَأَمَانَةٍ^(٦) ، لا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، ولا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحَرَمُ^(٧) ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جِلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رِءُوسِهِمُ الطَّيْرُ^(٨) .

وفي صفته : يَخْطُو تَكْفَأً^(٩) ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(١٠) .
وفي الحديث الآخر : إِذَا مَشَى مَشَى مَجْتَمَعًا^(١١) ، يُعْرِفُ فِي مَشْيِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرَضٍ وَلَا وَكَلٍ^(١٢) ؛ أَيْ غَيْرِ صَجَرٍ وَلَا كَسَلَانٍ .

(١) تربع : جلس متربعا ، وهو أن يقعد الرجل على وركيه ، ويمد ركبته اليمنى إلى جانب يمينه ؛ وقدمه اليمنى إلى جانب يساره ، وركبته اليسرى إلى جانب يساره ، وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه ، وهذا في خارج الصلاة .

(٢) جلس على أليته بجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء . وفي هامش ب : القرفاء : جلسة المحتبى بيديه ، يقال : قرفص اللص : إذا شد يديه تحت رجله .

(٣) أى ورد في حديثها ، وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩١

(٤) فضلا : فاصلا بين الحق والباطل . أو مفصلا لجمهله فيه .

(٥) لا فضول : لازيادة . ولا تقصير ولا نقصان فيه عن قدر الحاجة ؛ فيدخل بفهم السامع .

(٦) وأمانة : يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم .

(٧) تؤبن : أبته : عابه ورماه بقبيح . والحرم : جمع حرمة ؛ وهى كل ما يحرم هتكه .

(٨) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش . (٩) تكفأ : مال إلى قدام . أو مال

يميننا وشمالا كمشى المختال . (١٠) الصبب : هو الموضع المنحدر .

(١١) مجتمعا : ينقل أعضاء كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه .

(١٢) غرض : من الغرض ، وهو الضجر والملل ، وسيأتي للدوئل . وفي اضطبت الكاف

في « وكل » بالفتحة والسكرسة وعليها « معا » . وفي ب اضطبت الكاف بالفتحة فقط . وفي هامشه : الوكل - بالفتح : الرجل الذى يتسكل على غيره .

وقال عبد الله بن مسعود : إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَذِي ^(١) محمد صلى الله عليه وسلم .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيلٌ أو ترسيلٌ ^(٢) .

قال ابنُ أبى هالة : كان سكوتُهُ على أربع : على الحِلْمِ ، والحَذَرِ ، والتقديرِ ،
والتفكُّرِ ^(٣) .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثًا لوعدهُ العادُ
أحصاه ^(٤) .

وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ الطَّيِّبَ والرائحةَ الحسنةَ ، ويستعملها ^(٥) كثيرًا ،
ويحضُّ عليهما ^(٦) ، ويقول ^(٧) : حُبِّبَ إِلَىَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ .

ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ^(٨) ، وَالْأَمْرُ

(١) الهدى : السمىة والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها .

(٢) ترتيل أو ترسيل : يبين الكلام من غير عجلة ولا غموض حتى يسبق فهم السامع إليه .
وقيل الترتيل : التبيين . والترسيل : التؤدة .

(٣) أى يقع على أربع خصال فيه : على الحِلْمِ : أى بسكت تارة لحلمه ، أو الاحتراس من
كلام ربما أدى لأمر يخشى منه ، أو ليقدر النبى فى نفسه وسكوته ما يائق به وبغيره ، أو للتفكير
فى مصنوعات الله .

(٤) وذلك لقلته ؛ ولثبته ، وعدم سرعته فيه .

(٥) هذا فى ا ، ب . وفى هامش ب : ويستعملهما .

(٦) فى ب : ويحض عليها .

(٧) قد تقدم هذا الحديث ، ونخريجه : صفحة ١١٧

(٨) مروته : إنسانيته ، ومعناها التلبس بما يليق بالرجال ، وترك ما يخل به ؛ فارتكاب

ما يكرهه الصاحب محل بالمروءة . والنفخ فى الطعام والشراب قد يخرج منه ريق فيكره تناوله

بِالْأَكْلِ تَمَازِيلِي ، وَالْأَمْرُ بِالسَّوَاكِ ^(١) ، وَإِنْقَاءُ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاكِيبِ ^(٢) ، وَاسْتِمْعَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ ^(٣) .

فصل

وَأَمَّا زُهْدُهُ ^(٤) فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هَذِهِ السَّيْرِ مَا يَكْفِي . وَحَسْبُكَ ^(٥) مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا ^(٦) ؛ وَقَدْ سَيِّقَتْ إِلَيْهِ بِحَذَائِفِهَا ^(٧) ، وَتَرَادَفَتْ ^(٨) ،

(١) الْأَمْرُ بِالسَّوَاكِ : أَمْرٌ نَدَبٌ . وَعَدَهُ مِنَ الْمُرُوءَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ النِّظَافَةِ وَطَيِّبِ رَائِحَةِ النَّفْسِ .
(٢) إِنْقَاءُ : انْقَاءُ : إِذَا نَظَفَهُ . الْبَرَاجِمُ : مَفَاصِلُ الْأَصَابِعِ الَّتِي بَيْنَهَا ، وَالسَّلَامِيَّاتُ مِنْ ظَهْرِ الْكَفِّ : الَّتِي تَرْتَفِعُ إِذَا قَبِضَ الْإِنْسَانُ كَفَّهُ ، فَهِيَ الْمَفَاصِلُ الظَّاهِرَةُ ، وَالْبَرَاجِمُ : الْبَاطِنَةُ . وَالرَّوَاكِيبُ : هِيَ الْمَفَاصِلُ الَّتِي تَلِي الْأَنَامِلَ . وَنَقَلَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّ الْبَرَاجِمَ وَالرَّوَاكِيبَ جَمِيعًا : مَفَاصِلُ الْأَصَابِعِ كُلِّهَا . قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَهُوَ اللَّاتِقُ بِكَلَامِ الْمَصْنُفِ .
وَفِي هَامِشٍ أ : الْبَرَاجِمُ : رِءُوسُ السَّلَامِيَّاتِ مِنْ ظَاهِرِ الْكَفِّ ؛ إِذَا قَبِضَ الْقَابِضُ كَفَّهُ نَشَزَتْ ، وَاحْدَتُهَا بِرَجْمَةٍ .

وَالرَّوَاكِيبُ : بِطَوْنِ السَّلَامِيَّاتِ ، وَاحْدَتُهَا رَاجِبَةٌ . وَالسَّلَامِيَّاتُ : وَاحْدَتُهَا سَلَامِيٌّ ، وَهِيَ الْعِظَامُ الَّتِي بَيْنَ كُلِّ مَفْصَلَيْنِ مِنْ مَفَاصِلِ الْأَصَابِعِ .
(٣) الْفِطْرَةُ : الْخَلْقَةُ ، وَالْمُرَادُ السَّنَةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَخِصَالُ الْفِطْرَةِ - فِيمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : الْحَتَّانُ ، وَالِاسْتِحْدَادُ ، وَقَصُّ الشَّارِبِ ، وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ ، وَتَتْفِ الْإِبْطِ : (صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٢٢١) .

(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ١٣٨) : الزُّهْدُ : مَعْنَاهُ تَرْكُ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : تَرْكُ الْحَرَامِ وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ ، وَتَرْكُ فُضُولِ الْحَلَالِ وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ ، وَتَرْكُ كُلِّ مَا يَشْغُلُ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ زُهْدُ الْمَارْفِقِينَ .
(٥) حَسْبُكَ : يَكْفِيكَ .

(٦) عَنْ زَهْرَتِهَا : أَيُّ تَرْكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَرْغَبُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ زُخْرَفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .
(٧) بِحَذَائِفِهَا : بِجَمَلَتِهَا وَكَلِمَتِهَا مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا ، وَجَوَانِبِهَا .
(٨) تَرَادَفَتْ : تَنَابَهَتْ وَتَوَالَتْ ؛ فَاتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً بِمَا يَسُرُّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْفَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ الْوَاسِعَةِ الطَّيِّبَةِ ، بِحَيْثُ لَوْ أَرَادَ تَوْسِعَ فِيهَا وَأَتَّقَى وَاقْتَطَفَ زَهْرَتَهَا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا ، وَاسْتَقْنَى بِأَقْلٍ قَلِيلٍ مِنْهَا .

عليه فتوحها إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم ودرعُه مرهونةٌ عند يهودى في نفقة عياله^(١) ، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا^(٢) .

حدثنا سفيان بن العاصي ، والحسين بن محمد الحافظ ، والقاضي أبو عبد الله التميمي ؛ قالوا : حدثنا أحمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو العباس الرازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الجلودى ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا أبو الحسين [مسلم]^(٣) بن الحجاج ؛ حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ^(٤) ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة^(٥) ؛ قالت : ما شَهِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا^(٦) من خُبْرٍ حتى مضى لسبيله^(٧) .

وفي روايةٍ أخرى : من خُبْرٍ شعير يومين متواليين ، ولو شاء الله لأعطاه ما لا يحطُر بِئال^(٨) .

وفي روايةٍ أخرى : ما شَهِد آلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من خُبْرٍ رُبَّ حتى لقيَ الله تعالى .

وقالت عائشة : ما ترك^(٩) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا .

(١) العيال : أهل البيت ومن تلزمه نفقته . وهذا الحديث في صحيح البخارى : ٤٩٠٤ ، وفي هامش ب : اليهودى اسمه أبو النجم .

(٢) القوت : كل ما يتقوت به الإنسان من الطعام ؛ أى اجمله بما يسد الرق من غير زيادة . والحديث في سنن الترمذى : ٤ - ٥٨٠ ، وصحيح البخارى : ٨ - ١٢٢٢

(٣) من ب . (٤) فى هامش ب : ابن أبى شيبه صاحب المصنف .

(٥) الحديث فى صحيح مسلم : ٢٢٨٤ ، والبخارى : ٨ - ١٢١ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٥٧٩

(٦) تباعا : متتابعة متوالية . (٧) مضى لسبيله : توفى .

(٨) البال : القلب والعقل والفكر . وخطر : ذكر وتصور ؛ أى يعطيه منها كل نفيس

لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته . (٩) ماترك : ماخلف تركة .

وفي حديث عمرو بن الحارث^(١) : ماترك إلّا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة .
قالت عائشة : ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد^(٢) إلّا شطر شَعِير^(٣)
في رَفَل^(٤) .

وقال لي : إني عرض على أن تُجْعَلَ لي بطحاء مكة^(٥) ذهباً . فقلت : لا ، يا رب ،
أجوعُ يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوعُ فيه فأتضرّع إليك وأدعوك ،
وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمدك وأثني عليك .

وفي حديث^(٦) آخر إن جبريل نزل عليه ، فقال له : إن الله تعالى يُقرئك
السلام ، ويقول لك : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً ، وتكونُ معك حينما كنتَ ،
فأطرق^(٧) ساعةً ، ثم قال : يا جبريلُ ، إن الدنيا دارٌ من لا دارَ له^(٨) ، ومالٌ من

(١) الحديث في البخارى : ٨ - ١١٩

(٢) ذو كبد : ذو حياة .

(٣) أراد به نصف مكوك ، أو نصف وسق . والمكوك : المد ، وقيل : الصاع . وضبطت
الراء في شطر بالفتحة والضمة وعليها « معا » في ب .

(٤) في رف لي : الرف : شبه الطاق في الحائط . ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن
الأرض تعد لوضع ما يراد حفظه .

(٥) البطحاء والأبطح : واد تجري فيه السيول . أو بطن واد فيه رمل وحصى . وللراد
يجعله ذهباً أن يملأه به ، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهباً .

(٦) في نسيم الرياض (٢ - ١٤٣) : قال السيوطي : لم أجده هكذا . ولكن البيهقي
أخرجه في الزهد من طريق عطاء ، عن ابن عباس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً :
ما أمسى آل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسماعيل عليه السلام ، فقال : إن الله
سمع ما ذكرت ، فبعثنى إليك بفتاح الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير
معك جبال تهامة ياقوتاً وذهباً وفضة ، فقلت . . .

قال : فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث .

(٧) أطرق ساعة : طأطأ رأسه يفكر فيها يجيبه به صلى الله عليه وسلم .

(٨) دار من لا دار له : لأنها فانية لا يقيم فيها أحد .

لا مال^(١) له ، قد يجمعها من لا عقل له .

فقال له جبريل : بَيَّنَّاكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بالقول الثابت^(٢) .

وعن عائشة^(٣) قالت : إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمَكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ^(٤) نَارًا ؛
إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمَرُ وَالْمَاءُ .

وعن عبدالرحمن بن عوف^(٥) : هَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤٥] ، وَلَمْ يَشْبَعْ
هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وعن عائشة وأبي أمامة^(٦) ، وابن عباس نحوه .

قال ابن عباس : كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ هُوَ وَأَهْلُهُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ
طَاوِيًا^(٧) لَا يَجِدُونَ عَشاءً .

وعن أنس^(٨) : مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ
وَلَا فِي سُكْرُجَةٍ^(٩) ، وَلَا خُبْزٍ لَهُ مَرَقٌّ^(١٠) ، وَلَا رَأَى شاةً سَمِيطًا قط^(١١) .

(١) ومال من لا مال له : أى إن ما يملكه للرء فيها سيسلب منه ، فهو عارية أو ودیة ،
فصاحبه لا ملك له حقيقة ، فكل غنى فيها فقير . (٢) بالقول الثابت : الحق ؛ لأنه دائم لا يزول .

(٣) فى حدیث صحیح فى البخارى : ٨ - ١٢١

(٤) هذا كناية عن أنهم ليس عندهم ما يطبخ .

(٥) هذا الحديث رواه الترمذى فى سننه : ٤ - ٥٨٠

(٦) حديث أبى أمامة فى سنن الترمذى : ٤ - ٥٨٠ ، وحديث ابن عباس هو الآتى

بعد ، وهو فى سنن الترمذى أيضا : ٤ - ٥٨٠

(٧) طاويا : جائعا . (٨) فى حدیث رواه البخارى : ٨ - ١٢١

(٩) خوان : مائدة . والسكرجة : قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ .

(١٠) المرقق : رفيق الخبز . كالرقاق . وفى ب : مرقق - بالرفع والنصب ، وعليها كلمة «معا» -

(١١) فى نسیم الرياض (٢-١٤٧) : أى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتامها بعد ستمطها -

أى عليها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ، ثم تشوى . وظاهر كلامهم أنها لم تسخن ، وأن ما ذكر
فى الحملان الصغيرة . وقال القارى (١ - ٣١٠) : سميطا ؛ أى مسموطا ، يعنى مشويا بجلده .

وعن عائشة ^(١) : إنما كان فراشه الذي ينام عليه آدمًا ^(٢) حشوه ليف .

وعن حفصة ^(٣) قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ^(٤)

مسحًا ^(٥) نثنيه ثنتين ^(٦) ، فينام عليه ، فثنيناه له ليلة بأربع ، فلما أصبح قال : ما فرشتكم ^(٧) لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له ، فقال : ردوه بحاله ، فإن وطأته ^(٨) منعتني الليلة صلاتي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينام أحياناً على سرير مرمول ^(٩) بشريط حتى يؤثر في جنبه ^(١٠) .

وعن عائشة قالت : لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، ولم يبت ^(١١) شكوى إلى أحدٍ ، وكانت الفاقة ^(١٢) أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جائعاً

(١) الحديث في البخارى : ٨ - ١٢١ (٢) آدم : جلد مدبوغ لين .

(٣) حديث حفصة رواه الترمذى في الشمائل منقطعا . قال في نسيم الرياض : وحديثها لا ينافى حديث عائشة المتقدم ، لجواز أن كلا منها ذكرت فراشه الذي كان عندها .

(٤) في ب : في بيتي . وفي هامشه : في بيته .

(٥) مسحاً : المسح : ثوب للفراش شبه الكساء . وقيل : من شعر أسود . قال الشهاب

(٢ - ١٤٧) : وهو على كل حال شيء غليظ يتنزه عن مثله أهل الترفه .

(٦) ضبطت التاء في بالكسرة . وفي ب : ثنين . وضبطت التاء بالفتحة والكسرة ،

وكتب فوقها « معا » .

(٧) في ا ، ب : ما فرشتموني . وفي هامش ب : ما فرشتموني .

(٨) وطأته : لينه تحت جنبي . وضبطت الواو في ب بالكسرة . وفي ا : وطأته -

بفتح الواو وسكون الطاء .

(٩) مرمول ، ومرمل ، ورمال : ينسج في وجهه بالسعف وغيره ويشد بشريط ونحوه .

(١٠) كان يؤثر في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه . وهذا الحديث في صحيح

مسلم : ١٩٤٤ ، والترمذى : ٤ - ٥٨٨ ، وابن ماجه : ١٣٩٠

(١١) لم يبت : لم يذكر وبظهر . (١٢) الفاقة : الحاجة والفقر .

يَلْتَوِي طَوْلَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كَنْزِ الْأَرْضِ وَثَمَارِهَا وَرَغَدِ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً تَمَّا أَرَى بِهِ ، وَأَمْسَحُ يَدِي عَلَى بَطْنِهِ تَمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَقُولُ : نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ ؛ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُولُكَ ^(١) ! فيقول : يَا عَائِشَةُ ؛ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، إِخْوَانِي مِنْ أَوْلَى الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَضَوُّوا عَلَى حَالِهِمْ ^(٢) ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، فَأَكْرَمَ مَا بَرَّهُمْ ^(٣) ، وَأَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ ^(٤) ؛ فَأَجِدُنِي أَسْتَحْسِي إِنْ تَرَفَّهْتَ ^(٥) فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَدَا دُونَهُمْ ^(٦) ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي ^(٧) .

قَالَتْ : فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوَفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فصل

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ؛ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ ، فَعَلَى قَدَرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ ^(٨) ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مَنَى عَلَيْهِ . قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَافُ أُبْلِسِي ،

(١) التبليغ : من البلاغ ، وهو مقدار الكفاية . والمراد : لو اكتفيت من الدنيا بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة .

(٢) مضوا على حالهم : استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم إلى أن ماتوا .

(٣) ما بَرَّهم : مرجعهم إليه .

(٤) أجزل ثوابهم : أكثر لهم المطاء والجزاء في دار المقام .

(٥) إن ترفهت : تنعمت وتوسعت في العيش .

(٦) فيكون مقامى دون مقامهم ، وتنزل مرتبتي عن مرتبتهم .

(٧) المراد بالإخوان والاختلاء : الأنبياء عليهم السلام .

(٨) في نسيم الرياض (٢ - ١٥٣) : قال القشيري : من عرفه صدق في معاملاته ، وتيق من ردى أخلاقه وآفاته ؛ ومن أمارات المعرفة حصول الخوف مع الإجلال .

وإلى ذلك أشار المصنف ؛ فإن من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه ، وأطاعه وعبدته على قدر طاقته ؛ وإنما يعصى الله من جهل ربه ونفسه ؛ فإن الإيمان بحجة الله ، ومن أحبه أطاعه .

حدثنا أبو الحسن القاسمي ، حدثنا أبو زيد المروزي ، حدثنا أبو عبد الله الفريزي ،
حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،
عن سعيد بن المسيب - أن أبا هريرة كان يقول ^(١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .

زاد في روايتنا ، عن أبي عيسى الترمذي ^(٢) - رفعه إلى أبي ذر : إني أرى
ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تظ ^(٣) ، ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفراش ، ولا خرَجتم إلى الصعدات
تجأرون إلى الله ^(٤) ، لو ددت أني شجرة تُعضد ^(٥) .

رؤي هذا الكلام : وددت أني شجرة تُعضد - من قول أبي ذر نفسه ^(٦) ،
وهو أصح .

وفي حديث المفيرة ^(٧) : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه ^(٨)

(١) هذا الحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٥٥٧ (٢) سنن الترمذي : ٤ - ٥٥٦
(٣) أظت السماء : أصل معنى الأظيط : صوت الإبل إذا حنت ، واقتب إذا ضغطه ثقل ما
عليه ، ونحو ذلك ؛ أي إن السماء لكثرة ما عليها من الملائكة إذا تحركوا يسمع لها صوت
سمعه النبي صلى الله عليه وسلم . وحق لها أن تظ : أي تصوت ، ويسمع لها صرير لثقل ما
عليها . وهذا إيذان بكثرة ما في السماء من الملائكة . والمراد تقرير عظمة الله .

(٤) الصعدات : الطرقات . تجأرون : تضجون وتصيحون ، وتستغيثون الله ، وتتركون
أهلكم ومساكنكم . وفي هامش ١ : تجأرون : ترفعون أصواتكم بالدعاء .

(٥) تعضد : تقطع من أصلها . والمراد تمنيه أن يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسأل .

(٦) أي هذه العبارة من قول أبي ذر لا من الحديث وكلام النبي .

(٧) صحيح مسلم : ٢١٧١

(٨) انتفخت قدماه : ورمت من طول القيام .

وفي رواية^(١) : كان يصلي حتى ترمَ قَدَمَاهُ ؛ فقيل له : أتسكف^(٢) هذا وقد غفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً^(٣) .
ونحوه عن أبي سلمة ، وأبي هريرة .

وقالت عائشة^(٤) : كان عملُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم دِيَمَةً^(٥) ، وأيُّكم
يُطِيق [٤٦] ما كان يطيق !

وقالت : كان يصومُ حتى يقول : لا يُفْطِر . ويُفْطِر حتى يقول : لا يصوم .
ونحوه عن ابن عباس ، وأم سلمة ، وأنس^(٦) .
وقالت^(٧) : كنت لا نشاء أن تراه من الليل مُصلِّياً إلا رأيتَه مُصلِّياً ، ولا نأثما
إلا رأيتَه ناثماً .

وقال عوف بن مالك : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستأثك ثم
توضاً ، ثم قام يصلي ، فقمْتُ معه ، فبدأ فاستفتح^(٨) البقرة ، فلا يُمِرُّ بآيةِ رَحمةٍ إلا
وقف فسأل^(٩) ، ولا يُمِرُّ بآيةِ عذابٍ إلا وقف فتموَّذ ، ثم ركع ، فسكث بقدر قيامه ،
يقول : سبحانَ ذي الجبروت^(١٠) والملسكوت والعظمة ، ثم سجد وقال مثلَ ذلك ؛
ثم قرأ آل عمران ، ثم سورة سورة ، يفعلُ مثلَ ذلك^(١١) .

-
- (١) صحيح مسلم : ٢١٧٢ (٢) أتسكف : أتسكف ؛ أي تتحمل مشقته وكلفته .
(٣) أي أترك الصلاة لمنفرته ، وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها .
(٤) صحيح مسلم : ٥٤١ (٥) ديمة : دائماً متصلاً .
(٦) قال في نسيم الرياض : والأحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في
بعض ألفاظها ، وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان .
(٧) في ١ : وقال ؛ أي قال كل منهم . وفي ب : وقالت ؛ أي عائشة فيما رواه عنها أيضاً .
(٨) استفتح البقرة : شرع في قراءتها . (٩) فسأل : سأل الله الرحمة .
(١٠) الجبروت والملسكوت : الجبروت : مبالغة في الجبر ، وهو القهر . والملسكوت : الملك العظيم .
(١١) سنن أبي داود : ١ - ٨٨

وعن حُدَيْقَةَ مثله ، وقال : سجد نخواً من قيامه ، وجلس بين السجدة تينِ نخوا منه ، وقال : حتى قرأ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ^(١) .

وعن عائشة : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بآيةٍ من ^(٢) القرآن ليلة .
وعن عبد الله بن الشَّخِير : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ ^(٣) .

وقال ابنُ أبي هالة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ ^(٤) ، ليست له راحةٌ .

وقال عليه السلام : إني لاسْتَغْفِرُ الله في اليوم مائة مرة - ورؤي سبعين مرة .
وعن عليٍّ رضيَ الله عنه ، قال : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن سُنَّتِهِ ^(٥) ، فقال : المعرفةُ رأسُ مَالِي ^(٦) ، والعقلُ أصلُ دِينِي ^(٧) ، والحبُّ أساسِي ^(٨) ، والشوقُ

(١) أى قرأ في كل ركعة بسورة من هذه السور : سنن أبي داود : ١ - ٨٨

(٢) الآية التي ردها طول ليله هي من سورة المائدة : إن تمذهبهم فإتهم عبادك
(شرح القارى : ١ - ٣١٧) .

(٣) جوف كل شيء : باطنه ، والمراد به ما تحت صدره وأضلاعه ، والأزيز : صوت الفليان إذا اشتد . والمرجل : القدر . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم - لشدة خوفه وخشيته من الله - يسمع حركة قلبه .

(٤) دائم الفكرة : يفكر دائماً في أمره وأمراته ، وفي عاقبة الأمر .

(٥) سننه : طريقته التي هو عليها .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث ذكره في الإحياء . وقال الحافظ العراقي : إنه لا أصل له . وقال السيوطي : إنه موضوع ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وهو يشبه كلام الصوفية (نسيم الرياض : ٢ - ١٦١) .

(٦) للمعرفة : المراد بها معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الأمور مما لم يكن يعلمه .

(٧) أى دينه وشرعه ، أى ما تعبد به وتدين قبل البعثة مبنى على ما أودعه الله تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه إلى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته .

(٨) والحب : محبة الله أساس ما يبنى عليه أموره في أجماع أوامر الله ونواهيه .

مَرْكَبِي^(١)، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنْبَسَى^(٢)، وَالثَّقَةُ كَنْزِي، وَالْحَزَنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي،
وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرَّضَا غَنِيمَتِي، وَالْعَجْزُ فَخْرِي، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي^(٣)، وَالْيَقِينُ
قُوَّتِي، وَالصَّدْقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي^(٤) فِي الصَّلَاةِ.
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَثَمَرَةُ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَعَمِّي لِأَجْلِ أُمِّي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي.

فصل

اعلم وقفنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم؛ من
كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحَسَنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ الْحَاسَنِ،
هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ؛ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ^(٥)، وَالْكَمَالُ وَالْتِمَامُ الْبَشَرِيُّ وَالْفَضْلُ^(٦)
الْجَمِيعُ لَمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ رُتِبَتْهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ، وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ،
وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٧): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ﴾. وَقَالَ^(٨): ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْمَالِكِينَ﴾.

وقد قال عليه السلام^(٩): إِنْ أُولَ زُمْرَةٍ^(١٠) يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(١١)؛

(١) والشوق مركبي: أى شوق إلى اللطالِبِ العَالِيَةِ، وَإِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى - هُوَ الَّذِي حَرَكَنِي
حَتَّى وَصَلْتُ لِمَرَادِي.

(٢) وذكر الله أنبَسَى: يعنى أنه يأنس في خلوقه وجلوته بذكر الله؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَكْثَرَ مِنْ
ذِكْرِهِ صَارَ نَصَبٌ عَيْنِيهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَعَهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ أَنْسَ بِهِ، وَاسْتَوْحَشَ مِمَّا عَدَاهُ.

(٣) الحرفة: الصَّنَاعَةُ الَّتِي يَرْتَزِقُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ.

(٤) قُرَّةُ عَيْنِي: مَسْرَتُهَا وَفَرَحْتُهَا فِي الصَّلَاةِ.

(٥) المعنى أن كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحَسَنِ الْخُلُقِ - صِفَاتُ جَامِعَةٍ
لِجَمِيعِ الْحَاسَنِ، وَهِيَ صِفَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهِيَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ الْأَكْلَ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِمْ.

(٦) وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ: أَيْ الْفَضْلُ جَمِيعِهِ. (٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ ٢٥٣.

(٨) سُورَةُ الدُّخَانِ، آيَةُ ٣٢ (٩) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ: ٢١٧٨، ٢١٧٩.

(١٠) زُمْرَةٌ: طَائِفَةٌ؛ وَجَمَاعَةٌ. وَلِلْمَرَادِ بِهَذِهِ الزُّمَرَةِ: الْأَنْبِيَاءُ، أَوِ الْإِنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ.

(١١) عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ: أَيْ وَجُوهَهُمْ مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ. وَالْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَكُونُ أَضْوَاءً مَا يَكُونُ.

ثم قال آخر الحديث : على خَلْقِ رجلٍ واحد ، على صورة أبيهم آدم ، طوله ستون ذراعا في السماء .

وفي حديث أبي هريرة^(١) : رأيت موسى فإذا هو رجلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ ، أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَاءَ^(٢) ورأيت عيسى فإذا هو رجلٌ رُبْعَةٌ ، كَثِيرُ خَيْلَانِ الْوَجْهِ ، أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ^(٣) .

وفي حديث آخر : مُبْطَنٌ مِثْلُ السِّيفِ^(٤) ؛ قال : وأنا أشبههُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ . وقال في حديث آخر في صِفَةِ موسى : كَأَحْسَنَ مَا أَنتَ رَأَى مِنْ أَذِيمٍ^(٥) الرِّجَالِ . وفي حديث أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله تعالى من بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ^(٦) .

(١) في صحيح مسلم : ١٥٣

(٢) ضرب : جسمه بين الهزال والسمن ، رجل : شعره متكسر قليلا . ليس بسيط .
أقنى : طويل الأنف دقيق أرنبته . شنوءة : اسم قبيلة .

(٣) ربة : بين الطول والقصر ، معتدل القامة . والخيْلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء المعروفة . الديماس : الحمام . والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه . وكامة « ديماس » ضبطلت الدال فيها بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ١ .

وفي هامش ١ ، عن الغريبين للهروى : الديماس : السكن ؛ أى كأنه مخدر لم يرشما . وقال بعضهم : الديماس : السرب . ومنه يقال : دمسته ؛ إذا قبرته . ويقال : الديماس : الحمام .

وانظر أيضا : النهاية : ٢ - ٣٢ ، والفائق : ١ - ٤١١

(٤) مبطن : ضامر البطن ، مثل السيف : في استوائه ودقته .

وفي هامش ١ : والبطان ضده . والبطون : الذى يشتكى بطنه .

(٥) آدم الرجال : من الأدمة ، وهى سمرة اللون . وجمع آدم : آدم .

(٦) الذروة : أعلى شيء ؛ أى بين قوم له ، ذوى جدة وسمة وشرف ، لا غرباء ، ولا من قوم ليسوا كذلك . وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب ، وشرف القوم .

ويروى [٤٧] : في ثَرَوَةٍ ؛ أَي كَثْرَةٍ وَمَنْعَةٍ ^(١) .

وحكى الترمذى ^(٢) ، عن قتادة ، ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس : ما بعث الله نبيًّا إلا حسنَ الوجهِ ، حسنَ الصوتِ ، وكان ^(٣) نبيُّكم أحسنهم وجْهاً ، وأحسنهم صَوْتًا .

وفى حديث هِرْقَل ^(٤) : وسألتك عن نسبِهِ ، فذكرت أنه فيكم ذو نسبٍ ^(٥) ، وكذلك الرسلُ تبعثُ في أنساب ^(٦) قومها .

وقال تعالى في أيُّوب ^(٧) : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٨) .

وقال تعالى ^(٩) : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ ^(١٠) وآتيناهم صِيبًا . وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً ^(١١) وكان تَقِيًّا . وَبِرًّا بوالديه ولم يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا . وسلامٌ عليه يوم وُلِدَ ويوم يَمُوتُ ويوم يُبْعَثُ حَيًّا .

(١) ومنعة : أى قوم ينعمنه ويحمونه .

(٢) الحديث المذكور فى الشئائل وغيرها مرسلًا .

(٣) فى ب : فكان .

(٤) هذا الحديث رواه البخارى : ١ - ٧ ، وكان هذا حين أرسل هرقل إلى أبى سفيان وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادثة رسول الله لكفار قريش ، فأتوه بإيليا ، فدعاهم وحوله عطاء الروم ، فسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول ما سأله عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؛ فقال : هو فينا ذو نسب .

(٥) ذو نسب : ذو نسب عظيم .

(٦) أى كل نبي له نسب عال فى قومه . (٧) سورة ص ، آية ٤٤

(٨) أوأب : كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه ، وامتنال أوامره ونواهي .

(٩) سورة مريم ، الآيات من ١٢ - ١٥

(١٠) بقوة : أى بقوة فهم ، وعزيمة على العمل بما فيه .

(١١) حنانا : فى طبعه الرحمة . وزكاة : مطهرا من النقائص .

- وقال^(١) : ﴿ اِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِصِدْقٍ بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا^(٢) وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .
- وقال^(٣) : ﴿ اِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ اِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
- وقال - في نوح^(٤) : ﴿ اِنَّهٗ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ .
- وقال^(٥) : ﴿ اِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٦) وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .
- وقال^(٧) : ﴿ اِنِّى عَبْدُ اللَّهِ اَتَانِى الْكِتَابَ وَجَعَلْنِى نَبِيًّا . وَجَعَلْنِى مُبَارَكًا اَيْنَا كُنْتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ .
- وقال تعالى^(٨) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأهُ^(٩) اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ .
- قال النبي صلى الله عليه وسلم : كان موسى رجلاً حَيِيًّا سَتِيْرًا^(١٠) مَا يُرَى مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ . . . الحديث^(١١) .

- (١) سورة آل عمران ، آية ٣٩
- (٢) وحسورا : الحصور الذى لا يأتى النساء ، إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة ، والثانى أظهر فى الآية لأنه بذلك يستحق الحمدة (المفردات ١٢٠) .
- (٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ ، ٣٤ (٤) سورة الإسراء ، آية ٣
- (٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ ، ٤٦ ، وهذه الآية فى عيسى .
- (٦) وجيها : شريفا قدره فى الدارين . (٧) سورة مريم ، آية ٣٠
- (٨) سورة الأحزاب ، آية ٦٩
- (٩) عابوه - لشدة تستره حياء من الله ، بأن فى بدنه برصا أو به أدرة ، فبرأه الله من ذلك وبين أنه كامل الخلق والخلق .
- (١٠) حياء : كثير الحياء - ستيرا : شديد التستر لبدنه .
- (١١) الحديث رواه الترمذى فى صحيحه : ٥-٣٥٩ ، وتمامه أنه كان يكثّر التستر ويفتسل =

وقال تعالى - عنه ^(١) : ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ^(٢) ﴾ وجعلني مِنَ الْمُرْسَلِينَ .
 وقال في وصف جماعة منهم ^(٣) : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال ^(٤) : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ .
 وقال ^(٥) : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .
 وقال ^(٦) : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . أولئك الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ .
 أولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ... ﴾
 فوصفهم بأوصافٍ جَمَّةٍ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْهُدَى وَالْاجْتِبَاءِ وَالْحُكْمِ وَالنَّبُوءَةِ ^(٧) .

== وحده؛ قالوا: إنه إنما يفعل هذا لبرص أو أذرة، فذهب مرة ليفتسل ووضع ثوبه على حجر،
 فلما أراد أن يلبسه فر الحجر ، وجرى خلفه يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حق مر على
 بني إسرائيل، فأروه أكل الناس وأصحبهم بدنا ، فبرئ مما سموه وآذوه به .

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١ (٢) حكما : علما ونبوة .

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٠٧ ، وغيرها .

(٤) القائل هو موسى لشيب . سورة القصص ، آية ٢٦

(٥) سورة الأحقاف ، آية ٣٥

(٦) سورة الأنعام ، الآيات من ٨٤ - ٩٠

(٧) جملة : كثيرة . والصلاح : صفة جامعة لكل خير . والاجتباء : الاصطفاء والاختيار

لِلرَّسَالَةِ . وَالْحُكْمُ : الْحِكْمَةُ ، أَوْ فَصْلُ الْأَمْرِ عَلَى مَقْتَضَى الْحَقِّ .

- وقال^(١) : فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . وَعَلِيمٍ .
 وقال^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا^(٣) قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَذْوَا
 إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .
 وقال^(٤) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٥) .
 وقال^(٦) - في إسماعيل : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَكَانَ
 يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .
 وفي موسى^(٧) : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾^(٨) .
 وفي سليمان^(٩) : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .
 وقال^(١٠) : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
 وَالْأَبْصَارِ^(١١) . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ^(١٢) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
 الْأَخْيَارِ^(١٣) .

- (١) سورة الصافات ، آية ١٠١ . وفي القادريات ، آية ٢٨ : وبشروه بغلام عليم .
 والمبشر : هو إسحاق .
 (٢) سورة الدخان ، آية ١٧ ، ١٨ (٣) فتنا : المراد بالفتنة الاختبار والامتحان .
 (٤) سورة الصافات ، آية ١٠٢ ، والقائل هو إسماعيل لوالده إبراهيم .
 (٥) من الصابرين طي الذبح مسلما لله ، ولذلك سلمه الله وفداه .
 (٦) سورة مريم ، آية ٥٤ ، ٥٥ (٧) سورة مريم ، آية ٥١
 (٨) ضبطت اللام في « مخلصا » بالكسرة في ١ ، قال القاري (١ - ٧٢٣) : وفي قراءة
 للبعة بفتح اللام ؛ أي أخلصه الله واختاره ، واصطفاه .
 (٩) سورة ص ، آية ٣٠ ، ٤٤ . والأواب : كثير الرجوع إلى ربه .
 (١٠) سورة ص ، آية : ٤٥ - ٤٧
 (١١) الأيدي : جمع يد ، بمعنى القوة . والأبصار : جمع بصر ، بمعنى بصيرة .
 (١٢) جعلناهم خالصين بسبب أنهم لا يذكرون إلا الدار الآخرة .
 (١٣) الأخيار : جمع خير .

وفي داود^(١) : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ . ثم قال^(٢) : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخَطَّابَ ﴾^(٣) .

وقال - عن يوسف^(٤) : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ .
وفي موسى^(٥) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ .

[وقال تعالى^(٦) - عن شعيب : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾]^(٧) .

وقال^(٨) : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ .

وقال^(٩) : ﴿ وَلَوْ طَآءَنَّاكُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا

لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(١١) .

قال سفيان : هو^(١٢) الْحُزْنُ الدَّائِمُ .

(١) سورة ص ، آية ١٧ ، ١٩ (٢) سورة ص ، آية ٢٠

(٣) شددنا ملكه : قويناه . وفصل الخطاب : الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

(٤) سورة يوسف ، آية ٥٥ (٥) سورة الكهف ، آية ٦٩

(٦) سورة القصص ، آية ٢٧ ، والمخاطب في قوله تعالى : « ستجدني » - هو موسى .

(٧) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٨) سورة هود ، آية ٨٨ . أخالفكم : من قولهم : خالفت فلانا إلى كذا ، إذا قصدته مع

إعراضه عنه . والمعنى : ما أريد أن آتي ما نهيتكم عنه لأستبد به لعلني أنه خطأ ، وفي ارتكابه خطر ، فلو كان صوابا لآثرته ، ولم أتركه فضلا عن أن أنهى غيري عنه .

(٩) سورة الأنبياء ، آية ٧٤

(١٠) الأنبياء : ٩٠ ، إنهم : أي الأنبياء المذكورون في سورتهم .

(١١) شأنهم المبادرة إلى فعل أنواع الخير ، وسؤال الله تعالى في الرغبة والرهبة ؛ أي للرغبة

في المثوبة والقربة ، والرهبة عن العقوبة .

(١٢) هو تفسير الحشوع في قوله تعالى : وكانوا لنا خاشعين .

في آي كثيرة ، ذكر فيها من خصالهم وتحسين أخلاقهم الدالة على كمّالهم .
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير ، كقوله ^(١) : إنما الكريم ابن الكريم .
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، نبي ابن نبي
ابن نبي ابن نبي .

وفي حديث أنس ^(٢) : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .
وروى أن سليمان ^(٣) كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعاً
وتواضعاً لله تعالى . وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير .
وأوحى الله إليه : يا رأس العابدين ^(٤) ، وابن حجة الزاهدين ^(٥) .
وكانت العجوز تعترضه ^(٦) - وهو على الرّيح في جنوده ، فيأمر الرّيح فتقف فينظر
في حاجتها ويمضي .

وقيل ليوسف : مالك نجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : أخاف أن أشبع
فأنسى الجائع [٤٨] .

وروى أبو هريرة عنه ^(٧) صلى الله عليه وسلم : خُفِّفَ على داود القرآن ^(٨) ، فكان
يأمر بدوابه ، فتُسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تُسرج ^(٩) ، ولا يأكل إلا من عمل يده .

(١) هذا الحديث في صحيح البخاري بدون : «إنما» (صحيح البخاري : ٤ - ٢٢٤) .

(٢) في حديث رواه البخاري : ٤ - ٢٣٢

(٣) رواه الطبراني ، عن أبي هريرة . (٤) رأس العابدين : أعلام ورئيسهم .

(٥) محجة الزاهدين : مقصدهم ومقدهم الذي يأنسون بسنته ومسلكه .

(٦) تعترضه : تجيء له وتقف مقابلته .

(٧) رواه البخاري : ٦ - ١٠٧

(٨) للراد قراءة كتابه ، وهو الزبور . والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير .

(٩) قيل هذا من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير .

قال الله تعالى ^(١) : ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ ^(٢) .

وكان ^(٣) سأل رَبَّهُ أَنْ يرزقه عَمَلًا بيده يُغْنِيه عن بَيْتٍ لِلْمَالِ .

وقال عليه السلام ^(٤) : «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى

الله صِيَامُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا

وَيَفْطُرُ يَوْمًا . وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَيَقْتَرِشُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ

وَالرَّمَادِ ، وَيَمْزُجُ شَرَابَهُ بِالْدموعِ» ^(٥) ، وَلَمْ يَرِ ضَاحِكًا بَعْدَ الْخَطِيئَةِ ^(٦) ، وَلَا شَاخِصًا

يَبْصُرُهُ إِلَى السَّمَاءِ ، حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَكْيَا حَيَاتِهِ كَلَمًا .

وقيل : بَكَى حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دَمُوعِهِ ^(٧) ، وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدَّمُوعُ فِي خَدِّهِ

أَخْدُودًا ^(٨) .

وقيل : كَانَ يُخْرِجُ مُتَنَكِّرًا يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ ، فَيَسْتَمِعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَيَزِدُّادُ تَوَاضُعًا .

وقيل لعيسى عليه السلام : لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَارًا . قَالَ : أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ

يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ .

وكان يلبس الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ كُلَّ الشَّجَرِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ أَيْنَمَا أَدْرَكَ النَّوْمُ نَامَ .

وكان أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ مَسْكِينٌ ^(٩) .

(١) سورة سبأ ، آية ١٠ ، ١١

(٢) سابغات : دروعا طويلة تامة . السرد : سرده : نسجه وعمله . ومعنى تقديره جعل

ثقوب طرفي الخلق على قدر المسامير ، وكون المسامير غير رقيقة فتتلق ، ولا غايظة فتكسر الخلق .

(٣) وكان : أى داود . (٤) صحيح مسلم : ٨١٦ (٥) لكثرة بكائه .

(٦) الخطيئة : تزوجه بامرأة أورياء . قال في نسيم الرضا : وليست هذه خطيئة ، ولكن

علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك ؛ فلذا عوتب عليه .

(٧) هذا رواه ابن أبي حاتم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا ، وعن مجاهد وغيره موقوفا .

(٨) الأخدود : الشق المستطيل فى الأرض . والمراد أثرت أثرا فى خده .

(٩) رغبة فى التواضع لمعظمة الله . وقد ضبطت الباء فى «أحب» بالضمه وعليها علامة الصحة فى ١ .

وقيل : إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت تُرَي خُضْرَةُ الْبَقْلِ^(١) في بطنه من الهزال .

وقال عليه السلام : لقد كان الأنبياء قبلِي يُبْتَلَى أَحَدُهُم بِالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ ، وكان ذلك أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكَ .

وقال عيسى عليه السلام - لِحَنْزِيرٍ لَقِيَهُ : اذهب بسلام . فقيل له في ذلك ، فقال : أَكْرَهُ أَنْ أَعُوذَ لِسَانِي الْمُنْطَقَ بِسُوءٍ .

وقال مجاهد : كَانَ طَعَامُ يُحْيِي الْعُشْبَ .

وكان يَبْكِي من خشية الله حتى اتَّخَذَ الدَّمْعُ^(٢) تَجْرِي فِي خَدِّهِ ، وكان يأكلُ مِنَ الْوَحْشِ لئلا يُخَالِطَ النَّاسَ .

وحكى الطبريُّ ، عن وَهْبٍ ، أَنَّ مُوسَى كَانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ^(٣) ، وَيَأْكُلُ فِي ثُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ ، وَيَكْرَعُ فِيهَا^(٤) إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ ، تَوَاضَعَا لِلَّهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ .

وأخبارُهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ ، وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ ، وَحَسَنِ الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ؛ فَلَا نَطَوَّلُ بِهَا ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا تَجِدُهُ^(٥) فِي كِتَابِ بَعْضِ جَهْلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يَخَالِفُ هَذَا .

(١) البقل : ما ليس بشجر من النبات مما تبقى أرومته وأصوله بمد أخذه .

(٢) في ب : الدموع .

(٣) المريش : هو ما يستظل به خيمة كانت أو خشبا أو نباتا .

(٤) يكرع فيها : أى يضع ما يشرب في ثُقْرَةٍ يكب عليها ويشرب منها بفيه .

(٥) في هامش ب : نجده - بالنون .

فصل

قد أتيناك - أكرمك الله - من ذكر الأخلاق الحميدة ، والفضائل الحميدة ،
 وخصال الكمال العديدة ، وأريناك صحتها ^(١) له صلى الله عليه وسلم ، وجليتنا ^(٢) من
 الآثار ما فيه منفع ، والأمر أوسع ؛ فجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم تمتد ،
 تنقطع دون تفاديه الأدلاء ^(٣) ، وبحر علم خصائصه زاخر لا تسكدره الدلاء ^(٤) ،
 لكننا أتينا فيه بالمعروف ^(٥) بما أكرهه في الصحيح والمشهور من المصنفات ؛ واقتصرنا
 في ذلك بقل من كل ^(٦) ، وغيض من فيض ^(٧) ، ورأينا أن نختم هذه الفصول
 بذكر حديث الحسن ^(٨) ، عن أبي هالة ، لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا ، وإدماجه
 بجملة كافية من سيره وفضائله ، وأصله بتنبية لطيف على غريبه ومشكله .

حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ - رحمه الله - بقرائه عليه سنة ثمان
 وخمسة [٤٩] ؛ قال : حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه ،
 أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري ، والشيخ الفقيه
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحدثي ، والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر

(١) أي كونها صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم .

(٢) جليتنا : رويناه ونقلناه ، وأوردناه وشرحناه .

(٣) الأدلاء : جمع دليل ، وهو من يتقدم الركب ليهديهم إلى الطريق .

(٤) الدلاء : جمع دلو . وهو ما يؤخذ به الماء . وعدم تسكديره : عبارة عن عدم بلوغ

آخره ؛ لأنه إذا بلغه حرك طينه فيستكدر ماؤه . (٥) المعروف : المشهور الذي يعرفه الناس .

(٦) القل : القليل ، بمعنى القلة ؛ أي ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا ، أو دون الجميع ،

لأنه لا يمكن الإحاطة به . وكلمة « كل » فوقها علامة الصحة في ب . وفي هامشه : كثر .

(٧) الفيض : المراد القليل . الفيض : المراد به الكثير .

(٨) رواه الترمذي في شمائله صفحة ٤ من نسختي المخطوطة . وهو في دلائل النبوة للبيهقي

الْوَحْشِيِّ ؛ قالوا : حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخُزَاعِي ، أخبرنا أبو سعيد الهنيم بن كليب الشاشي ، أنبأنا أبو عيسى بن سَوْرَةَ الحافظ ؛ قال : حدثنا سُفْيَان بن وَكِيع ، حدثنا جَمِيع بن عُمر بن عبد الرحمن العجلي إِمْلَاءً من كتابه ؛ قال : حدثني رجلٌ من بني تميم من وَلَدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، يكنى أبا عبد الله ، عن ابنِ لَآئِي ^(١) هَالَةَ ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ قال : سألتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ .

قال القاضي أبو علي رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٢) : وقرأتُ على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خُذَادَاذ ^(٣) الكَرَجِيِّ ^(٤) الباقِلَانِي ؛ قال : وأجاز لنا الشيخُ الأجلُّ أبو الفضل أحمد بن الحسين بن خَيْرُون ؛ قالوا : حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذَّان بن حَرْب بن مِهْرَان الفارسي قراءةً عليه فَأَقَرَّ بِهِ ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جَعْفَر ابن عبيد الله ^(٥) بن الحسين بن علي بن [الحسين بن علي] ^(٦) بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العَلَوِي ، قال : حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد

(١) قال الذهبي : إن هذا الرجل لا يعرف اسمه ؛ فهذا الحديث منقطع ، لأن فيه راويًا مجهولًا (نسيم الرياض : ٢ - ١٨٣) .

(٢) فروى هذا الحديث من طريقين . والقاضي هذا هو ابن سكرة .

(٣) في ب : خذاداد . وفي هامشه : معناه بالفارسية : عطاء الله . وقال الشهاب (٢ - ١٨٣) : إنه خذاداد - بألف مقصورة آخره .

(٤) عليه علامة الصحة في ب . وقال في هامشه : كذا وقع الكرجي - بالجيم . وضبطه كذلك الشهاب (٢ - ١٨٣) . وفي أ : الكرخي - بالخاء . وضبطه القاري (١ - ٣٣٥) بسكون الراء ، ورواه بالجيم .

(٥) هذا في أ ، ب . وفي شرح القاري ، وشرح الخفاجي : عبد الله .

(٦) من ب ، وعليه علامة الصحة .

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ قال : حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين ، قال : قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند ^(١) : سألت خالي هِندَ بن أبي هالة عن حِلْيَةِ ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان وصافاً ^(٣) - وأنا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئاً أَتَعْلَقُ ^(٤) بِهِ ، قال ^(٥) :

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا مُفَخَّمًا ^(٦) ، يتلألاً وجهه تَلَأْلَأَ القمر ليلةَ البدر ^(٧) ، أطولَ من المَرْبُوعِ ^(٨) ، وأقصرَ من المشدَّبِ ، عظيمُ الهامةِ ^(٩) ، رَجَلَا الشعرِ ؛ إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَّقَ ، وإِلَّا فَلَا يَجَاوِزُ شَعْرَهُ شَحْمَةٌ أَذُنُهُ ^(١٠) ، إِذَا هُوَ وَفَرَهُ ، أَزْهَرَ اللونِ ، واسِعَ الجبينِ ، أَزَجَّ الحواجِبِ ، سَوَابِغَ ، مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ ، بينهما عِرْقٌ يُدْرِهُ ^(١١) الفَضْبَ ، أَقْنَى العِرْنَيْنِ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، وَيَحْسِبُهُ ^(١٢) مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ

(١) وهو الطريق الثاني في الإسناد، وهو في شمائل الترمذی صفحة ٤ من مخطوطی المحققة، و صفحة ١٨ من المواهب ، وستن الترمذی : ٥ - ٥٩٢

(٢) الحلیة : ما يتحلّى به من الصفات .

(٣) كان وصافاً : كان فصيحاً له خبرة بوصف الناس لحذقه . أو كان معروفًا بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أتعلق به : أحفظه وأمسك به تبركاً .

(٥) سيأتی تفسیر لفريق هذا الحديث في الفصل التالی ؛ ولهذا لن نشرح إلا ما تركه المصنف - فيما یأتی في ذلك الفصل .

(٦) الفخْم : العظيم ، والمراد أن أعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة . مفخماً : المراد أنه معظم في العیون الناطرة إليه .

(٧) يتلألاً وجهه : يشرق ویضئ .

(٨) المربع : الذي بین الطول والقصر . (٩) الهامة : الرأس .

(١٠) شحمة الأذن : مالان منها حيث یعلق القرط .

(١١) سوابغ : طوال كاملة . قرن : اقتران واتصال . يدره الفضب : المراد أنه یظهره لعليان

الدم بالفضب بعد ما كان خفياً . (١٢) يحسبه : یظنه .

أَشْمٌ ، كَثَّ اللَّحْمِيَّةُ ^(١) ، أَدْعَجَ ، سَهْلَ الْخَدَيْنِ ^(٢) ، صَلْبَمَعَ الْفَمَ ، أَشْنَبَ ، مُفْلَجَ
الْأَسْنَانَ ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ ، كَانَ عُنُقَهُ جَيِّدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ ^(٣) ، مَعْتَدِلَ الْخَلْقِ ،
بَادِنًا ، مُتَمَاسِكًا ، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْرِ ، يَمِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنَسْكَيْنِ ،
ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ ^(٤) ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي
كَالْخَطِّ ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ ، مَا سِوَى ذَلِكَ ^(٥) ، أَشْمَرَ الذَّرَاعَيْنِ ^(٦) وَالْمَنَسْكَيْنِ وَأَعَالَى
الصدرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ ، شَتْنَ السَّكْفَيْنِ ^(٧) وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ -
[أَوْ قَالَ : سَائِنَ الْأَطْرَافِ] ^(٨) ، سَمِطَ الْعَصَبِ ^(٩) ، خُمْصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحَ
الْقَدَمَيْنِ ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو تَكْفَأً ، وَيَمْشِي هَوْنًا ،
ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا ^(١٠) ،
خَافِضَ الطَّرْفِ ^(١١) ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ

- (١) كَثَّ اللَّحْمِيَّةُ : لَحِيَّتُهُ كَثِيرَةُ الشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ طَوْلٍ وَلَا دَقَّةٍ شَعْرًا .
(٢) سَهْلَ الْخَدَيْنِ : غَيْرَ مَرْتَفِعِ الْوَجْنَةِ وَكَثِيرِ اللَّحْمِ فِيهَا .
(٣) جَيِّدٌ : عُنُقٌ . وَالْهَمِيَّةُ : الصُّورَةُ مِنْ رَخَامٍ أَوْ عَاجٍ ، وَالْمَرَادُ شِدَّةُ بَيَاضِهِ وَطَوْلُهُ .
(٤) أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ : يَعْنِي مَا خَفِيَ مِنَ الْبَدَنِ . وَأَنْوَرَ : نِيرٌ ، مَشْرِقٌ .
(٥) مَا سِوَى ذَلِكَ : أَيْ مَا سِوَى الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ السَّرَةِ وَاللَّبَّةِ . وَاللَّبَّةُ : النَّحْرُ . وَقِيلَ الْبَطْنُ .
وَقِيلَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ . وَفِي ب : مِمَّا سِوَى ذَلِكَ .
(٦) أَشْمَرَ الذَّرَاعَيْنِ : أَيْ كَثِيرَ شَعْرِهَا .
(٧) شَتْنَ السَّكْفَيْنِ : الشَّتْنُ : الضَّخْمُ الْمَتْلِيُّ لَهَا .
(٨) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ ، فِي هَامِشٍ أ : لَيْسَ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَفِي ب : أَوْ قَالَ :
هُوَ سَائِنٌ .
(٩) سَمِطَ الْعَصَبِ : سَمِطٌ : مِمْتَدٍ لَيْسَ بِهِ تَمَقُّدٌ .
(١٠) التَفَتَ جَمِيعًا : إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدُورَ إِلَى خَلْفِهِ أَوْ فِي جَانِبِهِ لَا يَلْوِي عُنُقَهُ ؛ بَلْ يَصْرِفُ
جَمِيعَ بَدَنِهِ فَيَقْبَلُ جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا .
(١١) خَافِضَ الطَّرْفِ : الطَّرْفُ : الْعَيْنُ .

الملاحظة^(١)، يسوق أصحابه^(٢)، [٥٠] ويبدأ مَنْ لِقِيهِ^(٣) بالسلام.

قلت : صِفْ لِي مَنْطِقَهُ^(٤).

قال : كان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحرانِ^(٥)، دائمَ الفِكْرَةِ، ليست له راحةٌ، ولا يتسكَّمُ في غير حاجةٍ، طويلَ السكوت، يفتتح الكلامَ ويختمه بأشدِّ آتِه، ويتكلمُ بجوامعِ الكلامِ فصلاً^(٦)، لا فضولَ^(٧) فيه ولا تقصير، دَمِثاً ليس بالجافى ولا المُمِين^(٨)، يعظمُ النعمةَ وإن دَقَّت^(٩)، لا يذمُّ شيئاً، لم يكن يذمُّ ذواً^(١٠)، ولا يمدِّحُه، ولا يُقامُ لفضله إذا تُعرِّضَ للحق بشئ^(١١) حتى يَنْتَصِرَ له، ولا يفضُّبُ لنفسه ولا يَنْتَصِرَ لها، إذا أشار أشار بكلمةً كلها، وإذا تعجَّب قلبها^(١٢) وإذا تحدَّثَ

(١) جل نظره الملاحظة : جل : معظم ، وأكثر . والملاحظة : النظر باللحظ ، وهو طرف العين مما يلي الصدغ .

(٢) يسوق أصحابه : يمشى خلفهم ، ولا يدع أحداً منهم يمشى خلفه ، كما هي عادة التكبرين .

(٣) في ب : لقي . (٤) منطق : نطقه وكلامه .

(٥) أى لم يكن كلامه بفرح وبطر ، بل بحزن وأسف . وفي نسيم الرياض (٢ - ١٩٢) :

قال ابن قيم الجوزية : قول أبي هالة : متواصل الأحران - لم يثبت عنه ، وفي سنده مجهول ؛ كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه ، ونهاه عنه بقوله : لا تحزن ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا خوف عليه ، ولا حزن في الدنيا والآخرة ؛ فمن أين يأتيه الحزن ؟

(٦) فصلاً : كلاماً فاصلاً للخصومة ، وفارقاً بين الحق والباطل .

(٧) لا فضول : لا زيادة .

(٨) دمث : من الدمثة ، وهى سهولة الخلق . والجافى : غليظ الطبع . وقد ضبطت الميم

في كلمة « الميم » في ب - بالضمة . وفي النهاية : بالضم من الإهانة ؛ أى لا يهين أحداً من الناس ، وبالفتح من المهانة ؛ أى الحقارة .

(٩) دقت : صغرت .

(١٠) ذواً : ما يذاق من مأكل ومشروب .

(١١) أى لا يثبت له أحد إذا غضب . إذا تعرض : إذا تعرض أحد للحق بما يبطله .

(١٢) في ب ضبطت اللام بالتشديد .

اتَّصَلَ^(١) بها، فغضب بإيهامه اليمنى راحتَه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح^(٢)، وإذا فرح غَضَّ طَرْفَه، جُلَّ^(٣) ضَحِكُه التبسم، وبغترَ عن^(٤) مِثْلِ حَبِّ الفَمَام. قال الحسن: فـكـتـمـتـها الحـسـن بن علي زمانا، ثم حدثتُه فوجدتُه قد سبقني إليه^(٥)، فسأل أباَه عن مَدْخَلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ونَحْرَجه ونَجْلِسِه وشَكْلِه^(٦)، فلم يَدْعُ منه شيئا.

قال الحسين: سألتُ أباي عن دخولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك^(٧)، فكان إذا أوى إلى منزله جزأً دخوله^(٨) ثلاثة أجزاء: جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جزأً جزأه بينه وبين الناس، فيردُّ ذلك على العامة بالخاصة^(٩)، ولا يدخِرُ عنهم شيئا، فكان من سيرته في جزء الأمة^(١٠) إِيثارُ أهلِ الفضلِ بإذنه^(١١) وقِسْمَتُه على قَدْرِ فَضْلِهِم

(١) اتصل بها: لا يزال يحركها، أو وصل إحدى يديه بالأخرى. والمراد أنه كان إذا حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيدا له.

(٢) أشاح: صرف وجهه، أو مال وانقبض.

(٣) جل: أكثر، ومعظم.

(٤) يغتر: من قولهم: افتر ضاحكا، إذا أبدى أسنانه.

(٥) إليه: إلى الحديث.

(٦) المراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس، ودخول بيته؛ وجلوسه عندهم. وشكله: أى هيئته، أو هى بكسر الشين بمعنى الهدى والسمت.

(٧) دخوله لنفسه: أى دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته.

مأذونا له في ذلك: من الله إذا عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته في أى وقت.

(٨) جزأ دخوله: قسم زمن دخوله لبيته.

(٩) العامة: ماعدا الخاصة. ويرد: يوصل ويعطى، كأنه لما كان لهم حق في الجملة أخذ

منهم ثم رد إليهم. والمراد أن الخاصة كانت تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن مما لا ينبغي كتمه عنهم.

(١٠) وهو الجزء الذى جعله للناس.

(١١) الإيثار: تقديم ما يؤثره على غيره. والمراد بإذنه أنه يأذن لهم في الدخول في خلوته في بيته.

في الدين^(١)؛ منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم^(٢)، والأمة من مسأله عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم؛ ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبأفوني حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة^(٣)، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

وقال^(٤) في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون رؤادا^(٥)، ولا يتفرقون إلا عن ذواق^(٦)، ويخرجون أدلة - يعنى فقهاء^(٧).

قلت^(٨): فأخبرنى عن مخرجه^(٩) كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن لسانه إلا مما يعنيه^(١٠) ويؤلفهم ولا يفرقهم؛ يسكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم،

(١) أى قسمته جزأه في حديثه معهم واشتغاله بأحوالهم على قدر تفاوتهم في الدين، لأن أكرمهم عند الله أتقاهم.

(٢) أى ما فيه صلاحهم.

(٣) على الصراط يوم تزل الأقدام، والمراد نجاته من أهوال الموقف.

(٤) وقال: أى على رضى الله عنه في رواية في حديث سفيان بن وكيع.

(٥) رؤادا: جمع رائد، والمراد طالبين محتاجين للإرشاد. أو هى رواد - بكسر الراء وتخفيف الواو؛ أى ملتجئين لأئذين به. وفي هامش أ: لوأدا. ولوأدا: ملتجئين إليه، ومتخصنين بمتمعين به، أو مقربين عنده.

(٦) ولا يتفرقون إلا عن ذواق: لا يتفرقون من مجلسه إلا عن علم وأدب هو غذاء لأرواحهم. وفي ب: لا يفترون.

(٧) فقهاء: عالمن بأمور الدين، هداة مرشدين للناس، يهتدى بهم غيرهم.

(٨) قلت: قاله الحسين لأبيه رضى الله عنه.

(٩) عن مخرجه: عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من منزله.

(١٠) يحزن لسانه: يصونه. يعنيه: يهمهم وينفهمهم.

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَّ عَنْ أَحَدٍ بَشَرَهُ ^(١) وَخُلِقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ^(٢) ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ ، وَيَحْسِنُ الْحَسْنَ وَيُصَوِّبُهُ . وَيَقْبَحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِّنُهُ ^(٣) ، مَعْتَدِلَ الْأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلَفٍ ^(٤) ، لَا يَفْعَلُ مَخَافَةً أَنْ يَفْعَلُوا أَوْ يَمَلُّوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عِتَادٌ ^(٥) ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ ^(٦) مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَهْمُهُمْ ^(٧) نَصِيحَةُ ؛ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةُ أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً ^(٨) .

فَسَأَلَتْهُ عَنْ تَجَلُّسِهِ : عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ ^(٩) ، وَلَا يُوطِنُ الْأَمَّاكِنَ ، وَيَنْتَهِي عَنْ إِيْطَانِهَا ^(١٠) ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلُوسَانِهِ نَصِيْبَهُ حَتَّى لَا يَحْسِبَ ^(١١) ، جَلِيْسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ جَالِسِهِ أَوْ قَاوِمَهُ لِحَاجَةِ صَابِرِهِ حَتَّى [٥١] يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ^(١٢) .

-
- (١) يطوي : يحنى ويمنع . وبشره : طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه وإذهابا لخوف مهابته .
 (٢) يتفقّد أصحابه : يسأل عمن لم يحضر عنده منهم .
 (٣) يوهنه : أى يقول هو فعل قبيح وضعيف وساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا .
 (٤) غير مختلف : على سنن واحد في جميع أوقاته .
 (٥) العِتَاد : المدة ، والحاضر المدد لإصلاحه وتداركه إذا وقع .
 (٦) الذين يلونه : أى يقربون منه في مجلسه .
 (٧) في ب : أحسنهم . وفي هامشه : أعمهم .
 (٨) المواساة : إعطاء من يريد ما يحتاج إليه . والموازرة : إعانة من يلجأ إليه .
 (٩) على ذكر لله ، أو إفادة علم ، أو بيان حمد وشكر .
 (١٠) المراد أنه لا يلزم مكانا بخصوصه في غير بيته .
 (١١) لا يحسب : لا يظن .
 (١٢) قاومه : قام مع قيامه لمرض حاجته أو لنير ذلك : صابره : صبر عليه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو ؛ كل ذلك لتطبيب قلوبهم .

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ^(١) . قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ ،
بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ^(٢) ؛ فَصَارَ لَهُمْ أَبَا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ
فِيهِ بِالتَّقْوَى .

وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى : صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ،
وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ؛ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ^(٣) ، وَلَا تُنْذَى
فَلَتَاتُهُ^(٤) ، وَهَذِهِ السَّكَمَةُ^(٥) ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَتَيْنِ .

يَتَعَاطَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاصِفِينَ^(٦) ، يُؤَقَّرُونَ فِيهِ^(٧) الْكَبِيرُ ، وَيَرْحَمُونَ
الصَّغِيرَ ، وَيَرْفِدُونَ^(٨) ذَا الْحَاجَةِ ، وَيَرْحَمُونَ^(٩) الْغَرِيبَ .
فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُلُوسَاتِهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ الْبِشْرِ^(١٠) ، سَهْلَ الْخُلُقِ ، أَيْنَ

(١) مَيْسُورٌ مِنَ الْقَوْلِ : أَيْ رَدَّهُ بِقَوْلٍ لَيْسَ سَهْلًا لِإِغْلَظَةِ فِيهِ .

(٢) بَسْطُهُ : أَيْ بَسَطَ يَدَهُ ، وَسَمَاحَتَهُ ، وَطَلَاقَةَ وَجْهِهِ ، وَإِبْدَاءَ سُرُورِهِ ، وَحَسْنَ خُلُقِهِ .

(٣) لَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ : لَا تُؤْبَنُ : لَا تُذَكَّرُ بِسُوءٍ . وَالْحُرْمُ : جَمْعُ حَرَمَةٍ ، وَهِيَ مَا لَا
يَحِلُّ ، وَالْمُرَادُ النِّسَاءُ .

(٤) لَا تُنْذَى : لَا تُذَكَّرُ . فَلَتَاتُهُ : جَمْعُ فَلْتَةٍ ؛ وَهِيَ الزَّلَّةُ ، أَيْ الْقَبِيحُ الَّذِي يَقَعُ بِنْتَةٍ .
وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا قَبِيحَ فِيهِ حَتَّى يَذَكَّرَ . أَوْ أَنَّ الْفَلْتَةَ إِذَا وَقَعَتْ لَا تُذَكَّرُ ؛ بَلْ تُسْتَرُ .

(٥) وَهَذِهِ السَّكَمَةُ : يُرِيدُ قَوْلَهُ : لَا تُنْذَى فَلَتَاتُهُ — مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ خَالِهِ ، وَرِوَايَةِ
الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ .

(٦) يَتَعَاطَوْنَ بِالتَّقْوَى : يَمُطِفُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَيَشْفُقُ عَلَيْهِ وَيَرْحَمُهُ بِسَبَبِ تَقْوَى اللَّهِ ،
لَا رِيَاءَ وَلَا سَمْعَةَ وَلَا خَوْفًا وَاتِّقَاءَ شَرٍّ .

(٧) فِيهِ : أَيْ فِي الْمَجْلِسِ .
(٨) يَرْفِدُونَ : يَمِينُونَ وَيُوَاسُونَ . وَفِي ب : يَرْفِدُونَ — بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَيَرْفِدُونَ
بِفَتْحِهَا وَعَلَيْهَا « مَعًا » .

(٩) فِي ب : وَيَحْفَظُونَ . وَفِي هَامِشِهِ : وَيَرْحَمُونَ . وَيُؤَثِّرُونَ .

(١٠) الْبِشْرُ : طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَبِشَاشَتُهُ ، وَإِظْهَارُ السُّرُورِ .

الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ^(١) ، ولا سخاب^(٢) ، ولا فحاش ، ولا عياب
ولا مداح^(٣) ، يتفاؤل عما لا يشتهي ولا يؤس منه^(٤) ، قد ترك نفسه من ثلاث :
الرياء^(٥) ، والإكثار ، ومالا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ،
ولا يعيره ، ولا يطلب عورته^(٦) ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق
جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير^(٧) ، وإذا سكت تسكّموا ، لا يتنازعون عنده
الحديث^(٨) . من تسكّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولهم^(٩) ،
يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون^(١٠) منه ، ويصبر للغريب على

(١) الفظ : السبيء الخلق . والغليظ : الشديد المتوعد .

(٢) ولا سخاب — بالسين والصاد : لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها .

(٣) ولا فحاش : لا يتكلم بقبیح كالشتم . ولا عياب : ولا يذكر عيوب الناس
وتقائصهم . ولا مداح : أى لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة .

(٤) ولا يؤس منه : يعنى إذا سئل عما لا يليق تنافل عنه ولم يرد السائل حتى يئأس ،
أو يبين له أنه سأل ما لا يليق فيخجل سائله . وهذا الضبط فى ١ . وفى ب : يؤس — وضبطت
الهمزة بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » . وقال فى هامشه : فى نسخة يؤس —
مبنى لما لم يسم فاعله . والصحيح ما فى الأصل .

(٥) ترك نفسه : نزها ، وأبعدها ، ومنمها . والرياء : إظهار ما فيه من الصفات الحميدة
والأفعال الجميلة للناس حتى يحمدها ويشيع ذلك عنه .

(٦) لا يطلب عورته : لا يتجسس عن معائب الناس ويبحث عنها .

(٧) كأنما على رؤوسهم الطير : يسكون ووقار من غير طيش ولا خفة .

(٨) لا يتنازعون عنده الحديث : إذا كانوا فى مجلسه لا يديرون الحديث بينهم ، فيحدث
بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد .

(٩) حديثهم حديث أولهم : أى حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله ، يعنى
أنه لا حديث له معه يقطعه . وفى ب : حديث أوليتهم . وفى هامشه : أولهم .

(١٠) فى ب : يعجب مما يعجبون .

الجَفْوَة^(١) في المنطق ، ويقول : إذا رأيتمُ صاحبَ الحُجَّةِ يطلبها فأَرْفِدُوهُ^(٢) ، ولا يطلب الثناءَ إلَّا مِنْ مُكَافٍ ، ولا يقطعُ على أحد حديثه حتى يتجاوزَه فيقطعه بانتهاه أو قيام .

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر^(٣) : قلتُ : كيف كان سكوتُه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : كان سكوته على أربع : على الحِلْمِ ، والحَذَرِ ، والتقدير ، والتفكير . فأما تقديرُه ففي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ والاستماعِ بين الناس^(٤) ، وأما تفكيرُه ففي بَيِّنَةٍ وَبَيِّنَةٍ .

وُجِّعَ لَهُ الحِلْمُ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُفَضِّيه شَيْءٌ يَسْتَفْزُهُ^(٥) . وُجِّعَ لَهُ فِي الحَذَرِ أربعٌ : أَخَذَهُ بِالْحَسَنِ^(٦) لِيُقْتَدَى بِهِ ، وَتَرَكَهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ ، واجتهادُ الرَّأْيِ^(٧) بما أَصْلَحَ أُمَّتَهُ ، والقيامُ^(٨) لهم بما جَمَعَ لهم أَمْرَ الدُّنْيَا والآخرة . انتهى الوصف بحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ .

(١) الجفوة : الغلظة والتكلم بما لا يليق ، أو بما يؤلم .

(٢) أرفدوه : أعينوه وأعطوه . وفي ١ : فارفدوه - بهمزة وصل .

(٣) الآخر : صاحب الرواية الأخرى التي هي من رواية أبي علي الحافظ ابن سكرة .

(٤) تسوية النظر بين الناس : جعلهم متساوين في النظر إليهم ، والاستماع إلى حديثهم ؛ وفي ب : من الناس .

(٥) يَسْتَفْزُهُ : يستغفه ، بحيث يبدو منه خفة وقلق لأموال الدنيا .

(٦) أَخَذَهُ بِالْحَسَنِ : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(٧) واجتهاد الرأي : أي اجتهاده فيما يراه رأيا يصلح أُمَّتَهُ .

(٨) والقيام لهم : القيام : التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من أجل إصلاحهم . ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع إلى رأي غيره في ذلك .

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله : المُشَدَّب ، أى البائن^(١) الطول في نحافة ، وهو مثلُ قوله في الحديث الآخر : ليس بالطويل الممَّنِط^(٢) .

والشَّعر الرَّجِل : الذى كأنه مُشِط فتكسَّر قليلا ؛ ليس بِسَبِطٍ ولا جَعْد^(٣) .
والعَقِيَّة : شعر الرأس^(٤) ، أراد إن انفَرَقَتْ مِنْ ذاتِ نفسها^(٥) فَرَقَّها ،
وإِلَّا تركها معقُوصة^(٦) . ويُروى : عَقِيصَتَه^(٧) .

وأزهر اللون : نَيَّرَه . وقيل : أزهر : حَسَن . ومنه زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدنيا ، أى زينتُها .

وهذا كما قال في الحديث الآخر^(٨) : ليس بالأبيض الأَمَهَق ، ولا بالآدَم .
والأَمَهَق : هو الناصع البياض . والآدَم : الأسمر اللون .

(١) البائن : الظاهر . وفي هامش ا : لم يكن بالطويل المنقط ؛ أى لم يكن بالبائن الطول .
قال أبو زيد : يقال : امنط النهار ؛ أى امتد ، ومنطت الجبل فأنمط وامنط . وقال أبو تراب
في كتاب الاعتقَاب : مَنط وممط - بالنين والعين (من الفريين - للهروى) .

(٢) المنقط : القدى ليس بفائق الطول .

(٣) السبط : المرسل . والجعد : الذى فيه التواء وتقبض . وهو ضد المسترسل . وفي ب
ضبطت الباء في « سبط » بالسكون والكسرة ، وعليها « معا » .

(٤) أصله شعر المولود ، ثم أطلق على غيره . (٥) في ب : من ذاتها .

(٦) معقوصة : المقص : صفر الشعر على الرأس وليه ؛ أى إن لم تنفرق بنفسها والتفت
واجتمعت تركها على حالها .

(٧) أى بدل عقيقته ، وهى الشعر المعقوص ، أى المصفور .

(٨) الحديث الآخر عن أنس ، في صحيح مسلم : ١٨٢٤

ومثله في الحديث الآخر : أبيض مُشْرَب^(١) ؛ أى فيه حُمْرة .

والحاجِبُ الأَزَجُ : المقوَّس الطويل الوافر الشعر .

والأَقْنَى : السائل الأنف ، المرتفع وسطه .

والأَشْمُ : الطويل قَصَبَةِ الأنف .

والقرَن : اتِّصالُ شعر الحاجبين^(٢) . وضده البَاج .

ووقع في حديث أم مَعْبُد وصفه بالقرن .

والأَدْعَجُ : الشديد سوادِ الخَدَقَة .

وفي الحديث الآخر^(٣) : [٥٢] أَشْكَلُ العَيْنِ ، وَأَسْجَرُ العَيْنِ^(٤) ، وهو الذى

في بياضها حُمْرة .

والضِّلِيع : الواسِع .

والشَّنْب : رَوْنَقُ الأسنان ، وماؤها^(٥) .

وقيل : رِقَّتْها وتحزير^(٦) فيها ، كما يُوجَدُ في أسنانِ الشباب .

والفَلَجُ : فَرَقٌ بين الثنايا .

ودَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ : خيط الشعر الذى بين الصَّدْرِ والمِرَّةِ .

(١) مشرب : الإشراب : خلط لون بلون ، وأكثر ما يقال في الحرة .

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٠٨) : المشهور خلافه ، ويؤيده أن العرب تكبرهه .

وقال القارى (١ - ٣٥٣) : وقد جمع بينهما بأن أم معبد رآته من بعد ، فظنت أنه أقرن ، لقرب طرفيهما التقاء ، فوصفته بالقرن ؛ وعلى كرم الله وجهه حققها من قرب ، فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالباغ . (٣) صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٤) في هامش ١ : عين سجراء - بالجيم : إذا كانت في بياضها حمرة . وفي صحيح مسلم

(١٨٢٠) قال : قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين . قال شارحه : هذا وهم

من سماك باتفاق وغلط ظاهر ، وصوابه - كما قال القاضى - أن الشكلة حمرة في بياض العين ،

وهو محمود . (٥) ماؤها : صفاؤها . (٦) أو المراد بتحزيرها كون أطرافها دقيقة .

بَادِن : ذُو لَحْمٍ مُتَمَاسِكٍ ، مَعْتَدِلٍ اَلْخَلْقِ ، يَمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ ، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ ؛ أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ ^(١) .
وَالْمُكَلَّمِ : الْقَصِيرِ الذَّقْنِ .

وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَيْ مُسْتَوِيهِمَا .

وَمُشِيحِ الصَّدْرِ ؛ إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ ، وَهُوَ أَحْدَمَعَانِي ^(٢) « أَشَاح » ؛ أَيْ إِنْهُ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ ، وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ ^(٣) ، وَبِهِ يَتَضَحَّ ^(٤) قَوْلُهُ قَبْلَ : سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَيْ لَيْسَ بِمُتَقَاعَسِ الصَّدْرِ ، وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ ^(٥) .

وَلَعَلَّ اللَّفْظَةَ ^(٦) : مَسِيحٌ - بِالسَّيْنِ ، وَفَتْحُ الْمِيمِ ، بِمَعْنَى عَرِيضٍ ، كَمَا وَقَعَ فِي الرِّوَايَةِ الْآخَرَى . وَحِكَاةُ ابْنِ دُرَيْدٍ .

وَالْكِرَادِيسُ : رُءُوسُ الْعِظَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : جَلِيلٌ ^(٧) الْمَشَاشُ وَالْكَتْدُ ^(٨) .

وَالْمَشَاشُ : رُءُوسُ الْمَنَاقِبِ . وَالْكَتْدُ : مُجْتَمِعُ الْكَتِفَيْنِ .
وَشَشْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ : لَحِيمُهُمَا .
وَانْرَدَانُ : عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ ^(٩) .

(١) الْمُطَهَّمُ : فَاحِشُ السَّمَنِ مُتَفَخِّحُ الْوَجْهِ .

(٢) وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي أَعْرَضَ .

(٣) فِيهِ ؛ أَيْ فِي الصَّدْرِ . وَالتَّطَامُنُ : الْإِنْخِفَاضُ .

(٤) فِي ب : وَبِهِ يَضَحُّ . وَفِي هَامِشِهِ : وَبِهِ يَتَضَحُّ .

(٥) مَفَاضُ الْبَطْنِ : ضَخْمُ الْبَطْنِ . (٦) فِي ب : اللَّفْظُ . وَالتَّثْبِتُ فِي أ .

(٧) جَلِيلٌ : عَظِيمٌ . وَالْمَشَاشُ : رُءُوسُ الْعِظَامِ ، كَالْمُرْفَقَيْنِ وَالْكَتِفَيْنِ وَالرَّكْبَتَيْنِ .

(٨) ضَبِطَ التَّاءُ فِي كَلِمَةِ « الْكَتْدِ » بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ، وَعَلَيْهَا « مَعَا » فِي ب .

(٩) فِي ب : عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ . وَفِي هَامِشِهِ : الذَّرَاعَيْنِ .

وسائل الأطراف ؛ أى طويل الأصابع .

وذكر ابنُ الأنباري أنه روى سائل الأطراف ؛ وقال : سائن - بالنون ؛ [قال] ^(١) : ومهما بمعنى ، تُبدّل اللام من النون ، إن صحت الروايةُ بها ^(٢) .
وأما على الرواية الأخرى : وسائر الأطراف - فإشارة إلى نخامة جوارحه ، كما وقعت مُفصّلةً في الحديث .

ورخب الراحة ؛ أى واسِعُها . وقيل : كنى به ^(٣) عن سمة العطاء والجود .
وخصان ^(٤) الأخصصين : أى مُتَجافِي أخص القدم ؛ وهو الموضعُ الذى لاتناله الأرضُ من وسط القدم .

مسيح القدمين : أى أماسهما ، ولهذا قال : يَنْبِؤُ عنهما الماء .
وفي حديث أبي هريرة خلافُ هذا ؛ قال فيه : إذا وطئَ بقدمه وطئَ بكُلِّها ، ليس له أخص ^(٥) .

وهذا يوافقُ معنى قوله : مَسِيحُ القدمين ، وبه قالوا : سُمِّيَ المسيح [عيسى] ^(٦)
ابن مريم ، أى [إنه] ^(٦) لم يكن له أخص .
وقيل مَسِيحُ : لالحم عليهما .

(١) ليس فى ب . (٢) فى ب : بهما .

(٣) فى ب : كناية . وأثبت فى هامشه الرواية هنا : كنى به .

(٤) ضبطت الحاء فى ب بالفتحة ، وعليها علامة صح . والضبط للثبوت فى ١ ، والنهاية لابن

الأثير ، وشرح القارى ، والقاموس . وقال الخفاجى (٢ - ١٩٠) : بضم الحاء وفتحها .

(٥) قال القارى (١ - ٣٥٦) : ويمكن الجمع بينهما بأن مراد أبى هريرة أنه وطئ بكُلِّها

لايمضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء ؛ وأن قوله : ليس له أخص محمول على نفي البالغة . أو

أنه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من الحديث ؛ وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث

قال : وهذا . . . (٦) من ب .

وهذا أيضا يخالف قوله : شَتْنِ الْقَدَمَيْنِ ^(١) .

والتقلع : [هو] ^(٢) رَفَعَ الرَّجْلَ بِقُوَّةٍ .

والتَّكْفُؤُ : الميل إلى سَنَنِ الْمَشَى ، وقَصْدِهِ .

وَالهُونُ : ارْتَفَقَ وَالْوَقَارُ .

وَالذَّرِيعُ : الواسع الخَطْوُ ؛ أَى إِنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلِيهِ بِسُرْعَةٍ ، وَيَمْدُ خَطْوَهُ ، خِلَافَ مَشْيَةِ الْمُخْتَالِ ، وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ ؛ وَكُلَّ ذَلِكَ رِفْقٌ وَتَثْبُتٌ دُونَ عَجَلَةٍ ، كَمَا قَالَ : كَتَمَّا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٣) .

وقوله : يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ : أَى لِسَعَةٍ فَمِهِ . وَالْعَرَبُ تَتِمَادَحُ بِهِذَا وَتَذُمُّ بِصِفَرِ الْفَمِ .

وَأَشَاحَ : مَالٌ وَانْقَبَضَ .

وَحَبَّ الْغَمَامِ : الْبَرْدُ .

وقوله : فَيَرَدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَةِ ؛ أَى جَعَلَ مِنْ جُزْءٍ نَفْسَهُ مَا يُوَصِّلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَيَتَوَصَّلُ عَنْهُ لِلْعَامَةِ .

وقيل : يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ، ثُمَّ يُبْذِلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَةِ .

وَيَدْخُلُونَ رُؤُوداً ؛ أَى مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ .

وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ : قِيلَ : عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُونَهُ ؛ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، أَى فِي الْغَالِبِ وَالْأَكْثَرِ .

وَالْعَتَادُ : الْعُدَّةُ ، وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدَّةً .

وَالْمُؤَاوَزَةُ : الْمَعَاوَنَةُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٢١٠) : إِذَا فَسَّرَ بِلُحْمَيْهِمَا . وَأَمَّا إِذَا فَسَّرَ بِمِيلِهَا إِلَى النُّلُظِ

وَالْقَصْرِ ، أَوْ بِنُظِّ الْأَصَابِعِ فَلَا . (٢) مِنْ ب .

(٣) صَبَبٌ : مُنْهَدِرٌ .

وقوله : لا بُوطِن^(١) إلا ما كن ؛ أى لا يتخذ لمُصَلَّاه موضعا معلوما .
 وقد [٥٣] وردَ نَهْيُهُ عن هذا مفسِّرا^(٢) فى غير هذا الحديث .
 وصايرَه : أى حبس نفسه على ما يريدُ صاحبه .
 ولا تُؤْتَيْن فيه الحُرْم : أى لا يُذْكَرَنَّ^(٣) فيه بسوء .
 ولا تُنْتَنَى فلتاته ؛ أى لا يُتحدَّثُ بها ؛ أى لم تكن فيه فلتةٌ ، وإن كانت من
 أَحَدٍ سُرَّت .
 ويرْفِدُون^(٤) : يُعِينُونَ .
 والسَخَاب : الكثير الضِّيَّاح .
 وقوله : ولا يَقْبَلُ^(٥) الثناء إلا من مُكافٍ . قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه .
 وقيل : إلا من مسلم .
 وقيل : إلا من مُكافٍ على يَدِ^(٦) سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له .
 ويستغفرُه : يستغفِرُه .
 وفى حديث آخر فى وصفِه^(٧) : منهوس العقب ؛ أى قليل لَحْمِها .
 وأَهْدَب الأَشْفار^(٨) ؛ أى طویل شعرها^(٩) .

-
- (١) هذا الضبط فى ا ، ب . وفى القارى (١ - ٣٥٨) : بتشديد الطاء وتخفيفها .
 (٢) مفسرا : مصرحاً به ومبيناً .
 (٣) فى ا بالناء ، وفى ب بالياء .
 (٤) يعينون ذا الحاجة . وقد ضبطت الياء فى ا بالفتحة ، وفى ب بالضمه .
 (٥) فى هامش ب : ولا يطالب . (٦) اليد - هنا : النعمة .
 (٧) فى صحيح مسلم : ١٨٢٠ .
 (٨) الأَشْفار : حروف الأَجْفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب .
 (٩) هنا فى ب : انتهى التفسير . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ،
 وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

البَابُ الثَّالِثُ

فما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قَدْرِهِ عند ربه ^(١)
ومنزله، وما خصّه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم
لاخلاف أنه أكرمُ البشر، وسيدُ وَلَدِ آدَمَ، وأفضلُ الناس ^(٢) منزلةً عند الله،
وأعلام درَجَةٍ، وأقربهم زُلْفَى ^(٣) .
واعلم أنَّ الأحاديثَ الواردة في ذلك كثيرةٌ جداً، وقد اقتصرنا منها على صحيحها
ومُنْتَشِرِها ^(٤) وحَصَرْنَا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً ^(٥) :

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

فما ورد من ذِكْرِ مكانته عند ربّه، والاصطفاء ^(٦)، ورفعة الذِّكْرِ، والتفضيل
وسيادة وَلَدِ آدَمَ، وما خصّه به في الدنيا من مَزَايَا ^(٧) الرُّتَبِ وَبَرَكَاتِهِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ :
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إِذْناً بلفظه ؛ قال : حدثنا
أبو الحُسَيْن ^(٨) الفَرَّغَانِي ، حدثنا أُمُّ الْقَاسِمِ بنت أبي بكر بن يعقوب ، عن أبيها ، قال :
حدثنا حاتم - هو ابن عَقِيل ، عن يحيى - هو ابن إِسْمَاعِيل ، عن يحيى الْحَمَّانِي ، قال :
حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن عِبَّاسِ بْنِ رَبِيعٍ ، عن ابن عباس ؛ قال ^(٩) : قال رسولُ

(١) عليها في ب علامة « صح » . وفي هامشه : الله .

(٢) في هامش ب : وأفضل الخلق .

(٣) زُلْفَى : قَرْبَى . (٤) منتشرها : مشهورها .

(٥) بعد هذا في ١ : والحمد لله وحده .

(٦) والاصطفاء : أى اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره وتقديعه .

(٧) مزايا : جمع مزية ، وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره .

(٨) هذا في ب ، والقارى (١ - ٣٥٩) . وقال النصاب (٢ - ٢١٤) : أبو الحسين ،

ووقع في بعض النسخ : أبو الحسن . والأصح الأول . (٩) دلائل النبوة للبيهقي : ١ - ١١٣

الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ قسمَ الخلقَ قسمين ، فجعلنى منَ خيرِهم قِسْماً ^(١) ؛
فذلكَ قولُه ^(٢) : ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ، و﴿أَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ ؛ فأنا منَ أصحابِ اليمينِ ،
وأنا خيرُ أصحابِ اليمينِ .

ثمَ جعلَ القسمينَ أمثلاًنا ؛ فجعلنى فى خيرِها مُثَلِّماً ، وذلكَ قولُه تعالى ^(٣) : ﴿فَأَصْحَابُ
الْمِثْمَةِ﴾ . و ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ، و ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ^(٤) ، فأنا منَ السابقينِ ،
وأنا خيرُ السابقينِ ، ثمَ جعلَ الأُمثَالِ قبائِلَ ؛ فجعلنى منَ خيرِها قَبِيلَةً ، وذلكَ قولُه ^(٥) :
﴿وجعلناكم شعوباً﴾ ^(٦) وقبائِلَ لنعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكم عندَ الله أنْفَأكُم ﴿ .
فأنا أنْفَى وَلَدِ آدَمَ ، وأَكْرَمُهم على الله ولا فَخْرَ ^(٧) .

ثمَ جعلَ القبائِلَ بيوتاً ، فجعلنى منَ خيرِها بَيْتاً ^(٨) ؛ فذلكَ قولُه تعالى ^(٩) :
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ^(١٠) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كَمَ . تطهِّرا ﴿ .
وعن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ^(١١) ، قال : قالوا : يا رسولَ الله ، متى وَجِبَتْ ^(١٢)
لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ قال : وآدَمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ .

وعن وَائِلَةَ بنِ الْأَسْمَعِ قال ^(١٣) : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ
اصْطَفَى ^(١٤) من وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ . واصْطَفَى من وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنَى كِنَانَةَ ، واصْطَفَى

(١) من خيرهم قسماً : أى من القسم الذى هو خير - يعنى أصحاب اليمين .

(٢) سورة الواقعة ، آية ٢٧ ، ٤١ (٣) سورة الواقعة ، آية ٨ ، ٩

(٤) سورة الواقعة ، آية ١٠ (٥) سورة الحجرات ، آية ١٣

(٦) شعوباً : جمع شعب ، وهو أكثر من القبيلة .

(٧) ولا فخر : أى لا أقول هذا تفاخراً ومباهاة .

(٨) فى ب : فجعلنى خيرها . (٩) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(١٠) الرِّجْسُ : النجس المستقذر ، والمراد الماعصى . وأهل البيت : الأقرباء .

(١١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥ (١٢) وجبت لك النبوة : فى أى زمان ثبتت لك .

(١٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٣ ، ودلائل النبوة للبيهقى : ١ - ١٠٨

(١٤) اصْطَفَى : اختار .

من بنى كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، واصطفى من قُرَيْشِ بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم .
ومن حديث أنس ^(١) : أَنَا أَكْرَمُ ^(٢) وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ .
وفي حديث ابن عباس ^(٣) : أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .
وعن عائشة ^(٤) ، عنه عليه السلام : أَنَا نِي جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : قَلْبْتُ ^(٥) مُشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَّ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ أَرَّ بَنِي أَبِ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .
وعن أنس ^(٦) : أَنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي بِالْبُرَاقِ ^(٧) لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ،
فَاسْتَصْعَبَ ^(٨) عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ : بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ [٥٤] هَذَا ؟ فَا رَكِبَكَ أَحَدًا
أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، فَارْفُضْ ^(٩) عِرْقًا .

وعن ابن ^(١٠) عباس ، عنه عليه السلام : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي ضُلْبِهِ إِلَى
الْأَرْضِ ، وَجَعَلَنِي فِي ضُلْبِ نُوْحٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَقَذَفَنِي فِي النَّارِ فِي ضُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ،
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلْنِي فِي الْأَصْلَابِ السَّكْرِيَّةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَبَوَيْ
لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ ^(١١) قَطُّ .

(١) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥

(٢) أكرم ولد آدم : أعزهم وشرفهم . (٣) سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٨

(٤) رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل مسندا (دلائل النبوة للبيهقي : ١ - ١٢١) .

(٥) قلبت : فتشت . وقد ضبطت اللام مشددة في ب ، وبالفصح في أ .

(٦) قد تقدم .

(٧) البراق - كما سبق : على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل ؛ سمي به لسرعته كالبرق

الخاطف .

(٨) استصعب عليه : لم ينقد له وامتنع منه .

(٩) ارفض عرقا : سال عرقه .

(١٠) رواه ابن الجوزى فى الوقا ، وأبو نعيم فى الدلائل (١ - ٦٦) ، وقال السيوطى :

رواه ابن عمرو المعدنى فى مسنده . (نسيم الرياض : ٢ - ٢١٩) .

(١١) على سفاح : المراد بالسفاح نكاح بنير عقد (دلائل النبوة لأبي نعيم : ٦٥) .

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله^(١) :

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي مَسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصَفُ الْوَرَقُ^(٢)
ثُمَّ هَبِطَتِ الْبِلَادَ لَا بَشَرُ أَنْتَ وَلَا مُضَفَّةٌ وَلَا عَلَقُ^(٣)
بَلْ نُطْفَةٌ تَرَكِبُ السَّفِينِ وَقَدْ أُلْجِمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفَرَقُ^(٤)
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ^(٥)

(١) هذا الشعر رواه الطبراني . وقد أنشد العباس هذا الشعر حين رجع النبي من غزوة تبوك . وهو في الاستيعاب : ٤٤٧

(٢) من قبلها : من قبل هذه النشأة . طبّت : تظهرت من الأدناس البشرية لطيب عنصرك . والظلال : جمع ظل : يعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن يهبط إلى الأرض . والمستودع : المحل الذى كان فيه آدم من الجنة . أو المراد به الرحم . وخصف الورق : إلصاق بعضه ببعض . والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم .

(٣) هبطت البلاد : هبطت ونزلت فى صلب آدم من الجنة إلى الدنيا . لا بشر : أى لم تسكن جسدا كأجساد البشر . والمضنة : قطعة لحم غير مخلقة . والعلق : جمع عاقلة ؛ وهى دم متجمد .

(٤) النطفة : الماء الصافى ، والمنى فى الأصلاب . والسفين : جمع سفينة ، وهى المركب . وألجم : وصل إلى الفم ، وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس . والنسر : الطائر المعروف ، سمي به ضمّ كان يعبد قوم نوح . والمراد بالفرق : الماء للفرق . وفى الاستيعاب : وأهلها . والمثبت فى اللسان أيضا - نسر . وقال : قال ابن الأثير : يريد الضم الذى كان يعبد قوم نوح .

(٥) صالب : صاب ؛ أى فقار الظهر . والرحم : مقر الولد من المرأة . العالم : المراد به هنا : قرن من القرون . بدا : ظهر ووجد . وطبق : بمعنى قرن أيضا ؛ أى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم .

وفى نسيم الرياض : ويروى هنا بيت هو :

وردت نار الحليل مكتنفاً تجول فيها ولست تحترق
مكتنفاً : محفوظاً فى كنف ؛ أى تحيط بك ناراها ؛ ولست تحترق .

في بعض للنسخ أبيات أخر ، وهى قوله ^(١) :
 حتى احتوى بيتك المهيم من خندف علياء تحتها النطق ^(٢)
 وأنت لمتاولدت أشرفت الـ أرض وضاعت بنورك الأفق
 فتحن في ذلك الضياء وفي الـ ور وسبل الرشاد نخترق ^(٣)
 يابرد نار الخليل بأسبباً لعظمة النار وهى تحترق ^(٤)
 [النطق : أوسط الجبال العالية ^(٥)] .

وروى ^(٦) عنه صلى الله عليه وسلم ، أبو ذر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو
 هريرة ، وجابر بن عبد الله - أنه قال : أعطيت خمسا ، وفى بعضها ^(٧) ستا لم يعطهن
 نبي قبلى : نصرت بالرغب مسيرة شهر ^(٨) ، وجملت لى الأرض مسجدا وطهورا ،

(١) فى ب : تمام الأبيات من غير الرواية . وذكر الأبيات الثلاثة الأولى وحدها فى
 الهامش . وفى هامشه : ذكر ابن عبد البر هذه الأبيات ، وزاد عليها ثلاثة الأبيات . وفى
 الاستيعاب ذكرت الأبيات الثلاثة الأولى وحدها .

(٢) احتوى : حاز . والبيت بمعنى الشرف والنسب . والمهيم : الشاهد على فضلك ، أو
 الأمين . وخندف : يريد القبيلة . والنطق : جمع نطق ، وهو ما يشد فى الوسط كالنطقة ،
 استعارته العرب لجبال واسعة ؛ أى إن شرفك وعلو نسبك وأصلك من خندف اشتمل على
 عليا دونها الجبال الشاهقة . أو المراد أنه أعلى قومه ، وهم دونه كالنطاق له .

(٣) تحترق : تقطعها ونجاوزها .

(٤) هذا البيت ليس فى ١ ، ولا فى الاستيعاب كما تقدم . وفى شرح القارى : وزاد بعضهم
 بيتا آخر وجد بخط أبى على النسائى ، وهو : يابرد نار . . .

(٥) من ١ . (٦) صحيح مسلم : ٣٧٠

(٧) أى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها . والحديث فى صحيح

مسلم : ٣٧١

(٨) أى نصرنى الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بشدة الخوف الذى ألقاه الله فى
 قلوبهم ، فإذا سمع بى من بينى وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له .

وأَيْضًا ^(١) رجلٍ من أمتي أدركته الصلاةُ فليصل ^(٢) ، وأَحِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ ^(٣) ، ولم تُحَلَّ لِنَبِيِّ قَبْلِي ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ .
وفي رواية - بدل هذه الكلمة ^(٤) : وقيل لِي : سَلْ تُعْطَلْ .

وفي رواية أخرى : وَعَرِضَ عَلَيَّ أَمْتِي فَلَمْ يَخَفْ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ ^(٥) .
وفي رواية ^(٦) : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . قيل : السُّود : الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِهِمُ الْأُذْمَةُ ^(٧) ؛ فَهَمُ مِنَ السُّودِ . وَالْحُمْرُ : الْعَجَمُ .
وقيل : الْبَيْضُ وَالسُّودُ مِنَ الْأُمَمِ .

وقيل : الْحُمْرُ : الْإِنْسُ . وَالسُّودُ : الْجَنَّةُ .
وفي الحديث الآخر ^(٨) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : نُهِرْتُ بِالْعَرَبِ ، وَأُتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلَمِ ^(٩) ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جِيءَ بِمِفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ^(١٠) فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ ^(١١) .

(١) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : فَأَيُّمَا رَجُلٍ .
(٢) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ إِنَّمَا أُيِّحَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ كَالْبَيْعِ وَالْكُنَائِسِ . وَقَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ (٢-٢٢٢) : الْخَاصُّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَجْمُوعُ الْأُمَرَاءِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ السَّالِفَةَ وَأَعْمَهُمْ كَانَتْ لَهُمْ صَلَاةٌ مَفْرُوضَةٌ ، وَكَانُوا يَسَافِرُونَ ، فَلَوْلَمْ تَجْزَ لَهُمُ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي مَسَاجِدِهِمْ لَزِمَهُمْ إِمَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ ، أَوْ عَدَمُ صَحَّتِهَا ، وَهُوَ مَخَالِفٌ لِلظَّاهِرِ ، فَالْخَاصُّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَجْمُوعُ الْأُمَرَاءِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ .
(٣) الْفَنَائِمُ : جَمْعُ غَنِيمَةٍ : مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ بِقِتَالٍ وَنَحْوِهِ .

(٤) أَرَادَ بِالْكَلِمَةِ قَوْلَهُ : وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ .
(٥) التَّابِعُ مِنَ الْمُتَبَوِّعِ : أَيُّ الشَّرِيفِ مِنَ الْوَضِيعِ .
(٦) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٣٧١ (٧) الْأُذْمَةُ : السُّمْرَةُ . (٨) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٣٧٢ (٩) جَوَامِعُ الْكَلَمِ : جَوَامِعُ : جَمْعُ جَامِعَةٍ ؛ لَجَمْعِهَا الْحِكْمَ وَالنَّافِعَ فِي لَفْظٍ قَلِيلٍ . وَقَالَ الْهَرَوِيُّ : يَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ .

(١٠) الْمُرَادُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْكُنُوزِ وَالْأَمْوَالِ .
(١١) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : بَيْنَ يَدَيَّ . وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ : فِي يَدَيَّ - كَمَا هُنَا .

وفي رواية^(١) - عنه : وَخُتِمَ^(٢) بِي النَّبِيِّونَ .

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي فَرَطُ^(٣) لَكُمْ ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظَرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ^(٤) ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ . وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي^(٥) ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا^(٦) .

وعن^(٧) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ^(٨) ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، أُوتِيتُ جَوَامِيعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ ، وَعُلِّمْتُ خَزَنَةَ^(٩) النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ .

(١) في صحيح مسلم أيضا : ٣٧١

(٢) في ب : وختم - بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليها « معا » .

(٣) فرط : الفرط ، والفرط : الذي يتقدم القوم ليهي لهم في منازل أسفارهم الماء والكلاء ونحوه مما يحتاجون إليه . والحديث في صحيح البخاري : ٤ - ٢٤٠ ، وفيه : إِنِّي فَرَطُكُمْ .

(٤) لأنظر إلى حوضي الآن : أى أشاهده الآن .

(٥) بعدى : بعد موتى ؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنه .

(٦) فيها : أى في الدنيا ؛ أى أخاف عليكم من رغبتكم في تفاس الدنيا وانهماكم في

تحصيلها حتى يؤدي بكم ذلك إلى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى .

(٧) قال السيوطي : رواه الإمام أحمد بسند حسن (مسند أحمد : ٢-١٧٢، ٣١٢، وغيرها) .

(٨) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة لأمه ؛ كأنه على حاله يوم ولدته أمه ؛ أو إلى أم

القرى ؛ لأن الكتابة كانت عزيزة في أهلها ، أو إلى أمة العرب . قال في نسيم الرياض

(٢ - ٢٢٧) : وهذه الصفة في حقه صلى الله عليه وسلم من أجل النعم عليه ، وأعظامها ؛ إذ

أعطاه علم الأولين والآخرين وحفظ هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب ، وهو لا يقرأ ولا

يكتب ؛ ولم يدرس ، ولم يلاق أحدا له شغل بذلك .

(٩) خزنة النار : اللاتسكة المكوون بها . وضبط كلمة « علت » بالتخفيف في ١ : وفي

هامش ب : قال الحافظ للزى رحمه الله : يجوز « علت خزنة النار » مخففا ، ولكن التضمين

أحسن ، كلفظ القرآن في قوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم » .

وعن ابن عمر : بُعِثُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ^(١) .

ومن رواية ابن وهب^(٢) - أنه عليه السلام قال : قال الله تعالى : سَلِّ يَا مُحَمَّد .
فَقُلْتُ : مَا أَسْأَلُ يَارَبُّ ؟ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٣) ، وَكَلَّمْتُ مُوسَى تَكَلِّمًا ، وَأَصْطَفَيْتَ
نُوحًا ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ^(٤) ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ^(٥) ، وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي^(٦) ،
يُنَادِي بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ^(٧) ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طُهْرًا لَكَ وَلَأَمْتًا ، وَغَفَرْتُ لَكَ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ
لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا^(٨) ، وَخَبَأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ ، وَلَمْ أَخْبَأْهَا
لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ .

وفي حديث آخر رواه حُذَيْفَةُ^(٩) . بَشَّرَنِي - يَعْنِي رَبِّي : أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

(١) قَالَ السَّيُوطِيُّ : رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَالْمُرَادُ بِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيِ
السَّاعَةِ أَنَّهُ قَدَامُهَا وَقَرِيبٌ مِنْ وَقُوعِهَا .

(٢) هَذَا بَعْضُ مَنْ حَدَّثَ الْإِسْرَاءَ الطَّوِيلَ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي
هَرِيرَةَ . وَسَيَأْتِي بَعْدَ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ مَفْصَلًا .

(٣) اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا : أَصْطَفَيْتُهُ وَخَصَصْتُهُ بِالْخَلَّةِ وَكَرَامَتِهَا .

(٤) لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ : لَا يَتَسَبَّرُ لِفَيْرِهِ مِنَ الرِّسَالِ وَالْمَسَالِكِ ؛ لِتَسْخِيرِ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ وَالرِّيحِ . . .

(٥) الْكَوْثَرُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . وَقِيلَ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَقِيلَ النَّبُوءَةُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .

(٦) وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي : مَقَرُونًا بِاسْمِ اللَّهِ فِي التَّشْهِدِ وَالْأَذَانِ . وَكَلِمَةُ الشَّهَادَةِ
وغير ذلك .

(٧) يُنَادِي بِكَ بِأَنَّ جَعَلْتُ فِي أَمْتِكَ حَفْظَةً لَمْ يَكُنْ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، حَتَّى
إِنْ حَفْظَةُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَحْصُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ جَعَلَ قُلُوبَهُمْ
كَلِمَاصَاحِفَ الَّتِي تَحْفَظُ الْقُرْآنَ .

(٩) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِهِ . وَارْجِعْ إِلَى ابْنِ مَاجَهَ : ١٤٣٣

ومعى مِنْ أُمْتِي [٥٥] سبعون ألفاً ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ؛ وأعطاني ألاَّ تجوع أُمْتِي ولا تُغْلَبَ ، وأعطاني النصر والعزة والرُّعْبَ يسعُ بين يدي أُمْتِي ^(١) شَهْرًا ، وطَيْبَ لِي وَلِأُمْتِي الْمَغَانِمَ ^(٢) ، وَأَحْلَ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا ، ولم يجعل عايناً في الدِّينِ مِنَ حَرَجٍ ^(٣) .

وعن أبي هريرة ^(٤) ، عنه عليه السلام : ما مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ^(٥) ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٦) .

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت لِلْحَيْنِ ^(٧) ، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ، ومعجزة القرآن يقفُ عليها قَرْنٌ بعد قَرْنٍ عَيْنَانَا ^(٨) لا خَبَرًا إِلَى الْقِيَامَةِ .

وفيه ^(٩) كلامٌ يعاين هذا نُجْبَتُهُ ^(١٠) . وقد بسطنا القول فيه ، وفيما ذُكِرَ فيه سِوَى هذا آخِرَ باب المعجزات .

(١) أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا .

(٢) طيب لى : أحل لى ولأمتى . (٣) من حرج : من ضيق وشدة .

(٤) الحديث فى ابن ماجه : ١٤٣٨ ، وصحيح مسلم : ١٨٨

(٥) أى كل نبي جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس ، كعصا موسى ، وإحياء الموتى لميسى .

(٦) وذلك لأن هذه المعجزة - وهى القرآن - لما كانت باقية إلى يوم القيامة ، وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به واتبعه عليه السلام على من آمن بنيره من الرسل ، وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره ، فإذا مات انقطع التحدى بمعجزته . (٧) ذهبت للحين : المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده .

(٨) عيانا : مشاهدة ؛ أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها .

(٩) وفيه : أى فى هذه الحديث ومعناه . (١٠) نُجْبَتُهُ : مختاره وزبدته .

وعن علي رضي الله^(١) عنه : كل نبي أُعطي سبعة نجباء ، وأعطى نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيباً^(٢) ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعمار . وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) : إن الله قد حبس عن مكة الفيل^(٤) ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ؛ وإنها لا تحل^(٥) لأحدٍ بعدي ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار^(٦) . وعن العير بأضر^(٧) بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عبدُ الله وخاتمُ النبيين ؛ وإن آدمَ لمُنجدِل^(٨) في طينته ، وعدةُ أبي إبراهيم^(٩) ، وإشارةُ عيسى ابن مريم^(١٠) .

- (١) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . (سنن الترمذي : ٥ - ٦٦٢) .
- (٢) النجيب : الكريم الحبيب ، ويكون بمعنى الرفيق اللعين في الهبات والشدائد ؛ وهو المراد هنا . وفي هامش ب كمل عددم - من الاستيعاب - فقال : وطى ، والحسن ، والحسين ، وسلمان ، وحمزة ، وأبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وجعفر ، وبلال .
- ولفظ الترمذي : قلنا : من هم ؟ قال : أنا وابناي ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وسلمان ، وعمار ، وابن مسعود .
- ولم يذكر ابن عبد البر : مصعبا . وزاد تكملة لهم : حذيفة ، وأبا ذر ، والمقداد .
- وارجع في ذلك أيضا إلى شرح القاري (١ - ٣٧٠) إن أردت .
- (٣) حديث رواه مسلم عن أبي شريح ؛ قاله يوم فتح مكة (صحيح مسلم : ٩٨٨) .
- (٤) حبس : منع .
- (٥) ضبطت كلمة « تحل » في ب بضم التاء - بالبناء للمجهول ، و « تحل » بفتح التاء وكسر الحاء وكتب عليها « معا » . والضبط الأخير في صحيح مسلم .
- (٦) كان حل القتال للنبي في ساعة من نهار يوم الفتح .
- (٧) قال الخفاجي : في حديث رواه أحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وقال : إنه صحيح الإسناد (مسند أحمد : ٤ - ١٢٧) . (٨) لمُنجدِل في طينته : أى مختلط في تربته ، أو ساقط فيها ، أو مطروح على الجدالة ، وهى الأرض الصلبة ، والمراد بطينته .
- (٩) وعدة أبي إبراهيم ؛ أى وعده بمقتضى دعائه بقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...
- (١٠) وبشارة عيسى ابن مريم : بمعنى في قوله تعالى - حكاية عنه : ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وعن ابن عباس^(١)، قال : إنَّ اللهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ؛ قَالُوا : فَمَا فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ؟ قَالَ : إِنْ اللهُ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ^(٢) : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ^(٣) مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

قَالُوا : فَمَا فَضَّلَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : إِنْ اللهُ تَعَالَى قَالَ^(٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ^(٦) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ أَنَّ تَقْرَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا^(٧) : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ .

وَقَدْ رَوَى نَحْوُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي قَوْلَهُ^(٨) : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ .

(١) قَالَ الْحَفَاجِيُّ وَالْقَارِيُّ : فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ٢٩ (٣) مِنْهُمْ : مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ

(٤) سُورَةُ الْفَتْحِ ، آيَةُ ٢٤١ . وَوَجْهُ الْفَضْلِ أَنَّهُ جَعَلَهُ مَغْفُورًا لَهُ غَيْرَ مُؤَاخَذٍ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ .

أَوْ وَجْهُ الْفَضْلِ أَنَّهُ هَدَّدَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ وَدَخُولِهَا وَلَمْ يَهْدِهِمْ بِمَثَلِهِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ رَتَبَتِهِ فَوْقَ رَتَبَتِهِمْ .

(٥) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ، آيَةُ ٤

(٦) سُورَةُ سَبَأٍ ، آيَةُ ٢٨ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى عُمُومِ رِسَالَتِهِ ، وَالْآيَةُ الَّتِي قَبْلُهَا تَدُلُّ عَلَى

تَخْصِصِ رِسَالَةِ كُلِّ رَسُولٍ بِقَوْمِهِ .

(٧) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ رَوَى مِنْ طَرُقٍ ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَصْنُفُ .

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٢٩

وَبُشْرَى^(١) عيسى . ورأت أُمِّي حين حملتُ بي أنه خرج منها نورٌ أضَاءَ له قصور بُصْرَى من أرض الشام ، واسترُضِعْتُ في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ^(٢) ، فبينما أنا مع أخٍ لي خَلَفَ بيوتنا رَعَى بِهِمَا^(٣) لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بيض . وفي حديث آخر : ثلاثة رجالٍ بَطَسَتْ من ذهب مملوءة^(٤) ثُلُجًا ، وأخذاني فشقَّا بطنِي .

قال في غير هذا الحديث : من تحَرَّى إلى مَرَأَى بطنِي^(٥) ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشَقَّاه ، فاستخرجا منه عِلْقَةً سَوْدَاءَ^(٦) فطرحاها ، ثم غَسَلَا قلبي وبَطْنِي بذلك الثُلُجِ حَتَّى أَتَقَيَّاهُ^(٧) .

قال في حديث آخر : ثم تناول أحدهما شيئًا فإذا بخاتم في يده من نورٍ^(٨) يحارُّ الناظرُ دونه ، فغمَّ به قلبي ، فامتلاً إيماناً وحِكْمَةً ، ثم أعاده مكانه ، وأمرَ الآخرُ يده على مَفْرَقِ صَدْرِي فالتأمَ^(٩) .

وفي رواية : إنَّ جبريلَ قال : قَلْبٌ وَكَيْعٌ ؛ أي شديد ، فيه عينان تُبْصِرَانِ ، وأُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ ؛ ثم قال أحدهما [٥١] لصاحبه : زِنَهُ بعشرة من أُمْتِهِ ، فوزَنَتْنِي فَرَجَحْتُهُمْ^(١٠) ، ثم قال : زِنَهُ بِمِائَةِ من أُمْتِهِ ، فوزَنَتْنِي بهم فوزَنَتْهُمْ ؛ ثم قال : زِنَهُ

(١) في هامش ب : خ : وبشري . (٢) أرضته حليمة السعدية .

(٣) بهما : جمع بهمة : اسم لأولاد الضأن .

(٤) هي بالناء في ا ، ب . قال القاري (١ - ٣٧٣) : لعل الناء للمبالغة أو باعتبار كونه آتية .

(٥) النحر : أعلى الصدر . ومراق البطن : مارق ولان من البطن . وفي هامش ا :

المراق - بتشديد القاف : أسفل البطن وما حوله حين استرق الجلد .

(٦) العلقة : دم متجمد كالعلقة المروفة في دود الماء . (٧) أُنْقِيَاهُ : جملاه تقيا نظيفا .

(٨) من نور : يتلأأ ويضيءُ إضاءةً زائدة ، حتى كأنه مجسم من نور .

(٩) مفرق صدرى : محل الشق والافتراق الذي كان منه . التأم : انضم واجتمع حتى

لم يبق فرجة من الشق . وانظر في ذلك أيضا دلائل النبوة لأبي نعيم : ١ - ٢٠٢ .

(١٠) رجعتهم : الرجحان : زيادة ما في الكفتين وثقله ، فينزل الراجح ويملو مقابله .

والمراد بأُمْتِهِ : من أتبعه وآمن به .

بألف من أمته ، فوزنتى بهم فوزنتهم ؛ ثم قال : دَعَهُ عَنْكَ ، فلو وزنته بأمته لوزنها ^(١) .

قال فى الحديث الآخر : ثم ضموني ^(٢) إلى صدورهم ، وقَبَلُوا رَأْسِي ، وما بين عيني ، ثم قالوا : يا حبيب ، لم تُرْعَ ^(٣) ، إنك لو تَدْرِي ما يُرَادُ بِكَ من الخير لقرت عيناك ^(٤) . وفى بقية هذا الحديث من قولهم ^(٥) : ما أكرمك على الله ! إن الله معك وملائكته .

قال فى حديث أبى ذرٍّ : فما هو إلا أن وَلِيًّا عَنِي ^(٦) ، فكأنما أرى الأمرَ مُعَايَنَةً ^(٧) .

وحكى أبو محمد مَكْنَى ، وأبو الليث السمرقندى وغيرهما - أن آدمَ عند مَعْصِيَتِهِ قال : اللهم بحقِّ محمدٍ اغفر لى خطيئتى .

وَيُرْوَى ^(٨) : تَقَبَّلْ توبتى . فقال له الله : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا ؟ فقال : رَأَيْتُ فى كل موضع من الجنة مكتوبا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وَيُرْوَى : محمد عَبْدِي ورسولِي ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ ، فتابَ اللهُ عليه ، وغفر له .

(١) لوزنها : لرجعها وغلبها فى الوزن .

(٢) ضموني إلى صدورهم : عانقوني إظهارا لمحبتهم وتسكريمهم لى .

(٣) لم ترع : لم تحف وتفرع . أى إنه حصل لك من قوة القلب ما لا يعتريك بعده خوف من شيء . والمراد تطمين قلبه بعد ما وقع من الشق له . وفى هامش ب : لن ترع .

(٤) لقرت عيناك : لسرت سرورا عظيما .

(٥) من قولهم : أى قول الملائكة . (٦) وليا عني : رجما وانصرفا عني .

(٧) كأنما أرى الأمر معاينة : المراد بالأمر هنا ما أكرمه الله به ، وما سيكرمه به ، من مقدمات النبوة وإرهاصاتها ، وما زاد فى فطنته وعلمه .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر بسند فيه ضعف .

وهذا ^(١) عند قائله تأويل قوله تعالى ^(٢) : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وفي رواية الآجروبي ^(٣) [قال] ^(٤) : فقال آدم ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فعلت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليّ : وعزّيتي وجلالي ، إنه لآخر النبيين من ذريّتك ولولاه ما خلقتك .

قال : وكان آدم يُكنى بأبي محمد ، وقيل : بأبي البشر .
وروى عن سُرَيْج بن يونس أنه قال : إن لله ملائكة سياحين ^(٥) عبادتها ^(٦) كل دار فيها أحمد ، أو محمد ، إكراماً منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم .
وروى ابن قانع ^(٧) القاضي ، عن أبي الحمراء ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أُسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أيّدته بعلي ^(٨) .

(١) وهذا : أي الحديث المذكور . تأويل : تفسير . (٢) سورة البقرة ، آية ٣٧
(٣) هذا في أ ، ب . قال القاري : قال الحلبي : الظاهر أنه الإمام القدوة أبو بكر محمد ابن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة في السنة ، والأربعين ، وغيرها . روى عنه أبو نعيم الحافظ ، وكان عالماً عاملاً ، سكن مكة ، ومات بها سنة ستين وثلاثمائة .
(٤) من ب .

(٥) سياحين : من السياحة ، وهي السير الطويل ، والمشي في الأرض ، والسفر من غير مقصد وللتنظر في المصنوعات وغير ذلك .

(٦) عبادتهم : زيارتهم . وفي ب : عبادتها . بالياء الموحدة . وفي هامشه : عبادتها . وقال : زيارتها - تفسير لقوله : عبادتها . وفي أ : على كل دار .

(٧) ابن قانع : اسمه عبد الباقي بن مرزوق ، صاحب معجم الصحابة ، وكتاب اليوم واليلة ، وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة ، فروى معجم الصحابة له هذا .

(٨) التأييد : التقوية والنصر .

وفى التفسير ، عن ابن عباس - فى قوله تعالى ^(١) : ﴿وَكَانَ نَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ -
قال : لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ : عَجَبًا لِمَنْ أَتَقَنَّ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ^(٢) !
عَجَبًا لِمَنْ أَتَقَنَّ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ ^(٣) ! عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ
إِلَيْهَا ! أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي .
وعن ابن عباس ^(٤) : عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ : إِنِّى أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ،
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، لَا أُعَذِّبُ مَنْ قَالَهَا .
وَذُكِرَ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ : مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ .
وَذَكَرَ السَّمْنَطَارِيُّ ^(٥) أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَّاسَانَ مَوْلُودًا وَلَدَ عَلَى أَحَدِ
جَنَّتَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَلَى الْآخِرِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .
وَذَكَرَ الْأَخْبَارِيُّونَ ^(٦) أَنَّ بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَدًّا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

-
- (١) سورة الكهف ، آية ٨٢ . نَحْتُهُ : أَى الْجِدَارِ . كَنْزٌ لَهُمَا : الْبَيْتَيْنِ .
(٢) النَّصَبُ : التَّعْبُ . أَى كَيْفَ يَتَعَبُ نَفْسَهُ فِى تَحْصِيلِ رِزْقِهِ ، وَمَا قَدَّرَ لَهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ
مِقْدَارُ ذَرَّةٍ أَوْ لِحْظَةٍ .
(٣) أَى مَنْ تَيَقَّنَ وَجُودَ النَّارِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ زَلَّةٍ يَعَاقِبُ عَلَيْهَا كَيْفَ لَا يَخَافُ مِنْهَا
وَيَكُونُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَشَقَى هُوَ أَمْ سَعِيدٌ ، وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ لَهُ مِنْ جِبْلِ الْوَرِيدِ .
(٤) قَالَ الْقَارِىُّ (١ - ٣٧٧) : قَالَ الدَّجَلِيُّ : لَا أَعْلَمُ مِنْ رَوَاهِ عَنْهُ .
(٥) هَذَا الضَّبْطُ فِى ب ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٤ هـ وَقَالَ الشَّهَابُ (٢ - ٢٤٧) : قَالَ التَّلْسَانِيُّ :
إِنَّهُ مِنَ الْأَجَلَةِ ، وَمَنْ قَالَ : لَمْ أَرَلَهُ تَرْجَمَةً وَنَحْنُ فِى غَنِيَّةٍ عَمَّا نَقَلَ عَنْهُ - فَقَدْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ
بِقِلَّةِ الْإِطْلَاعِ ، وَقَدْ ضَبَطَ بَفَتْحِ السِّينِ فِى أ .
وَكَذَلِكَ ضَبْطُهُ يَاقُوتَ (٥ - ١٣١) ، ضَبَطَ قَلَمٌ ، وَقَالَ : سَمْنَطَارٌ : قِيلَ : هِىَ قَرْيَةٌ فِى
جَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ . وَارْجِعْ إِلَى يَاقُوتَ إِنْ شِئْتَ .
أَمَّا ضَبْطُ السِّينِ بِالْكَسْرِ فَهُوَ فِى ب ، وَأَيْدُهُ الْقَارِىُّ (١ - ٣٧٨) ، وَالْحَفَاجِىُّ (٢ - ٢٤٦)
(٦) الْمُرَادُ بِهِمُ الْمُؤَرِّخُونَ الَّذِينَ لَهُمْ اعْتِنَاءٌ بِأَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ .

وروى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : أَلَا لِيَقُمْ
من اسمه محمد ، فليدخل الجنة لكرامةٍ اسمه عليه السلام .
وروى ابنُ القاسم ^(١) في سمائه ، وابنُ وهب في جامعه ، عن مالك : سمعتُ أهلَ
مكة يقولون : ما مِن بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلَّا قَدْ وَقُوا ^(٢) .
وعنه عليه السلام ^(٣) : ما ضَرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة ^(٤) .
وعن عبدِ الله بن مسعود : إنَّ اللهَ نظرَ إلى قلوب العباد ، واختارَ منها قلبَ محمدٍ
عليه السلام ، فاصطفاه لنفسه ^(٥) ، فبعثه برسالته .

وحكى النقَّاشُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما نزلت ^(٦) : ﴿ وما كانَ لَكُمْ أنْ ﴾ ^(٧)
تُؤذُوا رسولَ الله ولا أنْ تَنكِحُوا أزواجه مِن بعده أبداً إنَّ ذلكم كانَ عندَ الله
عظيماً ۝ - قام خطيباً ، فقال : يا معشرَ أهلِ الإيمانِ ، إنَّ اللهَ تعالى فضَّلني عليكم
تفضيلاً ، وفضلَ نساءي على نساءكم تفضيلاً ... الحديث .

(١) ابن القاسم اسمه عبد الرحمن ، جمع بين الزهد والعلم ، وصحب مالكا عشرين سنة ،
ومات بمصر . أخرج له البخاري ، وأبو داود ، والنسائي .

(٢) في هامش ١ ، ب : وفي نسختين صحيحتين : إلانما ورزقوا . وفي هامش ب : خ :
إلا رزقوا ورزق جيرانهم .

(٣) في حديث مرفوع مسند ، كما قاله السيوطي ، وذكر سنده .

(٤) ونفي الضرر المراد به وجود النفع .

(٥) اصطفاه لنفسه : جمعه صفيا له مقربا عنده .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

(٧) وما كان لكم : لا ينبغي لكم ، ولا يحل ، ولا يجوز .

فصل

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من النجاة والرؤية^(١)، وإمامة الأنبياء،
والعروج به إلى سِدْرَةِ^(٢) المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّهِ السَّكْبَرَى

ومن خصائصه - عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجاتِ
الرَّفْعَةِ بما نبّه عليه الكتابُ العزيزُ، وشرحته صِحَاحُ الأخبار؛ قال الله تعالى^(٣) :
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وقال تعالى^(٤) : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .
وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً
أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَنْفَشِي السِّدْرَةَ مَا يُفْشَىٰ . مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ السَّكْبَرَىٰ﴾ .

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه السلام ، إذ هو نصُّ القرآن ،
وجاءت بتفصيله ، وشرح معانيه ، وخَوَاصُّ نبيينا محمد عليه السلام فيه أحاديثُ كثيرة

(١) النجاة : الكلام سرا . وتختص النجاة في العرف بكلام العبد مع ربه . والرؤية :
أي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه . أو رؤية ما في اللأ الأعلى من المعجائب .

(٢) العروج : الصعود في جهة الملو . وسدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة ، وسميت
سدرة المنتهى ؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصدر من تحتها . وقيل : إنه ينتهي إليها
علم الخلائق . وقيل : لأن من وصل إليها انتهى لأقصى الكرامة .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١ ، والمسجد الأقصى : بيت المقدس .

(٤) سورة النجم ، آية ١ - ١٨

منتشرة - رأينا أن تقدم أكملها^(١)، ونشير إلى زيادة من غيره^(٢) يجب ذكرها :
 حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ، والفتية أبو بحر بسامى عليهما ، والقاضي
 أبو عبد الله التميمي ، وغير واحد من شيوخنا ؛ قالوا : حدثنا أبو العباس العذري ،
 [قالوا]^(٣) : حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ،
 حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت
 البناني ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٤) :
 أتيت بالبراق ، وهو دابة^(٥) أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره
 عند منتهى طرفه^(٦) - قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي
 يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني
 جبريل بيانا من نحر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة^(٧) .

(١) أى الحديث الذى هو أكملها وأجمعها لهذه القصة وأصحها . وهذا الحديث رواه

مسلم : ١ - ١٤٥

(٢) من غيره : من غير هذا الحديث . وقعت روايتها لغير مسلم ، ولكنها مهمة .

(٣) من ب .

(٤) حديث الإسراء هذا فى صحيح مسلم : ١٤٥ ، وصحيح البخارى : ٤ - ١٣٣ ،
 ومسنده أحمد : ٢٥٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٣٠٠ وما بعدها ، ٣٠٧ ،
 وسيرة ابن هشام : ٢ - ٣٦ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١٤٢ ، وتفسير ابن كثير : ٣ - ١٠٨ ،
 والنويزى : ١٦ - ٢٨٣ ، والسيرة الحلبية : ١ - ٤٧٨ ، وغيرها .

(٥) وهو دابة : على صورتها . والدابة : تذكر وتؤنث .

(٦) منتهى : انتهاء . والطرف : المين ، والمراد به النظر .

(٧) الفطرة : الجبله والطبيعة التى فطر عليها الناس ، أى ما اخترته هو الموافق للخلة
 الإنسانية التى خلق الناس عليها ، وللطباع المستقيمة ؛ فإن اللبن شراب لذيذ ، وطعام نافع
 موافق للإنسان . وقيل : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة ، وجعل اللبن علامة لكونه
 سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة ، بخلاف الخمر .

ثم عَرَجَ^(١) بنا إلى السماء ، فاستَفْتَحَ^(٢) جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .
قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففُتِحَ
لنا ، فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستَفْتَحَ جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :
جبريل . قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه .
فُتِحَ لنا ، فإذا أنا بابنَيِ الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما ؛
فرحَّبَا بي ، ودعوا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثْلَ الأول ، ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بيوسف
صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ^(٣) ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .
ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير ، قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ،
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ
إلى البيت المعمور^(٥) ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يَمُودُونَ^(٦) إليه .

(١) في ب : ثم عرج بي . والمثبت في صحيح مسلم أيضا : وعرج : صعد .

(٢) فاستفتح جبريل : أى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها .

(٣) الشطر : النصف . (٤) سورة مريم ، آية ٥٧

(٥) في نسيم الرياض (٢ - ٢٦٠) : وهو بيت تطوف به الملائكة ونحج له للعبادة ،
وهو محاذ للكعبة . وسمى معمورا لكثرته الملائكة فيه .

(٦) لا يمودون إليه : لأن حجه مرة كفرض الحج علينا ، أو لاشتغال غيرهم .

ثم ذهب بن إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى^(١) ، وإذا ورقها كآذانِ الفِيلة ، وإذا نَمَرُها كالقِلَال^(٢) ، قال : فلما غَشِيَهَا من أمر الله ما غَشَى تَغَيَّرَ^(٣) ، فإِ [٥٨] أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَعِمَها مِنْ حُسْنِها ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَا أَوْحَى ، ففَرَضَ عَلَى خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلَتْ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً . قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ^(٤) ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ^(٥) بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ .

قال : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي . فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَتِلْكَ^(٦) خَمْسُونَ صَلَاةً^(٧) ؛ وَمَنْ قَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ^(٨) ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا . وَمَنْ قَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُسَكَّتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ .

(١) في صحيح مسلم : إلى السدرة المنتهى .

(٢) القلال : جمع قلة ، وهى الجرة الكبيرة .

(٣) غشيا : طرأ عليها وغطاها . من أمر الله : الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه ، أو بجليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهي ، فزهت به ، وحسنت حسنا لا ينبت ، وظهر عليها نور لا يمكن أن تقابله الأبصار . تغيّر : أى عَن حالها التى كانت عليه .

(٤) لا يطيقون ذلك : يشق عليهم فيقصرون فيه .

(٥) بلوت بنى إسرائيل : خبرتهم . (٦) في صحيح مسلم : فذلك خمسون صلاة .

(٧) فى الثواب والاعتبار ، لأن الحسنه بعشر أمثالها .

(٨) لئيبته عماها . والهم : القصد .

قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسألهُ التخفيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت^(١) : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ^(٢) منه .

قال القاضي - رضى الله عنه : جوّدَ ثابتٌ رضى الله عنه هذا الحديثَ عن أنسٍ ما شاء ، ولم يأتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا .

وقد خلطَ فيه غيره عن أنسٍ تخليطاً^(٣) كثيراً ، لا سيما من رواية شريك ابن أبي نمرٍ ؛ فقد ذكر في أوله مجيء الملك له ، وشقَّ بطنه ، وغسله بماء زمزم ؛ وهذا إنما كان وهو صبيّ ، وقَبِلَ الوحي .

وقد قال شريك في حديثه : وذلك قبل أن يُوحى إليه ؛ وذكر قصةَ الإسراءِ . ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي .

وقد قال غيرُ واحد : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قَبْلَ هذا . وقد رَوَى^(٤) ثابت عن أنس ، من رواية حماد بن سلمة أيضاً مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره^(٥) ، وشقَّ قلبه - تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناسُ ، فجَوّدَ في القصتين ، وفي أنَّ الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصةً واحدةً ، وأنه وصل إلى بيت

(١) في ب : قلت . والثبت في أ ، وصحيح مسلم .

(٢) في أ : استحييت منه . والثبت في ب ، وصحيح مسلم ؛ أى استحييت منه أن أراجعه في السؤال بعد ذلك .

(٣) المراد أنهم أدخلوا في حديث الإسراء ما ليس منه كشق الصدر ؛ كما يأتي .

(٤) صحيح مسلم : ١٤٧

(٥) عند ظئره : الظئر : الرضعة التي ليست بأم ؛ وهى حليمة السعدية .

المقدس ، ثم عرج^(١) به من هناك ، فأزاح كلَّ إشكال أوهمه غيره^(٢) .
وقد روى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال^(٣) : كان أبو ذرٍّ يحدثُ
أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فُرج^(٤) سَفَفُ يَتَّى ، [وأنا بمكة]^(٥) ،
فنزل جبريلُ ، ففرج صدرِي ، ثم غسله مِن^(٦) ماء زمزم ، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهبٍ
ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدرِي ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرَج بنا إلى
السماء . . . فذكر القصة .

وروى قتادة^(٧) الحديث ، بمثله ، عن أنس ، عن مالك بن صَعَصعة ، وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص ، وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات .

وحديثُ ثابت ، عن أنس - أتقن وأجودُ .

وقد وقعت في حديث الإسراء زياداتٌ نذكرُ منها نُكْتًا مفيدة^(٨) في غرضنا :
منها في حديث ابن شهاب ، وفيه : قولُ كل نبيٍّ له : مرحبا بالنبي الصالح ،
والأخ الصالح ، إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح^(٩) .

(١) في ب : عرج - بالبناء للمجهول .

(٢) أوهمه غيره : أوقعه في ذهن الناس ووههم . غيره : غير ثابت .

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم : ١٤٨

(٤) فرج : شق ، أو رفع جانب منه حتى صار مكشوقا .

(٥) من صحيح مسلم :

(٦) في ب : بناء زمزم . والثبت في ١ ، وصحيح مسلم .

(٧) في صحيح مسلم : ١٤٩

(٨) النكت : جمع نكتة . والمراد كل معنى دقيق يحصل بالفكر .

(٩) في صحيح مسلم : ١٤٩

وفيه - من طريق ^(١) ابن عباس : ثم عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرَتْ ^(٢) بِمَسْتَوَى أَسْمَعُ
فِيهِ صَرِيفَ ^(٣) الْأَقْلَامِ .

وعن أنس ^(٤) : ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرَى
مَا هِيَ ؟ قَالَ : ثُمَّ ادْخَلْتُ الْجَنَّةَ .

وفي حديث مالك بن صعصعة : فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ ^(٥) - بِمَعْنَى [٥٩] مُوسَى - بَكَى ،
فَنُودِيَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : رَبِّ ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمْتِهِ الْجَنَّةَ
أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمْتِي ^(٦) !

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) : وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ،
فَحَانَتْ ^(٨) الصَّلَاةُ ، فَأَمَمْتُهُمْ ^(٩) ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ،
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَالْتَفَتَ ^(١٠) ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ .

وفي حديث أبي هريرة : ثُمَّ سَارَ حَتَّى ^(١١) أَتَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَنَزَلَ فَرَبَطَ فَرَسَهُ
إِلَى صَخْرَةٍ ، فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ قَالُوا : يَا جَبْرِيلُ ؛ مَنْ هَذَا
مَعَكَ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ . قَالُوا : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ :

(١) في ب : حديث . وهو في صحيح مسلم : ١٤٩ (٢) ظهرت : علوت وصعدت .

(٣) صريف الأقلام : الصريف : المراد به صوت القلم على الورق ؛ أى انتهى - صلى الله

عليه وسلم - إلى محل سمع فيه صرير أقلام الملائكة المكتبة . وهى تكتب ما تنقله من اللوح ،

أو ما يؤمر بكتابه من الوحي وغيره . صحيح مسلم : ١٤٩

(٤) فيما رواه مسلم : ١٤٩ (٥) جاوزته : فارقه .

(٦) صحيح مسلم : ١٥٠

(٧) في حديث الإسراء الذى رواه البيهقي وغيره .

(٨) حانت الصلاة : دخل وقتها ، وجاء حينها .

(٩) فأممهم : صليت بهم جماعة وأنا إمام لهم .

(١٠) فالتفت : أى إلى مالك . (١١) ثم سار : أى جبريل .

نعم . قالوا : حَيَّاهُ اللهُ^(١) مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَذَكَرَ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى وَعِيسَى ، وَدَاوُدُ ، وَسُلَيْمَانُ .

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : كَلِّمُوا أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ ، وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا^(٢) ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ^(٣) . وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا^(٤) ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمَ الْأَوَّلُونَ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ^(٥) ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي^(٦) ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي^(٧) ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا^(٨) .

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بِهِذَا فَضَّلَكُمْ مُحَمَّدٌ .

(١) حَيَّاهُ اللهُ : هِيَ تَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ بِالْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ .

(٢) بَشِيرًا وَنَذِيرًا : مُبَشِّرًا بِالْخَيْرِ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى ، مُحْذِرًا مَنْ كَفَرَ وَعَصَى .

(٣) تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ : مُبَيِّنٌ لِكُلِّ شَيْءٍ .

(٤) أُمَّةٌ وَسَطٌ : عَدُولًا أَخْيَارًا جَامِعِينَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الَّتِي بَيْنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ .

(٥) عُلِقَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ حَسَنِينَ مَخْلُوفٍ هُنَا - فِي النُّسخَةِ - قَالَ : الْأَوَّلُونَ ؛ أَيْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَالْآخِرُونَ ؛ أَيْ فِي الْوُجُودِ فِي الدُّنْيَا . وَقَالَ الشَّهَابُ الْخَفَاجِيُّ : هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ : مَعْنَى أُولَئِكَ سَبَقَهُمُ النَّاسُ فِي الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ وَفِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ . وَتَأَخَّرَهُمْ بِاعْتِبَارِ الْوُجُودِ الْحَارِجِيِّ .

(٦) وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي : طَهَّرَ قَلْبِي مِنْ حِظِّ الشَّيْطَانِ ، وَعَصَمَنِي فَلَا أُرْتَكِبُ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ .

(٧) وَرَفَعَ ذِكْرِي : جَعَلَنِي مَذْكُورًا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَجَعَلَ اسْمِي مَقْرُونًا مَعَ اسْمِهِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَعَلَى لِلنَّابِرِ فِي كُلِّ إِقَامَةٍ وَأَذَانٍ .

(٨) وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا : لِلنَّبُوَّةِ ؛ إِذْ خَلَقَ رُوحِي قَبْلَ الْأَرْوَاحِ ، وَنَبَّأَهَا قَبْلَ كُلِّ نَبِيٍّ .

وَجَعَلَنِي خَاتِمَ النَّبِيِّينَ .

ثم ذكر أنه عَرَجَ به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ، نحو ما تقدم .
وفي حديث ابن مسعود^(١) : « وَانْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ
الْسادسة ، إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُعْرَجُ »^(٢) به من الأرض فَيَقْبُضُ^(٣) مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهَى
مَا يَنْهَيطُ مِنْ فَوْقِهَا^(٤) فَيَقْبُضُ مِنْهَا ؛ قَالَ^(٥) : « إِذْ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى » ،
قَالَ : فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ^(٦) .

وفي رواية^(٧) أَبِي هُرَيْرَةَ ، مِنْ طَرِيقِ الرِّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : فَقِيلَ لِي : هَذِهِ السِّدْرَةُ^(٨)
الْمُنْتَهَى يَنْتَهَى إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَّاعًا عَلَى سَبِيلِكَ^(٩) ، وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى ،
يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ^(١٠) ، وَأَنْهَارٌ مِنْ كَبْنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ
مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ^(١١) ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ
فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا ، وَإِنَّ وَرْقَةً مِنْهَا مُظِلَّةٌ الْخَلْقِ^(١٢) ، فَغَشِيَهَا نُورٌ ، وَغَشِيَهَا
الْمَلَائِكَةُ .

(١) الذي رواه ابن عرفة في جزأيه ، وأبو نعيم في الدلائل . وهو في صحيح مسلم : ١٥٧ .

(٢) ما يعرج به : ما تصعد به الملائكة من أمور الأرض .

(٣) فيقبض منها : يقبضه الكتبة وتسكتبه .

(٤) من فوقها : من العرش بواسطة الملائكة المقربين .

(٥) سورة النجم ، آية ١٦ .

(٦) الفرائش : دوبيه ذات جناحين تنهات في ضوء السراج ، واحدته فراشة .

(٧) في ب : وفي حديث أبي هريرة . . . (٨) هذا في أ ، ب .

(٩) خلا : مضى . على سبيلك : على طريقتك وسنتك ؛ أى من مات من أمتك مؤمناً بك

عرج بروحه مع الملائكة إليها . وفي أ : خلى - بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة .

(١٠) غير آسن : لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلاً ، وإن طال مكثه وعدم جريانه .

(١١) لذة للشاربين : أى ليس تخمر الدنيا المستكره شربها .

(١٢) مظلة الخلق : كناية عن سمة ظلها .

قال : فهو قوله ^(١) : ﴿ إِذْ يَفْشَى السَّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ .

فقال الله تبارك وتعالى له : سَلِّ . فقال : إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا . وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَأَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مَلِكًا عَظِيمًا ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ ^(٢) ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ^(٣) ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ^(٤) ، وَأَعَدَّتْهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ^(٥) الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ .

فقال له ربُّه تعالى : قَدْ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ^(٦) . فهو مكتوبٌ في التَّوْرَةِ ^(٧) : مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلْتُ أَمَّتِكَ هُمُ الْأُولُونَ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ ، وَجَعَلْتُ أَمَّتِكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ ^(٨) حَتَّى يَشْهَدُوا ^(٩) أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا . وَآخِرَهُمْ بَعَثًا ، وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَشَائِي ^(١٠) ، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ [٦٠] ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا .

(١) سورة النجم ، آية ١٦ (٢) فكانت تجري بأمره كما يشاء .

(٣) قال القارى : علمت موسى التوراه تبعية والإنجيل أصلية .

(٤) الأكمة : الذى ولد أعمى . ويروى : وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل .

(٥) وأعدته : حفظته وأجرته .

(٦) هذا فى ١ ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : حبيبًا ، وبجانبها « صح » وكلمة

« مما » . وفي ب بالعكس . (٧) هذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة .

(٨) خطبة : هى كلام يقال على رؤوس الأشهاد للإعلام بأمر مهم .

(٩) حتى يشهدوا . . : أى لا يبعد بخطبهم إلا إذا أنوا فيها بكلمة الشهادة .

(١٠) سبعا من الثمانى : أى الفاتحة ، لأنها سبع آيات ، أو هي ثنتى وتسكرر في كل ركعة .

أو السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة لعدم البسملة بينها ؛ لتكرير المواضع والمعبر فيها .

وفي الرواية الأخرى^(١) قال : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْحَسَنَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُفْجَحَاتِ^(٢) .

وقال^(٣) : ﴿ مَا كَذَبَ^(٤) الْفُءَادُ مَا رَأَى . أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . ﴾ : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح .

وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة - قال : بتفضيل كلام الله^(٥) . قال^(٦) : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، فقال موسى : لم أظن أن يرفع عليّ أحد .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس . [وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل ، فوَكَّزَ^(٧) بين كتفَيَّ ، فقامتُ إلى شجرة فيها مِثْلُ وَكْرِي الطائر^(٨) ، فقامتُ في واحدة وقعدتُ في الأخرى^(٩) ، فتمت حتى سددت

(١) التي رواها مسلم : ١٥٧

(٢) المفجحات : المراد الكباير التي تلقى صاحبها في النار . وبين السطور فوقها في ب : المهلكات .

(٣) وقال : أي ابن مسعود في الحديث الذي رواه .

(٤) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢

(٥) بتفضيل كلام الله ؛ أي علو مرتبته عليه الصلاة والسلام ، وصعوده للسابعة إنما هو

أفضله على غيره بكونه كلام الله . (٦) قال : شريك في الحديث .

(٧) وكز بين كتفي : وكز : ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره . وقيل :

الوكز : الضرب بجمع البكف .

(٨) الوكر للطير كالبيت للإنسان : العش .

(٩) قال في نسيم الرياض : قيل أنه لأنه كالشمس يذكر ويؤنث ، والغالب على السنة أهل

مكة تأنيثه . أو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوها .

الْخَافِقَيْنِ^(١). وَلَوْ شِئْتُ لَمَسَسْتُ^(٢) السَّمَاءَ، وَأَنَا أَقْلَبُ طَرَفِي^(٣)، وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حَائِسٌ لَاطِي^(٤)، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَى^(٥)، وَفُتِّحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ، وَرَأَيْتُ النُّورَ^(٦) الْأَعْظَمَ، وَلُطَّ دُونِي^(٧) الْحِجَابُ، وَفُرِجُهُ الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ^(٨).
ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ^(٩).

وذكر البرّار عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه^(١٠): لما أراد الله تعالى أن يُعَلِّمَ رَسُولَهُ الْأَذَانَ جاء جبريلُ بِدَآئِيَةِ يَقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ، فَذَهَبَ يَرْكُبُهَا، فَاسْتَصَعِبَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ: اسْكُنِي، فَوَاللَّهِ مَا رَكَبْتُ عَبْدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَركبها حتى أتى إلى الحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرَّحْمَنَ تَعَالَى، فَبَدَأَ هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟

(١) فنت: فزادت الشجرة وارتفعت. والخافقان: المشرق والمغرب.

(٢) لملوها وقربى منها. (٣) تقلاب طرفه: نظره في جوانبها.

(٤) حلس لاطى: الحلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردة وييسط في البيت.

لاطى: لاصق بالأرض. والمراد أنه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض من النشى الذى هو فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم تمسه روعة كما غشى جبريل عليه السلام. وفي ١: لا طئا.

(٥) للملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال الملائكة ما لا يعرفه غيرهم.

(٦) النور الأعظم: قيل هو نور العرش، أو الله تعالى.

(٧) لط دونى الحجاب: أرخى (هامش ب) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد

النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه. وفي ١: وإذا دونى...

(٨) وفرجه: جمع فرجة؛ وهى ما بين الشيتين من خلاء، أو بين أجزاء شئ مفتوحة؛

أى فرج الحجاب. وطافاته التى يخرج منها نوره.

(٩) ما بين القوسين فى هامش ب تحت كلمة: حاشية. وهو فى الأصل.

(١٠) هذا الحديث رواه بسند متصل لعلى رضى الله عنه، قال القارى (١ - ٣٩٩):

وفى سنده زياد بن المنذر، وهو كذاب.

قال : والذي بعثك بالحق ، إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه . فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر . أنا أكبر .

ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا الله لا إله إلا أنا .

وذكر^(١) مثل هذا في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وقال^(٢) : ثم أخذ الملك بيد محمد ، فقدمه ، فأتم أهل^(٣) السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، راويه^(٤) : أكل الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض^(٥) .

قال القاضي - رضى الله عنه : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والباري جل اسمه منزّه عما يحجب به ، إذ العجب إنما تحيط بمقدّر محسوس^(٥) ، وإلّا لكان حجباً على أبصار خلقه وبصائرهم

(١) وذكر : أى الراوى . (٢) فأتم : صار إماماً يؤم .

(٣) روايه : أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه ، عن جده .

(٤) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٣) : بقى هنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم رأى بعض الصحابة من دله على الأذان ، فأمر الرسول بلالا أن يؤذن . وذلك يدل على أن الأذان كان بدؤه في المدينة ، وهما متعارضان . قال : إلا أن الثانى صحيح ، والاول ضعيف .

(٥) بمقدّر محسوس : أى بذى مقدار له طول وعرض في جهة تحس بتوجه الناظر ؛ فيقتضى الجهة ، وهو - تعالى - منزّه عن ذلك .

وإدراكاتهم بما شاء^(١) وكيف شاء ، ومتى شاء ، كقوله تعالى^(٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ .

فقوله في هذا الحديث : « الحجاب » ، « وإذ خرج ملائكة من الحجاب » - يجب أن يقال^(٣) : إنه حجابٌ حجبَ به^(٤) مَنْ ورائه من ملائكته عن الإطلاع على ما دونه^(٥) من سلطانة وعظمته ، ومجائب ملكوته وجبروته^(٦) .

وبدل^(٧) عليه من الحديث قولُ جبريل - عن الملك الذي خرج من ورائه : إنَّ هذا الملك ما رأيته منذ خُلِقْتُ قبل ساعتي هذه .

فدلَّ على أنَّ هذا الحجاب لم يختصَّ بالذات^(٨) .

وبدلَّ عليه قولُ كعب في تفسير : « سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى » - قال : إليها ينتهي عِلْمُ الملائكة ، وعندها يجدون أمرَ الله ، لا يجاوزها عِلْمُهُمْ .

وأما قوله : الذي يلي الرحمن فيُحْمَلُ على حَذْفِ المضاف ، أى يلي عَرْشَ الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه^(٩) ، مما هو أعلمُ به ، كما قال تعالى^(١٠) : ﴿ واسأل القرية ﴾ ؛ أى أهلها .

(١) الحجب : جمع حجاب ، أى منهم عن رؤيته وإدراك ذاته ، ومعرفة حقيقته ، ليس بحجاب كحجاب البشر ؛ بل بسبب إرادة وكيفية لا يدركها ، فى أى زمان أراد .

(٢) سورة المطففين ، آية ١٥ (٣) أن يقال فى تفسيره . (٤) حجب به الله .

(٥) على مادونه : أى ما خلفه وما ورائه من جانب النيب وباطنه ، فهو الباطن الظاهر .

(٦) المراد بملكوته عالم غيب النيب ؛ أى ما غيب عن الملائكة . وبجبروته : عظمته

الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره .

(٧) وبدل عليه : يدل على أن الحجاب لغيره لا لذاته .

(٨) بالذات : أى بذات الله .

(٩) أى أمراً يكون مبدءاً لما يتحقق به معرفة الله .

(١٠) سورة يوسف ، آية ٨٢

وقوله : فقيل من وراء الحجاب : صدق [٦١] [عَبْدِي] ^(١) ، أنا أكبر - فظاھرُهُ أنه سمع في هذا الموطن كلامَ الله ، ولكن مِنْ وراء حجاب ، كما قال ^(٢) : ﴿ وما كان لبشر أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أو مِنْ وراء حجاب ﴾ ؛ أى وهو ^(٣) لا يراه ، حَجَبَ بصرَهُ عن رؤْيَيْهِ .

فإن صَحَّ القول ^(٤) بأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربَّهُ - عزَّ وجلَّ - فيُحْتَمَلُ أنه في غير هذا المَوْطِنِ بعد هذا أو قَبْلَهُ ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه . والله أعلم .

فصل

ثم اختلف السَّافُّ ^(٥) والعلماء : هل كان إِسْرَاءُ برُّوحه أو جسده ؟ على ثلاث مقالات ^(٦) :

فذهبت طائفةٌ إلى أنه إِسْرَاءُ بالروح ، وأنه رُؤْيَا منام ، مع اتفاقهم أن رُؤْيَا الأنبياء حقٌّ ووَحْيٌ ، وإلى هذا ذهب معاوية ^(٧) . وحُكِيَ عن الحسن ^(٨) ، والمشهور عنه خلافة ^(٩) ، وإليه أشار محمد بن إِسحاق ، وحجَّتْهُمْ قَوْلُهُ تعالى ^(١٠) : ﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ .

(١) ليس في ١ . (٢) سورة الشورى ، آية ٥١ (٣) وهو ؛ أى البشر .

(٤) ارجع إلى صحيح مسلم في ذلك : ١٥٨ ، وما بعدها . وشرح القارى : ١ - ٤٠٢ .

(٥) المراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم ، وبالعلماء من بعدهم . وهذا الفصل تحقيق

في الإسرائ . (٦) أى الاختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف .

(٧) معاوية بن أبى سفيان ، كما رواه عنه ابن جرير ، وابن إِسحاق . وهو صحابى ابن صحابى .

(٨) الحسن البصرى .

(٩) له قولان : أشهرهما أنه كان يقظة . وحديث الإسرائ في الطبقات الكبرى : ١ - ١٤٢ .

كما تقدم .

(١٠) سورة الإسرائ ، آية ٦٠ .

وما حَكَّوْا^(١) عن عائشة رضى الله عنها : ما فقدت^(٢) جسدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : بينا أنا نائم .

وقول أنس : وهو نائم في المسجد الحرام ... وذكر القصة ، ثم قال في آخرها^(٣) : فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام .

وذهب مُعْظَمُ السَّلَفِ والمُسلِمِينَ إلى أنه إسرائٌ بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحقُّ ، وهو قولُ ابنِ عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبي هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبي حَبَّةَ البَدْرِي ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زَيْد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعِكرمة ، وابن جُرَيْج ، وهو دليلُ قول عائشة^(٤) ، وهو قولُ الطبري ، وابن حنبل ، وجماعةٍ عظيمةٍ من المُسلمِينَ . وقولُ^(٥) أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

(١) وما حَكَّوْا : أى وما احتجوا به أنها رؤيا منام . وستأتى الإشارة إلى هذا بعمد قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٨) : وفي نسخة : ما فقد - بالبناء للمفعول . وفي رواية : لم يفقد - مجهول أيضا . قال التلمساني : وهى الأثبة بالصواب ؛ فهو إخبار منها عن غيرها ، لأنها لم تكن حينئذ زوجته ؛ بل لم توجد .

(٢) في حديث الإسراء الذى رواه البخارى : ٤ - ١٣٣ ، وهو يدل على أنه كان مناما . (٣) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٩) : قيل : كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة : ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه كان مناما لا يقظة ؟ فهذا سهو منه بلا ريب . وقد يقال : إنه سقط منه شيء ؛ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة ، لأنه لم يثبت نقله عنها .

وقد يقال : مراده أنه دليل على قول عائشة قولاً موافقاً لما عاينه أكثر الصحابة ، وأنها قائله بأنه يقظة كالجهور ، كما سيأتى ؛ فالمراد بإبطال ما نقلوه عنها .

وهذا الرد الأخير أسهل من تقليط المصنف ؛ وهو الأنسب بقوله بعمد : وهو قول الطبري .

(٤) في ١ : وهذا .

وقالت طائفة ^(١) : كان الإسراء بالجسد بَقَظَةً إلى بيت ^(٢) المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى ^(٣) : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فجعل « إلى المسجد الأقصى » غاية ^(٤) الإسراء الذي وقع التعجبُ فيه بعظيم القدرة ، والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به ^(٥) ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه .

قال هؤلاء ^(٦) : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكَّره ؛ فيكون أبلغَ في المدح .

ثم اختلفت هذه الفرقتان ^(٧) : هل صلى ببيت المقدس أم لا ؟
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلواته فيه . وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان ، وقال : والله ما زال ^(٨) عن ظهر البراق حتى رجعا .

(١) هذا هو القول الثالث . (٢) في ب : إلى المسجد الأقصى . وعليها علامة الصحة .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) أى إنه لما جعل المسجد الأقصى غاية اقتضى أنه لم يجاوزه إلى السماء بيدنه الشريف .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٩٠) : ولا حجة فيه ، لأن كونه غاية مسيره في الأرض لا يتنافى صعوده لما يحاذيه في جهة العلو .

وقيل : إن الحكمة في تخصيص المسجد الأقصى أن تسأل قرش طي سبيل الامتحان - عن الأعلام التي عرفوها ، والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس ؛ وقد علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر إليها قط ، فيجيبهم بما عاين ، ويوافق ما يعلمون ؛ فتقوم الحجة عليهم ؛ وكذلك وقع . ولذا لم يسأله صلى الله عليه وسلم عما رأى في السماء ؛ إذ لا علم لهم بذلك .
(٥) به : بالإسراء .

(٦) قال هؤلاء : أى قال هؤلاء الذاهبون إلى أن الإسراء بجسده إلى المسجد الأقصى ، وهم أصحاب المذهب الثالث .

(٧) الفرقتان الثانية والثالثة . وفي هامش ب أمام هذه : خ : هاتان .

(٨) ما زال : لم ينفصلا وينزلا . والضمير لحبريل ولنبي .

قال القاضي ^(١) : والحق من هذا والصحيح إن شاء الله - أنه إسرائا بالجسد والروح في القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار ^(٢) ، ولا يُعدّل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس في الإسرائا بجسده وحال يقظته استحالة ؛ إذ لو كان مناما لقال ^(٣) : برُوح عبّده ، ولم يقل : « بِعَبْدِهِ » . وقوله تعالى ^(٤) : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولما استبعده التكفّار ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتدّ به ضُعفاء من أسلم ، واقتنوا به ^(٥) ؛ إذ من هذا من المنامات لا يُنكر ؛ بل لم يكن منهم ^(٦) ذلك [٦٢] إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته ، إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلّاته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس - أو في السماء على ما روى غيره ، وذكر محي جبريل له بالبراق ، وخبر المراج ، واستفتاح ^(٧) السماء ؛ فيقال : من معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها ^(٨) ، وخبرهم معه ، وتزجيهم به ، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك .

(١) هو المؤلف .

(٢) والاعتبار : المراد به التّبع لأقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل في الأحاديث الروية والقصة . يعنى أنه يدل على ذلك العقل والنقل . وفسر القارى الاعتبار بالمقايسة ، وقال (١ - ٤٠٥) : يعنى إذا ثبت إسرائؤه من الحرم إلى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز إسرائؤه إلى السماء بالمقايسة للقرونة بالأحاديث الثابتة ؛ إذ لا فرق .

(٣) أى في قوله تعالى : سبحن الذى أسرى بعبده - سورة الإسرائا ، آية ١

(٤) سورة النجم ، آية ١٧ ؛ إذ ليس للروح بصر . ومعنى الآية : ما مال بصره يمينا ولا شمالا في مقام أدبه مع ربه ، وما جاوز ما أمره . (القارى : ١ - ٤٠٦) .

(٥) افتنوا به : وقموا في فتنة وبلية عظيمة توقعهم في العذاب ، لردتهم ، وتكذيبهم له ، وإنكارهم لما أخبر به النبي بما هو خارق للمادة ؛ وهو قد أخبر به لأنه معجزة تحداهم بها .

(٦) في ١ : ذلك منهم . (٧) واستفتاح السماء : أى طلب فتحها له .

(٨) فيها : أى في السماء .

وفي بعض هذه الأخبار^(١) : فأخذ - يعني جبريل - بيدي فعرّج بي إلى السماء... إلى قوله : ثم عرج بي حتى ظهرت^(٢) مُسْتَوًى أَسْمَعُ فيه صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ، وأنه وصل إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وأنه دخل الجنة ، ورأى فيها ما ذكره .

قال ابن عباس : هي رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ .
وعن الحسن^(٣) فيه : بينا أنا نائم في الْحِجْرِ^(٤) جاءني جبريل فهمزني بَعْقِيهِ^(٥) ، فَنَمْتُ فَنَاسْتُ فَمِ أَر شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي^(٦) - ذكر ذلك^(٧) ثلاثًا ، فقال في الثالثة : فَأَخَذَ بَعْضُدَيَّ^(٨) فَجَرَّني إلى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا بِدَابَّةٍ... وذكر خبر الْبَرَّاقِ^(٩) .

وعن أُمِّ هَانِيٍّ : مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ فِي بَيْتِي ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(١٠) ، وَنَامَ بَيْنَنَا ، فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهْبَنَّا^(١١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَضَلَّيْنَا قَالَ : يَا أُمَّ هَانِيٍّ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ

(١) في الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس ، وقد تقدم .

(٢) ظهرت : علوت وصعدت .

(٣) رواه ابن إسحاق وابن جرير مرسلًا عن الحسن البصري .

(٤) الحجر : بجانب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير . وفي ب : جالس ، وفي هامشه : نائم . والعكس في أ .

(٥) همزني : مسني بشدة لينهني - والعقب : مؤخر الرجل .

(٦) لمضجعي : أي رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم .

(٧) في ب : فذكر ، وللتب في أ . (٨) المضد : ما فوق المرفق .

(٩) وهذا رواه ابن إسحاق ، وابن جرير ، والطبراني . وعلق القاري (١ - ٤٠٧) على

هذا بقوله : قال الحلبي : الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن أن يفعل ذلك .

(١٠) العشاء الأولى : المغرب . (١١) أهبنا : أيقظنا (هامش ب) .

العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى^(١)، ثم جثت بينت القدس فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون .
وهذا بين في أنه يحسمه .

وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه - أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به : طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجِدْكَ^(٢) . فأجابه : إن جبريل عليه السلام حملني^(٣) إلى المسجد الأقصى .

وعن عمر رضى الله عنه^(٤) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صليت

(١) بهذا الوادى : بمكة ، وهى واد لإحاطة الجبال بها وانخفاضها .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٢٩٥) : قالوا : وهذا مشكل من وجوه ؛ لأنها إنما أسلت عام الفتح ، فكيف تكون قد صلت معه العشاء . وأيضاً إن الصلاة إنما فرضت فى الإسراء ؛ ولهذا أشار المصنف لتضعيف هذا فى الفصل الذى يليه . وأيضاً المقرب لا تسمى عشاء لفقوشرعاً . ثم قال : أقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الآراء والجواب عما ذكر - أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيت أم هانئ ، ثم خرج إلى الحرم للصلاة ، فغشيه نوم ، ثم استيقظ وعرج به . وأما قول أم هانئ : « وصاينا » فيدفع إشكاله المذكور أنها بنت أبى طالب ، وأبو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهرُوا ذلك ؛ ولذا أسلم على فى صباه ، فلما خرج النبى من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك أنه كان يصلى قبل الإسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة ؛ فقولها : « صاينا » كقولهم : بنو فلان قتلوا قتيلاً ، والقاتل واحد منهم ؛ لأن الفعل المرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع ؛ أى صلى معه بعض آلنا ، وهو على .

أو يقال : إنها كانت مسلمة سرا ، كما نقل عن العباس .

فاندفاع الإيراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهر .

(٢) البارحة : الليلة الماضية قبل ليانتك . ومعنى طلبتك : إنى تفقدت جسدك فى مضجعتك .

(٣) فى ١ : حملة . (٤) كما رواه ابن مردويه من طرق .

ليلة أُسرى بي في مقدم المسجد^(١) ، ثم دخلت الصخرة^(٢) فإذا بملك^(٣) قائم معه آنية ثلاث^(٤) ... وذكر الحديث .

وهذه التصريحات ظاهرة^(٥) غير مستحيلة ، فتحمل على ظاهرها^(٦) .

وعن أبي ذر^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : فرج سيف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فشرح صدري ، ثم غسله بماء زمزم ... إلى آخر القصة^(٨) ، ثم أخذ بيدي ، فخرج بي .

وعن أنس : أتيت فانطلق^(٩) بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : لقد رأيته في الحجر ، وقرش تسألني عن مسراي^(١٠) ، فسألته عن أشياء لم أثبتها ، فكربت كربتاً ما كربت مثله قط^(١١) ، فرفعه الله لي أنظر إليه .

ونحوه عن جابر .

(١) المسجد : المسجد الأقصى .

(٢) ثم دخلت الصخرة : أى دخلت للمسجد الذى تحت الصخرة .

(٣) فى ١ : فإذا ملك .

(٤) يعنى إناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، وأنه خير فيه فاختر اللبن ، وقيل

له : اخترت الفطرة ، ولو اخترت الخمر غوت أمتك - وقد تقدم .

(٥) ظاهرة : فى أنه كان يقظة .

(٦) أى ولا يعدل إلى التأويل مع عدم الحاجة إليه .

(٧) يؤيد ظهور رأى بأن الإسراء كان يقظة .

(٨) فرج : كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ، ولم يبق حائل بينه وبين

السماء . وقد تقدمت .

(٩) فى ١ : أتاني آت فانطلقوا بي .

(١٠) عن مسراى : أى يسأله كفار قریش عن علاماته بعد ما كذبوه .

(١١) السكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

وقد رَوَى مُعَرِّبُ بَنِ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلْتُ عَنْ جَانِبِهَا ^(١) .

فصل

فِي إِبْطَالِ حُجَجٍ مِنْ قَالَ إِنَّهَا نَوْمٌ

اِحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ،

فَسَمَّاها رُؤْيَا ؟

قُلْنَا : قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى ^(٣) : ﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ - يَرُدُّهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي النَّوْمِ : أَسْرَى ^(٤) .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يُؤَيِّدُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ ، وَإِسْرَاءُ بِشَخْصٍ ^(٥) ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْحِلْمِ فِتْنَةٌ . وَلَا يَكْذِبُ بِهِ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنَ الْكَوْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَقْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ [٦٣] .

عَلَى أَنَّ الْمَفْسَّرِينَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَمَا وَقَعَ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ^(٦) . وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا .

(١) وَمَا تَحَوَّلْتُ عَنْ جَانِبِهَا : الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ حِينَ فَارَقَهَا النَّبِيُّ . وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِ خَدِيجَةَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِءٍ . وَفِي رِوَايَةٍ إِنَّهُ كَانَ فِي الْحَجَرِ ، وَفِي أُخْرَى : فِي الْحَطِيمِ .

قَالَ الْقَارِي (١ - ٤٠٩) : وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِتَقْلِيلِ زَمَنِ الْإِسْرَاءِ . ثُمَّ قَالَ : وَلَعَلَّهُ أَوَّلُ مَا رَجَعَ دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أُمِّ هَانِءٍ فِي بَيْتِهَا .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةُ ٦٠ (٣) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةُ ١

(٤) إِذِ الْإِسْرَاءُ هُوَ السَّيْرُ لَيْلًا ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ يَقْظَةً . (٥) فِي ١ : وَإِسْرَاءُ شَخْصٍ .

(٦) مِنْ ذَلِكَ : مَنْ صَلَحَ الْحَدِيدِيَّةُ حَتَّى رَاجَعَهُ فِي ذَلِكَ عَمْرُ مَرَارًا . وَقَضِيَّةُ الْحَدِيدِيَّةِ أَنَّهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ؛ فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ فِي ذَلِكَ . وَلَكِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَقُلْ : فِي هَذَا الْعَامِ ، وَدَخَلَ مِنْ قَابِلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وأما قولهم : إنه قد سَمَّاهما في الحديث مَنَامًا .

وقوله في حديث آخر : بين النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ .

وقوله أيضا : وهو نائم . وقوله : ثم استيقظتُ - فلا حِجَّةَ فيه ^(١) ؛ إذ قد يحتملُ
أنَّ أولَ وصولِ المَلَكِ إليه كان وهو نائم ^(٢) ، أو أولَ خَلِّه والإِسْرَاءِ به وهو نائم ،
وليس في الحديث أنه كان نائمًا في القصة كُلِّها إلا ما يدلُّ عليه : ثم استيقظتُ وأنا
في المسجد الحرام ؛ فلملِ قوله : استيقظتُ بمعنى أَصْبَحْتُ ^(٣) ، أو استيقظ من نَوْمٍ
آخر بعد وصوله بيته .

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله ، وإنما كان في بعضه .

وقد يكون قوله : استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام لِمَا كان غَمْرَهُ ^(٤) من عجائب
ما طالع ^(٥) مِنْ مَلَكَوتِ السموات والأرض ، وخامَرَ باطنَهُ ^(٦) من مُشاهدةِ المَلَأِ
الْأَعْلَى ، وما رأى من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، فلم يَسْتَفِقْ ^(٧) ويرجع إلى حالِ البشرية
إلا وهو بالمسجد الحرام .

وَوَجْهٌ ثالثٌ أن يكونَ نَوْمُهُ واستيقاظُهُ حَقِيقَةً على مقتضى لَفْظِهِ ، ولكنه أُسْرِيَ
بجسده وقلبه حاضر ، ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ ، تنامُ أَعْيُنُهُمْ ولا تنامُ قُلُوبُهُمْ .

(١) فلا حِجَّةَ فيه بأنها رؤيا منام . (٢) بدليل قوله في الحديث : فهمزني بعقبه . . .

(٣) أَصْبَحْتُ : دخلت في وقت الصباح .

(٤) كان غَمْرَهُ : أى لاجل القى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره .

(٥) ما طالع : ما شاهد .

(٦) خامر باطنه : مازجه وخلطه ، والمراد بباطنه : قلبه وحواسه الباطنة .

(٧) فلم يستفِق : لم يقننه ويستيقظ من نومه .

وقد مالَ بعضُ أصحابِ الإشارات^(١) إلى تحوُّر من هذا . قال : تغميضُ عينيه
لثلاثِ شغَلَةٍ شئٌ من المحسوسات عن الله تعالى .
ولا يصحُّ هذا أنَّ يكونَ^(٢) في وقتِ صلاته بالأنبياء^(٣) ، وأعله كانت له في هذا
الإسراءِ حالاتٌ^(٤) .

ووجهُ رابعٍ ، وهو أنَّ يعبَّرَ بالنومِ ها هنا عن هيئةِ النَّائمِ من الاضطجاع ؛
وَبُيُوتِيهِ قوله في روايةِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، عن همام : بينما أنا نائمٌ - وَرُبَّمَا قال :
مُضْطَجِعٌ .

وفي روايةٍ هُدْبَةٍ ، عنه : بينما أنا نائمٌ في الحَظِيمِ^(٥) - وَرُبَّمَا قال : في الحِجْرِ -
مُضْطَجِعٌ . وقوله في الرواية الأخرى : بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ .
فيكونُ سَمَّى هيئته بالنومِ لَمَّا كانت هيئةُ النَّائمِ غالباً .

وذهب بعضهم إلى أنَّ هذه الزيادات : من النومِ ، وَذِكْرِ شَقِّ البطنِ ، وَدُنُوِّ
الربِّ عزَّ وجلَّ الواقعة في هذا الحديث^(٦) إنما هي من روايةِ شريكٍ عن أنسٍ ، فهي
مُنْكَرَةٌ^(٧) من روايته ؛ إذ شَقُّ البطنِ في الأحاديثِ الصحيحة إنما كان في صِغَرِهِ
صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ؛ ولأنَّه قال في الحديث : « قبل أن يُبعثَ » ، والإسراءُ

(١) أصحاب الإشارات : يعنى بهم مشايخ الصوفية ؛ والمراد بالإشارة ما يأخذونه من
الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها ، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص .

(٢) من أن الإسراء بحسده صلى الله عليه وسلم وهو نائمٌ ، ليوفِّق بين الروایتين . وقال
القارى (١ - ١٢٤) : هذا ؛ أى تغميض العين . (٣) لأنَّ النَّائمَ لا يصلى ، ولا تصحُّ صلاته .

(٤) فكان في بعضها نائماً غاضاً لبصره تأدياً ، أو لكسلا يرى سوى ربه ، وفي بعضها :
مستيقظاً ، ووقت صلاته بهم قائماً ، وفي بعضها بين النَّائمِ واليقظانِ ، وبهذا يجمع بين الروايات .

(٥) الحَظِيمِ : بين الركن والباب . (٦) في هذا الحديث : أى حديث الإسراء .

(٧) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٠٣) : وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره ، وقالوا :

ليس ثبت .

بإجماع^(١) كان بعد المبعث ؛ فهذا كله يؤهن^(٢) ما وقع في رواية أنس^(٣) ، مع أن أنساً قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال - مرة^(٤) : عن مالك بن صفصة ، وفي كتاب مسلم^(٥) : لعله عن مالك ابن صفصة - على الشك . وقال مرة^(٥) : كان أبو ذر يحدث .

وأما قول عائشة : ما فقد جسده ؛ فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن حينئذ زوجة^(٦) ، ولا في سن من يضبط^(٧) ، وأهلها لم تكن ولدت بعد ، على الخلاف في الإسراء متى كان ؛ فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف^(٨) ، وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام^(٩) .

وقد قيل : كان الإسراء لخمس قبل الهجرة . وقيل : قبل الهجرة بعام . والأشبه^(١٠) أنه لخمس .

والحجة لذلك تطول ، [٦٤] وليست من غرضنا ؛ فإذا لم تشهد ذلك عائشة دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها ، فلم يرجح خبرها على خبر غيرها ؛ وغيرها يقول خلافه مما وقع نصاً في حديث أم هانئ وغيره .

(١) في ١ : كان بإجماع . (٢) يؤهن : يضعف . (٣) وهى التى رواها شريك .

(٤) صحيح مسلم : ١٥٠ (٥) صحيح مسلم : ١٤٨ (٦) في ١ : زوجة .

(٧) أى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط وإتقان لعدم تمييزها لصفرها ؛ فالرواية عنها ليست مسلمة ؛ أو هى حدثت به عن غيرها .

(٨) قال القارى (١ - ٤١٤) : وهذا مخالف لما نقله النووى من أنه بعد المبعث بخمسة

أعوام ، وسيأتى .

(٩) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الإسراء .

(١٠) الأشبه : أى القول الأصح الأول والأحسن .

وأيضاً فليس حديث عائشة رضي الله عنها بالثابت ، والأحاديثُ الأخرُ أثبتت ،
ولسناً^(١) نغني حديث أم هاني ، وما ذكرت^(٢) فيه خديجة .

وأيضاً فقد روى في حديث عائشة^(٣) : « ما فقدت » ، ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة .

وكل هذا يوهنه^(٤) ؛ بل الذي يدل عليه صحيح قولها : إنه^(٥) يحسده ،
لأنكارها أن تكون رؤياه أربعة رؤياً عَيْنٍ ، ولو كانت عندها مناماً لم تُنكره .

فإن قيل : فقد قال تعالى^(٦) : ﴿ ما كذب الفؤادُ ما رأى ﴾ - فقد جعل ما رآه
للقالب ، وهنا يدل على أنه رؤيا نَوْمٍ ووَحْيٍ ، لا مشاهدة عَيْنٍ وحس .

قلنا : يقابله قوله تعالى^(٧) : ﴿ ما زاعغ البصرُ وما طغى ﴾ - فقد أضاف الأمرَ للبصرِ .

وقد قال أهلُ التفسير في قوله تعالى^(٨) : ﴿ ما كذب الفؤادُ ما رأى ﴾ ؛ أي
بِئُورِ القلوبِ العَمِينَ غير الحقيقة ؛ بل صدق رؤيتها .

وقيل : ما أنكر قلبه ما رآه عينه .

(١) ضبطت هذه الكلمة في ١ : بفتح اللام وسكون السين ، وفي ب بفتح اللام وضم السين .
وفي القاموس : اللسن - بكسر اللام وسكون السين : اللغة والكلام .

(٢) أي ولا نغني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودها في الصحيح .

(٣) كما روى : ما فقد - بالبناء للمجهول .

وقد تقدمت هذه الرواية صفحة . . .

(٤) يوهنه : يضمفه : أي يضيف حديث : ما فقدت .

(٥) إنه : أي الإسراء . (٦) سورة النجم ، آية ١١

(٧) سورة النجم ، آية ١٧

فصل

وأما رؤيته ^(١) - صلى الله عليه وسلم لربه جلّ وعزّ - فاختلفت السلف فيها ؛ فانكرته عائشة .

حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه ؛ قال : حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه ؛ قالا : حدثنا القاضى بنونس بن مغيث ، حدثنا أبو الفضل الصنعلي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجده ؛ قالا : حدثنا عبد الله بن علي ، قال : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ^(٢) - أنه قال لعائشة رضي الله عنها - يا أمّ المؤمنين ؛ هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قفّ شعري ^(٣) مما قلت ثلاث من حديثك بهنّ فقد كذب : من حدثك أنّ محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ^(٤) : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ^(٥) ؛ وذكر الحديث .

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها ، وهو المشهور عن ابن مسعود . ومثله عن أبي هريرة أنه [قال] ^(٦) : إنما رأى جبريل . واختلف عنه ^(٧) .

-
- (١) رؤيته بعينه يقظة في إسرائه بجسده . (٢) صحيح مسلم : ١٦٠ .
 (٣) قف شعري : قام وانتصب ؛ وافشعر ، وإنما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي . والمراد إنكار ما قاله واستفظاعه . مما قلت : أي خفت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمع به ؛ لأنه أمر منكر لا يرضاه الله ، ولم يثبت عندها . (٤) ثم قرأت : أي مستدلة لما قالت .
 (٥) سورة الأنعام ، آية ١٠٣ (٦) ليس في ب . وهذه الرواية في صحيح مسلم : ١٥٨ .
 (٧) قال مسروق : وكنت متكئا جلست وقلت : يا أمّ المؤمنين ، أنظريني ولا تعجلي ، ألم يقل الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين . ولقد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقال : إنما هو جبريل ؛ لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين - كما رواه مسلم : ١٥٩ .

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من الحديثين، وبالفقهاء، والمتكلمين.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه^(١).

وروى عطاء عنه ... أنه رآه بقلبه .

وعن أبي المالكة ، عنه^(٢) : رآه بفؤاده مرتين .

وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله :
هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .

والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه ، روى ذلك عنه^(٣) من طريق ، وقال : إن
الله تعالى اختص موسى بالكلام^(٤) ، وإبراهيم بالخلة^(٥) ، ومحمد بالرؤية .

وحجته^(٦) قوله تعالى^(٧) : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ ﴾^(٨) على ما يرى .
ولقد رآه نزلة أخرى^(٩) .

قال الماوردي : قيل : إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم ؛ فراه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

وحكى أبو الفتح الرازي ، وأبو الليث السمرقندي الحكاية^(١٠) عن كعب .

(١) في صحيح مسلم (١٥٨) : عن ابن عباس ، قال : رآه بقلبه .

(٢) عنه : عن أبي هريرة ، والذي في صحيح مسلم (١٥٨) : أن هذا عن ابن عباس :
قال : ما كذب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى ؛ قال : رآه بفؤاده مرتين .

(٣) عنه : عن ابن عباس . (٤) لقوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .

(٥) لقوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلاً .

(٦) وحجته : أي دليله على الرؤية .

(٧) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٨) افتارونه : أنجادلون في رؤيته لما رآه .

(٩) نزلة أخرى : مرة أخرى .

(١٠) الحكاية : أي التي ذكرها الماوردي .

وروى عَبْدُ اللَّهِ بن الحارث ، قال : اجتمع ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ ؛ فقال
ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فنقول : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ؛ فَكَبَّرَ كَعْبٌ ^(١)
حتى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ^(٢) ، وقال : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَاهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ؛ فَكَلَّمَهُ
مُوسَى ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ .

وروى شَرِيكَ [٦٥] عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ^(٣) ؛ قَالَ : رَأَى
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ .

وَحَكَى السَّمَرَقَنْدِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ - أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُهُ بِوَادِي ، وَلَمْ أَرَهُ بَعِينِي .
وروى مَالِكُ بْنُ يُحَاظِرٍ ، عَنْ مُعَاذٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ ^(٤) :
رَأَيْتُ رَبِّي . . . وَذَكَرَ كَلِمَةً ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ فِيمَ ^(٥) يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى . . .
الْحَدِيثُ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّ الْحَسَنَ ^(٦) كَانَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ .

(١) فكبر كعب : لسروره بمقالته الموافقة لما عنده .

(٢) حتى جابوته الجبال : أى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صده من الجبال .

(٣) الآية : ما كذب الفؤاد ما رأى . . .

(٤) فى حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره ، وهو حديث صحيح أوله : قال معاذ رضى
الله عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداة ثم أقبل علينا فقال : إني سأحدثكم أنى
قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونمت . . .

الحديث بتمامه فى المسند : ٢٤٣-٥ ، ونسيم الرياض : ٣١٢-٢ ، وشرح القارى : ١-٢٢١

(٥) أى فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضاً عن المراتب المقربة إلى الله ، الكفرة للخطايا .

(٦) هو الحسن البصرى .

وحكاه أبو عمر الطلمنكي^(١) عن عكرمة .

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب^(٢) عن ابن مسعود .

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة . هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم

وحكى النقاش ، عن أحمد بن حنبل - أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس

بمعينه رآه - حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد .

وقال أبو عمر : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وجبَّ عن القول برؤيته

في الدنيا^(٣) بالإبصار .

وقال سميد بن جبَّير : لا أقول رآه ، ولا لم يره^(٤) .

وقد اختلف في تأويل الآية^(٥) عن ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ،

وابن مسعود ؛ فحكى عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه^(٦) . وعن الحسن

وابن مسعود : رأى جبريل .

وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه^(٧) .

وعن ابن عطاء في قوله تعالى^(٨) : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ - قال : شرح

صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) في هامش ب : قوله : الطلمنكي - بفتح الطاء المهملة ، واللام والميم ، وسكون النون

وكسر الكاف : الحافظ للقرى أبو عمر .

روى عنه ابن عبد البر ، وابن حزم ، وغيرها . وكان رأسا في علم القراءات ذا عناية تامة بالحديث ، إماما في السنة ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة (شرح القارى : ١ - ٤٢٢) .

(٢) وهو رؤية الله بعينه . (٣) أى لم يجترئ تأديبا .

(٤) أى توقف في ذلك ، ولم يعل لأحد القولين .

(٥) يعنى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . (٦) صحيح مسلم : ١٥٨ .

(٧) أى بعينه ؛ لأنه التبادر . وقد روى عنه التصريح به ، ولا ينافى ذلك ما مر من أنه

جبَّ عن القول بذلك ؛ لأنه قد يخفيه في بعض المجالس . (٨) سورة الشرح ، آية ١

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه ، وقال : كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ، وخُصَّ من بينهم بتفضيل الرؤية^(١) .
ووقف^(٢) بعض مشايخنا في هذا ، وقال : ليس عليه دليل واضح ؛ ولكنه جائز أن يكون .

قال القاضي أبو الفضل^(٣) : والحق الذي لا امتراء^(٤) فيه - أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها^(٥) .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها^(٦) . ومحال أن يحول نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ؛ بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى^(٧) : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أي لن تطيق ، ولا تحتمل رؤيتي^(٨) ؛ ثم ضرب له مثلا بما هو أقوى من بنية موسى وأثبت ، وهو الجبل^(٩) .

(١) بتفضيل الرؤية : أي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا ، فلم يره غيره فيها .

(٢) ووقف بعض مشايخنا : أي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه .

(٣) هو للؤلؤ . (٤) لا امتراء فيه : لاشك فيه ولا شبهة .

(٥) ما يحيلها : ما يقتضي أنها مستحيلة .

(٦) سؤال موسى : بقوله : رب أرني أنظر إليك . وموسى من أولى العزم لا يسأل من

الله تعالى ما لا يجوز ، فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله ، وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية ، وهو مبرأ منه . (٧) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٨) لن تراني : أي الرؤيا جائزة ، ولكنك لاتصل إليها في الدنيا .

(٩) في قوله تعالى : ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني - فلما لم يثبت

الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى ؛ ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا أيضا ؛ فلم منه جواز الرؤية .

وكل هذا ليس فيه ما يُحِيل ^(١) رؤيته في الدنيا ؛ بل فيه جَوَازُها على الجملة ؛
وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ؛ إذ كل موجود فرؤيته
جائزةٌ غَيْرُ مستحيلة .

ولا حجة لمن استدَلَّ على مَنعها بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ،
لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذ ليس يقتضى قول مَنْ قَالَ في الدنيا ^(٣) الاستحالة .
وقد استدَلَّ بعضهم بهذه الآية ^(٤) نَفْسِها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة .

وقد قيل : لا تدركه أبصار الكفار . وقيل : لا تدركه الأبصار : لا تُحِيطُ به ،
وهو قول ابن عباس . وقد قيل : لا تدركه الأبصار ، وإنما يدركه المبصرون .

وكل هذه التأويلات لا تقتضى مَنع الرؤية ولا استحالتها .
وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى ^(٥) : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ . وقوله ^(٥) : ﴿ تَبَتْ
إِلَيْكَ ﴾ ^(٦) - إما قدمناه [٦٦] ؛ ولأنها ليست على العموم ^(٧) ؛ ولأن من قال :
معناها : لن تَرَانِي في الدنيا - إنما هو تأويل .

وأيضا فليس فيه نص الامتناع ؛ وإنما جاءت في حق موسى ؛ وحيث تنطرق
التأويلات وتتسائط الاحتمالات ، فليس للقطع إليه سبيل .

(١) ما يحيل رؤيته : أى يقتضى استحالتها فيها .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣

(٣) قول من قال في الدنيا : أى قول من قال بمنعها في الدنيا ، بل تخصيص الدنيا يقتضى
وقوعه في الآخرة ، فيدل على الجواز في الدنيا .

(٤) آية : لا تدركه الأبصار - الأنعام ، آية ١٠٣

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(٦) تبّت إليك من سؤال الرؤية ، لأنه محال وطلب ما لا يليق ، فهو ذنب .

(٧) ليست على العموم : بل مخصوصة بموسى عليه السلام . والضمير للآية .

وقوله : ﴿ تَبْتُ إِلَيْكَ ﴾ ؛ أى مِنْ سُؤَالِي مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي ^(١) .

وقد قال أبو بكر الهذلي - في قوله : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ أى لَيْسَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يُطِيقَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَى مَاتَ .

وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه : إن رؤيته تعالى في الدنيا مُتَمَنِّعَةٌ ، لضعف تركيب أهل الدنيا ، وقواهم ، وكونها ^(٢) متغيرة غرضاً ^(٣) للآفات والفناء ، فلم تسكن لهم قوة على الرؤية ؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا تركيباً آخر ، ورزقوا قوًى ثابتة ^(٤) باقية ، وأنهم أنواراً أبصارهم ^(٥) وقلوبهم قووا بها على الرؤية .

وقد رأيت نحو هذا للمالك بن أنس رحمه الله ؛ قال : لم ير في الدنيا ؛ لأنه باق ، ولا يرى الباقي بالفاني ؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقيةً رُئِيَ الباقي بالباقي . وهذا كلام حسن مَلِيح ، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة ^(٦) ؛ فإذا قوى الله تعالى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ ^(٧) الرؤية لم يَمْتَنِعْ في حقّه .

وقد تقدّم ما ذكر في قوة بصير موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية مُنْحَاها ^(٨) لإدراك ما أدركاه ، ورؤية ما رآياه . والله أعلم .

(١) ما لم تقدره لي : في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية ، لما غشيه من أنوار عظمته حتى صمق .

(٢) وكونها متغيرة : ولكون التراكيب والقوى متغيرة بالازدياد والضعف .

(٣) غرضاً : هدفاً . وفي أ : عرضاً - بالعين المهملة . وفي هامش أ : وكونها متعرضة . وعليها علامة الصحة .

(٤) في أ : ثانية . وفي ب : ثانية ، وثابتة ، وعليها « مما » .

(٥) أى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي .

(٦) ضعف القدرة : أى البشرية في الدنيا .

(٧) الأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل الثقيل . (٨) منحأها : أعطياها .

وقد ذكر القاضي أبو بكر ^(١) - في أثناء أجوبته عن الآيتين ^(٢) - ما معناه :
إن موسى عليه السلام رأى الله ؛ فلذلك خرَّ صَعَقاً ^(٣) ، وإن الجبل رأى ربه فصار ^(٤)
دكاً يادراك خاقه الله . واستنبط ^(٥) ذلك ، والله أعلم ، من قوله ^(٦) : ﴿ وَالسَّيِّئِينَ
انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسُوقَ تَرَانِي ﴾ .

ثم قال ^(٧) : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .
وتجليُّه للجبل هو ظهوره له حتى رآه - على هذا القول ^(٨) .
وقال جعفر بن محمد : شغله بالجبل حتى تجلَّى ^(٩) ، ولولا ذلك لامت صَعِقاً
بلا إفاقة ^(١٠) .

وقوله هذا يدلُّ على أنَّ موسى رآه ^(١١) .
وقد وقع لبعض المفسرين - في الجبل - أنه رآه ، وبرؤية الجبل له ^(١٢) استدلَّ
مَنْ قال برؤية محمدٍ نبيِّنا له ^(١٣) ؛ إذ جعله دليلاً على الجواز .

(١) يعنى الباقلاني ، لأن القاضي أبا بكر بن العربي معاصر للمصنف ؛ إذ مولده سنة ثمان
وستين وأربعمائة . ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسة . ومولد المصنف سنة ست وسبعين
وأربعمائة ، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسة (هامش ب ، وشرح القاري : ١ - ٤٢٧) .
(٢) الآيتان هما : « لا تدركه الأبصار » . و « لن تراني » .

(٣) صعقا : منشيا عليه .

(٤) فصار دكا : انهد حتى صار ترابا من هيبة الله .

(٥) واستنبط : استخرج .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٧) على هذا القول : أي قول أبي بكر الباقلاني السابق بأن موسى والجبل رأياه معا .

(٨) تجلَّى : ظهر ظهورا تاما لموسى عليه السلام .

(٩) بلا إفاقة : من صعقته وغشيه .

(١٠) رآه : كالجبل ، لأنه معنى التجلَّى ؛ لأنه لا يقال تجلَّى له إلا إذا شاهده .

(١١) له : لله عز وجل . وإنما ذكره ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار .

ولا مِرْيَة في الجواز^(١)؛ إذ ليس في الآيات نصٌّ بالمنع .
وأما وجوبه^(٢) لنبيينا صلى الله عليه وسلم ، والتَّوَلُّ بأنه رآه بعينه - فليس فيه قاطع^(٣) أيضا ولا نصٌّ ؛ إذ المَعْوَلُ فيه على آيتي «النَّجْم»^(٤) ، والتنازعُ فيهما مأثور^(٥) ، والاحتمالُ لهما مُمكن ، ولا أثرَ قاطعٍ مُتَوَاتِرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .
وحديثُ ابن عباس^(٦) خَبَرٌ عن اعتقاده لم يُسَنِّدهُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيجِبُ العملُ باعتقاده مُضْمَنَةً^(٧) .

ومثله حديثُ أبي ذَرٍّ في تفسير الآية^(٨) .
وحديثُ معاذ^(٩) محتملٌ للتأويل ، وهو مضطرب الإسناد والمُتَن .
وحديثُ أبي ذَرٍّ الآخر مختلفٌ محتملٌ مُشْكِلٌ . فرُوى : نورٌ أُنِيَ^(١٠) أَرَاه .

- (١) لامرية : لا شك . في الجواز : أى جواز الرؤية .
- (٢) وأما وجوبه : أى وجوب وقوع رؤيته لربه في الإسراء بعين رأسه .
- قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٢٢) : الظاهر أن يقال : إن الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحي ؛ لأنه لو ورد مصرحاً به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ، ولا يسع أحداً من أهل الملة أن يخالف فيه . أو هو الوجوب بمعناه اللغوي ، وهو الوقوع .
- (٣) فليس فيه قاطع : أى دليل قطعي .
- (٤) آيتي النجم : هما : ما كذاب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى .
- (٥) والتنازع فيهما مأثور : أى النزاع في المراد منها منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين .
- (٦) الذي ذكر فيه أنه رآه بعينه . وقد تقدم .
- (٧) مضمته : أى ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعينه .
- (٨) الآية هي آية سورة النجم . وحديث أبي ذر الغفاري رواه مسلم (١٦١) : قال : سألته صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نوراً . . .
- (٩) حديث معاذ : إني رأيت ربِّي في أحسن صورة .
- (١٠) أنى أراه : كيف أراه ؛ أى رأيت نوراً غشيتني فكيف أرى ذات الله ، وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة . وحديثه هذا في صحيح مسلم : ١٦١ هذا ما قاله الحفاجي . وقال القاري (١ - ٤٢٨) : أى قوله : رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه .

وحكى بعضُ شيوخنا أنه رُوى : نَوَرَ أَنَّى أَرَاهُ^(١) .

وفي حديثه الآخر: سألتُه ، فقال: رأيتُ نوراً . وليس يمكن الاحتجاجُ بواحدٍ^(٢) منها على صحةِ الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ رأيتُ نوراً فهو قد أخبر أنه لم يرُ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله .

وإلى هذا يرجعُ قوله: نور أنَّى أَرَاهُ؛ أى كيف أراه مع حجابِ النور المُغشى^(٣) للبصر ؛ وهذا مثلُ [١٦٧] ما فى الحديث الآخر : حجابُهُ النُّورُ^(٤) .

وفي الحديث الآخر : لم أره بعينى ، ولكن رأيتُهُ بقلبي مرتين ، وتلا^(٥) : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ . والله قادرٌ على خَلْقِ الإدراك الذى فى البَصَرِ فى القلب ، أو كيف شاء ، لا إلهَ غيره .

فإن ورد حديثُ نصٍّ بينٍ فى الباب ، يُتَقَدُّ ووجب المَصِيرُ إليه^(٦) ؛ إذ لا استِحْجَالَةَ فيه ، ولا مانع قطعى يردُّه ، والله اَنُوفِقُ^(٧) .

(١) فى نسيم الرياض : قال المصنف فى شرح مسلم : هذه الرواية لم تثبت . وفى (ب) ضبطت النون بالضمّة . (٢) فى ب : منهما . (٣) المغشى للبصر : السائر والمانع له من الرؤية . (٤) فى نسيم الرياض (٢ - ٣٢٥) : هذا الحديث رواه مسلم ، والطيالسى ، والبخارى ، عن أبى موسى الأشعرى ؛ وهو : إن الله لا ينام ، ولا ينفى له أن ينام ، ولكنه يخفّض القسط ويرفعه ، ويرفع عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابُه النور ، لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وهو فى صحيح مسلم : ١٦٢ (٥) سورة النجم ، آية ٩

(٦) ووجب المصير إليه ؛ أى وجب علينا أن نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه .

(٧) قال القارى فى شرحه (١ - ٤٣٠) : أقول ، والله سبحانه وتعالى أعلم : إنه يمكن الجمع بين الأدلة فى هذه المسألة المشككة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار تجلّى الصفات ، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلّى الذات ؛ إذ التجلّى للشيء إنما يكون بالكشف عن حقيقته ، وهو محال فى حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحياطته ، كما يدل عليه قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . وقوله سبحانه وتعالى : لا يحيطون به علماً .

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة^(١) مِنْ مُنَاجَاتِهِ^(٢) لله تعالى وكلامه معه بقوله^(٣) : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ - إلى ما تَضَمَّنَتْهُ الأحاديثُ - فَاكْتَرُ الْمُفْسِرِينَ عَلَى أَنَّ الْمَوْحَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيلَ ، وَجِبْرِيلُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَذُوذًا^(٤) مِنْهُمْ ؛ فَذَكَرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ، قَالَ : أَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِبَلَا وَاسْطَةِ^(٥) ، وَنَحْوَهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ ؛ وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ - أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ .

وَحُكِيَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَحِكْوُهُ عَنْ ابْنِ مَسْمُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأُنْكَرَهُ آخَرُونَ^(٦) .

وَذَكَرَ النَّقَّاشُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي قِصَةِ الْإِسْرَاءِ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ^(٧) : ﴿ دَنَا فَنَدَلْتَنِي ﴾ - قَالَ : فَارْقَنِي جِبْرِيلَ^(٨) ، وَانْقَطَعَتِ الْأَصْوَاتُ عَنِّي ، فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ : لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ^(٩) يَا مُحَمَّدُ ، اذْنُ ، اذْنُ^(١٠) .

(١) في هذه القصة ؛ أى قصة الإسراء .

(٢) من مناجاته لله ؛ أى مخاطبته له ومحادثته . (٣) سورة النجم ، آية ١٠

(٤) إلا شذوذاً : إلا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوا .

(٥) أوحى إليه بلا واسطة : أى كلم الله محمداً بلا واسطة ملك أو غيره ، فالمراد بالوحي

هنا الكلام . (٦) وأنكره : أى أنكر تكليم الله له بلا واسطة قوم آخرون .

(٧) سورة النجم ، آية ٨

(٨) فارقني جبريل : أى تخلف عني في مقام معين ؛ لأن له مقاماً لا يتعداه .

(٩) الروع : الخوف ؛ أى ليذهب خوفك . أوهى بضم الراء . والروع : القلب . والمراد

ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف .

(١٠) اذن : أى تقدم ، وادخل إلى حظائر القدس ؛ وإنما قال له ذلك تشريفاً له ، وإعلاء

لمنزلته ، وتأنيساً لاستيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات ، ولعلك أمره باطمئنان قلبه أولاً ، وكرر أمره تأكيده .

وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه .

وقد احتجوا في هذا ^(١) بقوله تعالى ^(٢) : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۖ ﴾ فقالوا ^(٣) : هي ثلاثة أقسام : من وراء حجاب ^(٤) كتكليم موسى ؛ وبإرسال الملائكة ^(٥) كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم . الثالث : قوله : وَحْيًا ^(٦) ، ولم يَتَّقَ من تقسيم الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ^(٧) .

وقد قيل : الوحي هنا ^(٨) : هو ما يُلقِيهِ في قلب النبي دون واسطة .

وقد ذكر أبو بكر البرار ، عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية : فذكر فيه : فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر - فقيل لي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر . وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ^(٩) .

ويجىء الكلام في مُشْكِل هذين الحديتين في الفصل بعد هذا مع ما يُشهِمُهُ .
وفي أول فصل من الباب منه .

(١) احتجوا في هذا : أي استدلوا على أنه تعالى كلمة بلا واسطة .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥١

(٣) هي : أي أقسام الكلام المثبتة في هذه الآية .

(٤) أي يسمع كلامه من غير واسطة ، وهو لا يراه .

(٥) وبإرسال الملائكة إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي أوحاه إليهم .

قال القاري (١ - ٤٣١) : الأظهر « الملك » - بصيغة الإفراد ؛ لأن المشهور أن جبريل هو

صاحب الوحي . (٦) قوله : وحيا ؛ أي إلقاء في قلبه بإلهام ونحوه .

(٧) مع المشاهدة : أي معانية المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من

الرؤية ؛ فيخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم .

(٨) أي في الآية السابقة . (٩) قد تقدم : إلا قوله : حي على الصلاة . حي على الفلاح .

وكلامُ الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وَمَنْ اخْتَصَّه مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، جَائِزٌ غَيْرُ مَمْتَنَعٍ عَقْلًا ، ولا ورد في الشَّرْعِ قاطعٌ^(١) يمنعه ، فإنَّ صَحَّ في ذلك خبر احتِمِلَ^(٢) عليه ، وكلامه تعالى لموسى كائنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ به ، نَصٌّ ذلك في الكتاب^(٣) ، وأكَّده بالمصدر^(٤) دلالةً على الحقيقة ، ورفَّع مكانه^(٥) على ما رُود في الحديث : في السماء السابعة^(٦) بسبب كلامه^(٧) . ورفَّع محمدًا فوق هذا كله حتى بلغ مَسْتَوًى ، وسمِعَ صَرِيْفَ الأَقْلَامِ^(٨) ؛ فكيف يستحيل في حقِّ هذا أو يَبْعُدُ سَماعُ^(٩) الكلام ؛ فسبحانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شاءَ بما شاءَ ، وجعل بعضهم فوق بعضٍ درجات !

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : من الدُّنُوِّ والقُرْبِ من قوله^(١٠) : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(١١) . فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى^(١٢) - وأَكْثَرُ المفسرين أنَّ الدُّنُوَّ

- (١) قاطع : دليل قطعى يمنعه . (٢) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : خ : اعتمد .
- (٣) في الكتاب : في القرآن الكريم في قوله تعالى : وكلم الله موسى تكليمًا .
- (٤) وأكَّده بالمصدر : أى أكَّده الله تعالى . والمصدر : هو « تكليمًا » ، والتأكيد بالمصدر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليمًا » لدفع الشك .
- (٥) رفع مكانه : أى مكان موسى . (٦) على بعض الروايات ، وقد سبق أنه في السماء السادسة .
- (٧) بسبب كلامه : أى سبب رفَّعته عليه السلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا .
- (٨) صريف الأقلام : صوتها عند الكتابة .
- (٩) سماع الكلام : من كلام الله تعالى بغير واسطة .
- (١٠) سورة النجم ، آية ٨ ، ٩ .
- (١١) الدنو : القرب . والتدلى : الامتداد من علو إلى أسفل ، كما يليق الدلو في البئر . هذا أصله ، ثم استعمل في القرب من علو حسا ، أو معنى .
- (١٢) فكان قلب قوسين : القاب : ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه . ولكل قوس قابان . وقيل معناه : قدر . وقيل : هى هنا الذراع ؛ لأنه يقاس به ؛ فالمنى قدر ذراعين . وكان قَاب قَوْسَيْنِ : أى الله تعالى .

والتدلى مُنْقَسِم ما بين محمد وجبريل عليه السلام ، أو مختصُّ بأحدهما من الآخر ^(١) ،
أو من السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى ^(٢) .

قال الرازي : وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدلى مِنْ رَبِّهِ .

وقيل : معنى [٦٨] دنا قَرُب ، وتدلى زاد في القُرْب . وقيل : هما بمعنى واحد ،
أى قَرُب ^(٣) .

وحكى مَكِّي ، والماوردي - عن ابن عباس : هو الرَّبُّ دنا محمد ، فتدلى ^(٤)
إليه ؛ أى أَمَرُهُ وَحُكْمُهُ .

وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عَبْدِهِ محمد صلى الله عليه وسلم ، فتدلى ؛
فَقَرَّبَ مِنْهُ ، فأراه ما شاء أَنْ يُرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعِظَمَتِهِ .

قال : وقال ابن عباس : هو مقدّم ومؤخّر ^(٥) : تدلى الرَّفْرَفُ ^(٦) فحمد صلى الله
وسلم ليلةَ المِعْرَاج ، فجلس عليه ، ثم رُفِعَ فدنا من رَبِّهِ .

قال : فارقني جبريل ، واندتطعت عنى الأصوات ، وسمعتُ كلامَ ربى عزّ وجل .
وعن أنس فى الصحيح : عَرَجَ بى جبريلُ إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، ودنا الجُبَّارُ

(١) أى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجبريل ؛ وللعنى دنا وتدلى محمد من جبريل ؛
أو دنا وتدلى جبريل من محمد . وفى هامش ب : دون الآخر .

(٢) أى يختص الدنو والتدلى من السدرة ، لامن الآخر .

(٣) ودنوه منه : كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه ما لم يقيس لغيره .

(٤) فتدلى إليه : أى نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم . أو نزل إليه صلى الله عليه وسلم

كما قال القارى . قال (١ - ٤٣٤) : والأنسب فى معناه : قرب الرب منه فتقرب إليه .

(٥) مقدّم ومؤخّر : أى أصله فتدلى فدنا .

(٦) الرفرف : البساط مطلقا . وقيل : البساط الأخضر . وقيل : ما كان من الديباج

والمراد به مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق (نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٤)

رَبُّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ ^(١) مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ ،
فَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً ... وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : هُوَ ^(٢) مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ ، فَسَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ .

قَالَ : وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ ^(٣) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَالِدُنُو مِنْ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ ^(٤) ، وَمِنْ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ ^(٥) .

وَقَالَ أَيْضًا : انْفَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُو ^(٦) ، أَلَا تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلُ

عَنِ دُنُوهِ ^(٧) ، وَدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا أُوْدِعَ ^(٨) قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ ،

فَتَدَلَّى بِسُكُونٍ قَلْبُهُ إِلَى مَا أَدْنَاهُ ^(٩) ، وَزَالَ عَنِ قَلْبِهِ الشُّكُّ وَالْارْتِيَابُ ^(١٠) .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ ^(١١) - : اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُو وَالْقُرْبِ هُنَا

مِنْ ^(١٢) اللَّهِ ، أَوْ إِلَى اللَّهِ - فَلَيْسَ بِدُنُوٍّ مَكَانٍ ، وَلَا قُرْبٍ مَدًى ^(١٣) ؛ بَلْ كَذَا ذَكَرْنَاهُ -

(١) حَتَّى كَانَ رَبُّ الْعِزَّةِ .

(٢) فِي ١ ، ب . هُوَ ؛ أَيْ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ دَنَا .

(٣) أَيْ مَقْدَارُ قَابِ قَوْسَيْنِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ .

(٤) أَيْ الدُّنُو مِنْ جَانِبِ اللَّهِ لَيْسَ دُنُوًّا مَكَانِيًّا مَحْدُودًا بِحَيْزِ كَالْأَجْسَامِ ؛ بَلْ دُنُوٌّ مَعْنَوِي .

(٥) وَمِنْ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ لِلْمَكَانِيَّةِ الْحَاصِرَةِ لَهُمْ .

(٦) عَنِ الدُّنُو : مِنْ جَانِبِ اللَّهِ ؛ أَيْ دُنُوٌّ مِنْ عِبَادِهِ ، لَيْسَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ ، وَحَالَةٌ

مَحْمُورَةٌ ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْنَوِي غَيْرٌ مَحْسُوسٌ .

(٧) عَنِ دُنُوهِ : إِلَى رَبِّهِ .

(٨) فِي ١ : مَا أُوْدِعَ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ بِالْبَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَفِي بِ بِالْبَاءِ لِلْمَعْلُومِ ، وَبِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ

وَعَالِيهَا « مِمَّا » .

(٩) إِلَى مَا أَدْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ لَمَّا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ .

(١٠) وَالْارْتِيَابُ فِي أَنَّهُ هَلْ يَصِلُ إِلَى حَضْرَةِ الْقُرْبِ وَيَنَالُ إِتَاقَتَهُ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ وَيَتَرَقَّى

إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ، فَأَنْجَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنِيَّتَهُ .

(١١) هُوَ الْمُؤَلِّفُ . (١٢) هُنَا : فِي هَذِهِ الْآيَةِ . (١٣) مَدًى : غَايَةٌ أَوْ نِهَايَةٌ .

عن جعفر الصادق : ليس بدنؤ حدّ، وإنما دنؤ النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقُربه منه إبانة^(١) عظيم منزلة، وتشريف رُتبته، وإشراق أنوار معرفته^(٢)، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مبرة^(٣) وتأنيس^(٤)، وبسط^(٥)، وإكرام^(٦)، ويُتأوّل فيه ما يتأوّل في قوله : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا^(٧) - على أحد الوجوه : نزول إفضال وإجمال^(٨)، وقبول وإحسان .

قال الواسطي : مَنْ تَوَهَّم أَنَّهُ بِنَفْسِهِ^(٩) دَنَا جَعَلَ نَفْسَهُ مَسَافَةً^(١٠)، بَلْ كَلَّمَ دَنَا^(١١) بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بَعْدًا^(١٢) - يَعْنِي عَنِ دَرَكِ حَقِيقَتِهِ ؛ إِذْ لَا دَنُوَ لِلْحَقِّ وَلَا بَعْدُ^(١٣) .

وقوله : « قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » - فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ ، لَا إِلَى جَبْرِيلَ عَلَى^(١٤) هَذَا - كَانَ عِبَارَةً عَنْ نَهَايَةِ الْقُرْبِ ، وَلُطْفِ الْحُلِّ^(١٥) ، وَإِيضَاحِ

(١) إبانة : إظهار . (٢) أى إظهار آثار معرفة الله عليه . (٣) مبرة : قبول وإحسان .

(٤) وتأنيس : لطف به يذهب استيحاظه لما انقطعت عنه الأصوات وغاب أليفه وهو جبريل -

(٥) وبسط : توسعة ومسرة . والمراد تأنيسه بما يسره من مخاطبته صلى الله عليه وسلم .

(٦) أى كما أول النزول المسند إلى الله تعالى في حديث أبي هريرة رضى الله عنه المتفق على

صحته أنه صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل

الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ؛ من يستغفرني فأغفر له بالإقبال

عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم ، ومغفرة ذنوبهم ، ، وإفاضة مواهبه عليهم .

(٧) وإجمال : أى فعل جميل بهم على عادته .

(٨) بنفسه دنا : دنوا حقيقيا محسوسا بذاته ، لادنو لطف وإكرام . (٩) ثم : هناك .

(١٠) دنا أحد من المخلوقات . من الحق : تعالى . وفى ب : كل ما - برفع كل .

(١١) تدلى بعدا : نزل من علو إلى أسفل ، لبعده عما قصده .

(١٢) لا دنو للحق ولا بعد : بالمعنى المسكفى ، لاستحالة ذلك عليه تعالى .

(١٣) على هذا التأويل السابق .

(١٤) ولطف المحل : أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار .

المعرفة^(١) ، والإشراف على الحقيقة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحفي^(٢) ، وإنافة^(٣) المنزل والمرتبة من الله له .
وَيَتَأَوَّل فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ^(٤) : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا^(٥) ،
وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً^(٦) ؛ قُرْبُ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولُ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ
وَتَعْجِيلٌ لِلْمَأْمُولِ^(٧) .

فصل

في ذكر تفضيله في القيامة^(٨) بخصوص الكرامة

حدثنا [القاضى]^(٩) ، أبو على ، حدثنا أبو الفضل ، وأبو الحسين ؛ قال :
حدثنا أبو يعلى السنجي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ،
عن أنس رضى الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦٩] : أنا أولُ

(١) وإيضاح المعرفة الإلهية لمن خصه برفعة المنزلة من خاص عباده . وفي ١ : واتضح المعرفة .

(٢) وإظهار التحفي : المباعدة في البر .

(٣) إنافة : إعلاء ورفع .

(٤) في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التثليل (صحيح مسلم: ٢٠٦١) .

(٥) من تقرب مني : من أطاعنى وسمى في امتثال أوامرى .

(٦) هرولة : هى المشى والجرى بسرعة . والمراد أنى أعجل له جزائى وأوصل إليه إحسانى سريعا .

(٧) هذا بعض من حديث قدسى صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه . وهو بتمامه

في نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٨

(٨) أى : خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة

والسلام . (٩) ليس فى ١ .

الناس خروجا إذا بُعثوا^(١)، وأنا خطيبهم إذا وفدوا^(٢)، وأنا مبشرهم إذا أيسوا^(٣)؛
لواء الحمد بيدي^(٤)، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر^(٥).

وفي رواية ابن زحر، عن الربيع^(٦) بن أنس - في لفظ هذا الحديث : أنا أول
الناس خروجا إذا بُعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا^(٧)،
وأنا شفيعهم إذا حُبِسوا^(٨)، وأنا مبشرهم إذا أبلِسوا^(٩)؛ لواء الكرم بيدي،

(١) إذا بُعثوا : إذا خرجوا من قبورهم إلى المحشر .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث انفرد به الترمذی ، وقال : إنه حسن غريب . سنن
الترمذی : ٥ - ٥٨٥

(٢) إذا وفدوا : إذا قدموا على الله ، وقاموا بين يديه للحساب . وأصل الوفد : الجماعة
تقدم إلى من لهم فيه رجاؤه وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم . ولما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الشفيع للشفيع في المحشر ، للأذن له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في المجمع
على عادتهم ؛ إذ لكل وفد خطيب غالبا .

(٣) مبشرهم : بالخلاص من المحشر وطول موقعه . إذا أيسوا : إذا يسوا من النجاة من
شدة ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة ، وبلغت القلوب الحناجر .

(٤) أى يوم القيامة ، ليعرفه صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف ، واللواء معروف :
هو لواء حقيق ؛ قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٣٩) : سمى لواء الحمد ، لأنه حمد الله بحماده
لم يحمد به غيره . فهو إشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده . وفي الترمذی :
لواء الحمد يومئذ بيدي .

(٥) ولا فخر : أى أنا لا أذكره للفخر ؛ بل للتحدث بنعم الله ؛ أولا أفخر بهذا ؛
إذ لى عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا . (٦) فى ب : عن أنس .

(٧) الإنصات : السكوت ؛ أى أنا المتكلم بين يدي ربي في أمرهم والشفاعة لهم وقد
سكتوا ولم يطبقوا نطقا لحيرتهم .

(٨) إذا حبسوا فى الموقف ، واضطربوا ، وفزعوا للأنبياء ؛ فقال كل منهم : نفسى ،
نفسى ، فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى فى فصل القضاء .

(٩) مبشرهم إذا أبلسوا : مبشرهم : أى بالخلاص من هول الموقف ، والحبس فيه . أبلسوا :
انقطعت حاجتهم ، وتحيروا وسكتوا لياسهم من النجاة . وفى ا : أبلسوا - بالبناء للمعلوم . وفى
النهاية . أبلسوا : تحيروا .

وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ ؛ وَيَطُوفُ عَلَى أَلْفِ خَادِمٍ ^(١) كُنْهِمَ لَوْلَوْ مَكْنُونٌ ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٣) : وَأَكْسَى حَلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقْوَمُ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ ^(٤) يَقُومُ ذَلِكَ الْإِتِمَامَ غَيْرِي .

وعن أبي سعيد ^(٥) ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا نَبِيٌّ ^(٦) يَوْمَئِذٍ ، فَمَنْ سِوَاهُ ، إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ ^(٧) عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ .

وعن أبي هريرة ^(٨) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ ^(٩) وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ^(١٠) .

وعن ابن عباس ^(١١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ

(١) أَى فِي الْجَنَّةِ . قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

(٢) مَكْنُونٌ : مَحْفُوظٌ مَسْتُورٌ لَمْ تَمْسُ الْأَيْدِي ، فَهُوَ كُنْيَاةٌ عَنْ كَوْنِهَا بِكَرَاذَاتٍ بِهِاءٍ ، لَمْ يَرِ مِثْلُهَا . (٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ . سَنَنِ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٥٨٥

(٤) الْخَلَائِقُ : جَمْعُ خَلِيقَةٍ ؛ أَى جَمَاعَاتٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ .

(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ . سَنَنِ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٥٨٧

(٦) هَذَا فِي أ ، ب ، وَالتِّرْمِذِيُّ . وَفِي هَامِشٍ أ : وَمَا مِنْ نَبِيٍّ . وَضَطَبْتُ كَلِمَةَ « آدَمَ »

بِفَتْحِ الْمِيمِ فِي ب .

(٧) تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ : أَى يَوْمَ تَبْعَثُ الْقُبُورَ وَتَنْشَقُّ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

(٨) فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٧٨٢

(٩) أَى أَشْرَفَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي يَوْمٍ لَا يَسْوَدُ فِيهِ غَيْرِي .

(١٠) أَوَّلُ شَافِعٍ : يَشْفَعُ لِلنَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ . وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ : أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ ،

وَتَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ .

(١١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالدَّارِمِيُّ : سَنَنِ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٥٨٨ ، وَقَالَ : قَالَ

أَبُو عِيْسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ ، وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلْقَ (١) الْجَنَّةِ ،
فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُهَا (٢) وَمَعِيَ فَقَرَاهُ (٣) الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .

وعن أَنَسٍ : أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يُشَفِّعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا (٤) .
وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَتَدْرُونَ بِمَ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - وَذَكَرَ حَدِيثَ
الشَّفَاعَةِ (٦) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَطْمَعُ (٧)
أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وفي حَدِيثٍ آخَرَ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى فِيكُمْ (٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ !
ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي (٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَمَّا إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : أَنْتَ دَعَوْتَنِي وَذَرَّيْتَنِي (١٠) ،

(١) حَلْقٌ : جَمْعُ حَلْقَةٍ .

(٢) هَذَا فِي ب . وَفِي أ : فَيَدْخُلُهَا ، وَفِي هَامِشِهِ : فَأَدْخُلُهَا وَمَعِيَ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَةِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ : فَيَدْخُلْنَهَا .

(٣) الْمُرَادُ بِالْفُقَرَاءِ : الْفُقَرَاءُ الصَّابِرُونَ .

(٤) يَعْنِي أَنَّ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ .

(٥) كَمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٨٤

(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٣٤٢) : وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ هُنَا ، لِأَنَّهُ سَيَأْتِي

فِي بَابِ الشَّفَاعَةِ .

(٧) أَطْمَعُ : أَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى طَمَعًا وَرَجَاءً حَقَّقَهُ لِي .

(٨) فِيكُمْ : مُحْشُورَانِ مِنْ جَمَلَتِكُمْ وَمُحْشُورَانِ مَعَكُمْ .

(٩) فِي أُمَّتِي : أَيِ يَمْدَانِ فِيهَا .

(١٠) أَمَّا دَعْوَتُهُ فَقَوْلُهُ : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ ؛ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ .

فاجعلنى من أمتك . وأما عيسى فالأنبياء إخوة^(١) بَنُو عَالَتٍ ، أمهاتهم شتى ؛ وإنَّ عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى^(٢) ، وأنا أولى الناس به^(٣) .

قوله^(٤) : أنا سيّدُ الناسِ^(٥) . يوم القيامة : هو سيّدُهم فى الدنيا ، ويوم القيامة . ولكن أشار^(٦) صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسُّودِ والشِّعَابَةِ دون غيره ؛ إذ لجأ الناسُ إليه فى ذلك^(٧) ، فلم يجدوا سِوَاهُ .

والسيّدُ : هو الذى يلجأُ الناسُ إليه فى حوائجهم^(٨) ؛ فكان حينئذ سيّدا مُنفردا^(٩) من بين البشر ، لم يُرَ أخوه أحدٌ فى ذلك ، ولا ادّعاء ؛ كما^(١٠) قال تعالى^(١١) : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

والمُلْكُ له تعالى فى الدنيا والآخرة ، لكن فى الآخرة انقطعَت دَعْوَى المدعى لذلك فى الدنيا^(١٢) .

(١) أى كالأخوة . والمراد بالعلات : الزوجات الضرائر . والمراد أن الأنبياء بعثوا متفقين فى أصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع .

(٢) لأنه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينها أحد من الأنبياء .

(٣) وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم ، وهو : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة ، الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبى . قال فى نسيم الرياض : وهو حديث صحيح : صحيح مسلم : ١٨٣٧ .

(٤) فى الأحاديث السابقة .

(٥) أشار : أى بقوله هذا - كما تقدم .

(٦) فى ذلك الوقت ، أو ذلك الأمر .

(٧) أى يعتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم .

(٨) حينئذ : أى فى وقت التجاهل إليه . منفردا ؛ أى عن جميع الناس حتى الأنبياء بهذه السيادة .

(٩) أى لمن قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيّد ولد آدم اليوم ، كقوله تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ﴾ ؛ ووجه الشبه أنه خص بالملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به .

(١٠) سورة غافر ، آية ١٦ .

(١١) المراد أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك ظنوا أن لهم ملكا حقيقة ، فلما قهرهم بالموت وكشف النطاء ظهر أنهم عبيد عاجزون ليس لهم من الأمر شيء ؛ فانسكفت الدعاوى .

وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة ؛ فكان سيدهم في الآخرة ^(١) دُونَ دَعْوَى .

وعن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ^(٢) ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَفْتَحُ ^(٣) ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّد .
فَيَقُولُ : بِكَ ^(٤) أَمَرْتُ أَلَّا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ^(٥) ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَوْضِي
مَسِيرَةُ شَهْرٍ ^(٦) ، وَزَوَائِلُهُ سِوَاهُ ^(٧) [٧٠] ، وَمَاؤُهُ أَيْبَضُ مِنَ الْوَرَقِ ^(٨) ، وَرِيحُهُ ^(٩)
أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ^(١٠) ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

وعن أَبِي ذَرٍّ نَحْوُهُ ؛ وَقَالَ : طَوْلُهُ ^(١١) مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ
مِنَ الْجَنَّةِ ^(١٢) .

(١) الأخرى : الآخرة . (٢) في حديث رواه مسلم (صحيح مسلم : ١٨٨) .

(٣) أَسْتَفْتَحُ : أَطْلُبُ الْفَتْحَ بِتَحْرِيكِ الْجَلْقَةِ .

(٤) بِكَ أَمَرْتُ : أَيْ بِسَبِيكِ أَمَرْتُ بِالْفَتْحِ إِذَا قَرَعَ الْبَابَ .

(٥) حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣ .

(٦) الْحَوْضُ : مَجْمَعُ الْمَاءِ ، مَعْرُوفٌ . وَهَذَا الْحَوْضُ الْعَظِيمُ مَخْصُوصٌ بِهِ .

(٧) يَعْنِي أَنَّهُ مَرَبَعٌ . (٨) الْوَرَقُ : الْفَضَّةُ . وَفِي هَامِشٍ ، ب : مِنْ اللَّبَنِ .

(٩) وَرِيحُهُ : وَرَائِحَتُهُ .

(١٠) كِيْزَانُ : السَّكِيْزَانُ : جَمْعُ كَوْزٍ ؛ وَهُوَ إِنَاءٌ صَغِيرٌ يَتَنَاوَلُ بِهِ الْمَاءَ لِلشَّرْبِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ :

كِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ - أَيْ هِيَ تَشْبَهُ نَجُومَ السَّمَاءِ فِي كَثَرَتِهَا ، وَإِثْرَاقِهَا ، وَإِضَاءَتِهَا .

(١١) صحيح مسلم : ١٨٠١ ، طَوْلُهُ : طَوْلُ الْحَوْضِ كَطَوْلِ مَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْبَلَدَتَيْنِ . وَقَدْ

ضَبَطَ عَمَانَ فِي ب بَضَمٍ أَوَّلُهُ وَفَتْحَ اللَّيْمِ . وَضَبَطَ فِي الْبَقْتَحِ الْعَيْنَ وَتَشْدِيدَ الِيمِ . وَهِيَ بَلَدَتَانِ

مُخْتَلِفَتَانِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ . وَأَيْلَةُ : فِي آخِرِ طَرَفِ الشَّامِ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ مَتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْمَدِينَةِ

وَدِمَشْقَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ عَمَانَ مَرَاوِلٌ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمَ (١٨٠١) ضَبَطَ عَمَانَ كَمَا

ضَبَطَ فِي أ . (١٢) يَشْخُبُ : يَنْصَبُ مَعَ صَوْتٍ . وَالْمِيزَابُ : مَسِيلُ الْمَاءِ .

وعن ثوبان مثله ؛ وقال : أحدهما^(١) من ذهب ، والآخر من ورق .
وفي رواية حارثة بن وهب : كما بين المدينة^(٢) وصنعاء .
وقال أنس^(٣) : أيلة وصنعاء .

وقال ابن عمر : كما بين الكوفة والحجر الأسود .
وروى حديث الخوض أيضا أنس ، وجابر ، وسيرة ، وابن عمر ، وعقبة^(٤)
ابن عامر ، وحارثة بن وهب الخزامي ، والمستورد ، وأبو برزة الأسلمي ، وحذيفة
ابن اليمان ، وأبو أمامة ، وزيد بن أرقم ، وابن مسعود ، وعبد الله بن زيد ، وسهل
ابن سعد ، وسويد بن جبلة ، [وأبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وابن بريدة]^(٥) ،
وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله الصنابحي ، وأبو هريرة ، والبراء ، وجندب ،
وعائشة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأبو بكر ، وخولة بنت قيس ، وغيرهم .

فصل

في تفضيله بالحجة والخلة^(٦)

جاءت بذلك الآثار الصحيحة ، واختص على السنة المسلمين بحبيب الله^(٧) ؛
أخبرنا^(٨) أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره ، عن كريمة بنت أحمد^(٩) ،

(١) أحدهما : أحد الميزابين .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٠١ (٣) صحيح مسلم : ١٨٠٠

(٤) حديث عقبة في البخاري : ٧-١١٢ ، وحديث أنس في صحيح البخاري : ٥-٤١

(٥) ما بين القوسين أمامه في هامش ١ : من غير الرواية . وقع في الأم في الطرة دون تعليم

على موضع تخرج منه ، وكان في الطرة تمرض على اسم سويد بن جبلة .

(٦) أي بكونه حبيب الله وخليه . والخلة : الصداقة .

(٧) أي جرى على الألسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله ، لإطلاقه

على إبراهيم عليه السلام . (٨) هذا الحديث مسند عن البخاري - صحيح البخاري : ٥-٤ ، ٥

(٩) عليها علامة الصحة في ١ ، وفي هامشه : محمد .

حدثنا أبو الهيثم ، وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سمعاً عليه ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا عبد بن أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ^(١) ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فليح ، حدثنا أبو النضر ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ^(٢) .

وفي حديث آخر ^(٣) : وإن صاحبكم ^(٤) خليل الله .

ومن طريق عبد الله بن مسعود : وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً .

وعن ابن عباس ^(٥) ، قال : جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ^(٦) ؛ قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ؛ فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجباً ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، اتخذ إبراهيم خليلاً . وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ؛ كله الله تسليماً ^(٧) .

وقال آخر : فعيسى كلمة ^(٨) الله وروحه .

(١) هو الإمام البخاري صاحب الصحيح .

(٢) في نسيم الرياض : هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة . والمعنى : لا أصل في محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلقة ؛ فإنها مختصة بربي ، فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته ؛ وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقديمه عنده .

(٣) وسنن الترمذي : ٥ - ٦٠٦ (٤) يعني نفسه صلى الله عليه وسلم .

(٥) في رواية الدارمي ، والترمذي - سنن الترمذي : ٥ - ٥٨٧

(٦) ينتظرونه : أي ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه .

(٧) أي ليس اتخذ الله إبراهيم خليلاً أعجب من كلام موسى حين ناجاه ربه في الدنيا وكلامه تسليماً ، مع أنه تعالى لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحي .

(٨) سمى عيسى كلمة الله ؛ لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله : كن . والمراد : إذا ذكرتم خليل الرحمن ، وكليمه ، ومعجبتكم من ذلك ، فاذكروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه .

وقال آخر : وآدمُ اصطفاؤه الله .

نفرج عليهم فسلم ، وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجببكم ؛ أن الله تعالى اتخذَ إبراهيمَ خليلاً ، وهو كذلك ^(١) ؛ وموسى نَجِيّ ^(٢) الله ، وهو كذلك ^(٣) ؛ وعيسى رُوح ^(٤) الله ، وهو كذلك ؛ وآدمُ اصطفاؤه الله ، وهو كذلك ؛ ألا وأنا حَبِيب ^(٥) الله ولا فخر ؛ وأنا أولُ شافع وأولُ مُشَفِّع ولا فخر ، وأنا أولُ مَنْ يَحْرُكُ خَلْقَ الجنةِ فيَفْتَحُ الله لى فيَدْخُلُنيها ومعى قُفراء المؤمنين ولا فخر ؛ وأنا أكرمُ الأولين والآخرين ولا فخر .

وفي حديث أبي هريرة ^(٦) رضى الله عنه من قولِ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : إني اتَّخَذْتُكَ خليلاً ، فهو مكتوبٌ في التوراة : أَسْب ^(٧) حبيبُ الرحمن .

(١) وهو كذلك : أى اتخذهُ خليلاً .

(٢) نجى الله : كليمة ، والمناجاة : السكالة .

وضبطت الياء في كلمة « نجى » بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ١ .

(٣) وهو كذلك : أى هو نجى الله وكليمة .

(٤) في سنن الترمذى : وعيسى روح الله وكلمته . وقد ضبطت الحاء في « روح »

بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ١ .

(٥) قرر أولاً ما ذكره من فضائلهم بقوله : هو كذلك ؛ ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم

بقوله : وأنا حبيب الرحمن .

(٦) رواه البيهقي ، وصححه .

(٧) في نسيم الرياض : هى لفظة عبرانية بمعنى أنت . ثم قال : وقيل : إن بعد السين تاء

مشناة فوقية ، ومعناها أنت . وقال القارى (١ - ٤٤٨) : اس : كذا في نسخة صحيحة

من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بمدّها سين مهملة ثم جرة . وفى بعض النسخ

مكتوب بإزائها على الطرة : ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه أن هذه اللفظة وقعت فى الأم

المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمّة ، فحكيها كما وقعت .

وفى ب : انسب محمد . وفى ا : انت حبيب الرحمن ، وقال فى هامش ا : است - كذا

وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم المبيضة بخطه رحمه الله مبهمّة غير جاية فليتها كما وقعت ، قاله =

قال القاضي أبو الفضل^(١) : اُخْتُلِفَ في تفسير الخَلَّةِ ، وأصل اشتقاقها ؛ فقيل : الخليلُ : المنقَطَعُ إلى الله^(٢) الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبة له اختلال^(٣) .
وقيل : الخليلُ المختص^(٤) ، واختار هذا القول غير واحد .
وقال بعضهم : أصلُ الخَلَّةِ الاستصفاء^(٥) : وسُمِّيَ إبراهيم [٧١] خليلَ الله ؛ لأنه يؤايل فيهِ ويُعادي فيه^(٦) ؛ وخَلَّةُ الله له نصرُهُ ، وجَمَلُهُ إماما^(٧) لمن بعده .

وقيل : الخليل : أصله الفقير المحتاج المنقطع^(٨) ، مأخوذ من الخَلَّةِ وهي الحاجة ؛ فسُمِّيَ بها إبراهيم ؛ لأنه قصر حاجته على ربّه^(٩) ، وانقطع إليه بهمّه ، ولم يجعله = ابن جعفر - نقلت من خطه . وفي هامش ب : كذا وقعت هذه اللفظة في طرة الأم للبيضة فحكيت كما وقعت ، وهي بخط المصنف رحمه الله مهمة غير جلية . قال القارى (١ - ٤٤٨) : ولا يبعد أن يكون بالتاء الفوقية في آخر الكلمة ، وهي للربط في الجملة بالفارسية . وفي نسخة ضبط بكسر الهمة وسكون السين المهملة وضم الموحدة . وقيل : بفتح الهمة وسكون السين وضم الشاة فوق ؛ أى أنت .
(١) هو المصنف .

(٢) المنقطع إلى الله : الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله .
(٣) اختلال : خلل ونقص يحتاج إلى جبر وتكميل .
(٤) أى المختص بمن خالاه ، وقال القارى (١ - ٤٤٨) : المختص ؛ أى بوصف الخلة ، سواء كان مشتقا من الخلة - بضم الخاء ، كما سبق ، أو من الخلة - بالفتح ، بمعنى الفقر والحاجة ، من الخلل ؛ إذ كل خليل محتاج إلى أن يسد خلل صديقه .
(٥) الاستصفاء : أى كون محبته ومودته صافية ؛ أى خالصة .
(٦) اللوالة : المحبة : أى لا يجب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ، ولا يفيض إلا أهل المعصية والضلال .

(٧) إماما : مقتدى به ، متبعا لجميع من بعده .

(٨) المنقطع : المنفرد .

(٩) قصر حاجته : أى لم يكن له حاجة إلا إلى ربه ؛ فلا يؤمل نفعاً من غيره .

قَبْلَ غَيْرِهِ^(١) ؛ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيْقِ^(٢) ، لُيْزِمِي بِهِ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : أَمَّا إِنَّكَ فَلَا .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكَ : الْخُلَّةُ : صِفَاءُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي تَوْجِبُ الْاِخْتِصَاصَ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَوَّلُ الْخُلَّةِ الْحُبَّةُ ؛ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ ، وَالْإِلْطَافُ ، وَالتَّرْفِيعُ ، وَالتَّشْفِيعُ^(٤) ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ^(٥) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ . فَأَوْجِبَ لِلْمَحْبُوبِ إِلَّا يُوَاخِذَ بِذُنُوبِهِ .

قَالَ : هَذَا ، وَالْخُلَّةُ أَقْوَى مِنَ الْبِنُوَّةِ ؛ لِأَنَّ الْبِنُوَّةَ قَدْ تَسْكُونُ فِيهَا الْمَدَاوِءُ^(٦) ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٧) : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَعَفُّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَلَا يَبْصَحُ أَنْ تَسْكُونَ عَدَاوَةً مَعَ خُلَّةٍ^(٨) ؛ فَإِذَا تَسَمَّيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(١) وَلَمْ يَحْمَلْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ : لَمْ يَطْلُبْ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يُؤْمَلْ .

(٢) الْمَنْجَنِيْقُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا : آلَةٌ لِرُمَى الْعَدُوِّ ، وَهُوَ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ .

(٣) تَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ : دَخُولُهَا فِي بَاطِنِهَا لِاطْلَاعِهَا عَلَيْهَا وَعِلْمِهَا بِهَا ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا .

(٤) الْإِسْعَافُ : الْإِعَانَةُ وَالنَّصْرَةُ وَالْإِمْدَادُ بِكُلِّ مَا أُرَادَ . وَالْإِلْطَافُ : الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ .

وَالْتَّرْفِيعُ : بِإِعْلَاءِ رَتَبَتِهِ بِالْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ . وَالتَّشْفِيعُ : بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ وَقَبُولِهَا .

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ ١٨

(٦) ضَبَطَتْ التَّاءُ فِي كَلِمَةِ « الْمَدَاوِءُ » بِالْفَتْحَةِ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَةِ فِي أ .

(٧) سُورَةُ التَّغَابُنِ ، آيَةُ ١٤

(٨) لِأَنَّ الْخُلَّةَ ضِدُّ الْمَدَاوِءِ ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ ، بِخِلَافِ الْبِنُوَّةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَلْفُطْرَةً تَقْتَضِي

الْحُبَّةَ لَكِنْ قَدْ تَتَخَافُ لِمَارَضٍ .

بالْخُلَّةِ إِمَّا بَانْقِطَاعِهَا^(١) إِلَى اللَّهِ وَوَقْفِ حَوَائِجِهَا عَلَيْهِ ، وَالانْقِطَاعِ عَنْ دُونِهِ ،
وَالْإِضْرَابِ^(٢) عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ ؛ أَوْ زِيَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهَا^(٣) ،
وَخَفِيِّ^(٤) أَلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا ، وَمَا خَالَ^(٥) بَوَاطِنَهُمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلَهِيَّتِهِ ، وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لَاسْتِصْفَائِهِ^(٦) لَهَا ، وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَنْ سِوَاهِ^(٧) ، حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا^(٨)
حَبٌّ لغيرِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَسَعُّ قَلْبُهُ لِسِوَاهِ^(٩) وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٠) : وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ لَكِنْ
أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ^(١١) : أَيُّهُمَا أَرْفَعُ دَرَجَةً : الْخُلَّةُ ، أَوْ دَرَجَةُ الْحُبِّ ؟
فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سِوَاءً ؛ فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا ، وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ؛ لَكِنَّهُ
خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُحَمَّدًا بِالْحُبِّ .
وَبَعْضُهُمْ قَالَ : دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ ؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٢) :
لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . فَلَمْ يَتَّخِذْهُ .

(١) هَذَا عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْخُلَّةِ : الْحَاجَةُ .

(٢) الْإِضْرَابُ : الْإِعْرَاضُ وَالتَّرْكَ .

(٣) وَهَذَا عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْخُلَّةِ : الْحُبُّ .

(٤) فِي أ : وَخَفِي - بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ . وَفِي ب : وَخَفِي ، وَخَفِي : أَيْ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالْخَاءِ
الْمُعْجَمَةِ ، وَعَلَيْهَا «مَعًا» . وَخَفِي - بِالْخَاءِ : مُسْتَوْر . وَخَفِي - بِالْحَاءِ : زِيَادَةُ مِبَالِغَتِهِ فِي إِكْرَامِهِ .
(٥) خَالَ : تَخَالَ وَدَخَلَ ، وَخَالَطَ .

(٦) اسْتِصْفَاؤُهُ : اخْتِيَارُهُ لَهَا مِنْ دُونِ خَلْقِهِ وَجَعْلُهَا صَفْوَةً لَهُ حَتَّى يَسْتَحَقَّ وَصْفَ الْخُلَّةِ .

(٧) بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِيهَا غَيْرُ مَعْرِفَتِهِ وَجْهِ . (٨) يُخَالِلُهَا : يَدْخُلُ فِي خِلَالِهَا .

(٩) لَا مِثْلَئِهِ بِمَحَبَّتِهِ وَمُشَاهَدَةِ جَلَالِهِ ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ ، وَسِوَى مُرَاقَبَتِهِ .

(١٠) فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ - كَمَا تَقْدِمُ . صَفْحَةُ ٢٨٠ .

(١١) أَرْبَابُ الْقُلُوبِ : أَصْحَابُ الْقُلُوبِ السَّكَّامَةِ الصَّافِيَةِ .

وقد أطلق المحبة لفاطمة ، وابنيهما^(١) ، وأسامه وغيرهم^(٢) .
 وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلّة ؛ لأنّ درجّة الحبيب [نبيّاً]^(٣) أرفع من درجة الخليل إبراهيم^(٤) .
 وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحبّ ؛ ولكن هذا في حق من يصحّ الميل منه والانتفاع بالوفق^(٥) ؛ وهي درجّة المخلوق ؛ فأما الخالق - جلّ جلاله - فنزّه عن الأغراض ؛ فمحبتّه لعبده تمكينه من سعادته^(٦) ، وعصمته وتوفيّقه وتهيئته أسباب القرب^(٧) ، وإفاضة رحمته^(٨) عليه ؛ وقصاها^(٩) كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه^(١٠) ، وينظر إليه ببصيرته ؛ فيكون كما قال في الحديث : فإذا أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به^(١١) .

-
- (١) وابنيها : الحسن والحسين .
 (٢) في ا : وغيرهما . وفي هامشه : وغيرهم ، وعليها علامة الصحة .
 (٣) ليس في ا .
 (٤) فيقتضى أن صفته - وهي المحبة - أفضل من صفة إبراهيم ، وهي الخلّة .
 (٥) الوفق : الموافقة . وفي ضبطت الواو بالضمّة . ولم أقف عليه .
 (٦) تمكينه من سعادته : إقداره على ما يفيد سعادة الدارين بتوفيّقه لطاعته وعبادته .
 (٧) وعصمته : من ارتكاب الذنوب . وتوفيّقه : في أموره يجعلها على وفق رضاه .
 وتهيئته أسباب القرب : ييسر له كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة .
 (٨) إفاضة رحمته عليه : إيصال الخيرات الدنيوية والأخروية اتصالا كثيرا متواليا .
 (٩) قصاها : غايتها .
 (١٠) يراه بقلبه : يعلمه علما يقينيا كالشاهدة المحسوسة .
 (١١) هذا حديث قدسي رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ١٣١ ، ومعناه : إذا صفي قلبه ، وشغل نفسه بالله أحبه الله ؛ ومحبة الله : عنايته ولطفه به ، وإفاضة نعمه على ظاهره وباطنه ، فتسكون حواسه وإدراكها ، وأعضاؤه وحرّكاتها ، كلها متوجّهة لله ، ولما فيه رضاه ، من غير تصنع ومشقة ؛ فيقويه على ذلك ؛ حتى كأن أفعالها صادرة عن الله .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله^(١)، والانتفاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله^(٢)، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه^(٣) القرآن؛ برضاه برضى، وبسخطه بسخط^(٤)؛ ومن هذا عبر بعضهم عن الخلّة بقوله:

قد تخلّت مسلك الروح مني وبذا سُمّي الخليلُ خليلاً
فإذا ما نطقتُ كنتُ حديثي وإذا ما سكّنتُ كنتُ القليل^(٥)

[٧٢] فإذا مزية الخلّة، وخصوصية المحبة حاصلةً لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلّت عليه الآثارُ الصحيحة المنتشرة^(٦)، المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى^(٧): ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حكى أهلُ التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريدُ محمدٌ أن

(١) التجرد لله: أي تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله.

(٢) وإخلاص الحركات لله: ألا يحرك عضواً من أعضائه إلا لعبادته، أو لما يمين عليها.

(٣) أي كانت أخلاقه كلها على وفق ما أمر به في القرآن.

(٤) بسخطه يسخط: أي يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه.

(٥) في نسيم الرياض: وفي رواية: كنت الدخيل. قال: المراد بالليل ما كان داخل

القلب، من قولهم: تغفل المساء بين النبات، إذا جرى تحتها مستترا. والمراد بالدخيل: ما هو داخل القلب والبدن، لا الأجنبي.

(٦) المنتشرة: الشائعة المشهورة.

(٧) سورة آل عمران، آية ٣١.

قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٦٤): ووجه الدلالة في هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه

محبوباً لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقرباً لا يداينيه أحد؛ فلم منه خلته وجبه.

نَتَّخِذْهُ حَنَانًا^(١) كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم؛ فأَنزَلَ اللهُ - غَيْظًا^(٢) لَهُمْ ، وَرَغْمًا^(٣) عَلَى مَقَالَتِهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ^(٤) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، فزاده شرفاً بِأَمْرِهِمْ بِطَاعَتِهِ ، وَقَرَّبَهَا بِطَاعَتِهِ ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ عَلَى التَّوَلَّى^(٥) عَنْهُ بِقَوْلِهِ^(٦) : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقد نقل الإمامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُورْكَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَامًا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ بِطَوَّلٍ^(٧) ، جَمَلَةٌ إِشَارَاتِهِ إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْخُلَّةِ ؛ وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا^(٨) يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ :

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : الْخَلِيلُ يُصِلُ بِالْوِاسِطَةِ^(٩) ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى^(١٠) : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا كَوِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . وَالْحَبِيبُ يُصِلُ لِلْحَبِيبَةِ^(١١) بِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ^(١٢) : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

(١) حَنَانًا : رَحْمَةً . وَالْمُرَادُ : أَنَّ نَعُطِفُ عَلَيْهِ وَنَجْمِلُهُ مَوْضِعَ الْخَنَانِ وَالرَّحْمَةِ ؛ أَيْ نَتَبَرَّكُ بِهِ وَنَتَضَرَّعُ .

(٢) غَيْظًا لَهُمْ : أَيْ لِيَنْفِظَهُمْ وَيَمْلَهُمْ بِنَضْبِهِ عَلَيْهِمْ .

(٣) رَغْمًا : الرِّغْمُ : الدَّلُّ وَالْحَزَى وَالْإِسَاءَةُ ، وَالْمُرَادُ أَذْهَبَهُمْ بِتَوْبِيخِهِمْ وَرَدَّ مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ .

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ٣٢

(٥) التَّوَلَّى عَنْهُ : الْإِعْرَاضُ عَنْ طَاعَتِهِ .

(٦) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ٣٢

(٧) فِي هَامِشٍ ب : تَرْجِعُ . (٨) طَرَفًا : بَعْضًا قَلِيلًا .

(٩) بِالْوِاسِطَةِ : بِتَوْسِطِ آخَرٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلِيلِهِ .

(١٠) سُورَةُ الْإِنْعَامِ ، آيَةُ ٧٥

(١١) أَيْ بِذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ . وَفِي هَامِشٍ أ : إِلَيْهِ بِهِ . وَالتَّثْبِتُ فِيهِ أَعْلَامَةُ الصَّحَّةِ .

(١٢) سُورَةُ النَّجْمِ ، آيَةُ ٩

وقيل : الخليل : الذى تكون مغفرته فى حد الطمع ^(١) ، من قوله ^(٢) : ﴿ والذى أطعم أن يعفّر لى خطيئتي يوم الدين ﴾ . والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين ^(٣) ، من قوله ^(٤) : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويُتمّ نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ .

والخليل قال ^(٥) : ﴿ ولا تُخزنى يوم يُبعثون ﴾ . والحبيب قيل له ^(٦) : ﴿ يوم لا يُخزى الله النبي ﴾ ؛ فابتدىء بالبشارة قبل السؤال ^(٧) .

والخليل قال فى المحنة ^(٨) : ﴿ حسبي الله ﴾ . والحبيب قيل له ^(٩) : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ .

والخليل قال ^(١٠) : ﴿ اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ . والحبيب قيل له ^(١١) : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ، أعطى بلا سؤال .

(١) مغفرته : أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا إلى عفوه عنه - واقعة فى حال يطعم صاحبها فى التجاوز عنها ؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٨٢ (٣) فى حد اليقين : مستيقنة .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢

(٥) سورة الشعراء ، آية ٨٧ ، والخليل : إبراهيم . وسيأتى : والحبيب : محمد .

(٦) سورة التحريم ، آية ٨

(٧) ابتدىء بالبشارة بنى الحزى عنه برؤية ما يسكره قبل سؤاله لذلك .

(٨) المحنة : الابتلاء ، والمراد بذلك قصته مع عمرو حين ألقاه فى النار ، فكانت بردة

وسلاما .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٨

(١٠) سورة الأنفال ، آية ٦٤

(١١) سورة الشعراء ، آية ٨٤

(١٢) سورة الشرح ، آية ٤

والخليلُ قال^(١) : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَابْنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ . والحبيبُ قيل له^(٢) :
﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .
وفيما ذكرناه^(٣) تنبيهٌ على مقصدِ أصحابِ هذا المقالِ مِنْ تفضيلِ المقاماتِ^(٤)
والأحوالِ ؛ وكلُّ يعملُ على شاكلته^(٥) ؛ فربُّكم أعلمُ بمن هو أهْدَى سبيلاً .

فصل

في تفضيله بالشفاعةِ والمقامِ^(٦) المحمودِ

قال الله تعالى^(٧) : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ .

أخبرنا الشيخُ أبو عليّ القسَّاسُ الجبَّاني^(٨) فيما كتب إلى بخطِّه ، حدثنا سِرَاجُ
ابن عبد الله القاضي ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، حدثنا أبو زيد ، وأبو أحمد ؛ قالوا :
حدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ،
حدثنا أبو الأحوص ، عن آدم بن علي ؛ قال : سمعتُ ابنَ عمر يقول^(٩) : إِنْ النَّاسَ

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ (٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(٣) وفيما ذكرنا : من تفسير الحجة والحلة واشتقاقهما والخلاف في أيهما أرفع درجة . . .

(٤) المراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به

من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى المقام الأعلى .

(٥) كل يعمل على شاكلته : لكل أحد طريقة يختارها .

(٦) للراد بالمقام المحمود : كل مقام يتضمن كرامة محمد .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٨) في ١ : حدثنا الجبَّاني .

(٩) هذا الحديث رواه البخاري موقوفاً على ابن عمر : وحديث الشفاعة في صحيح

البخاري : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠ ، وابن ماجه : ١٤٤٠ ، والترمذي : ٤ - ٦٢٨

وأبو داود : ٢ - ٢١٦

وانظر هذه الأحاديث وغيرها في تفسير ابن كثير : ٥ - ٩٨ ، وما بعدها .

يصيرون يوم القيامة جُنًى^(١)، كلُّ أمةٍ تَتَّبِعَ نَبِيَّهَا، يقولون : يا فلانُ ، اشفَعْ لنا ؛ يا فلانُ اشفَعْ لنا^(٢)، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقامَ المحمود .

وعن أبي هريرة : سئل عنها^(٣) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - يعنى قوله^(٤) : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ، فقال : هي الشفاعة^(٥) .

وروى كعبُ بن^(٦) مالك ، عنه صلى الله عليه وسلم : يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ فأكون أنا وأمتي على قُلٍّ ويكسوني ربِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ ، ثم يُؤْذَنُ^(٧) لِي فأقول ما شاء الله أن أقول ؛ فذلك المقامُ المحمود .

وعن ابن عمر [٧٣] رَضِيَ الله عنه - وذكر حديثَ الشفاعةِ - قال : فَيَمْشِي حتى يأخذَ بِمِلْحَمَةِ الْجَنَّةِ ، فيومئذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ المقامَ المحمودَ الذي وَعَدَهُ^(٨) .
وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه^(٩) قِيَامُهُ عن يمينِ العَرْشِ مقاماً لا يَمُوتُهُ غَيْرُهُ ، يَفِيطُهُ^(١٠) فيه الأولون والآخرون .

(١) بضم الجيم - مقصور منون . وجوز كسر جيمه أيضا : جمع جثوة (مثلث الأول) ، وأصله السكوم المجتمع من تراب ونحوه ؛ والمراد يجمعون جماعات ، كل أمة جماعة تابعة لنبيها .
(٢) أى تنادى كل أمة نبيها باسمه ، يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف .
(٣) عنها : عن الآية المذكورة .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٥) هذا الحديث رواه أحمد ، والبيهقي .

(٦) هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (٣ - ٤٥٦) .

(٧) يؤذن لى : يأذن الله لى فى التكلم بين يديه .

(٨) الذى وعده به فى القرآن فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .

(٩) أنه : أى المقام المحمود . ورواه أحمد .

(١٠) الفبطة : تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم ، وكل أمر محمود ، من

غير أن يحب زوالها ؛ فإن أحب زوالها فهو الحسد للذموم

وَنَحْوَهُ عَنْ كَعْبٍ وَالْحَسَنِ .

وفي رواية : هو ^(١) المَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لَأُمَّتِي فِيهِ .

وعن ابن مسعود ^(٢) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لقائم المقام المحمود . قيل : وما هو ؟ قال : ذلك يوم يُنزلُ الله تبارك وتعالى [على كُرْسِيَّةٍ] ^(٣) . . . الحديث .

وعن أبي موسى رضى الله عنه ^(٤) ، عنه صلى الله عليه وسلم : خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ ^(٥) ؛ أَتَرَوْنَهَا ^(٦) لِلْمُتَّقِينَ ؟ لَا ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ ^(٧) .

وعن أبي هريرة ^(٨) رضى الله عنه ؛ قال : قلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَاذَا وَرَدَ ^(٩) عَلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ فَقَالَ : شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، يَصْدُقُ لِسَانُهُ قَلْبُهُ .

وعن أمِّ حَبِيبَةَ ^(١٠) ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُرِيتُ ^(١١) مَا تَلَقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، وَسَفَكَ ^(١٢) بَعْضُهُمْ دَمَاءَ بَعْضٍ ، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلأُمَمِ قَبْلَهُمْ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُوَثِّقَنِي شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ ، ففعل ^(١٣) .

(١) هو : أى المقام المحمود . (٢) فى حديث رواه أحمد فى مسنده .

(٣) ليس فى ب . (٤) هذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه : ١٤٤١

(٥) فى سنن ابن ماجه : لأنها أعم وأكفى .

(٦) أترونها : أقضون الشفاعة خاصة للمتقين .

(٧) فى ابن ماجه : الخطائين للتوئين . (٨) فى حديث صحيح رواه الحاكم ، والبيهقى .

(٩) ماذا ورد عليك : ورد جاء . أى ما أجابك به الله ، أو الملك ، لما سأله الشفاعة فى

أمتك ؟ وفى شرح القارى (١ - ٦٠) : ماذا ورد ؛ من الورد ، أى نزل .

(١٠) فى حديث رواه الحاكم ، والبيهقى .

(١١) أريت : أعلمنى الله ، وأخبرنى بواسطة الملك . (١٢) سفك الدم : إراقته وصبه .

(١٣) فعل : أى أعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه فى المذنبين منهم .

وقال حذيفة^(١) : يجمعُ اللهُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ^(٢) حيثُ يُسمِعهم الداعي ،
وَيُنْفِذهم البصرَ ، حُفَاةً عُرَاةً كما خُلِقُوا ، سُكُونًا لَا تَكَلُّمٌ نَفْسٌ إِلَّا يَأْذَنُه ، فَيُنَادِي
مُحَمَّدٌ فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(٣) ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمُهْتَدِي
مَنْ هَدَيْتَ ، وَعَبْدُكَ^(٤) بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ^(٥) ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجِيَّ مِنْكَ
إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ^(٦) ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ - قال : فذلك المقامُ المحمود
الذي ذَكَرَ الله .

وقال ابنُ عباسٍ رضى الله عنه : إذا دخل أهلُ النارِ النارَ ، وأهلُ الجنةِ الجنةَ ،
فَتَبَقَى آخِرُ زُمَرَةٍ^(٧) من الجنةِ وَآخِرُ زُمَرَةٍ من النارِ ؛ فتقول زمرةُ النارِ لزمرةِ الجنةِ :
مَا نَفَعَكُمُ إِيمَانُكُمْ ، فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضِجُّونَ^(٨) ، فيسمِعهم أهلُ الجنةِ فيسلُونَ
آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ؛ فَكُلٌّ يَعْتَذِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَيُشْفَعُ لَهُمْ ، فذلك المقامُ المحمود^(٩) .

ونحوه عن ابن مسعود أيضا ، ومجاهد .

وذكره عليُّ بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) في حديث رواه البيهقي ، والنسائي .

(٢) في صعيد واحد : في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين . وأصل معنى الصعيد : التراب ؛

فأريد به هنا أرض المحشر .

(٣) أى أحبتك إجابة بعد إجابة ، وأساعذك بطاعتيك ، وأنا مقيم على ذلك لا أنصرف عنه .

(٤) وعبدك : يريد نفسه الشريفة .

(٥) ولك وإليك : أى أمره كله لك ، فإنه عبدك ، وأمره موكلوك إليك .

(٦) تباركت وتعاليت : أكثر خيرك وزاد عن كل شيء ، وعلا قدرك في ذاتك وصفاتك ،

وتزهدت عما لا يليق بك . (٧) الزمرة : الجماعة القليلة .

(٨) وبيضجون : ويرفعون أصواتهم فزعاً مما لحقهم من تمير أهل النار لهم .

(٩) هذا الحديث موقوف على ابن عباس .

وقال جابر بن عبد الله ليزيدَ الفقير ^(١) : سَمِعْتَ بِمَقَامِ ^(٢) محمد - يعنى الذى يبعثه الله فيه ؟

قلتُ : نعم . قال : فإنه مَقَامُ محمدٍ الحمودُ الذى يُخْرِجُ اللهُ به مَنْ يُخْرِجُ - يعنى من النار - وذكر ^(٣) حديثَ الشفاعةِ فى إخراجِ الجهنَّميين ^(٤) .
وعن أنسٍ نحوه ، وقال : فهذا المقامُ الحمودُ الذى وَعِدَهُ .
[وعن سلمان : المقامُ الحمودُ هو الشفاعةُ فى أُمَّته يومَ القيامة .
ومثله عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال قتادة : كان أهلُ العِلْمِ يَرَوْنَ المقامَ الحمودَ هو شفاعةُ يومِ القيامة ؛ وعلى أن المقامَ ^(٥) الحمودَ مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعةِ مذاهبُ السلفِ من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين .

وبذلك جاءت الشفاعةُ مفسَّرةً فى صحيح الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام ؛ وجاءت مقالةً فى تفسيرها شاذَّةً عن بعض السلف ^(٦) ، يجبُ ألاَّ تثبتَ ؛ إذا لم يعضدها صحيحٌ أثرٌ ، ولا سندٌ نظرٌ .

ولو صحَّتْ لكان لها تأويلٌ غيرُ مستنكرٍ ؛ لكن ما فتره النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى صحيح الآثار يردُّه ؛ فلا يجبُ أن يُلتفتَ إليه ، مع أنه لم يأتِ

(١) هذا الحديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٧٩

(٢) سمعت : أى رويت فيه شيئاً يفسره . ورواية مسلم : هل سمعت ؟

(٣) وذكر : أى جابر . والحديث بتمامه فى مسلم : ١٧٩

(٤) المنسوبون للجنم ؛ لأنهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمصائبهم . وهذا بعض الحديث الذى رواه مسلم كما تقدم .

(٥) وعلى أن المقام الحمود : أى وكانوا على أن المقام الحمود . . .

(٦) وهو مجاهد ؛ يقول : إنه يجلسه معه على العرش .

في كتاب ولا سُنَّة ، ولا اتَّفَقَ على المقالِ أُمَّةٌ ؛ وفي إطلاق ظاهره منكرٌ من القول وسُنَّةٌ [١] .

وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما (٢) ، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض : قال صلى الله عليه وسلم : يجمعُ اللهُ الأولين والآخرين يوم القيامة فيَهْتُمُونَ (٣) - أو قال : فيَلْهَمُونَ ؛ فيقولون : لو استشفعنا إلى ربِّنا (٤) .

ومن طريق آخر ، عنه : ما ج (٥) الناسُ بعضهم في بعض . وعن أبي هريرة (٦) : وتَدْنُو الشمسُ (٧) ، فيبلغُ الناسَ من الغَمِّ ما لا يُطِيقون ولا يحتملون ؛ فيقولون : ألا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ ؛ فيأتون آدمَ فيَقُولون ؛ زاد بعضهم : أنتَ آدمُ أبو البشر ، خلقك الله بيده (٨) ، ونفخَ فيك مِنْ رُوحِهِ ، وأسَكَّنَكَ جَنَّتَهُ ، وأسَجَدَ لَكَ ملائِكَتَهُ ، وعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا (٩) ؛ أَلَا تَرَى [٧٤] مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

(١) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة ، وقد أثبت هذه الزيادة القارى في شرحه أيضا : ١ - ٤٦٣

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : وصحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وابن ماجه : ١٤٤٢

(٣) فيَهْتُمُونَ : من الهم والحزن ، أو من العزم والتصميم . ويلهَمُونَ : من الإلهام ؛ أى يلهمهم الله سؤال ذلك .

(٤) لو استشفعنا إلى ربنا : لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في أن يخلصنا من هول هذا للوقف وشدته - وهذا ما تمنوه .

(٥) ما ج الناس بعضهم في بعض : دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم .

(٦) في حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠

(٧) تدنو الشمس : تقرب من رؤوس أهل الموقف . وفي ١ : فتدنو .

(٨) بيده : أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم ولا أب .

(٩) من مكاننا : مكانهم هو المحشر .

فيقول : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَفْضُبْ مِثْلَهُ ^(١) ، ولا يَفْضُبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ،
ونَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ؛ نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .
فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ ^(٢)
عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا ^(٣) ! أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ ؟ فيقول : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَفْضُبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، ولا يَفْضُبْ بَعْدَهُ
مِثْلَهُ ، نَفْسِي ! نَفْسِي !

قال - في رواية أنس : ويذكر خطيئته التي أصاب ^(٤) : سؤاله ربه بغير علم ^(٥) .
وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : وقد كانت لي دعوةٌ دعوتُها على قَوْمِي ؛
اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ .
فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فيقولون : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ^(٦) ، اشفَعْ
لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

فيقول : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا . . . فذكر مثله ؛ ويذكر ثلاث

- (١) أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه ، مريدا إيقاع العذاب القدي في الآخرة
يادخلهم النار؛ وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده؛ فلماذا خاف آدم عليه السلام، وقال: ونهاني...
(٢) في الآية ٣ من سورة الإسراء : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .
على الأصح من أن الضمير راجع إلى نوح . (٣) ما بَلَّغْنَا : ما وصل إلينا منه .
(٤) الأنبياء عليهم السلام معصومون ، ولكن لشدة تعظيمهم لله ، وخوفهم منه ،
يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا ذنبا عظيما ، والمراد بخطيئته ما فسر به بقوله : سؤاله ربه...
(٥) سؤاله هو قوله : « رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق . . . » .
(٦) وخليه من أهل الأرض : أى انقردت من بينهم بالخلقة - كما تقدم .

كلمات كَذَبَهُنَّ^(١) . نَفْسِي ، نَفْسِي ، لَسْتُ لَهَا^(٢) ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ؛ فَإِنَّهُ
كَلِمَةُ اللَّهِ .

وفي رواية : فَإِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ التَّوراةَ ، وَكَلِمَةُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا^(٣) .
قال : فَيَأْتُونَ مُوسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ^(٤) ،
وَقَتْلَهُ^(٥) النَّفْسَ ، نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ .
فَيَأْتُونَ عِيسَى ؛ فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِحَمْدِ عَبْدِ غُفْرَانِ اللَّهِ لَهُ
مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرُ^(٦) .
فَأَوْتَى^(٧) ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا^(٨) .

فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فِإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا .
وفي رواية ، فَأَتَى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَخِرْتُ سَاجِدًا .

(١) هي قوله : إني سقيم - لما دعى إلى الخروج مع قومه . وقوله لزوجه - لما طلبها الملك
منه : إنها أختي . ولقوله في حق الأصنام : لعله كبيرهم . وهذا كله مخالف للواقع ولا اعتقاده .
وهي في الصورة كذبات ، فقد أراد بقوله : إني سقيم : لأن من عاش يسقم أو يهرم
ويموت . وقوله أختي : أختي في الإسلام . وبقوله : فعله كبيرهم : التبكيت ، بدليل قوله : إن كانوا
ينطقون .

(٢) لست لها : لست أهلاً للشفاعة لعمري .

(٣) قربه نجياً : أي جملة قريباً منه ، مناجياً له ، وغاطباً . والقرب ليس مكانياً .

(٤) هي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله : « وما أعجلك عن قومك يا موسى ! »

(٥) هو القبطى الذى استغاثه الإسرائيلى عليه فوكزه موسى فمات .

(٦) غفر الله له كل ما صدر منه مما يماثل عليه ، وإن لم يكن معصية ؛ لمصته من الذنوب .

ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه .

(٧) فأوتى : فأتيتني أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم .

(٨) أنا لها : أنا أهل للشفاعة ، مدخر لها .

وفي رواية : فأقوم بين يديه ، فأحمد بحمده لا أقدر عليها^(١) إلا أن يُلهمنيها الله^(٢) .

وفي رواية : فيفتح الله على من حمده ، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحهُ على أحد قبلي^(٣) .

قال - في رواية أبي هريرة : فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل^(٤) ، تُعطه ، واشفع تشفع ؛ فأرفع رأسي ، فأقول : يارب ، أمتي^(٥) ؛ يارب ، أمتي . فيقول : أدخل من أمتك من لا حساب عليه^(٦) من الباب الأيمن من أبواب الجنة ؛ وم شرَكَه الناس فيما سوي ذلك من الأبواب .

ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل ، وقال - مكانه : ثم آخر ساجدا؛ فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقلْ يُسمع لك ، واشفع تشفع ، وسلْ تُعطه . فأقول : يارب ، أمتي ، أمتي . فيقال : انطلق^(٧) ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برٍّ أو شعبة من إيمان^(٨) فأخرجه ، فأنطلق فأفعل .

ثم أرجع إلى ربي ، فأحمد بتلك الحميد^(٩) . . . وذكر مثل الأول ؛ وقال

(١) لا أقدر عليها : أي لا أحسنها ، ولا أعرف كيفيتها في الدنيا .

(٢) إلا أن يُلهمنيها الله : أي إلا أن يوقعها الله في قلبي بإلهام منه .

(٣) للراد أنه لم يفسر لنبيه من الرسل قبله ولا بعده .

(٤) سل : اسأل ما شئت من الشفاعة وغيرها .

(٥) أي ارحم أمتي ، أو أجمع أمتي .

(٦) من لا حساب عليه : أي خواص المؤمنين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه .

(٧) انطلق : اذهب من مقام الشفاعة للمقرب . . .

(٨) مثقال : موازن ، مواز ، ومقابل ، مقدار ؛ أي من كان في قلبه أقل قليل من الإيمان .

والبرة : حبة من البر ، وهو القمح .

(٩) بتلك الحميد التي ألهمها .

فيه : مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ^(١) . قال : فأفعل ، ثم أرجع ... وَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقْدُمُ ، وقال فيه^(٢) : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنِي أَذْنِي أَذْنِي^(٣) مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛ فَأَفْعَلُ .

وَذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ^(٤) : فَيُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يَسْمَعُ ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ ، وَسَلْ^(٥) تُعْطَى .

فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ^(٦) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قال : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ^(٧) .

وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَاؤِي وَعَظَمَتِي وَجَبْرِيَاؤِي^(٨) لَا أَخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ ؛ قَالَ : فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ^(٩) .

(١) حبة من خردل : حب معروف في غاية الصغر . وهو كناية عن غاية قلة الإيمان .

(٢) كما رواه مسلم في صحيحه : ١٨٣

(٣) أذنى : أقل ، وأصغر .

(٤) في المرة الرابعة : من رجوعه إلى ربه ومراجعته له في الشفاعة ، فإنه وقع مرارا في

رواية البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٤٩

(٥) في ١ : واسأل .

(٦) أي من نطق بكلمة التوحيد .

(٧) ليس ذلك إليك : ليس ذلك مفوضا إليك ، بل إلى .

(٨) العزة : الغلبة والقهر . والكبرياء : الترفع عن الانقياد . والمعظمة : ظهور ذلك وزيادته ،

وجبريائي : وجبروتي .

(٩) في صحيح البخاري (٩ - ١٤٨) : ووجب عليه الخلود ؛ أي لم يبق بعد هؤلاء

الخارجين إلا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ، ولم يؤذن في الشفاعة لهم .

وعن أبي بكر ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد^(١) ، وحذيفة مثله ؛ قال^(٢) :
 فيأتون [٧٥] محمدا فيؤذّن له ، وتأتى الأمانة والرحم فتقومان جنبتي^(٣) الصراط .
 وذكر في رواية أبي مالك^(٤) ، عن حذيفة : فيأتون محمدا فيشفّع ؛ فيضرب^(٥)
 الصراط ، فيمرّون : أولهم^(٦) كالبرق ، ثم كالريح ، والظير ، وشدة الرجال^(٧) ،
 ونبيّكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول : اللهم سلّم سلّم ، حتى يجتاز^(٨)
 الناس . وذكر آخرهم جوازا^(٩) . . . الحديث .

وفي رواية أبي هريرة : فأكون أوّل من يُخَيَّرُ^(١٠) .

وعن ابن عباس ، عنه صلى الله عليه وسلم : يوضعُ للأنبياء منابرٌ يجلسون عليها ،
 ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما^(١١) ، بين يدي ربي مُنتصبا ، فيقول الله تبارك
 وتعالى : ما تريدُ أن أصنعَ بأمتك ؟ فأقول : يا ربّ ، عَجِّل حسابهم ؛ فيُدعى
 بهم ، فيُحاسَبُونَ .

(١) برواية الترمذى : ٥ - ٣٠٨

(٢) قال : أى كل واحد منهم .

(٣) جنبتي : ناحيتي . والأمانة : ضد الخيانة . والرحم : القرابة . يعنى أنهما يمثلان أو يجسمان
 بقدرة الله ، ليشهدا على الخائن ، وقاطع الرحم .

(٤) فى سنن أبي داود : ٢ - ٢١٦

(٥) يضرب الصراط : يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا (شرح القارى : ١ - ٤٧٠) .

(٦) أولهم كالبرق : فى السرعة .

(٧) قال الخفاجى : يروى بالجيم جمع رجل . وبالحاء أى بالرجال : جمع راحلة . والشدة :
 سرعة الجرى . وقال القارى : قد خطئ من رواه بالحاء المهملة .

(٨) يجتاز الناس : يمر الناس .

(٩) وذكر آخرهم جوازا : أى سمى آخر من يمر على الصراط .

(١٠) فهو أول من يجيز أمته من الرسل .

(١١) قائما : أى تاركا جلوسى حال قيامى .

فَنَهُم مِّنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَكَ^(١) بِرَجَالٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، حَتَّى إِنْ خَازِنَ النَّارِ لِيَقُولَ : يَا مُحَمَّد ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أَمْتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ^(٢) .

وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادِ النُّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ^(٣) - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضُ^(٤) عَنْ جُجَعْمَتِهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَعِيَ لَوَاهُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥) ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَخْرَ ، فَأَتَى فَأَخَذَ بِحُلَّةِ الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ؛ فَيُفْتَحُ لِي ، فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى ، فَأَخِرُّهُ سَاجِداً . . . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقْدَّمَ .

(١) صِكَك : جَمْعُ صَكٍّ ، وَهُوَ الْوَرَقَةُ الَّتِي تَكْتُبُ لِلْمَصَالِحِ ؛ وَالْمُرَادُ : كِتَابًا .

(٢) النُّزْبُ : إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ . وَالنِّقْمَةُ : الْعَذَابُ ؛ أَيْ لَمْ تَدْعُ أَحَدًا مِمَّنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ بِعَذَابٍ .

(٣) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ .

(٤) تَنْفَلِقُ : تَنْشَقُ . وَالْفَلَقُ : شِقُّ الشَّيْءِ وَإِبَانَةُ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ .

(٥) الْمُرَادُ لَوَاهُ الرِّيَاسَةِ الْعَظِيمَى الَّتِي يُحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ بِهَا سَائِرُ الْخَلْقِ ، لِتَفَرُّدِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِ ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، أَوْ كُنَايَةُ عَنْ تَقَدُّمِهِ عَلَى غَيْرِهِ .

وَفِي هَامِشٍ ب : قِيلَ إِنَّمَا نَقِيَ الْفَخْرَ الَّذِي هُوَ الْكِبَرُ الْوَاقِعُ فِي النَّاسِ لِلنَّهْيِ عَنْهُ .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمَا زِلْتُ أَسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ : « لَوَاهُ الْحَمْدِ بِيَدِي » حَتَّى وَجَدْتَهُ فِي حَدِيثٍ رَوَى عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : إِنْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْمُحَادِّثُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ يَمْقَدُ لَهُمْ لَوَاهُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ .

وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَلَا فَخْرَ » - سَاكِنَةُ الْخَاءِ ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ الْفَخْرِ الَّذِي هُوَ الْكِبَرُ ؛ وَعَامَّةُ النَّاسِ يَفْتَحُونَ الْخَاءَ ، وَهُوَ خَطَأً ، وَصَوَابُهُ سَكُونُهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومن رواية أنس^(١) : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : لأشْفَعَنَ يومَ القيامةِ لأكثرَ مما في الأرضِ من حَجَرٍ وشَجَرٍ .

فقد اجتمع من اختلافِ ألفاظِ هذه الآثارِ أنْ شفاعته - صلى الله عليه وسلم ، ومقامه المحمودَ من أولِ الشفاعاتِ إلى آخرِها^(٢) ، من حينِ يجتمعُ الناسُ للحَشْرِ ، وتَضَيِّقِ بهم الحناجرُ ، ويبلغُ منهم العرقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَهُ^(٣) ، وذلك قبلَ الحسابِ ، فيشفَعُ حينئذٍ لإِراحةِ الناسِ من الموقفِ ، ثم يُوضَعُ الصِّراطُ ، ويحاسبُ الناسُ ، كما جاء في الحديثِ عن أبي هريرة وحُذيفةَ .

وهذا الحديثُ أَتَقَنُ^(٤) ؛ فيشفَعُ في تعجيلِ مَنْ لا حسابَ عليه من أُمتهِ إلى الجنةِ - كما تقدم في الحديثِ - ثم يشفَعُ فيمن وجب عليه العذابُ ، ودخل النارَ منهم حَسَبَ^(٥) ما تقتضيه الأحاديثُ الصحيحة ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله . وليس هذا لسِوَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي الحديثِ المُنتَشَرُ الصحيح^(٦) : لكلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ يدْعُو بها ، واختِباتٌ دَعَوَتِي شفاعَةً لأُمَّتِي يومَ القيامةِ .

(١) هكذا في أ ، ب ، وفي هامش أ : أنيس ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى : هو الصواب . وفي الاستيعاب (١ - ١١٤) : أنيس : رجل من الأنصار ، روى عنه شهر ابن حوشب ، ولم ينسبه ، ولم يرو عنه غيره - حديثه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر - إسناده ليس بقوى .

(٢) الشفاعات : هى شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس ؛ وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة ؛ وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ، ولمن أمر به إلى النار ، ولمن قال : لا إله إلا الله ؛ وإخراج من دخل النار منها ، ولرفع درجات أهل الجنة - كما مر جميع ذلك في الأحاديث السابقة .

(٣) مبلغه : نهايته .

(٤) أتقن : أكثر إتقاناً من غيره .

(٥) حسب : مثل .

(٦) المنتشر : الشائع . وقد رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٨

قال أهل العلم: معناه^(١) دعوة أُعْلِمَ أنها تُستجابُ لهم ، ويبلغُ فيها مرغوبهم^(٢) ، وإلا فكم لكل نبيٍّ منهم من دعوةٍ مستجابةٍ ، ولنبيِّنا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يُعدُّ ؛ لكن حالم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف^(٣) ، وضُمِنَتْ لهم إجابةُ دعوةٍ فيما شاءوه ، يدعون بها على يقينٍ من الإجابة .

وقد قال محمد بن زياد ، وأبو صالح ، عن أبي هريرة في هذا الحديث^(٤) : لكل نبيٍّ دعوةٌ دعا بها في أمته^(٥) ، فاستُجيبَ له ؛ وأنا أريدُ أن أدخر^(٦) ، دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة .

وفي رواية أبي صالح^(٧) : لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجلَ كلُّ نبيٍّ دعوته .

ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة [٧٦] .

وعن أنسٍ مثلُ رواية ابن زياد ، عن أبي هريرة .

فتكون هذه الدعوة المذكورةُ مخصوصةً بالأمة مضمونة الإجابة ؛ وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأُمته أشياء من أمور الدين الدنيا وأعطى بعضها ،

(١) معناه : معنى هذا الحديث : المقصود منه .

(٢) مرغوبهم : مطلوبهم .

(٣) بين الرجاء والخوف : بين الرجاء لإصابتها ، والخوف من عدم قبولها .

(٤) في هذا الحديث وتفسيره .

(٥) سواء كانت لهم أو عليهم .

(٦) في ١ : أؤخر . وللتبث في ب .

(٧) وهذا ما رواه الشيخان عنه : صحيح مسلم : ١٨٩

وَمُنِعَ^(١) بَعْضُهَا ، وَادَّخَرَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ^(٢) ، وَخَاتَمَةِ الْمِحْنِ^(٣) ، وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ .

جَزَاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

فصل

فِي تَفْضِيلِهِ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالسُّكُوتِ وَالْفَضِيلَةِ^(٤)

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى التَّمِيمِيُّ ، وَالْفَقِيهَ أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِمَا^(٥) ؛ قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَّاسِيُّ ، حَدَّثَنَا النَّزَمِيُّ^(٦) ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ التَّمَّارُ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ ، وَحَيَّوَةَ ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ كَعْبٍ^(٧) ابْنِ عُلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - أَنَّهُ سَمِعَ

(١) هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَ خِصَالٍ ؛ فَأَعْطَانِي ثَنَتَيْنِ ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ؛ سَأَلْتُهُ أَلَّا يَهْلِكُنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ ، فَأَعْطَانِيهَا ؛ وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَظْهَرَ عَلَيْنَا عَدَاؤُ مَنْ غَيْرِنَا ، فَأَعْطَانِيهَا ؛ وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَلْبَسُنَا شَيْعًا - وَفِي رِوَايَةٍ : يَذِيقُ بَعْضُنَا بَأْسَ بَعْضٍ ، فَمَنْعَهَا .

(٢) الْفَاقَةُ : شِدَّةُ الْحَاجَةِ . وَالْمُرَادُ بِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

(٣) الْمِحْنُ : جَمْعُ مِحْنَةٍ ؛ وَهِيَ الْبَلِيَّةُ الْمُحِيرَةُ ؛ يَعْنِي هَوْلَ الْمَوْقِفِ ؛ إِذْ لَا بَلِيَّةَ بَعْدَهُ إِلَّا النَّارُ .

(٤) بِالْوَسِيلَةِ : حَقِيقَةُ الْوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ مِرَاعَاةُ سَبِيلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، وَتَحَرُّيْ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ فِي الْجَنَّةِ . وَالدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ : الْمَنْزِلَةُ . وَالْفَضِيلَةُ : مِنَ الْفَضْلِ ضِدُّ النِّقْصِ .

(٥) فِي ١ : عَلَيْهِ . وَالتَّحْتِ فِي ١ ب .

(٦) هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

(٧) فِي ١ ب : عَنْ كَعْبٍ ، عَنْ عَاقِمَةَ : قَالَ الْقَارِيُّ (١ - ٤٧٤) : وَالتَّحْتِ فِي الْأَصْلِ هُوَ

الصَّوَابُ .

النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول ^(١) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ^(٢) ، ثم صلوا على ؛ فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرين ؛ ثم سألوا الله لي الوسيلة ^(٣) ؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي ^(٤) إلا لعبد من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل الله لي الوسيلة حلت ^(٥) عليه الشفاعة .

وفي حديث آخر - عن أبي هريرة ^(٦) : الوسيلة أعلى درجة في الجنة . وعن أنس ^(٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أسير ^(٨) في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب ^(٩) اللؤلؤ .

قلت لجبريل : ما هذا ! قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله . قال : ثم ضرب بيده إلى طينه ، فاستخرج مسكاً ^(١٠) .

(١) صحيح مسلم : ٢٨٨ ، وصحيح البخاري ١ - ١٥٠ ، وسنن أبي داود : ١ - ٥٥ ، وسنن الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٩٣) : غير الحيملتين (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) ؛ فإنه يقال عند سماعهما : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول عند قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها . وهذا الاستثناء الذي ذكره الحفاجي في حديث مسلم : ٢٨٩ ، وصحيح البخاري : ١ - ١٥٠

(٣) أى ادعوا الله أن يؤتيها فقولوا : اللهم آت محمدا الوسيلة . وفي ب : اسألوا .

(٤) لا تنبغي : لا يليق إعطاؤها .

(٥) حلت عليه الشفاعة : وجبت . أو نزلت عليه . (٦) رواه الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٧) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٦ - ٢١٩

(٨) الظاهر أن سيره هذا كان مناما . ويحتمل أن يكون يقظة في الإسراء (نسيم الرياض :

٢ - ٣٩٤) .

(٩) قباب : جمع قبة . وفي صحيح البخاري : حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا .

(١٠) أى أخرج من قمرة - ليمرفه بفضله ، وأن طينه مسك . وفي ن : طينة ، طينة ،

وعليها معاً ، والثبت في أ .

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله ؛ قال : ونجراه^(١) على الدر والياقوت ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج .

وفي رواية - عنه : فإذا هو يجرى ، ولم يشق شقاً^(٢) ، عليه حوض ترد عليه أمتي^(٣) . . . وذكر حديث الحوض .

ونحوه عن ابن عباس^(٤) .

وعن ابن عباس أيضاً ، قال : الكوثر^(٥) الخير الذي أعطاه الله إياه .

وقال سعيد بن جبير : والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله .

وعن حذيفة - فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه : وأعطاني الكوثر ، وهو نهر في الجنة ، يسيل في حوضي^(٦) .

وعن ابن عباس - في قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ؛

قال : ألف قصر من لؤلؤ تراهن المسك ، وفيه^(٨) ما يصلحهن .

وفي رواية أخرى : وفيه ما ينبغى^(٩) له من الأزواج والخدم .

(١) أى إن طينه مسك وحصاه الدر والياقوت .

(٢) أى لا يشق الأرض بشدة جريه ؛ وكذا سائر أنهار الجنة تجري من غير أن تتخذ

أخدودا .

(٣) ترد عليه أمتي : يأتونه للشرب منه .

(٤) سيأتي .

(٥) لعل ابن عباس أراد بيان المعنى القنوي للكوثر . (نسيم الرياض : ٢ - ٣٩٦) .

والحديث في صحيح البخارى : ٦ - ٢١٩

(٦) كان يفسره بالحوض ، لأن ماءه منه .

(٧) سورة الضحى ، آية ٥ (٨) وفيه : في كل قصر .

(٩) ما ينبغى له : ما يناسبه ويليق به .

فصل

[في بيان شبهة ترد على ما تقدم ^(١)]

فإن قلت : إذا تقرر من دليل القرآن ، وصحيح الأثر ، وإجماع الأمة - كونه أكرم ^(٢) البشر ، وأفضل الأنبياء - فما معنى الأحاديث الواردة بنهي ^(٣) عن التفضيل ؟ كقوله ^(٤) - فيما حدثنا الأسدي ؛ قال : حدثنا السمرقندي ، حدثنا الفارسي ، حدثنا الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابن مثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : سمعت أبا العالية يقول : حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ما ينبغي ^(٥) لعبد أن يقول : أنا خير من يؤس بن مقي .

وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة [٧٧] قال - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لعبد . . . الحديث .

وفي حديث أبي هريرة ^(٦) - في اليهودي الذي قال : والذي اصطنى موسى على البشر ؛ فلطمه رجل من الأنصار ، وقال : تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ^(٧) .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تفضلوا بين الأنبياء .

(١) من نسيم الرياض (٢ - ٣٩٧) . (٢) أكرم البشر : أشرف بن آدم .

(٣) عن التفضيل بين الأنبياء ، والناحية عن تفضيله عليهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان ، ورواه المصنف من طريق مسلم (صحيح مسلم : ١٨٤٦) .

(٥) ما ينبغي : ما يصح ، ولا يجوز .

(٦) الذي رواه الشيخان في رجل من الأنصار تنازع مع يهودي بالمدينة (صحيح مسلم : ١٨٤٣) .

(٧) بين أظهرنا : أي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بيننا ، وهو أفضل من موسى وغيره .

وفي رواية ^(١) : لا تخيروني على موسى - فذكر الحديث .
وفيه : ولا أقول : إن أحداً أفضل من يونس بن متى .
وعن أبي هريرة ^(٢) : مَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ .
وعن ابن مسعود : لا يقولنَّ أحدُكم أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .
وفي حديثه الآخر ^(٣) : لجاءه صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال له : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ^(٤) ؛
فقال : ذاك إبراهيم . . .

فاعلم ^(٥) أنَّ للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات :
أحدها - أنَّ نَهْيَهُ عن التفضيل كان قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيَدُ وَلَدِ آدَمَ ؛ فَنَهَى
عن التفضيل ؛ إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ ^(٦) ؛ وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ كَذَبَ .
وكذلك قوله : لا أقولُ إنَّ أحداً أفضلُ منه ^(٧) - لا يقتضى تفضيله هو ؛ وَإِنَّمَا
هو في الظاهر كف ^(٨) عن التفضيل .

الوجه الثاني - أَنَّهُ قَالَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُّعِ ، وَنَقَى التَّكَبُّرَ
وَالعُجْبَ ^(٩) ؛ وَهَذَا ^(١٠) لَا يَسْلَمُ مِنَ الِاعْتِرَاضِ .

(١) وهذه الرواية في الصحيحين ، وصنن أبي داود ، والنسائي (صحيح مسلم : ١٨٤٤) .

(٢) في حديث رواه البخاري .

(٣) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي (صحيح مسلم : ١٨٣٩) .

(٤) البرية : الخلق كلهم .

(٥) فاعلم - جواب الشرط في قوله أول الفصل : فإن قلت . . . وهو شروع من المصنف

في تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه .

(٦) توقيف : إعلام به من الله وسماع وإذن فيه .

(٧) أفضل منه : من يونس . (٨) كف : امتناع ، أو منع لغيره .

(٩) العجب : أي عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها . والتواضع : لين الجانب ، وخفض

جناحه لغيره . (١٠) وهذا الجواب .

الوجه الثالث : أَلَّا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا يُؤَدَّى إِلَى تَنْقُصٍ ^(١) بَعْضُهُمْ ،
أَوْ الْفَضْ ^(٢) مَعَهُ ، لَأَسِيًّا فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ إِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ ^(٣)
لَثَلَا يَقَعَنَّ فِي نَفْسٍ مَنْ لَا يَعْلَمُ ^(٤) مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةً ^(٥) ، وَانْحِطَاطًا مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ ؛
إِذَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ ^(٦) : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ . ﴿ إِذْ ^(٧) ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ - فَرَبِّمَا يُحَيِّلْ لِمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ حَاطِطَتَهُ ^(٨) ، بِذَلِكَ .

الوجه الرابع - مَنَعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ ^(٩) ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا ^(١٠)
عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ ؛ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ
وَالْخُصُوصِ ، وَالْكَرَامَاتِ ، وَالرُّتَبِ ، وَالْأَلْطَافِ ^(١١) ؛ وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا
تَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرٍ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا ؛ وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أُولُو
عِزِّمْ ^(١٢) مِنَ الرُّسُلِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أُوْتِيَ الْحُكْمَ

(١) تَنْقُصُ : وَصَفُهُمْ بِمَا فِيهِ نَقْصٌ لَهُمْ وَذَمٌ .

(٢) الْفَضْ مِنْهُ : الْفَضْ : النِّقْصُ وَالْعَيْبُ .

(٣) أَخْبَرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ » .

(٤) مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ : مِنْ يُونُسَ وَمُنَاقِصٍ مِنْ قِصَّتِهِ .

(٥) غَضَاضَةٌ : نَقْصٌ وَحِقَارَةٌ يَتَوَهَّمُهَا مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ .

(٦) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، آيَةُ ١٤٠ . وَأَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ : خَرَجَ إِلَى سَفِينَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِمَا

فِيهَا مِنَ النَّاسِ وَالْمَتَاعِ . وَالْإِبَاقُ : هُرُوبُ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، أُطْلِقَ عَلَى يُونُسَ إِذْ خَرَجَ بِغَيْرِ
إِذْنِ رَبِّهِ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ٨٧ : مَنَاضِبًا لِقَوْمِهِ لَمْ يَجِيبُوا دَعْوَتَهُ . لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ : لَنْ نَزِيدَ عِقَابَهُ .

(٨) حَاطِطَتُهُ : نَقْصُهُ ، وَنَزُولُ مَقَامِهِ عَنْ مَقَامٍ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ .

(٩) فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ نَفْسُهُمَا لَا الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ . (١٠) فِيهَا : فِي النُّبُوَّةِ .

(١١) الْأَحْوَالُ : الْعَوَارِضُ الطَّارِئَةُ عَلَيْهَا . وَالْخُصُوصُ : أَيْ مَا خَصَّ بِهِ بَعْضُهُمْ دُونَ بَعْضٍ .

وَالْأَلْطَافُ : الْعَطَايَا الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ بِمَعْضِهِمْ .

(١٢) الْعِزِّمْ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ وَالتَّصْمِيمُ عَلَى تَنْفِيزِ مَا يَرَاهُ أَوَّلَى بِهِ وَبَغَيْرِهِ .

صَيِّيًا^(١) ؛ وَأَوْتِيَ بَعْضُهُم الزُّبُرَ ، وَبَعْضُهُم الْبَيِّنَاتِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ؛ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ .

وَقَالَ^(٣) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَمْ يَكُنْ هُنَا فِي الدُّنْيَا ؛ وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ :
أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجَزَاتُهُ أَبْهَرَ^(٤) ، وَأَشْهَرَ ؛ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى^(٥) وَأَكْثَرُ ؛ أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ^(٦) ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ أَوْ خَلْقٍ أَوْ رُؤْيَا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ الْإِطْفَافِ^(٧) ، وَتُخَفِّفِ وَلَايَتَهُ ، وَاخْتِصَاصِهِ .

وَقَدْ رَوَى^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ لِلنَّبِیَّةِ أَنْثَالًا^(٩) ؛ وَإِنْ يُونُسَ تَفْسَخَ مِنْهَا تَفْسَخَ الرَّبْعَ^(١٠) ؛ فَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ^(١١) ،

(١) هُوَ يَحْيَى ، أَوْ عِيسَى . (٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةُ ٥٥

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٢٥٣ (٤) أَبْهَرَ : أَقْوَى وَأَغْلَبَ .

(٥) أَزْكَى : أَنْقَى ، وَأَطْهَرُ . (٦) فِي ١ : وَأَطْهَرُ .

(٧) الْإِطْفَافُ : الْإِلْفَافُ : الْمَطَايَا .

(٨) وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ - وَهُوَ رَجُوعٌ إِلَى تَنْزِيهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّا ذَكَرَ مِنَ الْأَوْهَامِ .

(٩) أَنْثَالًا : أَحْمَالًا ثَقِيلَةً ، أَيْ تَكَالِيفَ ثَقِيلَةً .

(١٠) تَفْسَخَ : أَيْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ ، وَتَفْسَكَتْ ، لَعْدَمِ طَاقَتِهِ بِحَمْلِهَا . أَوْ انْسَلَخَ مِنْهَا وَتَجَرَّدَ عَنْهَا . وَالرَّبْعُ : الْفَصِيلُ ؛ أَيْ وَلَدُ النَّاقَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي يُولَدُ فِي الرَّبْعِ . وَلِلرَّادِ أَنَّهُ لَمْ يَطُقْ مَشَاقِقَهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهَا .

(١١) مَوْضِعُ الْفِتْنَةِ : أَيْ مَا يَقَعُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ فِي فِتْنَةٍ وَأَمْرٍ عَذُورٍ ؛ مِنْ تَقْيِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمْ .

مِنْ أَوْهَامٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا حَرَجٌ فِي نُبُوَّتِهِ^(١) ، أَوْ قَدْخٌ فِي اصْطِفَائِهِ^(٢) ، وَحَظٌّ عَنْ رُتْبَتِهِ ، وَوَهْنٌ فِي عَصْمَتِهِ^(٣) ، شَفَقَةٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ^(٤) .
وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ^(٥) ، وَجَهٌ [٧٨] خَامِسٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ « أَنَا » رَاجِعًا إِلَى الْغَائِلِ نَفْسِهِ ؛ أَيْ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ . وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ^(٦) ، مَا بَلَغَ . أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ، لِأَجْلِ مَا حَكَّى اللَّهُ عَنْهُ^(٧) ؛ فَإِنْ دَرَجَةُ النَّبِوَةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى ، وَإِنْ تِلْكَ الْأَقْدَارُ لَمْ تَحْطَهِ^(٨) ، عَنْهَا حَبَّةٌ خَرَدَلٌ وَلَا أُدْنَى .

وَسَنَزِيدُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي هَذَا بَيَانًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ ، وَسَقَطَ بِمَا حَرَّرْنَاهُ شُبُهَةُ الْمُعْتَرِضِ ؛ [وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]^(٩) .

-
- (١) أَيْ صَانَهُ مَا يَتَوَهَّمُ مِنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ - بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ ، أَوْ بِسَبَبِ قِصَّةِ يُونُسَ - حَرَجٌ ؛ أَيْ ذَكَرَ مَا لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النَّبِوَةِ مِمَّا يَقْتَضِي عَدَمَ الْعِصْمَةِ .
(٢) قَدْخٌ : الْقَدْخُ : ذِكْرُ الْمَآيِبِ وَالنَّقَائِصِ . وَالْإِصْطِفَاءُ : الْإِخْتِيَارُ ، وَالتَّفْضِيلُ .
(٣) الْحُظُّ : تَنْزِيلٌ لَهُ مِنْ عُلُوِّ مَقَامِهِ . وَالْوَهْنُ : الضَّعْفُ . أَيْ عَدَمُ عِصْمَتِهِ فِيهَا ضَعْفًا لِمَا تَوَهَّمَهُ مِنْ ظَاهِرِ قِصَّتِهِ السَّابِقَةِ ؛ فَلِذَا نَهَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنْ تَنْقِيسِهِ ؛ لِتَسَاوِيهِمْ فِي حَقِيقَةِ النَّبِوَةِ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ أَحْوَالُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ .
(٤) خَوْفًا أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ مَا لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النَّبِوَةِ ، فَيَكُونُ مِنْهُمْ وَزَرٌ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ سُوءَ الْعَاقِبَةِ بِسَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ .

- (٥) عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ : عَلَى مَا رَتَبْنَاهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِأُمُورٍ أَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا .
(٦) الْعِصْمَةُ : الْحِفْظُ مِنَ الْقُنُوبِ . وَالطَّهَارَةُ : الْبَرَاءَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ .
(٧) مَا حَكَّى اللَّهُ عَنْهُ : مَا قَصَّ فِي قِصَّتِهِ مِنْ لُومَةٍ عَلَى تَضَجُّرِهِ وَعَدَمِ صَبْرِهِ عَلَى قَوْمِهِ ، لِتَنَادِيهِمْ فِي غَيْمِهِمْ وَعَدَمِ إِجَابَتِهِمْ دَعْوَتَهُ لِلْإِيمَانِ .

- (٨) الْأَقْدَارُ : جَمْعُ قَدَرٍ ؛ أَيْ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِحِكْمَةٍ بَاهِرَةٍ . لَمْ تَحْطَهِ : لَمْ تَنْزَلْ يُونُسَ عَنْ دَرَجَتِهِ .
(٩) لَيْسَ فِي ١ .

فصل

في أسمائه^(١) : صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه ؛ قال : حدثنا أبو عمر^(٢) الحافظ ،
حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى ،
حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ؛ قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لى خمسة^(٣) ، أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى ،
الذى يمحو الله به الكفر^(٤) ، وأنا الحاشير الذى يخشع الناس على قدمي^(٥) ،
وأنا العاقب^(٦) .

وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمداً ، وأحمد^(٧) .

(١) كان الفصل المتقدم فى فضائله ؛ ولما كانت أسمائه صلى الله عليه وسلم دالة على فضائله
أيضاً ذكرها عقبه .

(٢) هو ابن عبد البر .

(٣) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٠٧) : قال السيوطى فى كتاب الرياض الأنيقة فى أسماء
خير الخليقة : إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه . وقال المصنف فيما يأتى : قيل إنها
موجودة فى الكتب القديمة وعن الأمم السالفة .

ورد بأن فيها أكثر ؛ فالحق أن مفهوم العدد غير معتبر ؛ فلا يفيد الحصر . وقيل : المراد
خسة سماى بها ربى ، وباقها أوصاف .

(٤) يمحو به الكفر : يزيله ، وقيل : يمحو به سيئات من تبعه .

(٥) على قدمي : يحشرون على أثرى .

(٦) وأنا العاقب : وأنا الآتى عقب الأنبياء عليهم السلام . وفى صحيح مسلم : العاقب :

الذى ليس بعده نبى . وحديث أسمائه فى صحيح مسلم : ١٨٢٨ ، وصحيح البخارى : ٤ - ٢٢٥

(٧) كتابه : هو القرآن . فقال : « ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم » ؛ وقال : « يأتى

من بعدى اسمه أحمد » .

فمن خصائصه تعالى له أن ضَمَّنَ أسماءَهُ ثناءَهُ ؛ وَطَوَّى^(١) أُنْثَاءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ .

فأما اسْمُهُ أَحَدُ فَأَفْضَلُ مِبَالِغَةٍ مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ .

ومحمد : مَفْعَلٌ ، مِبَالِغَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ ؛ فَهُوَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْلُ مَنْ حَمِدَ ، وَأَفْضَلُ مَنْ حَمِدَ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا ؛ فَهُوَ أَحَدُ الْمُحْمَدِينَ ، وَأَحَدُ الْحَامِدِينَ ، وَمَعَهُ لُؤَاءُ الْحَمْدِ^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَمَّ لَهُ كَالْحَمْدِ ، وَيَنْشَهَرُ^(٣) فِي تِلْكَ الْمَرَصَاتِ^(٤) بِصِفَةِ الْحَمْدِ ، وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ^(٥) مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ^(٦) ؛ يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَمْ ، وَيُفْتَحَ عَلَيْهِ فِيهِ^(٧) مِنَ الْحَامِدِ - كَمَا قَالَ

(١) طوى : كَتَمَ وَأَخْفَى . وَالْمُرَادُ أَخْفَى دَاخِلَ ذِكْرِ النَّبِيِّ ؛ أَيْ فِي أَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّاهُ بِهَا شُكْرَهُ الْعَظِيمَ . وَفِي ب : فَطَوَّى .

(٢) اللؤاء : عِلْمُ الْجَيْشِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الرَّايَةِ ؛ أَيْ إِنَّهُ تَحْتَ أَمْرِهِ أَوْ فِي قَبْضَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَالَ هَذِهِ لِلرَّتَبَةِ بِتَفَوْقِهِ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ فِي كَوْنِهِ حَامِدًا مَحْمُودًا . وَمَعْنَى لُؤَاءِ الْحَمْدِ أَنَّهُ لُؤَاءُ يَتْبَعُهُ كُلُّ حَامِدٍ وَمَحْمُودٍ ؛ وَيَعْلَمُ ذَلِكَ بِإِلْهَامِ اللَّهِ ، أَوْ بِإِنْدَاءِ الْمَلَائِكَةِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَمَثِيلٌ لَشَهْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤١٠) : وَعَدِمَ التَّأْوِيلَ أَسْلَمَ .

وَانْظُرِ الْهَامِشَ السَّابِقَ .

(٣) هَذَا الضَّبْطُ فِي أ . وَفِي ب : ضَبِطَ بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَضَمِّهَا ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ « مِمَّا » .

(٤) الْمَرَصَاتُ : جَمْعُ عَرَصَةٍ ؛ وَعَرَصَةُ الدَّارُ : سَاحَتُهَا . وَالْمُرَادُ أَرْضُ الْمَوْقِفِ وَالْمَحْضَرِ .

(٥) هُنَاكَ : فِي الْمَرَصَاتِ .

(٦) كَمَا وَعَدَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « عَسَى أَنْ يَمُنَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » .

(٧) فِيهِ : فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ .

صلى الله عليه وسلم - ما لم يُفَطَّرْ غَيْرُهُ ، وَسَمِيَ أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَادِينَ ^(١) ؛
حَقِيقٌ أَنْ يَسْمَى مُحَمَّدًا وَأَحَدًا ^(٢) .

نَمَ فِي هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ ، وَبِدَائِعِ آيَاتِهِ - فَنَ ^(٣) آخِرُ ؛ وَهُوَ
أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى ^(٤) أَنْ يَسْمَى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ ^(٥) .

أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَنَعِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِحُكْمَتِهِ أَنْ
يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَلَا يُدْعَى ^(٦) بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ
الْقَلْبِ ^(٧) أَوْ شَكٌّ .

وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ
وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِيلَادِهِ أَنْ نَبِيًّا يُنْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ؛ فَسَمِيَ قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ
الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ ؛ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ أَحَدَهُمْ هُوَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يُجْمَلُ رِسَالَاتُهُ ؛
وَهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْيَنَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ الْأَوْسِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَمُحَمَّدُ

(١) بِالْحَمَادِينَ : لِلْبَلَّانِينَ فِي الْحَمْدِ . كَمَا فِي حَدِيثِ الدَّارِمِيِّ عَنْ كَعْبٍ يَحْكِي عَنِ التَّوْرَةِ ؛
قَالَ : نَجِدُ مَكْتُوبًا فِيهَا : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَبْدِي الْخِتَارِ ، لَا فِظْ وَلَا غَلِيظٌ وَأَمْتُهُ
الْحَمَادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَيَكْبُرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ،
رِعَاةً لِلشَّمْسِ ، يَصَلُونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا (شرح القاري : ١ - ٤٨٧) .

(٢) خَلِيقٌ : جَدِيرٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا حَمِدَ بِمَا لَمْ يَحْمَدْهُ غَيْرُهُ ، وَحَمَدَهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ،
وَكَثُرَ حَمْدُ أَمْتِهِ كَانَ جَدِيرًا بِذَلِكَ .

(٣) فَنَ آخِرُ : نَوْعٌ آخِرٌ ، غَيْرُ مَا تَقْدِمُ .

(٤) حَمَى : مَنَعَ ، وَصَانَ ، وَحَفِظَ .

(٥) لِيَعْلَمَ إِذَا سَمِيَ بِهَا أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ .

(٦) يَدْعَى : يَسْمَى .

(٧) لَبْسٌ : التَّبَاسُ وَاشْتِبَاهٌ ، لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِ . وَضَعِيفُ الْقَلْبِ : مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ نَامٌ ، وَرَأَى

حَائِبًا وَنَظَرَ مَفْرُقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ؛ فَيَتَرَدَّدُ فِي صَدَقِ مَدْعَى النَّبُوَّةِ بِمَجْرَدِ شَيْءٍ سَبَقَ لَهُ .

ابن بَرَاء^(١) البكرى ، ومحمد بن سُفيان بن مُجاشع ، ومحمد بن مُحران الجعفي ، ومحمد ابن خُزاعي السلمي ، لا سابع^(٢) لهم .

ويقال : أول مَنْ تسمّى بمحمد محمد بن سُفيان . والينُ تقول : بل محمد بن اليَحمُد^(٣) من الأزد .

ثم حَتَّى اللهُ كُلَّ مَنْ تسمّى به^(٤) أَنْ يَدْعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدْعِيَهَا أَحَدُهُ ، أَوْ يَظْهَرُ عَلَيْهِ سَبَبٌ يَشْكُكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ^(٥) حَتَّى تَحْقُقَ السَّمْتَانِ^(٦) لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَنَازَعْ فِيهِمَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ فَمُفْرَسٌ فِي الْحَدِيثِ : وَيَكُونُ يَمْحُو الْكُفْرَ إِمَّا مِنْ مَكَّةَ^(٧) وَبِلَادِ الْعَرَبِ ؛ وَمَا زَوَى^(٨) لَهُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَوَعِدَ أَنَّهُ يَبْلَغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ ؛ أَوْ يَكُونُ الْخَسْوُ عَامًا ، بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالْفَلْبَةِ ؛ كَمَا [٧٩] قَالَ تَعَالَى^(٩) : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .
[وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الَّذِي يُحْيِي بِهِ سَيِّئَاتُ مَنْ اتَّبَعَهُ]^(١٠) .

(١) فِي شَرْحِ التَّارِي (١ - ٤٨٨) : مُحَمَّدُ بْنُ بَدَاءٍ - يَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، فَرَاءٌ مَمْدُودَةٌ . أَوْ هُوَ ابْنُ بَدَاءٍ - يَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُفْتُوحَةٌ ، وَتَشْدِيدُ دَالٍ مَهْلَةٍ بَعْدَهَا أَلِفٌ مَمْدُودَةٌ .
(٢) قَالَ فِي نَسَبِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤١٤) : وَفِي سِيرَةِ مُنْتَطَايَ زَادَ تِسْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ . وَسَيِّئَاتِهِ كَلَامٌ فِي هَذَا الْعَدَدِ بَعْدَ قَلِيلٍ .

(٣) ضَبَطَ اللَّيْمَ فِي الْفَتْحِ ، وَفِي ب : بِالضَّمِّ .

(٤) فِي أ : مَنْ تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ . . .

(٥) أَيْ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ يَكُونُ سَبَبًا مَوْقِعًا لِلنَّاسِ فِي شَكِّ أَنَّهُ النَّبِيُّ لِلْوَعْدِ .

(٦) السَّمْتَانُ : أَيْ الصَّفَتَانِ اللَّتَانِ هُمَا الْحَمْدِيَّةُ وَالْإِحْمَدِيَّةُ .

(٧) مِنْ مَكَّةَ : بَعْدَ الْفَتْحِ ؛ إِذْ أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ بَهَا مِنْهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ .

(٨) زَوَى : جَمَعَ . (٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ٣٣ .

(١٠) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ فِي أ ، ب : مِنْ الْأَمِّ ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

وَرَوَى هَذَا التَّفْسِيرَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَصْنِفُ لِلْمَاحِي - الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، وَابْنُ أَبِي

وقوله : وأنا الحاشِرُ الذى يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِي ؛ أى على زَمَانِي ^(١) وعَمْدِي ؛
أى ليس بَعْدِي نبيٌ ، كما قال : وخاتَمَ النبيين .
وسُمِّي عاقِباً ؛ لأنه عَقَبَ ^(٢) غَيْرَهُ من الأنبياء .

[وفى الصحيح : أنا العاقِبُ الذى ليس بعدى نبيٌ] ^(٣) .

وقيل : معنى على قَدَمِي ؛ أى يُحْشَرُ الناسُ بِمُشَاهَدَتِي ^(٤) ؛ كما قال تعالى ^(٥) :
﴿ اَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ .
[وقيل على قَدَمِي : على سَابِقَتِي ؛ قال الله تعالى ^(٦) : ﴿ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ صِدْقٌ
عند رَبِّهِمْ ﴾ .

وقيل : على قَدَمِي : أى قُدَامِي ، وَحَوْلِي ؛ أى يَجْتَمِعُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
وقيل : على قَدَمِي : على سُنَّتِي] ^(٧) .

ومعنى قوله : لى خمسةُ أسماءَ : قيل : إنها موجودةٌ فى السُّكُتِ المتقدمة ، وعند
أولى العِلْمِ من الأمم السالفة ، [والله أعلم] ^(٨) .

== وقال ابن حجر فى شرح الثمائل : معناه أن من آمن به صلى الله عليه وسلم يمحى ذنب كفره ،
وما عمله فيه ؛ قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » . وفى
الحديث : الإسلام يجب ما قبله ؛ أى يهدم ما قبله . (نسيم الرياض : ٢ - ٤١٦) .
(١) قال السيوطى : حشر الناس فى زمان نبوته ؛ لأن ملته باقية ، لاتنسخ ، وليس بعدها
شرع آخر .

(٢) عقب غيره من الأنبياء : خلفهم فى الخير . أو العاقب : الآخر ، بمعنى أنه لا نبي بعده . وسيأتى .

(٣) ما بين القوسين ليس فى ١ ، وهو فى هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(٤) بمشاهدتي : أى بقربي ، ومعنى ، بمرأى منى .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٦) سورة يونس ، آية ٢

(٧) ما بين القوسين ليس فى ب .

(٨) ليس فى ١ .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم^(١) : لى عشرة أسماء ، وذكر منها : طه ،
ويس ؛ حكاه مكى .

وقد قيل فى بعض تفسير طه : إنه^(٢) يا طاهر ، يا هادى وفى يس : ياسيد ؛ حكاه
السلى عن الواسطى ، وجعفر بن محمد .

وذكر غيره : لى عشرة أسماء ؛ فذكر الخمسة التى فى الحديث الأول ؛ قال^(٣) :
وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملائكة^(٤) ، وأنا المقتنى ؛ قفيت^(٥)
النبين .

وأنا قيم ؛ والقيم : الجامع الكامل^(٦) ؛ كذا وجدته^(٧) ، ولم أره^(٨) .
وأرى أن صوابه قثم - بالناء^(٩) كما ذكرناه بعد عن الحربى ؛ وهو أشبه بالتفسير .

(١) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل (١-٦٨) ، وابن مردويه فى تفسيره ، من طريق
أبى يحيى التيمى . قال القارى (١ - ٤٩٠) : وهو وضاع .

(٢) أى الطاء من كلمة « طاهر » ، والهاء من كله : « هادى » .

(٣) وهذا رواه البيهقى مسندا .

(٤) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب والقتال ، سميت بذلك لالتمع الناس فيها ؛ أى
ازدحامهم فيها ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم أرسل بالسيف ، وأمر بالجهاد .

(٥) قفيت : تبعت ، والمراد أنه خاتمهم .

(٦) أى الجامع لمكارم الأخلاق الكامل فيها . أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع
شتاتهم ؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد ، لقيامه بأمر الناس وأمر الدين .

(٧) كذا وجدته : أى تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم .

(٨) وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وفى النهاية لابن الأثير حديث : أتانى ملك
فقال : أنت قيم ، وخلقك قيم ؛ أى حسن مستقيم .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢١) : فى اشتقاقه معنيان : أحدهما من القثم ؛ وهو
الإعطاء ، فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه . والثانى من القثم ؛ وهو
الجمع ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل .

وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء ؛ قال داود عليه السلام : اللهم ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السَّنَةِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ ^(١) ؛ فقد يكون الْقِيمُ بِمَعْنَاهُ ^(٢) .

وَرَوَى النِّقَاشُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءَ : مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَبِسْ ، وَطَهٌ ، وَالْمُدَّثَرُ ، وَالْمَزْمَلُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ .

[وَفِي حَدِيثٍ - عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هِيَ ^(٣) سِتٌّ : مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَخَاتَمٌ ، وَعَاقِبٌ ، وَحَاشِرٌ ، وَمَاحٍ ^(٤)] ^(٥) .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ^(٦) - أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً ، فَيَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمُقَفَّى ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ^(٧) .

وَيُرْوَى : الْمَرْحَمَةُ ، وَالرَّاحَةُ ^(٨) .

وَكُلُّهُ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمَعْنَى الْمُقَفَّى مَعْنَى الْعَاقِبِ ^(٩) .

(١) السنة : الطريقة الشرعية ، والدين . والفترة : انقطاع الوحي والرسول ، أو الفتور في الطاعة . وضمير « نا » للناس .

(٢) بِمَعْنَاهُ : أَيْ بِمَعْنَى الْمُقِيمِ لِلْسَّنَةِ ، أَوْ بِمَعْنَى الْقِيمِ .

(٣) هِيَ : أَيْ أَسْمَاؤُهُ .

(٤) سَبَقَتْ مَعَانِيهَا : صَفْحَةُ ٣١١ ، ٣١٥ .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي أ ، وَهُوَ فِي هَامِشِ ب ، وَعَلَيْهِ عَلَامَةُ الصَّحَةِ .

(٦) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٨٢٨ .

(٧) فِي أ : وَنَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ وَالرَّحْمَةِ . وَالثَّبْتُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٨٢٩ .

(٨) فِي ب : وَيُرْوَى : الْمَرْحَمَةُ ، وَالرَّاحَةُ ، وَالرَّحْمَةُ .

(٩) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٢٣) : الْأَوَّلَى تَفْسِيرُ كُلِّ مِنْهَا بِمَعْنَى ؛ هَرَبًا مِنَ التَّكْرَارِ ؛

فَمَعْنَى الْمُقَفَّى : التَّابِعَ لِهَدْيِ النَّبِيِّينَ وَسُنَنِهِمْ . وَالْعَاقِبُ : الْخَاتَمُ لِأَبَابِ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ .

وأما نبي الرحمة والتوبة ، والمرحمة والراحة - فقال تعالى ^(١) : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وكما وصفه بأنه يُزَكِّيهِمْ ^(٢) وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٣) . و ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وقال في صفة ^(٥) أُمته : إنها أمةٌ مرحومة ^(٦) .

وقال الله تعالى فيهم ^(٧) : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ ؛ أى يرحم بعضهم بعضاً ؛ فبعثه ربُّه تعالى رحمةً لأُمته ، ورحمةً للعالمين ، ورحمًا بهم ، ومُتَرَحِّمًا ومستغفرًا لهم ، وجعل أُمته أمةً مرحومة ، ووصفها بالرحمة . وأمرها ^(٨) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتَّراحم ، وأثنى عليه ؛ فقال ^(٩) : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عبادَه الرَّحَمَاءَ .

وقال ^(١٠) : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ ^(١١) مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وأما رواية نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ فإشارةٌ إِلَى ما بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وهى ^(١٢) صحيحة .

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٢) يزكِّيهم : يطهرهم من الأخلاق الذميمة والآثام المذنبة . والكتاب : القرآن . الحكمة : العلوم النافعة ، والمقائد الحقة ، وإصابة الحق قولاً وفعلًا .

(٣) يهديهم : يدهم . الصراط المستقيم : الطريق الذى لا عوج فيه .

(٤) سورة التوبة ، آية ١٢٨ (٥) القائل هو الرسول .

(٦) مرحومة : فى الدنيا والآخرة ، فى الحياة والمات .

(٧) سورة البلد ، آية ١٧ (٨) وأمرها : أى أمر الأمة .

(٩) فى نسيم الرياض (٢ - ٤٢٤) : حديث صحيح مشهور . والحديث فى صحيح

مسلم : ٦٣٦ ، وصحيح البخارى : ٢ - ٩٦ (١٠) سنن الترمذى : ٤ - ٣٢٤

(١١) ضبطت الميم فى « يرحمكم » بالضمه والسكون وكتب فوقها « معا » .

(١٢) أى الرواية .

وَرَوَى حُذَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، وَفِيهِ : وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ؛ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الْمَلَا حِم .

وَرَوَى ^(١) الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي : أَنْتَ قُتْمٌ ؛ أَيْ مُجْتَمِعٌ ^(٢) قَالَ : وَالْقُتْمُ : الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ ؛ وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ ^(٣) بَيْتِهِ مَعْلُوم .

وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِمَاتُهُ ^(٤) فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ كَالنُّورِ ، وَالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ ^(٥) ، وَالْمُنْذِرِ ، وَالنَّذِيرِ ^(٦) ، وَالْمُبَشِّرِ ، وَالْبَشِيرِ ، وَالشَّاهِدِ ، وَالشَّهِيدِ ^(٧) ، وَالْحَقُّ الْمُبِينِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ^(٨) ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، وَالْأَمِينِ ، وَقَدَّمَ الصَّدَقُ [٨٠] ، وَرَحْمَةُ الْعَالَمِينَ ^(٩) ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ ، وَالْعُرْوَةُ الْوَثْقَى ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ^(١٠) ، وَالنَّجْمُ الثَّاقِبُ ، وَالكَرِيمُ ، وَالنَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ،

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَالِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ . وَفِي هَامِشٍ ب ، أ : وَقِيلَ هُوَ مُتَشَقٌّ مِنْ الْقُتْمِ ، وَهُوَ الْإِعْطَاءُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْهَابَةِ (مِنْ كَشْفِ الْمَشْكَلِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ) . (٢) مُجْتَمِعٌ : أَيْ مَجْمُوعٌ فِيكَ كُلُّ كَالٍ وَخَيْرٍ .

(٣) أَيْ سَمِيَ بِهِ غَيْرُهُ . وَهُوَ قُتْمُ بْنُ الْمُبَاسِ . وَقُتْمُ عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٤) سِمَاتُهُ : صِفَاتُهُ .

(٥) فِي الْقُرْآنِ (الْمَائِدَةُ : ١٥) : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ » . وَفِيهِ (الْفُرْقَانُ : ٦١) : « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » .

(٦) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

(٧) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا » . وَقَالَ : « يَكُونُ الرَّسُولُ عَالِمُكُمْ شَهِيدًا » .

(٨) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، وَرَسُولٌ مُبِينٌ » . وَقَالَ : « وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

(٩) قَالَ تَعَالَى : « مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ » . وَقَالَ : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » . « وَقَالَ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

(١٠) قَالَ تَعَالَى : « بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » . وَقَالَ : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى » . وَقَالَ : « أَهْدَنَّا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

وَدَاعِيَ اللَّهِ ^(١) - فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ ^(٢) .

وَجَرَى مِنْهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَكُتِبَ أَنْبِيَائُهُ ، وَأَحَادِيثُ رَسُولِهِ ، وَإِطْلَاقِ
الْأُمَّةِ جَمَلَةً شَافِيَةً ؛ كَتَسْمِيَتِهِ بِالْمُضْطَّقِ ، وَالْمُجْتَبَى ^(٣) ، وَأَبَى الْقَاسِمِ ، وَالْحَبِيبِ ،
وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّفِيعِ الْمُشْفَعِ ، وَالْمُتَّقِي ، وَالْمُصْلِحِ ، وَالطَّاهِرِ ، وَالْمُهَيَّمِنِ ،
وَالصَّادِقِ ، وَالْمَصْدُوقِ ، وَالْمَهَادِي ، وَسَيِّدِ وَادِ آدَمَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ،
وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُجْتَلِينَ ^(٤) ، وَحَبِيبِ اللَّهِ ، وَخَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، وَصَاحِبِ الْحَوْضِ ^(٥)
الْمُرُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ ، وَالْمَقَامِ الْحَمُودِ ، وَصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ ^(٦) وَالنُّفُيَّةِ وَالذَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ ،
وَصَاحِبِ التَّاجِ ^(٧) ، وَالْمِعْرَاجِ ، وَاللَّوَاءِ ، وَالْقَضِيبِ ^(٨) ، وَرَاكِبِ الْبُرَاقِ ، وَالنَّاقَةِ ،
وَالنَّجِيبِ ^(٩) ، وَصَاحِبِ الْحِجَّةِ وَالسُّلْطَانِ ، وَالْخَاتَمِ ، وَالْعَلَامَةِ وَالْبُرْهَانِ ، وَصَاحِبِ
الْهَرَاوَةِ وَالنَّعْلَيْنِ ^(١٠) .

(١) قَالَ تَعَالَى : « وَالنَّجْمُ الثَّاقِبُ » . وَقَالَ : « وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » . وَقَالَ : « إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولِ كَرِيمٍ » . وَقَالَ : « الَّذِينَ يَقْبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ » . وَقَالَ : « دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ » .
(٢) أَيْ وَرَدَ مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَثَارِ مِنْ صِفَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ كِبَاطِلَاقِ
الْأَسْمَاءِ عَلَى مِثْلِهِ . (٣) الْمُجْتَبَى : الْمُخْتَارُ .

(٤) الثَّر : جَمْعُ أَغْرٍ ، مُطْلَقٌ بِيَاضِ الْوَجْهِ . وَالتَّحْجِيلُ : بِيَاضٌ فِي الْقَوَائِمِ .
(٥) قَالَ السَّيُوطِيُّ : حَدِيثُ الْحَوْضِ مَرْوِيُّ عَنْ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ صَحَابِيَا .
(٦) الْوَسِيلَةُ : السَّبَبُ الْمَوْصِلُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، سَمِيَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ .
(٧) قِيلَ الْمُرَادُ بِالتَّلْجِ هُنَا الْعِمَامَةُ . وَالْعَامَمُ : تَبِيجَانُ الْعَرَبِ ، فَسَكَنِي بِهِ عَنْ أَنَّهُ مِنْ صَمِيمِ
الْعَرَبِ وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا وَنَسَبًا .

(٨) صَاحِبُ اللَّوَاءِ : الْمُرَادُ : لَوَاءُ الْحَمْدِ الَّذِي تَقْدُمُ . أَوِ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ بِمَقْدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَرْبِ ، فَهُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْقِتَالِ . وَالْقَضِيبُ : السِّيفُ ، كُنْيَاةٌ عَنِ جِهَادِهِ وَكَثْرَةِ قِتَالِهِ .
(٩) رَاكِبُ النَّاقَةِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ . وَالنَّجِيبُ : الْجَمَلُ ؛ كُنْيَاةٌ عَنِ تَوَاضُعِهِ . أَوْ لَهْجَرَتِهِ
عَلَيْهِ ، أَوْ كَوْنِهِ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ .

(١٠) وَالْعَلَامَةُ : عَلَامَةُ النَّبُوَّةِ ، وَهِيَ الْخَاتَمُ أَيْضًا . الْهَرَاوَةُ : الْعَصَا . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : سَمِيَ بِذَلِكَ
لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَمْسِكُ بِيَدِهِ الْقَضِيبَ ، وَيَعْتَشِي بِالْعَصَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفَرَّزَ لَهُ لِيَصِلَ إِلَيْهَا .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ ^(١) : التَّوَكُّلُ ، وَالْخُتَارُ ^(٢) ، وَمُعْتِمُ السَّنَةِ ^(٣) ،
وَالْقُدَّسُ ^(٤) ، [وَرُوحُ الْقُدُسِ] ^(٥) ، وَرُوحُ الْحَقِّ ؛ وَهُوَ مَعْنَى الْبَارَقْلِيْطِ فِي الْإِنْجِيلِ .
وَقَالَ نَعْلَبُ : الْبَارَقْلِيْطُ : الَّذِي يَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ^(٦) .
وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ السَّالِفَةِ : مَاذُ مَاذُ ^(٧) ؛ وَمَعْنَاهُ طَيِّبٌ ، طَيِّبٌ ،
وَحَمَّطَايَا ^(٨) ، وَالْحَاتِمُ ، وَالْحَاتِمُ ^(٩) ؛ حَكَاهُ كَتَبُ الْأَحْبَارِ .
قَالَ نَعْلَبُ : فَالْحَاتِمُ الَّذِي خَتَمَ [اللَّهُ بِهِ] ^(١٠) الْأَنْبِيَاءَ . وَالْحَاتِمُ : أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ
خَلْقًا وَخُفَا .

-
- (١) فِي السُّكُتِبِ : أَى السُّكُتِبِ الْإِلَهِيَةِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .
(٢) سَمِيَ بِهِمَا فِي التَّوْرَةِ . (٣) سَمِيَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ .
(٤) الْمَقْدَسُ : الْمَطْهَرُ الْمُنَقَّى مِنْ ذُنُوبِ الْقُدُوبِ ، أَوْ الْمَفْضَلُ عَلَى غَيْرِهِ .
(٥) وَرُوحُ الْقُدُسِ : الرُّوحُ الْمَقْدَسَةُ لِلْمَطْهَرَةِ مِنَ النِّقَاطِ . وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي .
(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٣٨) : الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْإِنْجِيلِ أَنْ مَعْنَاهُ الْخُلَاصُ .
وَهَذَا الضَّبْطُ فِي ١ ، ب . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٤٩٦) : الْبَارَقْلِيْطُ - بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِفَتْحِ
الرَّاءِ وَتَكْسِيرِ وَبِسُكُونِ الْقَافِ ، وَقَدْ تَسَكَّنَ الرَّاءُ وَتَفَتْحَ الْقَافُ ، وَتَكْسَرُ اللَّامُ ، بِمَدِّهَا يَاءُ
مُنَاةٍ سَاكِنَةٍ فَعَطَاءُ مَهْمَلَةٍ . وَرَوَى بِالْفَاءِ الْفَصِيحَةُ وَبِالْبَاءِ غَيْرُ صَافِيَةٍ .
(٧) فِي ب : بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالدَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَعَلَيْهَا « مَعَا » .
(٨) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٣٩) : هَذَا وَمَا قَبْلَهُ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ . قَالَ : وَمَعْنَاهُ : يَمْنَعُ مِنَ الْحَرَامِ ، وَيَحْجُمُ الْحَرَمَ ؛ أَى يَمْنَعُ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ
الْانْسَكَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ . وَقَدْ ضَبَطْتُ الْحَاءَ فِي ١ بِالْكَسْرِ . وَضَبَطْتُ فِي ب :
بِالْفَتْحَةِ . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٤٩٧) تَسَكَّنَ الْمِيمُ وَتَشَدَّدَ .
(٩) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْخَتَمِ ؛ وَهُوَ الْإِحْكَامُ ؛ لِإِحْكَامِ الْقَضَاءِ وَالْأَحْكَامِ .
وَالْحَاتِمُ : الْقَاضِي - كَمَا فِي الصَّحَاحِ .
(١٠) لَيْسَ فِي ١ .

ويسمى بالسريانية : مُشَفَّحٌ ^(١) وَالْمُنْحَمَمَا ^(٢) ؛ واسمُهُ في التوراة أُحِيد ^(٣) .
رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ .

ومعنى صاحب القضيبي ؛ أى السيف ؛ وقع ذلك مفسّرا في الإنجيل ؛ قال : معه
قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يِقَاتِلُ بِهِ ، وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ .

وقد يحملُ على أنه القضيبي المشوق ^(٤) الذى كان يُمَسِّكُهُ صلى الله عليه وسلم ؛
وهو الآن عند الخلفاء ^(٥) .

وَأَمَّا الْهَرَاوَةُ الَّتِي وَصِفَ بِهَا فَعِيَ فِي اللِّفَةِ الْعَصَا ؛ وَأَرَاهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْعَصَا
الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ ^(٦) : أَذُودُ النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَاى - لِأَهْلِ الْيَمَنِ .
وَأَمَّا التَّاجُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةُ ، وَلَمْ نَكُنْ حِينَئِذٍ إِلَّا لِلْعَرَبِ ؛ وَالْعَامُّ تَبْجَانُ
الْعَرَبِ .

وَأَوْصَافُهُ ، وَالْقَابُ ، وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ ؛ وَفِي ذِكْرِنَاهُ مِنْهَا مَقْنَعٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبَا الْقَاسِمِ .

وَرَوَى ^(٧) عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ] ^(٨) .

(١) سُمِّيَ بِهِ فِي كِتَابِ شَعْبَا . وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَحْد . وَهَذَا الضُّبُطُ فِي ب . وَفِي أ بِالْقَافِ .

(٢) قِيلَ مَعْنَاهُ : مُحَمَّد . وَقِيلَ : رُوحُ الْقُدُسِ . وَهَذَا الضُّبُطُ فِي ب . وَفِي أ ضُبُطُ
الْيَمِّ بِالْفَتْحَةِ .

(٣) هَذَا الضُّبُطُ فِي ب . وَفِي أ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكسرِ الْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٤) مَمْشُوقٌ : طَوِيلٌ دَقِيقٌ . (٥) عِنْدَ الْخُلَفَاءِ : يُمْسِكُونَهُ تَبْرَكَأ بِهِ .

(٦) صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٧٩٩ ، وَأَذُودٌ : أَدْفَعُ ، وَأَطْرَدُ . لِأَهْلِ الْيَمَنِ ؛ أَيْ لِأَجَاهِهِمْ حَتَّى

يَتَقَدَّمُوا . (٧) كَمَا رَوَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، وَابِيهَقَى .

(٨) فِي هَامِشِ أ ، ب : مِنْ الْأَمِّ بِخَطِّهِ ، مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

فصل

في تشریف الله تعالى له بما سَمَّاه من أسمائه الحسنی ووصفه به
من صفاته المَعَالَا

قال القاضي أبو الفضل ^(١) وفقه الله تعالى: ما أحرى هذا الفصل ^(٢) بنهول الباب
الأول؛ لانخراطه ^(٣) في سِلَک مضمونها، وامتزاجه بمَعْدَب مَعِينها ^(٤)؛ لكن لم يشرح
الله الصِّدْرَ للهداية ^(٥) إلى استنباطه، ولا أنارَ الفِكرَ لاستخراج جَوْهره والتقاطه
إلا عند انخوض في الفصل الذي قبله؛ فرأينا أن نُضِيفَه إليه، ونَجْمَع به شَمْلَه ^(٦).
فاعلم أن الله تعالى خَصَّ كثيرا من الأنبياء بكرامةٍ خلَّعها عليهم ^(٧) من أسمائه؛
كنَسْمِيَةِ إِسْحاق، وإسماعيلَ بعليم، وحليم ^(٨)؛ وإبراهيمَ بحليم ^(٩)، ونوحَ بِشَكُور ^(١٠)،
وعيسى ويحيى بِبَرٍّ ^(١١) وموسى بكریم، وقوى ^(١٢)؛ ويوسف بحفيظ عليم ^(١٣)؛

(١) هو المصنف .

(٢) وهو المقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدرته . أخرى : أحق وأولى .

(٣) لا انخراطه : أى لدخوله ، وانضمامه .

(٤) امتزاجه : اختلاطه . والمعين : الجارى . يريد بحلو مأثها .

(٥) أى لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه في محله .

(٦) نجمع به شمله : أى نضمه إليه .

(٧) بكرامة : بأمر أكرمه وشرفه بها . والأصل في الخلعة أنها ثوب يلقيه الملك على من
يكرمه أو يوليه ولاية ، وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا . يريد ألقاها عليهم .

(٨) في قوله تعالى : « وبشروه بسلام عليم » - يعنى إسحاق . وقوله تعالى : « فبشرناه

بسلام حليم » - يعنى إسماعيل . (٩) في قوله تعالى : « إن إبراهيم لأواه حليم » .

(١٠) في قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .

(١١) في قوله تعالى : « وبرا بوالديه » . « وبرا بوالدتي » .

(١٢) في قوله تعالى : « وقد جاءهم رسول كريم » . وقوله : « إن خير من استأجرت القوي

الأمين » . (١٣) في قوله تعالى : « اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » .

وأيوب بصائر^(١)؛ وإسماعيل بصادق الوعد^(٢)؛ كما نطق بذلك [٨١] الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم^(٣).

وفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَأَنَّ حَلَّاهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ بَعْدَهُ كَثِيرَةً اجْتَمَعَ لَنَا مِنْهَا جَمَلَةٌ بَعْدَ إِعْمَالِ الْفِكْرِ ، وَإِحْضَارِ^(٤) الذِّكْرِ ، إِذْ لَمْ نَجِدْ مَنْ جَمَعَ مِنْهَا فَوْقَ اسْمَيْنِ ، وَلَا مَنْ تَفَرَّغَ فِيهَا لِتَأْلِيفِ فَصَائِنِ . وَحَرَّرْنَا مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ اسْمًا ؛ وَلِلَّهِ اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا أَلْهِمَ^(٥) إِلَى مَا عَلَّمَ مِنْهَا وَحَقَّقَهُ - يُثِمُّ النِّعْمَةَ بِإِبَانَةٍ^(٦) مَا لَمْ يُظْهِرْهُ لَنَا الْآنَ ، وَيَفْتَحْ غَلَقَهُ^(٧) . فَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْحَمِيدُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْحَمُودُ ؛ لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَحَمِدَ عِبَادَهُ ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى الْحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ :

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَأَحَدًا ؛ فَحَمْدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ ، وَكَذَا وَقَعَ اسْمُهُ فِي زَبُورِ دَاوُدَ .

وَأَحَدٌ بِمَعْنَى أَكْبَرَ مِنْ حَمْدٍ ؛ وَأَجَلٌ مِنْ حَمْدٍ^(٨) ؛ وَأَشَارَ إِلَى نَحْوِ هَذَا حَسَانَ بِقَوْلِهِ^(٩) :

(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نُسَمِّهِ الْعَبْدَ » .

(٢) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَادَّكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ » . وَذَلِكَ

لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح .

(٣) مِنْ مَوَاضِعَ ذِكْرِهِمْ : أَيْ مُسْتَفَادًا مِنْ مَوَاضِعَ ذِكْرِهِمْ . وَفِي ب : فِي مَوَاضِعَ . . .

(٤) بَعْدَ أَنْ اجْتَهَدَ فِي جَمْعِهَا ، وَبَذَلَ فِيهَا جُودَهُ وَطَاقَتَهُ .

(٥) أَلْهِمَ : يُرِيدُ أَرْشَدَ وَهَدَى .

(٦) إِبَانَةٌ : إِظْهَارٌ . (٧) غَلَقَهُ : مَا يَنْتَقِ وَيُقْفَلُ بِهِ .

(٨) فِي ابْتِشَادِ اللَّيْلِ لِلْمَكْسُورَةِ . وَفِي ب بِكسر الليم غير المشددة .

(٩) هُوَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ ، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فِي

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِنْشِئِهِ لِیُجِلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدٌ ^(١)
ومن أسمائه تعالى : الرؤوف الرحيم ؛ وهما بمعنى متقارب .
وقد سَمَّاهُ في كتابه بذلك ؛ فقال ^(٢) : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .
ومن أسمائه تعالى الحقُّ المبين . ومعنى الحقُّ : الموجود ، والمتحققُ أمرُهُ ^(٣) ،
وكذلك المبين ؛ أى البين ^(٤) أمره وإلهيته .
بان ، وأبان بمعنى واحد . ويكون بمعنى المبين لعباده أمرٌ دينهم ومعادهم ^(٥) .
وسمى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - بذلك في كتابه ؛ فقال ^(٦) : ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾
ورسولٌ مبينٌ . وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَقُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ . وقال تعالى ^(٨) :
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . وقال ^(٩) : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ؛ قيل :
محمدٌ . وقيل القرآن . ومعناه هنا ضدُّ الباطل ، والمتحققُ صدقُهُ وأمرُهُ - وهو بمعنى
الأول .

والمبين : البينُ أمرُهُ ورسالته ، أو المبين عن الله ما بعثه به ؛ كما قال تعالى ^(١٠) :
﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

(١) في شرح ديوان حسان : هذا البيت ليس من قول حسان ، وإنما هو لأبي طالب ،
ضمنه حسان شعره . وفي نسيم الرياض (٢٠ - ٤٤٧) : والبيت المذكور رواه البخارى في
تاريخه ، وعزاه لأبي طالب ؛ وهو منقول عن طى بن زيد ؛ فحسان رضى الله تعالى عنه توارده
معه ، أو ضمنه ، واستعان به .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٢٨

(٣) أى التنصيف بالوجود الأزلى الأبدى . وللتحقق بمعنى التيقن وجوده لثبوته بالبراهين
القاطعة . (٤) البين : الظاهر . (٥) معادهم : فى الآخرة .

(٦) سورة الزخرف ، آية ٢٩ (٧) سورة الحجر ، آية ٨٩

(٨) سورة يونس ، آية ١٠٨ (٩) سورة الأنعام ، آية ٥

(١٠) سورة النحل ، آية ٤٤

ومن أسمائه تعالى : النّور ؛ ومعناه ذو النّور ، أى خالقه ، أو مُنَوِّر السموات والأرض بالأنوار^(١) ، ومُنَوِّر قلوب المؤمنين بالهداية .

وسمّاه نورا ؛ فقال^(٢) : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ قيل محمد . وقيل القرآن .

وقال فيه^(٣) : « سِرّاً جاً مُنِيراً » ؛ سُمِّي بذلك لوضوح أمره ، وبيان نبوته ، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به .

ومن أسمائه تعالى : الشّهِيد ؛ ومعناه العالم^(٤) . وقيل : الشاهد على عباده يوم القيامة .

وسمّاه شهيداً وشاهداً ؛ فقال^(٥) : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ . وقال تعالى^(٦) : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ ؛ وهو بمعنى الأوّل^(٧) .

ومن أسمائه تعالى : الكريم ؛ ومعناه الكثير الخير . وقيل : المُفْضِل^(٨) . وقيل : العَفْو^(٩) . وقيل : العَلِيّ .

وفي الحديث المَرْوِيّ^(١٠) في أسمائه تعالى : الأكرم^(١١) .

(١) بالأنوار الفائضة عليها بواسطة الكواكب .

(٢) سورة المائدة ، آية ١٥ (٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(٤) لأن من شاهد شيئاً علمه علماً تاماً .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، وسورة الفتح ، آية ٨

(٦) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٧) بمعنى الأوّل : أى الشاهد .

(٨) الفضل : الذى يعطى عفواً بغير وسيلة وسؤال .

(٩) العفو : الذى يعفو عن السيئات ويمحوها .

(١٠) الذى رواه ابن ماجه فى سننه (١٢٧٠) فيه : الكريم . وقد جاء فى القرآن

الكريم : « اقرأ وربك الأكرم » .

(١١) الأكرم : الزائد على غيره فى صفة الكرم .

وسماه تعالى كريما بقوله ^(١) : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ؛ قيل : محمد .
وقيل : جبريل .

وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أكرمُ ولدِ آدمَ .
ومعاني الاسمِ صحيحة ^(٢) في حقِّه صلى الله عليه وسلم .
ومن أسمائه تعالى : العظيمُ ؛ ومعناه الجليلُ الشَّانُ ، الذي كلُّ شئٍ دونه ^(٣) .
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .
ووقع في أوَّلِ سفرٍ ^(٥) من التَّوْرَةِ - عن إسماعيل : وستلِدُ عَظِيمًا لَأُمَةٍ [٨٢]
عَظِيمَةً ؛ فهو عَظِيمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .
ومن أسمائه تعالى : الجَبَّارُ ، ومعناه المُصْلِحُ ، وقيل القاهر . وقيل العَلِيُّ العظيمُ
الشَّانُ . وقيل المتكبر .

وسُمِّيَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - في كتاب داود ^(٦) جَبَّارًا ؛ فقال ^(٧) :
تَقْلُدُ ^(٨) أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ ؛ فَإِنْ نَامُوسُكَ ^(٩) وَشِرَائِمْكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةٍ يَمِينِكَ ^(١٠) .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٠ ، والتكوير ، آية ١٩

(٢) صحيحة لاتصافه بفاية السكرم .

(٣) دونه : قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته .

(٤) سورة القلم ، آية ٤

(٥) سفر : كتاب . عن إسماعيل : أى سفر يصدر عن إسماعيل عليه السلام ، أو المراد :

في حق إسماعيل . (٦) كتاب داود : أى للصحف الإلهية المنزلة عليه .

(٧) فقال : أى الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزله منزلة الوجود لتحققه في علمه .

(٨) تقلد السيف : إذا جعل حماله على عاتقه وحمله كالقلادة . وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر

بالتقاتل .

(٩) ناموسك : الوحي المنزل عليك ؛ أو عظمتك في قلوب الناس . وأصل معنى التاموس

صاحب السر للطلع على باطن أمره .

(١٠) بهيبة يمينك : أى بالخوف من سيفك .

ومعناه^(١) في حق النبي - صلى الله عليه وسلم : إِمَّا لِإِصْلَاحِ الْأُمَّةِ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ ،
أَوْ لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ ، أَوْ لَعَلَّوْا مَنَزِلَتَهُ عَلَى الْبَشَرِ ، وَعَظِيمُ خَطَرِهِ^(٢) .
ونفى عنه تعالى - في القرآن - جَبَرِيَّةَ التَّكْبُرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ ؛ فَقَالَ^(٣) :
﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ - تعالى : الْخَبِيرُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ^(٤) ، الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ .
وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ^(٥) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٦) : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ .

قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ : الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَالْمَسْتَوَلُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : هَلِ السَّائِلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْمَسْتَوَلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ؛
فَالنَّبِيُّ خَبِيرٌ بِالْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ^(٧) ؛ قِيلَ : لِأَنَّهُ عَالِمٌ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ
اللَّهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ ، وَعَظِيمُ مَعْرِفَتِهِ ، يُخْبِرُ لَأَمَّتِهِ بِمَا أُذِنَ لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ .
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْفَتَّاحُ ؛ وَمَعْنَاهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ^(٨)

(١) ومعناه : معنى الجبار . (٢) خطره : شرفه وقدره .

(٣) سورة ق ، آية ٤٥

(٤) المطلع بكنه الشيء : الواقف على حقائق الأشياء .

(٥) الخبر أنبياءه ورسله بكلامه للنزل عليهم . أو الخبر عباده يوم القيامة بأعمالهم ؛ فإنه

لا يمزب عن علمه شيء .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٧) أما على الوجه الأول فظاهر لإطلاقه عليه ، ولأنه لو لم يكن خبيراً لم يأمر بسؤاله .

وأما على الثاني فلأن إذنه له في السؤال دال على إعلامه به .

(٨) بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح أقفال موانعها . والرحمة : الإنعام ؛ أي

لنعمهم عليهم ، الرزاق لهم .

الرِّزْقِ والرحمة ، والمُنْفَلَقِ من أمورِهِم عليهم ^(١) ؛ أو يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وبَصَائِرَهُمْ لمعرفة الحق ؛ ويكون أيضا بمعنى الناصر ؛ كقوله تعالى ^(٢) : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ ؛ أى إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ ؛ وقيل : معناه مُبْتَدَى الْفَتْحِ والنَّصْرِ .

وسَمَّى اللهُ تعالى نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل - من رواية الربيع بن أنس ، عن أبي العالية وغيره ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ؛ وفيه ^(٣) : من قول الله تعالى : وجعلتك فاتحا وخاتما ^(٤) .

وفيه ^(٥) - من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه ، وتعدد مراتبه ^(٥) : وَرَفَعَ لِي ^(٦) ذِكْرِي ، وجعلني فاتحا وخاتما ؛ فيكونُ الفاتحُ هنا بمعنى الحاكم ، أو ^(٧) الفاتح لأبواب الرحمة على أُمته ، أو ^(٧) الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله ؛ أو الناصر للحق ، أو المُبْتَدَى بِهْدَايَةِ الْأُمَّةِ ، أو المُبْدَأُ الْمُقَدَّمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمَ لَهُمْ ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ .

ومن أسمائه تعالى ^(٨) في الحديث ^(٩) : الشُّكُورُ ؛ ومعناه ^(١٠) المُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ

(١) فاتح المنفلق ، أى مبسر كل صعب ومسهله . (٢) سورة الأنفال ، آية ١٩

(٣) وفيه : أى في حديث الإسراء - وقد تقدم هذا الحديث صفحة ٢٤٠

(٤) أى أول الأنبياء وخاتمهم .

(٥) وتعدد مراتبه : أى مقاماته بين يدي ربه .

(٦) رفع لى ذكرى : يجعله قرينا لذكره - كما تقدم . (٧) فى ١ : والفاتح .

(٨) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة فى تعداد الأسماء

الحسنى (سنن الترمذى : ٥ - ٥٣٠ ، وصحيح مسلم : ٥٠٦٢) .

(٩) وذلك فى قوله تعالى : « إِنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » .

(١٠) ومعناه : أى فى حق الله تعالى .

الْقَلِيل . وَقِيلَ الْمُتَنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ ^(١) ؛ وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهٖ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ^(٢) :
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ ^(٣) : أَفَلَا أكونُ عَبْدًا
شَكُورًا ؛ أَيْ مُعْتَرِفًا بِنِعَمِ رَبِّي ، عَارِفًا بِقَدْرِ ذَلِكَ ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ ، مُجْهِدًا ^(٤) نَفْسِي
فِي الزِّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْعَلِيمُ ، وَالْعَلَّامُ . وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ^(٦) .
وَوَصَفَ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعِلْمِ ؛ وَخَصَّهُ بِمَرْيَةِ ^(٧) مِنْهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى ^(٨) :
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ ^(٩) : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْأَوَّلُ ، وَالْآخِرُ ؛ وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ [٨٣] لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ
وُجُودِهَا ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا .

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ^(١٠) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ^(١١) ؛ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ؛

- (١) قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٥٦) : وَهَذَا أَنْسَبُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ الْحَقِيقِيِّ وَأَقْرَبُ .
(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةُ ٣ (٣) وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦ - ١٦٩
(٤) مُجْهِدًا نَفْسِي : بِإِذْلٍ جَهْدِي وَطَاقَتِي وَمَتَعِبًا نَفْسِي . (٥) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ، آيَةُ ٧
(٦) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا غَابَ وَخَفِيَ ، وَمَا حَضَرَ وَظَهَرَ ،
وَدَقَّ وَجَلَ .

- (٧) مَرْيَةٌ : فَضِيلَةٌ . (٨) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةُ ١١٣ (٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٥١
(١٠) وَلَا ابْتِدَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ ؛ فَلَا سَابِقَ عَلَيْهِ ، وَلَا بَاقِيَ عِنْدَهُ .
(١١) يَعْنِي فِي عَالَمِ الدَّرِّ وَالْأَرْوَاحِ ؛ خَلَقْتَ رُوحَهُ ، وَنَبِيَّ قَبْلَهُمْ . وَالْحَدِيثُ فِي ابْنِ كَثِيرٍ :
٦ - ٣٨٣ ، وَأَخْرَجَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الشُّورِ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ سَفْيَانَ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ،
وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ ، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَالدَّبَلِيِّ .

وَقُفِّرَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ^(٢) وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾؛
فَقَدَّمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى تَحْوِيٍّ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ .

وَقَوْلُهُ ^(٥) : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ

شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ؛ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَآخِرُ الرُّسُلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْقَوِيُّ . وَذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ^(٦) ؛ وَمَعْنَاهُ : الْقَادِرُ .

وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ ^(٧) : ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ؛

قِيلَ مُحَمَّدٌ . وَقِيلَ جَبْرِيلُ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الصَّادِقُ ، فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ ^(٨) .

وَوُرِدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا اسْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ^(٩) .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٧

(٢) الميثاق : هو أن يؤمنوا بالله ويوحده .

(٣) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٥٨) : قَدَّمَ مُحَمَّدًا فِي الذِّكْرِ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْخَلْقِ ، بَلْ
وَالْبَعَثُ ؛ وَهَذَا التَّفْسِيرُ رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . . .

فَقَالَ : كُنْتُ أَوَّلَهُمْ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعَثِ .

(٤) فِي قَوْلِهِ - كَمَا تَقَدَّمَ : لَمَّا بَكَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ تَوَفَّى : يَا أَبَتِ أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ أَوَّلَهُمْ ، فَقَالَ : وَإِذْ
أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ . . .

(٥) سنن الترمذی : ٥ - ٣٠٨ ، ٥٨٧

(٦) سورة القدریات ، آية ٥٨ (٧) سورة التکویر ، آية ٢٠

(٨) المصداق : الصدق بما جاء به . فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ الْمُرَوِّى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - كَمَا رَوَاهُ

ابن ماجه ١٢٧٠ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

ومن أسمائه تعالى : الْوَلِيُّ ، وَالْمَوْلَى ؛ ومعناها الناصر ؛ وقد قال الله تعالى ^(١) : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) : أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ .

وقال الله تعالى ^(٣) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ ^(٦) .

ومن أسمائه تعالى : الْعَفْوُ ^(٧) ؛ ومعناه الصفوح .

وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن ، والتوراة ، وأمره بالعفو ؛ فقال

تعالى ^(٨) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ .

وقال ^(٩) : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ .

وقال له جبريل - وقد سأله عن قوله ^(٨) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ قال ^(١٠) : أَن تَعْفُو

عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

(١) سورة المائدة ، آية ٥٥

(٢) رواه البخارى عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ، وأبو داود : أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ .

وفي البخارى أيضا : أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينٌ وَلَمْ يَتْرِكْ وَفَاءً فَعَلَىٰ

قِضَاؤِهِ . والحديث في صحيح البخارى : ٦ - ١٤٥

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٤) أى أحق بهم من أنفسهم ؛ فإنه يتولى صلاحهم ، وينصرهم ، ويقضى ديونهم ، ويخلصهم

مما يكرهون في الدنيا والآخرة .

(٥) في حديث رواه الترمذى وحسنه (سنن الترمذى : ٥ - ٦٣٣) .

(٦) للراد ولواء الإسلام ونصرته .

(٧) العفو : مبالغة في العفو عن السيئات ، وهو محوها وإزالتها .

(٨) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ (٩) سورة المائدة ، آية ١٣

(١٠) هذا التفسير على غير رأى الأكثرين من المفسرين ؛ فهم يرون أن معنى العفو : المال

الفاضل عن نفقة العيال .

وقال - في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور^(١) ، في صِفَتِهِ : ليس بَعَظَرٍ ولا غَلِيظٍ ، ولكن يَغْفُو وَيَصْفَح .

ومن أسمائه تعالى : الهادي ؛ وهو بمعنى توفيقِ الله لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ ، وبمعنى الدلالةِ والدُّعَاءِ^(٢) . قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤) . وأصلُ الجميعِ^(٥) مِنَ اللَّيْلِ^(٦) . وقيل : من التقديم . وقيل في تفسير ﴿ طه ﴾ : إنه يا طاهر ، يا هادي^(٧) ؛ يعني النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله تعالى له^(٨) : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقال فيه^(٩) : ﴿ وداعياً إِلَى اللَّهِ يَازِّنُهُ ﴾ .

فاللهُ تعالى مختصٌّ بالمعنى الأول^(١٠) ؛ قال تعالى^(١١) : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ . وبمعنى الدلالةِ يَنْطَلِقُ عَلَى غَيْرِهِ تعالى .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تعالى : الْمُؤْمِنُ لِلْهَيْمَنِ ؛ قيل : هما بمعنى واحدٍ ؛ فعنى المؤمن

(١) هذا الحديث تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) الدعاء : الدعوة . (٣) سورة يونس ، آية ٢٥

(٤) أى يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وأرسل من الرسل ، ووفقهم لاتباعهم .

(٥) الجميع من معاني الهداية .

(٦) فعنى هداه إلى كذا : صرفه إليه ، وأماله عن غيره .

(٧) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقي . فهو طاهر من كل دنس ، وهو هداية لحلقه .

(٨) سورة الشورى ، آية ٥٢

(٩) سورة الأحزاب ، آية ٤٦

(١٠) وهو التوفيق بخلق الاهتداء ؛ فإنه لا يقدر عليه سواه .

(١١) سورة القصص ، آية ٥٦

في حقّه تعالى : الْمُصَدِّقُ وَعَدَهُ عِبَادَهُ ^(١) ، وَالْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الْحَقَّ ^(٢) ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ ^(٣) . وَقِيلَ : الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ ^(٤) . وَقِيلَ : الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ ^(٥) ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ .

وَقِيلَ : الْمُتَهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الْأَمِينَ ، مُصَغَّرٌ مِنْهُ ، فَقُلِبَتْ الهمزة هاء .
وَقَدْ قِيلَ : إِنْ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ : آمِينَ - لِأَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٦) ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ : الْمُتَهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ ^(٧) وَالْحَافِظِ .
وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينٌ ، وَمُتَهَيِّمِينَ ، وَمُؤْمِنٌ ^(٨) ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا ؛ فَقَالَ ^(٩) : ﴿ مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ﴾ .
وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ ، وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النَّبَوَّةِ وَبَعْدَهَا ؛ وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ ^(١٠) ، فِي شِعْرِهِ مُتَهَيِّمِينَ فِي قَوْلِهِ [٨٤] :

(١) أَى مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الثَّوَابِ ، وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَالتَّصَرُّفِ الْعَزِيزِ فِي الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . . .

(٢) أَى الْقَدَى صَدَقَ مَا قَالَهُ مِنَ الْحَقِّ .

(٣) أَى بِصَدَقَ مَا قَالُوهُ ، أَوْ جَاعَلَهُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ مُلتَزِمِينَ لِلصَّدَقِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَعُهُودِهِمْ .

(٤) الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . وَقَوْلُهُ : « إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا » - فَصَدَّقَ مَا نَطَقَتْ بِهِ السَّكَاكِنَاتُ وَحِكْمَتُهُ الْبَرَاهِينُ مِنْ تَوْحِيدِهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَعْنَى التَّصَدِيقِ .

(٥) مِنْ ظُلْمِهِ : لِنُتْرَاضِهِ عَنْهُ : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(٦) قَالَ الْحَسَنُ . مَعْنَاهُ اسْتَجَبَ ، أَوْ لَا تَخْجِبُ .

(٧) الشَّاهِدُ : الْحَاكِمُ ، وَالَّذِى يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

(٨) أَى يَسْمَى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ . (٩) سُورَةُ التَّكْوِينِ ، آيَةُ ٢١

(١٠) هُوَ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمِ النَّبِيِّ ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ - نَطَقَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ صَفْحَةُ ٢١٩

ثم^(١) احتوى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنِ مِنْ خَنْدِفٍ عَلَيْهِ تَحْنُهَا النُّطْقُ
 قيل : المراد : بإيها المُهَيْمِنِ ، قاله الْقَتَبِيُّ^(٢) ، والإمام أبو القاسم الْقَشِيرِيُّ .
 وقال تعالى^(٣) : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أى يصدق .
 وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي^(٤) ؛ فهذا بمعنى المؤمن .
 ومن أسمائه تعالى : الْقُدُّوس^(٥) ، ومعناه المنزَّه عن النقائص المظهر من سمات
 الحادث ؛ وسُمِّيَ بيت المقدس ، لأنه يُتَطَهَّرُ فيه من الذنوب^(٦) ؛ ومنه : الوادى
 المقدس ، وروح القدس^(٧) .

(١) فى اللسان : حق احتوى . . . قال : والنطق : جمع نطق ، وهى أعراض من جبال
 بعضها فوق بعض ؛ أى نواح وأوساط ، شبهت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ، ضربه مثلا
 فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجملهم تحته بمنزلة أو ساط الجبال . وأراد ببيته شرفه . والمهيمن
 نعمته ؛ أى حق احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف .

(٢) هذا فى ١ ، ب (٣) سورة التوبة ، آية ٦١

(٤) هذا طرف من حديث : النجوم أمانة فى السماء ، فإذا ذهب أتى السماء ما توعده ،
 وأنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي
 أتى أمتي ما يوعدون . يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ؛ ولذا أكثر سقوطها عند
 بعثته ؛ إشارة إلى قرب الساعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من وقوع بأسهم بينهم
 ووقوع الفتن ؛ فإذا توفاه الله ابتداء وقوع ذلك ؛ كقصة عثمان ، وعلى ، والحسين . وأصحابه
 صلى الله عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر ؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك .
 والحديث فى صحيح مسلم : ١٩٦١ ، والشرح من شرح الشهاب (٢-٤٦٦) . وأمانة : أمان .
 (٥) القدوس : من القدس ؛ وهو الطهارة والزهارة .

(٦) يتطهر فيه من الذنوب : بزيارته والعبادة فيه . روى النسائي بإسناد صحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خللا ثلاثا :
 حكما يصادف حكمه . وملكا لا ينفى لأحد من بعده . وألا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهره إلا
 الصلاة فيه يخرججه من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فأعطى جميع ذلك (شرح الشهاب : ٢-٤٦٦) ،
 قال : ولهذا تشد إليه المطى ، كما تشد إلى مكة .

(٧) الوادى المقدس : هو طوى كلم الله فيه موسى . وروح القدس : جبريل .

ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم : المقدّس ؛ أى المطهّر من الذنوب ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .
أو الذى يُتَطَهَّر به من الذنوب ، ويُقَنِّزُه بِاتِّبَاعِهَا ، كما قال ^(٢) : « وَيُرْكَزُ بِهِمْ » .
وقال تعالى ^(٣) : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .
أو يكون مقدّساً بمعنى مطهّراً ^(٤) ، من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة .
ومن أسمائه تعالى : العزيز ، ومعناه : الْمُتَمَتِّع ^(٥) الغالب ، أو الذى لا نَظِيرَ لَهُ ،
أو الْمُعِزُّ لغيره ؛ وقال تعالى ^(٦) : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ؛ أى الامتناعُ وَجَلَالَةُ الْقَدْرِ .

وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة ، فقال ^(٧) : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ .

وقال ^(٨) : ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْحٍ ﴾ ؛ و ^(٩) ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ .
وسمّاه الله تعالى مُبَشِّراً ، ونَذِيراً ؛ أى مُبَشِّراً لأهل طاعته ، ونَذِيراً لأهل مَعْصِيَتِهِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِيهَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : طه ، ويس . وقد ذكر بعضهم أيضاً أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرّم .

(١) سورة الفتح ، آية ١

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ . ومعنى يركبهم : يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ، ويملهم ما يكفهم عن الآثام .

(٣) سورة المائدة ، آية ١٦ ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور : من الكفر والمعاصي إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم بركته .

(٤) فى ١ : مطهر . (٥) المتنع : الذى لا ينال ولا يدرك .

(٦) سورة « المنافقون » ، آية ٨ (٧) سورة التوبة ، آية ٢١

(٨) سورة آل عمران ، آية ٣٩ (٩) سورة آل عمران ، آية ٤٥

فصل

قال القاضى أبو الفضل ^(١) : وفقه الله ، وهأنا ^(٢) أذكرُ نَسَكَةً ^(٣) أذْبَلُ بها هذا الفضلَ ، وأخْتِمُ بها هذا القسم ، وأزِيحُ الإشْكَالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوهم ^(٤) ، سَقِمَ الفهم ، تَخَلَّصَ من مَهَاوِي التشبيه ^(٥) ، وتزحزحه عن شُبهِ التَمويه ^(٦) ؛ وهو أن يعتقد أن الله تعالى جلَّ اسمُه في عظميَّته وكبريائه ومَلَكُوتِه وحُسْنَى أسمائه ، وعلى صِفاته ، لا يُشَبِّهُ شَيْئاً من مخلوقاته ، ولا يشبهُ به ^(٧) ؛ وأنَّ ما جاء مما أطلقه الشرعُ على الخالقِ وعلى المخلوق ؛ فلا تشابهَ بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق ؛ فكما أن ذاته لا تُشَبِّهُ الذوات كذلك صفاته لا تُشَبِّهُ صفات المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لا تَنفَكُ ^(٨) عن الأغراض والأغراض ؛ وهو تعالى - منزَّهٌ عن ذلك ؛

(١) هو المؤلف : القاضى عياض . (٢) هذا فى ١ ، ب .

(٣) النسكة : الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل ، سميت بها لأن صاحبها كثيراً ما يبحث فى الأرض بقضيب ونحوه .

(٤) للراد بالوهم هنا : الذهن ، والإدراك (الشهاب : ٢ - ٤٦٩) .

(٥) مهاوى : جمع مهواة ؛ وهى كالمهاوية : الحفرة العميقة التى من يقع فيها بصمب طلوعه .

والتشبيه : المراد به تشبيه الله وصفاته بنيرها ؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره .

قد يوم ذلك .

(٦) والتمويه : المراد بالتمويه : زخرفة الكلام الذى لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على

من لا علم عنده .

(٧) لا يشبه به : لا يمثل به شئ لسكال ذاته وجلال صفاته .

(٨) لا تنفك : لا تفارق الأغراض ، والله - تعالى - منزَّه عن الأغراض المحسوسة والكيفيات

النفسانية ، لأنها تابعة للمزاج ، المستلزم للتركيب ، المستلزم للحدوث ، النافى لوجوب الوجود

الذاتى . وأفعاله تعالى لا تعمل بالأغراض ، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة ، وهى تسمى

غرضاً ، أيضاً ، ولكنه ليس محل خلاف .

بل لم يَزَلْ^(١) بصفاته وأسمائه ، وكفى في هذا قوله^(٢) : ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ .
 والله دَرٌّ مَنْ قَالَ من العلماء العارفين^(٣) المحققين : التوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غيرِ
 مُشَبَّهَةٍ^(٤) للذوات ولا معطَّلةٍ عن الصفات^(٥) .

وزاد هذه النكتة^(٦) الواسطيُّ - رحمه الله - بيانا ؛ وهي^(٧) مقصودُنا ؛ فقال :
 ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسمِهِ اسمٌ ، ولا كفِعْلِهِ فِعْلٌ ، ولا كصِفَتِهِ صِفَةٌ ، إلّا مِنْ
 جهةٍ مُوافقةٍ اللَّفْظِ اللَّفْظَ ؛ وجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لها صِفَةٌ حَدِيثَةٌ ،
 كما استحال أن تكون للذَّاتِ الْمُحَدَّثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ .

وهذا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
 وقد فُسِّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رحمه الله - قوله^(٨) [٨٥] هذا ، لِيزِيدِهِ
 بيانا ؛ فقال : هذه الْحِكَايَةُ^(٩) تُشْتَمِلُ على جَوَامِيعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ^(١٠) ، وكيف
 تُشَبِّهُ ذَاةَ ذاتٍ^(١١) الْمُحَدَّثَاتِ ؛ وهي بوجودها^(١٢) مُسْتَغْنِيَةٌ ؛ وكيف يُشَبِّهُ فِعْلُهُ فِعْلَ

(١) لم يزل موجودا أبدا بصفاته وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته ؛ فهي قديمة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١

(٣) يقال : لله دره : للثناء عليه والتمجيب من محاسنه .

قال في نسيم الرياض (٢ - ٤٧٢) : أراد بالعارفين مشايخ الصوفية .

(٤) هذا الضبط في ١ ، وفي ب ضبطت بضم اليم ومكون الشين ، وبضم اليم وفتح الشين

ولتشديد الباء ، وكتب عليها « معا » .

(٥) المراد غير منفي عنها الصفات . (٦) النكتة : يريد معنى التوحيد الذي قاله المشايخ .

(٧) وهي : أى الزيادة . (٨) قوله : أى الواسطي المتقدم .

(٩) هذه الحكاية : أى المحكى المنقول عن الواسطي .

(١٠) وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لا مثله ولا ضد ، ولا ند ولا شريك

له في ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

(١١) في ب : ذوات . (١٢) مستغنية : مستقلة غير محتاجة لغيرها .

الخلق ، وهو لغير جلب^(١) أنس ، أو دفع نقص حصل ، ولا لخواطر وأغراض^(٢) وجد ، ولا بمباشرة ومعالجة ظهر ؛ وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه^(٣) .
وقال آخر - من مشايخنا^(٤) : ما تَوَهَّمْتُمُوهُ بأوهامكم ، أو أَدْرَكْتُمُوهُ بقولكم فهو مُخَدَّثٌ مثلكم .

وقال الإمام أبو المعالي الجويني : مَنْ اطمأنَّ إلى موجودٍ انتهى إليه فكرُهُ ؛ فهو مُشَبَّهٌ^(٥) ، وَمَنْ اطمأنَّ إلى النفي المحض فهو معطلٌ^(٦) وإن قطع بموجودٍ^(٧) اعترف بالهجز عن درك حقيقته فهو مَوْحَدٌ^(٨) .
وما أحسن قول ذى النون المصرى^(٩) : حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى

- (١) جلب : تحصيل ؛ والأنس : دفع الوحشة .
(٢) أى ليس شيء من أفعاله لدفع نقص حصل له ، أو لحاطر ، أو غرض ، وجد في نفسه .
(٣) هذه الوجوه هى : جلب النفع ، ودفع الضرر ، والأغراض ، والمباشرة ، والمعالجة .
(٤) أى يخاطب مريديه .
(٥) اطمأن إلى موجود : تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله . فهو مشبه : معتقد لتشبيهه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره ؛ وهو خطأ ، لأنه ليس كمثل شيء ، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة ؛ فيأتي التشبيه منها .
(٦) المحض : الخالص ؛ بأن نفي ذات الباري حقيقة أو حكما . معطل : ناف للصانع .
(٧) قطع : جزم . بموجود : بإله واجب الوجود .
(٨) فهو موحد : لأنه عرف الله ووحده ، واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف .
(٩) هو الزاهد الواعظ ؛ كان أبوه نوبيا ، وصار عالما فصيحا حكيما ، توفي سنة ٥٢٤هـ .

في الأشياء بلا علاج^(١)، وصنعه لها بلا مزاج^(٢)؛ وعلة كل شيء صنعه^(٣)،
ولا علة لصنعه، وما تصور في وهمك فالله بخلافه^(٤).
وهذا كلام عجيب نفيس محقق، والفصل الآخر^(٥)، تفسير لقوله^(٦):
« ليس كمثله شيء ».

والثاني^(٧)، تفسير لقوله^(٨): « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ». والثالث^(٩)،
تفسير لقوله^(١٠): « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ».
ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات^(١١)، والتعزیه، وجنبنا طرقي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته.

(١) في الأشياء: أي في إيجادها وإبداعها. بلا علاج: بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة.
(٢) بلا مزاج: المراد أن إيجادها لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة؛ بل قدرته تعالى العلية
أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تكن، بمجرد قوله: « كن فيكون ».
(٣) صنعه: أي بمجرد، وبمجرد قدرته. وفي ١: ضبطت التاء في « علة » بالفتحة
والضمة، وكتب عليها « معا ».
(٤) فإن ذاته لا تشبه الدوات، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره؛ فهو منزّه عن أن تتصوره
الأوهام.

(٥) من كلام « ذو النون » وهو قوله: وما تصوره وهمك.

(٦) سورة الشورى، آية ١٠١.

(٧) والثاني: أي الفصل الثاني؛ وهو قوله: وعلة كل شيء صنعه.

(٨) سورة الأنبياء، آية ٢٣.

(٩) والثالث هو قوله: حقيقة التوحيد...

(١٠) سورة النحل، آية ٤٠.

(١١) والإثبات: أي إثبات ما يليق بذاته.

البَابُ الرَّابِعُ

فَمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ^(١)

وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخِصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ : حَسْبُ التَّأَمُّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنْ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ نَجْمَعْهُ
لِتُسْكِرِ نَبُوَّةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا لَطَاعِنٍ فِي مَعْجَزَاتِهِ ؛ فَنَحْتَاجُ إِلَى
نَصْبِ^(٢) الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا ، وَتَحْصِينِ حَوَازِئِهَا^(٣) ، حَتَّى لَا يَتَوَصَّلَ الْطَّاعِنُ إِلَيْهَا^(٤) ،
وَنَذْكُرْ شُرُوطَ الْمَعْجَزِ^(٥) وَالتَّحَدَّى^(٦) وَحَدَّهُ ، وَفَسَادَ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ ،
وَرَدَّهُ ؛ بَلِ الْفَنَاءُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ^(٧) ، الْمَلَكِيِّينَ الدَّعْوَتِ ، الْمَصْدُقِينَ لِنَبُوَّتِهِ ؛ لِيَكُونَ
تَأْكِيدًا فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ، وَمَنْعَةً لِأَعْمَالِهِمْ^(٨) ؛ وَلِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ .

وَنَبِّتُنَا أَنْ نَثْبِتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَمَاتٍ^(٩) مَعْجَزَاتِهِ ، وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ ؛ لَنَدُلَّ^(١٠) ،

(١) المعجزات : هي الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من
كذبهم إذا عجّزوا عن الإتيان بالمثل .

(٢) نصب البراهين : أى إقامة البراهين وإيضاحها وإثبات الأدلة القاطمة للزّمة لمن أنكرها
أو طعن فيها .

(٣) الحوزة : الناحية والجانب . وتحصينها : جعلها حصينة محفوفة كأن عليها حصنًا يحميها .

(٤) لاطاعن : جمع مطعن ، وهو الطعن ، والرد بالأباطيل الفاسدة التي تصدر عن أهل الإلحاد .
والضمير في « إليها » للحوزة ، أو للمعجزة (شرح الخفاجي : ٢ - ٤٧٦) . وفي ب ،
وشرح القارى : الطاعن . (٥) في ب : المعجزة . (٦) حده : تعريفه .

(٧) أى إنما الفناء لأهل ملة محمد من المؤمنين به .

(٨) مناة : زيادة ؛ أى يزيدهم رغبة في أعمالهم الصالحة ، أو من نمت الحديث إذا بلغت ،
ويكون المعنى : يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى .

(٩) أممات معجزاته : كبارها وعظماها .

(١٠) في ب : لندل - بالنون .

على عظيم قدره عند ربه . وأتينا منها بالحق والصحيح الإسناد ؛ وأكثره مما بلغ القطع^(١) ، أو كاد ؛ وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة^(٢) .

ولإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ، وحيد سيره ، وبراعة^(٣) علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، ومجملته كاله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله - لم يمت^(٤) في صحة نبوته ، وصدق دعوته .

وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به .

فروينا عن الترمذي^(٥) ، وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم - أن عبد الله بن سلام ؛ قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جثته لأَنظَرَ إليه ؛ فلما استقبلت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رَحِمَهُ اللهُ ؛ قال : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ، وأبو الفضل بن خيرون ، عن أبي يعلى البغدادي ، عن أبي علي [٨٦] السنجي ، عن ابن محبوب ، عن الترمذي ؛ حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدي ، ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن زُرَّارة بن^(٦) أوفى ، عن عبد الله بن سلام . . . الحديث .

(١) أي وصل إلى رتبة القطع ، بحيث لا يقبل التشكيك .

(٢) الأئمة : يريد أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول ؛ كدلائل النبوة للبيهقي ، والسنن ، وغيرها .

(٣) براعة علمه : علمه الفائق به على غيره .

(٤) لم يمت : لم يشك ، ويقع له تردد .

(٥) الحديث في سنن الترمذي : ٤ - ٦٥٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٦) استبنت وجهه : رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سيرته وباطنه . وفي الترمذي استثبت .

(٧) هذا في ١ ، ب ، وسنن الترمذي (٤ - ٦٥٢) . وفي هامش ب : ابن أبي أوفى .

وعن أبي رَمَثَةَ التَّمِيمِي : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعِيَ ابْنُ لِي ، فَأَرَيْتُهُ ^(١) ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ : هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ ^(٢) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٣) وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَادًا لَمَّا وَقَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ ^(٤) لَهُ ؛ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - قَالَ لَهُ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَلَقَدْ بَلَغَنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ ^(٥) ، هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ^(٥) .

وَقَالَ جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ ^(٦) : كَانَ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ ؟ قُلْنَا : هَذَا الْبَعِيرُ .

- (١) أَرَانِيهِ بَعْضُ مَنْ يَعْرِفُهُ ، وَعَرَفَنِي بِهِ غَيْرِي .
- (٢) أَيْ بِمَجْرَدِ تَطْلُقِ نَظَرِهِ بِهِ اعْتَرَفَ بِنُبُوَّتِهِ لَمَّا شَاهَدَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَنُورِ نُبُوَّتِهِ ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِصَدَقَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٣) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٥٩٣ ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ : أَيْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِضْلَالِهِ .
- (٤) قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ ، أَوْ لُجَّتُهُ ، أَوْ قَمَرُهُ . يَرِيدُ اشْتَهَرَتْ مَقَالَتُكَ هَذِهِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ شَرْفًا وَغَرَبًا . يُقَالُ : قَالَ فُلَانٌ قَوْلًا بَلَغَ قَامُوسَ الْبَحْرِ ؛ أَيْ سَمِعَهُ كُلُّ ذِي رُوحٍ حَتَّى دَوَابِ الْبَحْرِ ، وَهُوَ مِبَالِغَةٌ فِي شَيْعُونِهِ . وَفِي هَامِشِ ١ ، ب : قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ وَمَعْظَمُهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٥٩٣) : وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسُ الْبَحْرِ . وَفِي هَامِشِهِ : نَاعُوسُ الْبَحْرِ : ضَبْطُنَاهُ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا - نَاعُوسٌ ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي أَكْثَرِ نَسَخِ بِلَادِنَا . وَالثَّانِي - قَامُوسٌ . وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْمَشْهُورُ فِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ .
- وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : أَكْثَرُ نَسَخِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَقَعَ فِيهَا قَامُوسٌ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : لُجَّتُهُ . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَعِينِ : قَمَرُهُ الْأَقْصَى .
- (٥) وَجْهٌ اسْتِشْهَادُ الْمُصَنِّفِ بِهِ أَنَّهُ بِمَجْرَدِ رُؤْيِيهِ وَسَمَاعِ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى صَدَقِ مَدْعَاؤِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى نُورَ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ وَحَسَنَ بَهْجَتِهِ آمَنَ بِهِ .
- (٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

قال : بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا وسقا^(١) من تمر ؛ فأخذ بخطامه^(٢) ، وسار إلى المدينة ؛
فقلنا : بعنا من رجل لا ندرى من هو ؛ ومعنا ظمينة^(٣) ، فقالت : أنا ضامنة لثمن
البعير ؛ رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس^(٤) فيكم .

فأصبحنا ، فجاء رجل بتمر فقال : أنا رسول رسول الله إليكم ، يأمركم أن
تأكلوا من هذا التمر ، وتكتالوا حتى تستوفوا^(٥) . ففعلنا .

وفي خبر الجندى ملك عُمَان^(٦) - لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
إلى الإسلام - قال الجندى^(٧) : والله ؛ لقد دلّني على هذا النبي الأُمّي أنه لا يأمر
بخير إلا كان أول آخذ^(٨) به ، ولا ينهى عن شيء^(٩) إلا كان أول تارك له ،
وأنه يغلب فلا يبطر^(١٠) ، ويغلب فلا يضجر^(١١) ، ويغلب بالعهْد ، وينجز^(١٢) الموعد ؛
وأشهد أنه نبي^(١٣) .

(١) وسقا من تمر : الستون صاعا مما يكال .

(٢) الخطام : الزمام الذي يقاد به . (٣) الظمينة : المراد امرأة .

(٤) لا يخيس : لا يفدر ، ويكذب ، فينكس وعده ، ويخلف عهده . فالمراد أن حسن
صورته يدل على حسن سيرته ؛ فمثله لا يفدر عنه ما ظننتموه .

(٥) وتكتالوا : أى تكيلوا منه ثمن البعير . وتستوفوا : تأخذوا الثمن من التمر الذى

جاء به وافيا كاملا غير ما أكلتموه ؛ فإنه هبة منه لكم . وفيه من المكافئ وحسن المعاملة
ما لا يخفى .

(٦) هذا الضبط فى ب . وفى ا : بضم العين وتشديد الميم . وفى هامش ب : غسان .

(٧) فى حديث رواء ابن إسحاق . (٨) أول آخذ به : أول عامل بما أمر به .

(٩) فى ا : عن شر . (١٠) لا يبطر : لا يطنى ولا يفتر ويظهر الفرج .

(١١) فلا يضجر : فلا يقلق ولا يجزع ؛ بل يصبر ويتحمل ما أصابه فى سبيل الله احتسابا لأجره

ورضاه بما قدره الله تعالى . (١٢) ينجز الموعد : يعجل ما وعد به لكرمه .

(١٣) لما تحقق من أخلاقه وكال صفاته . وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل

صفاته صلى الله عليه وسلم صدق نبوته وإن لم يشاهد معجزة .

وقال نِفْطَوِيه - في قوله تعالى ^(١) : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ، ولو لم تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ :
 هذا مثلُ ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : يكادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ
 على نبوته وإن لم يَقُلْ قُرْآنًا ^(٢) كما قال ابن رَوَاحَة ^(٣) :
 لو لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ ^(٤) يُنبِئُكَ بِالْخَبَرِ
 وقد آن أَنْ نَأْخُذَ فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وبعده في معجزة القرآن ،
 وما فيه من مُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ .

فصل

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْمَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَالْعِلْمِ بِذَاتِهِ
 وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ ^(٥) ابْتِدَاءً دُونَ وَاسِطَةٍ لَوْ شَاءَ ؛ كَمَا حُكِيَ عَنْ سُنَّتِهِ ^(٦)
 فِي بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ ^(٧) : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ
 اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ .

وَجَائِزٌ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ تَبْلُغِهِمْ كَلَامَهُ ، وَتَكُونُ تِلْكَ ^(٨)
 الْوَاسِطَةُ ؛ إِمَّا مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ ، كَالْمَلَائِكَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ أَوْ مِنْ جِنْسِهِمْ ، كَالْأَنْبِيَاءِ
 مَعَ الْأَمَمِ ، وَلَا مَا يَسَعُ لِهَذَا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ .

(١) سورة النورة ، آية ٣٥

(٢) وإن لم يتل قرآنًا : المراد : وإن لم يظهر معجزة . وخص القرآن لأنه أعظم معجزاته .

(٣) البيت في الإصابة : ٤ - ٨٦

(٤) منظره : مرآه وظاهره . ينبئك : يخبرك .

(٥) تكليفاته : التي ألزمهم بها من الأمور الشرعية والمبادات .

(٦) سنته : عادته وطريقته . عن بعض الأنبياء : إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون

واسطة ؛ فأوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم ؛ أو ألهمهم ، أو أراهم ذلك في مناماتهم الصادقة .

(٧) سورة الشورى ، آية ٥١

(٨) في ١ ، ب : ذلك . ونراه تحريفاً .

وإذا جاز هذا ولم يستحل^(١)، وجاءت الرسل بما دلّ على صدقهم من معجزاتهم - وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به ؛ لأنّ المعجزة مع التعدي^(٢) من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله : صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه ، وشاهد على صدقه فيما يقوله ؛ وهذا كافٍ . والطويل فيه خارج عن القرض [٨٧] ؛ فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله .

فالنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبا ، وهو الخبر ، وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا .

والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه ، وأعلمه أنه نبي ؛ فيكون نبي^(٣) متبنا^(٤) فعيل بمعنى مفعول ؛ أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ، ومتبنا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ؛ ويكون عند من لم يهزم من النبوة ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ؛ ومعناه أن له^(٥) رتبة شريفة ، ومكانة نبوية^(٦) عند مولاه^(٧) منيفة^(٨) ؛ فالوصفان في حقه مؤتلفان^(٩) .

وأما الرسول فهو المرسل ، ولم يأت فعول بمعنى مفعول في اللغة إلا نادرا . وإرساله أمر الله له بالإبلاغ^(١٠) إلى من أرسله إليه ؛ واشتقاقه من التتابع^(١١) ؛

(١) لم يستحل : أى لم يعد محالا عقلا .

(٢) أى إظهار النبي معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يماثلها .

(٣) هذا في ا ، ب . (٤) له : عند الله . (٥) نبية : عالية مشهورة .

(٦) عند مولاه : ربه الذي تولى أمره . (٧) منيفة : عالية .

(٨) الوصفان : أى وصفه بمعنى الخبر ، أو بمعنى المرتفع . مؤتلفان : متوافقان بحسب المعنى ؛ لأن من بعثه الله وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية . ومن له مقام عال يطلع على ذلك .

(٩) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة .

(١٠) التتابع : التوالى والتكرار لتبليغه .

ومنه قولهم : جاء الناسُ أرسالا^(١) ، إذا تبعَ بعضهم بعضا ؛ فكأنه أُلِزمَ تكريرَ التبليغ ، أو أُلِزمتِ الأمةُ اتباعه .

واختلف العلماء : هل النبيُّ والرسولُ بمعنى ، أو بمعنىين ؟ فقيل : هما سواء ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام ؛ واستدلوا بقوله تعالى^(٢) : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ۚ فَقَدْ آتَيْنَا لَهَا مَعَا الْإِسْلَامَ ۚ قَالَ : وَلَا يَكُونُ النَّبِيُّ إِلَّا رَسُولًا ، وَلَا الرَّسُولُ إِلَّا نَبِيًّا^(٣) .

وقيل : هما مُفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهٍ ؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطِّلاعُ على الغيب^(٤) ، والإعلامُ بخواصِّ النبوة أو الرفعة لمعرفة^(٥) ذلك ، وحَوَازِ^(٦) درجتها ؛ واختلفا في زيادة الرسالة^(٧) للرسول ، وهو الأمرُ بالإِذار والإعلام كما قلنا . وحجَّتُهُم من الآية نفسها التفريقُ بين الاسمين^(٨) ، ولو كانا شيئا واحدا لما حُسِّنَ تَكَرَّرُهُمَا في الكلام البليغ ، قالوا : والمعنى : ما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ أَوْ نَبِيٍّ لَيْسَ بِمُرْسَلٍ إِلَى أَحَدٍ .

وقد ذهب بعضهم إلى أَنَّ الرسولَ مَنْ جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدَأٍ^(٩) ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ^(١٠) نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ ، وَإِنْ أَمَرَ بِالْإِبْلَاجِ وَالْإِذَارِ .

والصحيحُ ، والذي عليه الْجَمَاعَةُ الْغَفِيرُ^(١١) ، أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ، وَايِسُ كُلِّ نَبِيٍّ رَسُولًا .

(١) أرسالا : فرقة بعد فرقة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا .

(٢) سورة الحج ، آية ٥٢ (٣) أى طى هذا المعنى .

(٤) أراد به ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى ، وتشريمه له ما يختص به ، أو به وبغيره .

(٥) في ب : بمعرفة . (٦) حوز درجتها : حيازتها وتحصيلها .

(٧) الرسالة : الأمر بالتبليغ . (٨) بين الاسمين : النبي ، والرسول .

(٩) أى إن شرعه لم يسبق إليه . (١٠) به : بالشرع للبتدأ الذي لم يسبق إليه .

(١١) الجماعة الغفير : الجماعة الكثيرة .

وأول الرسل آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .
وفي حديث أبي ذر^(١) رضى الله عنه : إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي .

وذكر أن الرسل^(٢) ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر^(٣) ؛ أولهم آدم عليه السلام .
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة ، وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي ، ولا وصف^(٤) ذات ، خلافاً للسكرامية^(٥) ، في تطويل لهم ، وتهويل^(٦) ، ليس عليه تعويل .
وأما الوحي فاصله الإسراع ، فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بمجلى سمي وخيا^(٧) ، وسميت أنواع الإلهامات^(٨) وخياً ، تشبيهاً بالوحي إلى النبي ، وسمى الخط وخياً ، لسرعة حركة يده كاتبه ؛ ووحي الحجاب والخط سرعة إشارتهما^(٩) ومنه قوله تعالى^(١٠) : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا 》 ؛ أى أوماً ورمز^(١١) .
وقيل : كتب ؛ ومنه قولهم : الوحا^(١٢) ، الوحا ؛ أى السرعة .

(١) رواه أحمد في مسنده (السند : ٥ - ٢٦٦) ، وابن حبان ، والحاكم في مستدركه .
وقال الحاكم في مستدركه : إنه طعن في بعض رواته . وقيل إنه منسك . وقال القرطبي : أنه أصح حديث ورد في عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام . (نسيم الرياض : ٢ - ٤٩١) .
(٢) منهم : من الأنبياء . وفي السند : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .
(٣) ولا وصف ذات : أى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه - صلى الله عليه وسلم - قبل الوحي إليه .

(٤) فهولاء قالوا : إنها أمران غير الوحي ، وأمر الله بتبليغ شريعته ؛ فصاحبها متصف بهما وإن لم يوح إليه . والسكرامية يفسبون إلى عهد بن كرام .

(٥) وتهويل : أى تخويف وتفزع لمن عدل عن مذهبهم في هذا .

(٦) كقوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل . والإلهام : إلقاء أمر في الروح باعث على الفعل أو الترك .
(٧) أى حركتهما بسرعة للإشارة بهما .

(٨) سورة مريم ، آية ١١

(٩) رمز : أشار بالعين أو بأحد أعضائه .
(١٠) في ١ : الوحاء - ممدودا . وفي ب : الوحا - مقصور . وهو يمد ، ويقصر .

وقيل أصل الوَحْيِ السرُّ والإخفاء ، ومنه سُمِّيَ الإلهامُ وَحْيًا ، ومنه قوله ^(١) : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، أى يُوسِّسُونَ فى صدورهم ؛ ومنه قوله ^(٢) : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ ؛ أى أُنْقِىَ فى قلبها .
وقد قيل ذلك فى قوله تعالى ^(٣) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [٨٨] ؛ أى ما يُلقِيه فى قلبه دونَ واسِطَةٍ ^(٤) .

فصل

اعلم أَنَّ معنى تَسْمِيَتِنَا ما جاءت به الأنبياء معجزة ، هو أَنَّ الخَلْقَ عَجَزُوا عن الإتيانِ بِمِثْلِهَا ، وهى ^(٥) على ضَرْبَيْنِ ؛ ضرب هو مِنْ نوعِ قُدْرَةِ البَشَرِ ؛ فمَجَزُوا ^(٦) عنه ، فتمجيزُهُم عنه فَعَلَهُ اللهُ دَلٌّ على صِدْقِ نَبِيِّهِ ؛ كَصَرْفِهِمْ عن تَمَنَّى الموتِ ^(٧) .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢١ . إلى أوليائهم : من يوالونهم وبصادقونهم من الشركين .
والمراد بالشياطين مرده الجن . وبالأولياء : كفرة قريش .

(٢) سورة القصص ، آية ٧ (٣) سورة الشورى ، آية ٥١

(٤) قال فى نسيم الرياض (٢ - ٤٥٣) : والذى رجحوه فى هذه الآية أن المراد بالوحي فيها الشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ، وكلامه لموسى عليه السلام .
وحديث أبى ذر للشار إليه بتمامه فى نسيم الرياض (٢ - ٤٩٣) ، وشرح القارى (١ - ٥٣٠)
(٥) وهى : أى للمعجزة .

(٦) أى مقدورهم الذى يمكنهم الإتيان بما يماثل من نوعه . فمَجَزُوا عنه : أى فطلب منهم فمَجَزُوا عنه .

(٧) أى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ؛ فكذبهم الله تعالى ، وألزمهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ثم أخبر عنهم بقوله : ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : لو تمنى اليهود الموت لماتوا ، وراوا مقاعدهم من النار .
==

وتمجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم^(١) ، ونحوه .

وضَرْبُ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِمْ ؛ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ كإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً^(٢) ، وَإِخْرَاجِ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ^(٣) ، وَكَلَامِ شَجَرَةٍ ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْأَصَابِعِ ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ^(٤) ، مِمَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ ، إِلَّا اللَّهُ ؛ فَكَوْنُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٥) وَتَحْدِيثِهِ مَنْ يُكَذِّبُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَمْجِيزٌ لَهُ .

وَعَلِمَ أَنَّ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَلَائِلَ نُبُوَّتِهِ وَبِرَاهِينِ صِدْقِهِ . مِنْ هَذَيْنِ النُّوعَيْنِ^(٦) مَعًا ؛ وَهُوَ أَكْثَرُ الرُّسُلِ مِعْجَزَةً ، وَأَبْهَرُ آيَةً^(٧) ،

= أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : إِنْ كُنْتُمْ أَحِبَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْجَنَّةِ مَخْتَصَةً بِكُمْ فَاطْلُبُوا الْمَوْتَ ؛ فَإِنْ مِنْ أَحَبَّ اللَّهُ أَحَبَّ لِقَاءَهُ ، وَمِنْ كَانَتْ دَارُهُ الْجَنَّةَ يَبَادِرُ لِدُخُولِهَا ؛ فَلَمْ يَتِمَّنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَوْ بِلِسَانِهِ .

لَصَرَفَ اللَّهُ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ .
قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٤٩٥) : وَهَذَا أَعْظَمُ حُجَّةٍ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا قَالَ الْمَفْسُورُونَ .

(١) هَذَا الْبَعْضُ هُوَ الْقَائِلُ بِأَنْ إِعْجَازَهُ بِالْصَّرْفَةِ ؛ أَيْ بِصَرَفِ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ عَنْ مَعَارَضَتِهِ مَعَ تَحْدِيثِهِ لَهُمْ وَتَقْرِيرِهِمْ بِذَلِكَ عَلَى رَدِّ دُخُولِ الْأَشْهَادِ حَقَّ عَدْلُوا عَنْ مَجَادَلَةِ الْحُرُوفِ إِلَى مَجَادَلَةِ السِّيُوفِ .

(٢) كإِحْيَاءِ الْمَوْتَى الْقَدْ وَقَعَ لِإِبْرَاهِيمَ وَلِمَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً مِعْجَزَةً لِمُوسَى .
(٣) اقْتَرَحَ عَلَى صَالِحِ جَنْدَعِ بْنِ عَمْرٍو سَيِّدِ قَوْمِهِ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ نَاقَةً عَشْرَاءَ ، فَصَلَّى وَدَعَا رَبَّهُ ، فَتَمَخَّضَتْ تَمَخُّصُ النَّتُوجِ بَوْلَدهَا ، فَانْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةِ عَشْرَاءَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ؛ فَآمَنَ جَنْدَعُ فِي جَمْعٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَتَمَادَى غَيْرُهُمْ فِي الْكُفْرِ حَتَّى عَقَرُوا النَّاقَةَ ، فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ ...
(٤) وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْ مِعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَتَأْتِي مَفْصَلَةٌ .

(٥) مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى : أَظْهَرَهُ عَلَى يَدِهِ بِقُدْرَتِهِ .

(٦) أَيْ مَا هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ ، وَمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا .

(٧) الْآيَةُ : لِلْمِعْجَزَةِ . وَأَبْهَرُ : مِنْ بَهْرٍ ؛ أَيْ ظَهَرَ وَغَلَبَ . وَالْمَعْنَى أَنَّ مِعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ وَأَظْهَرُ وَأَقْوَى .

وأظهرهم بُزْهَانًا ؛ كما سَنَبَّيْنُهُ ؛ وهى - فى كَثْرَتِهَا - لا يحيطُ بها صَبْطٌ ^(١) ؛ فَإِنَّ واحداً منها - وهو القرآن ، لا يحصى عددُ معجزاته بِأَلْفٍ ولا أَلْفَيْنِ ، ولا أَكْثَرَ ^(٢) ؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تحدَّى بسورةٍ منه فَعُجِزَ عنها .
قال أهلُ العِلْمِ : وَأَقْصَرُ السُّورِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . . . فكلُّ آيةٍ أو آياتٍ منه بِمَدَدِهَا ^(٣) وَقَدَّرِهَا مُعْجَزَةٌ ؛ ثم فيها نَفْسُهَا مُعْجَزَاتٌ على ما سننصُّله فيما انطوى ^(٤) عليه من المعجزات .

ثم معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قسمين : قسمٌ منها عِلْمٌ قَطْعاً ، ونُقِلَ إلينا متواتراً كالقرآن ؛ فلا مِرْيَةَ ^(٥) ، ولا خِلافٍ ؛ بِمَجْئِى النَّبِيِّ بِهِ ، وظهورِهِ من قِبَلِهِ ^(٦) ؛ واستدلّاه بِمُحَبَّتِهِ ؛ وإنْ أنكرَ هذا مُعَانِدٌ جاحِدٌ ^(٧) ، فهو كإنكاره وجودَ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الدنيا ^(٨) .

ولإنما جاء اعتراضُ الجاحدين فى الحجّةِ به ^(٩) ؛ فهو فى نَفْسِهِ وجميعِ ما تضمّنه من مُعْجَزٍ معلومٍ ضرورةً .

وَوَجْهُُ إِمْحَاظِهِ معلومٍ ضرورةً ونظراً ، كما سنشرّحه .

-
- (١) لا يحيط بها صَبْطٌ : لا يحيط بها حصر ، أو عد ، أو حفظ .
 - (٢) لما فى ألفاظه من البلاغة وفنونها ، كالتوكيد ، والتلميح ، والتشبيه ، والاستعارة ، والإيجاز ، وحسن الفوائج والخواتم ، والفواصل إلى غير ذلك مما لا يحصى .
 - (٣) بِمَدَدِهَا : أى بمدد سورة الكوثر آيات وحروفاً وكلمات .
 - (٤) فيما انطوى : اشتمل القرآن .
 - (٥) فلا مِرْيَةَ : المِرْيَةُ : الشك ، والتردد ، والشبهة .
 - (٦) من قِبَلِهِ : من جهته وجانبه . (٧) جاحد : منكر له عناداً مع علمه به .
 - (٨) فهو إنكار للمحسوسات ؛ وذلك لا يصدر من عاقل .
 - (٩) فى الحجّةِ به : أى الاحتجاج به ، وأنه كلام الله ؛ كقول المشركين : هذا سحر مبين .
- وأساطير الأولين .

قال بعضُ أئمتنا ^(١) : ويجزى هذا المجزى ^(٢) على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آياتٌ وخوارقُ عاداتٍ إن لم يبلغْ واحدٌ منها معيّنًا القَطْعَ فيبلغه جميعها ؛ فلا مَرِيَّةَ في جريانِ معانيها على يديه ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافرٌ - أنه جرتْ على يديه عجائبُ ^(٣) ؛ وإنما خلافُ المُعَانِدِ في كونها مِنْ قِبَلِ الله .

وقد قدّمنا كونها مِنْ قِبَلِ الله ، وأنّ ذلكَ بِمَثَابَةِ قوله ^(٤) : صدّقت .

فقد علّم وقوعُ مثلِ هذا أيضا مِنْ نَبِيّنا ضرورةَ لاتِّفَاقِ معانيها ^(٥) ، كما يُعلّم ضرورةَ جودِ حاتمٍ ، وشجاعةُ عنترةَ ، وحِلْمُ أحنفٍ ، لاتِّفَاقِ الأخبارِ الواردةِ عن كلِّ واحدٍ ^(٦) منهم على كرمِ هذا ، وشجاعةِ هذا ، وحِلْمِ هذا ، وإن كان كلُّ خبرٍ بنفسه ^(٧) لا يُوجبُ العلمَ ، ولا يُقَطِّعُ بصحّته ^(٨) .

والقسمُ الثاني ^(٩) ما لم يبلغْ مَبْلَغُ الضرورةِ والقَطْعِ ؛ وهو على نوعين : نوع مُشْتَهَرٌ مُنْتَشِرٌ ، رواه العددُ ، وشاعَ الخبرُ به عندَ المحدثينَ والرُّواةِ وَنَقَلَهُ السَّيَرُ والأخبارُ ؛ كَنَبْعِ الماءِ مِنْ بَيْنِ الأصابعِ ، وتكثيرِ الطعامِ ^(١٠) .

(١) بعضُ أئمتنا : أى علماء الحديث والتفسير ، وفي شرح القارى (١ - ٥٣٦) : بعضُ أئمتنا : أى أئمة المالكية .

(٢) يجزى هذا المجزى : يقارب ما تقدم ويشبهه ؛ أى مجزى القسم الأول من معجزاته لئى علم قطعا ونقل إلينا تواترا .

(٣) عجائب : أى أمور خارقة للمادة حيرت أبصارهم والبالهم حتى يتمجب المتمجب منها .

(٤) قوله : قول الله . وقد تقدم صفحة ٣٤٦

(٥) لاتِّفَاقِ معانيها : لتوفيقها كلها في معنى واحد .

(٦) حاتم الطائي المعروف بالكرم في الجاهلية . وعنترة العبيد المشهور بشجاعته في الجاهلية .

أيضا . وأحنف بن قيس المشهور بالحلم - في الجاهلية والإسلام .

(٧) بنفسه : أى وحده ، وبانفراده .

(٨) ولا يقطع بصحّته لعدم تواتره بانفراده .

(٩) والقسم الثاني من للمعجزات . (١٠) الذى رواه أنس وغيره . وسيأتى بمد .

ونوع منه اختص به^(١) الواحد والاثنان ؛ ورَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ ، ولم يَشْتَرِ
اشتهار غيره ، لكنه إذا جُمِعَ إلى مثله اتفقا^(٢) في المعنى ، واجتمعا على الإتيان
بالمُعْجَز ، كما قدَّمناه^(٣) .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) [٨٩] : وأنا أقولُ صدعا بالحق : إن كثيراً من
هذه الآياتِ المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومةٌ بالقطع^(٥) :

أَمَّا انشِقَاقُ الْقَمَرِ فَالْقُرْآنُ نَصٌّ بِوُقُوعِهِ ، وأخبر عن وجوده^(٦) ، ولا يُعَدَّلُ
عن ظاهرٍ إلا بدليل ، وجاء برفع^(٧) احتمالهِ صحيحُ الأخبار من طرق كثيرة^(٨) ،
ولا يُوْهِنُ عَزْمُنَا^(٩) خلافُ أَخْرَقَ^(١٠) مُنْجِلٌ عُرِيَ الدِّينَ^(١١) ، ولا يُلْتَفَتُ إلى

(١) اختص به : أى بروايته .

(٢) اتفقا في المعنى : في أصل الإعجاز وثبوته .

(٣) كما قدمناه : أى من جريانها على يديه ، وانضمام بعضها إلى بعض المقوى له .

(٤) هو المصنف .

(٥) المأثورة : الرواية . معلومة بالقطع : لتواترها .

(٦) في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » : سورة القمر ، آية ١

(٧) برفع احتمالهِ : أى بدفع احتمال خلاف الظاهر .

(٨) في نسيم الرياض (٢ - ٥٠١) : قال خاتمة الحفاظ ابن حجر : إن ما روى في الصحيحين .

يفيد علماً نظرياً وإن لم يتواتر .

(٩) يوهن : يضعف . عزمنا : ما عزمنا عليه وقصدناه من إثبات هذه المعجزات وحمل

النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل .

(١٠) خلاف أخرق : مخالفة أحق : والمراد : جاهل لادراية له ، ولا معرفة بالأحداث .

(١١) المراد أنه غير متمسك بالدين .

سَخَافَةٌ مُبْتَدِعٌ يُبْلِقِي الشَّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بَلْ نُرْغِمُ بِهَذَا أَنْفَهُ ^(١) ،
وَنَنْبِذَ بِالْعَرَاءِ سُخْفَهُ ^(٢) .

وكذلك قصة نَبْعِ الْمَاءِ ، وتكثير الطعام - رَوَاهَا الثَّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ
عَنِ الْجَمَاءِ الْغَفِيرِ ، عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ ^(٣) .

ومنها مَا رَوَاهُ السَّكَافَةُ عَنِ السَّكَافَةِ مُتَّصِلًا عَنْ حَدِّثِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ
وإِخْبَارِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ اجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطٍ ^(٤) ،

(١) بَلْ نُرْغِمُ بِهَذَا أَنْفَهُ : أَيْ نَرُدُّ مَا قَالَهُ ، وَنُظْهِرُ جَهْلَهُ وَسَخَافَةَ عَقْلِهِ ، حَتَّى يَفْتَضِحَ
وَيَذِلَّ وَيَخْزَى . (٢) نَنْبِذُ : نَطْرَحُ وَنُلْقَى .

قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٥٠٢) : وَحَاصِلُهُ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِي الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ ،
لِوُرُودِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ طَرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَمِنْ حَمَلِهِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ سَيَنْشَقُّ إِذَا قَامَتِ
الْقِيَامَةُ يَوْمَ تَشَقُّقِ السَّمَاءِ - لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ ؛ وَإِنْ ارْتَضَاهُ جَمْعٌ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ وَقَعَ شَاعٌ وَذَاعٌ وَمَلَأَ
الْإِسْمَاعَ لِأَنَّهُ آيَةٌ عَظِيمَةٌ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : ظَهَرَ الْأَمْرُ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْقَمَرِ لِلْمَوْضِعِ ؛
كَأَنَّ الْقَالَ الشَّنْفَرَى فِي لَامِيَةِ الْعَرَبِ :

فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتِ وَاللَّيْلِ مَقْمَرٌ
وَشَدَّتْ لَطِيَّاتُ مَطَايَا وَأَرْحَلِ
وَقِيلَ مَعْنَاهُ انْشِقَاقُ الظُّلَمِ عَنْ بَطْلُوغِهِ ، كَمَا يُقَالُ : انْفَلَقَ الصَّبِيحُ وَانْشَقَّ ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ :
فَلَمَّا أَدْبَرُوا وَلَهُمْ دَوَى دَعَانَا عِنْدَ شَقِّ الصَّبِيحِ دَاعَى
وَالدَّاعَى لَهُمْ عَلَى هَذَا عَدَمُ الْوُقُوفِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي السَّنَةِ وَالْفَهْمِ لِأَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ الْذَاهِبِينَ
إِلَى امْتِنَاعِ الْغُرُوقِ وَالِانْتِثَامِ فِي الْأَجْرَامِ الْفَلَاسِكِيَّةِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْخَرَفَاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ .

(٣) كَالشَّيْخَيْنِ عَنْ أَنَسٍ ، وَابْنِ الْبَخَارِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ . وَسَتَاتِي هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بَعْدَ .
(٤) بُوَاطٍ : اسْمُ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ جَهَنَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةُ بَرْدٍ بِقَرَبِ رَضْوَى ؛ وَهُوَ
جَبَلٌ أَيْضًا .

وَأَشَارَ بِالْأَوَّلِ إِلَى قِصَّةِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِنَاقِ ذُبْحِهَا
مَعَ صَاعٍ مِنْ شَمِيرِ خَبْزِهِ ، فَأَنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ دَعَاؤُهُ وَحْدَهُ فَأَكَلُوا
وَشَبِعُوا ؛ وَفَضَلَ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَكَانُوا نَحْوَ أَلْفٍ وَأَشَارَ بِالثَّانِي إِلَى قِصَّةِ بُوَاطٍ ؛ وَهِيَ أَنَّهُ وَضَعَ
عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً قَلِيلًا لِلْوُضُوءِ ، فَقَالَ الْجَابِرُ : ادْعِ النَّاسَ ، فَلَمَّا أَتَوْا وَضَعَ يَدَهُ
الشَّرِيفَةَ فِي الْمَاءِ فَنَبَعَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّعُوا كُلُّهُمْ . وَسَيَأْتِي كُلُّ هَذَا بَعْدَ .

وَعُمْرَةُ الْحَدِيثِ ، وَغَزْوَةُ تَبُوكَ ^(١) ، وَأَمْثَالُهَا مِنْ مُحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) وَتَجْمَعُ الْعَسَاكِرُ ، وَلَمْ يُؤْتَر ^(٣) عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مُخَالَفَةً لِلرَّأْيِ فِيمَا حَكَاهُ ، وَلَا إِنْكَارًا لِمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ رَأْيُهُ كَمَا رَأَاهُ ^(٤) ، فَسَكَوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنُطْقِ النَّاظِقِ ؛ إِذْ هُمُ الْمَنْزُهِونَ عَنِ السَّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ ، وَالْمُدَاهِنَةُ ^(٥) فِي كَذِبٍ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ تَمْنَعُهُمْ ^(٦) ، وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُذَكَّرًا عَنْهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَهُمْ

(١) الْآيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عُمْرَةِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَعْتَمِرًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا صَدَّ الشَّرَكُونَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوتٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، وَمَاءُ الْبَيْتِ قَلِيلٌ جَدًّا نَزَحَ النَّاسُ ، وَشَكُوا الْعَطَشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَعْطَاهُ لِنَاجِيَةِ بْنِ عُمَيْرَةَ ، فَفَرَزَهُ فِي الْبَيْتِ ؛ فَخَاشَ مَأْوَاهَا ، وَجَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهَا دَلْوٌ ، فَأَقْبَلَتْ بِهِ عَلَى نَاجِيَةِ ، وَهُوَ فِي الْقَلْبِ ، وَقَالَتْ :

يَا أَيُّهَا الْمَأْمُوحُ دَلْوِي دُونُكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يَشْنُونَ خَيْرًا وَيَحْمَدُونَكَ أَرْجُوكَ لِلْخَيْرِ كَمَا يَرْجُونَكَ

أَمَّا فِي تَبُوكَ . اسْمُ مَوْضِعٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ ، سَمِيَتْ بِعَيْنِ مَاءٍ : فَقَدْ أَمَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَسْمُوا مَاءَهَا ، فَسَبَقَ رَجُلَانِ بِسَهْمَيْنِ جَمِلَاهُمَا فِيهَا لِيَكْتَرَّ مَأْوَاهَا فَزَجَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَالَ لَهَا : مَا زِلْتُمَا تَبُوكَانَهَا ؛ أَيُّ تَحْفَرَانِهَا لِيَخْرُجَ مَأْوَاهَا .

وَأَشَارَ الْمَنْصَفُ إِلَى آيَةٍ فِيهَا رَوَاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ؛ وَهِيَ أَنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ بِفَضْلِ الْأَزْوَادِ ، فَدَعَا بِنُطْعٍ وَبَسْطَةٍ ، وَدَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، فَعَمِلَ الرَّجُلُ يَحْمِي بِكَفٍّ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَالْآخَرُ بِكَفٍّ مِنْ تَمْرٍ ، وَالْآخَرُ بِكَفٍّ مِنْ شَعِيرٍ ؛ فَجُمِعَ ذَلِكَ وَبُرِكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : خَذُوا ؛ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَافِيَ الْمَسْكَرِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلْأُوهُ ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ .

(٢) الْمُحَافِلُ : جَمْعُ مُحَفَلٍ ، مِنْ حَفَلِ الْقَوْمِ ؛ إِذَا اجْتَمَعُوا وَكَثُرُوا .

(٣) لَمْ يُؤْتَر : لَمْ يَنْقُلْ .

(٤) أَيْ لَمْ يَنْقُلْ إِنْكَارَ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَأَاهُ مِنْهُمْ الْآخَرُ ، بَلْ سَكَتُوا حِينَ سَمِعُوا مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ أَنَّهُ شَهِدَ بِبَعْضِ آيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٥) الْمُدَاهِنَةُ : الْمَطَاوَعَةُ . (٦) تَمْنَعُهُمْ : أَيْ الصَّحَابَةُ .

لَا نُنْكِرُوهُ ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رَوَاهَا من السُّنَنِ وَالسَّيَرِ وَحُرُوفِ الْقُرْآنِ ^(١) . وَخَطَأً بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَوَهْمُهُ فِي ذَلِكَ ، مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ ؛ فَهَذَا النَّوْعُ ^(٢) كُلُّهُ يَلْحَقُ بِالْقَطْعِيِّ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ لَمَّا بَيَّنَّاهُ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ أَمْثَالَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا ، وَبُنِيَتْ عَلَى بَاطِلٍ ، لَا بَدَّ بَعْدَ مَرُورِ الْأَزْمَانِ وَتَدَاوُلِ النَّاسِ وَأَهْلِ ^(٣) الْبَحْثِ مِنْ انْكَشَافِ ضَعْفِهَا ، وَخَوَلِ ذِكْرِهَا ^(٤) ، كَمَا يَشَاهِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ السَّكَاذِبَةِ ، وَالْأَرَاجِيفِ ^(٥) الطَّارِئَةِ . وَأَعْلَامُ ^(٦) نَبِيِّنَا هَذِهِ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ لَا تَزْدَادُ مَعَ مَرُورِ الزَّمَانِ إِلَّا ظُهُورًا ^(٧) ، وَمَعَ تَدَاوُلِ الْفِرَقِ ^(٨) ، وَكَثْرَةِ طَعْنِ الْعَدُوِّ ، وَحِرْصِهِ عَلَى تَوْهِينِهَا ، وَتَضْعِيفِ أَصْلِهَا ، وَاجْتِهَادِ الْمُلْحِدِ ^(٩) عَلَى إطفاءِ نُورِهَا إِلَّا قُوَّةَ وَقَبُولًا ، وَلِلطَّاعِنِينَ عَلَيْهَا إِلَّا حَسْرَةً وَغَلِيلًا ^(١٠) .

وَكَذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ ، وَإِنْبَاؤُهُ بِمَا يَكُونُ ^(١١) وَكَانَ ^(١٢) مَعْلُومٌ مِنْ آيَاتِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ بِالضَّرُورَةِ .

(١) وحروف القرآن : يريد قراءاته المتعددة .

(٢) هذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الآحاد ، ولم يشتهر اشتهاها يقرب من التواتر .

(٣) وأهل البحث : المراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وضعفا .

(٤) وخول ذكرها : بأن تنسى ، ولا يشتهر لها ذكر ، لكونها لا أصل لها .

(٥) والأراجيف : الأكاذيب . (٦) أعلام نبينا : المراد معجزاته المعلومة المشهورة .

(٧) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا .

(٨) تداول الفرق : تسلم الناس بها فرقة بعد فرقة .

(٩) للمحد : الإلحاد : الليل عن الاستقامة ، والمدول عن الحق . وفي ١ : وإجهاد .

(١٠) غليلا : حقدا .

(١١) الغيوب : جمع غيب ، وهو ما خفي علمه عن الناس ، كالجمال وللهدى وغير ذلك ،

وإنباؤه بما يكون في المستقبل من أشراف الساعة ، ومما يقع بين أمته من الفتن وغيرها .

(١٢) وكان : أى حصل في الماضي .

وهذا حق لا غطاء عليه^(١) ؛ وقد قال به من أئمتنا القاضى^(٢) ، والأستاذ أبو بكر^(٣) وغيرهما ، رَحِمَهُمُ اللهُ ؛ وما عندى أوجب قول القائل : إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته^(٤) للأخبار وروايتها ، وشغله بغير ذلك من المعارف ؛ وإلا فن اعتنى بطرق النقل ، وطالع الأحاديث والسير لم يرتب^(٥) فى صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذى ذكرناه .

ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر ؛ فإن أكثر الناس يملون - بالخبر - كون بغداد موجودة ؛ وأنها مدينة عظيمة ، ودار الإمامة والخلافة ؛ وآحاد من الناس لا يملون اسمها ؛ فضلا عن وصفها ؛ وهكذا^(٦) يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه - أن مذهبه إيجاب قراءة [٩٠] أم^(٧) القرآن فى الصلاة للمنفرد والإمام ، وإجزاء النية^(٨) فى أول ليلة من رمضان عمّا سواه ؛ وأن الشافعى يرى تجديد النية كل ليلة ؛ والاقصصار فى المسح على بعض الرأس ، وأن مذهبهما القصاص فى القتل بالمحدد^(٩) وغيره ، وإيجاب النية فى الوضوء ، واشتراط الولى فى النكاح ؛ وأن أبا حنيفة يخالفهما فى هذه المسائل ؛ وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف^(١٠) هذا من مذاهبهم فضلا عن^(١١) سواه .

وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى .

(١) لا غطاء عليه : ظاهر ، منكشف ، من غير ليس وشبهة ، وخفاء .

(٢) هو أبو بكر الباقلانى . (٣) أبو بكر : هو ابن فورك من الشافعية .

(٤) وما عندى : فى اعتقادى وحكى . وأوجب : اقتضى واستلزم وألجأ ؛ أى لم ياجئه

لذلك إلا قلة مطالعته للأخبار النبوية . ومطالعها : الاطلاع عليها .

(٥) لم يرتب لم يشك . (٦) وهكذا : أى مثل أمر بغداد .

(٧) أم القرآن : الفاتحة . (٨) إجزاء النية : نية صوم رمضان كله .

(٩) بالمحدد : الذى له حد جرح كالسيف ونحوه .

(١٠) فى ١ : لا يعلم . (١١) فى ب : عما .

فصل

في إعجاز القرآن

[قال القاضي أبو الفضل رَحِمَهُ اللهُ] ^(١) :

اعلم - وقفنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز ^(٢) مُنْطَوٍ ^(٣) على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها - حُسْنُ تَأْلِيْفِهِ ، وَالتَّيْنَامُ كَلِمُهُ ^(٤) ، وفصاحته ، ووجوهُ إيجازه ، وبلاغته الجارفة عادة العرب ؛ وذلك أنهم كانوا أربابَ هذا الشأن ^(٥) ، وَفُرْسَانُ الْكَلَامِ ؛ قد خُصُّوا من البلاغة وَالْحِكْمِ ^(٦) بما لم يُخَصَّ به غيرهم من الأمم ، وأوتُوا من ذَرَابَةِ اللِّسَانِ ^(٧) ما لم يُؤْتِ لِنَاسٍ ، وَمِنْ فَضْلِ الْخُطَابِ مَا يُقَيِّدُ الْأَلْبَابَ ^(٨) ؛ جعل الله لهم ذلك طَبْعًا وَخَلْقًا ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على الْبَدِيْهِةِ بِالْعَجَبِ ^(٩) ،

(١) من ب . (٢) العزيز : القوى النالِب ، أو الذي لا نظير له .

(٣) منطو : مشتمل ومحتو .

(٤) حُسن تأليفه : أى نظم كلماته مؤلفة متوافقة . والتَّيْنَامُ كالمه : كونها متناسبة بحسب الدلالة ومقتضى مقاماتها .

(٥) الشأن : الأمر العظيم ، والمراد به البلاغة ، وجعلهم أربابها ، أى أصحابها للمالكين لها ، الذين بيدهم أزمته . وفى معترك الأقران : الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن . (٦) أى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما توهبته من الحكم ؛ أى المانى المحسنة للتقنة ، وما يبحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

(٧) الذرابة : أصل معناها حدة السيف والسنان ، والمراد طلاقة اللسان مع خلوه عن اللسنة .

(٨) من فصل الخطاب : الخطاب البين الفاصل عند الحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء . والألْبَاب : جمع لب ، وهو العقل . ويقيد الألْبَاب : يحيرها إذا سمته ، حتى كأنها قيدت ومنعت عن الإتيان بمثله لدهشتها من حسنه وبراعته .

(٩) البدئية : الفجاءة . والعجب : الأمر الذى يمد عجبنا لحسنه وسمو معناه ، فكأنه لم يمهّد .

وَيُدُّوْنَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ ^(١)؛ فَيَخْطُبُونَ بِدِّيْهَا فِي الْمَقَامَاتِ ^(٢)، وَشَدِيدِ الْخُطْبِ ^(٣)، وَيَرْتَجِزُونَ ^(٤) بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ ^(٥)، وَيَتَوَسَّلُونَ وَيَتَوَصَّلُونَ، وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ ^(٦)، فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَطْوِقُونَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجَلَ مِنْ سِمَطِ اللَّالِ ^(٧)، فَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ، وَيَذُلُّونَ الصَّعَابَ، وَيَذْهَبُونَ الْإِحْنَ ^(٨)، وَيَهْجُونَ الدَّمْنَ، وَيَجْرُثُونَ الْجَبَانَ، وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ الْبَنَانِ ^(٩)، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَيَتْرَكُونَ النَّبِيَّ ^(١٠) خَامِلًا.

(١) ويدلون به : يتوصلون . سبب : طريق ووسيلة إلى تحصيل مهمات أمورهم ؛ كالإزام الحضور ، وجلب محبة القلوب ، واستعطاف الملوك والرؤساء .

(٢) بدئها : من غير تصنع ولا تكلف . والمقامات : محافل الناس وجماعهم .

(٣) الخطب : الأمر العظيم الشأن الذي من شأنه أن تقع فيه المخاطبات والنازعات ؛ فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يختمهم على مهماتهم .

(٤) ويرتجزون به : أى ينشدون رجزا ، وهو نوع من الشعر .

(٥) يقدحون : يذمون ويهجون .

(٦) يرفعون من مدحوه بمدائحهم ، فيصير نابه الذكر بمد أن كان خاملا ، ويضعون مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم .

(٧) أجل : أزين وأحسن . وأصل السمت : للسك ما دام فيه الخرز . واللال : اللآلىء .

وقد ضبطت سين كلمة السمت بالفتحة والكسرة وكتب عليها معا في ب . وفي ا : ضبطت بالفتحة ، وكأنها جمع سمط مع أن القاموس قال : جمع سمط سموط . وضبط السين بالكسر .

(٨) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد . ويهجون : يجركون ويظهرون . والدمن : جمع دمنة ؛

وهى فى الأصل ما فى مبارك الإبل من بمرها المتأبد بما عليه من أبوالها ، والمراد الحقد المضمحل المجتمع فى الباطن .

(٩) يبسطون يد الجعد البنان : يمدون ، ويذهبون جمودتها ، وهى انقباضها . والمعنى

أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما .

(١٠) النبى : الشريف المشهور .

منهم البدوي ذو اللفظ الجزل^(١)، والقول الفصل^(٢)، والكلام الفخم، والطبع الجوهري^(٣)، والمنزع القوي^(٤).

ومنهم الحضري ذو البلاغة البارة، والألفاظ الناصعة^(٥)، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل السكفة^(٦)، الكثير الرقيق، الرقيق الحاشية^(٧).

وكلا البابين^(٨) لهما في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة^(٩)، والذبح الفالج^(١٠)، والمهيج^(١١)، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها^(١٢)، ودخلوا من كل باب من

(١) اللفظ الجزل : اللفظ المحكم القاطع الفاصل .

(٢) الفصل : القدي يفعل بين الحق والباطل . (٣) الجوهري : النفيس .

(٤) والمنزع القوي : أي يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطبايعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفي غليله .

(٥) الناصعة : الخالصة من الألفاظ الوحشية الفرية السالبة من الركافة .

(٦) والتصرف في القول القليل السكفة : القليل صفة للتصرف ؛ أي يخرج من نوع إلى نوع من غير تكلف لكونه سجية له . وقد تكون « القليل » صفة للقول : أي لا يورد في كلام ما يعسر فهمه على السامع لفرابة أو تعقيد .

(٧) الرقيق : الحسن واللطافة . والحاشية : أصل الحاشية : طرف البرد والثوب . ورقة حاشيته عبارة عن رفته وحسن نسجه ، وسهولته وسلاسته .

(٨) وكلا البابين : أي كلام البدوي ، والحضري .

(٩) الدامغة : الغالبة لغيرها .

(١٠) القدح : واحد قدح اللبس ؛ وهو سهم بغير ريش ، وقدح اللبس : كانوا يقامرون بها في الجاهلية ، منها ماله نصيب ، ومنها ما لا نصيب له . والفالج : الفأز ؛ أي لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها .

(١١) المهيج : الطريق الواسع . الناهج : البين الواضح المسلك .

(١٢) استنبطوا عيونها : استخرجوا خيلها ومحاسنها .

أبوابها ، وعَلَوْا صَرَحًا لبلوغ أسبابها ^(١) ؛ فقالوا في الخطير والمهين ^(٢) ، وتفننوا في الفث والسمين ^(٣) ، وتقاولوا في القل والسكر ^(٤) ، وتساجلوا في النظم والنثر ^(٥) ؛ فراعهم ^(٦) إلا رسول كريم ، بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزل من حكيم حميد ؛ أحكمت آياته ، وفصّلت كلماته ، وبهرت ^(٧) بلاغته العقول ، وظهّرت فصاحته على كل متول ، وتظافر إيجازه وإيجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطامعه ومقاطعته ^(٨) [٩١] ، وحوّت كلّ البيان جوامعه ^(٩) وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ^(١٠) ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب بحالا ، وأشهر

(١) وعلاوا صرحا : علوا : صعدوا . والصرح : البيت العالي المزخرف بناؤه ، والبيت المنفرد . لبلوغ أسبابها ؛ أى علوا قصر البلاغة ، ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الوصلة لمهامهم ومطالبهم النفيسة .

(٢) الخطير : : الأمر العظيم الذى له خطر ؛ أى شرف ومزية . والمهين : الحقير .

(٣) تفننوا : أتوا بكل فن من فنون الكلام . والفث : أصله المهزول ، والمراد به القبيح والفاسد . وضده السمين .

(٤) تقاولوا : أداروا الكلام بينهم . القل : القليل . والسكر : الكثير .

(٥) تساجلوا : المراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتعارضوا في عد المآثر ، كما هو معروف عندهم .

(٦) فراعهم : أى بيناهم كذلك جاءهم أمر بفتة لم يكن لهم علم به ، ولم يترك مسامعهم مثله .

(٧) بهرت : غلبت ، وأدهشت .

(٨) تبارت في الحسن مطالبه ومقاطعته : تشابهت وتساوت أوائله وأواخره . والمعنى أن

مطامعه - وهو مبدؤه كهوائج السور ، ومقطعه - وهو منتهاه وغايته كهوائج السور - يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعاني . والمراد تشابههما .

(٩) جوامعه : أى جوامع كلمه التى جمعت المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة .

(١٠) انطبق : وافق ، واحتوى . كثرة فوائده : معانيها التى تفيدها . مختار لفظه : لفظه

المهذب الذى كأنه انتخب ونقى .

في الخطابة رجالا ، وأكثر في السجع والشعر سجالا ^(١) ، وأوسع في الغريب واللفظ ممثالا ^(٢) ؛ بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنأزهم التي عنها يتناضلون ^(٣) ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرعا لهم بضما ^(٤) وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ^(٥) افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٦) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ^(٧) فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ... ﴾ .
و ﴿ قُلْ ^(٨) إِنِّي اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

و ﴿ قُلْ ^(٩) فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ . وذلك أَنْ الْمُفْتَرَى أَهْضَلُ ، وَوَضَعَ الْبَاطِلُ وَالْمُخْتَلَقُ عَلَى الْاِخْتِيَارِ أَقْرَبُ ^(١٠) ، واللفظ إِذَا تَبَعَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ كَانَ أَضْعَبُ ؛ ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له ، وفلان يكتب كما يريد .

(١) سجالا : المراد بالسجال هنا المحاورة . أو المفاخرة . أو سجالا ؛ أى تارة ، تارة ، باعتبار النوبة والغلبة . وفي ا : ارتجالا ، وفي هامشه : سجالا . وفي ب : سجالا ، وفي هامشه : ارتجالا . (٢) مقالا : قولاً .

(٣) المناضلة : المفاخرة ، أو الغلبة بالكلام من النظم والنثر .
(٤) ومقرعا لهم : أى مبررا وموينا لهم . والبضع : من الثلاث إلى التسع من كسور المدد .
(٥) سورة يونس ، آية ٣٨

(٦) وادعوا من استطعتم : ادعوا كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على اقتراء كلام بضاهيه .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٣ ، ٢٤ (٨) سورة الإسراء ، آية ٨٨

(٩) سورة هود ، آية ١٣ . ومفتریات : محض كذب واختلاق منكم .

(١٠) المراد بالاختيار ضد الإلجاء والاضطرار ؛ فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق ، وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فإنه يجد مجالا واسعا .

وللأَوَّلِ^(١) على الثاني فَضْل ، وبينهما شَأَوْ بَعِيد^(٢) .

فلم يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ^(٣) التقرُّيع ، ويُبَيِّنُهُمْ غَايَةَ التوبيخ ، وَيَسْفُهُ أَحْلَامَهُمْ^(٤) ، وَيَحْطُ أَعْلَامَهُمْ^(٥) ، وَيَشْتَتُ نِظَامَهُمْ^(٦) ، وَيَسْذُمُ آلِهَتَهُمْ وآبَاءَهُمْ ، وَيَسْتَبِيحُ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وأموالَهُمْ ، وهم في كل هذا نَاكِصُونَ^(٧) عن معارضته ، مُخْجِمُونَ عن مُمَائِلَتِهِ^(٨) ، يُخَادِعُونَ أنفسهم بالتشغيب والتكذيب ، والإغراء بالافتراء^(٩) ، وقولهم^(١٠) : ﴿ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ ، و ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ ، و ﴿ إِنْكَ افْتَرَاهُ ﴾ ، و ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ؛ واللباهقة والرضا

(١) الأول : الذى يكتب كما يقال له . والثانى : الذى يكتب ما يريد . والمراد بالكتابة هنا : الكلام ، وإن لم يكتب . (٢) شَأَوْ : غاية وأمد . والمراد التفاوت الزائد .

(٣) فى ١ : غاية . وفى هامشه : أشد ، وعليها علامة الصحة .

(٤) يسفه أحلامهم : السفه : الخفة . والأحلام : العقول ؛ أى يصفهم بالسفه وقلة العقل .

(٥) يحط أعلامهم : ينكس راياتهم ، ويذل ساداتهم ، ويترى بألبابهم . والمراد أنه يحقرهم ، ويقهرهم بطلانه فيهم ، وإظهار ضلالهم وسوء حالهم .

(٦) ويشتت نظامهم : يفرق جمهم ، ويبطل آراءهم بجذاله وجلاله .

(٧) ناكصون : نكس : أحجم وتأخر . والمراد أنهم لم يمارضوه فيما فعله ، وفيما أتى به ، ولم يأتوا بمثله .

(٨) عن ممائله : عن الإتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما نحتاجهم .

(٩) التشغيب : تهبيح الشر والفتن . والتكذيب : أى بادعائهم كذب رسول الله فيما

جاء به من الحق الذى لا مرية فيه . وفى ١ : بالتكذيب . وفى هامشه : بالأكاذيب . والإغراء الحث والتحريض . وفى ١ : والاغتراء .

(١٠) سورة المدثر ، آية ٣٤ ، يؤثر : ينقل .

(١١) سورة القمر آية ٢ ، وسحر مستمر : دائم باق ، أو محكم متقن .

(١٢) سورة الفرقان ، آية ٤ ، وإفك افتراء : كذب اخترعه واختلقه . والإفك : أسوأ الكذب .

(١٣) سورة الأنعام ، آية ٢٥ وغيرها . وأساطير الأولين : شيء أخذه مما سطره الأولون وزخرفوه . وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كعدة .

بِالَّذِي نَبَّيْتُ^(١)؛ كَقَوْلِهِمْ^(٢) : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . و ﴿ فِي^(٣) أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ ؛ و ﴿ لَا تَسْمَعُوا^(٤) ﴾ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

والادعاء مع العجز بقولهم^(٥) : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ .

وقد قال لهم الله : وَلَنْ تَفْعَلُوا ؛ فافعلوا ولا قدرُوا . وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ سُخْفَائِهِمْ^(٦) - كَمَسِيلَةٍ - كَشَفَ عَوَارِهِ^(٧) جَمِيعَهُمْ ؛ وسلبهم الله ما أَلْفَوْهُ^(٨) ،

(١) اللباهة : الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه . والدنية : النخلة الحقيرة الخسيسة للنخلة التي لا يرضى بها من له عقل ومروءة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٨ ، والنساء ، آية ١٥٥ ، وظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم ؛ وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل . وغاف : جمع أغلف ، أى فى غلاف .

(٣) سورة فصلت ، آية ٥٠

والأكنة : جمع كنان ؛ أى غطاء ؛ يريد منطاة ؛ أى لا تفهم ما تقول ، ولا يصل إليها الدعوة . وما يدعوم إليه القرآن والإيمان . والوقر : الصمم ، وأصل معناه الثقل .

(٤) سورة فصلت ، آية ٢٦

لا تسمعوا لهذا القرآن : لا تصنوا ولا تنصتوا إليه . والنوافيه : المراد رفع الصوت بأى كلام كان ، حتى يشوش على قارئه ، فيقطع قراءته ، أو يمنع من استماعه . لعلكم تغلبون قارئه بقطع قراءته ؛ فغلبتم إنما هى بالجهل والسهو ، كما هو شأن العاجز المعاند .

(٥) سورة الانفال ، آية ٣١ ، وقائل هذا هو النضر بن الحارث .

قال فى نسيم الرياض (٢ - ٥٢٦) : وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ؛ ولو استطاعوا ما منهم أن يشاءوا ، وقد تحداهم وقرعهم بالمعجز عشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا مع استنكافهم من أن يلبوا ، خصوصا فى الفصاحة .

(٦) من سخفائهم : ممن فيه طيش وقلة عقل .

(٧) عوارده - بفتح العين وضما : عيبه وحماقته . وقد ضبطت كذلك فى ب ، وكتب

عليها « مما » .

(٨) ما أَلْفَوْهُ : ما اعتادوه بطباعهم .

من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نعط فصاحتهم ^(١) ، ولا جنس بلاغتهم ؛ بل وأوا عنه مذبرين ، وأتوا مذكعين من بين مهتدين وبين مقتون ^(٢) .

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ ^(٣) الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ . قال : والله ، إن له لحلاوة ^(٤) ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر ^(٥) .

وذكر أبو عبيد ^(٦) أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ ^(٧) : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ، وأعرض عن المثمر كين - فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته .
وسمع آخر رجلا يقرأ ^(٨) : ﴿ فلما استنأسوا منه خلصوا نجيا ﴾ ، فقال : أشهد أن مخلوقا لا يتدر على مثل هذا الكلام .

(١) اليز : التميز والعقل . ونعط فصاحتهم : نوع فصاحتهم ، وطريقتها .

(٢) مذكعين : منقادين . والمقتون : التحير في أمره المنكر لإعجازه .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٠ (٤) في ١ : حلاوة .

(٥) طلاوة : حسن وقبول ورواق . مغدق : من الغدق ، وهو كثرة الماء .

لمثر : له ثمر طيب كثير . والمراد أن كلامه أصله قوى ، ليس من جنس كلام البشر . ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة . وأراد بأسفله : ما تضمنه من المعاني ، كما يقال : تحت هذا الكلام معان غزيرة . وأراد بأعلاه : ما ينتج من الفوائد والموائد التي تظهر من فهم معانيه وتيقنها . ما هذا بقول بشر : لا يشبه كلام البشر بوجه من الوجوه . وفي هامش ب : أمام هذه الجملة : وكذلك قال خالد بن عتبة . (٦) في هامش ب : خ : أبو عبيدة .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٤ . واصدع بما تؤمر : اجهر بما أمرت بتبليغه ، ولا تبالي بما

يقولونه .

(٨) سورة يوسف ، آية ٨٠ ، استنأسوا : يسأوا من يوسف . وخلصوا : اعتزلوا وانفردوا .

نجيا : متناجين في تدبير أمره .

وَحُكِّيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بَقَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِتَشَهُدٍ شَهَادَةِ الْحَقِّ ؛ وَاسْتَخْبِرَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَّارِقَةٍ ^(١) ، الرُّومُ مِمَّنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرَهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَسْرَى ^(٢) ، الْمُسْلِمِينَ [٩٢] يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا ، فَإِذَا [هِيَ] ^(٣) قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهََ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وَحَكِّي الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَاتَلَكِ اللَّهُ مَا أَفْضَحَكَ ! فَقَالَتْ : أَوْ يُعَذِّبُ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ وَأَوْحِينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ؛ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَنَّمِيهِ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ؛ فَجُمِعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ ، وَخَبَرَيْنِ ، وَبَشَارَتَيْنِ ^(٦) .

فَهَذَا ^(٧) نَوْعٌ مِنْ إِعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ ، غَيْرُ مَضَافٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ التَّوَلِّينِ ^(٨) .

(١) البطارقة : جمع بطريق ، ومعناه الرئيس وقائد الجيش ، وجمعه بطارقة .

(٢) في ب : قوما من أسرى للمسلمين يقرءون . (٣) من ب .

(٤) سورة النور ، آية ٥٢ (٥) سورة القصص ، آية ٧

(٦) الأمرين : أرضعيه ، وألقيه . والنهيين : لا تخافي ، ولا تحزني . والخبرين : أوحينا ، وخفت عليه . والبشارتين : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين . (٧) فهذا الجمع .

(٨) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٢ - ٥٣١) : الظَّاهِرُ أَنَّ مَرَادَهُ بِالْقَوْلَيْنِ هُنَا - كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْقَوْلُ بَأَنَّ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ هَلْ هُوَ بِمَجْمُوعِ بِلَاغَتِهِ وَأَسْلُوبِ نَظْمِهِ ؛ أَوْ هُوَ مُتَحَقِّقٌ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى حَدِّهِ وَانْفِرَادِهِ ، بِدُونِ إِضَافَةِ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ ؛ فَإِنَّ كَلَامَهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، خَارِجٌ عَنْ طَوْقِ الْبَشَرِ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْقَوْلَيْنِ : الْقَوْلُ بَأَنَّ إِعْجَازَهُ بِلَاغَتُهُ الَّتِي لَا يَرْتَقِي أَحَدٌ إِلَى مَرْتَبَتَيْهَا ؛ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ مَعْجَزٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَالْمَصْرِفَةِ ، وَالْإِخْبَارُ بِالْمَغِيْبَاتِ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُبَادَرُ مِنْ سِيَاقِهِ .

وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أُنمى به - معلوم ضرورة ،
وكونه - عليه السلام - مُتَّعِدّاً به معلوم ^(١) ضرورة ، وعَجَزُ العرب عن الإتيان
به معلوم ضرورة ، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة ؛ وسبيل ^(٢) مَنْ ليس مِنْ أهلها عَالِمٌ ^(٣) ذلك بعَجَزِ المفكِّرين من
أهلها عن مُعَارَضَتِهِ واعترافِ المُفسِّرين بإعجاز بلاغته .

وأنت إذا تأملت قوله تعالى ^(٤) : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وقوله ^(٥) :
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَافَتُوا وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ . وقوله ^(٦) :
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .
وقوله ^(٧) : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ
الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ ، وقيل : بُعْداً للقوم الظالمين .
وقوله ^(٨) : ﴿ فَكَلَّلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) في هامش ١ : التحدى : التعمد لمنازعة الغاية .

(٢) سبيل : طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة إعجازه ، كالولدين .

والعجم .

(٣) في ب : فعل مبنى للمعلوم ، وللمجهول ، وكتب عليه ما . وفي أ : علم - يكسر العين

وسكون اللام . (٤) سورة البقرة آية ١٧٩

(٥) سورة سبأ ، آية ٥١ ، فزعوا : من حلول الأجل ، أو من بمئتهم من القبور ، أو في

يوم بدر . وأخذوا من مكان قريب : من ظهر الأرض إلى بطنها . أو من الموقف إلى النار ،
أو من صبحراء بدر إلى قليبها .

(٦) سورة فصلت ، آية ٣٤ ، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسن من

كل شيء حسن ، أو بأحسن دفع ممكن .

(٧) سورة هود ، آية ٤٤ ، والإفلاق : الإمساك .

(٨) سورة العنكبوت ، آية ٤٤ . حاصبا : أى ريحا عاصفة فيها .

حصاباء ، وهى الحجارة الصغيرة - وهم قوم لوط . ومنهم من أخذته الصيحة : هم قوم
نمود ومدين . ومن خسفنا به الأرض : قارون . ومن أغرقنا : قوم نوح وفرعون .

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ۖ .
 وَأَشْبَاهُهَا مِنَ الْآيِ ، بَلْ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ - حَقَّقَتْ مَا بَيَّنَّتْهُ مِنْ إِمَارِ الْفَاضِلِهَا ؛
 وَكَثْرَةُ مَعَانِيهَا ، وَدِيْبِيَا جَةِ ^(١) عِبَارَتِهَا ، وَحُسْنُ تَأْلِيْفِ حُرُوفِهَا ، وَتَلَاوُْمُ كَلِمِهَا ^(٢) ،
 وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمْلَةٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَفُصُولًا جَمَّةً ^(٣) ، وَعُلُومًا زَوَاخِرَ ، مُلِئَتْ ^(٤)
 الدَّوَاوِينُ ^(٥) مِنْ بَعْضِ مَا اسْتَفِيدَ مِنْهَا ، وَكَثُرَتْ الْمَقَالَاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ ^(٦) عَنْهَا .
 ثُمَّ هُوَ ^(٧) فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطَّوَالِ ، وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ ^(٨) ، الَّتِي يَضَعُ
 فِي عَادَةِ الْفُصْحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ ، وَيَذْهَبُ مَاءَ الْبَيَانِ ^(٩) - آيَةً ^(١٠) لِمَتَأَمَّلِهِ ؛ مِنْ
 رَبَطِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَالتَّنَامِ سَرْدِهِ ^(١١) ، وَتَنَاصُفِ وَجْهِهِ ^(١٢) ؛ كَقِصَّةِ يُوسُفَ
 عَلَى طُولِهَا .

(١) المراد حسن عبارتها .

(٢) تلاوْمُ كَامِهَا : تَنَاصُبٌ وَمُوَافَقَةٌ .

(٣) وفصولاً جمّة : أنواعاً كثيرة من محاسن الكلام .

(٤) زواجر : كثيرة ، كالبحار الزواجر ؛ من زجر البحر ؛ إِذَا كَثُرَ مَاؤُهُ وَارْتَفَعَتْ

أمواجه . (٥) الدواوين : الدفاتر ؛ يريد كتب التفسير وغيره من الفنون .

(٦) في المستنبطات عنها : أى في المعاني والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات .

(٧) هو : أى القرآن .

(٨) المراد بالقرون السوَالِفُ : الأمم المتقدمة على عصر النبوة . والقرن : مدة من الزمان

مختلف فيها - والمراد أهلُه .

(٩) ماء البيان : رونقه وحسنه .

(١٠) آية : علامة .

(١١) والتنام سرده : أى مناسبة كلماته السرودة المتتابعة مع فصاحتها ، وحسن

تأليفها .

(١٢) وتناصف وجوهه : المراد بالوجوه بلاغته . وتناصف تفاعل - من النصفة والإنصاف ،

يقال أعضاء متناصفة حسناً ؛ أى لا ينقص حسن بعضها عن بعض .

ثم إذا^(١) ترددت قصصه اختلفت المباراتُ عنها على كثرةِ تردُّدِها حتى
تسكاد كل واحدٌ تُنسى في البيانِ صاحبُها ، وتُنَاصِفُ في الحُسنِ وَجْهٌ مُقَابِلُهَا ،
ولا نفورَ للنفوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا ، ولا مَمَادَاةَ لِمَمَادِهَا^(٢) .

فصل

الوجهُ الثاني من إعجازه صورةُ نَظْمِهِ العَجِيبِ ، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ
لأساليبِ كلامِ العربِ وَمَنَاهِجِ^(٣) نَظْمِهَا وَنَثَرِهَا الذي جاء عليه ، ووقفتُ مقاطِعُ
آية ، وانتهت فواصلُ كلماته إليه^(٤) ؛ ولم يوجد قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ نظيرٌ له ، ولا استطاعَ
أحدٌ مُماثلةَ شَيْءٍ منه ؛ بل حارتْ فيه عقولُهم ، وتدلَّهتْ دونه أحلامُهم^(٥) ، ولم
يهتدوا إلى مثله في جنسِ كلامهم من نثرٍ أو نظمٍ ، أو سجعٍ أو رجزٍ ، أو شعرٍ .
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليدُ بن المغيرة ، وقرأ عليه القرآن - رَقَّ ؛
فجاء أبو جهل مُسْكِرًا عليه [٩٣] - قال : والله ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعارِ مني ،
والله ما يُشْبِهُ الذي يقولُ شيئاً من هذا .

(١) ترددت : تكررت .

(٢) أى لا تكره ، ولا تَمَادَى الطباعُ المَعَادَى في القرآن والمكرر من قصصه .

(٣) المناهج : جمع منهج ، وهو الطريق ؛ أى لا يشبه كلامهم المنظوم ، وهو الشعر ، ولا
النثر من الخطب وغيرها .

(٤) المقاطع : جمع مقطع ؛ وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القارىء . والمراد انتهت
ووصلت . والفواصل : جمع فاصلة ؛ وهى الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها .

(٥) تدلَّهت : دهشت وتحيّرت في شأنه . والأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل . يعنى
أن عقولهم لم تصل إليه ؛ إذ تحيّرت فيما هو أقل منه ، فكيف به ! وفى ب : وتولَّهت .

وفي خبره الآخر - حين جمع قُرَيْشًا عند حضور المَوْسِم^(١)، وقال: إِنْ وفُودَ
العربِ تَرِدُ^(٢) فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيَا^(٣)، لا يَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؛ فقالوا: نقولُ كاهن.
قال: واللهِ ما هُوَ بِكَاهِنٍ. ما هُوَ بِزَمَزَمَةٍ^(٤) ولا سَجَمَةٍ.
قالوا^(٥): مجنون. قال: ما هُوَ بِمَجْنُونٍ، ولا بِخَنْقَةٍ^(٦) ولا وَسْوَستِهِ.
قالوا: فنَقُولُ شاعر. قال: ما هو بشاعر. قد عَرَفْنَا الشُّعْرَ كُلَّهُ، رَجَزَهُ،
وهَزَجَهُ، وقَرِيضَهُ، ومَبْسُوطَهُ ومَقْبُوضَهُ، ما هو^(٧) بشاعر.
قالوا: فنقولُ ساحر. قال: ما هُوَ بِسَاحِرٍ، ولا نَفْثَةٍ ولا عَقْدَةٍ^(٨).
قالوا: فما نقولُ: قال: ما أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، إِنْ أَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ باطلُ،
وإِنْ أَقْرَبَ الْقَوْلِ أَنَّهُ ساحر؛ فَإِنَّهُ سِخْرٌ يَفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ^(٩)، والمَرْءِ وَأَخِيهِ،
والمَرْءِ وَزَوْجِهِ، والمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ^(١٠).

-
- (١) المَوْسِم: المراد موسم الحج. وهذا الخبر في دلائل أبي نعيم: ١ - ٣٠٢.
(٢) ترد: أى يقدمون من غير البلاد.
(٢) فَأَجْمِعُوا فِيهِ: أى فى النبى؛ أى دبروا وتداركوا. رأيا: أى أمرا يعتقدون أن له
فائدة ونتيجة. وفى ا: فأجمعوا - بهزجة وصل.
(٤) الزمزمة: صوت خفى لا يكاد يفهم؛ أى ليس كلامه مشبها زمزمة السكاهن، ولا سجمه.
(٥) فى ا: فقالوا.
(٦) الخنق - بفتح النون وكسرهما: الجنون. وقال القارى (١ - ٥٥٨): أى ليس
ممن أصابه الجن وخنقه، ولا وسوس له فى صدره.
(٧) المزج: اسم بحر من بحور الشعر. والقريضة: الشعر، ولعله يريد المقطوعات
الشعرية. ومبسوطه: مطولات قصائده. ومقبوضه: المراد به مختصر أوزانه.
(٨) النفث: النفخ مع ريق. والمقد: عقد حبال أو شعر مضمور ونحوه؛ وكفى به
عن أنه ليس له علم بما يعمل السحرة.
(٩) فى ب: وأبيه، وابنه، وعليها «معا». وفى ا: وابنه، وعليها علامة الصحة.
(١٠) وعشيرته: أى أقاربه الأذنون المباشرون له.

فتفرقوا وجلسوا على السبيل^(١) يحذرون الناس؛ فأنزل الله تعالى في الوليد^(٢) : ﴿ ذَرْنِي ^(٣) وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهْدَتْ لَهُ نَمِيمًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ^(٤) .

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم ؛ قد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته ؛ والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ؛ ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة^(٥) .

وقال النضر بن الحارث نحوه .

وفي حديث إسلام أبي ذر^(٦) ووصف أخاه أنيساً ، قال : والله ما سمعت بأشعر من أخى أنيس ؛ لقد ناقض^(٧) اثني عشر شاعراً في الجاهلية^(٨) ، أنا أحدهم ، وإنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو

(١) السبل : الطرق . (٢) خبر الوليد في الدلائل لأبي نعيم : ١ - ٣٠٣

(٣) سورة المدثر ، من آية ١١ - ٢٤

(٤) ذرني ومن خلقت وحيداً : دعني معه ، فأنا أكفيه من كيد أعدائه وإن كان وحيداً منفرداً عن أهله وعترته لتركهم له .

(٥) ضبطت الكاف بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) الفغاري الصحابي ، وهو جندب بن جنادة . وحديث إسلامه في صحيح مسلم : ١٩١٩

(٧) نقاض الشعر في الجاهلية : إذا قال أحدهم شعراً ذكر فيه افتخاراً بآبائه وشرفهم على قوم غيره ، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ؛ فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله ؛ فيسمى ذلك منافضة . ويقال للقوائد نقاض .

(٨) أي عارضهم في قصائدهم ، فأتى بمثلها ؛ وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر .

بَتَوَلَّم ، ولقد وضعته على ^(١) أقرأ الشعر فلم يلتئم ، وما يلتئم على لسان أحدٍ بعدى
أنه شعر ^(٢) ؛ وإنه لصادقٌ ، وإنهم لسكاذبون .
والأخبارُ في هذا صحيحةٌ كثيرة .

والإعجازُ بكل واحدٍ من النوعين : الإيجاز والبلاغة بذاتها ^(٣) ؛ أو الأسلوب
الغريب بذاته ^(٤) ، كلٌّ واحدٍ منهما نوعٌ إعجازٍ على التحقيق ، لم تقدِّر العربُ على
الإتيان واحدٍ منهما ^(٥) ؛ إذ كلٌّ واحدٍ خارجٌ عن قدرتها ، مُبَيَّنٌ ^(٦) لفصاحتها
وكلامها ؛ وإلى هذا ذهب غيرُ واحدٍ من أئمةِ المحققين .

وذهب بعضُ [المحققين] ^(٧) المقتدى بهم إلى أن الإعجازَ في مجموع البلاغة
والأسلوب ^(٨) ، وأتى على ذلك بتَوَلَّم تمجُّه الأسماعُ ، وتنفُّرُ منه القلوبُ .
والصحيحُ ما قدَّمناه ^(٩) ، والعلمُ بهذا كله ضرورة قطعاً .
ومن تفتن في علوم البلاغة ، وأرهف ^(١٠) خاطره ولسانه أدبُ هذه الصناعة
لم يخفَ عليه ما قلناه .

(١) وضعت على أقرأ الشعر : أنواعه وأنواعه وأمثاله ، أو قوافيه التي
يختم بها ، أي وضعت قوله ، وقابلته ، وقسته بالشعر .

(٢) فلم يلتئم : فلم يتيسر ويتفق . والمعنى : لا يلتئم لأحد غيري أن يقول إنه شعر ؛ لأنه ليس
أحدٌ بأعلم بالشعر وأقدر عليه مني ؛ فلو أمكن لأحد أن ينزله على الشعر ويمارسه به كنت
فمات ، فحيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري . والمراد بإبطال كونه شعراً .

(٣) هذا في أ ، ب .

(٤) بمعنى كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور .

(٥) في ب : منها . (٦) مبين : مخالف .

(٧) من ب . (٨) أي لا بكل واحد منها .

(٩) من أن لكل واحد وجهاً في الإعجاز كافياً فيه .

(١٠) أرهف خاطره : أرهف : حدد ، ودقق ، وسن . خاطره : فكره . ولسانه : نطقه .

وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ؛ فأكثرهم يقول : إنه ما جمع في قوة جزالته ، ونصاعة ألفاظه ^(١) ، وحسن نظمه ، وإيجازه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممتعة عن إقدار الخلق عليها ^(٢) ؛ كإحياء الموتى ، وقلب العصا ، ونسبيح الحصى .
 وذهب الشيخ أبو الحسن ^(٣) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويُقدِّم الله عليه ؛ ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ؛ فنعهم الله هذا [٩٤] ، وعجزهم عنه .

وقال به جماعة من أصحابه ^(٤) .

وعلى الطريقين ^(٥) فعجز العرب عنه ثابت ، وإقامة الحجة عليهم بما يصح ^(٦) أن يكون في مقدور البشر ، وتحديثهم بأن يأتوا بمثله - قاطع ^(٧) ؛ وهو أبلغ في التعجيز ، وأخرى ^(٨) بالتفريع ، والاحتجاج بمجىء بشرٍ مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم ؛ وهو أبهر آية ، وأقنع دلالة ^(٩) .

(١) الجزالة : الصلابة والقوة . والمراد إحكام نظمه ، وعدم ركاكته . ونصاعة ألفاظه : وضوحها وخلوصها .

(٢) من باب الخوارق : من جنسها ونوعها . الممتعة عن إقدار الخلق عليها : أى التى لا يقدرُونَ عليها ، كأنها امتنعت عليهم ، وأبت مطاوعتهم .

(٣) هو أبو الحسن الأشعرى : إمام أهل السنة .

(٤) قال القارى (٢ - ٥٦١) : وهذا هو القول بالصرفة ، وهو مرجوح عند أكابر الأئمة .

(٥) الطريقين : إيجازه ببلاغته وأسلوبه ؛ أو بتمجيذه سبحانه وتعالى إياهم عن معارضته .

(٦) أى بتكليفهم بأقل قليل منه ، وهو ما يمكن أن يكون . . .

(٧) قاطع : أى بتمجيذهم . (٨) أخرى : أحق ، وأولى .

(٩) وهو : أى المذكور من عدم قدرتهم . أبهر آية : أظهر . وأقنع : من قمه ؛ إذا قهره ، وردعه ، وأذله بمعجزه عن معارضته .

وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال ؛ بل صبروا على الجلاء^(١) ، والقَتْل ،
وتجرعوا كأساتِ الصغارِ والذَّل ؛ وكانوا من شموخِ الأنفِ ، وإبابةِ الضيمِ^(٢) ،
بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً^(٣) ، ولا يرضونه إلا اضطرارا ، وإلا فالمعارضةُ
لو كانت من قَدْرهم ، والشغلُ بها أهونُ عليهم ، وأسرعُ بالنجحِ وقَطْعِ العُذرِ
وإفحامِ الخصمِ لديهم^(٤) ، وهم يَمَنُّ لم قُدْرَةٌ^(٥) على الكلام ، وقُدوةٌ في المعرفةِ به
لجميع الأنام ؛ وما منهم إلا مَنْ جَهِدَ جَهْدَهُ^(٦) ، واستنفذ ما عنده في إخفاء ظهوره ،
وإطفاء نوره ، فما جَلَوْا في ذلك خَبِيْثَةً مِنْ بناتِ شِفاهم^(٧) ، ولا أتوا بنُظْفَةٍ مِنْ مَمِينِ
مِيَاهم^(٨) ، مع طُولِ الأمدِ ، وكثرةِ العدَدِ ، وتَظَاهُرِ^(٩) الواهِدِ وما وُلِدَ ؛ بل
أَبْلَسُوا فما نَبَسُوا^(١٠) ، وَمُنِعُوا فَاَنْقَطَعُوا^(١١) ؛ فهذان نوعان من إعجازه^(١٢) .

- (١) الجلاء : ترك الوطن والمال .
- (٢) الأنف : جمع أنف . شموخ الأنف : كناية عن غاية التكبر . والضيم : الدل والتحقيق .
- (٣) لا يؤثرون : لا يرضون ، ولا يختارون .
- (٤) النجح : الظفر والفوز بمطلوبهم . وإفحام الخصم : إسكاته .
- (٥) في ١ : اقتدار .
- (٦) جهد جهده : بذل ما عنده من الجهد ، فلم يقدر على شيء منه .
- (٧) جلوا : أظهروا . خبيثة : مخبأة في ضمائرهم ، مستورة خلف أستار سرائرهم .
من بنات شفافهم : أى كلمة يتلفظون بها .
- (٨) بنطفة : بقطرة قليلة . واليمين : الماء الجارى ظاهرا ، والمراد من أنهار بلاغتهم
وأسرار فصاحتهم ؛ أى لم يقدرُوا على شيء مما طالب منهم .
- (٩) مع طول الأمد : أى اتساع زمن التحدى وطول وقته . تظاهر : تعاون ومساعدة .
- (١٠) أبلسوا : يئسوا . نبسوا : نطقوا .
- (١١) فانقطعوا عن المعارضة لمعجزهم .
- (١٢) أراد إعجازه بنص كلامه وخواص تراكيبه ، وبصورة نظمه وأسلوبه . ولم يلتفت
إلى الصرفة لضمف القول بها عنده كما تقدم . وقال القارى (١ - ٥٦٣) : نوعان من إعجازه ؛
أى اجتماعا وانفرادا .

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى^(١) عليه من الإخبار بالمتنبآت ، وما لم يكن ولم يقع ؛ فوجد ؛ كما ورد ، وعلى الوجه الذى أخبر به ؛ كقوله تعالى^(٢) : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ .

وقوله تعالى^(٣) : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

وقوله^(٦) : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ .

(١) ما انطوى عليه : ما اشتمل عليه .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٧ ، رأى النبي وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه ، وأخبرهم بذلك ، فظنوا أنه سيقع في ذلك العام ، فلما صدم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك ، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك ، وكان كما أخبر .

(٣) سورة الروم ، آية ٣ ، أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة ، وكان كما أخبر الله في كتابه .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٣ ، وعد الله بأن دين رسول الله سيظهر وتغلب أمته جميع الأمم ، وكان كما قال .

(٥) سورة النور ، آية ٥٥ ، ليستخلفهم : أى يجعلهم خلفاء في أرضه ، مالكيين لها منصورين على أعدائهم وكان كما قال .

(٦) سورة النصر ، نزلت مبشرة بفتح مكة ؛ وكان الفتح .

فكان جميعُ هذا ، كما قال ؛ فقلبت الرومُ فارسَ في بضْع سنين ، ودخل الناسُ في الإسلام أفواجا^(١) ؛ فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضعٌ لم يدخله الإسلام .

واستخلف [الله]^(٢) للمؤمنين في الأرض ، وَمَكَّنَ فيها^(٣) دينهم ، ومَلَكَهُمْ إِيَّاهَا من أَقْصَى المَشارِقِ إلى أَقْصَى المَغَارِبِ^(٤) ؛ كما قال عليه السلام^(٥) : « زُوِيَتْ لِي^(٦) الأَرْضُ ، فَأَرَيْتُ مَشارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » . وقوله^(٧) : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ^(٨) ﴾ ؛ فكانَ كَذَلِكَ ، لَا يَكَادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُجَرِّمِهِ مِنَ الْمُنَاجِدَةِ وَالْمُعْطَلَةِ ، لَا سِوَا الْقِرَامِطَةِ^(٩) ؛ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ^(١٠) وَقُوَّتَهُمْ ، الْيَوْمَ نَيِّفًا عَلَى^(١١) خِصْمَانَةِ عَامٍ ، فَا قَدَرُوا عَلَى إطفاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ ، وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ^(١٢) ، وَلَا تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي حُرُوفٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(١) أفواجا : جماعات كثيرة ، بعد جماعات كثيرة .

(٢) ليس في ١ . (٣) فيها : في الأرض .

(٤) من أقصى المشرق .. أى أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعد من جانب المغرب .

(٥) في حديث صحيح رواه مسلم : ٢٢١٥ (٦) زويت لى الأرض : جمعت وطويت .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩

(٨) أخبر الله تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان .

(٩) للملحدة : من الإلحاد ، وهو الميل عن الحق ، سموا بذلك لمدولهم عن ظواهر الشريعة ، وتأويلها بأمور سخيفة ، ويسمون باطنية : (نسيم الرياض : ٢ - ٥٥٣) .

والمعطلة : الذين نقوا الصانع . والقرامطة : طائفة من الملحدين أيضا . قال السمعاني في

الأنساب : القرمطى - بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة ، وهم من أهل هجر والحسا ، وأصاهم

رجل من سواد السكوفة يقال له قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط .

(١٠) حولهم : حولهم ، وجهدهم .

(١١) أى مدة تزيد على خمسمائة عام ،

أى بالنسبة لتاريخ زمن المصنف . (١٢) في ب : من كاهه .

ومنه ^(١) قوله ^(٢) : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .
 وقوله ^(٣) : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَبْشِرِ
 صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
 وقوله ^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .
 وقوله ^(٥) : ﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارُ ^(٦) ثُمَّ
 لَا يَنْصَرُونَ ﴾ . فسكان كل ذلك .
 وما فيه ^(٧) مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ ، وَمَقَالِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فِي حَافِيهِمْ ،
 وَتَقَرُّبِهِمْ بِذَلِكَ ؛ كَقَوْلِهِ ^(٨) : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .
 وقوله ^(٩) : ﴿ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ
 شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
 مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ^(١٠) ﴾ .

-
- (١) ومنه : أى مما أخبر به من النفيات المعجزة .
 (٢) سورة القمر ، آية ٤٥ ، أى سينهزم كفار قريش ، وسيجملهم المسلمون يولون أدبارهم
 بالظعن والضرب ؛ فمعر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة .
 (٣) سورة التوبة ، آية ١٤
 (٤) سورة التوبة ، آية ٣٣ (٥) سورة آل عمران ، آية ١١١
 (٦) لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ؛ أى لا يقدرُونَ عليكم إِلَّا بأذية يسيرة ، كالظعن والتهديد .
 وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُولَوْكُمْ الْأَذْبَارَ : أخبر أنهم كلما قاتلوهم غلبوا ، وكان النصر للمسلمين عليهم .
 (٧) وما فيه : ما فى القرآن .
 (٨) سورة المجادلة ، آية ٨ (٩) سورة آل عمران ، آية ١٥٤
 (١٠) هذا بيان لحال المنافقين ومكرهم ، والذي أخفوه يوم أحد .

وقوله^(١) : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ . لَمْ يَأْتُواكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ : إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ .

وقوله^(٢) : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [٩٥] وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ، وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ^(٣) ۝ ﴾ .
وقد قال مُبْدِيًا^(٤) ، مَا قَدَرَهُ اللَّهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَذَر^(٥) : ﴿ وَإِذْ يَبْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ ^(٦) تَكُونُ لَكُمْ ۝ ﴾ .

ومنه قوله تعالى^(٧) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ ﴾ .

(١) سورة المائدة ، آية ٤١ ، والذين هادوا : اليهود .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٦

(٣) راعنا : كانوا يقولون : راعنا ؛ وصفاله صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، موهمين التماس نظره ورعايته لهم ، مسكرا منهم ولما بالستهم وكلامهم ، وطعنا في الدين بالكذب والامتنعاء والسخرية .

(٤) مبديا : مظهرا . (٥) سورة الأنفال ، آية ٧

(٦) إحدى الطائفتين : العير ، أو النفير . وغير ذات الشوكة : يريد العير ، وكانوا يودون أخذ العير لما فيها من المال ، وقللة ما عندهم من السلاح والرجال .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٥ ، وهؤلاء المستهزئون كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ، ويسخرون منه ؛ وهم : الأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والعامر بن وائل السهمي ، وعدى بن قيس . وقيل : منهم الحارث بن عيطلة ، وفكيفة بن عامر الفهري ، والحارث بن الطلائع ، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا ، وكفايته أمرهم قبل وقوعه ؛ فكان كما قال .

ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله كفاؤه إياهم ؛ وكان المستهزئون نقرأ بمكة بنفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا .
وقوله ^(١) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ؛ فكان كذلك على كثرة مَنْ رام ضربه ^(٢) ، وقصد قتله ؛ والأخبار بذلك معروفة صريحة .

فصل

الوجه الرابع ^(٣) ما أنبأ به من أخبار القرون ^(٤) السالفة ، والأمم البائدة ^(٥) ، والشرائع الدائرة ^(٦) ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار ^(٧) أهل الكتاب الذى قطع عمره في تعلم ذلك ؛ فيؤرده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتى به على نصه ؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقته ، وأن مثله ^(٨) لم ينله بتعليم .

وقد علوا أنه صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمداينة

(١) سورة المائدة ، آية ٦٧ (٢) رام : قصد ضرره .

(٣) من وجوه إعجاز القرآن .

(٤) القرون : جمع قرن ، وهم أهل كل عصر وزمان ؛ أى أخبار الأمم واللحلال للتقدمة والبلاد البعيدة .

(٥) البائدة : الهالكة (هامش ب) .

(٦) الدائرة : الدارسة ، التى لم يبق لها أثر . فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسبت ونسخت أحكامها .

(٧) الفذ : الفرد والشاذ . والأخبار : جمع خبر ، وهو العالم الحافظ الواسع علمه . والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب .

(٨) مثله : مثل النبي ، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم من البشر ، بل بوحى من الله تعالى .

ولا مُثَافَنِيَّةٌ ^(١) ، ولم يَقْبَعْ عَنْهُمْ ، ولا جَهْلَ حاله أحدٌ منهم .

وقد كان أهلُ الكتابِ كثيراً ما يسألونه - صلى الله عليه وسلم - عَنْ هذا ، فيُنْزِلُ عليه من القرآنِ ما يَتْلُو عليهم منه ذِكْراً ^(٢) ؛ كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مع قَوْمِهِمْ ، وخَبَرِ مُوسَى وَالْحَصِيفِ ، ويوسفَ وإخوته ، وأَصْحَابِ الْكُفَى ، وذِي الْقَرْنَيْنِ ، ولُقْمَانَ وابْنِهِ ، وأشْباهُ ذلك من الْأَنْبِيَاءِ [والقِصَصِ] ^(٣) ، وبَدْءِ الْخَلْقِ ، وما في التَّوْرَةِ ، والإنجيلِ ، والزَّبُورِ ، وصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ؛ تَمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بها ، ولم يَقْدِرُوا على تَكْذِيبِ ما ذَكَرَ مِنْهَا ؛ بَلْ أَدْعَنُوا لذلك ^(٤) ، فَمِنْ مُوَفَّقِي آمَنَ بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ ، وَمِنْ شَقِيقٍ مُعَانِدٍ حَاسِدٍ ؛ ومع هذا لم يُحْكَمْ عَنْ وَاحِدٍ ^(٥) مِنَ النَّصَارَى واليهودِ على شِدَّةِ عِدَاوَتِهِمْ لَهُ ، وَحَرِصِهِمْ على تَكْذِيبِهِ ، وطُولِ احتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَتَقْرِيرِهِمْ ^(٦) بِمَا انطَوَتْ عَلَيْهِ مَصَاحِفُهُمْ ^(٧) ، وَكَثْرَةِ سَوَالِهِمْ لَه صلى الله عليه وسلم ، وَتَعْنِيَتِهِمْ ^(٨) إِيَّاهُ - عَنْ أَخْبَارِ أَنْبِيَائِهِمْ ، وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ ، وَمُسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ ^(٩) ، وإِعْلَامِهِ لَمْ يَمَكْتُمُوا شَرَائِعَهُمْ وَمُضْمَنَاتِ كُتُبِهِمْ ؛ مِثْلُ

(١) بِمَدَارَسَةٍ : بِحِفْظِ وَتَلْقُؤِ مِنَ الْإِفْوَاهِ . مُثَافَنَةٌ : مَدَاوِمَةُ طَلَبٍ ، وَجَالَسَةٌ تَحْتَكُ فِيهَا الرِّكْبُ بِالرِّكْبِ حَتَّى يُوَثِّرَ فِيهَا الْإِحْتِكَاءُ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْجُلُوسِ مع أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ وَالشَّرَائِعِ لِلتَّعَلُّمِ عَنْهُمْ . وَفِي ب : مُثَافَنَةٌ ؛ قَالَ الْقَارِي (١ - ٥٦٧) : وَلَعَلَّهَا مَصْحَفَةٌ ، أَوْ يَرَادُ بِهَا الْمَزَاحِمَةُ فِي الْمَعْرِفَةِ ، مِنْ تَقَوُّبِ الذَّهْنِ ، وَهُوَ وَصُولُهُ إِلَى الصَّوَابِ .

(٢) الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُمْ . (٣) مِنْ ب .

(٤) بَلْ أَدْعَنُوا لذلك : أَقْرَأُوا وَاعْتَرَفُوا مُنْقَادِينَ لَهُ .

(٥) فِي أ : عَنْ أَحَدٍ .

(٦) وَتَقْرِيرِهِمْ : تَوْيِيحِهِمْ وَتَفْصِيلِهِمْ .

(٧) مَصَاحِفُهُمْ : يَرِيدُ كُتُبَهُمْ ، وَصُحُفَهُمْ .

(٨) تَعْنِيَتُهُمْ إِيَّاهُ : أَيْ تَكْلِيفُهُمْ بِمَا هُوَ شَاقٌ .

(٩) مُسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ : أَيْ سَوَالِهِمْ عَمَّا أَوْدَعَ فِي مَصَاحِفِهِمْ مِنْ سِيرِ أَنْبِيَائِهِمْ .

سؤالهم عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحُكْمَ الرِّجْمِ ، وما حرّمَ إسرائيلُ على نفسه ؛ وما حرّمَ عليهم من الأنعام ، ومن طَيِّبَاتِ أُحْلَتْ لَهُمْ فحرّمَتْ عليهم بيّغهم^(١) .

وقوله^(٢) : ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَازَرَّهُ فَاسْتَفْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّطَ بِهِمُ السَّكَّارَ ﴾ .

وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن ؛ فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك^(٣) أنه أنكر ذلك أو كذبه ؛ بل أكثرهم صرّح بصغته نبوته ، وصدق مقالته ، واعترف بمناديه وحسدٍم إياه ؛ كأهلِ بَجْرَانَ ، وابنِ صُورِيَا ، وابني أخطب وغيرهم^(٤) .

ومن باهت في ذلك بعض المباحث^(٥) ، وادّعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة - دُعي إلى إقامة حجّته ، وكشف دعوته^(٦) ؛ فقليل له^(٧) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) حرمت عليهم بيّغهم : أى حرمت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٩ ، والإشارة إلى قوله في الآية نفسها : سيأمرهم في وجوههم من أثر السجود .

(٣) من ذلك : من السابق ذكره . وفي ب : فاسمع عن أحد منهم أنه أنكر . . .

(٤) هو عبد الله بن صوريا : حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة . وابنا أخطب : هما حي ، وأبو ياسر ؛ وهما يهوديان من يهود المدينة .

(٥) بهتة وباهتة : إذا كذبه ونسبه للبهتان ، أى من لم يقر بأن ما جاء به محمد صدق ، وادّعى أنه كذب ؛ مكابرة منه .

(٦) في ب : وكشف عورته . (٧) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، ٩٤

فَفَرَّعَ وَوَبَّحَ ، وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مُمَكِّنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ ^(١) ؛ فَمِنْ مُعْتَرِفٍ
بِمَا جَعَدَهُ ، وَمُتَوَاقِعٍ ^(٢) يُبْلِقِي عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدَهُ .
وَلَمْ يُؤْثَرْ ^(٣) أَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتْبِهِ ^(٤) ، وَلَا أَبَدَى
صَحِيحًا وَلَا سَقِيًا ^(٥) مِنْ صُحُفِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ
مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

فصل

هَذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ إِعْجَازِهِ بَيِّنَةٌ لَا تِرَازَعُ فِيهَا وَلَا مِرْيَةٌ ^(٧) .
وَمِنَ الْوُجُوهِ الْبَيِّنَةِ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْوُجُوهِ : آيٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ
فِي قَضَايَا ^(٨) ، وَإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ؛ كَقَوْلِهِ
لِلْيَهُودِ ^(٩) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالصةً ^(١٠) مِنْ دُونِ النَّاسِ
(١) إِحْضَارِ مُمَكِّنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ : وَهُوَ أَمْرُهُم بِالْإِتْيَانِ بِالتَّوْرَةِ ، وَهِيَ حَاضِرَةٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .
(٢) جَعَدَهُ : أَنْكَرَهُ . وَمُتَوَاقِعٍ : مُتَكَلِّفٌ لِلْوَقَاحَةِ ؛ وَهِيَ قَلَّةُ الْحَيَاءِ ، وَصَلَابَةُ الْوَجْهِ ،
حَقٌّ لَا يَبَالِي بِإِفْتِضَاحِهِ . وَالْمُرَادُ بِهِ ابْنُ صُورْيَا الَّذِي وَضَعَ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرِّجْمِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ :
ارْفَعْ يَدَكَ يَا أَعُورَ . . . وَذَلِكَ يَفْسِرُ مَا بَأْتَى بَعْدَ فِي الْعِبَارَةِ .
(٣) وَلَمْ يُؤْثَرْ : لَمْ يَنْقُلْ . (٤) فِي أ : مِنْ كِتَابِهِ .
(٥) وَلَا سَقِيًا : عَحْرًا لَفْظُهُ أَوْ مَوْوَلًا مَعْنَاهُ .
(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ ١٥ ، ١٦ . وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ : لِحِلِّهِ وَسْتَرِهِ عَلَيْهِمْ ، رَجَاءُ
هَدَايَتِهِمْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ .
(٧) مِرْيَةٌ : شُبْهَةٌ وَشَكٌّ .
(٨) قَضَايَا : جَمْعُ قَضِيَّةٍ ، وَهِيَ الْحَادِثَةُ الْوَاقِعَةُ فِي حُكْمِ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ .
(٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٩٤ ، قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا ادَّعَوْا دَعَاوَى بَاطِلَةً ؛ كَقَوْلِهِمْ : لَنْ يَدْخُلَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى . . .
(١٠) خَالصةً : خَاصَّةً بِكُمْ .

فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١) . وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ . . . ﴿ .
 قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَكْثَرُ حُجَّةٍ وَأَكْثَرُ دَلَالَةٍ عَلَى صِحَّةِ
 الرِّسَالَةِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ ﴾ ؛ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا ، فَلَمْ يَتَمَنَّه
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ
 إِلَّا غَضَّ بَرِيْقَهُ^(٢) . - يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ .

فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَّاهُمْ ؛ لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ ، وَصَحَّةَ مَا أَوْحَى
 إِلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَتَمَنَّه أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَّرُوا ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ؛ فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَتُهُ ، وَبَانَ حُجَّتُهُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيُّ : مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَلَا وَاحِدٌ ،
 مِنْ يَوْمِ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ - يُقَدِّمُ عَلَيْهِ^(٣) ، وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ .
 وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهِدٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَنَّاهُ مِنْهُمْ .

وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ^(٤) مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، حَيْثُ وَقَدْ عَلَيْهِ أَسَافَةُ تَجَرَّانَ وَأَبَوَا
 الْإِسْلَامَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ^(٥) : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَآلَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ؛
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٦) .

(١) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ : إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا مَخْصُوصَةٌ بِكُمْ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَيَقَّنَ
 دُخُولَ الْجَنَّةِ اشْتَقَ لَهَا ، وَأَحَبَّ التَّخَلُّصَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا وَأَكْدَارَهَا .

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ : ١ - ١٨٢ ، النِّصَّةُ : مَا تَقِفُ فِي الْحَلْقِ ، فَتَمْنَعُ النَّفْسَ حَتَّى تَهْلِكَ .
 وَغَضَّ بَرِيْقَهُ : وَقَعَ الْمَوْتُ بِهِ سَرِيعًا .

(٣) يَقْدَمُ عَلَيْهِ : عَلَى تَمَنِّيِ الْمَوْتِ . وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ : أَيْ إِلَى تَمَنِّيهِ ، إِذَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّه .

(٤) الْمُبَاهَلَةُ : الْمَلَاعَنَةُ ، أَيْ الدِّعَاءُ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الظَّالِمِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ٦١ .

(٦) وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ : لِيَدْعَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ .

فامتنعوا منها^(١) ، وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجَزَاءِ ؛ وذلك أَنَّ « العاقب » عَظِيمُهُمْ قَالَ لَهُمْ : قد علمتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْمًا نَبِيٌّ قَطَّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا صَغِيرُهُمْ . ومثله قوله ^(٢) : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ... ﴾ .

فأخبرهم أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ؛ كما كان .
وهذه الآية أَدْخُلُ فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ فِيهَا مِنَ التَّعْجِيزِ مَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا .

فصل

ومنها الرُّوعَةُ^(٣) الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، وَالْهِيبَةُ الَّتِي تَغْتَرِبُهُمْ^(٤) عِنْدَ تَلَاوَتِهِ لِقْوَةَ^(٥) حَالِهِ ، وَإِنَافَةُ خَطَرِهِ^(٦) ؛ وَهِيَ^(٧) عَلَى الْمَكْذُوبِينَ بِهِ أَعْظَمُ ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ سَمَاعَهُ ، وَيَزِيدُهُمْ نَفُورًا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٨) ؛ وَبَوَدُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكُرْهَاتِهِمْ لَهُ .

(١) منها : من المبالغة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الروعة : المرة من الروع ، وهو الفزع والخوف الذي يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته .

(٤) الهيبة : الخوف . أو الإجلال . تغريبهم : تطرأ عليهم وتنفشهم .

(٥) لقوة حاله : لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والإنذار .

(٦) وإنافة خطره : علو مرتبته على غيره من الكلام .

(٧) وهى : أى الروعة والهيبة .

(٨) قال تعالى : « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا » ؛ أى

ولوا مرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ^(١) عَلَى مَنْ كَرِهَهُ**؛ وهو الحكم^(٢)، وأما المؤمنُ فلا تزالُ رَوْعَتُهُ بِهِ، وَهَيْبَتُهُ إِيَّاهُ، مع تِلَاوَتِهِ - تَوَلِيهِ انْجِذَا بَا^(٣)، وَتَكْسِبُهُ هَشَاشَةٌ^(٤)، لَمَلِيلٍ قَلْبُهُ إِلَيْهِ، وَتَصْدِيقُهُ بِهِ؛ قال تعالى^(٥): ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ^(٦) 》.

وقال^(٧): ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ 》. ويدلُّ على أن هذا^(٨) شَيْءٌ خُصَّ^(٩) بِهِ - أَنَّهُ يَمْتَرِي^(١٠) مَنْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ، وَلَا يَعْلَمُ [٩٦] تَفْسِيرَهُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ نَضْرَانِي - أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِيٍّ - فَوَقَفَ بِيكِيٍّ؛ فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ بَكَيْتَ؟ قَالَ: لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ^(١١).

-
- (١) صعب: أى لا يقدر أحد على محاكاته، أو شديد. مستصعب: يسرف فهمه وتفسيره بالراى، ولا يمكن تغييره وتحريفه، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنه ليس من جنس كلام البشر.
- (٢) وهو الحكم: أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل، بما تضمنه من الأحكام.
- (٣) فى هامش: غ: انجذابا.
- (٤) هشاشة: مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة السارة والمآنى التى تجعل المؤمن فى نشاط.
- (٥) سورة الزمر، آية ٢٣.
- (٦) أى يمرض جلود أبدانهم قشعريرة، أى قيام، من الخوف من هيئته؛ فإذا تأملوه وتدبروه لانت قلوبهم وجلودهم لأنهم وسرورهم به.
- (٧) سورة الحشر، آية ٢١.
- (٨) هذا: أى ما يحدث فى القلوب والأسماع من الروعة والمهابة.
- (٩) به: أى القرآن دون غيره من الكلام.
- (١٠) يمتري: يطرأ ويصيب.
- (١١) الشجا: الطرب، أو الحزن. والنظم: للراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه. فأتى ذلك فى نفسه، وهو لا يفهمه حتى أبكاه.

وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده ؛ فمنهم من أسلم لما لأول وهلة وآمن به ، ومنهم من كفر ^(١) .

فحكى في الصحيح ^(٢) ، عن جبير بن مطعم ، قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ^(٣) : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ﴾ - كاد قلبي أن يطير للإسلام .

وفي رواية : وذلك أول ما قرّر ^(٤) الإيمان في قلبي .

وعن عتبة بن ربيعة ^(٥) أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه ، فتلا عليهم ^(٦) : ﴿ حمّ . تنزيل من الرحمن الرحيم .. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض أكرمهم فهم لا يسمعون . وقالوا طلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرّ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي

(١) ومنهم من كفر : أى ومنهم من دام واستمر على كفره ، لإصراره على عناده .

(٢) رواه الشيخان مسندا .

(٣) سورة الطور ، آية ٣٥ - ٣٧ . من غير شيء : من غير خالق لهم ، أم هم الخالقون

لأنفسهم . والمصيطرون : المذبذبون للأشياء كما يريدون . والحديث في صحيح مسلم ٦-١٧٥ ،

وصحيح البخارى : ٦-١٧٥ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم : ١-٣٠٨

(٤) وقر : ثبت .

(٥) هذا الحديث رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ١-٣١٤

(٦) سورة فصلت ، من آية ١ إلى ١٣

من فوقها وبارك فيها وقدَّرَ فيها أوقاتها في أربعة أيامٍ سواءٍ للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دُخَانٌ فقال لها وللأرضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ .

فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ بِيَدِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ (١) .

وفي رواية (٢) : فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأ وُعْتُبَةُ مُصْنِعٌ مُلْقٍ بِيَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ (٣) ؛ فَسَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَامَ عُتْبَةُ لَا يَدْرِي بِمَا يُرَاجِعُهُ (٤) ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ ؛ فَاعْتَذَرَ لَهُمْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنَائَ بِمِثْلِهِ قَطُّ ؛ فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ .

وقد حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ رَامَ مُعَارَضَتَهُ (٥) أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ رَوْعَةٌ وَهَيْبَةٌ كَفَّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ .

فَحُكِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُفَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ ، وَشَرَعَ فِيهِ ؛ فَرَّ بِصَبِيٍّ يقرأ (٦) :

(١) أَنْ يَكْفَ : أَيْ سَأَلَهُ مَقْبَلًا عَلَيْهِ بِالْقِرَابَةِ الْقَرِيبَةِ الْمُتَقَضِيَةِ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَمْطَفِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْفَ عَنِ الْقِرَاءَةِ وَيَمْتَنِعَ عَنْهَا .

(٢) وَهِيَ لَابْنِ إِسْحَاقَ أَيْضًا فِي سِيرَتِهِ عَنْ كَعْبِ الْقُرْطِيِّ .

(٣) السَّجْدَةُ فِي الْآيَةِ رَقْمُ ٣٧ مِنْ سُورَةِ فَصَّلَتْ : «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» .

(٤) بِمَا يُرَاجِعُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ يَكَلِّمُهُ بَعْدَ تِلَاوَتِهِ ؛ لِرَوْعَتِهِ الَّتِي أَدْهَشَتْهُ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ .

(٥) رَامَ : طَلَبَ وَقَصَدَ . مُعَارَضَتُهُ : أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامٍ يَمِثِّلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ .

(٦) سُورَةُ هُودَ ، آيَةُ ٤٤

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ - فَرَجَعَ فَمَحَا مَا عَمِلَ؛ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا لَا يُعَارَضُ،
وَمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ؛ وَكَانَ مِنْ أَفْصَحِ أَهْلِ وَقْتِهِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ ^(١) الْفَزَّالُ بَلِيغُ الْأَنْدَلُسِ فِي زَمَانِهِ؛ فَحُكِيَ أَنَّهُ رَامَ
شَيْئًا مِنْ هَذَا، فَنَظَرَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِيَتَّخِذَ عَلَى مِثَالِهَا ^(٢)، وَيَنْسُجَ - بِزَعْمِهِ -
عَلَى مَنَوَالِهَا - قَالَ: فَأَعْتَرَنِي خَشْيَةٌ وَرِقَّةٌ حَمَلَتْنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ^(٣) .

فصل

وَمِنْ وَجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْدُودَةِ كَوْنُهُ آيَةً بَاقِيَةً لَا تُعَدَّمُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا مَعَ تَكْفُلِ
اللَّهِ بِحِفْظِهِ؛ فَقَالَ ^(٤): «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» .

وَقَالَ ^(٥): «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» ^(٦)، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
جَمِيدٍ .

وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَضَتْ بِانْقِضَاءِ أَوْقَاتِهَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا؛
وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، الْبَاهِرَةُ آيَاتُهُ، الظَّاهِرَةُ مُعْجِزَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ^(٧) -
مُدَّةَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَخَمْسٍ ^(٨) وَثَلَاثِينَ سَنَةً لِأَوَّلِ ^(٩) نَزُولِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا - حِجَّتُهُ

(١) فِي الشَّعْبَةِ: ابْنُ حَكِيمٍ . (٢) لِيَتَّخِذَ عَلَى مِثَالِهَا: لِيَقُولَ مِثْلَهَا .

(٣) الْإِنَابَةُ: الرَّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ . وَفِي ب: وَالْأَوْبَةُ .

(٤) سُورَةُ الْحَجَرِ، آيَةُ ٩ (٥) سُورَةُ فَصَّلَتْ، آيَةُ ٤٢

(٦) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ: لَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنْ جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ يَطْلُهُ، وَلَا
يَكُونُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مَا يَكْذِبُهُ أَوْ يَنْسَخُهُ .

(٧) عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ: أَيْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَالرَّادُ بِالْيَوْمِ عَصْرُ اللَّوْلَفِ .

(٨) فِي ب: وَسَبْعٍ . وَفِي هَامِشِهِ: وَالظَّاهِرُ: وَخَمْسٍ .

(٩) لِأَوَّلِ نَزُولِهِ: أَيْ مِنْ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ وَنَزُولِ الْقُرْآنِ إِلَى وَقْتِ تَأْلِيفِ الصَّنَفِ لِهَذَا
الْكِتَابِ .

قاهرة^(١)، ومعارضته مُتَمَتِّعة، والأعصار كلها طافحة^(٢) بأهل البيان، وحملة علم^(٣) اللسان، وأئمة البلاغة، وفُرسان الكلام، وجهازة^(٤) البراعة؛ والمُلحد^(٥) فيهم كثير، والمُعادي للشرع عتيد^(٦)؛ فامنهم مَنْ أتى بشيء يؤثّر^(٧) في معارضة، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدّر فيه على مَطْمَنٍ صَحِيحٍ، ولا قدح المتكافؤ مِنْ ذِهنه في ذلك إلا بَزْدٍ شَحِيحٍ^(٨)؛ بل المأمورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذلك إلتقاؤه في العجزِ بِيَدَيْهِ، والنكوص^(٩) على عَقْبَيْهِ.

فصل

وقد عَدَّ جماعة من الأئمة مقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة؛ منها أن قارئه لا يملّه، وسامعه لا يمتجّه^(١٠)؛ بل الإكباب على [٩٧] تلاوته^(١١) يزيدُه حلاوةً، وتُرْدِيْدُه يوجب له محبة؛ لا يزال غصّاً طرياً^(١٢)، وغيره من الكلام - ولو بلغ^(١٣) في الحسن والبلاغة مَبْلَغَه -

(١) القاهرة : غالبة . وفي ب : ظاهرة .

(٢) والأعصار : جمع عصر . طافحة : تفيض وتتدفق .

(٣) جهازة : جمع جهيز ، والجهيز : العالم التحرير ، والنقاد البصير ، والصانع الماهر الخبير .

(٤) الملحد : المائل عن الحق .

(٥) عتيد : مهياً حاضر باذل جهده في عداوته .

(٦) يؤثر : يحفظ وينقل .

(٧) الشحيح : البخيل ؛ أى لم يده قدحه شيئاً غير الخيبة .

(٨) النكوص : الرجوع عما قاله بالاعتراف بمعجزه .

(٩) لا يملّه : لا يسأم من كثرة قراءته ، ولو أعاده مرارا . لا يمتجّه : لا يكره تكراره

على مسامحه .

(١٠) الإكباب على تلاوته : ملازمة قراءته وتكراره .

(١١) لا يزال : كلما كرر . غصا : جديدا . طريا : رطبا ناعما ، فلا تنفّر بهجته ونضارته .

(١٢) أى لو فرض ذلك .

يُمَلِّعُ مع التردد، ويُعَادَى إذا أُعِيدَ؛ وكتابنا^(١) يُسْتَلَذُّ به في الخلوات، وبُنُسَ بتلاوته في الأزمات^(٢)؛ وسِوَاهُ مِنَ السُّكُتِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ؛ حَتَّى أَهْدَتْ أَصْحَابُهَا لِحُونًا وَطَرُقًا يَسْتَجْلِبُونَ^(٣) بِتِلْكَ اللَّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَائَتِهَا.

ولهذا وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ^(٤)، وَلَا تَنْقُضِي عِبْرَهُ^(٥)، وَلَا تَغْنَى عَجَائِبُهُ؛ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ^(٦)، لَا يَشْبَعُ^(٧) مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَزْبِغُ^(٨) بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ^(٩)؛ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجَنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا^(١٠) : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

ومنها جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفٍ لَمْ تَعْهَدْ^(١١) الْعَرَبُ عَامَّةً وَلَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً، بِعَمَرِهَا، وَلَا الْقِيَامَ بِهَا؛ وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ، وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِهِمْ؛ فَجُمِعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ،

(١) أَى الْقُرْآن . (٢) الْأَزْمَات : جَمْعُ أَزْمَةٍ ؛ وَهِيَ الشَّدَّة .

(٣) يَسْتَجْلِبُونَ : يَطْلُبُونَ وَجُودَهَا ، أَوْ يَجْلِبُونَهَا لَهُمْ وَلَمَنْ يَسْمَعُهُمْ .

(٤) لَا يَخْلُقُ : لَا يَبْلِي وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهُ بِمَرُورِ الزَّمَانِ . وَالرَّدُّ : التَّرْدِيدُ وَالتَّكْرَارُ .

(٥) عِبْرُهُ : الْمُرَادُ بِهَا عَجَائِبُهُ ، أَوْ مَوَاعِظُهُ الَّتِي بِهَا يَتَعَبَّرُ .

(٦) هُوَ الْفَصْلُ : الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . لَيْسَ بِالْهَزْلِ : أَمْرُهُ جَدُّ كُلِّهِ .

(٧) فِي ب : وَلَا يَشْبَعُ . (٨) لَا تَزْبِغُ : لَا تَمِيلُ وَتَعْدِلُ عَنْ مَنَهِجِهِ .

(٩) وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ : الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، فَلَا يُمْكِنُ اخْتِلَاطُهُ بِهِ

وإِدْخَالُهُ فِيهِ ؛ لِأَنَّ أَسْلُوبَهُ وَنَظْمَهُ لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ ؛ فَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ دَسِيسَةٌ .

(١٠) سُورَةُ الْجِنِّ ، آيَةُ ١ ، ٢ . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ : يَدُلُّ عَلَى الصَّوَابِ ، مِنَ الْإِيمَانِ

والتَّوْحِيدِ . وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ ، مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : ٥ - ١٧٢ . وَفِي

هَامِشِ ب : وَقَدْ خَرَجَ هَذَا الْحَدِيثُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَفِي سَنَدِهِ الْحَارِثُ

الْأَعْوَرُ . هَذَا مِنْ غَيْرِ النُّسخَةِ الْمَنْقُولِ عَنْهَا . وَهِيَ نُسْخَةٌ مَعْتَمَدَةٌ .

(١١) لَمْ تَعْهَدْ الْعَرَبُ : أَى لَمْ تَعْرِفْهُ فِي زَمَانِهَا وَعَهْدِهَا .

والتنبيه على طُرُق الحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ ^(١) ، والرَّدُّ على فِرَقِ الْأُمِّ ؛ بِبَرَاهِينِ قَوِيَّةٍ ،
وَأَدْلَةٍ بَيِّنَةٍ سَهْلَةٍ الْأَلْفَاظِ ، مَوْجِزَةٍ الْمَقَاصِدِ ، رَامَ الْمُتَحَذِّقُونَ بَعْدُ - أَنْ يَنْصِبُوا ^(٢)
أَدْلَةً مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ .

و ^(٤) : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

و ^(٥) : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

إِلَى مَا حَوَّاهُ مِنْ عُلُومِ السَّيْرِ ، وَأَنْبَاءِ الْأُمِّ ، وَالْمَوَاعِظِ ، وَالْحِكَمِ ، وَأَخْبَارِ
الِدَارِ الْآخِرَةِ ، وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ وَالشَّيَمِ ^(٦) .

قَالَ اللَّهُ - جَلَّ اسْمُهُ ^(٧) : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

و ^(٨) : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

و ^(٩) : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ .

(١) والتنبيه على طرق الحجج العقلية : أى تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية
وكيفية إلزام الخصم بها . وفي هامش ا : خ : العقلية .

(٢) المتحذلقون : هم أهل الحذق الباحثون عن الأمور (هامش ب) . وقال الشهاب :
المتحذلقون : الذين يدعون الحذق ، وهو سرعة الفهم ؛ أى قصد الذين يدعون الذكاء فى
العلم وإقامة البراهين أن ينصبوا أدلة ؛ أن يقيموا أدلة .

(٣) سورة يس ، آية ٨١ (٤) سورة يس ، آية ٧٩

(٥) سورة الانبياء ، آية ٢٢

(٦) الشيم : جمع شيمة ، وهى الطبيعة ، والخلق .

(٧) سورة الأنعام ، آية ٣٨ ، أى لم ترك شيئاً يحتاج إليه إلا بيناه فى القرآن ، على أن
للرأد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ .

(٨) سورة النحل ، آية ٨٩ ، تبيان لكل شئ : مبيناً لكل شئ يحتاج إليه .

(٩) سورة الروم ، آية ٥٨ ، من كل مثل : أى أتينا لكل أمرهم بمثال يوضحه .

وقال - صلى الله عليه وسلم ^(١) : إِنْ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آمِرًا وَزَاجِرًا ^(٢) ،
وَسَنَةً خَالِيَةً ^(٣) ، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا ، فِيهِ نَبُوءُكُمْ ^(٤) ، وَخَبَرٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَنَبَأٌ
مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ^(٥) ، لَا يَخْلُقُهُ طُولُ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ؛ هُوَ
الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ؛ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ حَكَّمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ ^(٦) ،
وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ ^(٧) ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ ^(٨) ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ؛ وَمَنْ حَكَّمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ ^(٩) اللَّهُ ؛
هُوَ الَّذِي كَرَّرَ الْحَكِيمَ ، وَالنُّورَ الْمُبِينَ ، وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَحَبَلَ اللَّهُ الْمُتِّينَ ^(١٠) ،
وَالشَّفَاءَ النَّافِعَ ، عِصْمَةً لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةً لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُ فَيَقُومَ ^(١١) ،
وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ^(١٢) ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ .

- (١) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ١٧٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من
هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . (٢) وزاجرا : مانما وناهايا .
(٣) وسنة خالية : طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم . (٤) النبأ : الخبر .
(٥) وحكم ما بينكم : أى بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية .
(٦) من خاصم به : من خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه . فلج : غلب ، وفاز بالنصر .
وفي هامش ب : فلج : انتصر .
(٧) أقسط : عدل . أى من تولى قسمة فقسما بما فى كتاب الله كقسمة الموارث والفنائم
وغيرها عدل . (٨) أجر : نال الأجر والثواب الجزيل .
(٩) قصمه الله : قتله وأهلكه هلاكا شديدا .
(١٠) جبل الله للتين : عهده وأمانه الذى يؤمن به المغاب ، وكل ما يكره ويشق على النفس ،
ويتوصل به إلى ما ينجى ويوصل إلى المطالب . والتين : القوى المحكم .
(١١) لا يعوج : ليس فيه خلل لفظا ولا معنى . فيقوم : فيحتاج إلى تقويم يزيل عوجه ؛
فليس كغيره من الكلام المحتاج للإصلاح .
(١٢) لا يزيغ : لا يميل عن الحق والصواب . فيستعيب : لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه
عن الاستقامة .

ونحوه عن ابن^(١) مسعود ؛ وقال فيه : ولا يختلف ، ولا يتشأن^(٢) ،
فيه نبأ الأولين والآخرين .

وفي الحديث^(٣) : قال الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : إني منزلٌ عليك
توراة^(٤) حديثة ، تفتحُ بها أعينا غُمياً ، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلْفًا^(٥) ، فيها ينابيعُ
العلم^(٦) ، وفهمُ الحكمة ، وربيعُ القلوب^(٧) .

وعن كعب : عليكم بالقرآن ، فإنه فهمُ العقول^(٨) ، ونورُ الحكمة .
وقال الله تعالى^(٩) : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وقال^(١٠) : ﴿ هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(١) قال السيوطي : رواه الحاكم من ابن مسعود .

(٢) لا يختلف : لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضاً مع طوله . وفي ١ : لا يخلق - بالقاف .
يتشأناً : المراد خلوه من تنافر الكلمات وعدم تناسبها ؛ فهو لا يكره ولا يمل . وفي هامش ١ :
صوابه : ولا يتشأن - بالتشديد ؛ أى لا يخلق على الرد ، مأخوذ من الشن ، وهو الجلد اليابس
البالي ؛ أى لا تذهب طلاوته ، ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته ، لما أودع فيه من بدائع
الكمال ، وروائع الجمال .

(٣) قال الشهاب : رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الأحبار . وهو حديث
قدسى .
(٤) توراة حديثة : أى كتاباً سماوياً شبيهاً بالتوراة .
(٥) غلفاً : لا يصل إليها ما يهديها إلى السعادة ، كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول
الحق إليها .

(٦) فيها ينابيع العلم : فيها : في التوراة الحديثة - يعنى القرآن . ينابيع . جمع ينبوع ،
وهو العين التى ينبع منها الماء الجارى ؟ فشبه العلم بالماء الذى تحياه النفوس .

(٧) ربيع القلوب : الربيع يكون بمعنى الحصب والطر ؛ أى فيها ما يحيا به القلوب ، وتنمو
وتخصب ، وتمرح وتسرح ، وتفرح . (٨) فهم العقول : أى مفهوم للعقول ما يخفى عليها .

(٩) سورة آل عمران آية ١٣٨

(١٠) سورة النمل ، آية ٧٦

فَجُمِعَ [٩٨] فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظِهِ، وَجَوَامِعَ كَلِمِهِ ^(١) أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ
الَّتِي أَلْفَاظُهَا عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُ مَرَاتٍ .

وَمِنْهَا ^(٢) جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدُّوْلِهِ ^(٣) ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ احْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ ،
وَحُسْنِ رِصْفِهِ ^(٤) وَإِيجَازِهِ وَبِلَاغَتِهِ ؛ وَأَثْنَاءَ هَذِهِ ^(٥) الْبَلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَوَعْدُهُ
وَوَعِيدُهُ ؛ فَالْتَمَى ^(٦) لَهُ بِفَهْمٍ مُوَضَّعٍ الْحُجَّةَ وَالتَّكْلِيفَ مَعَ مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ ،
وَسُورَةٍ مُنْفَرَدَةٍ .

وَمِنْهَا ^(٧) أَنَّهُ جَعَلَهُ فِي حَيْزٍ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُمَهَّدْ ^(٨) ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيْزِ الْمُنْثَوْرِ ؛
لَأَنَّ الْمَنْظُومَ أَهْضَلُ عَلَى النُّفُوسِ ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ ، وَأَنْتَمَحٌ ^(٩) فِي الْأَذَانِ ، وَأَحْلَى عَلَى
الْأَفْهَامِ ، فَالنَّاسُ إِلَيْهِ أُمَيْلٌ ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ .
وَمِنْهَا تَبَسُّرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمَتَعَلِّمِيهِ ، وَتَقْرِيبُهُ عَلَى مَتَحَفِّظِيهِ ^(١٠) ؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ^(١١) : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .

-
- (١) جَمَعَ فِيهِ فِي الْقُرْآنِ . مَعَ وَجَازَةِ لَفْظِهِ : اخْتِصَارُهَا وَقِلَّتُهَا مَعَ كَثْرَةِ مَعَانِيهِ . وَجَوَامِعَ
كَلِمَةٍ : الْجَامِعُ لِلْمَعَانِي الْجَمَّةِ فِي أَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ وَاضِحَةٍ .
(٢) وَمِنْهَا : مَنْ وَجَّهَ الْإِعْجَازَ الَّتِي ذَكَرُوهَا .
(٣) الدَّلِيلُ : هُوَ الدَّالُّ عَلَى الْمُرْشَدِ ؛ أَيْ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ خَبَرِيٍّ -
وَالْمَدْلُولُ : هُوَ الْمَطْلُوبُ بِالْإِعْجَازِ هُنَا . (٤) حَسَنَ رِصْفِهِ : الْمُرَادُ حَسَنَ نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ .
(٥) وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ : فِي خِلَالِهَا . (٦) التَّالِي لَه : الْقَارِئُ لَهُ بِفَهْمٍ وَتَدَبُّرٍ لِمَعَانِيهِ .
(٧) وَمِنْهَا : وَمَنْ وَجَّهَ الْإِعْجَازَ . (٨) لَمْ يُمَهَّدْ : لَا يُشَابَهُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ .
(٩) وَأَسْمَحُ : مِنَ السَّاهِجِ ، أَيْ أَسْهَلَ قَبُولًا ، وَأَقْرَبُ وَصُولًا .
(١٠) عَلَى مَتَحَفِّظِيهِ : أَيْ تَسْهِيلَ حِفْظِهِ لِمَنْ يَرِيدُ .
(١١) سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةُ ١٧

وَفِي الْكَشَافِ (٢ - ٤٢١) : مَعْنَى الْآيَةِ : سَهْلَانَا لِلدَّلَاكِرِ وَالْإِتْمَاعِ ، بِأَنَّ شَحْنَاهُ
بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ ، وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . وَقِيلَ : سَهْلَانَا لِلْحَفِظِ ، وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ
مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ .

وسائرُ الأُمِّ لا يَحْفَظُ كُتُبَهَا الواحدُ منهم ، فكيف الجماعة ^(١) على مُرور السنين عليهم . والقرآنُ مُيسَّرُ حِفْظِهِ لِلْعِلْمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ .

ومنها مُشاكَلَةُ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضًا ^(٢) ، وَحُسْنُ انْتِلافِ أَنْوَاعِهَا ، وَالتَّشَامُ أَقْسَامِهَا ^(٣) ؛ وَحُسْنُ التَّخْلُصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالخُرُوجُ مِنْ بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهِ ، وَانْتِصَامُ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرِ وَنَهْيٍ ، وَخَبَرٍ وَاسْتِخْبَارٍ ^(٤) ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ ، وَتَوْحِيدِ وَتَفْرِيدٍ ^(٥) ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ ^(٦) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ ، دُونَ خَلَلٍ يَتَخَلَّلُ فَصُولُهُ ^(٧) .

وَالكَلَامُ الْقَصِيحُ إِذَا اعْتَوْرَهُ مِثْلُ هَذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ، وَلَانَتْ جَزَالَتُهُ ، وَقَلَّ رَوْنَقُهُ ^(٨) ، وَتَقَلَّتْ أَلْفَاظُهُ .

فَتَأْمَلْ أَوَّلَ «ص» ، وَمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّارِ وَشِقَاقِهِمْ وَتَقَرُّعِهِمْ بِإِهْلَاكِ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَمَا ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْجَبِهِمْ مِمَّا أَتَى بِهِ ، وَالْخَبَرُ عَنْ أَجْمَاعِ مَلَكِهِمْ ^(٩) عَلَى الْكُفْرِ ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْحَسَدِ فِي كَلَامِهِمْ ، وَتَعْجِيزِهِمْ وَتَوْهِينِهِمْ ^(١٠) ، وَوَعِيدِهِمْ بِخِزْيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَكْذِيبِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ،

(١) الجماعة : الكثير . وفي ب : الجم ، وهو بمعنىناه .

(٢) مشاكلة بعض أجزائه بعضا : مشابهة بعضه لبعض .

(٣) التشام أقسامها : توافقها ، وانضمام كل قسم إلى مشاكلة .

(٤) استخبار : استفهام . (٥) في أ : وتقرير .

(٦) ترهيب : تخويف .

(٧) دون خلل : أى أمر يخل به وينقصه يكون فى أثناء كلامه .

(٨) اعتوره : ورد وطرا عليه . مثل هذا يريد إذا تضمن أنواعا من المقاصد . جزالته :

صلابته وقوته . رونقه : صفاؤه .

(٩) اللأ : جماعة الاشراف والرؤساء .

(١٠) توهينهم : إظهار ضعفهم .

وإِهْلَاكِ اللَّهِ لَمْ ، وَوَعِيدِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ مُصَابِهِمْ ^(١) ، وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ وَفَصَّصَ الْأَنْبِيَاءَ ؛ كُلُّ هَذَا فِي أَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَمِنْهُ ^(٢) الْجِلَّةُ الْكَثِيرَةُ ^(٣) الَّتِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، إِلَى وَجْهِ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأُئِمَّةُ لَمْ نَذْكُرْهَا ؛ إِذَا كَثُرَ مَا دَاخَلَ فِي بَابٍ بِبَلَاغَتِهِ ؛ فَلَا يَجِبُ ^(٤) أَنْ يُعَدَّ فَنًا مُنْفَرِدًا فِي إِعْجَازِهِ ؛ إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فَنُونِ الْبَلَاغَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ ، لَا إِعْجَازِهِ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا ؛ فَلْيُعْتَمَدْ عَلَيْهَا ، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي . وَاللَّهُ وَلِيُّ ^(٥) التَّوْفِيقِ .

فصل

فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ ^(٦)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا : سِحْرٌ ^(٨) مُسْتَمَرٌّ ۝ ﴾ .

(١) بقوله تعالى : وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق .

(٢) من وجوه إعجازه . (٣) الكثيرة - يريد الكثيرة للماني .

(٤) في ١ : فلا يجب . (٥) في ١ : وبالله التوفيق .

(٦) هذا الفصل في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له ، وجمعه فلقطين . وفي

منع الشمس عن مسيرها للغروب ، كما سيأتي بيانه .

(٧) سورة القمر ، آية ١

اقربت : صارت قريبة من بئته صلى الله عليه وسلم ؛ كما في ورد في الحديث : بعثت أنا

والساعة كهاتين - وأشار بإصبعه الوسطى والسبابة .

(٨) سحر مستمر : دائم ، أو عكم .

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته^(١) ؛ وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه^(٢) :

أخبرنا الحسين بن محمد [٩٩] الحافظ من كتابه ، حدثنا القاضي سراج ابن عبد الله ، حدثنا الأصيلي ، حدثنا المروزي ، حدثنا الفريزي ، حدثنا البخاري ، حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال : انشق القمر على عهد^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين^(٤) : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه^(٥) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا^(٦) .

وفي رواية مجاهد^(٧) : ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض طرق الأعمش^(٨) : ونحن يميني .

(١) آياته : المراد معجزاته التي لا يمكن للبشر الإتيان بمثها .

(٢) قال في نعيم الرياض (٣ - ٣) : قال السبكي : إنه متواتر لا يجوز إنكاره ، وردوا قول الماوردي : إن الجمهور على خلافه ، وتأويل ينشق بمعنى سينشق ، فإنه لو وقع لم يبق أحد إلا رآه .

ولم يمتد للمصنف بهذه للقاله ، وهي لا تخرق إجماع السلف من أهل السنة ؛ ومثله ليس من أهل التفسير ، بل من أهل التأويل عنده .

(٣) على عهد رسول الله : في زمانه وحياته . (٤) فرقتين : للراد نصفين .

(٥) الجبل : هو حراء ، أو أبو قيس . ودونه : أي في مقابلته .

(٦) وذلك بمكة قبل الهجرة - رواه ابن الجوزي في «الوفا» عن ابن عباس . واشهدوا : أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي . ووقوع ما طلبوه ، لأنهم أهل بهتان وجحد .

(٧) سنن الترمذي : ٤ - ٧٧

(٨) رويت أحاديث انشقاق القمر في الصحيحين : صحيح البخاري : ٤ - ٢٥١ ،

٦ - ١٧٨ ، وصحيح مسلم : ٢١٥٨ ، ومسند الإمام أحمد : ٣ - ١٦٥

ورواه أيضا - عن ابن مسعود - الأسود، وقال : حتى رأيتُ الجبلَ بين
فرَجَتِي الْقَمَرِ ^(١) .

ورواه عنه مسروق - أنه كان بمكة - وزاد : فقال كفارُ قُرَيْشٍ : سَحَرَكُم
ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ^(٢) !

فقال رجلٌ منهم : إنَّ محمداً إنَّ كان سَحَرَ الْقَمَرَ فإنه لا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ
يَسَحَرَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، فَاسْأَلُوا ^(٣) مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ : هل رأوا هذا ؟ فَأَتَوْا ،
فَسَأَلُوهم فَأَخْبَرُوهم أَنهم رأوا مِثْلَ ذَلِكَ .

وحكى السَّرَقَنْدِيُّ عَنْ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ ، وقال : فقال أَبُو جَهْلٍ : هذا سِحْرٌ ؛
فابْعَثُوا إِلَى أَهْلِ الْآفَاقِ ^(٤) حَتَّى تَنْظُرُوا : أَرَأَوْا ذَلِكَ أَمْ لَا ؟

فأخبر أهلُ الْآفَاقِ أَنهم رأَوْهُ مُنْشَقًّا ؛ فقالوا - يَعْنِي الْكُفَّارَ : هذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ -
وَرَوَاهُ أَيْضًا - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - عُلُقْمَةُ ؛ فَهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ^(٥) .

وقد رواه غَيْرُ ابْنِ مَسْعُودٍ ، كما رواه ابْنُ مَسْعُودٍ ؛ منهم أَنَسٌ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ،
وَابْنُ عُمرَ ، وَحُذَيْفَةُ ، وَعَلِيٌّ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ - مِنْ رِوَايَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ
الْأَزْجَجِيِّ ^(٦) : انشَقَّ الْقَمَرُ وَخَنُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فرجتي القمر : أى فلقتيه وقطعتيه ؛ لبعد ما بينهما .

(٢) ابن أبي كبشة : يمينون النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : اسم رجل تأله قديما ،
وفارق دين الجاهلية ، وعبد الشمرى ، فشبّه المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - به . وقيل :
بل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم أخت من الرضاة تسمى « كبشة » ؛ وكان أبوه من الرضاة
يكنى بها . وقيل : بل كان في أجداده لأمه من يكنى بذلك (شرح القارى : ١ - ٥٨٦)

(٣) فى ١ : فسلوا .

(٤) الآفاق : جمع أفق ، ومعناه هنا الناحية .

(٥) عن عبد الله بن مسعود . وفى هامش ب : الأربعة .

(٦) فى ب : الأزجى .

وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرزقهم آية ، فأرهم انشقاق القمر فرقتين ^(١) حتى رأوا حراء بينهما .
رواه عن أنس قتادة .

وفي رواية معمر وغيره ، عن قتادة ، عنه : أراهم القمر مرتين انشقاقه ، فنزلت : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .

ورواه ^(٢) عن جبير بن مطعم ابنه محمد ، وابن ابنه جبير بن محمد .

ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله ^(٣) بن عتبة .

ورواه عن ابن عمر مجاهد ، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم ابن أبي عمران الأزدي .

وأكبر طرق هذه الأحاديث صحيحة ؛ والآية مصرحة ، ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول ^(٤) ، بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ؛ إذ هو شيء ظاهر لجميعهم ؛ إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه ^(٥) تلك الليلة فلم يروه انشق ؛ ولو نقل إلينا عن لا يجوز تماؤلهم - لكثرتهم - على الكذب ^(٦) ، أما كانت

(١) في ١ : مرتين .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ٦) : وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة ؛ فرواية أنس وابن عباس في الصحيحين ، ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ، ورواية حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ، ورواية ابن مطعم في مسند أحمد والبيهقي .

(٣) في ب : بن عبيد الله بن عتبة .

(٤) مخذول : للراد من لم يكن على الحق وطريق الهداية ، ومن أنكر هذا بقصد الطعن في المجزة .

(٥) رصدوه : ترقبوه ، ونظروا إلى مطلعه .

(٦) ولو نقل إلينا : أنهم رصدوه فلم يروه انشق . تماؤلهم على الكذب : اجتماعهم على الكذب في خبرهم .

علينا به حجة؛ إذ ليس القمرُ في حدٍّ واحدٍ لجميعِ أهلِ الأرضِ؛ فقد يطلعُ على قومٍ قبل أن يطلعَ على آخرين؛ وقد يكون من قومٍ بضدِّ ما هو من متابليهم من من أقطار الأرضِ، أو يحولُ بين قومٍ وبينه سحابٌ أو جبالٌ؛ ولهذا نجدُ الكسوفاتِ في بعضِ البلادِ دونَ بعضٍ، وفي بعضها جزئية، وفي بعضها كلية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعلمها؛ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ.

وآيةُ القمرِ كانت ليلاً، والعادةُ من الناسِ بالليلِ الهدوءُ والسكونُ وإيجافُ^(١) الأبوابِ، وقطْعُ التصرفِ، ولا يكاد يعرفُ من أمورِ [١٠٠] السماءِ شيئاً، إلا مَنْ رَصَدَ ذلك، واعتَبَلَ^(٢) به.

ولذلك ما يكونُ الكسوفُ القمريُّ كثيراً في البلادِ، وأكثرُهم لا يعلمُ به حتى يُخْبِرَ، وكثيراً ما يحدثُ الثقاتُ بمجائبَ يشاهدونها من أنوارٍ ونجومٍ طَوَّالِعِ عَظَامٍ تظهرُ في الأحيان بالليلِ في السماءِ، ولا عِلْمٌ عند أحدٍ منها.

وخرَجَ الطحاوي - في مشكل الحديث^(٣)، عن أسماء بنتِ عُمَيْسٍ من طريقيين - أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُوحَى إليه، ورأسُه في حجرِ عليٍّ، فلم يصلِّ العصرَ حتى غرُبَت الشمسُ؛ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أصَلَّيْتَ يا عليُّ؟ قال: لا. فقال: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعةِ رسولك فازدُدْ عليه الشمسُ^(٤).

-
- (١) إيجافُ الأبوابِ: إغلاقُها. (٢) اعتَبَلَ به: بذلَ جهده واعتنى به غاية الاعتناء.
- (٣) مشكل الحديث كتاب للطحاوي. وهذا الحديث، في رد الشمسِ أو حبسها، رواه الطبراني بأسانيد مختلفة. والطحاوي: مصري من أكابر علماء الحنفية، توفي سنة ٣٢١ هـ.
- وفي نسيم الرياض (٣ - ١١): قال ابن الجوزي: هذا الحديث موضوع بلا شك، ورواياته مضطربة، وفي روايته رجال متهمون بالكذب والوضع. وقال القاري (١ - ٥٩٠): وتبعه ابن القيم، وشيخه ابن تيمية، وذكروا تضعيف رجال الطحاوي ونسبوا بعضهم إلى الوضع.
- (٤) (ردد عليه الشمس: أعددها لمكانها الذي غربت منه ليصل الصلاة في وقتها. وفي هامش ب: فاردد عليه الشمس مشرقها. وفي هامش أ: فاردد عليه الشمس مشرقها. ومشرقها: في محل شروقها.

قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْبَاءَ ^(١) في خَيْبَر .

قال : وهذان الحديثان ثابتان ورؤاؤهما ثقات ^(٢) .

وحكى الطَّحَاوِيُّ أن أحد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن [يكون] ^(٣) سبيله العلم التَّخَلُّفُ عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة ^(٤) .

وردَّى يونس بن بُكَيْرٍ في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق : لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُخْبِرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلَامَةِ التي في العِيرِ ^(٥) قالوا : متى نَجِي ؟ قال : يوم الأربعاء ؛ فلما كان ذلك اليومُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ وقد ولى النهارُ ولم تجي ؛ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزَيْدَ له في النهار ساعة ، وَحُبِسَتْ عليه الشمسُ ^(٦) .

(١) الصَّهْبَاءُ : قلعة بخيبر . وخيبر : أرض بقرب المدينة ، فيها قلاع وقرى ، كان بها مساكن اليهود ، ثم خربت .

(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٢) : اعترض عليه بعض الشراح ؛ وقال : إنه حديث موضوع ، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون .

ثم قال : وهذا الحديث صحيحه المصنف ، وأشار إلى أن تمدد طريقه شاهد صدق على صحته . وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوي . وأخرجه ابن شاهين ، وابن منده ، وابن مردويه ، والطبراني في معجمه ؛ وقال : حسن . وحكا المراقى في التقريب . وارجع في هذا الحديث إلى بحث قيم في نسيم الرياض (٣ - ١٢ ، ١٣) إن أردت . (٣) من ب .

(٤) أى من الآيات الدالة على النبوة . وهذا - في رأيه - مؤيد لصحته .

(٥) الرفقة : جمع رفيق ؛ أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة للترافقين ؛ والعلامة : هى قوله صلى الله عليه وسلم إنه يقدمها حمل أورك .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤) : الذى ذكر هنا من حبس الشمس ، وأن العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب يتنافيه ماورد من أنها قدمت صباحا ، وعليه اقتصر اللغسرون ؛ =

فصل

في نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكَثِيرِهِ بِرُكَّتِهِ ^(١)
[قَالِ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ] ^(٢) :

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا ^(٣) .

رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ
أَنَسٌ ، وَجَابِرٌ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ :

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْفَقِيهَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي عِيسَى
ابْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَرَ ^(٤) بْنُ الْفَخَّارِ ، حَدَّثَنَا
أَبُو عِيسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ
أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٥) : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَانَتْ
صَلَاةُ ^(٦) الْعَصْرِ ؛ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ ^(٧) فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

== كَالْعَشْرِ وَالْبَيضَاوَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ . وَقَالَ الْقَارِي (١ - ٥٩١) : وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ :
حَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : الْمَجِبُ مِنَ الْقَاضِي
مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ خَطَرِهِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ كَيْفَ سَكَتَ عَنْهُ مَوْهَمًا صَحَّتَهُ ، وَنَاقَلَ ثَبُوتَهُ ،
مُوتِقًا رَجَالَهُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٥) : وَقَدْ كَانَ هَذَا مَرَاتٍ كَثِيرَةً ، وَرَوَيْتُ بِطَرَقٍ مَتَمَدِّدَةٍ
فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا . (٢) مِنْ ب . (٣) قَالَ النَّوَوِيُّ : إِنَّهَا بَلَفَتْ مَرْتَبَةَ التَّوَاتُرِ .
(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٦) : فِي كَلَامِ الْمُنْصَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَهْوٌ مِنْ وَجْهَيْنِ :
إِذْ لَمَّاهُ أَبُو عُثْمَرَ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . وَفِي قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ؛ إِذْ أَسْقَطَ
رَاوِيَا بَيْنَ أَبِي عِيسَى وَيَحْيَى ، وَهُوَ عِيْدُ اللَّهِ أَبُو مَرْوَانَ .

(٥) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٢٣٣ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٧٨٣ ، وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ :
٥ - ٥٩٦ ، وَقَالَ : حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٦) حَانَتْ : قَرَبَتْ ، أَوْ دَخَلَ وَقْتُهَا .

(٧) التَّمَسَّ النَّاسُ : طَلَبُوا . وَالْوُضُوءَ - بَفَتْحِ الْوَاوِ : الْمَاءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء^(١) يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه .

قال : فرأيتُ الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناسُ حتى توضئوا من عند آخره^(٢) .

ورواه أيضا - عن أنس - قتادة^(٣) ، وقال : بإناء فيه ماء بغير^(٤) أصابعه أولا يكاد يغمر .

قال : كم كنتم ؟ قال : كنا زهاء^(٥) ثلاثمائة .

وفي رواية عنه : وهم بالزَّوْرَاءِ^(٦) عند السوق .

ورواه أيضا حميد ، وثابت ، والحسن ، عن أنس .

وفي رواية حميد : قلتُ : كم كانوا ؟ قال : ثمانين .

ونحوه عن ثابت عنه .

وعنه أيضا : وهم نحو من سبعين رجلا .

وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وإيس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في ١ : في ذلك يده . والتبت في صحيح مسلم أيضا ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٢) من عند آخره : جيمهم . قال النووي : « من » هنا بمعنى « إلى » ، وهي لغة .

قال في نسيم الرياض : قالوا : إنه يحتمل أن الماء خرج من أصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وهو الظاهر . ويحتمل إنه كثر من غير نبع منها ؛ وإنما وضع يده فيه سترًا عن الناس حتى لا يروه فيفتن بعضهم به ، وتأدبا مع الله الذي لا يوجد للمدوم سواه .

(٣) كما في صحيح مسلم : ١٧٨٣ ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٤) بغير أصابعه : بسترها . (٥) زهاء : مقدار .

(٦) في صحيح مسلم ١٧٦٣ ، وقال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها هناك .

اطلبوا مَنْ مِمَّ فَضْلٌ^(١) ماء ؛ فَأَيَّ مَاءٍ فَصَبَّ فِي إِيَّاهُ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ [١٠١] يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي الصحيح^(٢) ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْخُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ^(٣) ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، وَقَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكُوعِكَ ؛ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرُّكُوعِ ؛ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ^(٤) مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْوُنِ . وَفِيهِ : فَقُلْتُ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا : لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا ؛ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً .

وَرَوَى مِنْهُ عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ جَابِرٍ ؛ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْخُدَيْبِيَّةِ .
وفي رواية الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ ، فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الْعَوَّلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطَ^(٥) قَالَ^(٦) :

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَابِرُ ، نَادِ ، الْوَضُوءُ^(٧) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بَطُولَهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحِدِّثْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءَ شَجَبَ^(٨) ؛ فَأَيَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى

(١) فضل ماء : بقية من ماء . أو زيادة منه على حاجته .

(٢) في صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٤

(٣) ركوة : إناء للماء من جلد . (٤) في صحيح البخارى : يشور بين أصابعه .

(٥) هى ثمانى غزواته . وبواط : اسم لجبال جهينة على أبراد من المدينة .

(٦) الحديث في صحيح مسلم : ٢٣٠٣

(٧) ناد ، الوضوء ؛ ناد الناس وقل لهم : أعطوا ، أو ناولوا الوضوء ؛ وهو الماء الذى يتوضأ به ، وفيه حث لهم عليه . وفي صحيح مسلم : ناد بوضوء .

(٨) قطرة : يسيرا . عزلاء : فم الراوية ومصب الماء منها . شجب - بفتح الشين المعجمة وقيل بكسرهما ، وسكون الجيم ، وباء موحدة : التقديم من القرب ، أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها .

وفي هامش ١ : الشجب : القرية البالية ، وسميت بذلك لأنها جلد قد شجب ؛ أى عطب .

اللهُ عليه وسلم ، فَنَمَرَهُ ، وتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَقَالَ : نَادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ ، فَأَتَيْتُ بِهَا ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ ^(١) ، وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ ، وَصَبَّ جَابِرٌ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ [كَمَا أَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٢) ؛ قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ قَارَتْ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ ^(٣) حَتَّى امْتَلَأَتْ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقَاءِ ، فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوَوْا .
فَقُلْتُ : هَلْ بَقِيَ أَحَدُهُ حَاجَةً ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى .

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةٍ ^(٤) مَاءٍ ، وَقِيلَ : مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاءٌ غَيْرُهَا ، فَسَكَبَهَا فِي رَكْوَةٍ ، وَوَضَعَ لِأَصْبَعِهِ وَسْطَهَا ، وَغَسَمَهَا فِي الْمَاءِ ، وَجَمَلَ النَّاسُ يُجِثُونَ وَبِتَوْضُّؤُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ .
قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَفِي الْبَابِ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ .

وَمِثْلُ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الْخَفِلَةُ ^(٥) وَالْجُوعُ الْكَثِيرُ لَا تَنْطَرِقُ التَّهْمَةُ إِلَى الْمُحَدِّثِ بِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ ، لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ لَا يَسْكُتُ عَلَى بَاطِلٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ قَدْ رَوَوْا هَذَا ، وَأَشَاعُوهُ ، وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَاءِ الْفَقِيرِ ^(٦) لَهُ ، وَلَمْ يُنْكَرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ^(٧) وَشَاهَدُوهُ ، فَصَارَ كَتَصْدِيقِ جَمِيعِهِمْ لَهُ .

(١) الجفنة : القصعة التي تشبع عشرة فأكثر . والركب : جمع راكب ، والمراد الناس .

(٢) من ب . (٣) في صحيح مسلم : ودارت .

(٤) الإداوة - بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، ويسمى المطهر .

(شرح القارى : ١ - ٥٩٦) .

(٥) الخفلة : للثلاثة المجتمعة التزيرة . وفي ب : الخفيلة ، وهي بمعنى الخفلة .

(٦) الجماء الفقير : الجمع الكثير . (٧) في هامش ب : خ : فعلوه .

فصل

ومما يُشبهُ هذا مِنْ معجزاته تَفْجِيرُ الماءِ بِرَكْتِهِ ، وانبعاثُهُ ^(١) بِمَسِّهِ ودَعْوَتِهِ فيما رَوَى ^(٢) مالكٌ في الموطأ ^(٣) عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ في قصةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وأنهم وَرَدُوا الْعَيْنَ وَهِيَ تَبِيضٌ بِشَيْءٍ مِنْ ماءٍ مِثْلَ الشَّرَاكِ ^(٤) ، فَفَرَّقُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، وَأَعَادَهُ فِيهَا ؛ فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ ، فَاسْتَقَى النَّاسُ ^(٥) .

قال - في حديث ابن إسحاق : فَانْحَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَالَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاقِ .
ثم قال : يُوشِكُ يَا مُعَاذُ ؛ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى هَاهُنَا قَدْ مِلَى جَنَانًا ^(٥) .

وفي حديث البراء ^(٦) ، وسَلَّمَ بْنِ الْأَسْكَوَعِ - وحديثُهُ أَثَمٌ - في قصةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَهُمْ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَبَنَرُهَا لَا تَرَوِي خَمْسِينَ شَاةً ، فَتَزَحْنَاهَا فَلَمْ تَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً ، فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبَاهَا ^(٧) .

قال البراء : وَأَتَيْتِي بِدَلْوٍ مِنْهَا ، فَبَصَقْتُ [١٠٢] فِدْعَا .
وقال سلمة : فَأَمَّا دَعَا ، وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا ، فَجَاشَتْ ^(٨) ؛ فَأَرْزَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرَكَابَهُمْ ^(٩) .

(١) انبعاثه : ثورانه وجريانه . (٢) في ١ : مما روى . (٣) الموطأ : ١٤٤

(٤) تبض : تسيل . والشراك : سير النمل ، ومعناه : ماء قليل جدا .

وفي هامش ب : تبض - بالضاد للمعجمة ، والصاد للمهمله : تقطر .

(٥) الحديث في صحيح مسلم أيضا : ١٧٨٤

(٦) صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

(٧) جياها : الجبا : ماحول البئر (النهاية) . وفي هامش ب : جيا البئر : جانبها .

(٨) جاشت : أى فارت البئر . (٩) ركايبهم : دوابهم .

وفي غير هذه ^(١) الروايتين - في هذه القصة - من طريق ابن شهاب [في المَدِينَةِ] ^(٢) : فأخرج سَهِمَا من كِفَانَتِهِ ، فوضع في قَعْرِ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ ؟ فَرَوَى النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطَنٍ ^(٣) .

وعن أَبِي قَتَادَةَ ^(٤) - وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ شَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَدَعَا بِالْمِيضَاءِ ^(٥) ، فَعَمَلَهَا فِي ضَبْنِهِ ^(٦) ، ثُمَّ التَّمَّمَ فَمَهَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ - نَفَثَ ^(٧) فِيهَا أَمْ لَا ؛ فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوُّوا وَمَلَّثُوا كُلُّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ ؛ فَخِيلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي ، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا . وَرَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ .

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ حَدِيثَ أَبِي قَتَادَةَ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ - وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُمْ مُدًّا لِأَهْلِ مُؤْتَةِ ^(٨) عِنْدَ مَا بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَمْرَاءِ ^(٩) : وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيصِفُهُ مُعْجَزَاتُ وَآيَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَفِيهِ إِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَنْقُدُونَ الْمَاءَ فِي غَدِيرٍ .

وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَاءِ ^(١٠) ؛ قَالَ : وَالْقَوْمُ زُهَاءٌ ^(١١) ثَلَاثُمِائَةٍ .

(١) هذا في أ، ب . (٢) ليس في أ .

(٣) العطن : منزل الإبل حول الماء لتترك فيه إذا شربت لتعاد إلى الشرب مرة أخرى .

والمراد : حتى رووا ورويت إبلهم .

(٤) قال القاري (١ - ٥٩٨) : رواه البيهقي عنه .

(٥) الميضاء : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٦) ضبنة : حننه بين كشطه وإبطه . (٧) نفث : نفخ .

(٨) مددا : معينا . ومؤتة : قرية بين تبوك وحوران من الشام .

(٩) الأمراء : هم زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .

(١٠) في هامش أ : الميضاء : مطهرة يتوضأ منها ، مفعلة من الوضوء . وقد تقدم تفسيرها .

(١١) ضبطت الهمزة في « زهاء » بالفتحة في ب ، وبالضمة في أ . وقال القاري (١ - ٥٩٩) :

زهاء : قدر ، تخميناً . قال الزبي : الوجه نصب « زهاء » ، ولكن أهل الحديث يرفعونه .

وفي كتاب مسلم^(١) أنه قال لأبي قتادة : احفظْ عليَّ^(٢) مِصْنَاتِكَ ، فإنه سيكونُ لها نَبَأٌ^(٣) وذكر نحوه^(٤) .

ومن ذلك حديثُ عُمران بنِ حُصَيْن حينَ أَصابَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه عَطَشٌ في بعضِ أسفارهم ؛ فوجَّه رجلين^(٥) من أصحابه ، وأعلمهما أنهما يجدان امرأةً بمكانٍ كذا معها بَعِيرٌ عليه مَزَادَتَانِ^(٦) . . . الحديث ؛ فوجداها وأتيا بها إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل في إناء من مَزَادَتَيْهَا^(٧) ، وقال فيه ما شاء الله أن يقولَ ؛ ثم أعاد الماء في المَزَادَتَيْنِ ، ثم فتحتَ عَزَالِيَهُمَا^(٨) ؛ وأمر الناسَ فلتوا أسقيتهم^(٩) حتى لم يدعُوا شيئاً إلا ملثوه .

قال عُمران : ونَحِيلٌ إلىَّ أنهما لم تَزِدَا دَا إلا امتلاءً ، ثم أمر فجُوعَ للمرأةِ من الأزوادِ^(١٠) حتى ملأَتْ قَوْسَهَا . وقال : اذهبي ؛ فإنَّا لم نَأْخُذْ^(١١) من مائِكَ شيئاً ؛ ولكنَّ الله سقانا . . . الحديث بطوله .

وعن سلمة بن الأَكوع^(١٢) : قال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم : هل مِنْ وَضوءٍ ؟

(١) صحيح مسلم : ٤٧٣ (٢) في صحيح مسلم : احفظ علينا .

(٣) نبأ : خبر عظيم .

(٤) وذكر ، أى الطبرى نحوه ؛ أى نحوه ما سبق مما ذكر غيره .

(٥) قال القارى (١ - ٥٩٩) : هما طي بن أبى طالب ، وعمران بن حصين .

(٦) المَزَادَة : ظرف من جلد يحمل فيه الماء ، أكبر من القربة .

(٧) فى ب : عزاليها ، وعزاليها - مما - وعزاليها - بفتح العين للهمة والزأى : ثنية عزلاء ،

وهو فيها الأسفل .

(٨) أسقيتهم : جمع سقاء ، وهو إناء من جلد يتخذ للماء .

(٩) الأزواد : جمع زود ؛ أى من جملتها .

(١٠) فى أ : لم نَزَأْ ، وفى هامشه : نأخذ .

(١١) صحيح مسلم : ١٣٥٤

جاء رجلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ ^(١) فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ ، فَخُوضًا نَاكُلْنَا نُدْغِفُهُ ^(٢) دَغْفَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً . . . [الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ] ^(٣) .

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ - فِي جَيْشِ الْمُسَرَّةِ ^(٤) : وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْمَطَشِ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ ، فَيَغْصِرُ فَرْتَهُ ^(٥) فَيُشْرِبُهُ ؛ فَرِغَبٌ ^(٦) أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّعَاءِ ^(٧) ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ ^(٨) السَّمَاءُ فَانْكَسَبَتْ ؛ فَلْتُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ ، وَلَمْ تَجَاوِزِ الْمَسْكِرَ ^(٩) .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ - أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ رَدِيْفُهُ بَذَى الْمَجَازِ ^(١٠) : عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ ؛ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) نطفة : قليل من اللاء .

(٢) فِي هَامِشٍ أ : الدَغْفَةُ : الصَّبُّ الشَّدِيدُ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ فِي نَيْمٍ دَغْفَقَ ، أَيْ وَاسِعٌ .

(٣) لَيْسَ فِي ب .

(٤) جَيْشُ الْمُسَرَّةِ ؛ أَيْ الضِّيقُ وَالشَّدَّةُ ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ

فِي نَهَارٍ حَرٍّ ، وَقَلَّةِ الثَّمَارِ . . .

(٥) فَرْتُهُ : مَا فِي كَرَشِهِ . (٦) فَرِغَبٌ أَبُو بَكْرٍ : الرِّغْبَةُ : طَلَبٌ مَا يَحِبُّهُ .

(٧) فِي الدَّعَاءِ : فِي دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَوَجَّهَ لِرَبِّهِ لِيُزِيلَ مَا بِالنَّاسِ مِنَ الْبَأْسِ الَّذِي

عَلِمَهُ مِنْهُمْ .

(٨) قَالَتِ السَّمَاءُ : غِيَمَتْ وَظَهَرَ فِيهَا سَحَابٌ . وَفِي هَامِشٍ ب : الْعَرَبُ تَجْعَلُ الْقَوْلَ عِبَارَةً

عَنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ ، وَتَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِ السَّكَلَامِ ، فَتَقُولُ : قَالَ بِيَدِهِ ؛ أَيْ أَخَذَ ؛ وَقَالَ بِرَجْلِهِ ؛ أَيْ مَشَى ، وَقَالَ بِالْمَاءِ عَلَى يَدَيْهِ ؛ أَيْ قَلْبِهِ ؛ وَقَالَ بِثَوْبِهِ ، أَيْ رَفَعَهُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَقَالَتِ الْعَيْنَانُ سَمَا وَطَاعَةً *

أَيْ أَوْمَأَتٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ . وَارْجِعْ فِي ذَلِكَ إِلَى التَّهْلِيَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٩) فَانْكَسَبَتْ : انْكَسَبَ مَاؤُهَا . وَلَمْ تَجَاوِزِ الْمَسْكِرَ : أَيْ لَمْ تَجَاوِزِ السَّمَاءَ ، أَوِ السَّحَابَ

أَوِ اللَّطَرَ - لِلْمَعْنَى مِنَ السَّيَالِ - الْمَسْكِرَ .

(١٠) رَدِيْفُهُ : رَاكِبٌ خَلْفَهُ . ذُو الْمَجَارِ : اسْمُ سَوْقٍ بِقُرْبِ عُرْفَةٍ ، كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا كَانُوا يَجْتَمِعُونَ بِمَكَاظَ . وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ سَمْعَانَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَزْرَقِ .

وضربَ بقدَمِهِ الْأَرْضَ ، فخرج الماء ، فقال : اشرب .
والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء وما جانسه ^(١) .

فصل

ومن معجزاته تـكثيرُ الطعام ببركته ودُعائه :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ؛ حدثنا العُدْزِي ، حدثنا الرازي ، حدثنا
الْجُلُودِي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا
الحسن بن أعين ، حدثنا مَعْقِل ، عن أبي الزبير ، عن جابر - أن رجلاً أتى النبيَّ
صلى الله عليه وسلم [١٠٣] يَسْتَطْعِمُهُ ^(٢) ، فَأَطْعَمَهُ ^(٣) شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ ^(٤) ؛ فَاِذَا
يَأْكُلُ مِنْهُ وَأَمْرَاتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ ^(٥) ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ،
فَقَالَ : لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلِقَامُكُمْ ^(٦) .

ومن ذلك حديث ^(٧) أَبِي طَلْحَةَ المشهور ، وإطعامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانين
أو سبعين رجلاً من أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنْسٌ تَحْتَ يَدِهِ ؛ أَيْ إِبْطِهِ ؛ فَأَمَرَ بِهَا
فَقُتَّتْ ، وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ .

(١) وما جانسه : وما شابه الاستسقاء .

(٢) يستطعمه : يطلب منه طعاماً له ولأهله ، لشدة احتياجه .

(٣) فأطعمه : أى أعطاه الطعام الذى يطلبه .

(٤) شطر وسق شعير : الشطر : النصف ، أو البعض . والوسق - بفتح الواو وكسرهما :

الحل ، أو مقدار ستين صاعاً .

(٥) حتى كاله : أى استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه إلى أن كاله ، فظهر نقصه بعد

السكران مما يأخذه منه ، فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يسكه لم ينقد .

(٦) لأكلتم منه : لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية . ولقاكم بكم : لسكانكم مدة حياتكم ،

وكان فيه قوام لكم من غير نقص . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٤

(٧) هذه القصة في صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٤

وحديث جابر ^(١) في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجلٍ من صاعٍ شعير وعنق ^(٢) .
وقال جابر : فأقسمُ بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ^(٣) ، وإن بُرمتنا لتفطُ كما هي ^(٤) ، وإن عجيتنا ليخبزُ ^(٥) .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصقَ في المعجين والمبرمة ، وبارك ^(٦) .
رواهُ ^(٧) عن جابر سَعِيد بن مِينَاء ^(٨) ، وأَيْمَنُ .

[وعن ثابت مثله ، عن رجل من الأنصار وامرأته ، ولم يسمهما ؛ قال : وجيء بمثل الكف ^(٩) ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينسُطُها في الإناء ويقولُ ما شاء الله ، فأكل منه مَنْ في البيت والحجرة والدار ؛ وكان ^(١٠) ذلك قد امتلأَ يَمَنٌ قَدِيمٌ معه صلى الله عليه وسلم لذلك ؛ وبقي بعد ما شَبِعُوا مِثْلَ ما كان في الإناء] ^(١١) .

(١) في صحيح البخارى : ٥ - ١٣٨ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٥٩٥
(٢) عنق : العناق : الأنثى من أولاد اللز ، لم يتم لها سنة . وقيل : هي التي قاربت الحمل ولم تحمل . (٣) وانحرفوا : أى أكلوا حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا . وفي البخارى : تركوه .
(٤) البرمة - بضم الباء للوحدة وسكون الراء : القدر مطلقا ؛ أو من حجارة . وتفط : تغلى غليانا شديدا يسمع لها صوت . وفي ب : تفط : تغور . كما هي : لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها .

(٥) وإن عجيتنا ليخبز : أى إنهم استمروا على خبز المعجين وإيصاله شيئا فشيئا لمن يأكل منه ، ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي ب : بمعجيتنا . والثبت في صحيح البخارى أيضا .

(٦) وبارك : دعا فيهما بالبركة ، والزيادة والنمو . (٧) رواه : روى هذا الحديث .
(٨) فى ١ : ابن مينا - مقصور . والثبت في تهذيب التهذيب : ٤ - ٩١ ، وقال القارى (١ - ٦٠٣) : مينا - بكسر الليم ، ممدودا ويقصر . (٩) بمثل الكف من المعجينة .
(١٠) وكان ذلك : الإشارة إلى ما ذكر من الثلاثة ، وهى البيت والحجرة والدار .
(١١) ما بين القوسين ساقط فى ١ . والحديث فى طبقات ابن سعد : ١ - ١١٧ .

وحديثُ أَبِي أَيُّوبَ ^(١) أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءً ^(٢) مَا يَكْفِيهِمَا ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ ؛ فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا ^(٣) ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ سِتِّينَ ؛ فَكَانَ مِثْلُ ذَلِكَ ^(٤) ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ سَبْعِينَ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ ^(٥) وَبَايَعَ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِ مِائَةٍ وَثَمَانُونَ رَجُلًا .

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقِصَةً فِيهَا لَحْمٌ ، فَتَمَاقَبُوهَا ^(٦) مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ؛ يَتَوَمُّ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ .

وَمِنْ ذَلِكَ ^(٧) حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ؛ وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عَجِنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَصُنِعَتْ ^(٨) شَاةٌ ، فَشَوَى سَوَادُ بَطْنِهَا ^(٩) ؛ قَالَ : وَابِئْسَ اللَّهُ ؛ مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةٌ ^(١٠) مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ؛ ثُمَّ جَمَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلْنَا [مِنْهُمَا] ^(١١) أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ .

(١) رَوَاهُ عَنْهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَابْنُ أَبِي حَتِمٍ .

(٢) زُهَاءٌ : مَقْدَارُ .

(٣) حَتَّى تَرَكَوْا : أَيْ شَبِعُوا وَتَرَكَوْا الطَّعَامَ ، أَوْ الْإِكْلَ مِنْهُ .

(٤) الْإِلَامُ فِي « مِثْلِ » ضَبَطَتْ فِي الْبَالِقَةِ ، وَفِي بِالضَّمَّةِ .

(٥) أَسْلَمُوا وَبَايَعُوا لِمَا رَأَوْا مِنْ تِلْكَ الْمَعْجَزَةِ ، وَلَطْفِهِ بِهِمْ .

(٦) فَتَمَاقَبُوهَا : دَخَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ جَمَاعَةٍ .

(٧) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ فِي صَحِيحَيْهِمَا : صَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٦٢٧ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ :

٤ - ٢٣٦ (٨) صُنِعَتْ شَاةٌ : طَبَخَتْ .

(٩) سَوَادُ بَطْنِهَا : الْمُرَادُ بِهِ الْكَبِدُ خَاصَّةً ، أَوْ حَشْوُهَا مُطْلَقًا ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ .

(١٠) وَابِئْسَ اللَّهُ : قِسْمٌ .

(١١) حَزَّ لَهُ حَزَّةٌ : الْحَزُّ : الْقِطْعُ بِالسَّكِينِ . وَالْحَزَّةُ - بَفَتْحِ الْخَاءِ ، وَتَضَمُّ : الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : إِلَّا حَزَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ حَزَّةٌ

(١٢) مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمَ .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ ^(١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَحُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرُوا خَمَصَةً ^(٢) أَصَابَتْ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَنَازِرِهِ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ ^(٣) ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْخَشِيَةِ ^(٤) مِنَ الطَّعَامِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ؛ وَأَعْلَامُ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ؛ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ ^(٥) .

قَالَ سَلَمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كِرْبُضَةً ^(٦) الْعَنْزِ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَغَايَ إِلَّا مَلَكُوتُهُ وَبَقِيَ مِنْهُ ^(٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(٨) : أَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصَّنَةِ ^(٩) ، فَتَنَبَّهْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوَضَعْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةً ^(١٠) ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا ، وَفَرَّغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضِعَتْ ؛ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَصَحَّاحُهُ . طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ : ١ - ١١٩

(٢) خَمَصَةٌ : الْخَمَصَةُ : الْجُوعُ ، وَالْمَجَاعَةُ .

(٣) بَقِيَّةُ الْأَزْوَادِ : أَيُّ طَلَبٍ مِنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا بَقِيَ عِنْدَهُ مِنْ زَادِهِ .

(٤) الْخَشِيَّةُ : مَا يَمْلَأُ الْيَدَيْنِ مِمَّا .

(٥) عَلَى نِطْعٍ : النِّطْعُ : بَسَاطٌ مِنْ جِلْدٍ . وَقَدْ ضَبَطَتِ التَّنُونُ فِي كَلِمَةِ « نِطْعٍ » بِالْفَتْحَةِ

وَالْكَسْرِ ، وَعَلَيْهَا « مِمَّا » فِي ب .

(٦) فَحَزَرْتُهُ كِرْبُضَةَ الْعَنْزِ : حَزَرْتُهُ : قَدَرْتُهُ بِطَرِيقِ الْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ . كِرْبُضَةُ الْعَنْزِ :

مَقْدَارُ جُثَّةٍ عَنَزَ بَارَكَةً عَلَى الْأَرْضِ .

(٧) فِي هَامِشِ ب : ح . قَدَرٌ مَا جَمَعْتُ وَأَكْثَرُ ، وَلَوْ وَرَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لِكِفَائِهِمْ .

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالتَّطَبُّرِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

(٩) الصَّنَةُ : مَحَلٌّ مَرْتَفِعٌ فِي الدَّارِ وَالْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ مَفْرُزٌ عَنْ غَيْرِهِ لِلْجُلُوسِ فِيهِ ؛ وَكَانَ فِي

مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَلٌّ لَذَلِكَ ، فِيهِ الْمُتَقَطِّعُونَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَقَرَاءِ

الصَّحَابَةِ الْأَغْرَابِ وَغَيْرِهِمْ ؛ كَسَلْمَانَ ، وَأَبِي ذَرٍّ .

(١٠) صَحْفَةٌ : إِنَاءٌ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ يَمْدُ لِلطَّعَامِ .

وعن علي بن أبي طالب^(١)، رضى الله عنه : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلون الجذعة ، ويشربون الفرق^(٢) ؛ فصنع لهم مئداً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي كما هو ؛ ثم دعا بمس^(٣) ، فشرَبُوا حتى رَوُوا ، وبقي كأنه لم يشرب منه .

وقال أنس^(٤) : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزینب أمره^(٥) أن يدعو له قوماً سماهم ، وكل من لقيت ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدم إليهم توراً^(٦) ، فيه قدر [٤ ١] مئدة من تمر جيل حيساً^(٧) ، فوضعه قدأمه ، وغس ثلاث أصابعه ، وجعل القوم يتفدون ويخرجون ، وبقي التور نحواً مما كان^(٨) ، وكان القوم أحداً ، أو اثنين وسبعين .

[وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة^(٩) ، وأنهم أكلوا حتى شبعوا . وقال لى : ارفع ، فلا أذرى حين وضعت كانت أكثر أم حين^(١٠) رفعت .

(١) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند جيد .

(٢) الجذعة من البفر والغم : ماتم له سنة . والفرق - بفتح الراء ، وشكونها : مكبال . وفي هامش ب : الفرق : اثنا عشر مدا . وقال أبو الهيثم : هو إناء يأخذ ستة عشر رطلا ، وتلك ثلاثة أصع .

(٣) ثم دعا بمس : المس : قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة . وفي هامش ب : المس : الإناء الصغير ، والمراد بمس من لبن طلبه من أهله لهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان ؛ واللفظ لمسلم ؛ وقريب منه الحديث الآتي عن أنس ، وهو في سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧ (٥) ابتنى زينب : تزوج بها . أمره : أمر أنسا .

(٦) وقدم إليهم توراً : التور : إناء من صفر أو حجارة ، كالإجانة ، أو القدح الذى يشرب منه . (٧) جمل حيسا : الحيس : تمر خلط بسمن وأقط ودقيق .

(٨) نحواً مما كان : لم ينقص نقصاً كثيراً . (٩) زهاء ثلاثمائة : مقدار .

(١٠) هذا حديث طويل في مسلم اختصره الصنف اقتصاراً على محل الشاهد منه .

وفي حديث جَعْفَر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه ^(١) - أن فاطمة طُبِخَتْ قِدْرًا لَعْدَائِهَا وَوَجَّهَتْ عَلَيًّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَغَدَّى مَعَهُمَا ، فَأَمَرَهَا فَعَرَفَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَفْحَةً صَفْحَةً ^(٢) ، ثُمَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَعَلِّي ، ثُمَّ لَهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ الْقِدْرَ ، وَإِنِهَا لَتَغِيضُ ^(٣) ؛ قَالَتْ : فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٤) . وَأَمَرَ ^(٥) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُزَوِّدَ أَرْبَعًا رَاكِبٍ مِنْ أَحْمَسَ ^(٦) ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هِيَ إِلَّا أَصْوُعُ ^(٧) . قَالَ : اذْهَبْ ؛ فَذَهَبَ فَزَوِّدَهُمْ مِنْهُ ، وَكَانَ قَدْرُ الْفَصِيلِ الرَّابِضِ ^(٨) ، مِنَ التَّمْرِ ، وَبَقِيَ بِحَالِهِ . مِنْ ^(٩) ، رَوَايَةُ دُكَيْنِ الْأَحْمَسِيِّ ، وَمِنْ رَوَايَةِ جَرِير . وَمِثْلُهُ ^(١٠) مِنْ رَوَايَةِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرٍ الْخَبَرِ بَعَيْنَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ ^(١١) : أَرْبَعُمَائَةٍ رَاكِبٍ مِنْ مَرْيَنَةٍ .

-
- (١) رواه ابن سعد (الطبقات : ١ - ١٢٤) .
 (٢) الصفحة : إناء صغير للطعام .
 (٣) وإِنِهَا لَتَغِيضُ : المراد بمد ما غُرف من القدر بقيت مملوءة بطعام كثير يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم .
 (٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، وليس من الرواية . وفي هامش ب : هذا العلم عليه من الأم بخطه ، وليس من الرواية .
 (٥) في ب : وأمر - وضبط بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليه « مما » .
 (٦) يزودهم : يعطيهم من الزاد ما يكفيهم . أحس : اسم قوم من العرب ، وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو أحس .
 (٧) أصوع : جمع صاع : إناء يشرب فيه ، ومكيال . أى قال عمر : ليس التمر الذى عندي يكفي ، فإنه أصوع قليلة .
 (٨) وكان قدر الفصيل : وكان التمر قدر ولد الناقة الصغير المبارك الرابض على الأرض .
 (٩) من رواية : أى هذا الحديث من رواية . . . وقد رواه أبو داود في الأدب .
 (١٠) أخرجه أحمد ، والبيهقي .

ومن ذلك حديث جابر^(١) في دين أبيه بعد موته ، وقد كان بذل لفرماه أبيه أصل ماله^(٢) ، فلم يقبلوه ، ولم يكن في تمرها^(٣) سنين كفاف^(٤) دينهم ؛ فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها^(٥) ، وجعلها بيادر في أصولها^(٦) ، فشى فيها ، ودعا ، فأوفى منه جابر غرماء أبيه ، وفضل مثل ما كانوا يجذون^(٧) كل سنة .

وفي رواية مثل ما أعطاهم ؛ قال : وكان الغرماء يهود ؛ فمجبوا من ذلك .
وقال أبو هريرة^(٨) رضى الله عنه : أصاب الناس محصة^(٩) ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل من شئ ؟ قلت : نعم ؛ شئ من التمر في المزود^(١٠) . قال : فأتني به . فأدخل يده فأخرج قبضة ، فبسطها ودعا بالبركة ؛ ثم قال : ادع عشرة . فاكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا . قال : خذ ما جئت به ، وأدخل بذلك ، واقبض منه ولا تكتبه . فقبضت على أكثر مما جئت به ؛ فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكره وعمر ، إلى أن قتل عثمان ، فأنتهب منى^(١١) ، فذهب .

-
- (١) هذا الحديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٥ ، ٥ - ١٢٣
(٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٠) : أراد بأصل ماله : بستانا ونحلا له كان يتقوت منه .
(٣) في تمرها : أى في تمر النخيل .
(٤) كفاف : ما يفي به ويكفيه .
(٥) بجدها : بقطع الثمار وجمعها .
(٦) بيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يوضع فيه التمر لينشف ، والبر ونحوه ليخلص من تبته ، والكوم من الطعام والحنطة . والبيدر : الجرن . فى أصولها : أى جعلها كوما كوما فى أصول الثمار ، وهى النخل ، والمراد أنه كومه فى حديقة نخله . وفى ١ : جعلها - فعل ماض .
(٧) ما كانوا يجذون : ما كانوا يقطعون من ثمارها . (٨) فى حديث رواه البيهقى مسندا .
(٩) مخصة : جوع ، أو مجاعة .
(١٠) فى المزود : المزود : وعاء الزاد .
(١١) انتهب منى : أى نهبه الناس ، وأغاروا عليه فى زمن الفتنة ، وسلبوه .

وفي رواية^(١) : فقد حلت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق^(٢) في سبيل الله .
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وأن التمر كان يضع
عشرة تمر .

ومنه أيضا حديث أبي هريرة^(٣) حين أصابه الجوع ، فاستنبحه^(٤) النبي صلى الله
عليه وسلم ، فوجد لبنًا في قدح قد أعدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصفة .
قال : قلت : ما هذا اللبن فيهم^(٥) ؟ كنت أحتق أن أصيب منه شربة أتقوى
بها . فدعونيهم .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، فجعل أعطى الرجل فيشرب
حتى يروى ، ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم .
قال : فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح ، وقال : بقيت أنا وأنت ، اقمدا
فاشرب فشربت ، ثم قال : اشرب ، وما زال يقولها واشرب حتى قلت : لا ،
والذي بعثك بالحق ، ما أجده^(٦) مسلكا [١٠٥] ؛ فأخذ القدح فحده الله وسقى
وشرب الفضلة .

(١) رواها الترمذى في سننه وختمها ، عن أبي هريرة : سنن الترمذى ٥ - ٦٨٥

(٢) الوسق : حمل بعير . في سبيل الله : أى في أسفار غزيا .

(٣) رواه البخارى صحيح البخارى : ٦ - ١٢٠

(٤) فاستنبحه : طلب منه أن يتبعه .

(٥) ما هذا اللبن فيهم : ما مقداره القليل كاف لهم .

(٦) لا أجده مسلكا : أى لم يبق في جوفى محلا خاليا بدخله .

وفي ب : ما أجده . وفي هامشه : لا أجده .

وفي حديث^(١) خالد بن عبدالمزى أنه أجزر^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم شاة ، وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تُبَدُّ^(٣) عياله عظاما^(٤) ؛ وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد^(٥) ، ودعا له بالبركة ، فنثر ذلك عياله ، فأكلوا وأفضلوا^(٦) - ذكر خبره الدؤلبي .

وفي حديث الآخر في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلى فاطمة - أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصمة^(٧) من أربعة أمداد أو خمسة ، ويذبح جزورا^(٨) لو كئمتها^(٩) - قال : فأنثته بذلك فطمن في رأسها ، ثم أدخل الناس رُفَّة رُفَّة^(١٠) يأكلون منها حتى فرغوا ، وبقيت منها فضلة ؛ فبرك فيها ، وأمر بحملها إلى أزواجه ؛ وقال : كُلْنِ وَأَطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُنَّ^(١١) .

وفي حديث أنس^(١٢) : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنعت أُمِّي

(١) رواه البيهقي مسندا عنه ، ولم يذكره أصحاب الكتب السنة .

(٢) أجزره : أعطاه جزرة ، وهى شاة أو نعجة أو كبش أو غنم ، تعطى لتجزر ؛ أى تذبح .

(٣) لا تبدة عياله : يعنى أن الشاة إذا فرقت عليهم لا تكفيهم . وفي هامش ١ : أبد الطعام ، إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة .

(٤) عظاما عظاما : أى إذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم أكثرتهم .

(٥) دلو خالد : الدلو : وعاء من آدم يستقى به الماء .

(٦) وأفضلوا : أى أبقوا بقية زادت على كفايتهم .

(٧) بقصة : أن يأتى بقصة .

(٨) الجزور : رأس من الإبل نافقة أو جملا .

(٩) الوليمة : الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة .

(١٠) رُفَّة رُفَّة : جماعة بعد جماعة .

(١١) من غشيكُن : أى كل من يأتى إليك من غير أهل البيت .

(١٢) سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧

أَمْ سَلَمٌ حَيْسًا ، فَعَمَلَتْهُ فِي تَوْرٍ ^(١) ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
فَقَالَ : ضَعُهُ ، وَادْعُ لِي فَلَانًا وَفَلَانًا ، وَمَنْ لَقِيتَ .

فَدَعَوْهُمْ ، وَلَمْ أَدْعُ أَحَدًا ^(٢) لِقَيْتُهُ إِلَّا دَعْوَتُهُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءً ^(٣)
ثَلَاثًا حَتَّى مَلَأُوا الصُّفَّةَ وَالْحَجْرَةَ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَلَّقُوا
عَشْرَةَ عَشْرَةَ ^(٥) ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ ، فَدَعَا فِيهِ ، وَقَالَ
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ؛ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا كُلَّهُمْ ، فَقَالَ لِي : ارْفَعْ ، فَمَا أَدْرَى حِينَ
وُضِعَتْ ^(٦) كَانَتْ ^(٧) أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ .

وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ ^(٨) . وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى
حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بِضْعَةُ عَشْرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، ثُمَّ
مَنْ لَا يَنْعَدُّ بَعْدَهُمْ .

وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصِ مَشْهُورَةٍ ، وَتَجَامِيَعِ مَشْهُودَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أَنْكَرَ مِنْهَا .

(١) الخيس : طعام من لبن وأقط وعمر وسمن يحاس ؛ أى يخلط بمضه يبعض .

والتور : إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القرية القمر .

(٢) ولم أَدْعُ أَحَدًا : لم أترك أَحَدًا .

(٣) زهاء : مقدار .

(٤) الصفة : موضع مظال قدام البيت ، أودكة عليه فيه . والحجرة : البيت الصغير

المفرز من المدار

(٥) تحلقوا : استديروا حول الطعام كالحلقة ، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام .

وفي الترمذى : ليتحلق عشرة عشرة .

(٦) هذا الضبط فى ١ ، وفى ب ضبط بفتح الواو وضم التاء .

(٧) فى ب : كان .

(٨) الفصول الثلاثة : أى نبع الماء من بين أصابعه ، وانفجاره بدعوته ، وتكثير الطعام

ببركته - فى الصحيح : من الأحاديث وكتبها المتمدة .

فصل

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا ^(١) أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي ^(٢) ، عن أبي بكر بن المهندس ، عن أبي القاسم البغوي ، حدثنا أحمد ابن عمران الأحمسي ، حدثنا أبو حيان التميمي - وكان صدوقا - عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : كننا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، فدنا منه أعرابي ، فقال : يا أعرابي ، أين تريد ؟ قال : إلى أهلي . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وخده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة السمرة ^(٣) ، وهي بشاطيء الوادي ^(٤) ، وادعها فإنها تجيبك ^(٥) .

فأقبلت تحمدا الأرض ^(٦) حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ^(٧) ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها . وعن برودة ^(٨) : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية ، فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك .

(١) رواه البيهقي ، والبراز ، والدارمي مسندا عن ابن عمر .

(٢) هذا الضبط في شرح الشهاب : ٣ - ٤٧ ، وللباب : ١٦٩ ، قال السيوطي : بفتحات وسكون الون ، نسبة إلى طلمنكة : مدينة بالأندلس . وقال القاري (١ - ٦١٥) : الطلمنكي : بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة .

(٣) السمرة : شجرة عظيمة ذات شوك .

(٤) شاطيء الوادي : جانبه وطرفه . والوادي : الأرض الواسعة للمستوية .

(٥) هذا في ب ؛ وفي ا : فادعها فإنها تجيب . (٦) تحمدا الأرض : تشقها .

(٧) استشهدها ثلاثا : طلب منها أن تشهد ثلاث مرات .

(٨) في حديث رواه البراز مسندا .

قال: فالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت [١٠٦] تحذ الأرض تجر عروقها مُفْبَرَةً^(١) حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله.

قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فدلّت عروقها فاستوت^(٢). فقال الأعرابي: انذن لي أسجد لك.

قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. قال: فأذن لي أن أقبل بديك ورجليك؛ فأذن له.

وفي الصحيح - في حديث جابر بن عبد الله الطويل^(٣): ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها، فأخذ بفص من أغصانها، فقال: انقادى على^(٤) ياذن الله؛ فانقادت معه كالبعير الخشوش^(٥) الذي يصانع قائده^(٦).

وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف^(٧) بينهما قال: التثما على^(٨) ياذن الله؛ فالتأمتا^(٨).

(١) بتشديد الراء. وفي ب: بتشديد الباء.

(٢) دلت عروقها: أدخلتها في الأرض. فاستوت: انتصبت قائمة من غير ميل بها.

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم: ٢٣٠٦ (٤) انقادى على: طأوعنى وميل على.

(٥) كالبعير الخشوش: الخشوش: الذي يوضع في أنفه خشاش. والبعير الذي يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به؛ فإن كان عودا من خشب فهو خشاش، وإن كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة.

(٦) يصانع قائده: المراد به الملاينة وسهولة الانقياد.

(٧) بالمنصف: أى في وسط المسكن، أى نصف المسافة. والضبط في ب، وصحيح مسلم.

(٨) التثما: انضما واجتما. وضبط في ا بضم الهم.

وفي روايةٍ أخرى : فقال : يا جابر ؛ قل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحق بصاحبك ^(١) حتى أجلس خلفكما . ففعلت ، فرجعت حتى لحقت بصاحبها فجلس خلفهما ، فخرجت أحضير ^(٢) ؛ وجلست أحدث نفسي ، فالتفت فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا والشجرتان قد افتترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقْفَةً ، فقال برأسه هكذا ^(٣) يميناً وشمالاً .

وروى أسامة ^(٤) بن زيد نحوه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، هل تعني ^(٥) مكاباً لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : إن الوادي ما فيه موضعٌ بالناس ^(٦) . فقال : هل ترى من نخلٍ أو حجارة ؟ قلت : أرى نخلات متقاربات . قال : انطلق وقل لمن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر كن أن تأتين لمخرج رسول الله ^(٧) صلى الله عليه وسلم ، وقل للحجارة مثل ذلك .

فقلت ذلك لمن ؟ فوالذي بعثه بالحق ، لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتماقدن حتى صرن ركاماً ^(٨) خلفهن .

- (١) الحق بصاحبك : تحركي واذهي حتى تكوني مع الشجرة الأخرى .
- (٢) أحضر : أسرع في العدو . وفي هامش ب : أحضر : معناه : أسرع في المشي .
- (٣) فقال برأسه : حركة هكذا .
- (٤) في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأبو يعلى بسند حسن . (٥) تعني : تقصد .
- (٦) ما فيه موضع بالناس : أي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس ؛ فهو مملوء بهم . وقال القاري : (١ - ٦١٧) : إن الوادي ما فيه موضع بالناس ؛ أي ليس فيه مكان مستقر بهم ؛ بل كله خال عنهم .
- (٧) لمخرج رسول الله : أي لمكان يخرج إليه الرسول لقضاء حاجته .
- (٨) يتماقدن : ينضم بعضها إلى بعض حتى يصرن كالبنيان للمعقود بعضه ببعض . ركاماً : بعضها فوق بعض . خلفهن : خلف النخلات ؛ يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل .

فلما قضى حاجته قال لى : قل لمن يفترقن ، فوالذى نفسى بيده لرأيتن
والحجارة - يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن .

وقال يعلى بن سَيَّابَةَ^(١) : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مَسِير ...
وذكر نحواً من هذين الحديثين ، وذكر : فأمر وَدِيعَتَيْنِ^(٢) فانضمتا . وفى رواية :
أَشَاءَتَيْنِ^(٣) .

وعن غِيْلَان بن سلمة الثقفى مثله : فى شجرتين .

وعن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فى غَزَاة حُنَيْن .

وعن يعلى بن مُرَّة - وهو ابن سَيَّابَةَ^(١) - أيضاً ، وذكر أشياء رآها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر أن طُلُحَةً أو سَمَرَةً^(٤) جاءت فأطافت^(٥) به ،

(١) فى حديث صحيح رواه أحمد (مسند أحمد : ٤ - ١٧٠) ، والبيهقى ، والطبرانى .
وقد ضبطت السين فى سيابة بالفتحة والكسرة فى ١ ، وعليها «معا» . وفى الإكمال (٣ - ٢٩٠) :
سيابة - بسين مهملة بعدها ياء مفتوحة معجمة باثنتين من تحتها وبعد الألف باء معجمة بواحدة .
وفى الاستيعاب : ٦٩١ ، والإصابة ٢ - ١٠١ ، بكسر أوله والتخفيف ، وبعد الألف موحدة .
وفى التبصير (١٣٤) : بمهملة مكسورة . وكذلك ضبطت السين فى المؤلف لمجد الننى بن سميد
بالسكسر . وضبطه فى القاموس بفتح أوله .

ويعلى بن سيابة أبوه اسمه مرة ، أما سيابة فهو اسم أمه .

(٢) الودية : من صفار النخل التى تخرج من أصول كبارها ، فتنتقل وتفرس ، وتسمى
فسيلاً وفراخاً . وفى هامش ١ : الودى : صفار النخل ، واحدها ودية ، وكذلك الأشاء ،
واحدها أشاءة .

(٣) أشاءتين : مثنى أشاءة ؛ وهى من صفار النخل أيضاً ، لكنها أكبر من الودية
(شرح الشهاب) .

(٤) طُلُحَةً ، أو سمرة : نوعان من شجر البرية ذات شوك .

(٥) فأطافت به : دارت حوله ، وألت به .

ثم رجعت إلى منبئها^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها استأذنت أن تسلم^(٢) على .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه^(٣) : آذنت^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة [١٠٧] استمعوا له - شجرة .

وعن مجاهد ، عن ابن مسعود في هذا الحديث^(٥) : إن الجن قالوا : من يشهد لك ؟ قال : هذه للشجرة . تعالني يا شجرة ؛ فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاً قعاً^(٦) . . . وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه .

قال القاضي أبو الفصل^(٧) : فهذا ابن عمر ، وبريدة ، وجابر ، وابن مسعود ، ويعلى بن مـرّة ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، وعلى بن أبي طالب ، وابن عباس ، وغيرهم - قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها . وقد رواها عنهم من التابعين أضعافهم ؛ فصارت في انتشارها من القوة حيث هي^(٨) .

(١) إلى منبئها : موضعها الأول الذي نبتت فيه .

(٢) قال في نسيم الرياض : المعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي إليه والسلام عليه .

(٣) رواه الشيخان مسنداً - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٤) آذنت : أعلنت ، والفاعل كلمة شجرة الآتية بعد . بالجن : أى بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم ، واستماعهم منه القرآن ، في الليلة التي استمعوا قراءته .

(٥) رواه الشيخان - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٦) قعاقع : صوت قوى كصوت الرحا ؛ وهو جمع قمعة ؛ وهي حكاية صوت الحركة من الأجرام الصلبة .

(٧) هو المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٨) حيث هي : صارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

وذكر ابن فورّك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ^(١) ليلاً ، وهو
وسن ^(٢) ، فاعترضته سِدْرَةٌ ، فانفجرت له نصفين حتى جاز ^(٣) بينهما ، وبقيت على
ساقين إلى وقتنا [هذا] ^(٤) ؛ وهي هناك معروفة مُعْظَمَةٌ .

ومن ذلك ^(٥) حديث أنس رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم - وراه حزينا ^(٦) : أُنحِبُّ أن أريك آية ؟ قال : نعم . فنظر رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي ، فقال : ادعُ تلك الشجرة ،
فجاءت ^(٧) تمشى حتى قامت بين يديه .

قال : مرّها فلترجع ، فمادت ^(٨) إلى مكانها .

وعن عليٍّ نحو هذا ^(٩) ؛ ولم يذكر فيها جبريل ؛ قال : اللهم أرني آية لا أبالي
من كذّبي بعدها ، فدعا شجرة . . . وذكر مثله .

(١) الطائف : اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والأشجار ، وهذه الغزوة كانت في
السنّة الثامنة من الهجرة .

(٢) وسن : الوسن : قريب من النعاس .

(٣) جاز : مر ، وسار .

(٤) في ب عليها علامة الصحة ، وهي ساقطة في أ .

(٥) ومن ذلك : ومن معجزاته . وحديث أنس رواه الدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

والحديث في سنن ابن ماجه : ١٣٣٦

(٦) حزينا : كان حزينا لعدم إطاعة قومه له في أول البعثة ، إذ عرض نفسه على القبائل .

وفي ابن ماجه : وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهله مكة ، فقال : مالك ؟
قال : فدل بي هؤلاء وفعلوا . قال : أُنحِبُّ . . .

(٧) في سنن ابن ماجه : فدعاها فجاءت . . .

(٨) في سنن ابن ماجه : فقال لها فرجعت .

(٩) في نسيم الرياض (٣ - ٥٨) : قال السيوطي : لم أجده عن علي ، وإنما هو عن جابر

رضي الله عنه .

وَحُزْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَطَلْبِهِ الْآيَةَ لَهُمْ لَا لَهُ ^(١) .
 وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ^(٢) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى رُكَاةً مِثْلَ هَذِهِ
 الْآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاها فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ارْجِعِي ، فَرَجَعْتُ .
 وَعَنِ الْحَسَنِ ^(٣) أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يَخَوْفُونَهُ ^(٤) ؛
 وَسَأَلَهُ آيَةً يَعْلَمُ بِهَا أَلَّا خَافَةَ عَلَيْهِ ؛ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّكَ إِذْ كَذَبْتَ فِيهِ شَجَرَةً ، فَادْعُ
 غُصْنًا مِنْهَا بِأَتَاكَ . فَفَعَلَ ؛ فَجَاءَ يَخْطُ الْأَرْضَ خَطًّا ^(٥) حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٦) ،
 فَنَبَسَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعْ كَمَا جِئْتَ ، فَرَجَعَ ؛ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ عَلِمْتُ
 أَنَّ لَا خَافَةَ عَلَيَّ .

وَنَحْوُهُ مِنْهُ عَنْ عُمَرَ ^(٧) ؛ وَقَالَ فِيهِ : أَرِنِي آيَةً لَا أَهْلِي مَن كَذَّبَنِي بِعَدهَا . . .
 وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ :
 أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتَ هَذَا الْعِذْقَ ^(٩) مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

(١) لَهُمْ : أَيُّ لِقَوْمِهِ الْكَذَّابِينَ . لَا لَهُ : لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَعِلْمُهُ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ .
 وَانْظُرِ الْهَامِشَ رَقْمَ ٦ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) مِمَّا رَوَاهُ فِي السَّيْرَةِ ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

(٤) إِنَّمَا شَكَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَافَ الْقُصُورَ فِي تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَقَبْلَ
 نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » .

(٥) يَخْطُ الْأَرْضَ : يَشَقُّهَا شَقًّا .

(٦) انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قَامَ مُنْتَصِبًا عِنْدَهُ .

(٧) رَوَاهُ الْبُزَارُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ . وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ .

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ .

(٩) الْعِذْقُ : هُوَ الْمَرْجُونُ مِنَ النَّخْلَةِ وَشِمَارِيحُهَا .

فدعاه فجعل يَنْقِرُ^(١) حتى أتاه . قال : ارجع ؛ فعاد إلى مكانه .
وخرّجه الترمذى^(٢) ، وقال : هذا حديثٌ صحيح .

فصل

في قِصَّةِ حَنِينِ الْجَذَعِ

وَيَعْضُدُ^(٣) هذه الأخبارَ حديثُ أنين^(٤) الجذعِ ، وهو^(٥) في نفسه مشهورٌ مُنْتَشِرٌ ، والخبرُ به متواترٌ ، قد خرّجه أهلُ الصحيح^(٦) ، ورواهُ من الصحابة بضعةَ عشرٍ ؛ منهم أنسُ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبدُ الله ابن عمر ، وعبدُ الله بن عباس ، وسهلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبريدة ، وأمّ سلمة ، والمطلبُ بن أبي وداعة ، كلُّهم يُحَدِّثُ بمعنى هذا الحديث .
قال الترمذى : وحديثُ أنس^(٧) صحيح .

قال جابر بن عبد الله [١٠٨] : كان المسجدُ^(٨) مسقوفاً على جذوعِ نخْلِ ؛ فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يقومُ^(٩) إلى جذعٍ منها ؛ فلما صُنِعَ له المنبرُ سمعنا لذلك الجذعَ صوتاً كهوَتِ العِشَارِ^(١٠) .

(١) ينقر : يشبُّ صعداً . وروى هذا الحديث مفصلاً البيهقي ؛ وقال : إن هذا الأعرابي من بني عامر . (٢) في سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٤ (٣) ويعضد : يقوى ويؤيد . (٤) الأنين : صوت المريض ، والأنين والحنين متقاربان . وقيل : الأنين فيه زيادة امتداد الصوت . (٥) وهو : أى حديث الجذع . والجذع : أصل الشجرة . (٦) كالبخارى ، ومسلم : صحيح البخارى : ٤ - ٢٣٧ (٧) سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٤ (٨) كان للمسجد : أى مسجد الرسول بالمدينة . والحديث في ابن ماجه : ٤٥٥ ، وصحيح البخارى : ٤ - ٢٣٧ (٩) يقوم مستنداً .

(١٠) كهوَتِ العِشَارِ : الناقة التى أتى على حماتها عشرة أشهر ، وزال عنها اسم الحاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضاً . والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه بزاعماً لولدها إذا لم تره .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخواره ^(١) .

وفي رواية سهل : وكثُرُ بكاء الناسِ لِمَا رَأَوْا به .

وفي رواية المطلب [وأبى] ^(٢) : حتى تصدَّع وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فوضع يدهُ عليه فسكتَ .

زاد غيره : فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا بكى لِمَا قَدَّ مِنَ الدُّكْرِ ^(٣) .

وزادَ غيره : والذي نفسى بيده : لو لم ألْزِمه ^(٤) لم يزلْ هكذا إلى يوم القيامة ؛

تمخِزُنا على رسولِ الله ^(٥) صلى الله عليه وسلم ؛ فأمر به صلى الله عليه وسلم فدُفِنَ تحتَ المنبر .

كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ؛ وإسحاق ؛ عن أنس .

[وفي بعض الروايات عن سهل : فدُفِنَتْ تحتَ منبره ، أو جُعِلَتْ في السقف] ^(٦) .

وفي حديث أبي : فكان إذا صلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم صلى إليه ^(٧) ؛

فلما هُدمَ المسجدُ ^(٨) أخذَه أبي ، فكان عنده إلى أن أكلته الأرضُ ، وعاد رُفانا ^(٩) .

وذكر الإسفرائيني ^(١٠) أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دعا إلى نفسه ، فجاء يخرقُ

الأرضَ ^(١١) ، فالتزمه ^(١٢) ، ثم أمره فعادَ إلى مكانه .

(١) الخوار في الأصل يختص بصياح البقر ، ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم .

(٢) ليس في ١ .

(٣) من الذكر : المراد بالذكر ذكر الله ، أو الموعظة ، أو القرآن . وفي ١ : لجواره ، لخواره ،

وكتب عليها فيهما « معا » . والخوار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة .

(٤) التزمه : إذا اعتنقه وضعه . (٥) على رسول الله : على مفارقتة .

(٦) كتب أمام هذه العبارة في هامش ١ ، ب : من اللم بخطه من غير الرواية .

(٧) صلى إليه : استقبله ، وجمله كالستر للمصلى من المارين .

(٨) هدم المسجد : هدمه كان في زمن عمر رضى الله عنه .

(٩) وعاد رُفانا : عاد : صار . رُفانا : متسكرا متفرقا . (١٠) والباب .

(١١) يخرق الأرض : يشقها بعشيه فيها . (١٢) فالتزمه : اعتنقه وضعه .

وفي حديث بُرَيْدَةَ : فقال - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ ^(١) الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبِتُ لَكَ عُرْوَتَكَ ، وَبِكُمُلُ خَلْقِكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خُوصَ وَنَمْرَةَ ^(٢) .؛ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ ؛ ثُمَّ أَصْنَعِي لَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ .

فَقَالَ : تَغْرِسْنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَبْلَى فِيهِ .

فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ ^(٣) .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ ثُمَّ قَالَ : اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ .

فَيَكُنُ الْحَسَنُ ^(٤) إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَكَى ، وَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ؛ الْحَشْبَةُ ^(٥) تَحْمِنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ .
رواه - عن جابر - حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصٍ ، وَأَيْمَنُ ، وَأَبُو نَضْرَةَ ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرِبٍ ، وَكَرَيْبٌ ، وَأَبُو صَالِحٍ .
ورواه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْحَسَنُ ، وَثَابِتٌ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ .

وراهُ عن ابنِ عُمرَ : نَافِعٌ ، وَأَبُو حَيَّةَ ؛ وَرواه أَبُو نَضْرَةَ ، وَأَبُو الْوَدَّاعِ ، عن أَبِي سَعِيدٍ ، وَتَمَّارُ بْنُ أَبِي تَمَّارٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو هَازِمٍ ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ ، عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عن المطلب ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عن أبيه ، والطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ .

(١) الحائط : البستان الذي فيه الشجر والنخل .

(٢) أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها .

(٣) من يليه : من يقرب منه . (٤) الحسن : هو الحسن البصرى .

(٥) الحشبة : يريد هذا الجذع .

قال القاضي أبو الفضل ^(١) : فهذا حديثٌ كما تراه خرَّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغيرُهم من التابعين ضَعُفُهم ، إلى مَنْ لم نذكره ؛ وبِمَنْ ^(٢) دونَ هذا العددِ يقعُ ^(٣) العِلْمُ لِمَنْ اعتنى بهذا البابِ . واللهُ المُنْتَبِهُ على الصوابِ .

فصل

ومِثْلُ هذا في سائرِ الجُمادات ^(٤) :

[١٠٩] حدَّثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التَّمِيمِي ، حدَّثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الرَّاِبِط ، حدَّثنا المهلب ، حدَّثنا أبو القاسم ، حدَّثنا أبو الحسن القاسِي ، حدَّثنا المَرْوُزِي ، حدَّثنا الْفِرَازِي ، حدَّثنا الْبُخَّارِي ، حدَّثنا محمد بن الْمُثَنَّى ، حدَّثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِي ، حدَّثنا إِسْرَائِيلُ ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عَلْقَمَةَ ، عن ابن مسعود ، قال : لقد كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وهو يؤكل ^(٥) .

وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود ^(٦) : كُنَّا نَأْكُلُ مع رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم الطَّعَامَ ونحن نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ .

وقال أنس ^(٧) : أخذ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم كَفًّا من حصِّي ، فسَبَّحَنَ في يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم حتى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ ، ثم صَبَّهْنُ في يَدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه فسَبَّحَنَ ، ثم في أيدينا فما سَبَّحَنَ .

(١) هو عياض المصنف . وفي ب : قال للمؤلف رحمه الله .

(٢) وفي هامش ا : وبدون .

(٣) يقع العلم : يوجد العلم وتتفق صحته . (٤) الجُماد : ما لا روح فيه .

(٥) وهو يؤكل : أى في حال أكلنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم .

(٦) هي رواية الترمذى (٥ - ٥٩٧) . والأولى رواية البخارى .

(٧) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

وَرَوَى مِثْلَهُ ^(١) أَبُو ذَرٍّ ، وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ سَبَّخْنَ فِي كَفِّ عُمَرَ وَعُمَانَ .
 وَقَالَ عَلِي ^(٢) كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَى بَعْضِ
 نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرَةٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ^(٣) عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ
 يُسَلِّمُ عَلَيَّ ؛ قِيلَ : إِنَّهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ .
 وَعَنْ عَائِشَةَ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّسَالَةِ جَعَلْتُ
 لَا أَمْرًا بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ ^(٥) عَبْدِ اللَّهِ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُرُّ بِحَجَرٍ
 وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَجَدَ لَهُ .
 وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ ^(٦) ؛ إِذَا اشْتَمَلَ ^(٧) عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى بَنِيهِ
 بِمَلَأَةٍ ، وَدَعَا لَهُمْ ^(٨) بِالنَّارِ كَسَتْهُ إِيَّاهُمْ بِمَلَأَتِهِ ؛ فَأَمَّنْتَ أَسْكَفَةَ الْبَابِ ^(٩)
 وَحَوَائِطَ الْبَيْتِ : آمِينَ آمِينَ .

-
- (١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَابَيْهَقِيُّ ، وَابِزَارٌ .
 (٢) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ (سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٩٣)
 (٣) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٩٣
 (٤) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ ابِزَارٌ فِي مُسْنَدِهِ . وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا : طَبَقَاتُ ابْنِ
 سَعْدٍ : ١ - ١٠٢
 (٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابَيْهَقِيُّ . (٦) رَوَاهُ ابَيْهَقِيُّ أَيْضًا .
 (٧) اشْتَمَلَ عَلَيْهِ : ضَمَّهُ . بِمَلَأَةٍ : هِيَ الْإِزَارُ وَالْمَلْحَفَةُ . وَفِي ب : وَهِيَ عَلَى بَنِيهِ . وَفِي
 هَامِشِ ب : الْمَلَأَةُ : الْمَلْحَفَةُ .
 (٨) قَالَ : يَا رَبِّ ؛ هَذَا عَمِي وَصَنُو أَبِي ؛ وَهَؤُلَاءِ بَنُوهُ ، فَاسْتَرَمُّ مِنَ النَّارِ كَسَتْهُ إِيَّاهُمْ
 بِمَلَأَتِي هَذِهِ .
 (٩) أَسْكَفَةُ الْبَابِ : عَتَبَتُهُ . وَفِي هَامِشِ أ : الْأَسْكَفَةُ ، وَالْأَسْكَوْفَةُ : الْعَتَبَةُ .

وعن جعفر بن محمد^(١)، عن أبيه: مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَانٌ وَعِنَبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحَ .
وعن أنس^(٢): صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، أَحَدًا، فَرَجَفَ^(٣) بِهِمْ؛ فَقَالَ: اثْبُتْ أَحَدٌ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ .
وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤) فِي حِرَاءٍ^(٥)، وَزَادَ مَعَهُ: عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ، وَالزَّيْبُرُ؛ وَقَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ .
وَالْخَبَرُ فِي حِرَاءٍ^(٥) أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ؛ قَالَ: وَمَعَهُ عَشْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا فِيهِمْ .
وَزَادَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَسَعْدًا، قَالَ: وَنَسِيتُ الْاِثْنَيْنِ^(٦) .
وَفِي حَدِيثٍ^(٧) سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا مِثْلُهُ؛ وَزَادَ عَشْرَةً؛ وَزَادَ نَفْسَهُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٧٣) : قَالَ السَّيَوْتِيُّ : لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ - يَعْنِي الشَّاهِدَةَ ، فَلَا يَنَالُ إِطْلَاعَ الصَّنَفِ عَلَيْهِمَا . وَقَالَ الْقَارِي (١ - ٦٢٩) : قَالَ الدَّجَلِيُّ : لَمْ أَدْرِ مَنْ رَوَاهُ . قُلْتُ : يَكْفِي أَنَّهُ رَوَاهُ الصَّنَفُ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْحَدِيثَ لَهُ أَصْلٌ لَمْ أَذْكُرْهُ .

(٢) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهَ . سَنَنَ ابْنُ مَاجَهَ : ٤٨٠ .
وَفِيهِ : اثْبَتَ حِرَاءَ . وَالحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ : ٢ - ١٣٩ أَيْضًا ، وَسَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٦٢٤ .
(٣) رَجَفَ بِهِمْ : تَحَرَّكَ حَرَكَةً شَدِيدَةً وَاضْطَرَبَ .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَهُوَ سَنَنَ ابْنَ مَاجَهَ : ٤٨٠ ، وَمُسْنَدَ الطَّيَالِسِيِّ : ٢ - ١٣٩ ، وَسَنَنَ التِّرْمِذِيُّ :

٦٢٤ ، ٦٢٥ - ٥

(٥) حِرَاءَ : جَبَلٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ .

(٦) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عُثْمَانَ .

(٧) أَيْ تَمَتُّةَ الْعَشْرَةِ ؛ وَهِيَ : طَلْحَةُ ، وَالزَّيْبُرُ .

(٨) رَوَاهُ أَبُو دَوَادٍ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهَ .

وقد رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ طَلَبَتْهُ ^(١) قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ كَيْبِيرُ ^(٢) : اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ ^(٣) .

فَقَالَ حِرَاءٌ : إِلَى ^(٤) يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَرَوَى ابْنُ عُمر ^(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٦) ؛ ثُمَّ قَالَ : يُمَجِّدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ ^(٧) ؛ أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ؛ فَرَجَفَ ^(٨) الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا : لَيَخْرِقَنَّ عَنْهُ ^(٩) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١٠) : كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةً صَنَمَ [١١٠] مُشَبَّهَةٌ الْأَرْجُلِ بِالرَّصَاصِ فِي الْحَجَارَةِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّجْدِ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيْبٍ ^(١١) فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمْسُهَا ، وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

(١) طلبته قريش لما خرج مهاجرا ، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم .

(٢) كئيب : جبل بالزدلفة عن يسار الذهاب إلى منى . اهبط : انزل من على ظهرى ، واذهب إلى مكان آخر تخشى به عنهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٧٥) : إنما خاف العذاب بسبب قتله ، لأنه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب ؛ أو لأنه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم ؛ كما غضب على أرض نود .

(٤) إلى : أقبل .

(٥) في حديث رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده (مسند أحمد : ٢ - ٧٢ ، ٨٨) .

(٦) ما قدروا الله حق قدره : ما عظموه حق تعظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

(٧) يمجد الجبار نفسه : يعظم وينزه ذاته .

(٨) رجف المنبر : اهتز واضطرب من مهابة مقال النبي .

(٩) ليخرن عنه : ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من فوقه ، أو لينهد المنبر .

(١٠) في حديث أخرجه الشيخان ، والبخاري ، والطبراني ، وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود .

والحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٠٧ (١١) بقضيب : بعصا .

الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١)؛ فَا أَشَارَ إِلَى وَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ ، وَلَا إِقْفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ .

وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ^(٢) مَسْعُودٍ ؛ وَقَالَ : تَجْمَلُ بِطَمَنُهَا وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يَبْدَى الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ^(٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ^(٤) حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ ؛ إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمِّهِ ؛ وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يَخْرُجُ لِأَحَدٍ ؛ فَنَجَرَ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ^(٥) ، حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ؛ يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا لَهُ ، وَلَا تَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيِّ . . . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ تُظِلُّهُ ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلَى قِيَمَةِ^(٦) الشَّجَرَةِ ؛ فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ النَّبِيُّ إِلَيْهِ .

فصل

فِي الْآيَاتِ فِي ضُرُوبِ الْحَيَوَانَاتِ

حَدَّثَنَا سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، [حَدَّثَنَا]^(٧) أَبُو الْحُسَيْنِ الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي يُونُسُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصَّعْلِيُّ ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمٍ ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ

(١) الحق : التوحيد ، والإسلام . والباطل ضده . وزهوقه : زواله واضمحلاله .

(٢) رواه الشيخان ؛ صحيح البخارى : ٥ - ١٨٨

(٣) الحق : الدين الحق ، أو التوحيد ، أو وعد الله بفتح مكة . الإبداء : الإيجاد ابتداء من غير سبق إيجاد آخر . والإعادة : الإيجاد مرة بعد مرة أخرى ؛ أى إن الشرك هلك واضمحل .

(٤) من ذلك : مما ذكر من أمر الجمادات . والحديث رواه الترمذى والبيهقى . والراهب

هو بحيرا . سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٠ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ٩٩

(٥) يتخللهم : يدخل في خلالتهم ، ويدور بينهم ينظرهم واحدا واحدا .

(٦) القيَم : الظل . والنعامة : السحابة . (٧) ليس في ب .

من أبيه وجده ؛ قالوا : حدثنا أبو العلاء أحمد بن عِمران ، حدثنا محمد بن فضَّيل ،
حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مُجاهد ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها ؛ قالت : كان
عندنا دَاجِنٌ^(١) ، فإذا كان عندنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قرء^(٢) وثبتَ
مكانه ؛ فلم يَحْجُ ولم يذهب ؛ وإذا خرج رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم جاء وذَهَبَ .
وروى عن عُمر^(٣) أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان في حَفْلٍ^(٤) من أصحابه
إذ جاء أعرابيٌّ قد صادَ ضَبًّا^(٥) ؛ فقال : ما هذا^(٦) ؟ قالوا : نبيُّ اللهِ . فقال :
واللَّاتِ والمزى^(٧) ، لا آمَنْتُ بكَ أو يؤمِّنَ هذا الضَّبُّ ؛ وطَرَحَ بين يدي
النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : يا ضَبُّ ؛ فأجابه بلسانٍ
مُبينٍ بِسْمَعِهِ القومُ جميعا : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(٨) يَازَيْنَ مَنْ وَاىِ القِيَامَةِ^(٩) .

(١) داجن : شاة تألف البيوت وتلف فيها ، وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربي
في البيوت ، كالناقة ، والحمام . وفي هامش ب : دواجن البيوت : ما ألفتها من الطير والشاء
وغیرها . والمراد بقولها « عندنا » منزلها الذي تسكنه .

(٢) قر وثبت مكانه : وقف ، أو ربض في مكانه لا يتحرك .

(٣) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٤) حفل : مكان يجتمع فيه ناس كثيرون .

(٥) الضب : حيوان برى ، والأعراب تصيده وتأكله .

(٦) هذا في أ ، ب . وفي هامش أ : من هذا .

(٧) اللات والمزى : صنان عبدا في الجاهلية . واللات : كان بنخلة والطائف لقريش

وثقيف . والمزى : شجرة من السمركانت لنطفان .

(٨) لبيك وسعديك : لبيك : إجابة لك بعد إجابة . وسعديك : مساعدة وطاعة لك

بعد طاعة ، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة .

(٩) من وافي القيامة : اللوافة : الحضور والمجيء . وإنما جملة زينا ؛ أى مزينا لأهلها

ومن بها ، لأنه سيدهم وقائدهم ، والشفيع لهم . والعرب تقول : يازين القوم — لأشرفهم وأحسنهم .

قال : مَنْ تَعْبُدُ ؟ قال : الذى فى السماء عَرَّشُهُ ، وفى الأرض سُلْطَانُهُ ، وفى البحر سَبِيلُهُ ^(١) ، وفى الجنة رَحْمَتُهُ ، وفى النار عِقَابُهُ .

قال : فَمَنْ أَنَا ؟ قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخَاتَمُ ^(٢) النَّبِيِّينَ ، وقد أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ ، وخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ .

فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ ^(٣) .

ومن ذلك ^(٤) قصة ^(٥) كلام الذئب المشهورة عن أبى سفيان الخدرى :

بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ عَرَضَ الذَّئْبُ لَشَاةٍ مِنْهَا ، فَأَخَذَهَا الرَّاعِي مِنْهُ ، فَأَقْعَى ^(٦) الذَّئْبُ ، وَقَالَ لِلرَّاعِي : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ ! حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي !

قال الرَّاعِي : الْعَجَبُ مِنْ ذَنْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْس ! فقال الذئبُ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ؟ رسولُ اللَّهِ بينَ الْحَرَّتَيْنِ ^(٧) يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ ^(٨) مَا قَدْ سَبَقَ .

فَأَتَى الرَّاعِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ؛ فقال النبي : قُمْ فَخُذْهُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ .

والحديث فيه قصة ، وفى بعضه طُول .

وَرُويَ حَدِيثُ الذَّئْبِ ^(٥) عَنْ أُمِّ هُرَيْرَةَ .

(١) سبيله : طريقه التى جعلها مَسْلُوكَةً لِمَبَادِهِ بِتَسْخِيرِ الرِّيحِ وَنَحْوِهِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

(٢) ضَبَطَ التَّاءَ فِي الْكُسْرَةِ ، وَفِي ب : بِالْفَتْحَةِ . وَهُوَ بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى خَتَمُوا بِهِ ،

وَبَكَّرَهَا بِمَعْنَى خَتَمَهُمْ . (٣) هَذَا الْحَدِيثُ طَوِيلٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٤) مِنْ ذَلِكَ : مِنْ مَجْزَآتِهِ فِي تَسْخِيرِ الْحَيَوَانَاتِ وَإِنْفَاقِهَا .

(٥) رَوَاهَا أَحْمَدُ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ . وَهِيَ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَمَدٍ : ١-١١٤ .

(٦) فَأَقْعَى الذَّئْبُ : قَعَدَ عَلَى عَقْبِهِ نَاصِبًا يَدِيهِ .

(٧) الْحَرَّةُ : ثَلَاثَةُ مَرْتَفَعَاتٍ ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدَاءَ ، كَأَنَّهَا اسْوَدَّتْ مِنَ الْحَرِّ . وَالْحَرَّتَانِ بِالْمَدِينَةِ .

(٨) بِأَنْبَاءٍ مَا سَبَقَ : الْأَنْبَاءُ : الْأَخْبَارُ .

وفي بعض الطُّرُقِ عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال الذُّبُّ : أنتَ أعجبُ ! واقفاً على غَنَمِكَ ، وتركتَ نبياً لم يبعث الله نبياً قطُّ أعظمَ منه عنده [١١١] قدراً^(١) ، قد فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ ، وأشرف^(٢) أهلُها على أصحابِه ، ينظرون قتالهم^(٣) ، وما بينك وبينه إلا هذا الشَّعْبُ^(٤) ، فتصير من جنود الله . قال الراعى : مَنْ لى بغنمى ؟ قال الذُّبُّ : أنا أُرعاها حتى ترجعَ . فأسلم الرجلُ إليه غَنَمه ومغنى .

وذَكَرَ قصته وإسلامه ووجوده النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يُقاتل ؛ فقال له النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : عُدْ إلى غَنَمِكَ تجدها بوَفَرِها^(٥) . فوجدوها كذلك ، وذبح للذُّبِ شاةً منها . وعن أُهَيان^(٦) بنِ أَوْسٍ : وأنه^(٧) كان صاحبَ النِّصَّةِ ، والحديثُ بها ، ومكَلَّم الذُّبِ .

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع : وأنه^(٨) كان صاحبَ [هذه]^(٩) القصة أيضاً ، وسببَ إسلامه بِمَثَلِ حديثِ أبي سعيد . وقد رَوَى ابنُ وَهْبٍ مِثْلَ هذا أَنه جَرَى^(١٠) لأبْنِ سَفْيَانَ بنِ حَرْبٍ ، وصَفْوَانَ

(١) قدرا : منزلة .

(٢) الإشراف : النظر من مكان عال .

(٣) ينظرون قتالهم : ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة .

(٤) الشعب : متفرج بين جبلين ؛ يعنى أَنه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه . يريد :

فتخلفك منه هذا أعجب من نطقى الذى تمجبت منه .

(٥) بوفرها : بتامها وكاملها ، لم ينقص منها شيء .

(٦) هذا الحديث رواه البيهقى والبخارى في تاريخه .

(٧) وأنه ؛ أى أهيان بن أوس . (٨) وأنه ؛ أى سلمة .

(٩) ليس في ب . (١٠) جرى : وقع واتفق .

ابن أمية ، مع ذئبٍ وجَدَاه أَخَذَ ظَبِيًّا ، فدخل الظَّبْيُ الحَرَمَ ؛ فانصرف الذئبُ ؛ فعَجِبَا من ذلك ، فقال الذئبُ : أعجبُ من ذلك محمدُ بنُ عبد الله بالمدينة يدعوكُم إلى الجَنَّةِ وتدعونه إلى النار^(١) .

فقال أبو سفيان : واللَّاتِ والمُزَيِّ ، لئن ذكرتَ^(٢) هذا بمكة لتتركتُها خُلُوفًا^(٣) .

وقد رُوِيَ مِثْلُ هذا الخَبَرِ ، وأنه جَرَى لأبي جَهْلٍ وأصحابه .

وعن عباس بن مردَاسٍ لَمَّا تَعَجَّبَ من كلام ضِمَارِ صَنَمِهِ^(٤) ، وإنشاده^(٥)

الشعر الذى ذكر فيه النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا طائرٌ سَقَطَ ، فقال : يا عباس ؛ أتعجبُ من كلام ضِمَارِ ، ولا تعجب من نَفْسِكَ ؟ إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدعُو إلى الإسلامِ وأنتَ جالسٌ ؛ فكان سببَ إسلامِهِ^(٦) .

(١) يدعونه إلى النار بقولهم له : لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار .

(٢) لئن ذكرت : أبو سفيان يخاطب صفوان بن أمية .

(٣) خُلُوفًا : المراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ، ويرتحلوا إلى النبي بالمدينة ،

لأن من سمع مثل هذا لا يتردد في صحة رسالته . أو المراد : يدعها وأهلها متفيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة وفي شرح القارى (١-٦٣٥) : خُلُوفًا : بلاراع ولا حام ؛ وكذلك في النهاية . وفي هامش ب : الحى الخلوف : الذى رحل رجاله وبقي نساؤه .

(٤) الصنم : اسمه ضمار . وكان هذا الصنم يعبده مرداس ورهطه . وفي ب : ضمار -

بالدال المهملة . وفي تاج العروس - ضمير : وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس السلمى ورهطه . وفي التبصير (٨٥٧) : وضمار : اسم صنم عباس بن مرداس .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٨٥) : هذا الشعر هو :

أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل البيان من النبي محمد

وهو الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد

وهذا الشعر أيضا في شرح القارى (١ - ٦٣٥) . وفيه : كان يعبد مدة .

(٦) قال القارى (١ - ٦٣٥) : وهذا الحديث كما في الطبرانى الكبير بسند لا بأس

به قريب مما هنا .

وعن جابر^(١) بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ، وكان في عَمَمٍ يرعاها لهم^(٢) ؛ فقال : يا رسول الله ، كيف بالنعم^(٣) ؟ قال : احْصِبْ وجُوهها^(٤) ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ ، ويرُدُّها إلى أهلها .

فَفَعَلَ ، فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا .

وعن أَنَسٍ^(٥) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حَائِطَ^(٦) أَنْصَارِيٍّ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا . . . الْحَدِيثُ .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ^(٧) رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حَائِطًا ، فَجَاءَ بِعِيرٍ فَسَجَدَ لَهُ ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ .

وَمِثْلُهُ فِي الْجَمَلِ^(٨) - عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٩) - وَيَعْلَى ابْنَ مُرَّةَ^(١٠) ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ^(١١) ؛ قَالَ : وَكَانَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْحَائِطَ إِلَّا شَدَّ

(١) في حديث رواه البيهقي . (٢) لهم : لأهل خيبر .

(٣) كيف بالنعم : كيف أفعل بالنعم إذا أسلمت ، وهي ملك لغيري ، وأنا أجير .

(٤) احصب وجوهها : ارمها في وجوهها بالحصباء ؛ وهي صنار الحجارة ودقاقها .

(٥) في حديث صحيح مسند ، رواه أحمد ، والبزار .

(٦) حائط : المراد به بستان .

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ٨٧) : هذا الحديث رواه البزار بسند حسن . وكذلك

قال القاري (١ - ٦٣٦) .

(٨) رواه أبو نعيم .

(٩) رواه أحمد ، والدارمي ، والبزار ، والبيهقي .

(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، والبيهقي .

(١١) رواه مسلم ، وأبو داود - الحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٣٤

عليه الجَمَلُ^(١) ؛ فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ ، فوضع مِشْقَرَهُ^(٢) ،
على الأرض ، وبرَّك بين يديه ، فخطَّمه^(٣) ، وقال : ما بين السماء والأرض شيء
إِلَّا يَعْلَمُهُ أُنَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا^(٤) عَصِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ^(٥) .

ومِثْلُهُ^(٦) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى .

وفي خبر آخر في حديثِ الجَمَلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ ،
فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذُبْحَهُ .

وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ : إِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ ، وَقَلَّةَ الْعَلْفِ
مِنْ صِغَرِهِ ، فَقَالُوا : نَعَمْ .

وقد رَوَى [١١٢] فِي قِصَّةِ الْمَضْبَاءِ^(٧) وَكَلَامِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَتَعْرِيفِهَا لَهُ بِنَفْسِهَا ، وَمِبَادِرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا فِي الرَّغْيِ ، وَتَجَنُّبِ الْوَحُوشِ عَنْهَا^(٨) ،
وَنَدَائِهِمْ^(٩) لَهَا : إِنَّكَ لِحَمْدٍ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حِينَ مَاتَتْ .
ذَكَرَهُ الْإِسْفَرَايْنِيُّ^(١٠) .

(١) شد عليه الجمل : أسرع وحمل عليه . يعنى أن هذا الجمل كان عتورا هائجا .

(٢) للشفر في الإبل كالشفة للإنسان .

(٣) خطَّمه : فوضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وعلى فمه ، وقد انتقاد للنبي متذلا بعد
أن كان لا يطاق .

(٤) فى ١ : لا يعلم .

(٥) أى إلا من عصى الله ورسوله وكفر ، فإنه ينكر معرفتى .

(٦) رواه أبو نعيم ، والبيهقى .

(٧) المضباء : اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم . ومعناها للشقوة الأذن .

(٨) أى عدم أذيتها وأكلها لها .

(٩) عليها علامة الصحة فى ١ ، وفى هامشه : وقولهم .

(١٠) فى شرح القارى (١-٦٣٧) : قال الدلبى : وأما قصة المضباء فلم أدر من رواها ،

ولا حديث حمام مكة .

وروى ابنُ وَهْبٍ^(١) ، أنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِهَا ،
فَدَعَا لَهَا بِالْبِرْكَةِ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ^(٢) ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، وَالْمُعِيزَةَ بْنِ شُعْبَةَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْلَةُ الْغَارِ أَمْرُ اللَّهِ شَجَرَةٌ^(٣) ، فَنَبَتَتْ تَجَاهَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسْتَرَتْهُ ، وَأَمْرُ حَامَتَيْنِ فَوْقَ قَتَا بَقَمِ الْغَارِ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٤) : وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَى بَابِهِ ؛ فَلَمَّا أَتَى الطَّالِبُونَ لَهُ ، وَرَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا : لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمْ تَكُنِ الْحَامَتَانِ يَبَابُهُ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ؛ فَانْصَرَفُوا .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ^(٥) : قُرَّبَ إِلَى رَسُولِ^(٦) اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَنَاتٌ^(٧) خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ ، لَيَنْفَحَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ ، فَازْدَلَفْنَ^(٨) إِلَيْهِ بِأَيْمَنِ يَبْدَأُ .
وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ^(٩) : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحْرَاءَ ، فَنَادَتْهُ ظَلْمِيَّةٌ ،

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣-٨٩) : وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَخْرُجْ .

(٢) رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ ، وَابْنُ بَرَزٍ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو نَعِيمٍ .

(٣) الْغَارُ هُوَ غَارُ ثَوْرٍ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَاجَرَ .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ، وَابْنُ بَرَزٍ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو نَعِيمٍ .

(٥) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو نَعِيمٍ مُسْنَدًا .

(٦) فِي ١ : إِلَى النَّبِيِّ . . .

(٧) بَدَنَاتٌ : جَمْعُ بَدَنَةٍ ؛ وَهِيَ مَا يَمِدُّ لِلنَّحْرِ مِنَ الْإِبِلِ خَاصَّةً . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : إِنَّهَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ ؛ وَسَمِيَتْ بَدَنَةً لِعَظَمِ بَدْنِهَا .

(٨) اَزْدَلَفْنَ إِلَيْهِ : تَقَدَّمَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَيْهِ رَغْبَةً فِي أَنْ يَذْبَحَهَا ، اِنْقِيَادًا لَهُ بِالْإِلهَامِ مِنَ اللَّهِ .

(٩) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَجَرٍ . وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : إِنَّهُ لَا أَصْلَ لَهُ ، لِأَنَّهُ فِي سَنَدِهِ مُجَاهِلٌ .

يارسولَ الله . قال : ما حاجتُك ؟ قالت : صادَنِي هذا الأعرابيُّ ، ولى خِشْفَانٌ ^(١) فى ذلك الجبل ، فأطْلَقْنِي حتى أذهبَ فأرْضِمَهُما وأَرْجِعَ .

قال : وَتَفْعَلِينَ ؟ قالت : نعم . فأطْلَعْنَاهَا ، فذهبت ورجعت ، فأوثَقَهَا ^(٢) ، فانتَبَه الأعرابيُّ وقال : يارسولَ الله ؛ أَلَيْكَ حاجةٌ ؟ قال : تُطْلِقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ . فأطْلَعَهَا فخرَجَتْ تَعْدُو ^(٣) فى الصحراء ، وتقول : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله ، وأَنَّكَ رسولُ الله . ومنَ هذا الباب ^(٤) ما رَوَى ^(٥) مِنْ تَسْخِيرِ الْأَسَدِ لِسَفِينَةِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ إِذْ وَجَّهَهُ إِلَى مُعَاذٍ بِالْيَمَنِ ، فَلَقِيَ الْأَسَدَ فمَرَّهَ أَنَّهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعه كِتَابُهُ ، فَهَمَّ ^(٦) وَتَنَحَّى ^(٧) عَنْ الطَّرِيقِ ، وَذَكَرَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

وفى رواية ^(٨) أُخْرَى عَنْهُ - أَنَّ سَفِينَةً تَكَسَّرَتْ بِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى جَزِيرَةٍ فَإِذَا الْأَسَدُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَجَعَلَ يَنْعِمُ زَنِ ^(٩) بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَقَامَنِ عَلَى الطَّرِيقِ ^(١٠) .

(١) الحشف : الظبي الصغير الذى ولدهته أمه .

(٢) أوثقها : ربطها كما كانت . (٣) تعدو : تجرى .

(٤) من هذا الباب : من باب المعجزات بإطاعة الحيوانات .

(٥) فى نسيم الرياض (٣ - ٩٢) : قال السيوطى : لم أقف على هذا الحديث هكذا .

وأخرج البيهقى أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم ، إلا أن البخارى ذكره فى تاريخه ، كما قال للصف فلا اعتراض عليه .

(٦) المهمة : صوت لا يفهم .

(٧) تنحى عن الطريق : تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق إذهاباً لحوفه .

(٨) وهذه الرواية هى التى رواها البيهقى والبخارى وصححها السيوطى فى تخريجهم .

(٩) ينمزي : يدفعنى دفعا خفيفا . وللمنكب : ما بين الكتف والمنك .

(١٠) أقامنى على الطريق : دلى على الطريق .

وأخذ - عليه السلام - بأذنِ شاةٍ لقومٍ من عبد القيس بين إصبهيه ، ثم خلاها^(١) فصار لها ميسما^(٢) ، وبقي ذلك الأثرُ فيها وفي نسلها بعدُ^(٣) .
وما رويَ عن^(٤) إبراهيم بن حمادٍ بسنده من كلام الحمار الذي أصابه^(٥) بخيبر ، وقال له : اسمي يزيدُ بن شهاب .

فسماه النبي ﷺ عليه وسلم يعفوراً ، وأنه كان يوجّههُ إلى دُور أصحابه ، فيضرب عليهم البابَ برأسه ، ويستدعيهم ؛ وأنَّ النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم لما مات تردى^(٦) في بئرٍ جزعاً وحزنًا ، فأت .

وحديثُ الناقة^(٧) التي شهدت عند النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه مارسها ، وأنها ملكة .

وفي العنز^(٨) : التي أتت رسولَ الله ﷺ صلى الله عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم عطشٌ ، ونزلوا على غير ماء ، وهم زهاء^(٩) ثلاثمائة ، فحلبها رسولُ الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ، فأرؤى الجندَ ، ثم قال لرافع : أملكها وما أراك^(١٠) . فربطها فوجدها قد انطلقت .

(١) خلاها : نحى إصبه عنها وتركها .

(٢) ميسما : علامة ؛ أي صار أثر إصبهيه لها علامة .

(٣) قال في نسيم الرياض (٣ - ٩٣) : وهذا الحديث لا يعلم من رواه من الحديثين .

(٤) هذا الحديث رواه ابن حبان ، لكنهم قالوا : إنه ضعيف : وقال ابن الجوزي : إنه

كذب موضوع . (٥) أصابه بخيبر : وجده بها لما فتحها . أو أصابه : كان في سهمه .

(٦) تردى : ألقي نفسه وطرحها في بئر .

(٧) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسنده فيه مجاهيل ، والحاكم عن ابن عمر . وقال

الذهبي : إنه موضوع .

(٨) أخرجه ابن سعد ، والبيهقي ، وابن عدى ، عن سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه .

(٩) وهم زهاء : أي قريب عددهم من ذلك .

(١٠) أملكها : خذها واتخذها ملكاً لك ، لأنها لا صاحب لها ، إذ وجدت بأرض العدو .

ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها ، واربطها . وما أراك : ما أظنك تملكها وتحفظها .

راوه ابن قانع وَغَيْرُهُ ^(١) ؛ وفيه : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الذي جاء بها هو الذي ذهب بها ^(٢) [١١٣] .

وقال لفرسه - عليه السلام - وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : لا تَبْرَحْ ^(٣) ، باركَ اللهُ فيكَ حتى نَفْرَغَ من صلاتنا ، وجعله قِبْلَتَهُ ، فما حَرَكَ ^(٤) عُضْوًا حتى صلى صلى الله عليه وسلم .

[ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي - أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما وَجَّهَ رُسُلَهُ إلى الملوك ، فخرج سِتَّةَ فَرَسٍ منهم في يوم واحد ، فأصبح كلُّ رجلٍ منهم يتكلم بلسانِ القوم الذين بعثه إليهم] ^(٥) .

والحديثُ في هذا الباب كثير ، وقد جئنا منه بالشهور ، وما وقع في كتب الأئمة .

فصل

في إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع ^(٦)

وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوائِدِ هِشَامٌ ^(٧) بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ، والقاضي أبو الوائِدِ محمد ابن رُشد ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، وَغَيْرُ واحدٍ سماعاً وإِذْناً ؛

(١) رواه أيضاً البيهقي ، وابن عدي ، عن جماعة من الصحابة .

(٢) يعني الله ، أو الملك .

(٣) لا تَبْرَحْ : لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه ، ولا تفارقه .

(٤) قبلته : جعله في جهة قبلته سائراً وما نال من يمر بين يديه .

(٥) في هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

(٦) الصبيان : الذين في المهد ، الذين لم يصلوا إلى سن يتكلم فيه مثلم . والمرضع :

جمع مرضع اسم مفعول ؛ وهو الولد الصغير . وقال القاري (١ - ٦٦٢) : جمع راضع ، على خلاف للقياس .

(٧) هذا الحديث أورده أبو داود مسنداً عن أبي هريرة .

قالوا : حدثنا أبو علي الحافظ ، [قال : ^(١)] حدثنا أبو حنيفة ^(٢) الحافظ ، حدثنا أبو يزيد عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي . . .
حدثنا أبو داود ^(٣) ، حدثنا وهب بن بكية ، عن خالد - هو الطحان ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه - أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخير شاة مصلية ^(٤) ستمتها ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأكل القوم ، فقال : ارفعوا أيديكم ، فإنما أخبرتنى أنها مسمومة .
فأت بشر بن البراء .

وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : إن كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت ، وإن كنت ملكا أرخت الناس منك .
قال : فأمر بها فقتلت .

وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه : قالت : أردت قتلك . فقال : ما كان الله ليلسلطك ^(٥) على ذلك . فقالوا : نقتلها ؟ قال : لا .
وكذلك روى عن أبي هريرة - من رواية غير وهب ، قال : فما عرض ^(٦) لها .
ورواه أيضا ^(٧) جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتنى هذه الدراع - قال : ولم يعاقبها .

(١) من ب . (٢) هو ابن عبد البر .

(٣) الإمام صاحب السنن . وحديث الشاة المسمومة فى سنن أبى داود : ٢ - ١٥٩ ، وصحيح البخارى : ٣ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم : ١٧٢١ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١١٣ ،
(٤) مصلية : مشوية . ستمتها : وضعت فيها السم . وفى النهاية : شاة مصلية بفتح الميم : مشوية ، يقال : صليت اللحم - بالتخفيف ؛ أى شويته ، فهو مصلى . وهذا الضبط فى ب . وفى ضبطت اللحم بالضمه .

(٥) ليسلطك : يقدرك ويمكنك . (٦) فما عرض لها : أى إنه تركها .

(٧) كما فى سنن أبى داود ، والبيهقى .

[وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمنى أنها مسمومة .

وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت : إني مسمومة]^(١) .

وكذلك ذكر الخبير ابن إسحاق ، وقال فيه : فتجاوز^(٢) عنها .

وفي الحديث الآخر^(٣) ، عن أنس ، قال : فما زلتُ أعرِفُها في لهواتِ^(٤) رسول

اللهِ صلى الله عليه وسلم .

وفي حديث أبي هريرة^(٥) - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال - في وجعِهِ

الذى مات فيه : ما زالتُ أكلةُ^(٦) خيبر تُعَادُنِي^(٧) ؛ فالآن أو أن قطعتُ أبهرى^(٨) .

وحكى ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

مات شهيدا^(٩) مع ما أكرمه اللهُ به من النبوة .

وقال ابنُ سَعْنُون : أجمع أهلُ الحديث أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قتلَ اليهوديةَ التى سَمَتْهُ .

(١) في هامش ١ ، ب : من أصله بخطه من غير الرواية .

(٢) في سيرته . وتجاوز عنها : عفا عنها ولم يقتلها في أول الأمر . ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به . وفي شروح البخارى اختلاف في هذا .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) لهوات : جمع لهاة ، وهى لحة في أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان ، وأول الحلق . وكأنه يريد بها الفم ؛ أى كان لها أثر ظاهر في فمه . وقيل المراد بها أنها أثرت في صوته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله . والحديث في البخارى كما تقدم .

(٥) رواه عنه ابن سعد بسند صحيح . (٦) أكلة : مايؤكل .

(٧) تعادنى : تعود إلى مرة بعد مرة في أوقات معلومة . أو تعنادنى .

(٨) الأبهر : عرق كبير متصل بالقلب . وفي هامش ب : الأبهر : العرق الذى في وسط الظهر إذا انقطع لا يتصور معه حياة . وفي شرح القارى (١ - ٦٤٤) : الأبهر : عرق يكتنف الصلب والقلب إذا قطع لم تبق معه حياة .

(٩) مات شهيدا : أى بسم الشاة .

وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر .
[وفي رواية ابن عباس ^(١) رضى الله عنهما - أنه دفعهما لأولياء بشر بن البراء
فقتلوا .

وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره ^(٢) ؛ قال الواقدي : وعَفُوهُ عنه أثبت
عندنا .

وروى عنه أنه قتله ^(٣) .

وروى الحديث ^(٤) البرّارُ ، عن أبي سعيد ، فذكر مثله ، إلا أنه قال في آخره :
فبسط يده وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا ، وذكر اسم الله ؛ فلم تضرّ منا أحداً ^(٥) .
قال القاضي أبو الفضل ^(٦) : وقد خرّج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح ،
وخرّجه الأئمة ، وهو حديث مشهور ^(٧) .

واختلف أئمة النظر في هذا الباب ؛ فمن قائل يقول : هو كلامٌ يُخلقه الله تعالى
في الشاة [١١٤] الميّتة ^(٨) ، والحجر ، أو الشجر ، وحروف وأصوات يُحدّثها الله
فيها ، ويُسمِعها منها دون تغيير أشكالها ، ونَقْلها عن هيئتها .

(١) رواها ابن سعد .

(٢) الذى سحره يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الأععم .

(٣) في هامش ١ : من الام ، من غير الرواية .

(٤) أى حديث الشاة المسمومة السابق .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ١٠٣) : قال السيوطى ؛ نقلا عن الشيخ ابن حجر : إن
هذا الحديث منكر . وقال القارى (١ - ٦٤٥) : ولعل وجه الإنكار عموم نفي الإضرار ،
مع أنه ثبت في الصحيح موت البراء منه ، كاسبق به التصريح ؛ وكذلك تقدم أنه - صلى الله
عليه وسلم تضرر منها حتى إنها كانت لتعاوده .

(٦) هو مصنف الكتاب . (٧) تقدم تخريجه .

(٨) في ١ : في الشاة والميّتة . والمثبت في ب .

وهو مذهبُ الشيخ أبي الحسن^(١) ، والقاضي أبي بكر^(٢) رَحِمَهُمَا اللهُ .

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها ، ثم الكلام بعده .

وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن^(٣) ؛ وكلُّ محتمل ، والله أعلم ؛ إذ لم نجعل الحياةَ شرطا لوجود الحروف والأصوات ؛ إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها . فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بُدَّ من شرط الحياة لها ؛ إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حَيٍّ ، خلافا للجَبَّانِ^(٤) من بين سائر متكلِّمى الفرق في إحالة^(٥) وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حَيٍّ مركَّبٍ على تركيبٍ من يصحُّ منه النطق بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصى ، والجذع ، والذراع ؛ وقال : إنَّ اللهَ خلقَ فيها حياةً ، وخرقَ لها فناً - ولسانا ، وآلةً أمكنها بها من الكلام .

وهذا لو كان لكان نقله^(٦) والتهمُّ^(٧) به آكدُ من التهمُّ بنقل نسيجه أو حنينه ، ولم ينقل أحدٌ من أهل السير والرِّواية شيئا من ذلك ؛ فدلَّ على سقوط دَعْوَاهُ ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النظر ؛ والموفق اللهُ .

ورَوَى وَكِيعٌ - رَفَعَهُ عَنْ فَهْدٍ^(٨) بن عطية - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ^(٩) لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ ؛ فَنَالَ : مَنْ أَنَا ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللهِ .

(١) هو الأشعري . (٢) هو الباقلاني . (٣) شيخ المعنزة توفي سنة ثلاث وثلاثمائة .

(٤) إحالة : عده محالا عقلا وعادة . (٥) لكان نقله : لوجد نقله وسمع .

(٦) التهم به : الاهتمام والاعتناء به .

(٧) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : فهر . وقال القارى (١ - ٦٤٧) : فهد - بالبدال

في آخره ، وفي نسخة بالراء ، وكلاهما لا يعرف ، على ما ذكره الدلجى . وفي اللواهب : عن مهد - بالمم والبدال ، ولعله تصحيف ؛ وإنما روى البيهقى عن سمر بن عتيبة - بكسر السين المهملة وسكون الليم ، في آخره راء ، عن بعض أشياخه .

(٨) شب : كبر ، وصار شابا .

وروى عن معرّض^(١) بن معيقيب : رأيتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا ؛
جِيَّ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ . . . فذكر مثله .

وهو حديثُ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ ، ويُعرف بحديث شاصونة : اسم رَاوِيهِ ، وفيه :
فقال له النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صدقتَ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ^(٢) .
ثم إنَّ الغَلَامَ لم يتكلم بعدها حتى شبَّ ، فكان يسمى مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ .
وكانت هذه القصةُ بمكة في حجةِ الوداع .

وعن الحسنِ : أتى رجلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فذكر أنه طرحَ^(٣) بُنْيَةً له
في وادِي كذا ، فانطلق معه إلى الْوَادِي ، وناداهَا باسمها : يافلانةُ ، أَجِيبِي بِإِذْنِ اللَّهِ ؛
فخرجت وهي تقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ^(٤) ! فقال لها : إِنَّ أَبَوَيْكَ قد أسلما ؛ فَإِنْ
أَحْبَبْتَ أَنْ أُرَدَّكَ عليهما ؟ قالت : لا حاجة لي فيهما ؛ وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْهُمَا^(٥) .
وعن أنسٍ^(٦) أن شابًا من الْأَنْصَارِ تُوِفِّيَ وَلَا أُمُّهُ عَجُوزٌ عَمِيَاءُ ، فسَجَّينَاهُ^(٧) ،

(١) في ب : ضبطت الراء المشددة بالفتحة والكسرة ، وكتب عليها « معا » . وقال
القارى (١ - ٦٤٧) : وروى معرّض - بكسر أوله ، كأنه آلة .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ١٠٦) : قال السيوطي : قد وقعت روايته من طرق ؛ فهو
حديث حسن . وقد وقع في حجة الوداع ، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة ، مع كثرة
الناس ؛ فكان حقه أن يشتهر .

(٣) طرح بنية له : رماها فئات . وقيل : إنه وأدها على عادة الجاهلية .

(٤) لبّيك وسعديك : إجابة لك بعد إجابة ، وإسعادًا لك بعد إسعاد . ومعناه سرعة
الإجابة والالتقياد .

(٥) قال في شرح القارى (١ - ٦٤٩) : والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه .

(٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن عدى ، مسندًا ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم .

(٧) سجّيناه : غطيناه .

وعزّيناهما، فقالت : مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : اللهم إن كنت تعلم أني هاجرتُ إليك وإلى نبيك رجاء أن تُعينني على كل شدة فلا تَحْمِلَنَّ عليّ هذه المصيبة .
فأبرحنا أن كشف الثوب عن وجهه ، فطعم وطعمنا ^(١) .

وروى ^(٢) عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري : كنتُ فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس ، وكان قتل باليمامة ^(٣) ؛ فسمِعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمدٌ رسولُ الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان البر ^(٤) الرحيم ؛ فنظرنا فإذا هو ميت .
وذَكَر ^(٥) عن الثُّمَّانِ بن بشير أن زيد بن خارجة خَرَّ ميتاً ^(٦) في بعض أزقة المدينة ^(٧) ؛ فَرُفِعَ وسجى ^(٨) إذ سمعوه بين العشاءين ^(٩) والنساء يَصْرُخُنَ حوله يقول :
أَنْصِتُوا ، أَنْصِتُوا ؛ فَحَسَرَ عن ^(١٠) وجهه ؛ فقال : محمدٌ [١١٥] رسولُ الله ، النبيُّ الأُمِّيُّ ، وخاتمُ النبيين ؛ كان ذلك في الكتاب الأول ؛ ثم قال : صدَّق ، صدَّق ^(١١) ؛
وذَكَرَ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ؛ ثم قال : السلام عليك يا رسولَ الله ، ورحمة الله وبركاته ؛ ثم عاد ميتاً كما كان ^(١٢) .

-
- (١) قال في شرح القاري (١ - ٦٤٩) : هذا ليس فيه صريح دلالة على إحيائه بعد إيمانه ، لاحتمال إغمائه ، لسكن زال النعم بدعاء الأم .
(٢) الراوى له هو البيهقي .
(٣) كانت وقعة اليمامة سنة ١٢ في خلافة الصديق أبي بكر .
(٤) البار لقومه عامة . وفي ١ : وعثمان
(٥) وهذا ما رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، وابن منده ؛ ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضاً .
(٦) خر ميتاً : سقط ميتاً .
(٧) أزقة : جمع زقاق ؛ وهو الطريق . (٨) سجى : غطى .
(٩) العشاءين : المغرب والعشاء . (١٠) حسر عن وجهه : كشف غطاءه .
(١١) هذا الضبط في ١ .
(١٢) ذكر صاحب الاستيعاب (٥٤٧) أن زيد بن خارجة بن زيد هو الذي تسكلم بعد الموت ، لا يختلفون في ذلك . وقال في أسد الغابة (٢ - ٢٣٧) : وهو الذي تسكلم بعد الموت في أكثر الروايات . وهو الصحيح .

فصل

في إبراء المَرَضَى وذَوَى العاهات ^(١)

أخبرنا أبو الحسن علي بن مُشَرَّف فيما أجازَنيهِ وقرأته على غيره ؛ قال : حدثنا أبو إسحاق الحَبَّال ، [قال] ^(٢) : حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الورْد ، عن البرقي ، عن ابن هشام ، عن زيادِ البَكَّائي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنا ابنُ شهاب ، وعاصمُ بنُ عُمر بن قَتَادَة وجماعةٌ ذكرهم بقضية أُحُدٍ ^(٣) بطولها ؛ قال : وقالوا ^(٤) : قال سعد بن أبي وقاص : إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم آتيناوَلني السَّهْمَ لا نَصْلَ ^(٥) له ، فيقول : ازمِ به ؛ وقد رَمَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يومئذٍ عن قَوْسه حتى اندَقَّت ^(٦) ، وأُصِيبَ يومئذٍ عَيْنُ قَتَادَة - يعني ابن النعمان - حتى وَقَعَتْ على وَجْنتِهِ ^(٧) ، فردَّها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فكانت أحسنَ عَيْنِيهِ .

ورَوَى قِصَّةَ قَتَادَة عاصِمُ بنُ عُمر بن قَتَادَة ، ويزيد بن عياض بن ^(٨) عُمر ابن قَتَادَة .

ودَوَّاهَا أبو سَعِيد الخُدْرِي ^(٩) عن قَتَادَة .

(١) إبراء المَرَضَى : زوال مرضهم ، وحصول الشفاء لهم . والعاهات : جمع عاهة ، وهي الآفة .

(٢) من أ . (٣) يريد غزوة أُحُد .

(٤) في ب : قالوا . وهذا الخبر في سيرة ابن هشام : ٣ - ٣٠ .

(٥) النصل : حديدة في طرف السهم والرمح .

(٦) عن قَوْسه : بقَوْسه . اندَقَّت : انكسرت .

(٧) الوجنة : أعلى الحد ، وما يلي العين من الوجه ، ويطلق على الحد كله .

(٨) هذا في أ ، ب . وقال القاري (١ - ٦٥٢) : لم يعرف في رواية الحديث ، بل ولا

في حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قَتَادَة . وقال الحلبي : الصواب يزيد ابن عياض ، عن ابن عمر بن قَتَادَة .

(٩) روى ذلك البيهقي ؛ وهي في الاستيعاب : ١٢٧٦ ، والإصابة : ٥ - ٤١٧ .

وَبَصَقَ ^(١) عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ ^(٢) ؛ قَالَ : فَاضْرِبْ عَلَى وَلَا قَاحَ ^(٣) .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ ^(٤) ، عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ - أَنْ أَعْمَى قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي .

قَالَ : فَانْطَلِقْ فِتَوْضًا : ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ؛ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ؛ يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَوَجَّهُُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنِّي بَصَرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِي ^(٥) .

قَالَ : فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصَرِهِ .

وَرَوَى ^(٦) أَنَّ ابْنَ مَلْعَبِ الْأَسْنَةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ ^(٧) ، فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَنْوَةً ^(٩) مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَغَلَّ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ ،

(١) على أثر سهم : أى جعل ريقه على جراحة في وجه أبي قتادة .

(٢) ذى قرد : اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خير .

(٣) ما ضرب على : ما آلتى ، ولا أوجفى . ولا قاح : ماسال منه قيع ومدة . والقيع : الصديد ، وهو شيء كاللآء أصفر يخالطه قليل دم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١١٣) : وهو حديث حسن صحيح ، رواه الترمذى والبيهقى .

(٤) والترمذى ، والحاكم ، والبيهقى ، وصححوه .

(٥) اللهم شفعني في : أى اقبل شفاعته في .

(٦) الراوى هو الواقدى ، وأبو نعيم عن عروة . وملعب الأسنة : هو عامر بن مالك .

والخبر في الواقدى : ١ - ٣٥٠

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ١١٥) : هو اسم مرض ، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه .

(٨) أى أرسل إليه من يلتمس له الدعاء ليشفيه الله ببركته .

(٩) حنوة : ملء يده أو يديه من التراب . وقد ضبطت بالضم فى ا ، وفى ب ضبطت

بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفى الواقدى : حبوبة .

فأخذها متمجّبا؛ بَرَى أَنْ قَدْ هُزِيَ بِهِ؛ فَأَتَاهَا، وهو على شفاً^(١)، فشرّبها، فشفّاه الله.

وذكر العُقَيْلِيُّ^(٢)، عن حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ؛ ويقال فُرَيْكٌ^(٣) - أَنْ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ؛ فَكَانَ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئاً، فنفت^(٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في عَيْنَيْهِ، فَأَبْصَرَ، فرأيتُهُ يَدْخُلُ الْخِلْطَ فِي الْإِبْرَةِ؛ وهو ابنُ ثَمَانِينَ. وَرُمِيَ كُلُّثُومُ بْنُ الْحَصَنِ يَوْمَ أُحُدٍ فِي نَحْرِهِ^(٥)؛ فبصق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه، فبرأ^(٦).

وَتَفَلَّ^(٧) عَلَى شَجَّةٍ^(٨) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ فَلَمْ تُمِدَّ^(٩). وَتَفَلَّ فِي عَيْنِي عَلَى^(١٠) يَوْمَ خَيْبَرٍ، وَكَانَ رَمِداً، فَأَصْبَحَ بَارِئاً. وَنَفَثَ عَلَى^(١١) ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرٍ فَبُرْتُ؛ وَفِي رِجْلِ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ أَصَابَهَا السَّيْفُ إِلَى السَّكَمِ، حِينَ قَتَلَ ابْنَ الْأَشْرَفِ، فَبُرْتُ. وَعَلَى سَاقِ عَلَى^(١٢) بَنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذَا انْكَسَرَتْ، فَبُرِّيْ مَكَانَهُ، وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرْسِهِ.

-
- (١) وهو على شفا: أى قريب من اللوث .
 (٢) أخرج هذا الحديث البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة، في مسنده .
 (٣) في ب: فويك .
 (٤) نفث: نفث ريقه . وفي هامش أ: النفث بالضم: شبيه بالنفخ، وأما التفل فلا يكون إلا ومعه شيء من الريق .
 (٥) في نحره: في مقدم عنقه .
 (٦) في شرح القاري (١ - ٦٥٤): قال الدجلى: لا أدري من رواه .
 (٧) رواه الطبراني .
 (٨) الشجة: جراحة ضربة في الوجه أو الرأس .
 (٩) لم تمد: أى لم يكن فيها مدة وقبح .
 (١٠) في حديث رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٤٤١، وصحيح البخاري: ٥ - ١٧١
 (١١) في صحيح البخاري: ٥ - ١٧٠، ومسنند الطيالسي: ٢ - ١٢٤
 (١٢) هذا الحديث أخرجه البغوي في معجمه، كما قال السيوطي (نسيم الرياض: ٣-١١٨).

واشتكى على^(١) بن أبي طالب ، فجعل يدعو ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
اشفه ، أو عافه ؛ ثم ضرب برجله ، فما اشتكى ذلك الوجع بعد .

وقطع أبو جهل يوم بدر يده معوذ بن عفرأ [١١٦] ، فجاء يحمل يده ، فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصقها فلصقت . رواه ابن وهب .

ومن روايته^(٢) أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه^(٣) حتى مال شقه ؛ فردّه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ونفث عليه حتى صح .

وأنته^(٤) امرأة من خثعم ، معها صبي به بلاء لا يتكلم ؛ فأتى بماء فمضمض
فاه ، وغسل يديه ، ثم أعطاها^(٥) إياه ، وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الفلام ، وعقل
عقلا بفضل عقول الناس .

وعن^(٦) ابن عباس : جاءت امرأة بابن لها به جنون ؛ فسح صدره ، فثع^(٧)
نعة فخرج من جوفه مثل الجرو^(٨) الأسود ؛ فشفي^(٩) .

وانكفأت^(١٠) القدر علي ذراع محمد بن حاطب وهو طفل ، فسح عليه ودعا له ،
ونقل فيه فبرأ لحينه^(١١) .

(١) رواه البيهقي في الدلائل .

(٢) أى رواية ابن وهب التى رواها ابن إسحاق ، والبيهقي عنه ، كما نقله السيوطي .

(٣) عاتقة : كتفه . (٤) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) أى أعطى المرأة ذلك الماء الذى رده فى إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه .

(٦) وهذا الحديث رواه أحمد فى مسنده بسند متصل بابن عباس (السند : ١ - ٢٥٤) .

وكذلك رواه البيهقي ، وابن أبي شيبة . (٧) ثعثة : أى قاء مرة واحدة . وقيل ثع : سمل .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ١٢١) : وروى هذا الحديث من طرق متعددة .

(٨) الجرو : ولد الكلب والسبع . (٩) فى ١ : فسمى .

(١٠) فى حديث رواه البيهقي ، والنسائي ، والطيالسي ، مسندا مصححا فيه .

(١١) لحينه : من غير بطء .

وكانت في كفتِ شَرَحَيْبِيلَ الْجُعْفَى سَلْعَةً^(١) تَمْنَعُهُ الْقَبْضَ عَلَى السِّيفِ وَعَيْنَانِ الدَّابَّةِ^(٢) ؛ فَشَكَاهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا^(٣) ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ .

وَسَأَلَتْهُ^(٤) جَارِيَةٌ طَعَامًا ، وَهُوَ يَأْكُلُ ، فَنَاقَلَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ^(٥) ، وَكَانَتْ قَلِيلَةً الْحَيَاءِ ؛ فَقَالَتْ : إِنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الَّذِي فِي فَيْكِ ؛ فَنَاقَلَهَا مَافِي فِيهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا أَتَى عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً بِالْمَدِينَةِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا .

فصل

فِي إِجَابَةِ دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جَدًّا ؛ وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ^(٦) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَجَاعَةٍ بِمَا دَعَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مُتَوَاتِرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ ، مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ .
وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتْ^(٨) الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ .

(١) سَلْعَةٌ : زِيَادَةُ بَيْنِ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ كَالْفَدَّةِ . وَتَفْتَحُ سِينُهُ ؛ وَتَحْرُكُ لَامُهُ . وَفِي هَامِشِ
١ : السَّلْمَةُ : الشَّجْعَةُ - بَفَتْحِ السِّينِ وَاللَّامِ .

(٢) عَيْنَانِ الدَّابَّةِ : مَا تَقَادُ بِهِ .

(٣) يَطْحَنُهَا : يَدِيرُ كَفَّهُ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ كَمَا تَدُورُ الرَّحَا . حَتَّى رَفَعَهَا : حَتَّى أَزَالَهَا مِنْ كَفِّهِ .

(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(٥) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ : أَيْ مِنْ طَعَامِهِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

(٦) أَيْ دَعَائِهِ لِلنَّاسِ وَعَلَيْهِمْ .

(٧) رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ . (٨) أَدْرَكَتْ : وَصَلَتْ وَأَثَرَتْ .

حدثنا ^(١) أبو محمد العتّابي بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القايسي ، حدثنا أبو زيد المرّوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن ^(٢) إسماعيل ، حدثنا عبدُ الله بن أبي الأسود ، حدثنا حرّمي ، حدثنا شُعْبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ؛ ادعُ الله له . قال : اللهم أكثِرْ ماله وولده ، وباركْ له فيما آتَيْتَه ^(٣) .

ومِنْ رواية ^(٤) عِكْرِمة : قال أنس : فوالله ، إن مَالِي لكثير ؛ وإن وَلَدِي وولَدَ وَلَدِي ليعاْدون ^(٥) اليومَ على نحو المائة .

وفي رواية ^(٦) : وما أعلمُ أحداً أصاب مِنْ رَحَاءِ العيش ما أَصَبْتُ ، ولقد دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مائةً مِنْ وَلَدِي ، لا أَقُولُ سِقْطاً ^(٧) ولا وَلَدَ وَلَدٍ .

ومنه دعاؤه ^(٨) لعبدِ الرحمن بن عَوْفٍ بالبركة ؛ قال عبد الرحمن : فلو رَفَعْتُ حجراً لَرَجَوْتُ أَنْ أَصِيبَ تَحْتَهُ ذَهباً ، وفتح اللهُ عليه ، ومات فَجُفِرَ الذَّهَبُ مِنْ تَرَكَّتْهُ بالنفوس ^(٩) حتى تَجَلَّتْ ^(١٠) فِيهِ الأَيْدِي ، وأخذت كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفاً وكنَّ أَرْبَعاً .

(١) مِنْ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ . صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٩٢٨

(٢) هُوَ الْبُخَارِيُّ .

(٣) فِيمَا آتَيْتَهُ : فِيمَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ . وَالحَدِيثُ فِي التِّرْمِذِيِّ أَيْضاً : ٥ - ٦٨٢

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٩٢٩) .

(٥) يَعَادُونَ : يَزِيدُونَ .

(٦) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٢٤) : قَالُوا : هَذِهِ الرَّوَايَةُ لَا يَعْرِفُ مِنْ رَوَاهَا .

(٧) سِقْطاً : مَاسِقَطٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ قَبْلَ مَدَّةِ تَمَامِ حَمْلِهِ ، وَأَوَّانٌ وَلَدَتُهُ .

(٨) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٩) كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الذَّهَبِ قِطْعٌ كَثِيرَةٌ لَمَّا أُرِيدَ قِسْمَتُهَا كَسَرَتْ .

(١٠) تَجَلَّتْ : الْمَجْلُ : تَنْزِيرٌ يَكُونُ فِي الْيَدِ مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ . فِيهِ : فِي الْخَفَرِ ؛ أَيُّ حَتَّى خَرَجَ

فِي أَيْدِيهِمْ نَفَاطَاتٌ وَجَرَاحَاتٌ مِنْ كَثْرَةِ عَمَلِهِمْ . وَقَدْ ضَبَطَتِ الْجِيمُ بِالْفَتْحَةِ وَالْكَسْرِ فِي ١ .

وقيل مائة ألف . وقيل : بل صولحت إحداهن ؛ لأنه طلّتها في مَرَضِهِ على نَيْفٍ^(١) وثمانين ألفاً ، وأَوْصَى بِمُحْسِنِ أَلْفَا بَعْدَ صَدَقَاتِهِ الْفَاشِيَةِ^(٢) فِي حَيَاتِهِ ، وَعَوَارِفِهِ^(٣) الْعَظِيمَةِ : أَعْتَقَ يَوْمًا ثَلَاثِينَ عَبْدًا ، وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بَعِيرَ فِيهَا سَبْعُمِائَةِ بَعِيرٍ^(٤) ، وَرَدَّتْ عَلَيْهِ تَحْمِيلُ مَنْ كُلِّ شَيْءٍ [١١٧] ، فَتَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا ، وَبِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا^(٥) .
ودعا لما وية بالنمكين في البلاد ، فنال الخلافة . ولسمد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحدٍ إلّا استجيب له .
ودعا^(٦) بعز الإسلام بعمر رضى الله عنه ، أو بأبي جهل ، فاستجيب له في عمر .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر .
وأصاب الناس^(٧) في بعض مغازيه عطشٌ ، فسأله عمرُ الدعاء ؛ فدعا ؛ فجاءت سحابةٌ ، فسقّتهم حاجتهم ، ثم أقلعت^(٨) .
ودعا^(٩) في الاستسقاء ، فسُقُوا ، ثم شكّوا إليه المطر ؛ فدعا ، فصَحَّوا^(١٠) .

-
- (١) النيف : مازاد على المقد إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود .
(٢) الفاشية : الظاهرة المشهورة .
(٣) عوارفه : جمع عارفة ؛ وهى ما يعتاد الإنسان من الإحسان والعطايا .
(٤) البعير : الجمال التى تحمل البيرة ، يعنى قافلة .
(٥) الأقتاب : جمع قتب ؛ وهو إكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى .
والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير .
(٦) فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر (سنن الترمذى : ٥ - ٦١٧) .
(٧) رواه البيهقى ، والحاكم ، وصححه عن عمر .
(٨) أقامت : انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذى يزيل عطشهم .
(٩) فى حديث رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه . وأحاديث الاستسقاء فى صحيح مسلم : ٦١٢ - ٦١٥ ، وصحيح البخارى : ٢ - ٣٣٣ .
(١٠) فصَحَّوا : أى صحت السماء وانكشف غيمها .

[وقال لأبي قتادة : أفلح وجهك ^(١) ، اللهم بارك له في شعره وبشره ^(٢) ، فمات وهو ابن سبعين سنة ، وكان ابن خمس عشرة ^(٣) سنة] ^(٤) .
 وقال للناطقة ^(٥) : لا يَفُضُّ الله فاك ^(٦) ؛ فما سقطت له سن .
 وفي رواية : فكان أحسن الناس نفراً ^(٧) ؛ إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر من هذا .
 ودعا لابن عباس ^(٨) : اللهم فقهه ^(٩) في الدين ، وعلمه التأويل ^(١٠) . فسمى بعد الخبز وترجمان القرآن ^(١١) .
 ودعا لعبد الله ^(١٢) بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه ^(١٣) ، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه . ودعا ^(١٤) للمقداد بالبركة ؛ فكانت عنده غرائر المال ^(١٥) .

- (١) الفلاح : الظفر وإدراك البنية .
- (٢) البشر : ظاهر الجلد والبدن ، وكفى بذلك عن جملته ، وجميع بدنه ؛ فدعا له صلى الله عليه وسلم بأن يبقى معمراً على أحسن تقويم ، كاملاً جميع أعضائه .
- (٣) رواه البيهقي .
- (٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية . وفي هامش ٢ : للمسلم عليه من الأم بخطه .
- (٥) للناطقة الجمعدى .
- (٦) لا يفضض الله فاك : تقول العرب في الدعاء عليه : فض الله فاه . وفي الدعاء له : لا يفضض الله فاه .
- (٧) الثغر : ماتقدم من الأسنان ، ويطلق الثغر على الفم أيضاً .
- (٨) في حديث صحيح رواه الشيخان : صحيح مسلم ١٩٢٧ ، صحيح البخارى ٣٤-٥ .
- (٩) فقهه في الدين : فهمه وعلمه .
- (١٠) التأويل : التفسير .
- (١١) الخبر - بكسر الحاء وفتحها : العالم المتقن الذى تبقى آثاره بعده .
- (١٢) في حديث رواه البيهقي .
- (١٣) صفقة يمينه : في يمينه وشرائه ومعاملته .
- (١٤) في حديث رواه البيهقي في الدلائل ، وأبو نعيم .
- (١٥) غرائر : جمع غرارة .

ودعا بمثله ^(١) لعروة بن أبي الجعد ؛ فقال : فلقد كنت أقوم بالكُناسة ^(٢) ،
فما أُرْجِع حتى أربح أربعين ألفا .

وقال البخارى فى حديثه : فكان لو اشترى التراب ربح فيه .
وروى مثله هذا لفرقة أيضا .

وندت له ناقة ^(٣) ، فدعا فجاءه بها إعصار ^(٤) ريح ، حتى ردها عليه .
ودعا ^(٥) لأم أبي هريرة فأسلت .

ودعا ^(٦) لعل أن يسكنى الحر والقر ^(٧) ؛ فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف ،
وفى الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حر ولا برد .

ودعا ^(٨) لفاطمة ابنته الله ألا يجيعها ؛ قالت : فما جعت بعد .

وسأله ^(٩) الطفيل بن عمرو آية لقومه ؛ فقال : اللهم نور له ؛ فسطع نور بين
عينيه ؛ فقال : أخاف أن يقولوا : مُثَلَّة ^(١٠) ؛ فتحول ^(١١) إلى طرف سوطه ؛ فكان
يضىء فى الليلة المظلمة ؛ فسمى ذا النور .

(١) فى حديث رواه البخارى ، والدارقطنى ، وأحمد فى مسنده .

(٢) الكُناسة : القمامة ، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة . وقيل : يجوز أن يراد
به حقيقته ؛ أى أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله ، فما أعود . . .

(٣) ندت : نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها . له : للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الإعصار : ريح شديدة تثير غبارا يرتفع إلى السماء كأنها عمود .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٥) فى حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٣٨ ، وهو حديث طويل .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن ماجه ، بسند صحيح : سنن ابن ماجه : ٤٣

(٧) القر : البرد . (٨) فى حديث رواه البيهقى ، عن عمران بن حصين .

(٩) فى حديث رواه ابن إسحاق بلا سند ، والبيهقى عنه ، وابن جرير من طريق الكلبي .

(١٠) المثلثة : التشكيل والمقوبة ؛ أى خشي أن يمدوه عارا لتوهم أنه برص ونحوه .

(١١) فتحول ذلك النور .

ودعا^(١) على مضر فأقحطوا^(٢) ، حتى استعطفته قريش ، فدعا لهم فسقوا^(٣) .
ودعا^(٤) على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه ؛ فلم تبق له باقية ،
ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا .

ودعا^(٥) على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره ، فأقعد .
وقال^(٦) لرجل رآه يأكل بشماله : كُلْ بيمينك . فقال : لا أستطيع . فقال :
لا استطعت . فلم يرفعها إلى فيه^(٧) .

وقال^(٨) لعتبة بن أبي لب : اللهم سلط عليه كلبا^(٩) من كلابك ؛ فأكله الأسد .
[وقال لامرأة : أأكلك الأسد . فأكلها]^(١٠) .

وحديثه المشهور^(١١) ، من رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، في دعائه

(١) في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي ، عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن مسعود .

(٢) أقحطوا : أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا بها - كون وتهلك دوابهم .

(٣) فسقوا : سقام الله تعالى وأمطر أرضهم ، فزال عنهم القحط بدعائه .

(٤) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس . ونص الكتاب في نسيم الرياض (٣-١٣٦) .

وصحيح البخارى : ٦ - ١٠

(٥) في حديث رواه أبو داود ، والبيهقي . وقال الذهبي : أظنه موضوعا ؛ لأنه أشكل

عليه بأن الصغير غير مكلف فكيف يدعوه عليه صلى الله عليه وسلم مع رافته به ؟ وقطع عليه

صلاته : بمروره بين يديه . فأقعد : صار مقعدا لا يمكنه للشي .

(٦) في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع . صحيح مسلم : ١٥٩٩

(٧) لأنها شلت وبطل عمله بها .

(٨) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي ، وابن إسحاق من طرق صحيحة مسندة .

وكان عتبة هذا عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها فأذاه فدعا عليه فافترسه الأسد

بإزرقاء من أرض الشام .

(٩) الأسد يسمى كلبا ؛ لأنه يشبهه في بعض أحواله .

(١٠) في هامش ١ : من الـام بخطه ، من غير الرواية .

(١١) الذي رواه مسلم ، والبخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٥٣

على قريش حين وضَعُوا السَّلَا^(١) على رقبته وهو ساجدٌ مع الفَرَث^(٢) والدم ، وسَمَّاهم .
قال : فلقد رأيتهم قُتِلُوا يومَ بَدْر .

ودعا^(٣) على الحَكَم بن أبي العاص ، وكان يَحْتَاجُ بوجهه ، ويعمَزُ^(٤) عند
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أى لا ؛ فرآه ؛ فقال : كذلك كُنْ^(٥) ، فلم يَزَلْ يَحْتَاجُ
إلى أن مات .

ودعا على مُحَلِّم^(٦) بن جَثَامَة فات لَسَبِعِ ، فلفظَتْهُ الأرض^(٧) ؛ ثم وُورِيَ فلفظَتْهُ
مرَّاتٍ ، فَأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَيْن^(٨) ، ورضَمُوا^(٩) عليه بالحجارة .
والصَّدَّة : جانبُ الوادى [١١٨] .

وجعده^(١٠) رجلٌ بَيْعِ فرس - وهى التى شَهِدَ فيها خُزَيْمَةُ للنبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فردَّ الفرسَ بعد^(١١) النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل ، وقال : اللهم إِنْ
كان كاذباً فلا تباركْ له فيها . فأصْبَحَتْ شاصِيَةً بِرَجْلِهَا ؛ أى رافعةً .
وهذا البابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ .

-
- (١) السلا : جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .
 - (٢) الفَرث : السرجين مَادَامَ فى السكْرش .
 - (٣) فى حديث رواه البيهقى مسنداً من طرق صحيحة .
 - (٤) يَحْتَاجُ بوجهه : يَحْرُكُ وجهه . ويعمَزُ : يَحْرُكُ عَيْنَيْهِ مشيراً بهما وهو جالس .
 - (٥) دعا عليه بأن لا يزال وجهه يَحْتَاجُ .
 - (٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن جرير .
 - (٧) لفظته الأرض : قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لئلا يقبولها له .
 - (٨) صدين : مثنى صد ؛ وهو ناحية الوادى ، أو الشَّعْب ، أو الجبل .
 - (٩) رضَمُوا : الرضَم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء ، أى كَوْمُوا عليه .
 - (١٠) جعده رجلٌ بَيْعِ فرس : أنكره : وكان النبي اشتراها منه .
 - (١١) بعد : بعد جعده .

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، إجازة ؛ حدثنا القاضي أبو علي سماعا ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ؛ قالوا : حدثنا أبو الوليد القاضي ، حدثنا أبو ذرّ ، حدثنا أبو إسحاق ، وأبو الهيثم ؛ قالوا : حدثنا الفريزي ، حدثنا البخاري ، حدثنا يزيد بن زريع ^(١) ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه - أن أهل المدينة فرّعوا ^(٢) مرة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف ، أو به فطاف ^(٣) . وقال غيره : يبّطأ ^(٤) ؛ فلما رجع قال : وجدنا فرسك بحرا ^(٥) ؛ فكان بعد لا يجارى ^(٦) .

ونخس ^(٧) جمل جابر ، وكان قد أعيأ ^(٨) ، فنشط حتى كان ما يملك ^(٩) زمامه .

(١) في نسيم الرياض (٣ - ١٤٤) : كذا في النسخ هنا ؛ وصوابه : حدثنا البخاري ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، وهكذا هو في صحيح البخاري ؛ فسقط منه راو من قلم المصنف . وفي هامش ١ : سقط بين البخاري ويزيد بن زريع رجل ؛ وهو عبد الأعلى بن حماد الترسى ، قاله يحيى بن علي القرشي ، عفا الله عنه .

(٢) فرعوا : وقع بهم فرع . والفرع : أشد الخوف .

(٣) يقطف : يبطئ . أو هو الضيق الشئ ؛ وهو عيب في الخيل .

(٤) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤٥) : الظاهر أن المراد به هنا أنه كان يوصف بالبطء وينسب إليه ذلك .

(٥) بحرا : كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة .

(٦) لا يجارى : لا يسبق . وهذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٣٧

(٧) رواه الشيخان . والنخس : أن يطعمه في جنبه بعد أو نحوه . والحديث في صحيح

مسلم : ١٢٢٣ ، وصحيح البخاري : ٧ - ٢٦

(٨) أعيأ : تعب وقتل حركته .

(٩) معناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه .

وصنع^(١) مثل ذلك بفرس جلعيل الأشجعي ؛ خفقا بمخففة^(٢) معه ، وبركة^(٣) عليها ، فلم يملك رأسها نشاطاً^(٤) ؛ وباع من بطنها بائني عشر ألفاً .
[وركب^(٥) حاراً قطوفا لسعد بن عبادة فردّه هملاجاً^(٦) لا يسائر^(٧)].
وكانت^(٨) شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قتالا
لألأرزق النصر .

وفي الصحيح^(٩) - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - أنها أخرجت جبة^(١٠)
طياسية ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نفسلها
للرضى يستشفى بها^(١١) .

وحدثنا القاضي أبو علي ، عن شيخه أبي القاسم بن المأمون : قال : وكانت عندنا
قصة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنا نجعل فيها الماء للرضى ،
فيستشفون بها .

-
- (١) وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد . والخبر في الاستيعاب : ٢٤٦ .
(٢) خفقا : ضربها . والمخففة : الدرة ، أو المصا . وهذا رواه النسائي .
(٣) بركة عليها : دعا مرارا بالبركة فيها .
(٤) أى لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له .
(٥) في حديث رواه ابن سعد .
(٦) قطوفا : قليل السير متقارب الخطا . والهملاج من البراذين : ما يسرع في مشيه ويكثر
نقله على هيئته مخصوصة ، والعامية يسمونه « الرهوان » .
(٧) في هامش ١ : ما بين القوسين من الأم من غير الرواية . (٨) رواه البيهقي .
(٩) هذا الحديث رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه : صحيح مسلم : ١٦٤١ .
(١٠) الجبة : ثوب مخيط . طياسية : جمع طيلسان . والطياسية : نوع من الأكسية ، قيل :
إنها ذات أعلام خضر . وقيل : الطيلسان : كساء أخضر . وقيل : رداء صوف تستعمله المعجم .
(١١) بها : بئانها ، بأن يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم ،
فيرزقهم الله الشفاء ببركته .

وأخذ جَهْجَاهُ النَّفَارَى الْقَضِيبَ ^(١) من يد عثمان رضي الله عنه لِيَسْكِسِرَهُ على ركبته ؛ فصاح الناسُ به ، فأخذتهُ فيها الآكِلَةُ فقطعها ^(٢) ، ومات قبل ^(٣) الحَوْل . وسكب ^(٤) مِنْ فَضْلٍ وَضُوءِهِ فِي بَثْرُ قُبَاءٍ فَمَا نَزَفَتْ ^(٥) بعد .

وبزق ^(٦) فِي بَثْرُ كَانَتْ فِي دَارِ أَنَسٍ ، فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَعْذَبَ مِنْهَا . وَمَرَّ عَلَى مَاءٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : اسْمُهُ بَيْتَان ^(٧) ، وَمَاؤُهُ مِلْحٌ ، فَقَالَ : بَلْ هُوَ نَعْمَان ^(٨) وَمَاؤُهُ طَيِّبٌ . فَطَابَ .

وَأُتِيَ ^(٩) بِذَلْوٍ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ ، فَجِجَ فِيهِ ، فَصَارَتْ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ . وَأَعْطَى ^(١٠) الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لِسَانَهُ فَصَّاهُ ، وَكَانَا يَبْكِيَانِ عَطْشًا ، فَسَكَنَا . وَكَانَ لِأُمِّ ^(١١) مَالِكِ عُمَّةٌ ^(١٢) تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمْنًا ؛ فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا تَعَصِرَهَا ^(١٣) ؛ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهَا ، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا ؛ فَيَأْتِيهَا

(١) القضيبي : عصا قصيرة . وقال القاري (١ - ٦٦٨) : القضيبي : عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها .

(٢) الآكلة : داء يصيب بعض الأعضاء فيتآكل ؛ أي يتفتت ويتقطع . فقطعها ؛ أي ركبته .

(٣) هذا الخبر رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٦٩

(٤) رواه البيهقي ، عن أنس بن مالك .

(٥) بثر قباء : قرب للمدينة . فما نزلت البثر ؛ أي ما انقطع ماؤها .

(٦) رواه أبو نعيم في دلائله . (٧) بيتان : موضع بالحجاز .

(٨) نعمان : من النعمة - بكسر أولها ، أو بفتحها .

(٩) رواه ابن ماجه ، والبيهقي : سنن ابن ماجه ٢١٦ (١٠) رواه الطبراني .

(١١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٦١٢

(١٢) العكة : وعاء من جلد يوضع فيه السمن غالباً .

(١٣) المعصر : الضفط للظرف ليخرج مافيه مما قل .

بَنَوْهَا يَسْأَلُونَهَا ^(١) الْأَذْمُ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ ، فَتَعَمَّدُ ^(٢) إِلَيْهَا ، فَتَجِدُ فِيهَا سَبْتًا ؛ فَكَانَتْ تُقِيمُ أَذْمَهَا ^(٣) حَتَّى عَصَرَتْهَا .

وَكَانَ يَتَمَلُّ فِي ^(٤) أَفْوَاهِ الصَّبِيَّانِ الْمَرَاضِعِ فَيَجْزُهُمْ رِبْقُهُ إِلَى اللَّيْلِ ^(٥) .
وَمِنْ ذَلِكَ بَرَكَةُ يَدِهِ فِيمَا لَسَهُ وَغَرَسَهُ ، وَلَسْتَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ ^(٦) كَاتَبَهُ مَوَالِيَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ ^(٧) وَدِيَّةٍ يَغْرِسُهَا لَهُمْ ، كُلُّهَا تَعْلَقُ وَتُطْعَمُ ^(٨) . وَعَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً مِنْ ذَهَبٍ ؛ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَرَسَهَا لَهُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً [١١٩] غَرَسَهَا غَيْرُهُ ؛ فَأَخَذَتْ ^(٩) كُلُّهَا إِلَّا تِلْكَ الْوَاحِدَةَ ، فَقَلَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّهَا ، فَأَخَذَتْ .

وَفِي كِتَابِ الْبَرَّارِ : فَأُطْعِمَ النَّخْلُ مِنْ عَامَةٍ إِلَّا الْوَاحِدَةَ ، فَقَلَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَرَسَهَا فَأُطْعِمَتْ مِنْ عَامِهَا .
وَأَعْطَاهُ ^(١٠) مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ ، فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ .

(١) الْأَذْمُ : جَمْعُ إِدَامٍ ، وَهُوَ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مَعَ الْخَبِزِ ، كَالسَّمَنِ وَالْمَسَلِ .

(٢) تَعَمَّدُ : فَتَقْصِدُ .

(٣) فَكَانَتْ تُقِيمُ أَذْمَهَا : أَيْ تَجْمَعُهُ قَائِمًا ، أَيْ بَاقِيًا عَلَى حَالِهِ ، أَيْ تَدِيمُ ذَلِكَ الْإِدَامَ .

(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٥) فَيَجْزُهُمْ : أَيْ يَكْفِيهِمْ عَنِ الرِّضَاعَةِ النَّهَارَ كُلَّهُ .

(٦) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . (٧) الْوَدِيَّةُ : صَفَارُ النَّخْلِ .

(٨) تَعْلَقُ : تَنْبَتُ بَعْدَ غَرَسِهَا ، وَيَتِمُّ غَرَسُهَا . وَتُطْعَمُ : يَوْجَدُ فِيهَا مَا يُؤْكَلُ ؛ يَعْنِي تَمْلُطُ

الثَّمَرَةَ ، أَوْ تَدْرُكُ .

(٩) فَأَخَذَتْ كُلُّهَا : أَيْ طَلَعَتْ وَأَدْرَكَتْ .

(١٠) وَأَعْطَاهُ : وَأَعْطَى سُلَيْمَانَ .

وفي حديث حنّس بن عَقِيل^(١) : سقاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم شربةً من سَوِيقٍ^(٢) شَرِبَ أَوَّاهًا وشَرِبْتُ آخِرَهَا ، فما برحتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ ، وَرَبَهَا إِذَا عَطِشْتُ ، وَبَرَدَهَا إِذَا ظَمِئْتُ .

وَأُعْطِيَ^(٣) قَتَادَةَ بنَ النعمان ، وَصَلَّى معه العشاءَ في ليلةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ - عُرْجُونًا ، وَقَالَ : انطلق به ؛ فَإِنَّهُ سَيُضِيْ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا^(٤) وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا ؛ فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرِي سَوَادًا^(٥) فَاضْرِبْ به حَتَّى يَخْرُجَ ، فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ .

فَانْطَلِقْ فَأُضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضْرِبْ به حَتَّى خَرَجَ .
وَمِنْهَا^(٦) دَفَعَهُ لِعُكَّاشَةِ جِدَلٍ حَطَبٍ^(٧) ، وَقَالَ : اضْرِبْ به حِينَ انْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا^(٨) ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، أَبْيَضَ ، شَدِيدَ الْمَتَنِ ، فَقَاتَلَ به ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ به^(٩) الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ^(١٠) .

وكان هذا السيف يسمى « العَوْن » .

(١) هذا الحديث رواه قاسم بن ثابت في الدلائل . وضبطت المين في عقيل بالفتحة في ا ، وبالضمة في ب . وقال في شرح القاري (١ - ٦٧١) : ولم أر له أثرًا في كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرًا ، فعلى من رآه أن يرسمه هنا .

(٢) السويق : قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب ؛ فهو طامام وشراب .

(٣) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده (للسند : ٣ - ٦٥) .

(٤) أى مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها .

(٥) سوادا : المراد جسم أسود . (٦) من كراماته .

(٧) الجذل : عود غليظ ، أو أصل من أصول الشجر . والحطب : ما يبس من أغصان الشجر .

(٨) صارما : قاطما . (٩) للمواقف : قتال الكفرة .

(١٠) رواه البيهقي . وهو في الاستيعاب : ١٠٨٠ .

ودَفَعَهُ^(١) لعبد الله بن جَعَش يوم أُحُد ، وقد ذهب سيفُهُ - عَسِيبَ^(٢) نَخْلٍ ؛
فرجع في يده سيفًا .
ومنه برَكَتُهُ في دُرُورِ الشَّيَاهِ الحَوَائِلِ^(٣) بالابن الكثير ؛ كَقِصَّةِ شَاةٍ أُمِّ مَعْبِدٍ ،
وَأَعْنَزِ مَعَاوِيَةَ^(٤) بنِ نَوَّارٍ ، وشَاةِ أَنَسِ^(٥) ، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ^(٦) مَرَضَعَتِهِ وَشَارِفَهَا^(٧) ،
وشَاةِ^(٨) عبد الله بن مسعود ؛ وكانت لم يَنْزُ عَلَيْهَا فَحْلٌ^(٩) ؛ وشَاةِ الْمِقْدَادِ^(١٠) .
ومن ذلك تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكَاهُ^(١١) ، ودَعَا فِيهِ ، فلما حضَرْتَهُمُ
الصَّلَاةُ نَزَلُوا خُلُوهُ ، فإذا به لَبَنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِيهِ^(١٢) - من رواية حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .
ومسح على رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَبَرَكَ ، فَمَاتَ وهو ابنُ ثَمَانِينَ ، فَمَا شَابَ .
وَرُويَ مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَصِ عن غير واحد ؛ مِنْهُمْ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ ، وَمَدْلُوكُ .
وكان^(١٣) يَوْجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ طَيِّبٌ يُقَلِّبُ طَيِّبَ نِسَائِهِ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسح بيده على بَطْنِهِ وظَهْرِهِ .

-
- (١) أى من كراماته دفعه . . . والخبر في الاستيعاب : ٨٧٩
(٢) عَسِيبُ نَخْلٍ : قيل : هى جريدة النخل لاخوص عليها . وقيل : العسيب من السعف
ما فوق السكر لم يثبت عليه خوص .
(٣) دُرُورِ الشَّيَاهِ الحَوَائِلِ : درت الشاة : سال لبنها من ضرعها بكثرة . والدر : اللبن .
والحوائل : جمع حائل ؛ وهى التى لم تحمل مطلقا . (٤) وقصته رواها ابن سعد .
(٥) لم يذكرها السيوطى فى تخريجها لعدم الوقوف عليها .
(٦) رواها أبو يعلى ، والطبرانى ، وغيرها بسند حسن .
(٧) الشارف : الناقة المسنة . (٨) روى قصتها البيهقى ، وابن مسعود .
(٩) نَزَا الذَّكَرُ عَلَى الْأُنْثَى إِذَا عَلَاها . يريد لم تلقح ، ولم تلد .
(١٠) قصتها رواها مسلم ، والبيهقى .
(١١) أَوْكَاهُ : شده بالوكاء ، وهو مايربط به القرية ونحوها . وقد رواه ابن سعد ، عن
سالم بن أبى الجمعد . (١٢) فى فمه : فى فم ذلك السقاء .
(١٣) رواه الطبرانى ، والبيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٠٢٩

وَسَلَّتْ^(١) الدَّمَّ عَنْ وَجْهِ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ خَرَجَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَدَعَا لَهُ ، فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ^(٢) كَغُرَّةِ الْفَرَسِ .

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ الْجَذَامِيِّ ، وَدَعَا لَهُ ، فَهَلَكَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَرَأْسُهُ أَبْيَضٌ ، وَمَوْضِعُ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعْرِهِ أَسْوَدٌ ؛ فَكَانَ يُدْعَى الْأَغْرَ^(٣) .

وَرُوي^(٤) مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لِعَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْجَلْهَنِيِّ .

وَمَسَحَ وَجْهَ آخَرَ ، فَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ .

وَمَسَحَ وَجْهَ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ ، فَكَانَ لَوْجُهُ بَرِيقٌ حَتَّى كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمِرَاةِ .

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذِيمٍ^(٥) ، وَبَرَكَ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ حَنْظَلَةُ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ وَرِمَ وَجْهُهُ ، وَالشَّاةِ قَدْ وَرِمَ ضَرْعُهَا ، فَيُوضَعُ^(٦) [١٢٠] عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ .

وَنَضَحَ^(٧) فِي وَجْهِ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً^(٨) مِنْ مَاءٍ ، فَمَا يُعْرَفُ كَانَ فِي وَجْهِهِ امْرَأَةٌ مِنَ الْجَمَالِ مَا بَهَا .

(١) سلت الدم : أى مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متسكنا عليه حتى أخرج

ما عليه من الدم .

(٢) الغرة : بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه .

(٣) يدعى الأغر لما في وجهه من البياض .

(٤) الذى رواه البيهقى . ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١١٦٨

(٥) فى حديث رواه البيهقى .

(٦) فيوضع : أى محل الورم من الوجه والضرع . وفى ب : فيضع .

(٧) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٨٥٥

(٨) نضح : رش بالماء ونحوه .

ومسح على رأس صبي به عاهة^(١) ، فَبَرَأَ ، واستوى شعره^(٢) ، وعلى غير واحدٍ من الصَّبْيَانِ والمرضى والمجانين ، فَبَرَأُوا .
وأُتَاهُ^(٣) رجل به أُذْرَةٌ^(٤) ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا^(٥) بماءٍ من عَيْنِ مِجٍّ فيها ، ففعل ؛ فَبَرَأَ .

وعن طاوس^(٦) : لم يُؤْتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ ، فَصَكَ^(٧) فِي صَدْرِهِ إِلَّا ذَهَبَ .
وَالْمَسُّ : الْجَنُونُ .

وَمِجٌّ فِي دَلْوٍ مِنْ بَثْرٍ ، ثُمَّ صَبَّ فِيهَا^(٨) ، ففاح منها ريحُ الْمِسْكِ .
وَأَخَذَ^(٩) قَبِيضَةً مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِهِ السَّكْفَارَ ، وَقَالَ :
شَاهَتْ^(١٠) الْوُجُوهُ ، فَانصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذَى^(١١) عَنْ أَعْيُنِهِمْ .

(١) عاهة : آفة ومرض ، والمراد أنه كان أقرع .
(٢) استوى شعره : نبت وتم وحسن .
قال في نسيم الرياض (٣ - ١٦٤) : وهذا الحديث لم يخرج به السيوطي ولا غيره .
وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ .
(٣) في حديث لم يخرجوه . وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : قال الدلحي : لا أعلم من رواه .

(٤) الأذرة : انتفاخ في الخصيتين . (٥) ينضحها : يرشها .
(٦) روى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهما .
(٧) صك في صدره : ضرب صدره بيده المباركة .
(٨) مِجٍّ : صب من فيه . ثم صب فيها : أى في البثر الذي مِجَّ فيه ريقه . وقال القاري :
رواه أحمد عن وائل بن حجر . (مسند أحمد : ٤ - ٣١٥) .
(٩) في حديث مشهور رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٤٠٢ .
(١٠) شاهت الوجوه : جملة دعائية معناها قبحت وقبحها الله .
(١١) القذى : ما يقع في العين من التراب .

[وشكا إليه أبو هريرة رضى الله عنه النسيان ، فأمره بيسط^(١) ثوبه ، وعرف بيده فيه^(٢) ؛ ثم أمره بضمه ، ففعل ؛ فما نسي شيئا بعد . وما يروى عنه في هذا كثير .

وضرب صدر^(٣) جرير بن عبد الله ، ودعاه ؛ وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل ، فصار من أفرس^(٤) العرب وأثبتهم . ومسح على رأس عبد الرحمن^(٥) بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دميما ، ودعاه بالبركة ، ففرع الرجال^(٦) ، طولا وتما^(٧) .

فصل

ومن ذلك^(٨) ما أُطْلِعَ عليه من الغيوب وما يكون^(٩) . والأحاديث في هذا الباب بجزء لا يدرك قعره^(١٠) ، ولا ينزف^(١١) عمره . وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومه على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر ، لكثرة روايتها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب : حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى إجازة ، وقرأته على غيره : قال

(١) بيسط ثوبه : أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه .

(٢) أى فعل فعلا شبيها بمن يفرف من شيء ما يضعه في الآخر . وضمير « فيه » للثوب .

(٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٣٨

(٤) أفرس العرب : أقواهم . (٥) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب : ٨٣٤

(٦) فرع الرجال : زاد عليهم في الطول .

(٧) في هامش ١ ، ب - أمام ما بين القوسين : من الأم من غير الرواية .

(٨) ومن ذلك : ومن خصائصه وكراماته .

(٩) وما يكون : وما يحصل في المستقبل .

(١٠) لا يدرك قعره : لا يصل أحد إلى نهايته . وقعره : قراره وأرضه .

(١١) لا ينزف : لا ينفى ، ولا يتفد .

أبو بكر : حدثنا أبو علي التستري ، حدثنا أبو عمر الهاشمي ، حدثنا اللواتي ،
حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي
وائل ، عن حذيفة ، قال ^(١) : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ^(٢) ؛
فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا ^(٣) ، حدثه ؛ حفظه من حفظه ،
ونسية من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء ^(٤) فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ؛ ثم إذا رآه عرفه .

ثم قال حذيفة : ما أدري ، أنسى أصحابي أم تناسوه ^(٥) . والله ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنه إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبيه ، وقبيلته ^(٦) .

وقال أبو ذر ^(٧) : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحه في السماء ^(٨) ، إلا ذكرنا منه علماً ^(٩) .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ٢٢١٧ ، وسنن أبي داود : ٢ - ١٣٠

(٢) قام فينا مقاما : المراد أنه خطبهم يوما .

(٣) هذا في ١ ، ب . وفي صحيح مسلم : إلا حدث به . والمثبت في سنن أبي داود .

(٤) ليكون منه الشيء : أى يوجد شيء مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته

لطول العهد بحديثه ، فأراه بعيني بعد ما وجد .

(٥) تناسوه : أظهروا نسيانه . وفي سنن أبي داود : أم تناسوا .

(٦) وهذا الحديث روى من طريق آخر ذكره ابن الجوزي وغيره . وفي سنن أبي داود :

واسم قبيلته .

(٧) في حديث رواه أحمد (المسند : ٥ - ١٥٣) ، والطبراني ، وغيرهما ، بسند صحيح .

(٨) كناية عن بيان كل شيء .

(٩) أى تذكرنا وفهمنا من طيرانه علما يتعلق به ، فكيف بنيره مما يهمننا في الأرض ؛

وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلا تارة وإجمالا أخرى . وفي المسند : أذكرنا .

وقد خرَّجَ أهلُ الصحيحِ والأئمةُ ما أعلمُ به أصحَّاهُ صلى الله عليه وسلم بما
وَعَدَهم به من الظهورِ على أعدائه ، وَفَتَحَ مَكَّةَ ، وَبَيْتَ الْمَقْدَسِ ، وَالْيَمَنَ ، وَالشَّامَ ،
وَالْعِرَاقَ ، وَظَهَرَ الْأَمْنَ ، حَتَّى تَظُنَّ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيَرَةِ إِلَى مَكَّةَ ^(١) ، لَا تَخَافُ
إِلَّا اللَّهَ . وَأَنَّ الْمَدِينَةَ ^(٢) سَتَفْرَى ، وَتُفْتَحَ خَيْبَرَ عَلَى يَدَيَّ عَلَى فِي غَدٍ يَوْمِهِ ^(٣) ، وَمَا يَفْتَحُ
اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا ^(٤) ، وَيُؤْتُونَ مِنْ زَهْرَتِهَا ، وَقَسَمَتِهِمْ كَنُوزِ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ،
وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتُونِ ^(٥) وَالْإِخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَسُلُوكِ سَبِيلٍ مَنْ قَبْلَهُمْ ،
وَافْتِرَاقِهِمْ [١٢١] عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ النَّاجِيَةُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ
أَنْمَاطُ ^(٦) ؛ وَيَقْدُوا أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ ، وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى ^(٧) ، وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) تَظُنُّ : تَسَافَرُ وَحْدَهَا وَتَرْحَلُ ؛ وَذَكَرَ الْمَرْأَةُ لِلْعَبَاقَةِ فِي الْأَمْنِ ؛ لِأَنَّهَا مَعَ ضَعْفِهَا
وَشِدَّةِ خَوْفِهَا إِذَا أَمِنَتْ عِلْمَ أَمْنٍ غَيْرِهَا بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ .

(٢) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى وَقْعَةِ الْحَرَّةِ ؛ فَإِنَّهَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَتَلَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ
حَقَّ تَرَكْتُ الصَّلَاةَ فِي الْحَرَمِ ، وَالْحَرَّةِ : أَرْضٌ بِظَاهَرِ الْمَدِينَةِ ذَاتُ حِجَارَةٍ سَوْدَ . وَالْحَدِيثُ فِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٠٠٩) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٦٧٨) : سَتَفْرَى مِنَ الْغَزْوِ ، أَيْ سَتَحَارِبُ
وَتَقْتُلُ . وَفِي رِوَايَةٍ بِمَهْمَلَتَيْنِ ؛ قَالَ الْخَافِضُ لِلزِّي : الرِّوَايَةُ فِي الْحَدِيثِ بِالْمَعْنَى الْمَهْمَلَةِ وَالرَّاءِ ،
يَعْنِي مِنَ الْعَرَبِ ، أَيْ تَصِيرُ عَرَاءَ . وَالْمَعْنَى : سَتُخْرَبُ ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ . فَقَدْ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَلْفَظٍ : يَتْرَكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ لَا يَنْشَاهَا إِلَّا الْعَوَاقِي .
وَهَذَا لَمْ يَقَعْ بَعْدَ مَا اخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ ، وَتَفْسِيرُهُ : وَإِنَّمَا يَقَعُ قَرِيبَ السَّاعَةِ . صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٠٠٩

(٣) لَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ خَيْبَرَ وَتَمَسَّرَ فَتَحَهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِأَعْطَيْنِ الرَّايَةَ غَدًا
رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ ، فِدَعَا عَلِيًّا . . . وَفَتَحَهَا
اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ١٧١

(٤) الْفِتُونُ : جَمْعُ فِتْنَةٍ ؛ تَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ التَّرَاجُعِ وَالْحُرُوبِ . وَفِي ب :
مِنَ الْفِتَنِ .

(٥) أَنْمَاطُ جَمْعُ نَمَطٍ ، وَهُوَ الْبَسَاطُ . يَعْنِي أَنَّ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى يَتَخَذُوا الْفُرَشَ النَّفِيسَةَ لِبَسَطِ اللَّهِ لَهُمُ الرِّزْقَ بَعْدَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْفَقْرِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ .

(٦) مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ وَحَسَنَهُ : سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٥٢٦

صَحْفَةٌ^(١) وَتُرْفَعُ أُخْرَى ، وَيُسْتَرُونَ بَيُوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ السَّكْمَةُ^(٢) .

ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ^(٣) : وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَأَنْهُمْ إِذَا مَشَوْا الْمُطَيِّطًا^(٤) وَخُدَمَتُهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومَ^(٥) رَدَّ اللَّهُ^(٦) أَنْسَهُمْ^(٦) بَيْنَهُمْ ، وَسَلَّطَ شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ .

وَقَتَالِهِمْ^(٧) الْفُرْسَ ، وَالْغُزُرَ^(٨) ، وَالرُّومَ ، وَذَهَابَ كَسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لَا كَسْرَى وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابَ قَيْصَرٌ حَتَّى لَا قَيْصَرٌ بَعْدَهُ^(٩) .
وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ^(١٠) .

(١) الصفحة : إثناء الطعام .

(٢) وهذا كما تفعله الأُمَرَاءُ والمُعْظَمَاءُ الَّذِينَ اتَّسَمَتْ دُنْيَاهُمْ حَتَّى كَسُوا الْحِجَارَةَ وَالْجُدْرَانَ .

(٣) الحديث الذي رواه الترمذى وغيره .

(٤) ورد في حديث رواه الترمذى عن ابن عمر ، إِلا أَنَّ الذَّهَبِيَّ قَالَ فِي مِيزَانِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَصَحَّ .

وَالْمُطَيِّطَاءُ : مَشْيَةٌ فِيهَا مَدَ الْيَدَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ التَّبَخُّرُ .

(٥) أَيْ اتَّخَذُوا الْجَوَارِيَّ وَالْحَدَمَ مِنْهُمْ .

(٦) الْبَاسُ : الْخَوْفُ الشَّدِيدُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَدَاوَةُ وَوُقُوعُ الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ أُعْطِيَ

نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّصْرَةَ بِإِيقَاعِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ السَّكْفَرَةِ ، وَبَقِيَ مِنْ ذَلِكَ أَثَرٌ فَيَمُنُّ اقْتَدَى بِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ ؛ فَلَمَّا اشْتَمَلُوا بِزُخْرَفِ الدِّيَانِ تَزَعِ الْخَوْفِ مِنْ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَمَادِي بَعْضًا وَيَقَاتِلُهُ لَمَّا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاعُضِ وَطَلَبَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا فِي يَدِ الْآخَرِ .

(٧) وَأَخْبَرَهُمْ بِقِتَالِهِمُ الْفُرْسَ . وَجَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٨) قِيلَ الْمُرَادُ بِهِمُ الْأَكْرَادُ . وَقِيلَ هُمْ مِنَ التُّرْكِ ، أَوْ مِنَ الْعِجَمِ ، أَوْ التَّتَارِ . وَقَدْ ضَبَطَتْ

الزَّأَى فِي الْبَالْفَتْحَةِ .

(٩) وَهَذَا مِمَّا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : صَحِيحُ مُسْلِمَ : ٢٢٣٧ ، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٤٩٧

(١٠) قُرُونٌ : جَمْعُ قَرْنٍ ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ فِي عَصَرٍ وَاحِدٍ . أَيْ كُلَّمَا مَضَى قَرْنٌ خَلْفَهُ قَرْنٌ

وَقَوْمٌ يَمْلِكُ مَلَسْكَهُمْ مِنْهُمْ . وَقِيلَ الْقَرْنُ : السَّيِّدُ ؛ أَيْ كُلَّمَا هَلَكَ مَلِكٌ بَعْدَهُ غَيْرُهُ . وَقِيلَ : إِرَادَ بِهِمْ قُرُونٌ شُعُورُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَطُولُونَهَا وَيَمُرُّونَ بِهَا .

وبذهابِ الأُمثَلِ فالأُمثَلِ من الناس^(١) ، وتقاربِ الزمان^(٢) ، وقَبْضِ العِلْمِ^(٣) ، وظهورِ الفتنِ ، والمهزجِ^(٤) .

وقال^(٥) : ويلٌ للعربِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ .

وأنه زُوِيَتْ^(٦) له الأرضُ فَأَرَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَا زُوِيَ له منها .

وكذلك كان^(٧) ؛ امتدَّتْ^(٨) في المشرق والمغرب مما بين أرضِ الهندِ أَقْصَى المَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ حيث لا عِمَارَةَ وَرَأَاهُ ؛ وذلك ما لم تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ ، ولم تَمْتَدَّ في الجنوب ولا في الشِّمَالِ مِثْلَ ذلك .

(١) الأُمثَلُ هنا : الأَشْرَفُ ؛ لأنه أكثرُ مِمَّا تَلَّهُ ومُشَابِهَةٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، وَالصَّدرُ الأوَّلُ .

(٢) في حَدِيثِ رِوَاةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ : السَّنَنُ : ٤ - ٥٦٧ ؛ وَالْمُرَادُ قَصْرُهُ وَقَلْتُهُ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَوْسَعُ عَلَيْهِمُ مِنَ الدُّنْيَا فَيَسْتَلْذِنُونَ مَعِيشَتَهُمْ ، وَيَكُونُونَ مُسْرُورِينَ ، وَمَا زَالَ النَّاسُ يَصْفُونَ الْأَيَّامَ الْحَنِيَّةَ بِالْقَصْرِ . أَوِ الْمُرَادُ نَزْعُ الْبِرْكَاتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنَ الزَّمَانِ . وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ : الْمُرَادُ تَسَارُعُ انْقِضَاءِ الدُّوَلِ وَانْقِرَاضِهَا .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ١٧٥) : وَهَذَا وَجْهٌ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لِكثْرَةِ الظُّلْمِ وَالْأَحْزَانِ وَالِاشْتِهَالِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةِ الْحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِهَا يَنْفَلُونَ عَنْ أَوْقَاتِهِمْ وَلَا يَشْعُرُونَ بِهَا .

(٣) قَبْضُ الْعِلْمِ : أَخْذُهُ وَنَزْعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَذَلِكَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا أَنْاسٌ جُهْلَةٌ إِذَا اسْتَفْتَوْا أَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ . وَحَدِيثُهُ فِي ابْنِ مَاجَهَ : ٨٣ .

(٤) الْمَهْزَجُ : الْقَتْلُ . أَوْ اخْتِلَاطُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ . وَحَدِيثُهُ فِي مُسْلِمَ : ٢٢١٥ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٨ - ٦١ ، وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٤٨٩ .

(٥) فِي حَدِيثِ رِوَاةِ الشَّيْخَانِ : صَحِيحُ مُسْلِمَ : ٢٢٠٧ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٨ - ٦٠ ، ٧٦ .

(٦) زُوِيَتْ : جُمِعَتْ وَضُمَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ حَتَّى يَطْلُعَ عَلَى جَمِيعِهَا : صَحِيحُ مُسْلِمَ : ٢٢١٥ .

(٧) كَانَ : وَقَعَ . وَفِي ١ : فَكَذَلِكَ .

(٨) امْتَدَّتْ : أَيَّ مَمْلَكَتِهِمْ ، وَانْسَعَتْ .

وقوله^(١) : لا يزال أهلُ الغربِ ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ - ذهب ابنُ المديني إلى أنهم العربُ ؛ لأنهم المختصون بالسُّبْقِ بالغرب - وهي الدَّلْوُ . وغيره يذهبُ إلى أنهم أهلُ المغربِ ؛ وقد ورد للمغرب كذا في الحديث بمعناه^(٢) .
وفي حديثٍ آخر^(٣) ، مِنْ رواية أبي أُمَامَةَ : لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ ، قاهرين لعدوِّهم ، حتى يأتِيهم أمرُ اللهِ وهم كذلك .
قيل : يا رسولَ اللهِ ؛ وأين هم ؛ قال : بيت المقدس .

وأخبر بملكِ بني أمية^(٤) ، وولاية معاوية ؛ ووصاه^(٥) ؛ واتخاذِ بني أمية مالَ اللهِ^(٦) دُولاً ، وخروج ولدِ العباسِ بالراياتِ السودِ^(٧) ، ومُلْكِهِمْ أضعافَ ما ملكوا ، وخروج المهديِّ ، وما ينالُ أهلَ بيتهِ وتقتيلهم وتشرُّيدهم ؛ وقتلِ عليٍّ ، وأن^(٨)

(١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم ١٣٧
(٢) قال القاري (١ - ٦٨٢) : لكن فيه أنه لا يعلم من رواه .
(٣) رواه الطبراني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (السند : ٥ - ٢٦٩) . ورواه أيضا الترمذي في سننه : ٥ - ٥١٤ (٤) رواه البيهقي .
(٥) ووصاه : وصى معاوية ، إذا ملك ، بالعدل والرفق ، لما قال له : إذا ملكت فانصح .
(٦) في حديث رواه الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي .
دولا : يتداولونه ويأخذونه واحدا بعد واحد . وللرأى أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا .

(٧) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند فيه ضعف وانظر أيضا سنن الترمذي : ٥ - ٥٣١
(٨) خروج المهدي في آخر الزمان ، كما ورد في حديث رواه أصحباب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل إن أسانيده لا تخلو من ضعف : سنن أبي داود : ٢ - ١٣٥ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٥٠٦

(٩) أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن أشقاها ؛ أي أشقى الخلائق . أو الدنيا . . .
« هذه » الأولى إشارة إلى لحيته . و« من هذه » إشارة إلى رأسه ؛ أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته . والحديث في مسند أحمد : ١ - ٩١

أَشْقَاهَا الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ؛ أَى لِحِيَّتِهِ مِنْ رَأْسِهِ؛ وَأَنَّهُ قَسِمُ النَّارِ^(١)، يَدْخُلُ أَوْلِيَائِهِ النَّارَ؛ فَكَانَ فِيمَنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ وَالنَّاصِبَةُ^(٢)؛ وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الرُّوَافِضِ كَفَرُوهُ^(٣).

وَقَالَ: يُقْتَلُ عُثْمَانُ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ؛ وَأَنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصًا، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ، وَأَنَّهُ سَيَقْطُرُ دَمُهُ عَلَى قَوْلِهِ: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ»^(٤)؛ وَأَنَّ الْفِتْنَ لَا تَظْهَرُ مَا دَامَ عُمرُ حَيًّا^(٥).

وَبِمَحَارِبَةِ الزُّبَيْرِ لَعَلَى^(٦)؛ وَبُنْبَاحِ كِلَابِ الْحَوَاطِبِ عَلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ^(٧)،

(١) وَأَنَّهُ؛ أَى عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ . قَسِمُ النَّارِ : مَعْنَاهُ : عَلَى وَمَنْ مَعَهُ قَسِمٌ لِأَهْلِ النَّارِ ؛ أَى مُقَابِلٌ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَقَالَ الْحَفَاجِيُّ (٣ - ١٨٢) : ظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ هَذَا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا : لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ قَالَ فِي النِّهَايَةِ : أَلَا إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَنَا قَسِمُ النَّارِ - يَعْنِي أَرَادَ أَنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ : فَرِيقٌ مَعِيَ ؛ فَهُمْ عَلَى هَدًى ، وَفَرِيقٌ عَلَى ؛ فَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ؛ فَنُصِفُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ ، وَنُصِفُ فِي النَّارِ . قُلْتُ : ابْنُ الْأَثِيرِ ثَقَّةٌ .

(٢) الْخَوَارِجُ : الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلَى عِنْدَ التَّحْكِيمِ . وَالنَّاصِبَةُ : قَوْمٌ تَدِينُونَا بِنُفْضِ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ ؛ وَهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ أَيْضًا .

(٣) الرُّوَافِضُ : مِنَ الرَّفْضِ ، وَهُوَ التَّرْكُ ؛ سَمَوْا بِذَلِكَ لِتَرْكِهِمُ السَّنَةَ وَالْجَمَاعَةَ . كَفَرُوهُ : نَسَبُوهُ إِلَى الْكُفْرِ .

(٤) وَهَذَا رَوَاهُ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي كِتَابِهِ الرِّيَاضُ النَّضْرَةُ ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَقَالَ اللَّهُ هَبِي : إِنَّهُ مُوَضَّوعٌ ، وَتَبِعَهُ السَّيُوطِيُّ .

(٥) رَوَى الْبَيْهَقِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، وَالشَّيْخَانُ عَنْ حَذِيفَةَ .

(٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، مِنْ طَرَقٍ ؛ وَهُوَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ .

(٧) الْحَوَاطِبُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، نَزَلَتْهُ عَائِشَةُ لَمَّا تَوَجَّهَتْ لِلصَّالِحِ بَيْنَ عَلَى وَمَعَاوِيَةَ

فَلَمْ تَقْدِرْ ، فَكَانَتْ وَقْعَةً الْجَلَلِ . قَالَ الْحَفَاجِيُّ (٣ - ١٨٥) : وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبَزَارُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وأنه بُقِّلَ حولها^(١) قتلى كثيرٌ ؛ وتنَجُّو بعد ما كادت^(٢) ؛ فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة . وأنَّ عماراً تقتله الفئة الباغيةُ ، فقتله أصحابُ معاوية^(٣) . وقال لعبد الله بن الزبير^(٤) : ويلٌ للناس منك ، وويلٌ لك من الناس [١٢٢] . وقال في قُزَّمان^(٥) - وقد أُبْلِى مع المسلمين : إنه من أهل النار ؛ فقتل نفسه^(٦) . وقال^(٧) - في جماعة فيهم أبو هريرة ، وسُمرَّة بن جندُب ، وحُذَيْفة : آخركم موتاً في النار^(٨) ؛ فكان بعضهم يسأل عن بعض ؛ فكان سُمرَّة آخرهم موتاً ؛ هَرِمَ وخَرِفَ ، فاصطلى بالنار فاحترق فيها .

[وقال في حَنْظَلَة الْفَسِيل^(٩) : سلُّوا زوجتَه عنه ؛ فإنِّي رأيتُ الملائكةَ تفسُّله ؛ فسألوها فقالت : إنه خرج جُنُباً ، وأعجمه الحالُ عن الغُسلِ . قال أبو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً]^(١٠) .

- (١) حولها : حول بعض الأزواج ، وهى عائشة رضى الله عنها .
- (٢) بمد ما كادت : بعد ما قاربت عدم النجاة .
- (٣) عمار بن ياسر الصحابي المشهور . الباغية : من البنى ، وهو الخروج بنير حق على الإمام . والحديث في صحيح مسلم : ٢٢٣٦ . فقتله أصحاب معاوية وهو مع طي بصفين .
- (٤) قال له هذا لما شرب دما من فضل دمه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان النبي قد احتجم ، وأعطاه دمه ، وقال له : أرقه في محل لا يرى ، فلما رجع قال له النبي : لملك شربته ؟ فقال : نعم ، فقال له ذلك .
- (٥) قزمان : مولى لبعض الأنصار ، وكان شجاعاً ، لسكنه منافق ، وكان قاتل قتالا شديداً أعجب الصحابة .

- (٦) قال الخفافى (٣ - ١٨٦) : هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له عن أبي هريرة . وقد روى ذلك الواقدي في النازي : ١ - ٢٦٣ (٧) رواء الطبراني ، والبيهقي .
- (٨) رجع للسيوطي أن للراد أنه يحترق في الدنيا حريقاً يموت به ، لأنه يدخل نار جهنم . وقال الشهاب : إن سمرَّة احترق من ماء حار كان يستدفئ به ، وسيأتي .
- (٩) في حديث رواء ابن إسحاق (سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٠) . وسمى الفسيل ، لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد . وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . ورواه الواقدي أيضاً في النازي : ١ - ٢٧٤ (١٠) في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

وقال^(١) : الخلافةُ في قُرَيْشٍ .

ولن يزالَ هذا الأمرُ في قُرَيْشٍ ما أقاموا الدِّينَ^(٢) .

وقال^(٣) : يكون في تَقْيِيفِ كَذَّابٍ ومُيِّيرٍ ؛ فرأوها : الحجاجُ ، والمختارُ^(٤) .
وأن مسيلة^(٥) يعقره الله .

وإن فاطمة أولُ أهله لحوقاً^(٦) به .

وأَنذَرَ^(٧) بالردّة ، وبأن الخلافةَ بعده ثلاثون^(٨) سنة ، ثم تكون مُلْكاً ؛
فكانت كذلك بَدَّةَ الحَسَنِ بن عليّ .

وقال^(٩) : إنَّ هذا الأمرَ بدأ^(١٠) نبوّةً ورحمةً ، ثم يكون رحمةً وخلافةً ،

(١) في حديث رواه أحمد ، والترمذى . سنن الترمذى : ٥٠٣ - ٥ .

(٢) في حديث آخر رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢١٨ .

(٣) في حديث رواه مسلم ، والبيهقى : صحيح مسلم : ١٩٧٢ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٩٩ .

(٤) ميير : مهلك ، يكثر القتل بغير حق . والحجاج : هو ابن يوسف ، وهو الميير . وأما

الكذاب فهو المختار بن أبى عبيد الثقفى بن مسعود ؛ وكان يزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يظهر مدح ابن الزبير ، ومجد بن الحنفية ، واستحوذ على الكوفة ، وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون ، وطلب الأخذ بثأر الحسن ، فقتل كثيراً من قتلته ، وعظم أمره . وكان يتسكهن ويزعم أنه يوحى إليه .

(٥) رواه الشيخان عن ابن عباس . وفي النهاية : أنه قال لمسيلة الكذاب ؛ ولئن أدبرت

ليعقرنك الله ؛ أى ليهلكنك . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٠ .

(٦) أى أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم .

فمات بعده بستة أشهر ، وقيل بثمانية ، وقيل مائة يوم . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٠٥ .

(٧) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر .

(٨) رواه أصحاب الكتب الستة مسنداً .

(٩) في حديث رواه البزار ، والبيهقى .

(١٠) بدا : ظهر وبرز .

ثم يكون مُلْكًا عَضُوضًا^(١)، ثم يكون عُمُوتًا وَجَبَرُوتًا وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ^(٢).
 وأخبر بِشَأْنِ^(٣) أُوَيْسِ الْقَرَنِيِّ ؛ وَبِأَمْرَاءِ يُوْخِرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ،
 وَسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا فِيهِمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ .
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٤) : ثَلَاثُونَ دَجَّالًا كَذَّابًا ، آخِرُهُمُ الدَّجَالُ الْكَذَّابُ ، كُلُّهُمْ
 يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .
 وَقَالَ^(٥) : يُوْشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكُمْ الْعَجَمُ ، يَا كَلُونَ^(٦) فَيْتَكُمُ ، وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ .
 وَلَا^(٧) تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعَصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ .
 وَقَالَ : خَيْرُكُمْ قَرَنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ . ثُمَّ يَأْتِي
 بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ^(٨) ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيُنْذِرُونَ
 وَلَا يُؤْفُونَ ، [وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السَّمَنُ]^(٩) .
 وَقَالَ^(١٠) : لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ .

-
- (١) عضوضا : سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية ؛ فكأنهم يمضون بالنواجز فيه
 اعضا ، حرصا على الملك ، ويمض بعضهم بعضا بسببه .
 (٢) عتوا : العتو : الخروج عن طاعة الله تعالى . والجبرية - بفتح الجيم والموحدة ،
 ونسكن أيضا ؛ من الجبر ؛ وهو الإكراه والقهر .
 (٣) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٦٨ . وأويس هذا خير التابعين مطلقا
 بشهادة النبي له . وكان أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر أمه .
 (٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، صحيح البخاري : ٨ - ٧٤ ، وصحيح مسلم : ٢٢٤٠ .
 (٥) في حديث رواه البزار ، والطبراني بسند صحيح .
 (٦) النى : أصله الغنيمة من الكفار بغير قتال ، ويطلق على مطلق الغنيمة . والاكل فيه
 مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه .
 (٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٨ - ٧٣ ، ٤ - ٢ ، وسنن الترمذي :
 ٥ - ٥٠١ ، وصحيح مسلم : ٢٢٣٢ (٨) أى يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم .
 (٩) ليس في ١ . (١٠) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ٦٢

وقال : ^(١) هلاك أمتي على يدي أغيلة ^(٢) من قریش .
قال أبو هريرة رايه ^(٣) : لو شئتُ سَمَيْتُهُمْ لَكُمْ : بَنُو فُلان ، وَبَنُو فُلان .
وأخبر ^(٤) بظهور القَدَرِيَّة والرافضة ^(٥) ، وَسَبَّ ^(٥) آخِر هذه الأمة أولها ،
وقلة الأنصارِ حتى يكونوا كالمِلْح في الطعام ، فلم يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَتَبَدَّدُ حتى لم يَبْقَ لهم
جماعةٌ .
وأنهم سَيَلِقُونَ بعده أَثَرَةَ ^(٦) .
وأخبر بشأن الخوارج ^(٧) وَصَفَتَهُمْ ، وَالْمُخَدِّجَ الذي فيهم ، وأن سِيَّامِ
التحليق ^(٨) .

- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ٦٠
(٢) أغيلة : تصغير أغلة ، وهو جمع قلة ، يجوز فيه التصغير على لفظه ، وهو في حكم
المفرد . وفي القاموس : جمع غلام غلعة وأغلة وغلان . والفلان : الشاب قد طر شاربه ، وهو
المراد . قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم .
(٣) في حديث رواه الترمذى ، وأبو دود ، والحاكم .
(٤) القدرية : قال الشهاب (٣ - ١٩٦) : سموا قدرية ، لإبانتهم للبعد قدرة ، لا لإنكار
قدرة الله على أفعاله . وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم أثبتوا خالقين : خالق الخير ، وهو النور .
وخالق الشر ، وهو الظلمة .
والرافضة : التاركون لحب جل الصحابة (شرح القارى : ١ - ٦٩٤) .
(٥) في حديث رواه البغوى .
(٦) أثرة : استبدادا . والحديث في الصحيحين : صحيح البخارى : ٩ - ٥٩
(٧) الخوارج : الذى خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب . وحديثهم رواه
الشيخان : صحيح مسلم : ٧٥٠
(٨) مخدج اليد : ناقص اليد . التحليق : أى يخلقون شعور رءوسهم ؛ ولم يكن فى الصدر
الأول خلق الرؤوس إلا فى النسك . وقيل : المراد جلوسهم حلقا حلقا . قال الخفاجى :
وليس بشئ .

وَيُرَى رِعَاةُ الْغَنَمِ رُءُوسَ النَّاسِ ^(١) ، وَالْعَرَاءُ الْخِفَاءُ يُتَبَارَوْنَ فِي الْبُنْيَانِ .
وَأَنَّ تِلْدَ الْأَمَّةِ رَبَّتَهَا ^(٢) .
وَأَنَّ قَرِيشًا وَالْأَحْزَابَ لَا يَفْزُؤُونَهُ أَبَدًا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ يَفْزُؤُهُمْ ^(٣) .
وَأَخْبَرَ ^(٤) بِالْمُوتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ^(٥) .
وَمَا وَعَدَ ^(٦) مَنْ سَكَنَى الْبَصْرَةَ ، وَأَنَّهُمْ يَفْزُؤُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ
عَلَى الْأَسِيرَةِ ^(٧) ...

- (١) رءوس الناس : رؤسائهم ، والحديث في الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه . وهو في صحيح مسلم : ٣٩
- (٢) ربتهما : سيدتهما . وهو من حديث مشهور رواه الشيخان (صحيح مسلم : ٣٩) وغيرهما ؛ وهو من المغنيات ، وأشرط الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وفي مسلم : ربهما - بدل ربتهما . وفي رواية أخرى له : بملها .
- (٣) رواه الشيخان : (صحيح البخاري : ٥ - ١٤١) وأنه هو الذي يفزؤهم بعد إخباره بذلك في الأحزاب ، وهي غزوة الخندق ، وبعد أحد والخندق لم تمزه قريش ، وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة . قال الواقدي : إنه صلى الله عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة .
- (٤) في حديث رواه الشيخان أيضا . وللموتان - بضم الميم ، بوزن بطلان . وفتحتها وسكون الواو ، وهو مصدر بمعنى الموت الكثير .
- (٥) وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب بمواس : قرية بين الرملة وبيت المقدس ؛ إذ كان أول طاعون في الإسلام . وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة .
- (٦) في حديث رواه أبو داود . والحديث في شرح الخفاجي أيضا : ٣ - ٢٠١
- (٧) الأسيرة : جمع سريرة ؛ وهو مقدم للملوك يجلسون عليه ترغما وتمظما . قال الخفاجي (٣ - ٢٠١) : ومؤخر المراكب المدة للغزو الذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سريرة الملك بعينه ، كما يعرفه من شاهد ذلك ؛ فهو من الأعلام العجيبة ؛ لأنه لم يكن ذلك بدبار العرب ، ولم يره أحد منهم ؛ فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول .

وَأَنَّ الدِّينَ ^(١) لَوْ كَانَ مَنُوطًا بِالثَّرِيَّا لَنَالَهُ رَجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ .
وَهَاجَتْ ^(٢) رِيحٌ فِي غَزَاةٍ ، فَقَالَ : هَاجَتْ لِمَوْتِ مَنَافِقٍ ^(٣) ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
وَجَدُوا ذَلِكَ .

وَقَالَ ^(٤) أَتَوْمْ مِنْ جُلَسَائِهِ : ضَرَسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أُحَدٍ ^(٥) .
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٦) : فَذَهَبَ الْقَوْمُ - بِمَعْنَى مَاتُوا - وَبَقِيَْتُ أَنَا وَرَجُلٌ ، فَقُتِلَ
مَرْتَدًّا يَوْمَ الْبَيَامَةِ .

وَأَعْلَمَ ^(٧) بِالَّذِي غَلَّ خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ ، فَوُجِدَتْ فِي رَحْلِهِ . وَبِالَّذِي غَلَّ ^(٨)
الشَّمْلَةَ ، وَحَيْثُ هِيَ ^(٩) .

وَنَاقَتُهُ ^(١٠) حِينَ ضَلَّتْ ، وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ [١٢٣] بِالشَّجَرَةِ بِخِطَامِهَا ^(١١) .

(١) مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ أَيْضًا . مَنُوطًا : مَعْلَقًا . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ : ٥-٣٨٤ ،
وَفِيهِ لَتَنَاولُهُ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٢١٤٥ .

(٣) أَيْ لِرَجُلٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ ؛ وَهُوَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ . وَقِيلَ غَيْرُهُ .

(٤) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَجُلَسَاؤُهُ هُمْ : أَبُو هُرَيْرَةَ الدُّوسِيُّ ، وَفِرَاتُ
ابْنِ حَيَّانٍ الْمَجْلِيُّ ، وَالرَّحَالُ بْنُ عَنَفْوَةَ الْبَيَامِيُّ . وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : أَحَدُكُمْ .

(٥) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَمُوتُ كَافِرًا ؛ لِحَدِيثِ : ضَرَسَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ مِثْلَ أَحَدٍ
(رَوَاهُ مُسْلِمٌ : ٢١٨٩) .

(٦) وَقَدْ كَانَ مِنْ جُلَسَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَبُو هُرَيْرَةَ الدُّوسِيُّ .

(٧) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالدَّسَائِيُّ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالَةَ الْجُهَنِيِّ . وَغَلَّ : مِنْ
الْفُلُولِ ؛ أَيْ السَّرْقَةِ خَفِيَّةً . سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ : ١ - ٢٦٩ .

(٨) الشَّمْلَةُ : كِسَاءٌ صَغِيرٌ يَشْتَمِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ . وَهَذَا بَعْضُ مَنْ حَدَّثَ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ١٠٨ .

(٩) وَحَيْثُ هِيَ : أَيْ وَبِالْمَكَانِ الَّذِي هِيَ فِيهِ .

(١٠) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(١١) الْخِطَامُ : الزَّمامُ .

وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة^(١) .
 وبفضية حمير مع صفوان حين سارّه وشارطه^(٢) على قتل النبي صلى الله عليه وسلم . فلما جاء حمير للنبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله ، وأطلعته رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم^(٣) .
 وأخبر^(٤) بالمال الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن كتمه ؛ فقال : ما علمه غيري وغيرها ، فأسلم .
 وأعلم بأنه سيقتل أيّ بن خلف^(٥) .
 وفي عتبة بن أبي لهب يأكله كلب من كلاب الله^(٦) .
 وعن^(٧) مصارع أهل بدر ، فكان كما قال .
 وقال^(٨) في الحسن : إن ابني هذا سيّد ، وسيُصّحح الله به بين فئتين^(٩) .

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة . وكان حاطب كتب إليهم بمكة يخبرهم بأن النبي توجه إليهم بجيش . . . وأعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها جملا على أن توصله قريشا .
 وخبر كتاب حاطب في المغازي (١ - ١٩٧) . (٢) شارطه : جعل له جملا .
 (٣) والحديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، والطبراني . والخبر في مغازي الواقدي :
 ١٢٦ ، وروى أيضا في سنن الترمذي : ٥ - ٤١٠ .
 (٤) والحديث رواه أحمد ، عن ابن عباس ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن الزهري .
 وأم الفضل : هي زوجة عمه العباس .

(٥) رواه البيهقي . وقد جرحه النبي بأحد في عنقه ، فمات بمصر .
 (٦) فأكله الأسد ، وهو ذاهب إلى الشام . والأسد يسمى كلبا . وفي ب : عتية .

(٧) وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٢٠٣ .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما . صحيح البخاري : ٩ - ٧١ .

(٩) الفئة : الجماعة . والمراد بالفئتين : من كان معه ومن كان مع معاوية .

وَنَسْعِدِ^(١) : املكْ تُخْلَفُ حَتَّى يَنْتَفِيعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيَسْتَفْزِرَ بِكَ آخَرُونَ .
وَأَخْبِرِ^(٢) بِقَتْلِ أَهْلِ مُؤْتَةٍ^(٣) يَوْمَ قُتِلُوا وَيَبْنِمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ أَوْ أَزِيدَ .
وَبِمَوْتِ^(٤) النَّجَاشِيِّ يَوْمَ مَاتَ بِأَرْضِهِ .

وَأَخْبِرِ^(٥) فَيُرْوَى إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولًا مِنْ كَسْرَى بِمَوْتِ كَسْرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ ،
فَلَمَّا حَقَّقَ فَيُرْوَى الْقِصَّةَ أَسْلَمَ .

وَأَخْبِرِ^(٦) أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَرِيدِهِ^(٧) كَمَا كَانَ ، وَوَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمًا ،
فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَسْكُنُ الْمَسْجِدَ^(٨) الْحَرَامَ . قَالَ :
فَإِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ . . . الْحَدِيثُ .
وَبَعِيثِهِ وَخَدَّهِ ، وَمَوْتِهِ وَخَدَّهِ .

وَأَخْبِرِ^(٩) أَنَّ أَسْرَعَ أَزْوَاجِهِ بِهِ لِحَوْقًا أَطْوَلُهُنَّ بِدَأْ^(١٠) ؛ فَكَانَتْ زَيْنَبُ لَطُولَ
يَدِهَا بِالْصَّدَقَةِ .

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ٨٧) وَهُوَ سَمْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .
وَتُخْلَفُ : تَبْقَى بَعْدَ هَذَا الزَّمَانِ . قَالَ الْخَفَّاجِيُّ (٣ - ٢٠٩) : فَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ ، لَمَّا كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ
الْفَتْوحِ ، وَهَدَى اللَّهُ بِهِ أَنَاثًا أَسْلَمُوا عَلَى يَدَيْهِ ، وَغَنَمُوا مَعَهُ ؛ وَضَرَّ اللَّهُ بِهِ نَاسًا مِنَ الْكُفَّارِ
جَاهَدَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَسَبَى .

(٢) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ . صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ١٨٢
(٣) مُؤْتَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِالشَّامِ كَانَتْ فِيهِ غَزْوَةٌ مَشْهُورَةٌ . وَفِي هَامِشِ ١ : مُؤْتَةٌ - بِالْهَمْزِ :
أَرْضُ بِالشَّامِ . وَمَوْتَةٌ - بِفِرْ هَمْزٍ : شَبْهُ الْجُنُونِ . وَمَوْتَةٌ - بَفَتْحِ اللَّيْمِ : الْوَاحِدَةُ مِنَ الْمَوْتِ .
(٤) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .
(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٦) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ . وَالْحَدِيثُ فِي شَرْحِ الْخَفَّاجِيِّ (٣ - ٢١٢)

(٧) لَطَرِيدُهُ : نَفِيقُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ . (٨) يَعْنِي مَكَّةَ .

(٩) فَبِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٩٠٧

(١٠) قَالَ الْخَفَّاجِيُّ (٣ - ٢١٣) : وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الطُّوْلِ : ضِدُّ الْقَصْرِ ؛
وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الطُّوْلِ - بِالْفَتْحِ ؛ وَهُوَ الْجُودُ وَالْإِنْعَامُ .

وأخبر^(١) بقتل الحسين بالطف^(٢) ، وأخرج بيده تربة^(٣) ، وقال : فيها مضجعه .
وقال^(٤) في زيد بن صوحان : يسبقه عضو منه إلى الجنة ؛ فقطعت يده
في الجهاد .

وقال^(٥) في الذين كانوا معه على حراء^(٥) : اثبتت ، فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد ؛ فقتل علي^(٦) ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ؛ وطمن سعد .
وقال^(٧) لسراقة : كيف بك إذا ألبيت سوارى كسرى ؟ فلما أتى بهما عمر
ألبسهما إياه ، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة .
وقال^(٨) : تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصرّة ، توجب إليها
خزائن الأرض ، يُحسّف بها - يعني بغداد^(٩) .
وقال^(١٠) : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد^(١٠) ؛ هو شر لهذه الأمة
من فرعون لقومه .

-
- (١) في حديث رواه البيهقي . (٢) الطف : مكان بناحية الكوفة .
(٣) في حديث رواه ابن عدى ، والبيهقي مسندا . والخبر في الاستيعاب : ٥٦٦ ، وقال :
أصابت يد زيد يوم جلواء ، ثم قتل يوم الجمل مع علي .
(٤) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٨٨٠ .
(٥) حراء : اسم جبل معروف بقرب مكة . قال في صحيح مسلم : وعليه النبي ،
وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص .
(٦) في حديث رواه البيهقي . وسراقة : هو سراقة بن مالك . وهو الذي كان قد خرج في
طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه . وقد أسلم بعد ، وتوفي سنة أربع وعشرين .
(٧) في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل ، والخطيب في تاريخه .
(٨) قال القاري (١- ٧٠٣) : لكن قال أحمد بن حنبل : لم يحدث بحديث بغداد ثقة ، ومداره
على عمار بن سيف . وقال الذهبي - في ميزانه (٣ - ١٦٥) : له حديث منكر جدا ، وذكر
حديث بغداد هذا . (٩) في حديث رواه الإمام أحمد ، والبيهقي ، عن سعيد بن المسيب .
(١٠) يقال : إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على
هذه الأمة ، وكان ماجنا سفها (شرح الحفاجي : ٣ - ٢١٧) .

وقال ^(١) : لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة ^(٢) .

وقال ^(٣) لعمة في سهيل بن عمرو : عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر ! فكان كذلك ؛ قام بمكة مقام أبي بكر ^(٤) يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وثبتهم وقوى بصائرهم .

وقال ^(٥) لخالد حين وجهه لأكيدر : إنك تجده يصيد البقر ؛ فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم .

إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم ، وأطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم ، وقولهم فيه وفي المؤمنين ، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه : اسكت ، فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ^(٦) .

وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد ^(٧) بن الأعصم ، وكونه في مشط ومشاقة ^(٨) ، في [١٢٤] جف ^(٩) طلع نخلة ذكري ، وأنه ألقى في بئر ذروان ^(١٠) ؛ فكان كما قال ، ووجد على تلك الصفة .

(١) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢١٤

(٢) قال الخفافى : وقد وقع هذا في صفين في وقعة طى ومعاوية .

(٣) في حديث رواه البيهقى ، والحاكم .

(٤) أى مثل مقام أبى بكر في المدينة ، وخطب خطبة مثل خطبته .

(٥) رواه ابن إسحاق ، والبيهقى .

(٦) البطحاء : أرض مستوية يسيل فيها للماء . والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء .

(٧) لبيد بن الأعصم : يهودى من بنى زريق . وقد سبق حديث سحره .

(٨) هذا في ١ ، ب . وفي هامشها : ومشاقة . والصحيح . والمشاقة : الشعر الذى يسقط

من اللحية عند القسريح . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٢٠ ، وفيه أيضا : ومشط ، ومشاقة .

(٩) الجف : وعاء الطلع الذى عليه كالنشاء .

(١٠) بئر بالمدينة . وفي صحيح مسلم : ذى أروان .

وإعلامه^(١) قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ^(٢) ما في صحيفتهم التي تظاهروا^(٣) بها على بنى هاشم ، وقطعوا بها رَحِمَهُمْ ، وأنها أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِّلَّهِ ؛ فوجدوها كما قال .

ووصفه^(٤) لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ، ونعته إياه نعت مَنْ عرفه .

وأعلمهم بعيرهم^(٥) التي مرَّ عليها في طريقه ؛ وأنذرهم بوقت وصولها ؛ فكان كله كما قال .

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم يأت بعد^(٦) ؛ منها ما ظهرت مقدّماتها^(٧) ؛ كقوله^(٨) : عُمرانُ بيت المقدس خرابٌ يثرب^(٩) ؛ وخرابٌ يثرب خروجُ الملحمة^(١٠) ، وخروجُ الملحمة فتُفتح القسطنطينية^(١١) .

(١) رواه البيهقي ، عن الزهري ، في الدلائل .

(٢) الأرضة : دودة تأكل الورق ، ومنها ما تأكل الخشب . (٣) تظاهروا بها : تعاونوا .

(٤) في حديث الإسراء . وقد تقدم . (٥) بعيرهم : بقاقلتهم .

(٦) أى لم يقع عقب إخباره ، بل بعده بأزمان متباعدة ، بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لما تظهر ؛ فإذا جاء الإبان نجى ؛ فإن خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف .

(٧) علاماتها المتقدمة عليها .

(٨) في حديث رواه أبو داود في سننه : سنن أبي داود : ٢-١٣٦ (٩) يثرب : اسم المدينة .

(١٠) خروج الملحمة : خروج : ظهور . والملحمة : موضع المعركة والقتال ، وتسكون بمعنى الحرب . وفي الصحاح : الملحمة : الوقعة العظيمة في الفتنة ؛ والمراد الفتن العظيمة ، والمخرج الذي يكون في آخر الزمان .

(١١) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٣) : والمذكور في هذا الحديث كله يكون إذا قرب

نزول عيسى عليه السلام ، وكذا ما معه من الأشرار .

وبقية الحديث - كما في سنن أبي داود : وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، ثم ضرب يده على خُفِّ الذي حدث أو منكبه . ثم قال : إن هذا الحق كما أنك هاهنا ، أو كما أنك قاعد - يعنى معاذ بن جبل .

ومن أشرط^(١) الساعة وآيات حلولها ، وذكر النّشر^(٢) والحشر ، وأخبار الأبرار والنّجار ، والجنة والنار ، وعرصات^(٣) القيامة .
وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا^(٤) مفردا يشتمل على أجزاء وحده ؛
وفيا أشرنا إليه من نكت^(٥) الأحاديث التي ذكرنا كفاية ، وأكثرها في الصحيح ،
وعند الأئمة .

فصل

في عصمة^(٦) الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
وقال تعالى^(٨) : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .
وقال^(٩) : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

-
- (١) الأشرط : العلامات والمقدمات .
(٢) النشر للميت أن يحيا فيقوم من قبره . والحشر : سوق الناس إلى المحشر للحساب .
(٣) عرصات : جمع عرصة : كل موضع واسع لابتاء فيه ؛ أى مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المنيات ماورد في الحديث من بيان موافق القيامة وعرصاتنا ووصفها بصفاتنا .
(٤) ديوانا : كتابا مدونا مستقلا .
(٥) نكت الأحاديث : لطائفها ودقائقها النفيسة .
(٦) العصمة : أصل معناها التمسك ، ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل الضرر من الأعداء ؛ والمراد هنا المعنى الأخير .
(٧) سورة المائدة ، آية ٦٧
(٨) سورة الطور ، آية ٤٨ ، أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ، ثم سلاه بأنه لا يخاف من أحد ، فإنه محفوظ بعين العناية من الله . وإنك بأعيننا : أى بمرأى منى ، ومرعى في حفظنا .
(٩) سورة الزمر ، آية ٣٦

وقيل : بكاف محمداً صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين . وقيل غير هذا ^(١) .
وقال ^(٢) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وقال ^(٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ،
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصّدّاق بقراءتي عليه ، والفقهاء الحافظ أبو بكر
محمد عبد الله المَعافري ^(٤) ؛ قالوا : حدثنا أبو الحسين الصّيرفي ؛ قال : حدثنا أبو يعلى
الْبَغْدَادِي ، حدثنا أبو علي السّنجي ، حدثنا أبو العباس اللّروزي ، حدثنا أبو عيسى
الحافظ ، حدثنا عَبْدُ بْنُ حُمَيْد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد ،
عن سَعِيدِ الْجَرَيْرِي ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيق ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ قالت : كان
النبي صلى الله عليه وسلم يُخْرَس ^(٥) حتى نزلت هذه الآية ^(٦) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ ﴾ - فأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبّة ^(٧) ؛ فقال لهم : يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ، انصرفوا ؛ فقد عصمني ربّي عزّ وجلّ .

(١) قيل : المراد أنه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده . أو غير هذا : غير القول بقصر
الكفاية على محمد ؛ بل كافيته ، ولا كافي غيره ، فتكون الإضافة للجنس قال القاري (١-٧٠٨) :
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي : أليس الله بكاف عباده - بصيغة الجمع .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥ . والهزؤ : السخرية والتهميم على سبيل التحقير . والمراد نقر
من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزءون به ، فأهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ،
ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . والمسكر : الحيلة والخداع ، ولا يوصف به الله سبحانه - إلا
على طريق المشاكلة . وهو إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة .

(٤) هذا في ١ ، ب . وانفرد الشهاب بالنص على أنه بنين معجزة ، ولم نثر على ما يؤيده
فيما لدينا من المراجع . والمعافري هذا هو ابن العربي . وقد توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

(٥) كان يحمرسه الصحابة . (٦) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٧) القبة : كل مرتفع من البناء أو الحيمة والخباء . والمراد هنا : خباء كان فيه النبي صلى

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرةً يُقِيلُ^(١) تحتها ، فاتاه أعرابيٌّ فاخترط^(٢) سيفه ثم قال : مَنْ يَمْنُكَ مَنِي ؟ فقال : الله عز وجل ؛ فرُعِدَتْ^(٣) يَدُ الأعرابيِّ ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة^(٤) حتى سال دماغه ؛ فنزلت الآية^(٥) .

وقد رُوِيَتْ هذه القصةُ في الصحيح^(٦) ، وأن غُورَثَ بن الحارث صاحبُ هذه القصة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه ؛ فرجع إلى قومه ، وقال : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

وقد حُكِيتْ مِنْهُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ ، وأنها جرت له يوم بَدْر ؛ وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته ، فتبعه رجلٌ من المنافقين . . . وذكر مثله .

= الله عليه وسلم في بعض أسفاره . وقيل : إنه بيت صنير مستدير من الخيام وبيوت العرب . والحديث رواه الترمذی : ٥ - ٢٥١ ، وابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، وقال : هذا حديث غريب فيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية . وقال الترمذی في سننه (٥ - ٢٥١) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(١) يقيل : ينزل وقت القائلة ، وهى الظهيرة وما قاربها للاستراحة ، سواء نام أم لا .
(٢) اخترط سيفه : سله وأخرجه من قرابه ليضربه به .
(٣) أصابتها رعدة ، وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف . وفى : فأرعدت .

(٤) إنما فعل ذلك لما اعتراه من ذهاب عقله ، فلم يزل ينطحها .
(٥) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٩) : وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا : لم يوجد في السكتب للمعتبرة عند أهل الأثر ، ولم يذكره في أسباب النزول . وقال القارى (١ - ٧١٠) : وما رواه من الزيادة فغير معروف عند أرباب الدراية .

(٦) وهذا الحديث رواه البخارى : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٧٤ . ورواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : ٣ - ٣١٦ .

وقد رُوي^(١) أنه وَقَعَ له مِثْلُهَا في غَزْوَةِ غَطَفَانَ بَذَى أَمْر^(٢) ، مع رجل اسمه دُعْنُور بن الحارث ، وأن [١٢٥] الرجلُ أَسْلَمَ ؛ فلما رجع إلى قومه الذين أُغْرَوْهُ - وكان سيِّدَهُم وأشجَعَهُم - قالوا له : أين ما كُنْتَ تقولُ ، وقد أمكنك^(٣) ؟ فقال : إني نظرتُ إلى رجل أبيضَ طويلٍ دَفَعَ في صَدْرِي ، فوَقَعْتُ لظَهْرِي ، وسقطَ السيفُ ، فمَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَأَك ، وأَسْلَمْتُ^(٤) .

وفيه نزلت^(٥) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وفي رواية الخطَّابِي أَنَّ غُورثَ بن الحارث المُحَارِبِي أرادَ أَنْ يَفْتِكَ^(٦) بالنبي صلي الله عليه وسلم ، فلم يَشْعُرْ به إِلَّا وهو قائم على رَأْسِهِ مُنْتَضِيًا سَيْفَهُ^(٧) ، فقال : اللهم اكْفِنِيهِ بما شئتَ^(٨) ، فانسكَبَ^(٩) مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلْخَةٍ^(١٠) زُلْخَهَا بين كتفيه ، وَنَدَرَ سَيْفُهُ^(١١) مِنْ يَدِهِ .

-
- (١) رواه ابن إسحاق في سيرته : سيرة ابن هشام : ٣ - ٢١٦
 (٢) ذو أمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورويت هذه الحادثة في الواقدي أيضا : ١ - ١٩٥
 (٣) أمكنه الأمر : إذا لم يمنعه مانع ، فصار ممكنا له . أو المراد : تمكنت منه لمصادفته له وحده ، ومعه سيف مسلول في يده .
 (٤) أسلم لما شاهده مما يدل على نبوته .
 (٥) سورة المائدة ، آية ١١ ، وانظر في ذلك أيضا تفسير ابن كثير : ٢ - ٥٩
 (٦) يريد أن يقتله .
 (٧) منتضيا سيفه : جرد سيفه وسله ، ليضربه به .
 (٨) بما شئت : بالأمر والسبب الذي شئت وأردته ، والمراد تفويض أمر كفايته إلى الله وتسليم أمره له .
 (٩) انسكب : سقط لوجهه : سقط على وجهه .
 (١٠) زُلْخَةٌ : وجع في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته (النهاية) . زُلْخَهَا : أوجدها الله حين سل السيف .
 (١١) ندر سيفه : سقط .

الزُّلْفَةَ : وجع الظهر .

وقيل في قصته غَيْرُ هذا ، وَذُكِرَ فِيهِ ^(١) نَزَلَتْ ^(٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقيل : كان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يخافُ قَرِيشًا ، فلما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اسْتَلْقَى ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ شَاءَ فَلْيَخْذْ لَنِي ^(٤) .

وَذَكَرَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : كَانَتْ سَحَابَةٌ الْحَطَبِ ^(٥) تَضَعُ الْعِضَاءَ ^(٦) - وَهِيَ جَبْرٌ - عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكَانَ مَا يَطَوُّهَا كَثِيبًا أَهِيلَ ^(٧) .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهَا أَنَّهَا لَمَّا بَلَغَهَا نَزُولُ ^(٨) : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، وَذَكَرَهَا بِمَا ذَكَرَهَا اللَّهُ مَعَ زَوْجِهَا مِنَ الذَّمِّ - أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ ^(٩) مِنْ الْحِجَارَةِ .

(١) فِيهِ : فِي غُورِث .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ ١١

(٣) اسْتَلْقَى : نَامَ وَاضِعًا ظَهْرَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، لِأَمْنِهِ أَعْدَاءَهُ وَاطْمَئِنَانِ قَلْبِهِ .

(٤) الْخَذْلَانُ : تَرَكَ النُّصْرَةَ . يُرِيدُ أَنِّي غَنَى عَنِ اللَّعِينِ وَالْحَرَسِ ، لِأَنَّ اللَّهَ حَمَانِي وَضَمَّنِي لِي لَا يَضُرُّنِي أَحَدٌ يَصِلُ إِلَيَّ . وَلِذَلِكَ اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَأَظْهَرَ هَيْئَةَ الْأَمْنِ ، وَالْتَبَرَى مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتَهُ اعْتِمَادًا عَلَى وَعْدِ اللَّهِ .

(٥) سَحَابَةُ الْحَطَبِ : هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ زَوْجَةُ أَبِي لَهَبٍ .

(٦) الْعِضَاءُ : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ إِذَا أَوْقَدَ كَانَ شَدِيدَ الْاحْتِرَاقِ .

(٧) كَانَتْ تَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنْ يَمْنَحِيَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ فَيُؤْذِيهِ وَيُؤْثِرُ فِي قَدَمَيْهِ ، فَكَانَ النَّبِيُّ يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى تِلْكَ الْعِضَاءِ فَيَجْعَلُهَا كَثِيبًا - رَمَلًا مَجْتَمِعًا - أَهِيلَ : سَائِلًا . أَيْ يَجْعَلُهُ سَهْلًا لَا يُؤْذِيهِ .

(٨) سُورَةُ الْمَسَدِ ، آيَةُ ١

(٩) الْفَهْرُ : حَجَرٌ مَلَأَ الْكَفَّ .

فلما وقفت عليهما لم ترَ إلا أبا بكر، وأخذ الله تعالى يبصرها^(١) عن نبيه صلى الله عليه وسلم؛ قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بانى أنه يهجونى^(٢)، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه^(٣).

وعن^(٤) الحكم بن أبى العاصي: تواعدنا^(٥) على النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بئى بهيمة أحد^(٦)؛ فوقعنا مفضيا علينا، فافقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله.

ثم تواعدنا ليلة أخرى، فخننا حتى إذا رأيناه جاءت^(٧) الصفا والمروة، فحالت بيننا وبينه.

وعن عمر رضى الله عنه: تواعدت^(٨) أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخننا منزله، فسمعنا له، فافتتح وقرأ^(٩): ﴿الحاقة. ما الحاقة...﴾ إلى: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾.

فضرب أبو جهم على عضد عمر، وقال: انج؛ وفرأ هاربن؛ فكانت من مقدمات إسلام عمر رضى الله عنه.

-
- (١) أخذ الله يبصرها: قبض وجبس نظرها.
- (٢) يهجونى: يذمنى.
- (٣) خصت الفم، لأنه محل النطق بذهما. وهذا رواه البيهقي، كما رواه ابن إسحاق.
- وارجع إليه أيضا في تفسير ابن كثير: ٨ - ٥٣٧.
- (٤) رواه أبو نعيم في الدلائل، والطبراني، بسند جيد.
- (٥) أى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله والفتك به في بعض الليالى.
- (٦) أى لم يبق بهيمة أحد إلا وقد هلك بتلك الصيحة. أو أراد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا. فالمنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا.
- (٧) المراد بمجى الصفا والمروة تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبين النبى.
- (٨) في نسيم الرياض (٣ - ٢٣٥): هذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا في مسند أحمد بما يقرب منه.
- (٩) سورة الحاقة، الآيات من ١ - ٨.

ومنه ^(١) العبرة المشهورة ، والكفاية التامة ^(٢) عندما أخافته قريش ، وأجمعت على قتله وبيئته ^(٣) ؛ فخرج عليهم من بيته ؛ فقام على رؤوسهم ، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم ^(٤) ، وذَرَّ الترابَ على رؤوسهم ، وخلص ^(٥) منهم .

وحايته ^(٦) عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ، ومن العنكبوت الذي نسج عليه ، حتى قال أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ - حين قالوا : ندخل الغار : ما أَرُبُّكُمْ ^(٧) فيه ، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى ^(٨) أنه قَبِلَ أن يولدَ محمد .

ووقعت حَماَتان على فمِ الغارِ ، فقالت قريش : لو كان فيه أحدٌ لما كانت هناك الحَماَم .

وقصته ^(٩) مع سُرَاقَةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ حين الهجرة ، وقد [١٢٦] جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجَمَائل ^(١٠) ، فأَنذِرَ به ^(١١) ، فركب فرسه واتبعه حتى إذا قُرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فصاحت ^(١٢) قوائِمُ فَرَسِهِ ، فخرَّ عنها ^(١٣) ،

(١) ومنه : بما يشهد لأن الله تعالى عصمه من أعدائه .

(٢) العبرة : الأمر العجيب الذي يعتبر به ويتعظ . والكفاية التامة : أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره . (٣) بيئته : قصدوا قتله ليلاً في خفية . (٤) ضرب الله على أبصارهم : لم يحسوا به ويرووه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه ؛ وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه .

(٥) ذر التراب : ثره . خلص منهم : نجا منهم . وفي ب : ذراً . (٦) حايته : حفظه .

(٧) الأرب : الحاجة المطلوبة ؛ أى ليس لكم مطلوب ولا حاجة .

(٨) ما أرى : ما أظن وأعتقد .

(٩) القصة في الصحيحين : صحيح مسلم : ١٥٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام : ٢ - ١٠٢ .

(١٠) الجمائل : الجمل : الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً (النهاية) .

(١١) أنذر به : أعلم سراقه بالنبي .

(١٢) صاحت قوائِمُ فرسه : غاصت في الأرض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها .

(١٣) خر عنها : سقط من فوق ، ورمى نفسه عنها خوفاً من أن تخسف به الأرض فيه لك .

واستقسم^(١) ، بالأزلام ؛ فخرج له ما يكره .
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت^(٢) ؛
وأبو بكر رضى الله عنه يلتفت ، فقال^(٣) للنبي صلى الله عليه وسلم : أتينا^(٤) .
فقال : لا تحزن إن الله معنا . فساخت ثانية^(٥) إلى ركبتهما ، وخر عنها ؛ فزجرها^(٦)
فنهضت ولقواها مثل الدخان^(٧) ؛ فناداهم بالأمان^(٨) ؛ فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم أماناً ؛ كتبه ابن فهيرة^(٩) ، وقيل أبو بكر ؛ وأخبرهم بالأخبار^(١٠) ؛ وأمره
النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحداً يلحق بهم .
فانصرف يقول للناس : كفيتم ما هاهنا^(١١) ،

- (١) الأزلام : جمع زلم : وهى قذاح ، أى سهام لا ريش لها ولا نصل ، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أقفل ، وعلى بعضها لا أقفل ، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا ، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلماً يتفألون به فيفعلون أو يتركون . ومعنى الاستقسام : طلب ما قسم وقد ر له . (٢) وهو لا يلتفت : والنبي لا يلتفت إليه لعدم مبالاته ولا اعتداده على ربه .
(٣) القائل : هو أبو بكر وفى ا : وقال .
(٤) أتينا : أتانا العدو ، وأدركنا من يطلبنا .
(٥) فساخت ؛ أى قوائم فرس سراقه .
(٦) زجرها : صاح عليها .
(٧) ولقواها مثل الدخان : أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان .
(٨) بالأمان : أى رفع صوته قائلاً لهم : الأمان . الأمان . والمراد تأمينهم منه ، وأنه لا يلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء . أو طلب منهم الأمان ؛ أى أن يمطوه أماناً فلا يلحقه ضرر لخوفه منه — صلى الله عليه وسلم ، ومن دعائه عليه .
(٩) ابن فهيرة : عامر بن فهيرة ؛ وكان يرعى غنماً لآبى بكر رضى الله عنه ويحى لهما كل ليلة فى النار باللبن يتغذيانه .
(١٠) وأخبرهم : أى أخبر سراقه النبي وأبا بكر وابن فهيرة — بالأخبار . أى بأخبار قريش ، وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل . . .
(١١) كفيتم ما هاهنا : معناه ارجعوا كفيتم الطلب ؛ فإنى لم أجدهم .

وقيل : بل قال لها^(١) : أَرَأَيْتَ دَعَوْتَا عَلِيٍّ ، فَادْعُوَا لِي .
فنجبا ، ووقع في نفسه ظهورُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم^(٢) .
وفي^(٣) خبر آخر : أَنَّ رَاعِيًّا عَرَفَ خَبَرَهُمَا ، فَخَرَجَ يَشْتَدُّ^(٤) ، يُعَلِّمُ قَرِيشًا ؛
فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضُرِبَ^(٥) عَلَى قَلْبِهِ ، فَمَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ؛ وَأَنْسَى مَا خَرَجَ لَهُ حَتَّى رَجَعَ
إِلَى مَوْضِعِهِ .

وجاءه^(٦) - فَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ - أَبُو جَهْلٌ ، بِصَخْرَةٍ وَهُوَ سَاجِدٌ ،
وَقَرِيشٌ يَنْظُرُونَ ، لَيَطْرَحَهَا عَلَيْهِ ، فَلَزَقَتْ بِيَدِهِ ، وَبَدَسَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَأَقْبَلَ
يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى إِلَى خَلْفِهِ ؛ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ ؛ ففَعَلَ ؛ فَانْطَلَقَتْ يَدَاهُ ؛ وَكَانَ
قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ قَرِيشٍ بِذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَنْ رَأَاهُ لَيْدَمَغْنَةً^(٧) ؛ فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ ،
فَذَكَرَ أَنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحُلِّ^(٨) ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، هَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي .
فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ذَاكَ جِبْرِيلُ ، لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ^(٩) .

وَذَكَرَ السَّمَرِيُّ قَنْدَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
لِيَقْتُلَهُ ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ^(١٠) ؛ فَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، وَسَمِعَ قَوْلَهُ ،
فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ .

(١) لهما : للنبي وأبي بكر . (٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٩٩

(٣) قيل : إنه لا يعرف من رواه (نسيم الرياض : ٣ - ٢٤١) . وقال القاري (١ - ٧١٥) :
غير معروف عند أهل الآثار .

(٤) يشتد : يسرع في مشيه .

(٥) ضرب على قلبه : منع من الإدراك وذهل عما جاء له .

(٦) وهذا في دلائل أبي نعيم عن ابن عباس .

(٧) ليدمغنه : ليضربه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه ؛ يقال : دمغته ، إذا أصاب
دماغه فقتله . (٨) حل : جل عظيم هائج .

(٩) لأخذه : لأهلكه . (١٠) طمس الله على بصره : غطاه وغشاه حتى لم يره .

وذكر أن في هاتين القصتين^(١)، نزلت^(٢) : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾^(٣) . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم
سداً ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق^(٤) ، وغيره في قصته ، إذ خرج إلى بني قريظة^(٥) ،
في أصحابه ، فجلس إلى جدار بعض أطامهم^(٦) ، فانبث عمرو^(٧) بن جحاش
أحدهم ليطرح عليه رحي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانهرف إلى المدينة وأعلمهم
بقصتهم^(٨) .

وقد قيل : إن قواه تعالى^(٩) : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّانِبِرَاطٍ أَنْ يَدْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ في هذه القصة نزلت .

(١) القصتين : يريد قصة أبي جهل ، وقصة هذا الرجل . والخبران في تفسير ابن كثير :

(٢) سورة يس ، آية ٨ ، ٩

٥٥٠ - ٦

(٣) الإقحاح : رفع الرأس وغض البصر .

(٤) ذكره ابن إسحاق في : سيرة ابن هشام : ٢ - ١٩٢

(٥) من يهود خيبر . (٦) الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن هنا .

(٧) انبث : توجه ، أو أسرع واندفع ، وعمرو بن جحاش : من بني قريظة .

(٨) أي أخبر بني قريظة في نبذ عهدهم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٤٣) : وقد اعترض على المصنف بأن هذه القصة ليست مع
بني قريظة كما في السير ، وسيأتي أيضاً في هذا الكتاب - وإنما هي مع بني النضير ، وسبب
غزوة بني النضير .

وأما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهروا مع قريش ونقضهم العهد .
وهو الصواب .

(٩) سورة المائدة ، آية ١١

وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين^(١) اللذين قتلها عمرو بن أمية^(٢)، فقال له حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا .

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتوأمروا^(٣) حيي معهم على قتله ، فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة^(٤) .

وذكر أهل التفسير والحديث^(٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن^(٦) رقبته .

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه^(٧) ؛ فأقبل ؛ فلما قرب منه ولى هاربا ناكها على [١٢٧] عقبية ، متقيا بيديه^(٨)؛ فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت^(٩) على خندق مملوء نارا كذت أذوى فيه^(١٠) ، وأبصرت هولا عظيما^(١١) ، وخفق أجنحة^(١٢) قد ملأت الأرض .

(١) يستعين : يطلب أن يعينوه في الدية . عقل الكلابيين : ديتما .

(٢) توامر : تشاور .

(٣) ثم سار إليهم وحاصروهم ست ليال ، وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم .

(٤) رواه مسلم ، والنسائي صحيح مسلم : ٢١٥٤ . وفي ١ : ومعنى الحديث . . .

(٥) ليطأن رقبته : أى يدوس على عنقه الشريف برجله . (٦) أى أعلموا أبا جهل .

(٧) ناكها : متأخرا راجعا لحلف . والعقب : مؤخر القدم . ونكص على عقبية : ولى

مخاف العاقبة . متقيا بيديه : مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه .

(٨) أشرفت : اطلعت قريبا منى .

(٩) أهوى : أقع وأسقط . (١٠) هولا عظيما : أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله .

(١١) خفق أجنحة : أجنحة تضطرب لها أصوات هائلة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة ، لودنا لا اختطفته عضوًا عضوًا^(١) .

ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾^(٣) . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى . أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى . أرايت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرايت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فلیدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب^(٤) .

وروى^(٥) أن شيبه بن عثمان الحجاجي أدركه^(٥) يوم حنين ، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم أدركك نأرى من محمد .

فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ، ورفع سيفه ليصبه عليه^(٦) ؛ قال : فلما دنوت منه ارتفع إلى شواط^(٧) من نارٍ أسرع من البرق ، فوليت هارباً ؛ وأحسن بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني ، فوضع يده على صدرى ، وهو أبغض الخلق إلى ؛ فما رفعها إلّا وهو أحب الخلق إلى ؛ [وقال لى : ادن^(٨) فقاتل ؛ فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسى^(٩) ، ولو لقيت أبى تلك الساعة لأوقعت به^(١٠) دونه^(١١) .

(١) عضوا عضوا : أى مزقته وفرت أعضاءه . والأثر فى تفسير ابن كثير : ٨ - ٤٦١ ،

وتفسير الطبرى : ٣٠ - ١٦٥

(٢) سورة الملق من آية ٦ إلى آخر السورة . (٣) ليطفى : طفيانه : تجاوز حده .

(٤) الراوى هو أبو نعيم فى الدلائل . (٥) أدركه : أدرك النبي ولحق به .

(٦) ليصبه عليه : ليضر به ويقتله ويأخذ بثأره ويشفى غليله ممن كان سبباً فى قتل

أبيه وعمه . (٧) شواط : لهب . (٨) ادن : من المدو أو منى .

(٩) أقيه بنفسى : أجمل نفسى وقاية له . (١٠) لأوقعت به سيفى وقتلته .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٤٨) : والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح .

(١١) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ١ : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

وعن فضالة بن عمرو^(١) : أردت قتلَ النبي صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح ، وهو يطوفُ بالبيت ؛ فلما دنوتُ منه قال : أفضالة ؟ قلتُ : نعم . قال : ما كنتُ تحدثُ به نفسك ؟ قلتُ : لا شيء . فضحك واستغفر لي ، ووضع يده على صدرى ، فسكن قلبي ، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه .

ومن مشهور^(٢) ذلك خبرُ عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس - حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرٌ قال له : أنا أشغلُ عنك وجهَ محمد^(٣) فاضربه أنت . فلم يره فعل شيئاً ؛ فلما كلمه في ذلك قال له : والله ما هممتُ أن أضربه إلا وجدتُك بيني وبينه ؛ أفأضربك !

ومن عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به^(٤) وعينوه لقريش ، وأخبروهم بسطوته بهم^(٥) ، وحضوهم على قتله ؛ فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره^(٦) .

ومن ذلك نصره بالرعب^(٧) أمامه مسيرة شهر ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم^(٨) .

(١) رواه ابن إسحاق ، وابن سيد الناس . وفي سيرة ابن هشام : فضالة بن عمير الليثي . والخبر في سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٧

(٢) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الدلائل : سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٣٣

(٣) أشغل عنك وجه محمد : ألهيه حتى تبطش به .

(٤) أنذروا به : أخبروا وأعلموا .

(٥) بسطوته بهم : أى إنه يفزوهم ويقتلهم .

(٦) بلغ فيه أمره : حفظه ، ونصره ؛ وأظهر دينه على جميع الأديان .

(٧) بالرعب : بإلقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ، وفي قلوب من لم يتبعه .

(٨) هو في الصحيحين ، وفي مسند أحمد : صحيح مسلم : ٣٧١ ، ٣٧٢

فصل

[من معجزاته الباهرة]

ومن معجزاته الباهرة ^(١) ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته بأُمُور شرائعه ^(٢) ، وقوانين دينه ، وسياسة عبادِه ، ومصالحِ أمته ، وما كان في الأمم قبله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة ^(٣) والقرون الماضية من لدُنْ آدم إلى زمنِه ، وحفظ شرائعهم وكتبهم ، ووعى ^(٤) سيرهم ، وسردِ أنبأهم ، وأيامِ الله ^(٥) فيهم ، وصفاتِ أعيانهم ^(٦) ، واختلافِ آرائهم ، والمعرفة بمددِهم وأعمارهم ، وحِكَم حُكائهم ، ومُحاجة كل أمة من الكفرة ^(٧) ، ومُعارضة كل فرقة ^(٨) من الكُتّابِ بَيِّن بما في كُتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومُخبّاتِ علومِها ، وإخبارهم بما كُتِبُوا من ذلك وغيرُوه .

إلى الاحتواء ^(٩) على لغات العرب ، وغريبِ ألفاظِ فرِقها ، والإحاطة بضروب فصاحتها ^(١٠) ، والحفظ لأَيامِها وأمثالها ، وحِكَمها ومعاني أشعارها ، والتخصيص ^(١١) بمجوامعِ كَلِمها .

(١) الباهرة : البالغة الظاهرة على غيرها .

(٢) شرائعه : التي شرعها الله له ولعباده على لسانه .

(٣) الجبابرة : الجبار - في صفة الإنسان : الذي يجبر نفسه بادعاء منزلة من اتعالى

لا يستحقها . ويقال للقاهر لغيره جبار . (٤) الوعى : الحفظ ، والجمع .

(٥) أيام الله فيهم : أى وقائمهم التي قدرها الله لهم . والأَيام تطلق على الوقائع والحروب

كأيام العرب . (٦) أعيانهم : كبارهم ورؤساؤهم . وقيل: ذواتهم .

(٧) محاجة كل أمة من الكفرة : أى ذكر حجته وبرهانه ، وما حاج به غيره .

(٨) معارضته : مخالفته ورده .

(٩) الاحتواء : الاشتمال والحفظ . (١٠) هذا فى ا ، ب .

(١١) والتخصيص : أى تخصيص الله إياه بنطقه بمجوامع كلام العرب ؛ أى بالألفاظ الحسنة

البليلة الجامعة للمعاني الكثيرة فى ألفاظ قليلة .

إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة ، والحكم البيّنة لتقريب التفهيم للغامض ،
والتعبيين المشكل ، إلى تمهيد^(١) قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تحاذل ،
مع اشتغال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب [١٢٨] وكل شيء مستحسن
مفضل ، لم يُفكر منه ملحد^(٢) ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان^(٣) .
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعوه إليه صوته^(٤) ،
واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه .

ثم ما أحلّ لهم من الطيبات ، وحرم عليهم من الخبائث^(٥) ، وصان به أنفسهم
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود^(٦) عاجلا ، والتمخوف بالنار آجلا
[كما لا يعلم علمه ، ولا يقوم به ، إلا من مارس الدرس^(٧) والعكوف على الكتب ،
ومثاقنة^(٨) بعض هذا]^(٩) .

إلى الاحتواء^(١٠) على ضروب العلوم ، وفنون المعارف ؛ كالطب ،
والعبارة^(١١) ، والفرائض^(١٢) ، والحساب ، والنسب ، وغير ذلك من العلوم
يحتاج إليها أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولا في عملهم ؛

(١) تمهيد : بسطه والتوطئة له . (٢) ملحد : مائل عن الحق زنديق .

(٣) أصل الخذلان : عدم النصر ، والمراد به عدم اتوفيق .

(٤) صوته : اعتقد أنه صواب .

(٥) الخبائث : كالبئرة والدم ، ولحم الخنزير .

(٦) المعاقبات والحدود ؛ كالحد ، والتميز ، والحبس ، وكحد الزنا والهرقة ، والقذف ،

وشرب الخمر .

(٧) مارس الدرس : لازم دراسة الكتب واجتهد فيها . والعكوف : الإقبال على الشيء .

وملازمته . (٨) ومثاقنة : ومتابعة . (٩) ما بين القوسين ساقط في أ .

(١٠) إلى الاحتواء : أى مع اشتغالها أو مضموما إلى الاشتغال .

(١١) العبارة : أى تبير الرؤيا .

(١٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو النصيب من الميراث .

كقوله صلى الله عليه وسلم^(١) : الرؤيا لأول عابر^(٢) . وهى^(٣) على رجل طائر^(٤) .
وقوله : الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تخزين
من الشيطان^(٥) .

وقوله^(٦) : إذا تقارب الزمان لم تسكد رؤيا المؤمن تسكذب .

- (١) فى حديث رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه : ١٢٨٨) .
(٢) الرؤيا : ما يرى من المنام من الأحلام . لأول عابر : أى مصادفة وموافقة لأول
تفسير تفسر به . والعابر : هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها .
(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه (سنن الترمذى : ٤ - ٥٣٦) .
ومسند الطيالسى : ١ - ٣٤٩ .

(٤) رجل طائر : أى إنها على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ؛ وإن ذلك
هو الذى قسمه الله لصاحبها . وكل حركة من كلمة أو شيء يجرى لك فهو طائر . والمراد أن
الرؤيا التى يعبرها المعبر الأول فسكانها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت
كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بأدنى حركة (النهاية) . وفى هامش ١ : قوله عليه السلام :
على رجل طائر : على رجل قدر جار ، وقضاء ماض من خير أو شر (من الفريقين) . وقال
ابن قتيبة : أرى أنها غير مستقرة . يقال لشيء إذا لم يستقر : هو على رجل طائر . ويبين
مخالب طائر ، وعلى قرن ظبي .

- (٥) تخزين من الشيطان : بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته .
قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .
(٦) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (صحيح مسلم : ١٧٧٣) .
تقارب الزمان : قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٥٩) : اختلاف فى المراد به هنا ؛ فقيل : المراد
به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى ، وهو زمان تدرك فيه النمار ، وتفتتح الأزهار
ويرق النسيم ، فتعتدل الطباع البشرية فيه ، فتقوى على تلقى ما يفاض عليها . ولذا قال أهل
التعبير : أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع .
وقيل : المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة ، وتقاربه قصره ، والقصر إما حقيقة كما
فى الحديث : فى أيامه السنة كشمس ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، واليوم كساعة .
وقيل : إنه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسمتها عليهم أو لغير ذلك .

وقوله ^(١) : «أصل كل داء البردة» .

وماروي ^(٢) عنه في حديث أبي هريرة رضى الله عنه من قوله : «المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة» . وإن كان هذا حديثاً لا نصحه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم ^(٣) عليه الدارقطني .

وقوله ^(٤) : «خير ما تداويتم به السعوط والدود ، والحجامة ، والمشي» .

وخير الحجامة يوم سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ^(٥) .

وفي العود الهندي سبعة أشفية ^(٦) ، [منها ذات الجنب] ^(٧) .

وقوله ^(٨) : «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، فإن كان لا بد فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس» .

وقوله ^(٩) - وقد سئل عن سبأ : أرجل هو أم امرأة ؟ أم أرض ؟ فقال : رجل ولد عشرة : تيامن ^(١٠) منهم ستة ، وتشام أربعة . . . الحديث بطوله .

(١) في حديث رواه الدارقطني وضعفه .

والبردة : الإكثار من الطعام ، حتى لا تقدر المعدة على هضمه .
والمراد بكونه أصلاً لذلك أنه منشؤه ومبدؤه في الغالب .

(٢) الراوى له الطبراني في الأوسط . (٣) تكلم عليه الدارقطني ؛ أى مضعفاً له .

(٤) في حديث رواه الترمذى . (سنن الترمذى : ٤ - ٣٨٨) .

والسعوط : ما يجمل في الأنف ويستنشق به . والدود : ما يجمل في أحد شقي الفم ويتفرغ به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالباً والمشي : للسَّهل .

(٥) وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وأبو داود عن أبي هريرة (سنن أبي داود : ٢ - ٩٩) .

(٦) الأشفية : جمع شفاء . والحديث في صحيح البخارى : ٧ - ١٦٥

(٧) ما بين القوسين ليس في أ ، ب ، وهو في صحيح البخارى .

(٨) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم : سنن الترمذى ٤ - ٥٩٠

(٩) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ٣٦١ ، وفي اضطت همزة « سبأ » بالفتحة ممنوعاً ، وبكسرتين ، وعليها « معا » . (١٠) تيامن : سكن اليمن . تشام : سكن الشام .

وكذلك ^(١) جوابه في نسب قضاة ، وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه ^(٢) من ذلك .
 وقوله ^(٣) : خير رأس العرب ونابها ^(٤) . ومذحج هامتها وغلصمتها ^(٥) .
 والأزد كاهلها وججمتها ^(٦) ، وحمدان غاربها وذرونها ^(٧) .
 وقوله ^(٨) : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .
 وقوله ^(٩) في الحوض : زواياه سواء .
 وقوله ^(١٠) - في حديث الذكركر : وإن الحسنة بمشر أمثالها ؛ فتلك مائة وخمسون على اللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان ^(١١) .

(١) في حديث رواه أحمد ، والطبراني .
 (٢) أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم .
 (٣) في حديث رواه البزار . رأس العرب : منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الرأس من الجسد . ونابها : أى هم عمدتهم ، ومن أشدهم .
 (٤) هامتها : رأسها . وغلصمتها : الفصمة : لحة بين الرأس والعنق . أو رأس الحلقوم .
 (٥) الكاهل : ما يلي العنق من أعلى الظهر . والمجمعة : للراد بها الرأس .
 (٦) الغارب : ما بين السنام والعنق . وذرونها : أعلاها وسنامها .
 (٧) في حديث رواه الشيخان . صحيح البخارى : ٦ - ٨٣ . استدار : عاد لما كان عليه .
 (٨) في حديث راه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣
 سواء : متساوية ؛ معناه طوله كمرضه .
 (٩) في حديث رواه أبو داود ، وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ٢٩٩ ، وسنن الترمذى :

٤٧٨ - ٥

(١٠) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : خصاتان لا يحصيما رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : تسبيح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ، وتحمده عشرا ، وتسكبه عشرا ؛ قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ؛ فهي مائة باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان . فإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد ، وكبر مائة ؛ فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكمل بعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة .

وقوله ^(١) وهو بموضع : نِعَمَ موضعُ الحَمَامِ هذا .

وقوله ^(٢) : ما بين المشرق والمغرب قِبْلَةٌ .

وقوله ^(٣) لُعَيْنَةُ ، أو الأقرع : أنا أفرسُ بالخليل منك .

وقوله لِكَاتِبِهِ ^(٤) : ضَعِ القَلَمَ على أَذُنِكَ ، فإنه أَذْكَرُ لِلْمُعَمِّلِ .

هذا مع أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان لا يكتب ؛ ولكنه أوتى عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حتى قد وردت آثارُ بمعرفته حروف الخطِّ وحُسْنُ تصويرها :

كقوله : لا تَمْدُوا بِسْمِ ^(٥) الله الرحمن الرحيم ، رواه ابنُ شعيان من طريق ابن عباس ^(٦) .

وقوله في الحديث الآخر الذي يُرَوَّى عن مُعَاوِيَةَ أنه كان يكتبُ بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أَلِيقِ الدَّوَاةَ ، وَحَرِّفِ القَلَمَ ، وَأَقِمِ البَاءَ ، وَفَرِّقِ السَّيْنَ ، وَلَا تُعَوِّرِ المِمْ ^(٧) ، وَحَسِّنِ اللهَ ، وَمُدِّ الرَّحْمَنَ ، وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ ^(٨) .

(١) في حديث رواه الطبراني .

(٢) في حديث رواه الترمذی ، وصححه . سنن الترمذی : ٢-١٧١ ، وابن ماجه : ١-٣٢٣

(٣) في حديث ذكره ابن الأثير في النهاية ، ولم يخرجها السيوطی لأنه لم يقف عليه .
أفرس بالخليل : أبصر ، وأعرف .

(٤) في حديث رواه الترمذی (سنن الترمذی : ٥-٦٧) وفيه : أَذْكَرُ لِلْمُعَمِّلِ ،

وهما بمعنى . (٥) لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لأسنانها .

(٦) في نسيم الرياض (٣-٢٦٧) : وضعفه ابن حزم . وقال السيوطی : حديث ابن عباس

رضي الله عنه : لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم - لم أجده .

(٧) ضبطت العين في أ بالسكون والواو بالكسرة من غير تشديد .

(٨) ألق الدواة : اجعل لها ليقة ، وأصلح مدادها . وحرف القلم : اجعل قطعه محرفا ،

وطرف شقه الأيمن أزيد من الطرف الآخر قليلا ، فإنه أعون على تصوير السنات . وأقم الباء :

اجعلها مستقيمة ، أو طولها قليلا ، لأنها عوض عن ألف اسم . وفرق السين : اجعل أسنانها

منفصلا بعضها من بعض . ولا تعور الميم : لا تجعل دائرتها مطموسة . وحسن الله : أى كتابته

وصورة لفظه تعظيما لسماء . وجود الرحيم : حسن كتابته .

وهذا ، وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد [١٢٩] أن يرزقَ عِلْمَ هذا وَيُمنَعَ القراءة والكتابة .
وأما عِلْمُهُ صلى الله عليه وسلم بلغاتِ العرب ، وحِفْظُهُ معاني أشعارها ، فأمرٌ مشهورٌ ، قد نبّهنا على بعضه أول الكتاب .
وكذلك حفظه لكثير من لغاتِ الأمم ؛ كقوله في الحديث ^(١) : سَفَهٌ ، سَفَهٌ .
وهي حسنةٌ بالحبشية .

وقوله ^(٢) : ويكثر الهَرْجُ ، وهو القتل بها ^(٣) .
وقوله - في حديث أبي هريرة ^(٤) : أَشْكَنْتِ دَرْدُ ؛ أى وجعُ البطنِ بالفارسية .
إلى غير ذلك مما لا يعلم بعضُ هذا ولا يقوم به ولا يبعثه إلا مَنْ مارَس الدَّرْسَ والْعَكُوفَ على الكتبِ ومثاقفة أهلها عُمَرَهُ ^(٥) .
وهو رجلٌ كما قال ^(٦) الله تعالى - أُمِّيٌّ ، لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عُرِفَ بصُحْبَةٍ مِنْ هذه صِفَتِهِ ، ولا نشأَ بين قومٍ لمْ عِلْمٌ ولا قراءةٌ لشيءٍ من هذه الأمور ، ولا عُرِفَ

-
- (١) الحديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٨ - ٨
(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٨ - ١٧ ، وفيه : قالوا : وما المَرْجُ ؟
قال : القتل . القتل . وهو في الترمذى أيضا : ٤ - ٤٨٩
(٣) بها : أى بلغة الحبشة .
(٤) رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجه : ١١٤٤ ، وهو فيه : اشكت درد . وقال في شرحه :
بالفارسية : اشكم ، أى بطن . درد ؛ أى وجع . والثناء للخطاب ، والهمزة همزة وصل .
كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : ائتشتكى بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة جمع
بحار الأنوار صفحة ٧ : اشكتب درم ، وفي رواية بسكون الباء ، وفي ١ : اشكتب دردم -
بضم الدالين ، وفي ب : بفتح الدالين .

- (٥) المكوف على الكتب : ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها .
مثاقفة أهلها : مجالستهم وملازمتهم . وفي ب : مثاقبة . والمثاقبة : المباحثة .
(٦) في قوله تعالى : فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . . (سورة الأعراف ، آية ١٥٨) .

هو - قَبْلُ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ وَمَا كُنتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُهِ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ ^(٢) الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

إنما كانت غايةُ معارفِ العربِ النسبَ وأخبارَ أوائها ، والشعرَ ، والبيانَ ؛ وإنما حصل ذلكَ لم بعد التفرُّغِ لِعِلْمِ ذلكَ ، والاشتغالِ بِطَلْبِهِ ، ومباحثةِ أَهْلِهِ عَنْهُ . وهذا الفنُ ^(٣) نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولا سبيل إلى جحدِ الْمُلْحَدِ لشيءٍ مما ذكرناه ^(٤) ، ولا وجدَ الكفرةُ حيلةً في دَفْعِ مَا نَصَّصْنَاهُ ^(٥) إِلَّا قَوْلَهُمْ : أساطيرُ الأولينَ : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ^(٦) ﴾ .

فردَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بقوله ^(٧) : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ ، وهذا لسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(٨) .

ثم ما قالوه مكابرةِ العِيَانِ ^(٩) ؛ فَإِنَّ الَّذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِمَّا سَلْمَانَ ، أوالعبدِ الرُّومِيَّ ^(١٠) ؛ وسَلْمَانُ إِنَّمَا عَرَفَهُ بِعَسَدِ الْهَجْرَةِ ؛ ونزولِ الكثيرِ من القرآنِ ، وظهورِ ما لَا يَنْعَمُ مِنَ الْآيَاتِ .

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٨

(٢) ارتاب المبتلون : شكوا ، وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه .

(٣) الفن : النوع من العلم الذي كانت العرب تعرفه وتعتق به .

(٤) أي لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم إنكاره .

(٥) نصصناه : حكيناه وبيناه . (٦) أي هي أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب .

(٧) سورة النحل ، آية ١٠٣

(٨) الذي يلحدون إليه : لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن

تعليمه أو التعلم منه ؟ ومعنى يلحدون : يميلون عن الحق بمقاتلتهم هذه .

(٩) المكابرة : الإنكار من غير دليل . والعيان : المأينة والشاهدة .

(١٠) سلمان : هو سلمان الفارسي . والعبد الرومي : هو غلام حويطب بن عبد العزى ،

أسلم وكان ذا كتب .

وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، واختلف في اسمه .

وقيل : بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسُ عنده عند البروة^(٢) ، وكلاهما أعجميُّ اللسان ؛ وهم الفصحاء اللد^(٣) ، والخطباء اللسن^(٤) ، قد عجزوا عن مُعارضة ما أتى به^(٥) ، والإتيانِ بمثله ؛ بل عن فَهْم رَصْفِهِ ، وصُورَةِ تَأْلِيْفِهِ ونَظْمِهِ ؛ فكيف بأعجميٍّ أنْ كُنْ^(٦) !

نعم ، وقد كان سَلْمَانُ ، أو بَلْعَامُ الروميُّ^(٧) ، أو يَعِيشُ ، أو جَبَرُ ، أو يَسَارُ - على اختلافهم في اسمه - بين أظهرهم^(٨) يكلمونه مَدَى أعمارهم ؛ فهل حُكِيَ عن واحدٍ منهم شيءٌ مِنْ مِثْلِ ما كان يَحْيى به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عُرِفَ واحدٌ منهم بمعرفة شيءٍ من ذلك ؟ وما منع العدوَّ حينئذٍ على كَثْرَةِ عَدَدِهِ ، ودُؤُوبِ^(٩) طلبه ، وقُوَّةِ حَسَدِهِ - أنْ يجلسَ إلى هذا فيأخذ عليه أيضا ما يُمارِضُ به ويقهْلُمُ منه ما يحتاجُ به على شَغْبِهِ^(١٠) ؛ كِفِيعَلِ النَّضْرِ بنِ الحَارِثِ بما كان يُمَخْرِقُ^(١١) به من أخبار كُتِبَتْه .

-
- (١) أى ويتعلم منه . (٢) أى مع الناس فكيف قالوا إنه تعلم منه وهو لم يجلس به ؟
 (٣) اللد : جمع لد ؛ وهو الشديد الحُصومة .
 (٤) اللسن : جمع لسن ؛ وهو الفصيح اللسان ، الطلق البيان .
 (٥) معارضة ما أتى به : مقابلاته بكلام يحكيه .
 (٦) السكن : من اللسنة ؛ وهى المعجزة فى اللسان ، والذى فى النطق والبيان .
 (٧) اسم النمام الأعجمى . وقد سبق أنه مختلف فى اسمه ، فهذه هى الأسماء التى قيل إنه يسمى بها .
 (٨) بين أظهرهم : مقبلا بينهم يعرفونه .
 (٩) دؤوب طلبه : من الدأب وهو الجد والتعب .
 (١٠) شغبه : عناده فى خصومته . وفى ١ : على شيعته .
 (١١) يَمْخْرِقُ : يكذب . والمخرقة : افتعال الكذب يتلهى به . وقال القارى (١-٧٣٢):
 هى كلمة مولدة ، كما ذكره الجوهري ؛ أى يزخرف .

ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قَوْمِهِ ، ولا كثُرَت اختلافاته^(١) إلى بلادِ
أهل الكتاب ؛ فيقال : إنه استمد منهم ؛ بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغيره
وشبابه ، على عادةِ آبائهم ؛ ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرةٍ أو سفرتين^(٢) ،
لم يطل فيهما مكنه مدةً يُحتمل فيها تعليمُ القليل ، فكيف الكثير !
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه^(٣) عَشيرته ، لم يغيب عنهم ،
ولا خالف^(٤) حاله [١٣٠] مدةً مُتّامة بمكة من تعليم واختلاف^(٥) إلى حبرٍ أو قس^(٦) ،
أو منجمٍّ أو كاهن .

بل لو كان^(٧) هذا بمدُّ كلِّه لكان مَجِيء ما أتى به في مُعْجِز القرآنِ قاطعاً لكل
عُدْر ، ومُدْحِضاً لكل حجةٍ ، ومُجْلِياً^(٨) لكل أمر .

(١) اختلافاته : رواحه ومجيئه مرارا عديدة .

(٢) سافر مرة إلى بلاد الشام مع عمه أبي طالب ، وردّه من الطريق بإشارة بحير الراهب .
ثم سافر مرة أخرى في تجارة لأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد
عن أهل بلده أبدا سفرا وإقامة .

(٣) رفاقة : مرافقة .

(٤) ولا خالف حاله : أى حاله التى نشأ عليها وعرف بها .

(٥) واختلاف : أى مجيء وذهاب .

(٦) الحبر : العالم من علماء اليهود . والمنجم : العالم بالانجوز وأحكامها . والقس : رئيس
علماء النصارى . والكاهن من العرب : من يخبر عن اللغيبات بواسطة جن ونحوه .

فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس .

(٧) لو كان هذا : أى لو فرض خلاف ما ذكر من حاله بأن فرضنا أمصارا كثيرة له

ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للتسبين والأخبار . . .

(٨) مدحضا : مزيلا ومبطلا . ومجليا : موضعا وكاشفا .

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وكراماته ، وباهر آياته أنباؤه^(١) مع الملائكة والجن ، وإمداد^(٢) الله له بالملائكة ، وطاعة^(٣) الجن له ، ورؤية كثير من أصحابهم لهم ؛ قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَمُوتُوا ۝ ﴾ .

وقال^(٦) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنْى مُسِئْتُمْ بِالْفِرِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ .

وقال^(٧) : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ ﴾ .

(١) أنباؤه : جمع نبأ ، وهو الخبر .

(٢) إمداد الله : إرسال الله للملائكة مددا له صلى الله عليه وسلم ، وإيادته .

(٣) طاعة الجن له : بانقيادهم وإسلامهم .

(٤) سورة التحريم ، آية ٤ . وإن تظاهرا : تعاونا . هو موله : ناصره .

(٥) سورة الأنفال ، آية ١٢ ، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم

بالنصر وظهورهم على أعدائهم ، وهذا كان يدر .

(٦) سورة الأنفال ، آية ٩ ، ١٠ .

تستغيثون ربكم : تطالبون غوثه وإيادته . فاستجاب لكم : أجاب دعاءكم وأججز وعده

لكم . مردفين : متتابعين .

(٧) سورة الأحقاف ، آية ٢٩ .

صرفنا إليك : أملناهم وأوصلناهم إليك . والنفر : مادون العشرة . وهؤلاء جن نصيبين ،

وهذا كان يظن نخلة في منزله صلى الله عليه وسلم من الطائف .

حدثنا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِ الْفَقِيهَ بِسَمَاعِي عَلَيْهِ، حدثنا أَبُو الْيَاسِ السَّمُرْقَنْدِيُّ؛ قَالَ :
 حدثنا عَبْدُ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ ، حدثنا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ ، حدثنا ابْنُ سَفْيَانَ ، حدثنا
 مُسْلِمٌ ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاذٍ ، حدثنا أَبِي ، حدثنا شُعْبَةُ ، عَنْ سَلِمَانَ الشَّيْبَانِيِّ ،
 سَمِعَ زَيْدَ بْنَ حُبَيْشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى - قَالَ ^(١) :
 رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ ، لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ .

وَالْخَبَرُ فِي مُحَادَثَتِهِ مَعَ جَبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَمَا شَاهَدَهُ مِنْ
 كَثْرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُورِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مَشْهُورٌ .

وَقَدْ رَأَاهُ بِحَضْرَتِهِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ ؛ [فَرَأَى أَصْحَابُهُ
 جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ] ^(٣) .

وَرَأَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرُهُمَا عِنْدَهُ جَبْرِيلَ فِي صُورَةِ دُخْيَةٍ ^(٤) .

وَرَأَى سَعْدُ ^(٥) عَنْ يَمِينِهِ وَبِسَارِهِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا

ثِيَابٌ بَيْضٌ .

وَمِثْلُهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ .

وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ زَجَرَ ^(٦) الْمَلَائِكَةِ خَيْلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ .

وَبَعْضُهُمْ رَأَى تَطَايُرَ الرُّؤُوسِ ^(٧) مِنَ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَرَوْنَ الضَّارِبَ .

(١) قَالَ : أَيْ مَسْعُودٌ . وَالْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ : ٦ - ١٧٦

(٢) بِحَضْرَتِهِ : فِي مَجْلِسِهِ .

(٣) مَا بَيْنَ التَّوَسِينِ أَمَامَهُ فِي ١ : مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .

(٤) هُوَ دُخْيَةٌ بِنُ خَافِئَةِ السَّكْبِيِّ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ الْمَشْهُورُ .

(٥) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ١٢٤

(٦) زَجَرَ الْمَلَائِكَةِ : حَسَهَا خَيْلَهَا عَلَى الْجَرَى بِصَوْتِ .

(٧) تَطَايُرَ الرُّؤُوسِ : سُرْعَةَ وَقُوعِهَا بِخُفَّةٍ كَطَايُرِ طَارٍ عَنْ مَقَرِّهِ . وَهَذَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ^(١) رجلاً بيضا على خيلٍ باقٍ^(٢) بين السماء والأرض ، ما يقوم لها^(٣) شيء .

وقد كانت للملائكة تصافحُ عمران بن الحصين .

وأرى^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم لحزة جبريل في الكعبة ، نغر مفشياً عليه .

ورأى^(٥) عبدُ الله بن مسعود الجن ليلة الجن ، وسمع كلامهم ، وشبههم برجال الزُّط^(٦) .

وذكر ابنُ سعيد^(٧) أن مُضْعَب بن عُمر لما قُتل يوم أحد أخذ الراية ملكاً على صورته ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : تَقَدَّمَ يَا مُضْعَب ؛ فقال له الملك : لستُ بِمُضْعَب ، فعلم أنه ملك .

وقد ذكر غيرُ^(٨) واحدٍ من المصنفين عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه - أنه قال : بينما نحن جلوسٌ مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخٌ بيده عصا ، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فردَّ عليه ، وقال^(٩) - صلى الله عليه وسلم : أَنْعَمُ الْجِنُّ^(١٠) !

(١) يومئذ : يوم بدر .

(٢) خيل بلق : فيها بياض ولون آخر . أو فيها سواد وبياض .

(٣) ما يقوم لها شيء : أى لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قل أو أكثر لما رآه من بطشها وسرعتها .

(٤) في حديث رواه البيهقي عن عمار بن ياسر .

(٥) في حديث رواه البيهقي .

(٦) الزُّط : قوم من السودان طوال . وقيل : إنهم جيل بالهند .

(٧) الطبقات : ٢ - ٢٩

(٨) كاليهقي ، وابن ماكولا في إكاله .

(٩) في ب : فقال .

(١٠) نعمة الجن : أى هذه نعمة الجن . أو نعمتك نعمة الجن وصوتهم .

مَنْ أَنْتَ؟ قال : أنا هامةُ بنِ الهيمِ بنِ لاقِسِ بنِ إبليس ؛ فذكر أنه لَقِيَ نوحاً وَمَنْ بَعْدَهُ في حديث طويل^(١) ؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ سُوراً مِنَ الْقُرْآنِ^(٢) .

وذكر^(٣) الواقدي قَتَلَ خَالِدٍ عِنْدَ هَذَمَةَ الْعُرَيَّ لِلْسُودَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا عُرْيَانَةً ، فَجَزَلَهَا^(٤) بِسَيْفِهِ ، وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ لَهُ : تِلْكَ الْعُرَيَّ .

وقال^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شَيْطَانَنَا [١٣١] تَفَلَّتَ^(٦) الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَى صَلَاتِي ؛ فَأَمْسَكَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ^(٧) مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلَّكُمْ ؛ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ^(٨) : ﴿ رَبِّ

(١) في شرح القاري (١ - ٧٣٧) : قال بعضهم إنه موضوع .

(٢) والحديث عن صمر .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٨٧) : واعلم أنهم اختلفوا في هذا الحديث ؛ فقال ابن الجوزي : إنه حديث موضوع لا أصل له . وخالفه فيه غيره ، وقال : إن تعدد أطرافه تدل على صحته . وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته أكثرها مردودة . وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي ، وابن عساكر وغيرهما .

(٣) وهذا حديث صحيح رواه البيهقي ، والنسائي وغيرهما ، وهو مذكور في أكثر التفاسير . والخبر في « المفازي » للواقدي : ٨٧٢ ، والبداية والنهاية : ٤ - ٣١٦ ، والطبقات : ٢ - ١٠٥ (٤) جزلها : جعلها جزلين ؛ أي قطعتين .

(٥) في حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة : صحيح البخاري : ٦ - ١٥٦

(٦) تفلت : وثب بسرعة بفتة . (٧) سارية : عمود ، أو أسطوانة من عمد المسجد .

(٨) سورة ص ، آية ٣٥ . لا ينبغي لأحد من بعدى : لا يتيسر لأحد غيري .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٨٨) : وليس هذا حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا ، وإنما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة ، دالة على نبوته ، مقدوة له على تنفيذ أوامر ربه وإظهار دينه .

اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، إنك أنت الوهاب ﴿١﴾ . فردّه الله خاسئا ^(١) .

وهذا باب واسع .

فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت ^(٢) به الأخبار عن الرهبان والأخبار ^(٣) وعلماء أهل الكتاب ، من صفته وصفة أمته ، واسمه وعلاماته ^(٤) ، وذِكْر الخاتم ^(٥) الذي بين كتفيه ، وما وجد من ذلك في أَسْماء الموحدين المتقدمين ؛ من شِعْر تَبَع ^(٦) ، والأوس بن حارثة ، وكعب بن لؤي ، وسفيان بن مجاشع ، وقس ابن ساعدة .

(١) فرد الله ذلك الشيطان بإفداری عليه ، وتكفى منه خاسئا : خائبا حقيرا مطرودا . وفي صحيح البخاري : قال روح : فردّه الله خاسئا .

(٢) ترادفت : تتابعت ، فجاء بعضها يتبع بعضه بعضا من غير انفصال .

(٣) الأخبار : جمع خبر : وهو العالم من أهل الكتاب ، واشتهر في علماء اليهود .

(٤) في التوراة - عن كعب : محمد رسول الله ، عبدی المختار . . . وأمته الحمادون . وفي

الزبور - عن وهب بن منبه : سيأتي من بعدك نبی يسمى أحمد أو محمدا ، أمته مرحومة ، أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء ، إلى غير ذلك مما نقله الثقات ؛ كدوله في علامته في الإنجيل : صاحب المدرعة والمهامة والمراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين . إلى آخر ما ذكره من حليته فيه .

(٥) الخاتم : يعني خاتم النبوة .

(٦) تبع : اسم ملك اليمن . ومن الشعر :

شهدت على أحمد إنه	نبی من الله باری النسم
فلو مد عمری إلى عمره	لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور	وأمته هي خير الأمم

وماذ كِر عن سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ^(١) وغيرهم ، وعَرَفَ به من أَمْرِهِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو
ابنُ نَفِيلٍ ، وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، وَعَشْكَلَانُ^(٢) الْحَمِيرِيُّ ، وَعُلَمَاءُ يَهُودَ ، وَشَامُولُ
عَامِئِهِمْ صَاحِبُ تَبَعٍ - مِنْ صِفَتِهِ وَخَبَرِهِ .

وما أَلْفِي^(٣) مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَيَبْنُوهُ ، وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا
ثِقَاةٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ؛ مِثْلُ ابْنِ سَلَامٍ ، وَابْنِ سَعْيَةَ ؛ وَابْنُ^(٤) يَامِينَ ؛ وَنَحْوِ يَزِيدِ بْنِ
وَكْعَبٍ ، وَأَشْبَاهِهِمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودَ ، وَنَحْوِ يَزِيدِ بْنِ الْحَبَشَةِ^(٥) ، وَصَاحِبِ
بُصْرَى^(٦) ، وَضَفَاطِرِ^(٧) ، وَأُسْقَفِ الشَّامِ ، وَالْجَارُودِ ، وَسَلْمَانَ ، وَالنَّجَّاشِيَّ ، وَنَصَارَى
الْحَبَشَةِ ، وَأَسَاقِفِ^(٨) بَجْرَانَ ، وَغَيْرِهِمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى .

وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ^(٩) هِرَقْلُ ، وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمُ النَّصَارَى ، وَرَثِيْسَامُ ،
وَمُتَوَقِسُ^(١٠) صَاحِبُ مِصْرَ ، وَالشَّيْخُ^(١١) صَاحِبُهُ ، وَابْنُ صُورِيَا^(١٢) ، وَابْنُ أَخْطَبِ ،

(١) سيف بن ذي يزن : من ملوك حمير .

(٢) قصة عسكلان رواها ابن عساكر . وانظر نسيم الرياض : ٣ - ٢٩٦ إن شئت تجدوها .

(٣) ما ألفت : ما وجد .

(٤) من بني النضير . وفي شرح القاري (١ - ٧٤٤) : وبنيامين .

(٥) نسطور - بالسين والصاد .

(٦) بصرى : بلدة بالشام ؛ وهي بين المدينة والشام ؛ وقيل إنها حوران . وصاحب

بصرى : ملكها الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه .

(٧) ضفاطر : أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية لما أرسله رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى هرقل . (٨) أساقف : جمع أسقف ؛ أي علمائهم ورؤسائهم .

(٩) بذلك : بيمته ، وأنه بشر به في السكتب القديمة . هرقل : ملك الروم .

(١٠) صاحب مصر : ملكها .

(١١) صاحبه : أي صاحب المقوقس . قال القاري (١ - ٧٤٥) : وهذا لا يعرف اسمه .

(١٢) يهودى لم يكن في زمانه أعلم منه بالتوراة . وفي ١ : صورياء - ممدودة . والثبت في

ب . وهو يمد ويقصر .

وأخوه ، وكعب بن أسد ، والزبير بن باطياً ، وغيرهم من علماء اليهود ، ممن حمّله الحسدُ والنفاسة^(١) على البقاء على الشقاء^(٢) .

والأخبارُ في هذا كثيرة لا تنحصر .

وقد قرّع^(٣) أسماعَ اليهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه ، واحتجّ عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحتهم ، وذمّمهم بتحريف ذلك وكتمانه ، وليّهم^(٤) ألسنتهم ببيان أمره ، ودعوتهم إلى المباهلة^(٥) على الكاذب ؛ فامنهم إلا من نفر^(٦) عن معارضته ، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره .

ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهونَ عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار^(٧) ونبذ القتال^(٨) ، وقد قال لهم^(٩) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(١) النفاسة : المنافسة .

(٢) أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادا .

(٣) القرع : الضرب والصدم بما يسمع له صوت . ويكون بمعنى التوبيخ والتمهير .

(٤) ليهم ألسنتهم : صرفها إلى غيرها حسدا وبغيا ، فتركوا بيانه وعدلوا عنه إلى غيره .

ويقال : لوى لسانه بكذا : أى كذب .

(٥) المباهلة : للملاعة ؛ بأن يقول كل منهما : لعنة الله على الظالم والكاذب منا .

(٦) نفر : أعرض وهرب . وفي ب : فر .

(٧) وتخريب الدار : كما وقع لليهود خير وبني النضير .

(٨) نبذ القتال : تركه .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، وقد قال لهم ذلك لما قرّع أسماهم بقوله تعالى : « فبظلم

من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ؛ وقوله تعالى : « وعلى الذين هادوا حرمنا

كل ذى ظفر » ؛ فقالوا : لسا بأول من حرمت عليه ، فقد حرم على إبراهيم ومن معه حتى

انتهى الأمر إلينا ، فقال لهم : قل فأتوا بالتوراة . . . ليظهر أنها لم تحرم إلا عليهم لظلمهم

وبغيتهم .

إلى ما أُنذَر به السكّهان؛ مثلُ شافع بن كُليب^(١)، وشِقّ، وسَطِيح^(٢)، وسَوَاد
ابن قَارِب، وخُنَافِر، وأَفْعَى نَجْرَان^(٣)، وجِذْل بن جِذْل الكِنْدِي^(٤)، وابن خَلَصَة
الدَّوْسِي، وسُعْدَى بنت كُرَيْز، وفاطمة بنت النعمان، وَمَنْ لَا يَنْتَعِدُ كَثْرَةً .
إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوّته، وحُلُولِ وقتِ رسالته؛ ومُسمِع مِنْ
هَوَاتِفِ^(٥) الجان، ومن ذبائح النُصْب^(٦)، وأجوافِ الصُّور^(٧)؛ وما وُجد من اسمِ
النبيِّ صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبورِ بالخطِّ
القديم ما أَكثَرُهُ مشهورٌ؛ وإسلامُ مَنْ أَسْلَمَ بسبب ذلك معلوم مذكور .

فصل

وَمِنْ ذَلِكَ ما ظهر من الآيات [١٣٢] عند مَوَلَدِهِ، وما حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ
حضره من المعجائب، وكونه رافعا رأسه عند ما وضَعَتْه شاخصاً ببصره إلى
السما^(٨)؛ وما رَأَتْهُ من النور الذي خرج معه عند ولادته^(٩)، وما رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّهُ

(١) شافع بن كليب : كاهن من كهان العرب ، أخبر تبعا بنجر النبي صلى الله عليه وسلم ،
وبمهاجرته إلى المدينة . (٢) شق وسطيح : وسواد بن قارب ، من كهان العرب .
(٣) أفعى نجران : ملك من ملوك نجران . (٤) جذل : ضبطت الجيم في ا بالفتحة .
(٥) الهواتف : جمع هاتف ، من الهتف ؛ وهو الصوت العالي مطلقا ، ثم خص بصوت
يسمع بمن لا يرى شخصه ؛ ولذا خص بالجن عند العرب .

(٦) ومن ذبائح النصب : ماسم منها إذا قربت للذبح . والذبائح : جمع ذبيحة ؛ وهي
ما يذبح من بقر ونحوه . والنصب : جمع نصب ؛ وهو ما ينصب من الحجارة والأصنام للعبادة .
وذلك مثل ماسم عمر رضى الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم ؛ فقال : يا آل
ذريح . أمر نجيح . رجل فصيح . يقول : لا إله إلا الله . . .

(٧) وأجواف الصور : أى ماسم من الأصنام التى كانوا يصورونها والمراد أجواف التماثيل .
(٨) شاخصا يبصره إلى السماء : هذا إشارة إلى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى
(٩) رواه أحمد ، والبيهقى . وتوجهه لذلك من أول أمره .

عثمان بن أبي العاص من تدلَّى النجوم^(١)، وظهور النور عند ولادته، حتى ما تنظر إلا النور^(٢).

وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف : لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل^(٣) سمعت قائلا يقول : رحلك الله ؛ وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم^(٤).

وما تعرفت به حليمة وزوجها ظفرا^(٥) من بركته ، ودُرُور لبنها له ، ولبن شاربها^(٦) وخضب غنمها^(٧) ، وسُرعة شبابه^(٨) ، وحسن نشأته ؛ وما جرى من المعائب ليلة مولده ؛ من ارتجاج إيوان كسرى ، وسقوط شرفاته^(٩) ، وغيبض بحيرة طبرية^(١٠) ، وخود نار فارس ، وكان لها^(١١) ألف عام لم تحمد .

(١) روى عنها أنها شهدت مولده ، ورأت ماراته .

(٢) أى لا ترى شيئا غير النور ورواه أيضا البيهقي والطبراني ، ودلائل النبوة لأبي نعيم : ١٦٨

(٣) لما سقط على يدي : لما وضعته أمه فترل على يديها . واستهل : رفع صوته بأن عطس .

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل : ١٦٩ ، وفيه : حتى نظرت إلى بعض قصور الشام ،

وكذلك في طبقات ابن سعد : ١ - ٩٦

(٥) الظئر : المرضعة . وقد يطلق على أبي الرضاة أيضا كما هنا .

(٦) أشارف : الناقة المسنة . وانظر في ذلك دلائل النبوة لأبي نعيم : ١ - ١٩٨

(٧) كناية عن سمنها وكثرة لبنها . (٨) سرعة شبابه : سرعة نمو خلقه ونمو قامته .

(٩) شرفات : جمع شرفة : أعاليه . أو هي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض :

دلائل النبوة لأبي نعيم : ١٧٤

(١٠) غيبض : مصدر غاض : إذا قل وذهب . وطبرية : بالشام معروفة من الأرض المقدسة :

دلائل النبوة : ١٧٤

وفي نسيم الرياض (٣ - ٣١٤) : قال البرهان : المعروف بالفيض بحيرة ساوة . ثم قال :

أقول ما قاله غير صحيح ، والمعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وسأوة : بلدة أخرى بينها وبين الرى اثنتان وعشرون فرسخا . والجواب الحق أن للراد بحيرة طبرية . وقد روى الحديث البيهقي ، وابن أبي الدنيا ، وابن السكن ، كما نقله السيوطي وغيره . وكذلك رواه أبو نعيم في الدلائل (١٧٤) وفيه : بحيرة ساوة . (١١) وكان لها : لتلك النار : دلائل أبي نعيم : ١٧٤

وأنه كان^(١) إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شَبِعُوا وَرَوُوا ؛ فإذا غاب فأكلوا في غَيْبَتِهِ لم يَشْبَعُوا .

وكان سائرُ وَلَدِ أَبِي طالب يُصْبِحُونَ شُعْمًا^(٢) وَيُضْبِحُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَقِيلًا دَهِينًا كَحِيلًا^(٣) .

[قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَتُهُ^(٤) : مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا جُوعًا قَطُّ وَلَا عَطْشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا]^(٥) .

ومن ذلك حراسة السماء بالشَّهْبِ^(٦) ، وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ^(٧) ، وَمَنْعُهُمْ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ^(٨) .

وما نشأ عليه مِنْ بُغْضٍ^(٩) الأصنام ، والعَفَّةِ عَنْ أُمُورِ الجاهلية ؛ وما خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَحَمَاهُ حَتَّى فِي سِتْرِهِ^(١٠) فِي الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ بِنَاءِ السَّكْمَةِ ؛ إِذَا أَخَذَ

(١) رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس : طبقات ابن سعد : ١ - ١١١

(٢) شعما : جمع أشعث ، وهو اللعبر المتغير لونه .

(٣) صقيلا : رائق اللون غير متغير البشرة . دهيना : أى كَانَ وجهه دهن بما جعل وجهه يبرق . كحيلًا : مكحل العين . وهذا كله من غير صنع أحد .

(٤) حاضنته : هى التى كانت تربيته طفلا ، واسمها بركة .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) الشهب : شعل النار الرئية فى نجوم السماء . جمع شهاب .

(٧) رصد الشياطين : ترصدهم وترقبهم لسباع ماتهقوله اللاتكة فتحفظه وتلقيه للكهنه .

(٨) استراق السمع : أن يَخْتَفِي أَحَدٌ لِيَسْمَعَ كَلَامَ مَنْ لَمْ يَرِدْ سَمَاعُهُ ، فَكَأَنَّهُ يَسْرِقُ السَّكَّامَ

الذى سمعه .

(٩) بغض : كره .

(١٠) فى ستره : أى ستر بدنه حتى لا يرى أحد منه صلى الله عليه وسلم مالا ينبغى رؤيته

كالمورة ؛ فكان لا يتعري عند أحد .

إِزَارَهُ^(١) لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ^(٢)، لِيَحْمَلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ وَتَعَرَّى؛ فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ عَمَّهُ: مَا بِكَ^(٣)؟ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ نَهَيْتُ عَنْ التَّعَرَّى.

وَمِنْ ذَلِكَ إِغْلَالُ اللَّهِ لَهُ بِالْعَمَامِ فِي سَفَرِهِ^(٤).

وَفِي^(٥) رَوَايَةٍ أَنَّ خَدِيجَةَ وَنِسَاءَ هَارِأُيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ^(٦)، وَمَلَكًا كَانَ يُظِلُّانَهُ؛ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَمَيْسَرَةَ؛ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مِنْذُ خَرَجَ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ.

[وَقَدْ رُوِيَ^(٧) أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ، وَهُوَ عِنْدَهَا.

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ^(٨).

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ، فَاعْشَوْشَبَ^(٩) مَا حَوْلَهَا وَأُيْنَعَتْ^(١٠) هِيَ فَأَشْرَقَتْ^(١١) وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصَانُهَا بِحَضَرِ مَنْ رَأَاهُ^(١٢).

(١) إزاره: ملحفته التي كان مؤتزرا بها. والحديث في صحيح البخاري: ٥ - ٥١.

(٢) عاتقه: ما بين اللسك والعنق الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه.

(٣) ما بالك: ما شأنك؟ وما حالك الذي عرض لك حتى سقطت؟ وهذا الخبر في

الطبقات: ١ - ٩٣.

(٤) كما رآه بجيرا لما سافر إلى الشام مع عمه، ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه

إلى الشام. (٥) لابن سعد: في الطبقات: ١ - ٨٣.

(٦) لما قدم من سفره إلى الشام في تجارة لها.

(٧) للذي رواه الواقدي، وابن سعد، وابن عساكر في تاريخه.

(٨) في هامش ١: من غير الرواية.

(٩) يابسة: ليست مخضرة، وليس لها ورق. اعشوشب: ظهر به عشب لم يكن قبله.

(١٠) أينعت: ظهرت خضرة ورقها وزهرها؛ أو ثمرها.

(١١) فأشرقَتْ: نمت وعلت أغصانها.

(١٢) في شرح القاري (١ - ٧٥٣): قال الدلجي: لم أدر من رواه.

وَمِثْلَ قِيٍّ^(١) الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ فِي الْخَبَرِ الْآخِرِ حَتَّى أُظْلِمَتْهُ .
 وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نُورًا .
 وَأَنَّ الدُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ^(٢) .
 وَمِنْ ذَلِكَ تَخْيِيبُ الْخَلْوَةِ^(٣) إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ إِعْلَامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُو^(٤)
 أَجَلِهِ ، وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي بَيْتِهِ ، وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَمَنْبَرِهِ^(٥) رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ
 الْجَنَّةِ^(٦) ؛ وَتَخْيِيرُ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ^(٧) ؛ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ؛
 وَتَشْرِيفُهُ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا^(٨) .
 وَاسْتِثْنَاءُ مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ . وَنَدَاؤُهُ^(٩) الَّذِي
 سَمِعُوهُ إِلَّا يَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ .
 وَمَا رُويَ مِنْ تَمْغِيزَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ^(١٠) أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ .
 إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ ، كَاسْتِثْنَاءِ
 عُمَرُ بَعْمَهُ^(١١) ، وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ [١٣٣] .

(١) النِّيءُ : الظِّلُّ .

(٢) فِي شَرْحِ الْقَارِي (١ - ٧٩٣) : قَالَ الدَّجَلِيُّ : لَا عِلْمَ لِي بِمَنْ رَوَاهُ . وَفِي شَرْحِ
 الْخَفَاجِيِّ : وَهَذَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْوَفَاةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٣) الْخَلْوَةُ : الْوَحْدَةُ وَالْإِنْفِرَادُ عَنِ النَّاسِ لِلْعِبَادَةِ .

(٤) دَنُو : قَرَبَ . وَهَذَا مِمَّا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٥) فِي ١ : وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مَنْبَرِهِ ... (٦) كَمَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ .

(٧) أَيْ لِمَا قَرَبَ مَوْتَهُ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّحِيلِ لِلْآخِرَةِ . وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ

فِي دَلَالَتِهِ .

(٨) فِي بَعْضِهَا : فِي بَعْضِ طَرُقِ حَدِيثِ الْوَفَاةِ .

(٩) وَنَدَاؤُهُ : نَدَاءُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ . (١٠) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالَتِهِ .

(١١) بَعْمَهُ : أَيْ الْعِبَاسَ ؛ أَيْ تَقْدِيمَهُ فِي دَعَاءِ الْاسْتِسْقَاءِ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (صَحِيحٌ

الْبُخَارِيُّ : ٢ - ٣٣) .

فصل

قال التماضي أبو الفضل^(١): قد أتينا في هذا الباب على نُكْتٍ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ واضحة ، وَجَلٍ^(٢) من علامات نبوته مُقْنَعَةٍ ، في واحد منها الكفاية والغنية^(٣) ، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا ، واقصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص^(٤) المقصد ، ومن كثير الأحاديث وغربها على ماصح واشتهر بالإسیرا من غريبه^(٥) بما ذكره مشاهير الأئمة ، وحذفنا الإسناد في جمهورها^(٦) ، طلبا للاختصار .

وبحسب هذا الباب لو تُقْصَى^(٧) أن يكون ديوانا جامعا^(٨) يشتمل على مجلدات عدة .

ومعجزات نبيِّنا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين : أحدها — كثرتها ، وأنه لم يُؤْتِ نبيٌّ معجزةً إلا وعند نبينا مثلها ، أو ما هو أبلغ^(٩) منها .

وقد نبّه الناس على ذلك ؛ فإن أردتَه فأمْلِ فصولَ هذا الباب ، ومعجزاتِ مَنْ تقدّم من الأنبياء — تَفِ على ذلك إن شاء الله تعالى .

(١) هو المصنف . وفي ب : قال المؤلف أبو الفضل رحمه الله .

(٢) النكت : جمع نكتة ، وهى الأمر الدقيق الذى يحصل بفكر يقارنه . وجل : جمع جملة ، وهى الأمر المجمل .

(٣) الفنية : الاستفناء ، والاكتفاء عن غيره ؛ لأنه يدل دلالة قوية .

(٤) فص المقصد : الفص : الأصل ، والمقصد : الأمر المقصود والمراد زبدة المقصود .

(٥) وغريبها : مما انفرد رواها بها . من غريبه : أى ما يمد مستغربا غير معروف ،

أو غير مشهور . (٦) جمهورها : فى معظم الأحاديث وأكثرها .

(٧) تقصى : استوفى ، واستقصى . (٨) ديوانا جامعا : كتابا مستقلا مدونا .

(٩) أبلغ منها : أعظم وأقوى .

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن ، وكلُّهُ مُعْجَزٌ ؛ وأقلُّ ما يقعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحققين سورة : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ؛ أو آية ^(١) في قدرها . وذهب بعضهم إلى أن كلَّ آية منه كيف ^(٢) كانت معجزةً . وزاد آخرون أن كلَّ جملةٍ مُنْتَظِمةٍ ^(٣) منه معجزةٌ ، وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

والحقُّ ما ذكرناه أولاً ^(٤) ؛ لقوله تعالى ^(٥) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ؛ فهو أقلُّ ما تحدَّاهُم به ، مع ما ينصُرُ ^(٦) هذا من نظر ^(٧) وتحقيقٍ يطولُ بسطُهُ . وإذا كان ^(٨) هذا في القرآن من الكلمات نحو من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمةٍ ونيفٍ ^(٩) على عددٍ بعضهم ، وعددُ كلماتٍ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » - عَشْرُ كلماتٍ ، فتجزؤ ^(١٠) القرآن على نسبة عددٍ « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » أزيدُ من سبعة آلاف جزء ، كلُّ واحدٍ منها مُعْجَزٌ في نفسه . ثم إعجازه - كما تقدّم - بوجهين : طريقٍ بلاغته ، وطريقٍ نظمه ^(١١) ؛ فصار

-
- (١) آية في قدرها : أى مساوية لها في الحروف والكلمات .
 - (٢) كيف كانت : طويلة بمقدار سورة أم لا . (٣) كل جملة منتظمة : مفيدة تامة .
 - (٤) ما ذكرناه أولاً : من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها .
 - (٥) سورة يونس ، آية ٣٨ . والضمير في « مثله » للقرآن .
 - (٦) ينصر هذا : يقويه ويؤيده . (٧) من نظر : أى من فكر وتدبر .
 - (٨) وإذا كان هذا : وإذا ثبت أن ما تحداهم به هو هذا المقدار الأقل .
 - (٩) ونيف : وزيادة . (١٠) هذا في ١ ، ب .
 - (١١) طريق بلاغته : أى مافيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال . وطريق نظمه : أى أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظاماً وسجعاً ونثراً ، وتناسب كلامانه وجملة ، وإيتاء كل كلمة منه ما يستحقه ، وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره ، كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة ؛ فقارنه لا يملّه وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ، ونظر فيه بنور الإيمان .

في كلِّ جزءٍ من هذا العدد مُعْجَزَتَان ، فتضاعفَ العددُ من هذا الوجهِ .
ثم فيه وجوهٌ إعجازٍ آخر من الإخبارِ بعلوم الغيب ؛ فقد يكونُ في السورة الواحدة من هذه ^(١) التجزئة الخَبَرُ عن أشياء من الغيب ، كلُّ خَبَرٍ منها بنفسه معجزٌ ؛ فتضاعفَ العددُ كَرَّةً أخرى .

ثم وجوهُ الإعجازِ الآخر التي ذكرناها ^(٢) توجبُ التضعيفَ ، هذا في حقِّ القرآنِ ، فلا يكادُ يأخذُ العددُ ^(٣) معجزاته ، ولا يحوي الحَصْرُ بَرَاهِينَهُ .
ثم الأحاديثُ الواردةُ ، والأخبارُ الصادرةُ عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبوابِ ^(٤) وعما دلَّ على أمره ^(٥) مما أشرنا إلى إيجاله يبلغُ نحواً من هذا .

الوجهُ الثاني - وضوحُ معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ فإنَّ معجزاتِ الرُّسُلِ كانت بتدريجهم أهلَ زمانهم ، وبحسبِ الفنِّ الذي سما فيه قرَّنه ^(٦) .
فلما كان زمنَ موسى غايةُ عِلْمِ أهله السَّحَرُ بُعثَ إليهم موسى بمعجزة تُشبه ما يدَّعون قُدْرَتَهُم عليه ، فجاءهم منها ما خرق عاداتهم ، ولم يكن في قُدْرَتِهِمْ [١٣٤] ، وأبطل سِحْرَهُمْ .

وكذلك زمنُ عيسى أغنى ^(٧) ما كان الطبُّ ، وأوفر ما كان أهله ^(٨) ؛ فجاءهم

- (١) من هذه التجزئة : أى الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهة الإعجاز .
- (٢) التي ذكرناها : وهى ذكر للنبيات . (٣) فى ١ : العدد .
- (٤) فى هذه الأبواب : أى أبواب إعجاز القرآن والتحدى به ، وأبواب معجزاته عليه السلام .
- (٥) على أمره : على نبوته وعلو شأنه .
- (٦) وبحسبِ الفنِّ : بمقدار النوع . سما : اشتهر . قرنه : عصره . والمراد به أهله .
- (٧) أغنى ما كان الطبُّ : أى أوفر وأعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علم الطب .
- (٨) وأوفر ما كان : أى أكثر ما كان فى زمانهم .

أمر لا يقدرُونَ عليه ، وأتاهم ما لم يحسبوه^(١) من إحياء الميت ، وإبراء الأكمه^(٢) والأبرص دون معالجة ولا طب .
وهكذا سائرُ معجزاتِ الأنبياء .

ثم إن الله تعالى بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجملةُ معارفِ العربِ وعلومها أربعة : البلاغة ، والشعر ، والخبر^(٣) ، والكهانة^(٤) ؛ فأنزلَ عليه القرآنُ الخارق لهذه الأربعة فصول^(٥) من الفصاحة ، والإيجاز ، والبلاغة الخارجة عن نمط^(٦) كلامهم ؛ ومن النظم الغريب ، والأسلوب المجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ، ولا علوا في أساليب الأوزان منهجه ؛ ومن الأخبار عن السكوائن^(٧) والحوادث والأسرار والمحبتات والغماز^(٨) ؛ فتوجدُ على ما كانت ، ويمترفُ المخبرُ عنها بصحة ذلك وصدقته ، وإن كان أعدى العدو .

فأبطلَ الكهانةَ التي تصدقُ مرةً وتكذبُ عشرًا ؛ ثم اجتمها^(٩) من أصلها برجمِ الشَّهْبِ^(١٠) ، ورصدِ النجوم .

(١) ما لم يحسبوه : ما لم يخطر ببالهم ، وقدرة حسابهم ، وما لم يترقبوه ، ويظنوه لديه .
(٢) الأكمه : الذي ولد أعمى مطموس العين .
(٣) والخبر : أى الخبر عما ساف ، وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والمنازل .
(٤) الكهانة : معاناة علم النيب بتلقينها عن الجن . وتكسر الكاف ، وتفتح . وفى ا ، ب كتب عليها « معا » .
(٥) الخارق : المخالف . والأربعة فصول : هى المقدمة ، وهى البلاغة ، والشعر ، والخبر ، والكهانة .

(٦) النمط : الجنس والطريقة ؛ أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

(٧) السكوائن : جمع كائن ؛ أى عما سيكون في المستقبل من الغيبات .

(٨) والضمائر : أى ما أضمره في أنفسهم كقصة مسجد الضرار .

(٩) اجتمها : اقتلها بعد إبطائها ؛ أى أزالها بالسككية .

(١٠) برجم الشَّهْب : أى برمى الشياطين بشهب تمنهم من استراق السمع .

وجاء^(١) من الأخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الأنبياء ، والأمم البائدة^(٢) ، والحوادث الماضية - ما يُعْجِزُ مَنْ تفرَّغَ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبيننا المعجزة فيها .

ثم بقيت هذه المعجزة^(٣) الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخرى التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي ، لا يخفى وجوه ذلك على مَنْ نظر فيه ، وتأمل وجوه إعجازه .

إلى ما أخبر به^(٤) من الغيوب على هذه^(٥) السبيل ؛ فلا يمرَّ عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره^(٦) على ما أخبر ؛ فيتجدد الإيمان ، ويتظاهر البرهان ؛ وليس الخبر كالعيان^(٨) كما قيل .

وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفس أشد طمأنينة^(٩) إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين ؛ وإن كان كلُّ عندها حقاً .

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعُدِمَت بَعدَم ذواتها^(١٠) ؛

(١) وجاء : أى في القرآن .

(٢) البائدة : الهالكات الفانية في الزمن السابق .

(٣) هذه المعجزة : أى القرآن . (٤) أى مع ما أخبر به من المفيات .

(٥) في أ ، ب : هذه . والسبيل يذكر ويؤنث .

(٦) صدقه : أى صدق القرآن ، أو النبي . مخبره : ما أخبر به ، أو خبره .

(٧) ويتظاهر البرهان : ويقوى الدليل ويزيد قوة .

(٨) العيان - بكسر العين : المعاينة والمشاهدة .

(٩) النفس أشد طمأنينة إلى ما تتيقنه بالمعاينة والمشاهدة منها إلى العلم المتيقن بالبرهان القاطع .

(١٠) انقرضت : انقطعت ، وذهبت معهم بسبب ذهابهم . بعدم ذواتها : أى تلك المعجزات لعدم فتقرض عند ذهاب الأنبياء من الدنيا .

ومعجزة نبيّنا صلى الله عليه وسلم لا تنبئ^(١) ولا تنقطع، وآياته تتجدّد ولا تضمحل؛ ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضى الشهيد أبو على، حدثنا القاضى أبو الوليد، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهيثم؛ قالوا: حدثنا الفربري، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال^(٢): مامن الأنبياء نبيّ إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه^(٣) الله إلى؛ فأرجو أنى أكثرهم تابعا يوم القيامة.

هذا معنى الحديث عن بعضهم؛ وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله.

وذهب غير واحد من العلماء فى تأويل هذا الحديث وظهور معجزة^(٤) نبيّنا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخيل فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه^(٥)؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام^(٦) المعاندون لها بأشياء طبعوا فى التخيل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيتهم [١٣٥] وشبه هذا مما يخيل الساحر، أو يتحيل فيه.

(١) لا تنبئ: لا تنفى.

(٢) فى حديث رواه البخارى، ومسلم، والنسائى. واللفظ للروى هنا للبخارى:

صحيح البخارى: ٩ - ١١٣

(٣) أى ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجأ من شاهده إلى الإيمان به.

(٤) يعنى القرآن المعجز.

(٥) التخيل: من الخيال. والتحيل: من الحيلة. أى لا يمكن الواقع عليه أن يقول إنه تخيل وتوحيه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة فى الإنيان بمثله، كما فعل سحرة موسى بحبالهم إذ جعلوها تتحرك كعصاه.

(٦) رام: قصد، وطلب.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلة ولا لالسحر، ولا للتخييل فيه عمل^(١)؛ فكان من هذا الوجه عندم^(٢) أظهر من غيره من المعجزات^(٣)، كما لا يتمُّ لشاعر ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الخيل والتمويه^(٤).
والتأويلُ الأولُ أخلص وأرضى^(٥).

وفي هذا التأويل الثاني ما يفضُّ عليه الجفنُ، ويُفَضُّ^(٦).
ووجهُ ثالث^(٧) على مذهب من قال بالصرفة^(٨)، وأن المعارضة^(٩) كانت

(١) عمل : تأثير . فإن ساحرا لو أنى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ، ثم سحره بجميع أنواع سحره ، لا يمكنه أن يقوم في ناد منشدا أو خطيبا ؛ فذلك أمر لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى ؛ فتجد الجلف الأعرابي يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه أن يأتي بشئ منه .
(٢) عندم : عند المفسرين لهذا الحديث .

(٣) وذلك لعدم قبول التخييل والتمويه .

(٤) التمويه : مأخوذ من قولهم : موه النحاس بذهب أو فضة ليوم من رآه أنه ذهب أو فضة .

(٥) الأول : الذي قال إنه الظاهر الصحيح . وأخلص : أصنى من الكدر ، أى الإشكال . أو المراد : أجود ، وأكثر سلامة . وأرضى : أكثر رضا وقبولا عند العقول السليمة .

(٦) ما يفضُّ : ضبعت في الفتح الميم ، وفي ب بفتحها مشددة ، أى ينطى . وينفض : من أغضى الجفن ، إذا أطبقه ، أو بمعنى سكت .

(٧) ووجه ثالث : في إعجاز القرآن ، وأنه أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم . وفي هامش ا : رابع .

(٨) بالصرفة : أى إن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته ، مع أنهم بحسب الجيلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر .

وإلى ذلك ذهب النظام ، وكثير من المئزلة ، والشريف المرتضى من الشيعة .

(٩) المعارضة له : الإتيان بمثله .

في مقدور البشر ؛ فصرّفوا عنها^(١) ، أو على أحدِ مذهبي أهلِ السنّةِ من أن الإتيانَ بمثله من جنسٍ مقدورهم ؛ ولكن لم يكن ذلك قَبْلُ ، ولا يكون بعدُ ؛ لأن الله تعالى لم يُقدِّرهم ، ولا يُقدِّرهم عليه .

وبين المذهبين فرقٌ بَيِّنٌ^(٢) ، وعليهما جميعا^(٣) قَتْرُكُ العربِ الإتيانَ بما في مقدورهم ، أو ما هو من جنسٍ مقدورهم^(٤) ، ورَضَاهُمُ بالبلاءِ والجلَاءِ ، والسَّيِّئِ^(٥) والإذلالِ ، وتغييرِ الحالِ ، وسَلْبِ النفوسِ والأموالِ^(٦) ، والتفريقِ والتوبيخِ ، والتمجيزِ والتهديدِ والوعيدِ أَبَيْنُ آيَةٍ للعَجْزِ عن الإتيانِ بمثله ، والنكولِ^(٧) عن معارضته ؛ وأنهم مُنِعُوا عن شيءٍ هو من جنسٍ مقدورهم .

وإلى^(٨) هذا ذهب الإمامُ أبو المالحِ الجويني^(٩) وغيره ؛ قال : وهذا عندنا

(١) فصرّفوا عنها : إما بسبب قدرتهم ودواعيهم ، أو بسبب علمهم بتأليف كلامٍ مثله وتمكّنهم منه .

(٢) هذا الفرق ظاهر لتمكّنهم على الأول من الإتيان بمثله ، لكن صرفوا عنه . ولعدم تمكّنهم منه على الثاني مع أنه من جنسٍ مقدورهم ، ومثله في الجملة .

(٣) وعليهما جميعا : على هذين القولين ، والمذهبين .

(٤) الإتيان بما في مقدورهم على المذهب الأول ؛ وتركهم ما هو من جنسٍ مقدورهم على المذهب الثاني .

(٥) البلاء : ما ابتلوا به من المحن بسبب عنادهم ، والجلَاءِ : إخراجهم من ديارهم وأوطانهم . والسبأ : سبي أولادهم وأهلهم واسترقاقهم .

(٦) سلب النفوس : بالقتل والفتك بهم ، وأخذ الأموال في الفتناء .

(٧) النكول : النكوص ، والرجوع ، والإعراض ، والامتناع .

(٨) وإلى هذا المذهب ؛ وهو أنهم قادرون على شيء من جنسه عاجزون عن مثله

لا بالصرفة . (٩) الإمام الجويني : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري

الشافعي إمام الحرمين أعلم أئمة الشافعية ، وهو إمام أهل السنة عربا وعجميا ، فرد الأمة . توفي سنة ٤٧٨ هـ .

أَبْلَغُ فِي خَرَقِ الْعَادَةِ بِالْأَفْعَالِ الْبَدِيعَةِ فِي أَنْفُسِهَا^(١) ، كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٍ وَنَحْوِهَا ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى بَالِ النَّاطِرِ بِدَارًا^(٢) أَنْ ذَلِكَ مِنْ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ ذَلِكَ بِمِزِيَّةٍ مَعْرِفَةٍ^(٣) فِي ذَلِكَ الْفَنِّ ، وَفَضْلِ عِلْمِهِ إِلَى أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ صَحِيحًا^(٤) النَّظَرِ .

وَأَمَّا التَّحَدُّى لِلخَلَائِقِ مِثْنِ مِنَ السَّنِينَ بِكَلَامٍ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِمْ لِيَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يَأْتُوا ، فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ تَوْفُرِ الدَّوَاعِى^(٥) عَلَى الْمَعَارِضَةِ ثُمَّ عَدَمِهَا إِلَّا مَنْعُ اللَّهِ الْخَلْقَ^(٦) عَنْهَا بِمِثَابَةٍ^(٧) مَا لَوْ قَالَ نَبِيٌّ : آتَيْتُ أَنْ يَمْنَعَ اللَّهُ الْقِيَامَ عَنِ النَّاسِ مَعَ مَقْدَرَتِهِمْ عَلَيْهِ ، وَارْتِفَاعِ الزَّمَانَةِ^(٨) عَنْهُمْ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ ؛ وَعَجَزَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقِيَامِ — لِسُكَّانِ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِهِ^(٩) آيَةً ، وَأُظْهِرَ دَلَالَتَهُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

وَقَدْ غَابَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، حَتَّى احْتِجَ الْعُذْرُ عَنْ ذَلِكَ بِدَقَّةِ أَفْهَامِ الْعَرَبِ ، وَذِكَاةِ أَلْبَابِهَا^(١٠) ، وَوَفُورِ عَقُولِهَا ، وَأَنَّهِمْ أَدْرَكُوا الْمُعْجِزَةَ فِيهِ بِفِطْنَتِهِمْ^(١١) ، وَجَاءَهُمْ^(١٢) مِنْ ذَلِكَ بِحَسْبِ إِدْرَاكِهِمْ ، وَغَيْرُهُمْ

(١) الْبَدِيعَةُ : الْبَتْدَعَةُ الْغَرِيبَةُ . فِي أَنْفُسِهَا : أَيْ فِي حُدُودِهَا .

(٢) بِدَارًا : أَوَّلُ نَظَرَةٍ .

(٣) صَاحِبِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ . بِمِزِيَّةٍ مَعْرِفَةٍ : بِزِيَادَةِ مَعْرِفَةِ امْتِنَانِهَا عَمَّنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ .

(٤) صَحِيحِ النَّظَرِ : أَيْ يَرُدُّهُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ إِعْجَازَهُ .

(٥) تَوْفُرِ الدَّوَاعِى : كَثْرَةِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى مَعَارِضَتِهِ وَيُحْتَمُّ عَلَيْهِ ، مِنَ الْحِجَةِ الْجَاهِلِيَّةِ . . .

(٦) مَنْعُ اللَّهِ الْخَلْقَ عَنْهَا : بِالْمَعْرِفَةِ ، أَوْ بِمَدْمِ الْقُدْرَةِ عَلَى نَوْعِهِ دُونَ جِنْسِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي لِلذَّهَبِيِّنَ . (٧) بِمِثَابَةٍ : بِمِثَالَةٍ .

(٨) ارْتِفَاعِ الزَّمَانَةِ عَنْهُمْ : أَلَا يَكُونُوا مُقَدِّمِينَ ؛ وَهُوَ بَيَانُ لِقُدْرَتِهِمْ عَلَى الْقِيَامِ .

(٩) أَهْلِهِ : أَقْوَى وَأُظْهِرَ مُعْجِزَةً .

(١٠) أَلْبَابُهَا : عَقُولُهَا . (١١) بِفِطْنَتِهِمْ : قُوَّةَ ذِكَاثِهِمْ .

(١٢) وَجَاءَهُمْ مِنْ ذَلِكَ : أَيْ حَصَلَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ إِعْجَازِهِ وَظُهُورِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، عَلَى

مِقْدَارِ إِدْرَاكِهِمْ وَقُوَّتِهِ .

مِنَ الْقَبْطِ وَبَنَى إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ ؛ بَلْ كَانُوا مِنَ الْغَبَاوَةِ
وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِمِثْ جَوْزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَجَوْزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ^(١) ذَلِكَ فِي
الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ ؛ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَكِنْ شُبِّهَ^(٢) لَهُمْ ؛ فَجَاءَتْهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلْأَبْصَارِ بِقَدَرٍ غَلِظَ أَفْهَامُهُمْ
مَالًا يَشْكُونُ فِيهِ ، وَمَعَ هَذَا^(٣) فَقَالُوا^(٤) : « لَنْ^(٥) نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهُ جَهْرَةً^(٦) .
وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلَوى^(٧) ؛ وَاسْتَبَدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى^(٨) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .
وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ^(٩) ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَقْتَرِبُ بِالْأَصْنَامِ
إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(١٠) .

وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ^(١١) بِاللَّهِ وَخَذَهُ مِنْ قَبْلِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٣٦]
بَدِيلَ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ .

(١) السامري : رجل من بني إسرائيل . وقد أوهمهم أن العجل ربهم فعبدوه . قال
القاري (١ — ٧٦٣) : واسمه موسى بن ظفر .

(٢) شبه لهم : ألقى شبهه على رجل إسرائيلي ، فظن اليهود أنه عيسى ؛ فصلبوه ؛ أي صلبوا
من ألقى عليه الشبه .

(٣) ومع هذا : ومع هذا الظهور . (٤) هذا في ا ، ب .

(٥) سورة البقرة ، آية ٥٥

(٦) جهرة : معانية بأبصارنا ، لشكهم فيما أتاهم به .

(٧) اللن : طل كالملسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل . والسلوى : طائر كالسباني .

وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى : أخرجتنا من العمران للقفرة ، فادع الله أن
يرزقنا ، فرزقهم المن . ثم سألوهم أن يطعمهم من اللحوم ، فأتاهم بالسلوى ، فكانوا يأخذونها
بأيديهم ؛ ثم قالوا : لن نصبر على طعام واحد .

(٨) الذي هو أدنى : أي طلبوا بدلا أدنى مما عندهم ، وهو الفول والمدس والبصل .

(٩) بالصانع : أي بوجوده تعالى .

(١٠) زلنى : قربى ؛ أي لتتقرب إلى الله .

(١١) كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وأممية بن أبي الصلت .

ولما جاءهم الرسولُ بكتاب الله فهموا حكمتَه ، وتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ
وَهْلَةٍ ^(١) مَعْجَزَتِهِ ؛ فَآمَنُوا بِهِ ، وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَانًا ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي
صَحْبَتِهِ ^(٢) ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ ، وَأَتَى ^(٣)
فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يُلَوِّحُ لَهُ رَوْنَقٌ ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زَبْجٌ ^(٤) لَوْ احْتِيجَ إِلَيْهِ [وَحَقُّقٌ] ^(٥) ؛
لَكِنَّا ^(٦) قَدَّمْنَا مِنْ بَيَانِ مَعْجَزَةِ ^(٧) نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ
رُكُوبِ بَطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا ^(٨) .

وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ . [وَهُوَ حَسْبِي ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ] ^(٩) .

آخر القسم الأول ، وبلييه القسم الثاني

-
- (١) لأول وهلة : في أول نظرة بالبديهة ؛ يقال : لقينته أول وهلة : أى أول شيء .
 - (٢) في صحبته : أى لاختيار صحبته على كل شيء ، أو ببركة متابعتة .
 - (٣) وأتى : أى هذا القائل الذى غاب عنه ماتقدم .
 - (٤) يلوح : يظهر . رونق : لفظ حسن . والزبرج : الزينة والوشى الذى هو كالطلاء .
وفي هامش ١ : الزبرج : الزينة . وهو أيضا الذهب .
 - (٥) حقق : بينت حقيقته . وليس ما بين القوسين في ب .
 - (٦) في ب : ولكنا .
 - (٧) في ب : معجزات .
 - (٨) يريد ما بينى عن ادعاء مثل هذه الأمور .
 - (٩) ليس في ١ .

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٦٦ / ١٩٧٧

الشِّقَا
بتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى
لِلْقَاضِي عِيَّاضَ
أَبِي الْفَضْلِ عِيَّاضَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَّاضِ الْيَحْيَيْي
٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق
على محمد البجاوي

الجزء الثاني

الناشر
دار الناشر العربي
ص ١١-٥٧٦٩٠ بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تلکس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم^(١)

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : وهذا قدّم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب ، ومجموعها^(٢) في وجوب تصديقه واتباعه [في سنته]^(٣) وطاعته ، ومحبته ومناصحته^(٤) ، وتوقيره وبره^(٥) ، وحكم الصلاة عليه والتسليم ، وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم :

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

إذا تقرر بما قدّمنا ثبوت نبوته وصحة رسالته ، وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به ؛ قال الله تعالى^(٦) : ﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَالنُّوْرَ الَّذِيْ اُنْزِلْنَا ﴾ . وقال^(٧) : ﴿ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لَتَوْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ .

(١) الأنام : الخلق والناس . والحقوق : جمع حق ؛ وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام .

(٢) مجموعها : أي محصلها وإجمالها . (٣) ليس في ب .

(٤) محبته : بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله وماله . ومناصحته : إرادة الخير له . وفي قبول نصحه له في أمره ونهييه ، ونصحه لرسوله ودينه .

(٥) توقيره : تعظيمه والتأدب معه . وبره : بذل مافي وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا . (٦) سورة التوبان ، آية ٨ . والنور الذي أنزلنا : أي ما أوحى إليه

صلى الله عليه وسلم من الشريعة . وقيل : المراد به القرآن .

(٧) سورة الفتح ، آية ٨ ، ٩ . شاهدا على من صدق وكذب ليثاب أو يعاقب . ومبشرا لمن آمن بسعادة الدارين ، ونذيرا : منذرا ومخوفا لمن عصاه .

وقال^(١) : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجبٌ مُتَعَيِّنٌ^(٢) لا يتمُّ إيمانُ^(٣) إلا به ، ولا يصحُّ إسلامٌ إلا معه ؛ قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ .

حدثنا أبو محمد الخَشَنِيُّ الفقيه بقراءتي عليه ، حدثنا الإمام أبو علي الطبري ، حدثنا عبد الغافر الفارسي ، حدثنا ابن عمرويه ، حدثنا ابن سُفْيَانَ ، حدثنا أبو الحسين ، حدثنا أُمَيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ^(٥) ، حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ ، حدثنا رَوْحٌ ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال^(٦) : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ^(٧) النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا^(٨) مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ^(٩) .

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ . الأُمِّيُّ : المنسوب إلى أم القرى ، وهى مكة المكرمة . أو المنسوب إلى أمة العرب التى غالبها لم يقرأ أو يكتب . أو المنسوب إلى الأم ، يعنى على الوصف الذى خرج به من بطن أمه ؛ ما اكتسب شيئاً من القراءة والكتابة ونحوهما (شرح القارى : ٢ — ٤) . وكلماته : أى بما أنزل عليه وعلى غيره من الرسل .

(٢) متعين : فرض عين ، لا يمكن التخلص من حكمه .

(٣) فى ب : الإيمان . (٤) سورة الفتح : آية ١٣ . أعتدنا : أعددنا .

(٥) ضبطت اليم فى « بسطام » بالفتح والكسرة وفوقها « معا » .

(٦) حديث رواه مسلم ، والبخارى : صحيح مسلم : ٥٢ ، ٥٣ ، وصحيح البخارى :

١ — ١٤ (٧) أُمِرْتُ : أمرنى الله ، إذ لا أمر له صلى الله عليه وسلم سواه . أن أقاتل الناس : أى بمقاتلة الكفار ؛ أى إلا من أقر بالجزية .

(٨) عصموا : صانوا ، وحفظوا ، ومنعوا .

(٩) إلا بحققها : إلا أن تستحق إباحتهم بقتل نفس ظلموا أو نحوه ؛ أو تستحق أموالهم

بمنع الزكاة أو ثبوت حق عليهم .

قال القاضى أبو الفضل ^(١) :

والإيمان به — صلى الله عليه وسلم هو تصديقُ نُبُوِّتهِ ورسالةِ الله له ، وتصديقه
فى جميع ما جاء به وما قاله ، ومطابقةُ تصديقِ القلبِ بذلك شهادةُ اللسان ^(٢) بأنه
رسولُ الله ؛ فإذا اجتمع التصديقُ به بالقلب ، والنطقُ بالشهادةِ بذلك باللسان ،
ثمَّ الإيمانُ به والتصديقُ له كما وردَ فى الحديثِ نَفْسِهِ ^(٣) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ
ابنِ عُمَرَ رضى الله عنهما : أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ^(٤) .

وقد زادهُ وُضُوحاً فى حديثِ جبريل ^(٥) ؛ إذ قال ^(٦) : أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . . .
وَذَكَرَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ . .

فقد قرَّرَ ^(٧) أَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ مَحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْدِ بِالْجَنَانِ ^(٨) ، وَالْإِسْلَامَ بِهِ مُضْطَرٌ
إِلَى النُّطْقِ بِاللِّسَانِ ^(٩) [١٣٧] .
وهذه الحال ^(١٠) المحمودَةُ التَّامَةُ .

= وحسابهم على الله ؛ أى أمرهم — بعد ما ذكر — موكلون إلى الله تعالى إذا شاء حسابهم على
ما أسروه فى أنفسهم ، وما لم يقف أحد عليه من الكفر والمعاصي ؛ فيثيب من يشاء ويماقب
من يشاء . (١) هو المؤلف . وفى ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) شهادة اللسان : بنطقه واعترافه .

(٣) الحديث السابق الذى رواه المصنف عن أبى هريرة . (٤) هذه رواية مسلم .

(٥) الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ١ — ٢٠ ، وصحيح مسلم : ٣٩ ، ومسند

أحمد : ١ — ٥٢ (٦) إذ قال له جبريل .

(٧) قرر : بين . (٨) العقد : الاعتقاد الجازم . الجنان : القلب .

(٩) مضطر : محتاج إليه ضرورة ، لأنه لا يظهر الانقياد بدونه إلى النطق باللسان : ليعلم

مافى قلبه . (١٠) وهذه الحالة : أى اعتقاد الجنان ، والنطق باللسان .

وأما الحال المذمومة فأن شهادةً باللسان دون تصديق القلب ، وهذا هو النفاق ^(١) ؛ قال الله تعالى ^(٢) : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ؛ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ أى كاذبون فى قولهم ذلك ^(٣) عن اعتقادهم وتصديقهم ، وهم لا يمتدونه ؛ فلما لم تُصدق ذلك ضامروهم لم ينفقهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ؛ فخرجوا عن اسم الإيمان ، ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه ^(٤) ؛ إذ لم يكن معهم إيمان ، ولحقوا بالكافرين فى الدرك الأسفل ^(٥) من النار ، وبقي عليهم حكم الإسلام ^(٦) ، بإظهار شهادة اللسان ، فى أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر ، بما أظهروه من علامة الإسلام ؛ إذ لم يُجعل للبشر سبيل إلى السرائر ، ولا أمروا بالبحث عنها ؛ بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها ^(٧) ؛ وذم ذلك ، وقال : هلا شفت عن قلبه ^(٨) .

وللفرق بين القول والعقد ^(٩) ما جيل فى حديث جبريل ^(١٠) : الشهادة من الإسلام ، والتصديق من الإيمان .

(١) النفاق : إبطان الكفر وإظهار الإيمان . (٢) سورة « المنافقون » ، آية ١

(٣) فى قولهم ذلك : أى قولهم : إنك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم .

(٤) حكمه : وهو دخول الجنة ؛ فهم فى الدرك الأسفل من النار مع الكفار .

(٥) الدرك الأسفل : الطبقة السفلى من دركاتنا .

(٦) حكم الإسلام : أى فى الدنيا ، فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وما عليهم .

(٧) التحكم عليها : الحكم على السرائر .

(٨) قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأسامة بن زيد فى حديث صحيح الأخبار ، حين

قتل واحداً ممن اضطر أن يسلم من الكفار ، لاعتقاده أن إسلامه بلسانه خوفاً من القتل .

فقال له : أقتلته بعد أن أسلم . والحديث فى صحيح مسلم : ٩٦ ، وهو نسيم الرياض

(٣ — ٣٤٧) . (٩) أى مجرد التافظ بالشهادة بلسانه والتصديق بقلبه واعتقاد جنانه .

(١٠) حديث جبريل : لذى تقدم فى سؤاله عن الإسلام والإيمان ، صفحة ٥٣٩

وبقيت حالان أخرَيان بين هذين :

إحداهما — أن يَصْدُقَ بقلبه ثم يُخْتَرَمَ^(١) — قَبْلَ اتِّسَاعِ وَقْتِ الشَّهَادَةِ بلسانه ؛
فاخْتَلَفَ^(٢) فيه ؛ فَشَرَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ الْقَوْلَ وَالشَّهَادَةَ بِهِ^(٣) ؛ وَرَأَى
بَعْضُهُمْ مُؤْمِنًا مُسْتَوْجِبًا^(٤) لِلْجَنَّةِ ؛ أَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) : « يَخْرُجُ مِنَ الْعَارِ
مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ^(٦) مِنْ إِيْمَانٍ » ؛ فَلَمْ يَذْكُرْ سِوَى مَا فِي الْقَلْبِ .
وَهَذَا مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ ، غَيْرُ عَاصٍ وَلَا مُفَرِّطٌ بِتَرْكِ غَيْرِهِ^(٧) .
وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْوَجْهِ .

الثانية : أن يَصْدُقَ بقلبه وَيَقُولَ مَهْلَةً^(٨) ، وَعَلِمَ مَا يَلْزُمُهُ مِنَ الشَّهَادَةِ ؛
فَلَمْ يَنْطِقْ بِهَا جَمْلَةً^(٩) وَلَا اسْتَشْهَدَ فِي عُمُرِهِ^(١٠) وَلَا مَرَّةً ؛ فَهَذَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَيْضًا ؛
فَقِيلَ : هُوَ مُؤْمِنٌ ؛ لِأَنَّهُ مُصَدِّقٌ ، وَالشَّهَادَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ ؛ فَهُوَ عَاصٍ
بِتَرْكِهَا غَيْرُ مُخْلَدٍ [فِي النَّارِ]^(١١) .

(١) يقال : اخترمته النية والموت ، إذا أتاه بنتة بسرعة .

(٢) فاختلف فيه أمؤمن هو أم لا ؟

(٣) والشهادة به : أى باللسان .

(٤) هذا فى ب ، وفى ا : ورواه : مستوجبا : مستحقا .

(٥) فى حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٣ ، وصحيح البخارى : ١ — ١٣

(٦) مثقال ذرة : وزنها ومقدارها فى الثقل . والذرة : صغار الثقل ؛ والهباء ، وهو

كناية عن غاية القلة .

(٧) بترك غيره : وهو التلطف بالشهادة .

(٨) الهل ، بيم وهاء مفتوحتين ، ويجوز لسكين هائه مع فتح ميمه وضمها : التؤدة

والتأنى ، والمراد لازمه ، وهو طول الزمن ، والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة .

(٩) جملة : المراد به مجموعها بأن لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره

وشره ... (١٠) فى عمره : مدة حياته .

(١١) من ب .

وقيل : ليس بمؤمن حتى يقارن عَقْدَهُ^(١) شهادة اللسان ؛ إذ الشهادة إنشاء عَقْدٍ ، والتزام إيمان ؛ وهى مرتبطة^(٢) مع العَقْد ، ولا يتم التصديق مع المُنْهَلَة إلا^(٣) بها .

وهذا هو الصحيح .

وهذا نَبَذُ^(٤) يُفْضَى إلى مَنَسَحٍ من الكلام فى الإسلام والإيمان وأبوابهما ، وفى الزيادة فيهما والنقصان ، وهل التجزئى مُمْتَنِع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة ؛ وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل ؛ وقد يعرض فيه^(٥) لاختلاف صفاته وتباين حالاته ؛ من قُوَّةٍ يَقِين ، ونصميم اعتقاد^(٦) ، ووضوح معرفة ، ودوام حالة ، وحضور قلب .

وفى بَسْطِ هذا خروج عن غرض التأليف ؛ وفيما ذكرنا غُنْيَةً^(٧) فيما قصدنا إن شاء الله .

فصل

[فى وجوب طاعته]

وأما وجوب طاعته ، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته ؛ لأن ذلك مما أنى به ؛ قال الله تعالى^(٨) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

(١) عقده : اعتقاد قلبه . وكلمة « شهادة » ضبطت فى بالضم ، وفى بالفتح .

(٢) مرتبطة مع العقد : ملازمة متصلة بالاعتقاد القابى لاتفارقة ، فلا يكتفى بأحدهما .

(٣) إلا بها : إلا بالشهادة والنطق بها . (٤) نبذ : شئ يسير . يفضى : يوصل .

(٥) وقد يعرض فيه : يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص أو تجزئة . وفى ب : يعرض -

وضبط الرأ بالفتحة والضمه وعليها « مما » . وفى هامشه : قوله : يعرض - هو بفتح الياء

وضم الرأ ، كذا قال الأصمى . والجمهور بكسر الرأ . والصحيح الأول (من شرح مسلم

للنووى) . (٦) تصميم اعتقاد : الجزم به بحيث لا يقبل الشك ، عن دليل قوى .

(٧) غنية : كفاية مغنية . (٨) سورة الأنفال ، آية ٢٠

وقال^(١) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ .
 وقال^(٢) : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .
 وقال^(٣) : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .
 وقال^(٤) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .
 وقال^(٥) : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .
 وقال^(٦) [١٣٨] : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .
 وقال^(٧) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته ، وقرن طاعته بطاعته ، ووعد على ذلك بمجزيل الثواب ؛ وأوعد على مخالفته بسوء العقاب^(٨) ، وأوجب امتثال أمره ، واجتناب نهيه .
 قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول التزامُ بسُنَّته والتسليم لما جاء به .
 وقالوا : وما أرسل الله من رسولٍ إِلَّا فرض طاعته على من أرسله إليه .
 وقالوا : مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فِي سُنَّتِهِ^(٩) يُطِيعِ اللَّهَ فِي فَرَائِضِهِ .
 وسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ شُرَائِعِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ^(٥) : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ .

-
- (١) سورة آل عمران ، ٣٢ (٢) سورة آل عمران ، آية ١٣٢
 (٣) سورة النور ، آية ٥٤ . جعل هدايتهم متوقفة على طاعته .
 (٤) سورة النساء ، آية ٨٠ ، جعل طاعته هي طاعة الله ؛ لأنه لا يأمر إِلَّا بأمره ، ولا ينهى إِلَّا بنهيه .
 (٥) سورة الحشر ، آية ٧ (٦) سورة النساء ، آية ٦٩
 (٧) سورة النساء ، آية ٦٤
 (٨) الجزيل : العظيم أو الكثير . وسوء العقاب : العقاب السيئ .
 (٩) المراد بالسنة : طريقته وشريعته .

وقال السمرقندي : يقال : أطيعوا الله في فرائضه ، والرسول في سنّته . وقيل : أطيعوا الله فيما حرّم عليكم ، والرسول فيما بآخكم .

ويقال : أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية ، والنبي بالشهادة له بالنبوة .

حدثنا أبو محمد بن عتّاب بقراءة عليه ، حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن خاف ، حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا البخاري ، حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن - أنه سمع أبا هريرة يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي ^(١) فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي .

فطاعة الرسول من طاعة الله ؛ إذ الله أمر بطاعته ؛ فطاعته امتثال لما أمر الله به ، وطاعة له .

وقد حكى الله عن الكفار في دركات ^(٢) جهنم : (يوم ^(٣) نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) ؛ فتمنّوا طاعته حيث لا ينفعهم التّمنى . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) : إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ^(٥) .

(١) أميري : من جملة هو أو خافواؤه حاكما على أمته . والحديث في صحيح مسلم : ١٤٦٦ ،

وصحيح البخاري : ٤ - ٦٠

(٢) في دركات جهنم : أي في محلهم الأسفل منها . (٣) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٤) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٧٥ ، صحيح البخاري : ١١٧ -

(٥) ما استطعتم : ما قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر . والراد افعالوا على قدر استطاعتكم . قال النووي : وهذا الحديث من جوامع الحكم وقواعد الإسلام ؛ يدخل فيه كثير من الأحكام ، كمن عجز عن ركن من أركان الصلاة ، أو شرط من شروطها ، يأتي بمقدوره ، ولا يسقط عنه مقدوره . ولذا قال الفقهاء : اليسور لا يسقط بالمسور .

وفي حديث أبي هريرة ^(١) رضى الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم : كلُّ أمتي يدخُلون الجنةَ إلّا مَنْ أبى ^(٢) .

قالوا : [يا رسول الله] ^(٣) ؛ وَمَنْ يَأْبَى ؟ قال : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ^(٤) .

وفي الحديث الآخر الصحيح ^(٥) عنه صلى الله عليه وسلم : مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا ^(٦) ، فقال : يا قوم ! إني رأيتُ الجليشَ بعينِي ، وإني أنا النذيرُ المرُبان ^(٧) ، فالنَّجاء ^(٨) ؛ فأطاعَه طائفةٌ من قومه ، فأدَّجُّوا ^(٩) ، فانطلقوا

(١) رواه الحاكم .

(٢) أبى : امتنع ، وسيأتى تفسير ذلك بعد .

(٣) ليس في أ .

(٤) أبى وامتنع من دخول الجنة ، لأنه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعى إلى الجنة فامتنع .

(٥) رواه البخارى ، ومسلم : صحيح البخارى : ٨ - ١٢٦ ، وصحيح مسلم : ١٧٨٨

(٦) يحذرم وينذرم بعد وهم الذى قرب مجيئه لملاكمهم .

(٧) النذير : المنذر للمسلم بما يحذر قبل وقوعه . المربان : المجرى من ثيابه المكشوف جميع بدنه ؛ وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم ، والمراد المبالغة في إنذاره ، ووضوح ما أنذر به ، وعدم احتمال خلافه . وأصله أن الرجل كان إذا رأى العدو قرب من قومه جدا ، وأيس بينه وبينهم حجاب يمنعهم من رؤيته ، وخشى أن يسبق خبره ، وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ، ورفع يلوح به ؛ أى بادروا إلى الحذر والفرار ؛ فقد جاءكم من العدو مالا تطيقونه . وقال القارى (٢ - ١٣) : النذير المربان : أى الخوف الذى ليس له غرض في التحذير ؛ بل هو عار عن التلبس والتدليس في وصف النذير .

(٨) فالنَّجاء : أى انجوا نجا بسرعة من غير لبث . أو الزموا النجاء .

(٩) أدجُّوا : ساروا من أول الليل ، أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم . وفي ب : فادجُّوا - بتشديد الدال .

على مهملهم^(١) فتَجَوَّأُوا ؛ وكذَّبت طائفةٌ منهم فأصبحوا^(٢) مكانهم ، فصَبَّحَهُمْ^(٣) الجيشُ فأهلكهم واجتأحهم^(٤) ؛ فذلك مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي ، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ .

وفي الحديث^(٥) الآخر في مثله : كَثَلُ مَنْ بَنَى دَارًا وَجَمَلَ فِيهَا مَادُّبَةً^(٦) ، وَبَعَثَ دَاعِيًّا ؛ فَنَزَّ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَادُّبَةِ ؛ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادُّبَةِ ؛ فَالِدَارُ الْجَنَّةُ ، وَالِدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَنَزَّ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ؛ وَمُحَمَّدٌ قَرَقٌ^(٧) بَيْنَ النَّاسِ .

فصل

[في وجوب اتباعه ، وامتنال أمره ، والافتداء بهديته]

وأما وجوبُ اتِّبَاعِهِ وامْتِنَالِهِ^(٨) سُنَّتِهِ والِافْتِدَاءَ^(٩) بِهَدْيِهِ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى^(١٠) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

(١) على مهملهم : متهمين بتؤدة وتأن ، لسمة وقهم .

(٢) أصبحوا مكانهم : مكثوا في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح .

(٣) صبحهم الجيش : أتاهم في وقت الصباح .

(٤) اجتأحهم : أهلكهم جميعا واستأصلهم ؛ فلم يبق لهم باقية من الذراري والأموال .

(٥) رواه الشيخان . صحيح البخارى : ٩ - ١١٤

(٦) مادبة : أطعمة كثيرة نفيسة ، أعدت لإكرام الضيوف والأصحاب .

(٧) فرق بين الناس : فارق بين المؤمنين والكافرين بإطاعته وعصيانته ؛ فمن آمن به فهو

مؤمن ، ومن كذبه فهو كافر . وروى : فرق - بصيغة الماضي وتشديد الراء المهملة ؛ أى فرق

بين مؤمنهم وكافرهم ، أو بين من دعى للجنة ومن لم يدع لها . قال في نسيم الرياض (٣ - ٣٥٩) :

وهذا أنسب للسياق .

(٨) ضبطت اللام في كلمة « امتثال » في الكسرة والضمة ، وفوقها « معا » .

وكذلك الهمزة في « الافتداء » . (٩) سورة آل عمران ، آية ٣١

وقال^(١) : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [١٣٩] .

وقال^(٢) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ؛ أى ينفقون لحكمك ؛ يقال : سلم ، واستسلم ، وأسلم ؛ إذا انقاد .

وقال^(٣) : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَنَزَلَ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ .

قال محمد بن علي الترمذى^(٤) : الأسوة فى الرسول الاقتداء به ، والاتباع لسنته ، وترك مخالفته فى قول أو فعل .

وقال غير واحد من المفسرين بمعنىاه .

وقيل : هو عتاب للمخلفين^(٥) عنه .

وقال سهل - فى قوله تعالى^(٦) : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ - قال : بمتابعة

السنة ؛ فأمرهم تعالى بذلك^(٧) ، ووعدهم الاهتداء باتباعه ؛ لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة^(٨) ، ويهديهم إلى صراط

(١) سورة الاعراف ، آية ١٥٨ . وكلماته : التى نزل بها الوحي عليه ، وما أوحى إلى من قبله من الرسل من الكتب والشرايع .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٥ . حتى يحكموك : يرجعوا لحكمك ورضوا به . شجر بينهم : وقع بينهم من المشاجرة والخاصمة . والخرج : ضيق الصدر ، أو الشك .

(٣) سورة الممتحنة ، آية ٦ . أسوة : قدوة . حسنة : من حقها أن يؤتى بها ويقتدى .

(٤) هو الحكيم الترمذى العوفى ، وليس صاحب السنن .

(٥) للتخلفين عنه : ممن لم يخرج معه لمحاربة أعدائه .

(٦) سورة الفاتحة ، آية ٧ (٧) بذلك : باتباع شريعته .

(٨) ليزكّيهم : ليظهرهم من الشرك والمعاصى . والحكمة : العلوم النافعة المحسنة ، والشرعية

لتي صيرنهم حكماء متقنين للعلم والعمل .

مستقيم ، ووعدهم بحبته تعالى في الآية الأخرى ومفترته^(١) إذا اتبعوه ، وآثروه على أهوائهم^(٢) ، وما تجنح^(٣) إليه نفوسهم ؛ وأن صحة إيمانهم باتباعهم له ، ورضاهم بحكمه ، وترك الاعتراض عليه .

وروى عن الحسن أن أقواماً قالوا : يا رسول الله ؛ إنا نحب الله . فأنزل الله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وروى أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره ، وأنهم قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ ونحن أشدُّ حُباً لله ؛ فأنزل الله الآية .

وقال الزجاج^(٥) : معناه إن كنتم تحبون الله^(٦) أن تصدوا طاعته ، فافعلوا ما أمركم به ؛ إذ محبة العبد لله والرسول طاعته أهما ، ورضاهما أمراً ؛ ومحبة الله لهم عفوهم عنهم ، وإنعامه عليهم برحمته .

ويقال : الحب من الله عصمة^(٧) وتوفيق ؛ ومن العباد طاعة ؛ كما قال القائل^(٨) :

(١) في قوله تعالى : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويفر لكم ذنوبكم . . .

(٢) آثروه : قدموه واختاروه . أهوائهم : جمع هوى ، وهو ما تميل إليه النفس وتدعو إليه ، وهو إذا أطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات .

(٣) تجنح : تميل . (٤) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

وفي أسباب النزول للواحدى (٥٧) : قال الحسن ، وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله أنهم يحبون الله ، فقالوا : يا محمد ؛ إنا نحب ربنا ، فأنزل الله هذه الآية . ثم روى سيبين آخرين لنزولها ، وارجع إليهما إن شئت هناك .

(٥) وقال الزجاج في تفسير هذه الآية .

(٦) هذا في ١ ، ب . وهو تفسير لمحبة العبد ، كما في شرح القارى .

(٧) عصمة : أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه .

(٨) زهر الآداب ١ : ٩٨ ، ونسبه فيه إلى محمود بن الحسن الوراق .

تَقْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ^(١) هذا لعمرى فى القياس ^(٢) بديعُ
لو كان حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَقْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مُطِيعُ
ويقال : محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته ^(٣) منه ؛ ومحبة الله له رحمته له ، وإرادته
الجميل له ؛ وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه ^(٤) .

قال القشيري : فإذا كان ^(٥) بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات
الذات .

وسأنى بعدُ فى ذكرِ محبة العبد غيرُ هذا بحولِ ^(٦) الله تعالى .
حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه ؛ قال : حدثنا أبو الأصْبَغ عيسى
ابن سهل ، وحدثنا أبو الحسن بن مَنِث الفقيه بقراءتى عليه ؛ قالوا : حدثنا
حاتم بن محمد ؛ قال : حدثنا أبو حفص الجُهَنى ، حدثنا أبو بكر الآجُرِّى ، حدثنا
إبراهيم بن موسى الجَوَزى ، حدثنا داود بن رُشَيْد ، حدثنا الوليد بن مُسلم ، عن
ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو الأسلمى ^(٧) ، وحُجْر

= وقال فى نسيم الرياض (٣ - ٣٦٣) : وقيل إنه لمنصور الفقيه ، وقال القارى فى شرحه :
قيل : القائل : رابعة المدوية . وفى الإحياء : إن قائله عبد الله بن المبارك . قال فى نسيم الرياض :
ومعنى الشعر أنك تدعى محبة الله وأنت عاص له ، ولو كنت صادقاً لم تعص ؛ لأن الحب لا يخالف
حبيبه .

(١) فى شرح القارى : وأنت تزعم حبه .

(٢) فى القياس : فى الفعال (الحفاجى) .

(٣) هيئته : خوفه إذا تأمل عظمته .

(٤) عليه : على العبد . (٥) كان : أى الحب ؛

(٦) بحول الله : بإعانتة وقوته .

(٧) هذا فى ١ ، ب . وفى نسيم الرياض (٣ - ٣٦٤) : كذا فى النسخ ، وصوابه - كما

فى البرهان : السلى - بضم السين للمهلة وفتح اللام . وفى شرح القارى (٢ - ١٧) : بن عمرو
السلى ، كما صوبه الشهاب الحفاجى .

الكلّاعي، عن العريّاض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : فعليكم^(١) بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ؛ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ^(٢) ؛ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ^(٣) الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ^(٤) بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

زاد في^(٥) حديث جابر بمعناه : وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

(١) عليكم : الزموا . والسنة : الطريقة . والخلفاء : جمع خليفة . والمراد بهم الخلفاء الأربعة ، ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز ، وأئمة الإسلام المجتهدين في إعلاء كلمة الله . والحديث في ابن ماجه : ١٥

(٢) النواجذ : جمع ناجذ : أقصى الأضرار ، وهي أربعة . أو الأنياب . والمراد الاجتهاد في التمسك بها .

وفي هامش ب : النواجذ : الأنياب . وقيل : الأضرار ؛ وهو بالذال المعجمة .

(٣) المحدثات : جمع محدثة : وهو ما أحدث مما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

(٤) البدعة : ما لم يعمد في عصره صلى الله عليه وسلم . وقد خصها الشارع بما هو مذموم ، لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٣٦٥) : هي - كما قال المز بن عبد السلام : تنقسم إلى واجبة ، وحرمة ، ومندوبة ، ومباحة ؛ فالندوبة كتدوين الكتب ، وعلم النحو ، واللغة ؛ والاشتغال بذلك ، وإحداث الربط والمدارس .

ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد ، وتكبير المآثم ، وتوسيع الملابس . ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله .

قال : ولا ينافي هذا قوله : كل بدعة ضلالة ؛ لأن البدعة لها معنيان : كل ما حدث بعد العصر الأول ، وهو المقسم للأقسام المذكورة ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، وإليه الإشارة بقوله : سنة الخلفاء ، وقد خصها الشارع بما هو مذموم ، لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية ؛ وهذا هو المراد بالبدعة عند الإطلاق ؛ وهو الذي جعل ضلالة .

وفي عوارف المعارف ، وإحياء الفزالي : البدعة المذمومة : ما زاحم السنة الأثورة ، أو كان يفضي إلى تغييرها .

(٥) رواه مسلم : صحيح مسلم : ٥٩٢ ، وسنن ابن ماجه : ١٨ ، وسنن أبي داود : ٢ - ١٦٩

وفي حديث أبي رافع^(١) عنه صلى الله عليه وسلم : لا ألفين^(٢) أحدكم متكئا على أريكته^(٣) ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : [١٤٠] لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه^(٤) .

وفي حديث عائشة^(٥) رضي الله عنها : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص^(٦) فيه فتزوه^(٧) عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فحمد الله ، ثم قال : ما بال قوم^(٨) يتزوهون عن الشيء أصنعه ؛ فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية .

وروى^(٩) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : القرآن صعب مستصعب على من

(١) رواه أبو داود، والترمذي ، وابن ماجه : سنن أبي داود : ٢-١٦٩ ، وابن ماجه : ٦ ، والترمذي : ٥ - ٣٧

(٢) لا ألفين : لا أجدن .

(٣) الأريكة : سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت . وقيل : هو كل ما اتكأ عليه من سرير أو فراش أو منصة ، أو محدة ، مما يفعله المترفون .

(٤) لا أدري : أي هذا الأمر نقلتموه لنا ، ولا أتبع ، ولا أعرف غير القرآن .
اتبعناه : دون غيره مما روى في الأحاديث ، ولم يعرف أن ما في الحديث عن الله تعالى ، وأن الوحي وحيان : متلو ، وغير متلو ، وأن السنة لا تخالف الكتاب ؛ فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه ، والعمل بها ، وسنة رسوله ككتابها يجب اتباعها .

(٥) للروى في الصحيحين . وهذا لفظ البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٢٠

(٦) ترخص فيه : أخذ فيه بالرخصة ، واختارها . والرخصة : الأمر المتخير من صعوبة إلى سهولة ؛ كقصر المسافر صلاته وإفطاره . قال القاري (٢ - ١٨) : والظاهر أن ما ترخص فيه هو الإفطار في السفر ، أو القصر ؛ وهو الأظهر .

(٧) تزوه عنه : تباعد .

(٨) ما بال قوم : ما شأنهم وحالهم ؟

(٩) رواه الديلمي ، وأبو نعيم ، وأبو الشيخ مسندا .

كرهه^(١)، وهو الحَكَم^(٢)؛ فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع^(٣) القرآن؛ ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة، أمرت أمتي^(٤) أن يأخذوا بقولي، ويطيعوا أَمْرِي، ويَتَّبِعُوا سُنَّتِي؛ فمن رَضِيَ بقولي فقد رَضِيَ بالقرآن؛ قال الله تعالى^(٥) : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٦) واتقوا الله إن الله شديد العقاب .

وقال صلى الله عليه وسلم : من اقتدى بي فهو مِنِّي^(٧)، ومن رَغِبَ^(٨) عن سُنَّتِي فليس مِنِّي .

وعن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٩) : إنَّ أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخَيْرُ الهدى هَدْيُ محمد^(١٠)، وشرُّ الأمور مُحدثاتها. وعن عبد الله بن عمرو^(١١) بن العاص رَضِيَ الله عنه، قال : قال النبي صلى الله

(١) قد صير الله القرآن صعباً على من كرهه، ولم يرد حفظه وتدبر آياته. وأما من أحبه وتلذذ بتلاوته، وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه.

(٢) الحكم : الذي يحكم بين الناس بما تضمنه من الأحكام.

(٣) جاء مع القرآن : أي يوم القيامة.

(٤) أمرت أمتي : أمر الله أمتي. وكلمة « أمتي » ليست في أ.

(٥) سورة الحشر، آية ٧.

(٦) أي ارضوا بما رَضِيه، واكروهوا ما كرهه؛ فإن سننه مبينة موضحة للقرآن؛ فمن خالفه فقد ضل.

(٧) فهو مِنِّي : أي من أتباعي وأشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي كأنهم بعض مني لا ينفصل عني.

(٨) ومن رَغِبَ عن سنتي : أي تركها وأعرض عنها.

(٩) الحديث رواه ابن ماجه : سنن ابن ماجه : ١٧.

(١٠) الهدى : السيرة والطريقة.

(١١) في حديث رواه أبو داود، وابن ماجه : سنن ابن ماجه : ٢١.

عليه وسلم : العلم ثلاثة : فاسوَى ذلك فهو فضل^(١) : آية مُحْكَمَةٌ^(٢) ، أو سُنَّةٌ قَائِمَةٌ^(٣) ، أو فريضة عادلة^(٤) .

وعن الحسن^(٥) بن أبي الحسن رضي الله عنه : قال صلى الله عليه وسلم : عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ^(٦) خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ .

وقال صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ بِالسُّنَّةِ تَمَسَّكَ بِهَا^(٧) .

وعن أبي هريرة^(٨) رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ .

وقال صلى الله عليه وسلم : إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً^(٩) ؛ وَإِنْ أُمَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً . قَالُوا : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي .

(١) فضل : زائد لا حاجة إليه ولا يفتقر إليه .

(٢) مُحْكَمَةٌ : غير متشابهة ، أو غير منسوخة .

(٣) قَائِمَةٌ : دائمة مستمرة ، يعني لم تنسخ لدوام العمل بها .

(٤) عادلة : لا جور فيها .

(٥) حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلًا ، والدارمي ، متصلًا عن ابن مسعود .

والحسن : هو الحسن البصري .

(٦) في سنة : موافق للسنة ومصاحب لها .

(٧) تَمَسَّكَ بِهَا : امتثلها وعمل بها خلصًا . وفي ب : يَتَمَسَّكُ بِهَا .

(٨) في حديث رواه الطبراني في الأوسط .

(٩) في حديث رواه الترمذي ، وابن ماجه : سنن الترمذي : ٥ - ٢٥ ، وسنن ابن

ماجه : ١٣٢٠

(١٠) ملة : مذهبها أو دينها .

وعن أنس^(١) : قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي^(٢) ،
وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ^(٣) .

وعن عمرو بن عَوْفٍ الْمَزَنِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ :
مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَقَدْ أُمِيتَ^(٤) بَعْدِي ، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا ؛ وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةٌ لَا تُرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا^(٥) .

فصل

[فيما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والافتداء بهديهِ وسيرته]

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والافتداء بهديهِ وسيرته ،
فحدثنا الشيخ أبو عمر أن موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعاً عليه ؛
قال^(٦) : حدثنا أبو عمر الحافظ ، حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ،
ووهب بن مسرة ؛ قالوا : حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا مالك ،
عن ابن شهاب ، عن رجلٍ من آل خالد بن أسيد — أنه سأل عبد الله بن عمر ،
فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ إنا نجد صلاة الخوف ، وصلاة^(٧) الحضر في [١٤١]

(١) رواه الأصفهاني في ترغيبه .

(٢) أحيا سنتي : أظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها . فقد أحياي : فقد أظهر

ذكرى ورفع أمرى . (٣) للراد دخوله الجنة وعلو مرتبته لامساواته فيها .

(٤) أميت : تركت وترك العمل بها .

(٥) قال في نسيم الرياض (٣ - ٣٧١) : وهذا رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه .

سنن الترمذي : ٥ - ٤٣ ، سنن ابن ماجه : ٧٤ ، ٧٥ .

(٦) هذا الحديث من أحاديث الموطأ ، ورواه النسائي ، وابن ماجه : الموطأ : ١٤٥ ،

وسنن ابن ماجه : ٣٣٩ (٧) صلاة الحضر : أى الصلاة من غير قصر .

روى هذا الحديث أيضا الطبري في تفسيره : ٩ - ١٣٣ ، وابن كثير في تفسيره : ١ - ٣٥١

القرآن ، ولا نجد صلاة السفر ؟ فقال ابنُ عمر : يا بنِ أخى ، إنَّ اللهَ بعثَ إلينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا نعلم شيئاً^(١) ؛ فإنما نفعلُ كما رأيناَه يفعلُ^(٢) .

وقال عمر بن عبد العزيز : سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وولايةُ الأمرِ بمرءةٍ سنفاً ، الأخذُ^(٣) بها تصديقُ بكتابِ الله ، واستعمالُ بطاعةِ الله^(٤) ، وقوةُ على دينِ الله ، ليس لأحدٍ تغييرُها ولا تبدلُها^(٥) ولا النظرُ في رأى مَنْ خالفها ؛ من اقتدى بها فهو مُتَّبِعٌ ، ومن انتصر بها منصورٌ ، وَمَنْ خالفها واتَّبَعَ غيرَ سبيلِ المؤمنين^(٦) ولأه الله ما تولى^(٧) ، وأضلَّاهُ جهنمُ وساءتُ مصيرُا .

وقال الحسنُ بن أبي الحسن^(٨) : عملٌ قليلٌ في سنةٍ خيرٌ مِنْ عملٍ كثيرٍ في بدعةٍ .

وقال ابنُ شهاب : بلغنا عن رجُلٍ من أهلِ العلم ، قالوا : الاعتصامُ^(٩) بالسنةِ نِجاةٌ .

(١) ولا نعلم شيئاً من أمور الدين ، ومن حقيقة الأحكام .

(٢) أى تقتدى به فيما جاء به . وقصر الصلاة في السفر قد ذكرت في القرآن في قوله تعالى : لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة ؛ لكنّها مقيدة بقوله : إن خفتم ... الآية ، ولذا سألوها . وإطلاقها مبين بالسنة ؛ فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها ، فقال : تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته .

(٣) الأخذُ بها : العملُ بها واتباعُها .

(٤) لأن طاعتهم طاعة له في الحقيقة ؛ لأنهم لا يقولون شيئاً من عند أنفسهم ، وإنما يقولون ما رَووه عنه صلى الله عليه وسلم ، أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة .

(٥) تغييرُها : تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه ، ولا تبدلُها بيدل لها يغيرها .

(٦) أى غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل .

(٧) ولأه الله ما تولى : جملة واليا لما تولى من الضلالة ، وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة .

(٨) هو الحسن البصرى .

(٩) الاعتصام بالسنة : أى التمسك بها .

وكتب عمر بن الخطاب [إلى عماله] ^(١) بتعلم السنة والفرائض واللحن ؛ أى اللغة ؛ وقال : إن ناساً يجادلونكم — يعنى بالقرآن ، فخذوهم بالسنة ^(٢) ؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب ^(٣) الله .

وفى خبره ^(٤) — حين صلى بذي الحليفة ^(٥) ركعتين ، فقال : أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع .

وعن عليّ — حين قرآن ^(٦) فقال له عثمان : ترى أنى أنهى الناس ^(٧) عنه وتفعله ! قال : لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحدهم من الناس . وعنه : ألا إني ^(٨) لست بنبيّ ، ولا يوحي إلىّ ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ما استطعت .

وكان ابن مسعود يقول ^(٩) : القصد ^(١٠) فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

(١) ليس فى ب .

(٢) فخذوهم بالسنة : اغلبوهم وحاجوهم بها ، لأنها مبينة للأحكام .

(٣) أصحاب السنن : علماء للحديث ونقاد .

أعلم بكتاب الله ؛ أى بمباني القرآن من يمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ، ومخصه ومؤوله ، فإن تفسير القرآن إنما يعلم من السنة .

(٤) خبر عمر رواه مسلم : ٤٨١ ، وفيه : إنما أفعل كما رأيت رسول الله يفعل .

(٥) ذو الحليفة : مكان على أميال من المدينة من جهة الشام ، وهو ميقات أهل المدينة والشام الذى يحرمون منه .

(٦) فى أثر رواه البخارى ، والنسائى صحيح البخارى : ٢ - ١٦٧ ، والنسائى : ٦ - ١١٥

حين قرآن : أى جمع بين الحج والعمرة فى حجة حجها .

(٧) أنهى للناس عنه : عن القرآن .

(٨) قال القارى (٢ - ٢٥) : وهو غير معروف عنه .

(٩) رواه الدارمى ، والطبرانى ، عن أبى الدرداء .

(١٠) القصد : الاعتدال بين الإفراط والتفريط .

وقال ابنُ مُهر : صلايُ السفر ركعتان ؛ مَنْ خالف السنَّةَ كَفَرَ^(١) .

وقال أُنْبَى بنُ كَعْب : عليكم بالسبيل^(٢) والسنَّة ؛ فإنه ما على الأرض من عَبْدٍ على السبيلِ والسنَّةِ ذَكَر اللهَ في نَفْسِهِ ففاضت عَيْنَاهُ من خَشْيَةِ رَبِّهِ ، فيعذَّبهُ اللهُ أبداً ؛ وما على الأرض من عَبْدٍ على السبيلِ والسنَّةِ ذَكَر اللهَ في نَفْسِهِ فاقشعر^(٣) جلدهُ من خشيةِ اللهِ إلا كان مثلهُ كمثلِ شجرةٍ قد يَبِسَ وَرَقُهَا ؛ فهي كذلك إِذْ أَصَابَهَا رِيحٌ شديدةٌ ، فَتَحَات^(٤) عنها وَرَقُهَا إلا حَطَّ^(٥) اللهُ خَطَايَاهُ كما تَحَات عن الشجرةِ وَرَقُهَا ؛ فَإِنَّ اقْتِصَاداً^(٦) في سبيلِ^(٧) وسنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ^(٨) في خلافِ سبيلِ وسنَّةٍ ، وموافقةٍ بدعةٍ ؛ وانظروا^(٩) أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ إِنْ كَانَ اجتهاداً واقتصاداً أَنْ يَكُونَ على مِناهجِ الأنبياءِ وَسُنَّتِهِمْ^(١٠) .

وكتب بعضُ عُمَّالِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى عُمرَ بحالِ بلدِهِ ، وكثرةِ لُصُوصِهِ ؛ هل يَأْخُذُهم بِالظَّنَّةِ أو يَحْمِلُهم على البينة^(١١) وما جَرَتْ عليه السنَّةُ ؟

(١) كفر : صار كافراً ، وهذا إن قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا أو أنكر جواز فعله ، وإلا فهو بمجرد الإتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله وبعض الفقهاء . وقيل : الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله بها عليه من إحسانه عليه بتسهيل أمره .

(٢) السبيل : طريق طاعة الله وصراطه المستقيم ، وهو العمل الخالص تقرباً إلى الله تعالى .

(٣) اقشعر جلده : أخذته قشعريرة ، وهى الرعدة ، فاقبض جلده واجتمع .

(٤) تحات : سقط .

(٥) المراد بالحط هنا المنفرة .

(٦) اقتصاد : اعتدالا ؛ وتوسطا .

(٧) في ب : في سبيل الله

(٨) من اجتهاد : أى زيادة وبذل جهد وطاقة .

(٩) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل .

(١٠) على مناهج الأنبياء : على طريقتهم . والنهـاج والنهـج : الطريق الواضح .

(١١) بالظنة : أى بمجرد الظن بأنهم لصوص . يحملهم : يطلب منهم ويكلفهم .

فكتب إليه عمر : خُذْهُمْ^(١) بِالْبَيِّنَةِ وما جَرَتْ عليه السَّنةُ ؛ فَإِنْ لم يُصلحهم الحقُّ فلا أَصلَحهم اللهُ .

وعن عطاء - في قوله^(٢) : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) :
أى إلى كتاب الله وسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعى : ليس في سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا اتِّبَاعُهَا^(٣) .

وقال عمر^(٤) — ونظر إلى الحَجَرِ الأسود : إِنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا [١٤٢]
تَضُرُّ ؛ وَلَوْ لَا أُنِى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ؛ ثُمَّ قَبَّلَهُ .
ورُئِيَ عَبْدُ اللَّهِ^(٥) بنُ عُمَرَ يُدِيرُ نَاقَتَهُ في مَكَانٍ ، فُسِّلَ عَنْهُ ، فَقَالَ : لَا أَدْرَى
إِلَّا أَنِى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَلَهُ ، فَفَعَلْتُهُ .

وقال أبو عثمان الحِيرى^(٦) : مَنْ أَمَرَ السَّنةَ على نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ
بِالحِكْمَةِ^(٧) ، وَمَنْ أَمَرَ المَوَى على نَفْسِهِ نَطَقَ بِالبدعة .

وقال سَهْلُ التُّسْتَرى : أَصُولُ مَذْهَبِنَا ثَلَاثَةٌ^(٨) : الِاتِّبَاعُ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
في الأخلاقِ والأفعالِ ، والأكلُ من الحلالِ ، وإِخْلَاصُ النِّيَّةِ في جَمِيعِ الأَعْمَالِ .

(١) خذهم : احكم عليهم .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ . تنازعتم : اختلفتم . فردوه إلى الله والرسول : ارجعوا فيه
إلى كتاب الله وسنة رسوله .

(٣) إلا اتباعها : أى اتباع السنة والعمل بها ؛ وكان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ،
وإذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط .

(٤) رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٩٢٥ ، وصحيح البخارى : ٢ - ١٧٥ .

(٥) رواه عنه أحمد بن حنبل ، والبرازر بسند صحيح .

(٦) فى ١ : الجنيدى . والثبت فى ب . وأشار فى هامشه إلى أنه فى نسخة : الجنيدى .

(٧) الحكمة : القول الصواب النافع له فى الدنيا والآخرة ؛ وكل كلام وافق الحق فهو

حكمة ؛ ونطق بالحكمة ؛ لأنه تبع من لا ينطق عن الهوى ، واختار سبيل الهدى .

(٨) مذهبنا : أى التصوف ؛ أى قواعد التى يدور عليها .

وجاء في تفسير قوله تعالى^(١) : ﴿ وَالْعَمَلُ لِلصَّالِحِ يُرْفَعُهُ ﴾ — أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحُكي^(٢) عن أحمد بن حنبل ؛ قال : كُنْتُ يَوْمًا مَعَ جَمَاعَةٍ تَجَرَّدُوا^(٣) وَدَخَلُوا الْمَاءَ ، فَاسْتَعْمَلْتُ الْحَدِيثَ^(٤) : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَّامَ إِلَّا بَمِيزَرٍ^(٥) ، وَلَمْ أَتَجَرَّدْ ؛ فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَائِلًا لِي : يَا أَحْمَدُ أَبْشِرْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ بِاسْتِعْمَالِكَ السَّنَةِ ، وَجَمَلِكَ إِمَامًا يُفْتَدَى بِكَ .
قلت : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .

فصل

[في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال]

ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلالٌ وبدعةٌ متوعَّد من الله تعالى عليه بالخذلان^(٦) والعذاب ، قال الله تعالى^(٧) : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

وقال^(٨) : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

(١) سورة فاطر ، آية ١٠ (٢) في ١ : أن . (٣) تجردوا عن ثيابهم ، عريا .

(٤) استعملت الحديث : عملت به . وقيل للمعنى : طلبت ذلك من نفسي ، وقلت : لا توافق

هؤلاء . والحديث رواه مسلم ، والترمذي : سنن الترمذي : ٥ - ١١٣

(٥) للثَّز : الإزار ، وهو ما يستر به نصف المرأة الأسفل .

(٦) متوعَّد عليها : ورد الوعيد لفاعليها . والخذلان : عدم التوفيق ، وترك النصر له .

(٧) سورة النور ، آية ٦٣ . يخالفون عن أمره : يعرضون عن أمر النبي . والفتنة : ما في

الدنيا من اللصائب ، والحمن ، والبلايا .

(٨) سورة النساء ، آية ١١٥ . يشاقق : يخالف ، ويعادى ويخاصم . تبين له الهدى :

ظهر له الحق . يتبع غير سبيل المؤمنين : يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل نوله ما تولى : نجمه متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع . ونصله جهنم : ندخله فيها ونحرقه بها .

حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر ، وعبد الرحمن بن عتّاب بقراءتي عليهما ؛
 قالا : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القابسي ، حدثنا
 أبو الحسين^(١) بن مسرور الدبّاغ ، حدثنا أحمد بن أبي سليمان ، حدثنا سُخْنُونُ
 ابن سَعِيدٍ ، حدثنا ابنُ القاسم ، حدثنا مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ،
 عن أبي هريرة - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة : . . وذكر
 الحديث^(٢) في صفةِ أُمّتِهِ ؛ وفيه : فَلْيَذَادَنَّ^(٣) رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كما يُذَادُ البعيرُ
 الضالُّ^(٤) ، فَأَنَادِيهِمْ : أَلَا هَلُمَّ ، أَلَا هَلُمَّ^(٥) ؛ فيقال : إنهم قد بدؤوا بَعْدَكَ^(٥) .
 فأقول : فَسُخْنُونًا ، فَسُخْنُونًا ، فَسُخْنُونًا^(٦) .

وَرَوَى أَنَسُ^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : من رَغِبَ^(٨) عن سُنتِي
 فليس مني .

وقال^(٩) : من أَدْخَلَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ^(١٠) .

(١) في ١ : أبو الحسن .

(٢) حديث رواه مسلم والإمام مالك مسندا : صحيح مسلم : ٢١٨ ، وسنن ابن ماجه :
 ١٤٤٠ ، وللوطأ : ٣٠ .

(٣) الذود هنا : الطرد والمنع . كما يذاد البعير الضال : كما يطرد البعير إذا ضل من صاحبه
 وأتى ليدخل في إبل أخرى ليستقي فيطرد من بينها لثلاثا ينتقص شربها .

(٤) هلم : أقبلا .

(٥) بدلوا بعدك : أي غيروا سنتك ، وارتكبوا ما لم تمهد فيه .

(٦) فسحقا : جعلهم الله في مكان سحيق ؛ أي بعيد .

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٧ - ١ ، وصحيح مسلم : ١٠٢٠ .

(٨) رغب عن سنتي : تركها .

(٩) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٩ - ١٣٢ ، وصحيح مسلم : ١٤٤٣ .

(١٠) من أدخل في أمرنا : أي أحدث بدعة في الدين . فهو رد : مردود .

ورَوَى ابن أبي رافع^(١) ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال :
لَا أُلْقِينَ أَحَدَكُمْ مَتَكِنًا عَلَى أَرَبِكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ،
فَيَقُولُ : لَا أَذْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ .

زاد في حديث المقدم^(٢) : أَلَا وَإِنْ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ^(٣) .

وقال^(٤) صلى الله عليه وسلم : وَجِيَءٌ بَكِتَابٍ فِي كَيْفٍ^(٥) : كَفَى بِقَوْمٍ حُخْفًا -
أَوْ قَالَ : ضَلَالًا - أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى غَيْرِ نَبِيِّهِمْ^(٦) ، أَوْ كِتَابٍ غَيْرِ
كِتَابِهِمْ ؛ فَتَزِلَتْ^(٧) : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ^(٨) يُتْلَى عَلَيْهِمْ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقال^(٩) صلى الله عليه وسلم : هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ^(١٠) .

(١) هذا الحديث رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه كما تقدم . وقد تقدم شرحه
وتخرجه صفحة ٥٥١ .

(٢) كما رواه الحاكم .

(٣) لأنه مبلغ عنه ؛ فيجب اجتناب ما حرمه .

(٤) في حديث رواه الهارمي ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وأبو داود مرسلًا .

(٥) في كتف : مكتوب في عظم كتف ؛ لأنهم في الصدر الأول كانوا يكتبون فيها وفي
الجلود لقلة الورق إذ ذاك .

(٦) إلى غير نبيهم : أي ناظرين ، وملفتين ومقابلين إلى ما جاء به غير نبيهم - يعني ولو
كان نبيًا إلى غيرهم .

(٧) سورة العنكبوت ، آية ٥١ (٨) الكتاب ؛ هو القرآن .

(٩) في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود . صحيح مسلم : ٢٠٥٥ .

(١٠) هلك المتنطعون : أي وقعوا في أمر يهلكهم يؤدي إلى غضب الله تعالى وعقابه ؛
من تنطع ؛ أي بالغ وغالى في الأمور وتشدق بكلام لا حاجة إليه .

قال الخطابي : المتنطع : التعمق للتسكف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائف فيها لم
يبلغه عقله .

وقال [١٤٣] ^(١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه : استُ تاركاً شيئاً كان
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعملُ به إلا عملتُ به ؛ إني أخشى إن تركتُ شيئاً
من أمره أن أزيغ ^(٢) .

(١) رواه عنه أبو داود، والبخارى . صحيح مسلم : ١٣٨٢
(٢) أزيغ : أميل عن الحق والسنة .

البَابُ الثَّانِي

في لزوم^(١) محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى^(٢) : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ^(٣) وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا^(٤) وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا^(٥) حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

فكفي بهذا حصاً وتنبهياً ودلالةً وحُجَّةً على إلزام محبته^(٦) ، ووجوب قرَضِها ، وعِظَمِ خَطَرِها^(٧) ، واستحقاقِها صلى الله عليه وسلم ؛ إذ قرع تعالى^(٨) مَنْ كَانَ مَالُهُ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وأوْعَدَهم بقوله تعالى^(٩) : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ .

ثم فسَّغهم^(١٠) بتمام الآية ، وأعلمهم أنهم مَن ضَلَّ ولم يَهْدِهِ اللهُ .
حدثنا أبو عليّ النسائي الحافظ فيما أجازَنيهِ ، وهو بما قرَأَهُ على غير واحد^(١١) ؛
قال : حدثنا سراجُ بن عبد الله القاضي ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، حدثنا المروزي ،

(١) لزوم محبته : وجوبها على كل مكلف من أمته .

(٢) سورة التوبة ، آية ٢٤ (٣) عشيرتكم : أقرباء النسب .

(٤) اقترفتُموها : اكتسبتموها وملكتُموها .

(٥) ترَبَّصُوا : التَّربَّص : الانتظار . (٦) إلزام محبته : إثبات مودته .

(٧) خطرُها : قدرُها . (٨) قرع : وِجَح .

(٩) فسَّغهم : وصفهم ونسبهم للفسق ، وهذا الوصف جاء في آخر الآية في قوله تعالى :

والله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . فجعلهم فاسقين .

(١٠) وقد رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي : صحيح مسلم ٦٧ ، وصحيح البخاري :

١ - ١٢ ، وسنن النسائي : ٧ - ١٠٠

حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُلَيبَةَ ، عن عبد العزيز بن صُهَيْبٍ ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وعن أبي هريرة نحوه .

وعن ^(١) أَنَسٍ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ ^(٢) فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا . وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَبْهُودَ فِي السُّكْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ .

وعن ^(٣) عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْآنَ ^(٤) يَا عُمَرُ .

قَالَ سَهْلٌ : مَنْ لَمْ يَرَّ ^(٥) وَلَايَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، وَيَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذُوقُ حَلَاوَةَ سُنَّتِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ . . .

(١) رواه الشيخان . صحيح البخاري : ١ - ١٢ ، صحيح مسلم : ٦٦

(٢) كن فيه : وجدن فيه . (٣) في حديث رواه البخاري .

(٤) الآن : الآن نطق بالحق ، أو ظهر اتصافك بكمال الإيمان .

(٥) من لم ير : من لم يعلم ويتحقق يقينا . ولاية الرسول : نفوذ حكمه وسلطانه ، حتى كأنه مملوك له .

فصل

في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا^(١) أبو محمد بن عتّاب بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن علي بن خلف ، حدثنا أبو زيد المروزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس رضي الله عنه — أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : متى الساعة^(٢) ؟ يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها^(٣) ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولاكني أحب الله ورسوله .

قال : أنت مع من أحببت^(٤) .

وعن صفوان بن قدامة : هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته ، فقلت : يا رسول الله ، ناولني يدك أبياعك^(٥) . فناولني يده ، فقلت : يا رسول الله ؛ إني أحبك . قال : المرة [١٤٤] مع من أحب^(٦) .

وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، وأبو موسى ، وأنس ؛ وعن أبي ذر بمعناه .

(١) هذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٥ - ١٤ ، وسنن الترمذي : ٤ - ٥٩٥

(٢) سألته عن تعيين زمان وقوعها . والمراد بالساعة يوم القيامة .

(٣) ما أعددت لها : ما هيأت وأحضرت لها من الأعمال الصالحة التي تنفعك فيها إذا قامت .

وفي ب : كبير - بالباء الموحدة .

(٤) أنت مع من أحببت : المراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين ، وإن كانت مراتبهم

متفاوتة . (٥) للبايعة : الإقرار بما جاء به واتباعه .

(٦) سنن الترمذي : ٤ - ٥٩٥ ، عن أنس ، وعن صفوان بن عسال . وصحيح

البخاري : ٨ - ٤٨ ، ٤٩

وعن عليٍّ أَنَّ^(١) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ ، فَقَالَ : مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَؤُلَاءِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا^(٢) كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَرُوِيَ^(٣) أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ؛ وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَأَصْبِرْ حَتَّى أَجِيءَ ، فَأَنْظِرَ إِلَيْكَ ؛ وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ ، فَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِن دَخَلْتُهَا لَا أُرَاكَ^(٤) .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى^(٥) : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ — فَدَعَا بِهِ قَرَأَهَا عَلَيْهِ^(٦) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٧) : كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَطُورُ^(٨) ، فَقَالَ : مَا بِالْكَ^(٩) ؛ قَالَ : يَا أَبَتِي وَأَتَمِي ! أَتَمْتَعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رَفَعَكَ اللَّهُ بِتَفْضِيلِهِ^(١٠) ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ .

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ^(١١) أَحَبَّنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ .

(١) رواه عنه الترمذی : سنن الترمذی : ٥ - ٦٤١

(٢) أبوهما : علي . وأمهما : فاطمة الزهراء .

(٣) رواه الطبرانی وابن مردويه عن عائشة وابن عباس . ورواه ابن كثير في تفسيره : ١ - ٣١٠

(٤) لا أراك : لا أراك بعد الدخول ، لأنك في مقام أعلى لا يصل إليه غيرك .

(٥) سورة النساء ، آية ٦٩ (٦) قرأها عليه جواباً له وتبشيراً .

(٧) قال القاري (٢ - ٣٧) : لا يعرف مخرجه .

(٨) ينظر إليه : يديم النظر إلى وجهه الكريم . لا يطرف : لا يطبق أحد جفنيه على

الآخر . ويفض بصره ، أو يصرفه عنه .

(٩) ما بالك : ما شأنك حتى تحمد النظر إلى وتدبمه .

(١٠) أى في أعلى الدرجات . بتفضيله ؛ أى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى إليك على من

سواك ، وحينئذ لا أراك . (١١) في ١ : ومن ...

فصل

فَمَا رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأُئِمَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِمُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَوْقِهِمْ لَهُ
 حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ ، حَدَّثَنَا الْمُعْذَرِيُّ ، حَدَّثَنَا الرَّازِيُّ ، حَدَّثَنَا الْجَلُّودِيُّ ،
 حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
 عَنْ سَهِيلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مِنْ أَشَدِّ أُمَمِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي ؛ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى
 بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ^(٢) .

وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَأَنْتَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي . وَمَا تَقَدَّمَ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي مِثْلِهِ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

وَعَنْ عَبْدِ بَنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ^(٤) ؛ قَالَتْ : مَا كَانَ خَالِدٌ ^(٥) يَأْوِي إِلَيَّ فِرَاشٍ
 إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ

(١) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٢١٧٨

(٢) أَيْ يَحِبُّ وَيَرْغِبُ وَيَتَمَنَّى لَوْ بَذَلَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ لِأَجْلِ رُؤْيَاهُ . أَوْ يَتَمَنَّى لَوْ رَأَى بَدَنَهُمَا .

(٣) هَذَا مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(٤) قَالَ الْقَارِي (٢ - ٣٨) : لِلْمَرْوُوفِ : عَبْدِ بَنْتِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، رَوَتْ عَنْ أَبِيهَا ،
 ذَكَرَهَا ابْنُ جَبَانَ فِي ثِقَاتِهِ .

(٥) تَمَنَّى أَبَاهَا .

المهاجرين والأنصار يُسميهم ويقول : **مُ أَصْلِي وَفَضْلِي** ^(١) ، وإليهم يحنُّ قلبي ، طال شوق إليهم ، فمَجَلَّ رَبَّ قَبَضِي إِلَيْكَ ^(٢) حتى يغلبه النوم .

وروي ^(٣) عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب ^(٤) كان أقرَّ لعيني ^(٥) من إسلامه - يعني أباه أبا قحافة ؛ وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقرَّ ^(٥) لعينك .

ونحوه عن عمر بن الخطاب ؛ قاله للعباس ^(٦) رضي الله عنه : أن تُسلم أحبُّ إلي من أن يُسلم الخطَّابُ ؛ لأنَّ ذلك أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن إسحاق ^(٧) أن امرأة من الأنصار قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحُدٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٨) ؟ قالوا : خيراً ، هو بمحمد الله كأنجيين . قالت : أرونيهِ حتى أنظرَ إليه . فلما رآته قالت : كلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ ^(٩) .

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حُبُّكم لرسول الله صلى الله عليه [١٤٥] وسلم ؟ قال : كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأُمَّهاتنا ، ومن الماء الباردِ على الظَّما .

(١) يعني أني أفتخر بهم وأنسب إليهم دون آبائي وقبائلي . والمراد أن عليهم عمدي ، وبهم أفضل وأحكم .

(٢) أي عجل موتي حتى ألقاهم .

(٣) في شرح القاري (٢ - ٣٩) : رواه ابن عسَّاکر في تاريخه .

(٤) يعني عم النبي . أقر لعيني : أسر وأحب عندي .

(٥) وهذا الحديث رواه أحمد ، وابن إسحاق ، وأبو حاتم .

(٦) عم النبي . (٧) ورواه البيهقي .

(٨) تريد السؤال عن سلامته وحياته .

(٩) جلال : شيء هين لا أبالي به ولا أحزن عليه .

وعن زيد بن أسلم : خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرمس الناس ، فرأى مصباحاً في بيت ، وإذا عجوز تنفّس صَوْفاً ، وتقول :

على مُحَمَّدٍ صلاةُ الأبرار^(١) صلى عليه الطيّبُونَ الأخيارُ
قد كنت قَوَّاماً بُكاً بالأسحار^(٢) باليت شِعْرى والمنايا أطوارُ

هل تَجْمَعُنِي وَحَيِّي الدَّارُ

تَعْنِي^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم .

فجلس عمر رضي الله عنه يبكي ؛ وفي الحكاية طول .

وروى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ حَدَّثَ^(٤) رِجْلَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَزُلْ عَنْكَ .

فصاحَ : يَا مُحَمَّدَاهُ ! فانتشرت^(٥) .

ولما احتضر^(٦) بلال رضي الله عنه نادى امرأته : واحزناها فقال : واطرباه^(٧) !
غداً ألقى الأحيّة . محمداً وحزبه .

[ومثله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما]^(٨) .

(١) الأبرار : جمع بر ، وبار ، وهو كل مطيع لربه ، متق ؛ أى أدعوه له بكل ما تدعو به الأبرار .

(٢) قواماً : متهجداً ، أى كثير القيام للعبادة . والأسحار : جمع سحر ؛ وهو آخر الليل .

(٣) أى لعني بقولها : حبيبي .

(٤) خدرت رجله : أصابها خدر ، وهو أمر يعترى الرجل فيمنع من تحريكها بسهولة ويحول سريماً ؛ أى فترت عن الحركة ، وضعفت .

(٥) فانتشرت : أى امتدت رجله لزوال خدرها .

(٦) احتضر : حضرته الوفاة ، وقارب الموت .

(٧) الطرب : خفة تعترى المرء لحزن أو سرور . والمراد الثاني هنا .

(٨) وحزبه : الحزب : الجماعة ، والمراد بهم الصحابة . (٩) ليس في ١ .

وَيُرَوَّى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : اكْشِفِي لِي قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَشَفَتْهُ لَهَا ، فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ .

وَلَمَّا أَخْرَجَ^(١) أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثَنَةَ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ^(٢) قَالَ أَبُو سَفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ : أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ^(٣) يَا زَيْدُ ، أَتُحِبُّ أَنْ يُحَمَّدَا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ تُضْرَبُ عَنْقُهُ ، وَإِنَّكَ فِي أَهْلِكَ^(٤) ؟

فَقَالَ زَيْدٌ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يُحَمَّدَا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةُ وَلَمَّا جَالَسَ فِي أَهْلِي .

فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا !

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥) : كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا أَتَتْ^(٦) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلَفَهَا بِاللَّهِ : مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ ، وَلَا رَغْبَةٍ بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ ؛ وَمَا خَرَجْتُ إِلَّا حَبًّا لِلَّهِ^(٧) وَرَسُولِهِ .

وَوَقَفَ^(٨) ابْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ قَتْلِهِ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، وَقَالَ : كُنْتَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ صَوْمًا قَوْمًا تُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٩) .

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٢) وَكَانَ أَسْرَ يَوْمِ الرَّجِيعِ ؛ وَإِنَّمَا أَخْرَجُوهُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْتُلُونَ فِيهِ لِعَظَمَتِهِ لَهُ .

(٣) أُنْشِدْكَ اللَّهُ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ . (٤) وَإِنَّكَ فِي أَهْلِكَ : أَيَّ سَالِمًا مَقَامًا .

(٥) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، وَابْنُ بَرَكَةَ .

(٦) أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهَاجِرَةً إِلَى الْمَدِينَةِ .

(٧) مَا خَرَجْتُ : أَيَّ مِنْ أَرْضِهَا وَبَلَدِهَا لَشَيْءٍ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ نَاشِئَةٍ ، وَلَا رَغْبَةٍ فِي أَرْضٍ

عَنْ أَرْضٍ ، وَأَنَّهَا مَا خَرَجْتُ مِنْ أَرْضِهَا إِلَّا حَبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَهِيَ هِجْرَةٌ خَالِصَةٌ لِلَّهِ .

(٨) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ .

(٩) صَوْمًا : كَثِيرَ الصَّوْمِ . قَوْمًا : كَثِيرَ الْقِيَامِ وَالتَّهَجُّدِ .

فصل

في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته^(١)، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ، وكان مُدَّعِيًا . فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تَظَهَّرَ علامة ذلك عليه ؛ وأولها الاقتداء به ، واستعمال سُنَّتِهِ ، واتِّبَاعُ أقواله وأفعاله ، وامْتِثَالُ أوامره ، واجْتِنَابُ نواهيه ، والتأدُّبُ بِآدَابِهِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ^(٢) ، وَمَنْشَطُهُ وَمَكْرَهِهِ^(٣) ، وشاهدُ هذا قوله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . وإيثارُ ما شرَّعه^(٥) وَحَضُّ عليه على هوى نفسه ، وموافقة شهوته^(٦) ؛ قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِثُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وإِسْخَاطُ العبادِ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى .

(١) آثره : اختاره وقدمه على غيره . وآثر موافقته في أقواله وأفعاله .

(٢) في عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ : في الشدة والرخاء ، وفي المحنة والنعمة ، والجوع والشبع .

(٣) مَنْشَطُهُ : في نشاطه وخفته . ومَكْرَهُهُ : كراهته لأمر يتحمله من غيره . أى في حال سقته

وضيقه ، أو حال رضاه وغضبه ، أو وقت فرحه وحزنه ، أو زمن انشراح صدره وانقباض أمره .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٣١ (٥) ما شرَّعه : من أحكامه الواجبة وغيرها .

(٦) هوى نفسه : ما تهواه وتميل إليه وموافقة شهوته : أى ما تشتهيه نفسه وتميل إليه طبعه .

(٧) سورة الحشر ، آية ٩

تبوءوا الدار : سكنوها واستقروا بها ، وهم الأنصار . والمراد بالدار : المدينة . والإيمان : أى

وأخلصوا الإيمان . حاجة مما أوتوا : حاجة : حزاة . مما أوتوا : أى لا يخطر ببالهم ولا تطمح

نفوسهم إلى ما أعطى المهاجرون من فء وغيره حسدا وطعما . ويؤثرون على أنفسهم : يقدمون

للمهاجرين على أنفسهم . خصاصة : احتياج وفاقة .

حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو الحسين الصيرفي ، وأبو النضر ابن خيرون ؛ قالا : حدثنا أبو يعلى البغدادي ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا مسلم بن حاتم ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه [١٤٦] عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ ^(١) لِأَحَدٍ فَأَفْعَلْ .

ثم قال لي : يا بُنَيَّ ؛ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ .

فمن اتصف بهذه الصفة ^(٢) فهو كاملُ الحجةِ لله ورسوله ، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقصُ الحجةِ ، ولا يخرج عن اسمها ^(٣) .

ودليله قوله ^(٤) صلى الله عليه وسلم للذي حده في الحمر فلمعه بمضهم ، وقال : مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى ^(٥) بِهِ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَا تَلْعَنَهُ ، فَإِنَّهُ ^(٦) يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

ومن علاماتِ محبةِ النبي صلى الله عليه وسلم كثرةُ ذِكْرِهِ لَهُ ؛ فمن أحب شيئا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ .

(١) النفس : ضد النصح . والمراد به هنا : غل وحقد .

(٢) أي من اتصف بإحياء السنة واتباعها ، وتحلى بهذه الصفات التي هي علامات الحجة .

(٣) أي لا يخرج بارتكاب بعضها عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة .

(٤) في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه : صحيح البخاري : ٨ - ١٩٧ ،

وقال فيه : كان اسم هذا الرجل عبد الله ، وكان يلقب حمارا ، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الدمياطي : إن هذا وهم ؛ فإن صاحب القصة نعمان بن عمرو ، أتى به في شرب الخمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه . وكان صاحب مزاح . (٥) أي وهو سكران .

(٦) في صحيح البخاري : لا تلعنوه ، فوالله - ما علمت - إنه يحب الله ورسوله .

ومنها كثرة شوقه إلى لقاءه ؛ فكل حبيب يحب لقاء حبيبته .
وفي حديث الأشعرين^(١) عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون^(٢) :
غدا نلقى الأحبة . محمداً وصحبه .
وتقدم قول بلال^(٣) .

ومثله قال عمار قبل قتله^(٤) . وما ذكرناه من قصة^(٥) خالد بن معدان .
ومن علاماته مع كثرة ذكره - تعظيمه له وتوقيره عند ذكره ، وإظهار
الخشوع والانكسار^(٦) مع سماع اسمه .
قال إسحاق التيجي : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده^(٧) لا يذكرونه
إلا خشعوا واقتسمرت جلودهم وبكوا .

وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه ؛ ومنهم
من يفعله تهيباً وتوقيراً^(٨) .

ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هو بسببه^(٩) من
آل بيته وصحابه من المهاجرين والأنصار ؛ وعداوة من عاداهم ، وبغض من
أبغضهم^(١٠) وسبهم ؛ فمن أحب شيئاً أحب من يحبه^(١١) .

(١) هم أبو موسى الأشعري وأصحابه ، وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة
سبع من الهجرة .

(٢) يرتجزون : ينشدون شعراً وكلاماً موزوناً . أو المراد يصيحون ويصوتون .

(٣) صفحة ٥٦٩ من هذا الكتاب ؛ فقد سبق هناك أنه أنشد نحو هذا الرجز .

(٤) في ب : وكما قال عمار قبل مقتله ، وعليها علامة « صح » . والثبت في أ .

(٥) وقد تقدمت صفحة ٥٦٧

(٦) الخشوع : الخضوع . والانكسار : التذلل والتواضع . (٧) بعده : أى بعد وفاته .

(٨) وتوقيراً : أى لإجلاله وتكريمه . (٩) في أ : النبي - بالنصب .

(١٠) من هو بسببه : من كان بينه وبينه قرابة أو صهر .

(١١) بغض من أبغضهم : أى كرههم . (١٢) في أ : يحب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين : اللهم إني أحبهما فأحبهما^(١) .

وفي^(٢) رواية - في الحسن : اللهم إني أحبه فأحب من يحبّه .

وقال : من أحبهما^(٣) فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضهما فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله .

وقال^(٤) : الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا^(٥) ؛ بعدي ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم^(٦) فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله بوشك أن يأخذه^(٧) .

وقال^(٨) - في فاطمة رضي الله عنها : إنها بضعة^(٩) مني ، يفضيني ما أغضبها .

وقال^(١٠) لعائشة - في أسامة بن زيد : أحبيته فإني أحبه .

(١) رواه البخاري : ٥ - ٣٠ ، ٣٣ . فأحبهما : أى أعطهما كل خير دنيوى وآخرى .
وقد رواه الترمذى في حديث قال : إنه حسن صحيح . وقد سبق أن الحديث في سنن الترمذى : ٦٥٧ ، ٦٦١ .

(٢) من أحبهما : أى الحسن والحسين .

(٣) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ٦٩٦ . الله الله : اتقوا الله ، واحذروه ، واخشوه .
وفي تسكيره تحذير على وجه البالغة .

(٤) غرضا : الغرض : الهدف الذى يرمى بالسهم . والمراد : لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبغثوا عما وقع منهم .

(٥) ومن آذاهم بذكر ما يسوءهم . (٦) آذى الله ؛ أى عصاه وفعل مالا يرضاه .

(٧) يوشك أن يأخذه : أى يهلكه سريما ولا يمهل له فى أخذه أخذ عزيز مقتدر .

(٨) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٥ - ٣٦ .

(٩) بضعة : قطعة وجزء منى .

(١٠) في حديث رواه الترمذى : سنن الترمذى : ٥ - ٦٧٧ .

وقال^(١) : آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ ؛ وآيةُ النفاقِ بُغْضُهم .
وفي حديث^(٢) ابنُ عمر : مَنْ أَحَبَّ العربَ فَيُحِبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ
فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ ؛ فَبِالْحَقِيقَةِ^(٣) مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحِبُّهُ .
وهذه سيرةُ السلفِ حتى في المُبَاهَاةِ وشَهَوَاتِ الغُفْسِ .

وقد قال أنس - بن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ينتبِعُ الدُّبَاءَ^(٤) من حَوَالِي
الْقَصْعَةِ : فَازَلْتُ أَحَبَّ الدُّبَاءِ مِنْ بَوْمِئِذٍ^(٥) .

وهذا الحسنُ بنُ عليٍّ ، وعبدُ الله بن عباس ، وابنُ جعفر - أَتَوْا سَلْمَى
وَسَأَلُوهَا أَنْ تَصْنَعَ لَهُمْ [١٤٧] طَعَامًا يَمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٦) .
وكان ابنُ عمر^(٧) يلبسُ النَّمَالَ السَّبْتِيَّةَ ، وَيَصْنَعُ بِالصُّفْرَةِ ؛ إِذْ رَأَى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ نَحْوَ ذَلِكَ .

ومنها بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ ، وَمُجَانَبَةُ مَنْ
خَالَفَ سُنَّتَهُ وَابْتَدَعَ فِي دِينِهِ ، وَاسْتِقَالَهُ^(٨) كُلِّ أَمْرٍ يَخَافُ شَرِيْعَتَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٩) :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

(١) فيما رواه الشيخان . صحيح البخارى : ١ - ١٢ . آية الإيمان : علامة تحققة وصدقه
وكاله .

(٣) فبالحقيقة : أى بسبب النظر للحقيقة ونفس الأمر المحقق عند العقول السليمة .

(٤) نوع من الماء كقول معروف عند الناس بالقرع ، ومعنى تتبعها أنه يأخذ قطع القرع
من أى محل وجدت فيه . (٥) هذا الحديث أخرجه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ٨٩
(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤١٠) : وَإِنَّمَا سَأَلُوهَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَخْدُمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم ، وتعرف ما كوله ومشروبه .

(٧) فى حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٨٤٤ . السبتية : منسوبة إلى السبت ؛ وهو
جلد دبغ وأزيل شعره ، فالنعال السبتية : هى التى ليس فيها شعر .

(٨) استقاله : عدّه ثقيلًا متفورًا عنه ، غير مقبول . (٩) سورة المجادلة ، آية ٢٢
يوادون : يكون بينهم وبينهم مودة . حاد الله ورسوله : يخالفونه ويمارضونه .

وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحبابهم، وقتلوا آباءهم وأبنائهم في مَرْضَاتِهِ .

وقال له عبد الله^(١) بن عبد الله بن أبي: لو شئتَ لأتيتك برأسه - يعني أباه .
ومنها أن يُحِبَّ القرآنَ الذي أنى به صلى الله عليه وسلم، وهَدَى^(٢) به واهتدى،
وتَخَلَّقَ به حتى قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عنها: كان خُلُقُهُ القرآنَ^(٣) ، وَحِبُّهُ للقرآنِ
تلاوته ، والعملُ به وتفهمه .

ويحِبُّ^(٤) سُنَّتَهُ ، وَيَقِفُ عند حَدُودِهَا .

قال سهل بن عبد الله: علامةُ حُبِّ الله حُبُّ القرآنِ؛ وعلامةُ حُبِّ القرآنِ
حُبُّ النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامةُ حُبِّ النبي صلى الله عليه وسلم حُبُّ السُنَّةِ،
وعلامةُ حُبِّ السُنَّةِ حُبُّ الآخِرَةِ^(٥) ، وعلامةُ حُبِّ الآخِرَةِ بُغْضُ الدُّنْيَا، وعلامةُ
بُغْضِ الدُّنْيَا ألا يَدْخِرَ منها إلَّا زاداً وَبُغَاةً إلى الآخِرَةِ^(٦) .

وقال ابن مسعود^(٧): لا يسألُ أحدٌ عن نفسه^(٨) إلَّا القرآنَ؛ فإن كان يحِبُّ
القرآنَ فهو يحِبُّ اللهَ ورسولَهُ .

(١) كان عبد الله بن أبي رئيس أهل يثرب قبل الهجرة ، فلما هاجر النبي إلى المدينة وظهر
الإسلام بطلت رياسته ، فكان لحرصه على الدنيا يكره الإسلام ويظهر النفاق ، وهو الذي
نزل في حقه سورة المنافقين . وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين .

(٢) وهدى به الخلق كلهم، واهتدى هو، وتخلق به: أى اتخذه خلقاً له يعمل بكل ما فيه .

(٣) كان خلقه القرآن: أى كان دأبه التمسك به ، والتأدب بأدابه، والعمل بما فيه من مكارم
الأخلاق. وحديث عائشة في سنن أبي داود: ١ - ١٣٤ ، ومسند أحمد: ٦ - ١١١ ، وتفسير

ابن كثير: ٨ - ٢١٤ (٤) من علامات محبة الرسول .

(٥) لأن من أحب الرسول واتبعه أحب لقاءه ورغب في الآخرة .

(٦) ألا يدخر: ألا يقتنى منها إلا مقدار ما يتزود ويتقوت، وما يبلغه إلى الدار الآخرة،
كالسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله ، فإنما الدنيا دار سفر ، لا دار مقر .

(٧) في حديث رواه البيهقي في الأدب ، وابن الضريس في فضائل القرآن .

(٨) عن نفسه: عن أحوال نفسه في محبتها لله ورسوله .

وَمِنْ علامة حُبِّهِ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَقَتُهُ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَنُصْحُهُ لَهُمْ ، وَسَفِيهِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ ، وَرَفْعُ الْمَصَارِّ عَنْهُمْ ؛ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَهْوَفًا رَحِيمًا ^(١) .

وَمِنْ علامة تَمَامِ حُبِّهِ زُهْدَ مُدْعِيهَا ^(٢) فِي الدُّنْيَا ، وَإِبْثَارُهُ الْفَقْرَ ^(٣) ، وَاتِّصَافُهُ بِهِ .

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : إِنْ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أَسْرَعُ ^(٤) مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي ، أَوْ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أُحِبُّكَ . فَقَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ^(٥) . قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدْ لِلْفَقْرِ تَجْفَافًا ^(٦) .

ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بِمَعْنَاهُ .

(١) رهوفا : الرأفة شدة الرحمة .

(٢) مدعيها : مدعى الحبة .

(٣) إثاره : اختياره وتقديره الفقر على النفي وسعة الدنيا .

(٤) أى يصل إليكم بسرعة أقوى من سرعة السيل إذا انحدر من الموضع الذى يسيل فيه الماء .

(٥) انظر ما تقول : أى تفكر فيه وتأمل ؛ فإن محبى أمر عظيم من اختارها صادقاً مخلصاً

ينبغى ألا يحب أمراً من أمور الدنيا ، وهو أمر صعب .

(٦) تجفاف : التجفاف : شئ يوضع على الخيل ليقبها في الحرب الأذى كالدرع للإنسان ،

وقد يلبسه الإنسان ؛ أى أعدله عدة تقيك من أذى الفقر ؛ لأن النفوس لا تتحمله ؛ يعنى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله . وفى هامش ١ : التجفاف : ما يلبسه الفرس مثل البرقع ، والجمع تجافيف . ويروى : جلباباً ؛ قال العتيبي : معناه : ليرفض الدنيا ويؤهد فيها وليصبر على الفقر والتقلل ، وكفى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر ، لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن .

والحديث فى سنن الترمذى : ٤ - ٣٧

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثرت عباراتهم في ذلك ؛ وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال^(١) ، ولكنها اختلاف أحوال^(٢) :

فقال سفيان : المحبة^(٣) اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كأنه ألقت إلى قوله تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وقال بعضهم : محبة الرسول اعتقاد نصرته^(٥) ، والذب عن سنته ، والالتزام لها ، وهوية مخالفته .

وقال بعضهم : المحبة : دوام الذكر للمحبوب .

وقال آخر : إيتار المحبوب^(٦) .

وقال بعضهم : المحبة الشوق إلى المحبوب .

(١) إلى اختلاف مقال : أي إلى اختلاف يتعلق باللفظ .

(٢) اختلاف أحوال : أي سبب اختلافهم اختلاف حال الحب ، وحال المحبة قوة وضعفا ؛ فكل نظر إلى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه ، فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا ، وإنما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتها .

(٣) المحبة : أي محبة الله . (٤) سورة آل عمران ، آية ٣١

(٥) اعتقاد نصرته : لزوم نصرته بالمجاهدة لينصره ويملى كلمته والذب : الطرد عن سنته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبهة الواردة عليها .

(٦) إيتار المحبوب : اختياره وتقديمه على ما سواه ؛ بأن يكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله .

وقال بعضهم : المحبةُ مواطاةُ القلبِ ^(١) لِمُرَادِ الرَّبِّ ؛ يُحِبُّ مَا أَحَبَّ ، وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ .

وقال آخر : المحبةُ مَيْلٌ [١٤٨] القلبِ إلى موافقٍ له .
وأكثرُ العباراتِ المتقدمة إشارةٌ إلى ثمراتِ المحبةِ دُونَ حقيقتها .

وحقيقةُ المحبةِ الميلُ إلى ما يُوافقُ الإنسانَ ، وتكون موافقةً له إمَّا لاسْتِغْلَازِهِ بِإِدْرَاكِهِ ؛ كحُبِّ الصُّوَرِ الجميلةِ ، والأصواتِ الحسنةِ ، والأطعمةِ والأشربةِ اللذيذةِ ، وأشباهِها ممَّا كُلُّ طَبْعٍ سَلِيمٌ مَائِلٌ إِلَيْهَا لِمُوَافَقَتِهَا لَهُ ، أَوْ لاسْتِغْلَازِهِ بِإِدْرَاكِهِ بِحَاسَّةِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ مَعَانِي بَاطِنَةٍ ^(٢) شَرِيفَةٍ ؛ كحُبِّهِ الصَّالِحِينَ والعُلَمَاءِ وأهلِ المَعْرُوفِ ، والمَأْتُورِ عَنْهُمْ ^(٣) السَّيْرِ الجميلةِ والأَفْعَالِ الحسنةِ ؛ فَإِنَّ طَبْعَ الْإِنْسَانِ مَائِلٌ إِلَى الشَّغْفِ ^(٤) بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّمَصُّبُ بِقَوْمٍ ، وَالتَّشْيِيعُ ^(٥) مِنْ أُمَّةٍ فِي آخَرِينَ مَا يُوْدِي إِلَى الْجَلَاءِ ^(٦) عَنِ الْأَوْطَانِ ، وَهَتَكَ الْحَرَمِ ^(٧) ، وَاخْتِرَامِ النُّفُوسِ ^(٨) ؛ أَوْ يَكُونُ حُبُّ إِيَّاهُ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُ مِنْ جِهَةِ إِحْسَانِهِ لَهُ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ جُبِلَتْ ^(٩) النُّفُوسُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

(١) مواطاةُ القلبِ : موافقته لمراد الرب ، بألا يريد إلا ما أَرَادَهُ اللهُ .

(٢) معاني باطنة : غير مدركة بالحواس الظاهرة .

(٣) المأثور : المنقول . (٤) الشغف : المحبة الزائدة .

(٥) التمسب : إظهار الحمية والمبالغة في الصيانة . والتشييع بمعناه أيضا .

(٦) أمة : طائفة . والجلاء : الخروج .

(٧) هتك الحرم : هتك : كشف السرِّ يَازِئُهُ وتقطيعه . والحرم : جمع حرمة ؛ وهي

كل ما بصان ويمنع .

(٨) اخترام النفوس : إهلاك الدوات أو الأرواح بسرعة .

(٩) جبِلَتِ النُّفُوسُ : طُبِعَتْ وَخُلِقَتْ .

فإذا تقررَ هذا نظرتَ هذه الأسبابَ كلها في حقِّ صلى الله عليه وسلم فعلتَ أنه صلى الله عليه وسلم جامعٌ لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة :
أما جمالُ الصورة^(١) والظاهر ، وكالُ الأخلاقِ والباطن ، فقد قررنا منها قبلُ
فيما مرَّ في الكتاب ما لا يحتاجُ إلى زيادةٍ .

وأما إحسانُهُ^(٢) وإنعامُهُ على أُمَّتِهِ فكذلك قد مرَّ منه في أوصافِ الله تعالى له
من رأفتهِ بهم ، ورَحْمَتِهِ لهم ، وهِدَايَتِهِ إياهم ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ ، واستنقاذهم به من
النار ، وأنه بالمؤمنين رَءُوفٌ رحيم ، وَرَحْمَةٌ للعالمين ، وَمُبَشِّرٌ وَنَذِيرٌ ، ودَاعِيٌّ
إلى الله يَأْذِنُهُ وَيُرْجِيهِمْ ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُرَكِّبُهُمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فأىُّ إِحْسَانٍ أَجْلٌ قَدْرًا^(٣) ، وأَعْظَمُ خَطَرًا^(٤) من إِحْسَانِهِ إلى جميع المؤمنين ؟
وأىُّ إِفْضَالٍ^(٥) أَعْمُ مَنْفَعَةٍ وَأَكْثَرُ فَايِدَةٍ من إِنْعَامِهِ على كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ إِذْ كَانَ
ذَرِيعَتَهُمْ^(٦) إِلَى الْهَدَايَةِ ، وَمُنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ^(٧) ، ودَاعِيَهُمْ إِلَى الْفَلَاحِ^(٨) ، وَوَسِيلَتَهُمْ
إِلَى رَبِّهِمْ^(٩) ، وَشَفِيعَهُمْ وَلِتَكْلَمَ عَنْهُمْ ، وَالشَّاهِدَ لَهُمْ ، وَالْمَوْجِبَ لَهُمُ الْبَقَاءَ الدَّائِمَ
وَالنَّعِيمَ السَّرْمَدَ^(١٠) .

(١) هو السبب الأول ؛ وهو حب الصورة الحسنة . والصورة : الهيئة .

(٢) هذا هو السبب الثاني . (٣) أجل قدرًا : أرفع رتبة .

(٤) خطرًا : قدرًا أو شرفًا . (٥) إفضال : إحسان وتفضل .

(٦) ذريعتهم : وسيلتهم ، والسبب للوصول لهم .

(٧) العماية : النواية والجهالة .

(٨) الفلاح : الفوز والظفر بسعادة الدارين .

(٩) وسيلتهم إلى ربهم : أى موصلهم ومقربهم إليه ، وجاعل لهم منزلة عنده .

(١٠) وللوجب لهم ؛ أى الذى يحقق لهم البقاء الدائم بالخلود فى الجنة ، والنعيم الدائم

الذى لا ينقطع فى الجنة .

فقد استبان^(١) لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجبٌ للحجة الحقيقية شرعاً بما قدمناه من صحيح الآثار ، وعادةً وجيلة^(٢) بما ذكرناه آنفاً^(٣) ، لإفاضة الإحسان ، وعمومه الإجمال^(٤) ؛ فإذا كان الإنسان يُحبُّ مَنْ مَنَحَهُ في دُنْيَاهُ مرةً أو مرتين معروفاً ، أو استغفذه من هَلَكَةٍ أو مَفَرَةٍ مدّة الفأذى بها قليلٌ منقطع^(٥) - فَمَنْ مَنَحَهُ ما لا يَبِيدُ^(٦) من النعيم ، ووقاه ما لا يَفْنَى من عذاب الجحيم أولى بالحب .

وإذا كان يُحبُّ بالطَّبع ملكٌ لِحَسَنِ سيرته ، أو حاكمٌ لما يؤثر من قَوامٍ^(٧) طريقته ، أو قاصٌّ بعيدِ الدار لما يُشاد^(٨) مِنْ عِلْمِهِ أو كَرَمِ شَيْئِهِ^(٩) - فَنَجْمُ هذه الخصال على غايةِ مراتب السكّالِ أحقُّ بالحبِّ ، وأولى بالميل .

وقد قال^(١٠) على رضى الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ .

وذكرنا عن بَعْضِ الصحابة أنه كان لا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهُ حَبَّةً فِيهِ [١٤٩] .

(١) في ب : فقد بان لك . واستبان : ظهر .

(٢) وجيلة : الجيلة بمعنى الطيبة ، وإنما كان حبه جيلة لأن كل خير وإحسان وصل إلينا فهو منه صلى الله عليه وسلم ، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .

(٣) آنفاً : قريباً .

(٤) إفاضته : إعطائه من بحر كرمه . وعمومه الإجمال : تعميم الجميل منه لكل أحد .

(٥) أى زائل في زمن قليل . (٦) ما لا يبيد : ما لا يذهب ويفنى .

(٧) يؤثر : ينقل عنه . قوام طريقته : حسن سلوكه . وقوام - بكسر القاف : المهاد والنظام ، وفتحها : الاعتدال .

(٨) قاص - بالصاد : واعظ . وفي ب : قاض . لما يشاد : لأجل ما يسمع ويشتهر من ذكره

بين الناس .

(٩) شيمته : سجيته وخلقه .

(١٠) من أحاديث الحلية ، وهو في سنن الترمذى : ٥٩٩ . بدية : أى أبصره في أول رؤيته .

فصل

في وجوب مُناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قال أهلُ التفسير : إذا نصحوا لله ورسوله : إذا كانوا مُخلصين مُسلمين في السرِّ والعَلَانِيَةِ .

حدثنا القاضي الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ، حدثنا حُسَيْن بن محمد ، حدثنا يوسف^(٢) بن عبد الله ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر التمار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا سُهَيْل بن أبي صالح ، عن عطاء بن يزيد ، عن نَجْمِ الدَّارِي ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم^(٣) : **إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .** قالوا^(٤) : **لَنْ يَأْرُسُوهُ اللَّهُ ؟** قال : **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ** ، وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة .

قال أئمتنا : **النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة^(٥) .**

قال الإمام أبو سليمان البُسْتِي : **النصيحة كلمة يُعَبَّرُ بها عن جُمْلَةِ إِرَادَةِ الْخَيْرِ**

(١) سورة التوبة ، آية ٩١ . حرج : إثم إذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم للمانع لهم . إذا نصحوا لله ورسوله : إذا أخلصوا الإيمان بهما والطاعة لهما ظاهراً وباطناً ما استطاعوا ، وأخلصوا لهما من قول أو فعل يعود على المسلمين بأصلاح . ما على المحسنين من سبيل : أي ليس عليهم جناح ، ولا إلى معاتبتهم سبيل .

(٢) هو أبو عمر — ابن عبد البر .

(٣) الحديث في صحيح مسلم : ٧٤ ، وسنن الترمذي : ٤ — ٣٢٤

(٤) قالوا : أي بعض الصحابة .

(٥) واجبة : أي فرض عين على كل مكلف . ونقل النووي أنها فرض كفاية ؛ فإن خشي

أذى فهو في سعة من الترك .

للمنصوح له ؛ وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها . ومعناها في اللغة الإخلاص ؛ من قولهم : نصحتُ العسل ، إذا خلصته من شحمه .

وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف : النصحُ فعلُ الشيء الذي به الصلاحُ والملازمة^(١) ، مأخوذ من النصاح ؛ وهو الخيط الذي يُخاطُ به الثوبُ .

وقال أبو إسحاق الزجاجُ نحوه .

فنصيحةُ الله تعالى صِحةُ الاعتقادِ له بالوحدانية ، ووصفه بما هو أهله^(٢) ، وتنزيهه عما لا يجوزُ عليه ، والرغبةُ في محابته^(٣) ، والبُعدُ من مساخطه^(٤) ، والإخلاص في عبادته .

والنصيحةُ لكتابه الإيمانُ به ، والعملُ بما فيه ، وتحسينُ تلاوته ، والتخشعُ^(٥) عنده ، والتعظيمُ له ، وتفهمُه والفتنةُ فيه ، والذبُ^(٦) عنه من تأويل الغالين ، وطعنُ الملحدين .

والنصيحةُ لرسوله التصديقُ بنبوته ، وبذلُ الطاعةِ له فيما أمرَ به ونهى عنه ؛ قاله أبو سليمان .

وقال أبو بكر : ومؤازرته^(٧) ونصرتُه وحمايته حيا وميتا^(٨) ، وإحياءُ سنته

(١) الملازمة : للواقعة .

(٢) بما هو أهله : بما يستحق ويليق به .

(٣) في محابه : أى يرغب في كل ما يحبه ويرضاه .

(٤) مساخطه : كل ما يسخط الله ، ويورث غضبه من الماعى .

(٥) والتخشع عنده : إظهار الخشوع . عنده : عند تلاوته .

(٦) والذب عنه ؛ أى زجر من طعن فيه من الملحدين .

(٧) مؤازرته : معاضدته ومعاونته .

(٨) حمايته : دفع السوء عنه ، حيا بالمجاهدة معه وخدمته ، وميتا بتقوية دينه وتأيد شريعته .

بالطلب^(١) ، والذَّبُّ عنها ، ونَشْرُها ، والتخلُّقُ بأخلاقه السَّكرِية وآدابه الجَميلة .
وقال أبو إبراهيم [إسحاق]^(٢) التَّجِيبِي : نصيحةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
التَّصَدِيقُ بما جاء به ، والاعتصامُ^(٣) بسُنَّتِهِ ، ونَشْرُها ، والحضُّ^(٤) عليها ، والدَّعوةُ
إلى اللَّهِ وإلى كتابِهِ وإلى رَسولِهِ ، وإلىها^(٥) وإلى العمل بها .
وقال أحمد بن محمد^(٦) : مِنْ مَفْرُوضَاتِ الْقُلُوبِ^(٧) اعتقادُ النَّصِيحَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم .

قال أبو بكر الأَجْرِي وغيره : النَّصْحُ لَهُ يَقْتَضِي نُصَحَيْنِ : نُصْحًا فِي حَيَاتِهِ ،
وَنُصْحًا بَعْدَ مَمَاتِهِ ؛ ففِي حَيَاتِهِ نُصْحُ أَصْحَابِهِ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالْحَمَامَةِ^(٨) عَنْهُ ، وَمَعَادَاةِ
مَنْ عَادَاهُ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ ، وَبَذْلِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ دُونَهُ ؛ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى^(٩) : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .
وقال^(١٠) : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

وَأَمَّا نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَالتَّزَامُ التَّوْقِيرُ وَالْإِجْلَالُ ، وَشِدَّةُ الْحُبِّ لَهُ ،

(١) بالطلب : بَأَن يَسْأَلَ عَنْهَا ، وَيَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَتِهَا ، وَيَعْمَلُ بِهَا .

(٢) لَيْسَ فِي أ . (٣) الْإِعْتَصَامُ بِسُنَّتِهِ : التَّمَسُّكُ بِهَا .

(٤) الْحَضُّ عَلَيْهَا : حَثُّ النَّاسِ وَتَحْرِيفُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِهَا .

(٥) وَإِلَيْهَا : إِلَى السَّنَةِ . (٦) هُوَ ابْنُ حَنْبَلٍ .

(٧) مِنْ مَفْرُوضَاتِ الْقُلُوبِ : أَيْ مِمَّا فَرَضَ وَوَجِبَ اعْتِقَادُهُ وَجُزْمُ الْقُلُوبِ بِهِ . وَاعْتِقَادُ :

وَجُوبٌ .

(٨) وَالْحَمَامَةُ عَنْهُ : بِدَفْعِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَمَّنْ يَرِيدُهُ .

(٩) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٢٣ . عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَى بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَنَصْرَةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ، فَوَفُوا بِمَعَاهِدِهِمْ . قَضَى نَحْبَهُ : مَاتَ .

(١٠) سُورَةُ الْحَشْرِ ، آيَةُ ٨

والثابرة^(١) على تعلُّم سُنَّته [١٥٠] ، والتفقه في شريعته^(٢) ؛ ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة مَنْ رَغِبَ عن سُنَّته وانحرف عنها^(٣) ، وبُغْضه والتحذير منه ، والشفقة على أُمته ، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه ، والصبر على ذلك .

فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات العبادة ، وعلامة من علاماتها كما قدمنا .

وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوابة^(٤) راى بالصفار - رُئى في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل : بماذا ؟ قال : صعدت ذريرة^(٥) جيل يوماً ، فأشرفت^(٦) على جنودى ، فأعجبني كثرتهم ، فتمنيت أنى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته ؛ فشكر الله لي ذلك وغفر لي .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ، ومعاونتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه^(٧) وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين ، وترك الخروج عليهم^(٨) ، وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم .

(١) الثابرة : المدامة .

(٢) التفقه في شريعته : بفهم معانيها والعلم بأحكامها .

(٣) انحرف عنها : مال عنها ، ورغب في غيرها .

(٤) الثوار : الأبطال الشجعان (شرح القارى : ٢ - ٦) .

(٥) ذرة : أعلى كل مرتفع .

(٦) أشرفت على جنودى : رأيتهم في مكان عال واطلمت عليهم .

(٧) على أحسن وجه : برفق وتلطيف القول وتحسينه ؛ فإنه ادعى للامتنال .

(٨) وترك الخروج عليهم بمخالفتهم وعصيان أمرهم .

(٩) تضريب الناس : إغراؤهم وتحريكهم عليهم .

وَالنُّصْحُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَمَعُونَتُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَتَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ ، وَتَبْصِيرُ^(١) جَاهِلِهِمْ ، وَرَفْدُ^(٢) مُحْتَاجِهِمْ ،
وَسِتْرُ عَوْرَاتِهِمْ^(٣) ، وَدَفْعُ الْضَارِّ عَنْهُمْ ، وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ .

(١) تبصير جاهلهم : تعريفه بما جهل ليكون ذا بصيرة في أموره .

(٢) ورفد محتاجهم : إعانة المحتاج منهم .

(٣) ستر عوراتهم : أى يستر عليهم بمض معاصيهم إذا رآها فلا يذكرها حتى لا يفتضح

مرتسكها ؛ فإذا أرشد أحدا لترك معاصيه ذكر ذلك سرا ؛ فإن النصيحة بين الملائم تقريع .

البَابُ الثَّالِثُ

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وريته

قال الله تعالى^(١) : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ .

﴿لَتُؤْمِنُوا^(٢) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ .

وقال^(٣) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

و : ﴿يَا أَيُّهَا^(٤) الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا

له بالقول كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

وقال تعالى^(٥) : ﴿لَا تَجْمَعُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ .

فأوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره^(٦) ، وألزم إكرامه وتعظيمه .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٥

(٢) سورة الفتح ، آية ٩ ، قال في شرح الخفاجي (٣ - ٤٢٧) : واستشهاده بالآية بناء على ما ذهب إليه الضحاك من أن الضمائر كلها له صلى الله عليه وسلم ، وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها ؛ وعلى هذا قالوقف على قوله : وتوقروه .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١

(٤) سورة الحجرات ، آية ٢ - ٤ : أمرهم إذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم ألا يجهروا ، بل يخفضوا أصواتهم تأدبا لما في الجهر من الاستخفاف المؤدى إلى الكفر المحبط للأعمال ، لما فيه من الإهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ، ثم أتى على من غص صوته عنده بأن الله تعالى بهد امتحانه وعده بأن له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له .

(٥) سورة النور ، آية ٦٣ . لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا : وذلك بأن تنادوه باسمه : يا محمد ونحوه . كما ينادى بعضكم بعضا .

(٦) تعزيره : إجلاله . وتوقيره : التأدب معه .

قال ابن عباس : تُعَزُّرُوهُ : تُجِلُّوهُ . وقال البرد : تعزُّروه : تبالغوا في تعظيمه .
وقال الأخفش : تَنْصُرُونَهُ . وقال الطبري : تُعِينُونَهُ .
وقرى : تُعَزُّرُوهُ - بزايين - من العز .
ونهى عن التقدم بين يديه^(١) بالقول ؛ وسوء الأدب بسبقه بالكلام ، على قول
ابن عباس وغيره ؛ وهو اختيار ثعلب .
قال سهل بن عبد الله : لا تَقُولُوا قَبْلَ أَنْ يَبُولَ ؛ وإذا قال فاستمعوا له
وَأَنْصِتُوا .

وَنَهَوْا عَنِ التَّقَدُّمِ وَالتَّمَجُّلِ^(٢) بِقَضَاءِ أَمْرِ قَبْلَ قَضَائِهِ فِيهِ ؛ وَأَنْ يَفْتَاتُوا^(٣)
بشئ في ذلك مِنْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا يَسْبِقُوهُ بِهِ .
وإلى^(٤) هذا يرجع قول الحسين ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدي ، والثوري .
ثم وعظهم وحذَّروهم مخالفة ذلك ؛ فقال^(٥) : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛
قال الماوردي : اتَّقَوْهُ - يعنى في التقدم .
وقال السلمي : اتَّقُوا اللَّهَ فِي إِهْمَالِ حَقِّهِ^(٦) وَتَضْيِيعِ حُرْمَتِهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ ،
عَلِيمٌ بِفِعْلِكُمْ .

ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته ، والجهر له بالنول كما يجهر بعضهم
لبعض ويرفع صوته .
وقيل : كما يُنادى بعضهم [١٥١] بَعْضًا بِاسْمِهِ .

(١) بين يديه : بحضرته . بالقول : بأن يسبقه أحد بالكلام .

(٢) في ١ : والتمجيل .

(٣) وأن يفتاتوا : أى يستبدوا ويستقلوا . أو يختلقوا .

(٤) وإلى هذا : أى المذكور في تفسير الآية .

(٥) سورة الحجرات ، آية ١ (٦) إهمال : ترك .

قال أبو محمد مَكِّي : أَيْ لَا تُسَاقِئُوهُ بِالْكَلَامِ ، وَتُغْلِظُوا لَهُ بِالْخُطَابِ ^(١) ،
وَلَا تُنَادُوهُ بِاسْمِهِ نِدَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ؛ وَلَكِنْ عَظَمُوهُ وَوَقَرُّوهُ وَنَادُوهُ بِأَشْرَفِ
مَا يَحِبُّ أَنْ يُنَادَى بِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ .

وَهَذَا كَقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ^(٢) : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ ^(٣) .
وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تَخَاطِبُوهُ إِلَّا مُسْتَهْمِينَ .

ثُمَّ خَوَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِجَبْطِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ .
قِيلَ : نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي وَفْدِ ^(٤) بَنِي تَمِيمٍ - وَقِيلَ : فِي غَيْرِهِمْ ؛ أَتَوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَوْهُ : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ ؛ أَخْرُجْ إِلَيْنَا . فَذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَهْلِ ، وَوَصَفَهُمْ
بِأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

وَقِيلَ : نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي مُحَاوَرَةٍ ^(٥) كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاخْتِلَافٍ جَرَى بَيْنَهُمَا ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا .

وَقِيلَ : نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ شِمَّاسٍ ^(٦) خَطِيبِ ^(٧) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وَتَغْلِظُوا لَهُ بِالْخُطَابِ : أَيْ تَخَاطِبُوهُ بِغِلْظَةٍ .

(٢) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ٦٣ ، وَاتَّأْوِيلَيْنِ : أَيْ التَّفْسِيرَيْنِ ؛ وَهُوَ أَنَّ الدُّعَاءَ بِمَعْنَى النِّدَاءِ وَالتَّسْمِيَةِ ؛
أَيْ لَا تُنَادُوهُ بِاسْمِهِ ، رَافِعِينَ أَصْوَاتَكُمْ بِأَنْ تَقُولُوا : يَا مُحَمَّدُ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، كَمَا يُنَادَى بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا
إِذَا طُلِبَ إِقْبَالُهُ ؛ بَلْ خَاطِبُوهُ بِأَدَبٍ فَقُولُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَنَحْوَهُ .
وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْدُّعَاءِ الدُّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ ؛ أَيْ لَا تَقْنَطُوا أَنْ دُعَاءَهُ كَدُعَائِكُمْ يَحْتَمِلُ
الْإِجَابَةَ وَعَدَمَهَا كَدُعَائِكُمْ ، سِوَاهُ كَانَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ضَمَّنَ لَهُ إِجَابَةَ دُعَائِهِ ، وَوَعَدَ
بِهَا وَهُوَ لَا يَخَافُ الِیَمَادَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مُرَادِ هُنَا .

(٣) الْوَفْدُ : جَمْعُ وَافِدٍ ، وَهُوَ الْقَادِمُ عَلَى الْعِظَاءِ لِأَمْرِ مَا . وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ .

(٤) سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٣٨٧ (٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١١٠

(٦) خَطِيبُ النَّبِيِّ : مِنَ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَخْطُبُونَ عِنْدَ قُدُومِ الْوُفُودِ عَلَى النَّبِيِّ . وَارْجِعْ

فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : ٤ - ٢٠٦ . وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ (١٦ - ٣٠)
ذَكَرَ سِتَّةَ أَقْوَالٍ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا . وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا أَسْبَابَ النِّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ : ٢١٨

في مفاخرة بني نعيم ، وكان في أذنيه صمم ؛ فكان يرفعُ صوته ؛ فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله ، وخشى أن يكون حبطَ عمله ؛ ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ؛ لقد خشيتُ أن أكون هلكْتُ ؛ نهانا الله أن نجهر بالقول ، وأنا امرؤٌ جهيرٌ ^(١) الصوت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ثابت ؛ أما ترضى أن تعيشَ حميدا ^(٢) ، وتقتلَ شهيدا ، وتدخلَ الجنةَ ! فقتل يومَ البجعة ^(٣) .

وروى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يا رسول الله ، لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار ^(٤) .

وأن عمر كان إذا حدثه حديثه كأخي السرار ؛ ما كان يُسمعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ هذه الآية حتى يستفهمه ؛ فأنزل الله تعالى فيهم ^(٥) : ﴿ إِن الَّذِينَ يَفِضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقيل : نزلت ^(٦) : ﴿ إِن الَّذِينَ يُفَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ . . . ﴾ - في غير بني نعيم ؛ نادوه بأسمه :

وروى صفوان بن عسال ^(٧) : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ إذ ناداهُ

(١) جهير الصوت : عالى الصوت .

(٢) حميدا : محمودا عند الله والناس ؛ وهذا يدل على قبول عمله ، وأنه لا يحبط .

(٣) يوم البجعة : في وقعة البجعة في خلافة أبي بكر الصديق ، سنة اثنى عشرة . وهى وقعة مسيلة المشهورة .

(٤) إلا كأخي السرار : أى إلا كلاما خفيا كالسارة ، وهى الكلام يخفيه حتى لا يسمعه من عنده . وقد أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب .

(٥) سورة الحجرات ، آية ٣ (٦) سورة الحجرات ، آية ٤

(٧) رواه الترمذى ، والنسائى : سنن الترمذى . ٥٠ - ٥٤٥

أعرابى بصوت له جَهْوَرِي^(١) : أياً محمد، أياً محمد. فقلنا له : اغضض من^(٢) صوتك؛ فإنك قد نهيت عن رفع الصوت .

وقال الله تعالى^(٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا^(٤) ... ﴾ .

قال بعضُ المفسرين : هي لفظةٌ كانت في الأنصار ؛ نهوا عن قولها تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتبجيلاً^(٥) له ؛ لأن معناها : ارعنا نزعك^(٦) ؛ فنهوا عن قولها ؛ إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونَه إلا برعايته لهم ؛ بل حقه أن يرعى على كلِّ حال .

وقيل : كانت اليهود تُعرّضُ بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرُّعونة^(٧) ؛ فنهى المسلمون عن قولها ؛ قطعاً للذريعة^(٨) ، ومنعاً للتشبيه بهم في قولها ، لمشاركة اللفظة . وقيل غيرُ هذا .

فصل

في عادة الصعابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره [١٥٢] وإجلاله
حدثنا القاضي أبو علي الصدقي ، وأبو بحر الأسدي بسماعي عليهما في آخرين ؛
قالوا : حدثنا أحمد بن عمر ، حدثنا أحمد بن الحسن^(٩) ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا

(١) هو جهورى الصوت وجهيره : أى رفيعه .

(٢) اغضض من صوتك : لاترفعه . (٣) سورة البقرة ، آية ١٠٤

(٤) كان المؤمنون يقولون ذلك للرسول إذا خاطبهم ؛ يريدون : تأن في خطابك حتى نفهم كلامك ، فراع مقامنا ؛ فإننا لسنا مثلك فهماً ، فانظر لحالنا . فانتهز اليهود الفرصة وقالوها ، لأنها كانت كلمة يتسابقون بها . أو قصدوا أن تكون من الرعونة ، وسيأتى .

(٥) وتبجيلاً : تقخيلاً له . (٦) ارعنا نزعك : من المراعاة ، أى احفظنا نحفظك .

(٧) الرعونة : الحفة والحماقة .

(٨) الذريعة : الوسيلة والسبب . والمراد دفع كل ما يؤدى إلى فساد فى أمر مشروع .

(٩) فى ب : الحسين . وفى هامشه : الحسن .

إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا محمد بن مثنى ، وأبو معن الرقاشي ، وإسحاق بن منصور ؛ قالوا : حدثنا الضحّاك بن مخلد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن شماس^(١) المهرى ؛ قال : حضرنا عمرو بن العاص . . .

فذكر حديثاً طويلاً فيه عن عمرو ، قال^(٢) : وما كان أحدٌ أحبَّ إلىَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيقُ أن أُملاً عيني منه إجلالاً له ؛ ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما أطقْتُ ؛ لأنِّي لم أكن أُملاً عيني منه .

ورَوَى الترمذی ، عن أنس^(٣) - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرجُ على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوسٌ ، فيهم أبو بكر ، وعمر ؛ فلا يرفعُ أحدٌ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظرانِ إليه وينظر إليهما ، ويتبسمانِ إليه ويتبسمُ إليهما^(٤) .

ورَوَى أسامة بن شريك^(٥) ؛ قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير^(٦) .

وفي حديث صِفَتِهِ : إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير .

وقال عروة بن مسعود - حين وجهته قُرَيْش عام القضية^(٧) إلى رسول الله

(١) ضبطت في ١ ، ب بضم الشين وفتحها وعليها « معا » .

(٢) صحيح مسلم : ١١٢ (٣) سنن الترمذی : ٥ - ٦١٢

(٤) وذلك لما بينها من الألفة .

(٥) في ١ : شريد ، وعليه علامة للصححة . وفي هامشه : خ شريك . والثبت في ب .

(٦) المراد السكون . وهذا الحديث رواه الأربعة وصححه الترمذی : التباثل : صفحة ٣

من نسختي المحققة .

(٧) عام القضية : المراد بها قصة الحديبية . وقيل : أراد السنة التي قضى فيها العمرة .

صلى عليه الله وسلم ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه^(١) ، وكادوا يفتنلون عليه ، ولا يبصق بصاقا ، ولا ينتخم نخامة^(٢) إلا تلقوها بأ كفهم فذلكوا بها وجوههم وأجسادهم ؛ ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ؛ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره^(٣) ؛ وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحيدون^(٤) إليه النظر تعظيما له .

فلما رجع إلى قريش قال : يا معشر قريش ؛ إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ؛ وإني والله ما رأيت مَلِكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه .

وفي رواية : إن رأيت^(٥) مَلِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدًا أصحابه . وقد رأيت قومًا لا يسئلونه^(٦) أبدا .

وعن أنس^(٧) : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلق يحلقه ، وقد أطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل .

ومن^(٨) هذا لما أذنت قريش لثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله

(١) ابتدروا : أسرعوا وأخذوا . وضوءه : بقية للماء الذي توضأ به ، وما لساقط منه قبل وصوله إلى الأرض .

(٢) النخامة : ما يخرج من أقصى الحلق .

(٣) ابتدروا أمره بالامتثال .

(٤) ولا يحيدون إليه النظر : أى لا ينظرون إليه صلى الله عليه وسلم نظرا حديدا ؛ أى

قويا ، تأدبا . والحديث في صحيح البخارى : ١ - ٦٧ ، والمنازى للواقدي : ٥٩٨

(٥) إن رأيت : ما رأيت .

(٦) أسله لمدوه : إذا أمكنه منه ، وخلق بينه وبينه .

(٧) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٨١٢

(٨) ومن هذا : من تعظيم الصحابة له .

عليه وسلم إليهم في التَضِيَّة^(١) أبى ، وقال : ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وفي حديث^(٢) طلحة : إن أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهلٍ : سَلِّ عَنْ قَضَى نَحْبِهِ^(٣) - وكانوا يَهَابُونَهُ ويوقرونه ؛ فسأله ، فأعرض عنه ، إذ طلع طلحةُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا يَمْنُ قَضَى نَحْبِهِ .

وفي حديث قَيْلَةَ^(٤) : فلما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جالسا القُرْفُصَاءَ^(٥) أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ^(٦) . وذلك [١٥٣] هَيْبَةً لَهُ وتعظيما .

وفي^(٧) حديث الغيرة : كان أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يَقْرَعُونَ بَابَهُ بِالْأُظَافِيرِ^(٨) .

وقال البراء^(٩) بن عازب : لقد كنتُ أريدُ أن أسألَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره^(١٠) سِنِينَ مِنْ هَيْبَتِهِ .

(١) حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وهو بالحديبية ، وقد صدوم عن البيت ، أرسله لإعلامهم بأنهم لم يأتوا لقتالهم ، فلا وجه لصدوم عن دخول الحرم ، فلم يرضوا بذلك ، ولكنهم أذنوا لعثمان في الطواف .

(٢) رواه الترمذى وحسنه : سنن الترمذى : ٣٥٠

(٣) في قوله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ...

سورة الأحزاب ، آية ٢٣

(٤) رواه أبو داود ، والترمذى ؛ وحديثها في الشئام أيضا ؛ سنن أبي داود : ٢ - ١٩١

(٥) هو نوع من الجلوس محتبيا بيديه .

(٦) أرعدت : حصلت لى رعدة واضطراب . والفرق : شدة الخوف .

(٧) رواه الحاكم ، والبيهقى .

(٨) الأظافر : جمع ظفر . وفي ١ : بالأظافر .

(٩) في حديث رواه أبو يعلى ، وصححه .

(١٠) في ب : فأؤخره .

فصل

في تعظيم النبي بعد موته

واعلم أنَّ حُرْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته ، وتوقيره وتعظيمه ، لازمٌ كما كان حال حياته ؛ وذلك عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكر حديثه وسُنَّته ، وسماع اسمه وسيرته ، ومُعامَلَةِ آلِهِ وعِترته ^(١) ، وتعظيم أهل بيته وصحابته . وقال أبو إبراهيم التَّجِيبِي : واجبٌ على كل مؤمن متى ذكره ، أو ذكر عنده - أن يَخْضَعَ ويَخْشَعَ ، وَيَتَوَقَّرَ ^(٢) ويسكن من حركته ، يأخذ ^(٣) في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه ^(٤) لو كان بين يديه ؛ ويتأدَّب بما أدبنا الله به ^(٥) . قال القاضي أبو الفضل ^(٦) : وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري ، وأبو القاسم أحمد ابن يحيى الحاكم ، وغير واحد ، فيما أجازونيهِ ؛ قالوا : أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد ابن دِلْهات ^(٧) ؛ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن فِهر ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن الفَرَج ، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المُنتَاق ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ابن أبي إسرائيل ، حدثنا ابن مُحَيْدٍ ؛ قال ناظر أبو جعفر ^(٨) أمير المؤمنين مالكا ^(٨)

(١) عترته : نسله ورهطه الآدون . ومعاملتهم : أي مخالطتهم في أمور دينيه أو دنيوية .

(٢) يتوقر : يظهر الوقار والرياسة في هيئته .

(٣) يأخذ : ويشرع . (٤) يأخذ به نفسه : يكلفها ويلزمها .

(٥) من وجوب تعظيمه وتسكريمه وخفض الصوت ونحوه .

(٦) هو اللؤلؤ . وفي ب : قال للؤلؤ رحمه الله .

(٧) هذا الضبط في ب ، وتاج العروس - دلته ، وشرح القاري ، وشرح الحفاجي .

وفي أ : ضبط الدال بالفتحة .

(٨) ناظر : الناظرة : للباحثة في أمر من الأمور . وأبو جعفر هو المنصور عبد الله بن

محمد ، ثاني خلفاء بني العباس . ومالك : هو مالك بن أنس .

في مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ؛ لا ترفع صوتَكَ في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوما فقال^(١) : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوتِ النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهرِ بعضكم لبعض أن تحبّط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .

ومدح قوما فقال^(٢) : ﴿ إن الذين يَمُضُونَ أصواتهم عند رسولِ الله أولئك الذين امتحنَ الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ﴾ .

وذم قوما فقال^(٣) : ﴿ إن الذين يُفَادُونَكَ مِنَ وراءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهم لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وإن حُرْمَتَهُ مِثْلًا كحُرْمَتِهِ حَيًّا .

فاستكان^(٤) لها أبو جعفر ، وقال : يا أبا عبد الله ، أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو أَم أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ^(٥) أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ بل استقبله واستشفع به ، فيشفعك^(٦) الله ؛ قال الله تعالى^(٧) : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ .

وقال مالك - وقد سُئِلَ عن أيوب السَّخْتِيَّانِي : ما حدثتكم عن أحدٍ إلا وأيوب أفضل منه :

(١) سورة الحجرات ، آية ٢ (٢) سورة الحجرات ، آية ٣

(٣) سورة الحجرات ، آية ٤ (٤) فاستكان لها : خضع ، وخضع لمقالة مالك .

(٥) الوسيلة : ما يتوصل به إلى إجابة الدعاء . والمراد أنه الشفيع المتوصل به إلى الله يوم القيامة .

(٦) استشفع به : اطلب شفاعته ، وسل وسيلته في قضاء حاجتك . فيشفعك : يقبل الله

به شفاعتك لأمرك . (٧) سورة النساء ، آية ٦٤

وقال : وَحَجَّ حَجَّتَيْنِ ، فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ ^(١) وَلَا أَسْمَعُ مِنْهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِي حَتَّى أَرْحَمَهُ ^(٢) .

فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ ، وَإِجْلَالَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبْتُ عَنْهُ ^(٣) .
وقال مُصَنَّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَيَنْحَنِي حَتَّى يَضُغَبَ ^(٤) ذَلِكَ عَلَى جُلْسَانِهِ ؛ فَقِيلَ لَهُ يَوْمَافِي ذَلِكَ ^(٥) ،
فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ^(٦) لَمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ مَا تَرَوْنَ ؛ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى مُحَمَّدَ
ابْنَ الْمُنْكَدِرِ ^(٧) ، وَكَانَ سَيِّدَ الْقُرَّاءِ لَا نِكَادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَدًا إِلَّا يَبْسُكِي
حَتَّى نَرَحَمَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ [الصادق] ^(٨) ، وَكَانَ كَثِيرَ الدَّعَايَةِ ^(٩)
وَالجِبْسِمْ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ [١٥٤] عَنْدهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْفَرَّ . وَمَا رَأَيْتُهُ
يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ .
وَقَدْ اخْتَلَفْتُ ^(١٠) إِلَيْهِ زَمَانًا فَمَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَامُصَلِّيًّا ،
وإِمَامُ صَامِتًا ؛ وَإِمَامُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ؛ وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُبَادِرِ
الَّذِينَ يَحْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) أَرْمُقُهُ : أَنْظُرُ إِلَيْهِ .

(٢) أَرْحَمُهُ : يَرِقُّ قَلْبِي عَلَيْهِ رَحْمَةً لَهُ لَمَّا أَرَاهُ مِنْهُ .

(٣) كَتَبْتُ عَنْهُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ عَنْهُ . (٤) لِحَوْفِهِمْ عَلَيْهِ ، وَلَشِدَّةِ عَنَائِهِ .

(٥) فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ : أَيْ سَتَلَ عَنْهُ ، وَعَنْ سَبَبِهِ .

(٦) لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ مِمَّا كَانَ مِنَ السَّلَفِ مِنْ خُشُوعِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ ، أَوْ لَوْ عَرَفْتُمْ مَا عَرَفْتُ
مِنْ جَلَالِ مَقَامِهِ .

(٧) حَافِظٌ يَرَوِي عَنْ أَبِيهِ وَعَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٣٠ هـ .

(٨) مِنْ ب . (٩) الدَّعَايَةُ : لِلزَّاحِ .

(١٠) أَيْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ مَرَارًا كَثِيرَةً ، وَتَرَدَّدَتْ .

ولقد كان عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ^(١) يَذْكُرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ زُرْفٌ ^(٢) مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيِّجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَقَدْ كُنْتُ آتَى عَامِرِ ^(٣) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ .
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْرِيَّ - وَكَانَ مِنْ أَهْنَاءِ ^(٤) النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مَا عَرَفْتُ وَلَا ^(٥) عَرَفْتَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ آتَى صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ ؛ فَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى ، فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرَكُوهُ .
وَرَوَيْ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْعَوِيلَ وَالزَّوِيلَ ^(٦) .
وَلَمَّا كَثُرَ عَلَى مَالِكِ النَّاسُ قِيلَ لَهُ : لَوْ جَمَلْتَ مُسْتَمْلِيًا بِسَمْعِهِمْ ^(٧) ؟ فَقَالَ :

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَدِيقِ : وَرَعَ مَكْتَرٌ ، كَانَ أَحْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ .
وَقَدْ تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَمِائَةً .

(٢) زُرْفٌ مِنْهُ الدَّمُ : الْمُرَادُ سَالُ دَمِهِ فَاصْفَرُ صَفْرَةً مَفْرُطَةً ؛ لِأَنَّ حَرَّةَ الْبَشَرَةِ بِمَا تَحْتَهَا مِنْ الدَّمِ .

(٣) الْعَابِدُ الْكَبِيرُ الْقَدَرُ ، تَوَفَّى بَعْدَ عَشْرِينَ وَمِائَةً .

(٤) أَهْنَاءُ النَّاسِ : أَهْلُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَالْيَنَّهُمْ عَرَبِيَّةٌ . وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٤ هـ .

(٥) وَذَلِكَ لِدَهْشَتِهِ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ عِنْدِهِ وَذَهْوُلِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ لَاسْتِغْثَالِ قَلْبِهِ وَحَوَاسِهِ بِالْفَسْكَرِ ؛ لِإِجْلَالِهِ لَهُ وَتَعْظِيمِهِ .

(٦) أَخَذَهُ : عَرَضَ لَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ . الْعَوِيلُ : صِيَاحٌ مَعَ بَكَاءٍ . الزَّوِيلُ : الْقَلْقُ وَالِانْزِعَاجُ لَشِدَّةِ الْخَوْفِ .

(٧) مُسْتَمْلِيًا : أَحَدًا يَجْلِسُ قَرِيبًا مِنْكَ وَتَعْلَى عَلَيْهِ الْحَدِيثَ فَيَأْخُذُهُ عَنْكَ فَيَلْنُهُمْ وَيَسْمَعُهُمْ حِينَ يَمِيعُهُ لَمْ لَسْكَرْتَهُمْ وَبَعْدَ بَعْضِهِمْ عَنْكَ مِمَّنْ فِي آخِرِ الْحَلْقَةِ .

قال الله تعالى^(١) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ؛
وَحُومَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا سِوَاهُ .

[٢] وكان ابنُ سيرين ربما يَضْحَكُ ؛ فإذا ذُكِرَ عنده حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم خَشَعَ [٢] .

وكان عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدَى^(٣) إذا قرأ حديثَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت ؛ وقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ، وَبَتَأَوَّلُ^(٤) أنه يجبُ له من الإِصْصَاتِ عند قراءة حديثه ما يجبُ له عِنْدَ سَمَاعِ قَوْلِهِ .

فصل

في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُنَنِهِ
حدثنا الحسين^(٥) بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ، حدثنا أبو بكر
الْبَرْقَانِي وغيره ، حدثنا أبو الحسن الدارَقُطْنِي ، حدثنا علي بن مُبَشَّر^(٦) ، حدثنا أحمد
ابن سِنَان القَطَّان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا المسعودي ، عن مُسْلِم البَطِين ، عن
عُمَرُو بن مَيِّمُون ؛ قال : اختلفتُ إلى ابنِ مسعود^(٧) سَنَةً ؛ فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ : قال

(١) سورة الحجرات ، آية ٢

(٢) ليس في ١ ، وسيأتي بمد .

(٣) عبد الرحمن بن مهدي : أحد الأعلام في الحديث ، روى عنه الإمام أحمد . قال ابن اللبدي :
أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدي ، ما رأيت في يده كتابا - يعني كان حافظا .
مات سنة ثمان وتسعين (التقريب : ١ - ٤٩٩)

(٤) فقام منع رفع الصوت في مجالس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته .

(٥) في ١ : الحسن .

(٦) ضبطه في شرح القاري بفتح الميم وسكون الواو وكسر المعجمة (٢ - ٧٤)

(٧) اختلفت إليه : ترددت عليه .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه حدث يوماً فخرى على لسانه : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم علاهُ كَرْبٌ^(١) ، حتى رأيتُ المَرْقَ يتحدَّرُ^(٢) عن جَبْهَتِهِ ، ثم قال : هكذا إن شاء الله ، أو فوقَ ذا ، أو ما دونَ ذا ، أو ما هو قريبٌ مِن ذَا^(٣) .

وفي رواية : فتربَّدَ وَجْههُ^(٤) .

وفي رواية : وقد تفرَّغَتْ عَيْنَاهُ ، وانتفختْ أوداجُهُ^(٥) .

وقال إبراهيم بن عبد الله بن قُرَيْمٍ الأنصاري قاضي المدينة : مرَّ مالكُ بن أنسٍ على أبي حازم^(٦) ، وهو يحدثُ ، فجازه^(٧) ، وقال : إني لم أجِدْ مَوْضِعاً أَجْلِسُ^(٨) فيه ، فـكـرـهـتُ أَنْ آخُذَ حَدِيثَ رسولِ الله عليه وسلم وأنا قائمٌ^(٩) .

وقال مالك : جاء رجلٌ إلى ابنِ المسيَّبِ ، فسأله عن حديثٍ وهو مُضطجعٌ ، فجلسَ وحديثُهُ ؛ فقال له الرجلُ : وَدِدْتُ [١٥٥] أَنْكَ لَمْ تَتَعَنَّ^(١٠) ، فقال : إني كرهتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنا مُضطجعٌ^(١١) .

(١) علاه كرب : ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس .

(٢) يتحدَّر . ينزل سائلاً منه . (٣) هذا احتياط منه .

(٤) تربد وجهه : تغير لونه لـكـوـدـه من شدة الكرب .

(٥) تفرَّغَتْ عيناه : امتلأتا بدمع متردد ، كلاماً في فم من يتفرَّغُ به . والأوداج : جمع ودج ، وهو عرق غليظ في العنق ، والودجان : يقطعهما اللداج ؛ وانتفاخهما : كبرهما بنفيلان الدم بسبب الخوف .

(٦) أبو حازم : هو سلمة بن دينار أحد الأعلام . قال ابن خزيمة : ثقة ، لم يكن في زمانه مثله ، مات في خلافة المنصور .

(٧) جازه : جاوز مجلسه ولم يقف . (٨) لكثرة الناس .

(٩) صونا لحديثه عن الابتذال والامتنان واستباحه على حال يحل بتعظيمه .

(١٠) لم تتعن : لم تتعب ، ولم تتكلف العناء لنفسك بجولسك .

(١١) تمظيلاً للحديث وتادباً معه .

[وروى عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك ، فإذا ذكرَ عنده حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم خَشَع^(١)].

وقال أبو مُضْعَب : كان مالكُ بن أنس لا يُحدِّثُ بحديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلَّا وهو على وضوء^(٢) ، إجلالاً له .

وحكى مالكُ ذلك عن جعفر بن محمد .

وقال مُضْعَب بن عبد الله : كان مالك بن أنس إذا حدَّث عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتَهَيَّأ^(٣) ، وليس ثيابَه ، ثم يحدِّث .

قال مُضْعَب : فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : إنه حديثُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال مُطَرِّف : كان إذا أتى الناسُ مالكا خرجتُ إليهم الجاريةُ ففقول لهم : يقولُ لكم الشيخُ : تُريدون الحديثَ أو المسائلَ^(٤) ؟ فإن قالوا : المسائلُ خرج إليهم ، وإن قالوا الحديثُ دخل مُغتَسِلَه^(٥) ، واغتسل وتطَيَّب ، ولبس ثياباً جُددًا ، ولبس ساجَه^(٦) وتعمَّم ، ووضع على رأسه رداءه ، وتلقَى له مِنَصَّةً^(٧) ، فيخرج فيجاسُ

(١) خضع : أظهر الخشوع والاستكانة تأدبا ومهابة . وفي هامش ب : أثر ابن سيرين هنا موضعه كما أثبتته للصف هنا بخطه ، وأسقطه مما تقدم صفحة ٥٩٩

(٢) على وضوء : متوضئا متطهرا .

(٣) تهيا : أصلح هيئته في ثيابه وجلوسه .

(٤) أتريدون قراءة الحديث وسماعه ، أو تريدون مسائل الفقه ؟

(٥) مفتسله : الموضع للعد للاغتسال والطهارة في بيته .

(٦) الساج : هو الطيلسان ، أو الأخضر ، أو الأسود منه ، وهو شيء كالبرنس . وفي هامش

: الساج : الطيلسان الأخضر ، والجمع سيجان . والساج أيضا : ضرب من الشجر .

(٧) منصة : شيء عال كالكرسى والسرير .

عليها ، وعليه الخشوع ، ولا يزالُ يبخرُ بالعودِ حتى يفرغَ^(١) مِنْ حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال [غیره] ^(٢) : ولم يكن يجلسُ على تلك المنصةِ إلا إذا حدث عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ أبي أُويس : فقيل لمالك في ذلك ، فقال : أحبُّ أن أعظمَ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدثُ به إلا عن طهارةٍ متمسكنا^(٣) .

قال : وكان يكرهُ أن يحدثَ في الطريق ، أو وهو قائم ، أو مُستعجل .

وقال ^(٤) : أحبُّ أن أفهمَ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

[قال ضِرَار بن مُرَّة : كانوا^(٥) يكرهون أن يحدثوا بحديثٍ على غير وضوء^(٦) .
ونحوه عن قتادة .

وكان الأعمشُ إذا حدث^(٧) وهو على غير وضوء تيمم .

وكان قتادة لا يحدثُ إلا على طهارةٍ ، ولا يقرأ حديثَ النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء^(٨) .

قال عبدُ الله بن المبارك : كنتُ عند مالك ، وهو يحدثنا ، فلذغته عقرب^(٩)

(١) يأمر بالعود الهندي فيوقد عنده ليعطر مجلسه به . قال في نسيم الرياض (٣-٤٥٠) :
يفعل ذلك لإجلاله ، وتكريما ، وتطيبا ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة ؛
فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا .

(٢) ليس في ١ . غيره : غير مطرف .

(٣) متمسكا : جالسا في مكان على هيئة مستقرة ، غير مستوفز .

(٤) وقال : أى مالك في تعليل ذلك .

(٥) كانوا : أى السلف .

(٦) في ب : إذا أراد أن يحدث .

(٨) في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية . (٩) في حال قراءته .

ست عشرة مرة ، وهو يتغير لونه ويضعف ولا يقطع حديث^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فرغ من المجلس ، وتفرق الناس عنه قلت له : يا أبا عبد الله ؛ لقد رأيت اليوم منك عجبا . قال : نعم ؛ لدغني عقرب ست عشرة مرة ، وأنا صابر في جميع ذلك ؛ وإنما صبرت لإجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن مهدي : مشيت يوما مع مالك إلى العقيق^(٢) ، فسألته عن حديث ، فانتهرني^(٣) وقال لي : كنت في عيني أجل^(٤) من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي .

وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم ، فأمر بحبسه ، فقيل له : إنه قاضي . قال : القاضي أحق من أدب^(٥) .

وذكر أن هشام بن هشام بن الغازي^(٦) سأل مالكا عن حديث وهو واقف

(١) احتراماً له وإجلالاً . (٢) العقيق : موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها .

(٣) فانتهرني : زجرني . (٤) أجل : أعظم .

(٥) يعني أن العلماء والأشراف أولى برعاية الأدب ، فإذا تركوه كانوا أحق بالأدب من العوام .

(٦) قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٢) : قالوا : الحكاية للذكورة إنما وقعت لمالك مع

هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسند البرهان الحلبي . وقيل : إنها تصحفت على الناسخ وصوابها القاري - بالقاف والراء المهملة . وقيل الأصل هو الصواب ؛ وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي . وفيه إن الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت .

وفي هامش ١ ، ب : قوله : « هشام بن الغازي » فيه نظر ، لأنه لا يعلم لهشام بن الغازي رواية عن مالك ، والمشهور في نحو هذه الحكاية هشام بن عمار الدمشقي ، والله عز وجل أعلم . نقلته من خط يحيى بن علي القرشي الحافظ شيخنا .

قال القاري (٢ - ٧٩) : هشام بن القاري يروي عن مكحول وعطاء ، وقد توفي سنة ست وخمسين ومائة ؛ فهو معاصر لمالك ، وقد توفي قبل مالك ؛ والله تعالى أعلم بذلك .

فَضْرِبْهُ عَشْرِينَ سَوْطًا ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِ ، فَخَدَّمَهُ عَشْرِينَ حَدِيثًا ؛ فَقَالَ هِشَامُ : وَدِدْتُ لَوْ زَادَنِي سَيَّاطًا وَيَزِيدُنِي حَدِيثًا .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ : كَانَ مَالِكٌ وَاللَيْثُ لَا يَكْتَبَانِ الْحَدِيثَ إِلَّا وَهِيَ طَاهِرَانِ ^(١) .

وَكَانَ قَتَادَةُ يُسْتَحَبُّ أَلَّا تُقْرَأَ ^(٢) أَحَادِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١٥٦] إِلَّا عَلَى وَضوءٍ ، وَلَا يَحْدُثُ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ .
وَكَانَ الْأَعْمَشُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْدُثَ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وَضوءٍ تَيَمَّمُ ^(٣) .

فصل

[فِي تَوْقِيرِهِ ، وَبِرِّ آلِهِ ، وَذُرِّيَّتِهِ ، وَأُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَزْوَاجِهِ]

وَمِنْ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِرِّهِ ^(٤) - بِرُّ آلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَزْوَاجِهِ ، كَمَا حُضِرَ ^(٥) عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَلَكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ .

(١) أَى عَلَى طَهَارَةٍ تَامَةٍ . (٢) تَقْرَأُ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْجُوهِ فِي ١ ، وَالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ فِي ب .

(٣) سَبَقَ هَذَا فِي صَفْحَةِ ٦٠٣ (٤) تَوْقِيرُهُ : تَعْظِيمُهُ وَتَبْجِيلُهُ . وَبِرُّهُ : صَلَاتُهُ وَرِعَايَةُ جَنَابِهِ .

(٥) حُضِرَ : حُتَّ وَحُرِّضَ بِطَلْبِهِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .

(٦) أَيْدِ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَالْآيَةِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ، آيَةِ ٣٣ . وَالرِّجْسُ : الْإِثْمُ

وَالذَّنْبُ . وَأَرَادَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ نِسَاءَ النَّبِيِّ ، لِأَنَّهُنَّ فِي بَيْتِهِ .

(٧) سُورَةِ الْأَحْزَابِ ، آيَةِ ٦ ، تَشْبِيهُ أَزْوَاجِهِ بِأُمَّهَاتِهِمْ فِي وَجُوبِ تَعْظِيمِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ

وَتَحْرِيمِ نِكَاحِهِمْ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا » .

أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد المدل من كتابه ، وكتبت من أصله ^(١) :
 حدثنا أبو الحسن المقرئ القرغاني ، حدثني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف ،
 قالت : حدثني أبي ، حدثنا حاتم - هو ابن عقيل ، حدثنا يحيى - هو ابن إسماعيل ،
 حدثنا يحيى - هو الحناني ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن
 يزيد بن حيان ، عن زيد بن أرقم ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أنشدكم ^(٢) الله أهل بيتي ^(٣) ... ثلاثا .

قلنا لزيد : من أهل بيته ؟ قال : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ،
 وآل العباس ^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) : إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا :
 كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ^(٦) ؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما ^(٧) .
 وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) : معرفة آل محمد صلى الله عليه وسلم براءة

(١) المراد بأصله : نسخته التي قرأ منها ؛ أو الروي عن مشايخه .

(٢) أي أسألكم بالله وأقسم عليكم به .

(٣) أي : وأذكركم أهل بيتي ، فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم ؛ فإن رعايتهم رعاية لي .
 أو أسألكم الله في حق أهل بيتي بالإحسان إليهم والشفقة عليهم . أو أقسم عليكم بالله أن تراعوني
 في أهل بيتي (شرح القاري : ٢ - ٨١) .

(٤) وهذا كما رواه مسلم في فضائل آل البيت : صحيح مسلم ١٨٧٣

(٥) في حديث رواه الترمذي : سنن الترمذي : ٤ - ٦٦٢

(٦) أهل بيتي تفسير لعترتي .

(٧) أي بعد وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لأهل بيتي ورعايتهم وبرهم

بعدي ؛ فإن ما يبرهم يبرني ، وما يسوءهم يسوءني .

(٨) في شرح القاري (٢ - ٨٢) ؛ لا يعرف راويه .

من النار^(١)، وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازُ^(٢) عَلَى الصِّرَاطِ، وَالْوَلَايَةُ^(٣) لآلِ مُحَمَّدٍ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَعْرِفَتُهُمْ هِيَ مَعْرِفَةُ مَكَانِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا عَرَفَهُمْ بِذَلِكَ عَرَفَ وَجُوبَ حَقِّهِمْ وَحُرْمَتَهُمْ بِسَبَبِهِ .

وَعَنْ^(٤) عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ : لَمَّا نَزَلَتْ^(٥) : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كَمَا تَطْهِرُونَ ﴾ - وَذَلِكَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ - دَعَا فَاطِمَةَ وَحُسَيْنًا وَحُسَيْنًا ، فَجَلَّاهُمْ^(٦) بِكَسَاءٍ ، وَعَلَى خَلْفِ ظَهْرِهِ [فَجَلَّاهُ بِكَسَائِهِ]^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا^(٨) .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ^(٩) دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا وَالْحُسَيْنَ وَفَاطِمَةَ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَلِيٍّ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

(١) أَى مَعْرِفَةِ مَقْدَارِهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ وَرِعَايَةِ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِمْ ؛ فَإِنْ حُبَّتْهُمْ لِأَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدُلُّ عَلَى خُلُوصِ حُبَّتِهِمْ لَهُ ؛ وَتِلْكَ مَرْتَبَةٌ مُسْتَوْجِبَةٌ لَذَلِكَ تَفْضُلًا مِنَ اللَّهِ وَكَرَامَةً لِرَسُولِهِ .
(٢) جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ : أَى مُرُورٌ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ جَوَازًا مُوَصَّلًا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فَإِنْ الْمَرَّةَ مَعَ مَنْ أَحَبَ .
(٣) الْوَلَايَةُ : الْمَوَالَاةُ بِالنَّصْرِ وَالْمُودَةِ .

(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ : صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ : ٤ - ٦٦٣

(٥) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٣٣ (٦) جَلَّاهُمْ : غَطَّاهُمْ ، وَسَتَرَهُمْ .

(٧) مِنْ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ .

(٨) أَى جَنْبِهِمُ الْآثَامُ وَالْمَعَاصِي وَمَا يَشِينُهُمْ . وَإِدْخَالُهُمْ فِي الْكَسَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى قُرْبِهِمْ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَتَرَهُمْ كَمَا سَتَرَهُمُ الْكَسَاءُ ، وَأَنَّهُ صَانِعُهُمْ وَأَحْرَزُهُمْ ، تَفَاؤُلًا بِذَلِكَ .

(٩) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ : ٥ - ٢٢٥ . وَالْمُبَاهَلَةُ : الْمَلَاعِنَةُ . وَالْآيَةُ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

« فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْمِلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ . آيَةُ ٦١) .

وقال فيه^(١) : لا يَجُوكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْفَضُكُ إِلَّا مُنَافِقٌ .

وقال للعباس^(٢) : والذي نفسى بيده ، لا يدخلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَمَنْ آذَى حَمَى فَقَدْ آذَانِي ؛ وَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُو^(٣) أَبِيهِ .

وقال للعباس : اغْدُ عَلَيَّ يَا عَمُّ^(٤) مَعَ وَلَدِكَ ؛ فَجَعَلَهُمْ وَجَلَّاهُمْ^(٥) بِمُلَاقَاتِهِ ، وقال : هَذَا حَمَى وَصِنُو أَبِي ؛ وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَاسْتُرْتُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ ؛ فَأَمَّنتُ أَسْكُفَةَ الْبَابِ^(٦) وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ : آمِينَ . آمِينَ .

وكان^(٧) بِأَخْذِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَالْحَسَنِ ؛ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحْبِبْهُمَا . وقال أبو بكر : اِرْقُبُوا^(٨) مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ .

وقال أيضا : والذي نفسى بيده لَقَرَّابَةُ [١٥٧] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي^(٩) .

وقال صلى الله عليه وسلم^(١٠) : أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا .

(١) أى فى طى .

(٢) فى حديث رواه الترمذى ، وابن ماجه : سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٢

(٣) الصنو : المثل ؛ أى فى المعنى أبوه .

(٤) اغد على ياعم : اتنى . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٣

(٥) جلّاهم : غطاهم ، وسترهم .

(٦) أسكفة الباب : العتبة التى فى أسفل الباب .

(٧) فى حديث رواه البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ٣٠

(٨) الحديث فى صحيح البخارى : ٥ - ٢٦ ، ٣٣ والمراد احفظوا محمدا وحقه عليكم .

فى أهل بيته : فى رعايتهم وإكرامهم وبرهم .

(٩) أى من صلة قرابتي . والحديث فى صحيح البخارى : ٥ - ٢٦

(١٠) فى حديث رواه ابن ماجه ، والترمذى : سنن الترمذى : ٥ - ٦٥٨

وقال : من أحبني وأحب هذين - وأشار إلى حسن وحسين وأبائهما وأمهما - كان معي في درجتي ^(١) يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) : مَنْ أَهَانَ قُرَيْشًا أَهَانَهُ اللَّهُ .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) : قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدِّمُوها ^(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم لأم ^(٥) سلمة : لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ .

وعن عُمَيرة ^(٦) بن الحارث : رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَجَعَلَ الْحَسَنَ عَلَى

عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَى شَيْبَةَ يَا نَبِيَّ ، لَيْسَ شَيْبًا بَعْلَى - وَعَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْحَكُ .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حُسَيْنٍ ؛ قَالَ : أَتَيْتُ عُمرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ

فِي حَاجَةٍ ، فَقَالَ لِي : إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَأَرْسِلْ إِلَيَّ أَوْ اكْتُبْ ؛ فَإِنِّي أَسْتَجِيبُ

مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَاكَ عَلَى بَابِي ^(٧) .

وعن الشعبي ^(٨) : صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جَنَازَةِ أُمِّهِ ، ثُمَّ قُرِئَتْ لَهُ بَغْلَتُهُ لِيرَكِبَهَا ،

فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ ؛ فَقَالَ زَيْدٌ : خَلِّ عَنْهُ ^(٩) يَا بْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ :

هَكَذَا نَفَعَلُ بِالْعَمَاءِ . فَقَبَّلَ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبَّاسٌ ؛ وَقَالَ : هَكَذَا أُمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ

بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

(١) في درجتي : في منزلتي ورتبتي في الجنة .

(٢) في حديث رواه الترمذي ، وحسنه . سنن الترمذي : ٥ - ٧١٤ ، وفيه : من يرد

هوان قريش . . .

(٣) في حديث رواه البزار ، وابن أبي شيبة . (٤) ولا تقدموها : ولا تتقدموا عليها .

(٥) في حديث رواه البخاري . صحيح مسلم : ٥ - ٣٨ ، وبين للناس بذلك محبة لها

وتقدمها عنده .

(٦) في حديث رواه البخاري عنه : صحيح البخاري : ٥ - ٣٣

(٧) وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله وآله .

(٨) رواه الحاكم ، والبيهقي ، وصححه . (٩) خل عنه : دع الركاب وتباعد عنه .

ورأى ابنُ عمرَ محمدَ بنَ أسامةَ بنَ زَيْدٍ ؛ فقال^(١) : لَيْتَ هَذَا عِنْدِي^(٢) ؛
فَقِيلَ لَهُ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَامَةَ . فَطَاطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ ، وَنَقَرَ بِيَدِهِ^(٣) الْأَرْضَ ، وَقَالَ :
لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَحَبَّهُ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ^(٤) : دَخَلَتْ بِنْتُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعَهَا مَوْلَى لَهَا يُمَسِّكُ يَدَهَا^(٥) ، فَقَامَ لَهَا عُمَرُ ،
وَمَشَى إِلَيْهَا حَتَّى جَمَلَ يَدَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَدَاهُ فِي ثِيَابِهِ^(٦) ، وَمَشَى بِهَا حَتَّى أَجْلَسَهَا
عَلَى مَجْلِسِهِ^(٧) ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَمَا تَرَكَ لَهَا حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا .

وَلَمَّا فَرَضَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَلِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ
فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِلْأَبِيِّهِ : لِمَ فَضَّلْتَهُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى
مَشْهَدٍ^(٨) ؟ فَقَالَ لَهُ : لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْنِكَ ،
وَأَسَامَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ ؛ فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حُبِّي^(٩) .

(١) هذا الحديث في البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ٣٠

(٢) تمنى ذلك ليعلمه وليؤدبه، ولم يكن عرفه حين رآه. وفي ١ : عدى. والمثبت في البخارى.
وقال القارى (٢ - ٨٥) : عدى - بالباء - وهى رواية البيهقى . ثم قال : ورواية الكالة
بكسر أوله وسكون النون . والأول أوجه . وقال المزي : بالنون هو المشهور . قال الحجازى :
وهو الصحيح في الشفا . وكذا في البخارى . (٣) يتفكر فيما قاله ندما عليه .

(٤) في شرح القارى (٢ - ٨٥) : حكاه ابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٥) لكبرها وضمف بصرها .

(٦) ويداه في ثيابه : أى مغطاة يكمه حتى لا يمس بدنه بدن أجنبية لتقواه .

(٧) على مجلسه : على فراشه الذى كان جالسا عليه .

(٨) إلى مشهد : إلى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف
بقدرها وبالتقدم فيها .

(٩) فأثرت : فقدمت . وقد ضبطت الحاء في « حب » ، و « حبى » بالضمه والكسرة
في ب ؛ وهى بكسر الباء بمعنى المحبوب . وحديث البخارى في الهجرة : ٥ - ٨٠ ، وفيه : فقال :
إنما هاجر به أبواه . . .

وبلغ معاوية أن كائس بن ربيعة يُشَبِّه برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبّل بين عَيْنَيْهِ، وأقطعهُ المِرْغَابَ^(١) لَشَبِّهِهِ صُورَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

وَرُوي أن مالكا رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ضَرَبَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(٢)، ونال منه ما نال، وَحِلَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ دخل عليه الناسُ فَأَفْأَقَ، فقال: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ضَارِبِي فِي حِلٍّ^(٣).

فَسُئِلَ بعد ذلك، فقال: خِفْتُ أَنْ أَمُوتَ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَاسْتَحْيَى مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ آلِهِ النَّارَ بِسَبْيِي .

وقيل: إِنَّ الْمَنْصُورَ أَقَادَهُ مِنْ^(٤) جَعْفَرٍ، فقال له: أَعُوذُ بِاللّهِ! وَاللّهِ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا سِوْطٌ عَنْ جِسْمِي [١٥٨] إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُهُ فِي حِلٍّ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن عيَّاش: لو أَنَا نِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ لَبَدَأْتُ بِحَاجَةِ عَلِيٍّ قَبْلَهُمَا؛ لِقَرَابَتِهِ^(٥) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ وَلَأنَّ آخِرَ^(٦) مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَهُ عَلَيْهِمَا .

وقيل لابن عباس^(٧): مَاتَ فُلَانَةٌ - لِبَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم،

(١) المِرْغَابُ: اسم أرض يمر والشاهجان، أو قرية بهراة، كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها. والإقطاع: أن يفوض إليه أرضا بتعليك ونحوه ويسوغه لمن هو أهل له. والضبط في معجم ما استعجم: ١٢١٥

(٢) ضربه جعفر: بقول بعضهم: لأنه لا يرى الإيمان لبيعتة شيئا؛ لأنَّ يمين السكره لا تنزم؛ ففضب جعفر... (شرح القاري: ٢ - ٨٧) .

(٣) يقال: هو في حل من كذا: إذا برأ ذمته من عهده .

(٤) أقاده من جعفر: أى أمر أن يقتص للمالك من جعفر، فيضرب كما ضربه .

(٥) في هامش أ: لقرباه، وعليها علامة الصحة . (٦) آخر: أسقط .

(٧) رواه أبو داود، والترمذى، وحسنه: سنن الترمذى: ٤ - ٧٠٨

فسجد ؛ فقليل له : أَتَسْجُدُ هذه الساعة ؟ فقال : أليس قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم آية^(١) فاسجدوا ؛ وأى آية أعظم^(٢) من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

[وكان أبو بكر وعمر يزوران أمّ أئمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولان : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يزورها^(٣) .

ولما وردت حليلةُ السمديّة على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها ؛ فلما توفى وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك]^(٤) .

فصل

[من توقيده وبرّه توقيرُ أصحابه وبرّه]

ومن توقيده وبرّه صلى الله عليه وسلم - توقيرُ أصحابه وبرّه ومعرفةُ حقّهم ، والافتداء بهم ، وحسنُ الثناء عليهم ، والاستغفارُ لهم ، والإمساكُ عما شجر^(٥) بينهم ، ومعاذاةُ مَنْ عَادَاهُمْ ، والإضرابُ عن أخبارِ المؤرّخين ، وجهلةِ الرّؤاةِ ، وضلالِ الشّيعَةِ^(٦) والمبتدعينِ الفادحةِ^(٧) في أحدٍ منهم ؛ وأن ياتمس لهم فيما نقل [عنهم]^(٨) من مثل ذلك فيما كان بينهم مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ^(٩) العاويلات ، ويُخَرَّجُ

(١) آية : أمر عظيم فيه عبرة ، كالسوف والحسوف .

(٢) وهي آية عظيمة تورث حزنا وأسفا .

(٣) فاعتديا به ، وأحبا ما أحب .

(٤) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ا ، ب : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

(٥) الإمساك : السكوت . شجر بينهم : ما وقع من خلاف وزاع بينهم .

(٦) ضلال : جمع ضال . والشّيعَة : كل فرقة تابعة لأحد ؛ ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا

عليها ، وبالنوا فيه .

(٧) والمبتدعين : الذي ابتدعوا العقائد الفاسدة الفادحة : من القدح ؛ وهو الذم والتنقيص .

(٨) ليس في ا ، ب . (٩) ضبطت الزون في « أحسن » بالفتحة في ا .

لهم أَصُوبُ الْحَارِجِ^(١)؛ إِذْ هُمْ أَهْلُ ذَلِكَ، وَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، وَلَا يُفْصَحُ^(٢) عَلَيْهِ أَمْرٌ؛ بَلْ تُذَكَّرُ حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ، وَحَمِيدُ سِيرَتِهِمْ، وَيُسَكَّتُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) : إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَمْرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحِمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وَقَالَ^(٥) : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

(١) أَصُوبُ الْحَارِجِ : بَأَن يَحْمِلَهُ عَلَى أَمْرِ عَمُودٍ ، وَيُؤْوِلُهُ بِمَا يُخْرِجُهُ عَنْ عَدِهِ مِنَ الْعَايِبِ إِلَى الْحَافَةِ بِالْحَاسَنِ .

(٢) لَا يُفْصَحُ : لَا يُمَارِى وَلَا يَنْقُصُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ . وَفِي هَامِشٍ أ : غَمَضَ النَّاسُ : احْتَقَرُوا وَظَمْنُوا فِيهِمْ . عَلَيْهِ : عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ . فَأَمْسَكُوا : اسْتَكْتَوْا عَنِ الطَّعْنِ فِيهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا يَوْمُهُمْ قَصَافِهِمْ . (٤) سُورَةُ الْفَتْحِ ، آيَةُ ٢٩ . شَطْأُهُ : شَطْءُ الزَّرْعِ : فُرُوعُ الزَّرْعِ ، وَهُوَ مَا خَرَجَ مِنْهُ وَتَفَرَّعَ فِي جَانِبَيْهِ . وَقَدْ تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَهُمْ بِمَغْفِرَتِهِ وَأَجْرٍ عَظِيمٍ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ مِنْ ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ إِلَى آخِرِهِ تَقَعُ وَخَيْرُ كَزَرْعٍ تَكَامِلُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى نَمَتْ سَنَاظِلُهُ وَعَمَّ تَقَعُهُ .

(٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ١٠٠

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٤٦٧) : وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَدْحٌ عَظِيمٌ أَيْضًا لَهُمْ وَوَعْدٌ عَظِيمٌ بِعَاقِبَتِهِمْ فِي الْعَقَبِ ؛ وَهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ : الْأُولَى السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ صَلُّوا لِلْقَبْلَتَيْنِ وَشَهِدُوا بِدَرَا ، وَالَّذِينَ أَصْلَحُوا قَبْلَ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَّةِ ، السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ لِلْبَيْعَةِ وَهُمْ الْأَنْصَارُ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى .

وَالثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا هَؤُلَاءِ بِإِحْسَانٍ ، وَهُمْ الْآخِقُونَ بِالسَّابِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَتَيْنِ ، وَشَمِلَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمُ الثَّنَاءُ وَالْوَعْدُ .

بإحسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

وقال الله تعالى^(١) : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

وقال^(٢) : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو الحسن ، وأبو الفضل ؛ قالا : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو علي السنجي ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربيعة بن حراش ، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ قال : قال^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أبي بكر ، وعمر .

وقال^(٤) : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وعن أنس^(٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ الْمَلَحِ فِي الطَّعَامِ ؛ لَا يَصْلَحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِهِ^(٦) .

(١) سورة الفتح ، آية ١٨ ، وهذه هي قصة الحديبية ، وما وقع فيها ، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان . (٢) سورة الأحزاب ، آية ٢٣ .

(٣) هذا الحديث أخرجه الحاكم ، وابن حبان ؛ وهو في سنن الترمذي : ٥ - ٦٠٩ .

(٤) رواه الدارقطني ، وابن عبد البر في العلم ، من طرق أسانيد كلها ضعيفة ، حتى قال ابن حزم : إنه موضوع . وقال الحافظ العراقي : كان يفتنى للمصنف رحمه الله ألا يورده بصيغة الجزم . (٥) رواه البزار ، وأبو يعلى .

(٦) في نسيم الرياض (٣ - ٤٦٩) : قال الحسن البصري : قد ذهب ملحننا فكيف يصلح . وإصلاحهم بإرشادهم وهديتهم وحشمهم على الطاعات ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وبيان الشريعة وأمور الدين ؛ فعايننا باتباعهم واقتفاء آثارهم .

وقال^(١): الله الله في أصحابي؛ لاتخذوهم غرضا بعدى؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(٢)، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^(٣).

وقال^(٤): لاتسبوا أصحابي؛ فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد^(٥) أحدكم ولا نصيفه.

وقال^(٦): [١٥٩] من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٧).
وقال: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا^(٨).

(١) الله الله: اتقوا الله فيهم. والفرس: الهدف الذي يرمى به السهام، والمعنى: لاتذمومهم ولتطنوا فيهم بإسناد أمور قبيحة لهم.

(٢) آذى الله: فعل ما لا يرضاه.

(٣) يوشك: يقرب ويسرع. يأخذه: يهلكه ويستأصله بمذابه.

(٤) في حديث رواه مسلم وغيره: صحيح مسلم: ١٩٦٧

(٥) ما بلغ: ما وصل، وسأوى ثوابه ثواب مد أحد ولا نصيفه؛ أى الذى يتصدق به من تمر أو شعير أو قح ونحوه. والمد: ربع صاع، وهو أقل ما يتصدق به عادة. وروى: مد - بفتح الميم؛ أى مداه وغايته. والنصيف: النصف.

والمراد إن أعلى صدقتكم وإنفاقكم لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيته بدون رياء منهم؛ وقد أنفقوا - رضى الله عنهم - وهم في قلة وفاقه، ومن بعدهم أنفقوا والدينا واسعة دارة عليهم، مع شدة الحاجة لما أنفقوه في أول ظهور الإسلام، وقتال أعداء الدين، مع بذلهم مع مالهم، وأهلهم وأرواحهم في سبيل الله.

(٦) رواه الديلمى، وأبو نعيم في الحلية.

(٧) الصرف: التوبة. والمدل: الفدية.

(٨) أى إذا ذكروا بسوء وغيبة فآزكوا ذلك ولا تخوضوا مع الحاضرين فيهم. وقد تقدم.

وقال^(١) .. فى حديث جابر : إن الله اختار أصحابى على جميع^(٢) العالمين سوى النبیین والمرسلين ، واختار لى منهم أربعة : أبابكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ؛ فجعلهم خير أصحابى ، وفى أصحابى كلهم خير^(٣) .

وقال^(٤) : مَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِى ، وَمَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِى .

وقال مالك بن أنس ، وغيره : مَنْ أَبْغَضَ الصَّعَابَةَ وَسَبَّهْمَ فَلَيْسَ لَهُ فِيَّ^(٥) المسلمين حق ، وَنُزِعَ بآيَةِ الْحَشْرِ^(٦) : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٧) .

(١) رواه البزار ، والديلمى .

(٢) أى فضلهم على الناس كلهم ، وجعلهم خيرة خلقه عدولا أتقياء كلهم .

(٣) خير : أى فضل وتقوى .

(٤) فى حديث رواه الطبرانى فى أوسطه بسند حسن .

(٥) النىء : ما أخذ من غنيمة الكفار .

(٦) أصل معنى النزاع القلع والخروج ، يريد بعد عن النىء فلا حق له فيه .

(٧) فى نسيم الرياض (٣ - ٤٧٢) : وجه الاستدلال بالآية أنه جعل ما أفاء الله على رسوله

حقاً للفقراء والمهاجرين والفقراء الذين تبوءوا الدار ، والفقراء الذين جاءوا من بعدهم مهاجرين بعد ما قوى الإسلام ، والتابعين لهم بإحسان ممن آمن بعد المهاجرين والأنصار إلى آخر الزمان .

والآيات المشار إليها فى سورة الحشر : من آية ٥ - ١٠

وقال : مَنْ غَاظَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَهُوَ كَافِرٌ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ لِيَغْظِيَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارك ^(٢) : خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ نَجَا : الصَّدْقُ ، وَحُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال أيوب السَّخْتِيَانِي : مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ ^(٣) ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَضَاءَ بَنُورَ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ^(٤) ، وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَدَبَّرَ مِنْ النِّفَاقِ ، وَمَنْ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَافٌ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ ؛ وَأَخَافُ إِلَّا بِصَعْدِهِ ^(٥) عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يَجِبَهُمْ جَمِيعًا ، وَيَكُونُ قَلْبُهُ سَلَامًا ^(٦) .

وفي حديث ^(٧) خالد بن سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ،

(١) سورة الفتح ، آية ٢٩

قال القاري : وعن مالك أيضا أنه قال - حين تلا قوله تعالى : ليغظيهم الكفار - من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية .

(٢) في نسيم الرِّياض (٣ - ٤٧٣) : ليس هذا من كلام ابن المبارك ؛ وإنما هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم .

(٣) أوضح السبيل : بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق للمستقيم ، لأنه - بعده صلى الله عليه - أظهر الدين .

(٤) أخذ بالعروة الوثقى : تمسك بها ، لكونه عالما بالحقيقة ، وقائما بالقدب عن حوزة الدين ، لا يلحقه في الله لومة لائم . وعلى باب العلم ، فمن أحبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى - أي بالحق والرأى القويم الذي هو عروة لا تنفصم .

(٥) ألا يصعد له عمل : أي لا يقبله الله تعالى منه ، ولا يثيبه عليه .

(٦) يكون قلبه سائما من بفضهم .

(٧) هذا الحديث رواه الطبراني ، وابن منده . وقال القاري (٢ - ٩٤) : هو

خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي .

إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك . أيها الناس ؛ إني راضٍ عن عمر ، وعن عليّ ، وعن عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد^(١) ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ فاعرفوا لهم^(٢) ذلك .

أيها الناس ؛ إن الله غفر لأهل بدرٍ والحدَيبية ؛ أيها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصهارى وأختانى^(٣) ، لا يطالبكم أحدٌ منهم بمظلمة ؛ فإنها مظلمةٌ لا توهب في القيامةِ غداً^(٤) .

وقال رجلٌ للمعافى بن عمران : أين عمر بن عبد العزيز من معاوية ؟ فنضب وقال : لا يُقاسُ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ ، معاوية صاحبه وصهره^(٥) ، وكاتبه وأمينه على وحي الله .

وأتى^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم بمخازرة رجلٍ فلم يُصلِّ عليه ، وقال : كان يُبغض عثمان ، فأبغضه الله .

وقال صلى الله عليه وسلم في الأنصار^(٧) : « اغفوا عن مُسيئهم ، واقبلوا من مُحسِنهم » .

(١) وسعد : هو ابن أبي وقاص . وسعيد : هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) المراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم .

(٣) احفظوني : احفظوا حقى وقدري برعاية ما يجب . في أصحابي : أى وحفظ حقى يتم

ويتحقق بحفظ أصحابي ومحبتهم وتوقيرهم . والأصهار : جمع صهر : وهم أهل المرأة . والأختن : واحد الأختان : وهو كل من كان من قبل للمرأة . والمراد بها هنا : من بينه - صلى الله عليه وسلم - وبينه علاقة بتزويجه أو التزوج منه .

(٤) أى لا يهبها الله ؛ لأنها حق العبد ، مالم يرض صاحبها لاترك .

(٥) صهره : لأنه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان .

(٦) الحديث في سنن الترمذى : ٥ - ٦٣٠

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٩٤٩ ، وصحيح البخارى : ٥ - ٤٣

وقال^(١) : « احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي ؛ فَإِنَّهُ مَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِيهِمْ تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُ^(٢) ، وَمَنْ تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُ يُوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ^(٣) » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَفِظَنِي^(٤) فِي أَصْحَابِي كُنْتُ لَهُ حَافِظًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وقال^(٥) : « مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي وَرَدَّ عَلَى الْحَوْضِ^(٦) ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِي أَصْحَابِي لَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَلَمْ يَرَنْى إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ » .

قال مالك - رحمه الله : هذا النبي مؤدَّبُ الْخَلْقِ الَّذِي هَذَا أَنَا اللَّهُ بِهِ ، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، يَخْرُجُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ^(٧) فَيَدْعُو لَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُ كَأَنَّهُ دَعَا لَهُمْ ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ النَّبِيَّ بِحُبِّهِمْ ، وَمَوَالَتِهِمْ^(٨) ، وَمَعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُمْ .
وروي عن كعب^(٩) : لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا لَهُ شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وطلَّبَ^(١٠) مِنَ الْمُغْيِرَةِ بْنِ نَوْفَلٍ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
قال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ : لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ مَنْ لَمْ يُؤَقِّرْ أَصْحَابَهُ ، وَلَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ^(١١) .

- (١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَالدَّيْلَمِيُّ .
- (٢) تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُ : أَيْ أَعْرَضَ عَنْهُ ، وَتَرَكَهُ فِي غِيهِ اسْتِدْرَاجًا لَهُ .
- (٣) أَنْ يَأْخُذَهُ بِأَنْ يَهْلِكَهُ وَيَسْتَأْصِلَهُ .
- (٤) مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي : بِرِعَايَةِ حَقِّي فِيهِمْ . (٥) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ .
- (٦) وَرَدَّ عَلَى الْحَوْضِ : أَيْ وَصَلَ إِلَيْهِ وَشَرِبَ مِنْهُ حَقًّا لَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ .
- (٧) الْبَقِيعُ : اسْمُ مَوْضِعٍ بظَاهِرِ الدِّينَةِ ، صَارَ مَقْبَرَةً لِأَهْلِ الدِّينَةِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ لِيُنَاجِيَ رَبَّهُ مُتَخَلِّيًا عَنْ أَهْلِهِ .
- (٨) مَوَالَتِهِمْ : مُعَاوَنَتُهُمْ وَنَصْرَتُهُمْ .
- (٩) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ . (١٠) وَطَلَّبَ : أَيْ كَعَبَ .
- (١١) يُعِزُّ أَوَامِرَهُ : يَنْصُرُهَا وَيَقْوِيهَا ، وَيُجَلِّلُهَا وَيُعْظِمُهَا .

فصل

[ومن إعظامه وإكباره]

ومن إعظامه وإكباره إعظامُ جميعِ أسبابِهِ^(١)، وإكرامُ مشاهدِهِ^(٢) وأمكنَتِهِ من مكة والمدينة^(٣)، ومعاهدِهِ^(٤)، وما لَمَسَهُ - صلى الله عليه وسلم، أو عُرِفَ به. وروى عن صَفِيَّةَ بنتِ نَجْدَةَ؛ قالت: كان لأبي مخذورة قِصَّةٌ^(٥) في مُتَدَمِّ رأسه إذا قَعَدَ وأرسلها أصابت الأرض. فقيل له: ألا تحلقها؟ فقال: لم أكن بالذى أحلِّقُها، وقد مَنَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده.

وكانت^(٦) في قِلَنْسُوءَ خالد بن الوليدِ شَعْرَاتٌ من شَعْرِهِ صلى الله عليه وسلم، فسقطت قِلَنْسُوءُهُ في بَعْضِ حُرُوبِهِ، فشدَّ عليها شَدَّةً^(٧) أنكر عليه أصحابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كثرةَ مَنْ قُتِلَ فيها؛ فقال: لم أفعَلْها بسببِ القِلَنْسُوءِ؛ بل لِمَا تَضَمَّنَتْهُ من شَعْرِهِ صلى الله عليه وسلم لئلا أُسَلَّبَ^(٨) بركتها وتقع في أيدي المشركين.

(١) الأسباب: المراد كل ما ينسب إليه؛ من فراشه ولباسه ممن لا روح له، أو له روح؛ كعبه ودوابه. وقال الراغب: السبب: الحبل الذي يصعد به النخل، ويسمى كل ما يتوصل به سببا، وتسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا لشبهها بالحبل في الطول.

(٢) مشاهد: مشاهد: جمع مشهد، وهو محل الشهود؛ أي الحضور؛ أي مواضع التي حضرها أو نزل بها.

(٣) المراد به مساكنه ومحال إقامته.

(٤) معاهد: المحال التي عهد إليه صلى الله عليه وسلم بها؛ كالأساطين التي كان يصلي عندها، ومحل صلاته في المسجد، والإماماكن المباركة، ومنازله.

(٥) قصة: خصلة من شعر الرأس في مقدم رأسه.

(٦) في حديث رواه أبو يعلى.

(٧) شد عليها شدة: كركرة قوية، أي رجع لأخذها، وهو يمدو عدوا شديدا سريعا.

(٨) أسلب بركتها: تذهب منى بركتها.

[ورئي ابنُ عمر واضعا يده على مَقْعَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من المنبر ، ثم وضعها على وجهه^(١)] ^(٢).

ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركبُ بالمدينة دابةً ؛ وكان يقول : أَسْتَحْيِ من الله أنْ أَطَأَ تَرْبَةً^(٣) فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة .
وروى عنه أنه وهب للشافعي كُرَاعاً^(٤) كثيراً كان عنده ؛ فقال له الشافعي :
أَمْسِكْ منها دابةً . فأجاب به بمثل هذا الجواب .

وقد حكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ عن أحمد بن فضالويه الزاهد - وكان من الغُرَازَةِ الرُّمَامَةِ^(٥) - أنه قال : مَا مَسَسْتُ الْقَوْسَ بِيَدِي إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مِنْذُ بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ الْقَوْسَ بِيَدِهِ^(٦) .

وقد أَفْتَى مالكُ فِيمَنْ قَالَ : تَرْبَةُ الْمَدِينَةِ رَدِيَّةٌ^(٧) - يُضْرَبُ ثَلَاثِينَ دِرَّةً^(٨) ، وأمر بحبسهِ ، وكان له قدر ؛ وقال : مَا أَخَوَجَهُ إِلَى ضَرْبِ عُنُقِهِ تَرْبَةُ دُفْنٍ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يزعمُ أنها غير طيبة .

وفي الصحيح^(٩) أنه قال صلى الله عليه وسلم - في المدينة : مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا^(١٠)

(١) وضعها على وجهه : مسحه بها تبركا .

(٢) أمام ما بين القوسين في هامش ا ، ب : من غير الرواية .

(٣) تربة : أرضا ذات تراب . (٤) كُرَاعاً : جمع من الحيل .

(٥) الرماة : الذين يجيدون رمي السهام .

(٦) أخذ القوس بيده : أمسكها ، ورمى بها .

(٧) ردية : غير طيبة ، ذات وباء متعفنة الهواء .

(٨) الدرة : آلة من جلد غليظ يضرب بها ؛ وهي آلة التمزير .

(٩) رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٩ - ١٢٣ ، وصحيح مسلم : ٩٩٦

(١٠) من أحدث فيها حدثا : من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالظالم . والمراد البدع

المنكرة شرعا .

أَوْ آوَى مُحَدَّثًا^(١) فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ؛ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا^(٢) .

وَحُكِيَ أَنَّ جَهَّاجَهَا^(٣) الْغِفَارِي أَخَذَ قَضِيبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَدِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَنَاوَلَهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ ، فَأَخَذَتْهُ الْأَكِلَةَ^(٤) فِي رُكْبَتِهِ فَقَطَعَهَا ، وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ .

وَقَالَ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي كَاذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^(٦) » .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ لَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا ، وَقَرُبَ مِنْ بَيْتِهَا تَرَجَّلَ وَمَشَى بِأَكْيَا مُنْشِدًا^(٧) :

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسَمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فَوَادًا لِعِرْقَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا^(٨)
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمَشِي كِرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبًا^(٩)
وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُرِيدِينَ أَنَّهُ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ أَنْشَدَ يَقُولُ
مَتَمِّئًا^(١٠) [١٦١] :

-
- (١) آوَى مُحَدَّثًا : أَدْخَلَهُ وَضَعَهُ لِأَهْلِهَا . (٢) الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ . وَالْعَدْلُ : الْفِدْيَةُ .
(٣) الَّذِي حُكِيَ هَذَا هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ : ١ - ٢٦٩ . وَقَالَ الْقَارِي (٢-٩٩) :
جَهَّاجَهَا - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ : وَفِي نَسْخَةِ جَهَّاجٍ - بِلَا تَنْوِينٍ .
(٤) الْأَكِلَةُ : مَرَضٌ يَفْسُدُ الْأَعْضَاءُ . وَتَمْدُ هَمَزَتِهِ .
(٥) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ مَالِكٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .
(٦) يَتَبَوَّأُ : يَتَخَذُهُ مَبَادٍ ؛ أَيْ مَقَرًا وَسَكَنًا : سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٤ - ٥٢٤ ، سَنَنِ ابْنِ
مَاجَهَ : ١٣ (٧) الشَّمْرُ لِلْمَتَنِيِّ : دِيَوَانُهُ : ١ - ٥٦
(٨) الرَّسْمُ : آثَارُ الدِّيَارِ الْهَادِسَةِ ، وَالْمَرَادُ آثَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعَاهِدِهِ وَمَسَاكِنِهِ .
وَالْفَوَادُ : الْقَلْبُ ، وَالْعِرْقَانُ : الْمَعْرِفَةُ . وَاللَّبُّ : الْعَقْلُ .
(٩) الْأَكْوَارُ : جَمْعُ كَوْرٍ ؛ وَهُوَ لِلْأَبْلِ بِمَنْزِلَةِ السَّرِجِ لِلْفَرَسِ . بَانَ : بَعُدَ . نَلِمَ : نَأْتِيهِ لَزِيَارَتُهُ .
وَالْإِلَامُ : الْإِتْيَانُ قَلِيلًا . (١٠) الشَّمْرُ لِأَبِي نَوَاسٍ فِي مَدْحِ مُحَمَّدِ الْآمِينَ : دِيَوَانُهُ : ٤٠٨

رُفِعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاخَ لَنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ^(١)
وإذا المَطِيُّ بنا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فظهورهنَّ على الرجال حَرَامٌ^(٢)
قَوَّ بَنَفًا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ^(٣)
وحكى عن بعض المشايخ أنه حجَّ ماشياً ؛ ف قيل^(٤) له في ذلك ؛ فقال : الْعَبْدُ
الْآبِقُ^(٥) لا يَأْتِي إِلَى بَيْتِ مَوْلَاهُ رَاكِبًا ! لو قدرت أن أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي مَا مَشَيْتُ
عَلَى قَدَمَيَّ .

قال القاضي^(٦) : وجدير لمواطن^(٧) عُثِرَتْ بِالْوَحْيِ وَالْتِزِيلِ ، وَرَدَّدَتْ بِهَا
جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَعَرَجَتْ^(٨) مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ، وَضَجَّتْ عَرَصَاتُهَا^(٩)
بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَاشْتَمَلَتْ تُرْبَتُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَانْتَشَرَ^(١٠) عَنْهَا
مِنْ دِينِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ مَا انْتَشَرَ ، مَدَارِسُ آيَاتِ^(١١) ، وَمَسَاجِدُ وَصَلَاتٍ ،

(١) المراد برفع الحجاب في الشعر : رفع ستائر أبواب السلوك والعظام . وهو هنا بمعنى
انقضاء المسافة والقرب من المدينة . والقمر : المدحج . وتقطع : تضمحل .

(٢) المَطِيُّ : جمع مطية : ناقعة تمتطي ، وتركب . ولاخ : بدا وظهر . دونه : قريبا منه .
فظهورهن على الرجال حرام : أى إذا أوصلتهم لمقاصدهم كانت لها حرمة تقتضى رعايتها وراحتها
فلا يركبها بعد ذلك رجل ، ولا يوضع على ظهرها شيء ؛ بل تترك سارحة منعمة في مرعاها .
(٣) خير من وطئ الثرى : النبي ؛ فهو خير الناس . والحرمة : الحق الذى يلزم احترامه .
والذمام : ما يلزم احترامه . أو جمع ذمة ؛ وهى المهد ؛ وما يجب الوفاء به . وفي الديوان :
(٤) قيل له في ذلك : سئل عن سبب ذلك ؛ لم فعله ؟
من وطئ الحصى .

(٥) الآبق : الفار من سيده . (٦) هو المؤلف .

(٧) لمواطن : أما كن ومساكن ، يريد مكة والمدينة . (٨) عرجت : صعدت .

(٩) العرصات : جمع عرصة ؛ وهى الأرض ، والساحة الواسعة من غير بناء . والمراد

هنا : الأرض مطلقا وضجت عرصاتها : ارتفعت فيها الأصوات بتوحيد الله وذكره .

(١٠) وانتشر : شاع وتفرق ، واشتهر فى الأرض منتقلا .

(١١) مدارس آيات : محال يدرس فيها القرآن .

ومشاهد الفضائل والخيرات^(١)، ومعاهد البراهين والمعجزات^(٢)، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين^(٣)، ومواقف سيد المرسلين، وميتوا خاتم النبيين^(٤)، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عبابها^(٥)؛ ومواطن مهبط الرسالة^(٦)؛ وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها - أن تُعظَّم عرصاتُها، وتُنسَم نفحاتها^(٧)، وتقبل ربوعها^(٨) وجدرانها :

يا دار^(٩) خيرِ الرسلين ومن به هدى الأنامُ وخُصَّ بالآياتِ^(١٠)
عندي لأجلِكَ لوعةٌ وصبايةٌ وتشوقٌ متوقِّدُ الجمهراتِ^(١١)
وعلَى عهدٍ إن ملأتُ محاجرِي من تلکمُ الجدرانِ والعرصاتِ^(١٢)

(١) الشاهد : جمع مشهد ؛ وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه .

(٢) معاهد البراهين والمعجزات : أى عهد فيها ظهور معجزاته ، وبراهين نبوته الدالة

على صدقه .

(٣) مناسك : جمع منسك ، وهو محل العبادة والنسك . ومشاعر : محال معالمهم التي

يجب القيام بها من الواجبات وغيرها . (٤) ميتوا : مسكنه ، ومحل إقامته .

(٥) العباب : الماء الكثير كالسيل ، والاء الكثير المتدفق الفائض .

(٦) مواطن مهبط الرسالة : محال نزول الوحي برسالاته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به

إليهم . والمراد مكة .

(٧) تنسم نفحاتها : المراد مافي النسيم من رائحتها الطيبة . وفي : وتنسم .

(٨) الربوع : جمع ربع ، وهو المنزل في الربيع ، ويطلق على المنزل مطلقا ، وهو

المراد هنا .

(٩) هذا من شعر المؤلف - كما في نسيم الرياض (٣-٤٨٨) . وقال القارى (٢-١٠٢) :

قال الحلبي : الذي ظهر لى أن هذا الشعر من قول المصنف .

(١٠) الأنام : الخلق . خص بالآيات : القرآن ، أو جميع المعجزات .

(١١) اللوعة : شدة الحب وحرقته . والصباية : رقة الشوق .

(١٢) ملأت محاجرِي : يريد عيني . والمحاجر : جمع محجر ، وهو جوانب الدين .

وماؤها : النظر والإبصار .

لَا عَفْرَنَ مَصُونٍ شَيْبِي بَيْنَهَا مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ^(١)
لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زُرُّهَا أَبْدَا وَلَوْ سَحَبًا عَلَى الْوَجَنَاتِ^(٢)
لَكِنْ سَاهِدِي مِنْ حَفِيلٍ تَحِيَّتِي لِقَائِي تِلْكَ الدَّارِ وَالْحَجَرَاتِ^(٣)
أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمَفْتَقِ نَفْحَةً تَغْشَاهُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكَرَاتِ^(٤)
وَتَخْصُهُ بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ وَنَوَامِي التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ^(٥)

(١) أراد بشيبه : لحيته البيضاء . بينها : بين ترابها وأرضها . والرشفات : جمع رشفة ؛ وهي مص الريق ونحوه ، والمراد به التقبيل أيضا .

(٢) العوادي : جمع عادية ، وهي الأمور التي تمنع من زيارتها ، والمواثيق ، أو الظلمة . والأعادي : جمع عدو . الوجنات : جمع وجنة ؛ وهي أعلى الحد ، وهو ما ارتفع منه وغازط . أي أسحب وجهي على الأرض بذلة وخضوع .

(٣) الإهداء : الإرسال . والحفيل : الكثير النفيس يحتفل به . والقطين : المقيم . والحجرات : إشارة إلى حجراته التي كان بها زوجاته أمهات المؤمنين . أي إن منعت عن زيارتها ، والإقامة بها ، والتضامع بترابها تبركا فإني أهدى لمن سكن بها - يعني النبي وأصحابه الذين دفنوا بها

(٤) أزكى : أكثر طيبا ورائحة طيبة . المفتق : من فتق المسك والطيب إذا خلط بغيره مما يزيد طيبه . نفحة : رائحة . تغشاه : تعرض له . أو تغطيه . والآصال : جمع أصيل : ما قرب من الغروب . والبكرات : جمع بكرة ؛ وهي أول النهار ؛ وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما . أو المراد بهما الدوام .

(٥) الزواكي : جمع زاكية ، وهي الزائدة ، وبمعناه النوامي . قال القاري (٢-١٠٣) : ولو رويت : بشرائف الصلوات ولطائف التسليم - لكان ألطف .

البَابُ الرَّابِعُ

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ^(١) : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

قال ابن عباس : معناه : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُبَارِكُونَ ^(٢) عَلَى النَّبِيِّ .

وقيل : إِنَّ اللَّهَ يَتَرَحَّمُ ^(٣) عَلَى النَّبِيِّ ، ومَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ لَهُ .

قال المبرد : وأصل الصَّلَاةِ التَّرحُّمُ ، فهي مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ ، ومن الملائكة رِقَّةٌ واستدعاء للرحمة ^(٤) من الله .

(١) سورة الاحزاب ، آية ٥٦

وازجّع في هذا الموضوع إلى : تفسير ابن كثير : ٦ - ٤٤٧ وما بعدها ؛ وسنن النسائي : ٣ - ٣٧ وما بعدها ، وسنن الترمذي : ٢ - ٣٥٢ وما بعدها ، ٥ - ٥١٧ ، وسنن ابن ماجه : ١ - ٢٩٢ والشهد مثله ؛ الموطأ : ١ - ١٦٥ ؛ وصحيح البخارى : ٦ - ١٥١ ، ٨ - ٨٩ ؛ وصحيح مسلم : ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ١٩٧٨ ؛ وسنن أبي داود : ١ - ٩٨ ، ٢ - ١٩١ ؛ وتفسير القرطبي : ١٤ - ٢٣٢ ؛ وأحكام القرآن : ٣ - ١٥٧ ؛ ومسند الطيالسي : ١ - ١٠٣ .
قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٩١) : وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله عليه وسلم عنده ، وأن الله وملائكته ينون عليه في الملائكة الأعلیٰ ؛ ثم أمر أهل العالم السفلى بأن يفعلوا كفعالهم .

(٢) يباركون : أى يدعون له بزيادة بركة لاثقة بمقامه وشرف قدره . وقال القارى (٢ - ١٠٣) : أى إن الله يبارك له في أمره ؛ ويزيد في قدره ، وتدعو الملائكة ربه أن يرفع ذكره ، ويظهر أمره .

وقال البخارى (٦ - ١٥١) : قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة ، الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون : يبركون .

(٣) يترحم على النبي : يدعوه بالرحمة ، أو يباليغ في إزال الرحمة عليه ، فكأنه يطلب من نفسه الرأفة إليه .

(٤) رقة : شفقة عليه ومحبة . واستدعاء للرحمة : طلب لها ودعاء بها .

وقد ورد^(١) في الحديث : صِفَةُ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ :
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ؛ فَمَزَا دُعَاءَ .

وقال^(٢) أبو بكر القشيري : الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ دُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً ، وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ تَكْرِمَةً .

وقال أبو العالية : صَلَاةُ اللَّهِ ثَنَاءُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ .

قال القاضي^(٣) أبو الفضل : وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ تَعْلِيمِ الصَّلَاةِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَلَفْظِ الْبَرَكَةِ ؛ فَدَلَّ أَنَّهُمَا [١٦٢] بِمَعْنَيَيْنِ^(٤) .

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ^(٥) فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ بُكَيْرٍ :
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْلُؤُوا عَلَيْهِ ؛
وكَذَلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ أَمَرُوا أَنْ يَسْلُؤُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ حَضُورِهِمْ
قَبْرَهُ ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ .

وَفِي مَعْنَى السَّلَامِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ وَجُوهٌ :

أَحَدُهَا : السَّلَامَةُ لَكَ وَمَعَكَ^(٦) ، وَيَكُونُ السَّلَامُ^(٧) مَصْدَرًا كَالَّذَاذِ
وَالَّذَاذَةُ^(٨) .

الثَّانِي - أَيْ السَّلَامُ عَلَى حِفْظِكَ وَرِعَايَتِكَ مُتَوَلٍّ لَهُ ، وَكَفِيلٌ بِهِ^(٩) ، وَيَكُونُ
هَذَا السَّلَامُ اسْمًا لِلَّهِ .

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ : ١ - ١٤٤ ، وَأَحْكَامُ الْقُرْآنِ :
٣ - ١٥٧٠ ، وَانْظُرْ هَامِشَ رَقْمِ ١ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) فِي ١ : قَالَ بَكْرٌ . (٣) هُوَ الْمُؤَلِّفُ . (٤) بِمَعْنَيَيْنِ : أَيْ مُتَنَابِرِينَ .

(٥) فِي الْآيَةِ الْمَتَّقِمَةِ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةٌ ٥٦ .

(٦) وَمَعَكَ : أَيْ مَصَاحِبَةٍ وَمُلَازِمَةٍ لَكَ .

(٧) فِي ١ : وَتَكُونُ السَّلَامَةُ . (٨) بِمَعْنَى التَّلَذُّذِ بِاللَّذَةِ .

(٩) أَيْ إِكْرَامَكَ وَعِنَايَتَهُ بِكَ وَمِرَاقَبَتِكَ . مُتَوَلٍّ لَهُ : قَائِمٌ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَكِلُ أَمْرَكَ لغيرِهِ .
كَفِيلٌ بِهِ : مُتَكَفِّلٌ مُلْتَزِمٌ لَهُ .

الثالث - أن السلام بمعنى المسألة له والانتقياذ^(١) ؛ كما قال^(٢) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ^(٣) 》 .

فصل

[حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ]

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة^(٤) ، غير محدد بوقت ؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه ، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب ، وأجمعوا عليه^(٥) .

وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل^(٦) الآية عنده على الندب ؛ وأدعى فيه الإجماع ؛ ولعله^(٧) فيما زاد على مرة ؛ والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض - مرة ؛ كالشهادة له بالنبوة^(٨) ؛ وما عدا ذلك فتدوب مرغب^(٩) فيه ، من سنن الإسلام وشعار أهله .

(١) المسألة : التسليم وعدم المخالفة .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٥

(٣) يحكموك : يفوضون الحكم إليك . شجر بينهم : وقع من المنازعات . حرجا : ضيقا

لعدم رضام . ويسلموا تسليما : يذعنوا وينقادوا لأمرك مفسحة صدورهم لقبوله .

(٤) على الجملة : إجمالا ، من غير تعيين زمان أو محل .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٤٩٤) : والآية السابقة تدل على ذلك عند الجمهور ؛ لأنه

الأصل في الأمر وحقيقته عند الأكثر . وبعضه الأحاديث . قال القرطبي (١٤ - ٢٣٣) :

ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة . وقال الزغزغري (الكشاف : ٢ - ٢٢٠)

فإن قلت : الصلاة على رسول الله واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة .

(٦) محمل الآية : المراد منها .

(٧) ولعله : أى ما ادعاه من الندب .

(٨) أى فإنها واجبة في العمر مرة ، كما تقدم ، وكما سيأتى من كلام القاضي نفسه .

(٩) مرغب فيه بكثرة ثوابه وفوائده .

قال القاضي أبو الحسن بن القصار : المشهورُ عن أصحابنا أن ذلك واجبٌ^(١) في الجملة على الإنسان ، وفرضٌ عليه أن يأتي بها مرةً من دهره مع القدرة على ذلك . وقال القاضي أبو بكر بن بكير : افترض الله على خلقه أن يصلُّوا على نبيه ويسلموا تسليماً ، ولم يجعل ذلك لوقتٍ معلوم ؛ فالواجب^(٢) أن يُكثِّرَ المرَّةَ منها ، ولا يَفُتِلَ عنها .

قال القاضي أبو محمد بن نصر : الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم واجبةٌ في الجملة .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد : ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم فرضٌ بالجملة بِعَقْدِ^(٣) الإيمان ، لاتمتين في الصلاة^(٤) ، وأن مَنْ صَلَّى عليه مرةً واحدةً من عمره سقط الفرضُ عنه . وقال أصحابُ الشافعي : الفرضُ منها الذي أمر الله تعالى به^(٥) ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة^(٥) .

وقالوا : وأما في غيرها فلا خلاف أنها غيرُ واجبة .

وأما في الصلاة فيسكن الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي^(٦) وغيرهما إجماعاً

(١) واجب في الجملة : فرض غير موقت بوقت معين .

(٢) قال القاضي : المراد به الوجوب الذي دون الفرض .

(٣) بعقد الإيمان - بفتح الهمزة : أى بتصميمها واعتقادها . أو بكسر الهمزة : أى هي أول ما يفرض بعد الإيمان بالله ورسوله . وقال القاري (٢ - ١٠٦) : بعقد الإيمان - بكسر الهمزة : أى بقيد الإيمان المذكور في القرآن ؛ فلا تجب على أهل الكفر والكفران .

(٤) لاتمتين في الصلاة : يعنى أنها لا تجب فيها ، ولا أنها لا تصح إلا بها ، كما قال الشافعي .

(٥) أى في الآية المذكورة قبل . في الصلاة : عقب التشهد .

(٦) أبو جعفر الطبري من أكابر الشافعية . والطحاوي - محمد بن أحمد بن سلام ، من

أكابر الحنفية .

جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة .

وشذ الشافعي في ذلك ؛ فقال : مَنْ لم يُصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير^(١) وقَبَلَ السلام فصلَّاته فاسدة ، وإن صَلَّى عليه قَبَلَ ذلك لم تجزئه^(٢) ؛ ولا سَلَفَ له^(٣) في هذا القول ولا سنة يَتَّبِعُهَا^(٤) .

وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لخالفته فيها مَنْ تَقَدَّمَه - جماعة ، وشنعوا عليه^(٥) الخلاف فيها ، منهم [١٦٣] الطبري ، والقشيري ، وغير واحد .

وقال أبو بكر بن المنذر : يستحبُّ ألا يَصَلِّيَ أحدٌ صلاةً إلا صَلَّى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن ترك ذلك فصلَّاته مُجْزئة^(٦) في مذهب مالك ، وأهل المدينة ، وسفيان الثوري ، وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم . وهو قولُ جَمَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٧) .

وحُكِيَ عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة ، وأن تاركها في التشهد مُسِيءٌ^(٨) .

(١) في ١ : التشهد الآخر .

(٢) لم تجزئه : أي صلاته ، أي لم تصح ، ولم يسقط عنه الفرض ، فيجب عليه إعادة الصلاة .

(٣) ولا سلف له في هذا القول : أي لم يقل به أحد من السلف .

(٤) ولا سنة يَتَّبِعُهَا : أي لم يثبت في الأحاديث النبوية ما يكون دليلاً على ما قاله الشافعي .

(٥) شنعوا : قبحوا وطمنوا ؛ أي عدوا ما قاله أمراً قبيحاً ، وقولا مبتدعاً منه .

(٦) مجزئة : كافية له .

(٧) جَمَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أكثرهم وجمهورهم .

(٨) مُسِيءٌ : غير محسن لارتكابه أمراً مكروهاً . وقال القاري (٢ - ١٠٨) : مُسِيءٌ :

أي ملام بترك السنة .

وشذ الشافعي فأوجب على تاركها^(١) في الصلاة الإعادة ؛ وأوجب إسحاق^(٢) الإعادة مع تعمّد تركها دون النسيان .

وحكى أبو محمد بن أبي زيد ، عن محمد بن المَوَاز - أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة^(٣) .

قال أبو محمد : يريدُ ليست من فرائض الصلاة^(٤) ؛ وقاله محمد^(٥) بن عبد الحكم وغيره .

وحكى ابنُ القَصَّار وعَبْدُ الوهاب - أن محمد بن المَوَاز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي .

[وَحَكَّى أَبُو يَعْنَى الْعَبْدِيُّ الْمَالِكِيُّ عَنِ الْمَذْهَبِ^(٦) فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ فِي الصَّلَاةِ]^(٧) :

الوجوب ، والسنة ؛ والنَّدْب^(٨) .

(١) على تاركها عمدا أو سهوا .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الروزي عالم خراسان ، روى عنه الجماعة ، خلا ابن ماجه ، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

(٣) أى في مذهب المالكية ؛ وهذا يحتمل أن يريد مرة ، أو كلما ذكر ، أو في تشهد الصلاة .

(٤) بل إنها فرض في الجملة كما تقدم .

(٥) هو الفقيه المصري صاحب الشافعي ، مات سنة ٢٦٨ هـ .

(٦) للذهب : مذهب مالك .

(٧) ما بين القوسين ليس في ا ، وأمامه في ب : للعلم عليه ليس من الرواية .

(٨) الوجوب كما قال الشافعي وأشياعه . والسنة ، أى المؤكدة ، كما قال أبو حنيفة

وأبناؤه . والنَّدْب كما ذهب إليه مالك وبعضهم ؛ ولا فرق - عند أكثر الشافعية بين السنة والنَّدْب ، وأما عند غيرهم فتبايرها بأن السنة : ما واطب عليه صلى الله عليه وسلم . والنَّدْب :

مالم يواطب عليه ، وبه قال بعض الشافعية (شرح القارى : ٢ - ١٠٩)

وقد خالف الخطّابيّ من أصحاب الشافعيّ وغيره - الشافعيّ في هذه المسألة ؛ قال الخطّابيّ : وليست بواجبة في الصلاة ؛ وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ؛ ولا أعلم له فيها قدوة .

والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعيّ ، وإجماعهم عليه ^(١) .

وقد شنع الناس عليه ^(٢) في هذه المسألة جدّاً .

وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعيّ ، وهو الذي علمه ^(٣) له النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ليس فيه الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك كل من روى التشهد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كأبي هريرة ، وابن عباس ، وجابر وابن عمر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير - لم يذكروا فيه ^(٤) صلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقد قال ابن عباس ، وجابر ^(٥) : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن . ونحوه عن أبي سعيد .

(١) وإجماعهم عليه : أي على أن ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة .

(٢) عليه : على الشافعيّ . (٣) علمه : أي التشهد .

(٤) في شرح القاري (٢ - ١١٠) : وفيه بحث لا يخفى ؛ إذ كل واحد منهما فرض على حدة ، ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر ، لاسيما وقد اختلف مقام التعليم ، مع أنه يمكن تأخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد .

(٥) رواية ابن عباس في مسلم : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ؛ ورواية جابر رواها الحاكم ، وابن ماجه : ٢٩٢ والنسائي : ١ - ١٩٣

وقال ابنُ عمر^(١) : كان أبو بكر يُعلِّمنا التَّشَهُّدَ على المنبر كما يُعلِّمون الصِّبيانَ في السُّكُتَابِ^(٢) .

وعلمه^(٣) أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عنه .

وفي الحديث^(٤) : لا صلاةَ لِمَنْ لم يُصَلِّ علىَّ .

قال ابنُ القُصَّار : معناه : كاملةً ؛ أو لِمَنْ لم يُصَلِّ علىَّ مرّةً في عمره .

وضَعَفَ أهلُ الحديثِ كُلُّهُمْ روايةَ هذا الحديثِ .

وفي حديث أبي جعفر ، عن ابن مسعود ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ

صَلَّى صلاةً لم يُصَلِّ فيها عليَّ وعلى أهلِ بَيْتِي لم تُقَبَّلْ منه .

قال الدارقُطْنِي : الصَّوابُ أنه من قولِ أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين :

لو صَلَّيتُ صلاةً لم أَصَلِّ فيها على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا على أهلِ بَيْتِهِ لَرَأَيْتُ أنها لا تَمُتُ^(٥) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

(٢) السُّكُتَاب : موضعُ تعلِيمِ السُّكُتَابِ . (٣) وعلمه : أى التَّشَهُّدَ .

(٤) رواه ابن ماجه ، والحاكم في مستدركه ، والطبرانى ، والدارقُطْنِي ، والبيهقي : سنن

ابن ماجه : ١ - ١٤٠

قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٠٠) : وهذا الحديث يظاهر دليلاً للشافعي على أن الصلاة

لا تصح بدونها .

(٥) في نسيم الرياض (٣ - ٥٠١) : واعلم أن الإمام الحيزري صنف في هذه المسألة

كتاباً سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضى عياض ؛ طالعتُه بِتَامِهِ وقد قال فيه : ما قصدت به

تنقيص مقداره ، فإنه طراز هذه المصابة . . . ثم ذكر ما قاله المصنف رحمه الله ، وقال :

هذا قول لا يبنى الاعتماد عليه ، ولا الاستناد إليه ، وقد لحص هذه المسألة في الصفحات

من : ٥٠١ - ٥٠٥

فصل

في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب

من ذلك في تشهد الصلاة كما قدّمناه ؛ وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء :

[١٦٤] حدثنا القاضي أبو علي بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا الإمام أبو القاسم
البلخي ؛ قال : حدثنا الفارسي ، عن أبي القاسم الخزازي ، عن الهيثم ^(١) بن كليب ،
عن أبي عيسى ^(٢) الحافظ ، قال : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا عبد الله بن يزيد
المصري ، حدثنا حيوة بن شريح ، حدثني أبو هاني الخولاني - أن عمرو بن مالك
الجنبي ، أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو في صلاته ^(٣) ، فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : عجل ^(٤) هذا ؛ ثم دعاه فقال له ولغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه ^(٥) ، ثم ليصل على النبي ؛ ثم يمدع بعد بما شاء ^(٦) .
ويروى من غير هذا السند بتحميد الله ، وهو أصح ^(٧) .

(١) في ب : عن أبي الهيثم . وقال القاري (٢ - ١١١) : وفي نسخة صحيحة : عن
أبي سعيد الهيثم بن كليب .

وفي شرح القاري (٢ - ١١١) : وراوى هذا الحديث : جابر الجعفي ، وهو ضعيف .

(٢) هو الترمذي صاحب المشائل والسنن . (٣) يدعو في صلاته بعد التشهد .

(٤) عجل هذا : أسرع بدعائه ، وأتى به في غير محله قبل أن يصل عليه صلى الله عليه وسلم ؛

لأن الدعاء معلق حتى يصل عليه . وفي ب : عجل - بتشديد الجيم . وللتثبت في سنن الترمذي .

(٥) المراد قوله : التحيات . . .

(٦) الحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٥١٧ ، وسنن أبي داود : ١ - ١٤٨

(٧) التمجيد : التعظيم وهو أصح لقوة سنده ، لامن حيث المعنى ؛ فقد ذكر الحفاجي

أنه رواه ابن ماجه .

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: الدُّعَاءُ وَالصَّلَاةُ مُعَلِّقٌ^(١) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن^(٢) عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ؛ وَقَالَ: وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَرَوَى^(٣) أَنَّ الدُّعَاءَ مُحْجُوبٌ^(٤) حَتَّى يُصَلِّيَ الدَّاعِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن ابن مسعود^(٥): إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ شَيْئًا فَلْيَبْدَأْ بِمَدْحِهِ وَالِثْنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ^(٦)؛ ثُمَّ يَصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ثُمَّ لِيَسْأَلَ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُنْجَحَ^(٧).

وعن^(٨) جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَجْمَلُونِي كَنَدَحٍ^(٩) الرَّاءِ كَبْ؛ فَإِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلَأُ قَدْحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ، وَيَرْفَعُ مَقَاعَهُ^(١٠)؛ فَإِنْ احتاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ^(١١) أَوْ الوُضُوءَ تَوَضَّأَ، وَإِلَّا هَرَّاقَهُ^(١٢)؛ وَلَكِنْ

(١) معلق: موقوف قبوله؛ أي كل واحد منهما معلق. والحديث في سنن الترمذي: ٣٥٦-٢.

(٢) رواه البيهقي، وابن عساكر، وغيره.

(٣) رواه عبد الرزاق، والطبراني، بسند صحيح.

(٤) محجوب: أي عن السماء فلا تفتح له، ويلزم أنه لا يقبل.

(٥) في حديث رواه عبد الرزاق، والطبراني، وابن أبي الدنيا بسند صحيح.

(٦) بما هو أهله: بما يستحقه ويليق به.

(٧) ينجح: من أنجح، إذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه.

(٨) رواه البزار، وأبو يعلى، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٩) القدح: إناء صغير من خشب يشرب به، ونحوه؛ أي حيث يعلقه من ورائه، ويلتفت

إليه عند حاجته. قال المروى: معناه لا تؤخروني في الذكر كتأخير الراكب لمعلق قدحه

في آخره رحله بعد فراغه من التعبئة ويحمله خلفه.

(١٠) يرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته.

(١١) شربه: شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه.

(١٢) هراقه: صبه على الأرض لاستغنائه عنه. وفي ١: أهراقه.

اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره^(١) .

وقال ابن عطاء : للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات^(٢) ؛ فإن وافق أركانه قوى ، وإن وافق أجنحته طار في السماء ، وإن وافق موافقته^(٣) فاز ، وإن وافق أسبابه أنجح^(٤) ؛ فأركانه حضور القلب ، والرقعة ، والاستكانة والخشوع ، وتعلق القلب بالله ، وقطعه الأسباب^(٥) .

وأجنحته الصّدق ، وموافقته الأسحار^(٦) ؛ وأسبابه^(٧) الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث : « الدعاء بين الصلاتين على لا يرد » .

وفي حديث آخر : « كلُّ دُعاءٍ محبوبٌ دونَ السماء ؛ فإذا جاءت^(٨) الصلاةُ على صعيدِ الدّعاء » .

وفي دُعاء ابنِ عباس الذي رواه عنه حنّس^(٩) ؛ فقال في آخره : واستجِبْ دُعائِي ، ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : اللهم إني أسألك أن

(١) قال ابن الأثير : معناه لا تؤخرني إذا صليت على في الذكر وتجمعوا ذكرى تبعاً لغيره ؛ بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به .

(٢) أركان : أى أمور مهمة لا بد منها . وأجنحة : جناح الطير كاليد للإنسان يحصل بها ما يريد . شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعها إلى السماء بالأجنحة للطائر . وأسباب : وسائل للوصول إلى المطلب والفوز به . وأوقات مخصوصة يكون فيها أسرع إجابة كأوقات الصلاة .

(٣) أى وقع في أوقاته .

(٤) أنجح : ثم وكل نجاحه وسعاده ، وظفر بطلته .

(٥) حضور القلب : توجهه توجهها تاماً بجميع فكره وحواسه . والرقعة : رقة القلب . والاستكانة : الخضوع والانقياد . وقطعه الأسباب : بالآ لا يرجو غيره .

(٦) الأسحار : أواخر الليل . (٧) وأسبابه : أسباب إجابته .

(٨) فإذا جاءت الصلاة على : أى ذكرت معه .

(٩) هو حنّس بن عبد الله ، وثقه أبو زرعة وغيره ، توفي سنة مائة .

تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ
أَجْمَعِينَ آمِينَ .

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ ، أَوْ كِتَابَتِهِ ^(١) ،
أَوْ عِنْدَ الْأَذَانِ ^(٢) .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ
يُصَلِّ عَلَيَّ » .

وَكَرِهَ ابْنُ حَبِيبٍ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الذَّبْحِ ^(٤) .

وَكَرِهَ سُحْنُونُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ ^(٥) ؛ وَقَالَ : لَا يُصَلِّي عَلَيْهِ [١٦٥]
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِسَابِ ^(٦) وَطَلَبِ الثَّوَابِ .

قَالَ أَصْبَغٌ ، عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ : مَوْطِنَانِ لَا يُذْكَرُ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ : الذَّبِيحَةُ ،
وَالْعُطَاسُ ؛ فَلَا تَقُلْ فِيهِمَا بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَلَوْ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ :
صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ لَمْ يَكُنْ تَسْمِيَةً ^(٧) لَهُ مَعَ اللَّهِ .

(١) عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِهِ . وَفِي ١ : أَوْ كِتَابَتِهِ .

(٢) عِنْدَ الْأَذَانِ : أَيْ بَعْدَهُ . وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ لِلْمُؤَذِّنِ وَسَامِعِهِ ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ : إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ عَشْرًا . . .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ : ٥٠ - ٥٥٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَرَغِمَ أَنْفُهُ : ذَلَّ .

(٤) وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ؛ وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِثَلَاثِ أَهْلِ بَيْتِهِ لَعَنَ اللَّهُ ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبُ
الْحَنَفِيَّةِ .

وَخَالِفَهُمُ الشَّافِعِيُّ ، فَقَالَ فِي الْأَمِّ : وَتُسَنُّ التَّسْمِيَةُ عَلَى الذَّبِيحَةِ عِنْدَ الذَّبْحِ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَلَا
أَكْرَهَ أَنْ يَقُولَ : وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ؛ بَلْ أَحَبُّهُ .

(٥) عِنْدَ التَّعَجُّبِ : لِرُؤْيَا أَمْرِ عَجِيبٍ . وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ؛ وَإِلَيْهِ ذَهَبُ الشَّافِعِيَّةِ .

(٦) عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِسَابِ : مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ، خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ .

(٧) فِي ١ : تَسْمِيَتُهُ .

وقاله أَشْهَبُ^(١) ؛ قال : ولا ينبغي أَنْ تَجْمَلَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ اسْتِنَانًا^(٢) .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ^(٣) ، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَمْرُ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٤) .

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ دَخُولُ الْمَسْجِدِ :

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ شُعْبَانَ : وَيَنْبَغِي لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى آلِهِ ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ ، وَيُبَارِكُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ، وَيَسَلِّمُ تَسْلِيمًا ؛ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ . وَإِذَا خَرَجَ فَعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَجَمَلَ مَوْضِعَ « رَحِمَتِكَ » - فَضْلَكَ^(٥) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى^(٦) : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ - قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) هُوَ أَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ دَاوُدَ ، أَبُو عَمْرِو الْقَيْسِيُّ الْمَصْرِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ فَتَاهِ مِصْرَ الْمَالِكِيَّةِ ، تَوَفَّى بَعْدَ الشَّافِعِيِّ بِثَمَانِيَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً (تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ) .
(٢) فِيهِ : فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الذَّبِيحَةِ وَالْعَطَاسِ . اسْتِنَانًا : سَنَةً وَاسْتِحْسَانًا وَطَرِيقَةً ؛ لِأَنَّهُ تَشْرِيعٌ فِيمَا لَمْ يَنْقَلِ . وَذَلِكَ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ حَيْثُ قَالَ : لَا أَكْرَهُ مَعَ التَّسْمِيَةِ عَلَى الذَّبِيحَةِ أَنْ يَقُولَ : صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، بَلْ أَحَبُّ ذَلِكَ .

(٣) وَأَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَهَ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ ، وَصَحَّحَهُ .

(٤) لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ . وَحَدِيثُ الْإِكْثَارِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ ٣-٧٥ .

(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ ، عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ وَهُوَ أَيْضًا فِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ : ٤٩٤

(٦) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ٦١

قال ابن عباس : المراد بالبيوت هنا المساجد ^(١) .

وقال النخعي : إذا لم يكن في المسجد أحدٌ قتل : السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإذا لم يكن في البيت أحدٌ قتل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وعن علقمة : إذا دخلت المسجد أقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليه وسلم ، وملائكته على محمد ^(٢) .

وتحوه عن كعب : إذا دخل ، وإذا خرج ، ولم يذكر الصلاة ^(٣) .

واحتج ابن شعبان لما ذكره ^(٤) بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد . ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم . وذكر السلام والرحمة . وقد ذكرنا هذا الحديث ^(٥) آخر القسم ، والاختلاف في ألفاظه . ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز ^(٦) . وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة .

(١) في تفسير القرطبي (١٢ - ٣١٨) : بعد أن ذكر هذا الخبر كله عن عمرو بن دينار قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقيل المراد بالبيوت : البيوت للسكونة ؛ أي فسلموا على أنفسكم ؛ وسلم المرء على نفسه بأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال ابن العربي : القول بالصوم في البيوت هو الصحيح ، ولا دليل على التخصيص ، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه . وارجع في ذلك أيضا إلى أحكام القرآن : ٣ - ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ .

(٢) أي أجمع بين الصلاة والسلام عليه .

(٣) ولم يذكر الصلاة على النبي .

(٤) ذكره فيما سبق صفحة ٦٣٧ من أنه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي . . .

(٥) أي حديث فاطمة الزهراء .

(٦) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبيرة الثانية .

ومن مَوَاطِن الصلاة التي مضى عليها عملُ الأمة ، ولم تُنكرها : الصلاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلِهِ فِي الرِّسَائِلِ ، وما يُكْتَبُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ ؛ ولم يكن هذا فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ؛ وأُحْدِثَ عِنْدَ وَلَايَةِ بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَفَضَى بِهِ عَمَلُ النَّاسِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

ومِنْهُمْ مَنْ يَحْتَمُّ بِهِ أَيْضًا الْكُتُبُ .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى عَلَىَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ نَسْتَفِيزُهُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ »^(١) .

وَمِنْ مَوَاطِنِ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَهُدُ الصَّلَاةُ :

حَدَّثَنَا^(٢) أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَيْيُ الْخَطِيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَغَيْرُهُ قَالَ : حَدَّثَنِي كَرِيمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ^(٣) ؛ قَالَتْ : حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ [١٦٦] وَالطَّيِّبَاتُ^(٤) ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا^(٥) وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قَلْتُمُوهَا أَصَابَتْ^(٦) كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

(١) هذا الحديث رواه الطبراني في الأوسط ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ، والمستفري ، وصاحب الترغيب بسند ضعيف ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابن كثير : إنه لم يصح . (٢) رواه البخاري : صحيح البخاري : ٣٠١-٦ . (٣) هذا في ب . وفي هامشه : أحمد . وفي أ : كريمة بنت أحمد ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : بنت محمد .

(٤) التحيات : الإحياء والإبقاء والملك والبقاء ؛ أى كل تحية يحيا بها الملوك والعظماء ثابتة لله لا تليق بغيره . والطيبات : جميع كلمات التناء الطيب لله لا لغيره .

(٥) السلام علينا - معاشر الأمة . (٦) أصابت : أى نالت رحمتها وبركتها .

هذا أَحَدُ مواطنِ التسليمِ عليه ؛ وسُنَّتُهُ أَوَّلُ ^(١) التَّشَهُّدِ .
وقد رَوَى مالِكُ ^(٢) عن ابنِ عمرَ أَنَّهُ كانَ يَقولُ ذلكَ إِذا فَرَغَ مِنْ تَشَهُّدِهِ
وأَرادَ أَنْ يُسَلِّمَ .

واستحبَّ مالِكُ في « المَبسوطِ » أَنْ يُسَلِّمَ بِمِثْلِ ذلكَ قَبْلَ السَّلامِ .
قالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ : أَرادَ ما جاءَ عن عائِشَةَ وابنِ عمرَ أَنَّهُما كانا يَقولانِ عِنْدَ
سَلَامِهِما ^(٣) : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى
عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . السَّلامُ عَلَيْكُمْ .
واستحبَّ أَهلُ العِلْمِ أَنْ يَنْوِي الإنسانُ حِينَ سَلَامِهِ كُلَّ عَبْدٍ صالِحٍ في السَّماءِ
والأَرْضِ مِنَ الملائِكَةِ وَبنى آدَمَ وَالْجَنَّةِ .

قالَ مالِكُ في « المَجْموعة » : وَأَحِبُّ لِلْمَأْمُومِ إِذَا سَلَّمَ إِمَامُهُ أَنْ يَقولَ : السَّلامُ
عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . السَّلامُ عَلَيْكُمْ .

فصل

في كَيْفِيَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ

حدَّثنا أَبُو إِسْحاقَ إِبراهيمُ بنُ جَعْفَرِ الفَقِيهِ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ ، حدَّثنا القاضِي
أَبُو الْأَصْبَغِ ، حدَّثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بنُ عَتَّابٍ ، حدَّثنا أَبُو بَكْرٍ بنُ وائِدٍ وَغَيْرُهُ ، قالُوا :
حدَّثنا أَبُو عِيْسَى ، حدَّثنا عُمَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثنا يَحْيَى ، حدَّثنا مالِكُ ، عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ
أَبِي بَكْرٍ بنِ حَزْمٍ ، عن أَبِيهِ ، عن عَمْرِو بنِ سُلَيْمِ الزُّرَّاقِي - أَنَّهُ قالَ : أَخْبَرَنِي
أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ - أَنَّهُمْ ^(٤) قالُوا : يا رَسولَ اللَّهِ ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فقالَ :

(١) أَوَّلُ التَّشَهُّدِ : أَيُّ قَبْلَ أَنْ يَقولَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَبَعْدَ التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ .

(٢) الموطأ : ١ - ٩٠

(٣) عِنْدَ سَلَامِها : أَيُّ قَبْلَ سَلَامِ الخُرُوجِ مِنَ الصَّلَاةِ .

(٤) أَنَّهُمْ : أَيُّ الصَّحابةِ ، أوْ بَعْضُهُمْ .

قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١) .

وفي رواية مالك^(٢) ، عن أبي مسعود الأنصاري ؛ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد . والسلام - كما قد علمتم^(٣) .

وفي رواية كعب^(٤) بن عُجْرة : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وعن عتبة بن عمرو في حديثه : اللهم صل على محمد النبي الأتمى ، وعلى آل محمد .

وفي رواية أبي سعيد الخدري^(٥) : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ... وذكر^(٦) معناه .

وحدثنا القاضي أبو عبد الله التيمي سماعاً عليه ، وأبو علي الحسن بن طريف النخوى بقراءتي عليه ؛ قالوا : حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه ، حدثنا أبو بكر المطوّعي ، [حدثنا أبو عبد الله الحاكم ، عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ ، عن علي ابن أحمد المجلى^(٧) ، عن حرب بن الحسن^(٨) ، عن يحيى بن المساور ، عن عمرو

(١) صحيح مسلم : ٣٠٦

(٢) في صحيح مسلم : ٣٠٥ ، وموطأ مالك : ١٦٥ ، وتفسير القرطبي : ١٤ - ٢٣٣

(٣) ضبطت اللام في كلمة « علمتم » بالكسرة وبالشدة المكسورة في ١ .

(٤) في الترمذي : سنن الترمذي ٢ - ٣٥٢ ، وتفسير القرطبي : ١٤ - ٢٣٣ ، وتفسير

ابن كثير : ٦ - ٤٤٩ ، وسنن النسائي : ٣ - ٣٩ (٥) أخرجها الحاكم في المستدرک .

(٦) وذكر معناه : أى معنى الحديث السابق من قوله : كما صليت ... إلى آخره ، ورواه

البخارى أيضا : صحيح البخارى : ٦ - ١٥١ (٧) ما بين القوسين ساقط في ب .

(٨) في ميزان الاعتدال (١ - ٤٦٩) : ليس حديثه بذلك .

ابن خالد ، عن زَيْد بن عَلِيٍّ بن الْحُسَيْن ، عن أَبِيهِ عَلِيٍّ ، عن أَبِيهِ الْحُسَيْن ، عن أَبِيهِ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ ؛ قَالَ : عَدَّهْن^(١) فِي بَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : عَدَّهْن^(٢) فِي يَدِي جَبْرِيلُ ، وَقَالَ : هَكَذَا^(٣) نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعِزَّةِ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ [١٦٧] عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٤) ، اللَّهُمَّ وَتَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ وَتَمَنَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَمَنَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٥) .

اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٥) ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِسْكِئَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ^(٦) ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٧) .

(١) عدهن : أى عد كلمات تذكر في التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في حال ذكرها يمدّها في يدي . (٢) هكذا : أى بهذا العدد .

(٣) قال الفارسي (٢ - ١٢٣) : وهذا المقدار تقدم أنه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله عليه وسلم .

(٤) في نسيم الرياض (٣ - ٥٢١) : قال السيوطي في الجامع الكبير : قال الحاكم : بلغنا هذا الحديث وإسناده ضيف . وأخرجه الديلمي ، وابن منده ، والترمذي ، وقال المراقى : ضيف جدا . وعمر بن خالد كذاب وضاع ، وكذا ابن مساور . وحرب بن الحسن أورده الأزدى في الضعفاء . وقال : حديثه ليس بذلك . وقال ابن حجر في أماليه : اعتقادي أنه موضوع . (٥) في حديث رواه أبوداود ، والطبراني ، وغيرهما : سنن أبي داود : ١ - ٩٨ (٦) في سنن أبي داود : على آل إبراهيم .

(٧) للمسكيال : آلة السكيل . والأوفى : الوافى التام ؛ أى من أحب أن يأتي بأحسن صلاة وأعظمها . أو من أراد أن ينال أجرا لا يساويه فيه غيره .

وفي رواية زَيْد^(١) بن خازجة الأنصاري : سألت النبي صلى الله عليه وسلم :
كيف نُصَلِّي عليك ؟

فقال : صَلُّوا واجتهدُوا في الدعاء ، ثم قولوا : اللهم بَارِكْ على محمد وعلى آل محمد
كما بَارَكْتَ على إبراهيم إِنَّكَ حَمِيدٌ مجيد .

وعن سلامة السكندى^(٢) : كان عليٌّ يعلِّمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :
اللهم دَاحِي المَدْحُوات^(٣) ، وبارِئ المسموكات^(٤) ، أَجْعَلِ شرائفَ^(٥) صَلَواتِكَ ،
وَنَوَامِي^(٦) بَرَكانِكَ ، وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ^(٧) على محمد عَبْدِكَ ورسولِكَ ، الفاتِح لما أُغْلِقُ^(٨) ،
والخاتِمَ لِمَا سَبَقَ^(٩) ، والمُعْلِنَ الحقِّ بالحقِّ^(١٠) ، والدامِغَ اجْيشاتِ الأباطيلِ^(١١) ،

(١) أخرجه الديلمى في مسند الفردوس ، وأبونعيم ، والنسائي ، ولطحاوى ، والبنوى :
سنن النسائي : ٣ - ٤١

(٢) تفسير ابن كثير : ٦ - ٥٢ ، وقبله قال : حديث آخر موقوف رويناه من طريق
سميد بن منصور ، وزيد بن الجباب ، وزيد بن هارون ، ثلاثهم عن نوح بن قيس :
حدثنا سلامة السكندى . (٣) داحى : دحا : بسط ومد . والمدحوات : الأراضى السبع .
(٤) بارئ : خالق على غير مثال . المسموكات : المرفوعات ، ولفراد بها السموات .
(٥) شرائف : أفضل صلواتك ، وأعلاها . جمع شريفة ، بمعنى عالية رفيعة المقدار .
(٦) نوامى : ما زاد من خيرائك ؛ أى بركاتك النامية .

(٧) رأفة تحننك : لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية . وفى ١ : تحينك .
(٨) المعنى أنه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لإرساله بحد الفترة الجاهلية ، أو أنه
فتح الله به لعباده أنواع الخيرات وأبواب السموات الدنيوية والأخروية ؛ أو بين لأمته ما أوحى
إليه بتفسيره وتيسيره وإيضاحه ، وفك قيد إشكاله بإيضاح براهينه وحججه وتفسيره بأنه أول
الناس خلقا وآخرهم بشا .

(٩) الخاتم لما سبق : من النبوة والرسالة ؛ فإنه لا نبي ولا رسول يرسل بعده .
(١٠) المعلن : الظاهر . بالحق : بالأمر الحق ؛ لا بالقوة والغلبة . والمراد بالحق : الدين والشرع .
(١١) الدامغ : الدافع والمزيل . جيشات : جمع جيشة ، وهى المرة من جاش : إذا فار
وارتفع . والأباطيل : جمع أبطولة أو إبطيلة أو إبطالة .

كما مُحَلَّ ، فاضطلع بأمرِك لطاعتك^(١) ، مستوفِراً في مَرَضَاتِكَ^(٢) ، وإعياً لَوَحْيِكَ^(٣) ، حافظاً لِعَهْدِكَ ، ماضياً^(٤) على نَفَازِ أَمْرِكَ ، حتى أَوْزَى قَبَساً لِقَابِسِ^(٥) ، آلاءِ^(٦) الله تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ^(٧) ، بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ^(٨) ، وَأُنْهَجَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ ، وَنَائِرَاتِ الْأَحْكَامِ^(٩) ، وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ ؛ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،

(١) اضطلع : قوى على حمله ، ونهض به ، لشدة تحمله وقيامه بأعبائه . بأمرِك : المراد بأمره وتيسيره وإعائته . لطاعتك : لإطاعتك ، فامتثله وأدى ما كلفته به . وفي ١ : بطاعتك .
(٢) مستوفِراً : الاستيفاز : الوتوب ، والانتصاب من قعود ، والمراد به عدم الإهمال ؛ أى مسرعاً مستعجلاً في الإتيان بما أمرته به جاداً غير متوان .

(٣) وإعياً : حافظاً ضابطاً . لوحيك : الذى أوحىته إليه ، لم يشغله عنه ما حمله من الأعباء ومالقيه من المشاق في تبليغه الرسالة .

(٤) ماضياً : جارياً ومستمراً .

(٥) أوزى : الإبراء : قذح الزناد لخروج النار شرراً يوقد منه . والقبس : ما يتناول من الشعلة . والاقباس : طلبه . والمراد إظهار الحق وما يهتدى به الناس . وقوله لقابِسِ : أى قابل وطالب لنور الحق والهداية .

(٦) آلاءِ الله : نعمه الإلهية وسعاداته الأبدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم .

(٧) السبب : أصل معناه الجبل ، ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة ؛ أى ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الدين أهلهم الله تعالى ، ووقفهم لقبوله ، ونور بصائرهم بأنواره .

(٨) به : بذلك القبس . أو الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم . هديت القلوب الخصاله عن طريق الحق في ظلمة الجهل خوضات : جمع خوضه ، وهى المرة من الخوض ، والمراد الشروع والدخول في كل أمر يندم . والإثم : الذنب . والفتن : جمع فتنة ، وهى ما يفتتن به المرء ، وبطلاق على الكفر ، وهو المراد هنا .

(٩) أنهج : أوضح ، وبين ، وسهل . أو هى أبهج : أى أنار وأشرق . موضحات الأعلام : الأعلام : جمع علم ، بمعنى علامة ، ما يستدل به على الطريق . وموضحة : من الإيضاح وهو الكشف والبيان ، والأعلام موضحات الطرق ؛ لأنها تبينها للناس وتكشفها . وفي ابن كثير : وأقام موضحات . . . نائرات الأحكام : نائرات : جمع نائرة ، ظاهرة واضحة .

وَحَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ^(١) ، وَبَعِيْثُكَ نِعْمَةً ^(٢) ، وَرَسُوْلُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً ؛ اَللّٰهُمَّ اَفْصَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ ^(٣) ، وَاجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ^(٤) ، مُهِنَّاتٍ لَهُ غَيْرِ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ قُوْزِ نَوَابِكَ الْحُلُوْلِ ^(٥) ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُوْلِ ^(٦) . اَللّٰهُمَّ اَعْلِلْ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ ، وَاَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنَزْلَهُ ^(٧) ، وَاَتِمَّ لَهُ نُوْرَهُ ، وَاجْزِهِ مِنْ اِبْتِعَاثِكَ ^(٨) لَهُ مَقْبُوْلَ الشَّهَادَةِ ، وَمَرْضَى الْمَقَالَةِ ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَضْلٍ ^(٩) ، وَبُرْهَانٍ عَظِيْمٍ ^(١٠) .

وعنه ^(١١) ابضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

-
- (١) يوم الدين : يوم القيامة .
 (٢) بعيثك : مبعوثك . نعمة : أى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين .
 (٣) الفسحة : التوسعة . وعدن : اسم للجنة .
 (٤) أعطه من إغناكم وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الأخروية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

(٥) مهينات له : من الهناء ؛ وهو السانف ، وكل ما أتى من غير تنقيص وتعب . غير مكدرات : غير منقصات . ولاقوز : الظفر بنيل البنية . الثواب : العطاء في مقابلة عمل . المحلول : السكائن في الجنة . أو الذى أوصلته له فصار صفة حالة فيه . وقيل : معناه : الذى استوجبه واستحقه ؛ من حل إذا وجب .

- (٦) المعلول : المضاعف ؛ والمراد أنه كثير لا ينقطع .
 (٧) مثواه : مقامه ومنزله . والنزل : المراد ثوابه وأجره .
 (٨) ابتعثك : بعثك له بالنبوة والرسالة . وفى ا : وأجره . بفتح الهمزة وسكون الجيم . وفى هامشه : واجزه . كما هنا .

- (٩) فصل : فاصلة بين الحق والباطل .
 (١٠) وبرهان عظيم : دليل نبوته ورسالته ، القوى القاطع من معجزاته الباهرة . وارجع إلى هذا الأثر في تفسير ابن كثير (٦ - ٥٣) .
 (١١) وعنه : عن طي . . .

لَبَّيْكَ^(١) اللَّهُمَّ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ^(٢) وَالْمَلَائِكَةِ الْمُتَرَبِّينَ ،
وَالنَّبِيِّينَ وَالصَّادِّقِينَ ، وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِنْ شَيْءٍ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ،
عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَرَسُولِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ؛ الشَّاهِدِ الْبَشِيرِ^(٣) ، الدَّاعِي إِلَيْكَ^(٤) بِإِذْنِكَ ، السَّرَاجِ الْمُنِيرِ^(٥) ؛ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ^(٦) : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى
سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ [١٦٨] ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ؛
إِمَامِ الْخَيْرِ ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ .

اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَنْفِطُهُ^(٧) فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ؛
وَبَارِكْ^(٨) عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ
حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ بِالسَّكَّاسِ الْأَوْفَى^(٩) مِنْ
حَوْضِ الْمُصْطَفَى فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ

(١) أى فيجب علينا أن نقول : لبيك : إجابة بعد إجابة . وسعديك : إسعاد بعد إسعاد
في طاعتك وامتنال أمرك . (٢) البر الرحيم : المنعم المتفضل بأنواع البر والرحمة .

(٣) الشاهد : للأنبياء بأنهم بلغوا أمهم ، وعلى أمهم بما بلغوهم يوم القيامة . البشير للمؤمنين
بسماعة الدارين . (٤) فى ١ : الداعى إليه . وفى هامشه : خ : إليك .

(٥) شبهه بالسراج المنير ، لإزلاته ظلمة الكفر ، وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته ،
وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة .

(٦) رواه ابن ماجه ، والبيهقى فى شعب الإيمان - فى كيفية أخرى للصلاة عليه : سنن
ابن ماجه : ٢٩٣ (٧) ينفطه : أى يتمنون نيل مثله من غير زوال له .

(٨) فى سنن ابن ماجه : اللهم بارك .

(٩) بالسكَّاسِ الْأَوْفَى ؛ أى بالخط الأعلى .

وذرِّيَّتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْهَارِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ^(١) وَمُحِبِّيهِ وَأُمَّتِهِ ؛ وَعَلَيْنَا ، مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ . يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وعن طاوس ؛ عن ابن عباس - أنه كان يقول : اللهم تَقَبَّلْ شِئَاءَ مُحَمَّدٍ الْكَبِيرِ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا ، وَآتِهِ سُؤْلَهُ^(٢) فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى .

وعن وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ أنه كان يقول في دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ . وَأَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا أَنْتَ مُسْتَوِلٌ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وعن ابن مسعود^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول : إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَهُ ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُعَرِّضُ عَلَيْهِ ؛ وَقُولُوا : اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِنَا وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ .

اللَّهُمَّ ابْنِئْهُ مِمَّا مَآءُ مُحَمَّدٍ يَغِيظُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ . وَمَا يُؤَثِّرُ^(٤) فِي تَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَتَكَثِيرِ الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ - كَثِيرٌ .

(١) أَشْيَاعُهُ : أَتْبَاعُهُ .

(٢) وَآتَهُ : وَأَعْطَاهُ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . سُؤْلُهُ : مَطْلُوبُهُ وَمَا يَحِبُّهُ وَيَبْتَغِيهِ .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ ، وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ ، وَالدَّيْلَمِيُّ ، وَالدَّارِقُطِيُّ . سَنَنَ ابْنُ مَاجَهَ : ٢٩٣ ، وَتَفْسِيرُ

ابْنِ كَثِيرٍ : ٦ - ٤٥٣ .

(٤) يَأْثُرُ : يَنْقُلُ ، وَيُرْوَى .

وقوله^(١) : والسلام كما قد علمتم : هو ما علمهم الله في التشهد من قوله : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .
وفي تشهد على^(٢) : السلام على نبي الله ، السلام على أنبياء الله ورسله ، السلام على رسول الله ، السلام على محمد بن عبد الله ، السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات ، من غاب منهم ومن شهد^(٣) .

اللهم اغفر لمحمد ، وتقبل شفاعته ، واغفر لأهل بيته ، واغفر لى ولوالدى وما ولدآ ، وارحمهما .

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

جاء في هذا الحديث عن على : الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران^(٤) .
[وفي حديث الصلاة عليه [أيضا] ^(٥) قيل : الدعاء له بالرحمة ؛ ولم يأت في غيره من الأحاديث المرفوعة المعروفة .

وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة ؛ وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ، ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة^(٦) .

(١) وقوله : أى في الحديث المتقدم في التشهد .

(٢) في نسيم الرياض (٣ - ٥٣٣) : هذا لم نر من رواه عن على . وفي شرح القارى

(٢ - ١٣٢) : هذا غير معروف سنده . (٣) من شهد : من حضر .

(٤) بالغفران : أى بالمغفرة ، وهى كما قال الراغب : إلباس الشيء ما يصونه ؛ فهى من الله صون عبده عن مس المذاب ، والدعاء بها له صلى الله عليه وسلم من أمته لا ينفى ، لإيهامه القصور من المدعو له بالرحمة . (٥) ما بين القوسين ليس فى ا .

(٦) لأن غيره ليس بمعصوم ، فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته . أما الرسول فهو معصوم ، وقد غفر الله له ما تقدم وما تأخر .

وقد ذكر أبو محمد بن أبي زَيْد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :
 اللهم ارحم محمداً وآل محمد كما ترحم على إبراهيم وآل إبراهيم .
 ولم يأت هذا في حديث صحيح . وحجته قوله في السلام ^(١) : السلام عليك أيها
 النبي ورحمة الله وبركاته ^(٢) [^(٣)] .

فصل

في فضيلة ^(٤) الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ، حدثنا القاضي يونس بن مغيث ،
 حدثنا أبو بكر بن معاوية ، حدثنا النسائي ، أخبرنا سُوَيْد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ،
 عن حَيَّوَة بن شريح ؛ قال : أخبرنا كَعْب بن عَلْقَمَة - أنه سمع عبد الرحمن بن جُبَيْر
 مَوْلَى نافع - أنه سمع عبد الله بن عمرو ^(٥) يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ^(٦) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، وصلُّوا [١٦٩] على ؛ فإنه مَنْ
 صَلَّى على مرة واحدة صَلَّى الله عليه عَشْرًا ؛ ثم سَلُوا ^(٧) إلى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة
 لا تنبغي إِلَّا لعَبْدٍ من عِبَادِ الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ؛ فمن سألَ إلى الوسيلة
 حَلَّتْ عليه الشَّفاعة .

(١) أى إن إطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة ؛
 إذ لا فرق بينهما .

(٢) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

(٣) أى ثوابها وفوائدها لمن قالها .

(٤) بالواو وبغير واو ، وهذا الضبط فى ١ ، ب . وعليه فيها « معا » .

(٥) صحيح مسلم : ٢٨٨

(٦) سَلُوا إلى الوسيلة : الوسيلة : ما يتقرب به إلى كل كبير ، وفُسرَت في الحديث بقوله :

فإنها منزلة في الجنة من أعلى منازلها . والمراد أنه يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
 القائمة ، آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابشئ المقام المحمود الذى وعدته . . . فإن من قال ذلك
 حلت له شفاعتى يوم القيامة .

وَرَوَى أَنَسٌ ^(١) بَنَ مَالِكٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ : وَكُتِبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ ^(٢) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ جَبْرِيلَ نَادَانِي ، فَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ .

وَمِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ^(٣) ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقِيتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ لِي : إِنِّي أَبَشِّرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ .

وَنَحْوُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَمَالِكِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ الْخَدَنَانِ ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ ^(٤) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمُنْزَلَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي ^(٥) .

(١) فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ . (٢) فِي حَدِيثِ رِوَاةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُسْنَدِهِ .

(٣) رِوَاةُ الْحَاكِمِ ، وَابْنِ بَيْهَقٍ ، وَصَحَّحَهَا .

(٤) فِي هَامِشِ ١ ، ب : قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ : هَذَا وَهُوَ ظَاهِرٌ ؛ فَإِنَّ زَيْدَ ابْنِ الْحُبَابِ هَذَا لَيْسَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ وَلَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ ، إِنَّمَا رَوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَالضَّحَّاكِ بْنِ عَثْمَانَ ، وَابْنَ لَهَيْعَةَ وَأَمْثَالِهِمْ ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الصَّحَابَةِ نَظِيرٌ فِي اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْفُوظٌ مِنْ رِوَايَةِ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَوَاهُ زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ هَذَا عَنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ عَنْ بَكْرِ بْنِ سُوَادَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ نَعِيمٍ عَنْ وَفَاءِ بْنِ شَرِيحٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ . نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ كَهَيْئَتِهِ .

(٥) وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي : تَعَيَّنَتْ وَتَحَقَّقَتْ .

وعن ابن مسعود^(١) : أُولَى النَّاسِ^(٢) : يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ .
وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى عَلَىَّ فِي كِتَابٍ^(٣) لَمْ تَزَلِ
الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ انْتَبَى فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ^(٤) .

وعن عامر بن ربيعة : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى عَلَىَّ
صَلَاةً صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَىَّ ، فَلْيُقِلِّلْ مِنْ ذَلِكَ عَبْدٌ أَوْ لِيُكْثِرْ .
وعن أَبِي بَنْ كَعْبٍ^(٥) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ رُبْعٌ^(٦)
الَّيْلِ قَامَ فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اذْكُرُوا اللَّهَ ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ^(٧) ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ .
فَقَالَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ
لَكَ مِنْ صَلَاتِي^(٨) ؟

(١) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ حِبَانَ : سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٢ - ٣٥٤ . وَفِي
تَعْلِيلٍ عَلَى الْحَدِيثِ فِي التِّرْمِذِيِّ : قَالَ ابْنُ حِبَانَ عَقِبَ هَذَا الْحَدِيثِ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ صَحِيحٌ
عَلَى أَنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ ؛ إِذْ لَيْسَ
فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُ صَلَاةٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : لِأَنَّهُمْ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا (سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٢ - ٣٥٤) .

(٢) أَوَّلَى النَّاسِ بِي : أَحَقُّهُمْ بِشَفَاعَتِي وَعِنَايَتِي .

(٣) فِي كِتَابٍ كَتَبَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ ، وَرِسَالَةٍ ، وَغَيْرِهِ .

(٤) قَالَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ : رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ ، وَالْمُسْتَفْرَى ، وَقَالَ الْمِرَاقِيُّ

فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ : رَوَاهُ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ . وَمِثْلُهُ يَعْمَلُ بِهِ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ .

(٥) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ : سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ : ٤ - ٦٣٦

(٦) فِي التِّرْمِذِيِّ : إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثُ اللَّيْلِ .

(٧) الرَّاجِفَةُ - مِنَ الرَّجْفَةِ - وَهِيَ الْحَرَكَةُ بِشِدَّةٍ ، وَالرَّعْدَةُ مَعَاصُوتٍ وَاضْطِرَابٍ . وَالْمُرَادُ

بِالرَّاجِفَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الْفَتَنِ وَالْهَرَجِ وَاللَّجَجِ وَالزَّلَازِلِ .

وَالرَّادِفَةُ : الْمُرَادُ بِهَا السَّاعَةُ ، أَوِ الصَّيْحَةُ ، أَوِ النَّفْخَةُ . وَالْمُرَادُ إِخْبَارُهُمْ بِقَرْبِ السَّاعَةِ .

(٨) أَيُّ مَا مَقْدَارُ الْوَقْتِ الَّذِي أَصَلَّى عَلَيْكَ فِيهِ .

قال : ماشئتَ . قال : الرُّبْع ؟ قال : ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْر . قال : الثالث ؟ قال : ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْر .

قال : النصف ؟ قال : ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْر .

قال : قال : الثلثين ؟ قال : ماشئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خَيْر . قال : يا رسول الله ، فَأَجْعَلْ صَلَاتِي كُلَّهَا لَكَ ؟ قال : إِذَا تُسَكَّنِي ^(١) وَيُغْفَرَ ذَنْبُكَ ^(٢) .

وعن أبي ^(٣) طلحة : دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيتُ من بشره وطلاقة ^(٤) ما لم أره ، فسألته ، فقال : وما يَمْنَعُنِي وقد خرج جبريلُ آنفاً ^(٥) ، فَأَتَانِي بِبِشَارَةِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ أَبَشْرَكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ يَصَلِّي عَلَيْكَ إِلَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ بِهَا عَشْرًا .

وعن جابر بن عبد الله ^(٦) ؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ ^(٧) : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ ^(٨) آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ - حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ^(٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) تسكَّنِي : تفنيك عما عداها ، لأن فيها خير الدنيا والآخرة .

(٢) ويغفر ذنبك ؛ لأنها مكفرة للذنوب .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٤١) : هذا الحديث يدل على أن صلاته على رسول الله تفي عن دعائه لنفسه ، ولا يقتضى أنها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها . قال : وهذا الحديث في المعنى كالتحديث القدسي : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

(٣) هذا الحديث أخرجه النسائي .

(٤) من بشره : مسرته وأشراحه . وطلاقة : بشاشته وسروره .

(٥) آنفاً : قريباً من مجيئك .

(٦) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ١ - ١٥١

(٧) يسمع النداء : المراد بالنداء الأذان . (٨) القائمة : الدائمة .

(٩) في صحيح البخاري : شفاعتي . والمثبت في أ ، ب .

وعن سعد بن أبي وقاص^(١) مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ [١٧٠] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا - غُفِرَ لَهُ.

وروى ابنُ وهبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَلَّمَ عَلَى عَشْرٍ أَفْكَأَ مَا أُعْتِقَ رَقَبَةً^(٢).

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: لَيَرِدَنَّ^(٣) عَلَى أَقْوَامٍ مَا أَعْرِفُهُمْ إِلَّا بِكَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ عَلَى^(٤).
وَفِي آخَرٍ: إِنْ أَنْجَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا^(٥) وَمَوَاطِنِهَا أَكْثَرُكُمْ عَلَى صَلَاةٍ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ^(٦) لِلذَّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِلنَّارِ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ عِتْقِ الرَّقَابِ.

فصل

فِي ذِمِّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِثْمِهِ
حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ،
وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَعْلَى، [حَدَّثَنَا] ^(٧) السَّنَجِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنِ مَجْبُوبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى^(٨)، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا رِبْعِيُّ

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ: صَحِيحٌ مُسْلِمٌ: ٢٩٠

(٢) رَقَبَةٌ: عَبْدٌ.

(٣) لَيَرِدَنَّ عَلَى أَقْوَامٍ: يَأْتُونَنِي عَلَى الْحَوْضِ.

(٤) يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى فِي وَجْهِهِ وَرَأَى عِلَامَةً مِنْ آثَارِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

(٥) مِنْ أَهْوَالِهَا: مِنْ شِدَائِهَا.

(٦) أَحَقُّ لِلذَّنُوبِ: أَشَدُّ إِبْطَالًا وَإِذْهَابًا.

(٨) هُوَ التِّرْمِذِيُّ صَاحِبُ السُّنَنِ.

(٧) لَيْسَ فِي أ.

ابن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) : « رَغِمَ ^(٢) أَنْفُ رَجُلٍ ^(٣) ذُكِرَتْ عَنْده فلم يُصَلِّ عَلَىَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل رمضان ثم انسلخ ^(٤) قبل أن يُفَرَّ له ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أدركَ عِنْدَه أَبَوَاهُ الكَبر فلم يَدْخُلَه ^(٥) الجنة . »

قال عبد الرحمن : وأظنه قال : أو أحدهما .

وفي حديث آخر ^(٦) : « أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال : آمين ^(٧) ؛ ثم صعد ، فقال : آمين . ثم صعد فقال : آمين ؛ فسأله معاذٌ عن ذلك ، فقال : إزَّ جبريل أتاني فقال : يا محمد ؛ مَنْ سُمِّيتَ ^(٨) بين يَدَيْه فلم يُصَلِّ عليك فأت فدخل النار ، فأبعده الله ؛ قل آمين ؛ فقلت آمين .

وقال فيمن أدرك رمضان فلم يُقْبَلْ منه فات مِنْهُ ذلك .

وَمَنْ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يَبْرِهما فأت فأت مثله .

وعن علي بن ^(٩) أبي طالب : عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البخيلُ كلُّ البخيل الذي ذُكِرَتْ عَنْده فلم يُصَلِّ عَلَىَّ » .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ١٩٧٨ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٥٥٠

(٢) ضبطت النين في « رَغِمَ » بالكسرة والفتحة في ١ ، وعليها « مَعَا » .

(٣) رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ : أذله الله وأخزاه .

(٤) انسلخ : مضى .

(٥) أى لم يبرهما ويعاملهما بما يرضيهما فلم يَدْخُلَه الجنة .

(٦) رواه الحاكم ، وصححه . (٧) آمين : استجب .

(٨) من سميت : أى ذكر اسمك .

(٩) من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه ، والبيهقى ، والنسائى : سنن

وعن جعفر بن محمد^(١)، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يُصَلِّ عَلَىَّ أُخِطِيَّ بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ »^(٢) .

وعن علي بن أبي طالب^(٣) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْبَخِيلَ كُلَّ^(٤) الْبَخِيلِ مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يُصَلِّ عَلَىَّ » .

وعن أبي هريرة^(٥) ، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « أَيَّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ وَبُصِّلُوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ^(٦) » .

وعن أبي هريرة^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَىَّ نَسِيَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ »^(٨) .

وعن قَتَادَةَ^(٩) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « مِنْ الْجَفَاءِ^(١٠) أَنْ أَذْكَرَ عِنْدَ الرَّجُلِ فَلَا يُصَلِّي عَلَىَّ » .

(١) الحديث في شعب الإيمان للبيهقي ، ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي .
(٢) أُخِطِيَّ بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ : أى دخل النار ، لأنه أخطأ طريق الجنة ، فكان طريقه إلى النار ؛ لأنه قد أضله الله عن طريقها . وهذا رواه جماعة من طرق متعددة .

(٣) هذا الحديث أخرجه النسائي والبيهقي والبخاري في تاريخه . وهو سنن الترمذي : ٥٥١-٥ .

(٤) ضَبَطَتِ اللَّامُ فِي « كُلِّ » بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ فِي « ا » ، وَكَتَبَ فَوْقَهَا « مِمَّا » .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه . سنن أبي داود : ٢-١٩١ .

وتفسير ابن كثير : ٦ - ٤٦٠

(٦) تِرَةٌ : الترة لها معان : الظلم ، والذنب ، والنقص ، والتبعة . وقد فسرت أيضا بالحبرة . وقوله : إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ - يَقْتَضِي أَنَّهُ بِمَعْنَى الذَّنْبِ وَالْخَطِيئَةِ .

(٧) في حديث رواه البيهقي في الشعب .

(٨) فقد جمل الصلاة على النبي كأنها دليل يرشده لطريق الجنة ، أو مذكّر يذكره بها .

(٩) في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر ، والحديث مرسل يستدل به في الفضائل

دون الأحكام كما قال الحفاجي . (١٠) الجفاء : ترك الصلة والبر .

وعن جابر^(١) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « ما جلس قومٌ مُجَلِّساً ثم تفرقوا على غير صلاةٍ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم إِلَّا تفرقوا عَلَى أَنْتَنٍ مِنْ رِيحِ الْجَنِينَةِ^(٢) » .
وعن أَبِي سَعِيدٍ^(٣) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ مُجَلِّساً لَا يَصَلُّونَ فِيهِ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم [١٧١] إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لَمَّا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ^(٤) » .
وحكى أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ قَالَ : إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّةً فِي الْمَجْلِسِ أَجْزَأُ عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ^(٥) .

فصل

فِي تَخْصِيصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبْلِيغِ صَلَاةٍ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْامِ
حَدَّثَنَا الْقَاضِي عَبْدُ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الْحَافِظُ^(٦) ،
حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ دَاسَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْفٍ ،
حَدَّثَنَا الْمُقْرِيُّ^(٧) ، حَدَّثَنَا حَيَّوَّةٌ ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَرَوَاهُ أَيْضَا الطَّيَالِسِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ . سَنَنَ
أَبِي دَاوُدَ : ٢ - ١٩١
(٢) الْجَنِينَةُ : رَمَّةُ الْحَيَوَانِ إِذَا انْتَفَخَتْ وَتَفَرَّتْ .
قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٥٤٧) : وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ خَبِيثَةٌ يَكْرَهُهَا كُلُّ طَبْعٍ . قَالَ : وَسَبَبُ
ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِأَمْرِ مَذْمُومٍ ، وَلِهَذَا تَفَرَّقُوا تَفَرُّوحَ مِنْهُمْ هَذِهِ الرَّائِحَةُ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .
(٤) حَسْرَةٌ : نَدَامَةٌ وَتَأْسَفٌ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِيهِ . لَمَّا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ : أَيْ لَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ .
(٥) أَيْ كَفَتْ الْمَرَّةَ عَنْ تَكَرُّرِهَا مَا دَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ .
(٦) هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

(٧) فِي شَرْحِ الْقَارِي (٢ - ١٤٢) : هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْقَصِيرِ مَوْلَى
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

عليه وسلم قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ »^(١) .

وذكر أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢) ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِى سَمِعْتُهُ ؛ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ »^(٣) نَائِيًا بُلَّغَتْهُ .

وعن أَبِي^(٤) مسعود : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ^(٥) فِي الْأَرْضِ يَبْلُغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » .

ونحوه عن أَبِي هُرَيْرَةَ .

وعن ابنِ مُصَرَّرٍ : « أَكْثَرُوا مِنَ السَّلَامِ عَلَيَّ نَبِيِّكُمْ كُلِّ جُمُعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ يُؤْتَى بِهِ مِنْكُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ »^(٦) .

وفي رواية : « فَإِنْ أَحَدًا لَا يَصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا عَرِضَتْ صَلَاتُهُ عَلَيَّ حِينَ يَفْرَغُ مِنْهَا » .
وعن الحسن^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « حَيْثَمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي » .

(١) في نسيم الرياض (٣-٥٢٩) : كلام المصنف في تبليغ الصلاة له ، وهذا في تبليغ السلام . ولهذا قيل : المراد بالسلام قولهم : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . والحديث رواه أبو داود ، وأحمد ، والبيهقي ، وسنده حسن : سنن أبي داود : ١-٢٠٢ .

(٢) رواه البيهقي ، وأبو الشيخ .

(٣) نائيا : بعيدا عني . (٤) هذا في أ ، ب .

(٥) سياحين ، جمع سياح - بصيغة للبالغة ، من السياحة ، وهي الطواف في الأرض والدوران فيها ، والذهاب إلى البلاد البعيدة .

(٦) فإنه : أي السلام . يؤتى به : يبلغه . قال في شرح القاري (٢ - ١٤٣) : لا يعرف من رواه .

(٧) في حديث رواه ابن أبي شيبة ، والطبراني ، وأبو يعلى ، بسند صحيح .

وعن ابن عباس^(١) : « ليس أحدٌ من أمةٍ محمد يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه » .

وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه .
وعن الحسن بن^(٢) علي : إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا بيتي عيداً^(٣) ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً^(٤) ، وصاؤا على حيث كنتم ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » .
وفي حديث أوس^(٥) : « أكثرُوا على من الصلاة يوم الجمعة ؛ فإن صلاتكم معروضةٌ على » .

وعن سليمان^(٦) بن سحيم : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت : يا رسول الله ؛ هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك ، أتفقهم^(٧) سلامهم ؟ قال : نعم ، وأردُّ عليهم .

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان .
(٢) المريد : الموسم الذي يجتمع فيه . قال في نسيم الرياض (٣ - ٥٥٢) : ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللغو والطرب .
وقيل : النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها ، حتى لا يتخذوها ثناً يعبد . وقيل : المراد لا تتخذوها كالعيد تزورونها في العام مرة ؛ بل أكثرُوا من زيارتها .

(٤) لا تتخذوا بيوتكم قبوراً : لا تركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات .
وقيل : المراد لا تدفنوا في البيوت ، بل في الجبانة .

(٥) هذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، والبيهقي ، وغيرهم ؛ وصححه : سنن أبي داود : ١ - ١٥٢ ، وبقية فيه : فقالوا : يا رسول الله ؛ وكيف ترض صلاتنا عليك ، وقد أرمعت ؟ قال : يقولون : بليت . قال : إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء صلى الله عليهم وسلم .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الأنبياء ، وفي شعب الإيمان .
(٧) أتفقهم سلامهم : أئسمعه وتفهمه .

وعن ابنِ شهاب : بلغنا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : أ كَثُرُوا من الصلاةِ علىَّ في الليلةِ الزهراء ، واليومِ الأَزهَر^(١) ؛ فإنهما يؤدِّيَانِ عنكم^(٢) ، وإنَّ الأرضَ لا تَأْكُلُ أجسادَ الأنبياء ؛ وما مِنْ مسلمٍ يصليُّ علىَّ إلا حملها مَلَكٌ حتى يُؤدِّيها إليَّ ويُسَمِّيهِ حتى إنه ليقولُ : إنَّ فلانا يقول كذا وكذا .

فصل

في الاختلاف^(٣) في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم

وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال القاضي رحمه الله : عامَّةُ أهلِ العِلْمِ متَّفِقون على جوازِ الصلاةِ على غيرِ^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى عن ابنِ عباس^(٥) أنه لا تجوزُ الصلاةُ على غيرِ النبي صلى الله عليه وسلم .
وروى عنه : لا تَنبَغِي الصلاةُ على أَحَدٍ إلا النبيين^(٦) .

(١) في الليلةِ الزهراء واليومِ الأَزهَر : ليلةُ الجمعةِ ويومها .

(٢) يؤدِّيَانِ عنكم : يوصلان صلاتكم على ويلفانها إلى .

(٣) أى الاختلاف الواقع بين العلماء في جواز الصلاة غير النبي من المؤمنين غير الأنبياء ، كالصحابَةِ ونحوهم .

(٤) من الأنبياء والملائكة والمؤمنين . قال الخفاجي (٣ - ٥٥٥) : ودعواه الاتفاق

مطلقاً ليست بمسألة . وقد قال النووي في الأذكار : أجمعوا على طلب الصلاة على نبيينا صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً ؛ وأما على غيرهم ابتداءً فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم . واختلف هذا المنع ؛ فقال بعض أصحابنا : إنه حرام ؛ والأكثر على أنه مكروه كراهة تنزيه ؛ وذهب كثير إلى أنه خلاف الأولى ؛ وليس مكروهاً . والصحيح الذى عليه الأكثر كراهته تنزيها ؛ لأنه شعار أهل البدع ؛ فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول .

(٥) في شعب الإيمان للبيهقي .

(٦) فكأنه رجع عن قوله الأول ، أو مراده به الجمع بين الصلاة والسلام .

وقال سُفْيَانُ : يُكْرَهُ أَنْ يُصَلَّى إِلَّا عَلَى نَيْبٍ .

ووجدتُ بخطَ بعضِ شيوخى : مذهبُ مالكٍ أنه لا يجوزُ أن يصلى على أحدٍ من الأنبياءِ سِوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا [١٧٢] غَيْرُ معروفٍ من مذهبه ؛ وقد قال مالكٌ فى «المبسوط» ليحيى بن إسحاق : أكرهُ الصلاةَ على غيرِ الأنبياءِ ، وما ينبغى لنا أن نتعدّى ما أمرنا به ^(١) .

وقال يحيى بن يحيى ^(٢) : لستُ آخذُ بقوله ^(٣) ؛ ولا بأسَ بالصلاةِ على الأنبياءِ كلِّهم وعلى غيرهم ^(٤) ؛ واحتجَّ ^(٥) بحديثِ ابنِ عمرَ ، وبما جاء فى حديثِ تعليمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاةَ عليه ؛ وفيه ^(٦) : وعلى أزواجه ، وعلى آله .

[وقد جاء ^(٧) معلقاً ^(٨) عن أبى عمرَ أن القابسى : روى عن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما كراهة الصلاةِ على غيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قال : وبه نقول . ولم تكن ^(٩) تُستعملُ فيما مضى .

وقد روى عبد الرزاق عن أبى هريرة رضى الله عنه ؛ قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صلُّوا على أنبياءِ الله ورُسُلِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي ^(١٠)] ^(١١) .

(١) لأنه أمرٌ لمبدى لا يعقل معناه بالرأى ، فيقتصر فيه على ما روى عنهم ، ولا نتجاوزه إلى غيره . (٢) هو عالم الأندلس ، ورواه الموطأ عن مالك .

(٣) بقوله : أى بقول مالك السابق .

(٤) وعلى غيرهم : من اللائكة وللمؤمنين .

(٥) واحتج : أى يحيى . وسيأتى هذا الحديث .

(٦) وقد تقدم . (٧) فى ب : وحدث .

(٨) معلقاً : مكتوباً فى بعض الكتب .

(٩) ولم تكن : ولم تكن الصلاة على غير نبينا استقلالاً تستعمل فيما مضى من عصر

الصحابة فمن بعدهم . قال الحفاجى : وهو غير مسلم به كما تقدم .

(١٠) هذا الحديث رواه الطبرانى ، والقاضى إسماعيل ، والتميمى فى الترغيب ، وغيرهم ،

بسند صحيح . (١١) ما بين القوسين ساقط فى ١ .

قالوا : والأسانيدُ عن ابن عباسٍ لِيُنَّةَ ؛ والصلاةُ في لسان^(١) العرب بمعنى الترحم والدعاء^(٢) ؛ وذلك على الإطلاق^(٣) حتى يمنعَ منه حديثٌ صحيحٌ أو إجماعٌ .

وقد قال تعالى^(٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

وقال^(٥) : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال^(٦) : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى^(٧) ؛ وكان إذا أتاه قومٌ يصدّقهم ، قال : اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ^(٨) فُلَانٍ .

وفي حديث الصلاة^(٩) : اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ .

(١) في لسان العرب : في لنتهم .

(٢) والدعاء بالرحمة .

(٣) على الإطلاق : أي يجوز مطلقاً على نبينا وعلى غيره .

(٤) سورة الاحزاب ، آية ٥٣

(٥) سورة التوبة ، آية ١٠٣

(٦) سورة البقرة ، آية ١٥٧

(٧) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٨ — ٩٠

(٨) معنى صل عليهم : ارحمهم ، وطهرهم ، وزكّ أموالهم التي بذلوا فيها زكّاتهم . وآله :

أهله وأتباعه . وأبو أوفى : هو علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمى الصحابى ، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين ، قال الحفاجى : وهذا الحديث من أقوى

ما استدلل به على جواز الصلاة على غير الأنبياء ، استقلالاً . والحديث في اللوط : ١٦٥

(٩) الصلاة : أى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد ، وقد تقدم .

وفي حديث آخر^(١) : وعلى آل محمد : قيل^(٢) أتباعه ، [وقيل : آل بيته]^(٣) .
وقيل : أئمة . وقيل : الأتباع ، والرفط ، والعشيرة . وقيل : آل الرجل ولده .
وقيل : قومه . وقيل : أهله الذين حرمت عليهم الصدقة .

وفي رواية أنس^(٤) : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : من آل محمد ؟ قال :
كلُّ تَتَقَّى .

ويجىء على مذهب الحسن^(٥) أن المراد بآل محمد - محمد نفسه ؛ فإنه كان
يقول في صلاته على النبي : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد - يريد
نفسه ؛ لأنه كان لا يحلُّ بالفرض ، وبأنى بالنقل ؛ لأنَّ الفرض الذى أمر الله تعالى
به هو الصلاة على محمد نفسه .

وهذا^(٦) من قوليه صلى الله عليه وسلم^(٧) : لقد أوتى مزاراً من مزامير
آل داود ؛ يريد من مزامير^(٨) داود .

(١) روى في صلاة التشهد .

(٢) تفسير لآله .

(٣) ما بين القوسين ساقط في ب .

(٤) قال الحفاجي : وهذا حديث صحيح روى من طرق : رواه الطبراني ، والبيهقي ،
وشيبان ، وغيرهم . قال الحفاجي : وهذا معنى مجازي ، كقوله صلى الله عليه وسلم : سلمان
منا آل البيت ؛ لأن الله طهر أهل البيت ووعدهم بخفرة ذنوبهم ، فأطلق على كل تقى أكرمه
الله تعالى وغفر سيئاته ، وهذا معروف في لسانهم كما قيل : رب أخ لى لم تلده أمه .

(٥) الحسن : أى البصرى .

(٦) وهذا : أى ذكر الآل وإرادة القدات به .

(٧) قاله النبي في حق أبي موسى الأشعري لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن ، كما رواه

الشيخان عنه : صحيح مسلم : ٥٤٦

(٨) فآله بمعنى نفسه ، لأنه لا يعرف أحد من آله أنه كان له مزار . والمزامير : جمع

مزار ، وهو اسم آلة ؛ ويقال مزموور أيضاً . والزمرة : النفخ في الزمار ، والصوت الحسن =

وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة^(١) : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته .

وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر وعمر - ذكره مالك في الموطأ^(٢) من رواية يحيى الأندلسي .

والصحيح من رواية غيره : ويدعوا لأبي بكر وعمر .

وروى ابن وهب ، عن أنس بن مالك : كنا ندعو لأصحابنا بالغيث^(٣) ؛ فنقول : اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) : والذي ذهب إليه المحققون ، وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله ، ورؤي عن ابن عباس ؛ واختاره غير واحد من الفقهاء والمكلمين - أنه لا يصلي على غير الأنبياء عند ذكركم ؛ بل هو شيء يختص به الأنبياء ، توقيراً لهم وتميزاً^(٥) ، كما يخص الله تعالى عند ذكركم بالتزكية والتقديس والتعظيم ،

= بغير آله ؛ فزاميره بمعنى ترغاته . شبه حسن الصوت ، وحلاوة نغمته ، بصوت للزمار ، وداود : هو النبي . قال الخفاجي : وأول هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله عنها على بيت أبي موسى ، وهو يقرأ القرآن ليلة ، فوقفوا يستمعان له ؛ وكان من أحسن الناس صوتاً ؛ فلما أصبح أخبره صلى الله عليه وسلم بإنصاته له ، وقال له : لقد أوتيت زمماراً من زمائر آل داود . فقال : لو علمت بذلك لحبرته تحبيراً ؛ أي لزدت في تحسين صوقي لاستماعك لي .

(١) في الصلاة : أى في ألفاظها .

(٢) للموطأ : ١ - ١٦٦

(٣) بالغيث : أى في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا .

(٤) في ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٥) تمزيماً : تمظيلاً وتبجيلاً بجملة شمارا لهم . وفي ب : تمزيماً . وفي هامشه : تمزيماً .

ولا يشاركه فيه غيره ، كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ، ولا^(١) يشارك فيه سواهم ، كما أمر الله به بقوله^(٢) : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ويُذَكِّرُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهِم بِالْفُقْرَانِ وَالرُّضَا ؛ كما قال تعالى^(٣) : ﴿ يَتُوبُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا [١٧٣] وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .
وقال^(٤) : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ .

وأيضاً فهو^(٥) أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ معروفاً في الصدر الأول^(٦) ؛ كما قال أبو عمران ؛ وإنما أحدثته الرافضة والتشيعة^(٧) في بعض الأئمة ؛ فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة ، وسأوؤهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك .

(١) في ب : ولا يشاركهم .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥٦

(٣) سورة العنكبوت ، آية ١٠

(٤) سورة التوبة ، آية ١٠٠ ، وفي أ : وقال : والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم .
إحسان : بإيمان وإيقان ، وطاعة إلى يوم القيامة .

(٥) فهو : أي الصلاة على غير الأنبياء .

(٦) في الصدر الأول ؛ أي في عصر الصحابة ومن قرب منهم .

(٧) الرافضة والتشيعة : طائفتان من أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة .
والرافضة : اسم جمع لرافضي ؛ وسُموا رافضة ؛ من الرفض ، وهو الترك ؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي ابن الحسين لما طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين ، وأن يقول : إما متهم باطل ، فأبى ، وقال : إن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها من تسكين نائرة الفتنة وتطبيب قلوب العامة ، فتركوه حتى قتل وصلب .

وأصل معنى الشيعة الجماعة مطلقاً ؛ ثم خص هؤلاء الذين يقولون : إن الخلافة حق على وكلاهما ممن اتفق علي تفضيل علي كرم الله وجهه ، وأن الخلافة حقه . (الخفاجي : ٣ - ٥٦١) .

وأبضا^(١) فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه؛ فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك .

وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص .

[قالوا]^(٢) : وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها متجزي الدعاء والمواجهة^(٣) ، ليس فيها معنى التعظيم والتوقير .

قالوا : وقد قال تعالى^(٤) : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۖ ﴾ ؛ فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض .

وهذا اختيار الإمام أبي الظفر الإسفرائيني من شيوخنا ، [وبه قال ابن عبد البر]^(٥) .

(١) أى وما يدل أيضا على عدم الصلاة على غير الأنبياء . (٢) ليس في ١ .

(٣) أى المقصود بها الدعاء والرحمة لهم . والمواجهة : حسن المكافحة حال العشرة .

(٤) سورة النور ، آية ٦٣

(٥) ليس في ب . وابن عبد البر هو صاحب الاستيعاب ، وهو حافظ المغرب .

وقال الخفاجي : واعلم أن التصلية والتسليم على نبيينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة ، أمرنا بالتعبد بها ، فهي واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم ، والصلاة على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالاً مستحبة ، وما نقل عن مالك إنها منهي عنها مخالف للقول الصحيح . وقال القرطبي : إنه مجمع عليه ، والصلاة على غير الأنبياء تبعاً لنبيينا صلى الله عليه وسلم مستحبة أيضا ، كما في التشهد ؛ فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا ؛ فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الأنبياء بانفرادهم ، فالصحيح أنه مكروه ، وأن كراهته كراهة تنزيه لا تحريم ؛ لأنه اختص به النبي صلى الله عليه وسلم كما اختص « عز وجل » بالله تعالى . هذا هو الصحيح ؛ فلا يمتد بخلافه . وقد قيل : إن السلام مثل الصلاة مخصوص بالأنبياء أيضا ؛ فلا يقال في غيرهم ؛ عليه السلام ، كما صرح به الفقهاء ؛ فهو مكروه تنزيه . (الخفاجي :

فصل

في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، وفضيلة من زاره وسلم عليه
وكيف يسلم ويدعو له

وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة
مُرغَّب^(١) فيها : روى عن ابن عمر رضي الله عنه^(٢) .

[حدثنا القاضي أبو علي : قال : حدثنا أبو الفضل بن خيرون : قال : حدثنا
الحسن بن جعفر : قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني : قال : حدثنا
القاضي الحاملي : قال : حدثنا محمد بن عبد الرزاق : قال : حدثنا موسى بن هلال ،
عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه قال]^(٣) : قال
النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي^(٤) . ٦٦٦

(١) أى رغب السلف فيها ، وحشوا عليها ؛ وزيارة القبور إما ليتذكر بها الموت ويتمتع
وهذا يجرى في جميعها ، أو للدعاء لأهلها المسلمين ، كما زار النبي صلى الله عليه وسلم البقيع ؛
وهذا مستحب ، أو للتبرك بمن فيها من الأنبياء والصالحين ؛ فينتفع بزيارتهم ؛ فذهب بعض
المالكية إلى أنه مخصوص بالأنبياء وأنه في غيرهم بدعة . وأما في الأنبياء فهي مشروعة ؛
وتوقف فيه السبكي .

وقد يقصد بالزيارة برهم وإكرامهم ؛ كزيارة قبر الوالدين ، ومن عليه حق لإكرامه ؛
فإن الميت يكرم كالحي .

وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته ؛ وهو مستحب أيضا ، لما روى عنه صلى الله
عليه وسلم : إن للميت آنس ما يكون إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا .

وزيارته - صلى الله عليه وسلم - جامعة لهذه الماني كلها ؛ فلماذا كانت سنة ، وإن كان غنيا عن
الدعاء ؛ وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام . (الحفاجي : ٣ - ٥٦٣) .

(٢) رواه ابن خزيمة ، والبخاري ، والطبراني . (٣) ما بين القوسين ليس في ١ .

(٤) شفاعتي : أى سؤالي الله له أن يتجاوز عنه مكافأة له . ومعنى وجبت : تحققت وثبتت ؛

فهي ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها وليس المراد به الوجوب الشرعى . وروى : حلت له شفاعتي . =

وعن أنس بن مالك ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا ^(١) كَانَ فِي جَوْارِي ^(٢) ، وَكَانَتْ لَهُ شَفِيعًا ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٤) .
وفي حديث ^(٥) آخر : مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَتَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي ^(٦) .
وَكَرِهَ مَالِكُ أَنْ يَقَالَ : زُرْنَا قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وقد اختلف في معنى ذلك ؛ فنيل : كراهة الاسم ^(٧) ؛ لِمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ ^(٨) .

= ويخصه النبي بشفاعته تناسب عظم عمله ؛ إما بزيادة النعم ، وإما بتخفيف الأهوال عنه في ذلك اليوم ؛ وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب ؛ وإما برفع درجات في الجنة ، وإما بزيادة شهود الحق والنظر إليه ؛ وإما بنير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر (الحفاجي : ٣ - ٥٦٤) .

(١) محتسبا ؛ أى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض ، مخلصا في نيته ، وقصد إكرامه ، لا ينوي غيره . والاحتساب : افتعال من الحساب ومعناه الاعتداد .
(٢) كان في جوارى : أى له منزلة رفيعة في الآخرة . أو المراد أنه يكون في أمانه وعهده ، فلا يناله مكروه أصلا .

(٣) المراد به شفاعته خاصة غير الشفاعات العامة .

(٤) في شرح القارى (٢ - ١٤٩) : قال الدلبجى : لا أعرف من رواه . قلت : قد رواه العقيلي وغيره بلفظ : من زارنى متمعدا كان في جوارى يوم القيامة . ورواه البيهقي ولفظه : من زارنى محتسبا إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة . ورواه أبو عوانة : من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة .

(٥) رواه البيهقي ، والدارقطني ، وانطرباني ، وسعيد بن منصور ، وابن عساكر ، عن ابن عمر .

(٦) وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم حى في قبره ؛ يدرى بمن يزوره ، ويرد سلامه .

(٧) كراهة الاسم ؛ أى اسم الزيارة وإطلاقها .

(٨) فلمن من حيث إنهن زوارات يقتضى ذم الزيارة .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذى ، وابن حبان ، عن أبي هريرة . سنن الترمذى :

وهذا يرده قوله ^(١) : نُهَيْتُمْ ^(٢) عن زيارة القبور فزوروها ^(٣) .

وقوله ^(٤) : مَنْ زَارَ قَبْرِي ؛ فقد أطلق اسم الزيارة .

وقيل : لأن ^(٥) ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور .

وهذا أيضا ليس بشيء ؛ إذ ليس كل زائر بهذه الصفة ^(٦) ، وليس عموما ^(٧) ؛

وقد ورد في حديث أهل الجنة : زيارتهم لربهم ؛ ولم يُمنع هذا اللفظ في حقه تعالى .

[وقال أبو عمران رحمه الله : إنما كره مالك أن يُقال : طواف الزيارة ، وزُرنا

قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض ؛ ففكرة

نسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ ؛ وأحب أن يُخصَّ بأن يُقال :

سَلَّمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

ك ك ك ك ك ك ؟

وأیضا فإن الزيارة مُباحة بين الناس ، وواجب شد الرحال إلى قبره صلى الله

عليه وسلم ؛ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأکید ، لا وجوب

فرض ^(٨) .

(١) قوله : قول النبي صلى الله عليه وسلم : والحديث في سنن ابن ماجه : ١ - ٥٠٣ ،

وسنن الترمذی : ٣ - ٣٦١

(٢) قال الحفاجی : والرواية : كنت نهيتكم . . . وفي ب : فزوروها ولا تقولوا هجرا .

وفي سنن ابن ماجه : فزوروها ، فإنها تزهّد في الدنيا ، وتذكر الآخرة . وفي سنن الترمذی :

فزوروها فإنها تذكر الآخرة .

(٣) قال الحفاجی : وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت المنكوت ؛ لأن الأول في حق النساء

المسكرات للزيارة ، وهذا لمطلق زيارة الرجال ؛ ودخول النساء تغليبا لا يسلمه للمعترض ؛ ولكن

عهدته على قائله لا على المصنف ؛ فإنه ناقل غير مرتض لما نقله .

(٤) في الحديث المتقدم عن ابن عمر .

(٥) أي وجه كراهته .

(٦) بهذه الصفة ؛ وهي الأفضلية ؛ فقد يكون مساويا له ، أو أدنى منه .

(٧) وليس عاما في كل زائر .

(٨) ما بين القوسين ليس في أ . وهو في ب بين علامتين ، وأمامه في هامشه : العلم عليه

ليس من الرواية .

والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأنه لو قال : زُرْتُ النبي لم يَكْرَهه^(١)؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَدُ بعدى^(٢)، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(٣).

فحى إضافة هذا^(٤) اللفظ إلى القبر، والتشبه بفعل أولئك^(٥)؛ قطعاً للذريعة وحسماً^(٦) للباب. والله أعلم^(٧).

قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه : ومما لم يزل من شأن من حج الروم^(٨) بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتبرك برؤية

(١) قال الخفاجي : وحديث الزيارة روى على وجوه؛ منها ما رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه : إذا سكن أهل الجنة الجنة أنا هم ملك يقول : إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، ثم توضع لهم مائدة . . . الحديث.

ثم قال : قيل : وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر : من زار قبري وجبت له شفاعتي، إلا أن يقال : إنه ضعيف، وإن الصحيح حديث أنس : من زارني - بدون ذكر القبر - إلا أنه غير مسلم؛ لأن عبد الحق رواه في الأحكام ولم يتعبه.

(٢) وثنا : أى كالوثن، وهو الصنم من الحجارة . بعدى : أى بعد موتى ووضعى فيه.

(٣) مساجد : أى يسجدون لها كما يسجدون للأوثان. والحديث في اللوط : ١٧٢، وبعد

الحديث قال في اللوط : قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث.

(٤) حى : صان . هذا اللفظ : لفظ الزيارة.

(٥) أولئك : أى الكفرة، أو العامة الذين اتخذوا قبور الأنبياء مواطن للسجود.

(٦) وحسماً للباب : قطعاً وسداً لباب الذريعة.

(٧) قال القارى في شرحه (٢ - ١٥٠) : وفيه أنه وقد ورد - بروايات متعددة -

التصريح بهذه اللفظة، فلا يلتفت إلى هذه العلة؛ منها ما رواه أبو داود الطيالسي : من زار قبري

كنت له شفيماً . ومنها حديث على - مرفوعاً : من زار قبري بعد موتى فكأنما زارني في حياتي.

ومن لم يزر قبري فقد جفاني .

(٨) فى ب : المزور !

مصطفًى هذه الأصوار قد بُنِيَ على غير ما كان

رَوْضَتِهِ ^(١) وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ ، وَمَجْلِسُهُ ^(٢) ، وَمَلَامِسُ ^(٣) يَدِيهِ ، وَمَوَاطِي قَدَمَيْهِ ، وَالْعُمُودِ الَّتِي كَانَ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ ، وَيَنْزِلُ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَبَيْنَ عَمْرِهِ ^(٤) وَقَصْدِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْإِعْتِبَارِ بِذَلِكَ كُلِّهِ .

[١٧٤] وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ : سَمِعْتُ ^(٥) بَعْضَ مَنْ أَدْرَكَتْ يَقُولُ : بَلَفَنَّا أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَذِهِ الْآيَةُ ^(٦) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ - ثُمَّ قَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ - مَنْ يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ ؛ وَلَمْ ^(٧) تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُهَرَّبِيِّ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ قَالَ لِي : إِلَيْكَ ^(٨) حَاجَةٌ ؛ إِذَا أُتِيتَ الْمَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْرِه ^(٩) مَتَى السَّلَامَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ يُبْرَدُ ^(١٠) إِلَيْهِ الْبَرِيدُ مِنَ الشَّامِ .
كِتَابُ < الْبَرِيدِ عَلَى الْأَخْبَانِ > لِسَيِّدِ الْإِسْلَامِ أَبِي يَسْمَعَةَ
< الْأَصْحَامِ الْمَلْنَمِ > (١) هِيَ مَا بَيْنَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمِنْبَرِهِ . وَسَمِيَتْ رَوْضَةً لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا : إِنَّهَا رَوْضَتُ الْمَسْكِينِ وَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ .

(٢) مَجْلِسُهُ : مَوْضِعُ جُلُوسِهِ فِي الرَّوْضَةِ .
(٣) مَلَامِسُ يَدَيْهِ : أَيْ الْحَالِ الَّتِي لَمَسَهَا يَدَاهُ الشَّرِيفَةُ .
(٤) عَمْرُهُ : سَكْنُهُ . وَقَالَ الْقَارِي (٢ - ١٥١) : مِنْ عَمْرِهِ : أَيْ عَمْرُ مَسْجِدِهِ مَبْنَى وَمَعْنَى . وَقِيلَ : مِنْ زَارِهِ .

(٥) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .
(٦) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٥٦ (٧) أَيْ لَا تَرُدُّ وَلَا تَحْجِبُ .
(٨) إِلَيْكَ حَاجَةٌ : أَيْ أَقْدَمَ إِلَيْكَ حَاجَةً أَسْأَلُكَ قَضَاءَهَا ، وَهِيَ . . .
(٩) أَقْرِه مَتَى السَّلَامَ : أَيْ بَلِّغْهُ سَلَامِي ، وَأَنْتَ مُسْلِمٌ عَلَيْهِ . وَفِي ١ : فَأَقْرِه .
(١٠) وَكَانَ : أَيْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . يَبْرَدُ : يَرْسَلُ ، وَالْبَرِيدُ : الرَّسُولُ الَّذِي يَكُونُ مُسْتَعْجَلًا لِنَبْلِغَ أَمْرَ الْخُلَفَاءِ وَنَحْوِهِمْ . إِلَيْهِ : إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَبْلُغَهُ سَلَامُهُ يَقْرِئُهُ السَّلَامَ ، لَا لِقَصْدِ غَيْرِ ذَلِكَ الْبَتَّةِ . وَفِي ١ : يَبْرَدُ - بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ .

قال بعضهم : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف
فرفع يديه^(١) حتى ظننت أنه افتتح الصلاة ، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ؛
ثم انصرف .

وقال مالك - في رواية ابن وهب : إذا سلم^(٢) على النبي صلى الله عليه وسلم ،
ودعاً ، يقف ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة ، ويدنو^(٣) ، ويسلم ، ولا يمسه
القبر بيده .

وقال^(٤) في المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ،
ولكن يسلم ويمضي^(٥) .

قال ابن أبي مليكة^(٦) : من أحب أن يقوم وجاه^(٧) النبي صلى الله عليه وسلم
فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه^(٨) .

وقال نافع^(٩) : كان ابن عمر يسلم على القبر ؛ رأيتُه مائة مرة وأكثر يحيى إلى
القبر فيقول : السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، السلام على أبي بكر ، السلام
على أبي ، ثم ينصرف^(١٠) .

(١) قال القاري (٢ - ١٥٢) : لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك للقائم عن أحد
من الأعلام ، ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام . ٩٩ : ٤٤٥

(٢) إذا سلم : أي الزائر لقبره الشريف . (٣) ويدنو : أي يقرب من القبر .

(٤) القائل : هو مالك . والمبسوط : اسم كتاب لمالك .

(٥) ويمضي : ينصرف من عنده من غير وقوف . قال القاري (٢ - ١٥٢) : هذا بظاهره
يناقض ما سبق عنه ، إلا أن يقال : هذا بيان الأكمل ، فتأمل .

(٦) ابن أبي مليكة : تابعي تيمى ، مؤذن ابن الزبير وقاضيه ؛ قال : بعثني ابن الزبير على
قضاء الطائف ، فسكنت أسأل ابن عباس . وأما أبو مليكة - أبوه - فصحابي .

(٧) وجاه : في مواجهته ومقابلته . وتسكرواوه وتضم . والضبط الثبت في ١ ، ب .

(٨) القنديل : مصباح من زجاج يعلق . على رأسه : محاذيا لها .

(٩) نافع : هو مولى ابن عمر ، من أئمة التابعين وأعلامهم . (١٠) رواه البيهقي .

[ورئي ابنُ عمر واضعاً يدهُ على مَئْمدِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم من المنبر ، ثمَّ وضعها على وجهه^(١) . ٩

وعن ابن قُسيط والمُتنبّي : كان أصحابُ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم إذا خلا المسجد جَسَوْا^(٢) رُمَانَةَ المنبر التي تلي القَبْرَ بِمَيَّامِنِهِمْ^(٣) ، ثم استَقْبَلُوا القِبْلَةَ يَدْعُونَ^(٤) .

وفي الموطأ^(٥) - من رواية [١٧٦] يحيى بن يحيى اللَّيثي - أنه كان يقفُ على قَبْرِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فيصلي على النَّبيِّ ، وعلى أبي بكر ، وعمر .
وعن ابن القاسم والمُتنبّي : ويدْعُو لأبي بكر ، وعمر .

قال مالك - في رواية ابنِ وَهْب : يقولُ المسلمُ : السلام عليك أَيُّهَا النَّبيُّ ورحمةُ الله وبركاته .

قال في المبسوط : ويُسَلِّمُ على أبي بكر ، وعمر .

قال القاضي أبو الوليد الباجي : وعندى^(٦) أنه يدْعُو للنَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بلفظِ الصلاة ، ولأبي بكر^(٧) ، وعمر ، كما في حديثِ ابنِ عمر من اِخْتِلَافٍ^(٨) .

وقال ابنُ حبيب : ويقولُ إذا دخل مسجد الرسول : بسم الله ، وسلامٌ على رسولِ الله عليه السلام ، السلامُ علينا من ربِّنا ، وصلى اللهُ وملائكتهُ على محمد .

(١) ورواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه رآه واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) جَسَوْا: أى مسوا . ورمانة للنبر ؛ أى العقدة المشابهة للرمانة . وفيه : جلسوا بزمانة .

(٣) في ب : تيمنا .

(٤) ليس في أ ؛ وهو في ب ، وأمامه علامة الصحة .

(٥) للوطأ : ١ - ١٦٦

(٦) وعندى : أى الراجع عندى .

(٧) يدعو لأبي بكر وعمر بالسلامة من كل مكروه ، ولا يسلم عليهما .

(٨) من الخلاف : أى مخالفة الدعاء لها للدعاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَاَفْتَحْ^(١) لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَجَنَّتِكَ ، وَاحْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ اقْصِدْ إِلَى الرَّوْضَةِ ؛ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ^(٢) فِيهَا رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ وَقُوفِكَ بِالْقَبْرِ تَحْمَدُ اللَّهَ فِيهِمَا وَتَسْأَلُهُ تِمَامَ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ وَالْعَوْنَ عَلَيْهِ . وَإِنْ كَانَتْ رَكْعَتَاكَ فِي غَيْرِ الرَّوْضَةِ أَجْزَأُ تَاكَ ؛ وَفِي الرَّوْضَةِ أَفْضَلُ .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا بَيْنَ مَنْبَرِي وَقَبْرِي رَوْضَةٌ^(٣) مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ؛ وَمَنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ^(٤) » .

ثُمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعاً مُتَوَقِّراً^(٥) ، فَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَتُثْنِي بِمَا يَخْصُرُكَ ، وَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَتَدْعُو لهما .

وَأَكْثَرُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلَا تَدْعُ^(٦) أَنْ تَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَقُبُورَ الشَّهْدَاءِ^(٧) .

—— وَقَالَ مَالِكُ [١٧٥] - فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ^(٨) : وَيُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ وَخَرَجَ^(٩) - يَعْنِي فِي الْمَدِينَةِ - وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ^(١٠) .

(١) أَيْ يَسْرِي مَا يُوصَفِي إِلَيْهَا : الرَّحْمَةُ ، وَالْجَنَّةُ .

(٢) ارْكَعَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ ؛ نَحْيَةً لِلْمَسْجِدِ ؛ شُكْرًا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ .

(٣) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : مَعْنَى كَوْنِهِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى دُخُولِهَا ، فَسَكَاتُهَا مِنْهَا . وَفِي أ : مَا بَيْنَ يَتْنِي وَمَنْبَرِي .

(٤) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ : ١ - ١٩٧ ، وَهُوَ مُسْنَدُ أَحْمَدَ : ٣ - ٦٤ . وَفِي هَامِشِ أ : التَّرْعَةُ : الْبَابُ . وَالتَّرْعَةُ أَيْضًا : الرَّوْضَةُ . وَالتَّرْعَةُ : الْعَتَبَةُ .

(٥) مُتَوَاضِعًا مُتَوَقِّرًا : أَيْ بِتَوَاضِعٍ وَوَقَارٍ ؛ أَيْ سَكُونٍ ؛ تَأْدِيبًا بِهَيْبَةٍ وَإِجْلَالٍ وَغَضٍّ طَرَفٍ .

(٦) وَلَا تَدْعُ : لَا تَمُرُّكَ . (٧) قُبَاءَ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقُبُورُ الشَّهْدَاءِ : شَهْدَاءُ أَحَدٍ .

(٨) يَعْنِي وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ . قَالَ الْقَارِي (٢ - ١٥٤) : وَلِلَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، مِنْ أَصْحَابِ

أَبِي حَنِيفَةَ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ الْمَوْطَأُ . وَفِي هَامِشِ ب . يَعْنِي ابْنَ الْمَوَازِ الْمَصْرِيَّ .

(٩) إِذَا دَخَلَ وَخَرَجَ : أَيْ دَخَلَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَخَرَجَ مِنْهُ بِالْفِعْلِ ؛ لَا عِنْدَ إِزَادَةِ ذَلِكَ .

(١٠) وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ : أَيْ فِي أَيَّامِ إِقَامَتِهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَحِينَ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا دَخَلَ وَخَرَجَ فِيهِ .

وقال محمد : وإذا خرج جعل آخر^(١) عَهْدِهِ الوقوفَ بالقبْر ، وكذلك من خَرَجَ مسافرا .

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ ^(٢) فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ . وَإِذَا خَرَجْتَ فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ ^(٣) لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ ^(٤) » .

وفي رواية أخرى : فليصل فيهِ ، ويقول إذا خرج : اللهم إني أسألك من فضلك .

وفي أخرى : اللهم احفظني من الشيطان [الرجيم] ^(٥) .

وعن محمد بن سيرين : كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد : صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ . السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، بِاسْمِ اللَّهِ دَخَلْنَا ، وَبِاسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَكَوَلَّى اللَّهُ ^(٦) تَوَكَّلْنَا .

وكانوا يقولون إذا خرجوا مِثْلَ ذَلِكَ ^(٧) .

(١) إذا خرج : أى أراد الزائر أن يخرج من المدينة .

(٢) في شرح القارى (٢ - ١٥٥) : قال الدلجى : بفتح تاء الخطاب ، ولا أعلم من رواه . قلت : بل الصواب أن المراد به عموم الخطاب .

(٣) فتح الباب : كناية عن تسهيل أموره ، وتسهيل مسالكه وأسباب معاشه .

(٤) حديث فاطمة هذا رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والترمذى - وحسنه : وارجع إليه تاما في سنن ابن ماجه : ٢٥٣ ، وسنن الترمذى : ٢ - ١٢٧ ، وروته فاطمة بنت الحسين عن فاطمة السكبرى . وقال : الترمذى بمد تخريج هذا الحديث ، أى حديث فاطمة : حديث صحيح ، وليس إسناده بمنصل . وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة السكبرى ، إنما عاشت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أشهراً . والحديث في مسلم أيضا : ٤٩٤ (٥) ليس في ا .

(٦) على الله توكلنا : أى فوضنا له أمورنا كلها .

(٧) قال الحفاجى : وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة ؛ بل هو مستحب في كل مسجد .

وعن فاطمة أيضا^(١) : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال :
صلى الله على محمد وسلم ؛ ثم^(٢) ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا .
وفي رواية : حمد الله وسَمَّى^(٣) ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،
وذكر مثله .

وفي رواية : باسم^(٤) الله ، والسلام على رسول الله^(٥) .
وعن غيرها^(٦) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال :
« اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، ويسر لي^(٧) أبواب رزقك » .
وعن أبي هريرة : « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل : اللهم افتح لي^(٨) » .
وقال مالك في « المبسوط » : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من
أهل المدينة^(٩) الوقوف بالقبر ؛ وإنما ذلك للغرباء^(١٠) .

-
- (١) أخرجه البيهقي في الدعوات .
 - (٢) ثم ذكر : أي ابن سيرين .
 - (٣) وسَمَّى : أي سمى الله تيمنا وتبركا ليم ماضع فيه . وهذه الرواية للترمذي : ١٢٨-٣
 - (٤) أي يقول إذا دخل للمسجد . . .
 - (٥) قال الخفاجي : فهذا صريح في أن ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ؛ فهم مقتدون به .
 - (٦) عن غيرها : أي عن غير فاطمة .
 - (٧) يسر لي أبواب رزقك : سهل أسبابه .
 - (٨) قال الخفاجي (٣ - ٥٧٦) : حاصله أن هذه الأحاديث تدل على أن من دخل المسجد ، أو خرج منه ، أو مر به - أي مسجد كان - يستحب له أن يسمي الله ويسلم ويصلي على رسول الله ، ويدعو بخير من خيري الدنيا والآخرة . ولأنه أفضل ؛ وهذا مما اتفقوا عليه ، ووردت فيه أحاديث صحيحة في باب الدعوات .
 - (٩) من أهل المدينة : للقيمين بها .
 - (١٠) للغرباء : الذين جاءوا المدينة للزيارة .

وقال فيه^(١) أيضا : لا بأسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ^(٢) أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

فقيل له^(٣) : فَإِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَتَقَدَّمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلَا يَرِيدُونَهُ^(٤) ،

يَفْعَلُونَ^(٥) ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ ؛ وَرَبَّمَا وَقَفُوا فِي الْجُمُعَةِ أَوْ فِي الْأَيَّامِ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَيَسْلُمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً^(٦) !

فقال^(٧) : لَمْ يَبْلُغْنِي^(٨) هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفَقْهِ بِيْلَدَنَا ، وَتَرَكُهُ وَاسِعًا^(٩) ، وَلَا يُصْلِحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا ؛ وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَصَدْرُهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَيُكْرَهُ إِلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ أَرَادَهُ .

قال ابنُ القاسمِ : وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوْا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا ؛ قَالَ : وَذَلِكَ رَأْيِي^(١٠) .

قال الباجي : فَفَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْغُرَبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَصَدُوا لِذَلِكَ^(١١) ؛ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ وَالتَّسْلِيمِ^(١٢) .

(١) فيه : في كتاب المبسوط . (٢) أى من أهل المدينة .

(٣) فقيل له : أى لمالك . (٤) أى هم مقيمون .

(٥) يفعلون ذلك : أى الوقوف عند القبر والصلاة عليه ، والدعاء لصاحبيه .

(٦) يسلمون على النبي ، ويدعون لأبي بكر وعمر . (٧) فقال : أى مالك .

(٨) لم يبلغني هذا : أى وقوف المدنى من غير سفر عند القبر .

(٩) وتركه واسع : أى أكثر وأولى . وفي شرح القارى (٢ - ١٥٦) : وتركه واسع ؛

أى جائز ، ولو فعله فسائح شائع .

(١٠) في شرح الحفاجي : وذلك رأى : أى قول لمالك . قال في نسيم الرياض : وفي نسخة :

رأى - بالإضافة ؛ أى إنه يقوله .

(١١) قصدوا لذلك : أى قصدوا المدينة للزيارة ، فينبغى لهم فعل ذلك في كل حين .

(١٢) في نسيم الرياض : قال السبكي في كتابه «شفاء السقام» - بمد نقل ما هنا : مذهب

مالك أن الزيارة قرينة ؛ لكنه كره الإكثار منهم للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع . =

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا ^(٢) يُعْبَدُ ؛ أَشَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ آتَخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ^(٣) » .
وَقَالَ ^(٤) : « لَا تَجْمَعُوا قَبْرِي عِيدًا ^(٥) » .

_____ ومن كتاب أحمد بن سعيد [١٧٦] الهندي - فيمن وقف بالقبر : لَا يَلْصُقُ ^(٦) به ، وَلَا يَمْسُهُ ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلًا ^(٧) .
وَفِي الْمُتَعَبِّ ^(٨) : يَبْدَأُ بِالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلَامِ ^(٩) فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَأَحَبُّ مَوَاضِعِ التَّنْفَّلِ فِيهِ مُصَلَّى ^(١٠) النَّبِيِّ حَيْثُ الْعُمُودُ الْمُخَلَّقُ ^(١١) .

= وغيره من أهل المذهب قالوا باستحباب الإكثار منها مطلقا، واتفقوا عليه، وهو الحق الذي لا شبهة فيه . ١١١٥٥٥٥

(١) في حديث رواه عبد الرزاق ، ومالك في الموطأ ، عن عطاء بن يسار : موطأ
مالك : ١٧٢ (٢) وثنا : أى كالوثن ، وهو الصنم . يعبد : أى يتخذ معبودا .
(٣) مساجد : أى يسجدون لها كما يسجدون لله .

(٤) في حديث رواه ابن أبي شيبة وغيره بسند متصل .
(٥) عيداً : أى كالعيد باجتماع الناس عنده . (٦) لا يلبق به : أى لا يلبق صدره به .
(٧) في نسيم الرياض : فلا يقبله ؛ فيكره مسه وتقبيله وإصااق صدره ؛ لأنه ترك أدب ؛ وكذلك كل ضريح يكره فيه ذلك ؛ وهذا أمر غير مجمع عليه ؛ ولقد قال أحمد ، والطبري : لا بأس بتقبيله والتزامه . وروى أن أبا أيوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف ؛ قيل : وهذا لغير من لم يقبله الشوق والمحبة . وهو كلام حسن . ١١١٥٥٥٥

(٨) المتعبية : منسوبة إلى فقيه الأندلس محمد بن أحمد بن عبدالمعز العبتي القرطبي مصنفها ، وهو من موالى عتبة بن أبي سفيان ، أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته .
(٩) يبدأ بالركوع : المراد الصلاة ؛ أى تحية المسجد إذا دخله . قبل السلام : قبل السلام على قبره ، وزيارته .

(١٠) مصلى النبي : أى محل صلاته المأثور ؛ وبين محله بقوله : حيث العمود .
(١١) الخلق : ما عليه الخلق ، وهو نوع من الطيب أصفر ، فيه زعفران ؛ وسمى العمود خلقاً ؛ لأنه كان يطيب بالخلق تمظيهاً .

وَأَمَّا فِي الْفَرِيضَةِ فَالْتَقَدُّمُ إِلَى الصُّنُوفِ وَالتَّنْفُلُ فِيهِ لِلْغُرَبَاءِ أَحَبُّ إِلَى مِنَ التَّنْفُلِ فِي الْبُيُوتِ ^(١) .

فصل

فِيمَا يُلْزَمُ مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَدَبِ سِوَى مَا قَدَّمَاهُ ، وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ الصَّلَاةِ فِيهِ وَفِي مَسْجِدِ مَكَّةَ ، وَذِكْرِ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ ، وَفَضْلِ سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ .

رَوَى ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ : أَيُّ مَسْجِدٍ هُوَ ؟ قَالَ : مَسْجِدِي هَذَا . وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَغَيْرِهِمْ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ ^(٤) .

(١) هَذَا مُسْتَشْنَى بِمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ وَأَطَاقُوهُ : إِنْ الْأَفْضَلُ فِي الْفَرِيضَةِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَالنَّافِلَةِ الْأَفْضَلُ فِيهَا أَنْ تُصَلَّى فِي النَّازِلِ . وَوَجْهُ الْخِلَافَةِ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ . وَهَذَا مَبْنَى عَلَى أَنَّ الْمَضَاعِفَ تَحْتَصُّ بِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْمَدِينَةِ مُطْلَقًا مَضَاعِفَةٌ ، لِأَفَرَقَ بَيْنَ فَرَضِهَا وَتَقْلِيلِهَا ، وَمَسْجِدُهَا وَغَيْرِهِ ؛ فَمِلَى هَذَا نَافِلَتُهَا كَثِيرُهَا ، إِلَّا أَنَّ الْغَرِيبَ يَسْتَحِبُّ لَهُ الْإِكْثَارَ مِنَ الْمَسْكُوتِ فِي مَسْجِدِهَا وَالزُّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكَ بِمَوَاطِنِ عِبَادَتِهِ ؛ فَلَهُ شَأْنٌ يَخْصُهُ ؛ وَهُوَ الظَّاهِرُ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ١٠٨

(٣) الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ : ١٠١٥ التِّرْمِذِيُّ : ٥ - ٢٨٠ أَيْضًا .

(٤) قَالَ الْخُفَاجِيُّ : وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ الْفُسْرُونَ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ . وَالْأَوَّلُ مَرُورٍ عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ مُسْنَدًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ ؛ وَلِذَا قِيلَ : كَانَ يُنْبِئُ لِلْمَصْنَفِ أَنْ يَقُولَ : صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَارُورٍ - بِصِنْفَةِ الْمَجْهُولِ إِلَى يَنْتَلِبُ اسْتِمَالَهَا فِي الضَّعِيفِ ، فَكَأَنَّهُ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْأَقْوَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَانْظُرْ أَيْضًا :

سَنَنِ النَّسَائِيِّ : ٢ - ٣٠

حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بهراءتى عليه ؛ قال : حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو عمر النعمري ، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا سُفيان ، عن الزُّهري ، عن سَعِيد بن السَّيِّب ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : لا تُشَدُّ الرَّحَالُ ^(١) إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ^(٢) هذا ، والمسجد الأقصى .
وقد تقدَّمت الآثارُ في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد .

وعن عبد الله ^(٣) بن عمرو بن العاص - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال : أعوذُ ^(٤) بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ^(٥) ، من الشيطان الرجيم ^(٦) .

وقال مالك ^(٧) رحمه الله : سمعُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صوتاً في المسجد ،

(١) الرحال : جمع رحل ، وهو للجمال كالسروج للخيول . وقوله : لا تشد الرحال : كناية عن منع السفر ؛ أي لا ينبغي السفر - وقطع المسافة .

(٢) المسجد الحرام : مسجد مكة . ومسجدي هذا : مسجد المدينة المعروف . والحديث

في صحيح مسلم : ١٠١٤ ، وسنن النسائي : ٢ - ٣١

(٣) في حديث رواه أبو داود بإسناد جيد . سنن أبي داود : ١ - ٤٨

(٤) أعوذ : ألتجئ في أمورى كلها ، وفي التوفيق للعبادة وإخلاصها ، إلى عظيم لا يخاف

من التجأ إليه .

(٥) سلطانه : قهره وغلبته القديم : الثابت له في الأزل والقدم .

(٦) الرجيم : المطرود عن رحمة الله وقربه .

قال الخفاجي : وتمة الحديث : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم . وفي

سنن أبي داود : تمامه : قال : أقط ؟ قلت : نعم . قال : فإذا قال ذلك . . .

(٧) في حديث رواه البخاري ، والنسائي : صحيح البخاري : ١ - ١٢٠

فدعا بإحابه ؛ فقال : عَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : رجلٌ مِنْ ثَقِيفٍ . قال : لو كُنْتَ مِنْ هَاتَيْنِ الْقَرْيَتَيْنِ ^(١) لَأَدْبَنْتُكَ ؛ إِنْ مَسَجَدَنَا لَا يُرْفَعُ فِيهِ الصَّوْتُ .

قال محمد بن مَسْلَمَةَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَمْتَدَّ ^(٢) السَّجْدَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَى ، وَأَنْ يُنْزَعَ ^(٣) عَمَّا يُكْرَهُ .

قال القاضي ^(٤) : حَكَى ذَلِكَ كَلِمَةُ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ فِي مَبْسُوطِهِ ^(٥) ، فِي بَابِ فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ . وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ [عَلَى] ^(٦) أَنَّ حُكْمَ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ هَذَا الْحُكْمُ .

قال القاضي إِسْمَاعِيلُ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : وَيُكْرَهُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَهْرُ عَلَى الْمُصَلِّينَ فِيمَا يَخْلُطُ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهُمْ ^(٧) ، وَلَيْسَ مِمَّا تُخَصُّ بِهِ الْمَسَاجِدُ رَفْعُ الصَّوْتِ ^(٨) ، قَدْ كُرِهَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلَابِيَةِ فِي مَسَاجِدِ ^(٩) الْجَمَاعَاتِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَسْجِدَ مَنَى ^(١٠) .

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ^(١١) .

(١) مِنْ هَاتَيْنِ الْقَرْيَتَيْنِ : يَعْنِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ .

(٢) يَمْتَدُّ الْمَسْجِدَ : يَقْصِدُهُ . (٣) يُنْزَعُ : يَبْعَدُ .

(٤) هُوَ الْمُؤَلِّفُ . وَفِي ب : قَالَ لِلْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٥) فِي ١ : فِي الْمَبْسُوطَةِ . (٦) لَيْسَ فِي ١ .

(٧) أَيْ بِشَوْشٍ عَلَيْهِمْ . (٨) وَلَيْسَ : أَيْ كَرَاهَةُ رَفْعِ الصَّوْتِ .

(٩) مَسَاجِدُ الْجَمَاعَاتِ : أَيْ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَنَحْوِهَا .

(١٠) فِي ب : وَمَسْجِدُنَا : يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ .

(١١) الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ : مَسْجِدَ مَكَّةَ لِلشَّرْفَةِ . وَسُمِّيَ حَرَامًا لِحُرْمَةِ الْقِتَالِ فِيهِ ، وَكَذَا الصَّيْدُ ،

وَقَطْعُ أَشْجَارِهِ . قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَتَمَّةُ الْحَدِيثِ : وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ

فِي مَسْجِدِي هَذَا . وَالْحَدِيثُ فِي اللَّوْطِ : ١ - ١٩٦ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ : ١٠١٢

قال القاضي^(١) : اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة ؛ فذهب مالك في رواية أشهب عنه ، وقاله ابن نافع صاحبه ، وجماعة أصحابه - إلى أن [١٧٧] معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر^(٢) المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام ؛ فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف^(٣) .
واحتجوا بما روى^(٤) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه ؛ فتأتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسمائة ، وعلى غيره بألف .

وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه ؛ وهو قول^(٥) عمر ابن الخطاب ، ومالك ، وأكثر المدنيين^(٦) .

وذهب أهل مكة والسكوفة إلى تفضيل مكة ؛ وهو قول عطاء ، وابن وهب ، وابن حبيب من أصحاب مالك ، وحكاه الساجي عن الشافعي ؛ وحلوا الاستثناء

(١) هو المؤلف . (٢) سائر المساجد : باقيها .

(٣) قال الخفافى : أى أقل منه . وهو تأويل بعيد ، ومن استبعده من المالكية ابن عبد البر ، وناهيك به ، لما ثبت في مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير - أنه صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا للمسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة في مسجدى هذا ، وسيدكره المصنف قريبا ؛ وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي . كيف لا وقد مدحه الله تعالى ، وأمر بالحج إليه وفي الحديث أيضا أنه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة ، وهو يقول : والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولو لآنى أخرجت منك ما خرجت . كما رواه الترمذى والنسائى ، وقال : إنه حديث حسن . وفي هامشه ب : ألف - بدل الألف .

(٤) واحتجوا ؛ أى لما ذهبوا إليه من تفضيل المدينة .

(٥) وهو ؛ أى تفضيلها عليها .

(٦) وأكثر المدنيين : أى علماؤها .

في الحديث المتقدم على ظاهره ، وأن الصلاة في السجد الحرام أفضل ؛ واحتجوا بحديث [عبد الله] ^(١) بن الزبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) بمثل حديث أبي هريرة ؛ وفيه : وصلاة في السجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة .

وروى قتادة مثله ؛ فيأتي فضل الصلاة في السجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف .

ولا خلاف ^(٣) أن موضع قبره أفضل بقاء الأرض .
قال القاضي أبو الوليد الباجي : الذي يفتضيه الحديث مخالفة حكم مسجده مكة أسائر المساجد ^(٤) ، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة ^(٥) .

وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض .
وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضاً ؛ قال : وجمعة خير من جمعة ، ورمضان خير من ^(٦) رمضان .

وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثاً نحوه .
وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة .

(١) ليس في ١ .

(٢) الذي أخرجه أحمد ، وابن حبان .

(٣) قال السبكي : الإجماع على أن قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع ؛ وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة .

(٤) قال الخفاجي : حق مسجد الرسول ؛ لأنه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين .

(٥) حكمها ؛ أي حكم مكة في التفاضل . مع المدينة : بالقياس إليها بالتفاضل .

(٦) وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال أنه صلى الله عليه وسلم قال : صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها .

(٧) الحديث في الموطأ : ١ - ١٩٧ ، وصحيح مسلم : ١٠١٠ .

ومثله عن أبي هريرة، وأبي سعيد؛ وزادا^(١) : وَمِنْبَرِي عَلَى خَوْضِي .
وفي حديث آخر : مِنْبَرِي عَلَى تَرْعَةٍ مِنْ تَرْعِ الْجَنَّةِ .
قال الطبري : فِيهِ مَعْنَيَانِ :

أحدهما - أن المراد بالبيت بُيْتُ سُكْنَاهُ عَلَى الظاهر، مع أنه رُوي مَا بَيَّنَّهُ^(٢) :
بَيْنَ حَجَرَتِي وَمِنْبَرِي .

والثاني - أَنَّ الْبَيْتَ هُنَا الْقَبْرُ ؛ وَهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، كَمَا
رُويَ : بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي . قال الطَّبري : وَإِذَا كَانَ قَبْرُهُ فِي بَيْتِهِ انْفَقَتْ مَعَانِي
الرِّوَايَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا خِلَافٌ ؛ لِأَنَّ قَبْرَهُ فِي حَجَرَتِهِ ، وَهُوَ بَيْتُهُ .
وقوله : وَمِنْبَرِي عَلَى خَوْضِي : قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْبَرُهُ بِمَعْنَى الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا ؛
وَهُوَ أَظْهَرُ .

والثاني - أَن يَكُونَ لَهُ هُنَاكَ مَنْبَرٌ^(٣) .

والثالث : أَن قَصْدَ مَنْبَرِهِ وَالْحُضُورَ عِنْدَهُ لِلْمَلَاذِمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورَدُ الْخَوْضُ ،
وَيُوجِبُ الشُّرْبَ مِنْهُ ، قَالَه الْبَاجِي .

وقوله : رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ :

أحدهما - أَنَّهُ مُوجِبٌ^(٤) لَذَلِكَ ، وَأَنَّ الدَّعَاءَ وَالصَّلَاةَ فِيهِ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ ؛
كَأَقِيلٍ^(٥) : الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ^(٦) .

(١) في ب : وزاد . صحيح مسلم : ١٠١١

(٢) ما يبينه ويبين المراد منه ، وهو : ما بين حجرتي . . .

(٣) هناك : أى في المحشر عند الخوض . وما تقدم من قوله : « قيل يحتمل ... » هو الأول .

(٤) موجب لذلك : أى مقتض له انتضاء محققا .

(٥) في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة - رواه الحاكم في مستدركه .

(٦) ظلال السيوف : كناية عن القتال بها .

والثاني - أن تلك البُقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها ؛
قوله الداودي ^(١) .

وروى [١٧٨] ابن عمر ^(٢) وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة : لا يصبرُ على لأوائها ^(٣) وشِدَّتِها أحدٌ إلا كُفْتُ له شهيداً أو شفيماً
يومَ القيامة .

وقال فيمن تحمل ^(٤) عن المدينة : والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ^(٥) .
وقال ^(٦) : إنما المدينة كالسكير ^(٧) تنفي خبثها ، وينصع طيبها ^(٨) .

(١) قال ابن حجر : إن معنى قوله : روضة . . . أنه كروضة من رياض الجنة في نزول
الرحمة وحصول السعادة لمن يلزم حق ذكرها ؛ لاسيما في عهده صلى الله عليه وسلم ؛ فهو
تشبيه بليغ ؛ ومعناه أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة .

(٢) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ٩٩٢

(٣) اللأواء : الشدة والمشقة والضيق ، وجاءت بمعنى القحط .

(٤) تحمل عن المدينة : رحل عنها وفارقها مختاراً لسكنى غيرها .

(٥) الحديث في البخارى .

(٦) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٠٠٥ ، والموطأ : ٨٨٦ ، وسنن

الترمذى : ٥ - ٧٢٠

(٧) السكير : آلة للحداد ينفع بها النار لإيقادها على الحديد .

(٨) أى تخرج ماخبث منها ولا تقبله ، كما ينفي السكير خبث الحديد ؛ لأن ما فيه من الصدأ
والأجزاء التى ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة ، فكذلك المدينة لا يخرج
عنها ويختار غيرها من غير ضرورة إلا من خبث طويته ، فهو لا يترك فيها من فى قلبه غل وعدم
صدق ؛ فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكبره جيد الحديد من رديته . والحديث فى سنن

الترمذى : ٥ - ٥٢٠ ، ٥٢٢ .

وينصع : يخلص ويبقى خالصاً فيها ما طاب .

وفى النهاية : وتبضع طيبها ، كذا ذكره الزعزعى ، وقال : هو من أبضعة بضاعة إذا
دفعتم إلىه ، يعنى أن المدينة تعطى طيبها ساكنها . والمشهور بالنون والصاد المهملة . وقد روى
بالضاد والخاء المعجمتين ، وبالحاء المهملة من الضخ والنضح ، وهو رش الماء .

وقال^(١) : لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا^(٢) منه .
 ورؤي^(٣) عنه صلى الله عليه وسلم : من مات في أحد الحرمين حاجا أو مُعتَمِرا
 بعنه الله يوم القيامة لحساب عليه ولا عذاب .
 وفي طريق آخر^(٤) : بُعث من الآمنين^(٥) يوم القيامة .
 وعن ابن عمر^(٦) من استطاع أن يموت بالمدينة فَلَيِّمَتْ^(٧) بها ؛ فإني أشفعُ
 لمن يموت بها .

وقال تعالى^(٨) : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
 لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۖ ﴾ .

(١) رواه مسلم عن جابر . قال الخفاجي : رغب عنه إذا كرهه ، فلم يهَى عنه ذلك ، فلا ينافي
 أن بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال وغيره . والحديث في الموطأ : ٨٨٧
 (٢) عليها علامة الصحة في ١ ، وفي هامشه : خير .
 (٣) رواه البيهقي ، والدارقطني ، عن عائشة رضی الله عنها بسند ضعيف .
 (٤) في هذا الحديث للبيهقي ، والطبراني .
 (٥) أي من الآمنين من مناقشة الحساب والمذاب .
 (٦) في حديث رواه ابن ماجه ، وابن حبان ، والترمذي ، وصححه : سنن الترمذي :
 ٥ - ٧١٩ ، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السخيتاني .
 (٧) أن يموت بالمدينة : أي يقيم بها حتى يموت . فليمت بها : أي فليقم بها حتى يأتيه الموت .
 قال الخفاجي : والأمر للاستحباب .

(٨) سورة آل عمران ، آية ٩٦ . قال في نسيم الرياض : وهذا شروع في بيان فضل
 مكة . وضع للناس : جعل معبدا وقبلة لهم وبكة : هي مكة . مباركا : بركته : كثرة الخير ،
 ومضاعفة ثواب العمل فيه . وسئل صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس . فقال :
 المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس . فقيل : كم بينهما ؟ فقال : أربعون سنة . قال الخفاجي : وهو
 حديث صحيح ، لكنه مشكل ، لأن وضع المسجد في زمن إبراهيم ، ووضع بيت المقدس في
 زمن داود وسليمان ، وبينهما زمان أطول من تلك الأربعين بأضعاف مضاعفة . وأجيب بأن
 داود عليه السلام لم يضعه ، وإنما عمره .

قال بعضُ المفسرين : آمناً من النار . وقيل : كان يَأْمَنُ من الطلب مَنْ أحدث^(١) حَدَثًا خارجاً [عن الحرم]^(٢)، ولجأ إليه في الجاهلية^(٣)؛ وهذا مِثْلُ قَوْلِهِ^(٤) : ﴿وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ - على قول بعضهم .
وحُكِيَ أَنَّ قوماً أَتَوْا سَعْدُونَ^(٥) اَلْخَوْلَانِي بِالْمِنْصَتِيرِ^(٦) فَأَعْلَوْهُ أَنْ كُتَامَةَ قَتَلُوا رَجُلًا وَأَضْرَمُوا^(٧) عَلَيْهِ النَّارَ طَوْلَ اللَّيْلِ فَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ شَيْئًا ، وَبَقِيَ أَيْبُضَ اللَّوْنِ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ حِجَّ ثَلَاثَ حِجَجٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : حَدَّثْتَ أَنَّ مِنْ حِجٍّ حِجَّةٌ أَدَّى فَرَضَهُ ، وَمَنْ حِجَّ ثَانِيَةً دَايِنَ رَبِّهِ^(٨) ، وَمَنْ حِجَّ ثَلَاثَ حِجَجٍ حَرَّمَ اللَّهُ شَعْرَهُ وَبَشَرَهُ^(٩) عَلَى النَّارِ .

(١) من أحدث حدثاً : فعل أمر استحق به العقوبة .

(٢) ما بين القوسين ليس في أ .

(٣) في الجاهلية : زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم ؛ سُمِيَ بها لِكثَرَةِ الْجَهْلِ فِيهِ ؛ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَنَى جُنَايَةً وَدَخَلَهُ لَا يَمْسُكُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْرُجَ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٢٥ . مثابة : ملجأ لكل مطلوب .

(٥) في أ : سعدونا قال القارئ (٢ - ١٦٧) : والقياس صرف سعدون وحمدون ، وَلَكِنَّهُمَا وَقَعَا غَيْرَ مَصْرُوفَيْنِ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ مِنَ الْأَصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ .

(٦) قال التلصاقي ، إنه بضم الميم والنون ، ويجوز كسر نونه ، والمامة تفتحها . وفي شرح القارئ : بضم الميم وفتح نون وبكسر سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء : مكان بالقيروان وفي هامش ب : هو موضع رباط على ساحل البحر بين القيروان وتونس .

(٧) كُتَامَةُ : قبيلة من البربر . أضرموا عليه النار : أوقدوها بإيقاداً شديداً .

(٨) دايِنَ رَبِّهِ : أقرضه . قال الخفاجي : وتام الحديث : فينادى غدا ملك من عند الله : من كان له عند الله دين فليقم - وفي هامش أ : فينادى وبعده : من غير الرواية وفي هامش ب : فينادى وبعده : هذه الزيادة ثبتت في رواية أخرى ، وبها تم الحديث .

(٩) وبشره ؛ أى ظاهر جلده وبدنه ؛ أى لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم . قال الخفاجي : وهذا الحديث لا يعرف من رواه .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال: مَرَحَبًا بِكَ مِنْ يَتِّ؛
ما أعظمك وأعظم حرمتك !

وفي الحديث ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ
الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ ^(١) إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْمِيزَابِ ^(٢) .
وعنه صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ ^(٣) رَكَعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْنَيْنِ ^(٤) .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل : قرأتُ على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله ،
حدثك ^(٥) أبو العباس العُذْرِيُّ ؛ قال : حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد المَرْوِيُّ ،
حدثنا الحسن بن رَشِيق ، سمعتُ أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد، سمعتُ أبا بكر
محمد بن إدريس ، سمعتُ الحُمَيْدِي ؛ قال : سمعتُ سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ ، قال : سمعتُ
عُمَرُو بن دِينَار قال : سمعتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : مَا دَعَا أَحَدٌ بِشَيْءٍ فِي هَذَا الْمَلْتَزَمِ ^(٦) إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ .

قال ابن عباس : وَأَنَا فَا دَعَوْتُ اللَّهَ بِشَيْءٍ فِي هَذَا الْمَلْتَزَمِ مِنْذُ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اسْتُجِيبَ لِي .

(١) المراد الركن الذى فيه الحجر الأسود .

(٢) الميزاب : هو المسمى ميزاب الرحمة ؛ وهو مسيل ماء السطح ، وهو معروف من
جانب الحجر . وفي شرح القارى (٢ - ١٦٨) : لا يعرف مخرجه .

(٣) المقام : مقام إبراهيم الخليل الذى قام عليه لما بنى الكعبة .

(٤) رواه الديلمى ؛ ولفظه : مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ ، وَشَرِبَ
مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا بَالِغَةً مَا بَلَغَتْ . لَسَكُنَ قَالَ السَّخَاوَى . لا يصح .

ثم قال : وقد ذكره النووي فى مختصره ، وقال فيه : إنه باطل لا أصل له ، والله تعالى
أعلم . ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغار ؛ لقوله تعالى : إن الحسنات يذهبن
السيئات . (٥) هذا فى ١ ، ب . (٦) الملتزم : ما بين باب الكعبة والحجر الأسود .

وقال عمرو بن دينار : وأنا فما دعوتُ الله تعالى بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من ابن عباس إلا استُجيبَ لي .

وقال سُفيان : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من عمرو^(١) إلا استُجيبَ لي .

قال الحليدي : وأنا فما دعوتُ الله [١٧٩] بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من سُفيان إلا استُجيبَ لي .

وقال محمد بن إدريس : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من الحليدي إلا استُجيبَ لي .

وقال أبو الحسن محمد بن الحسن : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من محمد بن إدريس إلا استُجيبَ لي^(٢) .

قال أبو أسامة : وما أذكر الحسن بن رَشِيق قال فيه شيئاً^(٣) ؛ وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من الحسن بن رَشِيق إلا استُجيبَ لي من أمرِ الدنيا ، وأنا أرجو أن يُستجاب لي من أمر الآخرة .

قال العذري^(٤) : وأنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من أبي أسامة إلا استُجيبَ لي .

(١) عمرو : أي ابن دينار .

(٢) قال الحفاجي : وهذا الحديث مسلسل بالسمع ، رواه البيهقي ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما .

(٣) أي مثل ما سبق عن بقية مشايخ السلسلة ؛ قال القاري : وطى هذا فالسلسل هنا منقطع .

(٤) العذري : الراوي عن أبي أسامة .

قال أبو عليّ : وأنا فقد دعوتُ اللهَ فيه بأشياء كثيرة استُجيب لي بعضها ،
وأرجو من سَمَعِ فَضْلِهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِي بَقِيَّتِهَا .
قال القاضي أبو الفضل ^(١) : ذكرنا نَبْذًا ^(٢) من هذه النُّسُكُتِ في هذا الفصل
وإن لم تكن من الباب ^(٣) ، لتعلقها ^(٤) بالفصل الذي قبله حِرْصًا على تمام الفائدة ؛
واللهُ الموفق للصواب برحمته .

(١) هو المؤلف .

(٢) نبذا - بفتح النون وسكون اللوحدة وذال معجمة : أى شيئًا قليلًا . ويجوز ضم أوله
وفتح ثانيه على أنه جمع نبذة .

(٣) من الباب : من المعاني التي عقدها الباب ؛ فإنه مقود للصلاة على رسول الله وتعظيمه ؛
فذكر فضائل مكة وحرمة ما ليس منه .

(٤) الفصل الذي قبله : الذي يذكر فيه مسجده صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به .

القِسْمُ الثَّالِثُ

فَمَا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَوْ يَحُوزُ عَلَيْهِ ،
وَمَا يَمْتَنِعُ أَوْ يَصْحَ مِنْ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ ^(٢) وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ،
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .
وَقَالَ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ ^(٤) كَانَا بَا كِلَانِ الطَّعَامِ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ
أَنِّي يُؤْفِكُونَ .
وَقَالَ ^(٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ^(٦) .
وَقَالَ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٨) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٤

(٢) الانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين .

(٣) سورة المائدة ، آية ٧٥

(٤) أى ليس المسيح إلا رسولاً كغيره من الرسل ، له آيات ومعجزات مثلهم ، وليس
بإله . وأمه صديقة: أى صادقة فى أقوالها وأفعالها ، أو مصدقة للرسل . وهذا غاية أمرهما دون
ما يزعمون . (٥) سورة الفرقان ، آية ٢٠

(٦) فهو كغيره من البشر ، يصح له ماصح لهم .

(٧) سورة الكهف ، آية ١١٠

(٨) فلا يزيد على البشر إلا بما خصه الله به من الوحي والرسالة والتوحيد .

فحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ، ولولا ذلك لما أطاق الناس مُتآوَمَتهم^(١) ، والقبول عنهم^(٢) ، ومخاطبتهم .

قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ أَىٰ لِمَا كَانَ إِلَّا فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الَّذِينَ يُمْكِنُهُمْ مَخَالِطَتُهُمْ^(٤) ۖ إِذْ لَا تُطِيقُونَ مُقَامَةَ الْمَلِكِ وَمَخَاطَبَتَهُ وَرُؤْيَيْتَهُ إِذَا كَانَ عَلَىٰ صُورَتِهِ^(٥) .

وقال تعالى^(٦) : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مَطْمَئِنِّينَ أَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكَكَ رَسُولًا ۖ أَىٰ لَا يُمْكِنُ فِي سُنَّةِ اللَّهِ إِرْسَالُ الْمَلَكِ إِلَّا لِمَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِهِ^(٧) ، أَوْ مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَاصْطَفَاهُ وَقَوَّاهُ عَلَىٰ مُتَاوَمَتِهِ ، كَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ^(٨) .

فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يُبَلِّغُونَهُمْ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ^(٩) ، وَيُعَرِّفُونَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ مِنْ أَمْرِهِ وَخَلْقِهِ ، وَجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ^(١٠) ، وَجَبَرُوتِهِ وَمَلَكُوتِهِ ؛ فَظَوَاهِرُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ وَبَنِيَّتُهُمْ مُتَصِفَةٌ

(١) لما أطاق الناس مقاومتهم ؛ أى مقابلتهم في الأمور الدنيوية ؛ لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم .

(٢) والقبول عنهم ؛ أى ما بلغوهم عن الله مما أرسلوا به . (٣) سورة الأنعام ، آية ٩

(٤) في ب : مخاطبتهم . (٥) على صورته : أى الأصلية التي خلق عليها ابتداء .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٩٥

(٧) في سنة الله : في طريقته وعادته المستمرة . إلا لمن هو من جنسه : حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه .

(٨) فإنهم خلقهم الله بأبدان بشرية وأرواح ملكية ، فكانوا - دون غيرهم - مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته .

(٩) الوعد يستعمل في الخير ، والوعيد في الشر .

(١٠) سلطانه : قهره وغلبته ، أو حجته الباهرة . جبروته : كونه جباراً قهاراً . ملكوته : مالك الملك الذي لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .

بأوصاف البشر ؛ طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام ^(١) ،
والموت والفناء ^(٢) ، ونعوت الإنسانية ، وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من
أوصاف البشر ، متعلقة بالملا الأعلى ^(٣) ، مشبهة بصفات الملائكة ، سليمة من التغير
والآفات ^(٤) ، لا يلحقها غالبا [١٨٠] عجز البشرية ^(٥) ، ولا ضعف الإنسانية ؛
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة
ورؤيتهم ، ومخاطبتهم ومخاتمتهم ^(٦) ، كما لا يطيقه غيرهم من البشر .

ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة ^(٧) ، وبخلاف صفات
البشر ، أما أطاق البشر ومن أرسلوا ^(٨) إليهم لمخاطبتهم ، كما تقدم من قول الله
تعالى ^(٩) ؛ فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ^(١٠) ، ومن جهة الأرواح
والبواطن مع الملائكة ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم ^(١١) : « لو كنت متخذاً من

(١) الأعراض : جمع عرض ؛ أى العوارض فى الاجسام ، والمراد به مطلق الآلام ، أو
الأمراض .

(٢) الموت : ضد الحياة . والفناء : تفرق الأعضاء وتفترتها حتى تضمحل .
قال الحفاجى : وهذا لا يكون فى الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن الله تعالى حرم على الأرض
أن تأكل أجساد الأنبياء .

(٣) بأعلى : بأوصاف أعلى منها : من الفضائل الروحانية ، والتبرى من الملائق الجسدية ؛
كحب المال والتتم بالمال كل والمشارب ؛ فأرواحهم وبواطنهم متعلقة بالملا الأعلى .

(٤) الآفات : النقائص (٥) عجز البشرية : كالجن ، والخوف المفرط .

(٦) مخالمتهم : اتخاذهم أخلاء وأصدقاء .

(٧) متسمة : موصوفة . ونعوت الملائكة : صفاتهم . (٨) ومن أرسلوا : هم الأنبياء .

(٩) هو قوله تعالى : ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ؛ أى لما كان إلا فى صورة البشر - كما

تقدم . « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » .

(١٠) البشر : أى موافقين لهم فى صورتهم .

(١١) فى حديث رواه البخارى وغيره : صحيح مسلم : ١٨٥٥

أُمِّي خَلِيلًا لَا تَخْذُتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ ، لَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ^(١) .

وَمَا قَالَ : « تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي ^(٢) » .

وَقَالَ ^(٣) : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَةِكُمْ ؛ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَبَسَقِيْنِي ^(٤) » .

فَبَوَّاطُهُمْ ^(٥) مَنْزَهَةٌ عَنِ الْآفَاتِ ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْاِعْتِلَالَاتِ .

وَهَذِهِ جَمَلَةٌ لَنْ يَكْتَفِيَ بِمَضْمُونِهَا كُلُّ ذِي هِمَّةٍ ؛ بَلْ الْأَكْثَرُ يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ

وَتَفْصِيلٍ عَلَى مَا نَأْتِي بِهِ بَعْدَ هَذَا فِي الْبَابَيْنِ بِمَوْنِ اللَّهِ ؛ وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ :

(١) أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ : أَيْ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَلِيلِي فَهُوَ أَخِي فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَفِي دِينِ الْإِسْلَامِ لِاشْتِرَاكِ

مَعِيَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ دِينِهِ ، وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ . صَاحِبُكُمْ : يَرِيدُ النَّبِيَّ نَفْسَهُ .

(٢) قَالَ الْحُفَّاجِيُّ : وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَشَرِي ، وَبَاطِنُهُ

مَلَكِي . وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٢ - ٦٤

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ فِي النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الْوَصَالِ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٧٧٤ ، ٧٧٦

(٤) أَيْ يَهْنِي قُوَّةَ عَلِيٍّ ذَلِكَ ، حَتَّى أَكُونَ كَأَنِّي أَكَلْتُ وَشَرَبْتُ . وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَطْعِمُهُ

وَيَسْقِيهِ حَقِيقَةً .

(٥) بَوَّاطُهُمْ : بَوَّاطُنُ الْأَنْبِيَاءِ .

البَابُ الْأَوَّلُ

فَمَا يَخْتَصُّ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَلَامِ فِي عِصْمَةِ ^(١) نَبِيِّنَا

وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

قال القاضي ^(٢) أبو الفضل رضى الله عنه : اعلم أن الطوارئ من التغيرات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه ، أو على حواسه ^(٣) بغير قصد واختيار ؛ كالأمراض والأسقام ، أو بقصد واختيار ^(٤) ؛ وكله في الحقيقة عمل وفعل ؛ ولكن جرى رسم المشايخ ^(٥) بتفصيله إلى ثلاثة أنواع : عقد ^(٦) بالقلب ، وقول ^(٧) باللسان ، وعمل ^(٨) بالجوارح .

وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها .

والنبي - صلى الله عليه وسلم ، وإن كان من البشر ، ويجوز على جبلته ^(٩) ما يجوز على جبلته البشر ؛ فقد قامت البراهين القاطعة ، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم ، وتنزيهه ^(٨) عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار ^(٩) ، كما سنبينه - إن شاء الله - فيما يأتي من التفاصيل .

(١) العصمة : تخصيص قدرته بالطاعة دون العصية ، أو خلق مانع فيه عن العصية ، لكن لا بحيث أن يسلب اختياره ويجبره على الطاعة ؛ بل هي لطف من الله بحمله على الطاعة وإنزجره عن العصية ، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للائتناء والتكليف . (٢) هو المؤلف القاضي عياض .

(٣) حواسه : جمع حاسة ، وهي ما يدرك به : من البصر والسمع والشم واللمس والذوق .

(٤) كأفعال العبد وأعماله . (٥) جرى رسم المشايخ : أى دأبهم .

(٦) عقد بالقلب : نية وعزم صادق . وقد ضبطت الكلمات الثلاث : عقد ، وقول ، وعمل -

بالضمة والكسرة ، وعليها كلمة « مما » . (٧) الجيلة : الطبيعة والخلقة التى خلق عليها .

(٨) على خروجه عنهم : أى خروج النبي عن جنس البشر . وتنزيهه : أى بعبده .

(٩) لتكريم الله له بالعصمة من أمثالها .

فصل

في حكم عقد^(١) قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته
اعلم ، منحنا الله وإياك توقيفه ، أن ما تعلق منه^(٢) بطريق التوحيد ، والعلم بالله
وصفاته ، والإيمان به ، وبما أوحى إليه - فعلى غاية المعرفة^(٣) ، ووضوح العلم -
واليقين ، والانتفاء عن الجَهْل بشيء من ذلك ، أو الشك أو الريب فيه ، والعصاة
من كل ما يُضادُّ المعرفة بذلك واليقين .

هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ، ولا يصحُّ بالبراهين الواضحة أن يكون
في عقود الأنبياء سواه^(٤) ؛ ولا يُعترضُ على هذا بقول إبراهيم عليه السلام^(٥) :
﴿ قَالَ : بلى ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ؛ إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له
بإحياء الموتى ، ولكن أراد طمأنينة^(٦) القلب ، وترك المنازعة^(٧) لمشاهدة الإحياء ؛
فحصل له العلم الأول بوقوعه^(٨) ، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته^(٩) .

(١) المراد بعقد قلبه : ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به بما ثبت عنه يقيناً . فمقد القلب هو
الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض أصلاً .

(٢) منه : من عقد قلب النبي ، أى اعتقاده وعلمه الجازم الذى اتصف به بعد نبوته .

(٣) فعلى غاية المعرفة : يعنى أن علم الأنبياء التعلق بأصول الدين والمقائد وصل إلى النهاية
والغاية التى لا يصل إليها سواهم .

(٤) عقود الأنبياء : عقائدهم التى ارتبطت عليها قلوبهم .

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٦٠

(٦) قال الخفاجى : قال الراغب : الاطمئنان : السكون بعد الانزعاج ، فطمأننته زوال
قلقه وانزعاجه من أمر ما .

(٧) وترك المنازعة : ترك القلق .

(٨) فحصل له العلم الأول : يتيقن وقوعه من الله إجمالاً من غير شبهة فيه .

(٩) ومشاهدته : أى مشاهدة صدوره عن الله تفصيلاً ، ليزيد علمه واطمئنانه ؛ لا أنه شك

فيه ؛ أى إنه لم يشك ولم يجهل ، وإنما أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين .

الوجه الثاني^(١) : أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار [١٨١] منزلته عند ربه ، وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ؛ ويكون قوله تعالى^(٢) : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ ؛ أى تصدق بمنزلتك منى ، وخلفتك^(٣) ، واصطفائك ؟

الوجه الثالث - أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة ، وإن لم يكن في^(٤) الأول شك ؛ إذ العلوم الضرورية والنظرية^(٥) قد تنفاضل في قوتها ، وطريقتان^(٦) الشكوك على الضروريات ممتنع ؛ ومجوز^(٧) في النظريات ؛ فأراد الانتقال من النظر والخبر إلى المشاهدة والترقى من علم اليقين إلى عين اليقين^(٨) ؛ فليس الخبر كالمأينة ؛ ولهذا قال سهل بن عبد الله : سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله .

الوجه الرابع - أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيى ويميت طلب ذلك^(٩) من ربه ، ليصيح احتجاجه عيانا^(١٠) .

(١) الوجه الثاني في جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل إبراهيم .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٠

(٣) وخلفتك : أى تخاذلك خليلا . واصطفائك : واختيارك على غيرك تشريفا وتسكرا مالاك .

(٤) فى الأول : فى علمه الأول الذى كان قبل المشاهدة .

(٥) العلوم الضرورية : التى تحصل من غير استدلال لظهورها . والعلوم النظرية : التى

تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بدئية . (٦) وطريقتان : وحدوث ، ووقوع .

(٧) يعنى أن علم الخليل بذلك أولا كان نظريات يقينا لاشبهة فيه ، ولكن النظريات من

شأنها أنها تختمل الشكوك ؛ فأراد الانتقال إلى رتبة أعلى منها يكون علمه بقدره الله على الإحياء

ضروريا فيها لا يَحتمل خلافه أصلا ليطمئن قلبه بذلك فقط .

(٨) من النظر : من العلم الحاصل من البرهان القطعى اليقيني الذى لا يحتمل النقيض ، أو

الخبر الصادق بالوحى إليه الذى لا شك فيه إلى المشاهدة والنظر بعينه . والترقى ؛ أى الصعود ،

من علم اليقين الحاصل بالنظر أو الخبر ، إلى عين اليقين الحاصل بمشاهدته عيانا .

(٩) طلب ذلك : أى سأل ربه الإحياء وكيفيته .

(١٠) عيانا : مشاهدة ، ليقطع عنادهم ، ويبطل شكوكهم ، وهو فى نفسه غير متردد فيه .

الوجه الخامس - قول بعضهم: هو سؤالٌ على طريقِ الادب؛ والمراد: أقدرني على إحياء^(١) الموتى، وقوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾ - عن هذه الأمنية .
الوجه السادس - أنه أرى من نفسه^(٢) الشكَّ ، وما شكَّ ، لكن ليَجَاوَبَ فِرْزَادَ قُرْبِهِ^(٣) .

وقولُ نبينا : نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم^(٤) - نفى لأن يكونَ إبراهيمُ شكَّ ، وإبعادُ للخواطر الضعيفة^(٥) أن تظنَّ هذا بإبراهيم؛ أى نحن موقنون بالبعث، وإحياء الله الموتى؛ فلو شكَّ إبراهيمُ لكُنَّا أولى بالشكِّ منه؛ إِمَّا عَلَى طريقِ الأدب ، أو أن يريدَ أمتَه الذين يجوزُ عليهم الشكُّ ، أو على طريقِ التواضع والإشفاق^(٦) إن حَمَلَتِ قِصَّةَ إبراهيمَ عَلَى اختبارِ حاله ، أو زيادةٍ يقينه .
فإن قلتَ : فما معنى قوله^(٧) : ﴿فإن كنتَ فى شكٍّ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتابَ من قبلك لقد جاءك الحقُّ من ربِّك فلا تكوننَّ من المُمترين . ولا تكوننَّ من الذين كذبوا بآياتِ الله فتَكُون من الخاسرين﴾ .

(١) ليكون معجزة له .

(٢) أرى من نفسه : أى أظهر لنيره من نفسه الشك .

(٣) فِرْزَادَ قُرْبِهِ من الله حال مناجاته له وتلذذه بمخاطبه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتناؤه بإجابته .

(٤) فى صحيح مسلم (١٨٣٩) : عن أبي هريرة أن رسول الله قال : نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم إذ قال : رب أرني كيف تحي الموتى . قال : أولم تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .
(٥) قال الحفاجى : وحاصله أنه صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه يبرهان قوى وقياس منطقى ، تقريره : لو شكَّ إبراهيمُ كنت أنا شاكا أيضا ؛ بل أحق وأولى به ؛ لأنه لا يجوز على غيرى من الأنبياء ، وما كنت بدعا من الرسل ؛ وقد علم أنى لم يقع منى شك ، فكذلك إبراهيم أيضا ؛ ففناه بنفى لازمه ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم .

(٦) والإشفاق : أى الخوف من أن يبطل بما ابتلى به .

(٧) سورة يونس ، آية ٩٤ ، ٩٥

فاحذَر - ثَبَّتَ اللهُ قَلْبَكَ - أَنْ يَخْطُرَ بِيَاكَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ ، عَنْ
ابن عباس أو غيره - مِنْ إِبْثَاتِ شَكِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ
مِنَ الْبَشَرِ ^(١) ؛ فَنُزِّلُ هَذَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ جَمَلَةٌ ؛ بَلْ قَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ : لَمْ يَشْكُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَسْأَلْ ^(٢) .

ونحوه عن ابن جُبَيْر ، وَالْحَسَنَ ^(٣) .

وَحَكَى قَتَادَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ ، وَعَامَّةُ
الْمَفْسِّرِينَ عَلَى هَذَا ^(٤) » .

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ : فَقِيلَ : الْمُرَادُ قُلُوبُ يَأْمَحِدُ لِلشَّكِّ ^(٥) : ﴿ إِنْ كُنْتُ
فِي شَكٍّ . . . ﴾ الْآيَةِ .

قَالُوا : وَفِي السُّورَةِ نَفْسِهَا مَا دَلَّ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ ^(٦) : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ
الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْخُطَابِ الْعَرَبُ وَغَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا قَالَ ^(٧) :
﴿ أَتَنْ أَسْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ - الْخُطَابُ لَهُ ،
وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ .

(١) فَيَطْرَأُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ .

(٢) وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَفِي ١ : وَلَمْ يَسْأَلْ .

(٣) هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .

(٤) عَلَى هَذَا : أَيْ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ شَكٌّ أَوْ سَأَلٌ .

(٥) سُورَةُ يُونُسَ ، آيَةُ ٩٤ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ .

(٦) سُورَةُ يُونُسَ ، آيَةُ ١٠٤ (٧) سُورَةُ الزُّمَرِ ، آيَةُ ٦٥

ومثله^(١) : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ^(٢) مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ^(٣) 》 ؛ ونظيره كثير .
قال بكر بن العلاء : أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ^(٤) : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا
بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ 》 ؟ وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما
يَدْعُو إليه ؛ فكيف يكون مَن كَذَّبَ به ؟
فهذا كله يَدُلُّ على أَنَّ المراد بالخطاب غيره .

ومثله هذه الآية قوله^(٥) : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا 》 - المأمورُ ها هنا غَيْرُ
النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ليسألَ النبيَّ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو [١٨٢]
الْخَبِيرُ الْمَسْئُولُ ، لا الْمَسْتَحْبِرُ السَّائِلُ .

وقال^(٦) : إِنْ هَذَا الشَّكُّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِ
الَّذِينَ يَقْرَءُونَ السِّكِّتَابَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ ، لا فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنَ
التَّوْحِيدِ وَالشَّرِيعَةِ^(٧) .

ومثله هذا قوله تعالى^(٨) : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أَجَعَلْنَا
مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ 》 ؟ المراد^(٩) به المشركون ، وَالْخَطَابُ مُوْاجِهَةٌ^(١٠) لِلنَّبِيِّ

(١) سورة هود ، آية ١٠٩ (٢) في مريّة : في شك وريب .

(٣) مما يعبد هؤلاء : أى لا تشك في أنه ضلال باطل مؤد إلى العذاب الشديد .

(٤) سورة يونس ، آية ٩٥ (٥) سورة الفرقان ، آية ٥٩

(٦) وقال : أى بكر بن العلاء . وقوله هذا في آية : فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ . . .

(٧) والشريعة : التى شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبلغها لهم ، وأمرهم باتباعها ؛

فإن هذا أمر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسؤال أهل الكتاب ؛ وإنما تندفع بالبراهين

والمعجزات الباهرة . (٨) سورة الزخرف ، آية ٤٥

(٩) المراد به ؛ أى بالسؤال . المشركون للوجودون من أهمهم لاستحالة سؤاله من مضى

منهم . والمعنى : اسأل من ألفت من أهمهم : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون - بالاستفهام

الإنكارى التكذيبى . (١٠) مواجهة للنبي : لأمره به ظاهرا ، والمقصود غيره من المشركين .

صلى الله عليه وسلم ؛ قاله العُتبي^(١) .
وقيل معناه : سَلْنَا عَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ؛ فَحُذِفِ الْخَافِضُ^(٢) ، وَتَمَّ
الْكَلَامُ ؛ ثُمَّ ابْتَدَأَ : ﴿ أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، عَلَى طَرِيقِ
الْإِنْكَارِ ؛ أَيْ مَا جَعَلْنَا ؛ حَكَاهُ مَكِّي .

وقيل : أَمِيرُ الْعَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْأَلَ الْأَنْبِيَاءَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنْ ذَلِكَ ؛
فَكَانَ أَشَدَّ يَقِينًا مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى السُّؤَالِ .

فَرُوي أَنَّهُ قَالَ : لَا أَسْأَلُ ؛ قَدْ اكْتَفَيْتُ^(٣) ؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ .

وقيل : سَلْ أُمَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا ؛ هَلْ جَاءَهُمْ بِغَيْرِ التَّوْحِيدِ ؟ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ
مُجَاهِدٍ ، وَالشَّدَى ، وَالضَّحَّاكَ ، وَقَتَادَةَ .

وَالْمُرَادُ بِهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ إِعْلَامُهُ بِمَا بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَأْذَنْ
فِي عِبَادَةٍ غَيْرِهِ لِأَحَدٍ ؛ رَدًّا عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فِي قَوْلِهِمْ^(٤) : إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(٥) .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى^(٦) : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ
رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ؛ أَيْ فِي عِلْمِهِمْ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ
يُقَرِّبُوا بِذَلِكَ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ شَكُّهُ فِيمَا ذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ^(٧) .

(١) هذا الضبط في ا ، ب . وفي هامش ب : القتي - بالقاف . (٢) الخافض : هو عن .

(٣) قال الخفاجي : وليس فيه مخالفة لأمر الله بالسؤال ؛ لأنه ليس أمر إيجاب ؛ بل إظهار

لعلمه وشدة يقينه .

(٤) إشارة إلى مافي سورة الزمر ، آية ٣ ، والتلاوة في الآية : ما نعبدكم إلا ليقربونا . . .

(٥) زلفى : قربي . (٦) سورة الأنعام ، آية ١١٤

(٧) أى آية : فإن كنت في شك ؛ إذ المراد به هنا شكهم في كونه رسول الله ، وهناك

الشك فيما أنزل الله تعالى . ولم يقع شك منه صلى الله عليه وسلم . أو المعنى لا يمكن عندك شك ؛

فالمراد ظاهرا نفيه عن الشك ، والمراد نهى غيره ؛ كقوله تعالى : قل يا أيها الناس إن كنتم في

شك من ديني . . .

وقد يكون^(١) أيضا على مثل ما تقدم^(٢) ؛ أى قل يا محمد لئن آمترى فى ذلك : لا تكونن من الممترين ، بدليل قوله أول الآية : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾^(٣) ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين ؛ وأن النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره .

وقيل : هو تقرير ؛ كقوله تعالى^(٤) : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِيَّ الْهَيْئَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ - وقد علم أنه لم يقل .

وقيل : معناه ما كنت فى شك فاسأل^(٥) تزدد طمأنينة وعلمنا إلى علمك وبقينك .
وقيل : إن كنت تشك فيما شرّفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر^(٦) فضائلك .

وحكى عن أبى عبيدة أن المراد : إن كنت فى شك من غيرك فيما أنزلناه^(٧) .
فإن قيل : فاما معنى قوله^(٨) : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرِّسَالُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ - على قراءة التخفيف ؟

(١) أى قوله تعالى : فلا تكونن من الممترين .

(٢) على مثل ما تقدم ؛ أى على طريقته فى التأويل السابق بأن يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والقصود غيره .

(٣) أى لا أريد حاكما غير الله يحكم بينى وبينكم يميز الحق والمبطل ؛ فهذا صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم مبرا عن الشك والريب .
(٤) سورة المائدة ، آية ١١٦

(٥) فى ١ : فصل : أى اسأل الذين يقرءون الكتاب لعلمهم بصحة ما أنزل إليك من ربك .

(٦) ونشر فضائلك : ما انتشر فيها وشاع من فضائلك التى فضلك الله بها على غيرك من الرسل .

(٧) من غيرك : من اعتقاد غيرك : فيما أنزلناه عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسأل

الذين يقرءون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه . وأبو عبيدة : هو معمر بن النخعي من أكابر أئمة اللغة . توفي سنة عشر ومائتين .
(٨) سورة يوسف آية ١١٠

قلنا : المعنى فى ذلك ما قالته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : معاذ الله ^(١) أن تَظُنَّ ذلك الرسل ^(٢) ربَّها ؛ وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استَيَّأَسُوا ظَنُّوا أن مَنْ وعدم النصْرَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ كَذِبُومٌ ^(٣) ؛ وعلى هذا أ كثر المفسرين .
وقيل : إنَّ الضمير فى « ظَنُّوا » عائد على الاتِّباع والأَمر ، لا على الأنبياء والرسل ؛ وهو قولُ ابن عباس ، والنَّخَعى ، وابنُ جُبَيْر ، وجماعة من العلماء .
وبهذا المعنى قرأ مجاهد « كَذَبُوا » - بالفتح ؛ فلا تَشْغَلْ بِاللَّك من شاذ ^(٤) التفسير بسواه مما ^(٥) لا يليق بِمَنْصِبِ العلماء ، فكيف بالأنبياء !
وكذلك ^(٦) ما وَرَدَ فى حديث السيرة ، ومُبْتَدَأُ الْوَحْيِ ؛ مِنْ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم للديجة : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ^(٧) » - ليس معناه الشك فيما آتاهُ اللهُ بعد رؤيةَ الْمَلَك ؛ ولكن لعلَّه خَشِيَ ألاَّ تَحْتَمِلَ قُوَّتُهُ مَقَاوِمَةَ الْمَلَك ^(٨) [١٨٣] وَأَعْبَاءُ الْوَحْيِ ، فَيَنْخَلِيعَ قَلْبُهُ ، أو تَزْهَقَ ^(٩) نَفْسُهُ .

-
- (١) معاذ الله : أزه الله ، وأبرئه .
(٢) أى أن تظن أن الله أخلفهم ما وعدهم به .
(٣) كذبوم : أخافوا ما وعدوا رسالهم به من نصرهم على عدوهم ؛ فليس يأسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس من نصر الله .
(٤) شاذ التفسير : غريبه مما لم يشتهر .
(٥) فى ١ : بما . . .
(٦) وكذلك : أى مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاءه من الوحى وهو مؤول . أو مثل قوله : استيأس الرسل . . .
(٧) لقد خشيت على نفسى : خفت عليها ؛ فإن ظاهره أنه شك فى أنه وحى آتاه به الملك ؛ لأن مثله - صلى الله عليه وسلم - لا يخشى . والخبر فى صحيح مسلم : ١٤١
(٨) مقاومة الملك : مقاباته ، وألا يقوم بحقه ومكالته .
(٩) تزهق نفسه : تخرج روحه من فزعه وخوفه .

وهذا على ما ورد في الصحيح : أنه قاله بعد لقائه الملك ؛ أو يكون ذلك قبل تقيّاه^(١) وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عُرِضت عليه من العجائب^(٢) ، وسلم عليه الحجر والشجر^(٣) ، وبدأته المنامات والتبشير^(٤) ؛ كما روى في بعض طرق هذا^(٥) الحديث : إن ذلك كان أولا في المنام ، ثم أرى في اليقظة مثل ذلك ؛ تأنيسا له عليه السلام ؛ لئلا يَفْجَأَه الأمرُ مشاهدة ومشاهدة ؛ فلا تَحْتَمِلُهُ لأول حالة بنية البشرية^(٦) .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : « أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة^(٧) » ؛ قالت : ثم حُبِبَ إليه الخلاء^(٨) ؛ وقالت :

(١) في ١ : لقائه الملك . والمثبت في ب .

(٢) من العجائب : من الأمور الخارقة للعادة .

(٣) في صحيح مسلم ، من حديث جابر بن سمرة ، قال : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن . والحديث في سنن الترمذي أيضا : ٥ - ٥٩٣ ، ورواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٣ .

(٤) المنامات : ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره في النوم ، فكان لا يرى مناما إلا جاء مثل فلق الصبح . ورؤيا الأنبياء قسم من الوحي . والتبشير : العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على النتائج .

(٥) أي حديث مبتدأ الوحي : وهو في البخاري : ٦ - ٢١٤ ، وصحيح مسلم : ١٤١ .

(٦) بنية البشرية ؛ أي الإنسان ؛ فإنه لا يطبق رؤية الملائكة ابتداء . قال الحفاجي : وهذا إشارة إلى حديث البخاري من أنه صلى الله عليه وسلم كان في أول أمره يجاور في كل سنة شهرا في غار حراء يتعبد فيه ، وكان ذلك عادة قريش ، فإذا انصرف صلى الله عليه وسلم منه طاف بالبيت ورجع لبيته ؛ فكان يرى في منامه ما يرى ، ثم جاءه جبريل . . .

(٧) فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وهكذا رؤيا الأنبياء عليهم والسلام ،

فإنها قسم من الوحي - كما تقدم . وحديث عائشة في صحيح البخاري : ٦ - ٢١٤ .

(٨) أي الانفراد عن الناس ، ليفرغ قلبه مما سوى الله ليتمكن الوحي منه إذا أتاه

فيصادف قلبا خاليا متمسكنا .

إلى أن جاءه الحق^(١) وهو في غار حراء^(٢) . . . الحديث .

وعن ابن عباس^(٣) : « مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء^(٤) سبع سنين ولا يرى شيئاً ؛ وثمان سنين يوحى إليه .

وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - وذكر جواره^(٥) بغار حراء ؛ قال : « لجأني وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ وذكر نحو حديث عائشة في غطه^(٦) له وإقرائه [إياه]^(٧) : « اقرأ باسم ربك . . . » .
السورة - [ثلاثاً]^(٨) .

قال : فأنصرف عني ، وهببت^(٩) من نومي كأنما صوّرت^(١٠) في قلبي ، ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون^(١١) .

(١) الحق : أى الوحي الذى تحققه ورآه عياناً .

(٢) غار حراء : بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار السائر لى .

(٣) رواه ابن سعد عنه .

(٤) يسمع الصوت : يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه . ويرى الضوء : أى نور الملك من

غير رؤية ذاته ؛ لأن الملائكة أنوار مجردة .

(٥) جواره : مجاورته ، واعتكافه ، وإقامته متعبداً بنار حراء .

(٦) غطه له : شدة ضمه ليعصره عن الدنيا ويوقظه لما يلقى له .

(٧) ما بين القوسين ليس فى ب . والخبر فى سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٥

(٨) هب من نومه : استيقظ .

(٩) صوّرت فى قلبه : مثلث السورة فى قلبه لحفظها .

(١٠) من شاعر أو مجنون : أى من أن يقال لى شاعر أو مجنون .

قال الخفاجى : وإنما بغض هذا إليه ؛ لأنه إذا أخبر قريشاً أنه جاءه ملك يوحى يتلوهم عليهم -

فإنهم من يقول إنه شاعر ، ومنهم من يقول : إنه مجنون .

ثم قلت : لا تَحَدِّثْ عَنِّي قَرِيشَ بهذا أبداً ؛ لأَعْمِدَنَّ إِلَى حَالِقِ هَذَا الْجَبَلِ
فَلَا تُطْرَحَنَّ^(١) نَفْسِي مِنْهُ ، فَلَا تُقْتَلَنَّهَا^(١) .

فبينما أنا عامِدٌ^(٢) لذلك إِذْ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ : يَا مُحَمَّدُ ؛ أَنْتَ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَا جَبْرِيلُ ؛ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا جَبْرِيلُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ^(٣) ...
وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

فقد بَيَّنَّ لَكَ فِي هَذَا أَنَّ قَوْلَهُ لِمَا قَالَ ، وَقَصْدَهُ لِمَا قَصَدَ ، إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ لِقَاءِ
جَبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَقَبْلَ إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالنَّبُوءَةِ ، وَإِظْهَارِهِ اصْطِفَاءَهُ لَهُ
بِالرَّسَالَةِ^(٤) .

وَمِثْلُهُ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ شُرْبِيلَ^(٥) - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَخَدِيجَةَ : « إِنِّي
إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نَدَاءً ، وَقَدْ خَشَيْتُ - وَاللَّهِ - أَنْ يَكُونَ هَذَا لِأَمْرِ^(٦) » .
وَمِنْ رَوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَخَدِيجَةَ : « إِنِّي
لَأَسْمَعُ صَوْتًا ، وَأَرَى ضَوْءًا ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جُنُونٌ »^(٧) .

(١) لأَعْمِدَنَّ : لأَقْصِدَنَّ . حَالِقِ الْجَبَلِ : الْمَسْكَنُ الْمُرْتَفِعُ مِنْهُ . وَفِي هَامِشِ ب : الْحَالِقُ :
الْجَبَلُ الْمُرْتَفِعُ . فَلَا تُقْتَلَنَّهَا بِرَمِيهَا مِنَ الْجَبَلِ حَتَّى لَا يَبْلُغَنِي مَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ مِنْ أَنِّي شَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
إِذَا بَلَغَنَّهُمْ مَا جَرَى لِي .

(٢) عامِدٌ لَتِلْكَ : قَاصِدٌ لِلِلِقَاءِ نَفْسِي مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ لِأَهْلِكَهَا حَتَّى لَا أَسْمَعَ مَا قَدْ يَتَحَدَّثُونَ
بِهِ فِي حَقِّي . قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا كَانَ هَاجِسًا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشِدَّةِ حِمِيَّتِهِ
وَعَبْرَتِهِ عَلَى عَرَضِهِ .

(٣) مُتَمَثِّلًا بِصُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ حَتَّى لَا يَهْوِلَهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ . وَالْخَبَرُ فِي سِيرَةِ
ابْنِ هِشَامٍ : ١ - ٢٥٥ .

(٤) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : أَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَخْشَى أَحَدًا ، وَلَا يَتَوَهَّمُ شَيْئًا يَضِيقُ
بِهِ صَدْرُهُ . (٥) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٦) لِأَمْرِ بِصِيْنِي مِمَّا لَمْ أَحِطْ بِهِ خَبْرًا . قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَقَالَتْ لَهُ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ ذَلِكَ ،
فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتَوَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ؛ فَتُنْكَ لَا يَخْشَى أَمْرًا شَيْطَانِيًّا .
(٧) وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ ظُهُورِ الْأَمْرِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَايَةُ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ رَوَاهَا الطَّبْرَانِيُّ .

وعلى هذا يُتَأَوَّلُ لو صَحَّ قوله في بعض هذه الأحاديث : إِنْ الْأَبْعَدُ شَاعَرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ؛ وَالْأَفْظَا يُفْهَمُ مِنْهَا مَعَانِي الشَّكِّ فِي تَصْحِيحِ مَا رَأَاهُ ؛ وَأَنَّهُ كَانَ كَلَامَهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ ، وَقَبْلَ لِقَاءِ الْمَلَكِ لَهُ ، وَإِعْلَامِ اللَّهِ أَنَّهُ رَسُولُهُ ؛ فَكَيْفُ وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَفْظَا لَا تَصِحُّ طُرُقُهَا ^(١) .

وَأَمَّا بَعْدَ إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَلِقَائِهِ الْمَلَكُ فَلَا يَصِحُّ فِيهِ رَيْبٌ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ شَكٌّ فِيمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ شَيْوْخِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرْفِقُ ^(٢) بِمَكَّةَ مِنَ الْعَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ أَصَابَهُ نَحْوُ مَا كَانَ يُصِيبُهُ ؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : أَوَجَّهَ إِلَيْكَ مِنْ يَرْفِقُكَ ؟ قَالَ : أَمَّا الْآنَ فَلَا ^(٣) . وَحَدِيثُ خَدِيجَةَ وَاجْتِبَارُهَا أَمْرَ جَبْرِيلَ بِكَشْفِ رَأْسِهَا ^(٤) الْحَدِيثُ - إِنَّمَا ^(٥) ذَلِكَ فِي حَقِّ خَدِيجَةَ لِمُتَحَقِّقِ صِحَّةِ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ [١٨٤] مَلَكٌ ، وَيَزُولُ الشَّكُّ عَنْهَا ، لَا أَنَّهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِاخْتِبَارِهِ هُوَ حَالَهُ بِذَلِكَ .

(١) طرقها : أى أسانيدها .

(٢) مِنَ الرِّقِيَةِ الْعُرُوفَةِ ؛ أَيْ صِيَانَةِ لَهُ مِنْ إِصَابَةِ الْعَيْنِ .

(٣) أَيْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرْفِقَنِي الْآنَ فَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ ؛ أَيْ لِحَاجَةِ لِي بِالرَّقِيِّ بَعْدَ نَزُولِ الْقُرْآنِ ؛

فَإِنَّهُ شَفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ .

(٤) لِأَنَّ الْمَلَكَ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ عَوْرَةٌ مَكْشُوفَةٌ ؛ وَالرَّأَةُ الْحُرَّةُ بِدَنَافِهَا كَلَامٌ عَوْرَةٌ . وَكَانَتْ قَدْ

قَالَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَتَاكَ جَبْرِيلُ فَأَخْبِرْنِي بِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَأَخْبَرَهَا كَشَفَتْ رَأْسَهَا فَارْجَعْ ،

فَعَلَتْ أَنَّهُ مَلَكٌ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَيْطَانًا دَخَلَ الْبَيْتَ . وَالْخَبَرُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : ١ - ٢٥٧

(٥) إِنَّمَا ذَلِكَ الْاجْتِبَارُ وَالشَّكُّ وَالتَّرَدُّدُ وَاقَعَ فِي حَقِّ خَدِيجَةَ ، وَلَيْسَ صَادِرًا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَتَوَهَّمُ شَكٌّ فِي نَزُولِ الْمَلَكِ عَلَيْهِ .

بل قد وردَ في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - أن ورقة أمر خديجة أن تُخبرَ الأمرَ بذلك ^(١) .

وفي حديث إسماعيل بن أبي حَكِيم أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا بْنَ عَمٍّ ^(٢) ؛ هل تستطيعُ أن تُخبرني بصاحبك إذا جاءك ؟ قال : نعم ؛ فلما جاءه جبريلُ أخبرها ، فقالت له : اجلس إلى شَقِي ^(٣) . . . » وذكر الحديث إلى آخره ؛ وفيه : فقالت : ما هذا بشيطان ؛ هذا الملكُ يَا بْنَ عَمٍّ ؛ فائتُ وأبشِرْ ، وآمَنْتُ بِهِ .

فهذا يدلُّ على أنها مُسْتَشْبِتَةٌ بما فعلته لنفسها ، ومستظاهرةٌ لإيمانها ، لا للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

وقول ^(٥) مَعْمَرٍ في قِطْرَةِ ^(٦) الْوَحْيِ : فَحَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغنا حُزْنَ غَدَا مِنْهُ ^(٧) مِرَارًا كَادَ يتردَّى من شواهِقِ الجبال ^(٨) - لَا يَقْدَحُ في هذا الْأَصْلِ ^(٩) ، لقول مَعْمَرٍ عنه فيما بلغنا ، ولم يُسنده ، ولا ذكر رِوَايَتِهِ ^(١٠) ، ولا مَنْ .

(١) بذلك : يكشف رأسها إذا أتاه وهو عندها وفي ب : تختبر .

(٢) هو ابن عم خديجة لاجتماع نسبهما في قصي . والخبر في سيرة ابن هشام : ١ - ٢٥٧

(٣) إلى شقي : أي يجني ، ملاصقاً لي . وفي سيرة ابن هشام : اجلس على غُذَى الجني .

(٤) لأنه لا شبهة عنده ولا تردد أصلاً .

(٥) أي وما يوم وقوع ما تراه عنه قول معمر . هو معمر بن راشد سكن اليمن . وقد روى

هذا القول الإمام أحمد ، والبيهقي .

(٦) فترة الوحي : انقطاعه في ابتداء أمره .

(٧) غدا منه : أي ذهب ومشى بسبب حزنه كي يتردى ويلقى نفسه .

(٨) شواهِقِ الجبال : أعاليها .

(٩) لا يقْدَحُ : لا يطمئن فيما قلناه ولا يضره . في هذا الأصل : في هذه القضية السكينة

من أنه في غاية اليقين لأمر الوحي والتوحيد .

(١٠) رواته ، رواية ، وعليها « مما » في ب .

حدث به ، وَلَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ؛ وَلَا يُعْرَفُ مِثْلُ هَذَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنه قد يُحْتَمَلُ على أنه كان أول الأمر ^(١) كما ذكرناه ؛ أو أنه فعل ذلك لما أخرجه ^(٢) من تكذيب مَنْ بَلَّغَهُ ، كما قال تعالى ^(٣) : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

وَيُصَحِّحُ معنى هذا التأويل حديثُ رَوَاهُ شَرِيكُ ، عن محمد بن عبد الله بن عَقِيل ^(٤) ، عن جابر بن عبد الله - أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ ^(٥) لِلتَّشَاوُرِ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا : إِنَّهُ سَاحِرٌ - اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَتَزَمَّلَ فِي ثِيَابِهِ ، وَتَدَثَّرَ فِيهَا ^(٦) ؛ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ .

أَوْ خَافَ أَنَّ الْفِتْرَةَ ^(٧) لَأَمْرٍ أَوْ سَبَبٍ مِنْهُ ، فَخَشِيَ أَنْ تَكُونَ عِقَابًا مِنْ رَبِّهِ ، ففعل ذلك بنفسه ، وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بِالنَّبِيِّ عَنْ ذَلِكَ ، فَيُعْتَرَضُ بِهِ ^(٨) .

(١) أول الأمر : في أول أمره من قبل أن يلقاه جبريل ، ويعلمه بأنه رسول الله ، وأنه أوحى إليه ، ويتمكن من حمل أعباء النبوة . (٢) أخرجه : أوقعه في حرج وضيق صدر . (٣) سورة الكهف ، آية ٦ . وباخع : قاتل . والأسف : الحزن على ما فات . على آثارهم : بعدهم .

قال الخفاجي : فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه ، وإنما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له ، وهو حريص على أن يهديهم الله رحمة منه ؛ لما فاتهم من سعادة الدارين .

(٤) ضبطت العين في ب بالفتحة والضمة وعليها « معا » ، وضبطه القاري (٢ - ١٨٨) بفتح العين وكسر القاف . والحديث رواه البزار ، وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس . (٥) دار الندوة : دار كانت بمكة تجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة ، بناها قصي ابن كلاب ، فكانت ديوان رؤسائهم .

(٦) تزمّل في ثيابه : تلفف فيها . وتدثر : تنطى بها فوق لباسه الذي على بدنه وبلى جسده . (٧) الفترة : انقطاع الوحي مدة .

(٨) فيعترض به : أى يكون سببا لأن يعترض معترض به عليه ، ويمده شبهة في فعله .

ونحو هذا فرارُ يونس عليه السلام خشيةً تكذيبِ قومه له ، لما وَعَدَهم به من العذاب ؛ وقولُ الله تعالى في يونس ^(١) : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ - معناه أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ ^(٢) .

قال مكِّي : طِمَعَ في رَحْمَةِ اللهِ وَأَلَّا يُضَيِّقَ عَلَيْهِ مَسَلَكُهُ في خروجه .
وقيل : حَسَنَ ظَنَّهُ بِمَوْلَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْضِي عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ ^(٣) .
وقيل : نَقَدَّرُ عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ ^(٤) .

وقد قرئ : نَقَدَّرَ عَلَيْهِ - بالتشديد .
وقيل : نَوَّأَخْذَهُ بِفَضِيحِهِ وَذَهَابِهِ ^(٥) .

وقال أبو زيد : معناه : أَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ - على الاستفهام .
ولا يليقُ أَنْ يُظَنَّ بِنَبِيِّ أَنَّهُ يَجْهَلُ صِفَةً ^(٦) من صفاتِ رَبِّهِ .
وكذلك ^(٧) قوله ^(٨) : ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ - الصحيح مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ ؛

(١) سورة الأنبياء ، آية ٨٧

(٢) أى ظن أن الله لا يقضى عليه بمقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره . قال القارى
(٢ - ١٨٩) : وليس مراده أنه سبحانه وتعالى غير قادر عليه ، لأن هذا لم يخطر ببال كافر
فضلا عن مؤمن لاسيما نبيا ورسولا . روى أن ابن عباس دخل على معاوية ، فقال : يا ابن عباس ،
لقد ضربتني أمواج البحر ففرقت ، فما أجد لنفسى خلاصا إلا بك ، ثم قرأ الآية ثم قال : أو
يظن نبي الله ألا يقدر الله عليه ؟ فقال ابن عباس : هذا من القدر - بسكون الدال أو فتحها ،
لا من القدرة .

(٣) لما ورد في الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي ، لكنه غفل عن أن حسنات
الأبرار سيئات القربين (شرح القارى : ٢ - ١٨٩) .

(٤) ما أصابه : من الابتلاء وابتلاع الحوت له .

(٥) وذهابه : مفارقا لهم ، ولم يصبر منتظرا لأمر الله ، فلن يقدر عليه بمعنى لن يؤاخذ
بنفسه وذهابه . (٦) الصفة هنا هي قدرته تعالى ، وتلقاها بكل شيء .

(٧) وكذلك : مثل ما تقدم في أنه مصروف عن ظاهره . (٨) سورة الأنبياء ، آية ٨٧

وهو قولُ ابن عباس ، والضحَّاك ، وغيرهما ؛ لا لِربِّه عَزَّ وَجَلَّ ؛ إِذْ مُغَاضِبُهُ اللهُ مُعَادَاةُ لَهُ ؛ وَمُعَادَاةُ اللهِ كُفْرٌ لا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِينَ ، فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ
وقيل : مُسْتَحْيِيًّا مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَسْمُوهُ ^(١) بِالْكَذِبِ أَوْ يَقْتُلُوهُ ، كما ورد في الخبر .

وقيل : مُغَاضِبًا لِبَعْضِ الْمُلُوكِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمْرِ أَمْرِهِ اللهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ آخَرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ يُونُسُ : غَيْرِي أَقْوَى عَلَيْهِ مَتَى ؛ فَعَزَمَ ^(٢) عَلَيْهِ [١٨٥] ، فَخَرَجَ لِذَلِكَ مُغَاضِبًا ^(٣) .

وقد رُوي عن ابن عباس ، أَنَّ إِرْسَالَ يُونُسَ وَنُبُوَّتَهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ نَبَذَهُ ^(٤) الْحَوْتُ ، وَاسْتَدْلَّ مِنَ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ ^(٥) : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأُنْبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ . وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ^(٦) ﴾ .
وَيُسْعِدُهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ ^(٧) : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتَ . . ﴾ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ .
ثُمَّ قَالَ ^(٨) : ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ؛ فَتَكُونُ هَذِهِ الْقِصَّةُ إِذَا قَبْلَ نُبُوَّتِهِ .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) : « إِنَّهُ لَيُفَانُ عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ » .

وَفِي طَرِيقٍ : فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً .

(١) يَسْمُوهُ : يَصْفُوهُ . (٢) عَزَمَ عَلَيْهِ : أَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ عَذْرَهُ .

(٣) مُغَاضِبًا : أَيْ لِلْمَلِكِ ، لِأَنَّ لَهُ ، كَمَا تَوَمَّنُ .

(٤) نَبَذَهُ : قَالَ الرَّاعِبُ : النَّبَذَ : إِتْلَاءَ الشَّيْءِ وَطَرَحَهُ . نَبَذَ الْحَوْتُ : أَلْقَاهُ مِنْ بَطْنِهِ .

(٥) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، آيَةُ ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

(٦) الْعَرَاءُ : الْمَكَانُ اللَّتَمَعَ الْحَالِي مِنَ الْبِنَاءِ وَالشَّجَرِ . سَقِيمٌ : ضَعِيفٌ . يَقْطِينٌ : شَجَرُ تِينٍ .

وقيل : الْقَرَعُ . (٧) سُورَةُ الْقَلَمِ ، آيَةُ ٤٨ (٨) سُورَةُ الْقَلَمِ ، آيَةُ ٥٠

(٩) رَوَاهُ مُسْلِمٌ : صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٢٠٧٥

فاحذرُ أَنْ يَقَعَ بِبَالِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَيْنُ^(١) وَسُوسَةً أَوْ رَبَنًا^(٢) وَقَعَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ بَلْ أَصْلُ الْغَيْنِ فِي هَذَا : مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ وَيُغْطِيهِ ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ؛ وَأَصْلُهُ مِنَ غَيْنِ السَّمَاءِ ؛ وَهُوَ إِطْبَاقُ الْغَيْمِ عَلَيْهَا .
وَقَالَ غَيْرُهُ : وَالْغَيْنُ شَيْءٌ يُغْشَى الْقَلْبَ وَلَا يُغْطِيهِ كُلُّ التَّغْطِيَةِ ؛ كَالْغَيْمِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَمْرُضُ فِي الْمَوَاءِ ، فَلَا يَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ .

وكَذَلِكَ لَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُفَانُ عَلَى قَلْبِهِ مِائَةً مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ ؛ إِذْ لَيْسَ بِتَقْضِيَةِ لَفْظِهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ؛ وَهُوَ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ ؛ وَإِنَّمَا هَذَا جَدُّ لِلِاسْتِغْفَارِ لَا لِلْغَيْنِ ؛ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهَذَا الْغَيْنِ إِشَارَةً إِلَى غَفَلَاتِ قَلْبِهِ وَفتراتِ نَفْسِهِ^(٣) ، وَسَهْوِهَا عَنْ مَدَاوِمَةِ الذِّكْرِ وَمَشَاهِدَةِ الْحَقِّ^(٤) بِمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مُعَاسَاةِ الْبَشَرِ^(٥) ، وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ^(٦) ، وَمُعَانَاةِ^(٧) الْأَهْلِ ، وَمُقَاوَمَةِ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ^(٨) وَمَصْلَحَةِ النَّفْسِ^(٩) ؛ وَكُلُّهُ مِنْ أَعْيَاءِ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَخَلِّ الْأَمَانَةِ ؛ وَهُوَ فِي كُلِّ هَذَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَعِبَادَةِ خَالِقِهِ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْفَعَ انْخَلَقَ عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَةً ، وَأَعْلَامَ دَرَجَةً ، وَأَتَمَّهُمْ بِهِ مَعْرِفَةً ؛

(١) الغين : السر والتغطية ؛ أى ترد على قلبه أمور تشغل .

(٢) هى بالباء : ريباً : شكاً فى شئ من أموره المتعلقة بالوحى . أو بالنون . وربنا : أى حجاباً .

(٣) فترات نفسه : فتنورها وكسلها .

(٤) ومشاهدة الحق : إن أريد بالحق الله سبحانه وتعالى فالمراد مشاهدته فى مرآة مصنوعاته حتى كأنه يراه بعين عيانه . وإن أريد بالحق ما هو حق ثابت متيقن من العلوم الحقة والأمور اليقينية الدنية فالأمر واضح . (٥) للمعاساة والكسابة : مباشرة ما فيه مشقة .

(٦) سياحة الأمة : السياسة : الحكم والتدبير .

(٧) معاناة الأهل : الاعتناء بأمرهم والتقيد بما فيه معاشهم .

(٨) ومقاومة الولي ؛ أى القيام بالأمر الذى يتعلق بالولي والعدو . والولي : من يواليه ويقيمه . (٩) ومصلحة النفس : أى مصلحة نفسه فى أمور معاشه .

وكانت حاله عند خلوص قلبه ، وخلو همته ، وتفرده بربه ، وإقباله بكليته عليه ، ومقامه ^(١) هنالك أرفع حاله ^(٢) رأى صلى الله عليه وسلم حال فقرته عنها ، وشغله ^(٣) بسواها ، غضا ^(٤) من على حاله ، وخفضا من رفيع مقامه ؛ فاستغفر الله من ذلك .

وهذا أولى وجوه الحديث وأشهرها .

وإلى معنى ما أثمرنا به مال كثير من الناس ، وحام حواله ؛ فقارب ولم يرد ^(٥) .

وقد قربنا غامض معناه ، وكشفنا للمستفيد محياته ^(٦) ؛ وهو مبنى على جواز الفترات ، والغفلات ، والسهو في غير طريق البلاغ ^(٧) ، كما سيأتى .

وذبت طائفة من أرباب القلوب ^(٨) ، ومشيخة التصوفة ، بمن قال بتزبه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة ، وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة .

(١) مقامه : إقامته في حظيرة قدس قربه .

(٢) حاله : حال اشتغاله بالظاهر ، وحال كونه مع الله عالم السرائر ، وكل منهما رفيع ، ولكن هذه الحالة أرفع .

(٣) شغله : اشتغاله .

(٤) غضا : نقصانا . وخفضا : حطا وتزيلا .

(٥) ولم يرد : ولم يصل إليه . وفي ب : ولم يزد .

(٦) محياته : وجهه .

(٧) في غير طريق البلاغ : أى في غير ما أمر بقبليته لأتمته من الشرائع .

وقال الخفاجى : وفى كلامه نظرا لبحنى ؛ فإنه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بأمرة أمته وأهله ؛ ولا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة ؛ فكيف بناه على غير أساسه ؛ فتأمله فإنه غريب .

(٨) من أرباب القلوب : أولياء الله الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من أرباب الكشف .

إلى أن معنى الحديث : ما يُهمُّ^(١) خاطِرُهُ ، وَبَعْمُ فِكْرُهُ من أَمْرِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لاهتمامه بهم ، وَكَثْرَةُ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ^(٢) .
 قالوا : وقد يكونُ الْفَيْنُ هنا على قَلْبِهِ السَّكِينَةِ^(٣) الَّتِي تَتَفَشَّى ؛ لقوله تعالى^(٤) :
 ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ ، وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا إِظْهَاراً لِلْمُبُودِيَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ^(٥) .
 وقال ابنُ عطاء : اسْتِغْفَارُهُ وَفِعْلُهُ [١٨٦] هذا تَعْرِيفٌ^(٦) لِلأُمَّةِ بِمَحَلِّهِمْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ .

وقال غيره : وَيَسْتَشْمِرُونَ^(٧) الْحَذَرَ ، وَلَا يَرَوْنَ كُنُونَ^(٨) إِلَى الْأَمْنِ .
 وقد يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْإِغَانَةُ^(٩) حَالَةً خَشْيَةً وَإِعْظَامٍ تَغْشَى قَلْبَهُ ، فَيَسْتَغْفِرُ حِينَئِذٍ شُكْرًا لِلَّهِ ، وَمِلَازِمَةً لِعِبُودِيَّتِهِ ؛ كَمَا قَالَ فِي مِلَازِمَةِ الْعِبَادَةِ^(١٠) :
 أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا .

-
- (١) أَمُّهُ : أَقْلَقُهُ وَأَحْزَنَهُ . وَخَاطِرُهُ : قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ .
 (٢) يَدْعُو لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ ، أَوْ لِمَا سَبَّحَ ؛ فَالْمَغْفِرَةُ خَوَاطِرُهُ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ؛ وَاسْتِغْفَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هُوَ لَهُمْ ؛ فَلَا إِشْكَالَ فِي الْحَدِيثِ أَصْلًا .
 (٣) السَّكِينَةُ : الْوَقَارُ ، وَالتَّائِي وَالطَّمَأْنِينَةُ فِي الْأُمُورِ . (٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ٤ .
 (٥) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهُوَ لَيْسَ بِذَنْبٍ ، بَلْ خُضُوعٌ وَخُشُوعٌ .
 (٦) تَعْرِيفٌ لِلأُمَّةِ : تَعْلِيمٌ لَهَا .
 (٧) يَسْتَشْمِرُونَ : يَدْرِكُونَ وَيَعْرِفُونَ . وَفِي هَامِشٍ ب : الْحَصْرُ . وَالْحَصْرُ : الْحَبْسُ لَا تَنْفَسُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ .

- (٨) وَلَا يَرَكْنُونَ : وَلَا يَمِيلُونَ مِيلًا مَا . إِلَى الْأَمْنِ ؛ أَيِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ .
 (٩) فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَيَبْتَغِي عَلَى قَلْبِي .
 (١٠) وَرَدَّ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ : ٦ - ١٦٩ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ : أَتَفْعَلُ هَذَا بِرَسُولِ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ ؟ فَقَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا !

وعلى هذه الوجوه الأخيرة يُحمل ما رُوِيَ في بعض طرقِ هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُ لَيُنَاقُ عَلَى قَلْبِي فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ^(١) ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ^(٣) ﴾ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ .
وقوله لَنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُلْتَفَتُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ فِي آيَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَكُونَنَّ مِنْ يَجْهَلُ أَنْ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى . وَفِي آيَةِ نُوحٍ : لَا تَكُونَنَّ مِنْ يَجْهَلُ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ؛ لقوله : ﴿ وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ ﴾ ؛ إِذْ فِيهِ إِثْبَاتُ الْجَهْلِ بِصِفَةِ مَنْ صَفَاتِ اللَّهَ ؛ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ .

وَالْمَقْصُودُ ^(٥) وَعَظُهُمْ أَلَّا يَتَشَبَّهُوا فِي أُمُورِهِمْ بِسِمَاتِ ^(٦) الْجَاهِلِينَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ ﴾ . وَلَيْسَ فِي آيَةٍ مِنْهُمَا دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْ السُّكُونِ عَلَيْهَا ؛ فَكَيْفَ ؟ وَآيَةُ نُوحٍ ^(٧) قَبْلَهَا : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

(١) فيفسر الفين بـمـمـر ، ويجعل الاستغفار له لما مر ؛ أو لأمرته تعالما لهم . والمعدد للاستغفار للثنين ؛ لبعده لفظا ومعنى .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٣٥

(٣) لجمعهم على الهدى : جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى : يهديهم للعقائد الحقّة ؛ واتباع الشريعة اللازمة ؛ فلا يضل أحد منهم عن الطريق المستقيم .

(٤) سورة هود ، آية ٤٦

(٥) أى المعنى المراد من هاتين الآيتين .

(٦) بسيمات الجاهلين : أى لا يتصفون بصفاتهم ؛ من عدم الصبر ، والحرص على سرعة

حصول المراد مما هو شأن الجهلة .
(٧) فى قوله : « إِنِّي أَعِظُكَ » .

عَلَّمَ ﴿١﴾ . فَحَصَلَ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا أَوَّلَى ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ ﴿٢﴾ .

وَقَدْ يَجُوزُ إِبَاحَةُ السُّؤَالِ فِيهِ ابْتِدَاءً ؛ فَتَنَاهُ اللَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا طَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ ، وَأَكْنَهٗ ﴿٣﴾ مِنْ غَيْبِهِ مِنَ السَّبَبِ الْوَجِبِ لِهَلَاكِ ابْنِهِ .

ثُمَّ أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِإِعْلَامِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿٤﴾ : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ . حَكَى مَعْنَاهُ مَكِّي .

كَذَلِكَ أَمَرَ نَبِيْنَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ﴿٥﴾ بِالتَّزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ ؛ وَلَا يَخْرُجُ عِنْدَ ذَلِكَ ؛ فَيُقَارِبُ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ ﴿٦﴾ . حَكَاهُ ابْنُ فُورَكَ .

وَقِيلَ : مَعْنَى الْخُطَابِ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ؛ أَيْ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧﴾ . حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّي ؛ وَقَالَ : مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

فَهَذَا الْفَضْلُ ﴿٨﴾ أَوْجِبَ الْقَوْلَ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ قَطْعًا .

(١) هِيَ مُؤَدَّةٌ بِأَنَّ الْإِرَادَ نَهْيَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْجَهْلَةِ لِنَهْيِهِ عَنِ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

(٢) إِلَى إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ .

(٣) طَوَى عَنْهُ : أَخْفَى . وَأَكْنَهٗ : سَتَرَهُ .

(٤) سُورَةُ هُودَ ، آيَةُ ٦٤ ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَطَعَ الْوِلَايَةَ بِكُفْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ دِينِهِ .

(٥) هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ . . . » . وَقَدْ تَقَدَّمَتْ .

(٦) التَّحَسُّرُ : التَّأْسُفُ وَالتَّوَدُّعُ عَلَى عَدَمِ إِطَاعَةِ قَوْمِهِ لَهُ .

(٧) فِي قَوْلِهِ : « فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ » .

(٨) فَهَذَا الْفَضْلُ الَّذِي قَرَّرَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ تَأْوِيلِ مَا يَوْمُ نَسَبَتِهِمْ عَمَّا

لَا يَلِيْقُ بِعِلَى مَقَامِهِمْ . وَفِي هَامِشٍ ب : فَبِهَذَا الْفَضْلُ وَجِبَ . . .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَحَاصِلُهُ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا رَأَى اشْتِدَادَ حَرَصِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ نَفْسُهُ لَمْ يَرْضَ تَهَالُكَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ عَظَمَ

ذَلِكَ عَلَيْكَ فَإِنْ أَمَكْنَكَ أَنْ تَمُوتَ فِي الْأَرْضِ لَتَطْلُعَ مِنْهَا آيَةُ لَكُمْ أَوْ تُنْصَبَ سُلْطَانٌ تَصَدِّقُ بِهِ =

فَإِنْ قُلْتَ : فَإِذَا قَرَّرْتَ عِصْمَتَهُمْ مِنْ هَذَا ، وَأَنْهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ،
فَا مَعْنَى إِذَا وَعِيدُ اللَّهِ ^(١) لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ إِنْ فَعَلَهُ ، وَتَحْذِيرُهُ مِنْهُ ؛
كَقَوْلِهِ ^(٢) : ﴿ لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٣) .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ
فإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا
لَاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ .

== إلى السماء لتأتيهم بآية منها حتى يؤمنوا ؛ أى وأنت لا تستطيع ذلك ، فما فائدة هذا الحرص ،
ولو أراد الله هدى جميع الخلق ؛ فلا تحرص على ما لم يرد .

وقيل : كانوا يفترون عليه آيات يود لو أجيبوا لها حرصا على إيمانهم ؛ فقل له : إن
استطعت أن تفعل هذا لتأتيهم بما اقترحوا فافعل ليؤمنوا .

وقيل : ابتغاء النفق والسلم هو الآية نفسها .

فهذه ثلاثة أوجه : الأول - بيان لشدة حرصه عليه الصلاة والسلام ، وأنه لو قدر على
المحال ففعله .

والثاني - بيان لحرصه على تثبيت مطلوبهم ومقترحهم .

والثالث - حرصه على جعل الصعود والهبوط آية لهم حتى يؤمنوا به .

وترك القاضي عياض الأخيرين ؛ لأن عادة الله أن من أجيب لما اقترح عجل هلاكه ، وهو
مناف لحرصه على إيمانهم ؛ لأن التبادر من الآية النفق والسلم غير الآية ، مع مافيه من النزعة
الاعتزالية .

وقصة نوح وهلاك ابنه بعد ما سأل الله نجاته ، فقل له : إنه سبق القول بهلاك الكفرة .

(١) وعيد الله : تخويفه بتقدير صدور شيء من ذلك منه وتهديده .

(٢) سورة الزمر ، آية ٦٥

(٣) حبوط العمل : بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ، ولا يبقى له عمل .

(٤) سورة يونس ، آية ١٠٦ . والدعاء في الآية بمعنى العبادة .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤ ، ٧٥ ؛ أى يضاعف له عذاب الدنيا والآخرة .

- وقوله ^(١) : ﴿لَا خُذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ .
- وقوله ^(٢) : ﴿وَأِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .
- وقوله ^(٣) : ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتَمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ .
- وقوله ^(٤) : ﴿وَأِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ .
- وقوله ^(٥) : ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .
- فاعلم - وقفنا الله وإياك - أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ، ولا يجوز عليه ، ألا يُبَلِّغَ ، وأن يخالف أمر ربّه ، ولا أن يُشْرِكَ به ، ولا يتعوّل ^(٦) على الله [١٨٧] ما لا يُحِبُّ ، أو يفتري عليه ، أو يضلّ أو يُخْتَمَ على قلبه ^(٧) ، أو يُطِيعَ الكافرين ؛ لكن الله يسرّ أمره بالكاشفة والبيان ^(٨) في البلاغ للمخالفين ، وأنّ إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ .
- وطيب نفسه ، وقوى قلبه بقوله ^(٩) : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ؛ كما قال
-
- (١) سورة الحاقة ، آية ٥٥
- (٢) سورة الانعام ، آية ١١٦ . والمراد بقوله : أكثر من في الارض ، الكفرة الجبهة ، وإطاعتهم بموافقتهم ما هم عليه .
- (٣) سورة الشورى ، آية ٢٤
- (٤) سورة المائدة ، آية ٦٧ ، وفي ب : فإن لم تفعل . وهو خلاف التلاوة .
- (٥) سورة الأحزاب ، آية ١ . اتق الله ، ولا تخف من أحد . ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يؤدي إلى التفريط في شيء من أمر الدين .
- (٦) أن يقول على الله ما لا يجب : يقول على الله : يكذب عليه ويفتري . ما لا يجب : ما لم يرد . ولم يأذن له فيه . وفي ب : ما لا يجب .
- (٧) يختم على قلبه : يطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق .
- (٨) بالكاشفة والبيان : بكشفه له وتبيينه .
- (٩) سورة المائدة ، آية ٦٧ . « ويعصمك من الناس » : أى يحميك ويصونك عنهم حتى لا يقدر أحد على شيء يضرّك .

لموسى وهارون^(١) : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَ كُمَا ﴾^(٢) ؛ لِتَشْتَدَّ^(٣) بِصَائِرُهُمْ فِي الْإِبْلَاحِ
وإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْهُمْ خَوْفَ الْعَدُوِّ الْمُضْعِفِ لِلنَّفْسِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى^(٤) : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ .
ثُمَّ أَقْطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿ إِنَّا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ - فمعناه أن هذا جزاء
مَنْ فَعَلَ هذا ، وَجَزَاؤُكَ لَوْ كُنْتَ يَمِينُ يَفْعَلُهُ ، وَهُوَ لَا يَفْعَلُهُ .
وكذلك قوله^(٦) : ﴿ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضَاوِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ؛
فالمُرَادُ غَيْرُهُ ؛ كَمَا قَالَ^(٧) : ﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْفُرُوا بِكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
فَتُنْفَلِتُوا مِنْهُمْ خَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله^(٨) : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ و﴿ لَنْ^(٩) أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ
عَمَلُكَ ﴾ - وَمَا أَشْبَهَهُ ، فالمُرَادُ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ هَذِهِ حَالُ مَنْ أَشْرَكَكَ ؛ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ هَذَا .

وقوله^(١٠) : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ ﴾ - فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ أَطَاعَهُمْ ، وَاللَّهُ
يُنْهَاهُمْ عَمَّا يَشَاءُ وَيَأْمُرُهُمْ بِمَا يَشَاءُ ؛ كَمَا قَالَ^(١١) : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(١) سورة طه ، آية ٤٦

(٢) إِنِّي مَعَكُمْ أَي حَافِظُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ .

(٣) تَشْتَدُّ : تَقْوَى ، وَتَزِيدُ شِدَّةً . بِصَائِرِهِمْ : مُوسَى ، وَهَارُونَ ، وَمُحَمَّدٌ . أَي يَكُونُونَ عَلَى
جَسِيرَةٍ وَيَقِينُ فِي أُمُورِهِمْ .

(٥) سورة الإسراء آية ٧٥

(٤) سورة الحاقة ، آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

(٦) سورة آل عمران ، آية ١٤٩

(٦) سورة الأنعام ، آية ١١٦

(٩) سورة الزمر ، آية ٦٥

(٨) سورة الشورى ، آية ٢٤

(١١) سورة الأنعام ، آية ٥٢

(١٠) سورة الأحزاب ، آية ١

بالفداء والعشيَّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فقطر دم فتكون من الظالمين ﴿١﴾ .
وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ، ولا كان من الظالمين .

فصل

[في عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته

والتشكك في شيء من ذلك]

وأما عصمتهم من هذا الفن ^(١) قبل النبوة فللناس فيه خلاف ؛ والصواب أنهم معصومون ^(٢) قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك .
وقد تعاضدت ^(٣) الأخبار والآثار عن الأنبياء بقتلهم عن هذه النقيصة ^(٤) منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان ؛ بل على إشراق أنوار المعارف ^(٥) ، ونفحات الطاف ^(٦) السعادة ، كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا .

ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبى واصطفى بمن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك . ومُسْتَنْدُ هذا الباب النقل ؛ وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفّر ^(٧) عن كانت هذه سبيله ^(٨) .

(١) من هذا الفن ؛ أى اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما أوحى إليه من أمور الدين كما تقدم . (٢) معصومون : محظونون مصونون .

(٣) تعاضدت : تماونت ، وتقوت ، وتواترت . (٤) النقيصة : العفة للنقصة لمن اتصف بها .

(٥) للراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به . وإشراقها : سطوع أنوارها منهم

وشدة ظهورها في أحوالهم وأقوالهم .

(٦) النفحة : الرائحة الطيبة التي تفوح . والسعادة : أى كونهم سعداء الدارين .

(٧) تنفّر : تسكره . (٨) سبيله : طريقه ، والراء عاداته ودأبه .

وأنا أقولُ إنَّ قُرَيْشًا قد رَمَتْ نَبِيَّتَنَا بكلِّ ما افْتَرَنَّهُ ، وَعَيَّرَ كُفَّارُ الْإِسْلَامِ
أَنْبِيَاءَهَا بكلِّ ما أَمَكْنَهَا واختَلَقْتَهُ ^(١) ، مِمَّا نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، أَوْ نَقَلَتْهُ إِلَيْنَا الرُّوَاةُ ،
وَلَمْ نَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنْ ^(٢) ذَلِكَ تَعْيِيرًا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ بِرَفْضِهِ ^(٣) آلِهَتِهِ ، وَتَقْرِيعِهِ ^(٤) بِذَمِّهِ
بِتَرْكِهِ مَا كَانَ قَدْ جَامَعَهُمْ ^(٥) عَلَيْهِ .

وَلَوْ كَانَ هَذَا لَكَانُوا بِذَلِكَ ^(٦) مُبَادِرِينَ ، وَبَتْلُوهُنَّ فِي مَعْبُودِهِ مُحْتَجِّينَ ، وَلَكِنْ
تَوَبَّيْخُهُمْ لَهُ بِنَهْيِهِمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ قَبْلُ أَفْطَحَ وَأَقْطَعَ فِي الْحُجَّةِ مِنْ تَوَبَّيْخِهِ بَنِيهِمْ
عَنْ تَرْكِهِمْ آلِهَتِهِمْ ، وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ .

فَفِي إِطْبَاقِهِمْ ^(٧) عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَيْهِ ؛ إِذْ لَوْ
كَانَ لِنُفْلٍ ، وَمَا سَكَنُوا عَنْهُ ، كَمَا لَمْ يَسْكُتُوا عِنْدَ تَحْوِيلِ الْقَبِيلَةِ ، وَقَالُوا : ﴿ مَاؤَلَّاهُمْ
عَنْ قَبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ^(٨) ، كَمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَقَدْ اسْتَدْلَّ الْقَاضِي الْقُشَيْرِيُّ عَلَى تَنْزِيهِهِمْ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٩) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا ^(١٠) غَلِيظًا ﴾ .

(١) واختلقته : كذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم ، يريد : اخترعته ، من جميع اللثالب .

(٢) في شيء من ذلك : أي من الكتب الإلهية والأخبار المروية .

(٣) رفضه : تركه . (٤) التقريع : التوبيخ .

(٥) جامعهم : وافقهم واجتمع معهم عليه . (٦) بذلك : بتأييده .

(٧) لإطباقهم : أي اتفاق كفر الأمم وإجماعهم . يقال : أطبق القوم على كذا : إذا اتفقوا .

(٨) عند تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ؛ فإنهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم

الله ، فقال : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . في أول أمرهم : سورة

البقرة ، آية ١٤٢ (٩) سورة الأحزاب ، آية ٧

(١٠) لليثاق : العهد . واليثاق الذي أخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق إلى دين

الإسلام ، وأن يصدق بعضهم بعضاً ويؤيد بعضهم بعضاً .

وبقوله تعالى^(١) : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ .
قال : فظهره^(٢) الله في الميثاق .

وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ، ثم يأخذ ميثاق النبيين [١٨٨]
بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ، ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب .
هذا مالا يجوز إلا ملحد^(٣) .

هذا معنى كلامه .

وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه السلام ، وشق قلبه صغيراً ، واستخرج منه علقه^(٤) ، وقال : هذا حظ^(٥) الشيطان منك ، ثم غسله ملاءً وحكمة وإيماناً ، كما تظاهرت^(٦) به أخبار المبدأ^(٧) .

ولا يشبهه^(٨) عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس^(٩) : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ؛ فإنه قد قيل : كان هذا في سن الطفولية^(١٠) ، وابتداء النظر والاستدلال ؛ وقبل لزوم التكليف .

(١) سورة آل عمران ، آية ٨١

(٢) فظهره الله : برأه ونزحه عما لا يليق بعمله قدره .

(٣) ملحد : فاسق العقيدة ، عادل عن طريق الحق ونهج الصواب .

(٤) علقه : قطعة صغيرة من دم متجمد يشبه العلقه المعروفة .

(٥) حظ الشيطان : نصيبه في وسوسته لبني آدم ، فإخراجه لم يبق له عليه سبيل .

(٦) تظاهرت : اشتهرت وقويت .

(٧) أخبار المبدأ : الأحاديث الصحيحة الواردة في ابتداء أمره ونبوته . وحديث شق

صدر النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم : ١٤٧

(٨) ولا يشبه عليك : لا يشبه عليك ويوقعك في شبهة .

(٩) سورة الأنعام ، آية ٧٦ - ٧٨

(١٠) سن الطفولية : إذ كان طفلاً ، أي ولداً صغيراً .

وذهب معظم الحذاق^(١) من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مُبَكِّتاً^(٢) لقومه، ومستقلاً عليهم.

وقيل : معناه الاستفهام الواردُ مَوْرِدَ الإنكار ؛ والمراد : فهذا رَبِّي^(٣) ؟ قال الزجاج : قوله : « هذا ربِّي » - أي على قولكم ؛ كما قال : « أين شُرَكَائِي » ؛ أي عندكم^(٤) .

ويدل على أنه^(٥) لم يَعْبُدْ شيئاً مِنْ ذلك ، ولا أَشْرَكَ قطُّ باللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ^(٦) : قولُ الله عزَّ وجلَّ عنه^(٧) : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ . ثم قال^(٨) : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال^(٩) : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ؛ أي من الشُّرْك . وقوله^(١٠) : ﴿ وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ . فإن قلت : فما معنى قوله^(١١) : ﴿ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ؟ قيل : إنه إنْ لَمْ يُؤَيِّدْنِي اللهُ بِمَعُونَتِهِ أَكُنْ مِثْلَكُمْ فِي ضَلَالَتِكُمْ وعبادتكم ،

(١) الحذاق : جمع حاذق ، وهو من له ذكاء وفهم .

(٢) مبكِّتاً لقومه ؛ لأنهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيك : هو اللوم ، والتقريع ، والتوبيخ .

(٣) فهذا ربِّي : أي يليق بمثله أن يكون معبوداً .

(٤) عندكم : أي كونهم شركاء على زعمهم . والآية في سورة القصص : ٦٣ ، ٧٤ ، وغيرها .

(٥) أنه ؛ أي الخليل إبراهيم . (٦) طرفة عين : في أقل الأزمنة .

(٧) سورة الشعراء ، آية ٧٠ (٨) سورة الشعراء ، آية ٧٥-٧٧

(٩) سورة الصافات ، آية ٨٤

(١٠) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ . واجتنبي : باعد بيننا جميعاً وبين عبادتها ؛ وهذا يدل على

أنه هو وذريته لم يصدر منهم شيء من ذلك .

(١١) سورة الأنعام ، آية ٧٧

على معنى الإشفاقِ والحذر^(١) ؛ وإلا فهو معصومٌ في الأزل^(٢) من الضلال .

فإن قلتَ : فما معنى قوله^(٣) : ﴿ وقال الذين كفروا لِرُسُلهم لنُفَخِرَ بِنُفُوسِكُم من أَرْضِنَا أو لنعُودُنَّ في مِلَّتِنَا ﴾ ؛ ثم قال بَعْدُ عن^(٤) الرسل^(٥) : ﴿ قد افْتَرَيْنَا على اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا في مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ ؛ فلا تُشَكِّلُ عليكَ لَفْظَةُ الْعُودِ ، وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من مِلَّتِهِمْ^(٦) ؛ فقد تَأْتِي هذه اللفظةُ في كلامِ العربِ لغير ما ليس له ابتداءً بمعنى^(٧) الصيرورةِ ؛ كما جاء في حديثِ الْجَهَنَّمِيِّينَ^(٨) : « عَادُوا حُمَاً^(٩) » ولم يكونوا قبلَ كذلك .

(١) الإشفاق على قومه ، ترحماء لهم . والحذر ؛ أى الخوف من الله والاحتراز عما هم فيه .

(٢) في الأزل : قديماً في قضاء الله بالسعادة ونظير فطرته .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ١٣ . فالعود يقتضى أنهم كانوا على دينهم وكفرهم ، وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبمدها .

(٤) عن الرسل : حاكياً عنهم .

(٥) سورة الأعراف ، آية ٨٩ ، والآيتان ليستا متواليتين ، فكل واحدة منهما في سورة كما تقدم ، وهما في قصة واحدة ، وهى قصة شعيب (شرح الخفاجى : ٤ - ٩٤) . ومعنى : « قد افترينا على الله » التعجب ؛ أى ما أكَذَّبْنَا على الله . ومعنى « نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا » : عصمنا عن الميل إليها فضلاً عن الدخول فيها .

(٦) من ملتهم : يعنى الكفر .

(٧) بمعنى الصيرورة ؛ وهى وجود الشيء بعد أن لم يكن .

(٨) أى الحديث الذى فى حق أهل جهنم المروى فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى ؛ وأوله : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى : من كان فى قلبه حبة خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون وقد امتحشوا وعادوا حمماً فيلقون فى نهر الحياة فينبئون كما ثبتت الحبة فى حميل السيل . امتحشوا : احترقوا . والحديث فى صحيح مسلم : ١٧٢

(٩) حمماً : سوداً كالنجم . وعاد هنا بمعنى صار .

ومثله قول الشاعر^(١) :

[تلك الكارم لاقعبان من كبن شيبا بماء]^(٢) فآذا بعد أبو الـ

وما كانا قبل كذلك .

فإن قلت : فما معنى قوله^(٣) : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾^(٤) ؛ فليس هو من

الضلال الذى هو الكفر ؛ قيل : ضالًّا عن النبوة فهذاك إليها^(٥) ؛ قاله الطبرى .

وقيل : وجدك بين أهل الضلال ، فمصمك من ذلك^(٦) ، وهذاك للإيمان ،

وإلى إرشادهم .

ونحوه عن السدّى وغير واحد .

وقيل : ضالًّا عن شريعتك ؛ أى لا تعرفها^(٧) فهذاك إليها .

(١) هو أمية بن أبى الصلت من قصيدة يمدح بها سيف بن ذى يزن ملك الحن لما ظفر بالحشة ؛

وذلك بعد مولد النبي بسنتين ، فأنته وفود الرب تهته وفيهم قریش وعبد المطلب - ديوانه : ٥٢

وقيل : هو لأبى الصلت ربيعة الثقفى ، وقيل للنابغة الجعدى .

قال الخفاجى : وهذا مثل فى الفخر بمالى الأمور وعدم التنزل لفسافها . وشيبا : خلطا

ومزجا . والقعب : إناء معروف ؛ يقول : إنك فى معال وقصور ربيعة تجود بالأموال ، لست

كمرب البادية الذين جودهم سقى ضيفانهم لبنا بماء مزج به يعود فى يوم بولا مراقا ، وجودك بمكارم وأموال تبقى عند من أنعمت عليه ؛ فشتان بينك وبين غيرك .

(٢) ما بين القوسين ليس فى ١ .

(٣) سورة الضحى ، آية ٧

(٤) وهذا يقتضى نسبه - صلى الله عليه وسلم - للضلال قبل البعثة ؛ والضلال شرعا إما

بالكفر أو بارتكاب المعاصى ، وهو صلى الله عليه وسلم منزّه عنهما وجوابه ما يأتى .

(٥) لأن الضلال معناه المدول عن الطريق المستقيم ، وضده الهداية ؛ فكل عدول ضلال

سواء كان عمدا أم لا ؛ فمنه غير مهتد لما سبق لك من النبوة .

(٦) من ذلك : أى من الضلال وموافقة أهله .

(٧) لا تعرفها ؛ أى قبل أن أوحى إليك .

والضلالُ هنا التَّحْيِيرُ ؛ ولهذا كان صَلَّى اللهُ عليه وسلم يَخْأُوْ بِغَارِ حِرَاءٍ فِي طَلَبِ
حَابِتُوْجِهِ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ^(١) ، وَيَنْشَرِّعُ ^(٢) بِهِ حَتَّى يَدَّاهُ اللهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ^(٣) ، حَكَى
مَعْنَاهُ الْقُشَيْرِيُّ .

وَقِيلَ : لَا تَعْرِفُ الْحَقَّ ^(٤) ، فَهَذَاكَ إِلَيْهِ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ ؛ قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى .
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ تَكُنْ لَهُ ضَلَالَةٌ مُّعْصِيَةً .
وَقِيلَ : هَدَى ؛ أَيْ بَيَّنَّ أَمْرَكَ بِالْبَرَاهِينِ .
وَقِيلَ : وَجَدَكَ ضَالًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ؛ [فَهَذَاكَ إِلَى الْمَدِينَةِ] ^(٦) .
وَقِيلَ : الْمَعْنَى وَجَدَكَ ^(٧) فَهَدَى بِكَ ضَالًّا .
وَعَنْ جُمْهُرِ بْنِ مُحَمَّدٍ : وَوَجَدَكَ [١٨٩] ضَالًّا عَنْ مَحَبَّتِي لَكَ فِي الْأَزَلِ ^(٨) ؛
أَيْ لَا تَعْرِفُهَا ، فَفَنَنْتُ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَتِي ^(٩) .

-
- (١) أى بسبب تصفية باطنه وإعمال فكره في وسيلة توصله إلى الله .
(٢) يتشرع : يتخذ شريعته وعبادة تقربه لربه .
(٣) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان موحدًا في أول أمره طالبًا لإتمام النعمة عليه بهدائه
لما يرضيه ويكمله فمن عليه بذلك .
(٤) الحق : الدين الحق ؛ لأنه لا يعرف إلا بالوحى . فهذاك إليه : بما أوحاه إليك .
(٥) سورة النساء ، آية ١١٣ . ومعناها علمك من الشرع وأحكامه ما لم تكن تعلم ؛ أى
ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه .
(٦) ما بين القوسين ليس فى ١ ؛ أى كان فى حيرة مترددًا فى الإقامة بمكة والهجرة إلى المدينة
يرجو أن يؤذن له فى الهجرة إليها حتى أذن الله تعالى له فى ذلك .
(٧) وجدك : أى قائمًا بأعباء الرسالة وتبليغها . وهو عالم بذلك قبل وقوعه ، ولكن هو
تمثيل وتنويه بأمره وبمحبة الله تعالى له ؛ فكأنه أمر مطلوب لعظيم عثر عليه ؛ كما يقال : العلم
ضالة المؤمن .
(٨) فى الأزل : أى فى القدم قبل خلقك .
(٩) قال الخفافى : فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص ؛ لأن معناه : ليس أكرم على منك .

وقرأ الحسن بن عليّ : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؛ أَى اِهْتَدَى بِكَ ^(١) .
 وقال ابن عطاء : وَوَجَدَكَ ضَالًّا ؛ أَى مُجِبًّا لِمَعْرِفَتِي . وَالضَّالُّ الْمُحِبُّ ؛ كَمَا
 قَالَ ^(٢) : ﴿ إِنَّكَ لَنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ ؛ أَى مَحَبَّتِكَ الْقَدِيمَةِ ؛ وَلَمْ يَرِيدُوا هَاهُنَا
 فِي الدِّينِ ؛ إِذْ لَوْ قَالُوا ذَلِكَ فِي نَبِيِّ اللَّهِ لَكَفَرُوا .
 وَمِثْلُهُ عِنْدَ هَذَا ^(٣) قَوْلُهُ ^(٤) : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ؛ أَى حَبِيَّةٍ بَيِّنَةٍ ^(٥) .
 وَقَالَ الْجَنَيْدُ ^(٦) : وَوَجَدَكَ مُتَحِيرًا فِي بَيَانٍ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ^(٧) فَهَذَا كَلِمَاتُهُ ؛
 لِقَوْلِهِ ^(٨) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .
 وَقِيلَ : وَوَجَدَكَ لَمْ يَعْرِفَكَ أَحَدٌ بِالنَّبُوَّةِ حَتَّى أَظْهَرَكَ ، فَهَدَى بِكَ السَّعْدَاءُ ، وَلَا
 أَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ مِنَ الْمَفْسَرِينَ فِيهَا : ضَالًّا عَنِ الْإِيمَانِ ^(٩) .
 وَكَذَلِكَ ^(١٠) فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ ^(١١) : ﴿ فَعَلَّمْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ؛

(١) عَلَى أَنَّ « ضَال » فاعل : وَجَد . . . (٢) سورة يوسف ، آية ٩٥

(٣) أَى عِنْدَ ابْنِ عَطَاء . (٤) سورة يوسف ، آية ٣٠

(٥) بَيِّنَةٌ : ظَاهِرَةٌ مَكْشُوفَةٌ .

(٦) الْجَنَيْدُ : هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَوَارِيرِي ، الْمَشْهُورُ بِسَيِّدِ الطَّائِفَةِ وَشَيْخِ الطَّرِيقَةِ ، أَصْلُهُ
 مِنْ نِهَادَنْد ، وَمَوْلَاهُ وَمَنْشُؤُهُ بِالْعِرَاق ، كَانَ شَيْخَ وَقْتِهِ وَفَرِيدَ عَصَرِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ
 وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(٧) مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ .

(٨) سورة النحل ، آية ٤٤ . وَلِلرَّادِّ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنُ ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ مِنَ التَّنْذِيرِ وَالْمَوْعِظَةِ ؛
 لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ مِمَّا خَفِيَ عَلَيْهِمْ ؛ فَالضَّلَالُ التَّحِيرُ فِيمَا شَقَّ عَلَيْهِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ ؛ وَمِثْلُهُ
 لَا ضَرِيرَ فِيهِ .

(٩) لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ مَمْصُومُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا عَنِ السَّكْرِ وَكُلِّ
 مَا تَنْفَرُ عَنْهُ الْقُلُوبُ .

(١٠) أَى مِثْلَ آيَةِ : وَوَجَدَكَ ضَالًّا « فَهَدَى » وَتَأْوِيلُهَا . . .

(١١) سورة الشعراء ، آية ٢٠

أى من الخاطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد^(١)؛ قاله ابن عرفة .

وقال الأزهرى : معناه من الناسين .

وقد قيل ذلك فى قوله^(٢) : ﴿ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ؛ أى ناسياً ؛ كما قال تعالى^(٣) : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ .

فإن قلت : فما معنى قوله^(٤) : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾^(٥) ؟

فالجواب أن السمرقندى قال : معناه : ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن^(٦) ، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان .

وقال بكر القاضى نحوه ؛ قال : ولا الإيمان الذى هو الفرائض والأحكام ؛ قال : فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمناً بتوحيده ؛ ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدربها قبل ؛ فزاد بالتكليف إيماناً ؛^(٧) وهو أحسن وجوه^(٨) .

(١) بغير قصد وتعمد لقتل النفس التى قتلها ؛ وهذا معنى جائز قبل النبوة ؛ فلا يتوهم من هذه الآية أن فيها نقيصة لموسى عليه السلام ؛ لأن الضلال بمعنى الخطأ ، وضمير « فعلتها » للمفصلة التى فعلها ، وهى قتله قبلياً من أتباع فرعون بمصر قبل نبوته ، وقد وبخه فرعون عليها ، وعدد نعمه عليه بقوله : ألم نربك فينا وليداً ... فأجابه بقوله : « فعلتها إذا وأنا من الضالين » ؛ فوصف نفسه بالضلال ؛ فالضلال بمعنى الخطأ وعدم القصد لقتله ؛ وإنما أراد دفعه فوكزه فمات من وكزه ، ومثله لاضرير فيه لأنه خطأ .

(٢) سورة الضحى ، آية ٧

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ . وتفضل : تنسى . (٤) سورة الشورى ، آية ٥٢

(٥) قال الخفاجى : ووجه السؤال أنه نفى عنه - صلى الله عليه وسلم - معرفته بالقرآن المنزل عليه ، وبالإيمان . والأول صحيح لأن عدم معرفته بالقرآن قبل الوحي أمر مقرر . والمشكل إنما هو الثانى ؛ لأنه يقتضى أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن مؤمناً قبله ، وهو معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها ؛ ولذا قيل : إن المراد به الإيمان بما يجب الإيمان به من أحكام الشريعة ، لا مجرد التوحيد والتصديق .

(٦) أى لا تعرف قراءته ولا دراسته .

(٧) أى أحسن ما وجهت به الآية .

(٨) من هنا ساقط فى ا

فإن قلت : فما معنى قوله ^(١) : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ ؟ فاعلم أنه ليس ^(٢) بمعنى قوله ^(٣) : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ ؛ بل قد حكى أبو عبيد ^(٤) الهرّوى أن معناه لَمَنِ الْغَافِلِينَ عن قصة يوسف ؛ إذ لم تعلمها إلا بوَحِينَا ^(٥) .

وكذلك ^(٦) الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شَيْبَةَ بسنده عن جابر رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهدُ مع المشركين مشاهدتهم ^(٧) ، فسمعَ مَلَائِكِينَ خَلْفَهُ ، أحدهما يقولُ لصاحبه : اذهب حتى تقومَ خَلْفَهُ . فقال الآخر : كيف أقومُ خَلْفَهُ وَعَهْدُهُ باستلامِ الأصنام ؛ فلم يشهدم ^(٨) بعد .
فهذا حديثٌ أنكره أحمد بن حنبلٌ جدًّا ، وقال : هو موضوع ، أو شبيهٌ بالموضوع .

وقال الدارقُطْنى : يقال إن عثمانَ وَهَمَ في إسناده .
والحديثُ بالجملة مُذَكَّرٌ غَيْرُ مُتَّفَقٍ على إسناده ؛ فلا يُلْتَفَتُ إليه .

(١) سورة يوسف ، آية ٣

(٢) قال الخفاجى : فإن النقلة في هذه الآية غفلة عن العلم بالله وصفاته ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه النقلة .

(٣) سورة يونس ، آية ٧ (٤) الضبط في ب . (٥) ما بين القوسين ساقط في ا .

(٦) ومثل ذلك الذى يومى ما لا يليق بمصمته قبل النبوة .

(٧) يشهد : يحضر . ومشاهدتهم : محال اجتماعهم عند أصنامهم . قال الخفاجى : وهذا هو محل الإنكار من هذا الحديث ؛ فإنه لم ينقل ذلك عنه إلا في رواية ذكرها السهيلي ، وقال : إنها مرة واحدة على ما فيها ، وكان ذلك بإلحاح عليه من عمه أبى طالب ، ثم لم يمد لها .

(٨) أى لم يشهد المشركين في مشاهدتهم بعد ما سمع من المسلمين ما قاله .

قال الخفاجى : وهذا الحديث مشكل ؛ لما تقرر من أنه لم يسكن على شيء مما كان عليه للمشركون من ولادته إلى وفاته . وانظر ما يأتى من كلام المصنف . وانظر أيضا : ميزان الاعتدال : ٣ - ٣٥ ، في إنكاره .

والمعروفُ عن النبي صلى الله عليه وسلم خِلافُهُ عند أهل العلم^(١) من قَوْلِهِ :
« بَغَضْتُ إِلَى الْأَصْنَامِ »^(٢) .

وقوله في الحديث الآخر الذي رَوَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ^(٣) حينَ كَلَّمَهُ عَمَّهُ وَآلُهُ فِي حَضُورِ
بعض أعيادهم ، وعَزَمُوا عليه فيه بعد كَرَاهَتِهِ لذلك ؛ فخرج معهم ، ورجع مَرَعُوبًا ؛
فقال : كَلَّمَا دَنَوْتُ مِنْهَا مِنْ صَنَمٍ تَمَثَّلَ^(٤) لِي شَخْصٌ أبيضٌ طویلٌ يصيحُ بي :
وَرَاءَكَ^(٥) ، لا تَمْسُهُ ؛ فما شَهِدَ بَعْدَهُمْ عِيدًا .

وقوله - في قصةِ بَحِيرَا^(٦) حينَ اسْتَحْلَفَ^(٧) النبي صلى الله عليه وسلم بِاللَّاتِ
وَالْعُزَّى^(٨) إِذَ لَقِيَهُ بِالشَّامِ فِي سَفَرَتِهِ معَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ صَبِيٌّ ، ورَأَى فيه
علاماتِ النبوةِ ، فاخْتَبَرَهُ بِذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تَسْأَلْنِي بِهِمَا^(٩) ،
فواللهِ ما أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهِمَا .

فقال له بَحِيرَا : فبِاللهِ إِيْلَا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا [١٩٠] أَسْأَلُكَ عَنْهُ . فقال : سَلْ
عَمَّا بَدَا لَكَ^(١٠) .

وكذلك^(١١) المعروفُ مِنْ سِيرَتِهِ صلى الله عليه وسلم وتَوْفِيقِ اللهِ لَهُ أَنَّهُ كَانَ
قَبْلَ نُبُوَّتِهِ يَخَالِفُ الْمُشْرِكِينَ فِي وَقُوفِهِمْ مُزْدَلِفَةَ فِي الْحَجِّ ؛ فَكَانَ يَقِفُ هُوَ بِمَرْقَةِ ،
لأنَّهُ كَانَ مَوْقِفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) خلافه : ما يخالفه . عند أهل العلم بالحديث وبأحواله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى جعلنى الله مجبولاً على عدم حبها .

(٣) أم أَيْمَنَ : حاضنته صلى الله عليه وسلم ؛ واسمها بركة . وحديثها هذا رواه ابن سعد

عن ابن عباس ، في الطبقات : ١ - ١٠٣ (٤) تَمَثَّلَ : ظَهِرَ وَتَوَصَّرَ . (٥) وِدَاءَكَ : ارجع .

(٦) بَحِيرَا : الراهب . والقصة في طبقات ابن سعد : ١ - ١٠٠ ، ١٠١ وغيرها .

(٧) اسْتَحْلَفَ : أَقْسَمَ عَلَيْهِ ، أَوْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَحْلِفَ . واللَّاتِ وَالْعُزَّى : اسم صنيتين

معروفين . (٨) لا تَسْأَلْنِي بِهِمَا : لا تقسم علىّ بهما لما فيه من الشرك وتعظيم الأصنام .

(٩) عما بدالك : عن كل شيء خطر ببالك .

(١٠) وكذلك : أى مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم عما كان عليه أهل الجاهلية .

فصل

في حكم عَقْد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية
قال القاضي ^(١) أبو الفضل رضى الله عنه : قد بان بما قدمناه عقود ^(٢) الأنبياء
في التوحيد والإيمان والوَحْيِ وعِصْمَتِهِمْ في ذلك على ما يَتَّبَعُ .
فأما ما عَدَا هذا الباب من عقود ^(٣) قُلُوبِهِمْ فِيمَا عَمَّا أَنَّهَا ^(٤) مملوءة عِلْماً وِثْقَاناً
على الْجُلَّةِ ، وَأَنَّهَا قد احتَوَتْ من المعرفة والعلم بأمور الدِّين والدُّنيا ما لا
شَيْءَ فَوْقَهُ ^(٥) .

وَمَنْ طَالَعَ الْأَخْبَارَ ، وَاَعْتَنَى بِالْحَدِيثِ ، وَتَأَمَّلَ مَا قُلْنَاهُ وَجَدَهُ .
وقد قدمنا منه في حق نَبِيِّنَا في الباب الرابع ^(٦) أول قسم من هذا الكتاب
ما يُبَيِّنُهُ على ما وراءه ، إِلَّا أَنَّ أَحْوَالَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ تَخْتَلِفُ .
فَأَمَّا مَا تَعَلَّقَ مِنْهَا ^(٧) بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَلَا يُشْتَرِطُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ الْعِصْمَةِ مِنْ عَدَمِ
مَعْرِفَةِ الْأَنْبِيَاءِ بَعْضُهَا أَوْ اعْتِقَادِهَا عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَلَا وَضْعَ ^(٨) عَلَيْهِمْ
[فِيهِ] ^(٩) ؛ إِذْ هَمَّهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْآخِرَةِ وَأَنْبِيَائِهَا ، وَأَخْرَجَ الشَّرِيعَةُ وَقَوَائِنُهَا .

(١) هو القاضي عياض - المؤلف .

(٢) عقود : جمع عقد ؛ وهو الجزم والتصميم وعدم الشرك .

(٣) عقود قلوبهم : جزمها .

(٤) أَنَّهَا : أى قلوبهم .

(٥) ما لا شَيْءَ فَوْقَهُ : أى يزيد عليه ويفضله .

(٦) في الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من المعجزات ، وشرفه به من الخصائص

والكرامات في القسم الأول صفحة ٣٤١

(٧) مِنْهَا : أى العلوم والمعارف .

(٨) لا وَضَعَ : لا عيَّبَ ، ولا نقصَ ، ولا تقصيرَ .

(٩) ليس في أ .

وأُمُورُ الدُّنْيَا تَضَادُّهَا^(١) ، بخلافِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ، كَمَا سَنُبَيِّنُ هَذَا فِي الْبَابِ الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ وَاسْكَنَّهُ لَا يُقَالُ : لِمَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوَدِّى إِلَى الْغَفْلَةِ وَالْبَلَهَةِ^(٢) ، وَهُمْ الْمُنْزَهُونُ عَنْهُ^(٣) ؛ بَلَى قَدْ أُرْسِلُوا إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقُلُّدُوا سِيَاسَتَهُمْ وَهَدَايَتَهُمْ وَالنَّظَرَ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا بِالْكَلْبَةِ ؛ وَأَحْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيْرُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مَعْلُومَةٌ ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِذَلِكَ كَلَّةٌ مَشْهُورَةٌ .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ هَذَا الْعَقْدُ^(٤) مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ فَلَا يَصِحُّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْعِلْمُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ جَهْلُهُ جَمَلَةً ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ حَصَلَ عِنْدَهُ ذَلِكَ عَنْ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ، فَهُوَ لَا يَصِحُّ الشُّكُّ مِنْهُ فِيهِ عَلَى مَا قَدْ مَنَاهُ ، فَكَيْفَ الْجَهْلُ ؛ بَلْ حَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ الْيَقِينُ . أَوْ يَكُونُ فَعَلَ ذَلِكَ^(٥) بِاجْتِهَادِهِ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ عَلَى الْقَوْلِ بِتَجْوِيزِ وَقُوعِ الْجَهْلِ مِنْهُ فِي ذَلِكَ^(٦) عَلَى قَوْلِ الْمُحَقِّقِينَ^(٧) ؛ وَعَلَى مَقْتَضَى حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ يَنْزِلُ فِيهِ لَمْ يُنْزَلْ

(١) تضادها : تخالفها .

(٢) الغفلة والبله : أى شدة البلاة ، وعدم الإدراك .

(٣) قال الخفاجى : والحاصل أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالمعائد والشرائع والوحى يقينا من غير شك وشبهة ؛ وأما أمور الدنيا ، لبخسها ، فلا يلزم العلم بها ، لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم أكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها ، وإنما يكون ذلك فى النادر .

(٤) هذا العقد : أى عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم .

(٥) فعل ذلك الأمر المتعلق بالدين ببيان أحكامه حلا وحرمة ونحوه .

(٦) فى ذلك : فيما لم ينزل عليه وحى فيه .

(٧) على قول المحققين : الداهيين لجواز اجتهداه ؛ وهو القول الصحيح .

عَلَىٰ فِيهِ شَيْءٌ^(١) . خَرَّجَهُ الثَّقَاتُ^(٢) .

وَكَقِصَّةِ أُسْرَىٰ بَذْرِ^(٣) ، وَالإِذْنَ لِلْمُتَخَلِّفِينَ^(٤) عَلَىٰ رَأْيِ بَعْضِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ أَيْضًا مَا يَعْتَقِدُهُ مِمَّا يُثْمِرُهُ اجْتِهَادُهُ^(٥) إِلَّا حَقًّا وَصَحِيحًا^(٦) .

هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُلْتَفَتُ إِلَىٰ خِلَافِ مَنْ خَالَفَ فِيهِ [يَمْنٌ أَجَازَ عَلَيْهِ الْخَطَأُ فِي الْاجْتِهَادِ]^(٧) ، لَا عَلَىٰ التَّوَلَّى بِقِصْوَيْبِ الْمُجْتَهِدِينَ الَّذِي^(٨) هُوَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ

(١) أَى فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ وَحْيِهِ .

(٢) الثَّقَاتُ : كَأَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ ، فَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ دَالٌ عَلَىٰ صِحَّةِ اجْتِهَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهُوَ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : ٢ - ٢٧٥ ، وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : بِرَأْيِ .

(٣) الْقِصَّةُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ ١٣٨٥ . وَفِيهِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَالصَّحَابَةِ مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بَنُو الْعَمِّ وَالْمَشِيرَةِ ؛ أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً يَكُونُ لَنَا بِهَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا تَقُولُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ : أَرَىٰ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهُ ، فَنَزَلَ : مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ . فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بَيْنَ بَيْتَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : لَمْ تَبْكِيَانِ؟ أَخْبَرَانِي ، فَإِنْ وَجَدْتَ بَكَاءَ بَكَيْتِ وَإِلَّا نَبَاكِتِ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْكِي لِمَا عَرَضَ مِنَ الْفِدَاءِ ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَىٰ عَذَابِهِمْ أَدْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - لَشَجَرَةٍ عَنْده . قَالَ الْخُفَّاجِيُّ : فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَقُوعِ الْجَهَادِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) كَانَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ؛ فَإِنَّهُ أَذِنَ لِمَجَاعَةِ اسْتِأْذَنُوهُ فِي الْقَعُودِ عَنْهَا فَأَذِنَ لَهُمْ بِالْجَهَادِ مِنْهُ وَلَمْ يَنْتَظِرِ الْوَحْيَ ؛ فَمَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَعَ لُطْفِهِ فِي تَقْدِيمِ الْعَفْوِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ » .

(٥) أَى يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ ثَمَرَةً لَهُ .

(٦) قَالَ الْخُفَّاجِيُّ : وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْطِئُ فِي اجْتِهَادِهِ أَصْلًا كَمَا ارْتِضَاهُ النَّزَالِي ؛ وَبَنَىٰ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْقِيَاسُ عَلَى مَا اجْتَهِدَ فِيهِ ؛ وَهُوَ اللَّائِقُ بِمَقَامِ النَّبَوَةِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي هَامِشِ ب ، وَعَلَيْهِ عَلَامَةُ الصَّحَّةِ . وَهُوَ لَيْسَ فِي أ .

(٨) أَى مَا اعْتَقَدَهُ كُلُّ مُوَافِقٍ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ ؛ فَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ .

عندنا ؛ ولا على القول الآخر^(١) بأن الحق في طرف واحد لمصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ؛ ولأن القول في تحطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ؛ ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه [١٩١] شيء ، ولم يشرع له قبل ؛ هذا فيما عتد^(٢) عليه صلى الله عليه وسلم قلبه ، فأما ما لم يعتد عليه قلبه من أمر النوازل^(٣) الشرعية ؛ فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر^(٤) علم جميعها عنده ؛ إما بوحي من الله ، أو إذن له أن يشرع في ذلك^(٥) ويحكم بما أراه الله^(٦) .

وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها^(٧) ؛ ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم ، وتقررت معارفها لديه على التحقيق^(٨) ، ورفع الشك والريب ، وانتفاء الجهل .

(١) الذي ذهب إليه الجمهور . قال الحفاجي : بأن الحق في طرف واحد غير معين ؛ فالآخر خطأ إلا أنه لا إثم عليه فيه ؛ وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يخطئ أو لا يقر على الخطأ .

(٢) عقد : علمه علما جازما .

(٣) النوازل : جمع نازلة ، وهي القضية التي تحدث له وتحتاج لبيان الحكم فيها . والنوازل الشرعية : التي يتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة .

(٤) في ١ : استقرغ .

(٥) يشرع في ذلك : أي يأخذ في بيانه ، أو يبين ما حكم الشرع فيه برأيه واجتهاده .

(٦) بما أراه الله : بما عرفه وعلمه بوحي منه أو إلهام ونظر فيما أنزل عليه ، كما قال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب لنحكم بين الناس بما أراك الله » - والآية دالة على اجتهاده للأذون له فيه ، وأنه مصيب فيه .

(٧) منها : من النوازل الواقعة لبيِّن الله له الحكم فيها ، ويجتهد في قليل منها أحيانا .

(٨) على التحقيق : أي متيقنة محققة بلا تردد .

وبالجملة فلا يصح منه الجهلُ بشيءٍ من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه ؛ إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه^(١) .

وأما ما تعلق بمقدّمه من ملكوت السموات والأرض ، وخلق الله^(٢) تعالى ، وتعيين أسمائه الحسنی وآياته الكبرى^(٣) ، وأمور الآخرة ، وأشراف الساعة^(٤) ، وأحوال السعداء والأشقياء ، وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي - فعلى ما تقدّم من أنه معصوم فيه ، لا يأخذه فيما أعلم منه شك^(٥) ولا ريب ؛ بل هو فيه على غاية اليقين ؛ لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك ، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر ؛ لقوله^(٦) : « إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي » . ولقوله^(٧) : « وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »^(٨) ، ولا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين .

(١) قال الخفاجي : فكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بأحكام ربه ، وله الولاية العامة على جميع خلقه ، والإمامة العظمى ؛ فكان يحكم بالقضاء والسياسة والإفتاء ، ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه السلام .

(٢) بمقدّمه : يجزم قلبه فيما بصره الله تعالى به من علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الأجرام العلوية ، وأنها حادثة مستغنى عنها وما فيها من الملائكة للوكلين بها ، والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقها ، وعلامات لحكم الهيثة ؛ وكذلك الأرض التي جعلها الله مقر العبادة وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما أودعه فيها ، ومخلوقات الله التي بثها فيها وأبدعها حكما تحار فيها العقلاء .

(٣) أسمائه الحسنی : الدالة على ذاته وبديع صفاته . قال الخفاجي : وتعيين - إشارة إلى أنها توقفية ، فلا يطلق عليه إلا ما ورد به إذن شرعى . (٤) أشراف الساعة : علاماتها الدالة عليها . (٥) لا يأخذه : لا يمرض له ، ولا يطرأ عليه . فيما أعلم - أى فيما أعلمه الله به . (٦) فى حديث رواه البيهقي .

(٧) فى حديث روى فى الصحيحين . صحيح مسلم : ١٧٦ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٣٤٦ ، وصحيح البخارى : ٩ - ١٧٦ . قال الخفاجي : وهو حديث قدسى ، أوله : أعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ بله ما اطلعتم عليه ، اقرءوا إن شئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ، ففيه دليل على أن من أحوال السعداء ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم . (٨) ولا خطر : ولا طرأ عليه .

وقول موسى للخضر^(١) : ﴿ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّقَ مِنِّي عُلْمَتَ رُشْدًا ﴾ .
 وقوله صلى الله عليه وسلم^(٢) : « أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا
 وَمَا لَمْ أَعْلَمْ^(٣) » .
 وقوله : « أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَاسْتَأْثَرْتَ^(٤) بِهِ
 فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ » .
 وقد قال الله تعالى^(٥) : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ - قال زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ
 وغيره : حتى ينتهى العلم إلى الله .
 وهذا^(٦) مالا خفاء به ؛ إذ معلوماته تعالى لا يُحَاطُ بِهَا وَلَا مُنْتَهَى لَهَا .
 هذا حُكْمُ عَقْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف
 والأُمُور الدينية .

فصل

[في إجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان]
 واعلم أن الأمة مجمعة على عِصْمَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان
 وكفائته^(٧) منه ، لا في جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس^(٨) .

-
- (١) سورة الكهف ، آية ٦٦
 (٢) في حديث صحيح رواه الديلمي عن أنس رضى الله عنه .
 (٣) قال الخفافى : وهذا الحديث يدل على أن الله أسماء لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم
 مما لا يعلمه إلا الله ؛ ولا ضير في مثله .
 (٤) استأثرت به : انفردت بعلمه دون غيرك .
 (٥) سورة يوسف ، آية ٧٦
 (٦) وهذا : أى انتهاء العلم إليه تعالى .
 (٧) وكفائته منه : وحمايته منه .
 (٨) خاطره : فسكره وقلبه . بالوساوس : وهو ما يليقه الشيطان في نفسه . وفي ب :
 بالوسواس .

وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي - رحمه الله - قال : حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون المَدَل ، حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره ، حدثنا أبو الحسن الدارقطني ، حدثنا إسماعيل الصفار ، حدثنا عباس الترقفي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سُفْيَان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسرور ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال ^(١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكُلٌّ ^(٢) » به قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٣) .

قالوا : وإياك ^(٤) يا رسول الله ؟ قال : وإياي ؛ ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم .

زاد غيره - عن منصور : فلا يأمرني إِلَّا بخير .
وعن عائشة بمعناه .

وروى ^(٥) : فأسلم - بضم الميم ؛ أي فأسلم أنا منه .
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها .

وروى ^(٦) : فأسلم ^(٧) - يعني - القرين - أنه انتقل من حال كفره إلى الإسلام ؛ فصار لا يأمر إِلَّا بخير ، كالملاك .
وهو ظاهر الحديث .

(١) في حديث رواه مسلم . صحيح مسلم : ٢١٦٧

(٢) وكل : عين للازمنة ، كالحفيظ للآزمن لمن يحفظه . قرينه : الذي يكون مقارنا له .
وفي ب : وقد وكل به .

(٣) قال الخفاجي : أما قرين الجن فإنه موكل بوسوسته وإغوائه . وأما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة .

(٤) وإياك يا رسول الله : يعني أو كل بك قرين من الجن كنيرك يا رسول الله ؟

(٥) في ١ : روى .

(٦) بصيغة الماضي .

(٧) والرواية في صحيح مسلم : ٢١٦٨

ورواه بعضهم : فاستسلم^(١) .

قال القاضي أبو الفضل : فإذا [١٩٢] كان هذا حكمُ شَيْطَانِهِ وَقَرِينِهِ الْمُسْلِمِ عَلَى بَنِي آدَمَ ، فكيف بمن بَعَدَ منه ، ولم يلزَمْ صُحْبَتَهُ ، ولا أَقْدَرَ عَلَى الدُّنُوِّ مِنْهُ . وقد جاءت الآثارُ بِتَصَدُّى الشَّيَاطِينِ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ^(٢) ؛ رَغْبَةً فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ وَإِمَانَةٍ نَفْسِهِ ، وَإِدْخَالِ شُغْلٍ عَلَيْهِ ؛ إِذْ يَتَسَوَّأُ مِنْ إِغْوَائِهِ فَاتَّقِلْبُوا خَاسِرِينَ^(٣) ، كَتَمَرُضِهِ^(٤) لَهُ فِي صَلَاتِهِ ؛ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْرَهُ^(٥) .
ففي الصَّحَّاحِ^(٦) : قال أبو هريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي » .

قال عبد الرزاق : في صورة هريرة ، فشدَّ^(٧) عَلَى يَقْطَعُ عَلَى الصَّلَاةِ فَأَمَكَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَذَعَّتُهُ^(٨) . ولقد هممتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ^(٩) حَتَّى تُصَيِّحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ،

(١) استسلم : انقاد وكف عن الوسوسة .

(٢) تصدى : تعرض . . . في غير موطن : في مواطن كثيرة .

(٣) فاتقلبوا : رجعوا عما تصدوا له . خاسرين : خائبين ؛ لعدم قدرتهم عليه وعلى القرب منه .

(٤) كتمرضه : أى تعرض الشيطان له وهو مستغرق بالتوجه إلى الله .

(٥) أسره : أى أخذه وقهره باستيلائه عليه قهرا .

(٦) الصحاح : الأحاديث الصحيحة المروية في البخارى ومسلم وغيرهما : والحديث في صحيح

مسلم : ٣٨٤ ، ومسنده أحمد : ١ - ٢٩٧

(٧) شد على : حل ، ووثب وثبة على .

(٨) ذعته : خنقته . والدعت ، والدعت - بالذال والذال : الدفع العنيف . والدعت أيضا :

الملك في التراب (النهاية) . وفي هامش ا : ذعته يذعته ذعتا : معك ، كأنه ينفطه في الماء .

وقيل : هو أشد الخنق (من المحكم لابن سيده) . وفي صحيح مسلم : وأما ابن أبي شيبة

فقال في روايته : فدعته . ودعته : دفمته دفما شديدا .

(٩) أوثقه : أربطه . والسارية : العمود للنصب ليوضع عليه سقف ونحوه .

فذكرت قول أخى سليمان ^(١) (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من
بمدي) ، فردّه الله خاسئا ^(٢) .

وفي حديث أبى الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم ^(٣) : « إن عدوّ الله إبليس
جاء فى شهاب ^(٤) من نار ليجمعه فى وجهي ، والنبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ،
وذَكَرَ ^(٥) تموّذه بالله منه ، وأَقْنَعَهُ له ؛ ثم أردتُ أخْذَهُ ، وذَكَرَ نحوه ؛ وقال :
لأصبح موثقاً ^(٦) يتلاعب به ولدان أهل المدينة ^(٧) .

وكذلك فى حديثه فى الإسراء ، وطلب عَفْرِيتٍ له ^(٨) بشعلة نار ، فعلمه جبريلُ
ما يعمّودُ به منه ^(٩) - وذكره فى الوطأ ؛ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبّب
بالتوسط إلى عِدَاهُ ^(١٠) ؛ كقضيته مع قُرَيْشٍ فى الائتار ^(١١) بقتلِ النبي صلى الله عليه
وسلم وتصوره فى صورة الشيخ النجدي .

(١) سورة ص ، آية ٣٥ ، والملك الذى أعطاه الله له ملك الإنس والجن والدنيا كلها .

(٢) خاسئا : خائبا حقيرا ، لعدم ظفّره بما أراد .

(٣) رواه البيهقي ، ومسلم : صحيح مسلم : ٣٨٥ .

(٤) شهاب : شعلة . ليجمعه فى وجهي ؛ ليلقيه على ليقطع صلاتي .

(٥) الذى ذكر هو أبو الدرداء . (٦) موثقاً : مربوطاً .

(٧) ولدان أهل المدينة : ولدان : جمع وليد ، وهو الصبي الصغير .

(٨) طلب عَفْرِيت : توجه عَفْرِيت نحوه ليرميه بشعلة من نار .

(٩) قال الحفاجي : وماعلمه له جبريل هو قوله : أعوذ بوجه الله الكريم ، وكلمات الله

التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يخرج فيها ، وشر ما ذرأ
فى الأرض ، وشر ما يخرج منها ، وشر فتن الليل والنهار ، وشر طوارق الليل ، إلا طارقا يطرق
بخير . وقال له : إذا قتلن أطفأت ناره .

(١٠) أى جمل الأعداء سببا وواسطة لإبصال الأذى إليه بإغوائهم وتحريضهم على أذيته

وإغرائهم عليه .

(١١) الائتار : المشاورة فى المهم . وقد كان ذلك حين اجتماعهم بدار الندوة بمكة حين

بلنهم لإسلام الأنصار ، فاجتمعوا للتشاور فى أمر النبي الذى انتشرت دعوته . . .

وَمَرَّةً أُخْرَى فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فِي صُورَةِ ^(١) سُرَاقَةِ بَنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ ^(٢) :
 ﴿ وَإِذْ زَيْنٌ لَمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .
 وَمَرَّةً يُنْذِرُ بِشَأْنِهِ عِنْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ ^(٣) .

وَكُلُّ هَذَا فَقَدْ كَنَاهُ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَعَصَمَهُ ضَرَرُهُ ^(٤) وَشَرُّهُ .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : « إِنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُفِيَ مِنْ لَمْسِهِ ^(٦) ،
 نَجَاءً لِيَطْعَنَ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِهِ لَحِينَ وَوَلَدَ ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ ^(٧) » .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ، وَشَرْحِ الْقَارِي (٢ - ٢١٦) : وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي
 دَلَالَتِهِ : إِنْ الشَّيْطَانُ تَمَثَّلَ لِكُفَّارِ قَرِيشٍ يَبْدُرُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةِ بَنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمِ الْكِنَانِيِّ ،
 وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَخَافُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ أَنْ يَأْتُوا لَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَتَلُوا رِجَالًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ
 لَهُمْ : مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِقْلَاءِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَنْهَزُمُونَ وَهُمْ يَقَاتِلُونَ عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ ، وَكَانَ
 تَمَثُّلُ مَعَ جَنْدِهِ لَهُمْ بِصُورَةِ قَوْمٍ مِنْ بَنِي مَدَلَجٍ فِيهِمْ سُرَاقَةٌ أَتَوْا لِإِمْدَادِهِمْ ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ :
 لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَأَمَدَهُمُ اللَّهُ بِجُنُودٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُمْ
 إِبْلِيسُ وَلِيَ عَنْهُمْ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ جَارٌ لَنَا . فَقَالَ : إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ؛ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ؛ أَيْ
 إِهْلَاكَ لِي وَلِجَنْدِي ؛ وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ فِي الْآيَةِ . وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ :

٣ - ١٦ ، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٤ - ٧

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، آيَةُ ٤٨

(٣) يُنْذِرُ بِشَأْنِهِ : يُخْبِرُ بِحَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيَخُوفَ النَّاسَ مِنْهُ . وَكَانَ الْإِنْصَارُ
 قَدْ بَايَعُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا بِمَحَلٍّ فِيهِ الْآنَ مَسْجِدٌ يُسَمَّى مَسْجِدَ الْبَيْعَةِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
 الشَّيْطَانُ صَرَخَ بِأَهْلِ صَوْتِهِ : هَذَا مُحَمَّدٌ وَمَعَهُ الصَّبَاةُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لِمَا سَمِعَهُ : هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ ؛ أَيْ شَيْطَانُهَا .

وَأَصْلُ الْأَزْبِ : السَّكْثُ الشَّعْرَ ؛ سَمِيَ بِهِ الشَّيْطَانُ .

(٤) ضَرَرُهُ - بِفَتْحِ الضَّادِ ؛ أَيْ ضَرَرُهُ .

(٥) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٨٣٨ ، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ٦ - ٣٣٨

(٦) لَمْسُهُ : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الشَّيْطَانِ .

(٧) أَيْ فِي شَيْءٍ حُجِبَ عَنِ الْوُصُولِ لِلْمَسِّ جَسَدَهُ . وَقِيلَ : الْحِجَابُ : الشَّيْءُ ، وَهِيَ
 الْفِئَاءُ الْقَدَى يَكُونُ الْجَنِينَ فِي دَاخِلِهِ .

وقال صلى الله عليه وسلم حين لُدَّ^(١) في مَرَضِهِ ، وقيل له : خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ^(٢) - فقال : إنها من الشيطان ، ولم يكن الله يُسَلِّطُهُ عَلَيَّ .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى^(٣) : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ ﴾^(٤) مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ - فقد قال بعضُ المفسرين : إنها راجعةٌ إلى قوله^(٥) : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ؛ ثم قال : وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ ؛ أى يَسْتَخِفُّكَ غَضَبُ يَحْمَلُكَ عَلَى تَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ تَعَالَى .

وقيل : النَّزْغُ هَاهُنَا الْفَسَادُ ، كما قال تعالى^(٦) : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ .

وقيل : يَنْزَغُكَ : يَفْرِينُكَ^(٧) وَيُحَرِّكُكَ . وَالنَّزْغُ : أَدْنَى الْوَسْوَسَةِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَتَى تَحَرَّكَ^(٨) عَلَيْهِ غَضَبٌ عَلَى عَدُوِّهِ ، أَوْ رَامَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِغْرَائِهِ بِهِ وَخَوَاطِرِ أَدَانِي وَسَاوِسِهِ ، لَمْ يُجْعَلْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَيْهِ - أَنْ يَسْتَعِذَّ مِنْهُ ، فَيَسْكُنِي أَمْرُهُ ، وَيَكُونَ سَبَبَ تِمَامِ عِصْمَتِهِ ، إِذْ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ بَأْ كَثَرٍ مِنَ التَّمَرُّضِ لَهُ ، وَلَمْ يُجْعَلْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ .

وقد قيل في هذه الآية غَيْرُ هَذَا .

(١) لد : من اللدود : دواء يوضع في أحد شقي الفم يتفرغر به ثم يشرب .

(٢) ذات الجنب : اسم لمرض يكون في باطن الجنب .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٠٠

(٤) أصل معنى النزغ لفة إدخال شيء مفسد كالطمن . فأصل انزغ الطمن ، ثم شاع في كل

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٩٩ مفسد .

(٦) سورة يوسف ، آية ١٠٠ ، ونزغ الشيطان : أفسد .

(٧) يفرينك : من الإغراء ، وهو الحث والتعريض على أمر ما .

(٨) تحرك : طرأ عليه وعرض عليه .

وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ، وبُلبس^(١) عليه ،
لا في أول الرسالة ولا بعدها .

والاعتماد في ذلك^(٢) دلائل المعجزة ؛ بل لا يشك [١٩٣] النبي أن يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة^(٣) ، إِمَّا يَعْلَمُ ضَرُورَتِي بِمَلَقَةِ اللَّهِ لَهُ ، أَوْ بِيْرَهَانٍ يُظْهِرُهُ لَدَيْهِ ،
لَتَقِيَمَ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ، لا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ^(٤) .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى^(٥) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَتَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾^(٦) ، فينسخ الله ما يُبَاقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

فَاعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَقَابِيلَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْوَعْتُ^(٧) ، وَالسَّمِينُ
وَالْفَتْ^(٨) ؛ وَأَوَّلَى^(٩) مَا يُقَالُ فِيهَا مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ التَّفْسِيرِينَ : أَنَّ التَّمَتَّى هَاهُنَا
التَّلَاوَةُ ، وَإِنْفَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا شَغْلُهُ^(١٠) بِخَوَاطِرٍ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّمَتَّى حَتَّى
يُدْخَلَ عَلَيْهِ الْوَقْتُ وَالنَّسْيَانُ فَيَمَّا تَلَاَهُ ، أَوْ يَدْخُلَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنْ

(١) ويابس عليه : يخلط عليه .

(٢) في ذلك : أى في عدم تلبس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك .

(٣) حقيقة : لاتعويها ولا تلبسها عليه .

(٤) لا مبدل لكلماته : أى لا يمكن تغييرها ، ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة

عليها . (٥) سورة الحج ، آية ٥٢

(٦) التمتي : بمعنى التلاوة ، والقراءة . والأمنية : الكلام المتلو .

(٧) أى ما هو ظاهر سهل فهمه ، ومنها ما هو خفي يسره فهمه . وأصل الوعث : المكان

الكثير الرمل الذى يشق المشى فيه ؛ ثم استعمل بمعنى المشاق .

(٨) السمين : مستعار من السمن ؛ وهو الممتلئ من اللحم والشحم . والفث ضده .

(٩) أولى : أحق ، أو أقرب .

(١٠) في هامش الإمامها : اشتغاله .

التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ، ويكشف^(١) كَيْسَهُ ، ويُحْكِمُ آيَاتِهِ .
وسياتى الكلام على هذه الآية بأشبع من هذا إن شاء الله .
وقد حكى السمرقندى إنكار قول مَنْ قال بتسليط الشيطان على مُلْكِ سليمان ،
وغلَبَتِهِ عليه ، وأنَّ مِثْلَ هذا لا يَصِحُّ .
وقد ذَكَرْنَا قصةَ سليمانَ مَبِينَةً بَعْدَ هذا ، وَمَنْ قال : إِنَّ الجسدَ^(٢) هو الولد
الذى وَلِدَ لَهُ .

وقال أبو محمد مكيّ في قصة أيوبَ وقوله^(٣) : ﴿ أُنِى مَسْنَى الشَّيْطَانِ يَنْصُبُ
وَعَذَابٌ ﴾ - إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذى أَمْرَضَهُ ، وأَلْقَى
الضَّرَّ فى بَدَنِهِ ، ولا يكونُ ذلك إلا بفعل الله وأمرِهِ ، لِيَبْتَلِيَهُمْ^(٤) وَيُبَيِّنَهُمْ .
قال مكيّ : وقيل : إنَّ الذى أَصَابَهُ به الشيطانُ ما وَسَّوسَ بِهِ إلى أَهْلِهِ .
فإن قُلْتُ : فما معنى قوله تعالى - عن يُوْسُفَ^(٥) : ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ .
وقوله - عن يوسُفَ^(٦) : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ .
وقول نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، حين نام عن الصلاة يوم الوادى : « إِنَّ هَذَا
وَادٍ^(٧) بِهِ شَيْطَانٌ » .

-
- (١) يكشف : يزيل خلطه ، ويبين غلطه .
(٢) الجسد الذى ذكره الله تعالى فى قوله : « وألقينا على كرسيه جسدا » .
(٣) سورة ص ، آية ٤١ . ينصب وعذاب : تعب وألم ومشقة عظيمة .
(٤) لِيَبْتَلِيَهُمْ : يوقع بهم بلاء من مرض وغيره ؛ لِيَخْتَبِرَهُمْ .
(٥) سورة الكهف ، آية ٦٣ .
(٦) سورة يوسف ، آية ٤٢ .
(٧) هو واد بقرب مكة : وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل أمر بلالا أن ينبهه إذا طلع
الفجر ، فنفل عنه ، فنام صلى الله عليه وسلم ونام معه حق أدركه حر الشمس .
وانظر فى ذلك اللوطا ، والبخارى : للوطا : ١٤ .
قال فى نسيم الرياض : فإن قلت : كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم : تنام عيناي
ولا ينام قلبي ؟

وقول موسى عليه السلام في وَكْرَتِهِ ^(١) : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ؟
فاعلم أن هذا الكلام قد يردُّ في جميع هذا على مؤرِّد مستقيم ^(٢) كلام العرب
في وصفهم كلَّ قبيح ، من شخص أو فعلٍ بالشيطان أو فعله ^(٣) ؛ كما قال تعالى ^(٤) :
﴿ طَاعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) : « فليقاتله فإنما هو شيطان » .
وأيضاً فإن قول بوشع ^(٦) لا يُلزَمنا الجواب عنه ؛ إذ لم يثبت له في ذلك
الوقت نبوة موسى ؛ قال الله تعالى ^(٧) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ .

= قلت : أجاب عنه المصنف بأن القلب لا يدرك ما تدرك الحواس الظاهرة كالعين والأذن ،
وأنه صلى الله عليه وسلم كان له حالان : في أحدهما - وهو الأكثر - أن قلبه لا ينام ، وفي بعض
الاحيان تنام عينه وقلبه لعارض كتمب سفر ونحوه .
ثم قال : والجواب الثاني هو الأولي ، وهذا الحديث له أصل أيضاً في مسلم عن أبي هريرة ،
وله طرق أخرى .

(١) سورة القصص ، آية ١٥ . والوكز : الضرب والدفع بجمع الكف . ووكره : المراد
به وكر القبطي المذكور في القرآن . (٢) أي على طريق معروف في استعمال كلام العرب .
(٣) فإذا رأوا شخصاً قبيحاً قالوا : هذا شيطان بالتشبيه البليغ ؛ وإذا رأوا فعلاً قبيحاً
قالوا : هذا فعل شيطان . (٤) سورة الصافات ، آية ٦٥ ، وطاعها : ثمرها .
(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٦٣ ، وروايته عن أبي سعيد الخدري ،
وفيه : إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره ، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره ، فإن
أبى فليقاتله فإنما هو شيطان .

قال الخفاجي : والامر للندب للوجوب ، فإنما يندب إذا كان بين يديه ستره ، وإنما يفعل
ذلك إذا لم يرتد بأسهل الوجوه . وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع ، وإلا فالمقاتلة أفعال كثيرة
لا تجوز في غير صلاة الخوف . وإنما كره ذلك لأنه شغل عن خدمة ربه وتوجهه إليه .
(٦) قوله هو : « وما أفسانيه إلا الشيطان أن أذكره » الذي حكاه الله عنه .
(٧) سورة الكهف ، آية ٦٠ .

والمَرْوِيُّ أنه إنما نُبِّيَ بعد مَوْتِ موسى ، وقيل : قُبِيلَ موته ^(١) .

وقولُ موسى كان قَبْلَ نُبُوَّتِهِ بدليل القرآن ^(٢) .

وقصةُ يوسف قد ذُكِرَ أنها كانت قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ^(٣) .

وقد قال المفسرون في قوله تعالى ^(٤) : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾ - قَوْلَيْنِ : أحدهما : أنَّ

الَّذِي أَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرُ رَبِّهِ أَحَدُ صَاحِبِي السَّجْنِ ، وَرَبُّهُ الْمَلِكُ ؛ أَى أَنَسَاهُ أَنْ يَذْكُرَ لِلْمَلِكِ شَأْنَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وأيضا فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ لَيْسَ فِيهِ تَسْلُطٌ عَلَى يَوْسُفَ وَبُوشَعَ بوساوس ونَزْغ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بِشْغَلِ خَوَاطِرِهَا بِأُمُورٍ أُخَرَ ، وَتَذَكُّيرِهَا مِنْ أُمُورِهَا مَا يُنْسِيهَا مَا نَسِيًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ [١٩٤] فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ تَسْلُطِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا وَسْوَاسَتِهِ لَهُ ؛ بَلْ إِنَّ كَانَ بِمَقْتَضَى ظَاهِرِهِ فَقَدْ بَيَّنَّ أَمْرَ ذَلِكَ

(١) قال الخفاجي : وقيل الأصح أنه نبيء بعد موسى .

(٢) فإنه قص فيه القصة بما يدل على أنه نبيء بعد ذلك ، كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها في سورة القصص ، فإنها قبل خروجه لمدين واستئجار شعيب له ومكثه عنده ، فإنه صرح في الآية بأنه نبيء بعد ذلك .

(٣) أى قبل نبوة يوسف عليه السلام ، فلا يمتنع قبلها أن يخطر عليه خاطر ينسى ذكر ربه المشار إليه بقوله : فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ؛ وهذا أحد القولين فيه . وقيل : إنه نبيء في الحب ، وهو على حِجَرٍ مرتفع ، بدليل قوله تعالى : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا . وقيل : قبل مجيئه لمصر ؛ وهو قول الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة - وهو ابن ثمانى عشرة سنة ؛ فعلى هذا يجب بانه إنما كان استمان بمخلوق ، ومثله جائز وإن لم يلق بمنصب النبوة ، فأضاف ما هو خلاف الأولى إلى الشيطان تأديبا ، ولا ضير فيه . وهذا بناء على أن ضمير الشأن راجع ليوسف .

(٤) سورة يوسف ، آية ٤٢

الشيطان بقوله ^(١) : « إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى ^(٢) بِلَالًا ، فلم يَزَلْ يَهْدُّهُ كما يَهْدُّ الصَّبِيَّ حتى نام ^(٣) » .

فاعلم أنَّ تسلُّطَ الشيطانِ في ذلك الوادى الذى عَرَّسَ به إنما كان على بلالٍ الموكَّلِ بِكَلَاةٍ ^(٤) النَّجَرِ .

هذا إن جعلنا قَوْلَهُ : إِنَّ هذا وادٍ به شيطان ؛ تَنْبِيْهاً على سبب النَّوْمِ عن الصلاة ^(٥) .

وأما إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرَّحِيلِ عن الوادى ، وعلةً لترك الصلاة به ، وهو دليلٌ مساقٍ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ . فلا اعتراضَ به في هذا الباب ^(٦) ؛ لبيانهِ ، وارتفاعِ إشكالهِ .

فصل

[في عصمة النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله]

وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحةُ بِصَحَّةِ المجزئةِ على

(١) بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن أسلم . وقد تقدم .

(٢) أتى بلالاً بعد أن أمره رسول الله أن ينتظر طلوع الفجر ، ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه ، فلم يزل الشيطان . . . وقد تقدم هذا الحديث ، وتخريجه .

(٣) نام بلال فلم يستيقظ حتى أصابه صلى الله عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال : ما هذا يا بلال ! فقال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك يا رسول الله . . . الحديث .

(٤) كلاءة : حراسة ، ومراقبة ؛ أى مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم .

(٥) وذلك بناء على أن المراد أن الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق ، لكن ليس المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل بلال ، وإن الشيطان تحيل عليه في غلبة النوم كما تنحيل الأم على طفلها ليستغرق في نومه .

(٦) في هذا الباب الذى عقد لبيان أن الشياطين لا تسلط لهم على الأنبياء عليهم السلام بوسوسة ونحوها .

صِدْقُهُ^(١) ، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ^(٢) أنه معصوم فيه من الإخبار عن^(٣) شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قصداً وعمداً ، ولا سهواً وغلطاً .

أما تَعَمُّدُ الْخُلْفِ فِي ذَلِكَ^(٤) فَمُتَنَفٍ ، بدليل المعجزة القائمة مقام^(٥) قول الله فيما قال اتفاقاً ، وبإطبات أهل الملة إجماعاً .

وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فهذه السبيل^(٦) عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ومَنْ قال بقوله^(٧) ؛ وَمِنْ جِهَةِ الْإِجْمَاعِ فَقَطْ^(٨) ، وورود الشَّرْعِ بانتفاء ذلك ، وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني وَمَنْ وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا تطول بذكره ، فنخرج عن غرض الكتاب ؛ فلزمت على ما وقع عليه إجماع المسلمين - أنه لا يجوز

(١) الواضحة : الظاهرة القاطمة ، العقلية والنقلية ، من الآيات والبراهين المتضدة بصحة معجزاته على صدقه .

(٣) عن شيء منها : أى عما طريقه البلاغ .

(٤) في ذلك : في الإخبار عما طريقه البلاغ . والحلف : الكذب في إخباره عن أمر مستقبل ؛ وهو متنفذ عنه ، لأنه غير لائق بمقامه .

(٥) مقام قول الله لمن بعث إليهم الرسول : صدق رسولى ونبى فيما قال لكم وبلغكم عنى بدليل معجزته التى هى برهان قاطع على صدق مدعاه .

(٦) على طريق الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه ؛ بل بسهو منه ونحوه . فهذه السبيل : أى طريق انتفائه كطريق انتفاء الهمد فيه ؛ فإن الدليل الدال عليه دال على انتفاء هذا أيضاً ؛ إلا أن الأول متفوق عليه ، وهذا مختلف فيه .

(٧) من قال بقوله ، واتبعه في هذه المسألة ، يعنى أن المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله ، وأنه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا قصداً ولا غلطاً ولا سهواً بطريق من الطرق ؛ فمعجزته - صلى الله عليه وسلم - كما دلت على نبوته دلت على صدقه . وهذا القول ارتضاه المصنف .

(٨) أى ومن جهة الإجماع الدال على أنه لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الكذب لا قصداً ولا سهواً . ومن جهة الإجماع : معطوف على قوله : فهذه السبيل ؛ أى الدال على ذلك إنما هو المعجزة والإجماع لا دليل عقلى غيرهما .

عليه خُلف^(١) في القول في إِبلاغ الشريعة، والإعلام بما أخبر به عن رَبِّه، وما أَوْحاهُ إليه من وَحْيِهِ، لا على وَجْهِ العَمْدِ، ولا على غَيْرِ عَمْدٍ^(٢)، ولا في حَالِي الرِّضَا والسُّخْطِ^(٣)، والصَّحَةِ والمرضِ.

وفي حديث عبد الله بن عمرو^(٤) : قلتُ يا رسولَ الله ! أكتبُ كلَّ ما أسمعُ منك ؟ قال : نعم . قلتُ : في الرضا والنَّصَبِ ؟ قال : نعم ؛ فَإِنِّي لا أقولُ في ذلك كَلَهً^(٥) إلا حَقًّا .

ولنزيد ما أشرنا إليه من دَلِيلِ المعجزة^(٦) عليه بيانا ؛ فنقول :
إذا قامت المعجزةُ على صِدْقِهِ، وأنه لا يقولُ إلا حَقًّا، ولا يبلغُ عن الله إلا صِدْقًا، وأنَّ المعجزةَ قائمةٌ مقامُ قولِ الله له : صدقتَ فيما تذكُرُه عني؛ وهو يقولُ : إني رسولُ الله إليكم لأبلغَكم ما أُرسلتُ به إليكم، وأبينَ لكم ما نُزِّلَ عليكم، ﴿وما ينطقُ عن الهوى . إن هو إلا وَحْيٌ^(٧) بُوحَى﴾ . و﴿قد^(٨) جاءكم الرسولُ بالحقِّ من ربِّكم﴾ . ﴿وما^(٩) آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ؛ فلا يصحُّ أن يوجد منه في هذا الباب^(١٠) خَبَرٌ بخلاف مُخْبَرَةٍ^(١١) على أيِّ وَجْهِ كان .

-
- (١) خلف في القول : أى ما يخالف الحق والواقع .
(٢) ولا غير عمد : من خطأ ونسيان . (٣) السخط : كراهة ذلك الأمر المخبر به .
(٤) رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم ، وصححه .
(٥) كاه : من حالى الرضا والنصب .
(٦) من دليل للمعجزة عليه : أى دلالتها على ما ذكر .
(٧) سورة النجم ؛ آية ٣ ، ٤ . وما ينطق عن الهوى : أى لا يصدر عنه أمر بمجرد هوى نفسه وتشبيهه .

- (٨) سورة النساء ، آية ١٧٠ . فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع .
(٩) سورة الحشر ، آية ٧ . فخذوه : تمسكوا به . وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه ؛
لأنه إنما يأمركم بما أمر الله تعالى ، وينهاكم عما نهى الله تعالى عنه .
(١٠) في هذا الباب : وهو ما طريقه للبلاغ عن الله تعالى .
(١١) أى لا يصدر عنه خبر يخالف للواقع .

ولو جَوَزْنَا عليه الغَلَطَ والسَّهْوَ لما تَبَيَّنَ لَنَا من غيره^(١) ، وَلَا اخْتَلَطَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ؛ فَالْمُعْجَزَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَصَدِيقِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً من غير خصوص^(٢) ؛ فَتَنْزِيهِ النَّبِيِّ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَاجِبٌ بَرَهَانًا وَإِجْمَاعًا^(٣) كَمَا قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ .

فصل

وقد تَوَجَّهَتْ هُنَا لِبَعْضِ الطَّاعِنِينَ^(٤) [١٩٥] سَوَآلَاتٌ مِنْهَا :

مَا رَوَى مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَرَأَ «وَالنَّجْمَ» ، وَقَالَ^(٥) : «أَفْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى» - قَالَ^(٦) : تِلْكَ الْفَرَانِيقُ الْعَلَا ، وَإِنْ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى - وَيُرْوَى : تُرْتَضَى^(٧) . وَفِي رِوَايَةٍ : إِنْ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى ، وَإِنَّمَا لَمَعَ الْفَرَانِيقُ^(٨) الْعَلَا . وَفِي أُخْرَى : وَالْفَرَانِيقَةُ الْعَلَا ، تِلْكَ لِلشَّفَاعَةِ تُرْتَجَى .

(١) أَى مَا تَبَيَّنَ صَوَابُهُ الْوَاجِبُ اتِّبَاعُهُ مِنْ غَيْرِهِ ، أَوْ خَبَرُهُ عَنْ خَبَرٍ غَيْرِهِ .

(٢) مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَصَدِيقِهِ : أَى ثُبُوتِ صَدَقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ . جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ : أَى فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ أَخْبَارِهِ وَمَا يَبْلُغُهُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى . مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ : أَى تَخْصِصٍ لِأَمْرٍ دُونَ أُخَرَ ، إِلَّا بِدَلِيلٍ يَقُومُ عَلَى التَّخْصِصِ .

(٣) بَرَهَانًا : بِطَرِيقِ الْبَرَهَانِ الْعَقْلِيِّ الْمَعْلُومِ مِنَ الْمُعْجَزَةِ وَالتَّحْدِثِ بِهَا . وَإِجْمَاعًا : مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمِلَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعُلَمَاءِ الدِّينِ .

(٤) الطَّاعِنِينَ : الْمُعْتَرِضِينَ .

(٥) قَرَأَ : أَى فِي صَلَاتِهِ . سُورَةُ النَّجْمِ ، آيَةٌ ١٩ ، ٢٠ .

وَاللَّاتُ : صَنَمٌ كَانَ لِقُرَيْشٍ ، أَوْ ثَقِيفٍ . وَالْعُزَّى ، سَمَرَةٌ كَانَتْ لِنُفُطَّانٍ تَعْبُدُهَا . وَمَنَاةٌ صَخْرَةٌ كَانَتْ خَزَاةً وَهَذِيلَ تَعْبُدَانِهَا . وَالثَّالِثَةُ الْأُخْرَى : بِمَعْنَى لِلتَّأَخُّرَةِ . (الْأَصْنَامُ لِلسَّكَلِيِّ) .

(٦) قَالَ : أَى قَاتِلٌ سَمِعَ مَا قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . تِلْكَ ؛ الْمَذْكُورَةُ مِنَ اللَّاتِ وَمَا بَعْدَهَا . الْفَرَانِيقُ : جَمْعُ غَرْنُوقٍ أَوْ غَرْنِيقٍ ؛ وَهُوَ طَيْرٌ مِنْ طُيُورِ الْمَاءِ كَبِيرٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ أَيْضًا ، وَأَصْلُهُ الشَّابُّ النَّاعِمُ - اسْتِعْرَابٌ لِلْأَصْنَامِ . وَالْعَلَا : الَّتِي تَرْفَعُ لِلسَّاءِ . وَإِنْ شَفَاعَتُهَا لَتُرْتَجَى وَتُؤْمَلُ وَتَنْتَظَرُ .

(٧) تُرْتَضَى : تُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ بِرُغْمِهِمْ .

(٨) وَإِنَّمَا لَمَعَ الْفَرَانِيقُ الْعَلَا : يَعْنُونَ الْمَلَائِكَةَ . وَارْجِعْ فِي هَذَا إِلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ :

٦ - ١٧٧ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ : ٧ - ٤٤٤ ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ : ٧ - ١٢٤ ، ١٢ - ٨٢ ، وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ كَلَامَ الْقَاضِي عِيَّاضَ بْنِ هَنَّاكَ .

فلما ختم السورة سجد، وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثني^(١) على آلهتهم .

وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها^(٢) على لسانه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان تمثي^(٣) أن لو نزل عليه شيء يُقاربُ بينه وبين قومه .

وفي رواية أخرى : ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ؛ وذكر^(٤) هذه القصة ، وأن جبريل عليه السلام جاء فعرض^(٥) عليه الشورة ، فلما بلغ الكلمتين قال له :

ما جئتُك بهاتين^(٦) . فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى تسلياً له^(٧) : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمى ألقى الشيطانُ في أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ ما يُلْقِي الشيطانُ ، ثم يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾^(٨) .

وقوله^(٩) : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تُمْخِذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ .

(١) أثني على آلهتهم بقوله المتقدم : تلك الفرائق الملا ، وإن شفاعتها لترتجى .

(٢) ألقاها : ألقى هذه الكلمات ، على لسانه : فسبق لسانه بها سهوا منه ، ثم تنبه ونبهه جبريل لها ، وكان ذلك ابتلاء من الله تعالى ليعلم من ثبت على ذلك أو تزلزل .

(٣) كان تمثي : لحرصه على إيمان قومه . (٤) وذكر : أى صاحب تلك الرواية .

(٥) عرض عليه السورة : قرأها عليه . (٦) ما جئتُك : من الله .

(٧) التسلي : إذهاب حزنه بتطبيب خاطره .

(٨) سورة الحج ، آية ٥٢ .

(٩) سورة الإسراء ، آية ٧٣ ، ٧٤ . كادوا : قاربوا أن يخذعوك عما أوحيناه إليك حتى تقول

مالم تقله مما أرادته قريش حتى تتركن إلى الكفرة لتستميل قلوبهم للإسلام ، فبين الله لك ذلك ، وثبتك على الحق ، وأغناك عن المداورة .

فاعلم - أكرمك الله أن لنا في الكلام على مُشكِـل هذا الحديث مأخذين :
أحدهما : في توهين أصله ، والثاني على تسليمه ^(١) .

أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ،
ولا رواه ثقة بسند سليم ^(٢) متصل ؛ وإنما أولع ^(٣) به وبمثل الغسَّرون والمورَّخون
للولؤن بكل غريب ، المتلفون ^(٤) من الصحف كل صحيح وسقيم .

وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بُلي ^(٥) الناس ببعض
أهل الأهواء ^(٦) والتفسير ؛ وتعلَّق بذلك اللحدون ^(٧) مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته ، واقتطاع إسناده ، واختلاف كلماته ؛ فقاتل يقول : إنه في الصلاة ؛ وآخر
يقول : قالها في نادی قومِه حين أنزلت عليه السورة ؛ وآخر يقول : قالها وقد أصابته
سنة ^(٨) ؛ وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ؛ وآخر يقول : إن الشيطان قالها على
لسانه ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ؛
وآخر يقول : بل أعلمهم ^(٩) الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ؛ فلما بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : والله ما هكذا نزلت - إلى غير ذلك من
اختلاف الرواة .

(١) توهين أصله : تضعيف روايته . على تسليمه : أى التسليم بروايته ؛ تنزلاً وإرخاء
للنعمان لمن أوردته .

(٢) لم يخرج به : لم يروه بسنده . بسند سليم : بسند سالم من الطعن والعلّة والجرح من
نقاد السلف .

(٣) أولع به : يقال : أولع بكذا ، فهو مولع ، إذا لهج به وأكثر من ذكره .

(٤) تلقفه : إذا تناوله بسرعة .

(٥) بلى الناس : من الابتلاء ، وهو الامتحان ، أى صار لهم بلاء وحنة .

(٦) الأهواء : أصحاب الآراء الفاسدة ، والمذاهب الباطلة .

(٧) للحدون : جمع ملحد ، وهو من لم تكن عقيدته حقا ، وللائلون عن الحق .

(٨) سنة : السنة أول النوم ، وهو النعاس . (٩) أعلمهم الشيطان : أى وسوس لهم .

وَمَنْ حَكَيْتَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْهُ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يَسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ،
وَلَا رَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ^(١) ؛ وَأَكْثَرُ الطَّرِيقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ^(٢) ؛ وَالْمَرْفُوعُ فِيهِ
حَدِيثُ شُعْبَةَ : عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِيمَا أَحْسَبُ^(٣) -
الشَّكَّ فِي الْحَدِيثِ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِمَكَّةَ . . . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ : هَذَا الْحَدِيثُ لَأَنَّهُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ يَجُوزُ ذِكْرُهُ إِلَّا هَذَا ، وَلَمْ يُسْنِدْهُ عَنْ شُعْبَةَ إِلَّا أُمِّيَّةُ بْنُ خَالِدٍ ؛
وغيرُهُ يُرْسِلُهُ^(٤) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ وَلَئِنَّمَا يَعْرِفُ عَنِ السَّكَلَبِيِّ^(٥) ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ لَكَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مِنْ طَرِيقٍ يَجُوزُ
ذِكْرُهُ سِوَى^(٦) هَذَا .

وفيه^(٧) من [١٩٦] الضَّعْفِ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَعَ وَقُوعِ الشَّكِّ^(٨) فِيهِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ،
الَّذِي لَا يُوَثِّقُ بِهِ ، وَلَا حَقِيقَةً^(٩) مَعَهُ .
وَأَمَّا حَدِيثُ السَّكَلَبِيِّ فِيمَا لَا تَجُوزُ الرِّوَايَةُ عَنْهُ وَلَا ذِكْرُهُ لِقُوَّةِ ضَعْفِهِ وَكَذِبِهِ ،
كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَزَّارُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١٠) .

(١) إِلَى صَاحِبِ : إِلَى صَحَابِيٍّ مِنَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ، أَوْ إِلَى صَاحِبِ رِوَايَةٍ .
(٢) وَاهِيَةٌ : سَاقِطَةٌ .

(٣) أَحْسَبُ : أَظُنُّ . الشَّكُّ فِي الْحَدِيثِ : أَيْ فِي مَقْتِهِ وَأَصْلِهِ ، لَا فِي سَنَدِهِ .

(٤) يَرْسِلُهُ : يَرْوِيهِ مَرْسَلًا ، وَالْمَرْسَلُ : مَا سَقَطَ مِنْ سَنَدِهِ الصَّحَابِيُّ .

(٥) السَّكَلَبِيُّ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ الْمَفْسَّرُ الْأَخْبَارِيُّ النَّسَابِيُّ . وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ ثِقَةٍ

خَاصًّا إِذَا رَوَى . (٦) سِوَى هَذَا : سِوَى هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْهُ بِسَنَدٍ .

(٧) وَفِيهِ : فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ أَيْضًا .

(٨) مَعَ وَقُوعِ الشَّكِّ فِيهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ الْمَارَّ : فِيمَا أَحْسَبُ .

(٩) وَلَا حَقِيقَةً مَعَهُ : أَيْ تَحَقُّقَ وَثِيقَةٍ .

(١٠) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَإِنَّهُ أَيْ الْبَزَّارُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ قَالُوا : إِنَّهُ كَذَّابٌ وَضَاعٌ لَا يُوَثِّقُ

بِهِ ، وَإِنْ كَانَ إِمَامًا فِي اللَّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ . وَفِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ (٣ - ٥٥٨) : مَذْهَبُهُ فِي الدِّينِ
وَوُضُوحُ الْكُذْبِ فِيهِ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْإِعْرَاقِ فِي وَصْنِهِ .

والذى منه ^(١) فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : والنجم - وهو بمكة ؛ فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ^(٢) .
 هذا توهينه من طريق النقل ^(٣) فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة ، وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته ^(٤) عن مثل هذه الرذيلة ^(٥) ؛
 إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آله غير الله ، وهو كفر ^(٦) ؛
 أو أن يدسور عليه الشيطان ، وبشبهه ^(٧) عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ،
 وبمقد النبى صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى يذبّه ^(٨) .
 جيريل عليه السلام ، وذلك كله ممتنع ^(٩) فى حقه صلى الله عليه وسلم ، أو يقول

(١) منه : من هذا الحديث .

(٢) قال السكرمانى : هى أول سورة نزلت فيها سجدة . وإنما سجد الشركون لألهتهم معارضة للمسلمين ، أو وقع منهم ذلك بلا قصد ، أو خافوا من مخالفتهم فى ذلك المجلس ؛ وقد سبق أن هذا فى صحيح البخارى . وهو فى أحكام القرآن : ١٧٢٣

(٣) قال الخفافى فى نسيم الرياض : وقد قال ابن حجر : قول أبى بكر بن العربى : إن طرق هذا الحديث كلها باطلة ؛ وقول عياض فى الشفاء : إنه لم يخرج له أحد من أهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف نقله واضطراب رواياته لا وجه له ؛ فإن له طرقاً متعددة كثيرة متتابعة الخارج ؛ وكل ذلك يدل على أن له أصلاً ؛ وقد ذكرنا له ثلاثة أسانيد منها ما هو على شرط الصحيح ؛ وهى وإن كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل لا اعتضاد بمضمنا بعض ؛ فتبين بهذا أن مبالغة المصنف - رحمه الله تعالى - فى رد نقله غير مرضية (نسيم الرياض : ٤ - ١٠٠)

(٤) نزاهته : بعده .

(٥) الرذيلة : الخصلة القبيحة الدينية ، وهى - هنا - القول على الله بما لم يقله .

(٦) بقوله : تلك الفرائيق الملا . وهو كفر ؛ لأن الرضا بالكفر كفر .

(٧) يقسور : يتسلط . وبشبهه عليه القرآن ؛ أى يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه .

(٨) بقوله له : ليس هذا من الوحي الذى أتيت به إليك .

(٩) لنزاهته عن مثله وحفظ الله له .

ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل^(١) نفسه عمداً ، وذلك كفر^(٢) ؛ أو سَهْواً ، وهو معصوم من هذا كله .

وقد قرّرنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جرّيان^(٣) الكفر على قلبه أو لسانه ، لا عمداً ولا سهواً ، أو أن يشبهه عليه ما يُلقيه الملك بما^(٤) يُلقى الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل^(٥) ، أو أن يقول^(٦) على الله ، لا عمداً ولا سهواً ، ما لم ينزل عليه ؛ وقد قال الله تعالى^(٧) : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ .

وقال تعالى^(٨) : ﴿ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضمف المات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ .

ووجه ثانٍ ؛ وهو استحالة هذه التهمة نظراً وعرفاً^(٩) ؛ وذلك أن هذا الكلام

(١) أى من غير إلقاء الشيطان عليه ؛ وهو لا ينطق عن الهوى .

(٢) هو كفر ، لأنه افتراء وتبديل لكلام الله تعالى بالزيادة فيه .

(٣) من جرّيان الكفر : وقوعه منه .

(٤) فى ١ : أو أن يشبهه . . . مما يلقى . . .

(٥) سبيل : طريق يصل إليه منه مما حمّاه الله عنه .

(٦) يقول على الله : يفترى عليه عمداً .

(٧) سورة الحاقة ، آية ٤٤-٤٦ . لأخذنا منه باليمين : لأمسكناه وأهلكناه كما فعل بمن افترى

علينا والوتين : عرق فى العنق إذا قطع مات صاحبه ، وهو الوريد ؛ وقطعه عبارة عن الذبح . وفيه دليل على أن الكذب على الله كفر ، وأنه لا يقول على الله ما لم يقله .

(٨) سورة الإسراء ، آية ٧٥ : أى لو قربت من الليل إلى الكفرة . قال الحفاجى :

والآية دليل على عدم تمنيه السابق ، وأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من مقارفة شيء من ذلك .

(٩) نظراً : من جهة النظر والفسر الصادر عن عقل مستقيم فى عصمة رسل الله عليهم

السلام فيما طريقه البلاغ . وعرفاً : أى من جهة ما عرف من أحواله وأحوال غيره من الأنبياء ؛ أى أمراً متعارفاً .

لو كان - كما روى لكان بعيد الالتئام^(١) ، لكونه متناقض الأقسام ، مُنْزَجَ المَذْح بالذم^(٢) ، متخاذل التأليف والنظم^(٣) . ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا مَنْ بحضرته من المسلمين وصناديد^(٤) المشركين ممن يخفى عليه ذلك ؛ وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رَجَحَ حِلْمَهُ^(٥) ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ووجه ثالث أنه علم من عادة المنافقين ، ومُعَانِدِي المشركين^(٦) ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين - نفورهم لأول وهلة^(٧) ؛ وتخليط^(٨) العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعميرهم المسلمين ، والشتم بهم الفينة بعد الفينة^(٩) ،

(١) بعيد الالتئام : المراد أن مناسبتة لما وقع فيه من كلام الله الذي هو في أعلى طبقات البلاغة في غاية البعد .

(٢) المدح لآلهمتهم بجعلها عليه مرجوة الشفاعة ؛ بالذم لها الذي دل عليه سياقه في قوله : إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وأنها ليس لها عند الله شأن ولا منزلة ؛ وهذا يناقض علو منزلتها ورجاء شفاعتها .

(٣) متخاذل التأليف : متناثر النظم غير متلائم .

(٤) صناديد : جمع صنديد : السيد الشجاع ، والحليم ، والجواد ، والشريف ، والمراد خواص رؤسائهم وكبرائهم .

(٥) حله : عقله . ورجحانه : زيادته وقوته .

(٦) ومُعَانِدِي المشركين ؛ أى المشركين المعاندين .

(٧) لأول وهلة : عند أول شيء يقع في آذانهم وأذهانهم ؛ أى قبل التفكير والتأمل فيما قرع أسماعهم ؛ لأنه ليس متسقاً منتظماً مع ما وقع في أثنائه من نظم القرآن .

(٨) تخليط العدو من الكفرة والمنافقين بإدخالهم في كلامه ما ليس منه لأقل فتنة يفتن بها المسلمون ؛ لإدخالهم الشبهة عليهم في دينهم .

(٩) والشتمات - بضم الشين المعجمة ، وتشديد الميم : جمع شامت ، من الشماتة ، وهى فرح العدو بما يصيب عدوه من نوائب الدهر . الفينة بعد الفينة : حيناً بعد حين بما امتحنهم الله تعالى من المصائب تمظيماً لأجرهم بما امتحنهم به من ذلك . أو هى الشتمات - كما فى ، وهم الخائنون بلا واحد (شرح القارى : ٢ - ٢٣٠) .

وارتداد مَنْ في قلبه مَرَضٌ يَمُنُّ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ لِأَذَى شُبْهَةٍ ، وَلَمْ يَحْكُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ النَّصَةِ شَيْئًا سِوَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الضَّعِيفَةِ الْأَصْلِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَوُجِدَتْ قَرِيشٌ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّوْلَةَ^(١) ، وَلَأَقَامَتْ بِهَا الْيَهُودُ عَلَيْهِمُ الْحِجَّةَ ، كَمَا فَعَلُوا مَكَابِرَةً فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ حَتَّى كَانَتْ فِي ذَلِكَ لِبَعْضِ الضَّعَفَاءِ رِدَّةٌ^(٢) ، وَكَذَلِكَ مَا رَوَى فِي قِصَّةِ النَّصِيَةِ^(٣) ؛ وَلَا فِتْنَةَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْبَيِّنَةِ لَوْ وُجِدَتْ ، وَلَا تَشْغِيبٌ^(٤) لِلْعَادِي حِينَئِذٍ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ لَوْ أُمَكَنْتَ^(٥) ؛ فَمَا رَوَى عَنْ مُعَانِدٍ فِيهَا كَلِمَةً ، وَلَا عَنْ مُسْلِمٍ بِسَبِيهَا بِنْتُ شَقَّةٍ^(٦) ؛ فَدَلَّ عَلَى بُطْلِهَا وَاجْتِثَاثِ أَصْلِهَا^(٧) .

وَلَا شَكَّ فِي إِدْخَالِ بَعْضِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ أَوْ [١٩٧] الْجَنِّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى بَعْضِ مَعْفَى الْحَدَّثَيْنِ ، لِيُلبَسَ^(٨) بِهِ عَلَى ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ^(٩) .

- (١) الصَّوْلَةُ : الْإِسْطِطَالَةُ وَالْقَهْرُ ، وَتَسَلَطُوا بِذَلِكَ عَلَى تَرْوِيجِ أَمْرِهِمْ وَمَامِهِ عَلَيْهِ .
(٢) رِدَّةٌ : رَجُوعٌ عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ لِإِنْكَارِهِ وَاسْتِبْعَادِهِ لَهَا .
(٣) الْقَضِيَّةُ : الْوَاقِعَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْقَضَاءُ بِمَا وَقَعَ فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِيَّةِ لَمَّا رَأَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ ؛ فَسَارَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الدِّينِيَّةِ فِي الْوَاقِعَةِ الَّتِي قَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » . وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ مَذْكُورَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ؛ وَقَدْ وَقَعَ بِسَبَبِهَا فِتْنَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ لَمَّا صَدَّاهُمُ الْكُفَّارُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ ، وَصَالِحُهُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَنْ يَرْجِعَ وَيَأْتِيَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ ، وَكُتِبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا شَرْطُ فِيهِ شُرُوطًا فِيهَا شَطَطٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى قَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ رَسُولَ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : أَلَسْتَ عَلَى الْحَقِّ ، وَهَمَّ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَلَمْ نَعْطِ الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا . . .

(٤) التَّشْغِيبُ : تَهْيِيجُ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ .

(٥) لَوْ أُمَكَنْتَ وَقُوعًا .

(٦) كَلِمَةٌ تَلِيْقُ أَنْ يَلْقَى إِلَيْهَا السَّمْعُ . بِنْتُ شَقَّةٍ : كَلِمَةٌ .

(٧) بَطْلُهَا : بَطْلَانُهَا . وَاجْتِثَاثٌ : قَلْعُهَا مِنْ أَصْلِهَا .

(٨) يَلْبَسُ : يُوَقِّعُهُمْ فِي لِبْسٍ وَاسْتِبْلَاهٍ .

(٩) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : هَذِهِ الْقِصَّةُ لَهَا أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْجُمْلَةِ ، لَكِنَّا لَيْسَ فِيهَا مَا يَنْقُصُ مَقَامَهُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَابْطَالُهَا بِالْكَلِمَةِ - كَمَا قَالَ الْمُنْصَفُ - لَا يَنْبَغِي كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ . وَقَدْ سَبَقَ

قَوْلُ ابْنِ حَجَرٍ صَفْحَةَ ٧٥٢

ووجهٌ رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أنَّ فيها نزلت^(١) : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ .

وهاتان الآيتان يرُدُّان الخبر الذي رَوَّوه ؛ لأنَّ الله تعالى ذكر أنهم كادوا يَفْتِنُونَهُ حتى يَفْتَرِي ، وأنه لولا أن ثَبَّتَهُ^(٢) لسكَدَ يَرْكَنُ إِلَيْهِمْ^(٣) .

فضمون هذا ومفهومُه أنَّ الله تعالى عَصَمَهُ مِنْ أَنْ يَفْتَرِي^(٤) ، وثَبَّتَهُ حتى لم يَرْكَنُ إِلَيْهِمْ قليلا ؛ فكيف كثيرا ! وهم يَرَوُّونَ في أخبارهم الواهية^(٥) أنه زاد على الركون والافتراء بَمَدْحِ آلِهِمْ^(٦) ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ ما لم^(٧) يَقُلْ ؛ وهذا ضِدُّ مَفْهُومِ الْآيَةِ^(٨) ، وهي^(٩) تَضَعِفُ الحديثَ لو صَحَّ ، فكيف ولا صحَّةَ له^(١٠) .

(١) سورة الإسراء ، آية ٧٣ ، ٧٤

(٢) وقد ثبته الله فلم يقرب أن يميل إليهم أدنى ميل ؛ فلم يتحقق شيء .

(٣) قال الخفاجي : قيل إن الآيتين لم ينزلا في هذه القصة ، وإنما الذي نزل فيها قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا أتى ألقى الشيطان في أمانيته ... » وهاتان الآيتان نزلتا في ثقيف .

(٤) يفتري عليه ما لم يقله .

(٥) الواهية : الشديدة الضعف .

(٦) مدح آلهم بقوله : تلك الغرائيق العلاء .

(٧) قال ذلك حين قال له جبريل : ماجئت بك بهذا حين عرض عليه السورة - كما تقدم .

(٨) ضد مفهوم الآية التي ذكروا أن هذه القصة سبب نزولها ؛ لأن عدم ركونه إليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح آلهم .

(٩) وهي : أي الآية - تضعف الحديث : تدل على شدة ضعفه لو صح نقله وروايته ؛ لأنه

إذا ورد في الحديث ما ينافي القرآن ، ولم يمكن تأويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه .

(١٠) قال الخفاجي : وقد علمت أن الحديث رواه مسلم .

وهذا مثلُ قوله تعالى في الآية الأخرى^(١) : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِثُونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۝ ﴾ .
وقد رَوَى عن ابن عباس : كل ما في القرآن « كاد » فهو ما لا يكون^(٢) ؛ قال الله تعالى^(٣) : ﴿ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝ ﴾ ؛ ولم يذهب . و^(٤) ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ۝ ﴾ ؛ ولم يفعل .

قال القشيري القاضي : ولقد طالبتُه قُرَيْشٌ وَتَقَيَّفَ إِذْ مَرَّ بِأَلْهَتِهِمْ أَنْ يُقْبِلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْهَا ، وَوَعَدُوهُ الْإِيمَانَ بِهِ إِنْ فَعَلَ ، فَمَا فَعَلَ ، وَلَا كَانَ لِيَفْعَلَ .
قال ابن الأنباري : ما قاربَ الرسولُ ولا ركنَ^(٥) .

-
- (١) سورة النساء ، آية ١١٣ . أن يضلوك : يصرفوك عن الحق . وما يضلون إلا أنفسهم : لا يقع ما أرادوه بك إلا بهم ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .
(٢) ما لا يكون : أى لا يقع ، ولا يوجد ، وإنما يدل على أنه قاربه ولم يقع .
(٣) سورة النور ، آية ٤٣ . السنا : الضوء والنور . ولم يذهب ، أى لم يذهب بها .
(٤) سورة طه ، آية ١٥

قال في شرح القاري (٢ - ١٣٢) : وفيه بحث ، إذ ما أظهرها الله لأحد ، كما يدل عليه سائر الآيات : إن الله عنده علم الساعة . وقوله : يسألونك عن الساعة أيان مرساها . . . إلى ربك منتهاها . وقوله : ويسألونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو . . .

نعم ، قيل في الآية : أكاد أخفيها عن نفسى ، فيصح قوله : ولم يفعل ، لأنه لم يتصور ، وإنما ذكره للمبالغة ، فتدبر .
أو يقال : أكاد أخفى مجيئها ، فلا أقول هى آتية ؛ للمبالغة فى إرادة إخفائها ، فيصح قوله : ولم يفعل حينئذ أيضا .

وقد يقال : أخفيها بمعنى أظهرها ، لأنه من الأضداد . والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد .
وقال في القاموس : وقد يكون كاد بمعنى أراد ، ومنه قوله : أكاد أخفيها ، أى أريد إخفاءها عن غيرى .

(٥) أى لم يقرب من شيء مما كان عليه الكفرة وأهل الجاهلية ، ولا مال إلى شيء من =

وقد ذُكرت في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصية رسوله يَرُدُّ سَفْسَافَهَا^(١)؛ فلم يَبْقَ في الآية إِلَّا أَنَّ الله تعالى امتَنَّ على رسوله بعصمته وتثبيتته بما كادَ به الكُفَّار، ورَامُوا من فِتْنَتِهِ؛ ومُرَادُنَا من ذلك تنزيهه وعِصْمَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو مفهوم الآية .

وأما المأخَذُ الثاني فهو مبنى على تسليم الحديث لوَصَحَّ؛ وقد أعادنا اللهُ من صحَّته؛ ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة؛ منها الفُتُ والسمين^(٢)؛ فمنها ما رَوَى قتادة ومقاتل - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَتْهُ سِنَةٌ^(٣) عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلامُ على لسانه بحُكْمِ النوم .

وهذا لا يَصِحُّ؛ إذ لا يجوزُ على النبيِّ مثله في حالة من أحواله، ولا يخلقه اللهُ على لسانه^(٤)، ولا يستولى الشيطانُ عليه في نومه ولا يَقْطَعُ لِعِصْمَتِهِ في هذا الباب من جميع العمد والسهو .

وفي قول السكبي: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَ نَفْسَهُ؛ فقال ذلك الشيطانُ على لسانه^(٥) .

==أمورهم وما كانوا عليه فضلا على التلبس بها. وابن الأنباري: هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي، كان من أعلم الناس بالأدب والنحو، ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(١) سفسافها: رديها .

(٢) الفُتُ: الضعيف الركيك . والسمين: القوى المقبول .

(٣) سنة: فتور مع أوائل النوم قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والإدراك قريبة من الناس . (٤) لا يخلقه: أي لا يوجد جريانه على لسانه .

(٥) حدث نفسه: خطر ياله من غير نطق به . فقال ذلك الشيطان: أي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في أثناء قراءته، وهو لا يدري؛ فتوهموا أنه صلى الله عليه وسلم قاله، وأنه أوحى به إليه .

وفي رواية ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ؛ قال : وَسَمَّا ؛ فلما أُخِيرَ بذلك قال : إنما ذلك من الشيطان .

وكلُّ هذا لا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا سَهْوًا وَلَا قَصْدًا^(١) ، ولا يَقُولَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ^(٢) .

وقيل : لعلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله في أثناء تلاوته على تقدير التثنية^(٣) والتوبيخ للكنار ؛ كقول إبراهيم عليه السلام^(٤) : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ - على أحد التأويلات . وكقوله^(٥) : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ بعد السَّكْتِ وبيان الفصل بين الكلامين ، ثم رجع إلى تلاوته .

وهذا [١٩٨] مِمَّا يُمْكِنُ مع بيان الفصل وقريضة تدلُّ على المراد ، وأنه ليس من المتلو ، وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر .

ولا يُعْتَرَضُ على هذا بما رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي الصَّلَاةِ ؛ فتد كان الكلامُ قَبْلُ فيها غَيْرُ^(٦) ممنوع .

والَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّحُ فِي تَأْوِيلِهِ^(٧) عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ - كما أمره ربه - يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ، وَيَفْصِلُ

(١) لحفظ الله تعالى له عن مثله . (٢) لمنع الله تعالى له عن تسلطه عليه بمثله .

(٣) أى حملهم على الإقرار . والتوبيخ : أى توبيخهم بعد إقرارهم بعبادة الأصنام ؛ فوصفها بالعلو ورجاء شفاعتها على هذا تهكم واستهزاء .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٧٦ (٥) سورة الأنبياء ، آية ٦٣

(٦) قال الخفاجي : كان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ، ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين .

(٧) في تأويله : في تأويل هذا الحديث : قال الخفاجي : وهذا ما اختاره المراقى .

(٨) على تسليمه : على فرض تسليم وقوعه ، وأنه نطق بذلك .

الآيَ تَفْصِيلاً فِي قِرَائَتِهِ ، كَمَا رَوَاهُ الثَّقَاتُ عَنْهُ ^(١) ، فَيُمْكِنُ تَرَصُّدُ ^(٢) الشَّيْطَانِ لَتِلْكَ السَّكَنَاتِ وَدَسَّهَ فِيهَا مَا اخْتَلَفَ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مَحَاكِئاً نِعْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ يَسْمَعُهُ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْكُفَّارِ ، فَظَنُّوْهَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَاعُوهَا ^(٣) ، وَلَمْ يَتَدَحَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِمَحْفُظِ السُّورَةِ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَتَحَقُّقِهِمْ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِمِّ الْأَوْثَانِ وَعَيْنِيْهَا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْهُ .

[وَقد حَكَّى مُوسَى ^(٤) بَنَ عُقْبَةَ فِي مَعَازِيهِ نَحْوِ هَذَا ، وَقَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعُوهَا ، وَإِنَّمَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ فِي أَسْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ وَقُلُوبِهِمْ] ^(٥) ؛ وَيَكُونُ حَارُوِيٌّ مِنْ حُزْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذِهِ الْإِسَاعَةِ وَالشَّهْبَةِ ، وَسَبَبُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، فَمَعْنَى تَمَنَّى : تَلَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ لَا يَعْزُبُونَ عَنْكَ كَلِمَةٌ إِلَّا أَمَّا نِي ﴾ ؛ أَيُّ تِلَاوَةٍ .

-
- (١) قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَقَدْ سَلَّتْ عَنْ قِرَائَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَرَادَ سَامِعٌ أَنْ يَمِدَّ حُرُوفَهُ عِدْهَا لِتَأْنِيهِ فِيهَا ، وَتَجْوِيدَ حُرُوفِهَا ، وَبَيَانَ حَرَكَاتِهَا وَمَدِّهَا .
 (٢) تَرَصَّدَ : تَرَقَّبَ وَانْتَظَرَ ؛ أَيُّ يَتَرَقَّبُ وَقِفَهُ وَسَكَنَتِهِ بَيْنَ الْآيَاتِ فِي تَرْتِيلِهِ الْقِرَاءَةَ .
 (٣) وَأَشَاعُوهَا : أَيُّ أَظْهَرُوهَا ، وَقَالُوا : إِنَّهُ مَدَحَ آلَهُنَا ، وَوَافَقَ وَلَمْ يَقْدَحْ .
 (٤) فِي ب : مُحَمَّدُ بْنُ عَقْبَةَ . قَالَ الْفَارِسِيُّ (٢ - ٢٣٦) : وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ .
 (٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ فِي ١ : بِخَطِّهِ مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ . وَهُوَ فِي هَامِشِ ب ، وَلَمْ يَكْتُبْ أَمَامَهُ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَةِ .
 (٦) سُورَةُ الْحَجِّ ، آيَةُ ٥٢ .
 (٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٧٨ ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ التَّوْرَةَ .

وقوله : فينسخ الله ما يُلقى الشيطان ؛ أى يذهبه ، ويزيل اللبس به ، ويحكم آياته .

وقيل : معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه .

وهذا نحو قول الكلبي في الآية : إنه حدث نفسه ، وقال : إذا نسي ؛ أى حدث نفسه .

وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه .

وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني ، وتبديل الألفاظ ، وزيادة ما ليس من القرآن ؛ بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ؛ ولكنه لا يُقر على هذا السهو ؛ بل يُنبه عليه ، ويذكر به للحين^(١) على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز .

ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة^(٢) : والغرائقة العلاء ؛ فإن سألنا القصة قلنا : لا يبعد أن هذا كان قرآنا^(٣) ، والمراد بالغرائقة العلاء ، وأن شفاعتهن لترتجى : الملائكة على هذه الرواية^(٤) .

وبهذا فسر الكلبي الغرائقة أنها الملائكة ؛ وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله^(٥) : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ؛ فأنكر الله كل هذا من قولهم ؛

(١) للحين : أى يبادر به في وقت سهوه من غير إهمال له .

(٢) بالمطف على اللات والمزى ومناة الثالثة الأخرى .

(٣) أى كان قرآنا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ، ثم نسخت تلاوته .

(٤) قال في نسيم الرياض : وفُسرَت الغرائق بالأصنام أيضا ؛ وهى فى الأصل طير من

طيور الماء . (٥) سورة النجم ، آية ٢١

ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوَّله المشركون على أن المراد بهذا الذِّكر آلهتهم ، ولَبَسَ^(١) عليهم الشيطان ذلك ، وزينه في قلوبهم وألقاه ، إليهم ، نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم آياته ، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين^(٢) وجد الشيطان بهما^(٣) سبيل الإلباس^(٤) ، كما نُسخ كثير من القرآن ورُفعت تلاوته ؛ وكان في إزال الله تعالى لذلك حكمة ، وفي نسخ حِكْمَةٍ ؛ لِيُضِلَّ به مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ؛ وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين ، و ﴿ لِيَجْعلَ الْبَاقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ [١٩٩] مَرَضٌ^(٥) وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ^(٦) ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ^(٧) لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ^(٨) لَهُ قُلُوبُهُمْ . وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٩) .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم - لما قرأ هذه السورة ، وبلغ ذِكْرَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى خاف الكفار أن يَأْتِيَ بشيء من ذمِّها فسبّوها إلى مدحها بذلك الكلمتين لِيُخْلَطُوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويشغبوا^(١٠) عليه على عاداتهم وقولهم^(١١) : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ .

-
- (١) خلط ، وشبه عليهم بوسوسته .
 (٢) في ب : القى .
 (٣) بهما : إذا ثبتا في هذه السورة .
 (٤) مرض : شك وريبة .
 (٥) المرض : الكافرون - كما قال : « وَإِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .
 (٦) والقاسية قلوبهم من المشركين .
 (٧) تخبت : تنقاد وتدعن وتخضع مطمئنة من غير شك وتزلزل .
 (٨) سورة الحج ، آية ٥٣ ، ٥٤ .
 (٩) يشغبوا : يشروا الشر ، ويهيجوا الفتنة .
 (١٠) سورة فصلت ، آية ٢٦ . والنوا فيه : أظهروا للنوا برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه بما يشغل الخواطر عنه . لعلمكم تغلبون : بأصوات لذكركم على قراءته ؛ من قولهم : هذا غالب هذا ؛ إذا كان زائداً ؛ فكانوا يوصون بذلك من يحضره منهم ، كما قال أبو جهل لعنه الله : إذا قرأ عهد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول . وقيل : كان ذلك بالصياح والتصفيق ، وأنهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته .

وَنُسِبَ هَذَا الْفِعْلُ ^(١) إِلَى الشَّيْطَانِ لِحُلُولِهِ لَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ وَأَذَاعُوهُ ^(٢) ،
وَأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ ؛ فُخِرَ لَكَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ ،
فَسَلِّ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ الْحَقَّ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ ^(٣) ، وَحَفِظَ
الْقُرْآنَ ^(٤) ، وَأَخَذَكُمْ آيَاتِهِ ، وَدَفَعَ مَا لَبَسَ بِهِ الْعَدُوُّ ، كَمَا ضَمِنَهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ ^(٥) :
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ^(٥) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ ^(٦) مَا رُوِيَ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ وَعَدَ قَوْمَهُ بِالْعَذَابِ
عَنْ رَبِّهِ ، فَلَمَّا تَابُوا كُشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، فَقَالَ ^(٧) : لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ كَذَّابًا أَبَدًا ،
فَذَهَبَ مُغَاضِبًا ^(٨) .

فَاعْلَمْ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - أَنَّ لَيْسَ فِي خَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْبَابِ
أَنَّ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُكُمْ ^(٩) ، وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِمْ
بِالْهَلَاكِ ؛ وَالِدَعَاءُ لَيْسَ بِخَيْرٍ يُطْلَبُ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ ^(١٠) ، لَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ : إِنْ

(١) هَذَا الْفِعْلُ : هَذَا الْإِلْقَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ » .

(٢) وَأَشَاعُوا ذَلِكَ وَأَذَاعُوهُ : جَعَلُوهُ مَشْهُورًا مَنَشُورًا .

(٣) الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ : أَيْ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي
أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِيمَا تَلَاهُ . (٤) وَحَفِظَ الْقُرْآنَ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ .

(٥) سُورَةُ الْحَجَرِ ، آيَةُ ٩ . وَالذِّكْرُ : الْقُرْآنُ . وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ مِنَ التَّبْدِيلِ ، وَأَنْ يَزَادَ
فِيهِ أَوْ يَنْقُصَ .

(٦) وَمِنْ ذَلِكَ : وَمِنْ جُمْلَةِ أَسْئَلَةِ الطَّاعِنِينَ عَلَى الرِّسْلِ .

(٧) قَالَ يُونُسُ : لِمَا رَأَى تَخَافُ الْوَعِيدَ لَهُمْ بِالْعَذَابِ .

(٨) مُنَاضِبًا : مُغَاضِبًا مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ ؛ أَيْ غَضِبَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ
غَاضِبٌ قَوْمَهُ حِينَ طَالَ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَتَعَتُّهُمْ ، فَذَهَبَ فَارِئِدًا نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ (الْقُرْطُبِيُّ :
١١ - ٣٣٠) . (٩) حَتَّى يَتَأْتَى أَنْ يَقَالَ : إِنَّهُ صَدَرَ مِنْهُ الْكَذِبُ .

(١٠) أَيْ يَحْتَمِلُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ .

العذاب مُصَبِّحَكُمْ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا، فَكَانَ ذَلِكَ^(١)، كَمَا قَالَ؛ ثُمَّ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ
العذابَ وَتَدَارَكَهُمْ^(٢)؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً آمَنَتْ مِنْكُمْ لِيَأْمَنُوا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِلْزِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَقْنَاهُمْ
إِلَى حِينٍ﴾ .

وَرُيِّىَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّهُمْ رَأَوْا دَلَائِلَ الْعَذَابِ وَخَايَلَهُ^(٤)؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : غَشَاهُمُ الْعَذَابُ كَمَا يُغَشَّى الثَّوْبُ الْقَبْرُ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى مَا رَوَى مِنْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي سَرْحٍ كَانَ يَكْتُبُ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا، وَصَارَ إِلَى قَرِيشَ^(٥)، فَقَالَ لَهُمْ :
إِنِّي كُنْتُ أَصْرَفُ مَعْدَا حَيْثُ أُرِيدُ؛ كَانَ يُنْبِئُنِي عَلَى «عَزِيزِ حَكِيمٍ» فَأَقُولُ أَوْ
«عَلِيمِ حَكِيمٍ» ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ؛ كُلُّ صَوَابٍ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اا كَتُبْ كَذَا، فَيَقُولُ :
أَا كَتُبْ كَذَا؟ فَيَقُولُ : اا كَتُبْ كَيْفَ شِئْتَ . وَيَقُولُ : اا كَتُبْ : عَلِيمًا حَكِيمًا،
فَيَقُولُ : أَا كَتُبْ : سَمِيعًا بَصِيرًا، فَيَقُولُ لَهُ : اا كَتُبْ كَيْفَ شِئْتَ .

وَفِي الصَّحِيحِ^(٦) - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَصْرَانِيًّا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا يَذَرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا
مَا كَتَبْتُ لَهُ .

(١) مُصَبِّحَكُمْ : يَأْتِيكُمْ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ . فَكَانَ ذَلِكَ : أَى وَقَعَتْ وَتَحَقَّقَتْ حَيْثُ لَهُمْ فِي
الْوَقْتِ الْعَيْنِ، وَرَأَوْا سَحَابَةً دَنَتْ مِنْهُمْ نَحْوَ مِيلٍ فِيهَا عَذَابٌ وَدُخَانٌ أَسْوَدُ، فَأَخْلَصُوا التَّوْبَةَ،
وآمَنُوا، وَنَضَرُوا إِلَى اللَّهِ : فَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ .

(٢) وَتَدَارَكَهُمْ : أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْخُلَاصِ مِمَّا خَافُوهُ .

(٣) سُورَةُ يُونُسَ، آيَةُ ٩٨ (٤) وَخَايَلَهُ : عَلَمَاتُهُ، وَمِظَانُهُ .

(٥) صَارَ إِلَى قَرِيشَ : رَجَعَ إِلَيْهِمْ بِمَسْكَةٍ، وَلَحِقَ بِهِمْ، وَوَافَقَ عَلَى شَرْكِهِمْ .

(٦) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٢٤٦

فاعلم - ثَبَّنَا اللهُ وإياك على الحق ، ولا جعل للشيطانِ وتبليسه^(١) الحق بالباطل إلينا سبيلا - أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقعُ في قلبِ مؤمنٍ ربنا^(٢) ؛ إذ هي حكايةٌ عمن ارتدَّ وكفر بالله ، ونحن لا نقبلُ خبرَ المسلمِ عنهم ، فكيف بكافرٍ افتري هو ومثله على الله ورسله ما هو أعظمُ من هذا !

والمعجبُ لسليم العقلِ يشغلُ بمثل [٢٠٠] هذه الحكاية سيره^(٣) ، وقد صدرت من عدوٍّ كافرٍ مُبغضٍ للدين ، مُفتَرٍ على الله ورسوله ؛ ولم تردَّ عن أحدٍ من المسلمين ، ولا ذكر أحدٍ من الصحابة أنه شاهد^(٤) ما قاله وافتراه على نبي الله ؛ وإنما يفترى الكذِبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون .

[وما وقعَ من ذِكْرها^(٥) في حديث أنسٍ رضي الله عنه وظاهرِ حكايتها ؛ فليس فيه ما يدلُّ على أنه شاهدها ، ولعله حكى ما سمع^(٦) .
وقد علَّلَ البزَّارُ حديثه ذلك ، وقال : رواه ثابتٌ عنه ، ولم يُتابعَ عليه^(٧) ؛
ورواه حميد عن أنس ، قال : وأظنُّ حميدا إنما سمعه من ثابت^(٨) .

(١) تبليسه : خلطه .

(٢) ربنا : شكاً وتردداً في حقيقة ما أوحى إلى النبي وأن الشيطان لا يتسلط عليه .

(٣) سره : المراد فسكه أو قلبه .

(٤) ما قاله : ما قاله رسول الله لها ، أو ما قاله له واحد منهما له .

(٥) من ذكرها : أى ذكر هذه القصة .

(٦) حكى ما سمع من غير جزم به ، ولا قول بصحته .

(٧) ولم يتابع عليه ؛ أى لم يرو من طريق آخر يعضده .

(٨) أى لا من طريق آخر يعضده .

قال في نسيم الرياض : ولا يخفى أن حديثه الذى رواه المصنف أخرجه البخارى ، فقال : إنه كان رجل نصراني أسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فمجبوا به . . . وهو حديث صحيح ؛ فرد المصنف له غير صحيح ؛ والذى ينبغي له أن يقول : إن من قاله كذب وافتري ؛ ولا يقدح في أصل القصة وصحتها ؛ فإنها مروية في الصحيحين كما تقدم .

قال القاضي أبو الفضل - وفقه الله - ولهذا ، والله أعلم ، لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد . والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس رضي الله عنه ^(١) الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه ، وليس فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه ^(٢) إلا من حكايته عن المرتدة النصراني ^(٣) ، ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم ^(٤) للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوجى إليه ، ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ، ولا طعن في نظم القرآن ، وأنه من عند الله ؛ إذ ليس فيه لو صحح - أكثر من أن الكاتب قال له : علم حكيم - وكتبه ؛ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم : كذلك هو ، فسبقه لسانه أو قلته لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها ؛ إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول يدل عليها ويقضى وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به ، وجودة حسه وفطنته ، كما يتفق ذلك للعارف ^(٥) إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته ، أو مبتدأ ^(٦) الكلام الحسن ^(٦) إلى ما يتم به ؛ ولا يتفق ذلك في جملة الكلام ، كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ^(٧) .

(١) وهو مما رواه البخاري ومسلم ، وأخرجه البخاري في علامات النبوة . صحيح البخاري : ٤ - ٢٤٦

(٢) من ذلك : أي الذي ذكره السائل عن الطاعن . من قبل نفسه : أي لم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به إليه . (٣) ما بين القوسين ساقط في أ . (٤) قدح : عيب ونقص في مقام النبوة . ولا توهيم : أي نسبته إلى الوهم ، وهو الغلط . (٥) للعارف بأساليب الكلام .

(٦) مبتدأ الكلام : أوله . والحسن : الفصيح المنسجم ؛ وقيده به ؛ لأنه هو الذي يرتبط بعضه ببعض ، وتماثل كلماته وتلازم بخلاف التناثر كلماته .

(٧) في جملة الكلام : أي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بأن يسبق فهمه إلى خطبة أو قصيدة بتمامها ؛ فإن التوارد في مثله بعيد جدا . كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة ؛ أي بتمامها من الآيات والصور .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : كلُّ صَوَابٍ إن صح^(١) ؛ فقد يكون هذا فيما كان فيه مِنْ مَقَاطِعِ الْآيِ^(٢) وَجْهَانِ وقراءتان أَنْزَلْنَا جميعاً عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأَمَلَى إحداها ، وتوصل السَّكَاةُ بِفِطْنَتِهِ ومعرفة بمقتضى الكلام إلى الأخرى ، فَذَكَرَهَا لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم كما قدمناه ؛ فَصَوَّهَا^(٣) لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ ثُمَّ أَحْكَمَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحْكَمَ ، وَنَسَخَ مَا نَسَخَ^(٤) كما قد وَجِدَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ مَقَاطِعِ الْآيِ^(٥) ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى^(٦) : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذه قراءة الجمهور ، وقد قرأ جماعة : « فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . وليست من المصحف .

وكذلك كلماتٌ جاءت على وَجْهَيْنِ فِي غَيْرِ الْمَقَاطِعِ ، قرأ بهما جميعاً الجمهور ، وَثَبَّتَا فِي الْمَصْحَفِ ، مِثْلَ : وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا - وَنُنْشِرُهَا^(٧) . وَيَقْضِي الْحَقَّ - وَيَقْصُ الْحَقَّ^(٨) .

(١) في قصة ابن أبي سرح .

(٢) مقاطع الآي : المقاطع : جمع مقطع ، وهو آخر الكلام وفواصله . والآي : جمع آية .

(٣) فصوبها له : قال له : إنها صواب ، لموافقها لما أوحى إليه .

(٤) قال في نسيم الرياض : وحاصله أن ما قاله ابن أبي سرح لا ضير فيه ؛ فإنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القرآن ، فصوبه النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليها ، فلما ارتد وأضله الله قال ما قال ، ثم أسلم يوم الفتح ، وحسن بإسلامه حاله بعد ذلك ، ومحا الله تعالى عنه ما افتراه حال رده ، سواء كان ما قاله موافقاً لما أملاه عليه أو مخالفاً له على أنه في قراءة أخرى ؛ وقد تتخالف القراءات لفظاً أو معنى ؛ وإنما المنوع فيها التناقض .

(٥) سورة المائدة ، آية ١١٨

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٩ . ننشرها : نحياها . وننشرها : نحرکها ونرفع بعضها على بعض .

(٧) سورة الأنعام ، آية ٥٧ . يقضي الحق : يقضى القضاء الحق في كل ما يقضيه . ويقص

الحق : أي يتبع الحق فيها بحكم به ويقدره .

وكلُّ هذا لا يوجبُ رَيْنًا ، ولا يَنسبُ للنبي - صلى اللهُ عليه وسلم - غَلَطًا ولا وَهْمًا .

وقد قيل : إن هذا يحتملُ أن يكونَ فيما يكتبهُ عن النبي - صلى اللهُ عليه وسلم - إلى الناسِ غَيْرِ القرآن ، فيصف الله وبسميّه في ذلك ^(١) كيف يشاء .

فصل

[فيما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه]

هذا القولُ فيما طريقه البَلَاغ ، وأمّا ما ليس سبيله سبيلَ البَلَاغ ^(٢) من الأخبار التي لا مُستند لها إلى الأحكام ، ولا أخبار المعاد ^(٣) ، ولا تُضاف ^(٤) إلى وَحْيٍ ؛ بل في أمورِ الدنيا وأحوالِ نفسِهِ - فالذى يجبُ اعتِمادُهُ تَنزِيهُهُ النبي - صلى اللهُ عليه وسلم - أنْ يَقَعَ خَبَرُهُ في شيء من ذلك بخلاف مُخْبَرِهِ ^(٥) ، لا عَمْدًا ولا سَهْوًا ولا غلطًا ، وأنه معصوم مِنْ ذلك في حالِ رِضَاه وفي سَخَطِهِ ^(٦) ، وجدّه ومَرْجِه ، وصِحَّتِه ومَرْضِه .

ودليلُ ذلك اتفاقُ السلفِ وإجماعُهم عليه ؛ وذلك أنا نعلمُ مِنْ دينِ الصحابةِ وعاداتِهِمْ مُبَادَرَتَهُمْ إلى تصديقِ جميعِ أحوالِهِ ، والثقةُ بجميعِ أخبارِهِ في أيِّ بابٍ كانت ^(٧) ، وعن أيِّ شيءٍ وَقَعَتْ ، وأنه لم يكن لهم توقُّفٌ ^(٨) ولا تردُّدٌ في شيءٍ منها ، ولا

(١) في ذلك : أي في ذلك الكتاب الذي يكتبه ؛ لأنه ليس قرآنًا .

(٢) مما أمر ببيانهِ .

(٣) لا مستند لها إلى الأحكام : لا استناد لها إلى الأحكام الشرعية التي يتعبد بها . وأخبار المعاد ؛ أي أحوال القيامة والآخرة التي لا تعلم إلا بالوحي .

(٤) تُضاف : تُسند وتُنسب . (٥) مخبره : ما أخبر به .

(٦) سخطه : كراهته وعدم رضاه . (٧) كانت : أي أخباره .

(٨) توقف : المراد شك أو ريب .

استنبات^(١) عن حاله عند ذلك ؛ هل وقع فيها سهو أم لا ؟

ولما [٢٠١] احتج ابن أبي الحقيق اليهودي^(٢) على عمر حين أجلام من خيبر^(٣) بإقرار رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله - صلى الله عليه وسلم : كيف بك إذا أخرجت من خيبر^(٤) ؟ فقال اليهودي : كانت هزيمة من أبي القاسم^(٥) . فقال عمر : كذبت يا عدو الله^(٦) .

وأيضاً فإن أخباره وآثاره وسيره وشماله معتنى بها مستقصى تفاصيلها^(٧) ، ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله ، أو اعترافه بوم^(٨) في شيء أخبر به ، ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته^(٩) عليه السلام في رجوعه صلى الله عليه وسلم عما أشار به على الأنصار في تلقيح^(٩) النخل - وكان

(١) الاستنبات : طلب الثبوت بسؤال غيره .

(٢) رواه البخاري في حديث إجلاء يهود خيبر : صحيح البخاري : ٣ - ٢٣٩

(٣) أجلام : أخرجهم وطردهم في زمن خلافته عن خيبر . وهي بقرب المدينة . وكان صلى الله عليه وسلم أفرم بها على أن تكون ثمارها بينه وبينهم ، ثم أفرم أبو بكر على ما أفرم عليه رسول الله ، ثم أفرم عمر في أول خلافته على ذلك ؛ ثم لما ظهر له غدرهم أجلام منها ، وأعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والأموال ، وكانت محاجة اليهودي له عند ذلك .

(٤) كيف بك إذا أخرجت من بلادك خيبر . وهذا من كلام النبي يدل على عدم إقراره لهم كما ظن .

(٥) هزيمة : تفصير هزيمة ، المرة من الهزل : ضد الجد . وأبو القاسم : كنية النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي إنما قال ذلك على طريق الهزل والمزح ؛ فلا دليل فيه .

(٦) كذبت يا عدو الله : أي لم يقل النبي ذلك هزلاً ، ولو كان مزحاً أيضاً ؛ فهو لا يمزح إلا بحق .

(٧) شماله : صفاته الذاتية . معتنى بها : نقلاً وحفظاً . مستقصى : مستوفاة متممة .

(٨) استدراكه : تداركه بالرجوع عما فرط منه للعواب . بواط : بوم .

(٩) رواه مسلم ؛ وكان - صلى الله عليه وسلم - مر بهم وهم يفعلون ذلك ، فسألهم عنه فأخبروه ؛ =

ذلك رأيا لا خبرا ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ من الأمور التي ليست من هذا الباب ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم^(١) : **والله لا أحلف على يمين^(٢) ، فأرى غيرَها خيرا منها إلاّ فعلتُ الذي حلفتُ عليه وكفرتُ عن يميني .**

وقوله^(٣) : **إنكم تختصمون إليّ... الحديث .**

وقوله^(٤) : **استقي يا زُبَيْر حتى يبلغَ الماءَ الجَدَرَ ؛ كما سُنَّيْنِ كلِّ ما في هذا**

= فقال لهم : **دعوه . فتركوه امتثالاً له صلى الله عليه وسلم فلم يشر نخلاهم في ذلك العام . فلما أخبروه بذلك قال لهم : أنتم أعرف بدنياكم . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٣٥**
فعدم معرفته - صلى الله عليه وسلم - بأمر من هذه الأمور لا ينافي عصمته ، وأنه لا يخبر بما يخالف الواقع ؛ لأنَّ جل همته صلى الله عليه وسلم أمور الآخرة ، والشرائع وقوانينها ، وغيره إنما جل قصده العلم بظواهر الحياة الدنيا .

(١) في حديث رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما سأله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أن يحملهم ؛ فقال : **والله ما عندي ما أحملكم عليه ، فأتى بعد ذلك بإبل فأعطاها السائل ، وقال ؛ ما أنا حملتكم ، ولكن الله تعالى حملكم ؛ ثم قال : والله إنى لا أحلف . . . صحيح البخارى : ٦ - ٢ ، وصحيح مسلم : ١٢٦٩**

(٢) المراد باليمين هنا : القسم عليه من فعل أو ترك .

(٣) في حديث رواه الشيخان ، عن أم سلمة . . . وهو في صحيح مسلم : ١٣٣٧ ، وتامه : **ولعل بمضكم الحن بحجته من بعض - أى أفصح ، فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن اقتطعت له من أخيه شيئا - أى ليس حقا له - فلا يأخذه ، فكأنما اقتطع له قطعة من النار فليحملها أو يذرها .**

قال في نسيم الرابض : **وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يعلم الغيب ، وإنما يحكم بالظاهر . وهذا تعليم لأمتة .**

(٤) في حديث روى في الكتب الستة من أمره صلى الله عليه وسلم للزبير أن يسقي نخله ولا يستوعب الماء ، ثم يرسله لجار له من الأنصار ، فقال له الأنصارى : **أن كان ابن عمك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر . . . والجدر : السنة ، وهو مارتفع حول الزرعة كالجدار ، وقيل هو لنة في الجدار . وقيل : هو أصل الجدار . وروى الجدر - جمع جدار ، ويروى بالذال الساكنة ؛ أى مبلغ تمام الشرب .**

مِنْ مُشْكِلٍ مَا فِي هَذَا الْبَابِ وَالَّذِي بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَعَ أَشْبَاهِهَا .
وَأَيْضًا فَإِنَّ الْكَذِبَ مَتَى عُرِفَ مِنْ أَحَدٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَى
أَيِّ وَجْهِ ^(١) كَانَ اسْتُرِيبَ ^(٢) بِخَبْرِهِ ، وَاتَّهِمَ فِي حَدِيثِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ قَوْلُهُ فِي النُّفُوسِ
مَوْقَعًا ؛ وَلِهَذَا مَا تَرَكَ الْمُحَدِّثُونَ وَالْعُلَمَاءُ الْحَدِيثَ عَنْ عُرْفِ بِالْوَحْمِ وَالْغَفْلَةِ وَسُوءِ
الْحِفْظِ ، وَكَثْرَةِ الْغَلَطِ ، مَعَ نَفْتِهِ .
وَأَيْضًا فَإِنَّ تَعَمُّدَ الْكَذِبِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مَعْصِيَةٌ ، وَإِلَّا كَثَارُ مِنْهُ كَبِيرَةٌ
بِإِجْمَاعٍ ، مُسْقِطٌ لِلْمَرْوَةِ .

وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يُبْزَغُهُ عَنْهُ مَنَصِبُ النَّبُوَّةِ ؛ وَالْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ فِيمَا يُسْتَبْشَعُ
وَيُسْتَشْنَعُ وَيَشِيعُ ^(٣) تَمَّا يُخِلُّ بِصَاحِبِهَا ، وَيُزْرَى ^(٤) بِقَائِلِهَا لِاحْتِقَاقِ ^(٥) بِذَلِكَ .

== قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : وَحَاصِلُ مَا فِي ذَلِكَ مَا بَاتِي : أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا أَنْصَارِيًّا خَاصِمَ الزُّبَيْرِ بْنِ
عَمْتَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ فِي الْمَاءِ الَّذِي يَسْقَى بِهِ النَّخْلَ ، وَقَالَ لَهُ : أُرْسِلْ
الْمَاءَ إِلَيَّ ؛ فَتَرَفَعَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أُرْسِلْ لِحَارِكَ . فَقَالَ : أَنْ
كَانَ ابْنُ عَمْتِكَ . فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اسْقِ يَا زُبَيْرُ وَاحْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ
الْجَدْرَ ، وَفِيهِ زَلٌّ : «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» . وَإِنَّ الرَّجُلَ الْخَاصِمَ
قِيلَ هُوَ حَاطِبُ بْنُ بَلْتَعَةَ ، وَلَا يَصَحُّ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَنْصَارِيًّا . وَقِيلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ . وَقِيلَ ثَعْلَبَةُ بْنُ
حَاطِبٍ . وَقِيلَ حَمِيدٌ . وَقِيلَ : إِنَّهُ بَدْرِيُّ ؛ وَنَقَلَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ أَنَّهُ مُنَافِقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (٤-١٣٠) .

وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ١٨٣٠ ، وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٦-٥٨ ، ٣-١٣٨ ، ٣-٢٣٢
وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ : ١-١٦٥ ، ١٦٦ ، وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ : ٢-٢٠٦ .

- (١) عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ : سِوَاهُ كَانَ جَدًّا أَوْ هَزَلًا .
- (٢) اسْتُرِيبَ بِخَبْرِهِ : وَقَعَ النَّاسُ فِي رِيْبَةٍ وَشَكٍّ فِيمَا يُخْبَرُ بِهِ حَتَّى لَوْ صَدَّقَ .
- (٣) يَسْتَبْشَعُ : يَسْتَقْبِحُ مِنَ الْبَشَاعَةِ ، وَيَسْتَشْنَعُ : مِنَ الشَّنَاعَةِ . وَيَشِيعُ : يَشِيعُهُ النَّاسُ لِشَّنَاعَتِهِ .
- (٤) وَيُزْرَى : يَعْيبُ وَيَنْقُصُ وَيَحْقُرُ .
- (٥) لِحَاقَةِ ذَلِكَ : أَيُّ بَعْدَ لَا يَلِيقُ بِمَنْصَبِ النَّبُوَّةِ .

وأما فيما لا يقع هذا الموقع^(١) فإن عَدَدَ نَافَاها من الصغائر. فهل يجرى على حكمها^(٢) في الخلاف فيها؟ مختلف^(٣) فيه. والصوابُ تَنَزُّيهُ النبوة عن قليله وكثيره، سَهْوُهُ وَعَمْدُهُ؛ إذ عُمْدَةُ النبوة البلاغُ والإعلامُ والتَّبَيُّينُ، وَتَصْدِيقُ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. وتجويزُ شيء من هذا قَادِحٌ في ذلك، وَمُشَكِّكٌ فيه، مناقِضٌ للمعجزة؛ فلنَقْطَعِ عن يَتَيْنِ بَأَنه لا يجوز على الأنبياء خُلْفٌ^(٤) في القول في وَجْهِ من الوجوه، لا بَقْصَدٍ ولا بغير قَصْدٍ، ولا تَتَسَامَحُ^(٥) مع مَنْ سَامَحَ في تجويزِ ذلك عليهم حالَ السُّهْوِ مما ليس طريقُهُ^(٦) البلاغُ؛ نعم، وبأنه لا يجوزُ عليهم الكَذِبُ قبل النبوة، ولا الاتِّسَامُ^(٧) به في أمورهم وأحوال دُنْيائهم؛ لأنَّ ذلك كان يُرَى ويريب^(٨)، وينفَرُ القلوبَ عن تصديقهم بعدُ.

وانظُرْ أحوالَ أهل عَصْرِ النبي صلى الله عليه وسلم من قُرَيْشٍ وغيرها من الأمم وسُوءِ أَلْهِمٍ عن حالِهِ في صِدْقِ لِسَانِهِ^(٩)، وما عُرِفُوا به من ذلك واعترفوا به مما عُرِفَ، وَاتَّفَقَ النُّقْلُ على عِصْمَةِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم منه قَبْلُ وَبَعْدُ؛ وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أولَ الكتابِ ما يبيِّنُ لك صحَّةَ ما أشرنا إليه^(١٠).

(١) وأما الكذب فيما لا يقع هذا الموقع، ولا يمد بما يستبشع.

(٢) فهل يجرى على حكمها: أى يوافق حكمها حكمها ويتحد.

(٣) وقع خلاف من أئمة الأصول؛ فمنهم من قال: اختاف فيها أيضا. ومنهم من قال: لا خلاف في عدم وقوعها منه، لأنه مما ينفر القلوب عنه، والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة، وقد يفترون به ما يصيره كفرا، وقد يفترون بالصغيرة ما يصيرها كبيرة لكونها تؤدي إلى القتل أو القتال كما قال الجوزي.

(٤) خلف: كذب. (٥) تتسامح: لا تتساهل وتنهاون.

(٦) البلاغ: عن الله تعالى لمصمة الله تعالى لهم عن وصمة كما تقدم.

(٧) الاتسام: الانصاف.

(٨) يزي: يعيب وينقص. ويريب: يوقع في ريب وتهمة. (٩) لسانه: كلامه.

(١٠) قبل وبعد: قبل البعثة وبعدها. وللراي نقل علماء الملة، أو نقل الناس بعضهم عن =

فصل

فإن قلت : فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث^(١) السهو الذي حدّثنا به الفقيه أبو إسحاق [٢٠٢] إبراهيم بن جعفر ، حدّثنا القاضي أبو الأصمغ بن سهل ،

= بعض عصرًا بعد عصر ، ثم لم يزالوا ينقلون خافًا عن سلف أنه لم يقع منه ذلك ، وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه ، فالتوقف فيه لا يجوز .

قال الخفاجي : وتحقيقه - كما قال العلامة الملائي ، ومن خطه نقلت ؛ وعبارته : اتفق جميع أهل الملل والشرائع على وجوب عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه ؛ وذلك فيما طريقه البلاغ عن الله من دعوى الرسالة ، وما ينزل عليهم من الكتب الإلهية ؛ إذ لو جاز ذلك أدى إلى إبطال دلالة المعجزة ؛ وهو محال .

وأما السهو والنسيان فقال الآمدي : اختلف الناس فيه ؛ فذهب أبو إسحاق الإسفرائي وكثير من الأئمة إلى امتناعه . وذهب القاضي أبو بكر إلى جوازه ، وادعى الفخر الرازي في بعض كتبه الإجماع على امتناعه . ونقل الخلاف فيه في بعضها .

وحاصل الخلاف يرجع إلى أن ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق ؛ فمن جملة غير داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة . وفي كلام إمام الحرمين أن ذلك فيما يتعلق ببيان الشرائع سواء كان قولًا أو فعلًا نازلًا منزلة قوله في اقتضاء البيان ؛ وميل كلامه إلى جواز السهو فيه . وقال شيخنا الزمخشري : إن الذي يظهر أن ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق ؛ فهذا لا نزاع في أنه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو ؛ وما لا يكون كذلك ؛ وهو ما طريقه التبليغ وبيان الشرائع : فهل يجوز فيه النسيان ؟ وهذا محل الخلاف . وقال البلاقلاني في كتاب الانتصار : المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفكر فيه ، وهو عامد له . وذهول النفس وطريان النسيان ، وبوادر اللسان ، لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول المعجزة . ومن زعم أنه في تجويز ذلك القدح في الثقة بتبليغ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس بشيء ؛ فإنما يكون ذلك لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع . وأما القاضي عياض فإنه نقل الإجماع على عدم جواز السهو والنسيان في الأقوال البلاغية ؛ وخص الخلاف بالأفعال ؛ وهو يرجع إلى اندراجها تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا (نسيم الرياض : ٤ - ١٣٣) .

(١) هذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذي وغيرهم . صحيح مسلم : ٤٠٠ ، ٤٠٢ .

حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو عبد الله بن الفَخَّار ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدثنا يَحْيَى ، عن مالك ، عن داود بن الحَصِين ، عن أَبِي سَفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْمَعْمَرِ ، فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ ^(١) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَقْصِرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ .

وفي الرواية الأخرى : مَا قُصِرَتْ وَمَا نَسِيتَ . . . الحديث بقصته ؛ فَأَخْبَرَهُ بَنُو الْحَائِثَيْنِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ ؛ وَقَدْ كَانَ أَحَدُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ذُو الْيَدَيْنِ : قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . . .

فَاعْلَمْ - وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنْ لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ ^(٢) أَجُوبَةً ، بَعْضُهَا بِصَدْرِ ^(٣) الْإِنْصَافِ ؛ وَمِنْهَا مَا هُوَ بَنِيَّةٌ ^(٤) التَّعَسُّفِ وَالْإِعْتِسَافِ ؛ وَهَؤُلَاءِ أَقُولُ :
أَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِتَجْوِيزِ الْوَهْمِ وَالْفَلْطِ فِيمَا لَيْسَ طَرِيقُهُ مِنَ الْقَوْلِ ^(٥) الْبَلَاغِ ، وَهُوَ الَّذِي زَيْفَنَاهُ ^(٦) مِنَ الْقَوَائِنِ - فَلَا اعْتِرَاضَ ^(٧) بِهَذَا الْحَدِيثِ وَشِبْهِهِ .

(١) ذُو الْيَدَيْنِ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِالْبَادِيَةِ ، وَحَدِيثُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ١-١٢٣ ،

١٧٣ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمَ : ٤٠٣ .

(٢) فِي ذَلِكَ : أَيْ فِي ذَلِكَ السُّهْوِ الَّذِي وَقَعَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَةِ .

(٣) بِصَدْدِ الْإِنْصَافِ : قَرِيبٌ مِنَ الْإِنْصَافِ ، أَوْ مَتَمَسِّكٌ بِطَرِيقِ الْإِنْصَافِ فِي الرَّجُوعِ إِلَى

الْحَقِّ . وَالْإِنْصَافُ : الْعَدْلُ وَالِاسْتِقَامَةُ فِي الْأُمُورِ .

(٤) بَنِيَّةٌ : بِقَصْدِ التَّعَسُّفِ وَالْإِعْتِسَافِ : الْجَوْرُ ، وَالْخُرُوجُ عَنِ الْجَادَةِ ، وَرُكُوبُ الْأَمْرِ

بِالْمَشَقَّةِ .

(٥) أَيْ لَا يَتِمَلَقُ بِهِ حَكْمٌ ، أَوْ وَحْيٌ ، أَوْ خَبَرٌ عَنْ أَمْرِ الْمَعَادِ .

(٦) زَيْفَنَاهُ : رَدَدْنَاهُ وَلَمْ نَرْضَهُ .

(٧) فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ .

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَب مَنْ يَمْنَعُ السَّهْوَ والنسيانَ في أفعاله جملة^(١)، ويرى أنه في مثل هذا عامد^(٢) لصورة النسيان ليس^(٣)، فهو صادق في خبره^(٤)؛ لأنه لم ينسَ ولا قُصِرَتْ، ولكنه على هذا القول نَعَمَ هذا الفعل في هذه الصورة^(٥) لمن اعتراه مثله^(٦)؛ وهو قول مرغوب عنه^(٧) ونَدَّ كَرُّهُ في موضعه.

وَأَمَّا عَلَى إِحَالَةِ السَّهْوِ عَلَيْهِ فِي الْأَقْوَالِ وتجويز السَّهْوِ عَلَيْهِ فيما ليس طريقه القول^(٨) - كما سَدَّ كَرُّهُ - ففيه أجوبة؛ منها:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ^(٩) عَنْ اعْتِقَادِهِ وَضَمِيرِهِ؛ أَمَّا إِنْ كَارُ الْقَصْرُ فَحَقٌّ وَصِدْقٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا^(١٠). وَأَمَّا النَّسْيَانُ فَأَخْبَرَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ اعْتِقَادِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْسَ فِي ظَنِّهِ؛ فَكَأَنَّهُ قَصَدَ الْخَبَرَ بِهَذَا عَنْ ظَنِّهِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ؛ وَهَذَا صِدْقٌ أَيْضًا^(١١).

(١) جملة: جميعا. قال الخفاجي: وهذا القول ذهب إليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين، وخصه بعضهم بنبيينا صلى الله عليه وسلم. (٢) عامد: قاصد. (٣) ليسن: ليعلم الناس سنته في السهو؛ أى إنه نسي قصدا، أى أتى بما هو في صورة النسيان - ليبين حكمه. وقال الإسفرائني: وهذا منجى غير سديد؛ فإن السهو في الأفعال غير مناقض للنبوة، ولا قادح فيها، بخلاف الأقوال في البلاغ. (٤) في قوله: لم أنس ولم تقصر. (٥) هذا الفعل: أى سلامه مقتصر على ركعتين. في هذه الصورة: صورة النسيان. (٦) لمن اعتراه: لمن عرض له ووقع منه. مثله: مثل هذا الفعل؛ ليقترن به. (٧) قال في نسيم الرياض: وقد قال العلامة الملاي: إن هذا القول خطأ، لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه، إنما أنا بشر أنسى كما تنسون. (٨) من الأفعال كسهو في الصلاة.

(٩) حين قال: كل ذلك لم يكن، مع أن بعضه كان وحصل. (١٠) وقع هذا الإنكار ظاهرا لتصريحه به، وباطنا لاعتقاده له؛ إذ لم يوح إليه خلافه وما ينطق عن الهوى. (١١) هذا صدق مطابق للواقع، لأنه في نفس الأمر لم يظن أنه نسي، ولم يخطر ذلك بباله.

وَوَجْهٌ ثَانٍ : أَنْ قَوْلَهُ : وَلَمْ أَنْسَ - رَاجِعٌ إِلَى السَّلَامِ ؛ أَيْ لِمَنِ سَلَّمْتُ قَضَاءً ،
وَسَهْوَتٌ عَنِ الْمَدَدِ ؛ أَيْ لَمْ أَسْئَلْ فِي نَفْسِ السَّلَامِ ؛ وَهَذَا مُحْتَمَلٌ ؛ وَفِيهِ بُعْدٌ .
وَوَجْهٌ ثَالِثٌ - وَهُوَ أَبَعْدُهُمَا - مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَإِنْ احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ
قَوْلِهِ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ : أَيْ لَمْ يَجْتَمِعِ الْقَصْرُ وَالنِّسْيَانُ ؛ بَلْ كَانَ أَحَدَهُمَا ^(١) .
وَمَفْهُومُ اللَّفْظِ خِلَافُهُ مَعَ الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى الصَّحِيحَةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : مَا قُصِرَتِ الصَّلَاةُ
وَمَا نُسِيَ .

هَذَا مَا رَأَيْتُ فِيهِ ^(٢) لَا تُؤْتِنَا ؛ وَكُلُّ مَنْ هَذِهِ الْوُجُوهُ مُحْتَمَلٌ لِلْفَرْعِ عَلَى بُعْدِ بَعْضِهَا
وَتَمَسُّفِ الْآخَرِ ^(٣) مِنْهَا .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالَّذِي أَقُولُ - وَيُظَاهِرُنِي أَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ هَذِهِ
الْوُجُوهِ كُلِّهَا - أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمْ أَنْسَ إِنْكَارٌ لِلْفَرْعِ الَّذِي نَفَاهُ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَأَنْكَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ بِقَوْلِهِ : بَنَسَ مَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ : نَسَيْتُ آيَةَ كَذَا
وَكَذَا ، وَلَكِنَّهُ نُسِيَ ^(٤) .

وَبِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ الْآخَرِ ^(٥) : لَسْتُ أَنْسَى ، وَلَكِنْ أَنْسَى ^(٦) .
فَلَمَّا قَالَ لَهُ السَّائِلُ : أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نُسِيَ ؟ أَنْكَرَ قَصْرَهَا كَمَا كَانَ ، وَنِسْيَانَهُ
هُوَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ^(٧) ، وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ نُسِيَ حَتَّى سَأَلَ

(١) أَحَدُهُمَا : هُوَ النِّسْيَانُ . (٢) فِيهِ : فِي الْحَدِيثِ لِلتَّقَدُّمِ .

(٣) تَمَسُّفُ الْآخَرِ مِنْهَا : تَكْلَفُهُ وَبَعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

(٤) نَسَى : أَنْسَاهُ اللَّهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ اللَّهُ لَا فَعَلَهُ ؛ فَلَا يَنْبَغِي إِضَافَتُهُ لَهُ ، فَأَرَادَ إِرْشَادَهُمْ إِلَى نِسْبَةِ
الْأَفْعَالِ لِخِلَافِهَا وَإِقْرَارِهِمْ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالِاسْتِسْلَامِ . وَالْحَدِيثُ فِي مُسْلِمٍ ، وَابْنِ خَرَّازٍ : صَحِيحٌ
مُسْلِمٌ : ٥٤٤ (٥) رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ : ١٠٠ .

(٦) أَنْسَى ، يَنْسِيهِ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ؛ كَالْتَشْرِيعِ وَتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ .

(٧) كَمَا كُنْ : تَحَقُّقٌ فِي الْوَاقِعِ . مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ : أَيْ إِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِكَسْبِهِ ، وَتَعَاطَى أَسْبَابَهُ
مِنْ غَيْرِ إِجْبَادِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، وَخَلَقَهُ لِمَا لَمْ يَكُنْ فِي جَبَلَتِهِ كَفِيرَهُ .

غَيْرِهِ^(١)؛ فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ نُسِيَ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ [٢٠٣] لَيْسَنَ؛ فَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا :
لَمْ أُنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ - صِدْقٌ وَحَقٌّ؛ لَمْ تُقْصِرْ، وَلَمْ يَنْسَ حَقِيقَةً^(٢)،
وَلَكِنَّهُ نُسِيَ .

وَوَجْهُ آخِرِ اسْتِثْنَائِهِ^(٣) مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الشَّايِخِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ^(٤) : إِنْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْهُو وَلَا يَنْسِي^(٥) ؛ وَلِذَلِكَ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ النَّسْيَانَ ؛
قَالَ : لِأَنَّ النَّسْيَانَ غَفْلَةٌ وَآفَةٌ؛ وَالسَّهْوُ إِنَّمَا هُوَ شُغْلٌ بِالْأَمْرِ ؛ قَالَ : فَكَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْهُو فِي صَلَاتِهِ وَلَا يَقْفُزُ عَنْهَا ؛ وَكَانَ يَشْغَلُهُ عَنْ حَرَكَاتِ الصَّلَاةِ
مَا فِي الصَّلَاةِ ، شُغْلًا بِهَا لَا غَفْلَةً عَنْهَا .
فَهَذَا إِنْ تَحَقَّقَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ : مَا قُصِرَتْ وَلَا نَسِيتُ خُلْفٌ^(٦)
فِي قَوْلِهِ .

[وَعِنْدِي أَنَّ قَوْلَهُ : مَا قُصِرَتْ الصَّلَاةُ وَمَا نَسِيتُ بِمَعْنَى التَّرْكِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ
وَجْهَيْ^(٧) النَّسْيَانِ؛ أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنِّي لَمْ أَسَلِّ مِنْ رَكْعَتَيْنِ تَارِكًا لِإِكْمَالِ الصَّلَاةِ ،
وَلَكِنِّي نَسِيتُ^(٨) ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي .

(١) سَأَلَ غَيْرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْحَاضِرِينَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : أَحَقُّ مَا يَقُولُهُ ذَوَا الْيَدَيْنِ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ .
(٢) لَمْ تُقْصِرِ الصَّلَاةَ حَقِيقَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، وَلَمْ أُنْسَ نَسْيَانًا صَدْرَ مِنْ صَدُورِ حَقِيقَةٍ ،
وَأَنَا الْفَاعِلُ لَهُ صَوْرَةً ؛ وَإِنَّمَا الْفَاعِلُ لَهُ حَقِيقَةٌ هُوَ اللَّهُ ، وَأَنَا آلَةٌ لَهُ نَسَبَتْهُ إِلَى كُنْسَبَةِ الْقَطْعِ لِلْسَّكِينِ
كَأَنَّ هُوَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ لِلزَّائِفَةِ إِلَيْهِمْ .

(٣) اسْتِثْنَائِهِ : اسْتَخْرَجْتَهُ بِفَهْمِي . (٤) الْقَائِلُ بَعْضُ الشَّايِخِ .

(٥) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : لِأَنَّ السَّهْوَ مَا يَقَعُ بِأَذْنٍ غَفْلَةً، وَيَتَذَبُّهُ لَهُ بِأَذْنٍ تَنْبِيهِ ؛ وَالنَّسْيَانُ :
مَا يَزُولُ عَنْ الْحَافِظَةِ بِالسَّكِينَةِ حَتَّى يَحْتَاجَ لِتَذْكَيرٍ كَثِيرٍ .

(٦) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا رَوَى مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنِّي أُنْسِي كَمَا
تَنْسُونَ» - كَمَا تَقْدِمُ . (٧) أَحَدُ وَجْهَيْ النَّسْيَانِ : أَحَدُ مَعْنِيهِ .

(٨) نَسِيتُ : أَيْ سَهَوْتُ عَنْ إِتْمَامِهَا ؛ وَالنَّفْيُ فِي كَلَامِهِ التَّرْكِ عَمْدًا ؛ وَلَمْ يَكُنْ تَرْكُ الْإِتْمَامِ
مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِي .

والدليل على ذلك قوله في الحديث الصحيح : **إِنِّي لَأَنْتَى أَوْ أَنْتَى لَأَسْنَى** ^(١) .
وأما قصة كلمات إبراهيم المذكورة في الحديث ^(٢) أنها كذباته الثلاث
المنصوصة ^(٣) ، في القرآن منها اثنتان : قوله ^(٤) : **﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾** . وقوله ^(٥) : **﴿قَالُوا**
أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ . وقوله لذلك
عن زوجته ^(٦) : **﴿إِنَّمَا أُخْتِي - فَاعِلٌ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ أَنْ هَذِهِ كُلُّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْكُذْبِ ؛**
لَا فِي الْفَضْدِ وَلَا فِي غَيْرِهِ﴾ ^(٧) ؛ وهي داخلة في باب المعارض ^(٨) التي فيها مندوحة ^(٩)
عن الكذب .

أما قوله : **إِنِّي سَقِيمٌ** - فقال الحسن ^(١٠) وغيره : معناه سَأْسَقَمَ ؛ أى إن كل
مخلوق معرض لذلك ، فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا .
وقيل : بل سَقِيمٌ بما قُدِّرَ على الموت ^(١١) .

-
- (١) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو هامش ب تحت كلمة : نسخة .
(٢) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : إنه لم يكذب
إبراهيم إلا ثلاث كذبات . . . صحيح البخارى : ٦ - ١٠٦ ، وصحيح مسلم : ١٨٤٠
(٣) النصوصة : المذكورة صريحا .
(٤) سورة الصافات ، آية ٨٩
(٥) سورة الأنبياء ، آية ٦٢ ، ٦٣
(٦) زوجته سارة . وهذه الثالثة واردة في الحديث .
(٧) ولا في غيره : من السهو والنسيان .
(٨) للمعارض : خلاف التصريح ، بأن يتكلم بما يوم خلاف مراده ؛ كقوله أخق المحتمل
لعنيين : هما أنها أخته حقيقة ، أو أنها أخته في الإسلام .
(٩) فيها مندوحة عن الكذب ؛ أى في المعارض سعة بها عن الكذب ؛ أى في سعة
القول ما ينفي عن تعدد الكذب ؛ فهو صدق لا كذب فيه .
(١٠) الحسن : هو الحسن البصرى .
(١١) يعنى أنه أراد بسقيم أنه حزين مفعول الفكر بملء أنه لا بد من الموت . والنعيم :
مرض من الأمراض القلبية ، ومن كان كذلك لا يليق به أن يفرح بالأعياد ، ولا يكون في
محال اللهو واللعب .

وقيل : سَقِمَ القلبُ بما أَشَاهِدُهُ من كُفْرِكُمْ وعِنَادِكُمْ .

وقيل : بل كانت أُلْحِي تَأْخُذُهُ عند طلوع نَجْمٍ معلوم ؛ فلما رآه اعتذر بعبادته ^(١) .

وكلُّ هذا ليس فيه كَذِبٌ ؛ بل هو خَبَرٌ صحيحٌ صِدْقٌ .

وقيل : بل عَرَضَ بِسَقَمِ حِجَّتِهِ عَلَيْهِم ^(٢) ، وَضَعَفَ ما أَرَادَ بَيَانَهُ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ النُّجُومِ الَّتِي كَانُوا يَشْتَغِلُونَ بِهَا ^(٣) ، وَأَنَّهُ أَثْنَاءَ نَظَرِهِ فِي ذَلِكَ ، وَقَبْلَ اسْتِقَامَةِ حِجَّتِهِ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ سَقَمٍ وَمَرَضٍ حَالٍ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشَكَّ هُوَ وَلَا ضَعَفَ إِيمَانُهُ ، وَلَكِنَّهُ ضَعَفَ فِي اسْتِدْلَالِهِ عَلَيْهِمْ وَسَقَمَ نَظَرُهُ ^(٤) ، كَمَا يُقَالُ : حِجَّةٌ سَقِيمَةٌ ، وَنَظَرٌ مَعْلُولٌ ^(٥) ، حَتَّى أَلْهَمَهُ اللَّهُ بِاسْتِدْلَالِهِ وَصَحَّ حِجَّتُهُ عَلَيْهِمْ بِالْكُوكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ - مَا نَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَانَهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ ﴾ ^(٦) - فَإِنَّهُ عَلَّقَ خَبْرَهُ بِشَرْطِ نُطْقِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ كَانَ يَنْطَلِقُ فَهُوَ فَعَلَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّبَكُّيْتِ ^(٧) لِقَوْمِهِ . وَهَذَا صِدْقٌ أَيْضًا ، وَلَا خُلَافَ فِيهِ .

وَمَا قَوْلُهُ : أَخْتَى - فَقَدْ بَيَّنَّ فِي الْحَدِيثِ ^(٨) ، وَقَالَ : فَإِنَّكَ أَخْتَى فِي الْإِسْلَامِ ؛

(١) بعبادته : من السقم الذى يمرض له إذا طلع ذلك النجم .

(٢) بسقم حجته : بضعف دليله الذى أقامه عليهم .

(٣) يشتغلون بها : أى بعبادتها وتمظيمها وإسناد الأمور إليها .

(٤) نظره : ما ناظرهم به حتى لم يتم حجته التى أقامها عليهم .

(٥) ونظر معلول : وفكر ودليل ضعيف .

(٦) وكبير الأصنام لم يفعل ، ولا قدرة له على الفعل ، فهو مخالف للواقع .

(٧) فهو يوجبهم بأنهم يعبدون الجداد الذى لا ينطق ولا يقدر على شيء ، فلو قدروا دفعوا

عن أنفسهم ، ففيه تجميل لهم واستهزاء بهم ، لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع .

(٨) الحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة . صحيح مسلم : ١٨٤٠ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٣٢١

وهو صدق؛ والله تعالى يقول^(١) : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

فإن قلت : فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات ، وقال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات . وقال - في حديث الشفاعة^(٢) ؛ ويذكر كذباته - فعماه^(٣) أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات .

ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق^(٤) إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مؤاخذته بها .

وأما الحديث^(٥) : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى^(٦) بغيرها - فليس فيه خلف^(٧) في القول ؛ إنما هو ستر مقصده ، لئلا يأخذ عدوه حذره ؛ وكنتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره

(١) سورة الحجرات ، آية ١٠ ، أى إخوة في الدين . وفي الحديث : السلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .

(٢) يشير إلى ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أنهم يأتون إبراهيم عليه السلام ويقولون له : أنت نبي الله وخليته اشفع لنا إلى ربك ؛ ألا ترى مانحن فيه ! فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضبا شديدا لم ينضب قبله ولا بعده مثله ؛ وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات - ويذكرهن ؛ اذهبوا إلى غيرى .. الحديث . فقد صرح الحليل نفسه بأن هذا وقع ؛ كذبا منه . صحيح البخارى : ٦ - ١٠٦

(٣) فعماه : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات .

(٤) أشفق : خاف - وهذه العبارة جواب عما في حديث الشفاعة .

قال في نسيم الرياض : والحاصل أنه لم يصدر عنه كذب ؛ وإنما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التأمل فيها من سامعها ؛ وإنما خاف إبراهيم ذلك لجلالة قدره ، لأنها معصية صدرت منه .

(٥) رواه الشيخان عن كعب بن مالك : صحيح مسلم : ٢١٢٨

(٦) التورية : أن يقول ما يظهر منه خلاف مراده ، ويحتمله احتمالا بعيدا .

(٧) خلف في القول : ليس في قوله ذلك كذب .

والتعريض بذكره ، لا أنه [٢٠٤] يقول : تجهّزوا إلى غزوة كذا ، أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده ؛ فهذا لم يكن ؛ والأول^(١) ليس فيه خبر يدخله الخلف .
فإن قلت : فما معنى قول موسى عليه السلام - وقد سئل : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم^(٢) ؛ فعتب الله عليه ذلك^(٣) ؛ إذ لم يرد العلم إليه - الحديث ؛ وفيه قال^(٤) : بل عبد لنا بجمع البحرين أعلم منك .
وهذا خبر قد أنبأنا الله أنه^(٥) ليس كذلك .

فاعلم أنه قد وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة ، عن ابن عباس : هل تعلم أحدا أعلم منك^(٦) ؟

فإذا كان جوابه على علمه فهو خير حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة .
وعلى الطريق الآخر^(٧) فمحتمله على ظنه ومعتقده ، كما لو صرح^(٨) به ؛ لأن

(١) الأول : هو سؤاله عن غير مقصده . ليس فيه خبر يدخله الخلف : أى يمرض له كذب ، لعدم مطابقته للواقع ، وإنما هو تعريض وإيهام بنير مقصده لا ضير فيه .
قال الحفاجي : وهذا هو الأغلب من أحواله ، وقد يقتضى الحال خلافه ، كما ورد في الصحيحين : لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد إلى مكان بعيد وعدو كثير فجلى للمسلمين أمرها ليتأهبوا لها ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد .

(٢) هذا الحديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٤٧ . أنا أعلم : أى بمن على وجه الأرض جميعا . (٣) عتب عليه ذلك : لانه بسبب ذلك الذى قاله : أنا أعلم .

(٤) قال : القاتل هو الله لموسى . والمبد : هو الحضر . والبحران : بحر الأردن ، وبحر القلزم . وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق . وقيل بحر الروم وفارس .

(٥) وهذا : أى قول موسى . ليس كذلك : فيكون خلفا منه ، وهو معصوم عن مثله .
(٦) فالسؤال عما يملكه ، لا عما في الواقع .

(٧) الطريق الآخر الذى فيه إطلاق أعلميته من غير تقييد بملكه واعتقاده للفيدلنى الأعلمية .

(٨) كأنه قال : أنا أعلم فى ظنى أو معتدى ، لافى نفس الأمر ، وعلى هذا لا يرد عليه شيء .

حالَه في النبوة والاصطفاء يقتضى ذلك^(١) ؛ فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسابه^(٢) صدقاً لا خُلف فيه .

وقد يُريدُ بقوله : أنا أعلم بما تقتضيه^(٣) وظائفُ النبوة من علوم التوحيد ، وأُمورِ الشريعة ، وسياسة الأمة ، ويكون الخضرُ أعلمُ منه بأُمورٍ^(٤) أخر مما لا يعلمه أحدٌ إلّا بإعلامِ الله من علوم غيبية ؛ كالقصص^(٥) المذكورة في خبرهما ، فكان موسى عليه السلام أعلم على الجملة بما تقدّم . وهذا^(٦) أعلم على الخصوص بما أعلم .

وبدلّ عليه قوله تعالى^(٧) : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

وعتبُ الله ذلكَ عليه - فيما قاله العلماء - إنكار هذا القولِ عليه ، لأنه لم يردّ العلمَ إليه ، كما قالت الملائكة^(٨) : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ، أو لأنه لم يرضَ قوله شرعاً^(٩) ، وذلك - والله أعلم - اثلاً يقتلدى به فيه مَنْ لم يبلغْ كمالَه في تزكية نفسه وعلوّ درجته من أُمّيته ؛ فيهلك لما تضمّنه من مدح الإنسان نفسه ،

(١) أى إنما اختاره الله لأنه أعلم أهل عصره ، إذ لو لم يكن كذلك لم يحتره لتبليغ رسالته وسياسة خلقه ورجوعهم إليه في كل أمورهم ، وهو كليمة وأمين وحيه ، ومثله لا يكون دون غيره أو مساوياً في العلم .

ويحتمل أن معناه أن نبوته واصطفاءه يقتضيان أى يستلزمان ألا يقول قولاً غير مطابق للواقع ، فيحمل كلامه على ما يطابقه ، وإن لم يكن فيه ما يدل عليه .

(٢) حسابه : ظنه . (٣) تقتضيه : تستلزمه .

(٤) بأُمور أخر : غير الشريعة والسياسة . . .

(٥) قصة موسى والخضر في سورة الكهف . (٦) وهذا : أى الخضر .

(٧) ويدل عليه : أى على أنه أعلم بعلم اختص به . سورة الكهف ، آية ٦٥

(٨) سورة البقرة ، آية ٣٢

(٩) لتركه الأولى ، وإن كان صادقاً في مقاله هذا . والأولى أن يرد العلم إلى الله .

ويُورثه^(١) ذلك من السكبر والمُجَبِّ والتعاطى^(٢) والدَّعوى ؛ وإن نُزَّهَ عن هذه الرذائل^(٣) الأنبياء فغيرهم بدرجة سبيلها ودركِ كَلِيَّامِها^(٤) إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ؛ فَالتَّحْفُظُ منها^(٥) أَوْلَى لِنَفْسِهِ ، وَلِيُقْتَدَى بِهِ ؛ وَلِذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحْفُظًا مِنْ مِثْلِ هَذَا بِمَا قَدْ أَعْلِمَ بِهِ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرُ^(٦) .

وهذا الحديث^(٧) إِنْجِدَى حُجَجِ الْقَائِلِينَ بِنُبُوءَةِ الْخَضِرِ ؛ لِقَوْلِهِ فِيهِ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْ مُوسَى . وَلَا يَكُونُ الْوَلِيُّ أَعْلَمَ مِنَ النَّبِيِّ .

وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَتَفَاضِلُونَ فِي الْمَعَارِفِ .

وبقوله^(٨) : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ؛ فَدَلَّ أَنَّهُ بَوَاحِي . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ قَالَ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَعَلَهُ بِأَمْرِ نَبِيٍّ آخَرَ .

وهذا^(٩) يَضَعُفُ ؛ لِأَنَّهُ مَا عَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى نَبِيٌّ غَيْرُهُ إِلَّا أَخَاهُ هَارُونَ ؛ وَمَا نَقَلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ .

(١) ويورثه : يكسبه ويعقبه ما يتصف به .

(٢) التعاطى : الأخذ في تزكية نفسه .

(٣) هذه الرذائل : الصفات الذميمة .

(٤) فغيرهم بدرجة سبيلها : أى غير الأنبياء يتصف بها ، ولا ينزه عنها ، لاستعدادها لها وقبول طبعه لها . والسبيل : الطريق . والمدرجة : الدخول والمسلك . ودرك ليلها : شبه ما يمرض له من الصفات الذميمة بظلمة الليل التى تنشأ ؛ والمراد ما لا بد من آثار تلك الصفات .

(٥) التحفظ : الاحتراز . منها : أى من هذه الصفات .

(٦) ولا فخر : أى لم أقل هذا افتخارا وعجبا ؛ وإنما هو تحدث بما أنعم الله به طى ؛ أو أنا لا أغر بهذا فإن الله أنعم طى بما هو أجل منه . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٥٨٥ (٧) وهذا الحديث المروى فى قصة موسى والخضر .

(٨) بقوله : أى الخضر . سورة الكهف ، آية ٨٣ . عن امرى : أى بما أمرته نفسه ، فليس برأى واجتهادى .

(٩) وهذا الجواب . يضعف : أى يحكم بضعفه .

وإذا جعلنا « أعلم منك » ليس على العموم ؛ وإنما هو على الخصوص ، وفي قضايا معينة - لم يحتج إلى إثبات نبوة الخضر ؛ ولهذا قال بعضُ الشيوخ : كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله ، والخضر أعلم فيما رُفِعَ ^(١) إليه من موسى .

وقال آخر : إنما أُلْجِئَ موسى إلى الخضر للتأديب ^(٢) لا للتعليم .

فصل

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ^(٣) ، ولا يخرج من جملتها القول باللسان ^(٤) فيما عدا الخبر الذي ^(٥) وقع فيه الكلام والاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد ^(٦) ، وما قدمناه من معارفه المختصة به ^(٧) - فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ^(٨) . [٢٠٥] ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه .

(١) رفع إليه : أى فيما جعله الله تعالى منوطاً به منتهياً إليه علمه مما غيب علمه عن غيره .
(٢) للتأديب : أى ليؤدبه الله تعالى حتى لا ينسب لنفسه الأعلية ، وإن كان صادقاً في مقاله ومناسباً لمقامه .

(٣) الجوارح : الأعضاء التى يكسب بها الإنسان ويفعل ما يريد ، أى ما يتعلق بمصنعمهم في أفعالهم من الأعمال الصادرة بواسطتها .

(٤) فيما عدا الخبر : أى الإخبار بما سبيله البلاغ وغيره .

(٥) فيما عدا التوحيد والإيمان وما يتعلق بالوحى .

(٦) به : بالنبي صلى الله عليه وسلم .

(٨) الفواحش : الذنوب التى فحش قبحها ، وحرم على هذه الأمة وغيرها (شرح القارى : ٢ -

٢٥٧) . للموبقات : المهلكات ؛ وإهلاكها : بإيقاعها في العذاب في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم .

قال الخفاجى : وحاصله عصمتهم في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر للتوعد عليها .

وهو مذهبُ القاضى أبى بكر؛ ومنعها^(١) غَيْرُهُ بِدليلِ العقلِ مع الإجماع ؛ وهو قولُ الكافةِ . واختاره الأستاذ أبو إسحاق^(٢) .

وكذلك لا خِلافَ أنهم معصومون مِنْ كِتْمَانِ الرِّسَالَةِ والتَّقْصِيرِ فى التبليغ ؛ لأنَّ كُلَّ ذَلِكَ تَقْتَضِي العَصْمَةَ مِنْهُ المَعْجِزَةُ^(٣) ، مع الإجماعِ على ذلك من الكافةِ . [والجمهورُ قائلون بأنهم معصومون^(٤) من ذلك مِنْ قَبْلِ اللَّهِ^(٥) ، معتصمون

(١) ومنعها ؛ أى الكبائر .

(٢) قال الخفاجى : فذهب الجمهور أن عصمتهم عن الكبائر بدليل سمى . وذهبت طائفة إلى أنه بدليل سمى وعقلى . والمشهور عن الأشاعرة أن العصمة - فيما وراء التبليغ - غير واجبة عقلا لدلالة المعجزة عليه . وأما ما طريقه التبليغ ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه ، وذهب المعتزلة إلى وجوب عصمتهم عن الكبائر عقلا بناء على قاعدتهم فى الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الأصلح .

والدليل العقلى من وجوه ؛ منها أنا أمرنا باتباعهم ، فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه ، فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب . وأيضاً لو صدر عنهم ذلك كانوا معصيين أشد المذاب ؛ لأن عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم ، وكانت شهادتهم غير مقبولة ، وقد جعلهم الله شهداء على غيرهم

(٣) أى تدل المعجزة على لزومه .

(٤) والجمهور . . . : أكثر الناس ومعظمهم على أنهم لا يكتُمون شيئاً من الوحي الذى أمروا بتبليغه . وهذا ورد فى حديث رواه مسلم عن عائشة قالت : من حدثكم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فقد كذب . والله يقول : «يأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » . ولو كان كاتماً شيئاً من الوحي لكتّم قوله : وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (سورة الأحزاب ، آية ٣٧) . وهذه الآية نزلت فى شأن زينب بنت جحش : سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٤ .

(٥) من قبل الله ؛ أى خلق فى جبهتهم العصمة .

باختيارهم وكسبهم^(١)، إلا حسينا النجار^(٢)؛ فإنه قال : لا قدرة لهم على المعاصي أصلاً^(٣).

وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء؛ وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين. وسنورد بعد هذا ما احتجوا به.

وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف^(٤)، وقالوا : العقل لا يحيل^(٥) وقوعها منهم؛ ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين^(٦).

وذهبت طائفة أخرى من المحققين والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعضمتهم من الكبائر؛ قالوا : لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها^(٧) من الكبائر وإشكال ذلك، وقول ابن عباس وغيره : إن كل ما عصى الله به فهو كبيرة، وإمناه إنما مسمى منها الصغير^(٨) بالإضافة إلى ما هو أكبر منه؛ ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة.

(١) معصونون : متمسكون . باختيارهم وكسبهم : لا أنهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافة .

(٢) تنسب إليه الطائفة النجارية ، وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا أهل السنة في بعض أصولهم ووافقوا القدريّة في نفس الرؤية ، ووافقوا المعتزلة في بعض المسائل (نسيم الرياض : ٤ - ١٥٨) وفي ب : إلا حسنا .

(٣) ما بين القوسين ليس في أ .

(٤) الوقف : أي التوقف وعدم الجزم .

(٥) لا يحيل وقوعها : لا يعمده محالا .

(٦) قاطع : نفي صريح ودليل قطعي . بأحد الوجهين : الجواز وعدمه في صدور الصغائر منهم .

(٧) وتعيينها : وتمييزها .

(٨) أي أطلق عليه صغيرة .

قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(١) : لا يمكن أن يقال : إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تُغْفَرُ باجتناب الكبائر ، ولا يكون لها حكم^(٢) مع ذلك ، بخلاف الكبائر إذا لم يُتَبَّ منها فلا يُحِبُّهَا^(٣) شيء . والشبهة في العفو عنها إلى الله تعالى ؛ وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء .

[قال القاضي رحمه الله : و]^(٤) قال بعض أئمتنا : ولا يجب على القولين^(٥) أن يختلفَ عنهم موصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها ؛ إذ يلحقها ذلك بالكبائر^(٦) ؛ ولا في صغيرة^(٧) أدَّتْ إلى إزالة الحُشمة ، وأسقطت المروءة ، وأوجبت الإزراء والخساسة^(٨) ؛ فهذا أيضا مما يُعَصِّمُ عنه الأنبياء إجماعا ؛ لأن مثلَ هذا يحطُّ مَنْصِبُهُ الْمُتَّسِمُ بِهِ ، ويزري بصاحبه ، ويُنفِّرُ القلوب عنه ؛ والأنبياء منزَّهون عن ذلك . بل يُلْحَقُ^(٩) بهذا ما كان من قَبْلِ الْمُبَاح ؛ فأدَّى إلى مثله ؛ لخروجه بما أدَّى

(١) المالكي البغدادي ، وهو من شعراء اليتيمة . ارتحل إلى مصر ، وتوفى بها ، ودفن قريبا من الإمام الشافعي سنة ٤٠٣ هـ .

(٢) أى لا يعتد بها ويؤاخذ فاعلها بعقابه عليها .

(٣) لا يحبطها شيء : لا يعحوها .

(٤) ما بين القوسين ليس في الأصل .

(٥) أئمتنا : يعنى المالكية . على القولين : المعصية عن الصغائر وعدمها .

(٦) ذلك : المراد السكينة والتكرار . ويلحقها بالكبائر : لما فيه من عدم البلالة بالمعاصي .

قال الخفاجي : قيل إن المختار الملقى به أن من أكثر من فعل الصغائر سواء كانت من نوع واحد أو من أنواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا للكبيرة إن غلبت طاعاته على معاصيه .

(٧) ولا في صغيرة : أى لا ينبغي أن يختلف في صغيرة . . . والحشمة : الحياء من الناس ؛

لأنها مما يسترذل وتنقبض النفوس منه .

(٨) الإزراء : القصد . والخساسة : الدناءة .

(٩) بهذا : بالصغائر التي عصمهم الله منها .

إليه عن اسم الباج إلى الحظر^(١) .
وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مَوَاقِع^(٢) المكروه قَصْداً .
وقد استدلل بعض الأئمة على عصمتهم من الصفائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم^(٣) ،
واتِّباع آثارهم وسيرهم مطلقاً^(٤) .

وجهورُ الفقهاء على ذلك^(٥) من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير
التزام قرينة^(٦) ، بل مطلقاً عند بعضهم ، وإن اختلفوا في حُكْم ذلك^(٧) .
وحكى ابنُ خُوَيزَمَة ذُو^(٨) أبو الفرج^(٨) ، عن مالك ، التزام^(٩) ذلك

(١) الحظر : المنع ، يعنى الحرمة . قال الخفاجي : وفي الشرح الجديد أنه يؤدي إلى
الإضرار بمرتكبه ، والإضرار بالأنبياء كفر ، ففعله يؤدي إلى أن يزرى بهم ، فيحرم عليهم
لاحتمال أن يراهم من يحمل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقاء الأبدي .
(٢) مَوَاقِعُ المكروه : الوقوع فيه بأن يفعله .

(٣) بالمصير إلى امتثال أفعالهم : أى فعل مثلها اقتداء بهم ؛ فلو صدر ذلك منهم أو جاز
فعله الناس وظنوه مشروعا ؛ فلذا منعه منهم وإن كانت صغيرة ؛ لأن ذنب العظيم عظيم وإن قل .
(٤) مطلقاً : سواء كانت ضرورية أو جبيلة ، كالقيام والقعود والأكل والشرب ؛ فإننا
نتأسى بهم فيه وإن كان مباحا ، لأن الأصل في أفعالهم أنها حسنة شرعية فينبى اتباعهم في كل
ما يصدر منهم .

قال الخفاجي : وقد اختلف للشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا أنه ليس كشرعنا ؛
هل يستحب أم لا ؟ كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه .

(٥) على ذلك : على استحباب اتباع آثارهم مطلقاً إن لم نعلم أنه خصوصية لهم .

(٦) التزام قرينة : قيام قرينة تدل على أنه فعله للتشريع والاقتراد به فيه .

(٧) فذهب النزالى إلى أنه يستحب اتباعه في الأمور الجبلية كغيرها ؛ وذهب إليه كثير
من الفقهاء والمحدثين . وقال غيرهم : إنه مباح أحسن من غيره . وفي قول ضعيف : إنه واجب .

(٨) من أهل البصرة . وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله من أئمة المالكية ،

توفى في حدود الأربعمائة . قال القارى (٢ - ٢٥٩) : وهو ضعيف في الرواية . وأبو الفرج
هو عمر بن محمد بن عمر الليثى المالكي صاحب كتاب الحاوى في فقه مالك ، توفى سنة ثلاثين
أو إحدى وثلاثين وثلاثمائة . وضبط خويز منداذ في ١ .

(٩) التزام ذلك : اتباع أفعاله وآثاره .

وجوبا ، وهو قولُ الأبهري وابنِ القصار وأكثر أصحابنا .
وقولُ أكثرِ أهلِ العراقِ وابنِ سُرَيج ، والإصطخري ، وابنِ خَيْران من
الشافعية . وأكثرُ الشافعية على أن ذلك نَدْبٌ ^(١) .
وذهبت طائفةٌ إلى الإباحة .

وقيّد بعضهم الاتِّباعَ ^(٢) فيما كان من الأمور الدينية وعُلِمَ به مقصدُ القُرْبَةِ .
ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يُقيّد . قال : فلو جَوَّزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الافتداء بهم في أفعالهم ؛ إذ ليس كلُّ فعلٍ من أفعاله يُمَيِّزُ مقصدَهُ [٢٠٦] من
القُرْبَةِ ^(٣) أو الإباحة ، أو الحظر ، أو المعصية ^(٤) . ولا يصحُّ أن يُؤمَرَ المرءُ بامتنالِ
أمرٍ ^(٥) لعلَّه معصيةٌ ، لا سيما على مَنْ يَرَى مِنَ الأصوليين تقديمَ الفعل على القولِ
إذا تعارضاً ^(٦) .

ونَزِيدُ هذا حجةً بأن نقول : مَنْ جَوَّز الصغائرَ وَمَنْ نفاها ^(٧) عن نبينا
صلى الله عليه وسلم مُجْمِعُونَ على أنه لا يُقَرُّ على مُنْكَرٍ مِنْ قولٍ أو فعلٍ ، وأنه متى
رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دَلَّ على جوازِهِ ، فكيف يكون هذا حاله
في حقِّ غيره ، ثم يُجَوَّزُ وقوعه منه في نفسه ^(٨) .

-
- (١) ندب : أى مستحب لا واجب ولا مباح .
 - (٢) أى اتباعه صلى الله عليه وسلم في أفعاله وجوبا أو ندبا .
 - (٣) مقصده من القربة : قصده التقرب إلى الله بالعبادة .
 - (٤) الحظر : المنع شرعا ، لكونه مكروها أو خلاف الأولى . أو المعصية : أو الحرام .
 - (٥) بامتنال أمر من الأمور ففعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر منه .
 - (٦) المارضة : المخالفة ومنافاة أحدهما للآخر .
 - (٧) ومن نفاها : قال بعدم جوازها .
 - (٨) وذلك بأن يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها ، ما لا يرضاه لغيره من أتباعه .

وعلى هذا المأخذ^(١) تجب عصمتهم من مواقف المكروه ، كما قيل .
وإذ الحظر أو النذب على الاقتداء بفعله يُبْنَى في الزجر والنهي عن فعل
المكروه^(٢) .

وأيضا فقد علم من دين الصحابة قطعا^(٣) الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت ، ومن كل فن كالاقتداء بأقواله^(٤) ؛ فقد نبذوا^(٥) خواتيمهم حين نبذ خاتمهم^(٦) ، وخلعوا نعالهم حين خلع^(٧) ؛ واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه

(١) وعلى هذا المأخذ الدال على أنهم لا يقررون غيرهم على المعاصي فضلا عن أنفسهم . . .
يجب عصمتهم .

(٢) قال الخفاجي : وتوضيحه بما يشق الغليل : أنه يجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من أنه لا يرضاه لغيره ، فكيف يتصف به هو من غير مقتض ؛ وهذا معنى قوله : وعلى هذا المأخذ . . . ثم بين وجهه بوجه آخر أشار إليه بقوله : وإذ الحظر ؛ أي إذا رأينا النبي صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لم ندر حكمه ؛ فقل : تمتنع مخالفته ، وقيل : يندب اتباعه ، وإلى الأول أشار بالحظر ، وإلى الثاني بالنذب ؛ وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور .
(٣) دين الصحابة : عادتهم . قطعا : علما لا شك فيه .

(٤) في كل فن : في أي نوع كانت من أمور معاشه وحركاته وتسكلمه وغير ذلك . بأقواله : في أوامره ونواهيه ، فلا يفرقون بين قوله وفعله في الاتباع ؛ فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه ، وهو لا يصح .

(٥) نبذوا : طرحوا ورموا .

(٦) هذا إشارة إلى حديث : وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى الملوك يدعوهم للإسلام قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا غير مختوم ؛ فأتخذ خاتما من ذهب للختم ؛ نقشه « محمد رسول الله » ، ثم أوحى إليه بتحريم خواتم الذهب للرجال دون النساء ، فطرحه وهو على المنبر ، وأخذ آخر من فضة : والحديث في صحيح مسلم : ١٦٥٥ ، ١٦٥٧ .

(٧) خلعوا نعالهم ، أي في الصلاة . ورواه أحمد ، وأبو داود ، والحاكم عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه ووضعهما عن يساره ، فلما رأوه ألقوا نعالهم ، فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على هذا ؟ قالوا : رأيناك خلعتك فقال : إن جبريل أخبرني أن بها قدرا . (سنن أبي داود : ١ - ٦٦) . =

جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس^(١) .

واحتجَّ غَيْرُ واحدٍ منهم في غير شيء^(٢) مما بابه العبادةُ أو العادة بقوله^(٣) :
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ ؛ وَقَالَ : هَلَّا خَبَرْتِهَا أَنِّي أُقْبَلُ
وَأَنَا صَائِمٌ^(٤) ! وَقَالَتْ عَائِشَةُ - مَحْتَجَّةٌ^(٥) : كُنْتُ أَفْعَلُهُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِي أَخْبَرَ بِمِثْلِ هَذَا عَنْهُ^(٦) ؛ وَقَالَ :

== قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَمِنْهُ عِلْمٌ أَنَّ الصَّلَاةَ بِالنَّمْلِ إِذَا عِلِمَ طَهَارَتُهَا لَا تَسْكُرُهُ . أَمَّا حَدِيثُ : خَالَفُوا
الْيَهُودَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَصَلُّونَ فِي نَعَالِهِمْ وَخَفَافِهِمْ - فَلَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ إِلَّا إِذَا قَصِدَ مَخَالَفَةُ الْيَهُودِ
(سنن أبي داود : ١ - ٦٧)

(١) وما يدل على استحباب الاقتداء بما فعله صلى الله عليه وسلم استدلال الصحابة رضي الله عنهم
الوارد في حديث رواه الشيخان ، عن ابن عمر رضي الله عنه ؛ استدلوا به على أنه يجوز
استقبال القبلة واستدبارها بالبول والنائط ؛ قَالَ : رَقِيتُ يَوْمًا عَلَى يَدَيْ حَفْصَةَ ، فَرَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ . وَاسْتَدَلَّ بِفَعْلِهِ هَذَا عَلَى جَوَازِهِ . وَالحديث في صحيح مسلم : ٢٢٥
(٢) في غير شيء : في أشياء كثيرة .

(٣) مما بابه العبادة : أى مما يتعبد به . أو العادة : أى ما اعتادوا . بقوله : قول ابن عمر .
(٤) إشارة إلى حديث في الموطأ (١ - ٢٩١) عن عطاء بن يسار - أن رجلا قبل امرأته
وهو صائم في رمضان ، خفاف وأرسل امرأته تسأل أمهات المؤمنين ، فسألت أم سلمة ، فقالت :
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ ؛ فَأَتَتْهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَتْ . فَقَسَّالَ : لَسْنَا كَرَسُولِ
اللَّهِ ، فَأَتْنَاهَا وَأَخْبَرْتَاهَا بِمَا قَالَ زَوْجُهَا ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
مَا لِهَذِهِ لِلْمَرْأَةِ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَخْبَرْتِهَا أَنِّي أَفْعَلُ
ذَلِكَ ! فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : قَدْ أَخْبَرْتَاهَا . فَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ بَشْرًا .

(٥) فقالت عائشة عندما سئلت عن تقبيل الصائم زوجته . محتجة لجوازه وعدم إفساده الصوم .

(٦) غضب رسول الله على الرجل الصحابي أن أخبرته زوجته بما أفنته به بعض أمهات
المؤمنين ؛ فقال الصحابي المخبر بذلك : يحل الله لرسوله ما يشاء ، فيجوز أن يكون هذا من خصائصه
صلى الله عليه ، فلا يقاس أمر غيره عليه . (والحديث في الموطأ : ١ - ٢٩١) .

يَحِلُّ اللهُ لِرَسُولِهِ مَا يَشَاءُ ؛ إِنْ لَأَخْشَاكُمْ اللهُ وَأَعْلَمَكُمْ بِمُحْدُوذِهِ ^(١) .

وَالْآثَارُ فِي هَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحِيطَ عَلَيْهَا ، لَكِنَّهُ يُعْلَمُ مِنْ مَجْمُوعِهَا عَلَى الْقَطْعِ اتِّبَاعُهُمْ أَفْعَالَهُ وَاقْتِدَائُهُمْ بِهَا . وَلَوْ جَوَّزُوا عَلَيْهِ الْخَالَفَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمَا اتَّسَقَ هَذَا ^(٢) ، وَلِنَقْلٍ عَنْهُمْ وَظَهَرَ بِحُجَّتِهِمْ ^(٣) عَنْ ذَلِكَ ، وَلَمَّا أَنْكَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْآخِرِ قَوْلَهُ وَاعْتِدَارَهُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَأَمَّا الْمُبَاهَاتُ فَجَائِزٌ وَقَوُّعُهَا مِنْهُمْ ؛ إِذْ لَيْسَ فِيهَا قَدْحٌ ^(٤) ، بَلْ هِيَ مَأْذُونٌ فِيهَا ، وَأَيْدِيهِمْ كَأَيْدِي غَيْرِهِمْ مَسْلُطَةٌ عَلَيْهَا ^(٥) ، إِلَّا أَنَّهُمْ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ رَفِيعِ الْمَزَلَةِ ، وَشُرْحَتِ لَهُ صُدُورُهُمْ مِنْ أَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ ، وَاضْطَفُّوا بِهِ مِنْ تَعَلُّقِ هَمِّهِمْ بِاللَّهِ وَالْدَارِ الْآخِرَةِ . لَا يَأْخُذُونَ مِنَ الْمُبَاهَاتِ إِلَّا الضَّرُورَاتِ مِمَّا يَتَّقَوْنَ بِهِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ ^(٦) ، وَصَلَاحِ دِينِهِمْ ، وَضَرُورَةِ دُنْيَاهُمْ ، وَمَا أَخَذَ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ التَّحَقُّقَ طَاعَةً ، وَصَارَ قُرْبَةً ^(٧) ، كَمَا بَيَّنَّا مِنْهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ طَرَفًا فِي خِصَالِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَبَانَ لَكَ عَظِيمُ فَضْلِ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِأَنْ جَعَلَ أَعْمَالَهُمْ قُرْبَاتٍ وَطَاعَاتٍ بِعَمِيدَةٍ عَنْ وَجْهِ الْخَالَفَةِ وَرَسْمِ الْعَصِيَةِ ^(٨) .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى اقْتِدَائِهِمْ بِأَعْمَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) اتَّسَقَ : اتَّظَمَ وَاطْرَدَ . هَذَا : أَيُّ اتِّبَاعِهِمْ أَفْعَالَهُ كُلِّهَا

(٣) وَلِظَهْرِ بِحُجَّتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ ؛ أَيُّ فَتَشَوْا أَفْعَالَهُ لِيَقْتَدُوا بِبَعْضِهَا وَيَتْرَكُوا بَعْضَهَا .

(٤) قَدْحٌ : ذَمٌّ وَنَقْصٌ حَتَّى تَمْتَنَعَ عَلَيْهِمْ .

(٥) أَيُّ هُمْ كَنُفَرِهِمْ مِنَ الْمَكْفِيِّينَ ، لَهُمْ فَعْلُهَا وَالْإِنصَافُ بِهَا مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ عَلَيْهِمْ فِي فَعْلِهَا

وَالْتَصَرُّفِ فِيهَا . (٦) سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ : مِنْ تَبْلِيغِ أَمَانَةِ رَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْفَعُ فِي الْمَعَاشِ

وَالْمَعَادِ . وَصَلَاحِ دِينِهِمْ مِمَّا يَبِينُ عَلَى الْعِبَادَةِ .

(٧) أَيُّ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ كَلَامًا كُلِّهِ وَالشُّرْبُ وَالْمَلْبَسُ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ مَقْدَارُ الْكَفَايَةِ وَمَا لَا يَبْدُ

لِلتَّقْوَى عَلَى السُّلُوكِ لِلْآخِرَةِ صَارَ عِبَادَةً يَثَابُ عَلَيْهَا . فَالْمُبَاحُ بِالْإِظْهَارِ لِمَا فِيهِ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ لِأَثْوَابِ

فِيهِ وَلَا عِقَابِ . أَمَّا بِالْإِظْهَارِ لِمَا يَقَارِنُهُ فَإِنَّهُ يَصِيرُ عِبَادَةً ، وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ .

(٨) رَسْمِ الْعَصِيَةِ : عِلَامَتُهَا وَأَثَرُهَا .

فصل

[في عصمتهم قبل النبوة]

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة ؛ فمنعها قوم ، وجوزها آخرون . والصحيح أن شاء الله تنزيههم من كل عيب ، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ^(١) ؛ فكيف والمسألة ^(٢) تصورُها كالمُتنع ؛ فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع .

وقد اختلف للناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه ؛ هل كان متبعاً لشرع [٢٠٧] قبله أم لا ؟ فقال جماعة : لم يكن متبعاً لشيء ^(٣) ؛ وهذا قول الجمهور ؛ فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا مُعْتَبَرَة في حقّه حينئذ ؛ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ^(٤) .

ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها ؛ فذهب سيفُ السنّة ، ومُقتدَى فرقِ الأئمّة القاضى ^(٥) أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقلُ وموارد الخبر من طريق السمع ^(٦) ؛ وحجّته أنه لو كان ذلك لنقل ، ولما أمكن كتمه وسنّره في العادة ؛

(١) قال الخفاجي : الريب في الأصل الشك والشبهة ؛ وهو غير مناسب هنا ؛ فكأنه أريد به ما يحيط مقدارهم ؛ لأن شأن النبوة الشرف والعلو ؛ فإذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم ، وحصلت له شبهة فيهم .

(٢) والمسألة : أي وقوع الذنب منهم قبل النبوة . (٣) لشيء : من ، الشرائع .

(٤) وتقرر الشريعة : أي تحققها وظهورها ؛ ولم تسكن بعد وجوده ، وقبل بعثته ، شريعة مقررة حتى يتبعها .

(٥) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي ، حامل لواء أهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسمه علمه وشدة ذكائه . وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة .

(٦) طريق العلم بذلك : أي اتباعه صلى الله عليه وسلم لشرع نبى قبل نبوته . موارد الخبر من طريق السمع : أي يعلم من خبر ورد ونقل من طريق السمع .

إِذْ كَانَ مِنْ مُهِمِّ أَمْرِهِ ^(١) ؛ وَأُولَى مَا اهْتَبَلَ بِهِ مِنْ سِيرَتِهِ ^(٢) ، وَلَفَخَرٍ بِهِ أَهْلُ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ ، وَلَا حَتَجُوا بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَلَمْ يُؤْثَرْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ جَمَلَةً .

وذهبت طائفةٌ إلى امتناع ذلك عقلاً ؛ قالوا : لِأَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعُوا مَنْ عُرِفَ تَابِعًا ؛ وَبَنُوا هَذَا عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ ^(٣) ؛ وَهِيَ طَرِيقَةٌ غَيْرُ سَدِيدَةٍ ؛ وَاسْتِنَادُ ذَلِكَ إِلَى النَّفْلِ كَمَا تَقْدَمُ لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ أُولَى وَأُظْهِرَ ^(٤) .

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى بِالْوَقْفِ فِي أَمْرِهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَكَ قَطْعَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُحَلِّ ^(٦) أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ مِنْهَا الْعَقْلُ ، وَلَا اسْتِبْثَانٌ فِي أَحَدِهَا طَرِيقُ النَّفْلِ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْمَعَالِي ^(٧) .

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ ثَالِثَةٌ : لِأَنَّهُ كَانَ عَامِلًا بِشَرْعٍ مَنْ قَبْلَهُ ؛ ثُمَّ اخْتَلَفُوا : هَلْ يَتَعَيَّنُ ذَلِكَ الشَّرْعُ أَمْ لَا ؟ فَوَقَفَ بَعْضُهُمْ عَنْ تَعْيِينِهِ ، وَأَخْجَمَ . وَجَسَرَ ^(٨) بَعْضُهُمْ عَلَى التَّعْيِينِ وَصَحَّ .

ثُمَّ اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْمَعْيِنَةُ فِيمَنْ كَانَ يَتَّبِعُ ؛ فَقِيلَ نُوحٌ ، وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقِيلَ مُوسَى ، وَقِيلَ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . فَهَذِهِ جَمَلَةُ الْمَذَاهِبِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . وَالْأُظْهِرُ فِيهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَبْعَدُهَا مَذَاهِبُ الْمَعْيِنِينَ ؛

(١) أى تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند أهل ذلك الدين .

(٢) وأولى ما اهتبل به من سيرته : أولى : أحق . اهتبل به : اعتنى به .

(٣) أى بنوا هذا القول على أن حسن الشيء وقبحه يعرف بالعقل ويثبت به . وفى شرح الفارسي

(٢ - ١٧٠) : وَبَنُوا هَذَا عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ .

(٤) قال الخفاجي : وَهُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ الْمَعْلُومُ عَلَيْهِ .

(٥) فَقَالُوا : لَا نَعْلَمُ حَالَهُ قَبْلَ الْبَعْثِ ؛ هَلْ كَانَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ أَمْ لَا ؟

(٦) لَمْ يُحَلِّ : لَمْ يَمْدِهِ مَحَالًا ؛ لِتَسَاوِيهَا عِنْدَهُ فِي الْإِمْكَانِ .

(٧) أَبُو الْمَعَالِي : عَبْدُ الْمَلِكِ الْجُوَيْنِيُّ الْمُرُوفُ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ شَيْخِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ .

(٨) جَسَرَ بَعْضُهُمْ : تَجَرَّأُوا وَأَقْدَمُوا .

إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمنا ، ولم يخف جملة ؛ ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء ، فلزمت شريعته من جاء بعدها ؛ إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى ؛ بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم ؛ ولا حجة أيضا الآخر في قوله ^(١) : « أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » ، ولا الآخرين في قوله تعالى ^(٢) : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا » ، فتحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد ^(٣) ؛ كقوله تعالى ^(٤) : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

وقد سمي الله تعالى فيهم ^(٥) مَنْ لم يُبَيِّعْ ، ولم تكن له شريعة تخصه ؛ كيوسف بن يعقوب على قول مَنْ يقول : إنه ليس برسول .

وقد سمي الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها ؛ فدل ^(٦) أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى .

(١) سورة النحل ، آية ١٢٣ . والملة : الشريعة والدين . حنيفا : مستقيما .

قال الخفاجي : وإنما لم يكن فيه حجة ؛ لأن هذا الأمر بعد ما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ؛ والكلام فيما قبل البعثة ؛ وإنما أمر باتباعه في التوحيد وإقامة الحججة برفق على من خالفه لا في شريعته المتعلقة بالعبادة .

(٢) سورة الشورى ، آية ١٣

(٣) في التوحيد : أى الإيمان بالله وحده ، وما يتعلق بالعقائد الحققة مما يشترك فيه جميع الأنبياء ، وليس الكلام في هذا ؛ إنما الكلام فيما تمبذ به صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٩٠ . قال الخفاجي : فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرائع ؛ وقد قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم .

(٥) فيهم : أى ذكر الله في جملة الأنبياء المذكورين في هذه الآية (أولئك الذين ...)

(٦) فدل : دل اختلاف أحكام تلك الشرائع للأمور بالاقتداء بها على أن المراد ما اجتمعوا ...

وَبَعْدَ هَذَا^(١) فَهَلْ يَلْزَمُ مَنْ قَالَ بِمَنْعِ الْإِتِّبَاعِ^(٢) هَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ يَخَالِفُونَ نَبِيَهُمْ^(٣) ؟
أَمَّا مَنْ مَنَعَ الْإِتِّبَاعَ عَقْلًا فَيُطَرِّدُ أَصْلَهُ فِي كُلِّ رَسُولٍ بِلا مِرْيَةٍ^(٤) . وَأَمَّا مَنْ مَالَ إِلَى النُّقْلِ فَأَيْنَا نُصَوِّرُ لَهُ وَتَقَرَّرَ اتِّبَاعُهُ^(٥) .
وَمَنْ قَالَ بِالْوُقُوفِ فَعَلَى أَصْلِهِ^(٦) . وَمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْإِتِّبَاعِ لِمَنْ قَبْلَهُ فَيُلْتَزِمُهُ بِمَسَاقِ حُجَّتِهِ فِي كُلِّ^(٧) نَبِيٍّ .

فصل

هَذَا^(٨) حَكْمُ مَا يَكُونُ الْخَالِفَةُ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ عَنْ قَصْدٍ^(٩) ؛ وَهُوَ مَا يَسْمَى مَعْصِيَةً ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ . وَأَمَّا مَا يَكُونُ بِغَيْرِ قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ [٢٠٨] ؛ كَالسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ فِي الْوُظَائِفِ^(١٠) الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا تَقَرَّرَ الشَّرْعُ بِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْخَطَابِ بِهِ ، وَتَرْكِ الْمُواخَذَةِ عَلَيْهِ ؛ وَأَحْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ فِي تَرْكِ الْمُواخَذَةِ بِهِ ، وَكَوْنِهِ أَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ لَهُمْ مَعَ أُمَّمِهِمْ سِوَاهُ^(١١) . ثُمَّ ذَلِكَ عَلَى نَوْعَيْنِ^(١٢) : مَا طَرِيقُهُ الْبَلَاغُ ، وَتَقْرِيرُ الشَّرْعِ ، وَتَعَلُّقُ

- (١) وَبَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ بَأَنِ الْمُرَادَ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَائِدِ .
- (٢) بِمَنْعِ الْإِتِّبَاعِ : أَيْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَرْعٍ مِنْ شَرَائِعِ مَنْ قَبْلَهُ .
- (٣) فَيَقُولُ : إِنْ نَبِينَا لَشَرَفَ قَدْرُهُ لَا يَتَّبَعُ فِي عِبَادَتِهِ شَرِيعَةٌ غَيْرُهُ ، أَمَّا غَيْرُهُ فَيَتَّبَعُ مَنْ قَبْلَهُ .
- (٤) بِلا مِرْيَةٍ : بِلا شَكٍّ وَشَبْهَةٍ .
- (٥) فَأَيُّ شَيْءٍ نَقَلَ مَنْ مَنَعَ أَوْ جَوَّارَ اتِّبَاعِهِ وَلَمْ يَخَالِفْهُ ، وَلَا دَاعِيَ لِلْخِلَافِ فِيهِ .
- (٦) فَعَلَى أَصْلِهِ : عَلَى مَذْهَبِهِ فِي عَدَمِ التَّمْيِينِ لِمَسَاوِيهِمْ ، إِذْ لَا فَرْقَ .
- (٧) فِي ب : فِي كُلِّ شَيْءٍ .
- (٨) هَذَا : مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ . الْخَالِفَةُ : مُخَالَفَةُ الشَّرْعِ . عَنْ قَصْدٍ : عَنْ تَعَمُّدٍ .
- (٩) الْوُظَائِفُ الشَّرْعِيَّةُ : مَا وَظَفَ وَعَيْنَ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلْوَقْتِ ، كَالصَّلَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالْحَجِّ ، وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَبَادِئِ .
- (١٠) سِوَاهُ : أَيْ هُمْ وَأُمَّمُهُمْ مُسْتَوُونَ فِي عَدَمِ الْمُواخَذَةِ بِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا بِهِ لَا قَبْلَ الشَّرْعِ وَلَا بَعْدَهُ .
- (١١) ذَلِكَ : الَّذِي لَمْ يُوَاخِذْ بِهِ مِنَ السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ .

الأحكام^(١) ، وتعليم الأمة بالفعل ، وأخذهم^(٢) باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه^(٣) .

أما الأول فحكمه^(٤) عند جماعة من العلماء حكم السهو في التول في هذا الباب^(٥) .

وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وعصيته من جوازه عليه قصداً أو سهواً ؛ فكذلك^(٦) قالوا : الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو^(٧) المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً ؛ لأنها بمعنى التول من جهة التبليغ والأداء ، وطرو^(٧) هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ، ويسبب الطاعن^(٨) .

واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات ذكرها بعد هذا . وإلى هذا مال أبو إسحاق^(٩) .

(١) وطلق الأحكام به أمراً ونهياً .

(٢) وأخذهم : تسكينهم ومؤخذتهم .

(٣) عن هذا : أى ماخرج عن طريق البلاغ لعدم صدقه عليه واندراجه تحت حكمته .

مما يختص بنفسه : دون أمته ، مما يجب أو يمتنع ونحوه مما يختص بالرسول أنفسهم .

(٤) أما الأول : وهو ما طريقه البلاغ .

(٥) في هذا الباب : أى باب العصية وحكمها .

(٦) فكذلك : أى كما قالوا في الأقوال البلاغية .

(٧) هذا في ب . وفي ا : طروء ، وهما بمعنى .

(٨) يوجب التشكيك : يستأنم وقوع الشك في بقية أفعاله ؛ هل فاعلها بوحى من الله ، أو

مخالفة للوحى ، أو سهواً ؟ ويسبب للطاعن : الطعن : التذبح بما يورث نقصاً في أفعاله صلى الله عليه وسلم .

(٩) أبو إسحاق الإسفرايينى : وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، الإمام المشهور ، توفى

بنيسابور سنة ثمانى عشرة وأربعمائة .

وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية^(١) والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصدٍ منه - جائزةٌ عليه ، كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة ؛ وفرقوا بين^(٢) ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول . ومخالفة ذلك يناقضها^(٣) .

وأما السهو في الأفعال فتعذر مناقض لها^(٤) ، ولا قاديح في النبوة ، بل غاطات الفعل وغفلت القلب من سمات البشر ، كما قال صلى الله عليه وسلم^(٥) : « إنما أنا بشرٌ ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيتُ فذكروني » ، نعم ، بل حالة النسيان والسهو هنا^(٦) في حق صلى الله عليه وسلم سببُ إفادة علمه وتقرير شرع ، كما قال صلى الله عليه وسلم^(٧) : « إني لأنسى أو أنسى لأسن »^(٨) .
بل قد روي : لست أنسى ، ولكن أنسى .

وهذه الحالة زيادة في التبليغ^(٩) ، وتأم عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص

(١) البلاغية : التي أمروا بتبليغها لأممهم .

(٢) بين ذلك في الأفعال .

(٣) لدلالة معجزة كل نبي من الأنبياء التي تحدى بها على صدقه فيما يقوله ويبلغه عن ربه ، ومخالفة الصدق في القول سهواً من غير قصد تناقض معجزته وتنافيها ؛ فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغ عن ربه لأمرته ؛ لأن إجراء الله للمعجزة على يده في قوة قوله : إنه صادق فيما يبلغكم عنى ، ودلائها على ذلك دلالة التزامية .

(٤) لها : للمعجزة .

(٥) في حديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة : صحيح البخارى : ١ - ١٠٥

(٦) هنا : في حالته البلاغية . (٧) في حديث رواه الموطأ . وقد سبق .

(٨) لأسن : لأحدث لكم أمراً شرعياً يكون سنة لكم . والحديث في صحيح مسلم :

١٠٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣

(٩) وهذه الحالة ، أى ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان ليسن زيادة له مخصوصة

به في التبليغ للناس ، ولما يحصل لهم من تعلم ما يفعله الساهى في العبادة من أمته .

واعترض الطعن ؛ فإن القائلين بتجوير ذلك يشترطون أن الرسل لا تُقرَّ على السهو والغلط ؛ بل يذبُّون عليه ، ويعرِّفون حكمه بالنور على قول بعضهم ، وهو الصحيح . وقيل انقراضهم على قول الآخرين .

وأما ما ليس طريقه البلاغ ، ولا بيان الأحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم ، وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعلهُ ليتَّبع فيه - فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ، ولحوق الفترات^(١) والغفلات بقلبه ؛ وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق^(٢) ، وسياسات الأمة ، ومعاناة الأهل^(٣) ، وملاحظة الأعداء ؛ ولكن ليس على سبيل التكرار ، ولا الاتصال ؛ بل على سبيل الندور ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليُعان على قلبي^(٤) » ، فاستغفر الله . وليس في هذا شيء يحطُّ من رتبته ويُناقضُ معجزته .

وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملةً .

(١) ولحوق الفترات : عروضا . والفترات : جمع فترة : وهي سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضمف بعد قوة .

(٢) مقاساة الخلق : بنظره في أحوالهم وتدبير أمورهم .

(٣) معاناة الأهل : الاشتغال بهم .

(٤) الغين : غيم رقيق . والمراد به ما يمرض له صلى الله عليه وسلم من الخواطر التي تشغله عما يهمه من أمور الآخرة .

وقال القاري (٢ - ٢٧٠) : المعنى قد يحجب قلبي عن مشاهدة ربي بالاشتغال بأمره ، والانتقال إلى إمضاء حكمه .

قال في نسيم الرياض : وهو عبادة أيضا ؛ لأنه تنسك في أمور أمته وتدبير أحوالهم ، وإنما استغفر منه ، لأنه شغله عن الأهم عنده ، فهو بالنسبة لعظيم مقامه كأنه ذنب ، لأنه اشتغال بالمال عن الأعلى ، فهو حالة كمال لا نقص . والحديث في صحيح مسلم : ٢٠٧٥ . وفيه : وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة .

وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات^(١) ، ولهم في هذه الأحاديث مذاهبٌ نذكرها بعد هذا إن شاء الله .

فصل

في الكلام على الأحاديث [٢٠٩] المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع ، وأحلناه في الأخبار جملة^(٢) ، وفي الأقوال الدينية قطعاً ، وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه ، وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ؛ ونحن نبسط القول فيه^(٣) ونقول : الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة أحاديث :

أولها : حديث ذى اليدين في السلام من اثنتين^(٤) .

الثاني : حديث ابن بحنة^(٥) في القيام من اثنتين .

الثالث : حديث ابن مسعود رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا^(٦) .

(١) وأصحاب علم القلوب : الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة . والمقامات : المراتب التي يعرفها مشايخهم ويطعمونها في سيرهم إلى الله .

(٢) أحلناه : جعلناه محالاً فيما طريقه البلاغ . جملة : من غير استثناء .

(٣) فيه : في هذا الفصل .

(٤) أى ركعتين من الظهر، أو العصر . وحديث ذى اليدين في صحيح البخارى : ١ -

١٧٣ ، وصحيح مسلم : ٤٠٤

(٥) ابن بحنة : هو عبد الله بن بحنة ، وبحنة أمه ، ووالده اسمه مالك . وحديثه في صحيح

البخارى : ١ - ٨١ ، وصحيح مسلم : ٣٩٩

(٦) رواه الشيخان عنه . وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فتبيل له :

أزبد في الصلاة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا ؛ فسجد بعد ما سلم . وليس قوله « بعد

=

ما سلم » في رواية البخارى .

وهذه الأحاديثُ مبنيةٌ على السهو في الفعل الذي قرّره ، وحكمة الله فيه ليستن به^(١) ؛ إذ البلاغُ بالفعل أجلى منه^(٢) بالقول ، وأرفعُ الاحتمال ؛ وشرطه ألا يُقرَّ على السهو ؛ بل يُشعر به ليرتفع الالتباس ، وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه ؛ فإن النسيانَ والسهو في الفعل في حقّه^(٣) صلى الله عليه وسلم غير مُضادٍّ للمعجزة ، ولا قاذح في التصديق^(٤) ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون ؛ فإذا نسيتُ فذكروني^(٥) » .

وقال صلى الله عليه وسلم^(٦) : « رَحِمَ اللهُ فلانا^(٧) ، لقد أذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا آيَةً كُنْتُ أَسْقِطُهَا » - ويروى : أنسيتهن .

= وأخرج مسلم من حديث الأعمش ، ومنصور ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال إبراهيم : زاد أو نقص - الشك مني ؛ فلما سلم قيل له : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قالوا : صليت كذا وكذا ؛ فثنى رجله ، واستقبل القبلة ، فسجد سجدتين ؛ ثم سلم ، وأقبل علينا بوجهه ، فقال : إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به ، ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ؛ فإذا نسيت فذكروني ؛ وإذا شك أحدكم فليتحجر الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين . قال الحفاجي : وفي الحديث دليل على تدخل سجود السهو . وأما كونه بعد السلام أو قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقهاء كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل السلام ؛ وسجود الزيادة بعده .

وحيث ابن مسعود في البخاري : ١ - ١٠٦ ، ٢ - ٨١ ، ٨٢ ، وصحيح مسلم : ٤٠٠

(١) ليستن به : ليتبين للأمة حكمه شرعا بسبب فعله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أجلى : أظهر .

(٣) في حقّه : أى بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم إذا صدر وتحقق منه

(٤) في التصديق : في تصديق من آمن به من أمته .

(٥) فذكروني : نهوني على سهوي أو نسياني . والحديث في صحيح البخاري : ١ - ١٠٥

(٦) في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها .. صحيح البخاري : ٦ - ٢٣٩ ،

وفيه : أنسيته . وصحيح مسلم : ٥٤٣

(٧) فلانا : كناية عن علم ، وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي . وقيل : هو =

وقال صلى الله عليه وسلم^(١) : « إِنِّي لَأَنْسَى ، أَوْ أَنْسَى ، لَأُسْنَ » .
 قيل : هذا اللفظ شكٌّ من الراوى . وقد روى : « إِنِّي لَا أَنْسَى ، ولكن
 أَنْسَى لَأُسْنَ » . .

وزهب ابن نافع ، وعيسى بن دينار أنه ليس بشكٍّ ؛ فإنَّ معناه التقسيم ؛ أى
 أَنْسَى أَنَا ، أَوْ يُنْسِينِ اللَّهُ^(٢) .

قال القاضى أبو الوليد الباجى : يحتمل ما قالاهُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّى أَنْسَى فى اليَقْظَةِ ،
 وَأَنْسَى فى النومِ ، أَوْ أَنْسَى عَلَى سَبِيلِ عَادَةِ الْبَشَرِ مِنَ الدَّهْوَلِ عن الشَّيْءِ وَالسَّهْوِ ؛
 وَأَنْسَى مع إِقْبَالِي عَلَيْهِ وتَفَرُّغِي لَهُ ؛ فَأَضَافَ أَحَدَ النَّسِيَّانَيْنِ إِلَى نَفْسِهِ ؛ إِذْ كَانَ لَهُ
 بَعْضُ السَّبَبِ فِيهِ ، وَنَفَى الْآخَرَ عَنْ نَفْسِهِ ؛ إِذْ هُوَ فِيهِ كَالْمُضْطَرِّ .

وزهبت طائفةٌ من أصحابِ المعانى^(٣) والكلامِ عَلَى الحديثِ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْهَوُ فى الصَّلَاةِ وَلَا يَنْسَى ؛ لِأَنَّ النِّسيَانَ ذُهُولٌ وَغَفْلَةٌ وَآفَةٌ^(٤) ؛
 قَالَ^(٥) : وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْزَعٌ^(٦) عَنْهَا ؛ وَالسَّهْوُ شُغْلٌ^(٧) ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ

= عبد الله بن يزيد الأنصارى ، قالت عائشة : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت قارىء
 يقرأ ، فقال : من هذا ؟ قالوا : عبد الله بن يزيد ، فقال : رحمه الله لقد أذكرنى .. أسقطتهن :
 تركت تلاوتهن سهواً منى .

(١) فى حديث رواه الموطأ : ١ - ١٠٠

(٢) قال الحنفى : المراد أنه قد يكون بسبب تعاطاه ، أو بدونه ، لحكمة أرادها الله .

(٣) أصحاب المعانى : الذين تقيدوا ببيان معانى الحديث وشرحه .

(٤) آفة : مرض يصيب القوة المدركة بنقص فيها وفى صاحبها .

(٥) قال ؛ أى هذا البعض .

(٦) منزعه عنها ، لأنها نقص يخلقه الله تعالى ، والأنبياء منزهون عنه .

(٧) والسهو شغل بأمر يمنعه عن ملاحظة ما هو فاعله ، وهو غير مذموم ، بل قد يمدح

كاشتغال الصلى بتجليات ربه .

صلى الله عليه وسلم يسهو^(١) في صلاته، وبشفله عن حركات الصلاة ما في الصلاة ، شغلا بها لا غفلة عنها .

واحتج^(٢) بقوله في الرواية الأخرى : إني لا أنسى .

وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه^(٣) ، وقالوا : إن سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن .

وهذا قول مرغوب عنه ، متناقض المقاصد ، لا يُحلى منه بطائل^(٤) ؛ لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال^(٥) . ولا حجة لهم في قولهم : إنه أمر بتمديد صورة النسيان ليسن ؛ لقوله : إني لا أنسى أو أنسى . وقد أثبت أحد الوصفين ، ونفى متناقضة التعمد والقصد ، وقال : إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون ، [فإذا نسيت فذكروني]^(٦) .

وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا^(٧) ، وهو أبو المظفر الإسفراييني ، ولم يرتضه^(٨) غيره منهم ، ولا أرتضيه ، ولا حجة لها تين الطائفتين^(٩) في قوله :

(١) يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها .

(٢) واحتج : أى من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم .

(٣) أى السهو والنسيان .

(٤) متناقض القصد ، لأنه لو فعل في صلاته ما فعل عمدا بطلت صلاته ؛ فكيف يسن

بما لا يجوز . لا يحلى منه بطائل : ليس فيه فائدة وكبير أمر حتى ترتكب أموره المتخالفة المتناقضة

له . يقال : ما حليت وما حلوت منه بطائل : ما ظفرت . الطائل : الفائدة .

(٥) أى في حال واحد وزمان واحد .

(٦) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٧) من أئمتنا : أى الأشعرية .

(٨) لم يرتضه غيره : لم يقل بهذا القول أحد غير أبي المظفر ؛ لأنه كيف يؤمر بتمديد ما يبطل

الصلاة من غير ضرورة .

(٩) الطائفتين : القائلتين بأنه صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى ؛ وبأن سهوه عمد وقصد .

إني لا أنسى [٢١٠] ، ولكن أنسى ، إذ ليس فيه نفي حُكْم النسيان بالجملة ^(١) ، وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه ^(٢) ، كقوله ^(٣) : بئس ما لأحدكم أن يقول : نسيتُ آية كذا ، ولكنه نسي ، أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمْرِ الصلاة عن قلبه ، لا كَن شُغْل بها عنها ^(٤) ، ونسي بعضها ببعضها ، كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها ، وشُغِل بالتحريز من العدو عنها ؛ فشُغِل بطاعة عن طاعة ^(٥) .
وقيل ^(٦) : لمن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات ^(٧) : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والمشاء ، وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف ،

(١) بالجملة : أى جميعه بالأبصار منه صلى الله عليه وسلم نسيان لصلاة .

(٢) لقبه : المراد اسمه ولفظه .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه : ٦ - ٢٣٨ . ورواه مسلم (فى صحيحه :) ٥٤٤ : نسي - مخففا مع ضم النون . وروى من طرق بتشديد السين وتخفيفها ؛ فعلى التشكيل أنه تعالى خلق فيه النسيان . وعلى التخفيف معناه أن ناسى القرآن نسيه الله ؛ أى تركه لا يلتفت له ؛ كقوله تعالى : « وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » ؛ فأشار إلى أنه لا ينبغي أن ينسب فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تأديبا وإن جار ؛ لأنه كسبه ؛ فالذم لهذا ؛ فهو عام فى كل فعل . أو هو لما فيه من عدم الاعتناء بالقرآن ؛ لأن نسيانه لتركه تمهيد لتلاوته ؛ فهو مخصوص بالقرآن . واختاره القرطبي (تفسير القرطبي : ١١ - ٢٥٩) .

(٤) بها عنها : بالصلاة وما فيها من التجليات عن بعض أعمالها وعدد ركعاتها .

(٥) بطاعة عن طاعة : شغل - بحفظ المدينة وأرواح المؤمنين من بقة العدو - عن أداء الصلاة فى الوقت ؛ قال الحفاجى : وتلك أهم باعتبار حقوق العباد ؛ إذ لو فاتت لم يمكن تداركها ؛ بخلاف هذه .

وهذه واقعة حال قدم فيها الإهم ، ولم يكن ناسيا ؛ وإنما بدأ بدرء المفسدة الذى هو أهم من جلب المصلحة ؛ وكان هذا عذرا فى تأخير الصلاة قبل مشروعية صلاة الخوف .

(٦) القائل هو ابن مسعود ، كما رواه الترمذى والنسائى .

(٧) قال فى نسيم الرياض : والصحيح ما فى الصحيحين من أنها صلاة العصر . وفى البوداء أنه صلى الله عليه وسلم فاتته صلاتان : الظهر ، والعصر . وقال النووى : يجمع بين الروايات ، فالخندق كانت فى أيام ، وتعدد تركه للصلاة فيها .

إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن ، وهو مذهب الشاميين^(١) والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا ، فهو ناسخ له^(٢) . فإن قلت : فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي^(٣) ، وقد قال : إن عيني تنامان ولا ينام^(٤) قلبي . فاعلم أن للعلماء في ذلك أجوبة ، منها : أن المراد بأن هذا حكم قلبه^(٥) عند نومه وعينه^(٦) في غالب الأوقات ، وقد يندُر^(٧) منه غير ذلك^(٧) ، كما يندُر من غيره خلاف عاداته .

(١) أى بعض علماء الشام وفقهائهم المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون أن صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك .

(٢) حكم صلاة الخوف : فرضيتها . بعد هذا : بعد غزوة الخندق ، فهو ناسخ له : أى لجواز تأخير الصلاة عند الخوف ؛ وهو مذهب أبي حنيفة .

(٣) الصلاة : هى صلاة الصبح . والوادي : مكة . وقيل : بطن تبوك . وكان صلى الله عليه وسلم عرس فيه ، وكل بلالا بأن يقوم عنده ليوقظه إن طلع الفجر ؛ فأسند ظهره لراحته فغلبه اليوم ، ولم يوقظ رسول الله حتى طلعت الشمس

ولفظ البخارى (١ - ١٤٥) : عن أبي قتادة عنه ، قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ؛ فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله : فقال : أخاف أن تناموا عن الصلاة . فقال بلال : أنا أوقظكم ، فاضطجعوا ؛ وأسند بلال ظهره لراحته ، فغلبته عيناه ، فاستيقظ النبي وقد طلع حاجب الشمس ؛ فقال : يا بلال ، أين ما قلت ؟ قال : ما ألقيت على نومة مثلاً قط . فقال : إن الله قبض أرواحكم حين شاء ، وردها حين شاء ؛ يا بلال ، قم فأذن الناس بالصلاة ، فتوضأ ، فلما ارتفعت الشمس وابتضت قام النبي فصلى . والحديث فى اللوطاً أيضاً : ١ - ١٤

(٤) هذا الحديث فى الصحيحين بطوله ، وفيه : إن عائشة رضى الله عنها قالت : نام يا رسول الله قبل أن توتر ؛ فقال : نام عيني ولا ينام قلبي . والحديث فى صحيح مسلم : ٥٠٩ . (٥) هذا ، أى تيقظ قلبه فى نومه . حكم قلبه : حاله وصفته .

(٦) وعينه : أى وعند نوم عينيه . قال الفارى (٢ - ٢٧٦) : أو المعنى : هذا حكم قلبه وعينه حل اجتماعهما . (٧) يندر : يقل . والندرة : القلة الفرطة جداً . غير ذلك : بأن تنام عينه وقلبه كنوم سائر الناس .

وَيُصَحِّحُ هَذَا التَّأْوِيلَ^(١) قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ^(٢) : إِنْ اللَّهُ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا .

وقولُ بلالٍ فيه : مَا أَلْقَيْتَ عَلَى نَوْمَةٍ مِثْلَهَا قَطُّ^(٣) ، وَلَكِنْ مِثْلُ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِنْهُ لِأَمْرِ يَرِيدُهُ اللَّهُ مِنْ إِبْتِهَا حُكْمٌ ، وَتَأْسِيسُ سُنَّةٍ^(٤) ، وَإِظْهَارُ شَرِّعٍ ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَيُّقُنَّا ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ .
الثَّانِي^(٥) - أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَسْتَغْرِقُهُ^(٦) النَّوْمُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ الْحَدَثُ فِيهِ^(٧) ، لِمَا رَوَى أَنَّهُ كَانَ مُحْرُوسًا^(٨) ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنَامُ حَتَّى يَنْفُخَ ، وَحَتَّى يُسْمَعَ غَطِيظُهُ^(٩) ، ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ^(١٠) .

(١) هَذَا التَّأْوِيلُ : أَيْ جَعَلَهُ مُقِيدًا بِذَلِكَ أَمْرِهِ وَمَا اعْتَادَهُ .

(٢) فِي الْحَدِيثِ : الْمُرَادُ حَدِيثُ الْوَادِي ، وَهُوَ فِي الْمَوْطَأِ : ١ - ١٤ ، كَمَا تَقَدَّمَ .

(٣) أَيْ لَمْ يَنْمِ نَوْمًا ثَقِيلًا مِثْلَ نَوْمَتِهِ هَذِهِ .

قَالَ الْخُفَّاجِيُّ : فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْتَغْرَقَ فِي نَوْمِهِ عَلَى خِلَافِ مَعْتَادِهِ ، لِأَنَّ قَبْضَ الرُّوحِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ يَقْظَةِ الْقَلْبِ . وَمَا وَقَعَ لِبَلَالٍ أَيْضًا مَخَالَفَ لِمَعْتَادِهِ . وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَوْمِهِ حَالَانِ ، وَالْأَوَّلُ الْأَوَّلُ .

(٤) أَرَادَ اللَّهُ بِعَدَمِ إِيقَظَانَا أَنْ تَكُونَ سَنَةٌ لِمَنْ بَعْدَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَقْتَدُونَ بِهَا فَيَقْضُونَ مَا لَهَا مِنْ الصَّلَاةِ ؛ وَهَذِهِ حِكْمَةٌ أَنَّ اللَّهَ قَوَى النَّوْمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَامَ قَلْبُهُ عَلَى خِلَافِ عَادَتِهِ لِنَظَرِهِ هَذِهِ السَّنَةَ .
(٥) الثَّانِي مِنَ الْأَجَوِبَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ .

(٦) لَا يَسْتَغْرِقُهُ النَّوْمُ : لَا يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ وَلَا يَغْطِيهِ عَنِ الْإِدْرَاكِ بِحَيْثُ يَفِيبُ بِالسَّكَلِيَّةِ عَنْ إِحْسَاسِهِ . وَالْإِسْتِغْرَاقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ : بُلُوغُهُ نَهَائِهِ .

(٧) أَيْ يَقَعُ مِنْهُ لَشِدَّةُ نَوْمِهِ حَدَثٌ لَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْ أَحَدِ السَّبِيلَيْنِ يَنْقُضُ وَضُوءَهُ . (٨) كَانَ مُحْرُوسًا : مَحْفُوظًا فِي نَوْمِهِ مِنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُهُ . وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ

فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ١ - ١١١ ، وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا : ٥٢٧ ، ١٨٧٥ ،

(٩) الْغَطِيظُ : تَرْدِيدُ النَّائِمِ صَوْتًا مُتَوَالِيًا مَعَ نَفْسِهِ .

(١٠) قَالَ الْخُفَّاجِيُّ : فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحْرُوسٌ فِي نَوْمِهِ عَنِ الْحَدَثِ النَّاقِضِ لِلْوَضُوءِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَزِمَهُ الْوَضُوءُ فِيهِ كُفْرًا مِنَ النَّاسِ ؛ فَعَدَمُ نَوْمِ قَلْبِهِ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ اسْتِغْرَاقِهِ فِي نَوْمِهِ حَتَّى لَا يَشْعُرَ بِالْحَدَثِ ؛ فَلَيْسَ بِنَقْضِ حَقِيقَةِ كَمَا فِي الْجَوَابِ الْأَوَّلِ .

وحديث ابن عباس^(١) المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم ، فيه نومه مع أهله ؛ فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم ، إذ لعل ذلك للأمرسته الأهل أو لحدث آخر ، فكيف وفي آخر الحديث نفسه : ثم نام حتى سمعت غطيطه ، ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ .

وقيل : لا ينام قلبه من أجل أنه بوحي إليه في النوم^(٢) ، وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس . وليس هذا من فعل القلب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا^(٣) .

فإن قيل : فلولا عادته من استغراق النوم^(٤) لما قال ليلاً : اكلاً لنا الصبح^(٥) .

ف قيل في الجواب : إنه كان من شأنه - صلى الله عليه وسلم - التفليس بالصبح^(٦) ؛

(١) حديث ابن عباس مروي في الصحيحين .

(٢) فإنه وسائر الأنبياء رؤياهم وحي بلا شبهة ؛ فمعنى قوله : لا ينام قلبه أنه لا ينقطع عنه بنومه الوحي وأمر النبوة . وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه من هذا العالم .

(٣) قبض أرواحنا في منامها . ولو شاء لردّها إلينا بإيقاظنا من نومنا الذي كان قبل . في حين غير هذا : في وقت لم يوح إليه فيه شيء ، ولم ير رؤياه التي هي وحي .

قال الحفاجي : والروح تقبض في المنام والمات ، ولكنها ترد في الأول ، كما قال تعالى : « فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

(٤) استغراق النوم : باستيلائه على حواسه وقلبه كغيره . اكلاً : من السكلاء ، وهي المراقبة والحفظ . الصبح : أي وقت طلوعه لتوقفنا للصلاة فلا تفوتنا .

(٥) صحيح مسلم : ٤٧١

(٦) التفليس بالصبح : التذكير فيه ، فيصليه بنفس ؛ وهو ظلمة تخالط أفول ضوء الفجر في آخر الليل .

ومراعاة أول الفجر لا تصح^(١) ممن نامت عينه؛ إذ هو ظاهره يُدرك بالجوارح^(٢)؛ فوَكَّلَ بلالا بمراعاة أوله^(٣) لِيُعَلِّمَهُ بذلك ، كما لو شُغِلَ بشغلٍ غير النوم عن مُراعاته .

فإن قيل : فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول^(٤) : نسيتُ ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إني أنسى كما تنسون ، فإذا نسيتُ فذكرُوني . ولقد أذكرني كذا وكذا آية كنتُ أنسيتها .

فاعلم - أكرمك الله - أنه لا تعارض في هذه الألفاظ ؛ أمّا نهيه عن أن يُقال نسيتُ آية كذا فمحمول على ما نُسخَ حفظه من القرآن ، أى إن الغفلة في هذا لم تكن منه ، ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت^(٥) ، وما كان من سهو أو غفلة من [٢١١] قبله تذكروها صلح أن يُقال فيه : أنسى .

وقد قيل : إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يُضيف الفعل إلى خالقه ، والآخر^(٦) على طريق الجواز لا كتساب المبدى فيه ،

(١) لا تصح : لاتيسر .

(٢) بالجوارح الظاهرة : أى لادخل للقلب والحواس الباطنة فيه .

(٣) بمراعاة أوله : بمراقبته والنظر إليه . ليعلمه بذلك : بطلوع الفجر .

(٤) في حديث : لا يقولن أحدكم نسيتُ آية كذا . . . وقد تقدم هذا الحديث وتخريجه .

(٥) قال الخفاجي : وعلى هذا فعلى لا يقل أحدكم نسيت : تقديره إني نسيت ؛ أى إذا سمعتموني تركت في القرآن شيئاً فلا تقولوا : النبي نسي آية كذا ؛ أى إن الغفلة في هذا لم تكن منه صلى الله عليه وسلم ، ولم يقع ذلك اختياراً ، ولكن الله اضطره وألجأه إلى الغفلة ، ليمحو ما يشاء ، وينسخ ما يريد نسخه فينسيه له ، ويثبت ما لم يرد نسخه ، فلا ينساه . فعلى هذا هو مخصوص بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعض آيات نسخها الله تعالى بإذائها لا بكل ما نسيه .

(٦) هذا : نهيه عن أن يقول : نسيت . على طريقة الاستحباب : أى التعليم والإرشاد . والنهى ليس نهى تحريم ؛ بل للكرهية . والآخر : والحديث الآخر الذى أضيف فيه النسيان للمبدى ، وقوله : نسيت كذا . . .

وَإِسْقَاطَهُ - صلى الله عليه وسلم - لما أسقط من هذه الآيات ^(١) جائزٌ عليه بعد بلاغ ما أمرَ ببلاغه ، وتوصيله إلى عباده ، ثم يستدكرُها من أمته ، أو من قبل نفسه ، إلا ما قضى الله نسخه ونحوه من القلوب وترك استدكاره ^(٢) .

وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرهة ^(٣) ؛ ويجوز أن ينسيه منه ^(٤) قبل البلاغ مالا يغير نظاماً ، ولا يختلط حكماً ، مما لا يدخل خلافاً في الخبر ، ثم يذكّره إياه ، ويستحيل دوام نسيانه له ؛ لحفظ الله كتابه ، وتسكينه بلائه .

فصل

في الرد على من أجاز عليهم ^(٥) الصفائر، والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم أن المجوزين للصفائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شابههم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم ^(٦) إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع ^(٧) ، وهو ما لا يقول به مسلم ، فكيف وكل ما احتجوا به بما اختلف المفسرون في معناه،

(١) من هذه الآيات : التي قال فيها : أنسيت آية كذا وكذا .

(٢) فينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك أنه نسخ لفظه وتلاوته .

(٣) ما هذا سبيله : من القرآن مما يراد نسخه . كرهة : حيناً .

(٤) منه : من القرآن .

(٥) عليهم : على الأنبياء .

(٦) إن التزموا ظواهرها : إن قالوا : يلزم اعتقاد الظاهر منها . وقال القاري : إن التزموا

ظواهرها : من غير أن يؤولوا أكثرها ، واتخذوها مذهباً وطريقة . أفضت بهم : أوصلتهم .

(٧) خرق الإجماع : مخالفة ما أجمع الناس عليه .

وتقابلت الاحتمالات في مُقتضاه^(١) ، وجاءت أقاويلُ فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك ، فإذا لم يكن مذهبهم إجماعاً ، وكان الخلافُ فيما احتجُّوا به قديماً ، وقامت الدلالةُ على خطأ قولهم ، وصحة غيره ، وجب تركه ، والمصيرُ إلى ما صحَّح .

وها نحن نأخذُ في النظرِ فيها إن شاء الله :

فمن ذلك قوله تعالى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

وقوله^(٣) : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ .

وقوله^(٤) : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ .

وقوله^(٥) : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ .

وقوله^(٦) : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقوله^(٧) : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ الآية .

(١) تقابلت الاحتمالات : تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة . في مقتضاه : في مقتضى ما احتجوا

به من تجويز ماخرج به عن صلاحية الاحتجاج .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢ . ووجه تمسك من جوز عليهم الصفات بهذه الآية نسبة ذنب إليه

(٣) سورة محمد ، آية ١٩

مغفور لم يسمه ، فالظاهر أنه صغيرة .

(٤) سورة الشرح ، آية ٣ . الوضع : الحط ، وهو بالمفو . والوتر : الحمل والثقل . والمراد

الذنب . أنقض : أثقل .

(٥) سورة التوبة آية ٤٣ . للعنى لاى شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بكاذيب ،

وهلا توقفت ، وذلك في غزوة تبوك سنة تسع ، وقد استأذنه من تخاف عنه ، فأذن لهم ليمد الشقة

وشدة الزمان ، فأذن لقوم منافقين اعتذروا له بأعذار سمجة ؛ وهو خلاف الأولى لا ذنب

حقيقى . (٦) سورة الأنفال ، آية ٦٨ ، وقد نزلت في غزوة بدر وأسراها .

(٧) سورة عبس ، آية ١ . عبس : قطب وجهه . تولى : أعرض . والأعمى هو عبد الله

ابن أم مكتوم ، شهد القادسية ، ومعه اللواء فقتل ، وقد هاجر إلى المدينة ، وكان مؤذنه عليه

الصلاة والسلام ، واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة . وقيل : مات بالمدينة .

وما قصّ من قصص غيره من الأنبياء ؛ كقوله ^(١) : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ .
وقوله ^(٢) : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، فَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقوله ^(٣) : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله - عن يونس ^(٤) : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وما ذكر من قصته وقصة داود ؛ وقوله ^(٥) : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ
رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ .

وقوله ^(٦) : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ؛ وما قصّ من قصته مع إخوته .

وقوله - عن موسى ^(٧) : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ : هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم في دعائه ^(٨) : اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ . ونحوه من أذيعته صلى الله عليه وسلم .

وذكر الأنبياء في الموقف ذُنُوبَهُمْ في حديث الشفاعة ^(٩) .

وقوله ^(١٠) : إِنَّهُ لِيُؤْمِنُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرَ اللَّهَ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٩٠

(٤) سورة الأنبياء ، آية ٨٧

(٦) سورة يوسف ، آية ٢٤

(١) سورة طه ، آية ١٢١

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٣

(٥) سورة ص ، آية ٢٤ ، ٢٥

(٧) سورة القصص ، آية ١٥

(٨) رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٥٣٣ ، وهو سنن الترمذی : ٥ - ٤٨٢

(٩) في الموقف : يوم القيامة . وحديث الشفاعة رواه مسلم عن أبي هريرة . وقد تقدم .

(١٠) قوله : القائل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم أيضا .

وفي حديث أبي هريرة : إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً .

وقوله تعالى - عن نوح^(١) : ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .
وقد كان [٢١٢] قال الله له^(٢) : ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ .
وقال - عن إبراهيم^(٣) : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ .
وقوله - عن موسى^(٤) : ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ .
وقوله^(٥) : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ . . . إلى ما أشبه هذه الظواهر^(٦) .

قال القاضي رحمه الله^(٧) : فأما احتجاجهم بقوله : ﴿لَا يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ : فهذا قد اختلف فيه المفسرون ؛ فقليل : المراد ما كان قبل النبوة وبعدها^(٨) .

وقيل : المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع - أعلمه أنه مغفور له^(٩) .
وقيل : المتقدم ما كان قبل النبوة ، والمتأخر عصمتك بعدها ، حكاه أحمد بن نصر .

(١) سورة هود ، آية ٤٧ . فطلبه المنفرة يقتضى سبق ذنب منه .

(٢) سورة هود ، آية ٣٧ .

(٣) سورة الشعراء ، آية ٨٢ . يوم الدين : يوم الجزاء ، وخطيبته قوله : فعله كبيرهم .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٥) سورة ص ، آية ٣٤ .

(٦) أى ما ذكرته من الأمور التى يدل ظاهرها على ما قالوه - له أشباه ونظائر كثيرة تركت .

(٧) هو المؤلف .

(٨) المراد أنه لم يصدر منه ذنب قبل النبوة ؛ لأنه لا تكليف قبل النبوة أصلا ، والعقل

لا يستقل بذلك . وقوله : ما بعدها ذكر للتميم ، كقولك : أعط من تراه ومن لم تره .

(٩) أنه مغفور له : غير مؤاخذ به لو وقع منه ، لكنه لم يقع منه ذنب لغيره .

وقيل ^(١) : المراد بذلك أمته .

وقيل : المراد ما كان عن سهوٍ وغفلةٍ ، وتأويل ^(٢) ؛ حكاة الطبرى ، واختاره القشيري .

وقيل : ما تقدم لأبيك آدم ، وما تأخر من ذنوب أمتك ؛ حكاة السمرقندی والسلمي عن ابن عطاء .

وَبِمِثْلِهِ وَالَّذِي قَبْلَهُ يُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ ^(٣) : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ؛ قال مكّي : مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأُمته .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول ^(٤) : ﴿ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ - سُرَّ بذلك الكفار ^(٥) ؛ فانزل الله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . . . ﴾ ^(٦) الآية ؛ وبما آل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها ^(٧) ؛ قاله ابن عباس ؛ فقصد الآية : إنك مغفور لك غير مؤاخَذٍ بِذَنْبٍ إِنْ لَوْ كَانَ ^(٨) . قال بعضهم : المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب ^(٩) .

(١) فالمراد بخطابه خطاب أمته .

(٢) وتأويل : أى والمراد بما تأخر ما كان صادرا عن تأويل ؛ أى بيان لمعنى يحتمله النص ، فيحمل عليه باجتهاد منه ، ثم يتبين له أن الصواب أو الأولى غيره .

(٣) سورة محمد ، آية ١٩ (٤) سورة الأحقاف ، آية ٩

(٥) فرح الكفار بذلك ، وقالوا : واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد ، وماله علينا مزية ، ولولا أنه ابتدع ما يقول من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل .

(٦) قال الخفاجى : أنزل الله تعالى ردا عليهم : ليغفر لك الله فقال الصحابة رضى الله عنهم : هنيئا لك يا رسول الله ؛ قد علمنا ما يفعل الله بك ، فما يفعل بنا ؟

(٧) الآية التى بعدها هى قوله تعالى : ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وهى الآية الخامسة من السورة نفسها . (٨) كان : وجد ؛ حقيقة أو حكما .

(٩) أى المراد منها تنزيه الله له ، وتبعيده عن الذنوب ، أو ما يؤدى إليها ؛ فالمغفرة كناية عما ذكر .

وأما قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ ؛ فقيل : ما سلف من ذنبك قبل النبوة ؛ وهو قول ابن زيد^(١) ، والحسن ، ومعنى قول قتادة .
وقيل : معناه أنه حفظَ قَبْلَ نبوته منها ، وعصم^(٢) ؛ ولولا ذلك لَأَثَقَتْ ظهره^(٣) ؛ حكى معناه السمرقندي .

وقيل : المرادُ بذلك ما أثقلتَ ظهره من أعباء الرسالة حتى بأغها ؛ حكاه الماوردي ، والشَّلي .

وقيل : حَطَطْنَا عَنْكَ نَقَلَ أَيَّامَ الجاهلية^(٤) ؛ حكاه مكي .
وقيل : نَقَلَ شغلَ سِرِّكَ وحيرتكَ وطلبَ شريعتك حتى شرعنا ذلك لك^(٥) ،
حكى معناه القشيري .

وقيل المعنى : خففنا عليك ما حملتَ بِحِفْظِنَا لما استُحِفِّظْتَ ، وحُفِظَ عليك^(٦) .
ومعنى أنقضَ ظَهْرَكَ ؛ أى كادَ يَنْقُضُهُ^(٧) ؛ فيكون المعنى^(٨) على مَنْ جعل ذلك

(١) ابن زيد : هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الفسرازي زاهد المتقي للفقن . توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٢) قال الخضاجي : عصم : حفظه الله تعالى عن الاتصاف به ابتداء ؛ وهو وجه حسن يتعمله اللفظ بلا تكلف .

(٣) أى لولا أنا حفظناك عنها أثقلتَ ظهرك وهدت قواك .

(٤) أيام الجاهلية كانت خالية من الدين والأمن ، أيام هرج ومرج ؛ فلما بعث الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم سلم هو ومن تبعه ، وشرح الله صدورهم بالإسلام ، وصفاهم من الآثام ؛ نغفت ظهورهم وسددت أمورهم .

(٥) سرك : قلبك . وحيرتك : تحريك في ابتداء أمرك . وطلب شريعتك : أى طلبك من الله شريعة تعمل بها . شرعنا ذلك له : بما أوحيناه فاطمأن قلبه وذهبت حيرته .

(٦) ما حملت : ما كلفت حمل أثقاله من دعوة الخلق ، وتبليغ أمانة الرسالة التي لم تعلق حملها . بحفظنا لما استُحِفِّظْتَ : أى نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه .

(٧) ينقصه : يعيبه ويثقله .

(٨) فيكون المعنى : المراد معنى : ووضعنا عنك وزرك .

لما قبل النبوة - اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأُمُورِ فَعَلَمَهَا قَبْلَ نُبُوَّتِهِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ؛ فَعَمَدًا أَوْزَارًا^(١)، وَثَقَلَتْ عَلَيْهِ، وَأَشْفَقَ^(٢) مِنْهَا.

أَوْ يَكُونُ الْوَضْعُ عِصْمَةً لِلَّهِ لَهُ وَكَفَايَتُهُ مِنْ ذُنُوبٍ لَوْ كَانَتْ^(٣) لَا تَقْضَتْ ظَهْرُهُ.

أَوْ يَكُونُ مِنْ ثِقَلِ الرِّسَالَةِ^(٤)؛ أَوْ مَا ثَقَّلَ عَلَيْهِ وَشَغَلَ قَلْبَهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِمَحْفَظِ مَا اسْتَحْفَظَهُ مِنْ وَحْيِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ - فَأَمْرٌ لَمْ يَتَقَدَّمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَهْيٌ فَيُعَدُّ^(٥) مَعْصِيَةً، وَلَا عَدَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مَعْصِيَةً؛ بَلْ لَمْ يَعُدَّهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مُعَايَنَةً^(٦). وَغَلَطُوا مَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ؛ قَالَ نَفْطَوِيَّةُ [٢١٣]: وَقَدْ حَاشَاهُ^(٧) اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ؛ بَلْ كَانَ مُحْتَزًّا فِي أَمْرَيْنِ^(٨)؛ قَالُوا^(٩): وَقَدْ كَانَ لَهُ

(١) قَبْلَ نُبُوَّتِهِ، وَتَزُولُ وَحْيٌ فِيهَا؛ أَيْ اعْتِنَاؤُهُ بَيَانِ اللَّهِ لِحُكْمِهَا حَقٌّ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ هُمٌ وَغَمٌ؛ وَلَوْ كُنْهَا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ مَكْلَفًا بِهَا قَبْلَهَا، فَعَمَدًا أَوْزَارًا بَعْدَ مَا حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، وَخَشِيَ الْمَوَاضَاةَ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

(٢) أَشْفَقَ مِنْهَا: خَافَ مِنَ الْمَوَاضَاةِ بِهَا لَشِدَّةِ مَرَاتِبَتِهِ لِلَّهِ وَخَشْيَتِهِ لَهُ؛ فَعَمِيَ وَضَعَهَا عَلَى هَذَا بَيَانِ أَنَّهُ غَيْرُ مُوَاضِدٍ بِهَا، وَأَنَّهُ لَمْ تَسْكُنْ وَزْرًا عَلَيْهِ بِخَافِهِ.

(٣) لَوْ كَانَتْ: لَوْ وَجَدَتْ وَصَدَرَتْ عَنْهُ.

قَالَ الْخَفَاجِيُّ: فَهُوَ أَمْرٌ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لَا التَّحْقِيقِ وَالتَّنْقِيرِ.

(٤) مِنْ ثِقَلِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَمَا فِي تَبْلِيغِهَا مِنَ الشَّقَةِ.

(٥) يَعُدُّ: يَحْمِلُهُ وَيَمْتَقِدُهُ.

(٦) مُعَايَنَةً: بِفَعْلٍ خِلَافَ الْأَوَّلَى بِمَا لَيْسَ مَعْصِيَةً.

(٧) حَاشَاهُ اللَّهُ: بَرَّاهُ وَزَهَّه. وَنَفْطَوِيَّةُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُرْفَةَ الْأَزْدِيُّ، إِمَامٌ فِي

النَّحْوِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٣ هـ.

(٨) فِي أَمْرَيْنِ: هُمَا أَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَذِنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ. وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْذَنْ قَطْ.

(٩) قَالُوا: قَالَ الْعُلَمَاءُ.

أَنْ يَفْعَلَ مَا شَاءَ فِيمَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ فِيهِ وَحْيٌ ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ ^(١) . فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَا لَمْ يَطْلُبْ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّهِمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذِنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا ^(٢) . وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيمَا فَعَلَ ، وَلَيْسَ « عَفَا » هُنَا بِمَعْنَى غَفَرَ ؛ بَلْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : عَفَا اللَّهُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ . وَلَمْ تَجِبْ عَلَيْهِمْ قَطُّ ؛ أَيْ لَمْ يُبَازِمَكُم ذَلِكَ .

وَنَحْوُهُ لِلْقُشَيْرِيِّ ؛ قَالَ : وَإِنَّمَا يَقُولُ الْعَفْوُ : لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ - مَنْ لَمْ يَعْرِفْ كَلَامَ الْعَرَبِ ؛ قَالَ : وَمَعْنَى عَفَا اللَّهُ عَنْكَ - أَيْ لَمْ يُبَازِمَكَ ذَنْبًا .
قَالَ الدَّوْدِيُّ : رَوَى أَنَّهُا تَسْكِرَةٌ ^(٤) .

وَقَالَ مَكِّي : هُوَ اسْتِفْتَا حُ كَلَامٍ ^(٥) ؛ مِثْلُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَأَعَزَّكَ .
وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ ^(٦) أَنَّ مَعْنَاهُ عَاكَكَ اللَّهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي أَسَارَى بَدْرَ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْخِنَ

(١) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا الْأَمْرُ وَتَمَلُّقُهُ بِالْمَشِيئَةِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ .
وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ : ٦٢

(٢) بِمَا لَمْ يَطْلُبْ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّهِمْ : أَيْ مِمَّا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ؛ أَوْ بِمَا أَسْرَوْهُ وَاسْتَرَوْهُ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذِنْ لَهُمْ فِي الْقُعُودِ وَالتَّخَلُّفِ عَنْهُ لَقَعَدُوا ، وَلَوْ أَمَرُوا بِخُلَافِهِ .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ : ٦٧٦
(٤) إِنَّمَا : أَيْ قَوْلُهُ تَعَالَى : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ . كَانَتْ تَسْكِرَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي خُطَابِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَعْظِيمًا وَتَسْكِيرًا يَبْدَأُ بِهِ الْكَلَامَ .

(٥) اسْتِفْتَا حُ كَلَامٌ : يَوْقَعُونَهُ فِي أَوَّلِ خُطَابِهِمْ ؛ أَيْ هِيَ جُمْلَةٌ دَعَائِيَّةٌ يَبْدِءُونَ بِهَا الْكَلَامَ إِكْرَامًا لِلْمَنْ يَخَاطَبُونَهُ ؛ وَهُوَ عَادَةُ أَهْلِ التَّرْسِلِ فِي مَكَاتِبَاتِهِمْ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ ، بَلْ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ ، وَهُوَ مِلَاطِفَةٌ فِي الْحَاوِرَةِ تَدْعُو لِاسْتِئْذَانِهِ بِحَقِّ كَوْنِهِ بِاسْتِئْذَانِهِ مُسْتَحَقٌّ لِلدَّعَاءِ لَهُ . وَالْقُرْآنُ جَاءَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ ، فَهِيَ جُمْلَةٌ دَعَائِيَّةٌ قَصْدُهَا إِكْرَامُ الْخَاطِبِ .

(٦) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : قِيلَ إِنَّهُ آخِرُ هَذَا الرَّأْيِ لُصْفِهِ .

في الأرض تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿١﴾ . فليس فيه إلزامٌ ذَنْبٍ للنبيِّ الله عليه وسلم ؛ هل فيه بيانٌ ما خُصَّ به وفُضِّلَ مِنْ بين سائر الأنبياء ؛ فكأنه قال : ما كان هذا النبيَّ غَيْرَكَ ^(١) ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) : أُحِلَّتْ لِي الفَنَائِمُ ، ولم تحِلْ لنبيٍّ قَبْلِي ^(٣) .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى ^(٤) : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ .

قيل : للمعنى بالخطاب لِمَنْ أَرَادَ ^(٥) ذلك منهم ، وتجردَ غَرَضُهُ لِمَعْرِضِ الدنيا وَحْدَهُ ، والاستِـكْثَارِ منها ؛ وليس المراد بهذا ^(٦) النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ولا عليَّه

(١) أى لم يقع هذا الذى خصصت به من أخذك الفدية ممن أسرته - لنبي من الأنبياء السابقين غيرك ؛ فإن الله أحل ذلك لك وخيرك فيه بين الفداء والقتل .

(٢) صحيح مسلم : ١٣٦٧ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٢٧٢

(٣) قال فى نسيم الرياض : وفى المسائل الأربعين للرازي : العتاب وقع هنا على تركه الأولى ، لأن الأفضل فى ذلك الوقت الإنحان وترك الفداء ؛ قطعاً للأطماع ؛ ولولا أنه من باب الأولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لأصحابه .

وقال المراتى : الصواب أنه فوض له الاجتهاد فى أمر الأسارى ؛ ففوضه لأصحابه ؛ فأفقى عمر بالقتل ؛ وكان هو المصلحة ، وهو من إحدى موافقانه ؛ واجتهد الصحابة بما لم يؤد إلى المصلحة ، فخلص عمر ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده فى اجتهداه ، فله أجر . ولذا قال : عرض على عذاب قومك - دون عذابي ، لخروجه من موجب العقاب ببذل جهده . قال الخفاجى : وإلى هذا ذهب فحول العلم ، وجمع بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من المعصية . قال الخفاجى : وهو حسن جدا .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦٧ . والسؤال وارد على ما اختاره من أنه أمر اختص به صلى الله عليه وسلم ، بأنه لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر ، من أنهم رجحوا أخذ الفداء ، وهو مال غاد ورائح ، وعرض فإن ، لا يبينى النظر إليه .

(٥) للمعنى : المقصود بالخطاب فى قوله : « تريدون » . أراد ذلك : أراد عرض الدنيا .

(٦) بهذا : بالخطاب .

أصحابه ؛ بل قد روى عن الضحَّاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يومَ بدر^(١) ،
واشغفل الناس بالسلبِ وجمع الغنائم عن القتال ، حتى خشيَ عمرُ أن يعطِفَ عليهم
العدو^(٢) .

ثم قال تعالى^(٣) : ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فَمَا آخَذْتُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾ ؛ فاختلف المفسرون في معنى الآية ؛ ف قيل : معناها لولا أنه سبق مني أن
لا أعذب أحداً إلا بعد النهي لعذبكم .
فهذا ينفى أن يكون أمرُ الأُمرى معصية^(٤) .

وقيل : المعنى لولا إيمانكم بالقرآن ، وهو الكتابُ السابق^(٥) فاستوجبتم به
الصَّحاحَ - لعوقبتهم على الغنائم .

ويزادُ هذا القولُ تفسيراً وبياناً بأن يُقال : لولا ما كنتمُ مؤمنين بالقرآنِ ،
وكنتمُ يَمَنٌ أَحَلَّتْ لَهم الغنائمُ لعوقبتهم ، كما عوقِبَ مَنْ تَعَدَّى^(٦) .

(١) أى أنها نزلت في أمر آخر غير الفداء ؛ فلا يرد السؤال أصلاً .

(٢) يعطف عليهم العدو : يرجع كارا عليهم .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٦٨ ، وهذه الآية في القصة نفسها .

والمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره . والمعنى : لولا أنه سبق من الله بما أوحاه
لنبيه صلى الله عليه وسلم أنى لا أعذب أحداً إلا بعد النهي وتحريم أخذ الفداء لعذبكم على
ما فعلتم من أخذ الفداء ؛ لأنه لو كان منها عنه محرماً - استحق بمخالفته العذاب . وقيل : المراد
بالكتاب : القرآن ، وسيأتى في التفسير الثانى .

(٤) لأنه لم ينه الله عنه ولم يحرمه .

(٥) السابق في قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق » .

(٦) والكتاب على هذا بمعنى القرآن ، وسبقه لقدمه في الأزل ، أو حكم الله الذي كتبه

وقدره .

قال الخفاجى : وحاصله أنه لولا أن الله أنزل القرآن وما فيه من الأحكام وأحل لكم فيه الغنائم
لمسكم العذاب وحل بكم العقاب ، كما عوقب من قبلكم من الأمم لما تجاوزوا الحدود وتعدوا
ما نهاهم الله عنه .

وقيل : لولا أنه سبق في الأَوْحِ المحفوظ أنها حلالٌ لكم لَوَقَّيْتُمْ .
فهذا كله يَنْفِي الذَّنْبَ والمعصية ؛ لأنَّ مَنْ فَعَلَ ما أُحِلَّ له لم يَعْصِ ؛ قال الله تعالى ^(١) : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ .

وقيل : بل كان صلى الله عليه وسلم قد خُيِّرَ في ذلك ^(٢) ؛ وقد رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال ^(٣) : جاء جبريلُ عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ ، فقال : خَيْرُ أَصْحَابِكَ في الأسارى ، إن شاءوا القَتْلَ ، وإن شاءوا الفداء ، على أن يُقَتَلَ منهم في العام المُقْبِلِ مِثْلُهُمْ . فقالوا : الفداء ، ويُقَتَلَ ^(٤) مِنَّا .

وهذا دليلٌ على صحة ما قُلتناه ، وأنهم لم يفعلوا إلَّا ما أُذِنَ لهم فيه ؛ لكن بعضهم مالَ إلى أضعف الوجهين بما كان الأصْلَحُ غَيْرَهُ من الإِثْمَانِ والقَتْلِ ؛ فَعَوَّيْتُوا على ذلك ^(٥) ، وَبَيَّنَّ لهم ضَعْفُ اخْتِيَارِهِمْ وتصويبُ اخْتِيَارِ غَيْرِهِمْ ^(٦) ؛ وكلُّهم غَيْرُ عَصَاةٍ ولا مُذْنِبِينَ ^(٧) ؛ وإلى نحو هذا أشار الطبريُّ .

وقوله - صلى الله عليه وسلم في هذه القضية ^(٨) : لو نزل من السماء عَذَابٌ ما نجا منه إلَّا عُمَرُ [٢١٤] - إشارةٌ إلى هذا من تصويب رأيهِ ورأى مَنْ أَخَذَ بِمَأْخِذِهِ ، في إعزازِ الدِّينِ ، وإظهارِ كلمته ، وإبادةِ عَدُوِّهِ ، وأنَّ هذه القضية ^(٨) لو استوجبتْ

= وهو إما تشريع وامتنان عليهم بما أحله لهم ، ولم يضيق عليهم كما ضيق على الأمم السابقة ؛ أو هو ردع لمن اشتغل بالفنائم والصلب .

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٩ . كلوا : المراد انتفعوا به ، وليس المراد خصوص الأكل .

(٢) خير في ذلك : أى في أخذ الفدية من الأسرى وفي قتلهم ؛ فلما أخذها قيل له : كان

الأولى خلافه . (٣) سنن أبي داود : ١ - ٢٦٧

(٤) ويقتل منا : رغبة في الفداء . (٥) على ذلك : إذ اختاروا غير الأصْلَحِ .

(٦) اختيار غيرهم : وهو ما اختاره عمر رضي الله عنه .

(٧) لأن كلا منهم قال ما أداه إليه اجتهاده ظاناً أن الخير فيه .

(٨) هذه القضية : قضية أسرى بدر .

عذاباً نجاً منه عمر ومثله^(١) : وعين عمر^(٢) لأنه أول من أشار بقتلهم ؛ ولكن الله لم يقدّر عليهم في ذلك عذاباً لحله لهم^(٣) فيما سبق .

وقال الداودي : والخبر بهذا لا يثبت^(٤) ، ولو ثبت لما جاز أن يُظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لانص فيه ولا دليل من نص ، ولا جعل الأمر فيه إليه ؛ وقد نزهه الله تعالى عن ذلك^(٥) .

وقال القاضي بكر بن العلاء^(٦) : أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء ؛ وقد كان قبل هذا فادوا^(٧) في سرية عبد الله بن جحش التي قُتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان (١) مثله : أي نجاً من العذاب مثله من كان على رأيه كسعد بن أبي وقاص كما ورد في الحديث .

(٢) عين عمر : خصه بالذكور مع أن جماعة منهم كانوا على رأيه ، لأنه أول من أشار بقتلهم .

(٣) حله لهم : لأن الله أحله لهم ، وخيرهم بين أخذ الفداء والأنسرى .

(٤) أي لم يثبت المنع من أخذ الفدية .

(٥) أي ولو ثبت المنع لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لانص فيه بوحى نازل عليه ، ولادليل يدل على ما حكم به مستنبط من نص سبق بإجتهاده ، ولا جعل الأمر فيه من الله مفوض إليه ؛ فإنه وقع التفويض إليه صلى الله عليه وسلم في أمور أذن له بالحكم فيها ، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى بوحى . والاجتهاد والتفويض بوحى بوحى .

(٦) إمام مذهب مالك .

(٧) في هذه الآية : الآية التي نزلت في أسارى بدر . أن تأويله : أن تأويل النبي صلى الله عليه وسلم الذي قبله من أبي بكر رضى الله عنه في اختيار عدم القتل وافق ما كتبه له ؛ أي حكم به وجوزه بقوله : لولا كتاب من الله سبق في علمه وحكمه .

(٨) قبل هذا : قبل غزوة بدر . فادوا : أخذوا الفداء من المشركين . والسرية : ناس يرسلون للعد ومن خمسة إلى ثلاثمائة أو أربعمائة وهذه السرية كانت في رجب في السنة الثانية ، أو في جمادى الآخرة ؛ وكانت السرية قبل بدر بشهر أو أكثر وانظر هامش رقم ١ في الصفحة الآتية .

وصاحبه ، فاعتب الله ذلك عليهم ؛ وذلك قبل بدر بأزيد من عام ^(١) .
 فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأشرى كان
 على تأويل وبصيرة ^(٢) ، وعلى ما تقدم قبل مثله ^(٣) ؛ فلم يذكره الله تعالى عليهم ،
 لكن الله تعالى أراد - لعظم أمر بدر وكثرة أسراها ، والله أعلم - إظهار نعمته ،
 وتأكيده منته ^(٤) بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ ^(٥) من حل ذلك لهم ،
 لا على وجه عتاب وإنكار وتذيب ^(٦) . هذا معنى كلامه .
 وأما قوله ^(٧) : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَ الْأَعْمَى . . . ﴾ .
 فليس فيه إنبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ؛ بل لإعلام الله أن ذلك المتصدى
 له ممن لا يتركى ^(٨) ، وأن الصواب والأولى - أو كشف لك حال الرجائين ^(٩) -
 الإقبال على الأعمى .

(١) قال الخفاجي : كذا في النسخ ؛ وهو سهو ، لأن بدرا الأولى وقعت في ربيع الأول
 بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة ؛ فتكون هذه الواقعة في سنة اثنتين من الهجرة ؛ ثم في
 رجب بمث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السرية ، ثم في رمضان من هذه السنة وقعت
 غزوة بدر الكبرى فبين هذه السرية وغزوة بدر نحو ثلاثة أشهر . وقال القاري : بل كانا
 في سنة واحدة .

(٢) كان على تأويل : باجتهاد منه ، وبصيرة بالنظر الصحيح في أنه فيه إعانة ورجاء لأن
 يهديهم الله في الآجل إلى الإسلام ؛ وكان كذلك .

(٣) قبل : قبل بدر . مثله : من أخذ الفدية في سرية عبد الله بن جحش ، ولم يعاتبوا
 عليه كما تقدم . (٤) منته : نعمته عليهم .

(٥) ما كتبه في اللوح المحفوظ بقوله : لولا كتاب من الله سبق . . .

(٦) لا على وجه عتاب : أي لم يذكره للومهم ، بل لبيان شكره ونعمته . أو تذييب : أي
 نسبتهم لذنوب ارتكبوها بما فعلوه .

(٧) أي ما يشعر به ظاهرها ؛ من أنه صدر عنه صلى الله عليه وسلم ما استحق عليه العتاب ،
 واستدلال بعضهم بهذه الآية والقصة على تجويز الصفات عليهم .

(٨) لا يتركى : لا يسلم فيظهره الله من دنس الشرك .

(٩) حال الرجائين : أي ابن أم مكتوم ، ومن كان عنده من المشركين .

وَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فَعَلَ ، وَتَصَدَّيْهِ لَذَلِكَ الْكَافِرُ ، كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ وَتَبْلِيغًا عَنْهُ ، وَاسْتِثْلَافًا^(١) لَهُ ، كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ ، لَا مَعْصِيَةَ ، وَلَا مَخَالَفَةَ لَهُ .

وَمَا قَصَّهَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينٌ^(٢) أَمَرَ الْكَافِرَ عَنْهُ ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، بِقَوْلِهِ^(٣) : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَزْكَى ﴾ : وَقِيلَ : أَرَادَ بِهِ « عَبَسَ » ، وَ « تَوَلَّى » - الْكَافِرَ الَّذِي كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ أَبُو تَمَامٍ^(٤) .

وَأَمَّا قِصَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ - بَعْدَ قَوْلِهِ^(٥) : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُ^(٦) : ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ

(١) أى استمالة للكافر وتأليفا له رجاء لإسلامه .

(٢) توهين : تضعيفه وبيان حاله ؛ لأنه لا مقدار له يعتمد به .

(٣) لأن معناه : لا بأس عليك من أمره ؛ فلا تلتفت إليه ؛ أى لا بأس عليك بعدم إسلامه ؛ فحرصك على إسلامه الحامل لك على الإعراض عن غيره تطييبا لحاظه - الأولى تركه ؛ لأنه ما عليك إلا البلاغ ، وقد فعلت .

(٤) أبو تمام : قال البرهان : هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور وهو في الطبقة المليية من المولدين ، متقدم العصر والرتبة على المتنبي ، لكن لم نرم من عده من علماء الحديث والتفسير ؛ فهو غلط من اشتراك الاسم .

وقد نقل المصنف في هذا الكتاب كثيرا عن محمد الأبهري من علماء المالكية من أهل طليطلة ، وهو ملقب بأبي تمام ، وهو المراد هنا ؛ وما قاله الشراح هنا وأصحاب الحواشي من أنه أبو تمام الشاعر خطأ ؛ فإننا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيئا مما يتعلق بالأهوار الشرعية ؛ وإنما غرهم الاشتراك اللفظي ، وهذا مما لا شبهة فيه .

قال الخفاجي : وهو قول في غاية الضعف ، بعيد عن السياق .

(٥) سورة البقرة ، آية ٣٥ (٦) سورة الأعراف ، آية ٢٢

تِلْكَ كَمَا الشَّجَرَةَ ﴿١﴾ ؛ وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى ﴿١﴾ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢﴾ ؛ أى جَهِلَ .

وقيل أخطأ ؛ فإنَّ الله تعالى قد أخبر بُعْذَرِهِ بقوله ﴿٢﴾ : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ﴿٣﴾ ؛ قال ابنُ زيد : نَسِيَ عِدَاوَةَ إبليس له ، وما عَهِدَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ﴿٤﴾ بقوله ﴿٥﴾ : ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ . . . ﴾ الآية .
وقيل : نَسِيَ ذَلِكَ بِمَا أَظْهَرَ لَهَا ﴿٦﴾ .

وقال ابنُ عباس : إنما نُسِيَ الإنسانُ إنساناً لأنه عَهِدَ إِلَيْهِ فَتَنِى .
وقيل : لم يَقْصِدِ الخَالَةَ استحلالاً ﴿٧﴾ لها ، ولكنهما اغْتَرَا بِحَلْفِ إبليس لها ﴿٨﴾ : ﴿ إِنِّى لَكُمَا مِنَ التَّاصِحِينَ ﴾ ؛ وتوهمَا أَنَّ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِاللَّهِ حَانثًا .
وقد رَوَى عُذْرُ آدَمَ بِمَثَلِ هَذَا فِي بَعْضِ الْأَثَارِ .

وقال ابنُ جُبَيْر : حلف بالله لهما حتى غَرَّهما ؛ وَالْأَوْثَمِينَ يُخَدَعُ ﴿٩﴾ .
وقد قيل : نَسِيَ ، ولم يَنْوِ الخَالَةَ ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ؛ أى قَصْداً [٢١٥] للمخالفة .

-
- (١) سورة طه ، آية ١٢١ (٢) سورة طه ، آية ١١٥
(٣) عهدنا إلى آدم : أخذنا عليه وبيننا له ما يلزمه فتركه . من قبل : قبل أكله من الشجرة . ولم نجد له عزيمة ثابتة على ما عهد إليه .
(٤) من ذلك : من كون إبليس عدواً له ولزوجه وولده .
(٥) سورة طه ، آية ١١٧
(٦) لهما : لآدم وزوجه من المخادعة .
(٧) استحلالاً لها : لمدحها حلالاً ، حتى لا يكون ذلك معصية .
(٨) سورة الأعراف ، آية ٣١
(٩) قال الخفاجى : لأن للؤمن لا يعمل ذلك ، فيعتقد أن غيره مثله لا ينافق ولا يخادع ولا يكذب .

وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الجزم والصبر^(١).

وقيل : كان عند أكله سكران^(٢) ؛ وهذا فيه ضعف ؛ لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر ؛ فإذا كان ناسيا لم تكن معصية ؛ وكذلك إن كان ملبسا^(٣) عليه غالطا ؛ إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف .

وقال الشيخ أبو بكر بن فورك^(٤) وغيره : إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ؛ ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(٥) ؛ فذكر أن الاجتباء والمداية كانا بعد العصيان^(٦) .
وقيل : بل أكلها متأولا ، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها ؛ لأنه

(١) الجزم : الأخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه ، وانصبر حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب .

(٢) قال الخفاجي : ورد أن خمر الجنة ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ؛ ولا يخفى أن هذا الوجه في غاية الضعف ، والأولى تركه .

(٣) ملبسا عليه : يعني تلبس إبليس الذي غره به ، وقسمه له بأنه ناصح له ، وأنه يريد خلوده في الجنة ، وعدم زوال نعمته عنه ، وأن نهى الله ليس بتحريمي مؤاخذ به .
غالطا : أى وقع من آدم التلط بقوله تلييسة وبفرزة له بأنه لا إثم عليه في أكله .

(٤) هو أبو محمد بن الحسين الأصهباني إمام أهل السنة والكمال ، وكان في عصره أجل من تصدر للوعظ والتدريس والتأليف . توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٥) اجتباهه به : اختاره لنبوته ؛ فتاب عليه بما صدر منه قبل النبوة . وهدى : وهده الله إلى علمه .

(٦) قال الخفاجي : فالمنى أن الله ارتضاه لنبوته ، وأنه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبى .
وقد قيل : إنه في غاية البعد ؛ لأن ظاهر الحال من سجود الملائكة لآدم ، وإظهار فضله عليهم ، ومحاطبته في حضرته ، تمتنع هذا الاحتمال ؛ إذ لا معنى للنبوة غير هذا ؛ فلا استدلال به على نبوته أولى بما استدلال به للصنف رحمه الله .

تَأْوَلَ نَهْيَ اللَّهِ عَنْ شَجَرَةٍ مَخْصُوصَةٍ لَا عَلَى الْجِنْسِ ^(١) ؛ ولهذا قيل : إنما كانت التوبة مِنْ تَرْكِ التَّحْفُظِ ^(٢) ، لَا مِنْ الْخَالَفَةِ .

وقيل : تَأْوَلَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْهَهُ عَنْهَا نَهْيَ تَحْرِيمٍ .

فَإِنْ قِيلَ : فَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ ﴾ ؛ وقال ^(٤) : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ . وقوله في حديث ^(٥) الشفاعة : وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ ، وقال : إِنِّي نُهَيْتُ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ؛ فسيأتي الجوابُ عنه وعن أشباهه مُجْمَلًا آخِرَ الْفَضْلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا قِصَّةُ يُونُسَ فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَى بَعْضِهَا آتِفًا ؛ وَلَيْسَ فِي قِصَّةِ يُونُسَ نَصٌّ عَلَى ذَنْبٍ ؛ وَإِنَّمَا فِيهَا : أَبَقَ ^(٦) وَذَهَبَ مُنَاضِبًا ^(٧) . وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ .

وقيل : إِنَّمَا نَقِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ عَنْ قَوْمِهِ فَأَرَأَى مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ ^(٨) .

وقيل : بَلْ لَمَّا وَعَدَهُمُ الْعَذَابَ ثُمَّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَتَقَامُّ بِوَجْهِهِ كَذَابٍ أَبَدًا .

وقيل : بَلْ كَانُوا يَقْتُلُونَ مَنْ كَذَبَ بِخَافِ ذَلِكَ ^(٩) .

(١) لاطى الجنس : الشامل لجميع أفرادها .

(٢) التحفظ : قلة النفقة . والمراد ترك التيقظ والتنبه .

(٣) أى أثبت الله له المعصية .

(٤) والتوبة إنما تكون من ذنب .

(٥) وقوله : قول آدم المحكى عنه . وقد تقدم .

(٦) أبق : فر وهرب .

(٧) ذهب مناضبا ؛ أى غضبان ، وغضبه على قومه لاطى ربه : وقد سبق هذا . . .

(٨) نعم الله عليه : عاب فعله ولامه عليه وكرهه . من نزول العذاب بهم ، وهو بين

أظهرهم ؛ فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على أن الله ينجيهم كما نجي نوحا وغيره من الأنبياء حتى يوحى إليه ما يريد .

(٩) أى كان من عادتهم أنهم يقتلون من كذب ، فخاف القتل لتخلف ما وعدهم به .

وقيل : ضُفَّ عَنْ حَمْلِ أَعْيَاءِ الرِّسَالَةِ^(١) . وقد يقدم الكلامُ أنه لم يَكْذِبْنَهُمْ^(٢) .

وهذا كله ليس فيه نصرٌ على معصيةٍ إلا على قولٍ مرغوبٍ^(٣) عنه .

وقوله : ﴿إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾^(٤) - قال المفسرون تباعدَ .

وأما قوله : ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥) ؛ فالظلمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غير موضعه ؛ فهذا اعترافٌ منه عند بعضهم بذنبه ؛ فإِذَا أَن يَكُونُ لخروجه عن قَوْمِهِ بغير إذنِ ربِّه ، أو لضعفه عما حُمِّلَه ، أو لدعائه بالعبادِ على قَوْمِهِ^(٦) وقد دعا نوحٌ بهلاكِ قومه^(٧) فلم يؤاخِذْ .

وقال الواسطي في معناه : نَزَّهَ رَبُّهُ^(٨) عن الظلم ، وأضافَ الظلمَ إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً^(٩) . ومِثْلُ هذا قول آدم وحَوَّاءَ : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ ؛ إذ كانا السَّبَبَ في وَضْعِهِمَا غير الموضع الذي أنزِلَ فيه ، وإخراجهما من الجنة ، وإنزالهما إلى الأرض .

(١) قال في نسيم الرياض : قال وهب : كان في خلقه ضيق ؛ ولذا أخرجه الله عن أولى العزم بقوله : « فاصبر كما صبراً ولو العزم من الرسل ، ولا تكن كصاحب الحوت » .
(٢) فما وعدم به من المذاب نزل بهم حتى رأوا غمامة فيها دخان أظلمتهم ، ولكنهم لما نضرعوا إلى الله كشفه عنهم .
(٣) مرغوب عنه : متروك لضعفه .

(٤) الفلك : السفينة . المشحون : الملوء .

(٥) فإنه يقتضى أنه صدر منه ذنب .

(٦) قال الخفاجي : وهو توجيه ضعيف ؛ لأن الدعاء على الغير إذا رأى منه ما يسوءه لا يمد ذنباً .

(٧) وذلك قوله : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » .

(٨) نزَّهَ ربه عن الظلم إذ قال : سبحانك . . .

(٩) قال الخفاجي : والحاصل أنه ذكره ههنا وبياناً لاستعداد البشر لثله ؛ وإنما يحفظهم الله باطقه .

وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ماسطره فيه الأخباريون^(١) من أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيروا؛ ونقله بعض المفسرين . ولم ينص الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح . والذي نص الله عليه قوله^(٢) : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزُفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

وقوله فيه : ﴿ أَوَّابٌ ﴾^(٣) .

فمعنى فتناه : اختبرناه^(٤) . وأَوَّاب : قال قتادة : مُطِيع^(٥) .

وهذا التفسير أولى^(٦) .

وقال ابن عباس ، وابن مسعود : ما زاد داود على أن قال للرجل : انزل لي عن امرأتك وأكفّلنيها^(٧) ؛ فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه عليه^(٨) ، وأنكر عليه [٢١٦] شغله بالدنيا ، وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره .

(١) الأخباريون : أصحاب القصص .

وماسطروه هو قولهم : إن داود كتب إلى قائد جيشه أن ابست أوريا - زوج المرأة الحسنة التي رآها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق بها قلبه - إلى وجه المدو قبل التابوت ، وكان من يتقدم مع التابوت لا يجوز له أن يرجع حتى يفتح على يديه أو يستشهد ، فقدم ففتح على يديه ، فكتب له ثانيا : ابسه لموضع كذا مرة بعد مرة ، حتى قتل فتزوج امرأته .

(٢) سورة ص ، آية ٢٤ ، ٢٥ (٣) أَوَّاب : كثير الرجوع عما يفعل .

(٤) المراد فعلنا به فعل المتحن ليطهر حاله للناس ؛ من فتنت الذهب ؛ إذا صفيته من غشه ؛

فليست الفتنة هنا بإيقاعه فيما يضره من الآثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة .

(٥) لسكرة رجوعه إلى ربه .

(٦) أولى من تفسيره بتواب عن الذنوب .

(٧) أكفّلنيها : ضمها لي بالدخول تحت نكاحي قال القاري ؛ وكان أهل زمان داود يسأل

بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها ، وكان ذلك متاحا لهم .

(٨) ونبه عليه : لما فيه من خلاف الأولى اللائق بمقامه .

وقيل : خطبها على خطبته .

وقيل : بل أحب بقلبه أن يستشهد^(١) .

وحكى السمرقندى أن ذنبه الذى استغفر منه قوله لأحد الخصمين^(٢) : (لقد ظلمك) ، فظلمه^(٣) بقول خصمه .

وقيل : بل لما خشي على نفسه ، وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا . وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر ، وأبو تمام^(٤) ، وغيرهما من المحققين .

وقال الدأودى : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ؛ ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم .

[وقيل : إن الخصمين اللذين اختصا إليه رجلان^(٥) في نجاج غنم ، على ظاهر الآية^(٦)] .

(١) أحب بقلبه أن يستشهد أوريا ليتزوج بامرأته ؛ لا أنه صرح به ، وبأشرف أسبابه ، وهو ميل قلبى لا يؤاخذ به ؛ لأنه خطر بقلبه أنه لو استشهد تزوجها ، لأنها أعجبت . قال الخفاجى : وعلى هذه الوجوه لامعية فيه : أما طالب النزول عن زوجته فكان جائزا عندنا كما كان في أول الهجرة بين الأنصار والمهاجرين . وأما الخطبة على الخطبة فإن كانت حراما عندنا بنير رضا وفراغ فله كان جائزا عندنا ، أولم يعلم بما أعلمه الله به فلا حرج عليه . وأما خطرات القلوب فلا يؤاخذ بها ، وماعداء لا يجوز نسبتهم لهم ولا يتحدث به ، ولذا قال على رضى الله عنه : من حدث بقصة داود عليه السلام جلده مائة وستين ، وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٢) أحد الخصمين : أى الملسكين اللذين أنبأ في صورة رجلين متخاصمين له .

(٣) لقد ظلمك بسؤال نجتك إلى نجاجه . فظلمه : نسبه للظلم . يعنى أنه سمع قول المتظلم فاستعجل ، ولم يسأل عن ظلمه ؛ ولذا عانبه ولم يرض فعله .

(٤) انظر ٢٧٢ في تحقيق أبى تمام هذا

(٥) رجلان حقيقة ، لا ملكان في صورة رجلين .

(٦) قال الخفاجى : والحاصل أن ما اشتهر بين القصاص وأهل الكتاب لم يثبت ؛ والذى =

وأما قصة يوسف وإخوته فليس على يوسف فيها تعقب^(١) ، وأما لإخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم . وذكر الأسباط وعدّهم في القرآن عند ذكر الأنبياء ليس صريحاً في كونهم من أهل الأنبياء .

قال المفسرون : يريد من نبي من أبناء الأسباط^(٢) .

وقد قيل : إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار^(٣) الأسنان ؛ ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ؛ ولهذا قالوا : أرسله معنا غداً رتّع ونلعب^(٤) ، وإن ثبت لهم نبوة فبعد هذا ، والله^(٥) أعلم .

وأما قول الله تعالى فيه : ﴿ ولقد همت به ولم نبها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ - فعلى طريق كثير من المتكلمين والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به ؛ وليس سيئة^(٦) ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم - عن ربه^(٧) : « إذا هم عبدي بسيئة

== قصه الله تعالى عنه ليس فيه ما يباه مقام النبوة . وما بين القوسين كتب أمامه في هامش ا : من الام من غير الرواية .

(١) تعقب : اعتراض ، مما يدل على طعن فيه ، أو نقص ينصب إليه مما لا يناسب مقامه . وفي ب : تعقب .

(٢) لا أولاده لصلبه . وفي نسيم الرياض : قال ابن كثير : لم يرق دليل على نبوتهم ، وظاهر القرآن يخالفه .

(٣) صغار الأسنان ؛ أى غير مكانيين .

(٤) واللعب من شأن الصغار ، ولا يليق بالرجال .

(٥) قال الحفاجي : هذه الدلالة بحسب الظاهر التبادر ، فإن السكبار قد يلعبون ويتسابقون ؛ وكذا عدم معرفتهم له إنما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به ؛ لأن مدة مفارقتهم أربعون سنة أو ثمانون ؛ إذ يجوز ألا يعرفوه لتغيير زيه ، وكونه بهيئة الملوك ذوى الهيبة ، ولمدمق ربهم من مجلسه .

(٦) لا يؤاخذ به ؛ لأنه أمر اضطرارى . وليس سيئة : أى خطيئة ومعصية . وفي ا :

وليس . . . (٧) فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه : ١١٧

فلم يَمَلِّهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً^(١)»، فلا معصية في هَمَّه إِذَا.

وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فَإِنَّ الهمَّ إِذَا وُطِّتَ^(٢) عليه النفسُ سَيِّئَةٌ. وأما ما لم تُوَطَّنْ عليه النفسُ من هومها وخَوَاطرها فهو المَعْفُو عنه. وهذا هو الحقُّ؛ فيكون - إن شاء الله - هَمُّ يوسف من هذا^(٣)؛ ويكون

(١) إِذَا هم عبدى بسيئة: أى عزم عليها وقصدها. كتبت له حسنة: لمجاهدته نفسه وصرفها عما تريده.

(٢) وطنت عليه النفس: صممت وحزمت عليه.

(٣) قال الخفاجي: والحاصل أنه ذهب كثير من العلماء إلى أن هم المرء وخاطر نفسه لا يؤخذ به؛ فلا معصية في ذلك على هذا. وذهب بعض الفقهاء والمحدثين إلى أن الهم إِذَا لم توطن عليه النفس معفو عنه؛ وَإِذَا وطنت عليه النفس وصممت كتبت سيئة، والنصوص فيه مختلفة؛ فما تقدم في حديث مسلم وأحاديث أخرى في معناه يدل على أنه لا يؤخذ به. وقوله تعالى: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»؛ وقوله: «يؤخذكم بما كسبت قلوبكم»، ونحوه، يدل على خلافه.

والتوفيق بينها ماقاله الغزالي من أن أول ما يرد على القلب كرؤية امرأة على الطريق مالت إليها النفس، ويسمى حديث النفس وخاطرا.

الثانى: ما يتولد منه من الرغبة وإعادة النظر؛ وهو الميل الطبيعي.

والثالث: حكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل وينبى إعادة النظر.

والرابع: التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحياء.

والأول لا يؤخذ به؛ لأنه لا يدخل تحت الاختيار؛ وكذا هيجان النفس والليل والشهوة؛ لأنها ليست اختيارية؛ وهو المراد بقوله صلى الله عليه: عني عن أمي ما حدثت به نفوسها؛ وهو الخواطر التي لا يتبهاهم ولا عزم.

وأما الاعتقاد وحكم النفس بأنه ينبغي أن يفعل فيكون اضطراريا لا اختياريا؛ واختياريا فيؤخذ به؛ والرابع يؤخذ به؛ فإن لم يفعل نظر فيه؛ فإن تركه خوفا من الله وندما على همة كتبت له حسنة لمجاهدته لنفسه؛ وإن تركه لمائق وعذر غير خوف من الله كتبت عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل.

قال الخفاجي: وهو كلام حسن؛ وهم يوسف كان عزمًا وتصميما منعه منه خوف ربه فهو، حسنة لاسيئة.

قوله : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم ﴾ .

أى ما أبرئها من هذا المم ؛ أو يكون ذلك ^(١) منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكّى قبل وبرئ ^(٢) ، فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبى عبيدة - أن يوسف لم يهم ^(٣) ، وأن الكلام فيه تقديم وتأخير ؛ أى : ولقد همت به ؛ ولولا أن رأى برهان ربه لم بها ؛ وقد قال الله تعالى - عن المرأة ^(٤) : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ . وقال تعالى ^(٥) : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ . وقال تعالى ^(٦) : ﴿ وغلقت الأبواب وقالت هيت لك . قال : معاذ الله ، إنه ربي أحسن مثواى . . . ﴾ الآية .

قيل فى « ربي » : الله تعالى . وقيل : الملك .
وقيل : هم بها ؛ أى بزجرها ووعظها ^(٧) .

(١) ذلك : أى قوله : وما أبرئ نفسي . . . والآية فى سورة يوسف ، آية ٥٣

(٢) على طريق التواضع بإظهار أنه غير منزّه عما يشين ؛ لأن الكمال لله ؛ لأنه صدر منه مثله حتى يتمسك به . والاعتراف بمخالفة النفس ؛ أى ما أبرئها من المم بالمعاصى ، وقد فعلت ، ولكنى خالفتها وصرفتها عن هها ، وهو أمر حسن منه .

(٣) لم يهم : لم يقع منه هم بعد معصية .

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٢ ، والراودة : الطلب . واستعصم : امتنع لعصمة الله تعالى له .

(٥) سورة يوسف ، آية ٢٤ ، والسوء : الزنا ، أو الذكر القبيح ، أو عقوبة الملك . والفحشاء :

مواقعة للمرأة ونحوه مما يقبح .

(٦) سورة يوسف آية ٢٣ . وغلق الباب : أنهل . هيت لك : هلم ، قد تهيأت لك . معاذ

الله : أعوذ بالله منك ومما أردت ، التجئ إلى الله فى دفع ما هممت به . والمثوى : المقام . أحسن مثواى : أحسن القيام لى وتمهدنى بإكرامه لى وإنعامه .

(٧) فى نسيم الرياض : وقال المفسرون كابن عطية : إنه وجه ضئيف لخالفته للظاهر .

وقيل : همَّ بها ، أى غمَّها امتناعه عنها^(١) .

وقيل : همَّ بها : نظر إليها^(٢) .

وقيل : همَّ بضربها ودفعها .

وقيل : هذا كله كان قبل نبوته .

وقد ذكر بعضهم : ما زال النساء يملن إلى يوسف مِيلَ شَهْوَةٍ حتى نبأه الله ، فألقى عليه هَيْبَةَ النُّبُوَّةِ ؛ فشفلت هَيْبَتُهُ كُلَّ مَنْ رَأَاهُ عَنْ حُسْنِهِ .

وأما خبر موسى صلى الله عليه وسلم مع قَتِيلِهِ الَّذِي وَكَّزَهُ^(٣) فقد نصَّ الله تعالى أنه مِنْ عَدُوِّهِ^(٤) ، قال^(٥) : كَانَ مِنَ الْغَنِطِ الَّذِينَ عَلَى دِينِ فِرْعَوْنَ .

ودليل^(٦) السُّورَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّهُ قَبْلَ نُبُوَّةِ مُوسَى .

وقال قتادة : وَكَّزَهُ بِالْعَصَا ، وَلَمْ يَقْعُدْ قَتْلَهُ ، فَعَلَى هَذَا لَامُ مَعْصِيَةٍ فِي ذَلِكَ .

وقوله^(٧) : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ . وقواه^(٨) : [٢١٧] ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ . قال ابن جريج : قال ذلك من أجل أنه لا يبنى لنبى أن يَقْتُلَ حتى يُؤْمَرَ .

(١) امتناعه عنها ، أى عن معاملتها بما أرادته ، فهو من الهم بمعنى النهم .

قال الخفاجى : وهو بعيد للتعميد للعنوى فيه ، وقيل إنه بعيد من اللنة ، لأنه بهذا للمعنى متعمد بنفسه ، يقال همه الأمر ، إذا أحزنه .

(٢) قال الخفاجى : وهو فى غاية البعد . (٣) الوكز : الدفع .

(٤) عدوه : كان كافرا . والآية فى سورة القصص ، آية ١٥

(٥) قال : أراد . وفى ب : وقيل .

(٦) ودليل السورة : أى السورة تدل بمنطوقها فى هذا كله أنه قبل نبوة موسى ، فإنه لما قتله فر خائفا ، فكان ما كان له مع شعيب ، وتزوج ابنته ، ثم تنبأ لما فارقه ، كما قصه الله تعالى . أى إنه قبل النبوة لم يكن معصوما من الخطأ ، فصدر عنه مثل هذا ، وإن لم يكن معصية ، لأنه لم يضربه بألة حادة ، فهو خطأ شبه عمد ، ولم يكن هناك شرع .

(٧) سورة القصص ، آية ١٥ (٨) سورة القصص ، آية ١٦

وقال النقاش : لم يَقْتُلْهُ عن عَمْدٍ مُرِيدًا لِلْقَتْلِ ، وإنما وَكَّزَهُ وَكَّزَةً يَرِيدُ بِهَا دَفْعَ ظُلْمِهِ ، قال : وقد قيل : إنَّ هذا كان قَبْلَ النُّبُوَّةِ ؛ وهو مُقْتَضَى التَّلَاوَةِ ^(١) .
 وقوله تعالى - في قصته ^(٢) : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ، أى ابتليناك ابتلاءً بعد ابتلاء ^(٣) . قيل في هذه القصة وما جَرَى له مع فرعون . وقيل ^(٤) : إلتاؤه في التابوت واليمِّ ، وغير ذلك .

وقيل : معناه أخلصناك إخلاصاً ^(٥) ؛ قاله ابن جُبَيْر ومجاهد ؛ مِنْ قولهم : فَتَنْتُ الْفِضَّةَ في النار إذا خَلَصْتَهَا . وأصلُ الْفِتْنَةِ معنى الاختبار ، وإظهارُ مَا بَطَّنَ ^(٦) ، إلا أنه اسْتُعْمِلَ في عُرُفِ الشَّرْعِ في اختبارِ أَدَى إلى ما يُسْكِرُهُ .
 وكذلك ما رَوَى في الخبر الصحيح ^(٧) ؛ من أنَّ ملك الموتِ جاءه فلطم عينه فقفاها ... الحديث ..

ليس فيه ما يُحْكَمُ به على موسى بالتعدِّي وفِعْلٍ مالا يَجِبُ له ^(٨) ، إذ هو ظاهرُ الأمرِ ، بَيْنَ الْوَجْهِ ، جَائِزُ الْفِعْلِ ، لأنَّ موسى دَافَعَ عن نفسه مَنْ أَنَاهُ لِإِتْلَافِهَا ،

(١) مقتضى التلاوة : ما يدل عليه نص القرآن التلو .

(٢) في قصته : في قصة موسى (سورة طه ، آية ٤٠)

(٣) الابتلاء : الاختبار .

(٤) هذا معنى آخر للفتون . والتابوت : الصندوق الذي اتخذته له أمه من خشب . واليم : البحر ، والمراد النيل .

(٥) أخلصناك إخلاصاً : ابتليناك بأمور صرت بعدها خالصاً من كل أثر لا يليق برسلك ، ففركك واصطفاك .

(٦) ما بطن : ما خفي عن العيان .

(٧) رواه الشيخان . لطم عيته : ضرب وجهه بيده ، ووقعت ضربته على عينه ، فقفاها ؛

فأخرج حدقته التي بها يبصر بلمطته .

والحديث في صحيح مسلم : ١٨٤٣ ، وصحيح البخاري : ٢ - ١٠٨

(٨) ما لا يجب له : أى وبفعل شيء لا يجوز ، ولم يثبت شرعاً .

وقد تصوّر له ^(١) في صورة آدمي ، ولا يمكنُ أنه علم حينئذ أنه ملك الموت ، فدافعه عن نفسه مدافعةً أدّت إلى ذهاب عَيْن تلك الصورة التي تصوّر له فيها الملك امتحانا من الله له ، فلما جاءه بعدُ ، وأعلمه الله تعالى أنه رسولهُ إليه استسلم ^(٢) . وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبةٌ هذا أسدّها ^(٣) عندي ، وهو تأويلُ شيخنا الإمام أبي عبيد الله المازري ^(٤) .

وقد تأوله قديما ابنُ عائشة وغيره على صكّه ^(٥) ولطمه بالحجّة ، وفقّ عَيْن حجّته ، وهو كلامٌ مستعملٌ في هذا الباب في اللغة معروف ^(٦) .

(١) تصور له : تصور الملك لموسى .

(٢) استسلم : انتقاد له ، وسلم له فيما أراد به بعد ما كان دفعه عنه أشد دفع .

(٣) أسدّها : من السداد ؛ وهو القوة .

(٤) هو الإمام الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم ، وهو مالكي المذهب ، واسمه أبو عبد الله محمد بن طلي بن عمر التيمي شارح المصنوع ، وله شرح مسلم ، وتآليف كثيرة . ومازى - بفتح الزاى المعجمة وتكسر : بلدة مجزيرة صقلية . توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

(٥) أصل الصك واللطم : الضرب بالراحة ؛ أو بشيء عريض .

وابن عائشة : هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر القرشي التيمي البصري . وهو أحد العلماء الأشراف المحدثين المحتشمين ؛ وهو ثقة ، روى عنه البخاري وخلق كثير . توفي سنة ٢٢٨ هـ . فهو متقدم على المازري بزمان كثير ؛ فلذلك قال المصنف : قديما .

(٦) يقال في اللغة : لطمه وصكه إذا غلبه في الحاجة . وفقّا عينه وعورها ؛ إذا فضحه بحجّته وألزمه إلزاما لا يمكنه الجواب عنه .

قال الحفاجي : لكن صريح الحديث يأباه ؛ فإن فيه ما يقتضى أنه طلى ظاهره ؛ فإن البخاري روى عن أبي هريرة رضى الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال : أرسل الله ملك الموت إلى موسى ؛ فلما جاءه صكه فقفا عينه ، فرجع إلى ربه وقال : يارب ؛ أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . فرد الله عينه ، وقال له : ارجع ، وقل له : يضع يده على متن ثور ، وله بكل ما غطت يده من الشعر بكل شعرة سنة . فقال له ذلك . فقال موسى : « ثم ماذا ؟ قال : الموت . فقال : الآن . وسأل ربه أن يدينه من الأرض المقدسة مقدار رمية حجر ، فقال صلى الله عليه وسلم : =

وأما قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفاسير من ذنبه وقوله^(١) : ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ ؛ فعناه ابتلينا^(٢) ، وابتلاؤه : ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٣) : لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن بأتين بفارس يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه^(٤) : قل إن شاء الله ، فلم يقل^(٥) . فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل^(٦) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله .

قال أصحاب الماني^(٧) : والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه^(٨) حين عرض عليه ، وهي عقوبته ومحنته .

= لو كنت ثمة لأريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . ونحوه في مسلم . وهو ينافي هذا التأويل .

قال الخفاجي : وارتضى القرطبي بأن الله تعالى أخبره بأنه لا يموت حتى يخبره الله ويخبره بين الموت والحياة ؛ فلما أتاه الملك بنته ودخل عليه من غير استئذان شق عليه ذلك ، وكان موسى سريع الغضب ؛ ولذا لما رجع إليه وخبره بين الحياة والموت اتقاده واستسلم . . . قال : وهو أصح الوجوه .

(١) ابتليناه : عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر ما خفى من أمره على الناس . والآية في سورة ص ، آية ٣٤ ، كما تقدم .

(٢) وهو حديث صحيح روى في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث : صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وسنن الترمذي : ٤ - ١٠٩

(٣) صاحبه : أي ملك كان معه ، أو قرينه ، أو رجل كان يصحبه . وقيل : هو خاطره ؛ وهو بعيد . (٤) فلم يقل ذلك : لم يقله بلسانه اكتفاء بما في قلبه . أو جزم به ، لقوة رجائه واعتماده على كرم ربه ؛ فليس تركه المشيئة ذنبا يمد عليه .

(٥) شق رجل : برجل غير كامل . والشق بمعنى النصف أو البعض .

(٦) أصحاب الماني : الذين يسرون الأحاديث ويقفون على معانيها للردة بها .

(٧) على كرسيه : أي الذي كان يجلس عليه لإجراء أحكام الملك . حين عرضته قابله عليه ثم ألقته على كرسيه .

وقيل : بل مات فَأَلْقَى عَلَى كُرْسِيِّهِ مَيْتًا .

وقيل : ذَنْبُهُ حَرَّصَهُ عَلَى ذَلِكَ وَتَمَنَّيْهِ .

وقيل : لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَتِنْ ^(١) لِيَا اسْتَغْفِرَ قَوْمَهُ مِنَ الْحَرِصِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّمَنَّى .

وقيل : عَقُوبَتُهُ أَنْ سُلِبَ مُلْكُهُ ، وَذَنْبُهُ أَنْ أَحَبَّ بَقْلَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ

لِأَخْتَانِهِ ^(٢) عَلَى خَصْمِهِمْ .

وقيل : أُوْخِذَ بِذَنْبِ قَارِقَةَ ^(٣) بَعْضُ نَسَائِهِ . وَلَا يَصِحُّ مَا نَقَلَهُ الْأَخْبَارِيُّونَ مِنْ

تَشْبِهِ الشَّيْطَانِ بِهِ ، وَتَسْلُطِهِ عَلَى مُلْكِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي أُمَّتِهِ بِالْجَوْرِ فِي حُكْمِهِ ^(٤) ؛ لِأَنَّ

الشَّيَاطِينُ لَا يُسَلِّطُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا ^(٥) ؛ وَقَدْ عَصِمَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ مِثْلِهِ [٢١٨] .

وإِنْ سُئِلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ سُلَيْمَانُ فِي الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَقَدْ أَجَابَهُ :

أَحَدُهَا - مَا رَوَى فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَهَا ، وَذَلِكَ لِئَنَّهُ ذُكِرَ

اللَّهُ تَعَالَى .

وَالثَّانِي - أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَهُ ^(٦) وَشُغِلَ عَنْهُ .

(١) لَمْ يَسْتَتِنْ : لَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي كَلَامِهِ .

(٢) الْأَخْتَانُ : الْأَصْحَارُ ؛ أَوْ كُلُّ مَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْمَرَأَةِ ؛ كَالْأَبِّ وَالْأَخِ .

وَذَلِكَ - كَمَا قِيلَ : إِنَّهُ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ يَقَالُ لَهَا جَرَادَةٌ ، وَكَانَ مَعَهَا بِحَبْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ

فَلَانَا مِنْ أَهْلِ لَهُ حَقٌّ عِنْدَ آخِرٍ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْكُمَ لَهُ إِذَا جَاءَكَ . فَأَجَابَهَا لِذَلِكَ ؛ وَلَسْكَنْهُ لَمْ

يَفْعَلْ ؛ فَمَاقِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَجْرَدِ اللَّيْلِ ؛ فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ وَضْعِ خَاتَمِهِ عِنْدَهَا وَأَخَذَ الشَّيْطَانُ لَهُ .

(٣) قَارِقَةُ : ا كَتَبَهُ .

(٤) فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : قَالَ السَّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا قَالِ الْمُنْصِفُ إِنَّهُ مِنْ خَرَافَاتِ الْأَخْبَارِيِّينَ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا ، لَسْكَنْهُ مَا أُخِذَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

كَأَنَّ بَيْنَتَهُ فِي التَّفْسِيرِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ كَلَامِهِ يَنَافِي آخِرَهُ .

(٥) لَا يُسَلِّطُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا : لَا يَقْدِرُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِا لِعِصْمَتِهِ تَعَالَى لِأَنْبِيَائِهِ مِنْهَا .

(٦) لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَهُ : الَّذِي قَالَ لَهُ : قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقوله^(١) : ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ . لم يفعل هذا سليمان
غيرةً على الدنيا ولا نفاسةً بها^(٢) ؛ ولكن مقصده في ذلك - على ما ذكره المفسرون -
ألا يسلط عليه أحدٌ كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مُدَّة امتحانه^(٣) على
قولٍ مَنْ قال ذلك^(٤) .

وقيل : بل أراد أن يكون له من الله فضيلةٌ وخاصةٌ يختص بها كاختصاص
غيره من أنبياء الله ورسله بمخاوص منه^(٥) .

وقيل : ليكون ذلك دليلاً وحجةً على نبوته ؛ كالآية الحديد لأبيه ، وإحياء
الموتى لعيسى ، واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ، ونحو هذا^(٦) .

(١) قيل : إن هذا جواب سؤال تقديره : إنك قلت إن الأنبياء معصومون من سائر الذنوب ،
ومنهم سليمان عليه السلام ، فكيف هذا مع ما سألت الله أن يؤتيه ملكاً لا يكون لغيره . وهذا
يقتضى حبه للدنيا ، وتفرد به بملك عظيم لا يتيسر لغيره ؛ وفيه حينئذ حرص لا يليق بزهدة الأنبياء
في الدنيا ، وعدم رغبتهم فيها . فأجاب عنه : بأنه لم يفعل سليمان هذا . . . والآية في سورة
ص ، آية ٣٥

(٢) ولا نفاسة بها : أى عدها نفيسة عظيمة يرضى بها عن الغير .

(٣) سلبه إياه : سلبه ملكه . مدة امتحانه : مدة ابتلاء الله تعالى له بتسليط الشيطان
لما أخذ خاتمه من زوجته وظهر بصورته ، وتعرف في ملكه حتى أنكر الناس سليمان .

(٤) قال الحفاجي : وقد أخذ هؤلاء للمفسرون من الإسرائيليات المنقولة عن أهل
الكتاب ؛ وفي صحته كلام للمحدثين .

(٥) منه : من الله تعالى ، خصه بها دون غيره .

(٦) في نسيم الرياض : في شرح المواقيف : طلب سليمان عليه السلام ملك لا يتيسر لغيره لم
يكن حسداً منه وضنة بالملك ؛ بل لأن كل نبي كان له ما يفتخر به أهل زمانه ، وكانوا جبارة
بفتخرون بالملك وكثرة الجند واللال وقوة الأعيان ؛ فأراد سليمان أن يكون له من ذلك ما لا يقدر
عليه غيره ؛ فملكه الله ملكاً عظيماً . ولم يحمله شغلا له عن زهده وعبادته ؛ ليعلم الناس أن
زخارف الدنيا لا تلهمي خلص عباده عن خدمته ؛ ولذا قدم الاستغفار على طلبه ؛ فقال : رب
اغفر لي وهب لي ملكاً . . . وليكون أدعى للإجابة .

وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العُذر، وإنه أخذ فيها^(١) بالتأويل وظاهر اللفظ ؛ لقوله تعالى : « وأهلك » ؛ فطلب مقتضى^(٢) هذا اللفظ ، وأراد علم ما طوى عليه^(٣) من ذلك ؛ لا أنه شك في وعد الله تعالى^(٤) ؛ فبين الله عليه^(٥) أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح ؛ وقد أعلمه أنه مفرق الذين ظلموا^(٦) ، ونهاه عن مخاطبتهم فيهم ؛ فوُخذ بهذا التأويل ، وعُتب عليه ، وأشفق^(٧) هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه ؛ وكان نوح - فيما حكاه النقاش - لا يعلم بكفر ابنه .

وقيل في الآية غير هذا ؛ وكل هذا لا يقضي على نوح بمصيبة سوى ما ذكرنا من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ، ولا نُهي عنه .

وما روى في الصحيح^(٨) من^(٩) أن نبيا قرصته تملة فخرق قرية النمل ، فأوحى

(١) أخذ فيها : تمسك فيها ، أي قصته بتأويل ما وعده - بأن يريد الله « بأهله » ما

يشمل ابنه .

(٢) مقتضى هذا اللفظ : أي لفظ الأهل ؛ وقال : إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق .

(٣) ما طوى عليه : ما خفي عن علمه . من ذلك : من أمر ابنه . ومخالفته في ركوب

السفينة لا ينافيه .

(٤) في وعد الله : بنجاة أهله .

(٥) قال في نسيم الرياض : بين لا يعتمدى بملئ ؛ فكأنه ضمنه معنى نيه ، أو بنى ؛ أو هو تحريفه

من الناسخ .

(٦) أعلمه بقوله : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفروقون » .

(٧) أشفق : خاف .

(٨) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وهذا النبي - قال الطبري ، والحكيم الترمذي :

إنه موسى عليه السلام . وقال المنذرى : إنه عزيز . وقال البرهان : إن في أبي داود - مرفوعا :

لا أدري أعزير نبي أم لا ؛ وصححه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، لكن ثبت أنه نبي .

والحديث أيضا في سنن ابن ماجه : ١٠٧٥ (٩) في ١ : فيمن .

الله إليه : أن قرصتك نملة أحرقت أمة^(١) من الأمم تسبح... فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية ؛ بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً يقتل من يؤذى جنسه^(٢) ، ويمنع المنفعة مما أباح الله .

ألا ترى أن هذا النبي كان نازلاً تحت الشجرة ، فلما آذته النملة تحول برجله عنها مخافة تكرار الأذى عليه . وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية ؛ بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي^(٣) ؛ كما قال تعالى^(٤) : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلْعَصَابِينَ ﴾ ؛ إذ ظاهره فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته ؛ فكان انتقاماً لنفسه ، وقطع مضرّة يتوقعها من بقية النمل هناك ؛ ولم يأت في كل هذا أمراً نهى عنه ، فبعضى به ، ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ، ولا بالتوبة والاستغفار منه . والله أعلم .

[فإن قيل : فما معنى قوله عليه السلام^(٥) : ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد

(١) الأمة : الطائفة ، وجماعة من جنس واحد من المخلوقات .

قال الخفاجي : ففيه دليل لمن جوز على الأنبياء صدور المعاصي منهم لمعاقبة الله له في ذلك .

قال : وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام مر على قرية أهلك الله أهلها بذنب لهم ، فقال : يارب ، أهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنّب ، وفيهم الطائع . فأراد الله أن ينبيه على ما خطر بباله ، فاشتد عليه الحر ، ونزل تحت شجرة ، فنام في ظلها ، فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان ، ففعل بها ما فعل ؛ فأوحى الله إليه بما ظاهره العتاب إرشاداً له صلى الله عليه وسلم .

(٢) جنسه : بني آدم .

(٣) التشفي : الانتقام بما يشفي غيظه ويرد صدره .

(٤) سورة النحل ، آية ١٢٦

(٥) هذا الحديث رواه الإمام أحمد ، عن ابن عباس . مرفوعاً بلفظ : ما من أحد إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة . وسنده ضعيف . وأخرجه البزار عن ابن عمر - مرفوعاً - كما قاله السيوطي في مناهل الصفا .

إلا يحيى بن زكريا، أو كما^(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم .
فالجواب عنه - كما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصدٍ وعن
سهوٍ وغفلة^(٢)] .

فصل

[معقود لدفع شبه نشأت مما قدمه]

فإن قلت : فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين - فما معنى قوله تعالى^(٣) : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَى ﴾ ، وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم [٢١٩] ، وبكائهم على ما ساف منهم ، وإشفاقهم^(٤) . وهل
يُسْفَقُ وَيُتَابُ وَيُسْتَغْفَرُ مِنْ لا شيء ؟

فاعلم - وفقنا الله وإياك - أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله ،
وسنته^(٥) في عبادته ، وعظم سلطانه ، وقوة بطشه^(٦) ، مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله ، والإشفاق من المؤاخذه بما لا يؤاخذ به غيرهم ، وأنهم - في تصرفهم^(٧)
بأموالهم لم يبنهوا عنها ، ولا أمروا بها^(٨) ؛ ثم أؤخذوا عليها^(٩) ، وعورثوا بسببها ،

-
- (١) أو كما قال . . . إشارة إلى أنه وقع فيه روايات مختلفة .
(٢) قال في نسيم الرياض : ومثله لا يؤاخذ به ، ولا يلزم منه تفضيله على من عداه من
الأنبياء . وما بين القوسين أمامه في ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية .
(٣) سورة طه ، آية ١٢١
(٤) وإشفاقهم : وخوفهم من الله تعالى .
(٥) سنته في عبادته : أى معرفتهم بمادة الله في معاملة عبادته في سخطه ورضاه .
(٦) قوة بطشه : أخذه القوى الشديد إذا أخذ .
(٧) في تصرفهم : بأعمالهم الصادرة منهم .
(٨) لم يبنهوا عنها ولا أمروا بها : لأنها أمور مباحة جائزة .
(٩) أؤخذوا عليها : أى لامهم الله عليها مع أنها مباحة جائزة .

أو حذروا من المؤاخذة بها^(١) ، وأتوها^(٢) على وجه التأويل أو السهو ، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة^(٣) - خائفون وجلون ، وهي ذنوب بالإضافة إلى على منصبتهم ، ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيتهم ؛ فإن الذنب مأخوذ من الشيء الذي الرذل^(٤) ، ومنه ذنب كل شيء ؛ أى آخره . وأذنب الناس رذالهم^(٥) ، فكأن هذه أدنى أفعالهم ، وأسوأ ما يجرى من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم ، وعارقة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح ، والسكيم الطيب ، والذكر الظاهر والحقى^(٦) ، والخشية لله ، وإعظامه فى السر والعلانية ، وغيرهم يتلوث^(٧) من الكبائر والقبائح والفواحش^(٨) ما تكون بالإضافة إليه^(٩) هذه المنكات فى حق كالحسنات ، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين^(١٠) ، أى يرونها بالإضافة إلى على أحوالهم كالسيئات .

(١) من المؤاخذة بها : أى أن يجازيهم الله عليها ؛ كأخذه - صلى الله عليه وسلم - الفدية من أسرى بدر ، وإذنه لمن تخلف عن النزو - وهو أمر جائز ، لكنه ترك فيه الأولى نظرا لما فيه من الفائدة ، للمسلمين والتيسير على الأمة . (٢) وأتوها : فعلوها . (٣) أو تزيد من أمور الدنيا المباحة : زيادة من أمور الدنيا ، كطلب سليمان أن تحمل جميع نسائه بفرسان تجاهد فى سبيل الله . وطلب زيادة مباحة لا ضرر فيه .

(٤) الذى : الحسيس . الرذل : الردىء المحقر . (٥) رذالهم : أرذلهم . (٦) والذكر الظاهر : أى ذكر الله جهرا . والحقى : بذكره سرا ، وجمله دائما مراقبا ملاحظا فى قلوبهم . (٧) يتلوث : يمدنس .

(٨) من الكبائر : أى كبائر الذنوب . والقبائح : ما يقيح شرعا من الذنوب كبائرها وصناتها . والفواحش : ما ازداد قبحه . وقد يراد بالفاحشة : الزنا ونحوه .

(٩) هذه الأمور التى صدرت من الأنبياء عليهم السلام ؛ والمنكات : جمع هنة ، وهى العثرات والزلات ؛ أى غير الأنبياء متلوث من أمور هى بالإضافة لمساعد ذنبا منهم كالحسنة لتبرهم .

(١٠) الأبرار : أتقياء الأمة . المقربين إلى الله هم الأنبياء وخلص الأولياء . وهذا ليس حديثا وإنما هو من كلام أبى سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية .

وكذلك المصيان الترك والخالفة^(١) ؛ فعلى ممتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك^(٢) .

وقوله تعالى : « غَوَى » ؛ أى جهل أن تلك الشجرة هي التي نهى عنها ؛
والغى : الجهل .

وقيل : أخطأ ما طلب من الخلود^(٣) ؛ إذ أكلها وخابت أمنيته .
وهذا يوسف عليه السلام قد أخذ بقوله لأحد صاحبي السجن : ﴿ اذْكُرْنِي
عِنْدَ رَبِّكَ ﴾^(٤) ، فأنساه الشيطان ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ .
قيل : أنسى يوسف ذِكْرَ اللَّهِ .

وقيل : أنسى صاحبه أن يذكره لسيده الملك ؛ قال النبي صلى الله عليه
وسلم^(٥) : لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث .

قال ابن^(٦) دينار : لما قال ذلك يوسف قيل له : اتَّخَذْتَ مِنْ دُونِي وَكِيلًا^(٧) ؛

(١) المصيان : الذى اتصف به بعض المقربين ، كما فى قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى :
الترك والمخالفة لأمر سواء كان واجبا أم لا .

(٢) مخالفة وترك : وإن لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا ؛ لأنها مغفوة
مغفورة غير مؤاخذ بها كل أحد ؛ فليس كل عاص آثما ؛ وترك الطاعة أعم من فعل للمعصية .
(٣) من الخلود : أى دوام البقاء .

(٤) اذكرنى عند ربك : صف له قصى ، وأخبره بحالى فيخلصنى من هذه الورطة .
والمراد بربه الملك . سورة يوسف ، آية ٤٢

(٥) فى حديث رواه ابن جرير ، والطبرانى ، عن ابن عباس ، وابن مردويه ، عن أبى هريرة ،
وأبو الشيخ عن أبى الحسن مرسلًا ، وكذا عن عكرمة ؛ فهو حديث صحيح . تفسير الطبرى :

١١٢ - ١٦

(٦) ابن دينار : اسمه محمد بن إبراهيم ، أبو يحيى البصرى ، أحد الأعلام ، الزاهد الثقة .
وهذا رواه الإمام البغوى عنه فى تفسيره . وأخرجه ابن أبى حاتم عن أنس - مرفوعا .

(٧) وكيلا : من تسكل إليه أمرك ، وتعتمد عليه فى خلاصك .

لأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ . فقال : يَا رَبِّ ، أُنَسَى قَلْبِي كَثْرَةَ الْبَلَوَى ^(١) .
 وقال بعضهم : يُوَاخِذُ الْأَنْبِيَاءَ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ ^(٢) ، لمكانتهم عنده ، ويجاوزُ
 عن سائرِ الخَلْقِ لِقَلَّةِ مُبَالَاتِهِ بِهِمْ فِي أَضْمَافٍ مَا أَنْوَا بِهِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ ^(٣) .
 وقد قال المحتجُّ للفرقة الأولى ^(٤) على سِيَّاقِ مَا قُلْنَا : إِذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ
 يُوَاخِذُونَ بِهَذَا مِمَّا لَا يُوَاخِذُ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ ، وَمَا ذَكَرْتُهُ ^(٥) ،
 وَحَالَهُمْ أَرْفَعُ فَحَالَهُمْ إِذَا فِي هَذَا أَسْوَأَ حَالًا مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٦) .
 فاعلم - أكرمك الله - أَنَّا لَا نُثَبِّتُ لَكَ الْمُواخَاذَةَ فِي هَذَا عَلَى حَدِّ مُوََاخَاذَةِ
 غَيْرِهِمْ ؛ بَلْ نَقُولُ : لِأَنَّهُمْ يُوَاخِذُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي دَرَجَاتِهِمْ ؛

(١) قال في نسيم الرياض : فهذا ذنب عد عليه ، وعوقب به ، مع أنه ليس بمعصية شرعية ،
 لكن على مقامه يقتضى ألا يذكر في الشدة غير الله ، ولا يعمل على مخلوق .
 (٢) بمثاقيل الذر : المثاقيل : جمع مثقال ، وهو وزن كل شيء ومقداره . والذر : جمع
 ذرة ؛ وهى أصغر النمل ، ويقال للهباء الذى يرى فى شعاع الشمس . ولا وزن له أصلاً ؛ فهو
 مبالغة فى الخفة والقلة .
 (٣) من سوء الأدب فى حق خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التى حقها أن تقابل بطاعته
 وشكره ؛ فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغى من المعاصى .
 (٤) للفرقة الأولى : القائلة بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من جميع الذنوب
 وأن السهو والنسيان لا يواخذون به كغيرهم .
 (٥) وما ذكرته من الأمور المباحة لهم .
 (٦) أسوأ من غيرهم عند الله تعالى ، لكثرة مؤاخذتهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد
 به على غيرهم .

وهذا من سوء الفهم ؛ لتوهم قائله أن الأعظم عند ربه لا يواخذ بترك الأولى ؛ وليس
 كذلك ؛ فإن ذلك لحكمة ، وإلى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها أشار بقوله : فاعلم
 أيها السائل

وَيُبْتَلُونَ بِذَلِكَ ، لِيَكُونَ اسْتِعْمَارُهُمْ لَهُ سَبِيلاً لِمَنْةَ ^(١) رُتَبِهِمْ ، كما قال ^(٢) : ﴿ ثُمَّ أَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ . وقال [٢٢٠] لداود ^(٣) : ﴿ فَفَرَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

وقال - بعد قول موسى : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ^(٤) ﴾ : ﴿ إِنِّي ^(٥) اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .
وقال - بعد ذِكْرِ فَتْقَةِ سُلَيْمَانَ وَإِنَابَتِهِ ^(٦) : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ . وَآخَرِينَ مَقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .
وقال بعض المتكلمين : زَلَّاتُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الظَّاهِرِ زَلَّاتٌ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ كَرَامَاتٌ وَزُلْفٌ ^(٧) ؛ وأشار إلى نحو مما قد مناهُ .

وأيضاً فَلْيُنَبِّهْ غَيْرَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ مِنْهُمْ ^(٨) ، أَوْ يَمُنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِمْ ^(٩) بِمُؤَاخَذَتِهِمْ

(١) وَيُبْتَلُونَ بِذَلِكَ : بِالْمُؤَاخَذَةِ بِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ عِنْدَهُ . وَالْإِسْتِعْمَارُ : طَلَبُ الشُّعُورِ ، وَلِلرَّادِّ بِهِ مَقَاسَاتُهُ . مَنْةٌ : نَمُو ، وَزِيَادَةٌ .

(٢) سُورَةُ طه آيَةُ ١٢٢ . اجْتَبَاهُ . اصْطَفَاهُ وَقَرَّبَهُ بِإِعْلَافِ رُتَبَتِهِ عِنْدَهُ . فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى : قَبْلَ تَوْبَتِهِ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْإِعْتِذَارِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُ .

(٣) سُورَةُ ص ، آيَةُ ٣٥ . ذَلِكَ : مَا صَدَرَ مِنْهُ فِي خُطْبَةِ امْرَأَةِ أَوْرِيَا .

(٤) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ١٤٣ . تَبَّتْ إِلَيْكَ : مِنْ سَوْأَلِ رُؤْيَيْكَ فِي الدُّنْيَا .

(٥) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ١٤٤ (٦) سُورَةُ ص ، آيَةُ ٣٦ — ٤٠

قال الخفاجي : فَرَّقْتِيهِ عَلَى ذَلِكَ مَا عَدَدَهُ مِنَ النِّعَمِ يَقْتَضِي أَنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي أَنْابَ مِنْهَا لَيْسَتْ مَعْصِيَةً ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمْ يَتَرْتَبْ عَلَيْهَا ذَلِكَ .

وقوله : « زُلْفَى » ؛ أَيْ قَرَبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَحُسْنُ مَآبٍ : بِمَرْجَعِهِ لِلْجَنَّةِ . وَهَذَا كُلُّهُ زِيَادَةٌ فِي دَرَجَاتِهِ وَمَنْةٌ لِرُتَبَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٧) زَلَّاتٌ : جَمْعُ زَلَةٍ ؛ مِنْ زَلَّ ، إِذَا سَقَطَ ، أَيْ مَا عُدَّ زَلَةٌ وَذَنْبًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .

كَرَامَاتٌ : أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، لِأَنَّهُ ابْتِلَاؤٌ بِهَا لِثَبَّتِهِمْ عَلَيْهَا . وَزُلْفَى : جَمْعُ زُلْفَةٍ ، أَيْ قَرَبٌ مِنَ اللَّهِ بِإِعْلَافِ مَقَامَاتِهِمْ عِنْدَهُ . (٨) مِنْهُمْ : مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ .

(٩) يَمُنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِمْ : مِنَ الْأَتْقِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ .

بذلك ، فيستشعروا الحذر ؛ ويعتقدوا المحاسبة^(١) ليلتزموا الشكر على النعم ،
وبعدوا الصبر على المحن^(٢) بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المصوم^(٣) ؛
فكيف بمن سوام^(٤) ؛ ولهذا قال صالح الرؤى : ذكركم داود بسطة للتوابين^(٥) .
قال ابن عطاء^(٦) : لم يكن ما نص الله تعالى عليه من قضية صاحب الحوت^(٧)
نقصا له ، ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم^(٨) .
وأياضا فيقال لهم^(٩) : فإنكم ومن وافقكم تقولون بفقران الصغائر
باجتناب الكبائر^(١٠) .

-
- (١) ويعتقدوا المحاسبة على ذلك ؛ لأن مؤاخذه غير الأنبياء تقتضى مؤاخذتهم بالطريق
الأولى ؛ وإن كان ما ارتكبه مباحا ، لكنه خلاف الأولى .
- (٢) وبعدوا : يحضروا ويهشوا الصبر ؛ ليستعينوا به على المحن ؛ والمحن : جمع محنة ؛ وهى
البلية التى يمتحن الله بها صبره ورضاه ؛ ويتذكر ما فى الصبر من الثواب ؛ لقوله تعالى : « إنما
يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب » .
- (٣) النصاب : اللقار الرفيع من الأنبياء . للمصوم : المحفوظ من الذنوب .
- (٤) بمن سوام : من الأنبياء ؛ فإذا وقع اللوم لهم فيه ؛ فغيرهم بالطريق الأولى ، لأنهم
من خلص عباد الله الذين يمتد بهم .
- (٥) بسطة للتوابين : توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار ، لينبها على فضلها . أو
تسليّة وسبب انبساط للذين ليتهشوا للتوبة ، ولا يياسوا من الرحمة .
- (٦) ابن عطاء : هو أبو العباس محمد بن سهل بن عطاء الإربلى شيخ الصوفية ، وله فى
فهم القرآن لسان اختص به . توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وأربعمائة .
- (٧) صاحب الحوت : يونس .
- (٨) استزادة من نبينا : أى طلبا منه أن يزيد صبره على قومه .
- (٩) فيقال لهم : فى الجواب عما ادعوه من تجويز الصغائر على الأنبياء .
- (١٠) باجتناب الكبائر : أى بسبب تركها ، كما ذهب إليه كثير من أهل السنة تمسكا بظاهر
قوله تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم . وذهب كثيرون إلى أنها
مقيدة بالشبهة كغيرها ، لقوله تعالى : « ويفر مادون ذلك لمن يشاء » .

ولا خِلَافَ في عِصْمَةِ الأنبياء من الكبائر ، فما جَوَزْتُمْ من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا ، فما معنى المؤاخذة بها^(١) إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوببتهم منها ، وهي مغفورة لو كانت ؟

فأجابوا به فهو جواباً عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل^(٢) .

وقد قيل : إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية^(٣) ، والاعتراف بالتقصير ، شكراً لله على نعمه ؛ كما قال - صلى الله عليه وسلم - وقد أمِنَ من المؤاخذة بما تقدم وتأخر : « أَفَلَا أكون عبداً شكوراً^(٤) » ١ « وقال : « إني أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى^(٥) » .

(١) بها : بالصنائير .

(٢) بأفعال السهو والتأويل ؛ أي بما فعلوه سهواً ونسياناً . والتأويل : أي بما فعلوه لتأويلهم الأوامر والنواهي الواردة فيه ، وارجع إلى شرح القاري (٢ - ٣١١) ، ففيه أحكام هامة في هذا الموضوع .

(٣) ملازمة الخضوع والعبودية ، ولوازمهما من للسكنة والخشوع .

(٤) قال النبي ذلك في الحديث للشهور الذي فيه أنه أكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماء ، فقيل له : أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

والحديث في الصحيحين عن المنيرة بن شعبة .

(٥) عبداً شكوراً : كثير الشكر مبالغاً فيه ، لعظم نعمه وكثرتها على ؛ وهو من حديث في صحيح البخاري : ٢ - ٦٠ .

(٦) في حديث رواه البخاري ، والخشية : الخوف مع الهابة للمظنة . وصحيح

مسلم : ٧٨١

قال الخفاجي : ومن علم مايتقى وجزاهه ، وعظمة من يخشاه ، كان أبعد منه وأحذر .

قال الحارث بن أسد^(١) : خوفُ الملائكة والأنبياء خوفُ إعظام وتعبُد لله ؛ لأنهم آمنون^(٢) .

وقيل : فعلوا ذلك^(٣) ليُقْتَدَى بهم ، وتستنَّ بهم أممهم^(٤) ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا^(٥) » .

وأبضا فإنَّ في التوبة والاستغفار معنًى آخرَ لطيفاً أشار إليه بعضُ العلماء ، وهو استدعاء محبة الله^(٦) ، قال الله تعالى^(٧) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

فأحداثُ الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة^(٨) في كلِّ

(١) هو المشهور بالمحاسبي ؛ لسكنته ما كان يحاسب نفسه ، ولزهدده . توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(٢) خوف إعظام : أى إجلالا وتعظيما لله . وتعبُد لله : أى يقصدون به العبادة . آمنون : من الله لإخبارهم لهم برضاه عنهم ، وأنه يعطيهم في الدنيا وفي الآخرة من نعمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

(٣) وتستن بهم أممهم : يتخذون ذلك سنة وعادة .

(٤) قال في نسيم الرياض : فمن علم أن الموت مودده ، والقيامة موعده ، والوقوف بين يدي الله مشهده ، لحقه أن يطول حزنه ويبكى على نفسه .

وهذا من حديث أخرجه الشيخان . وهو في صحيح البخارى : ٦ — ٦٨ ، وصحيح

مسلم : ١٨٣٢

(٦) استدعاء محبة الله : أى طلب أن يزيد الله رضاه عنهم ومحبته لهم ؛ لما ورد في الحديث : إن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن . والفرح فى حقه بمعنى الرضا عنه وإنعامه عليه ، وتوبة الأنبياء عليهم السلام مما صدر منهم من ترك الأولى ، ولما يخطر بقلوبهم من أنهم لم يؤدوا عبادته حقها ، فإذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زادت نعمه عليهم .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ . التوابين : السكترين من قولهم : أتوب إليك ؛ وإن لم يكن لهم ذنب ، هضمنا لأنفسهم ، لنوهمهم التقصير .

(٨) أى إرجاع أمورهم إلى الله تعالى .

حين - استدعاء لمحبة الله ! والاستغفار فيه معنى التوبة ، وقد قال الله لنبيه - بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١) : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ .

وقال تعالى^(٢) : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ، ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته^(٣) ، وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً^(٤) ، وقبلها^(٥) سمعاً ونقلًا ، ولا شيء مما قرره من أمور الشرع^(٦) ، وأداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً^(٧) ، وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد ، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ، ونظراً وبرهاناً ، وتنزيهه^(٨) عنه قبل النبوة قطعاً ؛ وتنزيهه [٢٢١] عن الكبائر إجماعاً ، وعن الصفات الحقيقية^(٩) ، وعن استدامة

(١) سورة التوبة ، آية ١١٧

(٢) سورة النصر ، آية ٣

(٣) فإن فطرته على التوحيد والعلم به وبصفاته والإقرار بذلك .

(٤) عقلاً وإجماعاً : عقلاً ؛ لاقتضاء العقل السليم له . وإجماعاً من كل المسلمين .

(٥) وقبلها : قبل النبوة . سمعاً ونقلًا ، لوروده في الأحاديث الصحيحة ، ولاتفاق أئمة

الدين على عصمته من ذلك قبلها .

(٦) من أمور الشرع الذي أوحى إليه بقلبه .

(٧) عقلاً وشرعاً ، لأنه مناف لإرساله به وأمره بتبليغه ، فكيف يجوز عليه جهل شيء

منه ! لأن الأنبياء معصومون من ذلك ، لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلفوه عن الله ،

لأنه لو لم يكن كذلك كان افتراء على الله ، وهو باطل عقلاً وشرعاً .

(٨) تنزيهه : تبرئته ، وبمده .

(٩) تحقيقاً : أمراً محققاً .

السُّهُوِ وَالْعَفْلَةِ ، واستمرارِ الغَلَطِ والنَّسيانِ عليه فيما شرعهُ لِلأُمَّةِ ، وعصمتهِ في كلِّ حالاته ؛ مِنْ رِضًا وَغَضَبٍ ، وَجِدًّا وَمَرْحٍ ؛ فيجب عليك أن تتلقاهُ باليمين ، وتشدَّ عليه بِدَ الضَّيِّينِ ^(١) ، وتقدِّرَ هذه الفصولَ حقَّ قدرِها ، وتعلمَ عظيمَ فائدتها وخطَرِها ^(٢) ؛ فَإِنَّ مَنْ يَجْهَلُ مَا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ يَجُوزُ لَهُ ، أَوْ يَسْتَحِيلُ عليه ، وَلَا يَعْرِفُ صُورَ أَحْكَامِهِ ^(٣) ، لَا يَأْمَنُ أَنْ يَعْتَقِدَ فِي بَعْضِهَا ^(٤) خِلَافَ مَا هِيَ عليه ، وَلَا يُنْزِعُهُ عَمَّا لَا يَجِبُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ ، فَيَهْلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي ، وَيَسْقُطُ فِي هَوَّةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ^(٥) ؛ إِذْ ظَنَّ الْبَاطِلَ بِهِ ؛ واعتقادهُ ما لا يجوزُ عليه يَحُلُّ بِصَاحِبِهِ دَارَ الْبَوَارِ ^(٦) .

ولهذا ^(٧) ما احتاط عليه السلامُ على الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ رَأَاهُ لَيْلًا ، وهو مُعْتَكِفٌ في المسجدِ مع صَفِيَّةَ ، فقال لهما : إِنَّهَا صَفِيَّةُ ^(٨) . ثُمَّ قَالَ لَهَا : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ

(١) أن تتلقاه باليمين : تأخذ وتقبل ماصدر من مشكاة صدره ، في أى حالة كانت من أمره ، بالقبول واليمين والبركة ، باليمين لأنهم لا يأخذون بها إلا ما يمتنون به : والضَّيِّينِ : البخيل ، أى تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه .

(٢) خطرها : شرفها ومزيتها ، وقدرها .

(٣) صور أحكامه ، أى الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة .

(٤) في بعضها : في بعض هذه الصور ، أو الأحكام .

(٥) الهوة : الوهدة العميقة . الدرك : ما ينزل به إلى الأسفل من دركات النار .

(٦) يحل : ينزل . دار البوار : جهنم . والبوار : الهلاك .

(٧) ولهذا المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عما ذكر ، وأن اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الأسفل لما يؤدى إليه من السكر إن أراد تنقيصه بما ذكر .

(٨) صفة : أم المؤمنين ، وكانت جالسة تتحدث معه صلى الله عليه وسلم ، ثم قامت فقام معها ليُشيعها لبيتها ، فمراه وأبصره فأسرعا .

ابنِ آدمَ تجرى الدمُ ^(١) ؛ وإني خشيت أنْ يَقْذِفَ في قلوبكم شيئا فتهلكوا ^(٢) .
 هذه - أكرمك الله - إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ؛ ولعلَّ
 جاهلاً لا يعلمُ بجهله إذا سمِعَ شيئاً منها يَرَى أنَّ الكلامَ فيها جُملَةٌ من فضول العلم ^(٣) ،
 وأنَّ السكوتَ أولى . وقد استبان لك أنه مقمّنٌ للفائدة التي ذكرناها ^(٤) .

وفائدة ثانية يُضطرُّ إليها ^(٥) في أصول الفقه ، وتبنى عليها مسائل لا تنمُّ من
 الفقه ، يُخلِّصُ بها من تشغيب ^(٦) تختلني الفقهاء في عدّة منها ؛ وهي الحكمُ في أقوال
 النبي صَلَّى الله عليه وسلم وأفعاله ؛ وهو بابٌ عظيم ، وأصلٌ كبير من أصول الفقه ؛
 ولا بُدَّ من بنائه على صدقِ النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره وبلاغه ^(٧) ؛ وأنه

= والحديث في الصحيحين ، عن صفية بنت حيي بن الأخطب ، وكانت تحت ابن أبي الحقيق
 اليهودي ، فلما قتله النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت تزوجها . صحيح البخاري : ٣ - ٦٢ ،
 وصحيح مسلم : ١٧١٢

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما أسرعا : على رسلكما ، أي تمهلا ، إنها
 صفية . فقالا : سبحان الله ! تعجبا من قول النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر ، لظنه أنهما ظنا به
 ما لا يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم .

(١) المراد بابن آدم الجنس ؛ فيشمل النساء . وجريانه مجرى الدم : تمثيل لشدة اتصاله
 به ولزومه له .

(٢) يقذف : يلقى ويوقع الشيطان . فتهلكا : فتقما في إثم يهلككما الله به بما يحل بكما
 من العقوبة على ذلك الذنب .

فقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم عليهما أن ينويهما الشيطان فيلقى في قلوبهما سوء الظن
 به ، وأنه يتكلم مع أجنبية فيؤديهما ذلك إلى تنقيصه صلى الله عليه وسلم ، وهو كفر
 يستحقان به دخول النار ، فهلكان ، فبادر لإعلامهما بما ينقذهما من الهلاك .

(٣) فضول العلم : زوائده .

(٤) التي ذكرناها ، وهي أن فيها النجاة من الهلاك ، كما يرشدك إليه حديث صفية -

(٥) يضطر إليها : تحتاج إليها احتياجا شديدا ، لأنها من ضرورات الدين .

(٦) تشغيب : أصل التشغيب تهيبج الشر والصياح في الخصومة .

(٧) وبلاغه : ما يبلغه لأمته ، ومن بعث لهدايته وإرشاده .

لا يجوز عليه السُّهُو فيه ، وعِصْمَتُهُ من المخالفة في أفعاله عَمْدًا ؛ وبِحَسَبِ اختلافهم في وقوع الصَّغَائِرِ وَقَعَ خلافٌ في امتثال الفعلِ ، بَسْطُ بَيَانِهِ في كِتَابِ ذَلِكَ ^(١) العلم ؛ فلا نطوِّل به .

وفائدةُ ثالثةٍ يحتاجُ إليها الحاكم والمُفتي فيمن أضاف إلى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم شيئاً من هذه الأمور ، ووصفه بها ؛ فَمَنْ لم يَعْرِفْ ما يجوزُ وما يمتنعُ عليه ، وما وقع الإجماعُ فيه والخلاف ، كيف يصمُّ في التَّجَرُّي في ذلك ^(٢) ؛ وَمِنْ أَيْنَ يَدْرِي ؟ هل ما قاله فيه نقصٌ أو مدحٌ ؛ فإِذَا أنْ يَجْتَرِي ، على سَفَكِ دَمِ مُسْلِمٍ حَرَامٍ ، أو يُسَاطِ حَقًّا ، أو يُضَيِّعُ حرمةً للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

ولسبيل هذا ما قد اختلف أربابُ الأصولِ وأئمةُ العلماء والمحققين في عصمة الملائكة ^(٤) .

فصل

في القول في عصمة الملائكة

أجمع المسلمون على أَنَّ الملائكة مؤمنون فضلاء ^(٥) ؛ واتفق أئمةُ المسلمين أَنَّ حُكْمَ

(١) في كتب ذلك العلم : يعني كتب الفقه وأصوله .

(٢) يصم في الفتيا : يجزم ، أو يعزم . في ذلك : في أمر الأنبياء عليهم السلام ، وفيما يجب لهم ، أو يجوز ويمتنع إذا رفع السؤال إليه .

(٣) قال الحنفاي : فلا يجوز لمسلم أن ينسب لنبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء أمراً ينافي عصمتهم عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها ؛ وهو الذي ارتضاه كثير من أئمة الدين وأهل الأصول .

(٤) في عصمة الملائكة ؛ لأنهم لا يمضون الله ما أمرهم ولا يفعلون إلا ما يؤمرون به ؛ فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم ، والصحيح والصواب فيه .

(٥) مؤمنون بالله ورسوله وشرائعهم . فضلاء : ذوو قدر معظم مبجل .

لرسلين^(١) منهم حُكْمُ النبيين سواء في العِصْمَةِ بما ذَكَرْنَا عِصْمَتَهُمْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ
 فِي حَقِّقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالتَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ^(٢) الْأُمَمِ .
 وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ ؛ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي ؛
 وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى^(٣) : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٤) :
 ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [٢٢٢]
 وَبِقَوْلِهِ^(٥) : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٦) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ . وَبِقَوْلِهِ^(٧) : ﴿ كِرَامٌ بَرَرَةٌ ﴾ وَ^(٨) ﴿ لَا تَمَسُّهُ
 إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ ﴾ ؛ وَنَحْوَهُ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ .

(١) فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : قَالَ الْوَاحِدِيُّ : لِلْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ رَسُلٌ كَجِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ
 وَعِزْرَائِيلَ ، وَمِنْهُمْ غَيْرُ رَسُلٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّهُمْ رَسُلٌ ، أُرْسِلَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى
 النَّاسِ . وَالْمَصْنَفُ تَبِعَ ، فَمَا قَالَ ، الْوَاحِدِيُّ . وَهُوَ الشَّهِيرُ .

(٢) فِي حَقِّقِ الْأَنْبِيَاءِ . . . : مِنْ حَيْثُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَهُمْ ، وَالتَّبْلِيغُ إِلَيْهِمْ فِيمَا
 أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَلْفُظُوهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ ؛ فَخَلَفَهُمْ مَعَهُمْ كَالْأَنْبِيَاءِ فِي تَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ إِلَيْهِمْ وَبَيَانِ
 الْمَصَالِحِ لَهُمْ حَسَبَ أَمْرِهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ . وَالْمُرَادُ بِعِصْمَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَخَالِفُونَ أَمْرَ رَبِّهِمْ .

(٣) سُورَةُ التَّحْرِيمِ ، آيَةُ ٦

(٤) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، آيَةُ ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ - الصَّافُّونَ : الْوَاقِفُونَ صِفَافًا كَصَفَافِ

الصَّلَاةِ فِي الْمَقَامِ الْمَعِينِ لَنَا ، الْمُسَبِّحُونَ : الْمَلَاذِمُونَ لِتَقْدِيسِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ
 بِشَأْنِهِ .

(٥) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةُ ١٩ ، ٢٠ . وَمَنْ عِنْدَهُ : الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَسْكَنَةً لَا مَسْكَانًا .

لَا يَسْتَحْسِرُونَ : لَا يَتَعَبُونَ وَلَا يَجْلُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا .

(٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ٢٠٦

(٧) سُورَةُ عَبَسَ ، آيَةُ ١٦ . وَهُمْ الْكِرَامُ السَّكَاتُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . وَالْبَرَّةُ : جَمْعُ بَارٍ ،

وَهُوَ الْمَطِيعُ رَبَّهُ .

(٨) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ، آيَةُ ٧٩ . قَالَ الْحَفَاجِيُّ : وَهَذَا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ =

وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوصُ المرسلين منهم والمقرّبين . واحتجوا بأشياء ذكرها أهلُ الأخبارِ والتفسير ، نحنُ نذكرها إن شاء الله بعدُ ؛ وتبينُ الوجهَ فيها إن شاء الله .

والصوابُ عصمةُ جميعهم ، وتنزيهُ نصابهم ^(١) الرفيع عن جميع ما يحطُّ من رتبتهِم ومنزلتهِم عن جليل مقدّارهم .

ورأيتُ بعضَ شيوخنا أشار أن حاجةً بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم ؛ وأنا أقول : إنَّ لكلامٍ في ذلك ما لكلامٍ في عصمةِ الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها ، سيوى فائدة الكلام في الأقوال والأفعال ، فهي ساقطة هاهنا ^(٢) .

فما احتجَّ به مَنْ لم يُوجبْ عصمةَ جميعهم قصةُ هاروتَ وما رُوتَ ^(٣) ، وما ذَكَرَ فيها أهلُ الأخبارِ ونقله المفسرين ؛ وما روى عن عليّ وابنِ عباسٍ في خبرهما وابتلائهما ^(٤) .

فاعلمْ - أكرمك الله - أن هذه الأخبارَ لم يُروَ منها شيءٌ لاسقيم ^(٥) ولا صحيحٌ

= في اللوح المحفوظ أو في غيره إلا الملائكة المطهرون من الأكدار الجسدية والملائق البشرية . وقد فسر أيضا بأنه لا يجوز أن يمسه من الناس إلا من تطهر من الحدث . أو لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم . قال الحفاجي : ولا شاهد فيه على هذا .

(١) نصابهم : كال مقامهم ؛ أي تبرئة ساحة منصبتهم وقدرهم الرفيع عند ربهم .

(٢) ساقطة هنا : أي في حق الملائكة لعدم اطلاعنا على أقوالهم وأفعالهم ؛ ولسنا مكلفين باتباعهم فيها كالأنبياء .

(٣) علمان للمكين .

(٤) وابتلائهما : بمحنة المرأة وعقابها على ما فعلت ، وما وقع من السحر فتنة للناس . وارجع في شأن هذين إلى تفسير ابن كثير : ١ - ١٩٨ ، والسند : ٩ - ٣٥ (بتحقيق الشيخ أحمد شاكر) ، وتفسير القرطبي : ٢ - ٥٤

(٥) سقيم : ضعيف .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ^(١) هو شيئا يؤخذ بقياس .
والذى منه فى القرآن ^(٢) اختلف المفسرون فى معناه ؛ وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السلف كما سند كره . وهذه الأخبار من كتب اليهود واقتراهم ^(٣) ، كما نصه الله

(١) وليس هو ؛ أى ما تضمنته قصتها . يؤخذ بقياس : يستنبط بقياس ؛ أى ليس مما جرى
فيه القياس على غيره ، مما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة ؛ فلا ينبغى الخوض فيه نفيا
أو إثباتا .

قال فى نسيم الرياض : وهذا الذى ذكره من أنه لم يرد فيه حديث ضيف ولا صحيح
ردوه - كما نقله السيوطى فى مناهل الصفا فى تخرىج أحاديث الشفا - بأنه ورد من طرق كثيرة ؛
منها ما فى مسند أحمد ، عن ابن عمر رضى الله عنهما - مرفوعا ؛ ورواه ابن جبان ، والبيهقى ،
وابن جرير ؛ وابن حميد فى مسنده ، وابن أبى الدنيا وغيرهم من طرق عديدة .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : إن له طرقا تفيد العلم بصحته . وكذا فى حواشى
البرهان الحلبى ، وذكره مسندا عن ابن عمر رضى الله عنهما - أنه سمعه صلى الله عليه وسلم
يقول : لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض قالت الملائكة : أنجمل فيها من يفسد فيها ! وقالوا
ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم . فقال الله تعالى : هلما بملكين يهبطان الأرض . قالوا :
ربنا هاروت وماروت . فأهبط ، فتمثلت لهما الزهرة - امرأة حسنة من البشر ؛ فراوداها عن
نفسها ، فقالت : لا ، والله ، حتى تتكلموا بهذه الكلمة من الشرك ، فأبيا . فذهبت وأنت
بأبن جابر لها تحمله ، فراوداها . فقالت : لا ، حتى تقتلا هذا الصبي ؛ فقالا : لا . ثم راوداها
مرة أخرى ، فأنت بقدح خمر ، فقالت : لا ، حتى تشرباه . فشربا وسكرا ، فتكلموا بكلمة الكفر ،
وقتلا الصبي ، فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ؛
فعلقا بين السماء والأرض . قال الخفافى : وقد جمع السيوطى طرق هذا الحديث فى تأليف
مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا .

(٢) فى القرآن : قوله تعالى : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفرا يملكون الناس السحر ، وما أنزل على الملوكين يابيل هاروت وماروت
وما يملكان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر » - سورة البقرة ، آية ١٠٢

(٣) هذه الأخبار التى ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود فى الإسرائيليات
واقتراهم وكذبهم على أنبياء الله تعالى وملائكته .

أول الآيات من افتراءهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه ^(١) .
وقد انطوت القصة على شنع ^(٢) عظيمة . وما نحن مُخَبَّرُ في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الإشكالات إن شاء الله :

فاختلِف أولاً في هاروت وماروت ؛ هل هما مَلَكان أو إنسيان ؟ وهل هما المرادُ
بالمَلَكين ^(٣) أم لا ؟ وهل القراءة مَلَكين أو مَلَكين ^(٤) ؟ وهل ما في قوله :
﴿ وما أنزل على المَلَكين ﴾ . ﴿ وما يعلمان من أحد ﴾ - نافية أو موجبة ؟
فأكثرُ المُفسِّرين أن الله تعالى امتحن الناس بالمَلَكين لتعليم السَّحر وتبيينه ،
وأن عمله كُفٌّ ؛ فمن تعلمه كفر ^(٥) ، ومن تركه آمن ^(٦) ؛ قال الله تعالى ^(٧) : ﴿ إنما نحن
(١) الذي جاء في قوله تعالى : وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا . يعلمون الناس
السحر

(٢) شنع : جمع شنعة ؛ أى قبيحة شائنة ، من شنع عليه ؛ إذا أشاع قبايح .
(٣) وهل هما المراد بالمَلَكين : يعنى في قوله تعالى : وما أنزل على المَلَكين .
(٤) ومَلَكين - بفتح اللام قراءة السبعة . ومَلَكين - بكسر اللام قراءة شاذة منقولة
عن الحسن البصرى وغيره .
قال في نسيم الرياض : وكونها مَلَكين - بفتح اللام - مذهب الجمهور ، وقراءته متواترة .
وعلى قراءة الكسر يلزم كونهما إنسيين تصورا بصورتها الأصلية لأنه التبادر . وكونها من
الملائكة أمرهما الله تعالى بالهبوط للأرض ، والحكم بين الناس ، كما تقدم في الحديث ،
فتصورا بصورة البشر ، لقدرتها على التشكل - بعيد من دلالة اللفظ ، والاحتمال البعيد لامعول
عليه ، وإيراده هنا غير متجه . والقائل بأنها مَلَكين - بالكسر - استدلل بظاهر حديث
روته عائشة رضى الله عنها أن امرأة قالت لها : إنها رأتهما رجلين معلقين برجلها . وفيه
الاحتمال السابق أيضاً ؛ فالاحتجاج به غير تام .

(٥) من تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ، لا اعتقاد ما هو حرام إجماعاً - حلالاً .
(٦) آمن : أى دام وهو مؤمن على إيمانه ؛ إذ الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مؤمناً .
(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٢

فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ . وَتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ لَهُ تَعْلِيمٌ إِنْذَارٌ^(١) ؛ أَى يَقُولَانِ إِمَنْ جَاءَ يَطْلُبُ تَعْلَمَهُ : لَا تَفْعَلُوا كَذَا : فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؛ وَلَا تَتَحَيَّلُوا^(٢) بِكَذَا ؛ فَإِنَّهُ سَيَحْرُقُ ، فَلَا تَكْفُرُوا .

فَعَلَى هَذَا فِعْلُ الْمَلَائِكِينَ طَاعَةٌ^(٣) ، وَتَصَرُّفُهُمَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ^(٤) ؛ وَهِيَ لغيرهما فِتْنَةٌ .

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ^(٥) - أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ هَارُوتُ وَمَارُوتُ ، وَأَنَّهُمَا يَعْلَمَانِ السَّحْرَ ، فَقَالَ : نَحْنُ نُنَزِّلُهُمَا عَنْ هَذَا .

فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ﴾ . فَقَالَ خَالِدٌ : لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمَا^(٦) . فَهَذَا خَالِدٌ عَلَى جَلَالَتِهِ وَعِلْمِهِ نَزَّهَهُمَا عَنْ تَعْلِيمِ السَّحْرِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهَا مَا أُذِنَ لَهَا فِي تَعْلِيمِهِ بِشَرِيطَةٍ أَنْ يُبَيِّنَّا أَنَّهُ كُفْرٌ ، وَأَنَّهُ امْتِحَانٌ مِنَ اللَّهِ وَابْتِلَاءٌ ؛ فَكَيْفَ لَا يُنَزِّلُهُمَا عَنْ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي وَالْكُفْرِ الْمَذْكُورَةِ فِي تِلْكَ الْأَخْبَارِ .

وَقَوْلُ خَالِدٍ : [٢٢٣] لَمْ يَنْزَلْ : يَرِيدُ أَنْ « مَا »^(٧) نَافِيَةٌ ؛ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ مَكِّي : وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : وَمَا كُفِرَ سُلَيْمَانُ - يَرِيدُ بِالسَّحْرِ الَّذِي افْتَعَلَتْهُ^(٨)

(١) أَى إِنَّمَا عِلْمُهُمَا لِيَعْرِفُوهُ وَيَحْذَرُوا مِنْهُ ؛ فَهُوَ إِنْذَارٌ وَتَخْوِيفٌ لَهُمَا مِنْ وَبَالِهِ .

(٢) لَا تَتَحَيَّلُوا : مِنَ الْحِيلَةِ ؛ أَى لَا تَبْتَاسِرُوا حِيلَ السَّحَرَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا مِنَ التَّمْوِيهِ وَالنَّفْثِ فِي الْعَقْدِ وَنَحْوِهِ . قَالَ الشَّهَابُ : وَرَوَى : لَا تَتَخَيَّلُوا - بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ - مِنَ التَّخِيلِ ، وَهُوَ ظَنُّ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ؛ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الْأَوَّلِ .

(٣) طَاعَةٌ : لِمَا فِيهِ مِنَ النِّهْيِ عَنِ الْمَذْكَرِ .

(٤) لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَدَمِ عَصَاةِ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ .

(٥) هُوَ خَالِدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ التَّجِيبِيُّ التُّونِسِيُّ ، قَاضِي إِفْرِيقِيَّةٍ وَمُعَدِّهَا . تَوَفَّى سَنَةَ مِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ . أَخْرَجَ لَهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ وَوَثَّقُوهُ . وَلَهُ تَفْسِيرٌ .

(٦) يَرِيدُ أَنْ « مَا » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا أُنْزِلَ . . . نَافِيَةٌ كَمَا سَيَأْتِي .

(٧) فِي الْآيَةِ : وَمَا أُنْزِلَ . . . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .

(٨) افْتَعَلَتْهُ : اقْتَرَبَتْهُ ، وَكَذِبَتْ فِي نِسْبَتِهِ إِلَيْهِ .

الشياطين ، فاتَّبَعَتْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَهُودُ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؛ قَالَ مَكِّي : هُمَا جَبْرَيْلُ وَمِيكَائِيلُ : ادَّعَى الْيَهُودُ عَلَيْهِمَا الْحُجَى ، بِهِ ^(١) ، كَمَا ادَّعَوْا عَلَى سُلَيْمَانَ ^(٢) ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ .

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ قِيلَ : هُمَا رَجُلَانِ ^(٣) تَعَلَّمَا .

قَالَ الْحَسَنُ ^(٤) : هَارُوتُ وَمَارُوتُ عَلِيجَانِ ^(٥) مِنْ أَهْلِ بَابِلَ ؛ وَقَرَأَ : وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ - بِكسر اللام ، وَتَكُون « مَا » إِيحَابًا عَلَى هَذَا .
وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ ^(٦) - بِكسر اللام ؛ وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْمَلِكُ هُنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ، وَتَكُون « مَا » نَفِيًّا عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

وَقِيلَ : كَانَا مَلَائِكَتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسَخَّهُمَا اللَّهُ ، حَكَاهُ السَّمْعَقَنْدِيُّ .
وَالْقِرَاءَةُ بِكسر اللام شاذَّةٌ ؛ فَحَمَلُ الْآيَةِ عَلَى تَقْدِيرِ أَبِي عَمْدٍ مَكِّيٍّ حَسَنٌ يَنْزِعُهُ الْمَلَائِكَةَ وَيُذْهِبُ الرِّجْسَ ^(٧) عَنْهُمْ ، وَيَطْهَرُهُمْ تَطْهِيرًا .
وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ ، وَكَرَامٌ بَرَّةٌ ، وَلَا يَمْضُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ ^(٨) .

(١) به : بالسحر ، وتعليقه افتراء عليهما .

(٢) ادَّعَوْا عَلَى سُلَيْمَانَ أَنَّهُ سَاحِرٌ اعْتَقَدَ السِّحْرَ وَعَمِلَ بِهِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ .

(٣) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهُوَ مُرْدُودٌ .

(٤) هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .

(٥) عَلِيجَانُ : مُفْرَدُهُ عَلِجٌ ؛ وَهُوَ الْفَلِيزُ مِنْ كِفَارِ الْعِجَمِ . وَيَطْلُقُ عَلَى كُلِّ شَدِيدٍ مِنَ السَّكَارِ مَطْلَقًا .

(٦) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا صَحَابِي ، كَمَا جَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ .

(٧) الرِّجْسُ : الْإِثْمُ . وَيَطْهَرُهُمْ تَطْهِيرًا : يَبْرِئُهُمْ عَنِ الْمَاضِي وَأَوْسَاخِهَا .

(٨) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الصَّنْفُ فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مِنْ أَنَّهَا الْأَصْلُ لَهَا بِحَسَبِ الرِّوَايَةِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الدَّرَايَةِ عَلَى مَا هُوَ الْأَصَحُّ مِنْ مَلَائِكَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ ، وَلِلَّهِ الْمَعْصُومُ لَا يَلِيقُ أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْمَاضِي وَنَحْوِهَا بِمَا مَرَّ - مُرْدُودٌ .
=

وعما يذكرونه^(١) قصة إبليس ، وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ، ومن^(٢) خزان الجنة . . . إلى آخر ما حكوه ، وأنه استثناه من الملائكة بقوله^(٣) : ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ .

وهذا أيضاً لم يُتفق عليه^(٤) ؛ بل الأكثر يُنفون ذلك ، وأنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ؛ وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .
وقال شهر بن حوشب : كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا ؛ والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ ؛ وقد قال الله تعالى^(٥) : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتبع الظن ﴾ .

= أما الأول فلما عرفته بما مر من أنه ورد في حديث من طرق كثيرة بأسانيد صحيحة ، قاله الحافظ ابن حجر ، والسيوطي قال : وجمعت طرقه في جزء مستقل . . . فالتردد فيه لا ينبغي .
وأما ما أنكره من أنه نسب للملائكة ما يليق بهم ، ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه أن الله تعالى لما جعل آدم عليه السلام خليفة ، والخلافة في أولاده ، قالت الملائكة - سؤال استفسار : أنجمهم خلفاء يفسدون في الأرض ؟ فقال : لوجملت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم ؛ فتعجبوا من ذلك ، فأمرهم باختيار من يحكم في الأرض ، فاختاروا هذين للملكين ، فأودع فيها جيلة شهوة بشرية ، وتمثلا بصورتهم ، فلما أهبطهما ، ورأيا الزهرة فتناهما ، وكان ما كان مما قصصناه عليك .

فإذا عرفت هذا سقط الاعتراض ؛ لأنهما لما حولا عن الملكية ، وأودع فيها شهوة البشر لا ينكر مثله منها ؛ لأن المعصوم الملك مادام على أصل ملكيته ؛ فإذا خرج عنها التحق بالبشر ، فلا ينكر أن يصدر منها ما يصدر منهم ؛ وهذا هو الحق الحقيقي .

(١) يذكرونه : أى في الاستدلال على ما ادعوه من أن الملائكة غير معصومين ، والمعصوم منهم الرسل فقط . وهذا على القول بأن آدم كان من الملائكة ، وفيه خلاف مشهور .

(٢) خزان : جمع خازن . والمراد بهم حفظتها وحراسها .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٤ (٤) لقوله في آية أخرى : كان من الجن .

(٥) سورة النساء ، آية ١٥٧ . والظن ليس من العلم ، وكذا اتباعه ، وقد أخرج منه ،

وليس من جنسه ، أى لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه .

وَمَا رَوَوْهُ مِنَ الْأَخْبَارِ^(١) أَنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَصَوْا اللَّهَ فَخُرُّوا^(٢)، وَأَمَرُوا
أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ فَأَبَوْا، فَخُرُّوا، ثُمَّ آخَرُونَ كَذَلِكَ، حَتَّى سَجَدَ لَهُ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ إِلَّا
إِبْلِيسَ، فِي أَخْبَارٍ لَا أَصْلَ لَهَا تَرُدُّهَا صِحَاحُ الْأَخْبَارِ، فَلَا يُشْتَغَلُ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

-
- (١) كما رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم عن يحيى بن كثير .
(٢) قال الحفاجي : ضبطه بعضهم بإلفاء ، من التحريف ؛ أى طردوا وصرفوا عن مقامهم .
وفي بعض الشروح أنه بالقاف ، من تحريق النار ، والراء الهمزة مشددة فيها مع بناء المجهول .

البَابُ الثَّانِي

فَمَا يَخْصُهُمْ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَوَارِضِ ^(١) الْبَشَرِيَّةِ
 قَدْ قَدَّمَ مَنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ ، وَأَنَّ جِسْمَهُ
 وَظَاهِرَهُ خَالِصٌ لِلْبَشَرِ ^(٢) ، يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ ، وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ ،
 وَتَجَرُّعِ كَأْسِ الْحَمَامِ ^(٣) مَا يَجُوزُ عَلَى الْبَشَرِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِنَقِيصَةٍ فِيهِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ
 إِنَّمَا يُسَمَّى نَاقِصًا بِالإِضَافَةِ إِلَى ^(٤) مَا هُوَ أَكْمَلُ مِنْهُ وَأَكْمَلُ مِنْ نَوْعِهِ ؛ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ : فِيهَا تَحْيَوْنَ ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ؛ وَخَلَقَ جَمِيعَ
 الْبَشَرِ بِمَدْرَجَةِ الْغَيْرِ ^(٥) ؛ فَقَدْ مَرَضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاشْتَكَى ^(٦) ، وَأَصَابَهُ الْحَرُّ
 وَالْقُرُّ ^(٧) ، وَأَدْرَكَهُ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَلَحِقَهُ الْفَضْبُ وَالضَّجَرُ ، وَنَالَهُ الْإِعْيَاءُ وَالنَّعَبُ ،
 وَمَسَّهُ الضَّعْفُ وَالْكِبَرُ ، وَسَقَطَ فَجَحِشَ شِقَّتُهُ ^(٨) ، وَشَجَّهَ الْكُفَّارُ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ ^(٩) ،

(١) أَيْ يَخْصُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالسَّمَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، سَوَاءَ كَانَتْ وَاجِبَةً
 أَوْ مَدْنُوبَةً أَوْ مَبَاحَةً . مِنَ الْعَوَارِضِ : الْمُرَادُ مَا يَمْرُضُ وَيَحْدُثُ مِنْ سَقَمٍ وَغَيْرِهِ .

(٢) يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَبِيِّتِهِ مَتَمَحُضٌ لِلْبَشَرِيَّةِ لَا يَخَالِفُ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

(٣) الْحَمَامُ : اللَّوْتُ . (٤) فِي ١ : إِلَى مِنْ .

(٥) مَدْرَجَةٌ : طَرِيقٌ . وَالْغَيْرُ : غَيْرُ الدَّهْرِ : حَوَادِثُهُ الْمُتَنَفِّرَةُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَالْمُرَادُ
 أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُونَ مَرْضُونَ لَهَا لِأَعْمَالِهِ .

(٦) اشْتَكَى : مَرَضَ . وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ لِلشُّهُورِ ، لِمَا يَوْثُرُ مِنْ صَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَالرَّضَا بِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِهِ .

(٧) الْقُرُّ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(٨) جَحِشَ : خَدَشَ . شِقَّتُهُ : جَانِبُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي حَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ .
 وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ فَجَحِشَتْ سَاقُهُ أَوْ كَتَفَهُ . وَهُوَ -
 كَذَلِكَ - فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٠٨

(٩) رَبَاعِيَّتُهُ : السَّنُ الَّتِي بَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ . وَكَانَ هَذَا فِي وَقْعَةٍ أَحَدٍ ... وَالْأَثَرُ فِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ : ١٤١٦

وَسُقِيَ السَّمَّ^(١) ، وَسُجِرَ^(٢) ، [٢٢٤] وَتَدَاوَى ، وَاحْتَجَمَ ، وَتَنَشَّرَ وَتَعَوَّذَ^(٣) ،
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ^(٤) فَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاحْتَقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى^(٥) ، وَتَخَاصَّ
مِنْ دَارِ الْأَمْتَحَانِ وَالْبَلَاوَى ؛ وَهَذِهِ سِمَاتُ الْبَشَرِ الَّتِي لَا يَحِيصُ عَنْهَا^(٦) ؛ وَأَصَابَ غَيْرَهُ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ؛ فَتَلَّوْا^(٧) قَتَلًا .

وَرُمُوا فِي النَّارِ^(٨) ، وَوُشِّرُوا بِالْمِيشِيرِ^(٩) . وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَاهُ^(١٠) اللَّهُ ذَلِكَ
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ^(١١) . وَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ كَمَا عَصَمَ بَعْدُ نَبِيَّنَا مِنَ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ لَمْ يَكْفِ

(١) بعد فتح خير أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مشوية ، وكانت سألت أى
أعضاء الشاة أحب إليه ؟ فقالوا : الذراع ، فأكثر من الدم فيه . وقدمته إليه ، فلما مضته
صلى الله عليه وسلم لم يسفه . وأكل منه بشر بن البراء ، فمات بعد ذلك . وقال صلى الله عليه
وسلم لأصحابه : أمسكوا فإنها مسمومة . وقال لها : ماحاك على هذا ؟ قالت : إن كنت نبيا
سلت منه فأسلم بك ، وإلا أراح الله الناس منك . فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله .
وقد تقدم الحديث وتخريجه .

(٢) كان ذلك في مرجعه من الحديدية . والساحر له : لبيد بن الأعصم . وقد تقدم
أيضا .

(٣) النشرة : الرقية . تعوذ ، من العوذة ، وهى الرقية بأعوذ بالله ونحوه ، ثم عمت .

(٤) قضى نحبه : مات .

(٥) بالرفيق الأعلى : بالأنبياء والملائكة . والرفيق بمعنى المرافق .

(٦) لا يحصى عنها : لا يتخلص منها أحد من الخلق نبيا كان أو غيره .

(٧) كما وقع ليحيى بن زكريا .

(٨) كإبراهيم الخليل .

(٩) الذى نشر هو زكريا لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل بنيه ، إذ ساط الله عليه
عدوا فهرب زكريا من الملك ، فأرسل خلفه من يطلبه ، وأدركه الطلاب ، فانشقت له شجرة ،
فدخل فيها ، فأمسك الشيطان هذب إزاره خارجا من الشجرة ، فدلهم الشيطان عليه فنشروا
الشجرة وزكريا . ووشر : نشر . والمياشير : المناشير .

(١٠) وقاه : صانه وحفظه . ذلك : أى القتل والحرق . . .

(١١) كما وقع في يوسف عليه السلام .

نَبِيَّنَا رَبُّهُ يَدَ ابْنِ قَمِيْثَةَ^(١) يَوْمَ أَحُدَ ، وَلَا حَجَبَهُ عَنْ عُيُونِ عِدَائِهِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ^(٢) ؛ فَلَقَدْ أَخَذَ عَلَى عُيُونِ قُرَيْشٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى ثَوْرٍ^(٣) ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ سَيْفَ غَوْرَثٍ^(٤) ، وَحَجَرَ أَبِي جَهْلٍ ، وَفَرَسَ سُرَاقَةَ^(٥) ؛ وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ سِجَرِ ابْنِ الْأَعْصَمِ^(٥)

(١) هو عبد الله بن قبيصة الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما رماه فدخلت حلقتان من حلق النفر في وجهه ، وقال له : خذها وأنا ابن قبيصة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أراك الله ؛ أي أذكك ؛ فرماه الله من شاهق جبل معروف لما انصرف ، فتقطع قطما .

(٢) كان هذا سنة عشر من النبوة بعد موت أبي طالب ، وقد نالت منه قريش ؛ فخرج إلى الطائف وحده - أو معه زيد بن حارثة - يلتمس نصرة ثقيف له ، فقام على ناس من أشرفهم ، ودعاهم للإسلام فأبوا ، وأغروا به سفهاءهم ، فأطلقوا عليه وحصبوه حتى أدموا ساقيه ؛ ثم كفهم الله عنه وحجبه عنه ، فجلس عند حائط كرم . . .

(٣) ثور : جبل معروف على يمين مكة ؛ وكان ذلك حين تشاوروا في أمره صلى الله عليه وسلم بدار الندوة ثم أجمعوا على قتله ، فأمر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه ، فخرج صلى الله عليه وسلم وهم عند داره ، وقد أخذ الله على عيونهم ، وثر على رؤوسهم ترايا . . .

(٤) غورث : هو غورث بن الحارث الأعرابي . وكان في بعض غزواته أدركتهم القائلة ، فزولوا بواد كثير الفضا ، فأنزل صلى الله عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه ، وناموا ، فبعد حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا ، فإذا أعرابي جالس عنده : فقال : إن هذا أنا وأنانا ثم فاخترط سيفي واستيقنت وهو في يده مصلتا ؛ فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . . . وها هو ذا جالس ، ولم يماقبة ، وهو من المشركين . والفزوة هي غزوة ذات الرقاع . . .

أما حجر أبي جهل فقد كان قال لقريش : لأرضخنه غدا بحجر أحمله لا أكاد أطيق حمله ، فامنعوني من بني عبد مناف . وأخذ الحجر ومضى له . فلما أراد رميه به صلى الله عليه وسلم يست عليه يده ، ثم عاد متغير اللون ، فسألوه ، فقال : عرض دونه فل لم أرمثله عظما هم أن يأكلني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل ، لو دنا لأخذه .

وفرس سراقه : كان سراقه قد ذهب خاف النبي لما خرج مستخفيا للهجرة ، فلما أدرك النبي وأبا بكر ساخت قوائم فرسه في الأرض ، وكادت تبترمه ، فطلب الأمان فأمنه ونجا . . .

(٥) هو يهودي وهو ليبيد . واليهودية : هي زينب بنت الحارث ، كما تقدم .

فلقد وقاه ماهو أعظم ، من سمِّ اليهودية .

وهكذا سائرُ أنبيائه مُبتلى ومُعاقى ؛ وذلك من تمامِ حكيمته ، ليُظهرَ شرفهم في هذه^(١) المقامات ، ويبيِّن أمرهم ، ويُبيِّنَ كلمته فيهم ، وليحقِّقَ بامتحانهم بشرَيتهم ، ويرفعَ الالتباسَ عن أهلِ الضعفِ فيهم^(٢) لئلا يضلُّوا بما يظهرُ من المجائب^(٣) على أيديهم ضلالَ النصراني بعيسى ابنِ مريم ، وليكونَ في محنتهم تسليَّةٌ لأمهم^(٤) ، ووفور لأجورهم عند ربهم تماماً على الذي أحسنَ إليهم^(٥) .

قال بعضُ المحققين : وهذه الطواريء والتغيرات المذكورة^(٦) إنما تختصُّ بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومةُ البشرِ ، ومعاناةُ بنى آدمَ لمشاكلِ الجنسِ^(٧) . وأما بواطنُهم فنزَّهةٌ غالباً عن ذلك معصومةٌ منه ، متعلقةٌ بالملا الأعلى والملائكةِ لأخذِها^(٨) عنهم ، وتلقِّيها الوحيَ منهم .

(١) يظهر شرفهم : بصبرهم على البليات . في هذه المقامات : في أحوالهم للتغيرة ، للتفاوتة فيها الحالات .

(٢) عن أهل الضعف فيهم : أى من ضعف عقله من العوام في أنبياء الله ، لتوهمهم - لضعف عقولهم - أنهم ليسوا كغيرهم ممن ينشأه البلاء ، ويعرض له الموت والفناء ؛ فابتلاهم ليعرف الناس أنهم كغيرهم في الموارض البشرية .

(٣) من المجائب : أى خوارق العادات ، وبدائع المعجزات التي تظهر على أيديهم ، وتصدر منهم بأمر الله تعالى تأييداً كانشقاق القمر ، وإحياء الموتى ونحو ذلك ، فيقولون : من يقدر على هذا كيف يمرض أو يسحر ويمرض له ما يعرض لضعفاء الخلق ؟

(٤) تسليَّة لأمهم ؛ فيقتدوا بهم إذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا .

(٥) تماماً على الذي أحسن : أى يتم ذلك بإنعامه على الذي أحسن إليهم أولاً بنعمة الوجود والرحمة وغيرها من النعم الدنيوية ، فيزيدها بأعظم منها من النعم الآخروية التي لا يعادلها شيء مجازاة لصبرهم وشكرهم . (٦) التغيرات المذكورة : من صحة لسقم ، ومن سمة لضيق . . .

(٧) مقاومة البشر : أن يكونوا بطاعهم مساوين لأنهم حتى يقدرُوا على القيام بأمرهم . ومعاناة بنى آدم بما شرتهم ومخالطتهم لمشاكلِ الجنس ؛ أى لمشابهتهم لهم في الخلق والخلق .

(٨) لأخذها عنهم : لأخذ البواطن وتلقِّيها عن الملائكة .

قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) : إِنْ عَيْنِي نَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي .
وقال : إِنْ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ؛ إِنْ أَيْتُ يُطْعَمَنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي .
وقال : لَسْتُ أَنْسَى ، وَلَكِنْ أَنْسَى ، لِيُسْتَنَّ بِي ^(٢) .

فأخبر أن سِرَّهُ وباطنَهُ ورُوحَهُ بخلاف جِسْمِهِ وظاهرِهِ ^(٣) ، وأنَّ الآفَاتِ الَّتِي تَحِلُّ
ظَاهِرَهُ مِنْ ضَعْفٍ وَجُوعٍ ، وَسَهَرٍ وَنَوْمٍ ، لَا تَحِلُّ مِنْهَا شَيْءٌ بِبَاطِنِهِ ، بخلاف غيره من
البَشَرِ ^(٤) فِي حُكْمِ الْبَاطِنِ ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ إِذَا نَامَ اسْتَغْفَرَ النَّوْمُ جِسْمَهُ وَقَلْبَهُ ؛ وَدَوَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَوْمِهِ حَاضِرُ الْقَلْبِ كَمَا هُوَ فِي بَقْعَتِهِ حَتَّى قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ
أَنَّهُ كَانَ مُحْرَسًا مِنَ الْحَدَثِ ^(٥) فِي نَوْمِهِ لِكَوْنِ قَلْبِهِ بِقَظَانٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ .
وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ إِذَا جَاعَ ضَعُفَ لَذَلِكَ جِسْمُهُ ، وَخَارَتْ ^(٦) قُوَّتُهُ ، فَبَطَلَتْ بِالسَّكَلَةِ
جَمَلَتُهُ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ لَا يَمْتَرِيهِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ بِخِلَافِهِمَا ؛ لِقَوْلِهِ ^(٧) :
لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ : إِنْ أَيْتُ يُطْعَمَنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي .

وَكَذَلِكَ أَقُولُ ؛ لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ كَلَّمَآ ؛ مِنْ وَصَبٍ ^(٨) وَمَرَضٍ ، وَسِحْرِ وَغَضَبٍ ،
لَمْ يَجْزِ عَلَى بَاطِنِهِ مَا يَحِلُّ بِهِ ، وَلَا فَاضٍ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ ،
كَأَنَّهُ يَمْتَرِي غَيْرَهُ مِنَ الْبَشَرِ ؛ ثُمَّ نَأْخُذُ بَعْدُ فِي بَيَانِهِ .

(١) صحيح البخارى : ٤ - ٢٣١ ، وقد تقدم .

(٢) أى إنما أَدْفَعُ إِلَى النسيان لأسوق الناس بالهداية في الطريق السقيم ، وأبين لهم ما يحتاجون
أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان (النهاية) . وقد تقدم الحديثان ، كما سبق تخريجهما .

(٣) بخلاف جسمه وظاهره : كل منهما مخالف لسره ، وباطنه وروحه فيما يمتريهما من
التغيرات والآلام كغيره من سائر البشر .

(٤) فإنه يمرض له تغيرات في الظاهر والباطن .

(٥) من الحدث : هو ما ينقض الوضوء وطهارته . (٦) خارت : ارتخت وضمفت .

(٧) في حديث رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي وَصَالِهِ الصَّوْمِ ، وَنَهَى غَيْرَهُ عَنْهُ : صحيح البخارى :

(٨) الوصب : التعب .

فصل

فإن قلت : فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سُحِرَ كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتّابي بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن عليّ بن خلف ، حدثنا محمد بن أحمد [٢٢٥] ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا البخاري ، حدثنا عبيد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت ^(١) : سُحِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) حتى إنه يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء وما فعله .

وفي رواية أخرى : حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتين ^(٣) . . . الحديث .

وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ^(٤) ؟ وكيف جاز عليه - وهو معصوم ؟

(١) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٧ - ١٧٧

(٢) الذي سحره هو لبيد بن الأعصم ؛ وهو يهودي ، أو منافق كان حليفا لليهود .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٧٧) : وتماه كما هو في الصحيحين عن عائشة : كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ، ثم قال : أشمرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه ؛ أتاني رجلان ، فعقد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجهه ؟ قال : مطبوع - أي مسحور ، قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم في مشط ومشطة وجف طلّع نخلة ذكر في بئر ذروان .

فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فدقت ولم يستخرجها . مشط ومشطة : هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط (النهاية) . جف طلعة : الجف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذي يكون فوقه .

بئر ذروان . بئر في منازل بني زريق بالمدينة (ياقوت) . والحديث في صحيح مسلم أيضا : ١٧٢٠ (٤) في ذلك الالتباس . وطى أى حالة وقع له ؟ وكيف جاز عليه ذلك الأمر الذي جاز

على غيره من تأثير السحر فيه ؟

فَاعْلَمْ - وَقَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَعَنْتَ^(١) فِيهِ الْمُنْحَدَّةَ ، وَتَدَرَّعْتَ^(٢) بِهِ لِسُخْفِ عَقُولِهَا وَتَلْبِيسِهَا عَلَى أَمْثَالِهَا^(٣) إِلَى التَّشْكِيكِ فِي الشَّرْعِ ؛ وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ عَمَّا يُدْخِلُ فِي أَمْرِهِ لَبْسًا^(٤) وَإِنَّمَا السَّحَرُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، وَعَارِضٌ مِنَ الْعِلَلِ ، يَجُوزُ عَلَيْهِ كَأَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ مَا لَا يُنْكَرُ وَلَا يَقْدَحُ^(٥) فِي نُبُوَّتِهِ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةً^(٦) فِي شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِهِ أَوْ شَرِيعَتِهِ ، أَوْ يَقْدَحُ^(٧) فِي صِدْقِهِ ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِنْ هَذَا^(٨) ؛ وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طَرَوُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاةٍ الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا ، وَلَا فَضَّلَ مِنْ أَجْلِهَا ؛ وَهُوَ فِيهَا^(٩) عُرْضَةٌ الْآفَاتِ كَسَائِرِ الْبَشَرِ ؛ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْجَلِي^(١٠) عَنْهُ ، كَمَا كَانَ .

(١) أى طعنوا بسببه في مقام النبوة .

(٢) تدرعت : تقوت به وظنته دليلا ينفعهم .

(٣) أمثالها : أى أشباهها من ضعفاء اليقين في أمر الدين .

(٤) لبسا : شيئا يصير أمره ملتبسا بغيره مما لا يليق به .

(٥) لا يقدح في نبوته : لا يمدن نقصا ولا عيبا فادحا .

(٦) داخلة : نقيصة وعيبا وفسادا .

(٧) يقدح : يعيب .

(٨) قال الخفاجي : وهذا برمته من كلام المازري في « العلم » ؛ قال : أنكر بعض المبتدعة

هذا الحديث ، وزعم أنه يحط من منصب النبوة ، وقالوا : كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ؛ وتجوز به بعد الثقة بما شرعوه من الشرائع ؛ إذ يحتمل على هذا أنه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس هو ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه .

وهو مردود ؛ لأن الدليل قام على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن الله عز وجل وعلى

عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدة بصدقه ؛ فتجوز ما قام الدليل على خلافه باطل .

(٩) فيها : في أمور الدنيا .

(١٠) ينجلي عنه : يزول وينكشف .

وأيضاً فقد فُسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله : حتى يُخَيَّلَ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن^(١) .

وقد قال سفيان - وهذا أشد ما يكون من السحر ، ولم يأت في خبر منها أنه نُقِلَ عنه في ذلك قولٌ بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعلْه ؛ وإنما كانت خواطرٌ وتخييلات .

وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخَيَّلُ الشيء أنه فعله ، وما فعله ، لكنه تخييل لا يَعْتَدُ صحته^(٢) ، فتكون اعتقاداته كلها على السداد^(٣) ، وأقواله على الصحة .

هذا ما وقفتُ عليه لأثمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث^(٤) مع ما أَوْضَحْنَاهُ من معنى كلامهم ، وزِدْنَاهُ بياناً من تلويحاتهم^(٥) . وكلُّ وَجْهِ منها مُنْفَعٌ ؛ لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويلٌ أَجْلَى^(٦) وأبعدُ من مَطَاعِنِ ذَوِي الْأَضَالِيلِ يستفاد من نفس الحديث ؛ وهو أَنَّ عبدَ الرزاق قد رَوَى هذا الحديث عن ابنِ السَّيِّبِ ، وعُروَةَ بنِ الزَّيْبِرِ ، وقال فيه عنهما : سَحَرَ يَهُودُ بْنُ زُرَيْقٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْسِكَرَ بِصَرِهِ^(٧) ؛ ثُمَّ دَلَّهَ اللَّهُ عَلَى مَا صَنَعُوا فَاسْتَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْرِ .

(١) فهو تصريح بأنه من الأمور الدنيوية لا الشرعية .

(٢) وذلك ليقظة قلبه ، وسلامة ذهنه التي لا يؤثر فيها مثل هذه التخييلات ، وهي سحابة

صيف عن قريب تقشع .

(٣) السداد : الاستقامة ؛ أي إن أموره كلها مستقيمة كاملة وإدراكه كذلك .

(٤) هذا الحديث الذي روته عائشة ، وقد سبق .

(٥) تلويحاتهم : من إشاراتهم له من غير تصريح به .

(٦) أجلى : أظهر من غيره من التأويلات التي ذكروها .

(٧) ينسكر بصره : أي ما أبصره . أو ينسكر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه .

[وَرَوَى نَحْوَهُ ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ ، وَعُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ]^(١) .

وَذَكَرَ عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ : حُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ سَنَةً ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ أَنَا هَذَا مَكَانَ ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ . . . الْحَدِيثُ^(٢) .

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : حُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ خَاصَّةً سَنَةً حَتَّى أَنْكَرَ بَصَرَهُ .

[وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحُبِسَ عَنِ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَهَبِطَ عَلَيْهِ مَكَانَ . . . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ]^(٣) .
فَقَدْ اسْتَبَانَ لَكَ مِنْ مَضْمُونِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ السَّحَرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ^(٤) عَلَى ظَاهِرِهِ وَجَوَارِحِهِ [٢٢٦] ، لَا عَلَى قَلْبِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَعَقْلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أُتِّرَ فِي بَصَرِهِ ، وَحُبِسَ عَنْ وَطْءِ نِسَائِهِ [وَطَعَامِهِ ، وَأَضْعَفَ جِسْمَهُ وَأَمْرَضَهُ]^(٥) ؛ وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ : يُخَيَّلُ

(١) ما بين القوسين ساقط في ١ .

(٢) صحيح البخاري : ٧ - ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) القصة أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : إن الله أخبرني بدائي ، ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم ؛ فنزحوا ماء البئر ، فإذا هو مثل نقاعة الحناء ؛ ثم رفعوا الراعوث - وهي صخرة في قعر البئر ، فأخرجوا جفا ومشاطة - وهو شعر رأسه الشريف وأسنان مشط ، ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة ، وتثال صورته من شمع غرز فيه إبر ؛ فنزل جبريل بالمعوذتين ؛ فكان كما قرأ آية منها انحلت عقدة ، وكأما نزع إبره وجد لها ألما تعقبه راحة ؛ فاعترف لبئد بأنه وضعه ، فمعا عنه (نسيم الرياض : ٤ - ٢٨٢) وما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من الأم من غير الرواية .

(٤) تسلط : تمسكن وأثر .

(٥) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من غير الرواية .

إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن ؛ أى يظهر له من نشاطه ^(١) ومقدم عاداته القدرة على النساء ؛ فإذا دنا منهن أصابته أخذة ^(٢) السحر ، فلم يقدر على إتيانهن ، كما يعترى ^(٣) من أخذ واعترض ^(٤) .

ولعله لمثل هذا أشار سُفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر . ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى : إنه ليُخيّل إليه أنه فعل الشيء وما فعله ، من باب ما اختل من بصره ^(٥) ، كما ذكر في الحديث ؛ فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه ، أو شاهد فعلاً من غيره ، ولم يكن على ما يحيل إليه إنما أصابه في بصره وضمف نظره ، لا لشيء طرأ عليه في ميزه ^(٦) .

وإذا كان هذا ^(٧) لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ^(٨) ولا يجذب به للمحدث المعترض أنسا ^(٩) .

(١) في نسيم الرياض (٤ - ٢٨٢) : هذا جواب سؤال تقديره : إذا قات إن السحر لم يؤثر إلا في ظاهر بدنه يرد عليك أنه تخيل ما لم يقع واقعا يقتضى دخلا في الدهن والإدراك ؛ فهو مناف لما قلته .

(٢) الأخذ ، أمر يتخذه السحرة بحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة رباطا ؛ وهو نوع من السحر ؛ ويقال : به أخذة من الجن أيضا ، كأنها أخذت قوته (النسيم) .

(٣) يعترض : يمرض .

(٤) من أخذ : من صنع له أخذة السحر . واعترض : عرض له عارض من مرض ونحوه .

(٥) ما اختل من بصره ؛ أى قوة نظره لا نفس عينه .

(٦) في ميزه : تمييزه ؛ والمراد قوة عقله المميز .

(٧) هذا : ما ذكر من حاله على ما فرره .

(٨) ما يدخل لبسا : بأن يؤثر في عقله وتمييزه ؛ أى يسرى لباطنه .

(٩) أنسا : أمرا يستأنس به أو هامه الفاسدة ؛ أى يحدث عنه علما ينقص به مقام النبوة ؛ من قولهم : آنت منه كذا ، إذا علمته أو أبصرته .

فصل

هذه حاله في جسمه، فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نَسْبُرُها^(١) على أسلوبنا^(٢) المتقدم بالعقد والقول والفعل^(٣).

أما العقد منها فقد يَعْتَقِدُ^(٤) في أمور الدنيا الشيء على وجهه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع^(٥)؛ كما حدثنا^(٦) أبو بحر سُفْيَانُ بن العاصي وغير واحد سَمَاعًا وقراءة؛ قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر، قال: حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عمرو، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن الرُّومِي، وعباس العنبري، وأحمد المَعْقِرِي؛ قالوا: حدثنا النضر بن محمد؛ قال: حدثني عكرمة، حدثنا أبو النجاشي؛ قال: حدثنا رافع بن خديج؛ قال: قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يَأْبُرُونَ^(٧) النَّخْلَ، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا؛ فتركوه، فنَقَصَتْ^(٨)؛ فذكروا ذلك له؛ فقال: إنما أنا بشرٌ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي^(٩) فإنما أنا بشرٌ.

(١) نسبرها: نخبرها، ونبينها.

(٢) في ١: أسلوبها.

(٣) المقد: الاعتقاد؛ أي نستوفي أقسامها النظرية واللفظية والعلمية.

(٤) يعتقد النبي...

(٥) فإنه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها، لأنه معصوم عن الخطأ.

(٦) حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ١٨٣٥

(٧) تأبير النخل: أن يؤخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق

فتلقح.

(٨) فنقصت ثمرتها. وفي صحيح مسلم: فنقصت، أو فنقصت.

(٩) في صحيح مسلم: من رأي؛ أي يكون رأيا في أمور الدنيا الصرفة فإنما أنا بشر

مثلكم قد أرى رأيا والأمر بخلافه في أمور الدنيا فلا يجب اتباعه.

وفي رواية أنس : أنتم أعلمُ بأمرِ دُنْيَاكم .

وفي حديث آخر ^(١) : إنما ظننتُ ظناً ، فلا تؤاخذوني بالظن ^(٢) .

وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص ^(٣) ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا بشرٌ فما حدثتكم عن الله فهو حقٌّ ، وما قلتُ فيه من قبيلِ نفسي فإنما أنا بشرٌ أخطئُ وأصيب .

وهذا على ما قرَّرناه فيما قاله من قبيلِ نفسه في أمورِ الدنيا وظننه من أخوالها ، لا ما قاله من قبيلِ نفسه واجتهاده في شريع شرعه ؛ وسُمِّية سنّها .

وكما حكى ابنُ إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياهِ بدر ^(٤) قال له الحباب بن المنذر : أهذا منزلُ أنزلكمهُ الله ليس لنا أن نتقدّمه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ^(٥) ؟ قال : لا ، بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : فإنه ليس بمنزل ^(٦) ، انهضُ حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نعوّر

(١) رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة : صحيح مسلم : ١٨٣٥

(٢) أى لا تجدوا طي في أنفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه .

(٣) الخرص : الحزر والتخمين لما طي الشجر من الرطب تمر ، ومن العنب زيبا . وقد رواه البزار بسند حسن . والقصة طي ماروى عن أبي حميد ؛ قال : خرجنا مع رسول الله في غزوة تبوك ، فأتينا وادى القرى طي حديقة لامرأة ، فقال النبي : اخر صوها ، فخرصناها ، وخرص رسول الله عشرة أوسق ، وقال لها : احصيا حتى ترجع إليك إن شاء الله ثم أقبلنا حتى قدمنا وادى القرى ، فسأل رسول الله المرأة عن حديقتها : كم بلغ تمرها ؟ فقالت : عشرة أوسق ، فقال رسول الله . . .

(٤) في غزوة بدر . أدنى مياه : أبعدھا وأقلھا ماء .

(٥) المكيدة : المكيد ، والمسكر ؛ لأن الحرب خدعة .

(٦) ليس بمنزل لبعده عن الماء وكثرة رمله .

ما وراءه من القلب^(١) ؛ فنشرب ولا يشربون . فقال : أشرتَ بالرأى ، وفعل ما قاله .

وقد قال له الله [٢٢٧] تعالى^(٢) : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾^(٣) .

وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة^(٤) ، فاستشار الأنصار ، فلما أخبروه برأيهم^(٥) رجع عنه .

فمثلُ هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخلَ فيها العلمَ ديانة ولا اعتقادها^(٦)

(١) نور ما وراءه : نفسه عليهم . أوهى نوره ، ومعناها نسده ونطمه وندفنه ، حتى يذهب ماؤه الذي ينتفع به الأعداء . والقلب : جمع قلب ؛ وهو البئر لم تطو ؛ أى لم تبني أطرافها بالحجارة . والخبر في سيرة ابن هشام : ٢ - ٢٥٩

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٨٧) : الأمر للنسب لا للوجوب ؛ وإنما أمره بذلك تطييبا لحاظرهم ، ورفعاً لمقدارهم ؛ لأن كبراء العرب كانوا إذا لم يشارورا شق ذلك على نفوسهم ، فأمره بذلك رعاية لهم وتشريعا لمن بعدهم ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا وأسداهم رأيا .

واختلف في ذلك ؛ فقليل : كان فيما لم ينزل فيه وحى ليجتهد فيه ويجهدوا معه ؛ فإن الاجتهاد بحضرة جائز أيضا . وقيل : إنه مخصوص بأمور الدنيا ومصالح الحرب ؛ فإنهم جربوها ، وقاسوا شدائدَها . وكلام المصنف يومى لهذا .

(٤) وكان ذلك في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيثة بن حصن وإلى الحارث بن عوف للرى ، وهما قائدَا غطفان بأن يعطيهما ما ذكر .

(٥) وهو ما قاله سعد بن معاذ : يارسول الله ؛ قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو ييما ، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نمطيم إلا السيف ، حتى يكسب بئنا وبينهم .

(٦) أى ليس مما أمر صلى الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لأمتة وتعليمه لهم .

ولا تعليمها ، يجوزُ عليه فيه ما ذكرناه ^(١) ؛ إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطّة ^(٢) ؛ وإنما هي أمورٌ اعتياديةٌ يعرفها من جربها ، وجعلها همهً ، وشغل نفسه بها ، والنبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مشحون القلب بمعرفة الربوبية ^(٣) ملآن الجوارح بعلوم الشريعة ، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ، ولكن هذا ^(٤) إنما يكون في بعض الأمور ^(٥) ، ويجوز في النادر ^(٦) فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها ^(٧) ، لا في الكثير المؤذن بالنبل ^(٨) والغفلة .

وقد تواترَ بالتقلُّ عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها ، وسياسة فرق أهلها ^(٩) ما هو معجزٌ في البشر مما قد نبهنا عليه في باب « معجزاته » من هذا الكتاب ^(١٠) .

-
- (١) ما ذكرناه : من أن يعتقد على وجه فيظهر له خلافه ؛ لأنه ليس من مهمات الدين .
 - (٢) أى لا يحط من مقامه ولا يمييه .
 - (٣) مشحون : مملوء ؛ أى لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله .
 - (٤) هذا : أى ما يعتقد ويظهر خلافه .
 - (٥) في بعض الأمور : الدنيوية المادية التى تعرف بالتجربة وكثرة اللزاوله .
 - (٦) فسلامة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه تقتضى أنه أعلم الناس بأمور دنياهم أيضا ؛ لأنه أوفر الناس عقلا ؛ وقد أطلعه الله تعالى على أسرار الوجود من مذموم ومحمود .
 - (٧) فيما سبيله التدقيق : أى طريق العلم به تدقيق النظر فيه بتكريره أو صرفه . في حراسة الدنيا : أى في حفظ أمور الدنيا وصونها . واستثمارها : أى طلب زيادتها ونمو ثمرتها ، وهو أمر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد حرث الدنيا ، ولا يشغل بها خاطره ، ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها إلا نادرا .
 - (٨) البله والبلالة : نقص في العقل . والغفلة : دون البله .
 - (٩) انسياسة : حكم الناس وضبط أمورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى بعضهم على بعض . فرق أهلها : عربا ، وعجماء على اختلاف عقولهم وطبائعهم وعاداتهم وألسنتهم .
 - (١٠) صفحة ٣٤١ وما بعدها .

فصل

وأما ما يُعتقد في أمور أحكام البشر الجارية^(١) على يده وقضائهم ، ومعرفة الحق من البطل ، وعلم المصالح من المفاسد ، فهذه السبيل^(٢) ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم^(٣) : « إنما أنا بشرٌ ، وإنكم تختصمون إليَّ ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن^(٤) بحجته من بعض ؛ فأقضي له على نحوِّ مما أسمع^(٥) ؛ فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ منه شيئاً^(٦) ، فإنما أقطعُ له قطعة من النار^(٧) » .

حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله ؛ حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا أبو محمد ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ؛ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .

وفي رواية الزهري ، عن عروة : « فملَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ؛ فأخسب أنه صادق فأقضي له » .

(١) في أمور أحكام البشر : أى ما يحكم به عليهم في أمورهم التى ترفع إليه .
(٢) فهذه السبيل : أى جاء على هذه الطريقة السابقة في أمور الدنيا التى قد يظهر له منها ما الأمر بخلافه أحيانا . وفي شرح القارى (٢ - ٣٤١) : أى ما ذكر هنا من معتقده ومعرفة على الوجه الجميل .

(٣) رواه الشيخان مسندا ، وأبو داود ، وعنه رواه المصنف . صحيح مسلم : ١٣٣٧

(٤) ألحن بحجته : أعرف بقيام الحجة وأفصح في بيانها من يخاصمه .

(٥) بحسب الظاهر منه .

(٦) فلا يأخذ منه شيئاً ليس من حقه .

(٧) في نسيم الرياض (٤ - ٢٩١) : وحاصله أن حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ، ولكن إن خالف الواقع لا يحمل حراما ولا يحرم حلالا ؛ لأننا نحكم بالظاهر ، وعند الله علم السرائر .

وهذا في الأموال والدماء وغيرهما ، فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ، ويبقى الباطن في الآخرة .

وَتُجْرَى أَحْكَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الظَّاهِرِ وَمُوجِبٌ ^(١) غَلَبَاتِ الظَّنِّ بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِ ، وَبَيْنَ الْخَالِفِ ، وَمِرَاعَاةِ الْأَشْبَهِ ^(٢) ، وَمَعْرِفَةِ الْعِفَاصِ وَالْوِكَاءِ ^(٣) ، مَعَ مُقْتَضَى حِكْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ^(٤) ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَأُطْلِعَهُ عَلَى سِرَائِرِ عِبَادِهِ ، وَتُحْبَبَاتِ ضَمَائِرِ أُمَّتِهِ ؛ فَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِمَجَرَّدِ يَقِينِهِ وَعِلْمِهِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى اعْتِرَافٍ أَوْ بَيِّنَةٍ أَوْ يَمِينٍ أَوْ شُهْنَةٍ ^(٥) ؛ وَلَكِنْ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَقَضَايَاهُ وَسِيرِهِ ؛ وَكَانَ هَذَا لَوْ كَانَ تِمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِهِ وَيُؤَثِّرُهُ ^(٦) اللَّهُ بِهِ ، لَمْ يَكُنْ لِلْأُمَّةِ سَبِيلٌ إِلَى الْإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ^(٧) ، وَلَا قَامَتْ حُجَّةٌ بِقَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَاهُ لِأَحَدٍ فِي شَرِيعَتِهِ ؛ لِأَنَّا لَا نَعْلَمُ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ هُوَ فِي تِلْكَ الْقَضِيَّةِ لِحُكْمِهِ هُوَ إِذَا فِي ذَلِكَ بِالْمَكْنُونِ ^(٨) مِنْ إِعْلَامِ اللَّهِ لَهُ بِمَا أُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ سِرَائِرِهِمْ ؛ وَهَذَا مَا لَا تَعْلَمُهُ الْأُمَّةُ ^(٩) ؛ فَأَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ عَلَى ظَوَاهِرِهِمُ الَّتِي يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَشَرِ ؛ لِيَتِمَّ اقْتِدَاءُ أُمَّتِهِ بِهِ فِي تَعْيِينِ

(١) موجب : ما يقتضيه . غلبات الظن : ما يغلب تحقيقه في ظنه بحسب ظاهر الحال .

(٢) أى ما هو أكثر شها بالحق بما فيه من القرائن .

(٣) ومعرفة العفاس والوكاء : العفاس : وعاء من جلد ونحوه يوجد فيه ما انقطع . والوكاء : ما يربط به ؛ فإذا عرفها وجاء طالبها يسأل عن أماراتها ، فإذا بينها تدفع له لقلبة الظن بأنه صاحبها .

(٤) اقتضت حكمة الله تعالى لنبيه أن يحكم بالظاهر ، ليقضى به من بعده من أحكام أُمَّتِهِ ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ قِصَّةٍ عَلَى حَقِيقَتِهَا فَعَلْ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَّبِعُ مَنْ يَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَهُ فِي أَحْكَامِهِ ؛ وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ وَإِنْ خَالَفتِ الْوَاقِعَ لِأَخْطَأَ فِيهَا ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْحُكْمِ مِنْ قَبْلِ اجْتِهَادِهِ حَقٌّ يَقَالُ : إِنَّهُ لَا يَخْطِئُ فِيهِ وَلَا يَقِرُّ عَلَى الْخَطَأِ فِينَا فِي مَا تَقَدَّمَ ؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ جَدًّا (الخفاجى : ٤ - ٢٩٢) (٥) شبهة : مشابهة في الأمر للحق .

(٦) يؤثره الله به : يخصه به دون أُمَّتِهِ ، لِأَنَّهُ وَحَى أَوْ إلهَام .

(٧) لأنه ممن آثره الله تعالى به . (٨) بالمكنون : بالخفى .

(٩) لأنه تعالى لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول .

قضاياه، وتنزيل أحكامه^(١)، ويأتون ما أتوا من ذلك [٢٢٨] على علمه ويقين من سنته، إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول، وأدفع^(٢) لاحتمال اللفظ وتاويل المأول؛ وكان حكمه على الظاهر أجلى^(٣) في البيان، وأوضح في وجوه الأحكام، وأكثر فائدة لموجبات^(٤) التشاجر والخصام^(٥)، وليقتدى بذلك كله حكم أمته، ويستوثق بما يؤثر عنه، وينضبط قانون شريعته، وطى^(٦) ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فيعلمه منه بما شاء^(٧)، ويستأثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته، ولا يفهم عروته^(٨) من عصمته.

فصل

وأما أقواله النبوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله - فقد قدّمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه^(٩) في كل حال، وعلى أى وجه، من عمد أو سهو، أو صحة أو مرض، أو رضاء أو غضب، وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم.

(١) في تعيين قضاياه التي وقعت في أحكامه بين الناس، وتنزيل أحكامه على قواعد شرعه.

(٢) في ١: وأرفع. (٣) فكان حكمه: أى حكم الفعل. أجلى: أظهر.

(٤) موجبات التشاجر: أى ما يقتضيه التشاجر والخصام.

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٢٩٤): وإنما كان الفعل أظهر؛ لأنه مشاهد محسوس. وفي

الحديث: ليس الخبر كالمعاينة؛ فإن الله أخبر موسى بما فعل قومه بعده فلم يلق الألواح، فلما عاين ذلك ألقاها. (٦) طى ذلك: إخفاؤه.

(٧) بما شاء: من وحى، أو إلهام، أو فراسة؛ ليكون معجزة له، أو كرامة أكرمه الله بها.

(٨) ولا يقدح هذا؛ أى عدم اطلاعه على بعض الغيبات. ولا يفهم: لا يحل.

(٩) أى لا يصدر عنه أمر يخالف ما في نفس الأمر؛ لأنه معصوم في أقواله وأفعاله.

هذا فيما طريقه الخبر المحض^(١) مما يدخله الصدق والكذب؛ فأما المعارض^(٢) النورم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة، كتوريته عن^(٣) وجه مغايزه لثلا يأخذ العدو حذرته.

وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط أمته^(٤) وتطبيب قلوب المؤمنين من صحابته، وتأكيدها في تحبيهم ومسررة نفوسهم؛ كقوله^(٥) : لأحملك على ابن الناقة. وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها^(٦) : أهو الذي بعينه بياض.

(١) الخبر المحض : أى الصريح الذى ليس من قبيل المعارض التى يراد بها التورية .

(٢) المعارض : جمع معراض ، من التعريض ، خلاف الصريح . والصريح : هو النص الذى لا يحتمل التأويل من القول .

(٣) وجه مغايزه : جهته التى يتوجه إليها فى غزواته ، فإن فيها مصلحة . والتورية : أن يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد ، فيقصد البعيد . وقد تقدم .

(٤) لبسط أمته : ليسرهم وبشرهم صدورهم .

(٥) فى حديث رواه أبوداود ، والترمذى ، عن أنس رضى الله عنه ، وصحبه ، وروى عن أبى هريرة أيضا ؛ وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله : يا رسول الله ، احملنى . فباسطه صلى الله عليه وسلم بما عساه أن يكون ، ثم قال له : أنا أحملك على ابن الناقة . فسبق لحاظه من لفظ النبوة استغفاره ؛ فقال : يا رسول الله ، ما يبنى على ابن الناقة ! فقال له صلى الله عليه وسلم : ويلك ! وهل يلد الجمل إلا الناقة .

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك معهم إذا هابوا لوحشتهم ، ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من مهابة فى نفوسهم فيؤنسهم بذلك .

وما ورد من النهى عن المزح فإنما هو عن كثرة المفرطة ، واستعماله مع كل أحد فى غير محله .

والحديث فى سنن الترمذى : ٣٥٧ - ٤

(٦) فى حديث رواه ابن أبى حاتم وغيره ، كما أخرجه ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم - أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : زوجى يدعوك . فقال لها : من هو ؟ أهو . . . فقالت له : والله ما بعينه بياض . فقال لها صلى الله عليه وسلم : ما من أحد إلا بعينه بياض - يعنى به البياض المحيط بالحدقة ؛ وهى توهمت غشاوة على حدقته مضرة بالبصر . واللفظ يحتملها .

وهذا كله صدق؛ لأن كلَّ جَلِ ابنِ ناقةٍ، وكلَّ إنسانٍ بعينه بياضٌ. وقد قال صلى الله عليه وسلم^(١): إني لأمزحُ ولا أقولُ إلا حقاً.

هذا كله فيما بابُه الخَبَرُ؛ فأما ما بابُه غَيْرُ الخَبَرِ مما صَوَّرَتْهُ صورةُ الأمرِ والنهي في الأمورِ الدنيوية فلا يصحُّ منه أيضاً، ولا يجوزُ عليه أن يأمرَ أحداً بشيءٍ أو ينهى أحداً عن شيءٍ وهو يُبْطِنُ خلافةً.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما كان لنبى أن تسكونَ له خائنةُ الأعين، فكيف أن تسكونَ له خيانةُ قلبٍ^(٢).

فإن قلتَ: فما معنى إذاً قوله تعالى في قصة زَيْدٍ^(٣): ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾.

فاعلمْ - أكرمكَ اللهُ، ولا تَسْتَرْبِ^(٤) في تَنْزِيهِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عن

(١) في حديث رواه أحمد، والترمذى، والطبرانى: سنن الترمذى: ٤ - ٣٥٧

(٢) خائنة: خيانة. خائنة الأعين: ما تخون فيه بمسارقة النظر والغمز. وخائنة القلب: خيائته؛ قال في نسيم الرياض: وإذا لم يجزله أن يشير بطرفه لخلاف ما في قلبه فكيف بهذا؟ وهذا من حديث رواه الحاكم، والنسائى، وأبو داود: سنن أبي داود: ١ - ٢٦٦

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٧؛ وكانت زوجة زيد هي زينب بنت عمه النبي؛ وكانت من أجمل النساء وأشرفهن، فأثنى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده، فوقع نظره عليها فأعجبها حسنها، ووقعت في قلبه أعظم موقع؛ فقال: سبحان مقلب القلوب. وانصرف. فلما جاءها زيد أخبرته بذلك، ففطن زيد لوقوعها في قلبه، وألقى الله تعالى في نفسه كراهيتها، فقال: يا رسول الله؛ إني أريد مفارقة زوجتى فقال له: مارأيتك منها؟ قال: مارأيت منها شيء، ومارأيت منها إلا خير؛ ولكننا نتعظم على وتؤذنى بلسانها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك، واتق الله في أمرها؛ فأبى وطلقها.

(٤) لا تسترب: لا تقع في ريبة وشك في أموره صلى الله عليه وسلم.

هذا الظاهر^(١) وأن يأمر زيداً بإمسأكمها وهو يحب تطليقه إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسرين^(٢).

وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين - أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما شكها إليه زيد قال له : أمسك عليك زوجك ، واتي الله^(٣) . وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها .

وروى نحوه عمرو بن فائد ، عن الزهري ؛ قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش^(٤) ؛ فذلك الذي أخفى في نفسه . ويصح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا : (وكان أمر الله منعوا) ؛ أى لا يبد لك [٢٢٩] أن تزوجها .

ويوضح هذا أن الله لم يبد^(٥) من أمره معها غير زواجه لها ؛ فدل أنه^(٦) الذي

(١) عن هذا الظاهر من الآية ؛ أنه صلى الله عليه وسلم أخفى في نفسه أمراً الخشية طعن الناس فيه بحبها وإرادة طلاقها وأمره بإمسأكمها ، وهو يريد خلافه .
(٢) قال الخفاجي : وهو غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم .
(٣) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ ؛ لأنه فهم من شكايته أنه يستأذنه في طلاقها . واتي الله : فلا تؤذيها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب .

(٤) في نسيم الرياض (٤ - ٢٩٩) : قال ابن العربي :
فإن قلت : فلم قال له : أمسك عليك - بعد ما أخبره الله تعالى بأنه سيتزوجها له ؟
قلت : ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها ، حتى لا يبقى في نفسه شيء منها .

وطى هذا التفسير لم يبق في القصة إشكال أصلاً . وانظر - في هذه القصة - تفسير ابن كثير : ٦ - ٤٣٠ ، وتفسير القرطبي : ١٤ - ١٨٩ ، وأحكام القرآن : ٣ - ١٥٢٩ ، وما بعدها .

(٥) لم يبد : لم يظهر . (٦) أنه : أى تزويجها له بأمر هو الذي أخفاه في نفسه .

أَخْفَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَّا كَانَ أَعْلَمَهُ بِهِ تَعَالَى .
 وقوله تعالى في القصة ^(١) : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .
 فدلَّ أنه لم يكن عليه حَرَجٌ في الأمر .

قال الطَّبْرِيُّ : ما كان الله لِيُؤْتِمَّ نَبِيَّهُ ^(٢) فِيمَا أَحَلَّ مِثَالَ فِعْلِهِ لِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ ؛ قال الله تعالى : ^(٣) ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ ؛ أى من النبيين فيما أَحَلَّ لهم ؛ ولو كان على ما رُوِيَ في حديث قتادة من وقوعها ^(٤) مِنْ قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أَعْجَبَتْهُ ، وَمَحَبَّتُهُ طَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا لَكَانَ فِيهِ أَعْظَمُ الْحَرَجِ ، وَمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ مَدِّ عَيْنَيْهِ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(٥) ، وَلَكَانَ هَذَا نَفْسَ الْحَسَنِ الْمَذْمُومِ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ وَلَا يَقْسِمُ ^(٥) بِهِ الْأَتَقِيَاءُ ، فَكَيْفَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ؟

قال التَّشِيرِي : وهذا ^(٦) إِقْدَامٌ عَظِيمٌ مِنْ قَائِلِهِ ، وَقَلَّةٌ مَعْرِفَةٍ بِحَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِفَضْلِهِ .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٨

والحرج في الأصل : الضيق ، وأريد به الإثم ؛ أى لا إثم عليك فيما قدره لك ، ووسع عليك في أمر النكاح . سنة الله : أى سن ذلك سنة وطريقه شرعية كانت لمن قبلك من الأنبياء . وفرض : قضى وقدر .

(٢) يؤتم نبيه : يوقمه في إثم وذنب .

(٣) وقوعها : أى زينب .

(٤) زهرة الحياة الدنيا : زينتها وزخرفها وبهجتها ، قال تعالى : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا . سورة طه ، آية ١٣١

(٥) لا يتسم به : لا يتصف به .

(٦) وهذا المنقول عن قتادة من أنه صلى الله عليه وسلم رآها فأعجبته وأراد طلاقها إقدام : جراءة - على مقام النبوة .

وكيف يقال : رآها فأعجبته وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم ، وهو زوجها زيد ؛ وإنما جعل الله طلاق زيد لها ، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ؛ لإزالة حُرمة التبني ، وإبطال سُنَّته ؛ كما قال ^(١) : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم ﴾ . وقال ^(٢) : ﴿ لَكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ . ونحوه لابن فورك .

وقال أبو الليث السمرقندي : فإن قيل : فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بإمساكها ؟ فهو ^(٣) أن الله أعلم نبيه أنها زوجته ، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها ؛ إذ لم تكن بينهما ألفة ؛ وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به ، فلما طلقها زيد خشي قول ^(٤) الناس : يتزوج امرأة ابنه ؛ فأمره الله بزواجها ليُبَاحَ مِنْهُ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ ، كما قال تعالى ^(٥) : ﴿ لَكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ .

وقد قيل : كان أمره لزيد بإمساكها قَمْعاً للشهوة ^(٦) ، ورداً للنفس عن

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ ، أى ليس أباً حقيقياً لأحد منهم .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ . أى شرعنا لك ذلك توسيعاً على الأمة لاخصية لك .

والأدعياء : جمع دعى ، بمعنى مدعو ؛ وهو من يلصق نسبه بنسب غيره ، وليس بينها بنوة حقيقية .

(٣) فهو : أى جوابه .

(٤) قال الخفاجي : وإنما خشيته — وهو لا يهتم فيه — كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة

الحال .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٣٧

(٦) يقال : قمعه فانقمع ، إذا كفه وذلك ؛ أى منعا للشهوة وزجراً لها .

هَوَاهَا^(١). وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها. ومثل هذا لا نكره^(٢) فيه ، لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ، ونظرة الفجأة^(٣) مغنوة عنها ؛ ثم قمع نفسه عنها ، وأمر زيداً بإمساكها ؛ وإنما تذكّر تلك الزيادات التي في القصة^(٤). والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين ، وحكاة السمرقندي ؛ وهو قول ابن عطاء ، وصححه واستحسنه انقاضي القشيري ، [وعليه عوّل أبو بكر بن فورك ، وقال : إنه^(٥) معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير ؛ قال : والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن استعمال النفاق في ذلك ، وإظهار خلاف ما في نفسه ؛ وقد نزّهه الله عن ذلك بقوله تعالى^(٦) : ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ ؛ قال : ومن ظن ذلك^(٧) بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ .

قال : وليس معنى الخشية^(٨) هنا الخوف ؛ وإنما معناه الاستحياء ؛ أي يستحي منهم^(٩) أن يقولوا : تزوّج زوجة ابنه^(١٠) .

(١) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٠٣) وحكاة بـ « قيل » إشارة إلى أنه غير مرضى عنده ؛ فلا وجه لاستحسانه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن في نفسه هوى ، وحاشاه من مثله .

(٢) نظرة الفجأة : أي النظر الذي وقع بفتنة من غير قصد .

(٣) تلك الزيادات من أنه تعلق قلبه صلى الله عليه وسلم بها ، وأراد أن يطلقها ، وأخفى ذلك في نفسه ؛ ونحوه مما يليق بنزاهته .

(٤) إنه : إن هذا القول الذي اعتمده .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٣٨ . وفرض : قدر وقضى من تزويجه صلى الله عليه وسلم

زينب .

(٦) من ظن ذلك : أي ظن أنه وقع في قلبه محبتها ، وأراد أن زيداً يفارقها وأخفى ذلك

في نفسه . (٨) في قوله تعالى : وتحشى الناس والله أحق أن تحشاه .

(٩) منهم : من الناس .

(١٠) أمام ما بين القوسين في هامش ١ : ملحق في الأم بخطه من غير الرواية .

وأن خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيهم^(١) على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء، كما كان^(٢)؛ فمتبه الله على هذا، ونزّهه عن الالتفات إليهم فيما أحل له، كما عتبه على مراعاة رضاء أزواجه في سورة التحريم بقوله^(٣): ﴿لَمْ يُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وكذلك قوله له هاهنا^(٤): ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

وقد روى عن الحسن وعائشة^(٥): لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم - شيئاً كنتم هذه الآية، لما فيه من عتبه [٢٣٠] وإبداء ما أخفاه.

فصل

فإن قلت: قد تقرر عصمته صلى الله عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله، وأنه لا يضح منه فيها خلف ولا اضطراب^(٦) في عمده ولا سهو، ولا صحة ولا مرض، ولا جد ولا هزل، ولا رضاء ولا غضب. ولكن مامعنى الحديث^(٧) في وصيته^(٨) صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله؛ قال: حدثنا القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو محمد، وأبو الهيثم، وأبو إسحاق؛ قالوا: حدثنا محمد ابن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرزاق

(١) من إرجاف للمنافقين: أى إشاعة ما هو مكروه بزعمهم، والتشبيب: ما يؤدى إلى الشر من الأكاذيب.

(٢) كما كان: كما وقع.

(٣) سورة التحريم، آية ١ (٤) سورة الأحزاب، آية ٣٧

(٥) وتفسير ابن كثير: ٦ - ٤٢٠ (٦) اضطراب: اختلاف وتناف.

(٧) الحديث الذى روى عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين: صحيح مسلم: ١٢٥٨،

وصحيح البخارى: ٦ - ١١

(٨) فى وصيته لأصحابه رضى الله عنهم فى مرض موته.

ابن همام ، أنبأنا مَعْمَر ، عن الزَّهْرِي ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : لما حَضَرَ ^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجالٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هَلُمُّوا أَكْتُبْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بعده .
فقال بعضهم : إِنْ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد غَلَبَهُ الوَجَعُ ^(٢)
الحديث ^(٣) .

وفي رواية : ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بعدى أبدا ؛ فتنازعوا ، فقالوا : مَالَهُ أَهْجَرَ ^(٤) ! اسْتَفْهَمُوهُ ^(٥) ؛ فقال : دَعُونِي ، فَإِنَّ الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ ^(٦) .
وفي بعض طُرُقِهِ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَهْجُرُ ^(٧) .
وفي رواية : هَجَرَ . وَيُرْوَى : أَهْجَرَ . وَيُرْوَى : أَهْجَرًا .
وفيه ^(٨) : فقال عُمر : إِنْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قد اشْتَدَّ بِهِ الوَجَعُ ، وَعِنْدَنَا

(١) حضر : حضره الموت ، وظهرت علاماته ، ودنا موته .

(٢) غلبه الوجع : اشتد عليه ألم مرضه .

قال الخفاجي : وهذا محل الشبهة والسؤال ؛ لأنه يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع . وقد تقدم أنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم في مرضه وصحته وسائر أحواله .

(٣) والحديث رواه البخاري وغيره . وقد تقدم أنه في صحيح مسلم ، وصحيح البخاري .

(٤) أهجر : اختلف كلامه بسبب المرض . على سبيل الاستفهام ؛ أى هل تنير كلامه ، واختلط

لأجل ما به من المرض

قال في النهاية : وهذا أحسن ما يقال فيه ، ولا يحمل إخبارا ، فيكون إما من الفحش أو الهذيان . والقائل كان عمر ، ولا يظن به ذلك .

(٥) استفهموه : أى قولهم أهجر - بهمزة الاستفهام الإنكارى .

(٦) الذى أنا فيه : من مراقبة الله والتأهب للقائه ، وانتظار رسله الداعين إلى الرفيق الأعلى خير من الاشتغال بأموركم واستماع كلامكم .

(٧) يهجر : أى يأتى بهجر من القول ، وهو على تقدير الاستفهام الإنكارى أيضا .

(٨) وفيه : في هذا الحديث .

كتابُ الله حَسْبُنَا ^(١) .

وَكَثُرَ اللَّفْظُ ؛ فقال ^(٢) : قومُوا عَنِّي .

وفى روايةٍ : واختلفَ أهلُ البيتِ واختصموا ^(٣) ؛ ففهمَ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا
يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابًا .
ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ .

قال أُمْتُنا في هذا الحديث : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ مَعْصُومٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ ^(٤) ،
وما يَكُونُ مِنْ عَوَارِضِهَا مِنْ شِدَّةٍ وَجَعٍ وَغَشْيٍ ^(٥) ونحوه مما يطرأ على جسمه ، مَعْصُومٌ
أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مِنَ الْقَوْلِ أَمْنًا ، ذَلِكَ مَا يَطْنُ فِي مُعْجَزَتِهِ ، وَيُؤَدِّي إِلَى فُسَادٍ فِي شَرِيعَتِهِ
مِنْ هَذَيَانٍ ^(٦) واختلالِ كلامٍ .

وعلى هذا لا يَصِحُّ ظَاهِرُ رِوَايَةٍ مَنْ رَوَى فِي الْحَدِيثِ : هَجَرَ ^(٧) ؛ إِذْ مَعْنَاهُ
هَذَى ^(٨) ، يَقَالُ : هَجَرَ هَجْرًا ، إِذَا هَذَى . وَأَهْجَرَ هُجْرًا ؛ إِذَا أَفْجَشَ ^(٩) ؛ وَأَهْجَرَ

(١) حَسْبُنَا : كَافِيْنَا عَنْ غَيْرِهِ .

(٢) اللَّفْظُ : ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ وَاخْتِلَاطُهَا حَتَّى لَا تَكْدُّ تَفْهَمُ . فَقَالَ : أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) اخْتَصَمُوا : نَازَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

(٤) غَيْرَ مَعْصُومٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَيْهِ فِي ظَاهِرِ جِسْمِهِ دُونَ بَاطِنِهِ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ
مَنْفَرَةً وَمَا يَمْرُضُ مَعَهَا مِنَ الْأَلَامِ وَالتَّغْيِيرَاتِ . . .

(٥) غَشْيٌ : إِغْمَاءٌ خَفِيفٌ .

(٦) هَذَيَانٌ : كَلَامٌ غَيْرُ مُفِيدٍ . وَاخْتِلَالُ كَلَامٍ : كِتْنَاقُضُهُ ، وَمُخَالَفَتُهُ لِلْوَاقِعِ وَالْعَقْلِ ؛ لِتَزَاهَتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصَمَتِهِ وَكَمَالِهِ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ .

(٧) بِدُونِ اسْتِفْهَامٍ .

(٨) هَذَى : تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ لَا فَايْدَةَ فِيهِ .

(٩) أَفْجَشَ : تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ عَنْ قَصْدٍ .

تعمدية هَجَرَ^(١)؛ وإنما الأصحُّ والأوَّلُ أهُجَّرَ ، على طريق الإنكار^(٢) على مَنْ قال: لا نَكْتَبُ^(٣).

وهكذا روايتُنا فيه في صحيح البخارى^(٤) من رواية جميع الرواة في حديث الزهرى المتقدم ، وفي حديث محمد بن سَلَام ، عن عُمَيْيَةَ ؛ وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه^(٥) ، وغيره من هذه الطرق، وكذا روايتُنا عن مسلم في حديث سُفيان، وعن غيره .

وقد تُحْمَلُ عليه رواية مَنْ رَوَاهُ هَجَرَ على حذفِ أَلِفِ الاستفهام ؛ والتقديرُ: أهُجَّرَ ؛ أو أَنْ يُحْمَلَ قولُ القائل هَجَرَ أو أهُجَّرَ دهشةً مِنْ قائل ذلك وحيرةً لعظيم ما شاهدَ مِنْ حالِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، وشِدَّةِ وَجَعِهِ ؛ وهو المقام الذى اختلف فيه عليه، والأمرُ الذى مِمَّ بالكتاب فيه، حتى لم يَضْبُطْ هذا القائل لفظه^(٦) ، وأجرى الهُجَرَ مُجرى شِدَّةِ الوجع ؛ لا أَنَّهُ اعتقد أَنَّهُ يجوزُ عليه الهُجَرَ ، كما حملهم الإِسْفَاقُ على حِرَاسَتِهِ^(٧) ؛ والله تعالى يقول^(٨) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، ونحو هذا .

(١) قال القارى (٢ - ٣٥٤) : هذا وهم من المصنف ، والصواب أنها لثتان ، وفي معناها متقاربان ، وأنها لازمان لا يتعديان .

(٢) على طريق الاستفهام الإنكارى ، حتى لا ينسب له ما لا يابق به .

(٣) لا نكتب ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابته .

(٤) أى ثبت عند البخارى روايته بهمزة الاستفهام : صحيح البخارى : ٦ - ١١

(٥) فى كتابه : معنى فى صحيح البخارى الذى رواه وضبطه بقلمه .

(٦) حتى إن القائل لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحرى ومراعاة حسن تعبيره .

(٧) حملهم : دعاهم وحرّكهم . على حراسته : حذرا عليه من أن يصيبه مكروه أو عدو .

(٨) سورة المائدة ، آية ٦٧ ، فمع هذا لا حاجة لحراستهم له ، لكن شدة محبتهم دعته

لذلك .

وأما على [٢٦١] رواية: أهجرأ - وهي رواية أبي إسحاق السُّنَمَلِي في الصحيح^(١) في حديث ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، من رواية قُتَيْبَةَ - فتد يكون هذا^(٢) راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم^(٣) ، ومخاطبة لهم من بعضهم ؛ أى جثم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه - هُجْرًا وَمُنْكَرًا من القول .

والهَجْرُ - بضم الهاء : الفَحْشُ^(٤) في المنطق .

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم - عليه السلام - أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم ؛ أوامرُ النبي صلى الله عليه وسلم يُفهم إيجابها من نديها من إباحتها^(٥) بقرائن ، فلملة قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزيمة^(٦) ، بل أمرٌ رده إلى اختيارهم^(٧) ، وبعضهم لم يفهم ذلك ، فقال : استفهموه^(٨) ، فلما اختلفوا كف^(٩) عنه ، إذ لم يكن عزيمة^(١٠) ، ولما رأوه من صواب رأى عمر ، ثم هؤلاء^(١١) قالوا :

(١) أى صحيح البخارى ، لأنه أحد رواته . (٢) هذا : أى الوصف بالهجر .

(٣) فيكون بعض الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه وسلم من يكتب .

(٤) الفحش في المنطق : أى التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول .

(٥) إيجابها : ما أريد به الإيجاب منها . من نديها : أى مندوبها . من إباحتها : أى

مباحها . (٦) عزيمة : أمر عزم عليه عزا مصمما فيجب امتثاله .

(٧) رده إلى اختيارهم ؛ أى فهو مشاورة مخيرة فيه ؛ ولذا اختلفوا فيه وراجموه .

(٨) استفهموه : استخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عما أراد بأمره .

(٩) كف عنه ، فقال : قوموا عنى .

(١٠) لم يكن عزيمة : واجبة الامتثال .

(١١) هؤلاء القائلون بهذا الوجه .

ويكون امتناعُ عمر^(١) إمّا إشفاقاً على النبيّ صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إِملاء الكتاب ، أو أن تدخل عليه مشقة من ذلك ، كما قال : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم اشتدّ به الوجع^(٢) .

وقيل : خشيَ عمر أن يكتبَ أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج^(٣) بالخلاف ، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد ، وحكمُ النظر ، وطلبُ الصواب ؛ فيكونُ المصيبُ والمخطئُ مأجوراً^(٤) .

وقد علمَ عمرُ نَقَرُ الشَّرْع ، وتأسيسَ المِلَّة^(٥) ، وأنَّ اللهَ تعالى قال^(٦) : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَعِترتي^(٧) » .

(١) امتناع عمر من كتابة ذلك الكتاب .

(٢) في نسيم الرياض (٤ - ٣١٢) : فهذا صريح في شفقه عليه من التعب وتأله ، مع علمه بأنّه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيئاً إلا أعلمهم به بكتاب الله وسنته ، ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - ليؤخر بيان أمر من مهمات الدين ، وقد قال الله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم .

(٣) يحصلون في الحرج : يقومون في الحرج والضيق .

(٤) مأجوراً : مثاباً .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣١٣) : أما الاول فله أجران : أجر اجتهاده ، وإصابته الحق . والثاني له أجر اجتهاده فقط ، لبذله جهده في طلب الصواب والحق .

(٥) تأسيس المِلَّة : أي إحكام قواعدها ، وما ينبئ عليه أحكامها المحكمة التي لم يهمل منها شيء .

(٦) سورة المائدة ، آية ٣

(٧) عترته : أهل بيته الأقربون . وفي النهاية : والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة .

وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم ، وسماهما فيه ثقلين ، تعظما لشأنهما ، فقال : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وأهل بيته ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض : صحيح مسلم : ١٨٧٣

وقولُ عمر: حَسَبْنَا كِتَابَ اللَّهِ - رَدُّ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ، لَا عَلَى أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد قيل : إِنَّ عُمَرَ خَشِيَ تَطَرُّقَ الْمُنَافِقِينَ ^(١) وَمَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ لِمَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ فِي الْخُلُوعِ ، وَأَنْ يَتَقَوَّلُوا فِي ذَلِكَ الْأَقَاوِيلَ ، كَادْعَاءِ الرَّافِضَةِ الْوَصِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ^(٢) .

[وقيل : إِنَّهُ ^(٣) كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْمَشُورَةِ ^(٤) وَالِاخْتِيَارِ . هَلْ يَتَفَقَّهُونَ عَلَى ذَلِكَ أَمْ يَخْتَلِفُونَ ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا تَرَكَهُ] ^(٥) .

وَقَالَ طَائِفَةٌ أُخْرَى : إِنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُجِيبًا فِي هَذَا الْكِتَابِ لِمَا طُلِبَ مِنْهُ ^(٦) ؛ لَا أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِالْأَمْرِ بِهِ ؛ بَلْ اقْتَضَاهُ ^(٧) مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ؛ فَأَجَابَ رَغْبَتَهُمْ ، وَكَرِهَ ذَلِكَ غَيْرُهُمْ لِلْعِلَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَاسْتُدِلَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ^(٨) بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ لِعَلِيٍّ ^(٩) : أَنْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) تطرق المنافقين : وصولهم من طريق النفاق .

(٢) أى إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي كرم الله وجهه، وتسميتهم له الوصى لذلك، وإن بعض الصحابة كتب هذا ، وغير ذلك مما اقتراه الرافضة على رسول الله ، وقد ادعوا أن الكتاب الذى أراد النبي صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة على ؛ فلماذا منع منه عمر ؛ وهو كذب منهم عليه .

(٣) إنه ؛ أى أمره .

(٤) كان على طريق المشورة والتخير لطيبها لقلوبهم ، لا أمر بإيجاب لا تجوز مخالفته .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) أى كانوا سألوه أن يمهّد إليهم بما يكتبونه عنه ، فأجابهم بقوله : هلموا . . .

(٧) اقتضاه : طلبه .

(٨) أى قصة الكتاب المذكور .

(٩) فى حديث رواه البخارى (صحيح البخارى : ٨ - ٧٤) .

صلى الله عليه وسلم ؛ فإن كان الأمرُ فينا علمناه ؛ وكرهية على هذا ، وقوله : والله لا أفعل ... الحديث^(١) .

واستدل بقوله : دَعُونِي ؛ فإن الذى أنا فيه خير ؛ أى الذى أنا فيه خير^(٢) من إرسال الأمر وترى كيفكم^(٣) وكتاب الله . وأن تدعوني مما طلبتم . وذكر أن الذى طلب كتابه أمر الخلافة بعده ، وتعيين ذلك^(٤) .

(١) فى هذا الحديث : إن عاليا خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه ، فقال له العباس : كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بحمد الله بارئاً ؛ فأخذ بيده ، وقال له : أنت بعد ثلاث عبد المصا ، وإنى والله أراه متوفياً فى مرضه هذا ، وإنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر بعده ؛ فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا أوصاه بنا . فقال : أنا والله لا أسأله ، ولو كان فينا أعطيناه للناس بعده .

(٢) لأنه لو كان فيه أمر بواجب لم يقل إن تركه خير منه .

(٣) إرسال الأمر : إهماله وتركه ، وفى ١ : تركهم - وترككم ، وعليها « معا » فى ١ .

(٤) قال فى نسيم الرياض : واعلم أن هذا هو العوَاب كما قاله ابن تيمية فى الرد على الروافض ، وأنه ورد مفسراً به فى الحديث للروى فى الصحيحين ، فى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : ادعى لى أباك وأخاك ...

ولا يجوز غيره ؛ لأنه لا يخلو أن يكون أمراً واجباً أوحى إليه به قبل مرضه ، أو أوحى إليه به فى مرضه ؛ والأول لا يصح ، لأن فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، وهو غير جائز . والثانى لو كان بلنه من غير طلب كتاب ونحوه .

وحينئذ وإنما قال عمر ما قاله ، لأنه علمه وعلمه غيره كما نشأ رضى الله عنها وغيرها من كبار الصحابة ، ولو ذكره لتذكر بعده عمر ، فربما اشمأزت منه بعض النفوس القاصرة ، وقد علم أن الله منجزه ، وأن إخفاءه فى حياته أولى ، وما سوى هذا القول لا وجه له ، فلذا ختم به هذا الفصل ، وكرر ذكره فيه ، والقول بأنه بعيد لا وجه له أيضاً .

فصل

فإن قيل: فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقرائه عليه، حدثنا أبو علي الطبري، حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجلودي؛ قال: حدثنا إبراهيم بن سفيان، حدثنا مسلم بن^(١) الحجاج، حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن سميد بن أبي سعيد، عن سالم مولى النصريين؛ قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إني أعوذُ بك من أن يُغضبُ كما يغضبُ البشر، وإني قد اتخذتُ عندك عهداً^(٢) أن تُخلفني، فأبما مؤمنٌ آذيتُه أو سببتُه أو جلدتُه فاجعلها كفارة له، وقربةً تقربُه بها إليك يومَ القيامة^(٣).

وفي رواية^(٤): فأبما أحدٍ دعوتُ عليه دعوةً.

وفي رواية: ليس لها بأهل^(٥).

وفي رواية: فأبما رجلٌ من المسلمين سببتُه أو لعنتُه^(٦) أو جلدتُه فاجعلها له زكاةً^(٧) وصلاةً ورحمةً.

(١) رواه مسلم، ورواه المصنف من طريقه مسنداً: صحيح مسلم: ٢٠١٠.

(٢) يعني أنه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهداً فيما بينه وبينه. لن تخلفني: يعني أنك وعدتني بإنجاز عهدي، وإنك لا تخاف اليعاد.

(٣) تقربه بها إليك: تنبيه بها ثواباً ترفعه بها منزلةً عندك.

(٤) قال في نسيم الرياض: قال في المفتي: وفيه نظر؛ لأن هذا ليس من حديث أبي هريرة؛ وإنما هو حديث آخر عن أنس رضي الله عنه. ثم قال: قلت: الأمر سهل، وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي مخالفتها لما قبلها سنداً ومثلاً، وهو ظاهر فلا وجه لما قاله.

(٥) ليس لها بأهل: أي مستحق لها؛ أي لهذه القصة.

قال الخفاجي: وهذا هو للشكل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلاً بأحد إلا ويستحقه. وسيأتي توجيهه.

(٦) لعنته: دعوت عليه دعوةً باللعنة.

(٧) زكاة: طهارة من ذنوبه، أو زيادة في حسناته.

وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ، ويسب من لا يستحق السب ، ويجلد من لا يستحق الجلد ، أو يفعل مثل ذلك عند الغضب ، وهو معصوم عن هذا كله ؟

فاعلم - شرح الله^(١) صدرك - أن قوله صلى الله عليه وسلم أولاً : ليس لها بأهل ؛ أى عندك يارب ، فى باطن أمره^(٢) ؛ فإن حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر ، كما قال^(٣) . وللحكمة التى ذكرناها^(٤) ؛ فحكم صلى الله عليه وسلم بجأذه ، أو أدبه بسببه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ؛ ثم دعا^(٥) صلى الله عليه وسلم لشفقته على أمته ، ورافته ورحمته لمؤمنين ، التى وصفه الله بها^(٦) ، وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته - أن يجعل دعاءه وأمنه له رحمة ؛ فهو معنى قوله : ليس لها^(٧) بأهل ؛ لا أنه صلى الله عليه وسلم يمله الغضب ويستغزه الضجر^(٨) لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم .

وهذا معنى صحيح ، ولا يفهم من قوله : أغضب كما يغضب البشر - أن الغضب حمله على ما لا يجب فعله ؛ بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله

(١) شرح الله صدرك : فسح فيه ، ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ، ونوره بمعرفته .

(٢) باطن أمره : حقيقته التى تخفى على غيره .

(٣) كما قال صلى الله عليه وسلم : إنه إنما يحكم بالظاهر .

(٤) وللحكمة التى ذكرناها من أنه لتقتدى به أمته ، ولو أوحى إليه ما فى نفس الأمر ، وحكم به ، لم يمكن أمته الاقتداء به فى أحكامه .

(٥) دعاؤه ؛ أى بقوله : اللهم اجعله كفارة له .

(٦) وصفه الله بها فى قوله تعالى : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ونحوه .

(٧) ليس لها بأهل ؛ أى ليس لها فى علم الله أهلاً مستحقاً لها دعا به عليه .

(٨) الضجر : القلق ، وضيق الصدر . ويستغزه : يستخفه ويحركه بسرعة .

على معاقبته بلفظه أو سببه^(١)؛ وأنه^(٢) مما كان يحتمل ويجوز عذوه عنه ، أو كان
مما خُبر^(٣) بين المعاقبة فيه والعفو عنه .
وقد يُحمل على^(٤) أنه خرج مخرج الإشفاق^(٥) وتعليم أمته الخوف والحدَر من
تعدّي حدود الله تعالى .

وقد يُحمل ما ورد من دُعائه هنا ، ومن دعواته على غير واحد في غير موطن ،
على غير العقد والقصد^(٦) ؛ بل بما جرت به عادة العرب^(٧) ؛ وليس المراد بها
الإجابة^(٨) ؛ كقوله^(٩) : رَبَّتْ يَمِينُكَ . ولا أشبع^(١٠) الله بطنك .

(١) كما ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة
الله فينتقم لله .

(٢) أنه ؛ أى الذنب الذى عاقبه عليه .

(٣) مما خُبر ؛ أى خبره الله تعالى .

(٤) وقد يحمل الدعاء الوارد في هذا الحديث .

(٥) الإشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على أمته .

(٦) على غير العقد والقصد ؛ أى العزم وتصميم القلب .

(٧) كمادة العرب في محاوراتهم ؛ يدعون على مخاطبهم بنحو : قاتله الله ، وويل أمه ؛

ولا أب له ، لمن قصدوا مدحه وتحسين فعله .

(٨) وليس المراد بهذه الدعوات الدعاء عليهم وطلب الاستجابة فيهم بوقوع مادعوا به .

(٩) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٥٠ ، وصحيح البخارى : ٧ — ٤٥

تربت يمينك : ترب الرجل إذا افتقر ، كأنه التصق بالتراب ؛ وليس المراد به الدعاء عليه .

وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا . فمرة لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها —

كما رواه البخارى — أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يستحي من الحق ؛ هل

على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال : نعم ، إذا رأت الماء . ففطت وجهها وقالت :

أو تحتمل المرأة ؟ قال : نعم ، تربت يمينك ؛ فميم يشبهها ولدها !

(١٠) رواه مسلم عن ابن عباس : قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية ، والذي رواه مسلم :

لا أشبع الله بطنك . قال البيهقي : فما شبع بعدها أبدا . والحديث في صحيح مسلم : ٢٠١٠ =

وعَقَرَى ^(١) حَلَقَى . وغيرِها من دعواته ^(٢) .

وقد وَرَدَ في صِفَتِهِ في غير حديث ^(٣) - أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم لم يَكُنْ فَحَّاشًا ^(٤) .
وقال أنس ^(٥) لم يَكُنْ سَبَّابًا ، ولا فاحشا ، ولا آعانا ^(٦) ؛ وكان يقول لأحدنا عند

= والحديث عن ابن عباس ، ولفظه : قال : كنت مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف الباب ، فقال : اذهب فادع لي مع وية ؛ قال : فجئت ، وقلت : هو يأكل . فقال - ثانيا - اذهب فادعه ، فجئته وقات : هو يأكل ؛ فأمرني فجئته وقات : هو يأكل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أشبع الله بطنه .

قال الخفافى : فينشد فيها قاله المصنف شيء ؛ لأن الله تعالى استجاب دعاءه فيه ، فإيس هذا من الباب الذى به العادة من غير قصد .

(١) قاله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم ، عن عائشة رضى الله عنها ، وهو في البخارى أيضا بسنده عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج ، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أراها إلا حابستكم ... صحيح البخارى : ٧ - ٤٦ ، وصحيح مسلم : ٨٧٨

قال في نسيم الرياض : وهذا يقال للتعجب بدون قصد الدعاء . وأصله صفة للمرأة المؤذية المشؤمة .

واختاف في معناه : فقل معنى حلقى : أصابها وجع في حلقها ، وقيل معناه نحاقهم ؛ أى تستأصاهم ، كما يستأصل الخالق الشعر .

وعقرى من العقر ؛ وهو عرقبة الدواب ، أو من العقيرة ؛ أى رفع الصوت .

(٢) من دعواته التى لا يريد بها الدعاء على من خاطبه ، وإنما يريد بها المدح أو التمتع على عادة العرب في مخاطبتهم .

(٣) في غير حديث ؛ أى في أحاديث كثيرة .

(٤) هو في صحيح البخارى وغيره ، وقد تقدم . وفحاشا : من الفحش ، وهو القبح والوقاحة في كلامه ومخاطباته .

(٥) رواه البخارى أيضا ، وقد تقدم .

(٦) سبابا : لا يقول ما هو سب وشتم . فحاشا : لا يتكلم بما يقبح التصريح به . لعانا : يقول اللعنة لأحد .

الْمُعْتَبَةِ ^(١) ؛ ماله ! تَرَبَّ جَبِينُهُ ^(٢) !

فَيَكُونُ خَلُّ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ^(٣) ؛ ثُمَّ أَشْفَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُوَافَقَةِ أَمَنَّا لَهَا إِجَابَةً ، فَمَا هَدَّرَ بِهِ ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ ، أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ الْقَوْلَ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً .

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ إِشْفَاقًا عَلَى الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ ، وَتَأْنِيسًا ^(٤) لَهُ ؛ لِثَلَا يَلْحَقَهُ مِنْ اسْتِشْهَارِ الْخُوفِ وَالْحَذَرِ مِنْ أَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَقَبُّلِ دَعَائِهِ ، مَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ .

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سُوءَ الْآلِ مِنْهُ لِرَبِّهِ ^(٥) لَمَنْ جَلَدَهُ ، أَوْ سَبَّهُ عَلَى حَقٍّ وَبِوَجْهِ صَحِيحٍ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ ^(٦) لَهُ كِفَارَةً لِمَا أَصَابَهُ ^(٧) ، وَتَمْحِيطَةً لِمَا اجْتَرَمَ ^(٨) ، وَأَنْ تَكُونُ عُقُوبَتُهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا سَبَبَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ^(٩) ؛ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كِفَارَةٌ .

(١) للعتبة : العتاب ، من عتب عليه عند الغضب ، إِذَا لَامَهُ .

(٢) ماله : أى شئ اقتضى مانعه ؟ تَرَبَّ جَبِينُهُ : الجبين : واحد الجبينين ، وهما جانبا الجبهة . وهو دعاء فى الأصل بمعنى كبه الله على وجهه ، ولم يرد به الدعاء ، كقولهم : تَرَبَّتْ يَدَاهُ .

(٣) على هذا المعنى : أى إنه جاء على عادة العرب فى ملاطفتهم .

قال الحفاجى : قيل معنى تَرَبَّ جَبِينُهُ : كثر سجوده ، فلا يكون دعاء عليه ، وهذا يقتضى أن المراد به الجبهة صحيح البخارى : ٧ - ١٨٠٧

(٤) تأنيسا له : تأليفا له ، ليطمئن قلبه .

(٥) قد يكون قوله : اللهم اجعله رحمة ...

(٦) ذلك : دعاءه عليه .

(٧) لما أصابه : أى فعله من الذنوب التى استحق بها السب .

(٨) تمحيية : إزالة . اجتزمه : فعله واكتسبه .

(٩) رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم =

فإن قلت : فما معنى حديث الزبير^(١) وقول النبي صلى الله عليه وسلم [٢٢٣] حين تخاضعه مع الأنصارى في شراج الحرة^(٢) : اسقى يازبير حتى يبلغ^(٣) الكعبين . فقال له الأنصارى : أن كان ابن عمك^(٤) يارسول الله ! فتلون وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : اسقى يازبير ؛ ثم احبس حتى يبلغ الجدر^(٥) ... الحديث .

فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزّه أن يقع بنفسه مسلم منه في هذه

== ليلة العقبة للأصار : بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا لمصوني في معروف ، فمن وفى بذلك فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فموجب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه . والحديث في صحيح

البخارى : ١ - ١٢

(١) حديثه هذا رواه البخارى : صحيح البخارى : ٦ - ٥٨

(٢) شراج الحرة : مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة يزيد المشهورة .

(٣) حتى يبلغ الماء السائل .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٢٢) : وقول المصنف : حتى يبلغ الماء السائل الكعبين سهو منه كما قيل : لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ابتداء ؛ وإنما قاله بعد غضبه من كلام الأنصارى ، وكان قال له أولاً لما ترافعا له : اسقى يازبير - فقط ؛ فأمره بمقدار من السقى من غير استيفاء لحقه بتأمه ، كما صرح به البخارى وقاله .

(٤) أن كان ابن عمك : حكى له لأنه ابن عمك ، فهو ابن صفية بنت عبد المطلب .

(٥) الجدر - بفتح الجيم وسكون الدال ، والراء المهملة : بمعنى الجدار . وروى بضم الجيم ، جمع جدار . وروى بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة ، من جذر الحساب ، وجذر كل شيء : أصله ، والمراد به الحائط .

قال الخفافى :

وحاصل السؤال أنه صلى الله عليه وسلم حكم أولاً بحكم ثم رجع عنه ؛ وهو يناق المعصية في أقواله ...

القصة أمرُ يربِّب^(١)؛ ولكنّه صلى الله عليه وسلم ندب^(٢) الزَّيْبِرَ أولاً إلى الاقتصار على بعض حَقِّه على طريق التَّوسط والصُّلح، فلما لم يَرْضَ بذلك الآخرُ، وابتج^(٣) وقال ما لا يجب^(٤) استوفى النبيُّ صلى الله عليه وسلم الزَّيْبِرَ حَقَّه .

ولهذا ترجمَ البخارى على هذا الحديث : باب . إذا أشار الإمامُ بالصُّلح فأبى حَكَمَ عليه^(٥) بالحكم .

وذكر في آخر الحديث : فاستوعى^(٦) رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزَّيْبِر حَقَّه .

وقد جعل المسلمون هذا الحديثَ أصلاً في قضيّته^(٧) .

وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كلّ ما فعله في حالِ غَضَبِهِ وِرِضَاهُ ، وأنه - وإنْ نَهَى أَنْ يَقْضَى الْقَاضِى وَهُوَ غَضْبَانٌ ، فإنه في حكمه في حال الغَضَبِ والرِّضَا^(٨) سواء ، لكونه فيهما معصوما . وغَضِبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لِلَّهِ تعالى لا لِنَفْسِهِ ، كما جاء في الحديث^(٩) .

(١) أمر يربِّب : يوقع سامعه في ريب وشك في أقواله ، ويظن أنه - صلى الله عليه وسلم - يصدر منه قول من غير تأمل وثبّت ثم يرجع عنه .

(٢) ندب الزَّيْبِرَ أولاً : دعاه وطلب منه .

(٣) لج : أبدى اللجاج عنادا منه في خصومته للزَّيْبِر .

(٤) ما لا يجب : ما لا يجوز .

(٥) عليه : على من أبى الصلح . بالحكم : أى بالحكم الحق البين .

(٦) استوعى : استكمل .

(٧) أصلاً : قاعدة . في قضيّته : في قضية الزَّيْبِر في منازعته مع الأنصارى .

(٨) قال الخفافى : أما في الرضا فظاهر . وأما في الغضب فامضته صلى الله عليه وسلم .

ولأنه لم يكن يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لانتهاك حرّامات الله تعالى ، كما في هذه القضية .

(٩) في الحديث الصحيح أنه إنما كان يغضب لله وانتهاك حرّاماته .

وكذلك الحديث^(١) في إقادته عكاشة من نفسه^(٢) لم يكن لتعدّ حمله الغضب عليه^(٣)؛ بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له: وضّرّ بتني بالقضيب، فلا أدري (١) رواه أنو نعيم في الحلية .

(٢) عكاشة: من الصحابة ، وهو عكاشة بن محصن ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر أن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب : ادع الله لى أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم . فقال آخر مثله . فقال له : سبقك بها عكاشة ، فضرب مثلاً - كما في الإصابة (٤ - ٥٣٣) . وحديث عكاشة هذا في صحيح البخارى : ٧ - ١٦٣ ، وصحيح مسلم : ١٩٧ . وقصة عكاشة هذا وقعت قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم لما أمر بلالا أن ينادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصلى بالناس ، وصعد المنبر ، وخطب خطبة وجلت منها القلوب ؛ فقال : أيها الناس ، أى نبى كنت فيسكم ؟ فقالوا : جزاك الله عنا خيراً ، لقد كنت لنا كالأب الرحيم ، والأخ الشفيق ؛ أدبت رسالة الله ، وبلغت وحيه ؛ فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً . فقال : معاشر المسلمين ، أنشدكم بالله عز وجل من كانت له على مظلة فليقم فليقتص منى - وكرره .

فقام شيخ يقال له عكاشة ، فتخطى المسلمين حتى وقف بين يديه ، فقال : لولا أمرك ما كنت لأقدم على شيء ، لما انصرفنا من الفتح حادث ناقتى ناقتك ، فرفعت القضيب فضربت خصرتى ، ولا أدري أعمدا كان ذلك أم لا .

فطلب - صلى الله عليه وسلم - قضيبه ودفعه لعكاشة ، وقال له : اضرب إن كنت ضارباً . فقال : ضربتني وأنا حاسر عن بطنى . فكشف له - صلى الله عليه وسلم - عن بطنه ، فقبله ، وقال له : فذاك أبى وأمى ! من يطبق أن يقتص منك ؟ فقال له : إما أن تضرب أو تعفو ؟ فقال : عفوت رجاء أن يعفو الله عني في القيامة .

فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رفيق في الجنة فليُنظر لهذا . فجعلوا يقبلون بين عينيه ، ويهشونه بذلك .

قال في نسب الرياض - بعد أن ذكر القصة : وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزى في الموضوعات . وقال السيوطى : إنه أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ولم يقل إنه موضوع . فهو تعقب له ، وطى هذا اعتماد اللصنف .

(٣) لم يكن ما صدر منه صلى الله عليه وسلم في ضرب عكاشة عن عمد منه حمله الغضب على فعله بغير حق .

أعدا ، أم أردتَ ضَرْبَ الناقة ^(١) ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أُعِيذُكَ بِاللَّهِ بِأَعْيُنِ كَاشَةِ ^(٢) أن يتعمدكَ رسول الله .

وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي ^(٣) حين طُلب عليه السلام الاقتصاد منه ، فقال الأعرابي : قد عفوتُ عنك . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوطِ لَتَعَلَّاقِهِ بزمامِ ناقته مرةً بعد أخرى ^(٤) ، والنبي صلى الله عليه وسلم يَنْهَاهُ ويقول له : تَذَرِكُ حَاجَتَكَ ^(٥) ، وهو يَأْبَى ؛ فضربه بعد ثلاث مرات ^(٦) .

وهذا ^(٧) منه - صلى الله عليه وسلم - لَمَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ نَهْيِهِ صَوَابٌ ^(٨) ومَوْضِعٌ أَدَبٌ ^(٩) ، لكنه عليه الصلاة والسلام أشفق إذ كان حقَّ نفسه من الأمر حتى عَفَا عنه .

وأما حديثُ سَوَادٍ ^(١٠) بن عمرو : أَنَبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُتَخَلِّقٌ ^(١١) ؛

(١) أم أردت أن تضرب الناقة فأصابني ذلك . (٢) أعيدك بالله ؛ أي أجعلك في حفظه . (٣) قال الخفافى : وهذا الحديث لا يعرف من رواه ، ويحتمل أنه حديث عكاشة بعينه . وقال الثقارنى : قال الحلبي : وهذا الأعرابي لا أعرفه .

(٤) وفي هذا ترك أدب يستحق به الضرب تعزيراً ، فلم يكن ذلك إلا بحق ؛ فلا يستحق به الاقتصاد ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - فعله كراماً منه ، وتطيباً لقلبه من غير حق له مضى ؛ فكان تأديباً وتشريعاً مستحقاً للحمد لا للعفو .

(٥) تدرك صاحبك : أي أفضى لك حاجتك ، وتصل إليها ؛ فدع الزمام . . .

(٦) بعد ثلاث مرات : بعد نهيه ثلاث مرات .

(٧) هذا بيان الوجه في ذلك ، وأنه غير مناف لما قرره من عصمته في غضبه ورضاه .

(٨) صواب لا خطأ ولا جور يستحق به القود .

(٩) موضع أدب في الحضور عنده يستحق من لم يتأدب فيه التأديب .

(١٠) رواه أبو القاسم في معجم الصحابة ، وابن سعد ، وعبد الرزاق في جامعه .

(١١) متخلق : متضخخ بالخلق ؛ وهو نوع من الطيب يخلط بالزعفران ، ولونه بين الحمرة

والصفرة . وهذا مذكور في الاستيعاب (٦٧٦) ، وقال : هو سودة بن عمرو . ويقال سواد

ابن عمرو الأنصاري

فقال عليه الصلاة والسلام : وَرْسٌ ! وَرْسٌ ! ^(١) حُطُّ ، حُطُّ ! وَغَشِيَنِي ^(٢) بِقَضِيبٍ فِي بَدَنِي فَأَوْجَعَنِي . قلت : القصاصَ يا رسولَ الله . فكشف لي عن بَطْنِهِ .
وإنما ضربه صلى الله عليه وسلم لِمُنْكَرٍ رآهُ به ^(٣) ؛ ولعلَّه لم يَرُدُّ بِضْرَبِهِ بِالْقَضِيبِ إِلَّا تَذْيِيبَهُ ^(٤) ، فلما كان منه إِيْجَاعٌ لم يَقْصِدْهُ طَلَبَ التَّحَلُّلَ مِنْهُ عَلَى مَا قَدَّمْنَا .

فصل

وَأَمَّا أَعْمَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّنْيَوِيَّةُ ^(٥) فَحُكْمُهُ فِيهَا مِنْ تَوَقُّيِ الْمَعَاصِي وَالْمَسْكُورَهَاتِ مَا قَدْ قَدَّمْنَاهُ ^(٦) ، وَمِنْ جَوَازِ السَّهْوِ وَالْفَاطِئِ فِي بَعْضِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ . وَكُلُّهُ غَيْرُ قَادِحٍ فِي النُّبُوَّةِ ؛ بَلَى ، إِنْ هَذَا فِيهَا عَلَى النَّدْوَرِ ^(٧) ؛ إِذْ عَامَّةُ أَعْمَالِهِ

(١) فقال : ورس . ورس . الورس : نبت أصفر يصبغ به ويتمطر . حط : أمر له ، كرر تأكيدا . وقد ضبطت السين والطاء في السكون . وضعف القارى في شرحه : ٢ - ٣٦٥ سكون الطاء ، وقال : يجوز في طاء « حط » الحركات الثلاث ، لأنه أمر مضمف .
(٢) غشيني : ضربني .

(٣) لمُنْكَرٍ رآهُ مِنْهُ ؛ وَهُوَ تَطْيِيبُهُ ، لِمَا فِيهِ مِنْ تَشْبِهٍ بِالنِّسَاءِ يَسْتَحِقُّ التَّمْزِيرَ عَلَيْهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ مُحَرَّمًا فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الطَّيِّبُ ؛ فَمَا فَعَلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمْرٌ مَشْرُوعٌ لَهُ ، زَجَرًا لِفَاعَلِهِ بِالْفِعْلِ بَعْدَ الْقَوْلِ ، وَلَسَكُنْهُ أَجَابَهُ لِلْقَوْدِ تَوَاضَعًا وَلُطْفًا وَرَحْمَةً مِنْهُ كَمَا تَقْدِمُ .

(٤) أَيْ إِنْ النَّبِيِّ أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، وَلَمْ يَرُدِّ ضَرْبَهُ أَوَّلًا فَمِنْهُ بِشَدَّةٍ ، وَلَمْ يَقْصِدْ ضَرْبَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ مِنْهُ إِيْجَاعٌ مَوْلُمٌ لَهُ ، وَهُوَ لَمْ يَقْصِدْ بِضْرَبِهِ إِلَّا طَلَبَ التَّحَلُّلَ مِنْهُ بِالْقَوْدِ حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيْهِ حَقٌّ ؛ فَدَفَعَ الشُّبْهَةَ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ تَمْزِيرٌ مَشْرُوعٌ لَهُ ، لَسَكُنْهُ تَسْكَرُمُ بِإِجَابَتِهِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ قَوْدَهُ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقْبِيلَ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ . وَالثَّانِي أَنَّهُ خَطَأٌ مَعَهُ وَعَنْهُ ، وَفَعَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ .

(٥) الدُّنْيَوِيَّةُ : التَّعَلُّقَةُ بِأُمُورِ دُنْيَا ، لَا بِالْعِبَادَةِ وَالْعَقَائِدِ .

(٦) تَوَقُّيِ الْمَعَاصِي : اجْتِنَابِ الْمَحْرَمَاتِ شَرْعًا . وَالْمَسْكُورَهَاتِ : كَرَاهَةِ تَنْزِيهِهِ . مَا قَدَّمْنَاهُ : مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ مِنْهَا .

(٧) فِيهَا : فِي أَعْمَالِهِ . عَلَى النَّدْوَرِ : عَلَى قَلْبِهَا وَنَدْرَتِهَا .

على السَّدَاد^(١) والصواب ، بل أكثرها أو كلها جارية تُجَرَى العبادات والقرب^(٢) على ما بيَّنا ؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذُ منها^(٣) لنفسه إلا ضرورته ، وما يُقيم رَمَقَ جسمه^(٤) ، وفيه مصلحة ذاته^(٥) التي بها يَعْبُدُ رَبَّهُ ، وَيُقِيمُ شَرِيعَتَهُ ، وَيَسُوسُ أُمَّتَهُ ، وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فَبَيْنَ معروفٍ يصنعه ، أو قَهْرٍ [٢٣٤] يوسِّعه ، أو كلامٍ حَسَنٍ يَقُولُهُ أو يَسْمَعُهُ ، أو تَأْلُفٍ شَارِدٍ^(٦) ، أو قَهْرٍ مُعَانِدٍ^(٧) ، أو مُدَارَاةٍ حَاسِدٍ^(٨) ؛ وكلُّ هذا لِحَقِّ بَصَالِحِ أَعْمَالِهِ^(٩) ، مُنْتَظِمٍ فِي زَاكِي وظائف عِبَادَاتِهِ^(١٠) ؛ وقد كان يُخَافُ في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ، وَيُعِدُّ لِلْأُمُورِ أَشْبَاهَهَا^(١١) ، فِيرْكَبُ - في تصرفه لِمَا قَرُبَ^(١٢) - الْحِمَارَ ،

(١) السداد : الاعتدال ، والقصد ، والاستقامة .

(٢) القرب : جمع قربة ، وهى العمل الصالح الذى يتقرب به إلى الله تعالى .

(٣) منها : من الدنيا وأفعالها .

(٤) ما يقيم رَمَقَ جسمه : أى مابه قوام حياته . والرمق : بقية الروح والحياة .

(٥) مصلحة ذاته : ما يصلحها .

(٦) شارد : نافر عن طاعة الله ورسوله ، كجفاة الأعراب للؤلؤة قلوبهم بالمطاء ، حتى

يذيقه الله حلاوة الإيمان ويهديه الله له .

(٧) أو قهر معاند ، فيردعه ويزجره حتى يرجع لما يريد .

(٨) أو مداراة حاسد بملاطفته وتحمل أذاه والإغضاء عن قبائحها ، كما كان يفعل صلى الله

عليه وسلم مع المنافقين وأهل الكتاب .

(٩) لاحق بصلح أعماله ؛ أى ملحق بمبادئه ومعدود منها ، ويثاب عليه لما فيه من المنافع

واللزايا الدينية .

(١٠) زاكى : نامى . منتظم في زاكى وظائف عباداته : معدود من عباداته للوظيفة اللازمة

كالصلاة ؛ فهذا ، لشدة حسن منافعه - كأنه من نفائسها للمعدودة منها . وفي سلكها .

(١١) أشباهها : ما يشابهها ويناسبها .

(١٢) في تصرفه : في حركته من مكان إلى آخر . لما قرب : لمكان آخر قريب لحل إقامته .

الحمار : لسهولة ركوبه ، مع ما فيه من عدم التكبر .

وفي أسفاره الراحلة^(١)، ويركبُ البَقْلَةَ في معاركِ الحربِ دليلاً على الثبات^(٢)، ويركبُ الخيلَ ويُعِدُّها ليومِ الفَزَعِ وإجابةِ الصارخِ.

وكذلك^(٣) في لباسِه وسائرِ أحوالِه بحسَبِ اعتبارِ مَصَالِحِه ومَصَالِحِ أُمَّتِه^(٤). وكذلك يَفْعَلُ الفِعْلَ من أمورِ الدنيا مساعدةً لأُمَّتِه وسياسةً وكراميةً لِحِلَالِهَا وإن كان قديرَ غَيْرِهِ خيراً منه، كما يَتْرُكُ الفِعْلَ لهذا؛ وقد يرى فَعْلَهُ خيراً منه. وقد يفعلُ^(٥) هذا في الأمورِ الدينية مِمَّا لَهُ الْخِيَرَةُ في أَحَدِ وَجْهَيْهِ، كخروجه من المدينة لأَحَدٍ، وكان مذهبه^(٦) التحصُّنُ بها، وترَكُّه قَتْلُ المُنَافِقِينَ، وهو على يَقِينٍ من أَمْرِهِمْ^(٧) مَوَالِفَةً لغيرهم، ورعايةً للمؤمنين من قَرَابَتِهِمْ، وكرامةً لأنَّ يقول الناسُ^(٨): إنَّ محمداً يُقَتَّلُ

(١) الراحلة من الإبل : ما يقوى على الحمل .

(٢) دليلاً على الثبات، وأنه لن يفر، ولا يريد الفرار؛ إذ لو أراد ركب الخيل؛ فالبنل لا يصلح للسكر والفر.

(٣) وكذلك : أى كما أن ما بينه وبين الناس كان على أحسن نظام كان حال لباسه . . .

(٤) كان يضع كل شيء في محله .

(٥) يفعل هذا: أى يفعل ما يرى تركه خيراً من فعله .

(٦) مذهبه : أى كان رأيه المختار عنده التحصن بها وعدم الخروج منها؛ وذلك لأن بعض الصحابة رضى الله عنهم الذين لم يحضروا غزوة بدر أحبوا خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة للقتال، وكان صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا تدل على قتل بعض أصحابه وأمور أخرى، فقصها عليهم، وأولها لهم، وأراد ترك الخروج؛ فرغبوه فيه، فدخل بيته فلبس درعه ولأمة حربيه، فندموا على مخالفته؛ وقالوا له - لما خرج : الراى لك، فقال : ما كان لى إذا لبس لأمته أن يضمها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، ومضى إلى أحد، فكان ما كان من جراحته، وقتل حمزة وغيره .

قال البخفاجى : فهذه قصة ترك فيها ما أحبه لما رآه أصحابه؛ وكلامها أمر جائز .

(٧) على يقين من أمرهم : بإخبار الله تعالى له، وبما يظهر من أحوالهم، وما يلبسه

عنهم .

(٨) يقول الناس من أعدائه .

أصحابه ؛ كما جاء في الحديث ^(١) ؛ وتركة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قریش وتعظيمهم لتغييرها ، وحذراً من نفار قلوبهم لذلك ، وتحريك متقدم عدائهم للدين وأهله ؛ فقال لعائشة في الحديث الصحيح ^(٢) : لولا حدثان قومك بالكفر ^(٣) لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ^(٤) .

ويحل الفعل ثم يتركه ؛ ليكون غيره خيراً منه ^(٥) ؛ كانتقاله من أدنى مياه بذر إلى أقربها للعدو من قریش ^(٦) ؛ وقوله : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت الهدى ^(٧) .

(١) رواه البخارى في عبد الله بن أبي بن سلول لما قال في غزوة بني قينقاع : ليخرجن الأعز منها الأذل ، وبلغه - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، فقال بعض الصحابة : نقتله لئلا يوافقه فقال صلى الله عليه وسلم : فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! صحيح البخارى : ١٩٣ - ٦

(٢) رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٢ - ١٧١ ، وصحيح مسلم : ٩٦٩
(٣) حدثان : الحدوث ، ضد التقدم ؛ أى تجدده وعدم رسوخه ؛ والمراد به هنا القرب ؛ أى لولا قرب عهدهم بالكفر والشرك .
(٤) قال الحفاجى : وهذا من ترك أحد الجائزين ، تطيباً للنخاطر . وكذلك ما يأتى بعده من هذا الباب .
(٥) وإن كانا جائزين .

(٦) كان نزل أولاً على غير الماء ، فقال له الحباب بن المنذر : أبوحى هذا أم رأى ؟ قال : رأى - فأشار عليه بما ذكر .

(٧) قال ذلك في حجة الوداع ؛ كما رواه الشيخان : في صحيح البخارى : ٩ - ١٠٣ ، وصحيح مسلم : ٨٧٩ ، ٨٨٤ . والهدى : ما يساق من الإبل لينحر في الحرم ويتصدق ببلحمه . وكان صلى الله عليه وسلم أحرم بالحي مفرداً ، وساق معه هدياً ، فلم يحل له أن يلبس ويحل من إحرامه حتى يبلغ الهدى محله يوم النحر ، وكان أصحابه تمتعوا بالمرءة وفسكوا لإحرامهم ، فلما علموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم بلباسهم ونسأهم خلاف رسول الله ؛ فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لو استقبلت منى مثلكم أتجمع لولم يمتنع سوق الهدى وعقد النية ؛ وهذان أمران جائزان ، فعمل أحدهما ، والآخر أحب إليه ؛ بياناً للجواز .

وَيَسْطُرُ وَجْهَهُ لِّلْكَافِرِ وَالْعَدُوِّ رَجَاءً اسْتِثْلَافُهُ ^(١) .

وَيَصْبِرُ لِلْجَاهِلِ ، وَيَقُولُ ^(٢) : إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مِنْ اتَّقَاهُ النَّاسُ ^(٣) لَشَرِّهِ ؛ وَيَبْذُلُ لَهُ الرِّغَائِبَ لِيَجِبَّ ^(٤) إِلَيْهِ شَرِيعَتَهُ وَدِينَ رَبِّهِ .

وَيَتَوَلَّى فِي مَنْزِلِهِ مَا يَتَوَلَّى الْخَادِمُ مِنْ مَهْنَتِهِ ^(٥) ، وَيَتَسَمَّتُ ^(٦) فِي مَلَكْتِهِ ، حَتَّى لَا يَبْدُو شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ ^(٧) ، وَحَتَّى كَأَنَّهُ عَلَى رَوْسِ جُلَسَائِهِ الطَّيْرِ ^(٨) ؛ وَيَتَحَدَّثُ مَعَ جُلَسَائِهِ بِحَدِيثِ أَوْلِيهِمْ ^(٩) ، وَيَتَمَجَّبُ بِمَا يَتَمَجَّبُونَ مِنْهُ ، وَيُضْحِكُ بِمَا يَضْحَكُونَ مِنْهُ ؛ وَقَدْ وَسَّعَ النَّاسُ

(١) استِثْلَافُهُ : أَيْ أَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ لِهَدَايَتِهِ لِلإِسْلَامِ ، وَعَدَمِ تَقَرُّبِهِ ؛ لَمَّا يَرَاهُ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ ، وَإِظْهَارِهِ لَهُ مَا يَحِبُّهُ .

(٢) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٧ - ١٦ ، ٢١ ، ٣٨ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ : ٢٠٠٢ .

(٣) اتَّقَاهُ النَّاسُ : تَوَقَّعُوا مِنْهُ وَتَجَنَّبُوهُ وَسَالَمُوهُ خَوْفًا مِنْهُ .

(٤) الرِّغَائِبُ : جَمْعُ رَغِيْبَةٍ ، وَهِيَ مَا يَرِغَبُ فِيهِ .

(٥) مَهْنَتُهُ : خِدْمَتُهُ .

وَفِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْضِفُ نَمْلَهُ ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ، وَيَقُمُ بَيْتَهُ ، وَيَحْبَبُ شَاتَهُ ، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ ، وَيَمْعَجُنْ ، وَيَحْمِلُ حَاجَتَهُ مِنَ السُّوقِ . كَأَنَّهُ لِلتَّوَاضُعِ ، وَتَعْلِيمِهِ لِلْأُمَّةِ .

(٦) وَيَتَسَمَّتُ : مِنَ السَّمْتِ ؛ وَهُوَ التَّلْبِيسُ بِالْهَيْئَةِ الْحَسَنَةِ . فِي مَلَكْتِهِ : لِلأُ : جَمَاعَةُ يَمْلِكُونَ الْعِيُونَ مَهَابَةً وَجَلَالَةً ؛ أَيْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى نَهْجِ الْخَادِمِ فِي خِدْمَتِهِ ؛ فَإِذَا بَرَزَ لِلْعَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ مِنَ الْأَشْرَافِ بَرَزَ عَلَى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ .

وَفِي ١ : فِي مَلَأَتِهِ : قَالَ الْقَارِيُّ (٢ - ٣٦٩) : أَيْ فِي إِزَارِهِ ، كَذَا قَالُوا . وَالظَّاهِرُ : فِي مَلَابِسِهِ . (٧) مِنْ أَطْرَافِهِ : كَسَافِيهِ وَقَدَمِيهِ .

(٨) عَلَى رَوْسِ جُلَسَائِهِ الطَّيْرِ : أَيْ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ رَأْسَهُ ، وَلَا يَطِيلُ نَظْرُهُ إِلَيْهِ تَوْقِيرًا لَهُ وَتَسْكَرِيمًا ، وَذَلِكَ كُنَايَةٌ عَنْ كَالِ سَكُونِهِمْ وَسَكُونِهِمْ وَوَقَارِهِمْ .

(٩) بِحَدِيثِ أَوْلِيهِمْ : أَيْ بِمَا كَانَ لِمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوَائِلِهِمْ ، أَوْ بِحِكَايَةِ مَا كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ حُرُوبِهِمْ كَيَوْمِ بَعَاثٍ وَغَيْرِهِ . وَقِيلَ : لِلرَّادِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِحَدِيثِ أَوَّلِ مُتَكَلِّمٍ مِنْهُمْ ، أَيْ بِمَا يَنْاسِبُهُ ، لِأَنَّهُ يَمِيدُهُمْ .

بِشْرُهُ^(١) وَعَدْلُهُ ، لَا يَسْتَفْزُهُ الْغَضَبُ ، وَلَا يُقْصِرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يُبْطِنُ^(٢) عَلَى جِلْسَانِهِ ؛ يَقُولُ : مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ^(٣) .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الدَّخْلِ عَلَيْهِ^(٤) : بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ . فَلَمَّا دَخَلَ الْآنَ لَهُ الْقَوْلَ وَضَحَكَ مَعَهُ ، فَلَمَّا سَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ قَالَ : إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ اتَّقَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ .

وَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ ، وَيَقُولُ فِي ظَهْرِهِ^(٥) مَا قَالَ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ فِعْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْتِنْلَافًا امْتِثَالًا ، وَتَطْيِيبًا لِنَفْسِهِ ؛ لَيْتَمَ كَنَّ إِيْمَانُهُ ، وَبَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ بِسَبَبِهِ أَتْبَاعُهُ ، وَرَآهُ مِثْلُهُ فَيُنْجَذِبُ بِذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

(١) البشر : طلاقة الوجه والبشاشة في وجوههم ؛ والمراد أنه يعم جميع من عنده ، ويسوى بينهم في ذلك .

(٢) لا يبطن : لا يخفى في باطن أمره على جلسائه ممن هو عنده شيئاً مما يريد .

(٣) لا يبنسى ولا يلبق ولا يصح لنبى أن يضر ويشير بطرف عينيه لأحد أن يفعل شيئاً أخفاه ولم يتكلم به .

وفي النهاية : خائنة الأعين : أن يضر في نفسه ما لا يظهره بلسانه ، فيؤمى له بعينه وهو خائنة . والخائنة بمعنى الخيانة . وقد تقدم .

(٤) في حديث رواه الشيخان عنها . والداخل عليه : هو عيينة بن حصن الفزارى . وقد تقدم هذا الحديث ، وتقدم تخريججه . (٥) في ظهره : في غيبته بعد ما ذهب وولى ظهره . قال الخفاجى : وقد كان عيينة هذا من المؤلفة قلوبهم ، وكان قبل إسلامه دخل بغير إذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال له : بلا إذن ! فقال : ما استأذنت على أحد من مضر ؛ أى لأنه كان رئيساً في قومه ، ويقال له الأحق المطاع في قومه ثم قال له : ما هذه الحيراء ! فقال : أم المؤمنين . فقال : ألا أنزل لك عن أجل منها ! فقالت : يا رسول الله ؛ من هذا ؟ قال : هو الأحق المطاع في قومه ، وهو على ما يرى سيد قومه . قال الخفاجى :

وفي الحديث دليل على غيبة الكافر والفاسق المجاهر . وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة لا مداينة والفرق بينهما مشهور .

ومِثْلُ هذا ^(١) على هذا الوجه قد خرج من حَدِّ مُداراةِ الدنيا إلى السياسة الدِّينية ^(٢).

وقد كان النبيّ يَسْتَأْلفُهُم بأموال الله العريضة ^(٣) فكيف بالكلمة اللَّيِّنة؟ قال صفوان ^(٤): لقد أعطاني [٢٢٥] وهو أَبْقَضُ الخَلْقِ إلى ^(٥)، فما زال يُعْطيني حتى صار أَحَبَّ الخَلْقِ إلى ^(٦).

وقوله فيه ^(٧): بنس ابنُ العشرة - هو غير غَيْبَةٍ؛ بل هو تعريفُ ما علمه منه لمن لم يَعْلَمْ، لِيُحَذَّرَ حاله، وَيُحْتَرَزَ مِنْهُ، ولا يوثق بِجانبه كلُّ الثَّقة، ولا سِما وكان مُطاعاً مَتَّبوعاً ^(٨).

ومِثْلُ هذا إذا كان لضرورة وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ لم يَكُنْ بِغَيْبَةٍ ^(٩)، بل كان

(١) مثل هذا: من قوله لأحد من الناس في وجهه شيئا وذكره خلافه بعد ذهابه.

(٢) أى من المداراة التي هي لأجل أمور الدنيا - إلى السياسة الدينية: أى التدبير بتأليف القلوب الداعى لدخول الناس في الإسلام من غير ضرر وتعب؛ فهو في جملة مصالح الدين ومبهاة.

(٣) المريضة: الكثيرة جدا.

قال في نسيم الرياض: وهذا نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم أنه أعطى بعضهم واديا مملوءا بالتم، فأسلم وأسلم قومه لما قال لهم: يا قوم؛ إنه يعطى عطاء من لا يخاف الفقر.

(٤) هو صفوان بن أمية بن وهب الجاحي الصحابي، أحد الأشراف الفصحاء الأجواد، أسلم بعد حنين، وتوفي سنة اثنتين وأربعين.

(٥) لما كان في قلبه من عداوته له.

(٦) لما رأى من إحسانه إليه من غير امتنان.

(٧) في حق عيينة بن حصن الداخل عليه بنير إذن.

(٨) متبوعا: له أتباع كثيرون من العرب إذا أمرهم أطاعوه فيخشى من شره.

(٩) لم يكن ذلك غيبة منها عنها شرعا حتى يعترض ويقال: كيف يصدر مثله منه صلى

الله عليه وسلم وهو معصوم؟

جائزا، بل واجبا^(١) في بعض الأحيان كمادة المحدثين في تجميع الرواة والمزكين في الشهود^(٢).

فإن قيل : فما معنى المعضل^(٣) الوارد في حديث بَرِيرَةَ من قوله صلى الله عليه وسلم لما أشته؛ وقد أخبرته أن مَوَالِيَ بَرِيرَةَ^(٤) أَبَوًا بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْوَلَاءُ^(٥)؛ فقال لها صلى الله عليه وسلم : اشتريها واشترط ليهم الولاء .

ففعلت، ثم قام خطيبا، فقال : ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ؛ كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط^(٦) لهم ، وعليه باعوها ، ولولاء - والله أعلم - لما باعوها من عائشة ، كما لم يبيعوها قبيل^(٧) حتى شرطوا ذلك عليها؛ ثم أبطله صلى الله عليه وسلم ، وهو قد حرّم الفسّ والخديعة^(٨) .

(١) كان جائزا منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه . بل كان واجبا عليه - صلى الله عليه وسلم - أن يبين بعض عيوبه لأمته .

(٢) تجميع الرواة : بذكر عيوبهم ، لئلا يعمل بما روه . وكما مادة المزكين في تجميعهم للشهود إذا سألهم الحاكم عنهم ليقبل شهادتهم أولا ؛ فيجب عليهم ذكر ما يملكون من حالهم خيرا أو شرا . وكان هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الأحكام الشرعية ، وصيانة حقوق الناس .

(٣) المعضل : للشكل المعيب - وقد روى هذا الحديث الشيخان : صحيح البخارى : ٣ -

٢٣٨ ، وصحيح مسلم : ١١٤٤

(٤) موالى بَرِيرَةَ : المالكين لها .

(٥) الولاء : أى ولاء العتاقة .

(٦) بالشرط لهم : بشرط الولاء لهم إذا اعتقها .

(٧) قبل : قبل شرط الولاء لهم .

(٨) فقال : من غشنا فامس منا . وقال : ولا خلاية ؛ أى لا خداع في المعاملة .

قال الحفاجى : فكيف أمر صلى الله عليه وسلم عائشة بقول ما لا يجوز ، ولولاء ما باعوها ؛

فيه غش وخديعة - فدفعه بقوله : فاعلم . . .

فاعلم - أكرمك الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم مُنْزَهُ عَمَّا يَقَعُ فِي بَالِ
الْجَاهِلِ مِنْ هَذَا ، وَلِتَنْزِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ مَا قَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ
هذه الزيادة : قوله : اشتَرَطَهم الولاء ؛ إذ ليست في أكثر طرق الحديث ؛ ومع ثبوتها
فلا اعتراض بها ؛ إذ يَقَعُ « لهم » بمعنى « عليهم » ؛ قال الله تعالى ^(١) : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْعَنَةُ ﴾ . وقال ^(٢) : ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .

فعلى هذا اشترطى عليهم الولاء لك ، ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظُهُ لما سلف من شرطِ الولاء لأنفسهم قَبْلَ ذلك ^(٣) .

ووجه ثانٍ : أن قوله صلى الله عليه وسلم : اشترطى لهم الولاء ، ليس على معنى
الأمر ، لكن على معنى التسوية والإعلام بأنَّ شَرْطَهُ لهم لا يَنْفَعُهُمْ بعد بيان النبي صلى الله
عليه وسلم قَبْلَ ^(٤) أن الولاء لِمَنْ أَعْتَقَ ؛ فكأنه قال : اشترطى أو لا تَشْتَرِطِ ، فإنه
شَرْطٌ غَيْرُ نَافِعٍ ^(٥) .

وإلى هذا ذهب ^(٦) الداودى وغيره ؛ وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم ؛

(١) سورة الرعد ، آية ٢٥ (٢) سورة الإسراء ، آية ٧

(٣) قال فى نسيم الرياض : وهذا التوجيه منقول عن المزنى ، وأسنده البيهقى إلى الشافعى
رضى الله عنه ، وجزم به الخطابى وصححه ؛ وأنكره غيره .

وقال النووى : إنه ضعيف ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أنكر اشتراطهم ذلك ، ولو كانت
اللام بمعنى « على » لم ينكره . وقال ابن دقيق العيد : اللام تدل على اختصاص أمر ما ضارا
كان أو نافعا ، كما تقول : المقاب لزيد ، فلا حاجة لجعلها بمعنى على حيث لا لبس . وعلى كل حال
فضعف هذا الجواب ظاهر .

(٤) لا يَنْفَعُهُمْ ولا يفيدهم ؛ لعدم ورود ما يجوز . قبل : قبل وقوع هذه القصة .

(٥) فالاشتراط وعدمه سواء .

(٦) الداودى : هو الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المروفي

بالداودى . توفي سنة ٤٦٧ هـ (الباب) .

وتقرئهم^(١) على ذلك يدلُّ على علمهم به قبلَ هذا .
 الوجه الثالث : أنَّ معنى قوله : اشترطى لهم الولاء ؛ أى أظهرى لهم حكمه ،
 وبيَّن سنته^(٢) بأنَّ الولاء إنما هو لمن أعتق . ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم
 مبيِّناً ذلك وموضحاً على مخالفة ما تقدَّم منه^(٣) فيه .
 فإن قيل : فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه ؛ إذ جعل السَّقَايَةَ في رَحْلِهِ^(٤)
 وأخذه باسم سَرِقَتها ، وما جرى على إخوته في ذلك ، وقوله تعالى^(٥) : ﴿ إنكم
 لسارقون ﴾ ؛ ولم يسرقوا^(٥) .
 فاعلم - أكرمك الله - أنَّ الآية تدلُّ على أنَّ فعل يوسف كان عن أمر الله ؛
 لقوله تعالى^(٦) : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك

(١) تقرئهم : لومهم بين الناس .

(٢) سنته : طريقته وما شرعه الله .

(٣) قال في نسيم الرياض : قال الشافعي في الأم : إنهم لما عصوا الله باشتراط ما قضى بخلافه
 أمرها أن تشترط لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم ويردعهم ؛ لأن توبيخ من ارتكب المعصية
 بعد ارتكابها أقوى من زجره قبله وأعظم في النهي عنه ؛ فقال لها : اشترطيه ليتأتى الردع .
 (٤) السقاية : إناء جمل صاعا يسكال به . في رحله : بين أمتعة أخيه ليأخذها بها ، وكان

من شرعهم أخذ من سرق . سورة يوسف ، آية ٧٠

(٥) فكيف يقول ما لا أصل له ، وهو نبى معصوم .

قال الحفاجي : ففيه إشكال يشبه ما في قصة بريرة . . .

(٦) سورة يوسف ، آية ٧٦

كدنا ليوسف : علمناه ما يكيد به إخوته حتى يأخذ أخاه منهم . والكيده : قريب من
 المكر ، وهو إظهار ما يخالف الباطن للتجليل على أمر يريد . ودين الملك : طاعته بإبقائه بصر .
 أو ما كان من دينه أن يأخذ من سرق .

وقوله : إلا أن يشاء الله يدل على أن فعله بإرادته ورضاه .

قال الحفاجي : وبهذا سقطت الشبهة المذكورة .

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .
فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا اعْتِرَاضَ بِهِ ، كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ ^(١) .

وَأَيْضًا فَإِنْ يُوسُفَ كَانَ أَعْلَمَ أَخَاهُ بِأَنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ^(٢) ؛ فَكَانَ مَا جَرَى عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا مِنْ وَفْقِهِ ^(٣) وَرَغْبَتِهِ ، وَعَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ عُمُقِي الْخَيْرِ لَهُ بِهِ ، وَإِزَاحَةِ السُّوءِ وَالْمُضَرَّةِ [٢٣٦] عَنْهُ بِذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ^(٤) : ﴿ أَتَيْتُهَا الْعَبْرَ لَكُمْ لِسَارِقُونَ ﴾ ؛ فَلَيْسَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ ^(٥) .
فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ جَوَابٌ لِحَلِّ شُبْهَةٍ ^(٦) .

وَلَعَلَّ قَائِلَهُ إِنْ حُسِّنَ لَهُ التَّأْوِيلُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ ظَنٌّ عَلَى صُورَةِ الْحَالِ ^(٧) ذَلِكَ .

وَقَدْ قِيلَ : قَالَ ذَلِكَ لِفَعْلِهِمْ قَبْلُ بِيُوسُفَ وَبَيْنَهُمْ لَهُ ^(٨) . وَقِيلَ غَيْرَ هَذَا .
وَلَا يَلْزَمُ أَنْ نَتَوَلَّى الْأَنْبِيَاءَ مَا لَمْ يَأْتِ ^(٩) أَنَّهُمْ قَالُوهُ ، حَتَّى يُطْلَبَ الْخُلَاصُ مِنْهُ ، وَلَا يَلْزَمُ الْعَبْتَارُ عَنْ زَلَّاتٍ غَيْرِهِمْ .

(١) وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ : وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ مَا يَخَالَفُ ظَاهِرَهُ الْوَاقِعَ ، وَيَقْتَضِي الْخَدِيعَةَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النَّبُوءَةِ .

(٢) لَا تَبْتَئِسْ : لَا تَحْزَنْ ، فَيَكُونُ عِنْدَكَ بؤْسٌ وَشِدَّةٌ حِينَ أُسْنِدَ إِلَيْكَ السَّرِقَةُ ، وَأَخَذَكَ عِنْدِي ، وَأَمْرُهُ إِلَّا يَعْلَمُهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ ، فَرَضَى ، وَقَالَ : إِذْنٌ لَا أَفَارِقُكَ .

(٣) مِنْ وَفْقِهِ : مِنْ اتِّفَاقٍ جَرَى بَيْنَهُمَا سِرًّا .

(٤) سُورَةُ يُوسُفَ ، آيَةُ ٧٠ أَتَيْتُهَا الْعَبْرَ ؛ أَيُ أَصْحَابِ هَذِهِ الدُّوَابِ وَالْإِبِلِ الْحَامِلَةِ لَكُمْ . . .

(٥) لَيْسَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ ، وَإِنَّمَا قَالَ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَمْ يَتَّفِقْ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ .

(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَلَسْكَنْهُ عِجَازُ الْجَوَابِ عَنْ إِقْرَارِ يُوسُفَ لِقَائِهِ عَلَى أَمْرِ قَبِيحٍ ، وَالْإِقْرَارِ عَلَى الْقَبِيحِ قَبِيحٌ كَفَعْلِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ يُوسُفَ لَمْ يَسْمَعْهُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذَلِكَ .

(٧) أَيُ رَأَى ظَاهِرَ حَالِهِمْ كَحَالِ السَّارِقِ لَوْجُودِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بَيْنَ أَمْتَعَتِهِمْ ، فَظَنُّ سَرِقَتِهِمْ لَهُ ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ غَفْلَةً أَوْ سَهْوًا ، أَوْ وَضَعَهُ فِيهَا غَيْرِهِمْ .

(٨) فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى السَّرِقَةِ . (٩) مَا لَمْ يَأْتِ أَنَّهُمْ قَالُوهُ : أَيُ لَمْ يَرَوْا ، وَهُوَ غَيْرُ لَائِقٍ بِمَقَامِهِمْ .

فصل

فإن قيل : فما الحكمة في إجراء الأمراضِ وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام ^(١) ؟ وما الوجهُ فيما ابتلاهم ^(٢) الله به من البلاء ، وامتحانهم بما امتحنوا به ؛ كأيوب ، ويعقوب ، ودانيال ، ويحيى ، وزكريا ، وعيسى ، وإبراهيم ، ويوسف ^(٣) ، وغيرهم ^(٤) . صلواتُ الله عليهم ، وهم خيرته من خلقه وأحبّائه وأصفياؤه .

فاعلم - وفقنا الله وإياك - أن أفعالَ الله تعالى كلها عدلٌ ^(٥) ، وكلما به جميعها صدقٌ ، لا مُبدلَ لِكلماته ، يبدلُ عبادَه كما قال تعالى لهم ﴿ لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) . ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ أَعْمَالٍ ﴾ ^(٧) - وليعلم الله الذين آمنوا ^(٨) - ولما يعلم الله

(١) يبين في هذا الفصل حكمة ابتلاء بعض الأنبياء بالأمراض ، بعد ما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم وأقوالهم عن كل نقص ؛ لأنه ربما يتوهم جاهل أن الابتلاء بمثله غير لائق بهم أيضا .
(٢) الوجه : الحكمة والسبب .

(٣) أيوب : ابتلاه الله بأمراض شديدة . ويعقوب : في حزنه وشدة بكائه لفقد ولده حتى ضعف بصره . ويحيى : بقتله أو ذبحه . وزكريا : ابتلى بالقتل . وعيسى : ابتلاه الله باليهود وكيدهم . وإبراهيم ابتلى بالقاء نمرود له بالنار . ويوسف ابتلى بفراق أبيه وإلقائه في السجن والحب . ودانيال : وهو نبي غير مرسل كان في زمن بختنصر ، وكان من أعز الناس عنده ، فوشوا به له ، فألقاه وأصحابه في الأخدود .

(٤) وغيرهم : كنوح . . .

(٥) أفعاله كلها عدل : فلا يظلم أحدا من خلقه ، وإن كان لا يجب عليه شيء . وكلما به : أى أخباره ووعد صدق كلها ، لا مبدل لِكلماته ، ولا يمكن أحدا أن يغير شيئا مما أخبر به .
(٦) سورة يونس ، آية ١٤ . أى ليظهر للناس أعمالكم فيعلموا استحقاقكم لما أنعم به عليكم ويجازيكم عليه أعظم الجزاء .
(٧) سورة هود ، آية ٧ . يبلو : يختبر .
أى أودع فيكم إذ أحياكم بالعقل والإحساس الذى صح فيه تكليف الأحكام ، وأن يعاملكم معاملة المختبر ، فيجازيكم بما تستحقونه .

(٨) سورة آل عمران ، آية ١٤٠

الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ^(١) . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ^(٢) .

فامتحانُهُ إِيَّاهُمْ^(٣) بضروبِ الْحَنِّ زِيَادَةً فِي مَكَانَتِهِمْ ، وَرَفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِمْ ،
وَأَسْبَابَ لاسْتِخْرَاجِ^(٤) حالاتِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا ، وَالشُّكْرِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالتَّوَكُّلِ ،
[وَالتَّفَوُّيْضِ ، وَالدَّعَاءِ ، وَالتَّضَرُّعِ مِنْهُمْ ، وَتَأْكِيدِ لِبَصَائِرِهِمْ^(٥) فِي رَحْمَةِ الْمُتَحَنِّينَ ،
وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُبْتَلَيْنَ ، وَتَذَكُّرَةِ لَنِيَرِهِمْ ، وَمَوْعِظَةِ لِسَوَامِهِمْ لِيَتَأَسَّوْا^(٦) فِي الْبَلَاءِ بِهِمْ]^(٧) ؛

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤١

(٢) سورة محمد ، آية ٣١ . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِالْجِهَادِ وَالتَّسْكَلِيفِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : لَنَعْلَمَ ، وَلَنَنْظُرَ ، وَمَا فِي مَعْنَاهُ مَعَ تَقَدُّمِ عِلْمِهِ الْقَدِيمِ ؛
وَأَفْعَالُهُ تَعَالَى لَا تَعْمَلُ بِالْأَغْرَاضِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ - لِيَبَيِّنَ مَا تَعْلَقُ بِهِ عِلْمُهُ ، وَأَنَّهُ لِحُكْمِ تَرْتِبِ عَلَيْهِ ،
كَالْأَغْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْأَفْعَالِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَالْآيَاتُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَبْتَلِي بِمَعْصِيَةِ عِبَادِهِ لِيُظْهِرُوا صَبْرَهُمْ ، فَيُجَازِيَهُمْ
أَعْظَمَ جَزَاءً .

فَفِيهِ تَسْلِيَةٌ لَهُمْ ، وَحَثٌّ عَلَى الرِّضَا بِمَا قَدَرَهُ لَهُمْ .

(٣) إِيَّاهُمْ : الضَّمِيرُ لِأَنْبِيَائِهِ . بِضُرُوبٍ : بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحَنِّ ، وَالْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتَلَاهُمْ بِهَا .

(٤) لاسْتِخْرَاجٍ : لِإِظْهَارِ .

(٥) بِصَائِرِهِمْ : جَمْعُ بَصِيرَةٍ ، وَهِيَ الْقُوَّةُ الْمُدْرِكَةُ لِلْمَعَانِي ، كَالْبَصَرَةِ فِي الْحُسُوسَاتِ ؛ فَهَمَّ

عَلَى بَصِيرَةٍ فَمَا ذَكَرَ ، وَلَكِنَّ الْإِبْتِلَاءَ لِيَنْبَهَهُمْ لِمَا ذَكَرَ مَقْوَومًا وَمُؤَكِّدًا وَمُبَيِّنًا لِبَصَائِرِهِمْ .

(٦) لِيَتَأَسَّوْا : لِيَقْتَدُوا بِهِمْ وَيَكُونُ لَهُمْ أَسْوَةٌ فِي الْبَلَاءِ الَّتِي بِهِمْ ، وَيَتَسَلَّوْا ؛ فَتَكُونُ

لَهُمْ سُلُوكٌ تَذْهَبُ حُزْنُهُمْ فِي الْحَنِّ وَالْمَصَائِبِ بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ ، وَوَقَعَ بِهِمْ ، وَيَقْتَدُوا بِهِمْ فِي

الصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ؛ فَيَقُولُونَ : إِذَا كَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ ابْتَلَوْا بِثُلِّ هَذَا فَمَا

بِأَلْنَا نَحْنُ ؟

(٧) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي الْ

فَيَسْأَلُوا فِي الْحَجِّ بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَيَقْتَدُوا بِهِمْ فِي الصَّبْرِ، وَنَحْوُ لَهَنَاتٍ^(١) فَرَطَتْ مِنْهُمْ، أَوْ غَفَلَاتٍ سَلَفَتْ لَهُمْ، لِيَلْقُوا اللَّهَ طَيِّبِينَ مُهَذَّبِينَ^(٢)؛ وَلِيَكُونَ أَجْرُهُمْ أَكْمَلَ، وَثَوَابُهُمْ أَوْفَرَ وَأَجْزَلَ^(٣).

حدثنا^(٤) القاضي أبو علي الحافظ، حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون؛ قالوا: حدثنا أبو يعلى البغدادي، حدثنا أبو علي السنجي، حدثنا محمد ابن محبوب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلَ^(٥)، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ^(٦)، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.

(١) هذه حكمة أخرى لا يتلأثم؛ والهَنَات: جمع هنة؛ وهي الهفوة اليسيرة. والمعنى أنها كفارة للصنائر، وما يصدر عنهم سهواً، ولأُمُور تمد سيئات بالنسبة لهم إذا وقعت منهم بسبب تقريط يسير منهم؛ تطهروا لهم، ورفعوا لهم عن مثلها.

أَوْ غَفَلَات: جمع غفلة. وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بأُمُور أَمَّهُمْ. وفي: ١: ومحووا...

(٢) مهذبين: مخلصين مما يشينهم.

(٣) أوفر: أكثر. وأجزل: أعظم.

(٤) هذا الحديث يستشهد به المؤلف على كونه - صلى الله عليه وسلم - أشد الناس بلاءً.

وقد رواه الترمذي والنسائي، وابن ماجه، والحاكم. سنن الترمذي: ٤ - ٦٠٢،

وسنن ابن ماجه: ١٣٣٤

(٥) الأمثل: الأفضل. وقال الراغب: الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفضل والأقرب إلى

الخير، وأماثل القوم: خيارهم.

(٦) قال الحفاجي: الدين هنا الطاعة: أي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفاً تكون بليته،

فالأنقى أشد وأكثر بلاءً.

وكما قال تعالى^(١) : ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجَاءَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وعن أبي هريرة^(٢) : ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن [والمؤمنة]^(٣) في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة^(٤) .
وعن أنس^(٥) ، عنه صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبده الخير عجل له^(٦) العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة^(٧) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٦ - ١٤٨

وكاين بمعنى كم . والربيون : جمع ربي ، منسوب إلى الرب . وهنوا : جبنوا . استكانوا : ضعفوا .

قال الخفاجي : في هذه الآيات ما يدل على ابتلاء الأنبياء وصبرهم وكثرة ثوابهم عليه . وقال : وهذا تعريض لما أصابهم من الإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وأنه لو كان حيا كان مثل ما وقع لغيرهم ، وأنهم مع شدة جهادهم وصبرهم مدعنون بمغفرة ربهم ، وإن لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية .

(٢) في حديث رواه الترمذي : سنن الترمذي : ٤ - ٦٠٢ ، وفيه : قال أبو عيسى :

هذا حديث حسن صحيح .

(٤) لأن ما أصابه يكفر سيئاته .

(٣) من سنن الترمذي .

(٥) في حديث رواه الترمذي وحسنه : سنن الترمذي : ٤ - ٦٠١

(٦) عجل له العقوبة في الدنيا بما يبتليه فيها مما يحو عنه الذنوب .

(٧) أمسك عنه مصائب الدنيا استدراجا له ، فلا يعاقبه ويبتليه ، بل يتركه بذنبه حتى يوافي

ربه ويلقاه بذنبه يوم القيامة ، فيجازيه عليه إن لم يرد العفو عنه .

وفي حديث^(١) آخَر : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ .
وحكى السمرقندي أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ بَلَاؤُهُ أَشَدَّ كُنْ
يَتَبَيَّنُ فَضْلُهُ ، وَيَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ^(٢) ؛ كَمَا رَوَى عَنْ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ : يَا بَنِيَّ ؛ الذَّهَبُ
وَالْفِضَّةُ يُخْتَبَرَانِ بِالنَّارِ ، وَالْمُؤْمِنُ يُخْتَبَرُ بِالْبَلَاءِ^(٣) .
وقد حُكِيَ أَنَّ ابْتِلَاءَ يَعْقُوبَ بِيُوسُفَ كَانَ سَبَبَهُ التَّفَاتَةِ فِي صَلَوَاتِهِ إِلَيْهِ ،
وَيُوسُفُ نَائِمٌ مُحَبَّةً^(٤) [٢٣٧] لَهُ .

وقيل : بَلِ اجْتَمَعَ يَوْمًا هُوَ وَابْنُهُ يُوسُفُ عَلَى أَكْلِ حَلِيشٍ^(٥) ، وَهِيَ
يَضْحَكَانِ ، وَكَانَ لَهُمَا جَارٌ يُتِيمٌ ، فَشَمَّ رِيحَهُ وَاشْتَهَاهُ وَبَكَى ، وَبَكَتْ لَهُ جَدَّةٌ لَهُ عَجُوزٌ
لِبُكَائِهِ ، وَبَيْنَهُمَا جِدَارٌ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَ يَعْقُوبَ وَابْنِهِ ؛ فَعُوقِبَ يَعْقُوبُ بِالْبُكَاءِ أَسْفَاءً
عَلَى يُوسُفَ إِلَى أَنْ سَالَتْ حَدَقَتَاهُ ، وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ . فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ
كَانَ بِقِيَّةِ حَيَاتِهِ يَأْمُرُ مُنَادِيًا ينادى عَلَى سَطْحِهِ : أَلَا مَنْ كَانَ مُفْطِرًا^(٦) فَلْيَتَغَدَّ
عِنْدَ آلِ يَعْقُوبَ^(٧) .

وَعُوقِبَ يُوسُفَ بِالْمِحْنَةِ الَّتِي نَصَّ اللَّهُ^(٨) عَلَيْهَا .

(١) رواه الديلمي عن أبي هريرة . تضرعه : دعاءه منه متذللاً له لمحبتة ومراجمة .
(٢) يتبين فضله في الآخرة أو في الدنيا لمن يصبر . ويستوجب الثواب : يستحقه تفضلاً
من الله بوعده به .

(٣) يختبر إيمانه وقوته بالبلاء ؛ أى بإصابته وصبره عليه ، أو تضجره منه .

(٤) فلما قطع التوجه إلى الله قطعه الله تعالى بفرقة .

وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند .

(٥) الحِلْ : الصنير من الضأن .

(٦) مفطراً : غير صائم .

(٧) في نسيم الرياض : وفي هذا الخبر أيضاً : ومن كان صائماً فليفطر عندهم .

(٨) قال الخفاجي : حكى هذا عن المصنف الدميري في حياة الحيوان ، وقال : لا ينبغي له =

وَرَوَى عَنْ اللَّيْثِ أَنَّ سَبَبَ بَلَاءِ أَيُّوبَ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ أَهْلِ قَرِيْبَتِهِ عَلَى مَلِكِهِمْ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ظُلْمِهِ ، وَأَغْلَظُوا لَهُ إِلَّا أَيُّوبَ ، فَإِنَّهُ رَفَقَ بِهِ مَخَافَةً عَلَى زَرْعِهِ ^(١) ، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِبَلَاءِهِ ^(٢) .

وَمِنْهُ سُلَيْمَانٌ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَيْتِهِ فِي كَوْنِ الْحَقِّ فِي جَنِبَةِ أَصْهَارِهِ ^(٣) ؛ أَوْ لِلْعَمَلِ بِالْمَعْصِيَةِ فِي دَارِهِ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ ^(٤) .

= ذَكَرَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا صَحَّةَ لَهُ ، وَإِنْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ شَيْخِهِ ابْنِ جَهْمٍ الْبَاهِلِيِّ ؛ وَهُوَ ضَعِيفُ الرَّوَايَةِ جَدًّا . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ صَحَّتِهِ أَنَّ قَوْلَهُ سَأَلَتْ حَدِيقَتَاهُ لِأَصْلِ لَهُ ، وَأَنَّهُ - مَعَ قَوْلِهِ : لَا عِلْمَ لَهَا - كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَعاقِبَهَا عَلَى مَا لَمْ يَعْلَمْ - كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ : ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ بَعْدَ قَوْلِهِ : سَأَلَتْ حَدِيقَتَاهُ كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَ . وَقَالَ الْقَارِيُّ (٢ - ٣٧٨) : فِيهِ إِشْكَالٌ ؛ إِذْ هُوَ كَانَ صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ حِينَئِذٍ ، لَكِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَلَمَّا هَذَا مِنَ الْحُكْمِ الْمَجْهُولَةِ عِنْدَنَا .
(١) عَلَى زَرْعِهِ : زَرْعَ يَعْقُوبَ الَّذِي فِي مِلْكِهِ .

(٢) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَلَيْتَ الصَّنْفِ رَحِمَهُ اللَّهُ - تَرَكَ .

(٣) جَنِبَةٍ : جَانِبٍ . وَالصَّهْرُ : الْخَتَنُ . وَأَهْلُ بَيْتِ الْمَرْأَةِ يَقَالُ لَهُمْ أَصْهَارُ .

(٤) مِنْ كَوْنِ الْحَقِّ فِي جَنِبَةِ أَصْهَارِهِ : ذَلِكَ أَنَّ جَرَادَةَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا سُلَيْمَانٌ وَأَحْبَبَهَا تَخَاصَمَ عِنْدَهُ نَاسٌ مَعَ آخَرِينَ مِنْ أَقَارِبِ امْرَأَتِهِ ؛ فَحُكِمَ بِالْحَقِّ لِفَرِيقِهِمْ ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لَهُمْ ، وَهَذَا يَعْدُ ذَنْبًا بِالنِّسْبَةِ لِمَقَامِهِ .

وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي بِمَا افْتَرَاهُ الْيَهُودُ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَتَلَ مَلَكًا لَهُ بِنْتُ جَمِيلَةٍ تُدْعَى جَرَادَةَ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ وَأَسْلَمَتْ ، ثُمَّ كَانَتْ تَبْسُكِي عَلَى أَبْيَها ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينُ أَنْ يُمَثِّلُوا لَهَا صُورَةَ ابْنِهَا ، فَفَعَلُوا ، فَكَسَتْهُ وَأَعَدَّتْ لَهُ بَيْتًا ، فَكَانَتْ تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَتَسْجُدُ لِمُصَوِّرَتِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ مَدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَحَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكًا ، وَابْتَلَاهُ بِمَا ابْتَلَاهُ بِهِ .

وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ قالت عائشة^(١) :
ما رأيت الوجع على أحدٍ أشدَّ منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وعن عبد الله : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه ، يُوعَكُ وُعَكًا
شديدًا ، فقلت : إنك لتُوعَكُ وُعَكًا شديدًا ! قال : أَجَلٌ^(٢) ، إني أُوَعَكُ كما يُوعَكُ
رَجُلَانِ مِنْكُمْ . قلت : ذلك أن لك الأجرَ مرتين^(٣) ؛ قال : أَجَلٌ ، ذلك كذلك .
وفي حديث أبي سعيد^(٤) أن رجلاً وَضَعَ يَدَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
فقال : وَاللَّهِ مَا أُطِيقُ أَضْعُ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حِمَاكَ^(٥) . فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : إِنَّا مَعْشَرُ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيُبْتَلَى بِالْقَمَلِ
حَتَّى يَقْتُلَهُ ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ ، وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا
تَفْرَحُونَ^(٦) بِالرَّخَاءِ .

وعن أنس^(٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عِظَمَ الْجَزَاءُ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ^(٨) ،

(١) في حديث رواه الشيخان عنها : صحيح مسلم : ١٩٩٠ ، وسنن ابن ماجه : ١-٥١٨ ،
وصحيح البخارى : ٧ - ١٤٩

(٢) أَجَلٌ : نعم . وعبد الله : هو ابن مسعود . والحديث في صحيح البخارى : ٧-١٤٩ ،
وصحيح مسلم : ١٩٩١

(٣) أى ليضاعف لك الثواب .

(٤) رواه ابن ماجه ، والحاكم ، عن أبي سعيد الخدرى : سنن ابن ماجه : ٢ - ١٣٣٥
(٥) من شدة حماك ؛ أى حرارتها .

(٦) أى يسرون بمصائب الدنيا لما يملكون منها رفعة لقدروهم وزيادة لأجرهم ، كما تفرحون بالرخاء
وسعة العيش وحسن الحال ؛ وذلك لشدة يقينهم بربههم ، وعلمهم بما ادخلهم في مقابلة ما نزل بهم .

(٧) في حديث رواه الترمذى ، وحسنه : سنن الترمذى : ٤ - ٦٠١

(٨) أى من كان بلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم عند ربه .

وإنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ^(١) .
وقد قال المفسرون في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ؛ إِنَّ الْمُسْلِمَ
يُجْزَى بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونُ لَهُ كَفَّارَةً . وَرَوَى هَذَا عَنْ عَائِشَةَ ، وَأَبِي ، وَجَاهِد .
وقال أبو هريرة ^(٣) ، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا
يُصِيبْ مِنْهُ » ^(٤) .

وقال في رواية عائشة ^(٥) : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا يُكْفِرُ اللهُ بِهَا عَنْهُ
حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا » ^(٦) .

(١) له الرضا من الله بجزيل ثوابه ، ومن سخط وكره قضاء الله ولم يرض به فله السخط ،
وغضب الله تعالى ، وعقابه له ؛ فإذا صبر ولم يجزع بما أصابه رضاء بقضائه كان ذلك مثوبة وأجرًا .
(٢) سورة النساء ، آية ١٢٣ . فتكون كفارة لذنوبه إن كانت ، وزيادة في ثوابه إن
كان غير مذنب . (٣) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٧ - ١٤٩

(٤) يصب منه ؛ أي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا يثاب عليها .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري ٧٠ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٩٩٢

(٦) يشاكها : تدخل في جلده .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٥٢) : قال المز بن عبد السلام : ظن بعد الجبهة أن المرء يؤجر
على نفس المصائب ؛ وليس كذلك ؛ فإن الثواب إنما يكون على ما يفعله باختياره ، ولا دخل له في
ذلك ؛ فتوابه إنما هو على صبره ورضائه بما قدره الله تعالى ، وعدم شكائته .

ثم قال : وقال القرافي : وأنا أقول : ما قاله المز لا وجه له ، ولا يليق صدوره منه ؛ فإنه
تعالى له أن يثيبه ابتداء ، وأن يجعل ما انفق له بغير فعله سببا لذلك .

قال : وفي كلام شيخ والدي ابن حجر الهيتمي نص الشافعي في الأم بما يصرح بأن نفس
المصيبة يثاب عليها .

والحاصل أن من أصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة ؛ وللصبر عليها ؛
ومن انتهى صبره ، فإن كان لمذركجنون - فهو كذلك ، أو لنحو جزع لم يحصل له من دينك
الثوابين شيء .

قال الشهاب : وما قاله القرافي ليس بشيء أيضا ؛ فإنه قد قصد الدعاء بما هو حاصل لزيادته
أو تنبيه سامعه وغيره ، ولو قيل بمثله لم تجز الصلاة على النبي والدعاء له بالوسيلة والدرجات
الرفيعة ، وهي محققة له ، وقد أمرنا بالدعاء بها كما تقرر في محله .

وقال في رواية أبي سعيد^(١) : « ما يصيب المؤمن من نصيب^(٢) ولا وصب^(٣) ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطيائه » .

وفي حديث ابن مسعود^(٤) : « ما من مسلم يصيبه أذى^(٥) إلا حات الله عنه خطيائه كما تحات ورق الشجر^(٦) » .

وحكمة أخرى^(٧) أودعها الله في الأمراض لأجسامهم ، وتماقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم ، لتضعف قوى نفوسهم ، فيسهل خروجها عند قبضهم ، وتخفف عليهم مؤنة النزاع ، وشدة السكرات^(٨) بتقدم المرض^(٩) ، وضعف الجسم والنفس لذلك .

وهذا خلاف موت الفجاءة وأخذه^(١٠) ، كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتي في الشدة واللين ، والصعوبة والسهولة . وقد قال صلى الله عليه وسلم^(١١) : « مثل

(١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٩٩٢

(٢) نصب : تعب يناله من سعيه في بعض أموره الجائزة له . وصب : أى وجع ، أولزومه ،

أو فتور في بدنه . (٣) رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٧ - ١٤٩

(٤) أذى : أمر يؤذيه في بدنه أو نفسه . (٥) حات : حث وأزال .

(٦) حكمة أخرى في ابتلاء الأنبياء بالأمراض والاصاب . أودعها الله : جعلها كالوديعة

في الأمراض التي تصيب أجسامهم دون بواطنهم وحواسهم .

(٧) مؤنة النزاع : إخراج الروح من البدن . وشدة السكرات : أى سكرات الموت ، وغمرات

شدائده وما يلحق الميت من القشى الشبيه بالسكر في غيبة الحس .

(٨) بتقدم المرض على الموت والاحتضار . أو بشدة المرض .

(٩) موت الفجاءة : الموت بفتنة من غير مرض ؛ وأخذه له دفعة واحدة ، لشدة قواه المانعة

عن تسليم الروح بسهولة .

(١٠) في حديث رواه الشيخان عن كعب بن مالك وجابر رضى الله عنهما : صحيح البخارى :

المؤمن مَثَلُ خَامَةِ [٢٣٨] الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ هَكَذَا وَهَكَذَا ^(١) .
 وفي رواية أبي هريرة ^(٢) عنه : « من حيثُ أُنْتَهِيَ الرِّيحُ تَكْفُوْهَا » ^(٣) ؛ فإذا
 سكنت اعتدلت ؛ وكذلك المؤمنُ يُكْفَأُ ^(٤) بالبلاء . ومَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ
 الْأَرْزَةِ ^(٥) صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَنْقُصِمَهُ اللَّهُ ^(٦) .
 معناه أن المؤمنَ مُرْزَأٌ ^(٧) ، مُصَابٌ بِالْبَلَاءِ وَالْأَمْرَاضِ ، رَاضٍ بِتَصْرِيفِهِ ^(٨) بين
 أقدار الله تعالى ، مُنْطَاعٌ ^(٩) ، لذلك ، إِيْن الجانبِ بِرِضَاهِ وَقَلَّةِ سَخَطِهِ ، كَطَاعَةِ خَامَةِ
 الزَّرْعِ وَانْقِيَادِهَا لِلرِّيحِ ، وَتَمَاطِيلِهَا لِهَوِيَّهَا وَتَرْخِيحِهَا ^(١٠) من حيث ما أُنْتَهِيَ ؛ فإذا أَرَاَحَ
 اللَّهُ عن المؤمنِ رِيَّاحَ الْبَلَاءِ ، وَاعْتَدَلَ صَحِيحاً كَمَا اعْتَدَلَتْ خَامَةُ الزَّرْعِ عِنْدَ سَكُونِ
 رِيَّاحِ الْجَوِّ رَجَعَ إِلَى شُكْرِ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ بِرَفْعِ بَلَائِهِ ، مُنْتَظِراً رَحْمَتَهُ
 وَثَوَابَهُ عَلَيْهِ ^(١١) .

-
- (١) الحامة : العود اللين الذي ليس بنليظ ، والقصبه الطرية . تفيئها الريح : تميلها .
 (٢) في صحيح مسلم : صحيح مسلم : ٢١٦٣
 (٣) تكفوها ؛ المراد تميلها . تمدلت : انتصبت لأنها لا تنكسر للينها وعدم غلظها .
 (٤) يكفأ : ينقلب من صحته لمرضه كثيراً ثم يبرأ .
 (٥) الأرزة : شجرة الأرز المعروف ، وقيل : هو الصنوبر . صماء : صعبة شديدة اليبس
 والقوة . معتدلة : قائمة ، منتصبه لا تميل لغلظها وبيسها .
 (٦) حتى يقصمه الله : يأخذه بفتة من غير تقدم بلاء .
 (٧) مرزأ : لا تزال تصيبه الرزايا .
 (٨) بتصرفه : بتغيير أحواله . أو بتصرف الله فيه وله ، وتقلبه بين أقدار الله التي
 قدرها عليه من صحة ومرض وغيره .
 (٩) منطاع لذلك : منقاد مذعن مطيع مسلم .
 (١٠) وترخحها : وتماتيلها .
 (١١) وثوابه عليه ؛ أى على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره .

فإذا كان بهذه السبيل^(١) لم يصعبُ عليه مَرَضُ الموتِ ، ولا نزولُهُ ، ولا اشتدَّتْ عليه سكراته ونزعه^(٢) ، لعادتهِ بما تقدَّم من الآلامِ ومعرفةِ ماله فيها من الأجرِ ، وتوطُّينه نفسه على المصائبِ ورقَّتها^(٣) وضعفها بتوالي المرضِ أو شدَّته ؛ والكافِرُ بخلاف هذا : مُعاني في غالبِ حاله ، مُمتنعٌ بصحةِ جسْمه ، كالأرززةِ الصماءِ^(٤) ، حتى إذا أراد الله هلاكه قصَّمه لحينه على^(٥) غرَّةٍ ، وأخذهُ بفتنةٍ من غيرِ لُطفٍ ولا رِفقٍ^(٦) ؛ فكان موتهُ أشدَّ عليه حسرةً^(٧) ، ومقاساةُ نزعه مع قوَّةِ نفسه وصحةِ جسْمه أشدَّ ألماً وعذاباً ، ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ ، كانبجافِ الأرززةِ^(٨) . وكما قال تعالى^(٩) : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بَقْعَةً مِّنَ الْأَرْضِ فَاصْبَأْ بِهَا رُءُوسَهُمْ فَأَشْجَتْهُمُ الْغُلَّةُ ﴾ .

وكذلك عادةُ الله تعالى في أعدائه ، كما قال تعالى^(١٠) : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾^(١١) ، ومنهم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ^(١٢) ، ومنهم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، ومنهم مَّنْ أَغْرَقْنَا . . . ؛ ففجأً جميعهم بالموتِ على حالِ عتُوٍّ^(١٣) وغفلةٍ ، وصبتهم به على غيرِ استعدادٍ بفتنةٍ ؛ ولهذا ما كرهَ السَّافُ مَوْتَ الفجاءةِ^(١٤) .

(١) فإذا كان للؤمن بهذه السبيل ، وطى هذه الحالة ، من إصابته بالبلايا والأمراض .

(٢) ونزعه : نزع الروح منه عند موته لضعف قوة نفسه الدافعة له .

(٣) ورقَّتها : ورقة نفسه وضعفها .

(٤) أى القوية غير المحوفة .

(٥) على غرة : على غفلة .

(٦) بل بشدة وعنف .

(٧) وذلك لمدم تأهبه له .

(٨) انبجاف الأرززة : قلمها بشدة .

(٩) سورة الأعراف ، آية ٩٥

(١٠) سورة التنبؤ ، آية ٤٠

(١١) الحاصب : ريح تاتي بالحصاء ؛ وهى الحصى . وهؤلاء هم قوم لوط .

(١٢) الصيحة : أصوات هائلة وصواعق أهلكتهم . وهؤلاء هم قوم صالح وشعيب .

(١٣) عتو : تكبر ، وتمرد ، وتجب من غير .

(١٤) لحيثه على غير استعداد له ، أو لأنه يجيئ من غير المرض المكفر للذنوب .

ومنه^(١) في حديث إبراهيم : كانوا يكرهون أخذَةَ كأخذَةِ الأسفِ : أى الغَضَب ؛ يريدُ موتَ النجاة .

وحكمة^(٢) نالته أن الأمراضَ نذيرُ المماتِ ، وبقدَرِ شدتها^(٣) شدةُ الخوفِ من نزولِ الموتِ ؛ فيستعدُّ مَنْ أصابته ، وعَلِمَ تعَاهُدها^(٤) له ، لِلقاءِ رَبِّه ، ويُعرِضُ عن دَارِ الدنيا الكثيرةِ الأنكادِ^(٥) ، ويكونُ قلبُهُ معلقاً بالمعادِ^(٦) ، فينصَلُ مِنْ كُلِّ ما يَخْشَى تَبَاعُثَهُ^(٧) مِنْ قَبْلِ اللَّهِ ، وَقَبْلِ الْعِبَادِ^(٨) ، وَيُوَدِّى الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهَا ، وبنظرٍ فيما يحتاجُ إليه من وَصِيَّةٍ فيمن يَخْلُفُهُ أو أَمْرٍ يَعْهده^(٩) .

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفورُ له ما تَدْرَمَ وما تَأْخِرُ ، قد طلبَ التَّنْصِلَ^(١٠) في مَرَضِهِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مَالٌ أو حَقٌّ فِي بَدَنِ ، وَأَقَادَ^(١١) مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ ،

-
- (١) ومنه : ومما ذكر عن السلف .
 (٢) حكمة نالته لمصائب الأنبياء والصالحين .
 (٣) وبقدر شدتها ؛ أى شدة الأمراض .
 (٤) تعاهدها له : مجيئها له مرة أخرى .
 (٥) الأنكاد : جمع نكد ، وهو ما يضر المرء ويسوءه .
 (٦) المعاد : الآخرة ، وما بعد الموت .
 (٧) تباعته : تبعته وما يترتب على هذا الأمر ويعقبه من المؤاخذات والضرر .
 (٨) من قبل الله ، أى حقوقه التى هى من جانبه . ومن قبل العباد ؛ أى حقوقهم ؛ فيخرج عن عهدها بأدائها لثلاث يماقب عليها .
 (٩) يعهده : يعرفه فيوصى به كالدين . أو يماهد ورمته عليه .
 (١٠) التنصل : التخلص والخروج من عهدة ما فى ذمته .
 (١١) أقاد من نفسه وماله : مكن من له حق فى بدنه من القود منه ، يفعل مثل ما فعل .

وأمكن من القصاص منه ، على ما ورد في حديث الفضل^(١) ، وحديث الوفاة^(٢) ، وأوصى بالثقلين بعده : كتاب الله ، وعثرته^(٣) ، وبالأنصار عينته^(٤) ؛ ودعا إلى كُتُب كتاب لثلاث تفضل أمته بعده ؛ إما في النص على الخلافة ، أو الله أعلم بمراده . ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا .

وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين .

وهذا كله يُجرّمه غالبا للكفار ، لإملاء^(٥) الله لهم ؛ ليزدادوا إثمًا ، وليستدرجهم^(٦)

(١) هو الفضل بن العباس رضى الله عنها ؛ من أنه صلى الله عليه وسلم ضرب أعرابيا بقضيب ؛ فلما خطب الناس وقال : من كان له على حق فليطلبه فقام الأعرابي وقال : يا رسول الله ، القصاص . . . فلما كشف له عن بطنه الشريف التزمه وقبله ، وقال : إنما أردت هذا ، وقد تقدم .

(٢) حديث الوفاة : فإنهم رووا فيه أنه صلى الله عليه وسلم استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق .

وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٥٩) : والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لآمته عليه ما يجب عليه التنصل منه ، ولو كان فهو مغفور له ؛ ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ، ورعاية للمؤمنين ، وهذه أعلى المراتب .

(٣) والمتره : الأقارب الأدنون ، وأهل البيت .

قال الخفاجي : وحديث الوصية رواه مسلم في صحيحه : ١٨٧٣ ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال : أيها الناس ، إنما أنا بشر مثلكم ، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه ، وإني تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فتمسكوا به - وحث على ذلك . ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي - ثلاثا .

(٤) العيبة : ما يجعل المرء فيه نقيس متاعه .

(٥) لإملاء الله لهم : لإمهاله لهم .

(٦) استدراجهم : تقريبهم من الهلاك درجة درجة . من حيث لا يعلمون ، لنفقتهم بعام مشغولون به من أمور الدنيا منهمكين في غيهم ، متقبلين في نعم الله الدنيوية التي توهموها استحقاقها ، وإنما هي لقطع معذرتهم ، ومزيد عذابهم بالكفر وكفران النعم ، حتى يأخذهم بشتة على غرة .

من حيث لا يعلمون ؛ قال الله تعالى ^(١) : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يُسْتَطَاعُونَ ﴾ [٢٣٩] توصية ولا إلى أهلهم يَرْجِعُونَ .
ولذلك ^(٢) قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة ^(٣) : « سبحان الله ! كأنه على غضبٍ ، المحروم ^(٤) مِنْ حُرْمٍ وصيته » .
وقال ^(٥) : « موتُ النُّجاةِ راحةٌ للمؤمن ، وأخذةٌ أَسْفٍ للكافر والفاجر ^(٦) » ؛ وذلك لأن الموتَ يأتي المؤمنَ ، وهو غالباً مستعدُّ له مُنْتَظِرٌ لخلوله ؛ فهان أمرُهُ عليه كيفما جاء ، وأفصى ^(٧) إلى راحته مِنْ نَصَبٍ ^(٨) الدنيا وأذاها ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم ^(٩) : مستريحٌ ومُسْتَرَحٌ منه . وتأتي السَّكَاةَ والفاجرَ منيته على غير استعدادٍ ولا أهبةٍ ولا مقدماتٍ مُنْذِرَةٍ مُزْجِجَةٍ ^(١٠) ؛ بل تأتيهم بغتةً فَتَهْتَمُّ ^(١١) ، فلا يستطيعون ردّها ولا هم يُنْظَرُونَ ^(١٢) ؛ فكان الموتُ أشدَّ شيءً عليه .

(١) سورة يس ، آية ٤٩ ، ٥٠

والصيحة : النفخة الأولى من العور . والأخذ : الإهلاك بغتة . وهم يَخِصِّمُونَ : يختصمون في معاملاتهم .

(٢) ولذلك : ولكون عادة الأتقياء التنصل من الحقوق والوصية عند الموت .

(٣) في حديث روى عن أنس .

(٤) سبحان الله : تعجب . كأنه على غضب : كأنه مات على غضب من الله . ثم أشار إلى

أن المراد بالغضب عليه أنه محروم من الثواب ، ولطف العزيز الوهاب ، فقال : المحروم . . .

(٥) في حديث رواه أحمد عن عائشة (٦) في نسيم الرياض : المراد بالناجر المنافق .

(٧) أفصى : أوصل . (٨) نصب : تعب .

(٩) في حديث رواه الشيخان في جنازة مرت به ، فقال — تقسيماً للموتى عند موتهم :

منهم مستريح من أذى الدنيا ولعنها ، ومنهم من هو مستراح منه ؛ أي يستريح من ظلمه وأذاه

العباد والبلاد صحيح مسلم : ٦٥٦ (١٠) مزعجة : مقلقة محرّكة على تدارك ما يلزمه .

(١١) تهتهم : تدهشهم ، وتذهب عقولهم لحيرتهم .

(١٢) ولا هم ينظرون : لا يجهلون بعد مجيئها ، ولا يؤخرون ساعة .

وفراق الدنيا أفظعُ أمرٍ صدمه^(١) ، وأكروهُ شيءٌ له ؛ وإلى هذا المعنى أشار
صلى الله عليه وسلم بقوله^(٢) : « مَنْ أَحَبَّ لِمَاءِ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ
لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

(١) صدمه : أصابه بشدة وهو غافل عنه .

(٢) في حديث رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت : صحيح مسلم : ٢٠٦٥ ؛

٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧

القِسْمُ الرَّابِعُ

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبّه^(١) عليه الصلاة والسلام

قال القاضي أبو الفضل^(٢) رضى الله عنه : قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يمتنع له من برٍّ وتوقير^(٣) ، ونعظيم وإكرام ؛ وبحسب هذا حرّم الله تعالى أذاه في كتابه ، وأجمت الأمة على قتل مُتَنَقِّصِهِ من المسلمين وسابّه^(٤) ؛ قال الله تعالى^(٥) :

(١) المراد بيان وجوها ، وسبب الاختلاف فيها الذى أوجب تغييرها من قول لآخر .
فيمن تنقصه : بذكر ما فيه تحقير له ، وغض من على مقامه .
(٢) هو المصنف . وفي ب : رحمه الله .

(٣) بر : إحسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم . وتوقير : تعظيم وتبجيل .
(٤) في نسيم الرياض (٤ — ٣٦٢) : وقد قيل : إن في دعواه الإجماع في السلم نظر ؛ لأن مذهب الشافعى أن من تنقصه صلى الله عليه وسلم ، بغير قذف من المسلمين ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام — يستتاب ؛ فإن تاب لم يقتل ؛ ومن قذفه فيه خلاف أيضا ؛ فقيل : يقتل لأن حد قاذف الأنبياء القتل ، فلا يستتاب . وقيل : إن تاب فورا وأسلم بعد الردة فيحد حد القذف ، ولا يقتل ، كما حكى عن كثير منهم .

فلا ينبغي دعوى الإجماع فيه ، إلا أن يريد إجماع أهل مذهبه من المالكية ، أو عدم الاعتداد بالخالف فيه .

وأقول : إن مراده الإجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره وردته ؛ فإن تاب وقبّلت توبته خرج عما استوجب الإجماع . ولو صرح به كان أظهر ؛ إلا أن هذه العبارة عبر بها السلف كلهم ، كما نقله السبكي في كتابه « السيف السلولى على من سب الرسول » ، وأشار إلى أن الإجماع على كفره وردته الموجبة لقتله إجماعا وإن عرض ما يمنعه بعده .

وقال : إنه لم يخالفه فيه أحد إلا ابن حزم القائل بعدم كفر من استغف به صلى الله عليه وسلم ، ولم يتبعه أحد عليه ؛ ولا عبرة به .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١) لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ .

وقال تعالى^(٢) : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٣)﴾ .
وقال الله تعالى^(٤) : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ^(٥) أَبَدًا ، إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا^(٦)﴾ .
وقال تعالى في تحريم التعريض به^(٧) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا^(٨) وَقُولُوا انظُرْنَا واسمعوا ولِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وذلك أَنَّ اليهودَ كانوا يقولون : رَاعِنَا يا محمد؛ أَى أُرْعِنَا سَمْعَكَ ، واسْمَعْ مِنَّا ، ويمِرُّ ضُوءٌ بِالْكَلِمَةِ ، يريدون الرُّعُونَة^(٩) ؛ فَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ^(١٠) ،

(١) قرن أذيته صلى الله عليه وسلم بأذيته تعالى ، للدلالة على أن من آذى رسول الله فقد آذى الله .

قال الحفاجى : فما قيل من أنه لا يدل على مدعاه من الإجماع كلام نشأ من عدم العلم بمراده .

(٢) سورة التوبة ، آية ٦١

(٣) لهم عذاب أليم : يعنى فى الدنيا بالقتل ، وفى الآخرة بخلود العذاب .

(٤) سورة الاحزاب ، آية ٥٣

(٥) خرمتم عليهم مؤبدة ؛ لأنهم أمهات المؤمنين .

(٦) كان عند الله عظيمًا ، لقبحه ومنعه شرعا ، واستحقاق فاعله الحزى فى الدنيا والآخرة .

(٧) سورة البقرة ، آية ١٠٤ . ويريد بالتعريض له الإيهام والتورية بما يؤم ذلك من غير

تصريح به .

(٨) أى ارفع جانبنا بتوجهك إلينا ، وألق سمعك نحونا .

(٩) أى يقصدون بها الرعونة ، وهى خفة العقل .

(١٠) التشبيه بهم : بقولهم مثل مقالتهم له . فأمرُوا بأن يقولوا ما يؤدى معناها من غير

إيهام ؛ وهو أنظرنا ، واسمع منا .

وقَطَعَ الذريعة بَنَى المؤمنين عنها^(١) ، لئلا يتوصلَ بها الكافِرُ والمُنافِقُ إلى سَبِّهِ والاستهزاء به .

وقيل : بل لما فيها من مُشَارَكَةٍ^(٢) اللفظ ؛ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت^(٣) .

وقيل : بل لما فيها من قَلَّةِ الأدب ، وعدمِ توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ؛ لأنها في لغة الأنصار بمعنى اِزْعَنَّا نَزْعَكَ^(٤) ؛ فنهوا عن ذلك ؛ إِذْ مُضْمَنُهُ أَنَّهُمْ لَا يَزْعَوْنَهُ إِلَّا بِرَعَايَتِهِ^(٥) لهم ، وهو - صلى الله عليه وسلم - واجبُ الرعاية بكل حال ؛ وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التَّكْنِي بِكُنْيَتِهِ^(٦) ، فقال : تَسَمَّوْا بِأَسْمِي ، وَلَا تَكْنُبُوا بِكُنْيَتِي ؛ صِيَانَةٌ لِنَفْسِهِ^(٧) ، وحماية^(٨) عن أذاه ؛ إِذْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَجَابَ لِرَجُلٍ نَادَى : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؛ فقال : لَمْ أُعْنِكَ^(٩) ، إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا ؛ فَنهى حينئذٍ عن التَّكْنِي بِكُنْيَتِهِ لئلا يتأذى بإجابة دَعْوَةٍ غَيْرِهِ لِمَنْ لَمْ يَدْعُهُ ، وَيَجِدَ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُسْتَهْزِئُونَ ذَرِيعةً^(١٠) إلى أذاهُ والإِزْراءِ به^(١١) ؛

(١) بنى المؤمنين عنها : عن هذه الكلمة الموهمة . وقطع الذريعة : سد بابها بهذا النهي . والذريعة : هي الوسيلة للوصول لأمر غير محمود .

(٢) مشاركة اللفظ ؛ أى كونه مشتركاً بين معنيين .

(٣) دعاء عليه . قال الراغب : كان ذلك قولاً يقولونه للنبي على سبيل التهمك ، يقصدون به وصفه بالرعونة ، ويوهمون أنهم يقولون : راعنا ؛ أى احفظنا .

(٤) أى إن راعيتنا راعيناك ، لأنها صيغة مفاعلة من الجانبين . وسوء الأدب فيها ظاهر .

(٥) مضمنه : مدلوله عندهم أنهم لا يرعون ويحفظون حقه . . .

(٦) الكنية : ما صدرت بأب أو أم . واللقب : ما أشعر بمدح أو ذم .

(٧) صيانة لنفسه عن أن يشاركه غيره في كنيته النوهة برفعة قدره .

والحديث في سنن الترمذى ٢ - ١٣٦ ، وصحيح مسلم : ١٦٨٢

(٨) وحماية عن أذاه : وحفظاً من أن يؤذيه غيره .

(٩) لم أعنك : لم أقصدك بندائى هذا .

(١٠) ذريعة : وسيلة وطريقاً . (١١) الإِزْراءُ به : الاستخفاف به .

فينادونه ، فإذا التفت قالوا : إنما أردنا هذا - لسواه - تعنيته له ، واستخفاها بحقه ^(١) على عادة المجان ^(٢) والمستهزئين ، فحمى صلى الله عليه وسلم حتى أذاه [٢٤٠] بكل وجه ^(٣) ؛ فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته ، وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة .

وللناس في هذا الحديث ^(٤) مذاهب ليس هذا موضعها ؛ وما ذكرناه هو مذهب الجمهور ، والصواب إن شاء الله . وإن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره ، وعلى سبيل النذب والاستحباب ، لا على التحريم ؛ ولذلك لم ينه عن اسمه ؛ لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله ^(٥) : ﴿ لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ ؛ وإنما كان المسلمون يدعونه برسول الله ، وبنبي الله ، وقد يدعوه - بكُنيتيه أبا القاسم - بعضهم في بعض الأحوال ^(٦) .

وقد روى ^(٧) أنس رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ما يدل على كراهة

(١) تعنيته له : إيقاعه في الغت : وهو الأمر الشاق . واستخفاها بحقه : تهاونا وتحقيرا بالمدول عن توقيره .

(٢) المجان : جمع ماجن ، من المجون ، وهو الهزل والسخرية .

(٣) حمى حمى أذاه : منع منه منعا تاما بكل وجه يفضى إليه .

(٤) يعني حديث : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي . وقد سبق تخريجه صفحة ٩٢٨

(٥) سورة النور ، آية ٦٣ ، أي كما ينادي أحدكم غيره باسمه .

ومنع من ندائه به لما فيه من ترك الأدب .

(٦) قال في نسيم الرياض : نقل عن الشافعي أنه حرم نداؤه صلى الله عليه وسلم بكُنيتيه ،

كما حرم نداؤه باسمه ؛ فسوى بينهما ، لدخولهما تحت قوله تعالى : لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ؛ لأنهم كانوا يتداعون بينهم بالكنى .

(٧) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، وحسنه . وقال الحافظ ابن حجر :

إنه حديث ضعيف ، ولا دليل فيه على كراهة مطلقا .

التسمي بأسمائه ، وتنزيهه^(١) عن ذلك ؛ إذا لم يوقر ، فقال : تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم .

وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة : لا يسمي أحدٌ باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه أبو جعفر الطبري^(٢) .

[وحكى محمد بن سعد أنه^(٣) نظر إلى رجل اسمه محمد ، ورجل يسميه ويقول له : فعل الله بك يا محمد وصنع . فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب : لا أرى محمداً صلى الله عليه وسلم يسم بك ؛ والله لا تدعى محمداً ما دمت حياً ؛ وسماه عبد الرحمن ؛ وأراد أن يمنع أن يسمي أحدٌ بأسماء الأنبياء إكراماً لهم بذلك^(٤) ، وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء ، ثم أمسك^(٥) .

والصواب جواز هذا كله بعدّه صلى الله عليه وسلم ، بدليل إطباق الصحابة على ذلك .

وقد سمى جماعة منهم ابنته محمداً ، وكناه بأبي القاسم^(٦) .

(١) وتنزيهه : تبعيد اسمه .

(٢) قال في نسيم الرياض : إلا أنه رجيع عنه لما روى له ما يأتي ، من أنه صلى الله عليه وسلم سمى ابن أبي طلحة محمداً وغيره ؛ فقال : لا سبيل إليكم - يعني في المنع .

وروى سعيد بن المسيب : أحب الأسماء إلى الله تعالى أسماء الأنبياء ، قال : وإنما كرهه عمر ، لثلاث سبب المسمى به .

(٣) أنه : أي عمر .

(٤) بذلك ؛ أي بمنع التسمية بأسمائهم لثلاث سببوا بما يوم ذلك .

(٥) في هامش ١ : صح ، من الأم بخطه من غير الرواية وهو في ب في هامشه . وبجانبه : هذا العلم عليه من الأم ، وليس من الرواية .

(٦) جمع بين الاسم والكنية ، ولم ينكره أحد منهم ، مع كثرة الصحابة إذ ذاك ؛ فهذا كله يدل على أنه غير ممتنع شرعاً .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ فِي ذَلِكَ لَعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) .
وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته^(٢) .
[وقد سَمِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ، ومحمد بن عمرو بن حزم ،
ومحمد بن ثابت بن قيس ، وغير واحد ؛ وقال : ما ضَرَّ أَحَدَ كَم أن يكونَ في بيته
محمدٌ ومحمدان وثلاثة^(٣)] .
وقد فصلتُ الكلامَ في هذا القسم على بابين كما قدمناه :

(١) في حديث رواه أبو داود، والترمذي عن طي رضى الله عنه . في ذلك : في الجمع بين الاسم
والكنية ، وذلك أنه قال له : يا رسول الله ، إن ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه
بكنيتك ؟ فقال له : نعم . (سنن الترمذي : ٥ — ١٣٧) . فهذا دليل على أن المنع مخصوص
بزمانه صلى الله عليه وسلم .
قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه أصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان ،
إلا أنه قال : حفظته عن مشايخي أنه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلي رضى الله عنه :
سيولد لك ولد بعدى ، وقد نحاته اسمي وكنيتي ، ولا يحل لأحد من أمقي بعده .
فعل هذا لا شاهد فيه ، إلا أن كبار الصحابة كأبي بكر ، وابن عوف ، فعلوا ذلك ،
وناهيك به حجة .

(٢) وهذا في حديث رواه أبو سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يصيب هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلاً من
عترتي - وفي رواية : من أهل بيتي يوافق - اسمه اسمي . واسم أبيه اسم أبي ، وكنيته كنيتي ،
فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ويكثر المطر والنبات ، ويعيش سبع سنين أو ثمان أو تسع .
قال الخفاجي : والشاهد فيما ذكر أنه لو لم يكن جائزاً بعده لما أخبر به الرسول صلى الله
عليه وسلم ، وتسمى به من هو أصلح الناس وأعلمهم وأعد لهم في عصره .

(٣) ما بين القوسين ليس في ١ . وهو في هامش ب ، وكتب بجانبه : هذا العلم عليه من
الأم بخطه ، وليس من الرواية .

البَابُ الْأَوَّلُ

في بيان ما هو - في حقِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَبٌّ ، أو نَقْصٌ ،
من تعريض أو نصٍّ ^(١)

اعْلَمْ - وَقَفْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنْ جَمِيعَ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ عَابَهُ ،
أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ دِينِهِ ^(٢) ، أَوْ خَصَلَةً مِنْ خِصَالِهِ ، أَوْ عَرَضَ
بِهِ ^(٣) ، أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَهُ ، أَوْ الْإِزْرَاءِ ^(٤) عَلَيْهِ ، أَوْ التَّصْفِيرِ لِشَأْنِهِ ،
أَوْ الْغَضِّ مِنْهُ ، وَالْعَيْبِ لَهُ ؛ فَهُوَ سَابٌّ لَهُ ؛ وَالْحُكْمُ فِيهِ حُكْمُ السَّابِّ ، يُقْتَلُ كَمَا يُدَيَّنُهُ ؛
وَلَا نَسْتَنْتِهِ فُضْلًا مِنْ فُضُولٍ ^(٥) هَذَا الْبَابُ عَلَى هَذَا الْقَصْدِ ، وَلَا نَمْتَرِي فِيهِ تَصْرِيحًا
كَانَ أَوْ تَلْوِيحًا ^(٦) .

وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ ، أَوْ تَمَنَّى مُضَرَّةً لَهُ ، أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ
بِمَنْصِبِهِ ^(٧) عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ ، أَوْ عَيْبٍ ^(٨) فِي جِهَتِهِ الْعَزِيزَةِ بِسُخْفٍ مِنَ الْكَلَامِ
وَهَجْرٍ ^(٩) ، وَمُنْكَرٍ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٍ ، أَوْ عَيْرَةٍ ^(١٠) بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمِخْفَةِ
عَلَيْهِ ، أَوْ غَمَصَهُ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَائِزَةِ وَالْمَعْهُودَةِ ^(١١) لَدَيْهِ .

(١) من تعريض : بطريق السكناية والإيماء . أو نص : أى صريح لا يحتمل التأويل .

(٢) أو دينه : أو نقص شريعته .

(٣) أو عرض به : قال فى حقّه ما لا يليق به تعريضاً لا تصريحاً .

(٤) الإزراء عليه : التنقيص له . (٥) فصلاً : قسماً وصورة .

(٦) ولا نمتري فيه : لا نشك ولا نتردد . تصريحاً كان السب أو تلويحاً ، وكناية وتعريضاً .

(٧) بمنصبه : بأصله وحسبه .

(٨) أو عيب : أو قاله على طريق الهزل والمجون . فى جهته العريضة : أى بشيء له تعلق

بجانبه الشريف . (٩) هجر : فحش وقبيح .

(١٠) عيرة : نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار عليه .

(١١) غمصه : نقص من قدره . العوارض البشرىة الجائزة عليه كالأفراض ونحوها .

والمعهودة لديه ؛ أى المعتادة بينه وبين سائر الأنبياء عليهم السلام .

وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا^(١).

وقال أبو بكر بن المنذر^(٢) : أجمع عوام^(٣) أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يُقتل ؛ وممن قال ذلك مالك بن أنس ، والليث ، وأحمد ، وإسحاق ؛ وهو مذهب الشافعي .

قال القاضي أبو الفضل^(٤) : وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولا تُقيلُ توبته عند هؤلاء المذكورين .

ومثله قال أبو حنيفة ، وأصحابه ؛ والثوري^(٥) وأهل الكوفة ، والأوزاعي^(٦) في المسلم ، لكنهم قالوا : هي ردة^(٧).

روى مثله الوليد بن مسلم عن مالك .

وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه^(٨) صلى الله عليه وسلم ، أو برى منه أو كذبه .

(١) إلى هلم جرا : إلى آخر الزمان . (٢) هو محمد إبراهيم النيسابوري .

(٣) عوام أهل العلم : عوام : جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة ؛ وليس المراد العامي ؛ فإنه غير صحيح ، إذ لا عبرة بهم وإجماعهم ، والعامي لا يكون أهل علم .

(٤) هو المؤلف .

(٥) الثوري : سفيان بن سعيد الكوفي الفقيه سيد أهل عصره في الحديث والتقوى ، لم ير أحفظ منه ، ولا أجل وهو منسوب لثور ، وهي قبيلة ، توفي سنة إحدى وستين ومائة .

(٦) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو ، الإمام الجليل في الحديث والفقه ، والزهد والعبادة ، ونسبته للأوزاع ، لقب لأبي بطن من همدان .

(٧) هي ردة : أي يرتد صاحبها ، ويكفر بسبه ، وطى هذا يستتاب كالمرتد . وقيل : إنه يعمل ثلاثة أيام ، ونقل هذا عن عمر رضي الله عنه . وإذا قتل يضرب .

وقال الماوردي : يضرب بالحطب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين .

(٨) تنقصه : نسب له نقصا دون السب .

وقال سَحْنُونُ ^(١) فيمن سبّه : ذلك رِدَّةٌ كَالزُّنْدَقَةِ ^(٢) .

وعلى هذا وقع الخلافُ في استِتابته وتكفيره ^(٣) ؛ وهل قَتَلَهُ حَدٌّ أَوْ كُفْرٌ ^(٤) ، كما سُنِّيَتْهُ في الباب الثاني إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا فِي اسْتِباحَةِ دَمِهِ ^(٥) بين علماء الأَمْصارِ وسَلَفِ الأُمَّةِ ^(٦) ؛ وقد ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ الإِجماعَ على قَتْلِهِ وتكفيره ، وَأشارَ بِمَضِ الظَّاهِرَةِ ^(٧) - وهو أَبُو مُحَمَّدٍ ^(٨) عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْفَارِسِيُّ إِلَى الخلافِ في تَكْفِيرِ المُسْتَخْفِ بِهِ ^(٩) .

والمَعْرُوفُ مَا قَدَّمَناه ؛ قال مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ : أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ شَاتِمَ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) هو عبد السلام بن عهد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، أبو سعيد ، الفقيه المالكي ، غلب عليه لقبه ، اجتمع فيه من الحِصَالِ ما لم يجتمع في غيره من الفقه والورع ، والزهد ، والسباحة . ولد في رمضان سنة ستين أو إحدى وستين ومائة ، وتوفي سنة أربعين ومائتين ، وهو ابن ثمانين سنة .

(٢) الزندقة : الزنديق : من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية . أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان (القاموس) .

قال في نسيم الرياض :

والفرق بين هذا القول وبين القول بأنه ردة عند أبي حنيفة أنه يؤخذ منه الجزية لأنه تقبل توبته قبل الأخذ . وعند الشافعي فيه قولان ، فقبل تقبل توبته ، وقيل لا تقبل .

(٣) وتكفيره : أى الحكم بكفره .

(٤) هل قتلته حد ، لأنه لمن قذف الأنبياء وسبهم جزاء عليه كسائر الحدود ؛ أم كفر ،

لأنه يقتل المرتد برده . (٥) لاستحقاقه القتل بسبه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سلف الأمة : المتقدمون من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان .

(٧) الظاهرية : قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الأخذ بظاهر

الحديث والنصوص من غير تأويل .

(٨) هو الإمام العالم للبحر الحافظ للمروف بابن حزم . ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين

وثلاثمائة .

(٩) المستخف به : بتصغير شأنه ؛ أو بشيء متعلق به ، من غير سب صريح .

قال الخفاجي : وهو مردود عليه .

الله عليه وسلم المُنْقَصَ له كَافِرٌ . والوعيدُ جارٍ عليه بعذابِ الله ؛ وحُكْمُهُ عند الأَمة القَتْلُ ؛ وَمَنْ شَكَّ في كُفْرِهِ وعِذَابِهِ كَفَرَ ^(١) .

واحتجَّ إبراهيمُ بنُ حسين بن خالد الفقيه في مِثْلِ هذا بِقَتْلِ خَالِدِ بن الوليد مالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ لقوله - عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم : صاحبكم ^(٢) .

وقال أبو سليمان الخطَّابي ^(٣) : لا أعلمُ أحداً من المسلمين اختلف في وجوبِ قَتْلِهِ إذا كان مسلماً .

وقل ابنُ القاسم ^(٤) - عن مالك في كتاب ابنِ سجنون ، والمبسوط ،

(١) قال الخفاجي : لأن الرضا بالكفر كفر .

وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما صرح به من كفر الساب والشاك في كفره هو ما عليه أئمتنا وغيرهم ، لكنه عندنا كالمرتد ، فيسقط وجوباً فوراً ، فإن أصر قتل ولو امرأة ؛ فإن أسلم صح إسلامه وترك .

(٢) صاحبكم : يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بـ «صاحبكم» دون رسول الله ونجوه ، وإضافته لهم دونه للشعر بالتبري من صحبته صلى الله عليه وسلم واتباعه، واستـكافه .

ومالك بن نويرة هذا كان له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شجاعاً شاعراً سيداً مطاعاً في قومه بني تميم ، فولاه الرسول عليهم وعلى أخذ زكاتهم ، فتمنوها بعده صلى الله عليه وسلم ، فأرسل أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لطلبها ، فقال له مالك ابن نويرة : أنا آتى الصلاة دون الزكاة . فقال له : لا تقبل إحداها بدون الأخرى . فقال : قد كان صاحبكم يقول ذلك . فقال خالد : أما تراه صاحباً لك ! لقد همت بضرب عنقك ، فقال مالك : أبذلك أمر صاحبك ؟ فقال له : أهذه بعد تلك ! ينكر عليه خالد تكذيب قوله : صاحبكم بعد ما أوعده عليه ، ثم أمر ضرار بن الأزور فضرب عنقه لإنكاره قوله : صاحبكم مرتين استصناراً له صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو حميد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، إمام جليل ، له تصانيف جليلة ، كعالم السنن وغيره توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

(٤) ابن القاسم : الإمام عبد الرحمن المصري ، صاحب الإمام مالك رضى الله عنه .

وَالْمُتَّبِعِيَّةُ^(١)؛ وَحَكَاهُ هُطَارُفٌ^(٢) عَنْ مَالِكٍ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ ، وَلَمْ يُسْتَتَبَ .
 قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْمُتَّبِعِيَّةِ : مَنْ سَبَّهُ أَوْ شَتَّمَهُ أَوْ عَابَهُ أَوْ تَنَقَّصَهُ^(٣) فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ، وَحُكْمُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْقَتْلُ كَالزُّنْدِيقِ .
 وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْقِيرَهُ وَرَبَّهُ^(٤) . وَفِي الْمَبْسُوطِ - عَنْ عُثْمَانَ بْنِ كِنَانَةَ^(٥) :
 مَنْ شَتَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ أَوْ صُلِبَ حَيًّا وَلَمْ يُسْتَتَبَ^(٦) .
 وَالْإِمَامُ مُحَيَّرٌ فِي صَلَاحِهِ حَيًّا أَوْ قَتْلِهِ^(٧) .
 وَمِنْ رَوَايَةِ أَبِي الْمُضْعَبِ^(٨) ، وَابْنِ أَبِي أُوَيْسٍ^(٩) : سَمِعْنَا مَالِكًَا يَقُولُ : مَنْ

(١) المتبعية : اسم كتاب منسوب إلى محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن عتبة الأموي القرطبي الفقيه، أحد أعلام أئمة الأندلس .

(٢) مطرف ابن أخت الإمام مالك .

(٣) قال الخفاجي : المراد بالسب ذكر ما فيه تحقير له من الأمور الذميمة . وشتمه : نسبة ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم في ذاته مما لا يحقره ؛ ككونه جبارا قهارا . وتنقصه : أي ينسب له نقصا ، وإن لم يكن شتا ؛ كقوله : غيره أعلم منه أو أعقل .

(٤) توقيره : تعظيمه . وربه : رعاية حقه الواجب على أمته ؛ فمن خالف ما فرض الله تعالى عليه مما علم من الدين بالضرورة كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته .

(٥) عثمان بن كنانة : من أئمة المالكية، له كتاب اسمه للمبسوط . توفي سنة ست وثمانين ومائة ، وهو أحد الرواة عن مالك .

(٦) يصاب حيا على جذع إلى أن يموت شهيرا به . ولم يستتب : أي لم تقبل توبته .

(٧) أو قتله بضرب عنقه .

(٨) أبو مصعب : أحمد بن أبي بكر ، أبو مصعب الزهري ، قاضي المدينة وعالمها الثقة المحدث ، روى عن مالك وغيره ، توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وله ترجمة في ميزان الاعتدال (١ - ٨٤) .

(٩) ابن أبي أويس : إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ابن أخت مالك .

سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقصه - قُتِلَ مُسْلِمًا كان أو كافرًا ، ولا يُسْتَنْتَابُ ^(١) .

وفي كتاب محمد ^(٢) : أخبرنا أصحاب مالك أنه قال : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غيره من النبيين مِنْ مُسْلِمٍ أو كافرٍ قُتِلَ ولم يُسْتَنْتَبْ .

وقال أصْبَغُ ^(٣) : يُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْرًا ذَلِكَ أو أَظْهَرُهُ ؛ وَلَا يُسْتَنْتَابُ ؛ لِأَنَّ تَوْبَتَهُ لَا تَعْرِفُ ^(٤) .

وقال عبدُ الله بنُ الحَكَمِ ^(٥) : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُسْلِمٍ أو كافرٍ قُتِلَ ولم يُسْتَنْتَبْ .

وحكى الطبريُّ مثله عن أشهب ^(٦) ، عن مالك .

وروى ابنُ وَهْبٍ ^(٧) ، عن مالك : مَنْ قَالَ : إِنَّ رِذَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) لا يستتاب ، لأنه حد لا يسقط بالتوبة عنده .

وقيل قوله : ولا يستتاب قيد للمسلم ؛ أما الكافر إذا تاب وتوبته إسلامه ، فتقبل توبته ولا يقتل ؛ لأن الإسلام يجب ما قبله ، قال تعالى : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ .

(٢) هو محمد بن إبراهيم المعروف بابن اللواز ، من أئمة المالكية للشوهرين .

(٣) هو أصْبَغُ بنُ الفرج الطائى الأندلسى المالكي مفتي قرطبة ، الإمام المعروف ، توفى

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

(٤) لا تعرف هل هي كائنة بإخلاص ، أو هي تقية لحوف القتل .

(٥) هو فقيه مصرى ، ثقة ، يروى عن مالك ، والليث وغيرهما ، توفى سنة أربع عشرة

ومائتين .

(٦) أشهب : هو عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، أبو عمرو والمبسى العامرى للمصرى الفقيه .

وأشهب لقبه . روى عن مالك والليث وغيرهما ، وهو ثقة ، توفى سنة أربع ومائتين .

(٧) ابن وهب : هو أبو محمد وهب بن مسلم الفهرى للمصرى أحد الأعلام ، روى عن

مالك والليث والسفيانين ، وعن كثير ؛ وطلب للقضاء فاخفى ، وانقطع فى بيته ، وكان من

الزهد والعبادة وكثرة حفظ الحديث بمرتبة لم يبلغها غيره ، حتى بلغ حديثه ثمانين ألف حديث .

له تصانيف كثيرة جليلة ، توفى سنة سبع وتسعين ومائة .

ويروى زرّ النبي صلى الله عليه وسلم - وسيخ؛ أراد عيّبه - قُتِلَ^(١) .
وقال بعضُ علمائنا^(٢) : أجمع العلماء على أن مَنْ دَعَا على نبيٍّ من الأنبياء
بالويل^(٣) ، أو بشيء من المكروه - أنه يُقتل بلا استتابة^(٤) .
وأفتى أبو الحسن القاسبي^(٥) فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم : الحَمَلُ
يقيمُ أبي طالب^(٦) [٢٤٢] - بالقتل .
وأفتى أبو محمد^(٧) بن أبي زيد بقتل رجلٍ سمِعَ يوماً يتذاكرونَ صنّةَ النبيِّ

(١) أراد به عيبه ؛ أى قصد تنقصه والإضرار به قتل ، فإن لم يقصد ذلك لم يقتل .
وفي نسيم الرياض (٤ - ٣٧٦) : قال ابن حجر الهيتمي - بعد سياقه قول المصنف :
ويؤخذ منه أنه لو أطلق ذلك ، أو قصد الإخبار عن تواضعه صلى الله عليه وسلم لا يكفر ، وهو
ظاهر في إرادة التواضع ، وعتمل عند الإطلاق ؛ لأنه ليس صريحاً في النقص . وإذا قلنا بعدم
الكفر فظاهر أنه يعزّر التمييز البايغ لذكره ما يوم نقصا .
واختلفوا فيما لو قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الظفر . والذى يظهر أنه لو قال
ذلك احتقاراً له صلى الله عليه وسلم ، أو استهزاء به ، أو على جهة نسبة للنقص إليه كفر ، وإلا فلا ؛
بل يعزّر التمييز الشديد ، - (٢) بعض علمائنا من المالكية .
(٣) بالويل : فقال : ويل له : وهى كلمة يدعى بها ؛ ومعناها الهلاك أو البلاء والمصيبة
والمذاب والمشفقة .

(٤) بلا استتابة : لا تطلب توبته ولا تقبل .
(٥) هو أبو الحسن طي بن محمد بن خاف للمعافى القيروانى شيخ الحديث وفقه مالك ،
الزاهد العابد صاحب التصانيف الجليلة في الفقه والأصول ، توفي سنة ثلاث وأربعمائة .
(٦) الحال : وذلك لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشترى شيئاً من السوق حمّله
بنفسه ، فإذا لقيه أحد وأراد أن يحمله قال : رب المتاع أولى بحمله ، كأورد في كتب الحديث .
يقيم أبي طالب : لأنه ربه بعد موت أبيه وجده عبد المطلب .
بالقتل : لما فيه من الاستخفاف والتحقير ، وقصد قائله ذلك لقيام قرينة عليه .
(٧) أبو محمد بن أبي زيد : هو عبد الله القيروانى الذى انتهت إليه رئاسة مذهب مالك
بالمغرب ، ورحل إليه من الأقطار ، وكثر الآخذون عنه . وقال عنه المصنف : إنه حاز رئاسة
الدين والدنيا حتى سمي مالك الأصغر ، وتوفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

صلى الله عليه وسلم إذ مرَّ بهم رجلٌ قبيحُ الوجه واللحية ؛ فقال لهم : تريدون تعرفون صِفَتَهُ ؛ هي في صِفَةِ هذا المارِّ في خاتَمِهِ وحِيتِهِ . قال : ولا تُقبَلُ توبَتَهُ ^(١) .

وقد كَذَبَ - لعنَهُ اللهُ ؛ وليس يخرجُ من قلبِ سليمِ الإيمان .

وقال أحمد بن أبي سليمان ^(٢) صاحبُ سَخُنُون : مَنْ قال : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ أسودَّ يُقتَلُ ^(٣) .

وقال ^(٤) في رَجُلٍ قيل له : لا ، وحقُّ رسولِ ^(٥) الله . فقال : فعل اللهُ برسولِ الله كذا وكذا ^(٦) - وذكر كلاماً قبيحاً ؛ فقيل له : ما تقولُ يا عدُوَّ اللهِ ؟ فقال أشدُّ من كلامِهِ الأول ؛ ثم قال : إنما أردتُ برسولِ الله العَقْرَب . فقال ابنُ أبي سليمان للذي سأله ^(٧) : اشهدْ عليه وأنا شريكُكَ - يُريدُ في قَتْلِهِ وثوابَ ذلك .

قال حبيبُ بن الربيع : لأنَّ ادِّعاءَهُ التَّأْوِيلَ في لفظِ ^(٨) صُراح لا يُقبَلُ ؛ لأنَّهُ امتِهانٌ ؛ وهو غيرُ مُعَرَّزٍ ^(٩) لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا مُوقَّرٍ له ؛ فوجب إِبَاحَةُ دَمِهِ .

(١) لا تقبلُ توبَتَهُ : لِكُفْرِهِ وعَظَمِ جِرمِهِ . قال ابنُ حجر : ومذهبنا قاضٍ بذلك .

(٢) أحمد بن أبي سليمان : من علماء المالكية المعروفين عندهم .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٧٧) : لأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ من الحسنِ وبياضِ الوجهِ بصفةٍ لا تخفى ؛ فهذا القائل قد كَذَبَ وافترى ، ووصفه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ليس فيه ، إشعاراً بالتحقير .

(٤) وحقُّ رسولِ الله ؛ أى عظمتُهُ وجلالةُ قدرِهِ عندَ اللهِ ؛ وهو قسمٌ مؤكَّدٌ لما قبله .

(٥) كذا وكذا : كنايةٌ عن كلامٍ قبيحٍ وصفَ به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تركه لاستهجانِهِ .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٧٨) : وهذا مما لاشكَّ في مناهِ وإِنْكارِهِ مكابرةً ، لكنَّهُ لا يقبلُ من قائلِهِ ادِّعاءُهُ أَنَّهُ مراده ، لأنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يرادُ بِهِ إلا أحدُ الأنبياءِ عليهم الصلوة والسلام ، ولا يخطرُ غيرُهُ ببالِ أحدٍ ؛ فلذا لم يقبلُ تأويلُهُ .

(٦) للذي سأله ؛ مستفتياً عنه .

(٧) امتِهانٌ : ابتذالٌ وتحقيرٌ . غيرُ معرَّزٍ : غيرُ معظَّم .

(٨) صراح : صريحٌ .

وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عَشَّار^(١) ؛ قال لرجل : أَدُّ واشك^(٢) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال^(٣) : إِنْ سَأَلْتُ أَوْ جَعَلْتُ فَقَدْ جَهِلَ وَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْقَتْلِ^(٤) .

وأفتى فقهائنا الاندلس بقتل ابن حاتم المُتَفَقِّه الطَّلِيظِيَّ وَصَلَبَهُ بِمَا شُهِدَ عَلَيْهِ بِهِ مِنْ اسْتِخْفَافِهِ بِحَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم^(٦) ، وَخَتَنَ حَيْدَرَهُ^(٧) ، وَزَعَمَهُ أَنَّ زُهْدَهُ لَمْ يَكُنْ قَصْدًا ؛ وَلَوْ قَدَّرَ عَلَى الطَّيِّبَاتِ أَكْلَهَا^(٨) ، إِلَى أَشْبَاهِ لِهَذَا .

(١) من علماء المالكية . والعمشار : من يأخذ العشر .

(٢) أَدُّ واشك ؛ أى أعط ما طلب منك واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم منى ومن ظلمى لك . قال في نسيم الرياض (٤ — ٣٧٩) : ومثل هذا تحقير للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ كأنه يقول : لا قدرة له على دفعه ولو كان حيا موجودا الآن ؛ فلهذا أفتى فيه بوجوب القتل .

(٣) وقال له ؛ أى العشار لذلك الرجل ، ويحتمل أن يكون القاتل ابن عتاب ؛ فهو فتوى أخرى فيمن قال : إِنْ سَأَلْتُ

(٤) إِنْ سَأَلْتُ أَوْ جَهِلْتُ أَنَا أَمْرًا أَسْأَلُ عَنْهُ فَقَدْ جَهِلَ النَّبِيَّ بَعْضُ الْأُمُور ؛ لِأَنَّهُ عِلْمُ جَمِيعِ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ ، وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا لَمْ يَعْلَمْ ؛ فَافْتَقَ فِي هَذَا أَيْضًا بِالْقَتْلِ لِمَا فِيهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَسْوِيتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَإِسْنَادَهُ السُّؤَالَ وَالْجَهْلَ لَهُ . قال الحفاجي : قال ابن حجر : ومذهبنا قاض بذلك أيضا ، بل الذى يظهر أن مجرد قوله : أَدُّ واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقصد عدم المبالاة ، كفر أيضا .

(٥) من استخفافه بحق النبي ؛ أى بتسكاه بكلام يشمر بتحقيقه .

(٦) وتسميته ؛ أى تسمية ذلك للعمون النبي صلى الله عليه وسلم باليتيم ؛ أى قوله : إنه يتيم أبى طالب ، كما كان يقوله الكفرة استخفاضا به وإذراء .

قال في نسيم الرياض : ومثل هذا إذا سيق مشمرا بتحقيق كان كفرا ؛ فإن لم يشمر به جاز . (٧) الختن : كل قريب لامرأة ، والامة تطلقه على زوج البنت . وحيدرة لقب على بن أبى طالب .

(٨) قال في نسيم الرياض (٤ — ٣٨٠) : وهذا جهل منه بالله تعالى وقدرته وبالنبي صلى الله عليه وسلم وعزته ؛ ولو أراد صلى الله عليه وسلم أن تكون جبال مكة ذهبيا كانت ، وقد عرض عليه ذلك فأباه .

وأُفْتِيَ فقهاء القَيْرُوانِ وأصحابُ سَحَنونَ بَقَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الْفَزَارِيِّ ، وكان شاعراً مُتَفَنِّناً في كثير من العلوم ، وكان مِمَّنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْقَاضِي أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ طَالِبِ الْمَنَاطِرَةِ ^(١) ، فَرُفِعَتْ عَلَيْهِ ^(٢) أ.وَرُ مِنْكَرَةً من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبيِّنا صلى الله عليه وسلم ؛ فَأَحْضَرَ لَهُ الْقَاضِي ^(٣) يَحْيَى بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ^(٤) وَصَلَبِهِ ؛ فَطُعِنَ بِالسَّكِينِ ، وَصُلِبَ مِنْكَسَا ؛ ثُمَّ أُنْزِلَ وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ .

وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفِعَتْ خَشَبَتُهُ ^(٥) ، وزالت عنها الأيدي استدارت ، وحوَّلَتْهُ عَنِ التَّيْبِلَةِ ؛ فَكَانَ آيَةً لِلْجَمِيعِ ، وَكَبَّرَ النَّاسُ ، وَجَاءَ كَلْبٌ فَوَلَّغَ فِي دَمِهِ ^(٦) ؛ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ حَدِيثًا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) أَنَّهُ قَالَ : لَا يَلْغُ الْكَلْبُ فِي دَمِ مُسْلِمٍ . وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُرَابِطِ ^(٨) : مَنْ قَالَ : إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُزِمَ ^(٩)

(١) للمناظرة : للمباحثة في العلوم .

(٢) رفعت : نقات عنه ، وضمنه معنى شنع ، فعداه بـ « طى » .

(٣) هو قاضي القيروان .

(٤) وأمر بقتله بعد ما حكم بكفره بما ثبت عليه في ملأ من الناس .

(٥) لما رفعت خشبته التي صلب عليها . (٦) في دمه : القدى طار منه حين طعن بالسكين .

(٧) قال الحفاجي : إلا أنه قيل : لا يعرفه الحفاظ ، فالظاهر أنه لا أصل له ؛ لأنه لم

ينقله الثقات ، ونقل عن ابن حجر أيضا أنه قال : لا أصل له .

(٨) ابن المرابط هذا هو أبو مصعب ، توفي بعد ثمانين وأربعمائة ؛ وهو من أجل أئمة

المالكية بالمغرب .

(٩) هزم ، من الهزيمة ؛ وهي الفرار من الزحف . يستتاب : يطلب عنه أن يتوب عما

ناله ويرجع عنه .

وفي نسيم الرياض (٤ — ٣٨١) : قضية مذهبنا أنه لا يكفر بذلك ؛ إلا إن قاله على

قصد التنقيص ؛ لأنه ليس صريحا فيه ؛ لأن الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية ؛ فإن لم

يقصد ذلك لم يكفر ؛ بل يعزى التعزير الشديد .

يُسْتَنْتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ لِأَنَّهُ تَنَقَّصَ ^(١)؛ إِذْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ ^(٢)، إِذْ هُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَقِينُ مِنْ عَصْمَتِهِ ^(٣).

وَقَالَ خَبِيبُ بْنُ رَبِيعٍ الْقَرَوِيُّ ^(٤) : مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ أَنَّ مَنْ قَالَ فِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا فِيهِ نَقَصٌ - قُتِلَ دُونَ اسْتَنْتَابِهِ ^(٥).

وَقَالَ ابْنُ عَتَابٍ : الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ مُوجِبَانِ أَنَّ مَنْ قَصَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَذَى أَوْ نَقَصٍ، مَعْرِضًا أَوْ مَصْرَحًا، وَإِنْ قُلَّ - فَمَقْتَلُهُ وَاجِبٌ؛ فَهَذَا الْبَابُ كُلُّهُ مِمَّا عَدَّهُ الْعُلَمَاءُ سَبًّا أَوْ تَنَقُّصًا يَجِبُ قَتْلُ قَائِلِهِ، لَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذَلِكَ مُتَقَدِّمُهُمْ وَلَا مُتَأَخِّرُهُمْ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي حَكْمِ قَتْلِهِ عَلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ [٢٤٣] وَنَبَّيْنَاهُ بَعْدُ. وَكَذَلِكَ أَقُولُ حَكْمُ مَنْ غَصَصَهُ أَوْ عَيَّرَهُ ^(٦) بِرَعَايَةِ الْغَنَمِ ^(٧) أَوِ السَّهْوِ أَوِ النَّسْيَانِ

(١) لِأَنَّهُ تَنَقَّصَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتِهَانَةً بِهِ، وَهُوَ كُفْرٌ.

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ - ٣٨٢) : وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَا قَدِمَهُ : مِنْ أَنَّ مُتَنَقِّصَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ وَلَا يُسْتَنْتَابُ.

(٢) فِي خَاصَّتِهِ : أَيْ إِنْ الْهَزِيمَةُ مِنْهُ مِمْتَنِعَةٌ لِأَمْرِ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَجِبِلَّهُ عَلَيْهِ؛ لِإِلْقَاءِ الرِّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ، وَتَثْبِيتِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِقُوَّةِ قَلْبِهِ.

(٣) مِنْ عَصْمَتِهِ؛ أَيْ عَصْمَةِ اللَّهِ لَهُ بِحِفْظِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَاللَّهُ بِعَصْمِكَ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَلَوْ أَنَّهُزِمَ كَانَ شَاكَافِيًا أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِهِ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْبِ هَوَازِنَ وَقَدْ حَمَى الْوُطَيْسَ عَلَى بَنَاتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذًا بِزِمَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ. أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ. كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ، فَرَكِبَ الْبَنُطَةَ، وَهُوَ لَا تَصْلَحُ لِلسَّكْرِ وَالْفَرِّ، وَنَادَى بِاسْمِهِ إِعْلَامًا لِأَعْدَائِهِ بِمَكَانِهِ لِيَقْصِدُوا؛ فَأَيُّ ثَبَاتٍ وَشَجَاعَةٍ أَقْوَى مِنْ هَذَا! وَقَدْ فَرَّ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لِمَا نَضَحُوهُمْ بِالسَّهَامِ.

(٤) مَنْسُوبٌ لِقَرْيَةٍ، أَوْ لِقَرْيَوَانٍ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ.

(٥) هَذَا تَعْقِيبٌ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ الرَّابِطِ لِمُخَالَفَتِهِ لِمَذْهَبِهِ.

(٦) غَمَصَهُ : حَقَرَهُ وَعَابَاهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ. عَيَّرَهُ : نَسَبَهُ لِمَا فِيهِ عَارٌ.

(٧) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : قَالَ السَّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ «تَرْزِيهِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَسْفِيهِ الْأَغْبِيَاءِ»، وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ يَنْبَغِي الْوُقُوفُ عَلَيْهِ : إِنَّ رَجُلًا سَبَّ آخَرَ بِأَنَّهُ رَاعٍ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَى =

أو السَّحَرِ^(١)، أو ما أصابه من جُرْحٍ أو هزيمة لِبعض جبهوشه^(٢)، أو أذى من عدوه، أو شدة من زَمَنِهِ^(٣)، أو بالتميل إلى نساته ؛ فحُكِّمَ هذا كله لَمَنْ قَصَدَ به نَقْصُ القَتْلِ . وقد مضى مِنْ مَذَاهِبِ العلماء في ذلك ، ويأتى ما يبدلُ عليه^(٤) .

== الغنم بمجمع من العامة . فقال قاضى القضاة المالكي : لو رفع لى هذا ضربته بالسياط . فلما سئلت عنه أجبت بأنه يعزر أبلغ تمزير ، لأنه لا ينبغي ضرب آحاد الناس مثلاً لنفسه بالأنبياء . والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والإفتاء والتصنيف وبيان العلم لأهله لا ينكر عليه ، أما في مقام الخصام والتبرى عن معرفة نقص نسب له أو لغيره فهو محل الإنكار والتأديب لاسيما بحضرة العوام وفي الأسواق ، فهو سب وقذف ، ولكل مقام يناسبه .

(١) قال الخفاجى : أما السحر فلأنه لا شبهة في امتناعه واستحقاق قائله مامر . وأما الأولان فما صدر عنه صلى الله عليه وسلم نادرا ، ولكنه لا يجوز وصفه بهما في سياق يوم تنقيصا لمقامه ، لأنه يصدر منه نادرا ، للتشريع .

(٢) لا يجوز ذكره ، وإن لم يكن في ذاته ، لأن إهانة أصحابه إهانة له ، وذكرها يؤذيه .

(٣) أو شدة من زمنه تصديه ، أو تصيب أصحابه ، كقلة المعيشة ، وضيق الحال ، وخوف العدو .

(٤) في نسيم الرياض (٤ — ٣٨٣) :

قال السبكي رحمه الله تعالى بعد ما ذكر ماها في هذا الفصل :

إن كان هذا عن سوء عقيدة فلا إشكال فيه ؛ أما إذا صدر عن مؤمن ، وقلنا الإيمان هو التصديق فقط والكفر الجحود - فكيف يكون هذا كافرا ؟

وأجاب - نقلا عن إمام الحرمين : إن المسلمين أجمعوا على تكفيره ، فكأنه لأنه تعالى قضى بأنه لا يصدر مثله إلا ممن قضى الله تعالى بانتزاع معرفة الله تعالى من قلبه ؛ والعمل وإن لم يكن ركن الإيمان فالإقرار والانتقاد والإذعان بترك الاستكبار عن امتثال أوامره لا بد منه ؛ ولذا كفر إبليس بالاستكبار .

والحاصل أن الإيمان بمعنى التصديق لا بد أن يقترب به أمر آخر ؛ هو طمأنينة القلب لقبول الأوامر والنواهي والانتقاد لها بقلبه ، وهو معنى الطمأنينة ؛ فمن استخف واستهان به ضاد ذلك ، فانتفى تصديقه الموجود صورة بانتفاء أثره ؛ فصار ذلك كالعدم ؛ فالكفر كفران ؛ كفر جهل وجحود ؛ ككفر النصارى ، وكفر مع التصديق والمعرفة ؛ بوجود ما يمارضه ويصيره كالعدم ؛ ككفر إبليس واليهود ؛ فإذا نفى عنه التصديق فهو نفى للمعتد به منه ، وكفر =

فصل

في الحجة في إيجاب قتل مَنْ سبَّه أو عابه صلى الله عليه وسلم
فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة ، وقرانه تعالى أذاهُ بأذاهُ ^(١) ،
ولا خلاف في قتل مَنْ سبَّ الله ^(٢) ، وأنَّ اللعن إنما يستوجبُه ^(٣) مَنْ هو كافرٌ ،
وحُكْمُ الكافر القتلُ ؛ فقال ^(٤) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ .

وقال - في قاتلِ المؤمنِ مِنْ ^(٥) ذلك ؛ فَمَنْ لَعَنَتْهُ فِي الدُّنْيَا لَمَنَّا الْقَتْلُ ؛ قال الله
تعالى ^(٦) : ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَا عُوْنُنِ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ .

= الساب والمقص من هذا القبيل، فهو كفر جهل استحل أم لا ؛ فمن توقف في التكفير من
الغفهاء لمن لم يستحل خفي عليه مأخذه . انتهى .

ثم قال الخفاجي : وهو نفيس جدا ينبغي التنبيه له في تكفير الغفهاء لبعض الناس . فتدبر .
(١) قرانه تعالى أذاهُ بأذاهُ ؛ يحمل ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه .

(٢) فإنه كفر باتفاق .

(٣) يستوجبه : يستحقه وجوبا .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

قال في نسيم الرياض (٤ — ٣٨٤) : وأذية الله تعالى لا تمكن ؛ لأنها إيصال . مكروه
له ، وهو لا يتصور في حقه ، فذكره تهويلا لأذية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن من يؤذيه
كمن يؤذى الله .

واللعن : الطرد من رحمة الله ، وهو إنما يكون في الدارين للكافرين .

(٥) قاتل المؤمن عمدا بغير حق .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٦٠ ، ٦١ . ثقفوا : وجدوا وقد ظفرت بهم .

وقال - في المحاربين ^(١) ، وذكر عقوبتهم ^(٢) : ﴿ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ . ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ .
وقد يقع القتل ^(٣) بمعنى اللعن ؛ قال الله تعالى ^(٤) : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ .
و ^(٥) ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَلَيْسَ يُؤْفَكُونَ ﴾ ؛ أي لعنهم الله ؛ ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين ؛
وفي أذى المؤمنين ما دون ^(٦) القتل ؛ من الضرب والنكال ^(٧) ؛ فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك ؛ وهو القتل . وقال تعالى ^(٨) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

(١) المحاربين : الذي حاربوا الله ورسوله .

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٣

ويسعون في الأرض فسادا : المراد بهم قطاع الطريق ، جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ورسوله لخروجهم عن أمرهما .

وذلك : إشارة للقتل وما بعده . والحزى : الذل والفضيحة .

(٣) أي في القرآن .

(٤) سورة الداريات ، آية ١٠

الخراصون : الكذابين الذين يقولون ما لا يصح تخميننا وتقديرا من أنفسهم ، فالقتل بمعنى الإهلاك ، جرى مجرى اللعن والبهج في الدعاء وغيره .

(٥) سورة المنافقون ، آية ٤

يؤفكون : يصرفون عن الحق .

(٦) ما دون القتل : ما هو أقل منه .

(٧) النكال : العقوبة بغير قتل ، كقطع يد ونحوه .

(٨) سورة النساء ، آية ٦٥

شجر بينهم : وقع بينهم من الاختلاف والخاصمة .

نقى الإيمان عمن لم يرض حكمه ، لما فيه من الأذية له صلى الله عليه وسلم .

فَسَلَبَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَنْ وَجَدِي صَدْرِهِ حَرَجًا ^(١) مِنْ قَضَائِهِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ لَهُ ؛ وَمَنْ
تَنَقَّصَهُ فَقَدْ نَاقَضَ هَذَا ^(٢) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْعَوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

وَلَا يُحْبِطُ الْعَمَلُ إِلَّا الْكُفْرُ ^(٤) ؛ وَالْكَافِرُ يُقْتَلُ ^(٥) .

(١) حرجا : ضيقا عن قبول كلمة ، أو قلعا .

قال الخفاجي : المراد من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقله له وأمره شاك في دينه
غير متحل بيقينه ، ومثله مؤذله مضطرب له صلى الله عليه وسلم ، وأذيته كفر حقيقة ، أو مودية
إليه ، ففيها حث على اجتناب ما يكره ، والخوف من عاقبته .

(٢) ناقض هذا المذكور في هذه الآية من الحرج وعدم التسليم بما يجر إلى نقي الإيمان .

(٣) سورة الحجرات ، آية ٢

نهى الله المؤمنين عن رفع الصوت في مخاطبته ، وأن يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم بخفض
أصواتهم تعظيما له وتأديبا .

وجوب الأعمال : سقوطها ، فلا يثاب عليها .

(٤) قال الخفاجي : إنما تتقبل الأعمال من المؤمن ، لأن العمل المقبول ثمرة الإيمان .

وهذا مذهب أهل السنة . والمعزلة يقولون : يحبط بالكبائر .

(٥) الكافر يقتل : يستحق القتل شرعا . والمراد النهي عن المؤذى . ورفع الصوت فوق

صوته صلى الله عليه وسلم فيه أذية له .

وهذا مخصوص بمن قصد إهانته وتحقيره . صلى الله عليه وسلم . فإن لم يقصد كان
خلاف الأولى .

وفي نسيم الرياض (٤ — ٣٨٧) : قال ابن العربي : هذا كما هو في حياته صلى الله عليه

وسلم متعمد بعد وفاته حتى لا ينبغي رفع الصوت عند قبره الشريف ، ولا عند قراءة حديثه ،

ولا عند أحد من العلماء الذين ورثوا مقامه صلى الله عليه وسلم ، فهذا كله مكروه أشد كراهة .

ومع قصد الإهانة حرام .

وقال تعالى ^(١): ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَبَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ...﴾ ثم قال ^(١): ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

وقال تعالى ^(٢): ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ: هُوَ أُذُنٌ﴾ . ثم قال ^(٢): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وقال تعالى ^(٣): ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بَأْخَرَهُمْ كَانُوا بِجَرْمِهِمْ﴾ .

قال أهلُ التفسير : كفرتم بقولكم ^(٤) في رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأما الإجماعُ فقد ذكرناه .

(١) سورة المجادلة ، آية ٨

وإذا جاءوك : يعنى اليهود . حيوك بما لم يحيك به الله : كانوا يقولون السام عليك - يعنون الدعاء عليه بالموت ، ويحرفون تحية الله التى هى السلام ، حسبهم جهنم يصلونها : يكفى فى جزائهم ما أعد الله لهم من عذاب الآخرة الذى يصير إليهم .

(٢) سورة التوبة ، آية ٦١

هو أذن ، أى يسمع كل مايقال له ، ويقبله من كل أحد . والقائلون : هم المنافقون .

(٣) سورة التوبة ، آية ٦٥ ، ٦٦

سألتهم : أى المنافقين الذى قالوا - وهو صلى الله عليه وسلم ذاهب إلى تبوك : انظروا لهذا الرجل يريد فتح حصون الشام ! هيهات ! فأعلمه الله بذلك ؛ فلما أخبرهم بما قالوه قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب نخوض : أى نقطع السفر بالتلهى بالحديث . ونلعب تلهيا منا .

قد كفرتم : باستهزائكم ، أى لاتعتذروا بمذر غير مقبول لكذبكم . والقاتل ذلك وديمة بن ثابت . وقوله : إن نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة : كانوا ثلاثة تسلم اثنان وضحك اثنان ، وهو المفعو عنه .

(٤) أى بقولهم : هو أذن ، فهو دليل على أن أذيته صلى الله عليه وسلم كفر . وهذا قول المفسرين فى كفره ، وسيأتى حكم الإجماع ، وحكمه فى الأحاديث .

وَأَمَّا الْآثَارُ ^(١) فَحَدَّثَنَا ^(٢) الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ غَلْبُون ^(٣) ، عَنْ الشَّيْخِ أَبِي ذَرٍّ ^(٤) الْهَرَوِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ ^(٥) ، وَأَبُو عُمَرَ ^(٦) ابْنُ حَيَّوَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَبَالَةَ ^(٧) ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ^(٨) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ سَبَّ نَبِيًّا فَاقْتُلُوهُ ، وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاضْرِبُوهُ ^(٩) .

(١) الْآثَارُ : الْإِحَادِيثُ الْمُسْنَدَةُ لِلرُّوْيَةِ فِيهِ .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) هُوَ قُرْطُبِيُّ إِسْبِيلِي زَاهِدٌ ، عَلَامَةٌ فِي جَمِيعِ الْفُنُونِ ، ثِقَةٌ عَابِدٌ ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .

(٤) أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ الْفَقِيهَ الْمَالِكِيَّ ، نَزَلَ مَكَّةَ وَلَهُ مَعْجَمٌ كَبِيرٌ ، وَهُوَ ثِقَةٌ عَابِدٌ حَافِظٌ عَارِفٌ بِالْفَقْهِ ، وَأَخَذَ الْأَصُولَ عَنِ الْبَاقِلَانِيِّ ، تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

(٥) أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ : عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيَّ الْحَافِظَ . كَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ عَصْرِهِ فِي الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّمَتَ مَعْرِفَةُ الْحَدِيثِ وَالْمَلَلُ بِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٦) إِمَامٌ حَبِجَةٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَكَرِيَّا الْبَغْدَادِيَّ ، وَهُوَ إِمَامٌ ثِقَةٌ ، تَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٧) مِنْ أَعْمَةِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِينَ . وَفِيهِ : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَبَالَةَ . وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْمِيزَانِ : ٢ - ٦٣٤ .

(٨) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ ، وَفِيهِ كَلَامٌ ؛ فَقِيلَ ضَعِيفٌ ، وَقِيلَ ثِقَةٌ ، تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(٩) فَاضْرِبُوهُ ؛ أَيِ حَدِّ الْقَذْفِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : قَالُوا : إِنَّ سَنَدَهُ ضَعِيفٌ ، وَلَمْ يَرِدْهُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ ؛ وَلَكِنَّهُ اعْتَصَدَ بِالْإِجْمَاعِ .

وفي الحديث الصحيح ^(١) : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب ^(٢) ابن الأشرف . وقوله : مَنْ لَكَ كَبْ ^(٣) بن الأشرف ! فإنه يؤذى الله ورسوله . وجه إليه مَنْ قَتَلَهُ غِيْلَةً دُونَ دَعْوَةٍ ، بخلاف غيره من المشركين ^(٤) ؛ وَعَلَى قَتْلِهِ بِإِذَاهُ لَهُ ؛ فَدَلَّ أَنْ قَتْلَهُ إِيَّاهُ لَغَيْرِ الْإِشْرَافِ ؛ بَلْ لِلْأَذَى ^(٥) .

وكذلك قتل ^(٦) أبا رافع ؛ قال البراء : وكان يؤذى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ .

وكذلك أَمْرُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ ^(٧) بِقَتْلِ ابْنِ خَطَلٍ [٢٤٤] وجاريتهِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا تَغْنِيَانِ بِسَبِّهِ صلى الله عليه وسلم .

(١) رواه البخارى وغيره مسندا . صحيح البخارى : ٥ - ١١٥ ، ١١٦

(٢) وهو من يهود خيبر . وقول النبي صلى الله عليه وسلم معناه : مَنْ يَقُومُ لَهُ لِيَقْتُلَهُ ، وَهُوَ حَتٌّ وَحُضٌّ لِلْإِنصَارِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ .

وقد آذى الله ورسوله ؛ لأنه أعلن بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاء ، ورثى قتلى المشركين بيدى ، وذهب إلى مكة ليحرض أهلها على حربه وأخذ الثأر ؛ فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعله قال : مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ .

(٣) غيلة : خفية ، من غير شعور أحد .

دون دعوة : للإسلام والرجوع عن الكفر ، بخلاف غيره من المشركين من مطلق الكفرة ؛ فإنه إنما يقتل بعد الدعوة والإنذار .

(٤) قال الخفاجى : فدلّت هذه القصة على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم وآذاه من الكفار قتل .

(٥) رواها البخارى : صحيح البخارى : ٥ - ١١٧ . وأبو رافع : هو عبد الله بن أبى الحقيق .

(٦) يوم الفتح : يوم فتح مكة .

قال فى نسيم الرياض (٤ - ٣٩٢) : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أمن الناس إلا أربعة رجال وأمر أن ين أمر بقتلهم ، ولودخلوا تحت أستار الكعبة مستجيرين بها ؛ لأنهم كانوا أظهروا عداوته ، وأكثروا من ذمه ، وهجوه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان لابن خطل هذا

قنيتان تغنيان بهجوه . وحديث قتل ابن خطل فى البخارى : ٥ - ١٨٨

وفي حديث آخر ^(١) أن رجلا كان يسبه - صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي ؟ فقال خالدٌ : أنا . فبعثه صلى الله عليه وسلم فقتله .
وكذلك لم يُقتل ^(٢) جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه ^(٣) ، كالنضر بن الحارث ^(٤) ، وعقبة بن أبي معيط ^(٥) .
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده ، فقتلوا إلا مَنْ بادر بإسلامه قبل القدرة عليه ^(٦) .

وقد روى البزارُ ، عن ابن عباس - أن عقبة بن أبي معيط نادى : يا معشر قريش ، مالي أقتل من بينكم صبياً ^(٧) ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بكفرك وافتراءك ^(٨) على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) في نسيم الرياض : لا يعرف من رواه .
(٢) لم يقتل : لم يترك . وفي ب : وكذلك أمر بقتل جماعة . والثبت في أ .
(٣) قال الخفاجي : فدل هذا على أنه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب ، لما روى عن أبي حنيفة وغيره ، من عدم قتل الكافر ؛ لأن كفره أشد منه ، كما يأتي .
(٤) النضر بن الحارث : كان شديد العداوة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله صلى الله عليه وسلم في بدر ؛ وهو الذي قالت أخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له أبياناً منها :

ما كنت ضرك لو مننت وربما من الفق وهو المنيظ المحنق

- (٥) قال الخفاجي : كان عقبة بن أبي معيط قد أسر بيدر ، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمرق الظبية ، فقال : يا عاصم ، اضرب عنقه . فضرب عنقه .
ولما قدم للقتل قال : فلم تقتلني يا محمد ؟ فقال : بما دأوتك لله ولرسوله . فقال من للصبيّة ؟ قال : النار . فلما ضربت عنقه قال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي قتلك وأقر عينى منك .
(٦) بينكم ؛ من بين الكفار الذين كانوا يؤذونه ويحضون على مقاتلته . قبل القدرة عليه : بأخذه وأسرهم كابن أبي سرح ، وكعب بن زهير .
(٧) صبياً : الصبر : أصل معناه الحبس ، ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بأن يقدم القتل : قتل فلان صبياً .
(٨) افتراءك : لعمدك الكذب .

وذكر عبد الرزاق ^(١) أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل ؛ فقال : مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي ؟ فقال الزبير : أنا ؛ فبارزه فقتله الزبير ^(٢) .

وروى أيضا أن امرأة كانت نسبته صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي ؟ فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها ^(٣) .

== قال في نسيم الرياض : من بنى أمية بن عبد شمس ، وهو أحد المستهزئين ، وهو الذي القى سلاء الجزور عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى ؛ فدعا عليهم ، فألقوا - بلعنة الله - في قلب بدر .

(١) هو عبد الرزاق بن همام الحافظ ، أبو بكر الصنفاني .

(٢) المبارزة : أن يخرج رجل من طائفتين تقابلتا ، وينادي : من يبرز لي من الصف ليقاتله ؟ فيعلم أيها أقوى وأشجع ، وأينا القاتل والمقتول . وهذا إنما يفعله من زادت قوة قلبه وشجاعته .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٩٥) : وقع بتونس أن رجلا قال لآخر : أنا عدوك وعدو نبيك ؛ فمقدله مجلس ، فأفقى بعض أئمة المالكية بأنه مرتد يستتاب . وأخذ كفره من قوله تعالى : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . (سورة البقرة ، آية ٩٨) .

وأفقى بعضهم بأن كفره كفر تقيص ، فلا يستتاب ، وأخذ ذلك من كلام المصنف هنا في هذه المرأة السابقة ، ومن قضية خالد رضي الله عنه السابقة ، ومن إفتاء ابن عتاب رحمه الله السابق . واعترضه بعض أئمتهم ممن مال إلى الأول بأنه نص في أن كل ساب عدو ، ولا شك فيه ؛ وإنما الكلام في عكس هذه القضية ؛ وهي لا تنعكس كنفسها ، بل قوله : أنا عدوك وعدو نبيك ربما أشعر بترفع القول له ، ذلك لأننا نجد الوضوء يحملون لا تنفسهم منزلة بذلك ، يقول الواحد منهم : أنا عدو الأمير ، والأمير عدوى ؛ وقصده بذلك رفع نفسه ، لأنه في نسبة من ينادى الأمير ، وبأن قتل خالد رضي الله عنه للمرأة المذكورة مذهب صحابي ، وإفتاء ابن عتاب إنما هو لأن ما ذكر في قصته صريح في التقيص .

فالتحقيق أن قاتل مامر مرتد لا متقص . هذا كله على قواعدهم من التفرقة بينهما ، أما على قواعدها فالتدري يظهر أنه ردة ، قاله ابن حجر في الأعلام ملخصا .

وروى ^(١) أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث علياً والزبير إليه ليقتلاه .

وروى ابن قانع ^(٢) أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، سمعت أبي يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته ، فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وبلغ المهاجر ^(٤) بن أبي أمية أمير المؤمنين لأبي بكر رضى الله عنه أن امرأة هناك في الردة ^(٥) غتت بسب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطع يدها ، ونزع ثيابها ^(٦) ، فبلغ أبا بكر رضى الله عنه ذلك ؛ فقال له : لولا ما فعلت لأمرت بك بقتلها ، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود .

وعن ابن عباس : هجّت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : من لي بها ^(٧) ؟ فقال رجل من قومه : أنا يا رسول الله . فهض فقتلها ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لا ينتطح فيها عزان ^(٨) .

(١) رواه عبد الرزاق أيضا في جامعه ، عن سعيد بن جبير .

قال الخفاجي : المراد أنه أسند إليه افتراء فيه نقص له ؛ ككونه ساحرا ونحوه ، وإلا فمجرد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لا يوجب القتل .

(٢) ابن قانع : هو الإمام الحافظ عبد الباقي بن قانع ، أبو الحسين الأموى .

(٣) قال الخفاجي : ولو لم يكن قتله مشروعا كان أكبر كبيرة بعد الكفر ، لما فيه من القتل والمعوق .

(٤) رواه ابن سعد ، وابن عساكر . وفي ب : وبلغ - بتشديد اللام . وللمهاجر - بضم الراء .

(٥) في الردة : في زمن ردة بعض أهل اليمن في خلافة الصديق .

(٦) ثيابها : هي السن للتقدمة .

(٧) من لي بها : من يقوم لأجل حق عليه بقتلها ؟

(٨) لا ينتطح فيها عزان ؛ أى ذهب دمها هدرا من غير مبالاة أحد به ، وهو مثل ضربه =

وعن ابن عباس ^(١) أن أعمى كانت له أمٌ وَلَدَ تَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَزُجُّهَا ^(٢) فلا تَنْزَجِرُ ، فلما كانت ذات ليلة جعلت تَقَعُ في النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتَمُهُ ، ففقتلها ، وأَعْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك ، فَأَهْدَرَ دَمَهَا ^(٣) .
وفي حديثِ أَبِي بَرَزَةَ ^(٤) الْأَسْلَمِيُّ : كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَنَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَحَكَى الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ .

ورواه النَّسَائِيُّ : أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَقَدْ أَغْلَظَ لِرَجُلٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، دَعْنِي أَضْرِبَ عَنْقَهُ . فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

= النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَمْرِ الَّذِي يَقَعُ مِنْ غَيْرِ خَافَ فِيهِ وَلَا نَزَاعَ ؛ لَا يَنْتَظِحَانِ ، وَإِنَّمَا يَتَشَامَانُ وَيَفْتَرِقَانِ ، وَالنَّطَاحُ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ التِّيُوسِ وَالسَّكْبَاشِ . وَأَوَّلُ مَنْ تَسَكَّمُ بِهِذَا اللَّثْلَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهذه المرأة هي عصماء بنت مروان، من بنى أمية . وكانت شاعرة تؤذى المسلمين ، وتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحرض عليه .

والثلث في النهاية - نطح . وجمهرة الأمثال : ٢ - ٤٠٣ ، والقصة كلها في منازى الواقدي :

١٣٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤

(١) فيما رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه .

(٢) يزجرها : يمنها وينهاها .

(٣) فأهدر النبي دمها ؛ أى قال له : إنه هدر لا إثم فيه ولا عقوبة ، ولا شيء يحتسب منه .

(٤) هو فضة بن عبيد بن الحارث ، أسلم قديما ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

للشاهد ، وتوفي بالبصرة سنة أربع وستين .

وهذا الآخر رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححوه .

قال القاضي أبو محمد بن نصر^(١) : ولم يخالف عليه أحد^(٢) ؛ فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل مَنْ أَعْضَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلِّ ما أَعْضَبَهُ^(٣) أو آذَاهُ أو سَبَّهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ مُعمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة ، وقد استشاره في قَتْلِ رَجُلٍ سَبَّ مُعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعمر : إِنَّهُ لَا يَحِلُّ قَتْلُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِسَبِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلًا سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَنَ سَبَّهُ [٢٤٥] فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ .

وسأل الرشيد^(٤) مالِكًا في رَجُلٍ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكر له أَنَّ فَهَاءَ الْعِرَاقِ أَفْتَوَهُ بِجُلْدِهِ^(٥) ؛ فَغَضِبَ مالِكٌ ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما بقاء الأئمة بعد شتم نبيِّها ! مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلِدَ^(٦) .

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى : كذا وقع في هذه الحكاية ، رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالِك^(٧) ومؤلفي أخباره وغيرهم ؛ ولا أدري مَنْ هؤلاء

(١) هو القاضي عبد الوهاب المالكي البندادي الأديب ، وهو من شعراء اليتيمة .

(٢) ولم يخالف عليه أحد ؛ أى إن أبا بكر رضى الله عنه لما ذكر هذا بمحضر من الصحابة لم يخالفه فيه أحد منهم ؛ فدل على أن قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم اتفقت عليه الصحابة .

(٣) بكل ما أَعْضَبَهُ من قول أو فعل ، قل أو كثر . والحديث في سنن النسائي : ٧-١٨٥ ، وفي مسند الطيالسي : ٣ ، ومسند أحمد : ٦٩ ، ٧٢ .

(٤) الرشيد : هارون الرشيد الخليفة العباسي .

(٥) بجُلْدِهِ ؛ أى بمجد القذف .

(٦) قال في نسيم الرياض (٤ - ٣٩٩) : وهذا مذهبه من غير فرق بين كافر ومسلم ، وبين الثائب وغيره .

(٧) أى عن اعتنوا بمناقبه ودونوها .

الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر^(١) ! وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله، ولعلمهم ممن لم يشهر بعلمه، أو من لا يؤثق بفتواه، أو يميل به هواه^(٢)، أو يكون ما قاله يحمل على غير السب؛ فيكون الخلاف: هل هو سب أو غير سب؟ أو يكون^(٣) رجع وتاب من سبه، فلم يبق له لملك على أضله^(٤)؛ وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه.

وبدل على قتله من جهة النظر والاعتبار^(٥) أن من سبه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه، وبرهان سري طويته^(٦) وكفره؛ ولهذا ما حكم له كثير من العلماء^(٧) بالردة، وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي^(٨)، وقول الثوري، وأبو حنيفة، والكوفيين.

والقول الآخر أنه^(٩) دليل على الكفر، فيقتل حداً، وإن لم يمنكم له

(١) بما ذكر من جلده وحده كحد غيره مما لم يذهب إليه أحد من أصحاب المذاهب، لاسيما إذا حمل على ظاهر إطلاقه.

(٢) الهوى: ما يجيء من غير تحقيق ونظر للحق.

(٣) أو يكون؛ أي المستقى فيه.

(٤) على أصله: على الوجه الذي ورد، ووقع عليه، واستقى فيه، فأجيب بما قالوه.

(٥) من جهة النظر والاعتبار؛ أي التأمل في موجبات القتل شرعاً، ليعلم من تتبعها أن

النظر والمقل السليم يدل عليه، والمراد به هنا القياس.

أردف به ما تقدم من الآيات والأحاديث وإجماع الأمة؛ ليفيد أنه ثابت بجميع الأدلة؛ والقياس يسمى اعتباراً في القرآن، في قوله تعالى: «فاعتبروا يا أولي الأبصار»؛ فإن الأصوليين اثبتوه بهذه الآية.

(٦) سر طويته: ما أخفاه في نفسه، وأضره في قلبه.

(٧) له؛ أي على الساب وللتنقص. والردة: الخروج من الإسلام بقول أو فعل أو اعتقاد

قام عليه دليل؛ وهذا إذا كان مسلماً لا كافراً أصلياً.

(٨) الأوزاعي: عبد الرحمن، أبو عمرو.

(٩) أنه؛ أي السب والتنقيص.

بالكفر إلا أن يكون متنادياً^(١) على قوله ، غير مُنْكِرٍ له ، ولا مُقْلِعٍ^(٢) عنه ؛ فهذا كافر ؛ وقوله : إِمَّا صَرِيحٌ كُفْرٍ كالتكذيب^(٣) ونحوه ، أو من كلمات الاستهزاء والذم ، فاعترافه بها وترك تَوْبَتِهِ عنها دليلٌ استِحْلَالِهِ لذلك ، وهو^(٤) كُفْرٌ أيضاً ؛ فهذا كافر بلا خلاف^(٥) ؛ قال الله تعالى في مثله^(٦) : ﴿ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ .

(١) إلا أن يكون الساب متنادياً ، أى مستمرا في مدى ومدة طويلة .

(٢) مقلع عنه : راجع عنه .

(٣) كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم بإنكار نبوته ، أو إنكار ما جاء به للافتراء عليه .

(٤) وهو ؛ أى الاستحلال .

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٠١) :

بلاخلاف ؛ أى بين المسلمين وأئمة الدين في كفره . وهذا بناء على أنه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور . وقد قال السبكي في « السيف السلولى على من سب الرسول » : المرتد يقتل بالنص والإجماع ؛ وتوبته مقبولة عند الأكثر إن لم يكن زنديقا ، وليس قتله كقتل الكافر الأصلى كما فصله الفقهاء .

فعلم من هذا أن علة قتله ليس مطلق الكفر ، بل خصوص مطلق الردة ؛ ولذا جعلها الفزالي من الجنايات الموجبة للعقوبة ؛ كالبنى والسرقة . وحكوه عن غيره ؛ وقالوا : قتل المرتد حد يسقط بإسلامه ؛ وهو التحقيق . ومن ظن أن من ساء حدا فهو عنده لا يسقط بالإسلام فهو مخطئ .

والحد : هو العقوبة المقدرة من جهة الشارع ، وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الإسلام ، أو قطع الإسلام بالكفر ؛ وهو معنى غير الأول ؛ فالسبب المسلم مرتد فقتله حد ، وكذا الكافر ؛ فالخلاف في قتله ؛ هل هو حد أو كفر — لفظى لم تظهر له فائدة .

(٦) سورة التوبة ، آية ٧٤ ، والذين يخلفون بالله هم المنافقون ، ما قالوا : الاستهزاء الذى قالوه في غزوة تبوك من أن من يزعم أنه سيفتح قصور الشام وحصونه شر من الخير ، هيهات ! هيهات !

قال أهل التفسير : هي قولهم : إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شرٌّ من الحمير^(١) .

وقيل : قول بعضهم : ما مثَلُنَا ومثل محمدٍ إلا قول القائل^(٢) : نَمْنُ كَلْبِكَ يَا كَلْك ؛ وَأَتَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ^(٣) .

وقد قيل : إن قائل مثل هذا إن كان مُسْتَعْتَباً^(٤) به إن حُكِمَهُ حُكْمُ الزُّنْدِيقِ يُقْتَلُ ، ولأنه قد غَيَّرَ دِينَهُ^(٥) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ غَيَّرَ

(١) شر من الحمير ؛ أى أجبن منها لحماً وبلا دتنا .

(٢) قول القائل في مثل قديم ، يضرب لمن يحسن لأحد فيسوء إليه . والمثل في جمهرة

الأمثال : ١ — ٥٢٥

(٣) الأعز — يريد نفسه ، والقائل هو رئيس للنافقين عبد الله بن أبي بن سلول . والأذل :

بعض بهم المؤمنين كلهم .

وكان سبب هذه المقالة أن رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار جرى بينهما أمر ، فصاح الأنصارى : يا للأنصار والمهاجرى : يا للمهاجرين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوها ، فإنها جاهلية مستعذرة . فقال ابن أبي أبي : أو فعلوها ؟ ثم قال لقومه : ماذا فعلتم بأنفسكم ! أنزلتوهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم وطعامكم ! أما والله لو أمسكتهم عنهم لم يركبوا رقابكم ، وأوشكوا أن يتحولوا عن عهد ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه

فلما بلغ زيد رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله أنكر ، وحاف لرسول الله ، فصدقه ، وحزن زيد حتى نزل القرآن بتصديقه .

فقال عمر : دعنى أضرب عنقه . فأبى رسول الله ، وتكرّم بكفه عنه لأجل ولده . فلما أراد ابن أبي دخول المدينة منه ابنه رضى الله عنه ، وقال : لا تدخلها حتى تقول : إنك الأذل ويأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا ضربت عنقك .

فقال : ويحك ! أأعلن أنت ؟ قال : نعم . فلما رأى الجدة منه قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً .

(٤) مستترا به عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم ولم يسموه منه .

(٥) يقتل ، لأنه مثل الزنديق في إخفاء الكفر وإظهاره الإيمان بفيه ، فيقتل لذلك . ولأنه

قد غير دينه فصار كالمرتد .

دِينَهُ فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ ^(١) » ؛ وَلَآنَ لِحُكْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحُرْمَةِ ^(٢) مَزِيَّةً عَلَى أُمَّتِهِ ؛ وَسَابُّ الْحُرِّ مِنْ أُمَّتِهِ يُحْدِثُ ^(٣) ، فَكَانَتِ الْعُقُوبَةُ لِمَنْ سَبَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَتْلَ ، لِعَظِيمِ قَدْرِهِ ، وَشَفُوفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ ^(٤) .

فصل

فَإِنْ قُلْتَ : فَلِمَ لَمْ يَقْتُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودِيَّ الَّذِي قَالَ لَهُ : السَّامُ عَلَيْكُمْ ؛ وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِ ^(٥) ؛ وَلَا قَتْلَ الْآخَرَ الَّذِي قَالَ لَهُ : إِنْ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ^(٦) ، وَقَدْ تَأَذَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَقَالَ : قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ ؛ وَلَا قَتْلَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ ^(٧) .

فَاعْلَمْ - وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ يَسْتَأْذِنُ ^(٨) عَلَيْهِ النَّاسَ ، وَيُمِيلُ قُلُوبَهُمْ ، وَيَحْبِبُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ ، وَيَزِينُهُ فِي قُلُوبِهِمْ ،

(١) فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ . وَقِيلَ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ بِرَجُوعِهِ لِدِينِهِ .

وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى قَتْلِ الزَّنْدِيقِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : تَقْبَلُ تَوْبَتُهُ مَطْلُوعًا كَلَرْتَدَّ . وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَوَاتَانِ .

(٢) الْحُرْمَةُ ، أَيْ احْتِرَامُهُ وَتَوْقِيرُهُ وَصِيَانَةُ جَانِبِهِ . مَزِيَّةٌ عَلَى أُمَّتِهِ ، فَلَا يَسُوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْصُهُ ؛ فَيَزَادُ فِي جِزَاءِ مَنْ سَبَّهُ عَلَى حَدِّ غَيْرِهِ لِرَفْعَةِ مَحَلِّهِ .

(٣) يُحْدِثُ حَدَّ ذَنْفٍ بِشَرْطِهِ إِنْ اسْتَحَقَّهُ ، وَإِلَّا يَعْزُرُ .

(٤) شَفُوفِ مَنْزِلَتِهِ : زِيَادَةُ مَنْزِلَتِهِ .

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٨ - ١٥

(٦) الَّذِي قَالَ ذَلِكَ هُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّيْمِيُّ الْخَارِجِيُّ ، وَيُقَالُ لَهُ حَرْقُوسٌ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِسْمَةُ يَوْمَ حَنْيْنٍ . وَهَذَا فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ١ - ٣١

(٧) قَالَ الْحَافِظُ : فَكَيْفَ هَذَا مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدْلَةِ وَالْإِجْمَاعِ الَّذِي حَكَاهُ الْمُصَنِّفُ ؟ وَقَوْلُهُ : فَاعْلَمْ - جَوَابٌ عَنْ هَذَا الْإِسْكَالِ .

(٨) يَسْتَأْذِنُ : يَتَأَلَّفُ عَلَيْهِ النَّاسُ ؛ أَيْ يَطْلُبُ الْفَتْهَمَ وَتَأْنِيْسَهُمْ لِقَرَبِ عَهْدِهِمُ بِالْإِسْلَامِ ، وَفِيهِمُ الْأَعْرَابُ الْجَفَاءُ ، حَتَّى يَثْبِتَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَيَدَاوِي أَمْرَاضَ قُلُوبِهِمْ بِمَفْوَاهِهِ وَكُرَمِهِ .

ويداريهم^(١) ، ويقول لأصحابه : « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُنْفِرِينَ^(٢) » .
ويقول : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا^(٣) وَلَا تُنْفِرُوا » .
ويقول [٢٤٦] : « لَا يَتَعَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » .
وكان صلى الله عليه وسلم يَدَارِي الْكَفَّارَ^(٤) وَالْمُنَافِقِينَ ، وَيُجَمِّلُ صُحْبَتَهُمْ^(٥) ،
وَيُبْغِضِي^(٦) عَنْهُمْ ، وَيَحْتَمِلُ مِنْ أَذَاهُمْ ، وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَائِهِمْ^(٧) مَا لَا يَجُوزُ لَنَا الْيَوْمَ
الصَّبْرُ لَهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ يُرَفِّقُهُمْ^(٨) بِالْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛
فَقَالَ تَعَالَى^(٩) : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاصْفَحْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١٠) 》 .

(١) يداريهم : يعاملهم بملاطفته لهم ورفقه بهم .
(٢) مبشرين : مسهلين مسامحين ، لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالإسلام .
منفرين للناس عن الإسلام ، أى بشدة وغلظة تحمل الناس على نفورهم عنكم بفارقتهم
وتشتتهم عنكم .

(٣) وسكنوا ؛ أى أقروا الناس على ما هم عليه ، ولا تسكفهم بما لم يألوه : صحيح
البخارى : ٨ — ٣٦

(٤) يدارى الكفار ؛ بتلطفه بهم وإحسانه وعفوه عنهم . (٥) ويجمل : يحسن .

(٦) ويبغض عنهم : الإغضاء : العفو والتجاوز والسكوت .

(٧) على جفائهم : على غلظة طباعهم المقتضية لعدم الأدب فى الأقوال والأفعال .

(٨) يرفقهم : يصلهم وينفهمهم .

(٩) سورة المائدة ، آية ١٣

(١٠) على خائنة منهم ؛ على طائفة خائنة ، أو خيانة تصدر منهم فى حقك ، أو فعله خائنة ،

أو نفس خائنة . إن الله يحب المحسنين : الذين يجزون السيئة بالحسنة ، ويتجاوزون عما سلف .
قال الحفاجى : وهذه الآية نزلت فى اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ؛
بياناً لأنهم من شأنهم الخيانة ، وأنه موروث آبائهم ؛ وأمره بالعفو عنهم بشرط المعاهدة
أو نحوها . أو هذه الآية منسوخة .

والقليل المستثنى من آمن به صلى الله عليه وسلم منهم كابن سلام .

وَقَالَ تَمَالَى^(١) : ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

وذلك لحاجة النَّاسِ لِلتَّأَلُّفِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ وَأُظْهِرَهُ اللهُ عَلَى الدِّينِ^(٢) كُلَّهُ قَتَلَ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، كَفِعْلِهِ بِابْنِ خَطَلٍ ، وَمَنْ عَهْدَ بَقْتَلِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ^(٣) ، وَمَنْ أَمَكَّنَهُ قَتْلُهُ غَيْلَةَ^(٤) مِنْ يَهُودٍ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَوْ غَلَبَهُ^(٥) يَمِّنُ لَمْ^(٦) يَنْظُمْهُ قَبْلُ سِلْكِ صُحْبَتِهِ ، وَالْانْخِرَاطِ فِي جُمْلَةٍ^(٧) مُظْهِرِي الْإِيمَانِ لَهُ يَمِّنُ كَانَ يُؤْذِيهِ ؛ كَابْنِ الْأَشْرَفِ ، وَأَبِي رَافِعٍ ، وَالنَّضْرِ ، وَعُقْبَةَ^(٨) . وَكَذَلِكَ نَذَرَ^(٩) دَمَ جَمَاعَةٍ سِوَاهُمْ ؛ كَكَعْبِ بْنِ زَهْرٍ^(١٠) ،

(١) سورة فصلت ، آية ٣٤

أى لا يزال إحسانك إليه حتى يصير كالصديق الذى بينك وبينه مصافاة وموالاتة .
والحميم : الصديق المصافى .

(٢) على الدين كله ؛ أى على كل دين وملة .

(٣) وذلك يوم الفتح ؛ حين أمر بقتله يوم فتح مكة ، ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة ومن عهد بقتله ؛ أى أوصى المسلمين بقتله يوم فتح مكة .

(٤) غيلة : خفية ومخادعة ، كابن الأشرف ، وابن أبى الحقيق .

(٥) أو غلبة ، أى وقتل أيضا من أمكنه قتله من غير إخفاء ، أى بطريق التلبسة والقهر ،

كأبى عزة الجمحى .

(٦) لم ينظمه : لم يشمله .

(٧) سلك صحبته : بإسلامه ومتابعتة له صلى الله عليه وسلم . والانخراط : الدخول .

(٨) النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط .

(٩) نذر : أوجب ، أو هى أهدر .

(١٠) كان كعب بن زهير قد قال بعد إسلام أخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله عليه

وسلم ، فكُتِبَ إليه أخوه كتابا يقول فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء قوم كهيرة ابن أبى وهب ، وابن الزبيرى ؛ فإن كان لك حاجة فى نفسك فطر إليه ، فإنه — صلى الله عليه وسلم — يقبل من أناه تابئا . فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى =

وابن الزُّبَيْرِ^(١) وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم^(٢)، ولقوه مسلمين .

وبوَاطِنُ الْمُنَافِقِينَ مُسْتَتِرَةٌ، وَحُكْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الظَّاهِرِ^(٣)،
وَأَكْثَرُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ^(٤) إِنَّمَا كَانَ يَقُولُهَا الْقَائِلُ مِنْهُمْ خُفْيَةً وَهِيَ أَمْثَالُهُ، وَيَحْلِفُونَ
عَلَيْهَا إِذَا نُمِيتَ^(٥)، وَيَنْكُرُونَهَا، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَانْقَادُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ^(٦)؛

= الصَّباح ، فلما فرغ جلس بين يديه ، ووضع يده في يده ، وقال : يا رسول الله ؛ إن كعبا جاء تابيا
مسلمًا ، أتقبله ؛ قال : نعم — وهو لا يعرفه . فقال : أنا كعب ؛ فوثب عليه رجل من الأنصار ،
وقال : يا رسول الله ؛ دعني أضرب عنقه ، فقال : دعه ، فإنه جاء تابيا . فنضب كعب على
الأنصاري ، لأنه لم يقل فيه أحد من المهاجرين إلا خيرا ، وأنشده — صلى الله عليه وسلم —
تصديده المشهورة ، وألبسه بردته .

(١) ابن الزُّبَيْرِ : هو عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، كان شاعرا مجيدا شجاعا ، من أشد الناس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول لسانه وسفه .

وكان قد فر هو وزوجته أم هانئ بنت أبي طالب إلى نجران ، فقالوا له : ما وراءك ؛
فقال : إن محمدا قتل قريشا ، وفتح مكة ، وأراه سائرا السِّم .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فلما رآه قال : هذا ابن الزُّبَيْرِ في
وجهه نور الإسلام ، فوقف عنده ، فقال : السلام عليكم ؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
عبده ورسوله ، والحمد لله الذي هدانا للإسلام ؛ وقد أجلبت على عداوتك حتى هربت إلى
نجران ، وأنا أريد ألا أقرب الإسلام أبدا ؛ ثم أراد الله بي خيرا ؛ فألقاه في قلبي ، وحببه إلى ،
وكره ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل ؛ من حجر يعبد ويدبح له .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، إن الإسلام
يجب ما قبله .

(٢) أَلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ : انتقادوا له واستسلموا .

(٣) عَلَى الظَّاهِرِ ، وهو الإسلام المانع من قتلهم ؛ وهذا لأجل التشريع لأمره بعده ، وإن
أطلعه الله على أسرارهم .

(٤) وَأَكْثَرُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ؛ هي التي قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه .

(٥) إِذَا نُمِيتَ : نقلت وبانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) كَلِمَةُ الْكُفْرِ ؛ أي الكلمة التي يكفر بها قائلها ، أو التي إنما تصدر عن الكفرة
وأعداء الدين .

وكان مع هذا يَطْمَعُ في قِيَتِهِمْ ، ورجوعهم إلى الإسلام ، وتَوَبَّيْتِهِمْ ؛ فَيَصْبِرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هَنَاتِهِمْ ^(١) وَجَفَوَتِهِمْ ، كما صبر أولو العزم ^(٢) من الرُّسُلِ حتى فاء كثير منهم باطناً ، كما فاء ظاهراً ^(٣) ، وأخلص سيراً كما أظهر جَهراً ، ونفع الله بُعدُ بكثير منهم ؛ وقام منهم للدين وزراء ^(٤) وأعوانٌ ومُحَامَةٌ وأنصار كما جاءت به الأخبار .

وبهذا أجاب بعضُ أئمتنا رَحِمَهُمُ اللهُ عن هذا السؤال ^(٥) .

وقال : لعله لم يَثْبُتْ عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقوالهم ما رُفِعَ ^(٦) ؛ وإنما نقله الواحدُ وَمَنْ لم يَصِلْ رُتَبَةُ الشَّهَادَةِ في هذا الباب ^(٧) ؛ مَنْ صَبَىَّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ امْرَأَةٍ ؛ والدِّمَا لَا تُسْتَبَاحُ إِلَّا بَعْدَ آيِنٍ ^(٨) .

وعلى هذا يُحْمَلُ أَمْرُ الْيَهُودِ في السلام ، وأنهم لَوْ وَا ^(٩) أَسِنَتَهُمْ ، ولم يَبَيِّنُوهُ ؛

(١) هَنَاتِهِمْ : يريدُ قبائحهم . وجفوتهم ؛ أى ماصدر عنهم من الأقوال والأفعال القبيحة لفظ طبايعهم وسوء أديهم .

(٢) أولو العزم من الرسل : هم الذين كانوا ذوى عزيمة قوية وثبات في دعوة الناس إلى الدين . (٣) فاء : رجع عن نفاقه ، غلص إيمانه في قلبه .

(٤) وزراء : أعوان .

(٥) في نسيم الرياض (٤ — ٤١٠) : والحاصل أنه كان الحكمة ؛ وهو أنه وقع والإسلام لم يقو القوة البالغة ، فصبر لعل الله يهديهم ويقوى بهم الدين ؛ وقد وقع ذلك للكثير منهم ، وكان الصبر عليهم والعفو عنهم جائزاً له — صلى الله عليه وسلم .

والجواب الثاني : أنهم كانوا يخفونه ويتكلمون به بمجلة وخفض أصوات ، ولا يطلع الناس عليه ، والعقاب على الكفر إنما يكون على الظاهر دون الخفى .

(٦) مارفع : ما وصل إليه وبلغه .

(٧) في هذا الباب ؛ أى النوع المقتضى للقتل .

(٨) بمديلين : ذكرين حرين . وإعلام الله تعالى له بعد حكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يخالفه .

(٩) اللى : قتل الألسنة ولها بسرعة حتى يخفى ويظن أنهم قالوا : السلام . . . (صحيح

البخارى : ٨ — ١٥)

أَلَا تَرَى كَيْفَ نَبَّهَتْ عَلَيْهِ ^(١) عَائِشَةُ ؛ وَلَوْ كَانَ صَرَّحَ بِذَلِكَ لَمْ تَنْفَرِدْ بِعِلْمِهِ ؛ وَلِهَذَا نَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى فَعْلِهِمْ ، وَقِلَّةِ صِدْقِهِمْ فِي سَلَامِهِمْ ، وَخِيَاتِهِمْ ^(٢) فِي ذَلِكَ لِيَأْ بِالسُّنَّتِمْ ، وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُهُمْ فَإِنَّمَا يَقُولُ : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، فَقُولُوا : عَلَيْكُمْ .

وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْبَغْدَادِيِّينَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْتُلِ الْمُنَافِقِينَ بِعِلْمِهِ فِيهِمْ ^(٣) ؛ وَلَمْ يَأْتِ أَنَّهُ قَامَتْ بَيْنَهُ عَلَى نِفَاقِهِمْ ؛ فَلِذَلِكَ تَرَكَهُمْ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَمَرَ كَانَ سِرًّا وَبَاطِنًا ، وَظَاهِرُهُمُ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْعَهْدِ وَالْجَوَارِ ^(٤) ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزْ بَعْدُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ ^(٥) .

وَقَدْ شَاعَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ ^(٦) فِي الْعَرَبِ كَوْنُ مَنْ يُتِّمُّهُمْ بِالنِّفَاقِ ^(٧) مِنْ جَمَلَةٍ

(١) نَبَّهَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ حَيْثُ رَدَّتْهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهَا : عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّمُّ وَاللَّعْنَةُ ؛ وَنَهَايَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهَا بِالرَّفْقِ ، وَقَالَ : إِنِّي أُرِدُّ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجِيبُ لِي وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ .
(٢) وَخِيَاتِهِمْ فِي ذَلِكَ لَمْ يَسْأَلْهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

(٣) بَعْلَهُمْ فِيهِمْ وَبِمَا فِي نَفْسِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ ، وَأَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى سِرِّهِمْ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْضَى بِعِلْمِهِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَإِنَّمَا الْمُنَافِقُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ تَشْرِيمًا لِأَمَّتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ ، تَأْلِيفًا لِلْقُلُوبِ حَقَّ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ، وَلَا تَنْفَرِ قُلُوبٌ مِنْ يَرِيدُ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَتَكْفُفُ السُّنَّةَ لِلطَّاعِنِينَ بِقَوْلِهِمْ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(٤) الْعَهْدُ : الْمِيثَاقُ بِالْأَيْدِيهِمْ . وَالْجَوَارُ : الْأَمَانُ .

(٥) لَمْ يَتَمَيَّزْ بَعْدُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ : أَيْ لَمْ يَعْلَمْ مَنْ أَخْلَصَ فِي إِسْلَامِهِ فُطَاتِ سِرِّهِ ، أَوْ لَمْ يَخْلُصْ فِي إِسْلَامِهِ ، فَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ خَبِيثِ الْكُفْرِ لَمْ تَظْهَرْ لِنَبِيِّهِ .

(٦) لِلْمَذْكُورِينَ : مِمَّنْ كَانَ مُنَافِقًا يَظْهَرُ إِسْلَامُهُ .

(٧) يَتِمُّهُمْ بِالنِّفَاقِ : أَيْ يَتِمُّهُمْ خَلَصَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ الْقِدِينَ نَوْرُ اللَّهِ بِصَافِرِهِمْ .

المؤمنين وصحابة سيّد المرسلين ، وأنصار الدين بحكم ظاهرهم ؛ فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبذر^(١) منهم ، وعليه بما أسروا [٢٤٧] في أنفسهم لوجد المنفر^(٢) ما يقول ، ولارتاب الشارد^(٣) ، وأرجف المعاند^(٤) ، وارتاع^(٥) من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، والدخول في الإسلام غير واحد ، ولزعم^(٦) الزاعم ، وظن العدو الظالم — أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة^(٧) . وقد رأيت معنى ما حرّزته منسوباً إلى مالك بن أنس رحمه الله ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . وقال : أولئك^(٨) الذين نهاي الله عن قتلهم .

وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه ، لظهورها واستواء الناس في علمها .

وقد قال محمد بن الموارز^(٩) : لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقاله القاضي أبو الحسن بن القصّار .

(١) يبذر منهم : يخرج منهم بمجلة . وفي ب : ينذر .

(٢) المنفر : الذي يقصد تنفير الناس وصدّهم عن الدخول في الإسلام من المشركين وأعداء الدين .

(٣) ولارتاب الشارد : وقع في ريبة لخوفه من القتل من كان شارداً عن الدين ضالاً من الجاهلية والأعراب أباة الضيم .

(٤) أرجف المعاند : أتى بالأقوال الكاذبة التي يقصد بها التشنيع على الإسلام من كفر عنادا ، كبعض المشركين الذين كانوا يحبون إشاعة مثله .

(٥) وارتاع : خاف من يسمع الأراجيف وعلم بالقتل .

(٦) زعم الزاعم : وجد صلة لكذبه من أراد الافتراء على الله ورسوله .

(٧) أخذ الترة : أخذ بثأره عند العرب .

(٨) أولئك ، أي المنافقون الذين لم أقتلهم ، مع العلم بنفاقهم .

قال في نسيم الرياض : (٤ — ٤١٥) : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٩) من أئمة المالكية .

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى (١) : ﴿ اِنَّ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالرُّجْفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَغُفْرَتُكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا . سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٢) .

قال : معناه إذا أظهروا النفاق (٣) .

وذكر محمد بن مسلمة في المبسوط ، عن زيد بن أسلم - أن قوله تعالى (٤) : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، نسخها ما كان قبيلها (٥) .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٦٠ - ٦٢

(٢) الذين في قلوبهم مرض ، أى فساد . والمراد المنافقون . والرجفون في المدينة ، من الإرجاف ؛ وهو إشاعة الافتراء والكذب وهم المنافقون ؛ لأنهم كانوا يشيعون أخبارا تسوء للؤمنين ؛ كقوة عدوهم ، وإصابة بعض سراياهم . لغفرانك بهم ؛ أى فأمرك بقتلهم ونسألكهم . لا يجاورونك فيها ؛ أى لا يتيسر لهم الإقامة بها ، لقتلهم أو طردهم . إلا قليلا : إلا زمانا قليلا ، لموقع ما أغرينا بهم من القتل أو الإجماع . ملعونين : مطرودين مبعدين عن رحمة الله تعالى في الدنيا . ثقفوا : أخذوا وتمسك منهم إذا وجدوا .

(٣) في نسيم الرياض (٤ - ٤١٦) : قيل : ما قاله قتادة مخالف للظاهر ؛ وإنما المراد منهم عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وللؤمنين ؛ ولذا قال الشعبي في تفسيره : إن ابن مسعود قال : جهاد المنافقين الإنكار عليهم ، والتعيب في وجوههم ، وترك الرفق بهم . وقيل : إنها نسخت .

(٤) سورة التوبة ، آية ٧٣

(٥) ما كان قبلها ؛ أى قبل نزولها من العفو والصفح عن أذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل في قوله تعالى : فأعرض عنهم ونوكل على الله ؛ فإنه نهي أولا عن قتل المنافقين ، ففسخ بهذه الآية ، كما قاله الواحدى في سورة النساء .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤١٦) :

وجاهدة المنافقين عند الحسن وقتادة إقامة الحدود عليهم ، وعند مجاهد بالوعيد وإفشاء أسرارهم .

ومن ذكر هذا وقال : لا تسلم أنها منسوخة لم يصب ؛ لأنه منع للنقل وهو خطأ . ويؤيد تأويل الجهاد في الآية قوله : وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، أى شدد وعيدهم ، وأنهم أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل أحدا من المنافقين إلى أن توفاه الله تعالى .

وقال بعضُ مشايخنا: لعلَّ القائل: هذه قسمةٌ ما أريدَ بها وَجْهُ اللَّهِ^(١)؛ وقوله: اعدل - لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم مِنْهُ الطَّعْنَ عليه والتهمة له؛ وإنما رآها مِنْ وَجْهِ الغَلَطِ في الرَّأْيِ، وأمور الدنيا، والاجتهادِ في مصالح أهلها؛ فلم ير ذلك سبًّا^(٢)، ورأى أنه من الأذى الذي له العَفْوُ عنه والصَّبْرُ عليه؛ فلذلك لم يماقبه .

وكذلك يُقال في اليهود إذا قالوا: السامُ عليكم - ليس فيه صريحُ سَبٍّ ولادعاء إلا بما لا بدُّ مِنْهُ من الموتِ الذي لا بدُّ من لحاقه جميعَ البَشَرِ^(٣) .
وقيل: بل المراد^(٤) تَسَامُونِ دِينَكُمْ . والسَّامُ والسَّامةُ: اللال .

وهذا دعاء على سامةِ الدِّينِ ليس بصريحِ سَبٍّ؛ ولهذا تَرَجَّمَ البخاري على هذا الحديث: بابٌ - إذا عَرَّضَ^(٥) الذَّمُّ أو غَيْرُهُ بسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم .
قال بعضُ علمائنا: وليس هذا بتعريضٍ بالسبِّ؛ وإنما هو تعريضٌ بالأذى^(٦) .
قال القاضي أبو الفضل^(٧): قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْأَذَى والسبَّ في حقِّه صلى الله عليه وسلم سواء .

وقال القاضي أبو محمد بن نصرٍ مُجِيبًا عن هذا الحديث ببعضِ ما تقدَّم؛ ثم قال:

(١) صحيح البخارى : ٨ - ٣١

(٢) قال الحفاجي : ويعد هذا أنه تنير وجهه الشريف ، وقال : يرحم الله أخى موسى ، لقد أودى بأكثر من هذا فصر .

(٣) فشكل نفس ذائقة الموت .

(٤) المراد : المعنى الذى قصدوه . تسامون دينكم : يضجرون من مشافهة فتملونه وتتركونه .

(٥) صحيح البخارى : ٩ - ٢٠ ، إذا عرض ؛ أى ذكر بطريق التعريض دون التصريح .

(٦) بالسب : لأنه الدم بصفات النقص التى لا تليق ، وإنما هو تعريض بالأذى ؛ أى بما يؤذى ويؤلم .

(٧) هو المؤلف : القاضي عياض .

ولم يذكر في الحديث: هل كان هذا اليهودي^(١) من أهل العهد والذمة أو الحرب^(٢)، ولا يُتركُ موجبُ الأدلة للأمر المُحتمل .

والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مَقْصِدُ الاستتلاف^(٣) والمدارة على الدين لعلهم يؤمنون .

ولذلك تَرَجَّم البخارى على حديثِ القسمةِ والخوارج^(٤) : باب - مَنْ ترك قتالَ الخوارج للتألف .

ولثلاثينَ الناسُ عنه ، ولما ذكرنا معناه عن مالك^(٥) ، وقرَّرناهُ قَبْلُ . وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سِحْرِهِ وَسَمِّهِ^(٦) ، وهو أعظمُ مِنْ سَبِّهِ إلى أَنْ نَصَرَهُ اللهُ عليهم ، وأذنَ له في قتلِ مَنْ حَيَّنْهُ^(٧) منهم وإنزاهِم من صيَاصِيهِم^(٨) ،

(١) هذا اليهودى : الذى صدر عنه ما ذكر .

(٢) من أهل العهد ؛ أى ممن وقع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ؛ والذمة : الأمان . أو الحرب ؛ أى من المخاربين وأعداء الدين الذين لا عهد ولا ذمة لهم ، فينتقض عهده أو يهدر دمه .

(٣) مقصد الاستتلاف ؛ أى قصد تأنيسهم وتأليف قلوبهم .

(٤) حديث القسمة ؛ أى الحديث الذى ذكر فيه قسمة الفنائم ، وقد قال له - صلى الله

عليه وسلم - بعض المنافقين : اعدل ، ما هذه قسمة أريد بها وجه الله .

وحديث الخوارج : كذى الخويصرة . وقد تقدم الحديث وتخريجه .

(٥) ذكرنا عن مالك . من أنه ترك ثلاثاً يرجف الناس ويرتاعوا ، ولثلاث يمجّد الطاعن في

الدين طريقاً لطمه فيه .

(٦) أى قد صبر صلى الله عليه وسلم على أعظم من السب والأذى ، فصبر لهم على سحره

الذى فطمه اليهود . وسَمِّهِ ؛ أى سم الرأفة اليهودية له ذراع شاة .

(٧) حينه : أهلكه ، من الحين وهو الهلاك .

(٨) وأنزلهم من صياصيهم : أخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم العالية بها . =

وقذف في قلوبهم الرُّعْبَ، وكتب^(١) [٢٤٨] على مَنْ شاءَ منهم الجَلَاءَ، وأخرجهم من ديارهم، وخرَّب بيوتهم بأيديهم وأيدي أُوْمَنِين وكاشفهم^(٢) بالسَّبِّ؛ فقال: يا إخوة القِرْدَةِ والحَنَازِيرِ^(٣)، وَحَكِّم فيهم سيوفَ المسلمين، وأجلّاهم مِنْ جُوارِهِم

= والذين أنزلهم من حصونهم بنو قريظة، كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم - الأبقانلوه ولايعينوا عليه عدوا، فلما تجمعت الأحزاب نقضوا العهد، وكان ابن أخطب من بني النضير أتى كعب بن أسد القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أتاه ابن أخطب أقفل باب حصنه، فناداه: افتح، فقال: اذهب فإنك مشتم، وقد عاهدت عهدا لا أنقضه، وإنه ينهى بعهده؛ فلم يزل يحتال عليه حتى أدخله حصنه، ولم يزل يقتل في الدورة والغارب حتى نقض عهده.

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل جماعة لينظروا هل نقضوا عهدهم أم لا. فلما أتوهم، وقالوا لهم: نبذتم عهد رسول الله. قالوا: من رسول الله؛ وشأنهم، فأتوه عليه الصلاة والسلام، فأخبروهم بخبر، وأنهم ظاهروا أباسفیان؛ فأتاه جبريل وقال له: انقض إلى بني قريظة؛ فإنني تركتهم في زلزال ولبال.

فأتاهم وناداهم: يا إخوة القردة والحنازير، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت فحاشا. ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه لحلف كان بينه وبينهم؛ فظنوه يتلطف بهم؛ فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية، وأن يمطى عقارهم المهاجرين دون الأنصار، لأنهم لا عقار لهم إذ ذاك.

فقال صلى الله عليه وسلم: قضى فيهم بحكم الله.

فأتى بهم سوق المدينة، وضرب أعناقهم، وهم قريب من تسمانة.

(١) كتب: قدر. الجلاء: خروجهم من بلادهم. والذين أجلّاهم بنو النضير لما نقضوا العهد إذ هموا أن يلقوا على رسول الله حجرا، فأخبره جبريل بذلك، فقام من عندهم؛ ثم رجع لهم وحاصرهم أياما؛ ثم ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، فسألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يحلّهم ويبيع لهم مقدار ما يحملونه معهم؛ فأجابهم، وفيهم نزلت سورة الحشر، فكان أحدهم يخرج بيته بيده.

(٢) كاشفهم: واجهم.

(٣) أى المشاهين لها في الحسة وقبح النظر.

[وأورنهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، لِيَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى] ^(١) .

فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ^(٢) ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ ^(٣) فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ^(٤) .

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا لَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَنْتَقِمْ مِمَّنْ سَبَّهُ أَوْ آذَاهُ أَوْ كَذَّبَهُ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ ^(٥) مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي انْتَقَمَ لَهَا ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ مَا لَا يَنْتَقِمُ لَهُ فِيمَا تَعْلَقُ بِسُوءِ أَدَبٍ أَوْ مِمَّا مَلَأَ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ مِمَّا لَمْ يَقْصِدْ فَاعِلُهُ بِهِ آذَاهُ ، لَيْسَ كَمَا جُمِلَتْ عَلَيْهِ الْأَعْرَابُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَهْلِ ^(٦) ، أَوْ جُبِلَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الْغَفْلَةِ ، كَجَبْذِ ^(٧) الْأَعْرَابِيِّ بِإِزَارِهِ حَتَّى أَثَرَفَ فِي عُنُقِهِ ، وَكَرْفَعِ صَوْتِ الْآخِرِ ^(٨) عِنْدَهُ ،

(١) كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ؛ أَيْ نَافِذَةٌ . وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ؛ أَيْ مُلَانَةٌ مَهْمَلَةٌ ، فَكَأَنَّهَا مَرْمِيَةٌ عَلَى الْأَرْضِ . وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ فِي ١ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٨ - ٣٧ .

(٣) لِنَفْسِهِ ؛ أَيْ لِأَجْلِ حَقِّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ .

(٤) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَنْتَقِمُ مِمَّنْ آذَاهُ أَوْ سَبَّهُ ؛ وَهُوَ مُنَافٍ لِلْمُتَقَدِّمِ .

(٥) هَذِهِ : الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ ؛ مِنْ سَبِّهِ وَأَذْيِهِ وَتَكْذِيبِهِ .

(٦) الْجَفَاءُ : غَلْظَةُ الطَّبَاعِ وَالْجَهْلُ بِحَقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ رَسُولِهِ ، وَعَدَمُ مَعْرِفَتِهِمْ بِآدَابِ الصَّحْبَةِ .

(٧) جَبْذٌ : جَذْبٌ .

(٨) هُوَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ ، وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ ؛ فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا تَرْفَعُوا

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ - لَزِمَ مَنْزِلَهُ ، فَافْتَقَدَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : أَنَا أَعْلَمُ عِلَّتَهُ ، وَهُوَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ لِفُلْكَ .

وكجَحَدِ الأعرابي شراءه منه فَرَسَهُ التي شَهِدَ فيها خُزَيْمَةُ^(١) ؛ ولما كان مِنْ تَظَاهُرِ زَوْجِيهِ^(٢) عليه ، وأشباه هذا مما يَحْسَنُ الصَّفْحُ عنه .

[وقد قل بعض علمائنا : إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره . وأما غيره فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للإنسان فعله ، وإن تأذى به غيره . واحتج بمعوم قوله تعالى^(٣) : ﴿ إِن الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

= وقيل : إنما هي في وفد بني تميم لما نادوه من وراء حجراته - صلى الله عليه وسلم .
وقيل الأقرع بن حابس ، وقيل غير ذلك .

(١) جحد الأعرابي : إنكاره . والأعرابي هو سواد بن قيس المحاربي . كما قال الذهبي وقال الخطيب : إنه سواد بن الحارث . وخزيمة هو ابن ثابت الأنصاري .

وهذا الحديث رواه البخاري وغيره ؛ وفيه أنه تبعه ليقضى حقه وجعل الناس يساومونه فقال : إن كنت مبتاعا فاشتر ، وإلا بعت . فقال له صلى الله عليه وسلم : أو ليس قد ابتعته منك ؟ فقال : هلم بشاهد . فقال خزيمة : أنا أشهد . فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله . فجعل شهادته بشهادة رجلين .

(٢) هما عائشة وحفصة . والتظاهر : الاتفاق على معاونة كل منهما للأخرى بتصديقها فيما تقول .

وكان مكثه - صلى الله عليه وسلم - عند زينب بنت جحش ، فسقته عسلا ، فاتفقا على أنه إذا جاء قالت له : أجذب منك ريح مغافير - وهو بقل أو صمغ كرية الرائحة - وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب الرائحة الكريهة للقاءه الملك ، فلما سمعه - صلى الله عليه وسلم - قال : لا أعود .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٧

قال الخفاجي : استدل بإطلاق ما يؤذى ولصنة فاعله في الدارين على أنه كبيرة . ومثل للباح بقول بعض زوجاته له صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ؛ فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة ؛ فإن الوحي ما نزل على في لحاف امرأة غيرها . فلما علمن تأذيه تركن ذلك . فهو مقيد بمن لم يعلم تأذيه بالمباح ، فإن علم فهو حرام كغيره ، وهو ظاهر .

في الدنيا والآخرة ، وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة : إنها بضعة^(١) مني ، يؤذيني ما يؤذيها ، ألا وإني لأحرم ما أحل الله ، ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا^(٢) . أو يكون هذا مما آذاه به كافر^(٣) وجاء بعد ذلك لإسلامه ؛ كعَفْوِهِ عن اليهودي الذي سَحَرَهُ^(٤) ؛ وعن الأعرابي^(٥) الذي أراد قتله ، وعن اليهودية التي سَمَتَهُ ؛ وقد قيل : قتلها .

ومثلُ هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين ؛ فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قرّرناه قبل ، وبالله التوفيق .

فصل

تقدّم الكلام في قتل القاصد لسببه والإضرار به ، ونخصه^(٥) بأى وجه كان من الممكن أو محال^(٦) ؛ فهذا وجه بين لا إشكال فيه .
الوجه الثاني لاحتقّ به في البيّان والجلّاء ؛ وهو أن يكون القاتل لما قال

(١) في حديث البخارى ، لما أراد على رضى الله عنه أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمة الزهراء .

وبضعة : قطعة لحم منى كقطعة من بدنى . قال الخفافى : والحديث يدل على أن أذية غيره إذا آذنته تحرم أيضا كأذية فاطمة رضى الله عنها ، وكذا أذية أحد من أولادها .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ١ ، وهو في ب .

(٣) هو لبيد بن الأعصم . وكان صلى الله عليه وسلم يرجو إسلامه . وقد تقدم .

(٤) الأعرابي الذي أراد قتله فهو غورث بن الحارث . وقيل إنه دعثور . لليهودية التي سمته هى زينب بنت الحارث .

(٥) الإضرار به : تنقيصه . وغمصه : عيبه .

(٦) من ممكن وجوده ، أو محال ممتنع عادة أو عقلا أو شرعا ، والأول كبعض الموارض البشرية ، والثاني كنسبة ، الكذب إليه ونحوه مما يمتنع شرعا بدلالة للمجازة على صدقه صلى الله عليه وسلم .

في جهته^(١) صلى الله عليه وسلم غير قاصدٍ للسبِّ والإزراء^(٢)، ولا معتقدٍ له؛ ولكنه
تسكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر^(٣)؛ من نَعَفِه أو سَبَّه أو تكذَّبه
أو إضافةً مالا يجوزُ عليه، أو نفى ما يجبُ له مما هو في حقِّه صلى الله عليه وسلم
نقيصة؛ مثل أن ينسبَ إليه إتيانَ كبيرة^(٤)، أو مداينة في تبليغ الرسالة^(٥)،
أو في حكم بين الناس، أو يفضُّ من مَرَّتَبَتِهِ^(٦)، أو شرفِ نسبِهِ، أو وفورِ علمِهِ
أو زُهدِهِ، أو يكذبَ بما اشتهر من أمورٍ أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبرُ
بها عنه عن قصدٍ لردِّ خبرِهِ، أو يأتى بسفه^(٧) من القول، وقبيحٍ من الكلام،
ونوعٍ من السبِّ في جهته، وإن ظهر بدليل حاله أنه لم^(٨) يعتمدْ ذمَّهُ، ولم يقصدْ
سبَّهُ، إمَّا لجهالة^(٩) حملته على ما قاله، أو لضَجَر^(١٠) أو سُكْرٍ اضطرَّه إليه، أو قلةِ
مُراقبة^(١١) وضبطٍ للسانِهِ وعَجرفةٍ وتهوُّرٍ في كلامِهِ^(١٢)، فحكمُ هذا الوجهِ

(١) في جهته : في حقهِ .

(٢) والإزراء ؛ أى الانتقاص والاستخفاف .

(٣) بكلمة الكفر : الكلمة التى يكفر بها .

(٤) إتيان كبيرة ، وقد عصمه الله تعالى عنها وعن سائر النقائص .

(٥) مداينة : مداراة للكفرة .

(٦) يفض : ينقص نقصا قليلا .

(٧) بسفه : بخفة عقل وسوء أدب .

(٨) لم يعتمد : لم يقصد .

(٩) جهالة : شدة جهل .

(١٠) ضجر : قلق ، أو ضيق صدر حمله على مقالته .

(١١) قلة مراقبة لله ، لكونه من أهل الخلاعة والفجور المعتاد لبذاءة اللسان .

(١٢) العجرفة : المجازفة ، والتسكلم من غير تأمل . والتهوُّر : الخروج عن الاعتدال

بجدّة لغضب ونحوه .

حُكْمُ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ الْقَتْلُ دُونَ تَلَعُّمٍ^(١)؛ إِذْ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْكُفْرِ بِالْجِهَالَةِ^(٢)، وَلَا بِدَعْوَى زَلَّ اللِّسَانُ، وَلَا بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ^(٣)، إِذْ كَانَ عَقْلُهُ فِي فِطْرَتِهِ سَلِيمًا، إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ^(٤).

وهذا أفق الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزُّهْدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَدَّمَاهُ.

وقال محمد بن سَخْنُون - فِي الْمَأْسُورِ^(٥) يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيْدِي الْعَدُوِّ: يُقْتَلُ إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ تَنْصَرُّهُ أَوْ إِكْرَاهُهُ.

وعن [٢٤٩] أبي محمد بن أبي زَيْد^(٦): لَا يُعْذَرُ بِدَعْوَى زَلَّ اللِّسَانُ فِي مِثْلِ هَذَا.

وأفق أبو الْحَسَنِ الْقَاسِمِي - فِيمَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَكْرِهِ: يُقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَمْتَقِدُ هَذَا وَيَفْعَلُهُ فِي صَحْوِهِ^(٧).

وأيضا فإنه حَدٌّ لَا يُسْقِطُهُ السُّكْرُ؛ كَالْقَذْفِ، وَالْقَتْلِ، وَسَائِرِ الْحُدُودِ؛ لِأَنَّهُ أَدْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ^(٨)؛ لِأَنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ زَوَالِ عَقْلِهِ بِهَا^(٩)،

(١) دُونَ تَلَعُّمٍ: دُونَ تَوَقُّفٍ وَتَرَدُّدٍ فِي وَجُوبِ قَتْلِهِ شَرْعًا.

(٢) لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْكُفْرِ بِالْجِهَالَةِ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ عِلْمُ أُمُورِ دِينِهِ وَتَعَلُّمُهَا.

(٣) وَلَا بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ: مِنَ الضَّجَرِ وَالتَّهَوُّرِ وَالسُّكْرِ وَنَحْوِهِ.

(٤) الْإِكْرَاهُ: حَمْلُ الْغَيْرِ عَلَى مَا لَا يَرِيدُ.

(٥) الْمَأْسُورُ: الَّذِي أَسْرَهُ الْكُفَرَاءُ بِدَارِ الْحَرْبِ. يُقْتَلُ، وَلَا يُعْذَرُ بِكَوْنِهِ أَسِيرًا.

قال الخفاجي: يُقْتَلُ؛ أَيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَتَابَ، فَإِنْ ارْتَدَّ ثُمَّ سَبَّ لَا يُقْتَلُ، بَلْ يَسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ تَرَكَ، وَإِلَّا قُتِلَ. وَكَذَا لَوْ عَلِمَ إِكْرَاهُهُ لَمْ يُقْتَلْ أَيْضًا، فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ، وَقَالَ: كُنْتُ مَكْرَاهًا فِيهِ خِلَافَ.

(٦) الْإِمَامُ الْمَالِكِيُّ الشَّامِيُّ.

(٧) لِلرَّادِ أَنَّهُ إِذَا سَكَرَ غَابَ، فَلَا يَسْتَرِ مَا يَضُرُّهُ وَيُخْفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

(٨) لِأَنَّهُ أَدْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي شَرِبَ بِاخْتِيَارِهِ فَسَكَرَ سَكْرًا أَوْجِبَهُ؛ فَلَا يُعْذَرُ.

كُنْ أَعْمَى عَلَيْهِ أَوْ جُنْ.

(٩) بِهَا: بِالْخَمْرِ.

وإتيان ما يُنكر منه ، فهو كالعالم لما يكون بسببه .

وعلى هذا أُرْمِيَ الطَّلَاق والعِتَاق ، والقِصَاص والحدود .

ولا يُعْتَرَض على هذا بحديث^(١) حمزة وقوله للنبي ﷺ عليه وسلم : وهل

أنتم إلا عبيد لأبي^(٢) !

قال : فعرف النبي ﷺ عليه وسلم أنه كَمِلَ^(٣) فانصرف ؛ لأن الخمر كانت حينئذٍ غَيْرَ محرمة ، فلم يكن في جنائياتها^(٤) إثم ، وكان حُكْمُ ما يحدث عنها مَعْفُوءاً عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء للمؤمن^(٥) .

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرها . وقد قال هذا وهو سكران .

(٢) كان حمزة قد جلس يشرب ، وعند داره ناقتان لملى يريد أن يحمل عليهما إذ خرا لحاجة له ، وعنده قينتان تفتياناه : ألا يا حمز بالشرف النواء . . . فخرج ونحرمها وجب سنامهما ليأكلوه على شراهم . فأخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فجاءه ؛ فلما رآه حمزة رضى الله عنه صعد نظره إليه وقال له : هل أنتم معاشر قريش إلا عبيد لأبي : فكل بالكم يحل لى .

قال الخفاجى : وهذا فيه ما ينكر فى حق النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) ثمل : سكران زائل العقل .

(٤) فى جنائياتها : فيما يجنيه شاربها إثم ، لعدم تعديه بتعاطى سبب محرم .

(٥) وشرب الدواء المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنائيات . للمؤمن : الذى يأمن شاربه من ضرره وإزالة عقله إذا أزال عقله من غير علم بأنه يزيله ، فإنه إذا أزاله فوقع منه أمر من الأمور لم يترتب عليه عالم يكاف بالنهى عنه بخطاب الوضع ؛ فلا فرق بينه وبين النائم فى أنه غير مكلف بضمان وجناية أصلا .

قال الخفاجى : وقيد بالمؤمن ، لأن ما يعم ضرره لا يجوز تناوله ؛ فإن غاب به عقله فحكمه

حكم السكران أصلا .

فصل

الوجه الثالث^(١) أَنْ يَقْصِدَ إِلَى تَكْذِيبِهِ فِيمَا قَالَهُ وَأَتَى بِهِ ، أَوْ يَنْفِي نُبُوَّتَهُ أَوْ رِسَالَتَهُ ، أَوْ وُجُودَهُ ، أَوْ يَكْفُرُ بِهِ ؛ انْتَقَلَ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى دِينٍ آخَرَ غَيْرِ مِلَّتِهِ أَمْ لَا ؛ فِهَذَا كَافِرٌ بِإِجْمَاعٍ^(٢) ، يَجِبُ قَتْلُهُ ، ثُمَّ يُنْظَرُ فَإِنْ كَانَ مُصَرِّحاً بِذَلِكَ^(٣) كَانَ حُكْمُهُ أَشْبَهَ مُحْكَمِ الْمُرْتَدِّ^(٤) ، وَقَوِيَ الْخِلَافُ فِي اسْتِنَابَتِهِ^(٥) .

وعلى القول الآخر^(٦) لَا يُسْقَطُ الْقَتْلُ عَنْهُ تَوْبَتُهُ^(٧) لِحَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ بِتَقْيِصَةٍ فِيمَا قَالَهُ مِنْ كَذِبٍ أَوْ غَيْرِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ مُسْتَسِرّاً بِذَلِكَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الزَّانِدِ لَا تُسْقَطُ قَتْلُهُ التَّوْبَةُ عِنْدَنَا^(٨) كَمَا سَنَبِيْنُهُ .

قال أبو حنيفة وأصحابه : مَنْ بَرِيَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، أَوْ كَذَّبَ بِهِ ، فَهُوَ مُرْتَدٌّ حَلَالٌ الدَّمِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ^(٩) .

(١) الوجه الثالث فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم أو أذيته وتنقيصه .

(٢) سواء انتقل بقوله ذلك الذي كفر به إلى دين آخر بأن تهود أو تنصر ، أم لم ينتقل لمة أخرى ؛ فهذا كافر بإجماع من المسلمين وأصحاب المذاهب .

(٣) بذلك : بذلك الأمر الذي كفر به .

(٤) قال الخفاجي : إنما جملة أشبه بالمرتد ، لأنه لم يتعين أمره .

(٥) في استنابته ؛ أى في أنه هل يستتاب وتقبل توبته أم لا ؟

(٦) القول الآخر هو أنه يستتاب .

(٧) لَا يُسْقَطُ الْقَتْلُ عَنْهُ تَوْبَتُهُ ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ لَا يُسْقَطُ بِالتَّوْبَةِ كَالنَّفْذِ وَالسَّرْقَةِ ، لَكِنَّهُ يَثْبُتُ

لَهُ حُكْمُ الْمُسْلِمِينَ فِي مِيرَاثِهِ وَدَفْنِهِ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ .

وإنما لَا يُسْقَطُ الْقَتْلُ ؛ لِأَنَّهُ حَقُّ الْعَبْدِ لَا يُسْقَطُ بِالتَّوْبَةِ ، وَإِنَّمَا يُسْقَطُ بِهَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى .

(٨) عندنا : في مذهب مالك .

(٩) حلال الدم : حلال إراقة دمه ؛ أى لزم قتله شرعاً . إلا أن يرجع عما قاله

فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله أولاً ، فهو عنده حكم المرتد فتقبل توبته ، لقوله تعالى : إِنْ يَنْتَهَوْا عَنْ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ . وَلَحْدِيثُ : إِذَا قَالُوا هَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

وقال ابن القاسم^(١) - في المسلم إذا قال : إنَّ محمداً ليس بنبيّ ، أو لم يرسل ، أو لم يُنزل عليه قرآن ؛ وإنما هو شيء . تنوّل^(٢) : يُقتل .

قال : ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره^(٣) من المسلمين ، فهو بمنزلة المرتد^(٤) ، وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمُرتدّ يستتاب^(٥) .

وكذلك قال فيمن تنبأ ، وزعم أنه يوحى إليه^(٦) ، وقاله سخنون .

قال ابن القاسم : دعا إلى ذلك سراً وجَهراً .

قال أضيف : وهو كالمُرتدّ ؛ لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية^(٧) على الله .

وقال أشهب - في يهودي تنبأ أو زعم أنه أُرسِلَ إلى الناس ، أو قال : بعد

نبيكم نبيّ - أنه يستتاب إن كان مُعلناً^(٨) بذلك ؛ فإن تاب وإلا قُتل ؛ وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : لا نبيّ بعدى^(٩) ، مُفترٍ على الله^(١٠)

في دَعَواه عليه الرسالة والنبوة .

وقال محمد بن سَخْنُون : مَنْ شَكَّ في حَرَفٍ مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ابن القاسم : عبد الرحمن المصري الإمام المشهور ، صاحب مالك .

(٢) تنوّل : افتراه على الله تعالى .

(٣) من كفر برسول الله ؛ أي أنكر نبوته ورسالته . وأنكره : أنكر وجوده .

(٤) بمنزلة المرتد : يقتل إن لم يتب .

(٥) من أعلن بتكذيبه ؛ أي أظهره جهراً . يستتاب : أي تقبل توبته ، فإن لم يتب قتل .

(٦) قال في نسيم الرياض : (٤ — ٤٢٩) : ومحل ذلك إذا زعم أنه يوحى إليه بنزول

الملك عليه ، وإلا فالذي ينبغي أنه لا يكفر - كما قاله ابن حجر .

(٧) الفرية : الكذب عليه .

(٨) معلناً بذلك : مظهرها له لا ، إذا أخفاه .

(٩) هذا الحديث رواه البخاري .

(١٠) مفتر : متمعد للكذب فيما زعمه .

عن الله فهو كافرٌ جاحِدٌ^(١) .

وقال : مَنْ كَذَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حُكْمُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْقَتْلَ .

وقال أحد بن أبي سليمان صاحبُ سَجُنُون : مَنْ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدُ - قُتِلَ ؛ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْوَدَ^(٢) .

وقال نحوه أبو عثمان^(٣) الحُدَّاد ؛ قَالَ : لَوْ قَالَ : إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ ، أَوْ إِنَّهُ كَانَ بِنَاهَرُتَ^(٤) ، وَلَمْ يَكُنْ بِتِهَامَةٍ قُتِلَ ؛ لِأَنَّ هَذَا نَقْيٌ^(٥) .

قال حبيب^(٦) بن ربيع : تَبْدِيلُ صِفَتِهِ وَمَوَاضِعِهِ^(٧) كُفْرٌ^(٨) ، وَالْمُظْهِرُ [٢٥٠]

(١) الجحد : الإنكار لما يعلمه عنادا وعتوا ، وهو كافر جاحد لشكه في الوحي المتواتر .

(٢) في نسيم الرياض (٤ — ٤٣١) : وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ : كَلَامُهُ هَذَا يَوْمَ أَنْ مَجَرَّدَ الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ كُفْرٌ يَوْجِبُ الْقَتْلَ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ ضَمِيمَةٍ مَا يَشْعُرُ بِنَقْصٍ فِي ذَلِكَ ، كَمَا فِي مَسْأَلَتِنَا .

(٣) اسمه سعيد .

(٤) تاهرت : اسم فلاة أو مدينة بنواحي تلمسان ، بالمغرب .

(٥) نقى لوجود النبي صلى الله عليه وسلم ، لفيه صفة المعروفة .

قال ابن حجر : وَمَا قَالَهُ مُتَعَجِّجٌ ، لَسَكُنَ مَحَلَّهُ — كَمَا يَعْلَمُ مِنْ آخِرِ كَلَامِهِ — فِيمَنْ طَالَتْ صَحْبَتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى ظَنَّ بِهِ عِلْمَ ذَلِكَ ؛ وَبِهِ يَعْلَمُ رَدَّ مَا نَقَلَهُ الْعَزْزِيُّ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَقْرَبَهُ — مَنْ أَنْ مَنْ قَالَ : أَوْ مِنْ النَّبِيِّ وَأَشْكُ فِي أَنَّهُ الْمَدْفُونُ بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ الَّذِي نَشَأَ بِمَكَّةَ — لَا يَكْفُرُ ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَعْلُومًا بِالضَّرُورَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ ، لِأَنَّا لَمْ نَتَعَبَّدْ بِهِ ؛ فَيَكُونُ جَاحِدُهُ كَجَاحِدِ بَنِي إِدَادَ وَمِصْرَ .

قال الخفاجي : وَوَجْهَ رَدِّهِ أَنَّ الشَّكَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَالِطِ لِلْمُسْلِمِينَ يَسْتَلْزِمُ تَضْلِيلَ الْأُمَّةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعِظَائِمِ فِي الدِّينِ .

(٦) من أئمة المالكية .

(٧) مواضعه التي كان مقره بها ، كتهامة ، ومكة ، والمدينة .

(٨) قال ابن حجر : وَهَذَا يَشْمَلُ إِنْكَارَ الْحَجَرَةِ ، وَكَوْنَهُ كَانَ أَوْ لَا بِمَكَّةَ وَآخِرًا بِالْمَدِينَةِ ،

وغير ذلك مما يشاكله .

له كافر ، وفيه الاستتابة^(١) والمسير له زنديق ، يُقتل دون استتابة .

فصل

الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمُجْمَلٍ^(٢) ، ويلفظ من القول بمُشْكَلٍ^(٣) يمكنُ حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ، أو يتردد^(٤) في المراد به من سلامته من المكروه أو شره ؛ فهاهنا مُتَرَدِّدُ النظر وحيرة العبر ، ومُظَنَّةُ اختلاف المجتهدين^(٥) ، ووقف استبراء المقلدين^(٦) ، إيهالك من هلك عن بينة ، ويحیی من حی عن بينة^(٧) ؛ فمنهم^(٨) من غلب حُرْمَةُ^(٩) النبي صلى الله عليه وسلم ، وحی

= قال الخفاجي : وهو متجه .

(١) أى إنه تقبل توبته .

(٢) بمجمل : بما لم تتضح دلالته على مراد من تسكلم به .

(٣) المشكل : ماله أشكال ؛ أى أشباه ونظائر ؛ وهو أيضا مالا يظهر معناه . والمراد

مافيه التباس بغيره .

(٤) أو يتردد ويشك في المراد به ؛ أى ماقصده التسكلم به .

(٥) متردد : محل التردد . وحيرة العبر : جمع عبرة ؛ وهو مايعتبر ليستدل به على غيره .

ومظنة : محل الظن .

(٦) استبراء : طلب براءة . المقلدين لهؤلاء المجتهدين ؛ يعنى أن المجتهدين يعملون النظر

في استخراج حكمه ، ويتحبرون فيه لإشكاله عليهم ، والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرأ من عهده .

(٧) ليسكون قتل من حكم بكفره بدليل واضح ؛ لأن إراقة الدماء لا يجازف فيها .

وتسكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر ؛ لأنه لا ينبغي السامحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها

من طعن الطاعنين .

(٨) فمنهم : من المجتهدين في مثل هذا .

(٩) حرمة النبي : احترامه وصيافته .

حَمَى عِرْضِهِ ^(١)، فَجَسَرَ ^(٢) عَلَى الْقَتْلِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ عَظَّمَ حُرْمَةَ الدِّمِ، وَدَرَأَ الْحَدَّ بِالشُّبْهَةِ ^(٣) لَا حَتْمًا لِقَوْلِهِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَعْمَتُنَا فِي رَجُلٍ أَغْضَبَهُ غَرِيْمُهُ ^(٤)؛ فَقَالَ لَهُ : صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٥)؛ فَقَالَ لَهُ الطَّالِبُ : لَا صَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ؛ فَقِيلَ لَسَحْنُونَ : هَلْ هُوَ كَمَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ شَتَمَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ؛ قَالَ : لَا، إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنَ الْغَضَبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُضْمِرًا ^(٦) الشَّتْمَ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْبَرْقِيُّ ^(٧)، وَأَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ : لَا يُقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا شَتَمَ ^(٨) النَّاسَ؛ وَهَذَا تَحْوِيلُ قَوْلِ سَحْنُونَ : لِأَنَّهُ لَمْ يُعْذِرْهُ بِالْغَضَبِ فِي شَتْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

(١) وَحَمَى حَمَى عِرْضِهِ؛ أَيْ مَنَعَ أَنْ يَهْجُمَ أَحَدٌ عَلَى مَقَامِ النَّبَوَةِ، وَلَوْ بِالْإِحْتِمَالِ؛ فَإِنْ مِنْ حَامٍ حَوْلَ الْحَمَى يَوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .
(٢) جَسَرَ : أَقْدَمَ مِنْ غَيْرِ مَبَالَةٍ .

(٣) دَرَأَ : مَنَعَ - بِالشُّبْهَةِ فِيمَا قَالَهُ، لِإِحْتِمَالِ عَدَمِ قَصْدِهِ لِمَا يُوْجِبُهُ؛ لِإِحْتِمَالِ الْقَوْلِ الصَّادِرِ مِنْهُ لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا يَقْتَضِيهِ، وَالْآخَرُ يَنْعِمُهُ؛ فَعَمِلَ بِالثَّانِي احتياطًا .

(٤) غَرِيْمُهُ : يَعْنِي مَنْ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ طَالِبُهُ بِهِ .

(٥) يَرِيدُ بِذَلِكَ دَفْعَ غَضَبِهِ بِذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٦) مُضْمِرًا : نَاوِيًا وَمُرِيدًا وَمُسْرًا .

(٧) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْفَيْصَاضِ . تَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً .

(٨) شَتَمَ النَّاسَ لَا النَّبِيَّ وَلَا الْمَلَائِكَةَ؛ لِأَنَّ « مَنْ » وَإِنْ عَمَّ بِمَنْحَصٍ بِإِعْتِبَارِ مُتَعَارِفِ النَّاسِ فِي قَصْدِ جَنْسِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَخْطُرُ يِيَالُهُ فِي عَرَفِ التَّخَاطُبِ؛ وَلَيْسَ ثَمَّةَ قَرِينَةٍ تَصْرِفُ الشَّتْمَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَقَدْ يُقَالُ : إِنْ التَّبَادُرَ مِنْ قَوْلِهِ : « مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ » الْأَمْرُ لَهُ، أَوْ نَفْسُهُ إِنْ صَلَّى عَلَيْهِ لِتَسْكِينِ غَضَبِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ صَلَّيْتُ أَنَا أَوْ أَنْتَ لَدَفْعِ الْغَضَبِ فَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ أَوْ عَلَى، وَهُوَ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ .

عليه وسلم ، ولكنه لما احتمل الكلامُ عنده ، ولم تكن معه قرينةٌ على شتمِ
الذي صلى الله عليه وسلم ، أو شتمِ الملائكةِ صلواتُ الله عليهم ؛ ولا مُقدمةٌ^(١)
يحملُ عليها كلامه ؛ بل القرينةُ تدلُّ على أن مراده الناسُ غيرُ هؤلاء ، لأجلِ
قولِ الآخر له : صَلَّى على النبي ، فحمل قوله وسبُّه لمن يُصلى عليه الآن لأجلِ أمرِ
الآخر له بهذا عند غضبه^(٢) .

هذا معنى قولِ سَحَنُون ؛ وهو مُطَابِقٌ لعلَّةِ صاحبيه .

وذهب الحارثُ بنِ مسكين^(٣) القاضى وغيره في مثلِ هذا إلى القتل^(٤) .

وتوقف أبو الحسن القابسيُّ في قتلِ رَجُلٍ قال : كلُّ صاحبِ فُنْدُقٍ قرنان^(٥) ،
ولو كان نبيًّا مُرسَلًا ؛ فأمر بشدِّه بالقيودِ والتضييقِ عليه حتى يُستفهم^(٦) البيّنة عن
جملةِ ألفاظه ، وما يدلُّ على مقصده ؛ هل أراد أصحابَ الفنادقِ الآن ؛ فعلومُ أنه

(١) ولا مقدمة ؛ أى أمر مقدم على كلامه ؛ أى قرينة وأمر بأنه قصد النبي أو الملائكة .

(٢) فمن أين يخطر بباله عند النصفِ النبي أو الملائكة ؛ وهو في غاية الظهور في

عرف الناس .

(٣) الحارث بن مسكين المحدث المالكي الثقة الحجة ، أخرج له أصحاب السنن ، وحمل

لبنداد في محنة خلق القرآن فحبس إلى أن تولى المذوكل ، فأطلقه وولاه قضاء مصر ، فلم يزل
قاضيا بها إلى أن توفى سنة مائتين وخمسين .

(٤) وذلك لشموله ذكر النبي والملائكة .

وفي نسيم الرياض (٤ — ٤٣٤) : قال ابن حجر : واللائق بقواعدنا الأولى ؛ لأن

اللفظ ليس صريحاً في شتم الملائكة ولا الذات المقدسة ، وإنما هو ظاهر في شتم نفسه إن صلى
هو أو غيره من الناس .

ومع عدم التكفير يمزر التعزير البليغ .

(٥) للفندق : الحان الذى ينزله أبناء السبيل ، والتجار ، والغرباء . له قرنان : بمعنى

الديوث ؛ وهو الذى يجمع الرجال الأجانب مع زوجته أو بعض محارمه .

(٦) يستفهم البيّنة : يسأل عما قاله .

ليس فيهم نبي مرسل؛ فيكون أمره أخف.

قال : وتكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين. وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال^(١).

قال : ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين . وما تردُّ إليه التأويلات^(٢) لا بدَّ من إنعام النظر فيه . هذا معنى كلامه^(٣).

وحكى عن أبي محمد بن أبي زبد رحمه الله - فيمن قال : لعن الله العرب ، ولعن الله بنى إسرائيل ، ولعن الله بنى آدم ، وذكر أنه لم يرد الأنبياء ، وإنما أردت الظالمين منهم - أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان^(٤).

وكذلك أفتى - فيمن قال : لعن الله من حرَّم المسكر ، وقال : لم أعلم من حرَّمه .

وفيمن لعن حديث : لا يبيع حاضر لباد^(٥) . ولعن من جاء به - أنه إن كان يُعذر بالجهل^(٦) وعدم معرفة الشئ فعليه الأدب الجميع ؛ وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله ؛ وإنما لعن من حرَّمه من الناس على نحو

(١) ارجع إلى هامش رقم ٥ من الصفحة السابقة . ففيه أن صاحب الفندق كناية عن له مال كثير كتسبه ، لأنه لا يبيعه ويعلمه إلا من هو كذلك .

(٢) المراد تدقيق النظر وإطالة التدبر والتفكير .

(٣) في نسيم الرياض (٤ — ٤٣٥) : قال ابن حجر بعده : والظاهر أن لفظه ليس صريحا في ذم الأنبياء ولا سبهم ، فلا يكفر بمجرد هذا اللفظ ، بل يعزى التمييز الشديد .

(٤) أن عليه الأدب ، أو التمييز والترجيح ، لما في كلامه من الإيهام .

بقدر اجتهد السلطان : بقدر ما يؤدى إليه اجتهداه من ضرب وغيره دون القتل .

(٥) الحاضر : المقيم . والبادى : من يأتى من البادية كالبدوى . والحديث في صحيح

مسلم : ١١٥٥

(٦) يعذر بالجهل ، لقرب عهده بالإسلام .

فَتَوَيَّ سَحْنُونُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ^(١) .

وَمِثْلُ هَذَا مَا يَجْرَى فِي كَلَامِ سَفَهَاءِ النَّاسِ [٢٥١] فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ :
يَا بَنُ أَلْفِ خِنْزِيرٍ ^(٢) ، وَابْنَ مَائَةِ كَلْبٍ ، وَشِبْهَهُ مِنْ هُجْرٍ ^(٣) الْقَوْلِ .
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛
وَلَعَلَّ بَعْضَ هَذَا الْعَدَدِ مُنْقَطِعٌ ^(٤) إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَنْبَغِي الزَّجْرُ عَنْهُ ^(٥) ،
وَتَبْيِينُ مَا جَهِلَهُ قَائِلُهُ مِنْهُ ^(٦) وَشِدَّةُ الْأَدَبِ فِيهِ .

وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ قَصْدُ سَبِّ مَنْ فِي آبَائِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى عِلْمِهِ لُقُتِلَ .
وَقَدْ يَضِيقُ الْقَوْلُ فِي نَحْوِ هَذَا ^(٧) لَوْ قَالَ لِرَجُلٍ هَاشِمِيٌّ : لَعَنَ اللَّهُ بَنِي هَاشِمٍ -
وَقَالَ : أَرَدْتُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ ؛ أَوْ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا
قَبِيحًا فِي آبَائِهِ أَوْ مِنْ نَسْلِهِ أَوْ وَلَدِهِ عَلَى عِلْمِهِ مِنْهُ أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) المسألة المتقدمة في قول القائل : لا صلى الله على من صلى عليه .

(٢) وأراد بالخنزير من تقدم من آبائه وأجداده .

(٣) هجر القول : خُشَّ فِي الْمَنْطِقِ .

(٤) منقطع : منتهى أو متصل .

(٥) فينبغي لما ذكر من احتمال دخول بعض الأنبياء فيه ، وأن الحامل على ذكره
سفاهة قائله .

(٦) وتبيين ما جهله قائله منه ، ليزول عذره ، فيقال له : إنه يدخل في كلامك بعض الأنبياء
عليهم السلام ، فغيب عنه ولا تمد لمثله .

قال في نسيم الرياض : وحاصل ما ذكره أنه لا يكفر بهذا اللفظ ؛ وارجع في هذا إلى
صفحة ٤٣٧ من النسيم إن أردت .

(٧) يضيق القول في مثل هذا ؛ أي يزداد في التشديد على قائله فيما لو قال أحد من الناس
لرجل من بني هاشم - جد النبي : لعن الله ...

وضيق فيه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا ، فليس
كالذي قبله ؛ ولذلك شدد على قائله .

وسلم، ولم تكن قرينة في المسألتين^(١) تقتضي تخصيص بعض آياته، وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم بمن سبه منهم^(٢).

[وقد رأيت لأبي موسى عيسى بن مناس^(٣) - فيمن قال لرجل : لعنك الله إلى آدم عليه السلام - أنه إن ثبت عليه ذلك قُتل^(٤) .

وقد كان اختلف شيوخنا^(٥) فيمن قال لشاهدٍ شهد عليه شيء ثم قال له : تتهمني^(٦) ؟ قال له الآخر : الأنبياء يتهمون ، فكيف أنت ؟ فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله ، لبشاعة ظاهر اللفظ .

وكان القاضي أبو محمد بن منصور^(٧) يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده (١) في المسألتين : مسألة بني هاشم ، ومسألة الدرية .

(٢) في نسيم الرياض (٤ - ٤٣٨) : قال ابن حجر : وظاهر كلامه أنه لا يقبل تخصيصه بإرادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير قرينة ؛ وهو محتمل لمعوم لفظه ، لكن الأقرب إلى قواعدا قبوله مطلقا ؛ لأن اللفظ بوضعه لا ينافي تلك الإرادة ، لكن يبالغ في التعزير . (٣) هو من أصحاب سجنون ، ومن أهل قيروان . ويقال : مياس - بمشاة تحية . (٤) قتل لدخول بعض الأنبياء ، كنوح .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٣٨) : قيل الظاهر أنه يؤدب ولا يقتل ، لاحتمال أن يريد أن اللعنة تستمر عليه إلى أن يلقى آدم ، لاسيما ودخول الغاية غير متعين .

قال ابن حجر ، بعد كلام المصنف : وقضية قواعدا خلافه ، لما قدمته من أن لفظه ليس صريحا في سب نبي ، لاحتماله إلى أن يلقى آدم في يوم القيامة ؛ بل لو قال : لعن الله آباءه إلى آدم كان عدم التكفير أقرب أيضا إن ادعى إرادة غير الأنبياء منهم ، لاحتمال ما ادعاه ، وعدم صريح يدل على خلافه ؛ ولا يقال : كلام يتناول آدم ، للاختلاف المشهور في دخول الغاية . وما بين القوسين ساقط في ١ .

(٥) شيوخنا : من علماء المغرب المالكية .

(٦) أتهمني : أنسب لي سوءا وأمرأ يقتضي عدم قبول شهادتي ؟

(٧) اسمه عبدالله بن محمد بن منصور ، إمام محدث مالكي ، المذهب ، توفي سنة ثلاث

عشرة وخمسة .

أَنْ يَكُونَ خَبْرًا عَمَّنْ أَتَاهُمُ مِنَ الْكُفَّارِ^(١) .

وَأُفْتِيَ فِيهَا قَاضِي قُرْطُبَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْحَاجِّ بَنَجُو^(٢) هَذَا .
وَشَدَّدَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ تَصْفِيدَهُ^(٣) ، وَأَطَالَ سَجْنَهُ ، ثُمَّ اسْتَحْلَفَهُ بَعْدُ عَلَى
تَكْذِيبِ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ^(٤) ؛ إِذْ دَخَلَ فِي شَهَادَةِ بَعْضِ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ وَهْنٌ ،
ثُمَّ أَطْلَقَهُ^(٥) .

وَشَاحَدَتْ شَيْخَنَا الْقَاضِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى^(٦) أَيَّامَ قَضَائِهِ أَتَى بِرَجُلٍ
هَاتِرٍ^(٧) رَجُلًا ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى كَلْبٍ فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ^(٨) ، فَأَنكَرَ
الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ لَفِيفٌ مِنَ النَّاسِ^(٩) ؛ فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ،

(١) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا مِمَّا وَقَعَ وَقَائِلُهُ لَا يَمْتَقِدُ مَا قَالُوهُ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَهَذَا الثَّانِي
هُوَ الْأَوَّلُ .

(٢) مِنَ التَّوَقُّفِ فِيهِ .

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَلْفِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّجِيبِيِّ الْمَالِكِيِّ الْعَلَامَةُ الْمُحَدِّثُ ، قَتَلَهُ مَجْنُونٌ وَهُوَ
سَاجِدٌ بِجَمَاعِ قُرْطُبَةَ .

(٣) تَصْفِيدُهُ : جَمَلُهُ فِي صَفَدٍ ، وَهُوَ الْقَيْدُ .

(٤) أَيْ أَمْرَهُ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى أَنَّهُ مَا قَالَ مَا نَسَبَ إِلَيْهِ .

(٥) وَهْنٌ : ضَعْفٌ ؛ فَيَحْلِفُهُ ؛ وَهَذَا احْتِيَاظٌ فِي حَقِّ النَّبِوَةِ ، وَإِلَّا فَكَوْنُهُ إِخْبَارًا بِمَا
وَقَعَ مِنَ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ لِمَا قَالُوهُ - وَهُوَ أَمْرٌ وَاقِعٌ - يَكْفِي فِي عَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِ الْقَتْلَ .
ثُمَّ أَطْلَقَهُ لِحُكْمِهِ بِإِرَائِهِ .

(٦) وَلَدَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

(٧) الْمُهَاتِرَةُ : السَّفَاهَةُ فِي الْقَوْلِ ، يُقَالُ : تَهَاتَرَ الْفَتَيَانُ إِذَا تَفَاحَشَا فِي الْقَوْلِ .

(٨) قَصْدُ بَذْلِكَ تَحْقِيرِ خَصْمِهِ الْمُسَمًّى بِهَذَا الْأَسْمِ ، لَكِنْ لِمُشَارَكَتِهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي الْأَسْمِ لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ لِإِيْهَامِهِ مَا لَا يَلِيقُ .

(٩) لَفِيفٌ مِنَ النَّاسِ : جَمَاعَةٌ اجْتَمَعُوا لِشَهِدُوا عَلَيْهِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ .

وتقصي^(١) عن حاله ، وهل يصحب من يستراب^(٢) بدينه ؟ فلما لم يجد ما يقوى الريبة ماعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه^(٣) .

فصل

الوجه الخامس ألا يقصد نقصا ، ولا يذكر عيبا ولا سببا ، لكنه ينزع^(٤) بذكر بعض أوصافه ، أو يستشهد ببعض أحواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل ، والحجة لنفسه أو لغيره^(٥) ، أو على التشبه به ، أو عند هزيمة^(٦) نالته ، أو غضاظة^(٧) لحقته ، ليس على طريق التأسي^(٨) وطريق التحقيق ؛ بل على مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره ، أو على سبيل التمثيل^(٩) وعدم التوقير لنبية صلى الله عليه وسلم ، أو على قصد الهزل والتخدير^(١٠) بقوله ، كقول القائل : إن قيل في السوء فقد قيل في النبي ، وإن كذبت فقد كذب

(١) التقصي : البحث والتفتيش الشديد .

(٢) من يستراب بدينه : هل يصحب من الناس من في دينه ريبة وشك ، ومن يتهم بالإلحاد ، فإن المرء على دين خليله ، فإن كان كذلك يعلم أنه قصد بكلامه حقيقة ، فأكثر السؤال عنه وعن مخالفه .

(٣) ضربه تعزيرا له وزجرا عن العود لمثله ، وأطلقه .

قال ابن حجر : وما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب .

(٤) ينزع : يميل .

(٥) ليتأسى به ، يقتدى .

(٦) هزيمة : مظلة .

(٧) غضاظة : نقيص .

(٨) التأسي : الاقتداء به في مثله ، ولا على طريق التحقيق ، لا تصاف النبي صلى الله عليه وسلم

به على مقصد الترفيع والتعظيم لنفسه ، إن كان ذلك وقع منه .

(٩) على سبيل التمثيل به ، أي جملة مثلا فيما اتفق له .

(١٠) التندير : الإتيان بأمر نادر شاذ وقوعه ، فيذكره على سبيل الشذوذ ، لا التشهير

والترفيع .

الأنبياء^(١)، أو إن أذنبتُ فقد أذنبوا^(٢)، أو أنا أسلمُ من ألسنة الناسِ ولم يَسلمْ منهم أنبياء الله ورُسُلُه؛ أو قد صبرتُ كما صبر أولو العزم، أو كَصَبِرِ أيوب، أو قد صبر نبيُّ الله عن عِدَاهُ، وحَمَلُ^(٣) على أكثر مما صبرتُ؛ وكنقول المتنبي^(٤) :
أنا في أمةٍ تداركها الله غريبٌ كصالح في ثمود^(٥)

(١) وهذا فيه تسوية لنفسه بهم .

(٢) وهذا سوء أدب ، فإنهم عليهم السلام معصومون .

(٣) عاملهم - مع ما وقع منهم - بالحلم والعفو عنهم .

قال الحفاجي : فني كل هذا من ترك الأدب ما لا يخفى .

قال ابن حجر : فميل كلامه ، بل صريحه ، عدم الكفر في هذه المسائل ، وهل يحرم ذلك الذي يظهر أنه إن قصد به الترفع ، وأنه شاركهم في أصل هذه الفضائل - كان حراما شديدا التحريم ؛ وإن قصد هضم نفسه على طريق المبالغة ، بمعنى أنه لا نسبة لى باتباعهم ، وقد وقع لهم ذلك ، فوقوعه لى أولى - لم يكن حراما .

وعلى هذا يحمل ما وقع لبعض الأكابر من استشهادهم على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها .

نعم ، قوله : إن أذنبت فقد أذنبوا - شديد التحريم ، لا يجوز الاستشهاد به بحال .

وقال بعض المالكية : من قال : إن كان قيل في حقى أو حق فلان ؛ أو إن جرى له كذا - فقد قيل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو جرى لهم - حرم عليه إطلاق ذلك ، لأن ما انتقص به يضيفه للأنبياء فيؤدب .

وفهم بعضهم من كلام المصنف رحمه الله أنه يكفر بذلك ؛ وليس كما فهم ؛ وليس في مذهبنا ما يوافق القول في التكفير لا تصريحاً ولا تلويحاً ، وليس لمن قال به دليل ؛ وتعليقه بأن القصد التشبيه والاتقاص فاسد ؛ إذ لا يقصد ذلك من في قلبه إسلام ، بل المراد كيف لا يتكلم في حقير مثلى وقد تكلم في الأكابر .

قال بعض المتأخرين : بل إطلاق التحريم في ذلك بحسب مذهبنا منظور فيه .

والوجه عدم التحريم حيث كان المراد ما ذكر ، أو أطلق .

(٤) المتنبي : أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور .

(٥) البيت في ديوانه : ١ - ٣٢٤

ونحوه من أشعار المتمجرفين^(١) في القول، المتساهلين في الكلام؛ كقول
المعري^(٢) :

كذت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير
على أن آخر البيت شديد، وداخل في باب الإزراء والتحقير^(٣) بالنبي [٢٥٢]
صلى الله عليه وسلم، وتفضيل حال غيره عليه .
وكذلك قوله^(٤) :

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأت به رسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد، لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي،

= والأمة : أقوام في أزمان نبي بعث إليهم . وتكون بمعنى الجماعة مطلقا، ومعنى تداركها
الله بلطفه أو بهلاكه ، فهو دعاء لهم أو عليهم . أى تداركها الله بالإصلاح ؛ أو تداركها
بالانتقام والاستئصال حتى لا يبقى منهم أحد . وصالح : نبي الله - ونمود أمته . والغربة : الخروج
عن الأهل والوطن ، والمراد عدم المناسبة والآلفة .

قال ابن حجر : وكلامه محتمل لقصد تشبيه حاله في الغربة بحال صالح عليه السلام ؛ فيكون
من قصد الترفع ، أو تشبيه حال من هو فيهم بحال نمود : من المشاقة وعدم الطواعية ؛ فيكون
مستازما للدفع وصرحاً في سبهم . وعلى كل فهو غير كافر .
وقيل : إنه لقب بالمتنبي لهذا البيت .

(١) المعجرفة : تجاوز الحد والخروج عنه ؛ وهى أيضا : ارتكاب مالا يليق من غير
مبالاة به .

(٢) المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر المشهور . توفي سنة تسع
وأربعمائة . والبيت في ديوانه : ٣

(٣) لأنه لم يرض لممدوحه أن يكون مثل نبي الله ؛ إذ مراده : لولا هذا شبتك به .

(٤) أى المعري . وهو في ديوانه : ٩ ، ١٨٥

والعَبْزُ محتملٌ لوجهين : أحدهما أنَّ هذه الفضيلة نَقَصَت المدوح ، والآخَر استغناءهُ عنها . وهذه أشدُّ .

ونحوُ منه قولُ الآخر^(١) :

وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ صَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحَيْ جَبْرَيْنِ

وقول الآخر من أهل العصر :

فَرَّ مِنَ الْخُلْدِ وَاسْتَجَارَ بِنَا فَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ رِضْوَانٍ^(٢)

وكقول حَسَّانِ الْمِصْبَعِيِّ^(٣) من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمُعْتَدِ وَوَزِيرِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زَيْدُونَ^(٤) :

كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَسَّانُ حَسَّانُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ^(٥)
إِلَى أَمْثَالِ هَذَا^(٦) .

(١) من قصيدة لزيد بن عبد الرحمن الغربي من شعراء الذخيرة .
وجبرين لفنة في جبريل .

قال الخفاجي : وفيه أنه ليس فيه ذكر له صلى الله عليه وسلم ؛ وما قيل من أن فيه اجترأ على ملك معظم فيه أيضا أنه قصد أنها رايات رفعت للجهاد ونصرة الدين ؛ فمسحبة جبريل لها ليس فيه تحقير له .

(٢) قال الخفاجي : فيه عجرفة . لجملة رضوان . وهو من الملائكة المقربين . كأنه يهوى وهو الحورى بحيث لا يقدر على فراقه

(٣) وهو الوزير الكاتب حسان المصيصي رفيق الوزير بن عمار ، من عظماء الدولة العبادية ، وله أشعار بدعية ، أكثر قصائده في مدائح المعتمد .

(٤) وابن زيدون : هو ذو الوزارتين ، والشاعر البليغ الأندلسي المعروف .

(٥) أى كأن وزيرك أبا بكر بن زيدون أيها المدوح - أبو بكر الصديق . وكأن حسان المصيصي شاعرك حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الخفاجي : وهذا من جهله بمقام النبوة وعجازته ، وإن كان المشبه دون المشبه به ، لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه .

(٦) في ١ : إلى مثل هذا .

ولإنما أكرنا شاهدها^(١) مع استئقنا حكايتها لتعريف أمثاتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك^(٢)، واستخفافهم فادح هذا العبء، وقلّة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر^(٣)، وكلامهم منه بما ليس لهم به علم، وبحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم^(٤)؛ لاسيما الشعراء. وأشدّهم فيه تصرّحاً، وللسان تـسريحاً ابن هاني الأندلسي^(٥)، وابن سليمان المعري؛ بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر^(٦).

وقد أجبنا عنه، وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثاله؛ فإن^(٧) هذه كلّها وإن لم تتضمّن سبّاً، ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصاً. ولست أعني عجزى بيتي المعري، ولا قصد قائلها إزراءً وغصاً^(٨)؛ فما وقر النبوة، ولا عظم الرسالة، ولا عزّ حرمة الاصطفاء^(٩)، ولا عزّ حفاوة الكرامة^(١٠) حتى

- (١) شاهدها: المراد بما يشهد لما ادعاه، من أن الناس يتساهلون في أمثالها بما لا ينبغي.
- (٢) ولوج: دخول. الضنك: الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له دين.
- (٣) الوزر: الإثم والخطيئة.
- (٤) هيناً: سهلاً. وهو عند الله عظيم؛ لأنه من الكبائر.
- (٥) هو محمد بن هاني الأندلسي الإشبيلي، كان يميل لمذهب الفلاسفة؛ ولد بمدينة إشبيلية، ونشأ بها، وانتحل إلى مصر، ثم عاد منها فلما نزل بيرة وجد ميتاً لم يعرف من قتله، وكان ذلك لسبع بقين من رجب سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.
- (٦) لحوضهم في حق الأنبياء ونحوهم.
- (٧) في ١: في.
- (٨) إزراء: ازدراء. غصاً: نقصاً؛ لأنه إنما ضرب به المثل بأمور ذكرها قبل هذا.
- (٩) عز: قوى حرمتها واحترامها. الاصطفاء: اختيار الله لهم لرسالته وأداء أمانته.
- (١٠) عزز: جعلها عزيزة محترمة. والحفاوة: القرب؛ أي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة.

شَبَّهَ مَنْ شَبَّهَ فِي كَرَامَةِ نَالِهَا ، أَوْ مَعْرِتَةِ قَصْدِ الْإِنْتِفَاءِ مِنْهَا ^(١) ، أَوْ ضَرْبِ مِثْلِ
لِتَطْيِيبِ مَجْلِسِهِ ، أَوْ إِغْلَاءِ ^(٢) فِي وَصْفِ لِمُحْسِنِ كَلَامِهِ بِمَنْ عَظَّمَ اللَّهُ خَطَرَهُ ^(٣) ،
وَشَرَّفَ قَدْرَهُ ، وَأَلْزَمَ تَوْقِيرَهُ وَبِرَّهُ ، وَنَهَى عَنْ جَهْرِ الْقَوْلِ ^(٤) لَهُ ، وَرَفَعَ
الصَّوْتِ عِنْدَهُ .

فَخُذْ هَذَا إِنْ دُرِيَ ^(٥) عَنْهُ الْقَتْلُ الْأَدَبُ وَالسَّجْنُ وَقُوَّةُ تَعْزِيرِهِ بِمَحَسَبِ
شُنْعَةٍ ^(٦) مَمَّا لَهُ ، وَمَقْتَضَى فُتُوحِ مَا نَطَقَ بِهِ ، وَمَأْلُوفِ عَادَتِهِ لِمِثْلِهِ ، أَوْ نُدُورِهِ ^(٧) ،
وَقَرِينَةِ كَلَامِهِ ، أَوْ نَدَمِهِ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ ؛ وَلَمْ يَزَلِ الْمُتَقَدِّمُونَ يُنْكَرُونَ مِثْلَ هَذَا
مَنْ جَاءَ بِهِ ؛ وَقَدْ أَنْكَرَ الرَّشِيدُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَوْلَهُ ^(٨) :

فَإِنْ يَكُ بَاقِي سِخْرِ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبٍ .

(١) فِي كَرَامَةٍ : بِسَبَبِ كَرَامَةٍ . مَعْرِتَةٍ : مَنَقَصَةٍ أَوْ مُشَقَّةٍ . قَصْدُ الْإِنْتِفَاءِ مِنْهَا ، أَيْ أَرَادَ
الْمُتَخَلِّصَ وَالتَّوْبَرَ مِنْهَا .

(٢) إِغْلَاءٌ : غُلُوٌّ وَمُبَالَغَةٌ .

(٣) خَطَرُهُ : الْخَطَرُ : الْقَدْرُ وَالْمُزَلَّةُ .

(٤) بِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ .

(٥) دُرِيَ : دَفَعَ . . .

(٦) شُنْعَةٌ مَقَالُهُ : قَبِيحُهُ .

(٧) أَيْ إِنْ أَلْفَهُ وَاعْتَادَهُ بِتَكَرُّرِ صُدُورِهِ مِنْهُ ، أَوْ وَقَعَ مِنْهُ نَادِرًا قَلِيلًا ، فَكَثَّرَتْهُ تَدَلُّ
عَلَى سُوءِ اعْتِقَادِهِ وَعَدَمِ مِبَالَاتِهِ بِهِ . وَقَلَّتْهُ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ خَطَأٌ وَغَفْلَةٌ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِهِ لَهُ .

(٨) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ الشَّاعِرُ الْمُرُوفُ ، وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ لِبَغْدَادَ ،
وَاتَّصَلَ بِالْخُلَفَاءِ وَمَدَحَهُمْ . وَتُوفِيَ بَعْدَ تَسْمِينِ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسٍ . وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ : ٤٨٤ ،
وَرَوَايَتُهُ فِيهِ :

فَإِنْ يَكُ فِيكُمْ إِنْكَ فِرْعَوْنَ بَاقِيَا

وَقَالَ فِي هَامِشِ الدِّيْوَانِ : وَكَانَ الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا :

=

فَإِنْ يَكُ بَاقِي إِنْكَ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ

وقال له : يا بنَ الأَخْنَاءِ ^(١) ، أنتَ السَّهْزِيُّ بِمِصْرَ موسى ! وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته ^(٢) .

وذكر القُتَيْبِيُّ ^(٣) أَنَّ مِمَّا أُخِذَ عَلَيْهِ أَيْضاً ، وَكُفِّرَ فِيهِ ، أَوْ قَارَبَ - قَوْلَهُ فِي عَمْدِ الْأَمِينِ وَتَشْبِيهِهِ إِيَّاهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ قَالَ ^(٤) :
تَنَارَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبُهَةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقاً وَخُلُقاً كَمَا قُدَّ الشُّرَا كَانَ [٢٥٣] وَقَدْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَيْضاً قَوْلَهُ ^(٥) :

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ
لَأَنَّ حَقَّ الرُّسُولِ وَمَوْجِبَ تَعْظِيمِهِ وَإِنَافَةَ ^(٦) مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ ،

= قال : ولا يخفى ما في هذه الرواية من ضرورة لا يابجأ إليها شاعر مثل أبي نواس ، وعنده عنها مدسع من الكلام .

قال الخفاجي : ومعنى البيت أنه خاطب أهل مصر لما تولى عليهم فقال : يا أهل مصر ، إن كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم أمير المؤمنين من يبطله ، فاستعمار سحر فرعون لسكيدهم وتجيبرهم على حكمهم ، وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقع ظلمهم .

قال : وهذا فيه تشبيه بديع ، لكن فيه سوء أدب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة لموسى بكف عبد من عبيد الخلفاء ، وجعل ذلك العبد كرسول من أولى العزم .

ورواية البيت في الشعر والشعراء (٧٨٣) كرواية المؤلف .

(١) هذا مما تشتم به العرب .

(٢) قال الخفاجي : ولما سكن أبو نواس لم يقصد بما ذكر سباً وتنقيصاً ، واتبع الناس في قولهم لسحل فرعون موسى .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وفي هامش ب : القتيبي . وللثب في ١ ، ب .

(٤) الشعر والشعراء ٧٨٢ ، والصناعتين : ١١٦

(٥) ديوانه : ٤٣٠

(٦) إنافة منزلته : رفعها على غيرها .

ولا يُضاف^(١) .

(١) أن يضاف إليه ، فيقال : هو من نقر رسول الله ، ولا يضاف هو إلى غيره .
قال الخفاجي : قال ابن عبد ربه في المقد : قالوا من حق رسول الله أن يضاف إليه ولا يضاف
هو إلى غيره ، ولواتسع متسع لكان له مجاز حسن ؛ وذلك لأنه كقول القائل من بني هاشم
لغيره من أبناء قريش : منا رسول الله ؛ يريد أنه من القبيلة التي نحن منها ، كقول حسان بن ثابت :
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاترام ومفخر
فقال : من آل هاشم ، كما قال هذا : من نقره .

وقال شارح ديوان أبي نواس (٤٣) ، عابوا على النواصي هذا البيت ؛ ويقول اللبرد : وهو
لعمري كلام مستهجن موضوع في غير موضعه ؛ لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف
إليه ولا يضاف إلى غيره . ولواتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه
عسر موضوع في غير موضعه .

ثم تطف للبرد في الدخول إلى باب الاحتيال الذي ذكره ، واعتذر عن أبي نواس ،
فأورد من الشواهد ما يبرئ أبا نواس مما عابوه به ؛ قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاتنال ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ، ومنهم أحمد للتخير
وقال جرير :

إن الذين ابتنوا مجدا ومكرمة تلصكم قريش والأنصار أنصاري
قال في نسيم الرياض (١ - ٤٤٨) :

أقول : يعني أن اللوم إنما جاءه من قوله : من نقره ؛ لفرة السمع عنها ، لكن من عرف
نهج أبي نواس في إلباس كلامه ديباج غيره من القدماء عرف أنه لا فرق بينه وبين قول
حسان المذكور .

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين (١١٦) :

وقد تبع في هذا القول حسان بن ثابت في قوله :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
وقال السهيلي في الروض الأنف :

قال علي بن الأصغر وكان من رواية أبي نواس : لما عمل أبو نواس هذه القصيدة وأتى بهذا
البيت وقع على أنه كلام مستهجن ؛ إذ حق رسول الله أن يضاف إليه ولا يضاف إلى أحد ؛ فتلث =

فالحكم في أمثال هذا ما بسطناهُ في طريق الفتيا^(١) على هذا المنهج جاءت
فتياً إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه :

ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم^(٢) عنه في رجلٍ عَيَّرَ رجُلًا بالفقر ؛ فقال :
تُعَيِّرُنِي بالفَقْرِ وقد رَعَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَنَمَ ؟ فقال مالك : قد عَرَضَ^(٣)
بذكرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير مَوْضِعِهِ ؛ أَرَى أَنْ يُؤَدَّبَ^(٤) ؛ قال : ولا
ينبغي لأهل الذنوبِ^(٥) إذا عُوْتِبُوا أَنْ يَقُولُوا : قد أَخْطَأَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَنَا^(٦) .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ : انظُرْ لَنَا كَاتِبًا يَكُونُ أَبُوهُ عَرَبِيًّا . فقال

له : أعرفت هذا البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب ؛ إنما أردت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هذا المدوح منه ؛ أما سمعت قول حسان :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم . . .

وليس هذا بعيب ؛ لأنها إضافة تشريف لاتعريف ؛ بخلاف قول أبي نواس ؛ لأنه ذكر
واحدًا وأضاف إليه .

(١) في طريق الفتيا ؛ أي يفتى فيه بما يستحقه على قدر شناعة قوله .

(٢) النوادر : اسم كتاب في فنه مالك .

وابن أبي مريم هو أبو بكر سعيد بن الحكم بن أبي مريم الجمحي البصري الحافظ الثقة ،
روى عنه البخاري ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين .

(٣) عرض : نقص تعريضاً .

(٤) يؤدب : يعزر لينزجر غيره عن مثله .

(٥) لأهل الذنوب ؛ أي من صدر منهم ذنب .

(٦) في هذه العبارة تشبيه أنفسهم بالأنبياء ، ونسب الأنبياء لصدور الذنوب منهم ؛ وكلاهما

كما لا يليق التسكلم به ، ومثله لا يصدر ممن يعرف مقام الأنبياء الذين هم معصومون من الذنوب
كبائرهما وصنائرهما .

كاتبٌ له : قد كان أبو النبي كافرا^(١) ، فقال : جعلتَ هذا مثلاً ! فعزله ؛ وقال : لا تكتب لي أبداً^(٢) .

وقد كرهه سَخَنُونَ أَنْ يَصِلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ التَّعَجُّبِ^(٣) إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الثَّوَابِ وَالْإِحْسَابِ ؛ تَوْقِيراً لَهُ وَتَعْظِماً^(٤) ؛ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ .

وَسُئِلَ الْقَاسِمِيُّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِرَجُلٍ قَبِيحٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ نَسِيبٍ ، وَلِرَجُلٍ عَبُوسٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَالِكِ الْفَضْبَانِ^(٥) ؛ فَقَالَ : أَى شَيْءٍ أَرَادَ بِهَذَا ؛ وَنَسِيبٌ أَحَدُ فَقَاتِي الْقَبْرِ ، وَهِيَ مَلَكَانٍ ، فَمَا الَّذِي أَرَادَ ؟ أَرَوَعُ^(٦) دَخَلَ عَلَيْهِ حِينَ رَأَاهُ مِنْ وَجْهِهِ ، أَمْ عَافٍ^(٧) النَّظَرُ إِلَيْهِ لِدِمَامَةِ خَلْقِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا فَهُوَ شَدِيدٌ ، لِأَنَّهُ جَرَى تَجَرُّى التَّحْقِيرِ وَالتَّهْوِينِ ؛ فَهُوَ أَشَدُّ عَقُوبَةً ؛ وَلَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِالسَّبِّ الْمَلَكِ ؛ وَإِنَّمَا السَّبُّ وَاقِعٌ عَلَى الْحَاطِبِ . وَفِي الْأَدَبِ بِالسَّوْطِ وَالسَّجَنِ نَسْكَالٌ لِلْسَّفَهَاءِ^(٨) ؛ قَالَ :

-
- (١) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : إِنَّمَا أَجَابَهُ بِهَذَا ، وَهُوَ لَمْ يَقُلْ لَهُ : يَكُونُ أَبُوهُ مُسْلِمًا ، لِأَنَّ السَّكْتَةَ فِي الْمَعْرِ الْأَوَّلِ كَانُوا مِنَ الرُّومِ ، وَالْمَعْجَمُ نَصَارَى وَصَابِئَةٍ ؛ لِمَعْرِفَتِهِم بِالْحِسَابِ .
 (٢) وَهَذَا تَأْدِيبٌ لَهُ وَتَعْزِيزٌ حَتَّى يَنْزَجِرَ أَمَثَالُهُ عَنْ أَمَثَالِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ .
 (٣) عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنْ أَمْرٍ مُسْتَحْسَنٍ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْعَوَامِ .
 (٤) أَى يَقْصِدُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ الثَّوَابَ وَالْإِحْسَابَ ؛ أَى أَنْ يَقُولَهُ أَمَثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ يَقُولُهُ تَعَالَى : صَلُّوا عَلَيْهِ ؛ فَيَفْعَلُهُ تَوْقِيراً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِماً كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى ، لِأَلْقَصْدِ التَّعَجُّبِ ، وَلَا لِدَفْعِ عَيْنٍ عَمَّا تَعَجَّبُ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مَحَلًّا لِذَلِكَ .
 (٥) اسْمُ مَلِكٍ خَازِنِ الْمَارِ ، وَيُوصَفُ بِالْفَضْبِ ؛ لِأَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِمَنْ غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَيَتَلَقَّاهُ بِصُورَةِ الْغَضَبِ .

- (٦) الْفَتَانَانِ : هُمَا مَلِكَا السُّؤَالِ ، سَمِيَا فَتَانَيْنِ فِي الْحَدِيثِ ؛ مِنَ الْفَتْنَةِ ، وَأَصْلُ مَعْنَاهَا الْإِمْتِحَانُ وَالْإِخْتِبَارُ ، لِأَنَّهُمَا يَحْتَبِرَانِ مَا فِي قَابِ الْمِيتِ مِنْ عَقِيدَتِهِ وَإِيمَانِهِ .
 (٧) الرُّوعُ : الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ .

- (٨) عَافٍ النَّظَرُ : كَرِهَهُ وَاسْتَقْذَرَ مَنْظَرَهُ ، فَكَرِهَ النَّظَرَ إِلَيْهِ .
 (٩) وَفِي الْأَدَبِ ، أَى التَّأْدِيبِ بِالسَّوْطِ : بِالضَّرْبِ بِهِ . وَالنَّسْكَالُ الْعُقُوبَةُ .

وأما ذا كَرُّ مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ فَقَدْ جَفَا^(١) الَّذِي ذَكَرَهُ عِنْدَ مَا أُنْكَرَ حَالَهُ مِنْ عُبُوسِ الْآخِرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْبُوسُ لَهُ يَدٌ^(٢) فَيُرْهِبُ بِعَبَسَتِهِ ، فَيُسَبِّهُهُ الْقَاتِلُ عَلَى طَرِيقِ الذِّمِّ لِهَذَا^(٣) فِي فِعْلِهِ ، وَلِزُومِهِ فِي ظُلْمِهِ صِفَةَ مَالِكِ الْمَلِكِ الْمُطِيعِ لِرَبِّهِ فِي فِعْلِهِ ؛ فَيَقُولُ كَأَنَّهُ لِلَّهِ يَفْضُبُ غَضَبَ مَالِكٍ ؛ فَيَسْكُونُ أَخْفَ ؛ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ التَّعَرُّضُ لِمِثْلِ هَذَا ؛ وَلَوْ كَانَ أَتْنَى عَلَى الْعَبُوسِ بِعَبَسَتِهِ^(٤) ، وَاحْتِجَّ بِصِفَةِ مَالِكٍ كَانَ أَشَدَّ ، وَيَعَاقِبُ الْمَعَاقِبَةَ الشَّدِيدَةَ ؛ وَلَيْسَ فِي هَذَا ذِمٌّ لِلْمَلِكِ ، وَلَوْ قَصِدَ ذِمَّةٌ لَتَقِلَّ^(٥) .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ^(٦) أَيْضًا فِي شَابٍّ مَعْرُوفٍ بِالْخَيْرِ قَالَ لِرَجُلٍ شَيْئًا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : اسْكُتْ ؛ فَإِنَّكَ أُمِّيٌّ^(٧) . فَقَالَ الشَّابُّ : أَلَيْسَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّيًّا ! فَشَنَعَ عَلَيْهِ مَقَالَهَ ، وَكَفَّرَهُ النَّاسُ ؛ وَأَشْفَقَ الشَّابُّ مِمَّا قَالَ ، وَأَظْهَرَ النَّدَمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ

(١) جفا : غلظ طبعه ، وقل أدبه .

(٢) له يد : له قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان .

(٣) لهذا ، أى لهذا الذى له يد ، أو لهذا الأمر ، شر الناس من يخاف الناس شره .

(٤) وهى عبوسه .

(٥) قال الخفاجى : هذا مذهب مالك . وعند غيره يؤدب ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

ولا يخفى ما فى كلام المصنف هنا ، وأنه كلام مشوش محتاج للتنقيح والتهديب بأن يقول : وعن القابسى فيمن قال لقبيح : كأنه وجه نكير ، ولعبوس : كأنه وجه مالك النضبان : إنه لا يكفر ، إذ لا تصریح فيه بسبب الملك ، وإنما السبب فيه للمخاطب ، بل يعاقب العقاب الشديد ، فإن قصد ذم الملك قتل .

قال : ويؤخذ من كلامه هنا أن ذم بعض الملائكة وتنقيصه كذم الأنبياء وتنقيصهم ؛ وصرح به فى آخر الكتاب .

(٦) هو القابسى السابق .

(٧) هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط ، نسبة إلى أمة العرب لا شتهارهم بذلك . أو نسبة

إلى الأم ، كأنه كما خرج من بطن أمه .

أبو الحسن : أمّا إطلاقُ الكُفرِ عليه ^(١) خطأً ، لكنه مُحطٌّ في استشهاده ^(٢) بصفةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ وكونُ النبيِّ أمياً آيةٌ ^(٣) له ؛ وكونُ هذا أمياً نقيصةٌ فيه وجّهالةٌ .

ومن جهالته احتجاجُهُ ^(٤) بصفةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ لكنه إذا استغفر وتاب ، واعترف ولجأ إلى الله فُتِرَكَ ^(٥) ؛ لأنَّ قوله لا ينتهي ^(٦) إلى حدِّ القتل ؛ وما طريقُهُ الأدبُ فطَوَّعُ ^(٧) فاعله بالندم عليه يوجبُ الكفَّ عنه .

ونزلت ^(٨) أيضاً مسألةٌ استفتي فيها بعضُ قضاةِ الأندلس شيخاً القاضى أبا محمد ابن منصور رحمه الله في رجلٍ تنقَّصَهُ [٢٥٦] آخِرُ بشىءٍ ؛ فقال له : إنما تُريدُ نَقْصِي بقلوك ، وأنا بشرٌ ؛ وجميعُ البشرِ يَلْحَنُهُمُ النِّقْصُ حتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؛

(١) خطأ ، لأن الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمى . وهو لم يقصد بذلك ذماً ولا نقصاً .

(٢) في استشهاده ، في إتيانه بشاهد ونظير لحاله .

(٣) آية له : معجزة باهرة ، وفضيلة ظاهرة .

(٤) احتجاجه على حسن أميته ، وعدم منافاتها للخوض في العلوم . وهذه الجهالة ظاهرة في استشهاده وتمثيله ، فكيف تستوى أميته بأمة غيره ، وقد أتى بعلوم لا تخصي ، وأخبر عما سلف من أحوال الأمم ، وعما هو آت ، وهو في أمة أمية ، ولم يخرج من بينهم ، ولا تعلم من أحد ، ولذا كانت ذلك من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم .

قال الخفاجي : فإن استشهد بذلك فهو معذور لا يكفر بقوله هذا .

(٥) فترك ، ولا يعاقب ويجزر .

(٦) لا ينتهي : لا يصل .

(٧) طوع : تطوع فاعله بالندم عليه معترفاً بخطئه . والتوبة والندامة توجب الكف عنه

وتركه من غير معاقبة له .

(٨) نزلت : وقعت .

فَأَنفَاتُهُ بِإِطَالَةِ سَجْنِهِ ، وَإِيجَاعِ أَدَبِهِ ^(١) ؛ إِذْ لَمْ يَقْصِدِ السَّبَّ ، وَكَانَ بَعْضُ فُقَهَاءِ
الْأَنْدَلُسِ أَفْتَى بَقَتْلِهِ .

فصل

الْوَجْهَ السَّادِسَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ ذَلِكَ حَاكِيًا عَنْ غَيْرِهِ ، وَآثِرًا ^(٢) لَهُ عَنْ سِرْوَاهِ ؛
فَهَذَا يُنْظَرُ فِي صُورَةِ حِكَايَتِهِ وَقَرِينَةِ مَقَالَتِهِ ؛ وَيَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِاخْتِلَافِ ذَلِكَ عَلَى
أَرْبَعَةِ وُجُوهِ : الْوَجُوبُ ، وَالنَّدْبُ ، وَالسَّكَرَاهَةُ ، وَالتَّحْرِيمُ ؛ فَإِنْ كَانَ أَذْهَبَ بِهِ عَلَى
وَجْهِ الشَّهَادَةِ وَالتَّعْرِيفِ بِقَائِلِهِ ، وَالْإِنْكَارِ وَالْإِعْلَامِ بِقَوْلِهِ ، وَالتَّنْفِيرِ مِنْهُ ، وَالتَّجْرِيعِ
لَهُ - فَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالُهُ ^(٣) ، وَيُحْمَدُ فَاعِلُهُ ؛ وَكَذَلِكَ إِنْ حَكَاهُ فِي كِتَابٍ
أَوْ فِي مَجْلِسٍ عَلَى طَرِيقِ الرَّدِّ لَهُ وَالنَّقْضِ ^(٤) عَلَى قَائِلِهِ ، وَلِلْأَمْتِيَا بِمَا يَلْزَمُهُ .

وَهَذَا مِنْهُ مَا يَجِبُ ، وَمِنْهُ مَا يَسْتَحَبُّ بِمَحْسَبِ حَالَاتِ الْحَاكِي لِذَلِكَ وَالْحَاكِي
عَنْهُ ؛ فَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ لِذَلِكَ مِمَّنْ تَصَدَّى لَأَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ الْعِلْمُ أَوْ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ ،
أَوْ يُقْطَعُ بِحُكْمِهِ أَوْ شَهَادَتِهِ ، أَوْ فُتْيَاهُ فِي الْحَقُوقِ - وَجِبَ عَلَى سَامِعِهِ ^(٥) الْإِشَادَةُ
بِمَا سَمِعَ مِنْهُ وَالتَّنْفِيرُ لِلنَّاسِ عَنْهُ ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِمَا قَالَهُ ^(٦) ، وَوَجِبَ عَلَى مَنْ بَلَّغَهُ

(١) بِإِطَالَةِ سَجْنِهِ : زَجْرًا لَهُ وَلِامْتِثَالِهِ . وَإِيجَاعِ أَدَبِهِ : إِضَافَةُ الْإِيجَاعِ وَهُوَ الْإِيلَامُ بِضَرْبِهِ
تَعْزِيرًا لَهُ - إِلَى تَأْدِيبِهِ .

(٢) آثَرًا : نَاقِلًا لَهُ . وَفِي أ : وَإِثْرًا لَهُ .

(٣) عَلَى وَجْهِ الشَّهَادَةِ ؛ إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا ، وَالتَّعْرِيفِ بِحَالِ قَائِلِهِ وَصِفَتِهِ ، وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا
قَالَ ، وَالْإِعْلَامَ بِقَوْلِهِ ، لِيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ ، وَالتَّنْفِيرِ مِنْهُ حَتَّى يَجْتَنِبَ وَيُطْرَدَ ، وَالتَّجْرِيعَ لَهُ
بِالطَّمَنِ فِيهِ وَبَيَانِ عِيُوبِهِ ، فَهَذَا النُّقْلُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالُهُ وَالْإِقْيَادُ لَهُ وَقَبُولُ نَقْلِهِ .

(٤) النِّقْضُ عَلَى قَائِلِهِ ؛ أَيْ الْإِبْطَالُ لِمَقَالِهِ بِالْحُجَجِ . وَفِي أ : وَالنَّقْصُ - بِالضَّادِ .

(٥) لِلرَّادِّ بِهِ الشَّهْرَةَ مُطْلَقًا .

(٦) وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِمَا قَالَهُ لِيَجْتَنِبَ ، أَوْ لِيَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ .

ذلك من أئمة المسلمين إنكاره، وبيان كذره، وفساد قوله؛ لقطع ضرره عن المسلمين، وقياماً بحق سيّد المرسلين؛ وكذلك إن كان ممن يعظ العامة، أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته ^(١) لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم ^(٢)، فينأكد ^(٣) في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم، ولحق شريعته ^(٤).

وإن لم يكن القائل بهذه السبيل ^(٥) فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب، وحماية عرضه متعين ^(٦)، ونصرته عن الأذى حياً وميتاً مستحق ^(٧) على كل مؤمن؛ لكنه إذا قام ^(٨) بهذا من ظهر به الحق، وفُصلت به القضية، وبأن به الأمر سقط عن الباقي الفرض، وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه، وعَضِد ^(٩) التحذير منه.

وقد أجمع السلف ^(١٠) على بيان حال اللّهم في الحديث، فكيف بمثل ^(١١) هذا؟ وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى:

(١) سريرته: ما يضر في نفسه.

(٢) في قلوبهم؛ أي قلوب من ذكر من العامة والصبيان الذين يقبلون ما يلقي إليهم لعدم معرفتهم ونقد بصيرتهم.

(٣) الإيجاب: أي إيجاب إنكاره وإشاعة فساده.

(٤) لحق النبي على كل أحد، لاسباب الحكم؛ ولحق شريعته التي يجب الذب عنها وحمايتها ما أمكن.

(٥) بهذا السبيل؛ أي لم يكن مما يؤخذ عنه العلم والحديث والفتوى.

(٦) متعين: لا يتهاون فيه مسلم.

(٧) مستحق: واجب.

(٨) قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه.

(٩) عضد: نصر وتقوية.

(١٠) السلف: المتقدمون من العلماء.

(١١) بمثل هذا اللّهم بالفض من مقام النبوة وتنقيصها، لافاعتناء بذاته الشريفة ألزم منه.

محدثه.

أَيْسَعُهُ أَلَّا يُؤَدِّيَ ^(١) شهادته ؟ قال : إِنْ رَجَا نَفَاذَ الْحُكْمِ بِشهادته فَلْيَشْهَدْ .
وكذلك إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَرَى الْقَوْلَ بِمَا شَهِدَ بِهِ ، وَيَرَى الْاِسْتِنَابَةَ
وَالْأَدَبَ فَلْيَشْهَدْ ، وَيَلْزِمُهُ ذَلِكَ ^(٢) .

وَأَمَّا الْإِبَاحَةُ لِحِكَايَةِ قَوْلِهِ لغير هَذَيْنِ الْمُقْصِدَيْنِ ^(٣) ، فَلَا أَرَى لَهَا مَدْخُلًا فِي هَذَا
الْبَابِ ^(٤) ، فَلَيْسَ التَّفْسِيْكُ بِعَرَضٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّمَضُّضُ ^(٥)
بِسُوءِ ذِكْرِهِ لِأَحَدٍ ^(٦) ، لَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا ^(٧) لغير غَرَضٍ شَرْعِيٍّ بِمُبَاحٍ .
وَأَمَّا لِلْأَغْرَاضِ الْمُتَقَدِّمَةِ ^(٨) فَتَرَدُّدُ بَيْنِ الْإِيجَابِ وَالْاِسْتِحْبَابِ ^(٩) .

وَقَدْ حَكَّى اللَّهُ تَعَالَى مَقَالَاتِ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى رُسُلِهِ فِي كِتَابِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ
لِقَوْلِهِمْ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَالْوَعِيدِ عَلَيْهِ ، وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِمَا تَلَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي مُحْكَمِ
كِتَابِهِ .

وَكَذَلِكَ وَقَعَ مِنْ أَمْثَالِهِ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيحَةِ
عَلَى الْوُجُوهِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَاجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى عَلَى حِكَايَاتِ مَقَالَاتِ

(١) أَيْسَعُهُ : أَيْجَلُ لَهُ وَيَجُوزُ ؟

(٢) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ . وَمَذْهَبُ غَيْرِهِ أَنَّهُ يَلْزِمُهُ الشَّهَادَةُ مُطْلَقًا ، وَإِنْ
لَمْ يَدْعُ ، لِأَنَّهُ لَا يَلْزِمُ طَابَ الشَّهَادَةُ فِي حَقِّهِ اللَّهُ ، وَمَا وَرَدَ مِنَ الدَّمِ فِي حَقِّ مَنْ شَهِدَ وَلَمْ يَسْتَشْهَدْ
مَحْمُولٌ عَلَى حَقِّهِ الْعِبَادِ .

(٣) لِحِكَايَةِ قَوْلِهِ الَّذِي فِيهِ سَبٌّ وَتَحْقِيرٌ لِلْأَنْبِيَاءِ لغير هَذَيْنِ الْمُقْصِدَيْنِ ؟ مِنْ الْإِنْكَارِ
وَالْتَفْنِيرِ مِنْهُ ، وَالتَّجْرِيعِ وَالنَّقْصِ وَالْإِقْتَاءِ .

(٤) مَدْخُلًا فِي هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَجِبُ بِهِ صِيَانَةُ مَقَامِ النَّبُوَّةِ .

(٥) التَّفْسِيْكُ : التَّحَدُّثُ عَلَى طَرِيقِ التَّنَاقُضِ بِهِ . وَالتَّمَضُّضُ ؟ أَيْ إِجْرَاؤُهُ عَلَى فَمِهِ وَلِسَانِهِ .

(٦) لِأَحَدٍ ؟ أَيْ جَاثِرًا لِأَحَدٍ ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ تَعْظِيمُهُ وَاحْتِرَامُ مَقَامِهِ .

(٧) لِذَاكِرِهِ أَوْ بَلْفَظِهِ ، وَلَا نَاقِلًا وَرَاوِيًا لَهُ عَنْ غَيْرِهِ .

(٨) لِلْأَغْرَاضِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، مِنْ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَاكِمِ ، أَوِ الْإِنْكَارِ وَنَحْوِهِ مِمَّا تَقْدِمُ بَيَانَهُ .

(٩) بَيْنَ الْإِيجَابِ وَالْاِسْتِحْبَابِ : بَيْنَ كَوْنِهِ وَاجِبًا عَلَيْهِ أَوْ مُسْتَحْبَبًا .

الكثرة والمُحدين^(١) في كتبهم ومجالسهم ليُبينوها للناس ، وينقضوا شُبَّهًا عليهم^(٢) [٢٥٥] ، وإن كان وَرَدَ لأحمد بن حنبل إنكارُ لبعض هذا على الحارث ابن أسد^(٣) ؛ فقد صنع أحمدُ مثله في رَدِّه على الجهمية^(٤) والقائلين بالخلق^(٥) .
هذه الوجوهُ السائفةُ الحكايةُ^(٦) عنها ؛ فأما ذِكْرُها على غير هذا^(٧) من حكاية سبِّه والإزراء بمنصبه على وَجْه الحكاياتِ والأسمارِ والطُرْفِ^(٨) وأحاديثِ الناس ومقالاتهم في الفثِّ والسِّمين^(٩) ، ومضاحك المُجَّان^(١٠) ، ونوادرِ السُّخفاءِ ، والخلوضِ في قيلٍ وقيلٍ ، ومالا يَعْنِي^(١١) - فكل هذا ممنوع ، وبَعْضُهُ أَشَدُّ في المنعِ والعقوبةِ من بعض ، فما كان مِنْ قائله الحاكي له على غير قصدٍ أو معرفةٍ

(١) للمُحدين : المائلين عن الحق من الزنادقة والنافقين .

(٢) وينقضوا شُبَّهًا : ويبطلوا شُبَّههم ويردوها .

(٣) هو المعروف بالحاسبي .

(٤) الجهم بن صفوان وأصحابه من المبتدعة وأصحاب المذاهب الباطلة والمقائيد الفاسدة .

وهو سمرقندي ، ركان جبريا ، يرى أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا استطاعة له ، ولا اختيار ، أفعاله يخلقها الله فيه ، وتنسب إليه مجازا .

وجهم هذا هلك في آخر عصر التابعين .

(٥) أى بالقرآن المخلوق ، أو بالعمل المخلوق للإنسان ، أى هو يخلقه .

(٦) السائفة : الجائزة الحكاية عنها .

(٧) على غير هذا الوجه ؛ من الرد والإبطال ونحوه .

(٨) الحكايات : القصص التي يقصها عوام الناس . والأسمار : إجماع سمر ؛ وهو الحديث ليلا

للعنادمة والمهاورة . والطرف : جمع طرفة ؛ وهو الأمر للستطرف ؛ أى المستحسن للاستجداد .

(٩) في الفث والسِّمين ؛ أى المعتد به وغيره . وأصل الفث : المهزول ضد السمين .

(١٠) المجان : جمع ماجن ؛ وهو الذى يمتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة .

(١١) مالا يعنى : ما لا يهم ويعنى به .

بمقدار ما حكاه ، أو لم تكن عاداته ، أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث^(١) هو ، ولم يظهر على حاكميه استحسنه واستصوابه - زجر^(٢) عن ذلك ، ونهى عن العودة إليه ؛ وإن قوّم ببعض الأدب فهو مستوجب له^(٣) ، وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد .

وقد حكى أن رجلا سأل مالكا عن بقول : القرآن مخلوق . فقال مالك : كافر فاقتلوه . فقال : إنما حكيته عن غيري . فقال مالك : إنما سمعناه منك . وهذا من مالك على طريق الزجر والتفليظ ، بدليل أنه لم ينفذ قتله^(٤) . وإن اتهم هذا الحاكمي فيما حكاه أنه اختلقه ، ونسبه إلى غيره ، أو كانت تلك عادة له ، أو ظهر استحسنه لذلك ، أو كان مؤلما بمثله ، والاستخفاف^(٥) له ، أو التحفظ^(٦) لثله ، وطلبه ، ورواية أشعاره جوه صلى الله عليه وسلم وسببه^(٧) ؛ فحكمكم

(١) حيث هو : حيث هو كربه ومستقيح .

(٢) زجر عن ذلك : وبنح عن حكايته له .

(٣) قوم : أرشد للاستقامة فيما يحكيه يعض الأدب ؛ بتعزيز خفيف يلبق به غير الزجر .

(٤) قال الخفاجي : لم ينفذ قتله ؛ أي لم يحكم به حكما قطعيا ؛ فإن المذهب أنه لا يقتل

مثله ، وإنما يقتل من أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة .

ومن روى من حديث : من قال القرآن مخلوق - فهو كافر - لم يثبت مع أنه لو ثبت

فهو مؤول عندهم .

(٥) الولع بالشئ : الإكثار منه مع إظهار الميل إليه وأنه يحبه - والاستخفاف له : أي عده

هينا عنده لا محذور فيه .

(٦) أو التحفظ لثله : أي حفظه كثيرا .

(٧) أي للمقول عن الشركين من ذلك .

هذا حُكْمُ السَّابِّ نَفْسِهِ ، يُوَاخِذُ بِقَوْلِهِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ نِسْبَتُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَيُبَادِرُهُ بِقَتْلِهِ ^(١) وَيَجْعَلُ إِلَى الْمَاوِيَةِ أُمَّه ^(٢) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ - فِيمَنْ حَفِظَ شَطْرَ بَيْتِ مِمَّا هُجِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كُفْرٌ ^(٣) .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَتَى ^(٤) فِي الْإِجْمَاعِ - إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَحْرِيمِ رِوَايَةِ مَا هُجِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكِتَابَتِهِ ^(٥) وَقِرَائَتِهِ ، وَتَرْكِه مَتَى وَجِدَ دُونَ نَحْوِ ^(٦) ؛ وَرَحِمَ اللَّهُ أَسْلَافَنَا الْمُتَّقِينَ الْمُتَحَرِّزِينَ ^(٧) لِدَرِينِهِمْ ؛ فَقَدْ أَسْقَطُوا مِنْ أَحَادِيثِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ مَا كَانَ هَذَا سَبِيلَهُ ، وَتَرَكَوا رِوَايَتَهُ إِلَّا أَشْيَاءَ ذَكَرُوهَا بِسِيرَةٍ وَغَيْرِ مُسْتَبْشَعَةٍ ^(٨) ، عَلَى نَحْوِ الْوُجُوهِ الْأَوَّلِ ، لِيُرُوا ^(٩) نَفْعَةَ اللَّهِ مِنْ قَائِلِهَا ، وَأَخَذَهُ الْمُفْتَرِي عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ ^(١٠) .

وَهَذَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ تَحَرَّى فِيمَا اضْطُرَّ إِلَى الْاسْتِشْهَادِ بِهِ

-
- (١) فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ بِقَتْلِهِ ؛ أَيْ إِنْ لَمْ يَلْقَ .
(٢) الْمَاوِيَةِ : مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ ؛ أَيْ مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ ، كَمَا أَنَّ الْإِمَامَ مَأْوَى الْوَلَدِ وَمَفْزَعَهُ .
(٣) قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكُفْرِ ظَاهِرٌ عِنْدَ الرِّضَا بِذَلِكَ وَاسْتِحْسَانُهُ ، إِلَّا إِنْ قَصِدَ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ .

(٤) فِي ١ : الْف .

(٥) فِي ١ : وَكِتَابَتِهِ . وَلْتَبَيَّنْ فِي ب .

(٦) قَالَ الْحَفَاجِيُّ : مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِجْمَاعِ مَحَالٌ فِي رِوَايَتِهِ لِنُفَرِغِ غَرَضَ مَسْوَغٍ لِنَدَاكَ .

(٧) الْمُتَحَرِّزِينَ : الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِثْلَهُ خَوْفًا مِنْهُ .

(٨) بِسِيرَةٍ : قَلِيلَةٍ . غَيْرِ مُسْتَبْشَعَةٍ : لَا قَبِيحَ فِيهَا وَلَا سَبًّا وَلَا هُضْبًا لِمَقَامِهِ .

(٩) لِيُرُوا : لِيُظْهِرُوا بِمَا ذَكَرَ مَعَهَا انْتِقَامَ اللَّهِ مِنْ قَائِلِهَا ، كَأَصْحَابِ الْقَلِيبِ وَغَيْرِهِمْ .

(١٠) فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ : غَرَجَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ ذَكَرَ الْأَحْوَالَ الْمُدْخُولَةَ

حِكَايَةً كَانَتْ أَوْ اسْتِشْهَادًا - غَيْرَ مَمْتَنِعٍ إِذَا اقْتَرَنَ بِالَّذِي قَصَدَ جَمِيلَ كَالْتَأْسَى ، وَالتَّحْقِيقَ فِي الْاسْتِشْهَادِ ، وَالرَّدَّ ، وَتَبْيِينَ مَا فِيهِ عِزٍّ وَجَلٍّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْحِكَايَةِ .

من أهاجى أشعار العرب في كتبه ، فكفى عن اسم المهجّو بوزن اسمه ؛ استبراء لدينه ^(١) ، وتحفظاً من المشاركة في ذمّ أحد بروايته أو نشره ؛ فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

فصل

الوجه السابع أن يذكّر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يختلف في جوازه عليه ، وما بطراً من الأمور البشرية به ، وممكن إضافتها إليه ، أو يذكّر ما امتحن به ، وصبر في ذات الله ^(٣) على شدته من مناساة أعدائه ^(٤) ، وأذاهم له ؛ ومعرفة ؛ ابتداء حاله وسيرته ، وما أقيمه من بؤس ^(٥) زمنه ، ومرّ عليه من معاناة ^(٦) عيشه ؛ كل ذلك على طريق الرواية ، ومذاكرة العلم ، ومعرفة ما صحّت منه العصمة للأنبياء ، وما يجوز عليهم ^(٧) . فهذا فنّ خارج عن هذه الفنون الستة ^(٨) ؛ إذ ليس فيه غمض ولا نقص ، ولا إزراء ولا استخفاف ^(٩) ، لا في ظاهر اللفظ [٢٥٦] ولا في مقصد اللفظ ؛ لكن يجب أن يكون الكلام

-
- (١) استبراء لدينه : طلباً لأن يكون دينه بريئاً من تنقيص أحد والخوض في عرضه .
 - (٢) في نسيم الرياض : وهذا - كما يقال - سبك من بلك ، والحاكي أحد الشاعرين .
 - (٣) في ذات الله : لأجل الله ابتغاء لرضاه ، لا عجزاً منه ، ولا لغرض آخر .
 - (٤) أى صبر على شدائد قاسية من أعداء الدين .
 - (٥) بؤس زمانه : شدائده .
 - (٦) معاناة : تعب .
 - (٧) أى يذكّر ذلك لمعرفة لا للإزراء به عليهم .
 - (٨) الفنون : الأنواع الستة ، وهى الوجوه السابقة التى ذكرت قبل هذا الوجه السابع .
 - (٩) إزراء واستخفاف : إهانة وتحقير .

فيه مع أهل العلم وفهماء طلبية الدين بمن ينهم مقاصده ، ويحققون فوائده^(١) ؛
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه ، أو يخشى به فتنته^(٢) ؛ فقد كره بعض السلف تعليم
النساء سورة يوسف ، لما انطوت عليه من تلك القصص^(٣) لضعف معرفتهن ،
ونقص عقولهن وإدراكهن ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم - مخبراً عن نفسه
بإستيجاره^(٤) لرعاية الغنم في ابتداء حاله ؛ وقال : ما من نبي إلا وقد
رعى الغنم .

وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام^(٥) ؛ وهذا لا غضاضة فيه جملة
واحدة^(٦) لين ذكره على وجهه^(٧) ، بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير ؛
بل كانت عادة جميع العرب^(٨) .

(١) ويحقق فوائده : يتحققها ، لأنه على بصيرة في مقامات الانبياء وجلالة قدرهم .

(٢) يجنب ذلك : يبعد ويقص عن ذكر ذلك من أحوال الأنبياء .

وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر مامر للعوام ظاهر
إن ظن بقرينة حالم تولد فتنة لهم منه ، أو استخفاف ، أو نحوهما ؛ وإلا فالذي ينبغي
السكرامة .

(٣) من تلك القصص ؛ أى ما فيها من ذكر شنف النساء بالصور الجميلة ومراودتهن ،
والتحليل منهن للمواصلة لمن يحب .

(٤) بإستيجاره : إيجاره نفسه لقريش في صغره .

(٥) في رعيه لشعيب عليه السلام في قوله : إني أريد أن أتكحك إحدى ابنتي هاتين على
أن تأجرني ثمانى حجج .

(٦) جملة واحدة : ليس في شيء منه أصلاً غضاضة .

(٧) على وجهه ؛ من مذاكرة أهل العلم .

(٨) بل كانت عادة جميع العرب : بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب ، حتى أولاد

أشرافهم .

نعم ، في ذلك للأنبياء حكمة بالغة ، وتدرّيجٌ لله تعالى لهم إلى كرامته ^(١) ،
وتدريبٌ برعايتها لسياسة أممهم من خليةته ^(٢) بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ،
ومتقدم العلم ^(٣) .

وكذلك قد ذكر الله يُتَمِّمَهُ وَعَيَّلَتَهُ على طريق المِنَّة ^(٤) عليه ، والتعريف
بكرامته له ؛ فذكرُ الذاكر لها على وجه تعريف حاله ، والخبر عن مُبْتَدئته ،
والتعجب من منحة الله قبله ، وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة ؛ بل فيه
دلالة على نبوته وصحة دعوته ؛ إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد ^(٥) العرب
ومن ناوأه ^(٦) من أشرافهم شيئا فشيئا ، ونمى أمره ^(٧) حتى قهرهم ، وتمسكن من

(١) إلى كرامته ؛ أى إكرامهم بالنبوة والرسالة .

(٢) فيسوس الأمم كما يسوق الغنم ، ويضبط أمورها ويحفظها .

(٣) في نسيم الرياض :

قال ابن حجر في شرح البخارى : حصل لهم عليهم الصلاة والسلام الثمن برعيها على ما يكفون
به من القيام بأمر الأمة والشفقة عليها ، كما يعبر الراعى على سوق غنمه وجمعها إذا تفرقت
وحفظها من سبع وذئب وسارق ، وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه ، وتفرده بأمرها منقطعا
عن الناس غير مشارك في أمره ، ولا متوان ؛ فيقيس أمور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ؛
ولذا قال : كلهم راع ومستول عن رعيته ؛ مع ما فيه من تواضعه وكسبه .

(٤) عيّلته : كونه في القيام على أهل وعائلته من قلة معيشته ، في قوله تعالى : ألم يجدك
يتيمًا فآوينا ، ووجدك ضالًا فهدى ، ووجدك عائلا فأعنى . . . والمنة عليه : تعداد النعمة
عليه ، لاحتقارها له - صلى الله عليه وسلم .

(٥) صناديد : جمع صنديد ، وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين الشجاعة والحماسة
والجود ، الغالب لمن عاداه وعارضه .

(٦) ناوأه : عاداه . وفى ١ : ناواه . وهو بمعناه .

(٧) نمى أمره : زاد واشتهر شأن نبوته .

مَلِكٍ مَتَالِيدِهِ^(١) ، واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم ؛ بإظهار الله تعالى له ، وتأيدِهِ بِمُضَرِّهِ وبالمؤمنين ، وآلَف^(٢) بين قلوبهم ، وإمدادِهِ بالملائكة المسومين^(٣) ؛ ولو كان ابنُ مَلِكٍ أو ذَا أَشْيَاعٍ مُتَقَدِّمِينَ^(٤) لَحَسِبَ كثير من الجهال أن ذلك مُوجِبُ ظهورِهِ ، ومُقْتَضَى عُلُوِّهِ ؛ ولهذا قال هِرَقْلُ^(٥) - حين سألَ أباسُفَيانَ عنه : هل في آباءهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فقال : لا . ثم قال : ولو كان في آباءهِ مَلِكٌ لَنَلُنَا : رجلٌ يَطلبُ مَلِكَ أبيهِ ، وإذِ اليَتَمُ من صِفَتِهِ وإحدى علاماته في الِكتُبِ المتقدمة وأخبار الأمم السالفة .

وكذا وقع ذِكْرُهُ في كتاب أَرْمِيَا ؛ وبهذا وصفَهُ ابنُ ذِي يَزَنَ لعبدِ المطلب^(٦) ، وبَحِيرَا لِأَبِي طَالِبٍ^(٧) .

وكذلك إِذَا وُصِفَ بِأَنَّهُ أُمِّيٌّ كما وَصَفَهُ اللهُ بِهِ^(٨) - فَهِيَ مِدْحَةٌ لَهُ وَفَضِيلَةٌ

(١) مقاليد : جمع مقلاذ ؛ وهو المفتاح .

(٢) في ١ : واللف . والتثبت في ب .

(٣) وإمداده : إرساله مددا يوم بدر وغيره . المسومين : الذين لهم سمة وعلامة تميزهم عن غيرهم .

(٤) ذَا أَشْيَاعٍ : صاحب جنود وأتباع ؛ جمع شيعَة ؛ وهى الفرقة العظيمة من الناس . متقدمين : على زمن ظهوره ؛ بأن كانوا أتباعه من أبيه وجده .

(٥) هِرَقْلُ : ملك الروم ، سأل عنه - لما بلغه خبره - أباسُفَيانَ ؛ وأبوسُفَيانَ هو صخر ابن حرب ، أسلم ليلة الفتح ، وشهد الطائف حنيناً واليرموك ، وتوفي بالمدينة سنة إحدى وأربع وثلاثين . والحديث في الصحيحين : صحيح البخارى : ١ - ٧

(٦) ابنُ ذِي يَزَنَ : ملك اليمن . لعبدِ المطلب جد النبي حين ذهب إليه مع أشرف قريش ليَهْشَوْهُ بأخذ ملكه من الحبشة ، فاخْتَلَى بِهِ وبشره بقُدُومِ نبي عظيم ، وأنه لا أبَ لَهُ ، وإنما يكفله جده وعمه .

(٧) وبَحِيرَا لِأَبِي طَالِبٍ حين ذهب معه للشام . وفي كلامه : يموت أبوه وأمه ويكفله جده .

(٨) أُمِّيٌّ : لا يقرأ ولا يكتب ، كما وصفه الله تعالى في قوله : فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُمِّيٌّ ...

ثابتة فيه ، وقاعدة مُعْجَزَتِهِ ^(١) ؛ إذ مُعْجَزَتُهُ العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم ^(٢) ، مع ما مُنِحَ صلى الله عليه وسلم ، وفُضِّلَ به من ذلك ، كما قدَّمناه في القسم الأول ^(٣) .

وجودُ مِثْلِ ذلك من رَجُلٍ لم يقرأ ولم يكتب ولم يَدَارِسْ ^(٤) ولا لَقَّنْ - مُقْتَضَى العَجَب ، ومُنْتَهَى الْعَبَرِ ، ومعجزةُ الْبَشَرِ ^(٥) .

وليس في ذلك نَقِيصَةٌ ؛ إذ المطلوبُ من الكتابة والقراءة المعرفة ؛ وإنما هي آلة لها ، وواسطةٌ موصَّلةٌ إليها غَيْرُ مُرَادَةٍ في نفسها ؛ فإذا حصلتِ الثمرةُ والمطلوبُ استُغْنِيَ عن الوساطة والسبب .

والأُمِّيَّةُ في غيره نَقِيصَةٌ ^(٦) ؛ لأنها سببُ الجَهَالَةِ ، وعُنْوَانُ الْفَبَاكَةِ ؛ فسبحانَ مَنْ بَابَنَ أَمْرَهُ من أَمْرِ غَيْرِهِ ، وجعلَ شَرْفَهُ فيما فيه مَحْطَةٌ سِوَاهُ ^(٧) ، وجعلَ حَيَاتِهِ فيما فيه هَلَاكُهُ مِنْ عَدَاةٍ ؛ هذا شَقُّ قَلْبِهِ ، وإِخْرَاجُ حُشْوَتِهِ ^(٨) ، كان تمامَ

(١) قاعدة معجزته : أساس معجزته .

(٢) بطريق المعارف والعلوم التي وصلت إليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره .

(٣) من الباب الرابع .

(٤) ولم يدارس : لم يقارن أحدا يدرس عنده ما يتعلمه من الأقواء .

(٥) ومعجزة البشر التي أعجزتهم عن مثله .

(٦) في ١ : وليس فيه ذاك نقیصة . والمثبت في ب .

(٧) محطة : نقص وتنزيل . والمراد أن بعض ما زاد به شرفه صلى الله عليه وسلم فيه نقص

وتنزيل لغيره .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٤٦٧) : وهو إشارة لما قدمه ؛ من يتمه الذي بين به أن ربه أدبه فأحسن تأديبه ، ورباه من غير منة لخلق عليه ، فكان - صلى الله عليه وسلم - بهذا ما بينا لغيره ممن تربى يتما ؛ وجمله ذا عيلة ليعلم أنه غنى بالله ، وأنه لم يتبعه من تبعه لآمر دنيوى ؛ وجمله أميا ليعلم أن علمه لدنى ؛ وهذا غاية الشرف ؛ وهو في غيره نقص وشين .

(٨) المراد ما كان في داخله من العلقة السوداء .

حياته^(١)، وغاية قوة نفسه، وثبات روعه^(٢)؛ وهو فيمن سواه مُفتحي هَلَاكِه وختم مَوْتِه وفنائه، وهلمَّ جرّاً إلى سائر ما روى من أخباره وسيره، وتقلله من الدنيا [٢٥٧] ومن الملبس والمطعم والرزق، وتواضعه ومهنته نفسه^(٣) في أموره، وخدمة بيته زهداً ورغبة عن الدنيا، وتسوية بين حقيرها وخطيرها^(٤)؛ لسرعة فناء أمورها، وتقلب أحوالها؛ كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه؛ فن أورد شيئاً منها^(٥) مَوْرَدَه وقصد بها مقصده^(٦) كان حسناً، ومن أورد ذلك على غير وجهه^(٧)، وعلم منه بذلك سوء قصده لَحِقَ بالفصول التي قدمناها . وكذلك ماورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكالٌ يقتضي أموراً لا تليقُ بهم بحالٍ، ويحتاج إلى تأويلٍ وتردّدٍ^(٨) احتمالٍ؛ فلا يجب أن يُتحدّثَ منها إلا بالصحيح، ولا يُروى منها إلا المعلومُ الثابت .

وَرَحِمَ اللهُ مالكا؛ فلقد كرهَ التحدّثَ بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة

(١) كان تمام حياته؛ لأنه أخرج منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان، وملىء علماً وحكمة؛ ففيه تمام الحلقة الحقيقية .

(٢) روعه : قلبه .

قال الخفاجي : أريد بشقه أن يجعل فيه ما يثبت على تلقى الوحي وملاقاة الملائكة .

(٣) مهنته نفسه : خدمته نفسه .

(٤) الخطير : العظيم .

(٥) موره : في محله الذي ينبغي .

(٦) مقصده : الذي يليق بقدره وشرفه .

(٧) على غير وجهه اللائق به لإيهامه تحقيراً وتنقيصاً .

(٨) تردد احتمال : تردد سامعها ، لاحتمالها لوجوه أخر .

للتشبيه^(١) والمشكلة المعنى ؛ وقال : ما يدعُو الناسَ إلى التحدُّثِ بِمِثْلِ هذا ؟
ف قيل له : إنَّ ابنَ عَجَلانَ^(٢) يحدثُ بها ؛ فقال : لم يكن من الفُقهاء ، وليت
الناس واقفوه على تركِ الحديثِ بها ، وساعدوه على طيِّبها ؛ فأكثرها ليس
تحتَه عَمَلٌ .

وقد حُكيَ عن جماعةٍ من السَّلفِ ، بل عنهم على الجملة - أنهم كانوا يكرهون
الكلامَ فيما ليس تحتَه عَمَلٌ^(٣) ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم أوردَها على قومٍ
عَرَبٍ يفهمون كلامَ العَرَبِ على وَجْهِهِ ، وتصرفاتهم في حقيقتِهِ وتَجَاوِزِهِ ، واستعارتِهِ ،
وبَلِيغِهِ وإيجازِهِ ؛ فلم تَكُنْ في حَقِّهِمْ مشكلةً ، ثم جاء مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ العُجْمَةُ^(٤) ،
داخِلَتُهُ الأُمِيَّةُ^(٥) ؛ فلا يَكادُ يفهمُ مِنْ مقاصِدِ العربِ إِلَّا نَعْمًا وصَرِيحًا ،
ولا يتحقَّقُ بإشاراتها إلى غَرَضِ الإيجازِ ، وَوَحْيِهَا^(٦) وتبليغها ، وتلويحها^(٧) ؛

(١) للتشبيه : أى تشبيه الله بغيره .

(٢) ابن عجلان : الإمام الثقة المحدث أبو عبد الله محمد بن عجلان الفقيه المدنى ، توفى
سنة ثمان وأربعين ومائة .

قال الخفاجى : وكان مالك لا يرى التكلم فى التشابهات ؛ وهذا محمول على نقلها عند العوام
الذين لا يعرفون مثلها ؛ فلا وجه للإشكال بأنه كيف يجوز أن يكتم ما صح عنه صلى الله عليه
وسلم من غير نهى عن نقله . ولو كان مما يجب تركه لم يحدث به أصحابه .

وقيل : إنه لم يوافقه عليه أحد ؛ فإنه لو كان كذلك لم يحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه ، ولم يقل : بلغوا عنى ؛ وإنما هو ابتلاء الراسخين فى العلم ؛ ليتعبوا أفكارهم ويعملوا
أنظارهم فيها حتى يطبقوها على المحكم . وقد فعلوا جزاءهم الله كل خير .

(٣) مما ليس تحتَه عمل : مما لا يشتمل على الأحكام الشرعية .

(٤) العجمة : عدم الفصاحة .

(٥) الأمية : يريد الجهل بلسان العرب .

(٦) وحيا : رمزها .

(٧) التلويح : التعريض والإشارة .

فتفرقوا من تأويلها [وَحَمِلَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا] شَذَر مَذَر^(١)؛ فَفَهِم مَنِ آمَنَ بِهِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ .

فَأَمَّا مَا لَا يَصِحُّ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَوَاجِبٌ أَلَّا يُذَكَّرَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي حَقِّ اللَّهِ
وَلَا فِي حَقِّ أَنْبِيَائِهِ ، وَلَا يُتَحَدَّثُ بِهَا ، وَلَا يُتَكَلَّفُ الْكَلَامُ عَلَى مَعَانِيهَا . وَالصَّوَابُ
طَرَحُهَا^(٢) ، وَتَرْكُ الشُّغْلِ بِهَا إِلَّا أَنْ تُذَكَّرَ عَلَى وَجْهِ التَّعْرِيفِ بِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ^(٣) لِلْقَادِ
وَاهِيَةِ الْإِسْنَادِ^(٤) .

وَقَدْ أَنْكَرَ الْأَشْيَاخُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ فُورِكَ^(٥) تَكَلُّفَهُ فِي مُشْكِلِهِ^(٦) الْكَلَامَ
عَلَى أَحَادِيثٍ ضَعِيفَةٍ مَوْضُوعَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا ، أَوْ مَقُولَةٍ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ
يَلْبَسُونَ^(٧) الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ كَانَ يَكْفِيهِ طَرَحُهَا^(٨) ، وَيُغْنِيهِ عَنِ الْكَلَامِ التَّنْبِيهُ عَلَى
ضَعْفِهَا ؛ إِذَا الْقَصُودُ بِالْكَلَامِ عَلَى مُشْكِلٍ مَا فِيهَا إِزَالَةُ اللَّبْسِ ، وَاجْتِنَائُهَا^(٩) مِنْ
أَصْلِهَا ، وَطَرَحُهَا أَوْ كَشْفُ اللَّبْسِ وَأَشْفَى لِلنَّفْسِ^(١٠) .

(١) شَذَر مَذَر : ذَهَبُوا فِي التَّمَثَّاهِ إِلَى مَذَاهِبٍ وَجْهَاتٍ ؛ تَفَرَّقُوا ؛ فَمَنْ قَائِلٌ : نَوُوْلُهُ ،
وَمَنْ قَائِلٌ نَبَقِيهِ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَمَنْ قَائِلٌ : نَوْمُنْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمَعْنَاهُ وَكَشْفِ الْقِنَاعِ
عَنْهُ . وَفِي هَامِشٍ ب : قَوْلُهُ شَذَر مَذَرُ مَعْنَاهُ أَخَذَ وَافِيَ كُلِّ وَجْهِ . وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي هَامِشٍ ب .
(٢) طَرَحَهَا : تَرَكَهَا .

(٣) ضَعِيفَةُ الْقَادِ : ضَعِيفَةُ طَرِيقِ الرِّوَايَةِ .

(٤) وَاهِيَةِ الْإِسْنَادِ : إِسْنَادُهَا شَدِيدُ الضَّعْفِ سَائِطٌ عَنْ دَرَجَةِ الْإِعْتِبَارِ .

(٥) هُوَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ بْنِ فُورِكَ الشَّافِعِيِّ الْحَدِيثِ الْأَصُولِي ، تَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

(٦) فِي مُشْكِلِهِ : فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « مُشْكِلُ الْحَدِيثِ » فِي التَّمَثَّاهِ .

(٧) يَلْبَسُونَ : يَخْلُطُونَ .

(٨) طَرَحَهَا : تَرَكَ ذِكْرَهَا .

(٩) اجْتَنَائُهَا : قَامِعُهَا وَقَطْعُهَا .

(١٠) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَإِنَّهَا بَعْدَ شِيوعِهَا لَا بَدَّ مِنْ بَيَانِهَا حَتَّى لَا يَفْتَرَّ بِهَا الْجَهْلَةُ .

وَفِي كِتَابِ ابْنِ فُورِكَ فَوَائِدُ جَلِيلَةٌ وَمَعَانٍ بَدِيعَةٌ يَعْرِفُهَا مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّ فِي كِتَابِهِ

أَحَادِيثَ مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَعِيفٌ نَبَهَ عَلَى ضَعْفِهِ .

فصل

ومما يجبُ على المتكلم فيما يجوزُ على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز ؛
والذاكرُ من حالاته ما قد مناه في الفصل قبلَ هذا على طريق المذاكرة والتعليم^(١) -
أن يلتزم في كلامه - عند ذكره صلى الله عليه وسلم ، وذِكْر تلك الأحوال -
الواجب من توقيره وتعظيمه ، وراقب حال لسانه ، ولا يهمله^(٢) ، وتظهر عليه
علامات الأدب عند ذكره ؛ فإذا ذَكَر ما قاساه من الشدائد ظهر عايه الإشفاقُ
والارتعاض^(٣) ، والغنَظُ على عدوه ، ومودةُ الفداء^(٤) للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر
عليه ، والنصرةُ له لو أمكنته .

وإذا أخذ^(٥) في أبواب المعصية ، وتكلم على مجارى أعماله^(٦) وأقواله صلى الله
عليه وسلم تحمى أحسن [٢٥٨] اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه ، واجتنَب بشيع
ذلك^(٧) ، وهجر^(٨) من العبارة ما يقبح ؛ كلفظة الجهل والكذب والعصية ؛
فإذا تكلم في الأقوال قال : هل يجوزُ عليه الخلف^(٩) في القول والإخبار بخلاف

(١) المذاكرة مع أقرانه ، والتعليم لمن هو دونه .

(٢) يراقب حال لسانه بتعبيره بعبارة حسنة . ولا يهمله ؛ أى لا يترك توقيره .

(٣) الإشفاق ؛ بإظهار شفقتة عليه بما أصابه . والارتعاض ؛ أى احتراقه ولوعته ؛ من
ارتعص الرجل من كذا ، إذا اشتد عليه وأقلقه .

(٤) مودة الفداء : تمنى أن يكون فدية له بنفسه وأهله وماله من جميع المنكرات ؛ أى أن
يسلم النبي صلى الله عليه وسلم ويحل به هو ما حل بالنبي عوضاً عنه .

(٥) إذا أخذ : شرع في التكلم .

(٦) على مجارى أعماله : على ما جرى من أعماله .

(٧) بشيع ذلك : ما فيه بشاعة وقباحة يمجها السمع .

(٨) هجر : ترك .

(٩) في الأقوال : فيما يتعلق بأقواله صلى الله عليه وسلم .

(١٠) الخلف : المخالفة .

ما وقع سَهْوًا أو غَلَطًا ، ونَحْوُهُ من العبارة ، ويتجنب لَفْظَةَ الكَذِبِ جملةً ^(١) واحدةً .
وإذا تسكَّم على العلم قال : هل يجوزُ أَلَّا يَعْلَمَ إلا ما عُلِّمَ ^(٢) ؟ وهل يمكنُ أَلَّا
يكونَ عنده عِلْمٌ من بعض الأشياء حتى يُوحَى إليه ؛ ولا يقول ^(٣) : يجهل ؛ لقُبْحِ
اللفظِ وبَشَاعَتِهِ ^(٤) .

وإذا تسكَّم في الأفعال ^(٥) قال : هل يجوزُ منه المخالفةُ في بعض الأوامر
والنواهي ^(٦) ومواقعةُ بعض الصفاتِ ؟ فهو أَوْلَى وآدُبُ من قوله : هل يجوزُ أَنْ
يَعِصِيَ أو يُذْنِبَ أو يفعلَ كذا وكذا ، من أنواع المعاصي ؟ فهذا من حق توقيره
صلى الله عليه وسلم ، وما يجبُ له من تَعَزُّيزٍ ^(٧) وإعظام .
وقد رأيتُ بعضَ العلماء لم يتحفظْ من هذا ، فتُبِّحَ منه ^(٨) ، ولم استصوب ^(٩)
عبارة فيه .

(١) جملة واحدة ؛ أى بجميع ألفاظه .

(٢) ما علم : ما علمه الله تعالى .

(٣) ولا يقول - في التعبير عن هذا : « يجهل » ؛ وإن كان الجهل عدم العلم .

(٤) في نسيم الرياض (٤ - ٤٧٢) : قال البافلاوى : يجوز عقلا كون النبي صلى الله

عليه وسلم غير عالم ببعض شرائع من قبله ، وكونه غير عالم بلغات غير قومه ، وبعض أمور الدنيا
كالخرف والصنائع .

(٥) في الأفعال : في أفعاله صلى الله عليه وسلم .

(٦) في بعض الأوامر التي أمر الله بها . والنواهي : التي نهاه الله عنها .

ومواقعة : ووقوع .

(٧) تميز : تعظيم في نفسه ، وإعظام عند غيره .

(٨) في ١ : فقيح - بالبناء للمعلوم .

(٩) لم استصوب : لم أعدده صوابا .

ووجدتُ بعضَ الجائزين قَوْلَهُ^(١) لأجلِ تَرْكِ تَحْفِظِهِ في العبارة ما لم يَقُلْهُ ؛ وَشَتَّعَ عليه بما يَأْبَاهُ ، وَيُكْفِّرُ^(٢) قائله .

ولمَّا كانَ مِثْلُ هذا بين الناسِ مُسْتَعْمَلًا في آدابِهِمْ وَحُسْنِ مُعَاشَرَتِهِمْ وَخِطَابِهِمْ ؛ فَاسْتَعْمَلَهُ في حَقِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْجِبُ ، وَالزَّامَةُ آ كَد .

فجودةُ العبارةِ تُقَبِّحُ الشَّيْءَ أَوْ تُحَسِّنُهُ^(٣) ، وَتَحْرِيرُهَا^(٤) وَتَهْذِيبُهَا تُعْظِمُ الْأَمْرَ أَوْ تَهْوِئُهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِمَنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسَحْرًا »^(٥) .

فَأَمَّا مَا أوردَهُ على جِهَةِ الثَّقَيِّ عَنْهُ وَالتَّنْزِيهِ فَلَا حَرَجَ في تَسْرِيحِ^(٦) العبارةِ وَتَصْرِيحِهَا فِيهِ ؛ كَقَوْلِهِ : لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكُذِبُ جَمَلًا ، وَلَا إِنْيَانُ الْكِبَائِرِ بَوَاجِهِ ،

(١) الجائزين : المائلين عن الإنصاف . قوله : من التقول ؛ وهو تكلف القول والافتراء عليه .

(٢) ويكفر قائله : هذا الضبط في ا . وفي ب : ضبطت الفاء بالشدة والفتحة .

(٣) تقبح الشيء : تجعل الحسن قبيحا . أو تحسنه ؛ أى تجعله حسنا .

(٤) وتحريرها : أى جعل العبارة محررة منقحة وتهذيبها ؛ أى تخليصها مما لا يحسن قوله . يعظم الأمر : يصيره عظيما وإن كان هينا . أو يهونه : يجعله هينا وإن كان عظيما في نفسه .

(٥) في الحديث الصحيح : صحيح مسلم : ٥٩٤ ، وسنن الترمذى : ٤ - ٣٧٦ ، والبيان بمعنى الفصاحة واللسن ، بمنزلة ذكاء وفطنة . وقيل : هو الكلام المنقح القريب إلى الأنفهام للبين له أحسن تبين وأقرب به . لسحرا ؛ أى كالسحر في صرف العقول ؛ أى يميل به القلوب ويرضى به الساخط ، ويستدل به الصعب . قال في نسيم الرياض : واعلم أن ما ذكره المصنف باب عظيم من أبواب البلاغة ؛ وهو أن الكلام المتحد المعنى باختلاف العبارة ؛ كما حكى عن الرشيد أنه رأى في منامه أن أسنانه كلها وقعت ، وتمبيره ذهاب الأعوان والأنصار ، فطلب معبرا يبرر رؤياه ، فأتى له برجل عابر ؛ فقال له : يموت أولادك وأحبائك ، وترى مصيبتهم . فأمر بقلع أسنانه كلها . ثم أتى بآخر فقال : عمرك أطول من عمر أهلك وحواشيك وأحبائك . فأمر أن يحشى فؤاده درا .

(٦) تسريح العبارة : إطلاقها من غير احتراز .

ولا الجور في الحكم على حال ؛ ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعليقه عند ذكره مجرداً ؛ فكيف عند ذكر مثل هذا .
وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره ، كما قدمناه في القسم الثاني .

وقد كان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن ، حكى الله تعالى فيها مقال عداه ؛ ومن كفر بآياته ، وافتري عليه الكذب ؛ فكان يخفض بها صوته إعظاماً لربه ، وإجلالاً له ، وإشفاقاً من التشبه بمن كفر به .

البَابُ الثَّانِي

فِي حُكْمِ سَابِئَةٍ وَشَانِئَةٍ ^(١) وَمُتَنَقِّصَةٍ وَمُؤْذِيَةٍ وَعُتُوبِيَةٍ وَذَكَرَ اسْتِقَابَتَهُ وَوَرِائَتَهُ
قَدْ قَدَّمْنَا مَا هُوَ سَبٌّ وَأَذَى فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرْنَا لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ
عَلَى قَتْلِ فَاعِلِ ذَلِكَ وَقَائِلِهِ ^(٢) ، أَوْ تَخْيِيرِ الْإِمَامِ فِي قَتْلِهِ أَوْ صَلَاحِهِ ^(٣) عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ،
وَقَرَّرْنَا الْحُجَجَ ^(٤) عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ قَاعِلِ أَنْ مَشْهُورَ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِيهِ ، وَقَوْلِ السَّلَفِ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ
قَتْلُهُ حَدًّا لَا كُفْرًا إِنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْهُ ^(٥) ؛ وَلِهَذَا لَا تُقْبَلُ عَنْهُمْ تَوْبَتُهُ ^(٦) ،
وَلَا تَنْفَعُهُ اسْتِقَابَتُهُ وَلَا فَيْئَتُهُ ^(٧) كَمَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلُ ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الزَّانِدِيقِ ،
وَمُسِيرِ الْكُفْرِ فِي هَذَا الْقَوْلِ ؛ وَسِوَاهُ كَانَتْ تَوْبَتُهُ عَلَى هَذَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ
وَالشَّهَادَةِ عَلَى قَوْلِهِ ، أَوْ جَاءَ تَائِبًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ وَجَبَ لَا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ
كَسَائِرِ الْحُدُودِ ^(٨) .

(١) شَانِئَةٍ : مَبْغُضَةٍ .

(٢) وَقَائِلُهُ : مَنْ يَقُولُهُ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ .

(٣) فِي قَتْلِهِ بِالسَّيْفِ ، أَوْ صَلَاحِهِ تَشْهِيرًا لَهُ بَيْنَ النَّاسِ .

(٤) الْحُجَجُ . وَالْبَرَاهِينُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ .

(٥) حَدًّا ؛ لِأَنَّهُ حَدُّ قَذْفٍ مَخْصُوصٌ بِالْأَنْبِيَاءِ لَا كُفْرًا ؛ أَيْ لَا يَقْتُلُ بِسَبَبِ كُفْرِهِ ، لِأَنَّهُ

رَدَّةٌ - إِنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَصْرَ عَلَيْهِ يَكُونُ كَافِرًا .

(٦) لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ؛ لِأَنَّ الْحُدُودَ لَا تُسْقِطُ بِالتَّوْبَةِ ؛ وَإِنَّمَا تَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ أَخْلَصَ

فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ تَقِيَّةً .

(٧) فَيْئَتُهُ : رَجُوعُهُ عَمَّا صَدَرَتْ مِنْهُ .

(٨) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَكَوْنِ الْحُدُودِ لَا تُسْقِطُ بِالتَّوْبَةِ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ

فِيهَا إِذَا كَانَ مَحْضُ حَقِّ الْآدَمِيِّ ؛ أَمَّا مَا هُوَ حَقُّ اللَّهِ فَنَحْنُ خِلَافُ . وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ هَذَا الْحُكْمِ .

قال الشيخ أبو الحسن القاسبي رحمه الله : إذ أقرَّ بالسبِّ ، وتاب مِنْهُ ، وأظهرَ التوبة - قُتِلَ بالسَّبِّ ؛ لأنه هو حَدُّهُ ^(١) .

[٢٥٩] وقال أبو محمد بن أبي زَيْد في ^(٢) مِنْهُ ، وأما ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فتوبته تَنْفَعُهُ ^(٣) .

وقال ابنُ سَعْنُون : مَنْ شَمَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ^(٤) ، ثُمَّ تاب عن ذلك لم تُزَلْ ^(٥) توبته عنه الْقَتْلُ .

وكذلك قد اختلف في الزندقي إذا جاء تائباً ؛ فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين :

قال : من شيوخنا من قال : أَقْتُلْهُ بِإِقْرَارِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى سَتْرِ نَفْسِهِ ، فلما اعترف خِفْنَا أَنَّهُ خَشِيَ الظهورَ عليه فبادرَ ^(٦) لذلك .

ومنهم من قال : أَقْبَلُ توبته ؛ لِأَنِّي أُسْتَدِلُّ عَلَى صِحَّتِهَا ^(٧) بِمَجِيئِهِ ؛ فَكَأَنَّنَا وَقَفْنَا عَلَى بَاطِلِهِ ، بخلاف مَنْ أَسْرَتُهُ الْبَيِّنَةُ ^(٨) .

قال القاضي أبو الفضل ^(٩) : وهذا قولُ أصبغ ، ومسألةُ سَابِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

(١) حده : حد هذا السب الخاص بالأنبياء .

(٢) هذا في ا ، ب . في مثله : في نظيره .

(٣) فتوبته تنفعه تفضلاً منه ؛ فإنه يقبل التوبة من عباده .

(٤) من الموحدين : المراد من المسلمين ، فيخرج بهم أهل الكتاب .

(٥) لم تزل : لم ترفع .

(٦) بادر لذلك : أسرع قبل أخذه .

(٧) على صحتها : صحة توبته .

(٨) أسرته البينة : شهدت عليه وألزمته حتى كأنه أسير شد في وثاق .

(٩) هو المؤلف .

عليه وسلم أقوى^(١) ، لا يُتَصَوَّرُ فيها الخلافُ على الأصل المتقدم ؛ لأنه حقٌّ متعلِّقٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببِهِ لا تسقطُهُ التوبةُ كسائر حقوقِ الآدميين .
والزُّندِيقُ إذا تاب بعد القُدرةِ عليه فعند مالك، والليث^(٢) ، وإسحاق ، وأحمد ، لا تُقبَلُ توبتهُ .

وعند الشافعي تُقبَلُ .

واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف .

وحكى ابنُ المنذر ، عن علي بن أبي طالب رضى اللهُ عنه : يُسْتَكَابُ^(٣) .
قال محمد بن سُحنون : ولم يَزَلِ القَتْلُ عن المسلم بالتوبة من سبِّه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لم ينتقل من دينٍ إلى غيره^(٤) ، وإنما فعل شيئاً حدُّه عندنا القتلُ لا عَفْوُ فيه لأحدٍ ، كالزُّندِيقِ ؛ لأنه لم ينتقل من ظاهرٍ إلى ظاهرٍ .

وقال القاضي أبو محمد بن نصرٍ مُحتجاً لسقوطِ اعتبارِ توبته : والفرقُ بينه وبين مَنْ سبَّ الله تعالى على مشهورِ القولِ باستتابته^(٥) - أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بشرٌ ، والبشرُ جنسٌ تلحقُهُ المرأةُ إلّا مَنْ أكرمَهُ اللهُ بنبوّته ، والباريُّ تعالى مُنَزَّهٌ عن جميعِ المعاييبِ قطعاً ، وليس من جنسٍ تلحقُ المرأةُ^(٦) بِجِنْسِهِ ، وليس سبُّهُ

(١) أقوى في حكم القتل من مسألة الزنديق ؛ لأنه حق الله ، وهذا ترجيح منه للقول الثاني .

(٢) الليث بن سعد ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل .

(٣) يستتاب : تقبل توبته إن تاب بعد القدرة عليه ، وإلا قتل .

(٤) فليس مرتداً ، وإنما هو على دين الإسلام ، لسكنه صدر منه ما يوجب الحد عليه .

(٥) باستتابته وقبول توبته .

(٦) للمرأة : النقيصة التي يلحق صاحبها عار . وهي أيضاً للسادة والإثم .

صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة؛ لأن الارتداد معنى ينفرد به^(١) المرتد، لاحق فيه لغيره من الآدميين؛ فقبلت توبته^(٢). ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي، فكان كالمُتَدَّ يَقْتُلُ^(٣) حين ارتداده أو يَقْذِفُ^(٤)؛ فإن توبته لا تُسْقِطُ عنه حَدَّ الْقَتْلِ وَالْقَذْفِ.

وأيضاً فإن توبة المرتد إذا قُبِلَتْ لا تُسْقِطُ ذنوبه من زناً وسرقاً وغيرها، ولم يُقْتَلْ سَابُّ النبي صلى الله عليه وسلم لكفره، لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم حرمة وزوال المعركة به، وذلك لا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ^(٥).

قال القاضي أبو الفضل^(٦): يريدُ - والله أعلم: لأن سبّه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر^(٧)، ولكن بمعنى الإضرار والاستخفاف؛ أو لأن توبته وإظهار

(١) ينفرد به المرتد: يختص به في نفسه.

(٢) توبته، أى المرتد.

(٣) يقتل حين ارتداده، أى يقتل المرتد رجلاً آخر حال ارتداده، فحينئذ يتعين قتله لحق الآدمي الذي قتله قصاصاً.

(٤) أو يقذف المرتد حال رده، فلا بد من إقامة حد القذف عليه لتعلق حق الآدمي به.

(٥) لأنه متعلق بمرضه، فهو حق له كحقوق الآدميين.

قال الحفاجي: وهذا هو القول الصحيح عند أبي حنيفة والشافعي وغيرهما.

ثم قال: وفي قول إنها تسقط أيضاً لقوله تعالى في الزنا: «فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنها». وفي السرقة: «فمن تاب من بعد ظله وأصلح فإن الله يتوب عليه».

ولا خلاف في سقوطها فيما بينه وبين الله بدم مؤاخذته بها.

وقال النووي في الروضة: سقوط الحدود بالتوبة قول ضعيف.

(٦) هو المؤلف.

(٧) كلمة تقتضى الكفر، كإنكار نبوته ونحوه، فهذا ليس محل خلاف.

لإنابته ارتفع عنه اسم الكُفْرِ ظاهراً ، واللهُ أعلمُ بسريرته ، وبَقِيَ حُكْمُ السَّبِّ عليه ^(١) .

[وقال أبو عِمران القاسبي ^(٢) : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ عن الإسلام قُتِلَ ولم يُسْتَتَبْ ؛ لأنَّ السَّبَّ من حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ الَّتِي لَا تَسْقُطُ ^(٣) عن المرتد] ^(٤) . وكلامُ شيوخنا هؤلاء مبنيٌّ على القولِ بقتله ؛ حدًّا لا كُفْرًا ^(٥) ؛ وهو يحتاج إلى تفصيل .

وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك بمن ذكرناه وقال به من أهل العلم - فقد صرَّحُوا أَنَّهُ رِدَّةٌ ؛ قالوا : وَيُسْتَتَابُ مِنْهَا ؛ فَإِنْ تَاب نُكِّلَ ^(٦) ، وَإِنْ أَبَى قُتِلَ ، فحُكْمُ لَهُ بِحُكْمِ الْمُرْتَدِّ مُطْلَقًا فِي هَذَا الْوَجْهِ .

- (١) بقي حكم السب عليه لم يرتفع ، فيقتل حدًّا ؛ فلو أصر فهو كافر .
قال الحفاجي : وفي قوله إزاراء واستخفاف نظر ؛ لأن الإزاراء به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر ؛ بل من أعظم الكفر ؛ فاستدراكه ليس في محله .
ثم إنه قيل : إنه إذا كان حدًّا فكيف يترك ، والحدود لا يتسامح فيها ؛ وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه وآذاه ؛ إلا أن يقال : إنه من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - جواز تركه إذا كان له فيه حق .
(٢) في هامش ب : القاسي .
(٣) لا تسقط عن المرتد وإن تاب ؛ لكن توبته إن أظهرها وأخلص فيها نفعته في الآخرة .

(٤) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب : وبجانبه : هذا المسلم عليه من الأم بخطه من الرواية .

(٥) حدًّا لا كفراً ؛ حدًّا لقتله الأنبياء ، لا كفراً برده .

(٦) نكّل : عوقب بتعزيره وضربه ونحوه .

والوجه^(١) الأول أشهر وأظهر لما قدمناه، ونحن نبسط الكلام فيه ؛
ف نقول [٢٦٠] :

من لم يره ردة فهو بوجِبُ القتل فيه حداً ؛ وإنما نقول ذلك مع فصلين^(٢) :
إما مع إنكاره ما شهد به عليه^(٣) ، وإظهاره الإقلاع^(٤) والتوبة عنه ؛ فنقتله
حداً لثبات كلمة^(٥) الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) ، وتحقيره
ما عظم الله من حقه ؛ وأجرينا^(٧) حكمه في ميراثه . وغير ذلك^(٨) حكم الزنديق
إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب .

فإن قيل : فكيف تثبتون عليه الكفر ، ويشهد عليه [بكلمة الكفر]^(٩)
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها^(١٠) ؟
قلنا : نحن وإن أنبتنا له حكم الكافر فلا نقطع^(١١) عليه بذلك ؛ لإقراره

(١) الوجه الأول ؛ هو أنه يقتل حداً لا كفراً .

(٢) مع فصلين : في وجهين وصورتين مخصوصتين في كل منها فصل وتمييز عن غيره .

(٣) ما شهد به عليه ؛ من سبه صلى الله عليه وسلم ؛ ولأجل إنكاره لم يحكم بكفره ، لكن
قامت البينة العادلة عليه .

(٤) الإقلاع : الترك بالكلية والرجوع عنه .

(٥) لثبات كلمة الكفر بشهادة أمضاها الحاكم عليه .

(٦) في حق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بسبه له ، فيحد حد قاذف الأنبياء ، وهو القتل .

(٧) وأجرينا حكمه ؛ أى حكم الساب المنكر ذلك في ميراثه ؛ فورثنا وراثته منه لظاهر

إسلامه .

(٨) وغير ذلك من حقوق المسلمين .

(٩) بحكمه : بحكم الكافر المرتد . من الاستتابة وتوابعها : من ترك قتله إذا تاب ونحوه .

وما بين القوسين ليس في أ .

(١٠) لا نقطع عليه بذلك ؛ لانجزم بهذا الحكم .

بالتوحيد والنبوة ، وإنكاره ما شهد به عليه ، أو زعمه ^(١) أن ذلك كان منه وهلا ومعصية ^(٢) ، وأنه مُقْلِعٌ عن ذلك نادِمٌ عليه ، ولا يَمْتَنِعُ إِبْتِغَاءُ بَعْضِ أَحْكَامِ الْكُفْرِ ^(٣) على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه ؛ كقتل تارك الصلاة ^(٤) .
وأما مَنْ عُلِمَ أَنَّهُ سَبَّهُ مُعْتَقِداً اسْتِحْلَالَه ^(٥) فلا شَكَّ في كُفْرِهِ بذلك .
وكذلك إن كان سَبَّهُ في نفسه كُفْرًا ^(٦) ، كتكذيبه أو تكفيره ونحوه ؛ فهذا

(١) زعمه : ادعاؤه .

(٢) وهلا : خطأ وذهولا . ومعصية : أى زعمه أنه معصية لما سبق إليه وهو من غير

كسب منه .

(٣) بعض أحكام الكفر ؛ كالقتل .

(٤) قال الحفاجي :

قتل تارك الصلاة عند القائل به ، كالشافعي رضى الله عنه ؛ وهذا إذا تركها كسلا وتهاونا ، لا جمحدا لها فإنه كفر بالاتفاق .

وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته : للمزني فيه إشكال صعب ؛ فإن هذا لا يتصور ؛ لأنه إما أن يكون على ترك صلاة مضت أولم تأت ؛ والأول باطل ؛ لأن القضية لا يقتل تاركها ، والثاني كذلك ؛ لأن له التأخير ما لم يخرج الوقت ؛ فعلم يقتل تاركها ؟
وقد أجيب عنه بوجوه :

الأول - أنه وارد في التمزير والضرب ، فالجواب الجواب ؛ وهو جدلى .

الثاني - أنه على الماضية ؛ لأنه تركها بلا عذر .

ورد بأن القضاء لا يجب على الفور ، وبأن الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا . ومذهب أصحابه أنه لا يقتل بالامتناع عن القضاء .

الثالث - أنه يقتل بالموادة في آخر وقتها ، ويلزمه أن المبادرة إلى القتل لتارك الصلاة أحق منها إلى المرتد ، إذ يستتاب ، وهذا لا يستتاب ولا يعمل ؛ إذ لو أمهل صارت مقضية .

قال الحفاجي : أقول : قد يقال : مراده من اعتاد ذلك بقطع النظر عن كونها أداء أو قضاء لما في تهاونه بما هو عماد الإسلام .

(٥) معتقدا استحلاله ؛ أى وهو يعتقد أن سبه يحل له مع حرمة إجماعا .

(٦) إن كان سبه في نفسه : أى ماسبه به ، فإن أنواع السب متفاوتة .

مما لا إشكال فيه ^(١) ، ويُقْتَلُ وإن تاب منه ؛ لأننا لا نقبلُ توبته ، ونقتله بعد التوبة ^(٢) حداً ؛ لقوله ، ومتقدم كُفْرُهُ ^(٣) ؛ وأمرُهُ بَعْدُ ^(٤) إلى الله المطلع على صحة إقلاعه ، العالم بسرّه .

وكذلك مَنْ لم يُظْهِرِ التوبة ، واعترفَ بما شهّد به عليه ، وصمَّ عليه - فهذا كافرٌ بقوله وباستحلاله هتك حرمة ^(٥) الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يُقتل كافرًا بلا خلاف .

فملى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ، ونزّل ^(٦) مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها ^(٧) ، وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تنضج لك مقاصدُهم إن شاء الله تعالى .

(١) مما لا إشكال فيه : أى فى الحكم بكفره .

(٢) حداً ، لا كفر الرجوع عنه .

(٣) لقوله الذى صدر منه ، ومتقدم كفره قبل توبته ؛ صيانة لمقام النبوة .

قال الخفاجى :

وهذا أحد المذهبين فيه عند الشافعى . والآخر أنه إذا قبلت توبته وإقلاعه لا يقتل ، وهذا حكمه فى الدنيا .

(٤) وأمره بعد : بعد قبول توبته مفض إلى الله فى الآخرة .

(٥) الحرمة : ما يجب احترامه وتوقيره . وهتكها بتركها وإظهار ما يخالفها .

(٦) فى ب : واترك .

(٧) فعدم القتل ينزل ويحمل على بعض الصور ، ووجوبه ينزل على بعض آخر مما فصله .

فصل

إِذَا قُلْنَا بِالْإِسْتِنَابَةِ حَيْثُ تَصِحُّ^(١) فَلَا خِلَافَ فِيهَا عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي تَوْبَةِ
الْمُرْتَدِّ ؛ إِذَا لَا فَرْقَ^(٢) .

وَقَدْ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي وَجُوبِهَا وَصُورَتِهَا وَمُدَّتِهَا^(٣) ؛ فَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ
إِلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ يُسْتَنْابُ^(٤) .

وَحَكِي ابْنُ الْقَصَّارِ أَنَّهُ إِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِ عُمَرَ فِي الْإِسْتِنَابَةِ^(٥) ،
وَلَمْ يَنْكَرْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ؛ وَهُوَ قَوْلُ عُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ؛ وَبِهِ قَالَ عَطَاءُ
ابْنُ أَبِي رَبَاحٍ ، وَالنَّخَعِيُّ ، وَالثَّوْرِيُّ ، وَمَالِكٌ ، وَأَصْحَابُهُ ، وَالْأَوْزَاعِيُّ ، وَالشَّافِعِيُّ ،
وَإِسْحَاقُ ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ .

وَذَهَبَ طَاوُسُ^(٦) ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُيَيْرٍ ، وَالْحَسَنُ فِي إِحْدَى الرَّوَابِيتَيْنِ
عَنْهُ - أَنَّهُ لَا يُسْتَنْابُ ؛ وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ^(٧) ، وَذَكَرَهُ عَنْ مُعَاذٍ ؛ وَأَنْكَرَهُ

(١) بِالْإِسْتِنَابَةِ ؛ أَيُّ لِمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
حَيْثُ تَصِحُّ : فِي مَحَلِّ حُكْمٍ بِصَحَّتِهَا فِيهِ الْفُقَهَاءُ .

(٢) فِي تَوْبَةِ الْمُرْتَدِّ ، لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي السَّكْفَرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ . لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ مَالِكٍ
وَأَصْحَابِهِ .

قَالَ الْحَفَاجِيُّ : وَلَوْ قَالَ اسْتِنَابَةُ الْمُرْتَدِّ كَانَ أَحْسَنَ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ تَائِبًا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَجْرَ فِيهِ
هَذَا الْخِلَافُ .

(٣) صُورَتِهَا ؛ أَيُّ كَيْفِيَةِ الْإِسْتِنَابَةِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ تَسْكُونُ . وَمُدَّتِهَا الَّتِي يَمُهِلُ فِيهَا .

(٤) يُسْتَنْابُ : تَطْلُبُ مِنْهُ التَّوْبَةُ عِنْدَ رَدِّهِ .

(٥) فِي الْإِسْتِنَابَةِ حِينَ حُكْمِهَا .

(٦) طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ .

(٧) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ : الْمَعْرُوفُ بِالْمَلَّاجِشُونَ . وَهُوَ إِمَامٌ مَعْظَمٌ مَشْهُورٌ ، تَوَفَّى سَنَةَ

أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً .

سُحْنُونُ عَنْ مُمَاذٍ ؛ وَحَكَاةُ الطَّحَاوِيِّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الظَّاهِرِ ^(١) ؛
قَالُوا : وَتَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ ؛ وَلَكِنْ لَا نَدْرَأُ الْقَتْلَ عَنْهُ ^(٢) ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ] فَأَقْتُلُوهُ .

وَحِكَايَةُ أَيْضًا عَنْ عَطَاءَ : إِنْ كَانَ ^(٣) مِمَّنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُسْتَنْبَ ،
وَيُسْتَنْبَأُ الْإِسْلَامِيُّ ^(٥) .

وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُرْتَدَّ وَالْمُرْتَدَّةَ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ .
وَرُويَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تُقْتَلُ الْمُرْتَدَّةُ ، وَتُسْتَرْقَى ^(٦) ؛ وَقَالَ عَطَاءُ ،
وَقَتَادَةُ .

وَرُويَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : لَا تُقْتَلُ النِّسَاءُ فِي الرِّدَّةِ ؛ وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .
قَالَ مَالِكٌ : وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالَّذِي كَرُّهُ وَالْأَنْثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ .
وَأَمَّا مُدَّتُهَا ^(٧) فَذَهَبُ الْجُمْهُورِ ، وَرُويَ عَنْ عُمرَ ، أَنَّهُ يُسْتَنْبَأُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

(١) أهل الظاهر: من مذهبهم الأخذ بظاهر الأدلة؛ وهو مذهب داود بن محمد الظاهري
ومن تبعه كابن حزم .

(٢) تنفعه توبته - وإن لم يستنب - عند الله في الآخرة ؛ لأنه ليس بكافر ؛ ولكن توبته
لا تدفع عنه القتل عند الحاكمين بقتله حدا ، لقوله صلى الله عليه وسلم . . .

(٣) رواه الشيخان عن ابن عباس . وهو في سنن الترمذي : ٤ - ٥٩ ، وصحيح
البخاري : ٩ - ١٩ ، وما بين القوسين من البخاري .

(٤) إن كان المرتد والساب .

(٥) الإسلامي : من ولد كافرا ، ثم طرأ عليه الإسلام ، لقيام شبهة عنه . بما كان في طبعه
من الكفر ، فيعذر ويتألف .

(٦) بما ورد في الحديث عن النهي عن قتل النساء .

(٧) مدتها ؛ أي مدة الاستتابة عند القاتلين بها .

يُحْبَسُ فِيهَا ^(١)؛ وقد [٢٦١] اُخْتَلِفَ فِيهِ عَنْ عُمر؛ وهو أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ^(٢)،
وقولُ أَحمد، وإسحاق؛ واستَحْسَنَهُ مالِكٌ؛ وقال: لا يَأْتِي الاستظهارُ ^(٣) إِلَّا بِخَيْرٍ،
وليس عليه ^(٤) جماعةُ الناس.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي زَيْد: يريد في الاستيناء ^(٥) ثلاثاً.
وقال مالِكٌ أيضاً: أَخِذْ بِهِ فِي الْمَرْتَدِّ قولُ عُمر: يُحْبَسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ
كُلَّ يَوْمٍ ^(٦)؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثاً روايتان عن مالِك: هل ذلك واجبٌ
أو مستحبٌّ؟ واستَحْسَنَ الاستِتابَةَ والاستيناءَ ثلاثاً أصحابُ الرِّأْيِ ^(٧).
ورَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ اسْتَتَابَ امْرَأَةً فَلَمْ تَتُبْ فَقَتَلَهَا ^(٨)؛ وقاله
الشَّافِعِيُّ مَرَّةً ^(٩)، فقال: إِنْ لَمْ يَتُبْ قُتِلَ مَكَانَهُ. واستَحْسَنَهُ الْمَزْنِيُّ ^(١٠).

(١) فَإِنْ تَابَ أَطْلُقَ، وَإِلَّا قُتِلَ.

(٢) قال الخفافى: والقول الآخر أنه يستتاب في الحال، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

(٣) الاستظهار: الاحتياط بالتأخير والتثبت حتى يظهر الأولى؛ أى الثاني وعدم المجلة
خير في مثل هذا.

(٤) عليه: على هذا القول بالتأخير والثاني جماعة من الناس، فالجمهور على خلاف هذا
القول.

(٥) الاستيناء: التأخير.

(٦) ويعرض عليه كل يوم التوبة والرجوع بوعظه ونصيحته.

(٧) أصحاب الرأى: أهل القياس؛ والمراد أبو حنيفة وأصحابه.

(٨) استتاب امرأة: طلب توبة امرأة ارتدت، واسمها أم قرفة، من بنى فزارة. فقتلها؛
لأنه لا فرق عنده بين الذكر والأنثى.

(٩) مرة: يستتاب مرة واحدة.

(١٠) المزني: من أئمة الشافعية، وهو القول الأصح في مذهبهم.

- وقال الزهري ^(١) : يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، فَإِنْ أَبَى قُتِلَ .
 وَرُوي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يُسْتَنْابُ شَهْرَيْنِ .
 وقال النخعي : يُسْتَنْابُ أَبَدًا ^(٢) ، وَبِهِ أَخَذَ النَّوْزِيُّ مَا رُجِيتْ تَوْبَتُهُ .
 وحكى ابن القصار عن أَبِي حَنِيفَةَ - أَنَّهُ يُسْتَنْابُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
 أَوْ ثَلَاثِ جُمُعٍ كُلِّ يَوْمٍ أَوْ جُمُعَةٍ مَرَّةً .
 وفي كتاب محمد ^(٣) ، عن القاسم : يُدْعَى الْمُرْتَدُّ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ؛ فَإِنْ
 أَبَى ضُرِبَتْ عُنُقُهُ .
 واختُلفَ عَلَى هَذَا هَلْ يَهْدَدُ أَوْ يُشَدَّدُ عَلَيْهِ أَيَّامَ الْإِسْتِنَابَةِ لِيَتُوبَ ^(٤) أَمْ لَا ؟
 فقال مالك : مَا عَلِمْتُ فِي الْإِسْتِنَابَةِ تَجْوِيعًا وَلَا تَعْطِيشًا ، وَبُؤْتَى مِنَ الطَّعَامِ
 بِمَا لَا يَضُرُّهُ ^(٥) .
 وقال أصبغ : يَخْوَفُ أَيَّامَ الْإِسْتِنَابَةِ بِالْقَتْلِ ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ .
 وفي كتاب أَبِي الْحَسَنِ الطَّائِبِيِّ ^(٦) : يَوْعَظُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَيَذَكَّرُ بِالْجَنَّةِ ،
 وَيَخْوَفُ بِالنَّارِ .
 قال أصبغ : وَأَيُّ الْمَوَاضِعِ حُبِسَ فِيهَا مِنَ السَّجُونِ مَعَ النَّاسِ أَوْ وَخْدَهُ
-
- (١) الزهري : هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب .
 (٢) قال الخفافجي : أَبَدًا : الْمُرَادُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا .
 (٣) فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ الْمُرُوفِ بِالْمَوَازِ ، مِنَ الْمَالِكِيَّةِ .
 (٤) هَلْ يَهْدَدُ بِزَجْرِهِ وَوَعِيدِهِ بِالْقَتْلِ وَنَحْوِهِ ، أَوْ يُشَدَّدُ عَلَيْهِ بِتَضْيِيقِ حَبْسِهِ وَوَضْعِهِ فِي
 الْأَغْلَالِ وَنَحْوِهِ فِي مَدَّةِ أَيَّامِ الْإِسْتِنَابَةِ . . .
 (٥) وَيُؤْتَى مِنَ الطَّعَامِ بِمَا لَا يَضُرُّهُ ؛ فَلَا يُؤْتَى بِمَا هُوَ شَدِيدُ الْمَرَارَةِ ، أَوْ بِمَا هُوَ مُسْتَقْدَرٌ
 بِكَرْهِهِ .
 (٦) فِي هَامِشِ ب : طَابَتْ : قَرْيَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَقَالَ الْخَفَافِيُّ : هِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ
 الْبَصْرَةِ . وَهَذَا مِنْ جَمَلَةِ الْعُلَمَاءِ لِلشُّهُورِيِّ .

إذا استوثق منه ^(١) سواء ، ويوقف ماله ^(٢) إذا خيف أن يُتلفه على المسلمين ^(٣) ،
ويُطعم منه ، ويُستقى .

وكذلك يُستتاب كلما رجع وارتدّ أبداً ، وقد استتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نهبان الذي ارتدّ أربع مراتٍ أو خمسا .

وقال ابنُ وَهْب ، عن مالك : يُستتابُ أبداً كلما رَجَعَ ؛ وهو قولُ الشافعي ،
وأحمد ؛ وقاله ابن القاسم .

وقال إسحاق : يُقتلُ في الرابعة ^(٤) .

وقال أصحابُ الرأي ^(٥) : إن لم يَتُبْ في الرابعة قُتِلَ دون استتابة ^(٦) ،
وإن تابَ ضُربَ ضَرْبٍ وَجِيعاً ^(٧) ، ولم يخرج من السجن حتى يَظْهَرَ عليه خشوعُ
التوبة .

قال ابن المذر : ولا نَعْلَمُ أحداً أَوْجَبَ على المرتدّ في المرة الأولى أدبا إذا رجع .
وهو على مذهب مالكٍ والشافعيّ والكوفيّ ^(٨) .

(١) إذا استوثق منه : المراد حفظه حتى يتبين حاله ، فكل سجين في حقه سواء .

(٢) فهو فيء لردته .

(٣) قال الحفاجي : يعنى أن ماله موقوف ، ولم يزل ملكه عنه ؛ فإن أسلم تبين أنه باق على ملكه ، وإلا كان فيثا كغيره من أموال الكفرة ، فيوضع في بيت المال .

(٤) في الرابعة : دون استتابة ؛ لأنه علم بها عدم ثبوته على الإسلام .

(٥) أصحاب الرأي : الحنفية ، كما تقدم .

(٦) دون استتابة ، أى لا تطلب توبته منه ، ولا تعرض عليه .

(٧) ضربا وجيعا : شديدا مؤلما زجرا له على تكرار رده .

(٨) والكوفي : أبو حنيفة . وفي ب : والكوفيين .

فصل

هذا حُكْمٌ مَنْ ثَبِتَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ^(١) بما يجبُ ثبوته من إقرارٍ أو عدولٍ لم يُدْفَعْ فيهم ^(٢) ؛ فَأَمَّا مَنْ لَمْ تَتِمَّ الشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِمَا شَهِدَ عَلَيْهِ الْوَاحِدُ أَوِ اللَّفِيفُ مِنَ النَّاسِ ^(٣) ؛ أَوْ ثَبِتَ قَوْلُهُ لَكِنْ احْتَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ صَرِيحًا .

وكذلكَ إِنْ تَابَ عَلَى الْقَوْلِ بَقَبُولِ تَوْبَتِهِ فَهَذَا يَدْرَأُ عَنْهُ الْقَتْلَ ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ اجْتِهَادُ الْإِمَامِ بِقَدَرِ شُهْرَةٍ حَالِهِ ، وَقُوَّةِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ ، وَضَعْفِهَا ^(٤) ، وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ عَنْهُ ، وَصُورَةِ حَالِهِ مِنَ التَّهْمَةِ فِي الدِّينِ وَالنَّبَزِ بِالسَّفَهَةِ ^(٥) وَالْجَوْنِ ؛ فَنُ قَوِي أَمْرُهُ أَذَاقَهُ مِنْ شَدِيدِ ^(٦) النَّكَالِ مِنَ التَّضْيِيقِ فِي السَّجْنِ ، وَالشَّدِّ فِي الْغِيُودِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي [٢٦٢] هِيَ مُنْتَهَى طَاقَتِهِ بِمَا لَا يُمْنَعُهُ الْقِيَامُ لَضَرُورَتِهِ ^(٧) ، وَلَا يُقْعِدُهُ عَنْ صَلَاتِهِ ، وَهُوَ حُكْمُ كُلِّ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ ، لَكِنْ وَقِفَ عَنْ قَتْلِهِ لِمَعْنَى

(١) ذلك ؛ أى السب والردة .

(٢) من إقرار ، واعتراف بما صدر منه . أو عدول . أى شهادة عدول . لم يدفع فيهم : لم يظعن بتهمة في عدالتهم .

(٣) من لم تتم الشهادة عليه ، أى نصابها ، ولم تقبل بما شهد عليه الواحد فقط ، أو اللفيف والجماعة من الناس الذين لم تقبل شهادتهم .

(٤) اجتهد الإمام ؛ فيفعل ما يقتضيه رأيه من زجر وضرب ونحوه بقدر شهرة حاله قبل ذلك ، بشهرة ديانته ، وحفظ لسانه ونحوه ، بما علم عنه ؛ وقوة الشهادة عليه ، ككونهم غير معروفين بالكذب والنفلة ونحوها . .

(٥) النبز : أى وصفه بين الناس وشهرة حاله بالسفه ، أى الخفة في العقل والدين وكثرة لفظه بما لا يعنى .

(٦) من شديد النكال : العقوبة الشديدة المانعة له عما فعله .

(٧) لضرورته : أى فعل أموره الضرورية التى لا بد له منها فى وجوده .

أَوْجِبَهُ ، وَتُرْبِصَ بِهِ لِأَشْكَالٍ ^(١) وَعَائِقُ اقْتِضَاءُ أَمْرِهِ ؛ وَحَالَاتُ الشَّدَةِ فِي نَسْكَالِهِ
تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِهِ .

وَقَدْ رَوَى الْوَلِيدُ عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا رَدَّةٌ ؛ فَإِذَا تَابَ نُسْكَالٌ ^(٢) .
وَلِمَالِكٍ فِي الْعُتْبِيَّةِ وَكِتَابِ مُحَمَّدٍ ، مِنْ رِوَايَةِ أَثْمَبٍ : إِذَا تَابَ الْمُرْتَدُّ فَلَا عِقَابَ
عَلَيْهِ . وَقَالَ سُجْنُونُ .

وَأَفْتَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمَّابٍ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ
شَاهِدَانِ عَدْلَ أَحَدُهُمَا - بِالْأَدَبِ ^(٣) الْوَجِيعِ وَالتَّنْكِيلِ وَالسَّجْنِ الطَّوِيلِ حَتَّى
تُظْهَرَ تَوْبَتُهُ .

وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا : وَمَنْ كَانَ أَقْصَى ^(٤) أَمْرِهِ الْقَتْلُ فَعَائِقُ أَشْكَالٍ
فِي الْقَتْلِ لَمْ يَنْبَغِ أَنْ يُطْلَقَ مِنَ السَّجْنِ ؛ وَيُسْقَطُ سَجْنُهُ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَدَّةِ
مَاعِسى أَنْ يُقِيمَ ، وَيُحْمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَيْدِ مَا يُطِيقُ .
وَقَالَ ^(٥) فِي مِثْلِهِ يَمُنُّ أَشْكَالَ أَمْرِهِ ^(٦) : يُشَدُّ فِي الْقِيودِ شَدًّا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ
فِي السَّجْنِ حَتَّى يُنْظَرَ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَقَالَ ^(٧) فِي مَسْأَلَةِ أُخْرَى مِثْلِهَا : وَلَا تُنْهَرَأَقُ الدَّمَاءُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْوَاضِحِ ،

(١) لِأَشْكَالٍ : لِأَمْرٍ أَوْجِبَ التَّرَدُّدَ فِيهِ .

(٢) أَنَّهَا : أَيْ مَقَالَتَهُ غَيْرَ الصَّرِيحَةِ . نُسْكَالٌ : عَوْقَبٌ .

(٣) أَيْ أَفْتَى بِتَأْدِيهِهِ .

(٤) أَقْصَى أَمْرِهِ : غَايَةُ أَمْرِهِ فِي الْحَكْمِ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .

(٥) وَقَالَ : أَيْ الْقَاسِمِيُّ .

(٦) يَمُنُّ أَشْكَالَ أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ حَالُهُ .

(٧) فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ؛ مِنْ تَنْكِيلٍ ، أَوْ قَتْلِ ، أَوْ إِطْلَاقٍ .

وفى الأدب بالسَّوْطِ والسَّجْنِ نَكَالٌ^(١) للسفهاء ، ويعاقبُ عقوبةً شديدةً ؛ فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين ، وأثبت من عداوتهما أو جُرْحتهما ما أسقطتهما^(٢) عنه ، ولم يُسَمَّ ذلك من غيرها فأمره أخفُّ لسقوطِ الحُكْمِ عنه^(٣) ، وكأنه لم يُشَهِدْ عليه ، إلا أن يكون مما لا يليقُ به ذلك^(٤) ، ويكون الشاهدان من أهل التَّبَرُّيزِ^(٥) فأسقطتهما بعداوة ؛ فهو وإن لم ينفُذِ الحُكْمَ [عليه]^(٦) بشهادتهما فلا يَدْفَعُ الظَّنَّ صِدْقَهُما^(٧) ؛ وللحاكم هنا في تَنْكِيلِهِ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ . والله وَلِيُّ الإِرشَادِ .

فصل

هذا حُكْمُ الْمُسْلِمِ^(٨) ، فأما الذَّمِّيُّ^(٩) إذا صَرَّحَ بِسَبِّهِ أو عَرَّضَ ، أو استخفَّ بِتَدْرِيهِ ، أو وصفه بغير الوجهِ الذى كفر^(١٠) به - فلا خلافَ عندنا في قَتْلِهِ إن

(١) نكال للسفهاء ؛ رادع لهم عن التكلم بما لا يليق ، من عن إراقة الدماء ، والجرأة على الحدود للدراسة بالشبهات .

(٢) ما أسقطها عنه ؛ أى أسقط شهادتهما وعدم قبولها .
 (٣) لسقوط الحكم عنه ، بمدام قبول الشهادة عليه شرعا .
 (٤) ممن لا يليق به ذلك الأمر الذى نسبته اليهود إليه ؛ لأنه معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين ؛ فيكون مظنة لما شهدوا به .
 (٥) من أهل التبريز ؛ أى يكونان معروفين بالمدالة والصدق ، ولم يهد لها إهانة أحد من الناس ولو كان عدوا لها .

(٦) من ب . .
 (٧) صدقها فيما شهدا عليه لظهور عدالتها .
 (٨) حكم للمسلم إذا سب الأنبياء .
 (٩) الذى : الكافر الذى ليس حريبا . ودمه وولده وماله محترم لأدائه الجزية .
 (١٠) الوجه الذى كفر به ؛ أى غير الذى كان كافرا بسببه ؛ كإنكار بشته ، أو عموم دعوته ، بأن وصفه بشئ مأمور .

لم يُسلم؛ لأننا لم نُعطِهِ الدِّمَّةَ أو العَهْدَ على هذا^(١) ؛ وهو قولُ عامةِ الفقهاء ، إلا
أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة ، فإنهم قالوا : لا يُقتل ، ما هو عليه
من الشُّركِ أعظمُ ، ولكن يُؤدَّب ويعزَّرُ^(٢) .

واستدلَّ بعضُ شيوخنا على قَتْلِهِ بقوله تعالى^(٣) : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكَفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ .

ويُستدلُّ عليه أيضا بِقَتْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ الْأَشْرَفِ وَأَشْبَاهِهِ^(٤) ؛

(١) طى هذا : أى لم تُرخس له - حين عاهدناه - فى سب النبى صلى الله عليه ، أو
الاستخفاف به .

(٢) قال فى نسيم الرياض (٤ — ٤٩٠) :

ما ذكره من مذهب أبى حنيفة هو المشهور ، وقد خالفه بعض المتأخرين . وقال ابن
تيمية فى كتابه « السيف المسلول طى من سب الرسول » : قال أبو حنيفة وأصحابه : لا ينتقض
العهد بالسب . ولا يقتل الذمى به ، لكن يعزر . وحكا الطحاوى عن الثورى . ومن أصولهم
أن ما لا قتل فيه عندهم للإمام أن يقتل فاعله ، ويزيد على الحد القدر إذا رأى المصلحة فى ذلك ؛
ويحاجون ما جاء من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من القتل فى مثله طى ذلك ، ويسمون
هذا القتل سياسة ، كتغليظ الحد فى الجرائم إذا تكرر ، وشرعوا القتل من جنسها ، وبهذا
أفتى أكثرهم ، فقالوا : يقتل من أكثر من سب النبى صلى الله عليه وسلم سياسة . وهو متجه
طى أصولهم . انتهى .

ثم قال : وهو كلام حسن .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢

نكثوا أيمانهم : نقضوا ما عاهدناهم عليه . وطعنوا فى دينكم : عابوه وذموه . أئمة الكفر :

كبار الكفرة ورؤساءهم .

(٤) وأشباهه من الكفرة للعاهدين الذى قتلهم النبى صلى الله عليه وسلم لسبهم له .

قال الحفاجى : وفى الاستدلال بهذه القضية نظر ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم صالحه

وغيره من اليهود ، فنقض ابن الأشرف عهده ، ومضى لكفار مكة وحثم طى قتال الرسول ، =

ولأننا لم نعهدهم، ولم نُعطهم الذِّمَّةَ على هذا؛ ولا يجوزُ لنا أنْ نفعلَ ذلك معهم؛ فإذا أتوا ما لم يُعطوا عليه العهدَ ولا الذِّمَّةَ فقد نقضوا ذِمَّتَهُمْ، وصاروا كفارا^(١) يُقتلون لـكُفْرِهِمْ.

وأيضاً فإن ذِمَّتَهُمْ لا تُسقطُ حدودَ الإسلامِ عنهم؛ من القطعِ في سرقةِ أموالِهِمْ^(٢)، والقتلِ لمن قتلوه منهم، وإن كان ذلك حلالاً عندهم^(٣) فكذلك سبُّهُم للنبيِّ صلى الله عليه وسلم يُقتلون به.

ووردت لأصحابنا ظواهر^(٤) تقتضي الخلافَ إذا ذكره الذميَّ بالوجه الذي كفر به^(٥)، ستَقِفُ عليها من كلام ابنِ القاسم وابنِ سَحنون بعدُ.
[٢٦٣] وحكى أبو المصعب الخلافَ فيها^(٥) عن أصحابه المدَّنيين.

واختلفوا إذا سبَّه ثم أسلم؛ فقيل: يُسقطُ إسلامُه قتله؛ لأن الإسلامَ يُحبُّ^(٦) ما قبله، بخلاف المسلم إذا سبَّه ثم تاب^(٧)؛ لأننا نعلمُ باطنةَ الكافر في بُغْضِهِ = وهجا النبي، وآذى للمسلمين أشدَّ الأذى؛ فليس قتله بمجرد سبه.

(١) هذا في: ١. وفي ب: وصاروا أهل حرب.

(٢) أموالهم: أى أموال المسلمين.

(٣) عندهم: في اعتقادهم الباطل بإباحة أموال المسلمين ودمائهم.

(٤) ظواهر: أمور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضي الخلاف في قتل الذمي بسبب سبه للنبي صلى الله عليه وسلم، إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به، كإنكار بعثته ونبوته.

(٥) الخلاف فيها: في مسألة القتل بما كفر به.

(٦) يجب: يقطع ويبطل حكم ما قبله من سائر المعاصي؛ وهذا ورد عنه صلى الله عليه

وسلم في حديث صحيح (للسند: ٤ — ١٩٩).

(٧) ثم تاب؛ فإن توبته لا تمنع قتله كإسلام الكافر.

قال الخفاجي: والخلاف مبنى على أن قتله حد، أو لنقض العهد، وفي سقوط بعض الحدود بالإسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية؛ وجب الإسلام ما قبله إنما هو في حقوق الله خاصة، كما مر.

له ، وتنقصه بقلبه ^(١) ؛ لكننا منعناه من إظهاره ، فلم يزدنا ^(٢) ما أظهره إلا مخالفة للأمر ، ونقصاً للعهد ؛ فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله ؛ قال الله تعالى ^(٣) : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

والمسلم بخلافه ؛ إذ كان ظننا بباطنه حُكْمَ ظاهره ، وخلاف ما بدا منه الآن ؛ فلم نقبل ^(٤) بعد رجوعه ، ولا استغننا إلى باطنه ^(٥) ؛ إذ قد بدت سرائره ، وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لا يسقطها شيء .

وقيل : لا يسقط إسلام الدمى الساب قتلَه ؛ لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه ؛ لانتهائها حرمة ، وقصده إلحاق التقيصة والمعرة ^(٦) به ؛ فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه ، كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف ؛ وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإننا لا نقبل توبة الكافر أولى ^(٧) .

(١) إنما منع الإسلام قتله ، لانا نعلم باطنة الكافر وما في قلبه من الكفر في بنضه وعداوته الدينية للنبي صلى الله عليه وسلم وتنقصه له بقلبه ، لأنه شأن كل كافر .

(٢) فلم يزدنا ما أظهره من كفره بسب ونحوه علما بحاله ، إلا مخالفة لأمرنا له حقيقة أو حكما بكم كفره .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٨

أمر الله نبيه أن يقول لهم هذه المقالة . وما قد سلف : من الكفر ، وما وقع معه من المعاصي .

(٤) فلم تقبل بعد رجوعه بالتوبة .

(٥) استغننا : اطمأننا ؛ أي لم نطمئن ونأنس وتركنا .

(٦) المعرة : الذمة والميب به .

(٧) قال الخفاجي : وما قاله غير متجه ؛ لأن الإسلام يجب ما قبله بنص الحديث ؛ فالفرق

بينه وبين توبة المسلم في غاية الظهور .

بل قالوا : إنه يشاب على كل مافله من الحسنات حال كفره إذا أسلم . وسبه للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حق لله وللا دمي ، فيطلب الأول إذا اعتضد بإسلامه .

وقال مالك في كتاب ابن حبيب^(١)، واليسوط، وابن القاسم، وابن الماجشون^(٢)، وابن^(٣) عبد الحكم، وأصبغ - فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا^(٤) من الأنبياء عليهم السلام قُتل إلا أن يُسلم؛ وقاله ابن القاسم في العتبية^(٥)، وعند محمد، وابن سحنون .

وقال سحنون وأصبغ: لا يُقِلُّ له أسلم، ولا لا تُسلم؛ ولكن إن أسلم فذلك له توبة^(٦) .

وفي كتاب محمد: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: مَنْ سبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء من مسلم أو كافر قُتل ولم يستتب .
وروى لنا عن مالك: إلا أن يُسلم الكافر^(٧) .

وقد روى ابن وهب، عن ابن عمر - أن راهبا^(٨) تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر: فملا قتلتموه!

وروى عيسى^(٩) عن ابن القاسم في ذمّي قال: إن محمدا لم يُرسل إلينا، وإنما أرسل إلينا؛ وإنما نبينا موسى أو عيسى، ونحو هذا: لا شيء عليهم؛ لأن الله

(١) كتاب ابن حبيب يسمى الواضحة .

(٢) ابن الماجشون: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب مالك، توفي سنة اثنتين أو أربع عشرة ومائتين . وأخرج له الستة .

(٣) وابن عبد الحكم: هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله . توفي سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين . وهو إمام جليل .

(٤) في ١: واحدا . والتبث في ب .

(٥) كتاب في فقه مالك .

(٦) توبة مقبولة تدرأ الحد عنه .

(٧) قال الخفاجي: وصحح بمضمون أن المسلم تقبل توبته . وقد تقدم .

(٨) الراهب: العابد المنقطع عن الناس من النصارى .

(٩) عيسى بن إبراهيم النافقي، الإمام الفقيه المحدث توفي سنة إحدى وستين ومائتين .

تعالى أقرهم على^(١) مثله .

وأما إن سبه فقال : ليس بنبي ، أو لم يرسل ، أو لم ينزل عليه قرآن ؛ وإنما هو شيء ، تقوله^(٢) أو يحو هذا فيقتل^(٣) .

وقال ابن القاسم : وإذا قال النصراني : ديننا خير من دينكم ، وإنما دينكم دين الحمير^(٤) ، ونحو هذا من القبيح ، أو سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال : كذلك يعطيك الله^(٥) ؛ ففي هذا الأدب الموضع والسجن الطويل^(٦) .

قال : وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتماً يعرف^(٧) فإنه يقتل إلا أن يسلم ؛ قاله مالك غير مرق ، ولم يقل يستتاب .

قال ابن القاسم : وتحمل قوله عندي إن أسلم طائماً^(٨) .

وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن ، إذا تشهد^(٩) : كذبت - يعاقب العقوبة الموجهة مع السجن الطويل .

(١) أقرهم على مثله من الكفر ، بضرب الجزية إذا لم يجاروا .

(٢) تقوله : اخترعه .

(٣) قال الخفاجي : لأن هذا للمؤمن كذب الله ورسوله .

(٤) يعني بهذا أنه إنما يتبعه أحق لا عقل له .

(٥) قال الخفاجي : يقول ذلك استهزاء منه بما من الله علينا به في أن جعله رسولاً لنا

صلى الله عليه وسلم ؛ يعني أنه مناسب لمثلهم .

(٦) الأدب : التأديب بالضرب الموضع ، والسجن الطويل مدته ، زجراً له ولا مثاله ؛

لأنه ليس صريحاً في الشتم .

(٧) يعرف أنه شتم صريح .

(٨) طائماً : من غير إكراه له .

(٩) إذا تشهد : قال في أذانه : أشهد أن محمداً رسول الله .

وفي النوادر^(١) من رواية سُخْنُون عنه^(٢) : مَنْ شَتَمَ الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ^(٣) .

قال محمد بن سُخْنُون : فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَتَلْتَهُ^(٤) فِي سَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِهِ سَبُّهُ وَتَكْذِيبُهُ^(٥) ؟ قِيلَ : لِأَنَّا لَمْ نُعْطِهِمْ [٢٦٤] الْعَهْدَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا عَلَى قَتْلِنَا ، وَأَخْذِ أَمْوَالِنَا ، فَإِذَا قَتَلَ وَاحِدًا مِنْ قَتْلَانَا ، وَإِنْ كَانَ مِنْ دِينِهِ اسْتِحْلَالُهُ^(٦) ؛ فَكَذَلِكَ إِظْهَارُهُ لِسَبِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧) .

قال سُخْنُون : كَمَا لَوْ بَذَلَ لَنَا أَهْلُ الْحَرْبِ الْجِزْيَةَ عَلَى إِقْرَارِهِمْ عَلَى سَبِّهِ لَمْ يَجُزْ لَنَا ذَلِكَ فِي قَوْلِ قَائِلٍ^(٨) .

كَذَلِكَ يَنْتَقِضُ عَهْدُ مَنْ سَبَّ مِنْهُمْ^(٩) ، وَيَحِلُّ لَنَا دَمُهُ ؛ فَكَمَا لَمْ يُحَصِّنِ الْإِسْلَامُ مَنْ سَبَّهِ مِنَ الْقَتْلِ كَذَلِكَ لَا تُحَصِّنُهُ الذِّمَّةُ .

(١) النوادر : اسم كتاب لابن أبي زيد صاحب الرسالة المالكي .

(٢) عنه : عن مالك .

(٣) إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ فلا يقتل ؛ لأن إسلامه توبة مقبولة ، والإسلام يجب ما قبله .

(٤) لِمَ قَتَلْتَهُ ؛ أَيِ الدَّمَى .

(٥) وَمِنْ دِينِهِ ؛ أَيِ اعتقاده ، وعاداته سببه وتكذيبه بإنكار بعثته صلى الله عليه وسلم ، وهذا مما كفر به .

(٦) اسْتِحْلَالُهُ ؛ أَيِ استحلال قتلنا وأخذ أموالنا .

(٧) فَكَذَلِكَ يَنْقُضُ عَهْدَهُ إِظْهَارُهُ لِسَبِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّا شَرَطْنَا عَلَيْهِمْ الْأَبْطَعُونَ فِي الدِّينِ ، وَالْأَبْطَعُونَ كَفَرَهُمْ ، لِمَا فِيهِ مِنْ نَكَايَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ اعْتِقَادِهِ الْبَاطِلِ .

(٨) لَمْ يَجُزْ لَنَا ذَلِكَ ؛ أَيِ أَخْذِ الْجِزْيَةِ وَتَقْرِيرِهِمْ عَلَى سَبِّهِ . فِي قَوْلِ قَائِلٍ ؛ أَيِ لَمْ يَقُلْ بِهَذَا

أَحَدٌ مِنَ السَّلَامِيِّينَ وَأُئِمَّةِ الدِّينِ ، وَإِنْ كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ ؛ لَكِنَّا لَا نَقْرَهُمْ عَلَى إِظْهَارِهِ .

وهذا مما يوضح أننا لم نعطهم العهد على إظهار مثله .

(٩) مِنْهُمْ مَنْ أَهْلُ الذِّمَّةِ .

قال القاضي أبو الفضل^(١) : ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه^(٢) مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه^(٣) مما به كفروا ؛ فتأمل .
ويدل^(٤) على أنه خلاف ما روى عن المدنيين في ذلك ؛ فحكى أبو المصعب الزهرى ؛ قال : أتيت بنصراني قال : والذي اصطفى^(٥) عيسى على محمد ؛ فاختلف على^(٦) فيه ، فضربته حتى قتله ، أو عاش^(٧) يوماً وليلة ، وأمرت من جرّ رجليه ، وطرح على مزبلة ، فأكلته الكلاب^(٨) .

وسئل أبو المصعب عن نصراني قال : عيسى خلق محمداً . فقال : يُقتل^(٩) .
وقال ابن القاسم : سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال : مسكين محمد ، يخبركم أنه في الجنة ؛ ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقته ، لو قتلوه استراح منه الناس .

(١) هو عياض المؤلف .

(٢) ما ذكره : من أنه يقتل بمثل ما ذكر ، مما كفر به واستحله في دينه .

(٣) خفف عقوبتهم فيه ؛ أي أفتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل .

(٤) ويدل ما قاله سحنون وابنه .

(٥) اصطفى : اختار وفضل .

(٦) فاختلف على فيه ؛ أي اختلف كلام الناس فيه . أو اختلف رأيه فيه واضطرب ، ثم

ظهر لى أمره وحكمه .

(٧) أو عاش ؛ أي بعد ضربه ومات .

(٨) في نسيم الرماض (٤ — ٤٩٦) : لم يدفن حتى أكلته الكلاب كما تأكل سائر

الحييف . وهذا مما كفر به ؛ فهو مخالف لما تقدم .

وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع ؛ فكان هذا كله مما أدى إليه اجتهاده

وتشدده في دينه .

(٩) خلق عبداً ؛ لزعمه الفاسد في ادعاء ألوهيته . يقتل ؛ لاختلافه الكذب على الله ،

وجعله عيسى عليه الصلاة والسلام أفضل من نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقصده تنقيصه ،

وليس مما كفر به .

قال مالك : أَرَى أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ .

قال : ولقد كِدْتُ أَلَّا أتكلم فيها [بشيء] ^(١) ؛ ثم رأيتُ أنه لا يسعني الصمت ^(٢) .

قال ابن كنانة في المبسوطه ^(٣) : مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرَى لِلْإِمَامِ أَنْ يُحَرِّقَهُ ^(٤) بالنار ، وَإِنْ شَاءَ قَتَلَهُ ثُمَّ حَرَّقَ جُثَّتَهُ ^(٥) ، وَإِنْ شَاءَ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ حَيًّا إِذَا تَهَاوَتْهُ فِي سَبِّهِ ^(٦) .

ولقد كَتَبَ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مِصْرَ - وَذَكَرَ ^(٧) مَسْأَلَةَ ابْنِ الْقَاسِمِ الْمَقْدَمَةِ ؛ قَالَ : فَأَمَرَنِي مَالِكٌ ، فَكَتَبْتُ بِأَنْ يُقْتَلَ ، وَأَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ ؛ فَكَتَبْتُ ^(٨) ، ثُمَّ قُلْتُ :

(١) ما بين القوسين ساقط في ١ . ولا يسمي الصمت : لا يجوز ولا يحل لى السكوت عن هذه المسألة وعدم التكلم فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث .

(٢) في ب : البسوط .

(٣) قال الخفاجي : وهذا مما لم يجزه علماء الشرع ، لما ورد في الحديث إنه لا يعذب بالنار إلا الله أو خالقها .

(٤) وإن شاء ، أى الإمام قتله ، بضرب عنقه ، ثم حرقت جثته بعد موته .

(٥) تهاوتوا فى سبه : وقموا فيه ، والمراد أنهم أكثروا منه علنا .

قال الخفاجي : وهذا مذهب مالك فى جواز إحراق من استحق القتل .

وغيره من العلماء يأباه ، وهو مثله .

ومذهب الشافعى أنه لا يجوز إلا قصاصا ، لحديث : من حرق حرقناه ، ومن غرق غرقناه .

واستدل مالك لما قاله بأن عليا كرم الله وجهه فعله ، وبقوله عليه السلام فى حق من ارتد :

إِنْ وَجَدْتُمُوهُ فَاحْرَقُوهُ .

وغيره يقول : إنه منسوخ كما نسخت التلثة ، لقوله تعالى : « فمقابوا بمثل ما عوقبتم به » ،

وهو مذهب أبى حنيفة .

(٦) وذكر ، أى ابن كنانة السابق . . مسألة ابن القاسم للمتقدمة التى سئل عنها فى نصرانى

شهد عليه أنه قال : مسكين محمد . . .

(٧) فككتبت لأرسله للأسائل .

يا أبا عبد الله ؛ وأكتب : ثم يُحرق بالنار ؟ فقال : إنه حقيقٌ بذلك ،
وما أولاه^(١) به .

فكتبته بيدي بين يديه ، فما أنكره ولا عابه ، ونفذت^(٢) الصحيفة بذلك
فقتل وحرق^(٣) .

وأفتى عبيد الله بن يحيى وابنُ لبابة^(٤) في جماعةٍ سلفِ أصحابنا الأندلسيين
بقتل نصرانيةٍ استهلت^(٥) بنفى الروبية وبنوّة عيسى الله ، وبتكذيب محمد في النبوة ،
وبقبول إسلامها^(٦) ودَرَأَ القتل عنها به .

وبه قال غيرُ واحدٍ من المتأخرين منهم القابسي ، وابن السكاتب^(٧) .

وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه : مَنْ سَبَّ اللهَ ورُسُولَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أو كافرٍ
قُتِلَ ولا يُستتاب^(٨) .

وحكى القاضي أبو محمد في الذمِّ يَسْبُ - رِوَايَتَيْنِ في دَرَأِ القتلِ عنه بإسلامه^(٩) .
وقال ابن سحنون^(١٠) : وَحَدُّ القَذْفِ وشبهه^(١١) من حقوق العباد لا يُسقطُهُ عن

(١) وما أولاه به : ما أحقه به . به ، أى بالإحراق .

(٢) نفذت : أرسلت .

(٣) قتل وحرق ، عملاً بما قاله الإمام مالك .

(٤) ابن لبابة : هو محمد بن يحيى بن عمر بن إِبَابَةَ القرطبي ، توفي سنة أربع عشرة وثمانمائة .

(٥) استهلت : صرخت رافعة صوتها ، والمراد أنها أعلنت وأظهرت .

(٦) وقبول إسلامها إذا أسلمت بعد قولها هذا .

(٧) ابن السكاتب : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الإمام المالكي الجليل .

(٨) ولا يستتاب : لا تطلب منه توبة ، ولا تقبل .

(٩) بإسلامه إذا أسلم .

(١٠) قال ابن سحنون في وجه قتله : إنه حد ، وحد القذف . . .

(١١) وشبهه كحد السرقة والزنا .

الذمى إسلامه ؛ وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله .
 فأما حدُّ الذَّفِ غيُّ العبادِ ؛ كان ذلك لنبيٍّ ^(١) أو غيره ؛ فأوجب على الذمى ^(٢)
 إذا قذف النبيَّ صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حدَّ القذف .
 ولكن انظر ماذا يجب عليه ^(٣) ؟ هل حدُّ القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو القتل ^(٤) لزيادة حُرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ^(٥) ، أم هل يسقط القتلُ بإسلامه ، ويُحدَّث ثمانين ، فقامله ^(٦) .

فصل

في ميراث [٢٦٥] مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم

وَعَسَلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

اختلف العلماء في ميراث مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب

(١) في ب : من نبى .

(٢) فأوجب على الذمى القذف ، ولم تسقطه عنه توبته وإسلامه ؛ وقذف الأنبياء حدم
 التقل كما تقدم .

(٣) ماذا يجب عليه : طى من قذف الأنبياء .

(٤) وهو القتل ؛ لا الجلد كحد غيره .

(٥) طى غيره : من أمته ، لا غيره من الأنبياء ؛ قال الخفاجى : وإليه ذهب بعض الشافعية ؛
 فإن الحدود قد تفاوت ، كما قال تعالى - في أمهات المؤمنين : من يأت منكناً بفاحشة مبينة
 يضاعف لها العذاب ضعفين .

(٦) في نسيم الرياض (٤ - ٤٩٩) : أمر بالتأمل لما فيه من الشبهة وقوة الخلاف فيه ؛
 فذهب كذهب الشافعية ثم قال : قال إمام الحرمين : قذف النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالاتفاق وقال
 أبو بكر الفارسي : لوتاب لا يسقط عنه القتل ؛ لأن حد قذف النبي صلى الله عليه وسلم ، وحد
 القذف له لا يسقط بالتوبة . وحكى فيه الإجماع ، وخالفه الصيدلاني وغيره ؛ وقال : يحد ثمانين
 إذا أسلم ؛ وذكر فيه الإمام مباحث طويلة ، وقال : إن ما قاله الفارسي ، مع بعده ، حسن .
 وهذا ما جنح إليه المصنف .

سُخِّنُونَ إِلَى أَنَّهُ لَجَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ^(١) أَنْ شَتَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرًا بِشَيْهِ^(٢) كُفْرًا زَنْدَقَةً .

وقال أصبغ : ميراثه لورثته من المسلمين إِنْ كَانَ مُشْتَسِرًا^(٣) بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُظْهِرًا لَهُ مُشْتَهَلًا^(٤) بِهِ فَمِيرَاثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَيُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَا يُسْتَتَابُ^(٥) .

وقال أبو الحسن القاسبي : إِنْ قُتِلَ وَهُوَ مُذَكِّرٌ لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهِ^(٦) فَالْحُكْمُ فِي مِيرَاثِهِ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ إِقْرَارِهِ - يَعْنِي لورثته^(٧) ؛ وَالْقَتْلُ حَدٌّ ثَبَتَ عَلَيْهِ لَيْسَ مِنَ الْمِيرَاثِ فِي شَيْءٍ .

وكذلك لو أقرَّ بالسبِّ وأظهر التوبة لَقُتِلَ ؛ إِذْ^(٨) هُوَ حَدٌّ . وَحُكْمُهُ فِي مِيرَاثِهِ ، وَسَائِرُ أَحْكَامِهِ^(٩) حُكْمُ الْإِسْلَامِ .

ولو أقرَّ بالسبِّ ، وَتَمَادَى^(١٠) عَلَيْهِ ، وَأَبَى التَّوْبَةَ مِنْهُ ، فَقُتِلَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ

(١) من قبل : من جهة .

(٢) في ١ : شبه .

(٣) مستسرا : مخفيا لذلك ؛ أَيْ لَمْ يَظْهَرْهُ عُلَمَاءُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَقُولُهُ فِي خَلْوَتِهِ لِمَنْ لَا يَنْفِثُ سِرَّهُ لِعَامَةِ النَّاسِ ، حَتَّى لَا يَطَّاعَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ ؛ وَهَذَا كَلَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَمَنْ تَوَهَّمَهُ عَامَالُهُ وَلَا مَكْرَهَ فَقَدْ غَفَلَ .

(٤) مستهلا : معلنا .

(٥) على كل حال ؛ سِوَاءِ تَابَ أَمْ لَا . وَلَا يُسْتَتَابُ ، لَا تَطْلُبُ مِنْهُ تَوْبَةٌ ، وَلَا تَقْبَلُ .

(٦) للشهادة عليه ، أَيْ لَمَّا شَهِدُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّبِّ .

(٧) يَعْنِي أَنَّهُ ، أَيْ الْمِيرَاثُ . لورثته : الْمُسْلِمِينَ ، لِأَنَّ إِسْكَارَهُ لَمَّا شَهِدُوا بِهِ عَلَيْهِ إِقْرَارٌ بِأَنَّهُ

مُسْلِمٌ مَعْظَمُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٨) إِذْ هُوَ ، أَيْ الْقَتْلُ .

(٩) وسائر أحكامه : مِنْ غَسَلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ . حُكْمُ الْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ كَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ .

(١٠) تَمَادَى عَلَيْهِ : اسْتَمَرَّ .

كافراً ، وميراثه للمسلمين ^(١) ؛ ولا يقتل ولا يصلى عليه ، ولا يكفن وتُستَرُ عَوْرَتُهُ ، ويُوَارَى كما يُفعل بالكفار ^(٢) .

وقولُ الشيخ أبي الحسن ^(٣) في المُجَاهِرِ التَّمَادِي بَيْنَ لَا يُمْكِنُ الْخِلَافُ فِيهِ ؛ لَأَنَّهُ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ غَيْرُ نَائِبٍ وَلَا مُتَمَلِّعٍ ^(٤) .

وهو مِنْهُ قولُ أَصْبَغٍ ؛ وكذلك في كتاب ابن سُهْنُونٍ في الزُّنْدِيقِ بِتَمَادِي عَلَى قَوْلِهِ .

ومثله لابن القاسم في الْعُقْبِيَّةِ وَلِجَاعَةِ مَنْ أَحْبَبَ مَالِكٍ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ فِيمَنْ أَعْلَنَ كُفْرَهُ مِثْلُهُ .

قال ابنُ القاسم : وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ لَا يَرِثُهُ وَرَثَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، وَلَا مِنْ

(١) للمسلمين : كالنبي حق للمسلمين ، لا لورثته ، لأن الكفر من موانع الإرث .

(٢) كما يفعل بالكفار الأصليين ، فلا يدفن في مقابر المسلمين .

قال الخفافى : وجوز الشافعية غسله وتكفينه ، كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر

عليه لما مات أبوه أبو طالب أن يغسله ويكفنه ويدفنه .

وقد ضعفه البيهقي .

ولا يصلى عليه إجماعاً ، وأما صلاته — صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلأنه منافق ، مع

أنه نهى عن ذلك بعد ، بقوله تعالى : ولا تصل على أحد منهم مات أبداً .

(٣) هو القاسبي . المجاهر : المعلن المظهر للسب . التماذى : المستمر على إظهاره .

وقوله سبق ، وهو أن ميراثه فيء للمسلمين .

(٤) ولا مقلع : غير راجع عن كفره وورثته .

(٥) لأنه كافر .

أهل الدين الذي ارتد إليه^(١) ، ولا تجوز وصاياه^(٢) ولا عتقه^(٣) ؛ وقاله أصبغ^(٤) ،
فَقِيلَ على ذلك أو مات عليه^(٥) .

وقال أبو محمد بن أبي زيد : وإنما يُخْتَلَفُ في ميراث الزنديق الذي يستهل^(٦) بالتوبة ، فلا تُقْبَلُ منه^(٧) ؛ فأما المُتَادِي فلا خِلَافَ أنه لا يورث .

وقال أبو محمد فيمن سبَّ الله تعالى ثم مات ولم تُعْدَلْ عليه^(٨) يَبْنَةُ ، أو لم تُقْبَلْ : إنه يصلى عليه .

وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذَّبَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلن ديناً^(٩) مما يُفَارِقُ به الإسلام - أن ميراثه للمسلمين . وقال بقول مالك : إن ميراث المرتدِّ للمسلمين ، ولا تَرِثُهُ وَرَثَتُهُ - رَبِيعَةُ^(١٠) ،

(١) لأنه فارقهم للدين الحق ، فتعلق به حق أهله ؛ فلا يعود إليهم بعوده ؛ لأنه لا يقر عليه ؛ وماله صار فيثا يستحقه المسلمون .

(٢) ولا تجوز وصاياه لأن ماله خرج من ملكه برده .

(٣) قال الخفاجي : وكذا سائر تصرفاته ، كبيع وهبة ووقف وغيره ؛ فإنه محجور عليه لما ذكر . وهذا كله مذهب الإمام مالك .

(٤) وقاله أصبغ ؛ أى قال ما قاله ابن القاسم من أن حكمه حكم المرتد لا يورث .

(٥) عليه ؛ أى على إعلان الكفر .

(٦) يستهل بالتوبة : يظهرها ويعلمها .

(٧) لا تقبل منه توبته ، لأن توبته لخوف القتل . قال الخفاجي : وهذا مذهب مالك . وذهب

غيره إلى قبول توبته ، وأنه تجرى عليه أحكام الإسلام في الميراث وغيره .

(٨) لم تعدل عليه بينة . لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت . أو لم تقبل : أى أو أقيمت عليه

بينة ولم تقبل ، أو ثبتت زندقته بإقراره لكنه لم يقبل - أنه يصلى عليه ، ويرثه المسلمون ، ويدفن في مقابرهم ، فتجربى عليه أحكام المسلمين ، لأنه لم يحكم بكفره .

(٩) أعلن ديناً : أظهر اعتقاداته ونحلة . وفى ب : أو أعلن . . .

(١٠) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن بن فروخ ، فقيه المدينة ومحدثها الذي روى عنه مالك

والليث وغيرهما ، وأخرج له الستة ، ووثقة أحمد وغيره . توفي سنة ست وثلاثين ومائة .

والشافعي، وأبو ثور^(١)، وابن أبي ليلى^(٢)؛ واختُلف فيه عن أحمد^(٣).
وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، وابن مسعود، وابن المسيّب،
والحسن، والشمي، وعمر بن عبد العزيز، والحكم^(٤)، والأوزاعي، والليث،
وإسحاق، وأبو حنيفة - ترثه ورثته من المسلمين .

وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده، وما يكسبه في الارتداد فلمسلمين .
قال القاضي أبو النضر^(٥) : وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه^(٦) حسن بين،
وهو على رأي أصبغ^(٧)، وخلاف قول سحنون^(٨)؛ واختلافهما^(٩) على قول مالك

(١) أبو ثور : هو إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ، أحد المجتهدين الثقة المحدث ،
روى عنه خلق كثير ، وأخرج له أصحاب السنن ، وتوفي سنة أربعين ومائتين .
(٢) ابن أبي ليلى : هو القاضي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ،
أحد أعلام الدين في الفقه والحديث ، وأخرج عنه أربعة من أصحاب السنن وثقوه .
وقال بعضهم : إنه سيء الحفظ . توفي سنة ثمان وأربعين ومائة .
وله ترجمه في اللبزان (٣ - ٦١٣) .
والمراد أنه وافق اجتهدهم اجتهداه ، لا أنهم قلده ، إذ المجتهد لا يقلده غيره .
(٣) عن أحمد بن حنبل ، فقيل : قال بهذا القول ، وقيل : لم يقل به .
(٤) الحكم بن عتيبة . وهو فقيه الكوفة ، الإمام العابد الزاهد ، توفي سنة خمس عشرة
ومائة .

(٥) هو المؤلف .
(٦) يشير إلى قوله : إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما ظهر من إقراره .
(٧) رأى أصبغ : ميراثه للمسلمين إن كان مسرا ، فإن أعلن فهو في .
(٨) وقول سحنون : إنه في المسلمين كالزنديق .
(٩) واختلافها : أي اختلاف أصبغ وسحنون مبنى على قول مالك في ميراث الزنديق ،
هل ينظر لظاهر حاله ، أو لباطنه ؟ لأن الله رداه برداء سريره ، فمرة ... وفي : على قول ...
والثبوت في ب .

في ميراث الزنديق ؛ فرة ورثة ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها ،
أو اعترف بذلك وأظهر التوبة .

وقاله أصبغ ، ومحمد بن مسلمة ، وغير واحد من أصحابه ^(١) ؛ لأنه مظهر الإسلام
بإنكاره أو توبته ^(٢) ؛ وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وروى ابن نافع ^(٤) عنه في العتبية ، وكتاب محمد - أن ميراثه لجماعة المسلمين ؛
لأن ما له تبع لده ^(٥) .

وقال به أيضا جماعة من أصحابه ؛ وقاله أشهب ، والمغيرة ^(٦) ، وعبد الملك ،
ومحمد ، وسخنون .

وذهب [٢٦٦] ابن القاسم في العتبية إلى أنه ^(٧) إن اعترف بما شهد عليه به
وتاب فقتل فلا يورث ^(٨) . وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث .

(١) من أصحابه : من أصحاب الإمام مالك .

(٢) ونحن إنما نحكم بالظاهر .

(٣) كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين معاملة المسلمين في ميراثهم وغيره ،
تأليفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده بالإسلام ؛ لثلاثيقول الأعداء : إنه يقتل أصحابه حتى
أعلمه الله بذلك ، فكان لا يصلى على بعضهم ، لأن صلاته - صلى الله عليه وسلم - شفاعة لهم .

(٤) هو عبد الله بن نافع الصائغ المدني المحدث ، مولى بني مخزوم ، وهو ثقة . وقيل : في
حفظه شيء . ووثقه ابن معين ، وهو صاحبه الذي كان يلزمه ، وروى عنه كثيرا . وأخرج

له أصحاب السنن . وترجمته في میزان ٢ - ٥١٣ ، توفي سنة ست ومائتين .

(٥) قال الحفاجي : ودمه هدر ، فما له غنيمة وفيه .

(٦) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش . توفي سنة ثمان وثمانين ومائة .

(٧) أنه ؛ أى المرتد ، أو الزنديق .

(٨) وتاب ؛ أى ولم تقبل توبته . فلا يورث ، لأنه حكم بكفره ، وقتل ، فلا يبقى لتوبته
حكم في الدنيا .

قال : وكذلك كلٌّ مَنْ أَسْرَّ كُفْرًا فَإِنَّهُمْ يَتَوَارَثُونَ بَوْرَانَةَ الْإِسْلَامِ ^(١) .
وسئل أبو القاسم ابنُ الكاتب عن النُّصْرَانِيَّ يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَيُقْتَلُ ؛ هل يرثُهُ أَهْلُ دِينِهِ أَمْ الْمُسْلِمُونَ ؟
فأجاب بأنه ^(٢) للمسلمين ليس على جِهَةِ المِيرَاثِ ؛ لأنه لا توارثَ بين أَهْلِ مِلَّتَيْنِ ،
ولكن لأنه مِنْ قِيَّتِهِمْ ، لِنَقْضِهِ الْعَهْدَ ^(٣) ، هذا معنى قوله واختصارُهُ .

(١) يتوارثون بوارثة الإسلام ، فتجري عليهم أحكام الإسلام ، نظراً لظاهر حالهم .

(٢) بأنه ، أى ميراثه فيء للمسلمين .

(٣) لنقضه العهد ، بسبه له صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه طعن في الدين ، وليس مما كفر به .

البَابُ الثَّالِثُ

فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَكُتُبَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ
وَأَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجَهُ وَصَحْبِهِ

لَا خِلَافَ أَنَّ سَابَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ ^(١) . وَاخْتَلَفَ
فِي اسْتِنَابَتِهِ ^(٢) ؛ فَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْمَبْسُوطِ ، وَفِي كِتَابِ ابْنِ سُبْنُونَ ، وَمُحَمَّدٌ ؛
وَرَوَاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ فِي كِتَابِ إِسْحَاقَ بْنِ يَمْحَى : مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ
الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَنْبَ ^(٣) إِلَّا أَنْ يَكُونَ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ بَارْتِدَادِهِ إِلَى دِينِ دَانَ بِهِ
وَأُظْهِرَهُ فَيُسْتَنْبَ ^(٤) ، وَإِنْ لَمْ يُظْهِرْهُ لَمْ يُسْتَنْبَ ^(٥)
وَقَالَ فِي الْمَبْسُوطَةِ مُطَرِّفٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِثْلَهُ .

وَقَالَ الْخَزَمِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ، وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ ^(٦) : لَا يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بِالسَّبِّ
حَتَّى يُسْتَنْبَ ^(٧) .

وَكَذَلِكَ الْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ ، فَإِنْ تَابُوا قُبِلَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا قُتِلُوا ،

-
- (١) حَلَالُ الدَّمِ ؛ أَيُّ مُسْتَحَقٍّ لِلْقَتْلِ شَرْعًا .
 - (٢) اسْتِنَابَتُهُ ، أَيُّ طَلَبِ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَقَبُولِهَا .
 - (٣) لَمْ يُسْتَنْبَ : لَا تُطْلَبُ مِنْهُ تَوْبَةٌ .
 - (٤) إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ بَارْتِدَادِهِ إِلَى دِينِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ دَانَ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُ دِينًا طَاعَهُ
وَأُظْهِرَهُ وَلَمْ يَحْفَظْهُ . فَيُسْتَنْبَ ، أَيُّ يُؤْمَرُ بِالتَّوْبَةِ وَرُجُوعِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ .
 - (٥) وَإِنْ لَمْ يُظْهِرْهُ لَمْ يُسْتَنْبَ وَقَتْلٌ ، لِأَنَّهُ زَنْدِيقٌ لَا يُوَثِّقُ بِتَوْبَتِهِ .
 - (٦) ابْنُ أَبِي حَازِمٍ : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ دِينَارٍ بْنِ أَبِي حَازِمٍ . تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ ، أَوْ خَمْسٍ ،
أَوْ سِتٍّ ، وَثَمَانِينَ وَمِائَةً ، وَهُوَ سَاجِدٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ .
 - (٧) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فَإِنْ تَابَ ، وَإِلَّا قَتْلٌ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ .

ولا بُدَّ من الاستتابة^(١)، وذلك كله كالردّة، وهو الذى حكاه القاضى بن نصر عن المذهب^(٢).

وأفتى أبو محمد بن أبى زبد فيما حكي عنه فى رجل لعن رجلاً ولعن الله؛ فقال: إنما أردت أن ألعن الشيطان فزلّ لسانى؛ فقال: يُقتلُ بظاهر كفره، ولا يُقبلُ عُذره.

وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعدور^(٣).

واختلف فقهاء قُرطبة فى مسألة هارون بن حبيب أخى عبد الملك^(٤) للفقهاء، وكان ضيق الصدر، كثير التبرؤم^(٥)، وكان قد شهد عليه بشهادتين؛ منها أنه قال عند استقلاله^(٦) من مرض: لقيتُ فى مرضى هذا ما لو قتلْتُ أباً بكر وعمر لم أستوجب هذا كله.

(١) ولا بد من الاستتابة قبل قتلهم.

قال الخفاجى: وهذا حكمهم الآن، إذ قويت شوكة الإسلام، بخلاف زمنه صلى الله عليه وسلم، إذ لم يقتل اليهود الذين قالوا: يد الله منلوثة - لما نزل قوله تعالى: أقرضوا الله قرضاً حسناً. فلم يستنهم دفعا للفتنة.

(٢) عن المذهب: أى مذهب الإمام مالك.

(٣) فمعدور إن صدق.

قال الخفاجى: وترك هذا القيد لظهوره: فلا اعتراض عليه.

قال: وبهذا أفتى الشافعى؛ لأن مخالفة الظاهر الصريح لاتعتبر بدون قرينة، وهى قاعدة مقررة عند الفقهاء.

هذا، وفى كلام ابن حجر - بعد قول المصنف: ولا يقبل عُذره: وقضية مذهبنا قبوله.

(٤) قال الخفاجى: وأخوه هارون لا يمد من العلماء؛ بل من الأمراء.

(٥) التبرؤم: الضجر والقلق بما يصيبه.

(٦) استقلاله: أى فى زمن إفاقة وقيامه من مرض أصابه.

والمراد أنه برئ منه.

فَأَفْتَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنٍ^(١) بِنَ خَالِدٍ بِقَتْلِهِ ؛ وَأَنَّ مُضْمَنَ قَوْلِهِ تَجْوِيرُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَظْلُمُ مِنْهُ ؛ وَالتَّعْرِيزُ فِيهِ كَالْتَصْرِيحِ^(٢) .

وَأَفْتَى أَخُوهُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْقَاضِي بِطَرَحِ الْقَتْلِ^(٣) عَنْهُ ؛ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَ رَأَى عَلَيْهِ التَّنْقِيلَ^(٤) فِي الْحَبْسِ ، وَالشَّدَّةَ فِي الْأَدَبِ ، لِاحْتِمَالِ كَلَامِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَى التَّشْكِي^(٥) ؛ فَوَجَّهَهُ مَنْ قَالَ فِي سَابِّ

(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ : مِنْ أَجْلَاءِ فَقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ بِقَرْطَبَةِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(٢) تَجْوِيرُ اللَّهِ : أَيْ نَسْبَتُهُ لِلْجَوْرِ . وَالتَّظْلُمُ مِنْهُ ؛ أَيْ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ ظَلَمَهُ بِمَا فَعَلَهُ . وَالتَّعْرِيزُ فِيهِ ؛ أَيْ فِي نَسْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ . كَالْتَصْرِيحِ ؛ أَيْ حَكَمَهُ كَحَكَمِهِ فِي التَّكْفِيرِ وَإِجْبَابِ الْقَتْلِ . (٣) بِطَرَحِ الْقَتْلِ : بِدَفْعِهِ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : فِي التَّعْبِيرِ بِهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ قَتَلَهُ جَائِزٌ ، وَلَسْكَنَهُ دَرَى عَنْهُ .

(٤) التَّنْقِيلُ : أَيْ بَوْضُوعُ الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ .

(٥) لِاحْتِمَالِ كَلَامِهِ لِمَا ذَكَرَ ؛ مِنْ نَسْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْجَوْرِ وَالظُّلْمِ . وَصَرَفَهُ إِلَى التَّشْكِي : مِنَ الْمَرَضِ ، لِتَأْلُهُ بِهِ ، لَا الشَّكَايَةَ مِنْهُ . وَلِهَذَا الْإِحْتِمَالُ دَفْعَ عَنْهُ الْقَتْلِ . قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ :

وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ الْقَوْلَيْنِ فِي الرُّوْضَةِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ . وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا فِي شَرْحِ الرُّوْضِ : الَّذِي رَجَحَهُ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ يَفْصَلُ ؛ فَيَقَالُ : إِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ شَدَّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِدُنُوبٍ سَبَقَتْ لَهُ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لَمْ يَكْفُرْ . وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَعَهُ الْأَصْلَحَ فِي حَقِّهِ فَإِنْ كَانَ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ مَا فَعَلَهُ مَعَ جَوْرِ كَفَرٍ ؛ أَوْ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْأَصْلَحُ ، أَوْ أَطْلَقَ ، لَمْ يَكْفُرْ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ :

وَلَيْسَ مَا ذَكَرَ مَبْنِيًّا عَلَى مَسْأَلَةِ وَجُوبِ الْأَصْلَحِ عَلَى اللَّهِ وَعَدَمِ وَجُوبِهِ عَلَى الْخِلَافِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَصْلِ كَأَتَوْمَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ مَفْلَحٍ قَالَ فِي كِتَابِ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ أَنَّ ابْنَ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ : الرِّضَاءُ بِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَصَائِبِ وَاجِبٌ . وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ : إِنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَى الْأَصْحَحِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ الصَّبْرُ ؛ وَفِيهِ كَلَامٌ أَطَالَ فِيهِ .

الله بالاستنباط - إنه كفرٌ وردّةٌ مُحَضَّةٌ لم يتعلق بها حقٌّ لغير الله ؛ فأشبهه ^(١) قصد الكفر بغير سبِّ الله ، وإظهار الانتقال إلى دينٍ آخر من الأديان المخالفة للإسلام .
 وَوَجْهُ تَرْكِ اسْتِنَابَتِهِ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ ذَلِكَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ قَبْلُ اتِّهَمَنَاهُ وَظَنْنَا أَنَّ لِسَانَهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ إِلَّا وَهُوَ مُتَعَدِّ لَهُ ؛ إِذْ لَا يَتَسَاهَلُ فِي هَذَا أَحَدٌ ؛ فَحُكِّمَ لَهُ بِحُكْمِ الزُّنْدِيقِ ، وَلَمْ تُقَبَّلْ تَوْبَتُهُ ، وَإِذَا انْتَقَلَ مِنْ دِينٍ إِلَى آخَرَ ، وَأَظْهَرَ السَّبَّ بِمَعْنَى الْإِرْتِدَادِ ^(٢) فَهَذَا قَدْ أَعْلَمَ أَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ^(٣) ، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ [٢٦٧] التَّمَسُّكُ بِهِ ^(٤) ، وَحُكْمُ ^(٥) هَذَا حُكْمُ الْمُرْتَدِّ : يُسْتَتَابُ ^(٦) عَلَى مَشْهُورِ مَذَاهِبٍ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ ^(٧) ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى مَا يَبْنَاهُ قَبْلُ ، وَذَكَرْنَا الْخِلَافَ فِي فُصُولِهِ ^(٨) .

= والحاصل أن المصائب والأمراض ليست بذنب سبق من العبد ؛ وإنما هي ابتلاء من الله يثيب عبده عليه ، كما ورد في الأحاديث ، وقد تقدم شيء منه فيما يصيب الأنبياء . وقول هذا القائل يعتقد أنها تصيبه بذنوب سلفت منه . وهذا جهل منه .

(١) فأشبهه السب قصد الكفر بغير سبِّ الله في أن كلا منهما ردة .

(٢) بمعنى الارتداد ؛ أى بمعنى أنه صار مرتدّاً .

(٣) الرِّبْقَةُ : عُرْوَةٌ في جِلٍّ تربط بها البهائم وتشد ، فإذا خلمتها أى رمتها من عنقها شردت وذهبت نافرة . خلع رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ : خرج من الإسلام خروجا ظاهرا إلى الكفر . (٤) التمسك به ؛ أى بالإسلام .

(٥) وحكم هذا الذي انتقل من دين إلى آخر ، وأظهر السب .

(٦) يستتاب : فإن تاب قبلت توبته وإلا قتل .

(٧) أكثر أهل العلم : من أكثر علماء الحنفية والشافعية والحنبلية : وفي : مذاهب

أكثر العلماء .

(٨) في فصوله الآتية بعد .

فصل

وَأَمَّا مَنْ أَضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ وَلَا الرَّدَّةِ وَقَصْدُ الْكُفْرِ ؛ وَلَكِنْ عَلَى طَرِيقِ التَّأْوِيلِ وَالْاجْتِهَادِ وَالْخَطَأِ الْمَفْضِي إِلَى الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ ^(١) ؛ مِنْ تَشْبِيهِ ^(٢) أَوْ نَعْتِ بِجَارِحَةٍ ^(٣) أَوْ نَفْيِ صِفَةٍ كَالِ ، فَهَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ السَّلَفُ ، وَالْخَلَفُ ^(٤) فِي تَكْفِيرِ قَائِلِهِ وَمَعْتَقِدِهِ .

وَاخْتَلَفَ قَوْلُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ ، وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي قِتَالِهِمْ إِذَا تَحَيَّزُوا ^(٥) فَئْتَهُ ، وَأَنْهُمْ يُسْتَنْبَإُونَ ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا . وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْمَنْفَرِدِ مِنْهُمْ ^(٦) ، وَأَكْثَرُ قَوْلِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ تَرَكُّ الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِهِمْ ، وَتَرَكُّ قَتْلِهِمْ ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي عِقَابِهِمْ ^(٧) ؛ وَإِطَالَةُ سِجْنِهِمْ ، حَتَّى يَظْهَرَ إِفْلَاحُهُمْ ، وَتُسْتَبَيِّنَ تَوْبَتُهُمْ ، كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَبِيغٍ ^(٨) .

(١) الْمَفْضِي إِلَى الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ : الْمُؤْدِي إِلَى أَمْرٍ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ لِلْحَقِّ وَتَحْقِيقِ لَهُ . وَالْبِدْعَةُ : اخْتِرَاعُ أَمْرٍ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَرِدْ فِي الشَّرْعِ قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤) - (٥٠٨) : وَلِلرَّادِ الْبِدْعَةُ الَّتِي هِيَ ضَلَالَةٌ .

(٢) مِنْ تَشْبِيهِ : أَيْ تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَبِيهِ ، كِبَائِبَاتٍ يَدُلُّهُ وَجْهٌ ؛ وَهَذَا بَيَانٌ لِمَا لَا يَأْبِقُ .

(٣) أَوْ نَعْتِ بِجَارِحَةٍ : أَيْ وَصَفِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِإِثْبَاتِ جَارِحَةٍ لَهُ . وَالْجَارِحَةُ : الْمَضُوءُ .

(٤) السَّلَفُ : الْمُتَقَدِّمُونَ . وَالْخَلَفُ : الْمُتَأَخَّرُونَ .

(٥) تَحَيَّزُوا فَئْتَهُ : فَارْقُوا أَهْلَ السَّنَةِ وَانْفَرَدُوا بِمَكَانٍ غَخَصَ بِهِمْ ؛ لِإِظْهَارِهِمُ الْخَالَفَةَ ؛

وَخَشْيَةَ إِضْلَالِ الْعَامَةِ وَالْخُرُوجِ إِذَا قَوِيَتْ شُوكَتُهُمْ .

(٦) فِي الْمَنْفَرِدِ : الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ يَتَحَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ .

(٧) وَالْمُبَالَغَةُ فِي عِقَابِهِمْ ؛ أَيْ تَشْدِيدِ عِقَابِهِمْ .

(٨) قَالَ الْخَفَاجِيُّ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ اسْمُهُ صَبِيغُ بْنُ شَرِيكَ بْنِ عَسَلٍ ؛ قَالَ ابْنُ

مَا كُوْلَا : كَانَ يُقْتَبَعُ مُشْكَلُ الْقُرْآنِ وَمَشَاكِلُهُ ، فَأَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِضَرْبِهِ ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنْ مَجَالَسَتِهِ .

وهذا قول محمد بن المَوَازِ في الحَوَارج^(١) وعبد الملك بن المَاجِشُون ، وقولُ سُخْنُون في جميع أهلِ الأهواء^(٢) ، وبه فُسرَّ قولُ مالك في الموطأ ، وما رَوَاه عن عُمر بن عبد العزيز وجَدَّه وعَمّه ، من قولهم في القَدَرِيَّة^(٣) يُسْتَتَابُونَ ؛ فإن تابُوا وإلَّا قُتِلُوا .

وقال عيسى ، عن ابن القاسم - في أهل الأهواء من الإباضية^(٤) والقَدَرِيَّة وشيئهم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتخريف ، لتَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ : يُسْتَتَابُونَ أظهروا ذلك أو أسرُّوه . فإن تابوا وإلَّا قُتِلُوا ، وميراثهم لورثتهم^(٥) .
وقال مثله أيضًا ابنُ القاسم في كتاب محمد في أهل القَدَر وغيرهم ، قال : واستتأبتهم أن يُقال لهم : اتركوا ما أنتم عليه .

(١) قال الخفاجي : هم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ، ثم خالفوه وخرجوا عليه لإنكارهم التحكيم ، وقولهم : لا حكم إلا لله . قال : ولهم عقائد مخالفة للسنة ؛ كتكفير مرتكب الكبيرة ، ووجوب الخروج على الإمام إذا خالف السنة ؛ ومع ذلك كان لهم من العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدون أمور عجيبة . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم ، وقصتهم مع علي رضي الله عنه ، وقاتلهم له في التواريخ .
(٢) في جميع الأهواء ؛ من الفرق الضالة للضلة ؛ فتشدد عقوبتهم ، ولا تقتلهم ؛ بل تطيل سجنهم حتى يتوبوا .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٥١٠) وهؤلاء طائفة قالوا بنفى القدر ؛ وهم أصحاب واصل بن عطاء . قال الخفاجي : وهم مجوس هذه الأمة ؛ شبههم بهم لإضافتهم الأمر لنبي الله ، من النور والظلمة . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٤) الإباضية : جماعة من الحوارج أصحاب عبد الله بن إباض ، ظهروا في خلافة مروان ابن عبد آخر بنى أمية ، زعموا أن من خالفهم كافر غير مشرك تجوز منا كعته .

(٥) لورثتهم من المسلمين ؛ لأنهم يقولون : إنهم على الإسلام ، ويتأولون النصوص الدالة على خلافتهم ؛ وإنما قتلوا لإصرارهم على البدع المخالفة للحق ؛ كما يقتل تارك الصلاة ؛ لالحكم بكفرهم .

ومثله له في للبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع ؛ قال : ومسلون ؛ وإنما قتلوا لرأيهم السوء^(١) ، وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز .
قال ابن القاسم : مَنْ قال : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا اسْتُنْتِيبَ ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ .

وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة^(٢) .

وقد روى أيضا عن سُحُنُون مثله فيمن قال : ليس لله كلامٌ ، إنه كافر^(٣) .
واختلفت الروايات عن مالك ، فأطلق في رواية الشاميين : أبى مُسْهِر ، ومروان ابن محمد الطاطري^(٤) الكُفْرَ عليهم ، وقد شوّرَ في زواج القدرى ، فقال : لا تزوجه ؛ قال الله تعالى^(٥) : ﴿ وَاعْبُدُوا مَوْحِنًا خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ .
وروى عنه أيضا : أهل الأهواء^(٦) كلُّهم كفار .
وقال : مَنْ وصف شيئا مِنْ ذاتِ اللَّهِ تعالى ؛ وأشار إلى شيء من جسده :

(١) السوء : السيئ ، الخالف لجماعة السنة وأهل الحق .
(٢) المرجئة : هم فرق خمس ذهبوا إلى أنه لا تضر مصيبة مع الإيمان ، كما لا تنفع طاعة مع الكفر .

قال الحفاجى : وتكفيرهم لإنكارهم النصوص للتواتر ، وما علم من الدين بالضرورة .
(٣) وذلك لإنكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله .
(٤) إمام محدث ثقة ، أخرج له مسلم وغيره . وله ترجمة في الليزان (٤ - ٩٣) ، وهو من زهاد العلماء . توفى سنة ست عشرة ومائتين .

وأطلق الكفر عليهم : قال بكفرهم مطلقا .

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٢١

أى المبد المؤمن وإن كان فقيرا خير من المشرك وإن كان غنيا .

(٦) الأهواء : البدع والمعتقد المخالفة لأهل السنة كفار لمعتقدهم الباطلة .

يَدْرٍ ، أَوْ سَمْعٍ ، أَوْ بَصَرٍ ، قُطِعَ ^(١) ذَلِكَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ ^(٢) .
وقال فيمن قال : القرآن مخلوق - كافراً فاقتلوه .

وقال أيضا - في رواية ابن نافع - يُجْلَدُ ، وَيُوجَعُ ضَرْبًا ، وَيُحْبَسُ حَتَّى يَتُوبَ .
وفي رواية بشر بن بكر ^(٣) التَّنْيِيسُ عَنْهُ : يُقْتَلُ وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ .

قال القاضي أبو عبد الله التَّبَزَّكَائِي ، والقاضي أبو عبد الله التُّسْتَرِي من أئمة
العراقيين : جوابه مُخْتَلَفٌ ، يُقْتَلُ ^(٤) الْمُسْتَبْصِرُ الدَّاعِيَةُ ^(٥) .

وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم ^(٦) .

وحكى ابن المنذر ، عن الشافعي : لا [٢٦٨] يَسْتَنْابُ الْقَدْرِيُّ ^(٧) .

وأكثرُ أقوالِ السَّلَفِ تَكْفِيرُهُمْ ؛ وَمَنْ قَالَ بِهِ اللَّيْثُ ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَابْنُ لَهْيَةَ ؛
وَرَوَى عَنْهُمْ ذَلِكَ ^(٨) فَيَمِنْ قَالَ بِمَخْلُقِ الْقُرْآنِ ؛ وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَالْأَوْدِيُّ ^(٩) ،

(١) قطع ذلك المصنوع منه .
(٢) قال في نسيم الرياض (٤ - ٥١٣) :
قيل إن مالكا قصد بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة ، لأنه عقوبة لم ترد في
الشرع . أو أراد الدعاء عليه بذلك ؛ فإنه أجل من أن يقول مثله حقيقة .
ثم قال الحفاجي :

ولا يخفى أن ما قاله خلاف الظاهر ؛ وإذا كان عنده هذا كفرا ، وهو مستحق للقتل ؛
فأى مانع من عقوبته بمثل ما ذكر ؟ وما وجه استبعاده ؟

(٣) بشر بن بكر : محدث جليل ثقة أخرج له أصحاب السنن ؛ وتوفي سنة خمس ومائتين ،
وله ترجمة في الميزان : ١ - ٣١٤

(٤) أى من له بصيرة في إقامة الأدلة على مراده .

(٥) الداعية : الذي يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره ؛ فهذا أشد فتنة ؛ فلهذا رأى
مالك قتله دفعا لنائلته ، بخلاف غيره .

(٦) خلفهم ؛ أى إذا صليت خلفهم ؛ اقتداء بإمامهم ؛ فتارة قال : يعيد ، وتارة قال : لا يعيد .

(٧) لا يستتاب القدرى ؛ لكفره .

(٨) ذلك ؛ أى تكفيرهم .
(٩) الأودى : هو عثمان بن الحكم .

وَوَكَيْع ، وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ^(١) ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ^(٢) ، وَهُشَيْمٌ^(٣) ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ فِي آخِرِينَ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِمْ^(٤) وَفِي الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ^(٥) الْمَضَلَّةُ وَأَصْحَابُ الْبِدْعِ الْمُتَأَوِّينَ ؛ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ؛ وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي الْوَاقِفَةِ وَالشَّاكَّةِ فِي هَذِهِ الْأَصُولِ^(٦) .

وَيَمُنُّ رُؤْيَى عَنْهُ مَعْنَى الْقَوْلِ الْآخِرِ بِتَرْكِ تَكْفِيرِهِمْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنِ عُمرَ ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ ؛ وَهُوَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالنَّظَّارِ^(٧) وَالْمُتَكَلِّمِينَ ؛ وَاحْتَجُّوا بِتَوْرِيثِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَرِثَةِ أَهْلِ حَرُورَاءَ^(٨) ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْقَدَرِ يَمُنُّ مَاتَ مِنْهُمْ ، وَدَفَنِيهِمْ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَزَى أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ^(٩) الْقَاضِي : وَإِنَّمَا قَالَ مَالِكٌ فِي الْقَدَرِيَّةِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدْعِ :

(١) حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : قَاضِي الْكَوْفَةِ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ، أَخْرَجَ لَهُ السَّنَةُ ، وَتَرْجَمَتْهُ فِي الْمِيزَانِ (١ - ٥٦٧) . تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَمِائَةً .

(٢) أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيُّ ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، أَخْرَجَ لَهُ لِسَنَتِهِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .

(٣) هُشَيْمُ بْنُ بَشَرَ السُّلَمِيُّ الْوَاسِطِيُّ الْحَافِظُ الثَّقِيُّ ، تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .

وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي الْمِيزَانِ : ٤ - ٣٠٦ (٤) فِيهِمْ : فِي الْمُبْتَدَعَةِ .

(٥) الْأَهْوَاءُ ؛ أَيُّ الْمَتَّبِعِينَ لَهْوَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ .

(٦) الْمُرَادُ بِالْوَاقِفَةِ قَوْمٌ تَوَقَّفُوا فِي اتِّبَاعِ الْبِدْعَةِ أَوْ السَّنَةِ لِحُجَّتِهِمْ ، أَوْ لِتَعَارُضِ الْأَدَلَّةِ عَلَيْهِمْ . وَالشَّاكَّةُ : قَوْمٌ شَكُّوا فِي ذَلِكَ .

وَقَالَ الْخُفَاجِيُّ : وَيَجُوزُ إِرَادَةُ كُلِّ مَنْ شَكَّ وَلَمْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَصُولِ السَّنَةِ عِنَادًا مِنْهُ وَإِلْحَادًا . وَفِي ١ : الْوَاقِفَةُ .

(٧) وَالنَّظَّارُ ؛ أَيُّ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَدَلَّةِ وَالْقَادِرِينَ عَلَى الْمُنَاطَرَةِ .

(٨) حَرُورَاءُ : قَرْيَةٌ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْكَوْفَةِ ، اجْتَمَعَ فِيهَا الْخَوَارِجُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِ

عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا قَدَّوْا عَلَى آرَأِهِمُ الْفَاسِدَةَ وَعَلَى قِتَالِهِ ؛ فَنَسَبُوا لَهُمْ .

(٩) هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَافِظُ .

يُسْتَتَابُونَ ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، كَمَا قَالَ فِي الْحَارِبِ ^(٢) : إِنْ رَأَى الْإِمَامُ قَتَلَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ ^(٣) ، قَتَلَهُ ؛ وَفَسَادُ الْحَارِبِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْأَمْوَالِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا ^(٤) ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ سَبِيلِ الْحُجَّ وَالْجِهَادِ ؛ وَفَسَادُ أَهْلِ الْبِدْعِ مُعْظَمُهُ عَلَى الدِّينِ ؛ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا بِمَا يُلْقَوْنَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدَاوَةِ .

فصل

فِي تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِي إِكْفَارِ الْمُتَأَوِّلِينَ ^(٥)

قَدْ ذَكَرْنَا مَذَاهِبَ السَّلَفِ فِي إِكْفَارِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَأَوِّلِينَ مِنْ قَالَ قَوْلًا يُؤَدِّيهِ مَسَاقُهُ ^(٦) إِلَى كُفْرٍ ، وَهُوَ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ لَا يَقُولُ بِمَا يُؤَدِّيهِ قَوْلُهُ إِلَيْهِ .

وَعَلَى اخْتِلَافِهِمْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِي ذَلِكَ ؛ فَفِيهِمْ مَنْ صَوَّبَ التَّكْفِيرَ الَّذِي قَالَ بِهِ الْجُمْهُورُ مِنَ السَّلَفِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ وَلَمْ يَرِ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ سَوَادِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٧) ؛

(١) أَيْ إِنْ حَكَمَهُ بِقَتْلِهِمْ لَيْسَ لِكُفْرِهِمْ ؛ بَلْ لِعَقْدِهِمُ الْبَاطِلَ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ دَفْعُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِعْ إِلَّا بِالْمَقَاتِلَةِ وَالْقَتْلِ قَتَلُوا لِمَا يَلِيزُهُ مِنْ إِضْلَالِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ عَقَائِدِهِمْ .
(٢) فِي الْحَارِبِ : مِنَ الْبِنَاءِ الْخَارِجِينَ عَلَى السُّلْطَانِ .

(٣) وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا ، وَلَيْسَ قَتْلُهُ لِكُفْرِهِ ، بَلْ لِدَفْعِ فَسَادِهِ .

(٤) فِي الْأَمْوَالِ أَيْ يَأْخُذُهَا أَوْ يَفْسِدُهَا . وَمَصَالِحُ الدُّنْيَا : أَيْ يَنْفُلِيهِ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا .

(٥) الْمُتَأَوِّلُونَ : هُمْ أَصْحَابُ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ أُولُوا عَقَائِدَهُمُ الْبَاطِلَةَ بِمَا يَجْعَلُهَا صَحِيحَةً ، وَأُولُوا بَعْضَ النُّصُوصِ الْمَشْكُوكِ ظَاهِرَهَا .
(٦) يُؤَدِّيهِ مَسَاقُهُ : يُوَصِّلُهُ سِيَاقُهُ .

(٧) سَوَادِ الْمُؤْمِنِينَ : جَمَاعَتِهِمْ .

وَمِنْ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي النَّهْيِ عَنْهُ ، كَحَدِيثِ : أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَقَّ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَوْا مَنِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ . وَنَحْوَهُ مِنَ الْإِحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ .

وهو قولُ أكثر الفقهاء والمتكلمين ؛ وقالوا : هم مُسَاقٌ عُصَاةٌ ضَلَالٌ^(١) ،
وَنَوَارِثُهُمْ^(٢) من المسلمين ، ونحكم لهم بأحكامهم ، ولهذا قال سُحنون : لا إعادة
على مَنْ صَلَّى خَلْفَهُمْ ؛ قال : وهو قولُ جميع أصحابِ مالك [كلهم]^(٣) : المغيرة ،
وابن كنفانة ، وأشهب ؛ قال : لأنه^(٤) مُسْلِمٌ ؛ وذنبُهُ لم يخرجْهُ من الإسلام .

واضطرب آخرون في ذلك ، ووقفوا عن القولِ بالتكفير وضِدَّة^(٥) .
واختلاف قولي مالك^(٦) في ذلك ، وتوقفه عن إعادة الصلاة خَلْفَهُمْ منه . وإلى نحو
من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمامُ أدل التحقيق والحق ؛ وقال : إنها من
المُعْصَاتِ^(٧) ؛ إذ القومُ لم يُصِرُّوا بالكفر ؛ وإنما قالوا قولاً يُؤَدِّي إليه .

واضطرب قوله^(٨) في المسألة على نحو اضطرابِ قولِ إمامِهِ مالكِ بن أنسٍ حتى
قال في بعض كلامِهِ : إنهم على رَأْيٍ مَنْ كَفَرَهُم بالتأويل لا تَحِلُّ مَنَّا كَحَتْمِهِمْ^(٩) ،
ولا أَكَلُ ذَبَابِهِمْ ، ولا الصلاةُ على مَيِّتِهِمْ^(١٠) .

وَيُخْتَلَفُ في موارثتهم على الخِلَافِ في ميراث المُرْتَدِّ .

(١) فساق : جمع فاسق . عصاة : لارتكابهم كبار من فساد العقائد والأعمال .

ضلال : جمع ضال .

(٢) نوارثهم : نحكم بإرث المسلمين لهم ومنهم .

(٣) من ب .

(٤) لأنه ؛ أي البتة .

(٥) اضطرب : تردد . ضده : هو الإسلام .

(٦) لملك قولان في ذلك : قول بتكفيرهم ، وقول بخلافه ؛ فلذا اضطرب بعضهم ؛ وتوقف

آخرون فيهم .

(٧) المعصاة : المسائل الصعبة المشككة ، لقوة الآراء المتعارضة فيها .

(٨) قوله : أي قول القاضي أبي بكر .

(٩) منا كحتمهم ؛ أي تزويجهم المسلمات .

(١٠) أي لأنهم كفره عنده .

وقال أيضا : نَوْرُثُ مَيِّتَهُمْ وَرَثَتَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نَوْرُثُهُمْ هُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛
وَأَكْثَرُ مَثَلِهِ إِلَى تَرْكِ التَّكْفِيرِ بِالْمَالِ ^(١) ؛ وكذلك اضطرب فيه قولُ شَيْخِهِ
أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَأَكْثَرُ قَوْلِهِ تَرْكُ التَّكْفِيرِ ، وَأَنَّ الْكَفْرَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ ،
وَهُوَ الْجَهْلُ [٢٦٩] بِوُجُودِ الْبَارِي ^(٢) تَعَالَى .

وقال مرةً : مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ ، أَوِ الْمَسِيحُ ، أَوْ بَعْضُ مَنْ يَلْقَاهُ فِي الطَّرْقِ ،
فَلَيْسَ بِعَارِفٍ بِهِ وَهُوَ كَاْفِرٌ .

وَمِثْلُ هَذَا ذَهَبَ أَبُو الْعَالِي ^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَجْوِبَتِهِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ ،
وَكَانَ سَأَلَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ^(٤) ، وَاعْتَذَرَ لَهُ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِيهَا يَضْعُبُ ، لِأَنَّ إِدْخَالَ كَاْفِرٍ
فِي الْمِلَّةِ ، أَوْ إِخْرَاجَ مُسْلِمٍ عَنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّينِ .

وقال غيرهما ^(٥) مِنَ الْحَقِيقِينَ : الَّذِي يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ مِنَ التَّكْفِيرِ فِي أَهْلِ التَّأْوِيلِ ؛
فَإِنْ اسْتِبَاحَةَ الْمُؤَحِّدِينَ خَطَأً ، وَالْخَطَأَ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَاْفِرٍ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ
مِجْمَعَةٍ ^(٦) مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا ^(٧) قَالُواهَا - يَعْنِي الشَّهَادَةَ - عَصَمُوا ^(٨) مَنَى
دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ .

(١) بِالْمَالِ : بِمَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ كَلَامُهُمْ ؛ لِأَنَّ لَزِمَ الْمَذْهَبَ لَيْسَ بِمَذْهَبٍ عِنْدَهُمْ .

(٢) خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ : صِفَةٌ وَاحِدَةٌ . الْجَهْلُ بِوُجُودِ الْبَارِي : لَا يَعْرِفُ اللَّهُ ، وَلَا يَقْرَبُهُ

وَلَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ . (٣) أَبُو الْعَالِي : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ إِمَامُ الْحَرَمِيِّينَ .

(٤) عَنِ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ . فَاعْتَذَرَ لَهُ عَنْ تَرْكِ الْجَوَابِ لَهُ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِي هَذِهِ

لِلْمَسْأَلَةِ يَصْعَبُ وَيَشْكَلُ عَلَى مَنْ خَافَ أَنْ يَقُولَ فِي الشَّرْعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ . . .

(٥) غَيْرُهُمَا : غَيْرُ الْأَشْعَرِيِّ وَأَبِي الْعَالِي .

(٦) الْمِجْمَعَةُ : آلَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا دَمُ الْحِجَامَةِ الْمَرْوُفَةِ .

(٧) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا قَالُواهَا - يَعْنِي كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ . صَحِيحٌ

الْبُخَارِيُّ : ١ - ١٤ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١ - ٥٢ (٨) عَصَمُوا مَنَى : حَفِظُوا وَصَانُوا .

فالمعصية مقطوعٌ بها من الشهادة ، ولا ترتفعُ وبُستباحُ خلافُها إلا بقاطع ، ولا قاطعٌ من شرع ولا قياسٍ عليه .

والنفاظُ الأحاديثُ الواردة^(١) في الباب مُعرضةٌ للتأويل^(٢) ؛ فإِذا جاء منها في التصريح بكُفرِ القَدَرِية^(٣) ، وقولُه^(٤) : لا سَتمَ لهم في الإسلام ، وتسميتهُ الرافضةَ بالشرك ، وإطلاقُ اللُّغةِ عليهم ، وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء ، فقد يَحْتَجُّ بها مَنْ يَقولُ بالكُفْرِ ، وقد يَحِيبُ الآخَرُ عنها^(٥) بأنَّه قد وردَ في الحديثِ مِثْلُ هذه الألفاظِ في غير الكُفْرِ^(٦) على طريقِ التَغْلِيظِ^(٧) ، وكُفْرٌ دون كُفْرٍ ، وإِشراكٌ دون إِشراكٍ .

وقد وردَ مِنْهُ^(٨) في الرِّياءِ^(٩) وعقوقِ الوالدين ، والزَّوجِ^(١٠) ، والزَّوْرِ ، وَغَيْرِ مَعْصِيَةٍ^(١١) .

(١) الدالة على تكفير أهل البدع والأهواء التي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم .

(٢) معرضة للتأويل ، فلا تمارض الأدلة القاطعة بخلافه .

(٣) بكفر القدرية ، وأنهم يحوس هذه الأمة . . .

(٤) وقوله صلى الله عليه وسلم . ولا سم لهم : أى نصيب ، والمعنى لا إسلام لهم .

(٥) الآخر : الذاهب إلى عدم تكفيرهم .

(٦) غير الكفرة ؛ أى من عصاة المسلمين ، مع القطع بعدم كفرهم إجماعاً .

(٧) التغليف ؛ أى المبالغة - والتشديد في الزجر تخويفاً لهم .

(٨) مثله : مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من أهل البدع .

(٩) الرياء : ويقال له الشرك الخفى .

(١٠) والزَّوج ؛ يعنى ومخالفة المرأة زوجها : وفي الحديث : من بات زوجها ساخطاً عليها

لم ترح رائحة الجنة . وهذا من صفة الكفار .

(١١) وغير معصية ؛ أى جاء في حق معاص كثيرة وصفها في الحديث بأنها كفر وشرك ، مع

علم كل أحد بأن فاعلها لا يكفر ؛ فدل هذا على أن المراد تغليظ زجره ، لا أنه كفر حقيقة ،

فماورد من تكفير البتدعة وأهل الأهواء مثله .

وإذا كان محتَمَلًا للأمرين فلا يُقَطَّع على أحدها إلا بدليل قاصِع .
وقوله في الخوارج : هم من شرِّ البرية ، وهذه صِفَةُ الكُفَّار^(١) .
وقال : شرُّ قبيلٍ تحتَ أديمِ السماء^(٢) ، طوبى^(٣) لمن قتلهم أو قتلوه .
وقال^(٤) : فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتلَ عادٍ .

فظاهرُ هذا الكُفْرِ لاسيما مع تشبيههم بعادٍ ؛ فيحتجُّ به مَنْ يَرَى تكفيرهم^(٥) ،
فيقول له الآخرُ : إنما ذلك مِنْ قَتْلِهِمْ لخروجهم على المسلمين وبغيتهم عليهم ، بدليل
من الحديثِ نفسِه : يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسلامِ ؛ فقتلهم ها هنا حَدٌّ لا كُفْر .
وذكرُ عادٍ تشبيهٌ للقتلِ وحِلِّه لا للمقتول ، وليس كلُّ مَنْ حُكِمَ بِقتله
يُحْكَمُ بكُفْرِهِ . ويعارضه بقول خالدٍ في الحديث : دَعْنِي أُضْرِبْ عُقْبَهُ يا رسولَ الله .
فقال : لعله يَصُلِّي^(٦) .

فإن احتجُّوا بقوله صلى الله عليه وسلم : يَقْرَأُونَ القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم^(٧) -
فأخبر أنَّ الإيمانَ لم يدخلْ قلوبهم .

(١) البرية : الخلق . وهذه صفة الكفار ، وصفهم الله بها في القرآن في قوله تعالى : إن الذين
كفروا من أهل الكتاب والمشركين أولئك هم شر البرية . . . فوصفهم بصفة تقتضى كفرهم .
وهذه العبارة في حديث في الصحيحين وغيرهما ، ورواه أحمد عن عائشة بلفظ : الخوارج
شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي . وفي مسلم : هم أبغض الخلق . . .

(٢) القبيل : الجماعة . تحت أديم السماء ؛ أى تحت السماء ، يريد الأرض .

(٣) طوبى : كلمة مدح ، وقد يقصد بها التبشير بالجنة والسعادة .

(٤) في حديث رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدرى . صحيح مسلم : ٧٤١

(٥) لأمره صلى الله عليه وسلم بقتلهم وتشبيههم بالكفرة .

(٦) فجعل الصلاة وإظهار شعار الإسلام مانعة من التكفير والقتل . صحيح مسلم : ٥٤٢

(٧) لا يجاوز حناجرهم : لا يتعداها ، والمراد أنه لا يصل لقلوبهم ، لعدم العمل والعلم بما فيه

من الإيمان والمقائد . والحديث في ابن ماجه : ١ - ٦٠ ، وصحيح مسلم : ٧٤٢ ، ويفسره
رواية مسلم : لا يجاوز إيمانهم حلقيمهم ، فهم مؤمنون باللسان دون القاب . وهذه الرواية في

صحيح مسلم : ٧٥٠

وكذلك قوله : يَمْرُقُونَ ^(١) من الدين مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ،
ثم لا يَعُودُونَ إليه حق يعودَ السَّهْمُ على فُوقِهِ ^(٢) .

وبقوله ^(٣) : سبقَ الفَرثَ والدمَ ؛ يدلُّ على أنه ^(٤) لم يَتَعَلَّقَ من الإسلامِ بِشَيْءٍ .
أجابه الآخرون ^(٥) : إنَّ معنى لا يَجَاوِزُ حَتَا جَرَمَ : لا يَفْهَمُونَ مَعَانِيَهُ بِتَلَوِّهِمْ ،
ولا تَنْشِيرُحُ له صدورُهم ، ولا تَعْمَلُ به جَوَارِحُهُمْ ، وعَارِضُوهم بقوله ، ويَتَمَارَى
في الفُوقِ ^(٦) . وهذا يَقْتَضِي التَّشَكُّكَ في حَالِهِ ^(٧) .

واحتجُّوا بِقَوْلِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ في هذا الحديث : سمعتُ رسولَ اللَّهِ صلى
اللهُ عليه وسلم يقول : يَخْرُجُ في هذه الأُمَّةِ - ولم يقل : من ^(٨) هذه [٢٧٠] ؛
وتَحْرِيرُ أَبِي سَعِيدٍ الرَّوَايَةَ ، وإِتْقَانُهُ اللَّفْظَ ^(٩) .

(١) يَمْرُقُونَ : يخرجون . (٢) فُوقَهُ : الفُوقُ : موضع السهم من الوتر .
والحديث كما في البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال : يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون إليه حتى يعود
السهم إلى الرمية . . .

(٣) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٧٤٤ ، وصحيح البخارى : ٩ - ٢٢
سبق ؛ أى السهم . الفرث : مافى السكرش : يعنى أنه لاتعلق لهم بالإسلام ، إيماء لسرعة
خروجهم ، كما أن السهم النافذ من حيوان رمى به يخرج قبل مافى بطنه من الفرث والدم فإنه
يخرج بعده . (٤) على أنه ؛ أى الخارجى . (٥) الآخرون : القائلون بعدم كفرهم .
(٦) ويتارى ؛ أى يتردد السهم في موضعه من الوتر . وفي صحيح مسلم ٧٤٤ ، وصحيح
البخارى : ٩ - ٢١ : ويتارى في الفوقة . والفوق والفوقة : هو الحز الذى يجعل فيه الوتر .
والتمارى : تفاعل من المرية ، وهى الشك ، لا من المراء ، وهو الجدال ؛ أى فيشك . وفى ضبطت
الياء فى « يتارى » بالضم (٧) يقتضى التشكك فى حاله ، وأنه لا يحكم بكفره .

(٨) إِتْقَانُهُ اللَّفْظَ بقوله : « فى » ، دون « من » ، وهو يدل على دقة نظره . ومعناه :
يظهر فى هذه الأمة ، ولم يقل : يظهر من هذه الأمة ، فإنه يقتضى أنهم منهم ، لامفارقتهم
بمخالفة دينهم . صحيح البخارى : ٩ - ٢١

أجابهم الآخرون بأن العبارة بـ « في » لا تقتضي نصرياً بكونهم من غير الأمة ، بخلاف لفظة « من » التي هي للتبميز . وكونهم من الأمة مع أنه قد روى عن أبي ذرٍّ ، وعليٍّ ، وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث : يخرج من أمتي [وسيكون من أمتي]^(١) ، وحروف المعاني مشتركة ؛ فلا تمويل على إخراجهم من الأمة بـ « في » ، ولا على إدخالهم فيها بـ « من » ؛ لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبية الذي نبه عليه^(٢) . وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني^(٣) واستنباطها^(٤) من الألفاظ ، وتحريرهم لها ، وتوقيعهم^(٥) في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة .

ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سقيمة ؛ أقربها قول جهم ، ومحمد بن شبيب^(٦) : إن الكفر بالله الجهل به ، لا يكفر أحدٌ بغير ذلك^(٧) . وقال أبو الهذيل^(٨) : إن كل متأول كان تأويله تشبيهاً لله بخلقه ، وتجويراً^(٩) له في فعله ، وتكذيباً لغيره فهو كافر . وكل من أثبت شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر .

(١) من ب . (٢) يأتيانه بـ « في » الدالة على إخراجهم .

(٣) في ب : المعاني . (٤) استنباطها : استخراجها .

(٥) توقيعهم : احترازهم واجتنابهم .

(٦) هو جهم بن صفوان من المعتزلة . ومحمد بن شبيب من المعتزلة أيضاً .

(٧) قال الخفاجي : وهذا قول غير صحيح إن حمل على ظاهره ؛ لأنه يقتضي أن من عرف الله وحده وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أنكر شريعته وكتابه المنزل عليه . لا يكفر . فإن أراد الجهل بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفاً لغيره ؛ وكان مراد القائل إنه يلزمه تسكير سائر الفرق الضالة ؛ فإن لم يرد هذا فلا وجه له .

(٨) أبو الهذيل بن أحمد بن العلاف شيخ المعتزلة ، أخذ عن عثمان بن خالد الطويل ، عن واصل بن عطاء ، وهو بصري ، توفي سنة ست وعشرين ومائتين .

(٩) تجويراً له ؛ أي نسبة الجور إلى الله في تأويله .

وقال بعض المتكلمين : إن كان مَن عرف الأضلّ وبني عليه ، وكان فيما هو من أوصاف الله فهو ^(١) كافر ، وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق ^(٢) ، إلا أن يكون مَن لم يعرف الأضلّ فهو مخطئ غير كافر .

وذهب عبيد الله ^(٣) بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عُرْضةً للتأويل ، وفارق في ذلك فِرَقَ الأمة ؛ إذ أجمعوا سِوَاهُ على أن الحقَّ في أصول الدين في واحدٍ ^(٤) ، والمخطئ فيه آثمٌ عاصٍ فاسقٌ ^(٥) . وإنما الخلاف في تكفيره ^(٦) .

(١) وبني عليه تأويله . كفر ؛ لأنه قال ما قاله عن علم به .

(٢) فاسق : غير طائع لله ؛ لارتكابه كبيرة باعتقاد ما ليس بحق .

قال الخفاجي : وهذا كله من كلام المعتزلة ودسائسهم مما يؤم ظاهره الخير ، وهو شر محض .

(٣) عبيد الله هذا فقيه بصرى ، تولى قضاء البصرة بعد سوار بن عبد الله ، وكان عالماً ثقة ، روى عنه غير واحد ، وأخرج له مسلم ، توفي سنة ثمان وستين ومائة .

قال الخفاجي : وكان يرى جواز التقليد في العقائد والمقاييس ، وخالف في ذلك العلماء .

(٤) في واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية ؛ فليس كالفرع التي هي محل الاجتهاد .

(٥) لمدوله عن الحق برأيه .

(٦) باجتهاده المخطئ فيما ليس محل الاجتهاد ؛ وإنما محل الفروع العملية ؛ فهو مثاب في

اجتهاده ، سواء قلنا : للصيب واحد أم لا على ما اشتهر في الأصول . أما في أصول الدين فالصيب واحد قطعاً ، فلا وجه للاجتهاد فيها ، وإن بذل وسعه وجهه .

وذهب الجاحظ والعنبري إلى جواز الاجتهاد فيها ، وأنه إذا أخطأ لا يَأْثَمُ ؛ لكنه مقيد بالإسلام

على الصحيح . قالوا : لأن قصدهم تعظيم الله وتنزيهه ؛ ولذا لم يبحث الصحابة عن الالفاظ اللوهمية للتشبيه .

قال الخفاجي : وهو كله واه غير سديد .

وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني^(١)؛
قال : وحكى قومٌ عنهما^(٢) أنهما قالَا ذلك في كلِّ مَنْ عَلِمَ اللهُ سبحانه من حاله
استفراغ الوُسْعِ^(٣) في طلب الحقِّ من أهلِ مِلَّتِنَا أو من غيرهم .
وقال نحوَ هذا القولِ الجاحظُ^(٤) ، وثمّامة^(٥) ، في أن كثيراً من العامة والنساء
والبله^(٦) ومقلدة النصارى واليهود^(٧) وغيرهم لا حُجَّةَ اللهُ عليهم ؛ إذ لم تكنْ
لهم طِبَاعٌ يُمْكِنُ معها الاستدلالُ^(٨) .

(١) هو داود بن علي بن خاف ، أبو سليمان الأصبهاني البغدادي وطنا ، صاحب مذهب
الظاهرية . توفي سنة سبعين ومائتين ، وكان إماما جليلا زاهدا ورعا ، قلده الشافعي رضى الله
عنه أولا ، ثم صار صاحب مذهب مستقل . ومن أجل أتباعه ابن حزم .

(٢) عنها : عن داود ، والضربى .

(٣) استفراغ الوُسْعِ ؛ أى بذل قدر جهده وطاقته .

(٤) هو عمرو بن بجر ، أبو عثمان السكافي البصري ، لعلم الحروف . وهو معتزلى ،
صاحب مذهب في أصول الدين . وقد توفي سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٥) هو ثمّامة بن أشرس بن معن الخيبرى ، من كبار المعتزلة ، ورءوس الضلالة ، كما قال
الذهبي (لليزان : ١ - ٣٧٢) .

(٦) البله : جمع أبله ؛ والمراد به من قل فهمه ، وغلب عليه الغفلة وقلة العلم .

قال الخفاجى : وما في الحديث من أن أكثر أهل الجنة البله فالمراد بهم من غلب عليه سلامة
الصدر وحسن الظن بالناس ، فأغفلوا أمر دنياهم وأقبلوا على آخرتهم .

(٧) ومقلدة النصارى واليهود : الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة .

(٨) الاستدلال ؛ أى إقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم ؛ فإذا هم معذورون ولا حجة

لله عليهم يماقهم بها .

قال الخفاجى : وهو قول باطل ؛ لأنهم مكلفون عقلا ، لاسيما من نشأ بدار الإسلام . وعلى
كل حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الأدلة والتفكير في خلق السموات والأرض ؛ وقد قرع
أسماعهم ماتواتر من إرسال الله رسله ، وما ظهر من المعجزات الباهرة الظاهرة ظهور الشمس
لمن له عينان ؛ فأى عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم ؟

وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة ^(١) .
وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى
واليهود وكل من فارق دين المسلمين ، أو وقف ^(٢) في تكفيرهم ، أو شك .
قال القاضى أبو بكر ^(٣) : لأن التوقيف والإجماع ^(٤) على كفرهم ؛ فمن
وقف في ذلك فقد كذب النص ، والتوقيف ، أو شك فيه . والتكذيب أو الشك
فيه لا يقع إلا من كافر ^(٥) .

فصل

في بيان ماهو من المقالات كفر ، وما يتوقف أو يختلف فيه ،

وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس ^(٦) فيه موزده ^(٧) الشرع ^(٨) ، ولا
مجال للعقل فيه ^(٩) ؛ والفصل ^(١٠) اللين في ^(١١) هذا أن كل مقالة صرحت بنفي

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي صاحب المؤلفات الجليلة . توفى سنة خمس
وخمسة . وكتاب التفرقة كتاب له في الأصول .
وفي نسيم الرياض : قال ابن حجر : وما نسب للمصنف للغزالي صرح الغزالي في كتابه
الاقتصاد بما يرد .

وارجع إلى نسيم الرياض (٤ - ٥٣١) ، ففيه آراء هامة هنا - إن أردت .

(٢) وقف في تكفيرهم : أحجم عنه وتركه قويا أو إثباتا .

(٣) هو الباقلائي .

(٤) لأن التوقيف في كفرهم مع أن الإجماع منعقد على كفرهم لا يصح .

(٥) قال الحماجي : وفي عبارته ركاكة وإغلاق يندفع بالتأمل .

(٦) كشف اللبس ؛ أى إزالة ما يلبس على سامعه .

(٧) الشرع : ما شرعه الله تعالى لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل .

(٨) أى لابد من تأقيه من الشارع .

(٩) الفصل البين : الفاصل للميزلة عن غيره الظاهر الذى لا إشكال فيه ولا مجال لرد .

الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله - فهو كفرٌ ، كقالة الدهرية^(١) ، وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديسانية^(٢) أو المانوية^(٣) وأشباههم من الصائين^(٤) والنصارى والمجوس^(٥) [٢٧١] ، والذين أشركوا بعبادة الأوثان^(٦) أو الملائكة ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم أو النار^(٧) أو أحد غير الله من مشركي العرب ، وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب . وكذلك القرامطة^(٨) وأصحاب الحلول والتناسخ^(٩) من الباطنية والطيارية^(١٠)

(١) الدهرية : طائفة من الملحدين ينسبون الأمور للدهر .

(٢) أصحاب الاثنين ؛ أى القائلين بالهين اثنين . والديسانية نسبة إلى رجل من المجوس نسب له هذا المذهب . وقد ضبطت الدال في ب بفتحة وكسرة .

(٣) المانوية : أصحاب ماني الذي ظهر في زمن شابور بن أردشير بمد عيسى عليه السلام . وفي ا : والمانية .

(٤) الصابي : من خرج من دين إلى آخر ، ثم خص بطائفة عبدوا الملائكة أو عبدوا الكواكب ، وهو المراد هنا .

(٥) المجوس : عبدة النار ، أو القائلون بالنور والظلمة .

(٦) الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم وحجارة لعبد . وقيل هناك فرق بين الوثن والصنم ؛ فالوثن ماله جثة من جنس الأرض ، أو من خشب ، أو من حجارة بصورة آدمي ، بخلاف الوثن . ومنهم من لم يفرق بينهما .

(٧) عبدها قوم من المجوس .

(٨) القرامطة : هم الإسماعيلية المبتنون لإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، ورأسهم حمدان ابن قرمط من قرية من قرى واسط ؛ وكان ظهوره في سنة سبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة .

(٩) أصحاب الحلول : من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة ، يقولون : الله حل في بعض الأجسام ، وهو أمر لا يعقل .

وأصحاب التناسخ : هم القائلون بأن الأرواح إذا فارقت الأبدان تحل في غيرها .

(١٠) والباطنية : قوم من الملاحدة ذهبوا إلى أن القرآن له ظاهر وباطن ، وهو المراد منه ، وأن للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس .

من الرافضة والجناحية والبيانية والفرايبية^(١) .

وكذلك من اعترف بالإلهية الله ووجدانيته ، ولكنه اعتقد أنه غير حيٍّ أو غير قديم ، وأنه مُحدثٌ أو مصوّر^(٢) ، أو ادّعى له ولداً أو صاحبة^(٣) أو والداً^(٤) ، أو أنه متولدٌ من شيء ، أو كائنٌ عنه^(٥) ، أو أن معه في الأزل^(٦) شيئاً قديماً غيره ؛ أو أن تمّ صانِعاً للعالمِ سِواه ، أو مُدبّرّاً غيره ؛ فذلك كله كفرٌ بإجماع المسلمين ؛ كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين^(٧) . وكذلك من ادّعى مجالسة الله ، والعروج إليه ، ومكالمته ، أو حلوله في أحد الأشخاص ؛ كقول بعض المتصوفة والباطنية ، والنصارى ، والقرامطة .

وكذلك نَظَعُ على كفرٍ من قال بِقِدَمِ العالم ، أو بقاءه ، أو شكَّ في ذلك^(٨) على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية^(٩) ، أو قال بتناسخ الأزواج وانتقالها أبد

= والطيارة : قوم من الفلاة نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين . لقب بذلك لأنه لما أخذ الراية بمؤتة قطعت يده واستشهد ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أبدله بها جناحين يطير بها في الجنة .

(١) البيانية : نسبة لبيان بن سمان الجني ، يقولون : روح الله حلت في علي كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد ابن الحنفية ، ثم في ابنه هاشم ، ثم في بيان .

والفرايبية : قوم يقولون : إن جبريل عليه السلام نزل بالرسالة من عند الله لعلی ، فأعطاهما ل محمد غلطاً منه لأنه يشبهه ، كما يشبه التراب التراب . (٢) مصور : جسم ذو صورة .

(٣) صاحبة : زوجة . (٤) قال الحفاجي : هذا لم يقله بشر .

(٥) قال الحفاجي : هذه المقالة لا يعرف لها قائل . (٦) الأزل : القدم ، وأنه لم يزل .

(٧) للنجمون : الباحثون عن النجوم وأحكامها القائلون بأنها مؤثرة في السكون .

والطبايعيون : القائلون بأن الطبيعة هي للؤثرة في الإيجاد والتدمير .

(٨) في ذلك البقاء والقدم .

(٩) الدهرية : الذين أسندوا الحوادث كلها لدهر ، وقالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ؛

وهم كفرة لإنكارهم الحشر والنشر والآخرة .

الآباد في الأشخاص، وتمذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكاتها^(١) وخُبتِها . وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ، ولكنه جحد النبوة من أصلها عموماً ، أو نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، أو أحد من الأنبياء الذين نصَّ الله عليهم بعد علمه بذلك؛ فهو كافر بلا ريب ؛ كالبراهمة^(٢) ، ومُعظم اليهود والأروسيّة^(٣) من النصراني ، والغُرّابية من الرّوافض الزّاعمين أنّ عليّاً كان للبعوث إليه جبريل ، وكالمعطلة^(٤) والقرامطة والإسماعيلية والعنبريّة^(٥) من الرافضة، وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم .

وكذلك من دأب بالوحدانية وصحة النبوة ، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أنوّا به ، ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع ؛ كالفلسفين ، وبعض الباطنية ، والروافض ، وغلاة المتصوّفة ، وأصحاب الإباحة^(٦) ؛ فإن هؤلاء زعموا أنّ ظواهر^(٧) الشرع ، وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة

(١) زكاتها : طيبها وطهارتها . وفي ١ : تنعيمها .

(٢) البراهمة : قوم من الكفرة ذهبوا إلى إبطال وجود النبوات عقلاً لعدم عقلهم ؛ قالوا : لأن ما يجيء به النبي إما أن يقبله العقل أو لا ؛ والأول النقل يدل عليه ، فما الحاجة لغيره ؛ والثاني مردود باطل ، وهو المدعى .

والبراهمة نسبة إلى رجل يقال له برهام ، وهو مؤسس فسادهم ومذهبهم .

(٣) الأروسية : قيل إنهم منسوبون لرجل اسمه أريس أو أروس ، ومعناه ملك أو عشار أو صاحب الزراعة . وهو صاحب مذهب في النصرانية . وقال القاري (٢ - ٥١٥) : والأروسية بضمين ، أو بفتح أوله . وفي آخره ياء النسبة .

(٤) المعطلة : الذين جحدوا الألوهية والرسالة والأحكام .

(٥) العنبرية : هم أتباع عبد الله بن الحسن العنبري .

(٦) أصحاب الإباحة : الذين ذهبوا لإباحة المحرمات ، وأن من كمل نفسه وصل لمرتبة

لا تضره المعاصي . (٧) ظواهر الشرع : المراد ما يدل عليه نصوصه فيما يتعلق بالمعاد وغيره .

والخسر والقيامة ، والجنة والنار ، ليس منها شئ على مقتضى لفظها^(١) ومفهوم خطابها^(٢) ؛ وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم^(٣) ؛ إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم^(٤) ؛ فضمن مآلاتهم بإبطال الشرائع^(٥) ، وتعطيل الأوامر والنواهي ، وتكذيب الرسل ، والارتياح فيما أتوا به .

وكذلك من أضاف^(٦) إلى نبيّنا صلى الله عليه وسلم تعمّد الكذب فيما بلغه وأخبر به ، أو شك في صدقه ، أو سبه ، أو قال : إنه لم يبلغ ؛ أو استخف^(٧) به ، أو بأحد من الأنبياء ، أو أزرى عليهم^(٨) ، أو آذاهم ، أو قتل نبيًا ، أو حاربه ، فهو كافر بإجماع .

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرًا^(٩) أو نبيًا من القرادة والخفازير والدواب والدود . ويحتج بقوله تعالى^(١٠) : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ . إذ ذلك يؤدّي إلى أن يوصف أنبياء هذه

(١) على مقتضى لفظها : على ظاهر لفظها الذي بلغه الرسل عليهم السلام لأنهم .

(٢) مفهوم خطابها : ما يدل عليه معناها المتبادر منها .

(٣) على جهة المصلحة لهم ؛ أي ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم بما يكمل أنفسهم البشرية .

(٤) كقصور أفهامهم ؛ أي لم يستطع هؤلاء الرسل التصريح بكشف حقيقة الحال لهم لقصور أفهام الخلق عن إدراك حقيقة ما يريدونه .

قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٣٩) : وهذا الذي ادعاه هؤلاء الفلاسفة باطل .

(٥) مضمن مقالاتهم ؛ أي التي زعموا أنهم لم يريدوا بها ظاهره الدال عليه صراحة . بإبطال الشرائع ؛ لأن ظاهرها غير مراد لهم .

(٦) أضاف : نسب . (٧) استخف به : استهزأ .

(٨) الإزراء : الاحتقار ؛ أي ذكر ما فيه تحقير وإهانة لهم .

(٩) نذيرا : رسلا أرسلت إليهم من نوعهم للإنذارهم . (١٠) سورة فاطر ، آية ٢٤

خلا : مضى . نذير : رسول . والأمة : الجماعة . حملها على العموم لسائر الحيوانات .

الأجناس بصفاتهم المذمومة . وفيه من الإزراء على هذا المنصب [٢٧٢] للنيف ما فيه ^(١) ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب ^(٢) قائله .
وكذلك فكفّر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ^(٣) ، ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن قال : كان أسود ، أو مات قبل أن يلتجى ^(٤) ، وليس الذى كان بمكة والحجاز ، أو ليس بهرشي ؛ لأنّ وصفه بغير صفاته المعلومة تنفى له وتكذيب به .

وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده ، كالعيسوية من اليهود ^(٥) القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب ^(٦) ، وكأخريّة ^(٧) القائلين بتواتر الرسل ، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة على في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده ؛ وكذلك كل إمام ^(٨) عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة ؛ وكالبزيمية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء . أو من ^(٩)

(١) والنصب : اللقام . النيف : العالى الشريف ، وهو مقام النبوة .

(٢) فإن كل أحد يعلم أنه لا فائدة في تكليف غير العقلاء .

(٣) الأصول الصحيحة : الألوهية والوحدانية .

(٤) قبل أن يلتجى : قبل أن تنبت لحيته .

(٥) العيسوية : طائفة من اليهود نسبوا لعيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصهباني اليهودي ،

وكان في زمن بنى مروان ، وادعى النبوة في مروان الحمار ، وتبعه كثير من اليهود ، وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٦) فهو مع تجويز نبوة نبي بعده منكر لمعوم رسالته .

(٧) هذا في ١ . وفي ب : الحرمية — بكسر الحاء المهملة ، وسكون الراء . وفي شرح القارى

(٢ - ٥١٩) : الحرمية بضم الحاء للمعجمة وتشديد الراء المفتوحة لأنهم تبعوا بابك الخرمى

فنسبوا إليه . وفي نسخة : بجيم مفتوحة فراء ساكنة . قال التلساني : ويجوز كسر الحاء

المهملة وسكون الراء ، لقولهم : ما حرم حلال ؛ لأنهم أباحوا المحرمات .

(٨) كل إمام : كل خليفة . (٩) في ١ : ومن .

ادّعى النبوة لنفسه ، أو جَوَزَ اِكتسابها والبلوغَ بصَفَاءِ القلبِ إلى مَرْتَبَتِهَا ؛
كالفلاسفة وعلّة المتصوّفة .

وكذلك من ادّعى منهم أنه بُوحى إليه وإن لم يدّعِ النبوة ، أو أنه يصعدُ
إلى السماء ويدخل إلى الجنة ، ويأكلُ من ثمارها ، ويعانقُ الحورَ العين ؛ فهؤلاء
كلّهم كفّارٌ مكذّبون للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خاتمُ النبيين ، لا نبيَّ بعده . وأخبر^(١) عن الله تعالى أنه خاتمُ النبيين^(٢) ، وأنه
أرسل كافةً للناس^(٣) .

وأجمعت الأمة على حَمَلِ هذا الكلام على ظاهره^(٤) ، وأن مفهومه المراد منه
دونَ تأويل ولا تخصيص ؛ فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلّها قطعاً
إجماعاً وسمّاً .

وكذلك وقع الإجماعُ على تكفير كلِّ مَنْ دافعَ نصَّ الكتاب^(٥) ، أو خصَّ
حديثاً مجمّماً على نقله مقطوعاً به ، مجمّماً على حمله على ظاهره ؛ كتكفير الخوارج
بإبطال الرّجيم^(٦) ؛ ولهذا نكفّر مَنْ دانَ بغيرِ مِلَّةِ المسلمين من الملل ، أو وقف^(٧)
فيهم ، أو شكَّ ، أو صحّح مذهبهم ، وإن أظهرَ مع ذلك الإسلام ، واعتقده ،
واعتقد إبطال كلِّ مذهبٍ سواه ؛ فهو كافراً بإظهاره ما أظهر من خلاف^(٨) ذلك .

(١) وأخبر ؛ أى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في قوله تعالى : ولكن رسول الله وخاتم النبيين .

(٣) في قوله تعالى : وما أرسلناك إلا كافة للناس ؛ أى رسالة عامة محيطّة بهم تكف عن أن

يخرج منها أحد . (٤) على ظاهره ، من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة .

(٥) دافع نص الكتاب ، أى منع ونازع فيما جاء صريحاً في القرآن .

(٦) بإبطال الرّجيم للزاني والزانية المحصنين ، فإنه يجمع عليه ، وصار معلوماً من الدين

بالضرورة . (٧) وقف فيهم : توقف وتردد .

(٨) من خلاف ذلك ، أى ما يخالف الإسلام ، لأنه طعن في الدين وتكذيب .

وكذلك نَقَطْعُ بتكفير كلِّ قائلٍ قال قولاً يُتَوَصَّلُ به إلى تَضْلِيلِ الأَمةِ وتكفير جميع الصحابةِ ؛ كقول الكُمَيْلِيَّةِ من الرافضة بتكفير جميع الأَمةِ بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم تُقَدِّمَ علياً^(١) . وكفرت عليّاً ، إذ لم يتقدَّمْ ويطلب حقَّه في التقديم ؛ فهو لاء قد كفروا من وجوه ؛ لأنهم أبطلوا الشريعةَ بأسرها ؛ إذ قد انقطع نقلُها ونقلُ القرآن ؛ إذ نَاقِلُوهُ كَفَرَةُ على زعمهم ؛ وإلى هذا - والله أعلم - أشار مالكٌ في أَحَدِ قَوْلَيْهِ بِقَتْلِ مَنْ كَفَرَ الصحابةَ .

ثم كفروا مِنْ وَجْهِ آخَرٍ بِسَبِّهِمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على مُتَقَضَى قولهم وزعمهم أَنه عَهْدٌ إِلَى عَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يَعْلَمُ أَنه يَكْفُرُ بعده^(٢) على قولهم ، لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وصلى الله على رسوله وآله .

وكذلك نُكْفَرُ بكلِّ فِعْلٍ أُنْجِمَ المسلمون أَنه لا يَصْدُرُ مِنْ كَافِرٍ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُصَرِّحاً بِالْإِسْلَامِ مع فِعْلِهِ ذَلِكَ الْفِعْلُ ؛ كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ ، وَالشُّنْثِ وَالْقَمَرِ ، وَالصَّلِيبِ وَالنَّارِ ، وَالسَّعْيِ إِلَى الْكُنَاسِ وَالْبَيْعِ^(٣) مع أَهْلِهَا بِزِيَّتِهِمْ^(٤) :

(١) إذ لم تقدم ، أى الأمة .

(٢) يكفر بعده - في زعمهم ؛ لترك حقه .

(٣) البيع : جمع بيعة ؛ قال الخفافى : والكيسة والبيعة يقالان لمعبد اليهود والنصارى . وقيل الأول لليهود والثاني للنصارى . وقيل الأول عام والثاني مخصوص بالنصارى ، وهو المشهور .

(٤) قال في نعيم الرياض (٤ - ٥٤٨) :

المراد أَنه يذهب معهم في وقت ذهابهم للعبادة فيها كما يسمى المسلمون للصلاة في المساجد إذا نودى للصلاة على هيئة تدل على موافقته لهم . وإلا فمجرد الذهاب للكنيسة والدخول فيها ليس بكفر ، وإنما هو مكروه إن كان لغرض صحيح . وقيل : لا يجوز إذا كان ثمة صور ونحوها مما لا يقرون على إظهاره .

من شدِّ الزنا نير^(١) ، وفحص^(٢) الروس ؛ فقد أجمع المسلمون أن هذا [الفعل]^(٣) لا يوجد [٢٧٣] إلا من كافر ، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلمها بالإسلام .

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحلَّ القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرَّم الله بعد علمه بتحريمه ؛ كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة .

وكذلك نقطعُ بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد^(٤) الشرع ، وما عرِفَ يقينا بالنقل المتواتر^(٥) من فعل الرسول ، ووقع الإجماع للتصلي عليه ؛ كن أنكر وجوب الخُمس الصلوات أو عدد ركعاتها وسجدها ؛ ويقول : إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة^(٦) ؛ وكونها خمسا ، وعلى

(١) الزنا نير : جمع زنار ، أو زنارة ، وهو حزام للنصارى يشدونّه في أوساطهم .
قال في نسيم الرياض (٤ - ٥٤٨) : حيث لبس زى الكفار سواء داخل دار الحرب أولا بنية الرضا بدينهم أو الليل إليه ، أو تهاونا بالإسلام كفر ، وإلا فلا .
قال الخفاجي :

واعترض على ما ذكر في مسألة زى الكفار بما نقل عن الشافعي رضى الله عنه : إنه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم برده ، وإن لبس زى الكفار في دار الإسلام حكم برده .

وأجيب بحمل هذا الإطلاق على التفصيل المذكور .

(٢) فحص روسهم : حلق أوساطها ، وهو من شعائرهم المعروفة .

(٣) ليس في ١ .

(٤) المراد بالتواعد ما بنى عليه الإسلام ؛ كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ،

والحج .

(٥) النقل المتواتر : الذي يمتنع كذب قائله .

(٦) على الجملة ؛ أى إجمالا ، من غير بيان عدد .

هذه الصفات والشروط لا أعلمه ؛ إذ لم يرد فيه في القرآن نصٌ جليٌّ ، والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبرٌ واحدٌ ^(١) .

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير مَنْ قال من الخوارج : إن الصلاة طَرَفُ النهار ^(٢) ؛ وعلى تكفير الباطنية في قولهم : إن الفرائض أسماء رجالٍ أمروا بولايتهم ^(٣) ، والخبائث والمحارم أسماء رجالٍ أمروا بالبراءة منهم ^(٤) .

وقولُ بعض المتصوفة : إن العبادة وطولُ المجاهدة ^(٥) إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها ^(٦) وإباحة كل شيء لهم ، ورفع عهد الشرائع عنهم ^(٧) . وكذلك إن أنكر مُنكرُ مكة ، أو البيت ، أو المسجد الحرام ، أو صفة الحج ، أو قال : الحج واجبٌ ^(٨) في القرآن ، واستقبال القبلة كذلك ؛ ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة ، وأن تلك البُقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام ، لا أدري هي تلك أو غيرها ؛ ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهوا ،

(١) هو متواتر معنى ؛ وقد وجب علينا العمل به إجماعاً ؛ لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » .

(٢) المراد بطرفي النهار أوله وآخره .

(٣) بولايتهم : بنصرهم واتباعهم .

(٤) بالبراءة منهم : بالتبري منهم والبعد بعداوتهم ومخالفتهم .

(٥) المجاهدة : مخالفة النفس وملازمة الطاعة .

(٦) إسقاطها : إسقاط الفرائض .

(٧) عهد الشرائع عنهم : ماعهده الله من التكليف .

(٨) الحج واجب في القرآن بقوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

واستقبال القبلة جاء في القرآن في قوله تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

فهذا ومثله لا مزية في تكفيره^(١) إن كان ممن يُظنُّ به عِلْمُ ذلك ؛ وممن يخالط المسلمين^(٢) ، [وامتدت صحبته لهم ، إلا أن يكونَ حديثَ عهدٍ بإسلام^(٣) ؛ فيقالُ له : سبيلك^(٤) أن تسألَ عن هذا الذى لم تعلّمه بعدُ كافة المسلمين^(٥) ، فلا تجد بينهم خلافاً ، كافةً عن كافةٍ ، إلى معاصرى الرسولِ صلى الله عليه وسلم - أن هذه الأمورَ كما قيل لك ، وأن تلكَ البقعةَ هى مكةُ والبيتُ الذى فيها هو الكعبةُ ، والقبلةُ التى صلى لها الرسولُ صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وحجّوا إليها ، وطافوا بها ؛ وأن تلكَ الأفعالَ هى صفةُ عبادةِ الحجِّ ، والمرادُ به ، وهى التى فعلها النبيُّ صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وأن صفاتِ الصلاةِ المذكورةَ هى التى فعلها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وشرحَ مُرادَ اللهِ بذلك ، وأبانَ حدودَها ؛ فيقع^(٦) لك العِلْمُ كما وقعَ لهم ، ولا ترتبُ بذلك^(٧) بعدُ ، والمُرتابُ فى ذلك ، أو المنكِرُ بمدِّ البحثِ وصُحبةِ المسلمين كافرٌ باتِّفاقٍ ، لا يُعذَرُ بقوله : لا أدرى ، ولا يُصدّق^(٨) فيه ، بل ظاهرُهُ التسترُ عن التكذيبِ ، إذ لا يمكنُ أنه لا يدْرِى^(٩) .

(١) لا مزية : لاشك في تكفيره ؛ لإنكاره ما علم من الدين بالضرورة ، وتكذيبه لله ورسوله .

(٢) يخالط المسلمين في دار الإسلام .

(٣) حديث عهد بإسلام ؛ أى قريب عهد بأن أسلم بعد كفره في غير دار الإسلام ، فهو معذور لجهله بما ذكر .

(٤) سبيلك : طريقك الذى يجب عليك سلوكه .

(٥) ما بين القوسين في ب وحدها .

(٦) فيقع لك بسؤالك عما لم تعلمه العلم بما ذكر وصفته .

(٧) في ب : ولا ترتب في ذلك .

(٨) لا يصدق فيه ؛ أى في قوله : لا أدرى .

(٩) أنه لا يدري ذلك مع توانره وثبوت صفاته .

وأيضا فإنه إذا جَوَزَ على جميع الأمة الوهمَ والفَلَطَ فيما نقلوه من ذلك، وأنجموا أنه قولُ الرسولِ وفِعْلُهُ وَتَفْسِيرُ مُرَادِ اللَّهِ بِهِ—أدخل الاستِرابَةَ^(١) في جميع الشريعة؛ إذ هم الناقلون لها وللقرآن، وَاَحْمَلَتْ عُرَا الدِّينِ كَرَّةً^(٢)، وَمَنْ قَالَ هَذَا كَافِرٌ .
وكذلك مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ، أَوْ حَرَّفَا مِنْهُ، أَوْ غَيَّرَ شَيْئًا مِنْهُ، أَوْ زَادَ فِيهِ، كَفَعَلَ الْبَاطِنِيَّةَ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةَ^(٣)، أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢٧٤]، أَوْ لَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ وَلَا مُعْجِزَةٌ؛ كَقَوْلِ هِشَامِ الذُّوَلِيِّ، وَمَعْمَرِ الضَّمَرِيِّ^(٤) : إِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حُجَّةٌ فِيهِ لِرَسُولِهِ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَلَا حُكْمٍ؛ وَلَا مُحَالَةٍ فِي كُفْرِهِمَا بِذَلِكَ الْقَوْلِ .

وكذلك تكفيرهما بإِنْكَارِهما أَنَّ يَكُونُ فِي سَائِرِ مَعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةٌ لَهُ، أَوْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى اللَّهِ^(٥)، لِحَالْفَتِهِمُ الْإِجْمَاعَ وَالنَّقْلَ الْمُتَوَاتِرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاحْتِجَاجِهِ بِهَذَا كُلَّهُ وَتَصْرِيحِ الْقُرْآنِ^(٦) بِهِ .

(١) الاستِرابَةُ : الشك .

(٢) كَرَّةٌ : دفعة واحدة ، وجلة .

(٣) قال في نسيم الرياض : هم فرقة واحدة ، سموا تارة باطنية لزعمهم أن للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة ، وباطنا بخلافه فهو رحمة .

وسموا إسماعيلية لانتسابهم لإسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر ؛ وقالوا : هو الإمام المصوم للنصوص على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) هو هشام بن عمرو الفوطي من القدرية . ومعمر الضمري — منسوب لضمرة : قبيلة . وهذا في ١ ، ب . وفي شرح الحفاجي والقاري : الضمري ، منسوب إلى صيمر موضع أو بلدة ، وهو من للمنزلة . وقال الحفاجي (٤ - ٥٥٤) : وفي نسخة : الضمري .

(٥) دليل على الله ؛ لدلالة مصنوعاته — سبحانه وتعالى — عليه من غير شك .

(٦) وتصريح القرآن به ، كقوله تعالى : فأتوا بسورة مثله .

وكذلك مَنْ أنكر شيئاً مما نصَّ فيه القرآن - بعد عِلْمِهِ - أنه من القرآن الذى فى أيدي الناس ومصاحف المسلمين ، ولم يكن جاهلاً به ، ولا قريبَ عَهْدٍ بالإسلام ؛ واحتجَّ لإنكاره بما بآنه لم يصحَّ النقلُ عنده ، ولا بلغه العلمُ به ؛ أو لتجويزه الوهم على ناقله^(١) ؛ فنكفَّره بالطريقين المتقدمين^(٢) ؛ لأنه مكذَّبٌ [للقرآن ، مُكذَّبٌ]^(٣) للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ لكنه تَسَتَّرَ بدَعَوَاه .

وكذلك مَنْ أنكر الجنة أو النار ، أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بإجماع للنصِّ عليه^(٤) ، وإجماع الامة على صحة نقله متواتراً ؛ وكذلك من اعترف بذلك ، ولكنه قال : إن المراد بالجنة والنار ، والحشر والنشر^(٥) ، والثواب والعقاب - معنى غير ظاهره ، وإنها لذاتٌ رُوحانية^(٦) ، ومَعَانٍ باطنيةٌ ؛ كقول النصراني والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة ، وزعمهم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض^(٧) ، وانتقاض هيئة الأفلاك ، وتحليل العالم^(٨) ؛ كقول بعض الفلاسفة .

(١) الوهم : الخطأ . وفى ١ : أو لتجويزه الوهم عن ناقله .

(٢) بالطريقين المتقدمين ؛ أى مخالفة الإجماع والنقل الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم .

(٣) ما بين القوسين ساقط فى ١ .

(٤) نص عليه فى قوله تعالى : وتنفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . وقوله

تعالى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً . ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً . وقوله تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . وقوله تعالى : يوم يقوم الحساب .

(٥) والنشر ؛ أى خروجهم من القبور منتشرين .

(٦) روحانية : المراد أنها أمر يتعلق بالروح من اللذة والألم .

(٧) فناء محض : فناء وعدم خالص .

(٨) انتقاض : تنيير . تحليل العالم : إبانة بمضه من بعض .

وكذلك نَقَطَعَ بِتَكْفِيرِ غُلَاةِ الرافضة في قولهم : إِنَّ الْأَئِمَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ^(١) .
فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ مَا عُرِفَ بِالتَّوَاتُرِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي لَا تَرْجِعُ ^(٢) ،
إِلَى إِبْطَالِ شَرِيعَةٍ ، وَلَا تُنْفِضِي ^(٣) إِلَى إِنْكَارِ قَاعِدَةٍ مِنَ الدِّينِ ؛ كإِنْكَارِ غَزْوَةِ
تَبُوكَ أَوْ مُؤْتَةَ ^(٤) ، أَوْ وَجُودِ أَبِي بَكْرٍ ^(٥) وَعُمَرَ ، أَوْ قَتْلِ عُمَانَ ؛ وَخِلَافَةِ عَلِيٍّ ،
يَمَّا عَلِمَ بِالنَّقْلِ ضَرَرَةً ؛ وَلَيْسَ فِي إِنْكَارِهِ جَعْدُ شَرِيعَةٍ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى تَكْفِيرِهِ
بِمَجْدِ ذَلِكَ ، وَإِنْكَارِهِ وَقَوَعَ الْعِلْمُ لَهُ ؛ لِإِذْ لَيْسَ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنَ الْمِبَاهَةِ ^(٦) ؛
كإِنْكَارِ هِشَامٍ ^(٧) وَعَبَادِ وَقْعَةٍ ^(٨) الْجَمَلِ ، وَمَحَارَبَةِ عَلِيٍّ ^(٩) خَالَفَهُ .
فَأَمَّا إِنْ ضَعُفَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَهْمَةِ النَّاqِلِينَ ، وَوَهْمِ الْمُسْلِمِينَ ^(١٠) أَجْمَعٍ ، فَتُكْفَرُهُ

(١) الْأَئِمَّةَ عِنْدَهُمْ عَلَى وَأَوْلَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ : إِنَّ الْإِمَامَةَ حَقُّهُمْ .

قَالَ الْخَفَاجِيُّ : وَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ كُفْرًا مِنَ النَّصَارَى .

(٢) أَيْ الْبِلَادَ الْبَعِيدَةَ كَخِرَاسَانَ ، لَا يَرْجِعُ إِنْكَارُهَا إِلَى إِبْطَالِ شَرِيعَةٍ مِمَّا شَرَعَهُ اللَّهُ

لِعِبَادِهِ .

(٣) لَا تُنْفِضِي : لَا تُوَصِّلُ .

(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤-٥٥٧) : وَإِنَّمَا لَمْ يَكْفَرْ مِنْكُفْرَهَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَرْتَبُ عَلَى إِنْكَارِهِ

أَمْرٌ دِينِي .

(٥) أَوْ وَجُودَ ؛ أَيْ كَمَا لَا نَكْفُرُ مِنْ أَنْكَرَ وَجُودَ .

(٦) الْمِبَاهَةُ : الْإِفْتِرَاءُ وَالْكَذِبُ ، وَمِثْلُهُ لَا يَمْدُ كُفْرًا .

(٧) هِشَامُ الْفَوْطِيُّ : مِنْ غُلَاةِ الرَّافِضَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ صَفْحَةُ ١٠٧٦ وَعَبَادُ الضَّمَرِيِّ ، أَوِ الصَّيْمَرِيِّ ،

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا صَفْحَةُ ١٠٧٦ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ مَعْمَرٌ .

(٨) وَقْعَةُ الْجَمَلِ : كَانَتْ بِالْبَصْرَةِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، وَكَانَتْ سَنَةً سِتٍّ وَثَلَاثِينَ .

(٩) مَنْ خَالَفَهُ : مِنَ الْخَوَارِجِ .

(١٠) وَوَهْمِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعٍ ؛ أَيْ قَالَ : إِنْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مَخْطُؤُونَ فِي نَقْلِهِمْ .

بذلك لِسَرَيَانِهِ إِلَى إِبْطَالِ الشَّرِيعَةِ^(١) .

فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ الْإِجْمَاعَ الْمَجْرَّدَ الَّذِي لَيْسَ طَرِيقُهُ النُّقْلُ الْمُتَوَاتِرُ عَنِ الشَّارِعِ
فَأَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ فِي هَذَا الْبَابِ قَالُوا بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ خَالَفَ
الْإِجْمَاعَ الصَّحِيحَ الْجَامِعَ لَشُرُوطِ الْإِجْمَاعِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ عَمُومًا .

وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا نَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

وقوله صلى^(٣) الله عليه وسلم : مَنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ قَيْدًا^(٤) شِبْرٌ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ
الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ . وَحَكَّوْا الْإِجْمَاعَ^(٥) عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عَنِ^(٦) الْقَطَاعِ بِتَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ [الَّذِي
يُخْتَصُّ بِنَقْلِهِ الْعُلَمَاءُ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ^(٧) [السَّكَّانَ عَنْ^(٨)

(١) لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تَعْلَمُ بِنَقْلِ السَّلَافِ ؛ فَإِذَا جُوزَ انْتِفَاقُهُمْ عَلَى الْكُذْبِ لَمْ يُوَثَّقْ بِنَقْلِهِمْ فِي
شَيْءٍ أَصْلًا .

وَتَكْفِيرُهُ لِإِنْكَارِ إِجْمَاعِ السَّلَافِ ، وَهُوَ كُفْرٌ .

(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ ، آيَةُ ١١٥

يَشَاقِقِ الرَّسُولَ : يُخَالِفُهُ وَيَمَادِيهِ فَيَكُونُ فِي شِقِّ ، وَالرَّسُولُ فِي شِقِّ آخَرٍ .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَصَحَّحَهُ .

(٤) قَيْدٌ شِبْرٌ : قَدْرُ شِبْرٍ .

(٥) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَحِكَايَةُ لِلصَّنْفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَكْفِيرِ مَنْ جَعَلَ الْإِجْمَاعَ
مَنَافًا لِمَا ذَكَرَهُ بَعْدَهُ مِنَ التَّوَقُّفِ فِيهِ بِقَوْلِهِ : وَذَهَبَ آخَرُونَ .

(٦) فِي ب : طَى . وَالْوُقُوفُ : التَّوَقُّفُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ بِتَكْفِيرِ وَعَدَمِهِ ، أَيْ عَدَمُ الْجُزْمِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ فِي ب وَحَدَّهَا .

(٨) عَنْ نَظَرٍ : كَالْقِيَاسِ الْحَاصِلِ بِاجْتِهَادٍ لَا يَبْدُلُهُ مِنْ مُسْتَنْدٍ .

نظر؛ كتكفير النظام^(١) بإنكاره الإجماع؛ لأنه بقوله هذا مخالف لإجماع السلف على^(٢) احتجاجهم به، خارق للإجماع^(٣).

قال القاضي أبو بكر: القول عندى أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده؛ والإيمان بالله [٢٧٥] هو العلم بوجوده، وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله، فإن عصي بقول أو فعل نص^(٤) الله ورَسُولُهُ، أو أجمع المسلمون، أنه لا يوجد إلا^(٥) من كافر، أو يقوم دليل على^(٦) ذلك، فقد كفر، ليس لأجل قوله أو فعله، لكن لما يقارنه من الكفر؛ فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور: أحدها الجهل بالله تعالى. والثاني أن يأتي فعلاً أو يقول قولاً يخبر الله ورَسُولُهُ، أو يجمع المسلمون، أن ذلك لا يكون إلا من كافر؛ كالسجود للصنم، والمشى^(٧) إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها في أعيادهم؛ أو أن يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى.

قال: فهذان الضربان، وإن لم يكونا جهلاً بالله فهما علم^(٨) أن فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان^(٩)؛ فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية، أو جحدّها

(١) النظام: هو إبراهيم بن سيار، أو ابن شيان، أبو إسحاق، مولى بني الحارث بن قيس ابن ثعلبة، أحد فرسان التكلمين من المعتزلة. كان في دولة المعتصم توفى سنة ٢٢١ هـ.

(٢) في ١: باحتجاجهم.

(٣) خارق للإجماع منهم ومن غيرهم على ذلك.

(٤) نص الله ورَسُولُهُ: ذكره صريحاً في كتاب أو سنة.

(٥) لا يوجد: لا يصدر؛ كإنكار الشرع، أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) على ذلك؛ أى على أنه لا يصدر إلا من كافر.

(٧) المشى: الذهاب. والزنار: ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة.

(٨) علم: علامة وأماره.

(٩) منسلخ من الإيمان بالله تعالى.

مُسْتَبْصِرًا^(١) في ذلك ، كقوله : ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا مُتَكَلِّم ، وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى ؛ فقد نصَّ أئمتنا على الإجماع على كُفْر مَنْ نَفَى عنه تعالى الوصفَ بها ، وأعراه^(٢) عنها .

وعلى هذا جِلَّ قَوْلُ سُحُنُون : مَنْ قَالَ : ليس لله كلامٌ ، فهو كافٍ ، ودو لا يُكْفَرُ المتأولين كما قدمناه .

فأما مَنْ جَهِلَ صِفَةً من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا^(٣) ؛ فكفره بعضهم^(٤) ، وحكى ذلك عن أبي جعفر الطبري^(٥) وغيره ، وقال به أبو الحسن الأشعري^(٦) مرة .

وذهبت طائفةٌ إلى أنَّ هذا^(٧) لا يخرجُه عن اسمِ الإيمان ؛ وإليه رَجَعَ الأشعريُّ ؛

= وفي نسيم الرياض (٤ — ٥٦١) :

الإيمان عند الأشاعرة تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم بحجته ضرورة ، ومما جاء به الإقرار بالله ورسله وكتبه ، فالكفر حينئذ جحد ذلك . وقد جعل الشرع بعض الأمور علامة على ذلك .

وقال ابن الهمام : الإيمان نقل شرعا من معناه اللغوي ، وهو التصديق - إلى مجموع أمور اعتبرت في وضعه شرعا . والتصديق جزء منها ؛ وهو عند الباقلاني ثلاثة ، ثم فصلها كما فصل للصنف ...

(١) جحدها : أنكرها مع العلم بها . مستبصرا في ذلك ؛ أى وهو على بصيرة في ذلك ، دون سهو أو سبق لسان .

(٢) أعراه عنها : جعل ذاته عارية عنها غير متصفة بها .

(٣) ها هنا : أى في تكفيره وعدمه لمذره بجهله .

(٤) كفره بعضهم ، ولم يجعل الجهل عذرا له ، لوجوب النظر عليه .

(٥) صاحب التفسير للمروفي .

(٦) مرة ؛ أى أحد قولين له في المسألة .

(٧) هذا ؛ أى جهله بصفة من صفاته تعالى الذاتية .

قال : لأنه لم يمتد ذلك ^(١) اعتقادا يقطع بصوابه ، ويراه دينا وشرعا ^(٢) وإنما نكفر من اعتقد أن مقالَه حق .

واحتج هؤلاء بحديث السوداء ^(٣) ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد ^(٤) لا غير ؛ وبحديث القائل : إن قدر الله على — وفي رواية فيه : كعلَى أَضِلُّ الله ^(٥) . ثم قال : فقفر الله له .

(١) اعتقادا يقطع بصوابه : اعتقادا يقوم عليه دليل ؛ وإنما قاله لجهله ؛ فهو معذور .

(٢) ويراه دينا وشرعا : يعتقد به برأيه كذلك ؛ وإنما قاله توها وجهلا .

(٣) رواه أبو داود في سننه ؛ وهو أن رجلا ظاهر من زوجته ولزمه عتق رقبة ، فأتى بجارية نوبية ، وقال : يا رسول الله ، أعتق هذه ؟ فقال : لا تجزيك ، إلا أن تكون مؤمنة . فقال : سألها يا رسول الله . فقال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . وقال لها : من أنا ؟ فقالت : رسول الله . فقال له : اعتقها فإنها مؤمنة .

(٤) طلب منها التوحيد ، فاكتمى بإشارتها الدالة على معرفة ذات الله ، ولم يكلفها بشيء من الصفات ، فدل على أن الجهل بالصفات لا ينافي الإيمان لمذرها بالخرس والجهل .

(٥) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

قال في نسيم الرياض (٤ — ٥٦٤) :

وهذا القائل كان نباشا ، وكان أوصى بنيه فقال : أحرقوني ، وانظروا يوما شديدا الربح فذروني فيه ؛ فوالله لئن قدر الله على ، وفي رواية : لعلى أضل الله .

قدر — بتخفيف الدال من القدرة ، وبتشديدها بمعنى ضيق على في الحساب والعقاب . لعلى أضل : هو فعل مضارع ، من ضلنى فلان فلم أقدر عليه ؛ أى لم أجده وخنى على لذهابه عنى . وفي النهاية : لعلى أضل الله ؛ أى أفوته ويخفى عليه مكانى . وقيل معناه : لعلى أغيب عن عذابه .

قال الخفاجي : والحديث عن حذيفة بن اليمان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن رجلا حضره اللوت ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتاحت خفدوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا — شديد الريح — فذروها فى اليم . ففعلوا ، فجمعه الله عز وجل وقال له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : من خشيتك ؛ ثم قال : فقفر الله له عز وجل . =

قالوا : ولو بُوْحثَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنِ الصِّفَاتِ وَكُوشِفُوا عَنْهَا ^(١) لَمَا وُجِدَ مَنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا الْأَقْلَ .

وقد أَجَابَ الْآخَرُ ^(٢) عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِوَجْوهٍ ؛ مِنْهَا أَنَّ قَدَرَ بِمَعْنَى قَدَّرَ ^(٣) ، وَلَا يَكُونُ شَكُّهُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى إِحْيَائِهِ ؛ بَلْ فِي نَفْسِ الْبَعْثِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِشَرِّعٍ ^(٤) ؛ وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَدَ عَنْهُمْ بِهِ شَرِّعٌ يَقْطَعُ عَلَيْهِ ^(٥) ؛ فَيَكُونُ الشَّكُّ بِهِ حِينَئِذٍ فِيهِ كُفْرًا .

فَأَمَّا مَا لَمْ يَرُدَّ بِهِ شَرِّعٌ فَهُوَ مِنْ مَجْوَزَاتِ ^(٦) الْعَقُولِ ؛ أَوْ يَكُونُ قَدَرٌ بِمَعْنَى ضَيِّقٍ ، وَيَكُونُ مَا فَعَلَهُ بِنَفْسِهِ إِزْرَاءً عَلَيْهَا وَغَضَبًا لِعِصْيَانِهَا ^(٧) .
وقيل : قَالَ مَا قَالَهُ وَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ لِكَلَامِهِ وَلَا ضَابِطٍ لَلْفِظِ مِمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ ^(٨) وَالْخَشْيَةِ الَّتِي أَذْهَبَتْ لُبَّهُ ، فَلَمْ يُوَازِجْ بِهِ .

== قَالَ الْخَفَاجِيُّ :

- وهذا إِنَّمَا قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَزَعِ وَشِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَإِلَّا قَالَهُ لَا يَمْنَحِي عَلَيْهِ شَيْءٌ .
- (١) عَنِ الصِّفَاتِ : عَنْ مَعْرِفَتِهِمْ صِفَاتِ اللَّهِ . وَكُوشِفُوا عَنْهَا ؛ أَيُّ طَلَبَ مِنْهُمْ كَشْفَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ بِإِظْهَارِهِ لَهَا وَجَدَ مَنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا الْقَلِيلُ .
 - (٢) الْآخَرُ : الذَّاهِبُ إِلَى تَسْكَفِيرٍ مِنْ نَفْيِ صِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ وَلَوْ جَاهِلًا .
 - (٣) مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ ، لَا مِنَ الْقُدْرَةِ .
 - (٤) لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِشَرِّعٍ بِوَحْيِهِ اللَّهُ لِرَسُولِهِ .
 - (٥) يَقْطَعُ عَلَيْهِ : يَقْتَضِي عِلْمًا يَقِينًا قَطْعِيًّا .
 - (٦) مَجْوَزَاتِ الْعَقُولِ ؛ أَيُّ مَا هُوَ جَائِزٌ عَقْلًا مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ لَهُ مِنْ صَاحِبِ شَرِيعَةٍ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ ؛ بَلْ هُوَ مِمَّا تَجُوزُهُ الْعَقُولُ .
 - (٧) مَا فَعَلَهُ بِنَفْسِهِ ؛ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ بِإِحْرَاقِهِ إِزْرَاءً عَلَيْهَا : تَنْقِيسًا وَتَحْقِيرًا وَإِهَانَةً لَهَا . وَغَضَبًا عَلَى نَفْسِهِ الْعَاصِيَةِ ، لَا شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِعَادَةِ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَجْزَائِهِ ، فَلَا يَحْكُمُ بِكُفْرِهِ لَذَلِكَ .

(٨) اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ : غَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ ، أَيُّ مِنَ اللَّوْثِ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ .

[وقيل : كان هذا في زَمَنِ الْفَتْرَةِ^(١) ، وحيث يَنْفَعُ مُجَرَّدُ التَّوْحِيدِ^(٢)] .
 وقيل : بل هذا من حِجَازِ كَلَامِ^(٣) الْعَرَبِ الَّذِي صَوَّرَهُ الشُّكُّ ، ومعناه
 التحقيق ؛ وهو يَسْمَى تِجَاهُلَ الْعَارِفِ ؛ وله أَمْثَلَةٌ في كلامهم ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى^(٤) :
 ﴿ لَعَلَّهُ يَنْذَرُكَ أَوْ يَخْشَى ﴾ . وقوله^(٥) : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

فَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ الْوَصْفَ وَنَقَى الصِّفَةَ^(٦) فقال : أَقُولُ عَالِمٌ وَلَسَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ ،
 وَمَتَكَلِّمٌ وَلَسَكِنْ لَا كَلَامَ^(٧) لَهُ . وهكذا في سائر الصفاتِ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ [٢٧٦] ؛
 فَنَ قَالَ بِالْمَالِ^(٨) لِمَا يُوَدِّعُهُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ ، وَيَسْوَغُهُ إِلَيْهِ مَذْهَبُهُ - كَفَرَهُ^(٩) ؛ لِأَنَّهُ
 إِذَا نَقَى الْعِلْمَ انْتَقَى وَصْفُ عَالِمٍ ؛ إِذْ لَا يُوصَفُ بِعَالِمٍ إِلَّا مَنْ لَهُ عِلْمٌ ؛ فَكَانَهُمْ
 صَرَّحُوا عِنْدَهُ^(١٠) بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ .

-
- (١) زمن الفترة : زمن انقطاع الوحي ، وطول الزمان الذي اندرست فيه الشرائع .
 (٢) مجرد التوحيد : معرفة ذات الله دون غيرها من أمور الشرائع ، فإنهم معذرون
 بجهلهم ، وما بين القوسين في ب وحدها .
 (٣) من حجاز كلام العرب : المراد أنه من طرقهم في الكلام التي يتوسمون فيها .
 (٤) سورة طه ، آية ٤٤
 (٥) سورة سبأ ، آية ٢٤
 (٦) الوصف ؛ أى وصف الله بصفاته الذاتية ، ونقى الصفة القائمة بذاته ؛ وهم المعتزلة وبعض
 الفلاسفة القائلين بأن صفاته عين ذاته .
 (٧) أقول إن الله عز وجل عالم بكل شيء ، ولكن لا علم له زائد على ذاته ، كعلم البشر ،
 فعلمه عين ذاته . ومتكلم بكلام ولكن لا كلام له خارج عن ذاته .
 (٨) بالمآل : بما يؤول ويرجع إليه كلام للمعتزلة ، والمراد لازم مذهبهم وكلامهم
 الذي قالوه .
 (٩) كفره : كفر القائل بهذا المقال .
 (١٠) عنده : عند للكفر لهم .

وهكذا عند هذا^(١) سائر فرقِ أهلِ التأويلِ من المُشَبَّهَةِ^(٢) والقَدَرِيَّةِ وغيرهم .
وَمَنْ لَمْ يَرِ^(٣) أَخَذَهُمْ بِمَالِ قَوْلِهِمْ ، وَلَا أَلْزَمَهُمْ مُوجِبَ مَذْهَبِهِمْ ، لَمْ يَرِ
إِكْفَارَهُمْ ؛ قَالَ : لَأَنْهُمْ إِذَا وَقَفُوا عَلَى هَذَا^(٤) قَالُوا : لَا نَقُولُ لَيْسَ بِعَالِمٍ ، وَنَحْنُ
نَنْتَقِي^(٥) مِنَ الْقَوْلِ بِالْمَالِ الَّذِي أَلْزَمْتُمُوهُ لَنَا ، وَنَعْتَقِدُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ أَنَّهُ كُفْرٌ ؛
بَلْ نَقُولُ : إِنْ قَوْلُنَا لَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا أَصْلَنَاهُ^(٦) .

فعلى هذينِ الْمَأْخُذَيْنِ^(٧) اختلفَ الناسُ في إِكْفَارِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ ؛ وَإِذَا فُهِمَتِهِ
اتَّضَحَ لَكَ الْمَوْجِبُ لِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ .

وَالصَّوَابُ تَرْكُ إِكْفَارِهِمْ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْخْتِمِ^(٨) عَلَيْهِمْ بِالْخُسْرَانِ وَإِجْرَاءِ
حُكْمِ الْإِسْلَامِ^(٩) عَلَيْهِمْ فِي قِصَاصِهِمْ وَوَرَاثَتِهِمْ ، وَمُنَا كَحَاتِهِمْ ، وَدِيَاتِهِمْ ،
وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ، وَدَفْنِهِمْ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَائِرِ مُعَامَلَاتِهِمْ ؛ لَسَكْنَتِهِمْ يُغْلَظُ عَلَيْهِمْ

(١) هذا : الكفر .

(٢) المشبهة : المثبتين لله صفات أشبه صفات عباده . وغيرهم ؛ من الفرق الضالة المتدعة .

(٣) أخذهم : مؤخذاتهم . وفي أ : ومن لم يؤخذهم .

(٤) وقفوا - بتخفيف القاف ، في أ ، أى اطلموا على ما لزم مذهبهم . أو وقفوا - بتشديد

القاف ، كما في ب : أى اطلمهم من كفرهم على ما كفرهم به .

(٥) ننتقي : نتبرأ .

(٦) على ما أصلناه : على ما اتخذناه أصلاً وقاعدةً بنينا عليها النفي ؛ فإنه لا محذور فيه ؛

إِذَا الْمَحْذُورُ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ ؛ وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ ، بَلْ نَقُولُ بِعِلْمِ هُوَ عَيْنُ ذَاتِهِ ، وَهَكَذَا

سَائِرُ الصِّفَاتِ . (٧) الْمَأْخُذَيْنِ ؛ مِنَ النَّظَرِ لِمَالِ كَلَامِهِمْ ، وَالنَّظَرِ لِمَا أَصْلَوْهُ مِنْ تَأْوِيلِهِمْ .

(٨) الختم : القطع والجزم .

(٩) حكم الإسلام عليهم في الدنيا .

بوجيع^(١) الأدب ، وشديد الزجر والمهجر^(٢) ، حتى يرجعوا عن بدعتهم .
وهذه كانت سيرة الصّدر الأول فيهم^(٣) ؛ فقد كان نشأ على زمان الصحابة
وبمذم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر^(٤) ورأى الخوارج والاعتزال ،
فما أراحوا لهم قبرا ، ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا ؛ لكنهم هجروهم وأدّبوهم
بالضرب والتنفى والقتل على قدر أحوالهم ؛ لأنهم فسّاق ضلال^(٥) عصاة أصحاب
كبار عند المحققين^(٦) وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير
ذلك . والله الموفق للصواب .

قال القاضي أبو بكر^(٧) : وأما مسائل الوعد والوعيد ، والرؤية والخلق ،
وخلق الأفعال ، وبقاء الأعراض ، والتولد^(٨) وشبهها من الدقائق - فالنعم في إكفار

(١) بوجيع الأدب ؛ من القيد ، والضرب ، والحبس .

(٢) والمهجر ؛ أى ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من أنواع الإهانة .

(٣) فيهم : في معاملتهم والحكم عليهم .

(٤) القدر ؛ وهو رأى المعتزلة .

(٥) ضلال : أهل ضلال وبدعة .

(٦) عند المحققين الذين لا يكفرون أحدا من أهل القبلة .

(٧) هو الباقلاني .

(٨) مسائل الوعد والوعيد ، وأنه لا يجوز تخلفه عند المعتزلة ، لقولهم : إنه يجب على الله

تمذيب الماصى وإثابة الطائع - على ماقرروه في قواعدهم .

والرؤية : إنكار المعتزلة لرؤية الله في الآخرة . والخلق : قول المعتزلة : إن البعد يخلق

أفعاله . وخلق الأفعال ؛ أى قول المعتزلة : إن أفعال العباد مخلوقة لهم . والأعراض : جمع

عرض ؛ وهو مالا يقوم بنفسه كالألوان ، وهذا على مذهب الأشعرى من أن الأعراض لا تبقى ؛

وهو مما ذهب إلى خلافه كثير من أهل السنة . والتولد الذى ذهب إليه المعتزلة والحكماء ،

كتولد العلم من الدليل وحصوله عقبه .

المُتَأَوِّلِينَ فِيهَا أَوْضَحَ^(١) ؛ لِإِذْ لَيْسَ فِي الْجَهْلِ بَشْيْءٌ مِنْهَا جَهْلٌ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا أَجْمَعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِكْفَارِ مَنْ جَهَلَ شَيْئًا مِنْهَا .
وَقَدْ قَدْ مَنْكَ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَصُورَةِ الْخِلَافِ فِي هَذَا مَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى .

فصل

هَذَا حُكْمُ الْمُسْلِمِ السَّابِّ لِلَّهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الذِّمِيُّ^(٢) فَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي ذِمَّتِي تَنَاوَلَ مِنْ حُرْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى^(٣) غَيْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ ، وَحَاجَّ فِيهِ ، فَخَرَجَ ابْنُ عُمَرَ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَطَلَبَهُ فَهَرَبَ .
وَقَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ وَالْمَبْسُوطَةِ^(٤) ، وَابْنُ الْقَاسِمِ فِي الْمَبْسُوطِ^(٥) ، وَكِتَابِ مُحَمَّدٍ وَابْنِ سُحُنُونَ : مَنْ شَتَمَ اللَّهَ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِبَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرُوا^(٦) قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَقْبَلْ .
قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : إِلَّا أَنْ يُسَلِّمَ . قَالَ فِي الْمَبْسُوطَةِ : طَوْعًا .
قَالَ أَصْبَغٌ : لِأَنَّ الْوَجْهَ الَّذِي بِهِ كَفَرُوا هُوَ دِينُهُمْ ، وَعَلَيْهِ عُوْدُهُوا^(٧) مِنْ دَعْوَى الصَّاحِبَةِ وَالشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ .

(١) أَوْضَحَ مِنَ الْقَوْلِ بِإِكْفَارِهِمْ ؛ لِأَنَّهَا لَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا أَمْرٌ دِينِي .

(٢) الذِّمِيُّ : الْكَافِرُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةٌ وَأَمَانٌ .

(٣) تَنَاوَلَ مِنْ حُرْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ أَيْ تَسَلَّمَ فِي حَقِّ اللَّهِ بِمَا لَا يَجُوزُ . وَالْحُرْمَةُ : مَا يَجِبُ إِحْرَامُهُ وَتَرْكُ الْخَوْضِ فِيهِ .

(٤) اسْمُ كِتَابٍ .

(٥) بِبَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ ؛ كَادْعَاءِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ .

(٦) هُوَ دِينُهُمْ : هُوَ عَادَتُهُمْ وَمَعْتَقَدُهُمْ . وَعَلَيْهِ عُوْدُهُوا ؛ أَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْمَهُودُ ، مَعَ اسْتِقْرَارِهِمْ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا مِنَ الْفَرِيَةِ ^(١) وَالشَّتْمِ فَلَمْ يُعَاهَدُوا عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ .
 قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ : وَمَنْ شَتَّمَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ اللَّهُ تَعَالَى
 بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذُكِرَ فِي كِتَابِهِ قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ ^(٢) .
 وَقَالَ الْحَزْزَوِيُّ فِي الْمَبْسُوطَةِ ، وَعُمْدَةُ بَنِ مَسْلَمَةٍ ، وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ : لَا يُقْتَلُ حَتَّى
 يُسْتَتَابَ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ [٢٧٧] .
 وَقَالَ مُطَرِّفٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِثْلَ قَوْلِ مَالِكٍ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ : مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كُفِرَ
 قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ ابْنِ الْجَلَّابِ قَبْلُ ، وَذَكَرْنَا قَوْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَابْنِ لُبَابَةَ ،
 وَشَيْوْخِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ^(٣) فِي النَّصْرَانِيَةِ ^(٤) وَفُتْيَاهُمْ بِقَتْلِهَا لِسَبِّهَا بِالْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَتْ بِهِ ،
 لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّ ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ ^(٥) ، وَهُوَ نَحْوُ الْقَوْلِ الْآخِرِ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ^(٦) بِالْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ ^(٧) بِهِ ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ ^(٨) بَيْنَ
 سَبِّ اللَّهِ وَسَبِّ نَبِيِّهِ ؛ لِأَنَّا عَاهَدْنَاهُمْ عَلَى أَلَّا يُظْهِرُوا لَنَا شَيْئًا مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَأَلَّا

(١) الفرية : الكذب والاختلاق على الله في غير ما كفروا به .

(٢) إلا أن يسلم ؛ فإن الإسلام يجب ما قبله .

قال الحنفاجى : وهذا كله مذهب مالك . ومذهب الشافعى والحنفية فيه ما يخالفه .

(٣) شيوخ الأندلسيين ، من علماء المالكية .

(٤) في النصرانية : في المراءاة النصرانية .

(٥) على ذلك : على قتل من سب بما كفر به .

(٦) منهم : من أهل الذمة .

(٧) بالوجه الذى كفر به : كإنكار نبوته ، فيقتل ، إلا أن يسلم طوعا .

(٨) في ذلك ، أى في قتله بما كفر به .

يسمونا شيئاً من ذلك^(١) ، ففعلوا شيئاً معه فهو نقضٌ لعهدهم .
واختلف العلماء في الذمِّ إذا تزندق^(٢) ، فقال مالك ، ومطرف ، وابن
عبد الحكم ، وأصبغ : لا يُقتل ، لأنه خرج من كفرٍ إلى كفر .
وقال عبد الملك بن الماجشون : يُقتل ، لأنه دين^(٣) لا يُقرُّ عليه أحدٌ ، ولا
تؤخذ عليه جزية .
قال ابن حبيب : وما أعلم من قاله غيره .

فصل

هذا حكمٌ من صرح بسبه^(٤) وإضافة مالا يليق بجلاله وإلهيته ؛ فأما مُفتري^(٥)
الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة^(٦) أو النافي أن يكون الله
خالقه أو ربه ؛ أو قال : ليس ربُّ ، أو المتكلم بما لا يُعقل من ذلك في سُكْرِهِ
أو غَمْرَةٍ^(٧) جنونه فلا خلاف في كفرِ قائل ذلك ومُدَّعيه مع سلامة عقله كما قدمنا ،
لكنه يُقبل توبته على المشهور ، وتنفعه إنابته ، وتنجيه من القتل فيئنته^(٨) ، لكنه
لا يسلم من عظيم النكال^(٩) ، ولا يرفه^(١٠) عن شديد العقاب ؛ ليكون ذلك زجراً
لثله عن قوله ؛ وله عن العودة لكفره أو جهله ، إلا من تكرر منه ذلك ، وعُرف

-
- (١) أى من ذلك الكفر الذى كفروا به بأى طريق كان .
(٢) إذا تزندق لظهور علامات تدل على أنه مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الإسلام ،
فلم يبق على دين أصلاً .
(٣) قال الخفافى : وتسميته ديناً تاسيح ، فإنه لا دين له .
(٤) بسبه عز وجل .
(٥) الافتراء : تعمد الكذب .
(٦) بادعاء الإلهية ، أى إنه إله ، كفرعون . أو الرسالة ؛ كمسيلة الكذاب .
(٧) غمرة جنونه : شدة أذهبت عقله .
(٨) إنابته وفيئنته : رجوعه إلى الله .
(٩) النكال : العقوبة .
(١٠) ولا يرفه : لا يخفف .

استهانتُهُ بما أتى به؛ فهو دليلٌ على سوء طَوْبَتِهِ، وكَذِبِ تَوْبَتِهِ، وصار كالزُّنْدِيقِ^(١) الذى لا نَأْمَنُ بَاطِنَهُ، ولا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ. وَحُكْمُ السَّكْرَانِ فى ذلك حَكْمُ الصَّاحِى^(٢).

وأما المجنونُ والمعتوه^(٣) فما عُلِمَ أنه قاله مِنْ ذلك فى حالِ غَمْرَتِهِ وذَهَابِ مَبِيزِهِ^(٤) بالكلية فلا نَظَرُ^(٥) فيه، وما فعله من ذلك فى حالِ مَبِيزِهِ وإن لم يكنْ معه عقلُه وسقط تكليفه أدبٌ على ذلك لينزَجِرَ عنه، كما يؤدَّبُ على قبائح الأفعال، ويؤالَى أدبُه على ذلك حتى ينكفَّ عنه، كما تؤدَّبُ البهيمة على سوء الخلق حتى تُراض^(٦).

وقد حَرَّقَ على بن أبى طالب رضى الله عنه مَنْ ادَّعى له الإلهية^(٧)، وقد

(١) الزُّنْدِيق : الذى يظهر الإسلام ويخفى الكفر .

(٢) حَكْمُ الصَّاحِى فى مؤاخذته بما صدر منه لتمديه بسكره ، فيغفل عليه .

(٣) المعتوه : من العته ، وهو اختلال فى العقل دون الجنون ، بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ، ويختلط كلامه أحيانا حتى يشبه المجنون ، لكن يقننه بتبنيه غيره له ، وتختل أفعال معاشه .

(٤) غمْرته : أى ذهاب عقله بالكلية . ومبِيزه : تمييزه وإدراكه .

(٥) لا نظره فيه : لا يتعرض له ، ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره ، لأنه غير مكلف ،

فلا يؤاخذ بما يصدر عنه . (٦) تراض : تنقاد وتستقيم أفعالها .

(٧) ادعى الإلهية له : بأن قال له أنت إله ، أى أحرقه بالنار لكفره .

وفى نسيم الرياض (٤ — ٥٧٥) : ثم إن التحريق بالنار لا يجوز ؛ لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : إنه لا يمدب بالنار إلا خالقها .

وكان أمر بتحريق ناس ، ثم نهى عنه ، فهو منسوخ .

فإن كان قتلهم ثم أحرقهم تمثيلا بهم فهو مذهب له ، لأن الصحابة مجتهدون . ومن أحرق رجلا فى القصاص بمثل فعله : عن مالك روايتان .

قال الحفاجى : وأروى عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله ،

فالصحيح المنع منه .

قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَارِثَ^(١) التَّنَجِّيَّ وَصَلَبَهُ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِأَشْبَاهِهِمْ .

وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ وَقَتِهِمْ عَلَى صَوَابِ فِعْلِهِمْ ، وَالْخَالَفُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ كَافِرٌ^(٢) .
وَأَجْمَعَ فَتَهَاءُ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُتَّقِدِرِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَقَاضَى قَضَائَهَا أَبُو عَمْرٍو الْمَالِكِيُّ عَلَى قَتْلِ الْحَلَّاجِ وَصَلَبِهِ ؛ لِذَعْوَاهُ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْقَوْلِ بِالْحُلُولِ^(٣) ؛ وَقَوْلِهِ : أَنَا الْحَقُّ ، مَعَ تَمَسُّكِهِ فِي الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ ، وَلَمْ يَقْبَلُوا تَوْبَتَهُ .

وَكَذَلِكَ حَكَمُوا فِي ابْنِ أَبِي الْفَرَّاقِيدِ^(٤) ، وَكَانَ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِ الْحَلَّاجِ بَعْدَ هَذَا أَيَّامَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَقَاضَى قَضَاءَ بَغْدَادَ يَوْمَئِذٍ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو [٢٧٨] الْمَالِكِيُّ .
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي الْمَبْسُوطِ : مَنْ تَنَبَّأَ^(٥) قُتِلَ .
وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ : مَنْ جَحَدَ^(٦) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالَقُهُ أَوْ رَبُّهُ ؛ أَوْ قَالَ : لَيْسَ لِي رَبٌّ ؛ فَهُوَ مُرْتَدٌّ .

(١) هُوَ الْحَارِثُ بْنُ سَعِيدِ الْكَذَّابِ .

قَالَ الْخَفَّاجِيُّ : وَعَبَدَ الْمَلِكُ لَيْسَ مِمَّنْ يَسْتَدِلُّ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، فَلَمْلَهُ اسْتَأْنَسَ بِهِ ، لِأَنَّهُ فِي عَصْرِ السَّلَفِ ، وَلَمْ يَنْكُرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ .

(٢) مَنْ خَالَفَ مُكْفِرُهُمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ ، فَقَالَ : لَا يَكْفُرُونَ - هَذَا الْخَالَفُ كَافِرٌ ، لِأَنَّهُ رَضِيَ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

(٣) الْحُلُولُ ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ فِي بَعْضِ النَّاسِ ، وَيُظْهَرُ بِصُورَتِهِ .

(٤) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْفَرَّاقِيدِ ، شَاعَ أَمْرُهُ بِبَغْدَادَ وَادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَحْرَقَتْ جَسَدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . وَهَذَا فِي أ ، ب . وَفِي هَامِشِ ب : صَوَابُهُ ابْنُ أَبِي الْمَرَاظِرِ - وَهُوَ مَا فِي شَرْحِ الْقَارِي (٢-٥٣٩) . وَفِي شَرْحِ الْخَفَّاجِيِّ : وَرَوَى : بَزَائِ مَعْجَمَةٍ بِدَلِّ الرِّاءِ وَيَاءٍ مَشْنَأَةٍ ، وَبَدَوْنَهَا . وَقِيلَ إِنَّهُ أَصُوبٌ . وَقَالَ الْبَرْهَانُ : إِنَّهُ قِيلَ إِنَّ صَوَابَهُ ابْنُ أَبِي الْمَرَاقِبِ . وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ ، وَأَنَّهُ جَمَعَ غُرْقَةً ، أَوْ غُرْقَدَ . وَمِنْهُ بَقِيعُ الْغُرْقَدِ . وَالْغُرْقَدُ : شَجَرٌ مَعْرُوفٌ .

(٥) تَنَبَّأَ : ادَّعَى النَّبُوَّةَ .

(٦) جَحَدَ : نَفَى وَأَنْكَرَ .

وقال ابنُ القاسم في كتاب ابنِ حبيب ، ومحمد في العُتبية^(١) فيمن تنبأ
يُسْتَقْتَابُ^(٢) أَسْرَ ذلكَ أو أعلنه ؛ وهو كالمُرْتَدِّ .

وقاله سُخْنُونُ وَغَيْرُهُ ، وقاله أَشْهَبُ في يَهُودِيٍّ تَنَبَّأَ ، وادَّعى أَنه رسولٌ
إِلَيْنَا إِنْ كَانَ مُعْلِنًا بِذَلِكَ اسْتِغْتِيبَ ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ^(٣) .

وقال أبو محمد بن أبي زَيْدٍ فيمن لمن بَارِئُهُ^(٤) ، وادَّعى أَن لِسَانَهُ زَلٌّ^(٥) ؛
وإِنَّمَا أَرَادَ لَعْنُ الشَّيْطَانِ - يُقْتَلُ بِكُفْرِهِ ، وَلَا يُقْبَلُ عُذْرُهُ .

وهذا على القولِ الآخر^(٦) من أَنه لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ .

وقال أبو الحسن الفَاسِي في سَكْرَانٍ ؛ قال : أَنَا اللهُ ، أَنَا اللهُ ، إِنْ تَابَ أَدَبَ ؛
فَإِنْ عَادَ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ طُولِبَ مَطَالِبَةُ الرَّنْدِيقِ ؛ لِأَنَّ هَذَا كُفْرُ الْمُتْلَاعِبِينَ^(٧) .

فصل

وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقَطِ الْقَوْلِ وَسُخْفِ اللَّفْظِ^(٨) مِمَّنْ لَمْ يَضْبِطْ كَلَامَهُ
وَأَهْمَلَ لِسَانَهُ^(٩) بِمَا يَقْتَضِي الاسْتِخْفَافَ بِعِظَةِ رَبِّهِ وَجَلَالَةِ مَوْلَاهُ ؛ أَوْ تَمَثَّلَ فِي بَعْضِ

(١) في ١ : والعُتبية .

(٢) يَسْتَقْتَابُ : تَطْلُبُ تَوْبَتَهُ .

(٣) قَتْلٌ ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ أَمْرًا غَيْرَ مَا كَفَرَ بِهِ .

(٤) بَارِئُهُ : خَالَفَهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ .

(٥) زَلٌّ : أَخْطَأَ ، وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ .

(٦) عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ : مِنْ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ .

(٧) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ — ٥٧٩) : وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ فِيهِ خِلَافٌ

مَبْسُوطٌ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ .

(٨) السَّقْطُ : الْخَطَأُ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا يَمْتَدُّ بِهِ حَتَّى لَيْسَتْ حَقُّ أَنْ يَسْقُطَ وَيَطْرَحَ . وَسُخْفُ

الْلَفْظِ : الْمُرَادُ بِهِ الْإِلْفَاطُ السَّخِيفَةُ الرِّكِيكَةُ الدَّنِيشَةُ .

(٩) أَهْمَلَ لِسَانَهُ : أَطْلَقَهُ فِي الْكَلَامِ ؛ فَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَفَسْكَرٍ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَصْنُ وَلَمْ

يَحْفَظُ لِسَانَهُ .

الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته^(١) ، أو نزع^(٢) من الكلام لخلق بما لا يليق^(٣) إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ، ولا عامد للإلحاد ، فإن تكرّر هذا منه ، وعُرف به ، دلّ على تلاعبه بدينه ، واستخفافه بحُرمة ربه ، وجهله بعظيم عزته وكبريائه . وهذا كفر لا مِرْيَة^(٤) فيه .

وكذلك إن كان ما أوردّه يوجب الاستخفاف والتقصّر لربه .

وقد أفتى ابن حبيب وأصبع بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخى عَجَب^(٥) ، وكان خرج يوما ، فأخذهُ المطر ، فقال : بدأ الخراز يرش جلوده . وكان بعضُ الفقهاء بها^(٦) : أبو زيد صاحبُ الثمانية^(٧) ، وعبدُ الأعلى بن وهب ، وأبان بن عيسى ، قد توقفوا عن سفكِ دمه ، وأشاروا إلى أنه عبثٌ من القولِ يكفى فيه الأدب^(٨) .

وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد ؛ فقال ابن حبيب : دمه في عُنق^(٩) ، أَيْشْتَمُ رَبُّ عَبْدَنَاه ، ثم لا ننتصر له ، إِنَّا إِذَا لَعَبِيدُ سُوءَ ، وما نحن له بعايدين ؛

(١) أى جملة مثله ، كأن يشبه عمدوحا له بجبريل ، أو عدوا له بملك الموت ، ونحوه ؛ بما يدل على سخافة عقله ودينه ؛ أو يقول : قصر الملك كعبة يطوف بها .

(٢) نزع : أخذ وذهب في وصفه .

(٣) فى ١ : بمخلوق . . . ما لا يليق . وما لا يليق كأن يقول : إذا الجلال والإكرام ، نحوه : كعز وجل .

(٤) لامرية فيه : لاشك في كونه كفرا .

(٥) واسمه يحيى بن زكريا ، وقد تجبر وعنا .

(٦) بها : بقرطبة .

(٧) فى شرح القارى : لعلها بلدة أو قرية ، وكان أميرا عليها .

(٨) الأدب ؛ أى التأديب والتعزير دون القتل .

(٩) دمه فى عُنق ؛ أى إِنَّا أَحْكَمُ بقتله وإراقة دمه ؛ فإن كان فيه وزر قتلته ، وعلى وزره وجزاؤه فى الدنيا والآخرة .

وبكى ، ورفع المجلس إلى الأمير بها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيُّ ^(١) .
وكانت عَجَبُ حَمَّةَ هَذَا الْمَطْلُوبِ مِنْ حِظَايَاهُ ^(٢) ، وَأَعْلِمَ بِاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ ،
فَخَرَجَ الْإِذْنَ مِنْ عِنْدِهِ بِالْأَخْذِ بِقَوْلِ ابْنِ حَبِيبٍ وَصَاحِبِهِ ؛ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَتُتِلَ وَصُلِبَ
بِحَضْرَةِ الْفَقِيهَيْنِ ^(٣) ، وَعَزَلَ الْقَاضِي لِنَهْمَتِهِ بِالْمَدَاهِنَةِ ^(٤) فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَوَبَّخَ بَقِيَّةَ
الْفُقَهَاءِ وَسَبَّهَمُ .

وَأَمَّا مَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ الْهِنَةُ الْوَاحِدَةُ وَالْفَلَتَةُ الشَّارِدَةُ ، مَا لَمْ تَكُنْ
تَنْقُصًا وَإِزْرَاءً - فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَيُؤَدَّبُ بِقَدَرٍ مُتَنَاضَاها وَسُنْعَةٍ مَعْنَاهَا ، وَصُورَةٍ حَالِ
قَائِلِهَا ، وَشَرِّحَ سَبَبِيهَا وَمُقَارِنَهَا .

وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رَجُلٍ نَادَى رَجُلًا بِاسْمِهِ ، فَأَجَابَهُ : لَبَّيْكَ ،
اللَّهُمَّ ^(٥) لَبَّيْكَ .

قَالَ : إِنْ كَانَ جَاهِلًا ، أَوْ قَالَ عَلَى وَجْهِ سَفَهٍ ^(٦) فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ ^(٧) : وَشَرَّحُ قَوْلِهِ ^(٨) أَنَّهُ لَا قَتْلَ عَلَيْهِ ، وَالْجَاهِلُ يُزَجَرُ
وَيُعَلَّمُ ، وَالسَّفِيهُ يُؤَدَّبُ ، وَلَوْ قَالُوا عَلَى اعْتِقَادِ إِنْزَالِهِ مَنَزِلَةَ رَبِّهِ لَكُفْرٌ ^(٩) [٢٧٩] .

(١) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ؛ وَكَانَ عَادِلًا نَقِيًّا مُجَاهِدًا ،
تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(٢) مِنْ حِظَايَاهُ : مِنْ زَوَاجَاتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْرَبَ حُلَاثِلِهِ مِنْهُ ،
وَأَسْمَدُهُنَّ بِهِ . (٣) الْفَقِيهَيْنِ : ابْنُ حَبِيبٍ ، وَأَصْبَغُ .

(٤) الْقَاضِي مُوسَى بْنُ زِيَادٍ الْقُدِّي قَالَ يُؤَدَّبُ .

لِنَهْمَتِهِ بِالْمَدَاهِنَةِ ؛ أَيْ السَّامِعَةِ فِي حُدُودِ اللَّهِ ، لِقُرْبِ الرَّجُلِ مِنْ حِظِيَةِ الْأَمِيرِ .

(٥) اللَّهُمَّ : يَا اللَّهُ .

(٦) عَلَى وَجْهِ سَفَهٍ ؛ أَيْ خُفَةٍ وَطَبِيشٍ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ وَفَسْكَرٍ .

(٧) هُوَ الْمُؤَلِّفُ . (٨) يَقْصِدُ قَوْلَهُ : لَا شَيْءَ عَلَيْهِ .

(٩) قَالَ : أَيْ قَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ . . .

هذا مقتضى قوله^(١).

وقد أسرف كثير من سُخفاء الشعراء ومُتهمهم في هذا الباب ، واستخفوا عظيم هذه الحرمة ، فاتوا من ذلك بما نُزّه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ؛ ولولا أننا قصدنا نصّ مسائل حكميناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناها في هذه الفصول .

فأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان ؛ كقول بعض الأعراب :
 رَبِّ الْعِبَادِ مَالَنَا وَمَالَكَا قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَا
 أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لَكَا
 في أشباه لهذا من كلام الجهال^(٢).

وَمَنْ لَمْ يَقْوَمْهُ تَقَافُ تَأْدِيبِ الشَّرِيعَةِ وَالْعِلْمِ^(٣) في هذا الباب^(٤) ؛ فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاط له عن العودة إلى مثله^(٥).

(١) مقتضى قوله ؛ أى قول ابن القاسم في هذه المسألة .
 قال الخفاجي : وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية . وغيرهم خلفهم فيها ، وقال : لا يبعد إلا قريب عهد بإسلام أو جنون .
 (٢) قال في نسيم الرياض : كان قد قاله في سنة مجدبة .
 قال : وهذا الذى قاله الأعرابي على عادتهم في مخاطبتهم من التمجيب ، ولم يقصد ظاهره إن كان مسلما .

وقال : وقد روى أن سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن ، فقال : أشهد أن الله لا أب له ، ولا صاحبة ، ولا والد ، ولا ولد .

(٣) التقاف في الأصل : تقويم الرماح ، والخشب الموعج ، بالنار ونحوه . وفي هامش ب : التقاف : ما يقوم به الرمح الموعج . تأديب الشريعة والعلم ؛ أى تأديبه بتعليمه وإرشاده لما يجب عليه .
 (٤) في هذا الباب ؛ أى باب السخافة والتهاون .

(٥) أى فيعذر بجهله وكونه من أهل البوادي الذين لم يخالطوا المسلمين . فيجب . . .

قال أبو سليمان الخطّابي : وهذا تهوّر^(١) من القول ، والله مُنَزَّهٌ عن هذه الأمور .

وقد رَوَيْنَا عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) أَنَّهُ قَالَ : لِيُعْظَمَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَقُولَ : أَخْزَى اللَّهُ الْكَلْبَ ، وَفَعَلَ بِهِ كَذَا وَكَذَا^(٣) .

قال : وَكَانَ بَعْضُ مَنْ أَدْرَكَنَا مِنْ مُشَائِخِنَا قُلَّ مَا يَذْكُرُ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا فِيمَا يَتَّصِلُ بِطَاعَتِهِ^(٤) . وَكَانَ يَقُولُ لِلْإِنْسَانِ : جُزَيْتَ خَيْرًا . وَقُلْ مَا يَقُولُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ لِإِعْظَامِ اسْمِهِ تَعَالَى أَنْ يُمْتَنَنْ^(٥) فِي غَيْرِ قُرْبَةٍ .

وَحَدَّثَنَا الثَّقَةُ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ^(٦) كَانَ يَعْيِبُ عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ كَثْرَةَ خَوْضِهِمْ فِيهِ تَعَالَى وَفِي ذِكْرِ صِفَاتِهِ ؛ إِجْلَالًا لاسْمِهِ تَعَالَى ، وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ يَتَمَنَّدُونَ^(٧) بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَيَنْزِلُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْبَابِ تَنْزِيلَهُ فِي بَابِ سَابِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي فَصَّلْنَاهَا . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

(١) التهوّر : مجاوزة الحد بالوقوف بغير مبالاة في منكر عظيم .

(٢) هو الزاهد الفقيه المحدث التابعي ، توفى في حدود العشرين ومائة .

(٣) قال الخفاجي : فَإِنْ افْتَرَانِ الْأَسْمَ بِهَذِهِ الْمَحْقَرَاتِ لَا يَلِيقُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِحَسَبِ اللَّعْنِ صَحِيحًا . وَكَذَا اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَقَوْلِ الْعَامَّةِ ذَلِكَ فِي بَيْعِ أُمُورٍ حَقِيرَةٍ ، كَمَا نَبِهَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ .

(٤) قال في نسيم الرياض (٤ — ٥٨٥) : وَلَدَا لَمْ يَضِفُوا لَهُ الشَّرَّ وَالْقُبَاحَ وَخَلَقَ الْمَحْقَرَاتِ تَأْدِيبًا ، وَإِنْ كَانَ خَالِقًا وَفَاعِلًا لِكُلِّ أَمْرٍ .

(٥) يمتن : من المهانة ، وهى الابتذال والحقارة .

(٦) هو الإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي ، وهو إمام عظيم له تأليفات جليلة ، وهو عمدة في مذهبه ، توفى سنة ست وستين وثلاثمائة .

(٧) يتمندلون : من المنديل ، وهو خرقة تسمح بها الأيدي ، يريد الابتذال والامتهان . =

فصل

وَحُكْمُ مَنْ سَبَّ سَائِرَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ ، وَاسْتَخَفَّ ^(١) أَوْ كَذَّبَهُمْ فِيمَا أُتُوا بِهِ ، أَوْ أَنْكَرَهُمْ وَجَعَدَهُمْ ^(٢) ، حُكْمُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَسَاقٍ مَا قَدَمْنَاهُ ^(٣) ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُبَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(٥) : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَقَالَ ^(٦) : ﴿ كُلُّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلُهُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ .

قَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيبٍ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَابْنُ الْمَاجِشُونِ

== قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ — ٥٨٦) :

وَقَدْ يُقَالُ : إِنْ مَرَّاهُ ذَكَرَ مَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُبَاحِثِ الْكَلَامِيَّةِ ؛ وَإِلَّا فَكَيْفَ يَنْكَرُ عِلْمَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَتَفْتَرِقُ أُمَمٌ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ فَهَذِهِ الْفِرَقُ الضَّالَّةُ لَهَا اعْتِقَادَاتٌ بَاطِلَةٌ قَدْ يَظْهَرُونَهَا وَيَذْكُرُونَ لَهَا أُدْلَةً ؛ فَتَقَابَلَتْهُمْ وَإِبْطَالُ أَدْلَتِهِمْ وَاجِبٌ ؛ فَكَيْفَ يَمْنَعُ مِنْهُ مَطْلَقًا ! فَسُكْلَامُ الْمَصْنَفِ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ .

(١) اسْتَخَفَّ بِهِمْ : ذَكَرَ مَا فِيهِ تَحْقِيرٌ وَإِهَانَةٌ لَهُمْ .

(٢) جَعَدَهُمْ : أَنْكَرَ وَجُودَهُمْ عِنَادًا مَعَ عِلْمِهِ بِهِ .

(٣) عَلَى مَسَاقٍ مَا قَدَمْنَاهُ : عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي سَتَنَاهُ وَقَدَمْنَاهُ .

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ ، آيَةُ ١٥٠ ، ١٥١

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٣٦

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٢٨٥

وابن عبد الحكم وأصنغ وسُحْنُونُ فِيمَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُ ^(١) قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَقْبَلْ ^(٢) . وَمَنْ سَبَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وَرَوَى سُحْنُونُ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ : مَنْ سَبَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ ضُرِبَ عَنْقُهُ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي هَذَا الْأَصْلِ .

وَقَالَ الْفَنَاضِيُّ بِقُرْطُوبَةِ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي بَعْضِ أَجَوِبَتِهِ : مَنْ سَبَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ قُتِلَ ^(٣) .

وَقَالَ سُحْنُونُ : مَنْ شَتَمَ مَلَكَاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَعَلِيهِ الْقَتْلُ ^(٤) .

وَفِي النَّوَادِرِ ^(٥) عَنْ مَالِكٍ فِيمَنْ قَالَ : إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ بِالْوَحْيِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ اسْتِثْنَاءً ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ ^(٦) .

وَنَحْوُهُ عَنْ سُحْنُونِ [٢٨٠] . وَهَذَا قَوْلُ الْغَرَابِيَةِ مِنَ الرُّوَافِضِ ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ بَعْلَى مِنَ الْغَرَابِ بِالْغَرَابِ .

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى أَصْلِهِمْ ^(٧) : مَنْ كَذَّبَ بِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، أَوْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْهُمْ ، أَوْ بَرَى مِنْهُ فَهُوَ مُرْتَدٌّ .

(١) تنقصه : نسب إلى أحد منهم النقص بما لا يليق به .

(٢) ولم يستقب ؛ وإن تاب لم تنفعه توبته ، لأن حده القتل .

(٣) قتل ، لجراته على الله وملائكته .

(٤) فعلية القتل ، لأنهم عباد مكرمون بركة مبرءون من النقائص .

(٥) كتاب « النواذر » لابن أبي زيد .

(٦) استتيب : عرضت عليه التوبة عما قاله . قتل : لكذبه على جبريل ونسبته للخطأ ، وهو لا يفعل إلا ما يؤمر به .

(٧) على أصلهم : على قاعدة مذهبهم .

وقال أبو الحسن النّابيّ في الذي قال لآخر^(١)، كأنه وَجّه مالك^(٢) النّضبان، لو عُرِف أنه قصد ذمّ الملك قُتِل^(٣).

قال القاضي أبو الفضل^(٤) : وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جُملة الملائكة والنبين، أو على مُعَيَّن يَمُنُّ حَقَّقْنَا كونه من الملائكة والنبين مِمَّنْ نَصَّ اللهُ عليه في كتابه، أو حَقَّقْنَا عِلْمَهُ بالخبر المتواتر، والمشتهر^(٥) المتفق عليه بالإجماع القاطع؛ كجبريل وميكائيل، ومالك، وخزنة الجنة، وجهنم، والزبانية^(٦)، وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة، وَمَنْ سُمِّيَ فيه^(٧) من الأنبياء؛ وكعزرائيل، وإسرافيل، ورضوان، والحفظة^(٨)، ومنكر ونكير^(٩) من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما؛ فأما مَنْ لم تَنْبُت الأخبار بتعيينه، ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء؛ كهاروت وماروت في الملائكة،

(١) لآخر ممن يكرهه.

(٢) يريد مالك خازن النار.

(٣) قتل : فإن لم يعلم ذلك لم يقتل لتصوره أن غضبه امتثالا لأمر ربه في معاملة أهل جهنم بذلك، كالسجان المشدد على من في سجنه بأمر الملك.

قال الحفاجي : وهذا مذهب مالك وأبو حنيفة . وأما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم .

(٤) هو المؤلف .

(٥) الخبر المتواتر : الذي لا يقبل الكذب . وللشهور : وهو ما رواه جمع كثير لم يبلّغوا حد التواتر .

(٦) الزبانية : ملائكة العذاب .

(٧) سمى فيه : في القرآن .

(٨) الحفظة : هم الكرام الكاتبون .

(٩) منكر ونكير : للمكان اللذان يأتيان الميت ليسألاه في قبره .

وَالْحِضْر، وَلِقْمَان^(١)، وَذِي الْقَرَنَيْنِ^(٢)، وَمَرْيَم^(٣)، وَآسِيَةَ^(٤)، وَخَالِدِ بْنِ سَيَّانِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَهْلُ الرِّسِّ^(٥)، وَزَرَادُشْتُ^(٦) الَّذِي يَدَّعِي الْمَجُوسُ الْأَوْرَخُونَ نُبُوَّتَهُ، فَلَيْسَ الْحَكْمُ فِي سَابِقِهِمُ وَالْكَافِرِيهِمْ كَالْحَكْمِ فِيهِمْ قَدَمْنَاهُ^(٧) إِذْ لَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الْحُرْمَةُ، وَلَكِنْ يُزَجَرُ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ وَأَذَاهُمْ، وَيُؤَدَّبُ بِقَدْرِ حَالِ الْمَقُولِ فِيهِمْ، لَا سِيَّامَا مَنْ عُرِفَتْ صِدْقِيَّتُهُ^(٨) وَفَضْلُهُ مِنْهُمْ؛ وَإِنْ لَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُ^(٩).

وَأَمَّا لِمَنْكَارِ نُبُوَّتِهِمْ^(١٠) أَوْ كَوْنِ الْآخَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(١١) فَإِنْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَا حَرَجَ لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ عَوَامٍّ

(١) لِقْمَانِ الْحَكِيمِ .

(٢) قَالَ الْخُضَاعِيُّ : وَاخْتَلَفَ فِيهِ هَلْ كَانَ نَبِيًّا أَمْ لَا ؟ وَالْأَكْثَرُ أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ عَلَى

دِينِ إِبْرَاهِيمَ . (٣) مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ .

(٤) آسِيَةُ : امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَوْثِقَةً صَالِحَةً ، وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً عَلَى الصَّحِيحِ .

(٥) هُوَ مِنْ بَنِي عَمَّاسٍ ، وَكَانَ هُوَ وَقَوْمُهُ يَسْكُنُونَ عَدْنَ ، وَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جَاءَتْهُ ابْنَتُهُ وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّهَا ابْنَتُهُ ، فَقَالَ لَهَا : مَرْحَبًا بِابْنَةِ نَبِيِّ ضَيْعِهِ قَوْمِهِ .

وَانْظُرْ فِي تَرْجُمَتِهِ - نَسِيمُ الرِّيَاضِ : ٤ - ٥٩٢ ، وَالْإِصَابَةُ : ٢ - ٣٦٩

(٦) كَانَ زَرَادُشْتُ حَكِيمًا .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٤ - ٥٩٣) : قَالَ نَجْمُ الدِّينِ الطُّوفِيُّ : زَرَادُشْتُ : مُتَّفَقٌ عَلَى عَدَمِ نُبُوَّتِهِ .

وَقَالَ الشَّهْرِسْتَانِيُّ فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ : زَرَادُشْتُ حَكِيمٌ مَجُوسِيٌّ ظَهَرَ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنْ أَذْرِييْجَانَ ، وَهُوَ - كَمَا تَزْعُمُ الصَّائِبَةُ - نَبِيٌّ مَرْسَلٌ .

(٧) فِيهِمْ قَدَمْنَاهُ ؛ مِمَّنْ اتَّفَقَ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ مَلَكٌ .

(٨) صَدِيقِيَّتُهُ : أَيُّ مَنْ عُرِفَ تَصَدِيقُهُ بِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَشِرَائِعِهِ .

(٩) لَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُ ؛ أَيُّ كَوْنِهِ نَبِيًّا بِنَصِّ مَعْلُومٍ ، لَكِنَّهُ عِلْمُ فَضْلِهِ وَصَدِيقِيَّتُهُ فَإِنَّهَا كَافِيَةٌ فِي

لِزُومِ تَوْقِيره . (١٠) فِي ب : نُبُوَّتُهُ .

(١١) الْآخَرُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : كَهَارُوتُ وَمَارُوتُ . مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : الْعَالِمِينَ بِمَا قَالَهُ عُلَمَاءُ

السَّلَفِ الثَّقَاتِ . فَلَا حَرَجَ : لَا إِثْمَ وَلَا تَضْيِيقَ عَلَيْهِ بِمَا يَقُولُهُ تَقْلًا عَنْهُمْ ؛ لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ

الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُؤَلِّفِينَ الْمُعُولِّينَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ لِلذِّكْرِ مِنْ كَوْنِهِمْ أَنْبِيَاءَ أَوْ مَلَائِكَةً .

الناس زُجِرَ عن الخوضِ في مثلِ هذا^(١) ؛ فإن عاد أدبٌ ؛ إذ ليس لهم الكلامُ في مثلِ هذا .

وقد كرهَ السلفُ الكلامَ في مثلِ هذا مما ليس تحته عملٌ^(٢) لأهل العلم ، فكيف للعامة .

فصل

اعلم أن من استخفَ بالقرآن أو المصحف^(٣) أو بشيء منه ، أو سبهمَا ، أو جحدَه^(٤) ، أو حرفا منه أو آيةً ، أو كذبَ به^(٥) أو بشيء منه ، أو كذبَ بشيء مما صرحَ به فيه من حُكْمٍ أو خبرٍ ؛ أو أثبتَ ما نفاه أو نفي ما أثبتَه على علمٍ منه بذلك ، أو شكَّ في شيء من ذلك فهو كافرٌ عند أهل العلم بإجماع ؛ قال الله تعالى^(٦) : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ ﴾ .

(١) عن الخوض في مثل هذا ؛ أى التسكُم والمحادثة به ؛ أى نهى ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتسكُم فيما لا يمينه ، وهو الأمر الذى فيه خلاف من غير علم به ؛ لأنه ليس أهلا له ؛ فقد يقع في ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص منه .

(٢) في مثل هذا : الأمر الذى اختاف فيه . أى ليس تحته ؛ أى فى معناه وما يدل عليه ؛ فكأنه أمر يجب ستره . عمل ، أى من أعمال العبادة والطاعة ؛ فتركه لا يفوت به شيء ، وذكره لا يترتب عليه أمر من الطاعة .

(٣) استخف بالقرآن : تهاون بتعظيمه وتوقيره . أو المصحف : قال الخفاجى : المراد بالمصحف صور ألفاظه المرسومة وما كتب فيه .

(٤) قال الخفاجى : الفرق بين التكذيب والجحد أن الأول مطلق الإنكار ، والثانى الإنكار لما يعلم حقيقته عنادا . (٥) كذب به ؛ أى يجرء منه ملفوظ أو مكتوب .

(٦) سورة فصلت ، آية ٤٢

قال الخفاجى : هذا مثل ضربه الله لئى تعلق الإبطال ، وأنه لا يتوصل إليه ، فلا يجد طعن طاعن إليه سبيلا ؛ لأنه فى غاية الإحكام والرصانة ؛ فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات ؛ فقله : « من بين يديه ولا من خلفه » - كناية عن سائر الجهات .

حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله ، حدثنا أبو علي ، حدثنا ابن عبد البر ، حدثنا ابن عبد المؤمن^(١) ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو^(٢) ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال^(٣) : المراء^(٤) في القرآن كفر^(٥) ؛ تؤول^(٥) بمعنى الشك وبمعنى الجدال^(٦) .

وعن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) : مَنْ جَعَدَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ حَلَّ ضَرْبُ عُنُقِهِ ؛ وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَدَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَكُتِبَ اللَّهُ لِلْمُزَلَّةِ ، أَوْ كَفَرُ بِهَا ، أَوْ لَعَنَهَا ، أَوْ سَبَّهَا ، أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ^(٨) .

وقد [٢٨١] أجمع المسلمون أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَتَّوُّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ الْمَكْتُوبَ فِي الْمَصْخَفِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، مِمَّا جَمَعَهُ الدَّقَّتَانِ^(٩) مِنْ أَوَّلِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى آخِرِ : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ - أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي .

(٢) هو محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي ، أخرج له الشيخان وغيرهما ، توفي سنة مائة وأربعة وأربعين .

(٣) في حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد في مسنده : سنن أبي داود : ٢ - ١٦٩

(٤) المراء : من المرية ؛ وهي التردد في الأمر ، وهي أخص من الشك .

(٥) تؤول : تأوله وفسره بعضهم .

(٦) قال الخفافى : الشك معلوم . والجدال ، من الجدل ، وهو النزاع والمناظرة ، من جدلت الحبل ؛ إذا أحكمت قتله ، كأن كل واحد منهما يقتل صاحبه عن رأيه ، أى يصرفه .

(٧) في حديث رواه ابن ماجه : سنن ابن ماجه : ٨٤٩

(٨) هو كافر ، لأنها كلها كلام الله تعالى .

(٩) الدقتان : مثني دقة - بفتح الدال وضمة ، وهو جانب الشيء الذى يقيه من جلد

وخشب ونحوه .

صلى الله عليه وسلم ؛ وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك ، أو بدله بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع الإجماع عليه ، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا - أنه كافر^(١) .

ولهذا^(٢) رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية^(٣) ؛ لأنه خالف القرآن ؛ ومن خالف القرآن قتل ؛ لأنه كذب بما فيه .

وقال ابن القاسم : من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تسليماً يقتل^(٤) ؛ وقاله عبد الرحمن بن مهدي^(٥) .

وقال محمد بن سحنون فيمن قال : الموءذتان^(٦) ليستا من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب .

وكذلك كل من كذب بحرف منه . قال : وكذلك إن شهد شاهد على من قال : إن الله لم يكلم موسى تسليماً ؛ وشهد آخر عليه أنه قال : إن

(١) قال في نسيم الرياض : (٤ - ٥٩٨) :

فإن قلت : ما بين الدفتين يشمل البسمة في أول كل سورة ، فإنها ثابتة في المصحف العثماني ، وبها قرأ بعض القراء السبعة فصلاً ووصلاً ؛ فيلزم تكفير من قال : إنها ليست قرآناً في أوائل السور .

قلت : المراد بما بين الدفتين ما أثبت فيه متفقاً على قرآنيته ، وهذا ليس كذلك ؛ فهو كأسماء السور ؛ وهذا معلوم من قوله : الذى وقع الإجماع عليه ؛ فخرج ما ذكر .

(٢) ولهذا ؛ لأجل أن جميع ما في المصحف حق ، وأن من زاد فيه أو نقص - كافر .

(٣) الفرية : الافتراء والكذب عليهما بما قاله المنافقون في قصة الإفك المشهورة .

(٤) يقتل ؛ لأنه كذب الله في قوله : وكلم الله موسى تسليماً .

(٥) عبد الرحمن بن مهدي أحد الأعلام في الحديث ؛ قال ابن الديني : كان أعلم الناس بالحديث . ولد في سنة خمس وثلاثين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة ، وأخرج له الستة .

(٦) الموءذتان : هما سورتنا « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » .

الله ما اتخذ إبراهيم خليلا ؛ لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم^(١) .

وقال أبو عثمان بن الحداد^(٢) : جميع من ينتحل التوحيد^(٣) متفقون أن الجحد الحرف من التنزيل كفر .

وكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا^(٤) ، فبلغ ذلك إبراهيم ؛ فقال : أراه سيع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

وقال أصبغ بن الفرّج : من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ، ومن كذب به فقد كفر به ، ومن كفر به فقد كفر بالله .

وقد سئل القاسمي عن خاتم يهودي خلف له بالتوراة ، فقال الآخر : لمن الله التوراة ، فشهد عليه بذلك شاهد ؛ ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية^(٥) فقال : إنما لعنت توراة اليهود ؛ فقال أبو الحسن : الشاهد الواحد لا يؤجب القتل ، والثاني علّق الأمر بصفة تحتمل التأويل ؛ إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم .

(١) كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الوحي ؛ من ورود تكليمه ، واتخاذه خليلا في القرآن مصرحا به .

(٢) أبو عثمان بن الحداد : القاضي المصري الشافعي الكنانى صاحب التأليف البديعة ، والآثار العجيبة . توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

(٣) ينتحل التوحيد : يدعيه وينسب إليه . قال الخفاجي : يستعمل كثيرا بمعنى الزعم .

(٤) تفاديا عن الإنكار صريحا .

(٥) عن القضية التي جرت بينهما .

ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجرّداً لضاق التأويل^(١) .

وقد اتفق فتهاه بغداد على استنابة ابن شنبوذ^(٢) المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد^(٣) ؛ لقراءته وإقرانه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف ، وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة عنه سجلاً^(٤) أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلّة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ؛ وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره .

وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب^(٥) فيمن قال لصبي : لعن الله معلمك وما علمك . وقال^(٦) : أردت سوء الأدب ، ولم أريد القرآن . قال أبو محمد : وأما من لعن المصحف فإنه يُقتل^(٧) .

-
- (١) لعنا مجرّداً عما قاله ثانياً من تعليقه بأمر ، وتقييده بصفة يحتمل إضافتها لليهود .
 لضاق التأويل عن صرفه عن ظاهره لأمر آخر .
 (٢) ابن شنبوذ : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب . وهو من مشاهير علماء القراءات ، وكان من أعيان العلماء الرؤساء مع غفلة فيه .
 (٣) ابن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي رئيس القراء ، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين .

- (٤) السجل : اسم لما يكتب فيه .
 (٥) بالأدب : بالنأديب والتعزير بما يليق به .
 (٦) وقال : أي اللاعن . سوء الأدب في حال قراءته ، وعدم تعظيم ما قرأه ووقوعه على حال غير مستحسنة ؛ فإن للقارئ آداباً ذكرها ، من خالفها ساء أدبه .
 (٧) المراد أنه يكفر ويستحق القتل .

فصل

وسب آل بيته^(١) وأزواجه وأصحابه^(٢) صلى الله عليه وسلم وتنقضهم حرام ملعون^(٣) فاعله .

حدثنا^(٤) القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ، حدثنا أبو الحسين [٢٨٢] الصيرفي وأبو الفضل العدل ، حدثنا أبو يعلی ، حدثنا أبو علي السنجي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا محمد بن يحيى^(٥) ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم^(٦) ، حدثنا عبيدة بن أبي رابطة^(٧) ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن مفضل ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله ، الله في أصحابي^(٨) ، لا تتخذوهم غرضا بعدى^(٩) ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن

(١) آل النبي صلى الله عليه وسلم للفقهاء فيهم اختلاف ؛ فذهب الشافعي إلى أنهم على وفاطمة ولدهما والعباس وجعفر ، وعقيل ، وآلهم ؛ وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب ، لحديث : نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد لم نفرق في جاهلية ولا إسلام - وشبك بين أصابعه . وفي ب : وسب آل النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته .

(٢) أصحابه : جمع صاحب ؛ وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما .

(٣) ملعون : مطرود مبعد من رحمة الله .

(٤) رواه الترمذي : سنن الترمذي : ٥ - ٦٩٦

(٥) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس ، أبو عبد الله الذهلي ، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري ، توفي سنة مائتين وثمان ، وأخرج له الستة .

(٧) هو ثقة أخرج له أصحاب السنن .

(٨) الله الله : اتقوا الله . قال الخفافی : كرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتأكيدها في تفخيم أمرهم وشأنهم .

(٩) لا تتخذوهم غرضا بعدى :

الغرض : هو الهدف الذي ينصب ليرمى بالسهم ؛ وشبه به من ينم ويظمن فيه . بعدى : بعد موتي .

أَذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَى آذَى اللَّهِ ^(١) ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يَوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ^(٢) .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبُّوا أصحابي ، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ^(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تسبُّوا أصحابي ، فإنه يَجِيءُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُصَلُّوا مَعَهُمْ ^(٤) ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا بِهِمْ ، وَلَا تَجَالِسُوا ؛ وَإِنْ مَرَضُوا فَلَا تُعْوِدُوهُمْ ^(٥) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : إِمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاضْرِبْ بُوهُ .

وقد أعلمَ النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّ سَبَّهُمْ وَأَذَاهُمْ يُؤْذِيهِ ؛ وَأَذَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَرَامٌ ؛ فَقَالَ : لَا تُؤْذُونِي فِي أَصْحَابِي ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي . وَقَالَ : لَا تُؤْذُونِي ^(٦) فِي عَائِشَةَ .

(١) آذَى اللَّهَ : الْأَذْيَةُ : إِيصَالُ الضَّرَرِ ؛ فَالْمُرَادُ أَنَّهُ خَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ؛ إِذْ لَا تَتَصَوَّرُ الْأَذْيَةُ فِي حَقِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(٢) يَوْشِكُ : يَقْرُبُ . يَأْخُذُهُ : يَهْلِكُهُ .

قال الخفافجي : وفي هذا الحديث إشارة إلى شدة قُرْبِهِمْ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم ، وتزِيلُهُمْ مِنْزَلَةَ نَفْسِهِ ، حَتَّى كَأَنَّ أَذْيَتَهُمْ أَذْيَةٌ لَهُ وَوَاقِعَةٌ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ أَكْثَرِهِ بِقَوْلِهِ : فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، إِذْ لَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْءٌ ، فَهُوَ إِيمَاءٌ لَشِدَّةِ قُرْبِهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ اللَّهِ .

(٣) صَرْفًا : تَوْبَةً أَوْ طَاعَةً تَصْرِفُ وَجْهَهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ . وَلَا عَدْلًا : الْعَدْلُ : الْفُتْيَةُ . وَالْحَدِيثُ

فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٩٦٧

(٤) لَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، أَيْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ . وَلَا تُصَلُّوا مَعَهُمْ ، أَيْ لَا تَقْنَدُوا بِهِمْ .

(٥) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَظَاهَرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ كُفْرٌ مُطْلَقًا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ فِيهِ تَقْصِيلًا يَأْتِي .

(٦) فِي ١ : لَا تُؤْذِينِي .

وقال - في فاطمة : بَضْعَةٌ^(١) منى يؤذيني ما آذاها .

وقد اختلف العلماء في هذا ؛ فمشهورُ مذهب مالك في ذلك الاجتهاد^(٢) والأدبُ الموجه ؟ قال مالك رحمه الله : مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ ؛ وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَهُ أُدِّبَ .

وقال أيضا : مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص ؛ فَإِنْ قَالَ : كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكَفَرُوا قُتِلَ^(٣) ؛ وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَاطَمَةِ النَّاسِ نُكِلَ نِكَالًا شَدِيدًا^(٤) .
وقال ابن حبيب : مَنْ غَلَا مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى بُغْضِ عُمَانَ وَالْبَرَاءَةِ^(٥) مِنْهُ أُدِّبَ أَدَبًا شَدِيدًا ؛ وَمَنْ زَادَ إِلَى بُغْضِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَالْعُقُوبَةُ عَلَيْهِ أَشَدُّ ، وَيَكْرَرُ ضَرْبُهُ ، وَيُطَالُ سِجْنُهُ حَتَّى يَمُوتَ ، وَلَا يُبَلِّغُ بِهِ الْقَتْلُ إِلَّا فِي سَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال سُخْنُونُ : مَنْ كَفَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلِيًّا ، أو عثمان ، أو غيرَهما - بُوْجِعُ ضَرْبًا^(٦) .

(١) البضعة - بفتح الباء ، وقد تكسر : القطعة من اللحم . وحديث فاطمة في سنن الترمذى : ٥ - ٦٩٩

(٢) الاجتهاد للحاكم ، فيفوض لرايه وما يقتضيه . . .

(٣) قتل ، لأن فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة . وهذا إذا لم يؤوله بأن قال : أردت : قبل إسلامهم . وهذا مذهب مالك .

(٤) نكل : عوقب . نكالا شديدا بما يوجهه من ضرب مؤلم ونحوه .

(٥) غلا : بالغ . من الشيعة : المفرطين في محبة علي واعتقاد أفضليته ، وانهى في غلوه إلى بغض عثمان بن عفان .

(٦) قال الخفاجي : وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم من أن من قال إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ، ولذا عقبه بقوله : وحكى أبو محمد . . .

وحكى أبو محمد بن أبي زيد ، عن سُخْنُون : مَنْ قَالَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُمَانُ وَعَلِيٌّ : إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ . وَمَنْ شَتَمَ غَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ نُسِكَ النَّكَالَ الشَّدِيدُ ^(١) .

وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ ^(٢) : مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ . قِيلَ لَهُ : لِمَ ؟ قَالَ : مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ ^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ شَعْبَانَ عَنْهُ : لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ^(٤) : ﴿ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِإِلَهِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ فَمَنْ عَادَ لِإِلَهِهِ فَقَدْ كَفَرَ ^(٥) .

وحكى أبو الحسن الصَّغَفَرِيُّ أَنَّ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ بْنُ الطَّيِّبِ ^(٦) قَالَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ لِلشَّرِّ كَوْنِ سَبِّحَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ ^(٧) ؛ كَقَوْلِهِ ^(٨) : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ . . . فِي آيٍ كَثِيرَةٍ .

(١) بِمِثْلِ ذَلِكَ : بِنَسَبِهِمْ لِلضَّلَالِ وَالْكُفْرِ . نُسْكُ النَّكَالِ الشَّدِيدِ : عَوْقِبُ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ بِلا قَتْلٍ ؛ لِتَفْرِيقِ بَيْنِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ . (٢) فِي قَوْلِ آخِرِ لَهُ .

(٣) مَنْ رَمَاهَا : مَنْ سَبَّهَا وَافْتَرَى عَلَيْهَا بِمَا بَرَّاهَا اللَّهُ مِنْهُ ، فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ ، لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّاهَا فِيهِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ فِي قِصَّةِ الْإِفْكَ . (٤) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةُ ١٧ .

(٥) قَالَ فِي نَسِمِ الرِّيَاضِ : وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ قَرِيبًا أَنَّهُ قَالَ : إِنْ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ قَالُوا : إِنْ مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ أَدَبَ كَمَا فِي سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ لَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَفَرَ ، لِأَنَّهُ تَفْلِيظٌ فِي الزَّجْرِ ، كَقَوْلِهِ : لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَأَنَّهُ أَجَابَ بِأَنَّ مَالِكَ سَأَلَ عَنْ مَنْ رَمَى عَائِشَةَ بِالْإِفْكَ ، فَقَالَ : لَيْسَ هُوَ كَرَمِي غَيْرَهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّاهَا بِمَا قَالُوهُ ، فَرَامِيهَا مَكْذُوبٌ لِلَّهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ بَرَاءَتِهَا .

(٦) هُوَ الْبَاقِلَانِيُّ .

(٧) سَبِّحَ : زَهَّ ، وَبَرَّأَ . نَفْسُهُ : ذَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ . لِنَفْسِهِ : أَيُّ قَالَهُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِ لِنَفْسِهِ .

(٨) سُورَةُ الْإِنْبِيَاءِ ، آيَةُ ٢٦ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خِرَازَعَةٍ ؛ إِذْ قَالُوا : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ .

وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال^(١) : ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ، هَذَا بَهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ - سَبَّحَ نَفْسَهُ فِي تَبْرِئِهَا^(٢) من السَّوِّءِ ، كما سَبَّحَ نَفْسَهُ فِي تَبْرِئِهِ مِنَ السَّوِّءِ^(٣) .

[٢٨٣] وهذا يشهد لقول مالك في قتل مَنْ سَبَّ عائشة .

ومعنى هذا ، والله أعلم ، أَنَّ اللَّهَ ، لَمَّا عَظَّمَ^(٤) سَبَّهَا كما عَظَّمَ سَبَّهُ ، وكان سَبُّهَا سَبًّا لِنَبِيِّهِ ، وَقَرَنَ سَبَّ نَبِيِّهِ وَأَذَاهُ بِأَذَاهُ تَعَالَى ؛ وكان حُكْمُ مُؤْذِيهِ تَعَالَى الْقَتْلَ كَانَ مُؤْذِي نَبِيِّهِ كَذَلِكَ كما قدمناه^(٥) .

وَشَتَّمَ رَجُلٌ عَائِشَةَ بِالْكُوفَةِ ، فَقُدِّمَ إِلَى مُوسَى بْنِ عِيسَى الْعَبَّاسِيِّ^(٦) ؛ فقال :

(١) سورة النور ، آية ١٦

هذا بهتان عظيم ، أى افتراء عظيم لا يليق بعاقل التكلم به .

(٢) سبَّحَ نَفْسَهُ : برأها ونزهاها مبالغة في تبرئه عائشة .

(٣) قال في نسيم الرياض (٤ - ٦١٠) : فيه تنويه بقدرها ورفعة مقامها حيث جعل

ما لا يليق بالله لا يليق بها .

(٤) أى جملة عظيما في قبحه .

(٥) قال في نسيم الرياض (٤ - ٦١١) :

وأورد عليه أنه على ما قاله ليس قتله بسب عائشة رضى الله عنها ؛ بل للارزاه من سبه النبي

صلى الله عليه وسلم .

وأبضا لو سلم هذا لزم قتل أصحاب الإفك ، ولم يقع .

وأبضا قد تقدم الفرق بين من سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على أقوال تقدمت .

وأبضا يارزاه ذلك في سب الصحابة مطلقا ؛ لأنه يؤذيه صلى الله عليه وسلم .

وليس بشيء ؛ لما علمته من أن المراد به أذية عظيمة لما فيه من الشين الذى لا يرزاه أحد

في نسبة أهله للزنا والرزاء به .

وأما عدم قتل أهل الإفك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فلحكمة اقتضته من إثارة

الفتن وصد من ضعف إسلامه عنه بإشاعة أنه يقتل أصحابه .

(٦) قال الخفافى : المعروف في التواريخ أنه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن العباس

من حضر هذا ؟ فقال ابن أبي ليلى ^(١) : أنا ؛ فجلبده ثمانين ، وخلق رأسه ^(٢) ، وأسلمه إلى الحجامين ^(٣) .

[وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ نَذَرَ ^(٤) قَطْعَ لِسَانِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؛ إِذْ شَتَمَ الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ ، فَكَبَّلَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : دَعُونِي أَقْطَعُ لِسَانَهُ حَتَّى لَا يَشْتَمَ أَحَدٌ بَعْدُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥)] .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ الْمُرَوِّى ^(٦) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى بِأَعْرَابِيٍّ يَهْجُو الْأَنْصَارَ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ لَهُ صَحْبَةً لَكَفَيْتُمُوهُ ^(٧) .

قال مالك : مَنْ انتقص ^(٨) أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس

(١) ابن أبي ليلى : محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الفقيه المشهور ، وكان أفقه أهل عصره ، وأعلمهم بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد .

والشتم : المراد به هنا القذف ، فكأنه يذكر قصة الإفك ، بدليل قوله : فجلبده ثمانين ، لأنه حد القذف .

(٢) خلق رأسه ؛ لأن هذا كان تمزيراً في المصر الأول ؛ لأن العرب كانت لا تخلق الرؤوس إلا في نكس ، وكان الأسير إذا خلق رأسه عدوه عاراً عليه .

قال الخفافى : وجمع له بين الحد والتعزير ؛ لأنه لا يجوز الجمع بينهما عند الشافعى في مسائل ذكرها .

(٣) أسلمه إلى الحجامين : قال الخفافى : تسليمه لهم إما ليحبس عندهم ، أو ليخرجوا منه دماً يضمنه ، أو ليكون معهم في خطتهم ؛ فهو نقي له ، أو هو إهانة له ؛ يسقط قبول شهادته برذالة صنعه ، وهذا أظهر . وفي ١ : في الحجامين .

(٤) المراد بالنذر هنا : إلزام نفسه جزماً بفعله .

(٥) وقطع اللسان من المذكور تمزيير له لا حد ؛ فإنه لا تجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير . وما بين القوسين ساقط في ب .

(٦) أبو ذر المروى : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المروى الحافظ .

(٧) لكفيتموه : لثقلته وكفيتكم شره وهجوه ؛ ولكن لشرف صحبته عفا عنه .

(٨) انتقص أحداً من أصحاب النبي : ذكرهم بما فيه نقص لهم .

له في هذا النِّقْءِ حقٌّ^(١) ، قد قسم الله النِّقْءَ في ثلاثة أصناف ، فقال^(٢) : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

ثم قال^(٣) : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وهؤلاء هم الأنصارُ .

ثم قال^(٤) : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فَمَنْ تَنَفَّسَهُمْ فَلَا حَقَّ لَهُ فِي فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ .

وفي كتاب ابن شعبان : مَنْ قَالَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ ابْنُ زَانِيَةٍ وَأُمُّهُ مُسْلِمَةٌ حُدَّ عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِنَا حَدَّيْنِ : حَدًّا لَهُ ، وَحَدًّا لِأُمِّهِ ؛ وَلَا أُجْعَلُهُ كَقَازِفِ الْجَمَاعَةِ فِي كَلِمَةٍ لِفَضْلِ هَذَا^(٥) عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ » قَالَ : وَمَنْ قَذَفَ أُمَّ أَحَدِهِمْ وَهِيَ كَافِرَةٌ حُدَّ حَدَّ الْفَرِيَّةِ^(٦) ؛

(١) فليس له في هذا النِّقْءِ حق ؛ لا نصيب له في مال يؤخذ فيثا من الكفار . والنِّقْءُ : ما أخذ من الكفار من غير قتال ، فيدخل فيه الخراج والعشر والغنيمة .

(٢) سورة الحشر ، آية ٨

أى الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وابتغاء فضل الله ورضوانه .

(٤) سورة الحشر ، آية ١٠

(٣) سورة الحشر ، آية ٩

فهؤلاء يدعون ويستغفرون لهم ويعظمونهم بسبقهم للسعادة في الدارين .

(٥) لفضل هذا على غيره : لزيادة جرمه .

(٦) الفرية : الكذب .

لأنه سبُّه ؛ فإن كان أحدٌ من وَلَدِ هذا الصحابيِّ حيًّا قام^(١) بما يجبُ له ، وإلا فَمَنْ قام به من المسلمين كان على الإمام قبولُ قيامه ؛ قال : وليس هذا لحقوقِ غيرِ الصحابةِ الحُرمةِ هؤلاءِ بِنَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم ، ولو سمِعَ الإمامُ ، وأشهد عليه ، كان وَلِيَّ الْقِيَامِ^(٢) به ؛ قال : ومن سبَّ غيرَ عائشة من أزواجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ففيها قولان :

أحدهما - يُقتل ؛ لأنه سبَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بسبِّ حَلِيلَتِهِ^(٣) .

والآخر أنها^(٤) كسائر الصحابة ؛ يُجَنَّدُ حَدَّ الْمُفْتَرِي ؛ قال : وبالأول أقول .

وروى أبو مُصْعَبٍ^(٥) ، عن مالك - فِيمَنْ انْتَسَبَ^(٦) إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُضْرَبُ ضَرْبًا وَجِيعًا ، وَيُشْهَرُ^(٧) وَيُحْبَسَ طَوِيلًا حَتَّى تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ ؛ لَأَنَّهُ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم^(٨) .

(١) قام مقام أبيه بما يجب له ؛ أى يطلب حقه الواجب لسهبه ؛ لأنه وارثه في ماله وحقوقه ؛
فليس لنبيه حق في هذه الدعوى . (٢) كان ولي القيام به أى : يتولى الحد واستيفاءه .
(٣) حليلته : زوجته . (٤) أنها ؛ أى حليلته .

(٥) أبو مصعب : أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهري المدني القاضى ، قاضى المدينة .

(٦) بقرابة ، أو ولاء ، قيل : أو صحبة .

(٧) يشهر : يطاف به في الأسواق ليعلم الناس حاله ويشهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره .

(٨) في نسيم الرياض (٤ - ٦١٥) : وحاصل قوله : من انتسب... إلى هنا - أن من ادعى أنه من أهل البيت وهو ليس منهم ، وأثبت له انتساباً لهم ، يستحق النكال والشهير . وقد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : أيما رجل دعى إلى غير أبيه فقد كفر . وهذا يدل على عظيم هذا ، وأنه يشدد فيه .

قال الحفاجي : وقد كثر هذا في زماننا ، وتساهلوا فيه ، ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادعاه كثير من الأشرار ، وتسارع القضاة بذلك إلى إثبات الإنساب ، وجعلوا له علامة .

وأفتى أبو طرّف الشعبي فقيه مائقة^(١) في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل ؛ وقال^(٢) : لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت^(٣) إلا بالنهار ، وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه ؛ فقال أبو المطرف : ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل^(٤) .

والفقيه الذي صوب قوله أحق باسم الفسق من اسم الفقه ؛ فيتقدم^(٥) له في ذلك ، ويؤجر^(٦) ، ولا تقبل فتواه ولا شهادته ، وهي جرحه ثابتة فيه ، ويبغض في الله^(٧) .

[وقال أبو عمران^(٨) في رجل قال : لو^(٩) شهد على أبو بكر الصديق : أنه إن كان في مثل^(١٠) هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد ، فلا شيء عليه ؛ وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضرباً يئبلغ به حد الموت^(١١)] ؛ وذكروها رواية .

* * *

-
- (١) مائقة : بلد بالمغرب .
 (٢) وقال هذا الذي أنكر تحليفها بالليل .
 (٣) في ١ : ما حلفت - بالبناء للعلوم .
 (٤) لجرأته على بنت خليفة رسول الله وأم المؤمنين ؛ فإن للتبادر منها عند الإطلاق عاتشة رضى الله عنها ، وإن كان له غيرها .
 (٥) يتقدم له : يبرز لخالفته وتفسيره بما قاله في ذلك للقال الذي قاله .
 (٦) في ١ : ويؤخر .
 (٧) جرحه ؛ من الجرح السقط للمدالة ؛ فلا يقبل ما قاله . (٨) في ١ : ابن عمران .
 (٩) في نسيم الرياض (٤ - ٦١٦) : قال السبكي : النرض من هذا كله أنه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها بسبيل إلى المدالة ، ومن كان بهذه الصفة لا تقبل له شهادة قطما .
 (١٠) إن كان مراده أن شهادة في مثل هذا لا يجوز ولا تكفى وحدها بهذا الشاهد الواحد ؛ لأن شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا فلا شيء عليه .
 (١١) أمام ما بين القوسين في ١ : صح من الأم بخطه من غير الرواية . وهو في هامش (ب) .

قال القاضي أبو الفضل : هنا انتهى القولُ بنا فيما حرّزناه [٢٨٤] ، وانتجز الغرضُ الذي انتحيناهُ ، واستوفى الشرطُ الذي شرطناه ، مما أرجو أن يكون في كل قسمٍ منه المرید مَفْنَعٌ ؛ وفي كلّ بابٍ مَنَهَجٌ إلى بُغْيَتِهِ وَمَنْزَعٌ .

وقد سَفَرْتُ^(١) فيه عن نُكْتٍ تُسْتَفْرَبُ وتُسْتَبَدَعُ^(٢) ، وَكَوَعْتُ في مَشَارِبِ من التحقيق لم يورَدَ لها قَبْلُ في أَكْثَرِ التصانيفِ مَشْرَعٌ^(٣) ، وأودعتهُ غَيْرَ ما فَصَّلَ ، وَدِدْتُ لو وَجَدْتُ مَنْ بَسَطَ قَبْلِي السَّكَّامَ فيه ، أو مُتَمَدِّدِي يُفِيدُونِيهِ عن كتابه أو فيه^(٤) ، لَأَكْتَفَى بِمَا أَرَوِيهِ عَمَّا أَرَوِيهِ .

وإلى الله تعالى جَزِيلُ الصَّرَاعَةِ في المِنَّةِ بقبولِ ما مِنْهُ لَوْجِيهِ ، وَالْعَفْوِ عما تَحَلَّلَ مِنْ تَزِينٍ وَتَصَنُّعٍ لغيره ، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا ذَلِكَ بِجَمِيلِ كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ لما أودعناه من شَرَفٍ مُصْطَفَاهُ^(٥) ، وَأَمِينٍ وَحِيهِ ، وَأَسْهَرَنَا به جَفَوْنَا لِيَتَّبِعَ فُضَائِلَهُ ، وَأَهْمَلْنَا فِيهِ خَوَاطِرَنَا مِنْ إِبْرَازِ خِصَائِصِهِ وَوَسَائِلِهِ ، وَيَحْمِي أَعْرَاضَنَا عن نارِهِ الْوَقْدَةِ لِحَايِقِنَا كَرِيمِ عِزِّهِ ، وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ لَا يُذَادُ^(٦) إِذَا ذِيدَ الْمُبْدَلُ عن حَوْضِهِ ؛ وَيَجْعَلَهُ لَنَا وَلِمَنْ تَهَمُّ بِا كِتَابِهِ^(٧) واكتسابه سِيلاً يَصِلُنَا بِأَسْبَابِهِ ، وَذَخِيرَةً نَجِدُهَا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا^(٨) نَحْوُزُ بِهَا رِضَاهُ ، وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ ؛ وَيَخْصِنَا

(١) سَفَرْتُ : كَشَفْتُ ، وَبَيَّنْتُ في هذا الكتاب .

(٢) تُسْتَفْرَبُ وَتُسْتَبَدَعُ : تَعْدُ غَرِيبَةً نَادِرَةً ، وَبَدِيعَةً غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ بِالْمَثَلِ في جِنْسِهَا .

(٣) مَشْرَعٌ : مَحَلٌّ يَسْتَفَادُ مِنْهُ مِثْلُهَا .

(٤) يَرِيدُ : أَوْ اسْمُهُ مِنْهُ .

(٥) مُصْطَفَاهُ : رَسُولُهُ الَّذِي اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ وَتَبْلِيغِ أَمَانَتِهِ .

(٦) لَا يُذَادُ : لَا يَطْرُدُ .

(٧) تَهَمُّ : اعْتَنَى وَاهْتَمَّ . بِا كِتَابِهِ : بِكِتَابَتِهِ .

(٨) مُحْضَرٌ : حَاضِرٌ عِنْدَهَا .

بِخَصِيصِي^(١) زُمْرَةَ نَبِيَّنَا وَجَمَاعَتِهِ ، وَيُحْشِرَنَا فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ^(٢) ، وَأَهْلِ الْبَابِ الْأَيْمَنِ^(٣) مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ ؛ وَنَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى مَا هَدَىٰ إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِهِ وَأَهْلِهِ ، وَفَتَحَ الْبَصِيرَةَ لَدَرْكِ^(٤) حَقَائِقِ مَا أَوْدَعْنَاهُ وَفَهَمِ ، وَنَسْتَعِيزُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دَعَاءِ لَا يُسْمَعُ ، وَعِلْمِ لَا يَنْفَعُ ، وَعَمَلِ لَا يَرْفَعُ ؛ فَهُوَ الْجَوَادُ^(٥) الَّذِي لَا يَخْشِبُ مَنْ أَمَلَهُ ، وَلَا يَنْتَصِرُ مَنْ خَذَلَهُ ، وَلَا يَرُدُّ دَعْوَةَ الْقَاصِدِينَ ، وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْدِينَ ؛ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ؛ وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

ثم الكتاب بعون الله وتوقيقه، وتتلوه الفهارس العامة

(١) خَصِيصِي : اختصاص .

(٢) الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ : السابقون من الفرسان . والمراد كل سابق للخير والفعل الحسن ، ومن يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل غيره . وهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام العلماء الماملون .

(٣) أَهْلُ الْبَابِ الْأَيْمَنِ : أصحاب اليمين ممن يؤتى كتابه بيمينه .

(٤) دَرْكٌ : إدراك .

(٥) الْجَوَادُ : الكريم الكثير الجود ؛ أى الإعطاء .

الفهارس العامة للكتاب

- ١ - فهرس الأبواب والفصول
- ٢ - فهرس الآيات القرآنية
- ٣ - فهرس موضوعات الكتاب مفصلة
- ٤ - فهرس الشعر
- ٥ - فهرس الأعلام والقبائل
- ٦ - فهرس الأماكن
- ٧ - فهرس مراجع الضبط والشرح والتعقيق

١ - فهرس الأبواب والفصول

تقديم الكتاب

مقدمة المؤلف

القسم الأول

في تعظيم العليّ الأعلى لقدر هذا النبي قولا وعملا

الباب الأول :

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه :

الفصل الأول : فيما جاء من ذلك بحجج المدح والثناء وتعداد المحاسن

الفصل الثاني : في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

الفصل الثالث : فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاحظة والمبرة

الفصل الرابع : في قسمه تعالى بعظيم قدره

الفصل الخامس : في قسمه تعالى جده ، له ، ليحقق مكانته عنده

الفصل السادس : فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة

والإكرام

الفصل السابع : فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره

وشريف منزلته وحظوة رتبته

الفصل الثامن : في إعلام الله تعالى خلقه بصلواته عليه وولايته له ورفع

المذاب بسببه

الفصل التاسع : فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

الفصل العاشر : فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه

ومكانته عنده ، وما خصه الله به من ذلك سوى ما انتظم

فيما ذكرناه قبل

الباب الثاني :

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية

- والدنيوية فيه نسقا ٧٧
- فصل : في اجتماع الخصال المحمودة فيه صلى الله عليه وسلم ٧٩
- فصل : في تفصيل هذه الخصال المحمودة : صفاته الجسمية ٨١
- فصل : في نظافة جسمه ، وطيب رائحته ، ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد ٨٥
- فصل : وفور عقله ، وقوة حواسه ، وفصاحة لسانه ... ٩١
- فصل : فصاحة لسانه ، وبلاغه قوله ٩٥
- فصل : شرف نسبه ، وكرم بلده ومنشئه ... ١٠٧
- فصل : فيما تدعو إليه ضرورة الحياة إليه على ثلاثة ضروب : ١٠٩
- الضرب الأول : ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا ١٠٩
- فصل : الضرب الثاني : ما يتفق على المدح بكثرته ١١٤
- فصل : الضرب الثالث : ما تختلف الحالات في التمدح به ١٢١
- فصل : في الخصال المكنسبة من الأخلاق الحميدة ١٢٥
- فصل : في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقيق وصف النبي بها ١٣٣
- فصل : في الفرق بين الحلم والاحتمال ، والعفو مع القدرة ، والصبر على ما يكره ... ١٣٥
- فصل : في معاني الجود والكرم ، والسخاء والسماحة ١٤٤
- فصل : في الشجاعة والنجدة ١٤٧
- فصل : في الحياء والإغضاء ١٥٢
- فصل : في حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ١٥٤
- فصل : في شفقه ورأفته ورحمته لجميع الخلق ١٥٩
- فصل : خلقه في الوفاء وحسن العهد ، وصلة الرحم ١٦٤

- ١٦٨ فصل : في تواضعه صلى الله عليه وسلم
- ١٧٢ فصل : عدله ، وأمانته ، وعفته ، وصدق لهجته
- ١٧٦ فصل : وقاره صلى الله عليه وسلم ، وصمته ، وتؤدته وحسن هديه
- ١٧٩ فصل : زهده في الدنيا
- ١٨٤ فصل : خوفه ربه ، وطاعته له ، وشدة عبادته
- ١٨٨ فصل : تفضيل الله بعض الأنبياء على بعض
- ١٩٨ فصل : حديث جامع لوصفه
- ٢٠٩ فصل : في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله
- ٢١٥ الباب الثالث : فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
- ٢١٥ الفصل الأول : فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه . . .
- ٢٣١ فصل : في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المفاجأة والرؤية
- ٢٤٥ فصل : هل كان الإسراء بالروح أو بالجسد ؟
- ٢٥٢ فصل : إبطال حجاج من قال إنها نوم
- ٢٥٧ فصل : رؤيته لربه عز وجل واختلاف السلف فيها
- ٢٦٧ فصل : فيما ورد في قصة الإسراء من مناجاته ربه
- ٢٦٩ فصل : فيما ورد في حديث الإسراء من الدنو والقرب
- ٢٧٣ فصل : في ذكر تفضيله يوم القيامة بخصوص الكرامة
- ٢٧٩ فصل : في تفضيله بالحبة والخلة
- ٢٨٩ فصل : في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
- ٣٠٣ فصل : في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
- ٣٠٦ فصل : في بيان شبهة ترد على ما تقدم
- ٣١١ فصل : في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

- فصل : في تشریف الله تعالى له بما سماه من أسمائه الحسنى ووصفه به
من صفاته العلا ٣٢٣
- فصل : في بيان أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ٣٣٧
- الباب الرابع : فيما أظهر الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات ٣٤١
- فصل : في أن الله قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده ٣٤٥
- فصل : في معنى تسمية من جاءت به الأنبياء بمعجزة ٣٤٩
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الأول ٣٥٨
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الثاني ٣٦٨
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الثالث ٣٧٥
- فصل : في إعجاز القرآن - الوجه الرابع ٣٧٩
- فصل : هذه الوجوه الأربعة من الإعجاز لا نزاع فيها ولا مرية ٣٨٢
- فصل : من وجوه الإعجاز : الروعة التي تلحق قلوب سامعي القرآن ٣٨٤
- فصل : وجوه أخرى للإعجاز ٣٨٩
- فصل : في اشتقاق القمر وحبس الشمس ٣٩٦
- فصل : في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ٤٠٢
- فصل : وما يشبه هذا من معجزاته ٤٠٦
- فصل : ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه ٤١٠
- فصل : في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته ٤٢٠
- فصل : في قصة حنين الجذع ٤٢٧
- فصل : ومثل هذا في سائر الجمادات ٤٣٠
- فصل : في الآيات في ضروب الحيوانات ٤٣٤
- فصل : في إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع وشهادتهم له بالنبوة ٤٤٤

- ٤٥١ فصل : في إبراء المرضى وذوى العاهات
- ٤٥٥ فصل : في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
- ٤٦٢ فصل : في كراماته وبركاته وانتقال الأعيان له فيما لمسه أو باشره
- ٤٧٠ فصل : فيما أطلع عليه من الغيوب وما يكون
- ٤٨٨ فصل : في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه
- ٥٠١ فصل : من معجزاته الباهرة
- ٥١١ فصل : من خصائصه وكراماته وباهر آياته أنبأؤه مع الملائكة والجن
- ٥١٥ فصل : من دلائل نبوته وعلامات رسالته
- ٥١٨ فصل : فيما ظهر من الآيات عند مولده
- ٥٢٣ فصل : معجزات نبينا أظهر من سائر معجزات الرسل من وجهين

القسم الثاني

- ٥٣٧ فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم
- ٥٣٧ الباب الأول : في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
- ٥٤٢ فصل : في وجوب طاعته
- ٥٤٦ فصل : في وجوب اتباعه ، وامتنال أمره والاقتداء بهديه
- ٥٥٤ فصل : فيما ورد من السلف والأئمة من اتباع سنته
- ٥٥٩ فصل : في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال
- ٥٦٣ الباب الثاني : في لزوم محبته
- ٥٦٥ فصل : في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
- ٥٦٧ فصل : فيما روى عن السلف والأئمة من محبتهم له وشوقهم إليه
- ٥٧١ فصل : في علامة محبته صلى الله عليه وسلم
- ٥٧٨ فصل : في معنى المحبة للنبي وحقيقتها
- ٥٨٢ فصل : في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث :

- ٥٨٧ في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره
٥٩١ فصل : في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله
٥٩٥ فصل : في تعظيم النبي بعد موته
٥٩٩ فصل : في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث الرسول وسنته
٦٠٤ فصل : في توقيره وبر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه
٦١١ فصل : من توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم
٦١٩ فصل : ومن إعظامه وإكباره

الباب الرابع :

- ٦٢٥ في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
٦٢٧ فصل : في حكم الصلاة على النبي
٦٣٣ فصل : في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي
٦٤٠ فصل : في كيفية الصلاة عليه والتسليم
٦٤٩ فصل : في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له
٦٥٣ فصل : في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإيمه
فصل : في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه وسلم
٦٥٦ من الأنام
٦٥٩ فصل : في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
٦٦٦ فصل : في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه
٦٧٨ فصل : فيما يلزم مسجد النبي من الأدب

القسم الثالث

- فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه
٦٩٠ وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

الباب الأول :

- ٦٩٤ فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء
- ٦٩٥ فصل : في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته
- فصل : في عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
- ٧١٩ في شيء من ذلك
- ٧٣٠ فصل : في حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية
- ٧٣٥ فصل : في إجماع الأمة على عصمة النبي من الشيطان
- ٧٤٥ فصل : في عصمة النبي في أقواله وأفعاله
- ٧٤٨ فصل : سؤالات لبعض الطاعنين
- ٧٦٨ فصل : فيما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه
- ٧٧٣ فصل : في حديث السهو
- ٧٨٤ فصل : في عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات
- ٧٩٣ فصل : في عصمة الأنبياء قبل النبوة
- ٧٩٦ فصل : في حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد
- فصل : في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله
- ٨٠٠ عليه وسلم
- ٨٠٩ فصل : في الرد على من أجاز على الأنبياء الصفات
- ٨٤٠ فصل : في دفع شبه نشأت مما تقدم
- ٨٤٩ فصل : في تنزيه النبي عما لا يجب أن يضاف إليه
- ٨٥١ فصل : في القول في عصمة الملائكة

الباب الثاني :

- فما يخص الأنبياء من الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
- ٨٦٠ فصل : الأخبار التي وردت في أنه صلى الله عليه وسلم سُحِرَ
- ٨٦٥

- ٨٧٠ فصل : فى أحواله صلى الله عليه وسلم فى أمور الدنيا
 ٨٧٤ فصل : فيما يمتد فى أمور أحكام البشر الجارية على يديا وقضاياهم
 ٨٧٦ فصل : وأما أقواله الدنيوية
 ٨٨٣ فصلى : فى معنى الحديث فى وصيته صلى الله عليه وسلم
 ٨٩١ فصل : فى وجه حديث إنما محمد بشر
 ٩٠٠ فصل : فى أفعاله - صلى الله عليه وسلم - الدنيوية
 فصل : بيان الحكمة فى إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من
 ٩١١ الأنبياء.

القسم الرابع

- ٩٢٦ فى تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم
 الباب الأول : فى بيان ما هو - فى حقه صلى الله عليه وسلم - سب أو نقص
 ٩٣٢ من تعريض أو نص
 فصل : فى الحجّة فى إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم :
 ٩٤٤ الوجه الأول
 ٩٥٨ فصل : لم آمن بقتل النّبي اليهودى الذى قال له : السام عليكم ؟
 ٩٧٢ فصل : الوجه الثانى : إذا كان غير قاصد للسب . . .
 ٩٧٥ فصل : الوجه الثالث - أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به . . .
 فصل : الوجه الرابع - أن يأتى من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
 ٩٧٨ بمشكل يمكن حمله على النّبي أو غيره . . .
 ٩٨٥ فصل : الوجه الخامس - ألا يقصد نقصا . . .
 ٩٩٧ فصل : الوجه السادس - أن يقول ذلك حاكيا عن غيره
 فصل : الوجه السابع - أن يذكر ما يجوز على النّبي، أو يختلف فى جوازه
 ١٠٠٣ فصل : الالتزام عند ذكر النّبي بالواجب من توقيره وتعظيمه
 ١٠١١

- ١٠١٥ الباب الثانى : فى حكم سابه وشاتمه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته
- ١٠٢٣ فصل : استنابة الساب والشاتم كالاستنابة للمرتد
- ١٠٢٨ فصل : فى حكم من لم تتم الشهادة عليه . . .
- ١٠٣٠ فصل : حكم الذى إذا صرح بسبه ، أو عرّض . . .
- ١٠٤٠ فصل : فى ميراث من قتل بسب النبى ، وغسله ، والصلاة عليه

الباب الثالث

- فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وكتبه ، وأنبياءه ، وآل النبى
وأزواجه وصحبه
- ١٠٤٧ فصل : حكم من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به
- ١٠٥١ فصل : فى تحقيق القول فى إكفار المتأولين
- ١٠٥٦ فصل : فى بيان ماهو من المقالات كفر ، وما يتوقف أو يختلف فيه ،
وما ليس بكفر
- ١٠٦٥ فصل : فى حكم الساب إذا كان ذميا
- ١٠٨٧ فصل : فى مفترى الكذب على الله تبارك وتعالى بادعاء الإلهية . . .
- ١٠٨٩ فصل : فى من تكلم بسقط القول وسخف اللفظ ، من لم يضبط كلامه
- ١٠٩٢ فصل : فى حكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
أو كذبهم
- ١٠٩٧ فصل : فى حكم من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ فيه ، أو سبهما
- ١١٠١ فصل : فى حكم ساب آل بيت النبى . . .
- ١١٠٦

٢ - فهرس الآيات القرآنية*

سورة الفاتحة

١ - اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ... (٧، ٦) ... ٢٨، ٢٧ ، ٥٤٧

سورة البقرة

١ - ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ... (٢ ، ١) ... ٤٤

٢ - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ... فإن

لم تفعلوا ولن تفعلوا ... (٢٤ ، ٢٣) ٣٨٤ ، ٣٦٢

٣ - لا علم لنا إلا ما علمتنا ... (٣٢) ٧٨٢

٤ - فسجدوا إلا إبليس ... (٣٤) ٨٥٨

٥ - ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) ٨٢٢

٦ - لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ... (٥٥) ٥٣٢

٧ - لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ... (٧٨) ٧٦٠

٨ - إنما نحن فتنة فلا تكفر ... (١٠٢) ٨٥٥

٩ - يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا ولا كافرين

عذاب ألم (١٠٤) ٩٢٧ ، ٥٩١

١٠ - وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ... (١٢٥) ٦٨٦

١١ - ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ... (١٢٩) ٢٢٥

١٢ - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ... ونحن له

مسلون (١٣٦) ١٠٩٧

١٣ - ما ولاهم عند قبلتهم التي كانوا عليها ... (١٤٢) ٧٢٠

١٤ - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا (١٤٣) ٣٢٦ ، ٣١٥ ، ٣٤

* مرتبة في سورها .

- ١٥ - كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١) ٣٣٠ ، ١٧
- ١٦ - أولئك عليكم صلوات من ربهم ورحمة (١٥٧) ٦٦١
- ١٧ - ولكم في القصص حياة (١٧٩) ٣٦٧
- ١٨ - ولعلد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم . . . (٢٢١) ١٠٥٣
- ١٩ - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) ٨٤٧
- ٢٠ - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . . . (٢٥٣) ٣٠٩ ، ١٨٨ ، ٦٢
- ٢١ - فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦) ٢٨
- ٢٢ - قال بلى ، ولكن ليظمن قلبي (٢٦٠) ٦٩٦ ، ٦٩٥
- ٢٣ - أن نضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى (٢٨٢) ٧٢٧
- ٢٤ - كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله (٢٨٥) ١٠٩٧

آل عمران

- ١ - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) ٥٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٢٨٦ ، ٢٧
- ٢ - قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢) ٥٤٣ ، ٢٨٧ ، ٢٧ ، ٢٤
- ٣ - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم . . . ذرية بعضها من بعض (٣٣ ، ٣٤) ١٩١
- ٤ - أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا . . . (٣٩) ٣٣٦ ، ١٩١ ، ١٢٧ ، ١١٥
- ٥ - إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم . . . ومن الصالحين (٤٥ ، ٤٦) ١٩١

- ٦ - فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم . . . (٦١) ٣٨٣
- ٧ - وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة . . . (٨١) ٧٢١، ٥٩
- ٨ - قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (٩٣) ٥١٧، ٣٨١
- ٩ - فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (٩٤) ٣٨١
- ١٠ - إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة . . . (٩٦) ٦٨٥
- ١١ - لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار . . . (١١١) ٣٧٧
- ١٢ - وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٢٢) ٥٤٣
- ١٣ - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ٣٩٣
- ١٤ - ول يعلم الله الذي آمنوا ويتخذ منكم شهداء (١٤٠) ٩١١
- ١٥ - ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤١) ٩١٢
- ١٦ - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . . (١٤٤) ٦٩٠
- ١٧ - وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير . . . والله يحب المحسنين (١٤٦-١٤٨) ٩١٤
- ١٨ - إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين (١٤٩) ٧١٨
- ١٩ - يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك . . . بذات الصدور (١٥٤) ٣٧٧
- ٢٠ - فبأرحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك . . . (١٥٩) ٨٧٢، ١٥٧، ٣٣
- ٢١ - لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم . . . لن يضلوا ميين (١٦٤) ١٦

النساء

- ١ - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) ٣٤
- ٢ - من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . . وطعنا في الدين (٤٦) ٣٧٨
- ٣ - فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول . . . (٥٩) ٥٥٨

- ٤ - ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ... (٦٤) ٥٩٦، ٥٤٣
- ٥ - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ... (٦٥) ٩٤٥، ٦٢٧، ٥٤٧
- ٦ - ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ... (٦٩) ٥٦٦، ٥٤٣
- ٧ - من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠) ٥٤٣، ٢٧، ١٨
- ٨ - ولولا فضل الله عليك ورحمة لممت طائفة منهم أن يضلوك ... (١١٣) ٧٥٧
- ٩ - وعلمك ما لم تكن تعلم (١١٣) ٧٢٥، ٣٣٠، ١٣٤، ٧٦
- ١٠ - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ... (١١٥) ١٠٧٩، ٥٥٩
- ١١ - من يعمل سوءا يجز به ... (١٢٣) ٩١٨
- ١٢ - آمنوا بالله ورسوله (١٣٦) ٢٤
- ١٣ - إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا ... أولئك هم الكافرون حقا ... (١٥١، ١٥٠) ١٠٩٧
- ١٤ - ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ... (١٥٧) ٨٥٨
- ١٥ - إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ... وكفى بالله شهيدا (١٦٦-١٦٣) ٦٠
- ١٦ - قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ... (١٧٠) ٧٤٧

المائدة

- ١ - اليوم أكملت لكم دينكم ... (٣) ٨٨٨
- ٢ - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن ييسطوا إليكم أيديهم ... المؤمنون (١١) ٤٩٧، ٤٩٢، ٤٩١
- ٣ - ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح (١٣) ٩٥٩، ٣٣٢
- ٤ - قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) ٣٨٢، ٣٢٦، ٢١
- ٥ - يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام . . . صراط مستقيم (١٦) ٣٨٢، ٣٣٦
- ٦ - وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ... وإليه المصير (١٨) ٢٨٣

٧ - إيماناً جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض

فساداً (٣٣) ٩٤٥

٨ - ومن الذين هادوا سماعون للكذب عذاب عظيم (٤١) ٣٧٨

٩ - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٦٧) ٧١٧

١٠ - والله يعصمك من الناس (٦٧) ٦٦ ، ٧٢ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٧١٧ ، ٨٨٦

١١ - ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . .

يؤفكون (٧٥) ٦٩٠

١٢ - أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . . . (١١٦) ٧٠١

١٣ - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) ٧٦٧

الأنعام

١ - فقد كذبوا بالحق لما جاءهم (٥) ٣٢٥

٢ - ولوجعلناه مأكلاً لجعلناه رجلاً (٩) ٦٩١

٣ - ولقد استهزئُ برسلك من قبلك . . . يستهزئون (١٠) ٥٧

٤ - أساطير الأولين (٢٥) ٣٦٣

٥ - قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون . . . يتحدثون (٣٣) ٣٩

٦ - ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا . . . للرسالين (٣٤) ٤٠

٧ - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٣٥) ٧١٤

٨ - ما فرطنا في الكتاب من شيء (٣٨) ٣٩١

٩ - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي . . . فتكون من الضالين (٥٢) ٧١٨

١٠ - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) ٢٨٧

١١ - لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) ٩٢٢

١٢ - ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا . . . فبهذا ما اقتده (٨٤ - ٩٠) ٧٩٥ ، ١٩٢

١٣ - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون (٩١) ٤

- ١٤ - لا تدركه الأبصار ... وهو اللطيف الخبير (١٠٣) ٢٦٢، ٢٥٧
 ١٥ - والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ... (١١٤) ٧٠٠
 ١٦ - وإن تطمع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله (١١٦) ٧١٨، ٧١٧

الأعراف

- ١ - إني لكأمن الناصح (٢١) ٨٢٣
 ٢ - ألم أنهكما عن تلكم الشجرة (٢٢) ٨٢٢
 ٣ - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) ٨١١
 ٤ - قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها (٨٩) ٧٢٣
 ٥ - فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) ٩٢١
 ٦ - لن تراني ... تبت إليك ... (١٤٣) ٨١٢، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦١
 ٧ - إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي (١٤٤) ٨٤٤
 ٨ - الذين يتبعون الرسول النبي الأمي .. قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ...
 فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ... لعلمكم تهتدون (١٥٨، ١٥٧) ٥٤٧، ٥٣٨، ٧٤، ٣٣
 ٩ - فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فيما آتاها (١٩٠) ٨١١
 ١٠ - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (١٩٩) ٣٣٢، ١٣٥
 ١١ - وإما يزرعكن من الشيطان زرع فاستعذ بالله ... (٢٠٠) ٧٤٠

الأنفال

- ١ - وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ... (٧) ٣٧٨
 ٢ - إذ تستغيثون ربكم ... إن الله عزيز حكيم (١٠، ٩) ٥١١
 ٣ - إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم ففتتوا الذين آمنوا (١٢) ٥١١
 ٤ - فلم تقتلوه ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (١٧) ٧١
 ٥ - إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ... (١٩) ٣٢٩
 ٦ - يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله (٢٠) ٥٤٢

- ٧ - وإذ يمكرك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك... والله خير الماكرين (٣٠) ٧٢، ٣٨٩
- ٨ - لو نشاء لقلنا مثل هذا... (٣١) ٣٦٤
- ٩ - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم... (٣٣) ٦٤، ٦٣
- ١٠ - وما لهم ألا يعذبهم الله... (٣٤) ٦٣
- ١١ - قل الذين كفروا إن ينتهوا يغفر لكم ما قد سلف (٣٨) ١٠٣٣
- ١٢ - وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس (٤٨) ٧٣٩
- ١٣ - هو الذي أبدك بنصره... (٦٢) ٦٦
- ١٤ - بأيها النبي حسبك الله (٦٤) ٢٨٨
- ١٥ - ما كان انبي أن يكون له أمرى... لولا كتاب من الله سبق... (٦٧، ٦٨) ٨١٨، ٨١٧، ٨١٦، ٨١٠
- ١٦ - فاكلوا مما غنمتم حلالا طيبا... (٦٩) ٨١٩

التوبة

- ١ - وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم... لعلهم ينتهون (١٢) ١٠٣١
- ٢ - قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم... مؤمنين (١٤) ٣٧٧
- ٣ - يبشرهم برحمة منه ورضوان (٢١) ٣٣٦
- ٤ - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم... الفاسقين (٢٤) ٥٦٣
- ٥ - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) ٣٧٧، ٣٧٥
- ٦ - إلاتنصروه فقد نصره الله.. فأنزل الله سكينته عليه.. والله عزيز حكيم (٤٠) ٧١٣، ٧٢
- ٧ - عفا الله عنك لم أذنت لهم (٤٣) ٨١٠، ٣٦
- ٨ - ومنهم الذين يؤذون النبي... يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١) ٩٤٧، ٩٢٧، ٣٣٥

- ٩ - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ... إن نعب عن طائفة
 ٩٤٧ نعب طائفة بأنهم كانوا مجرمين (٦٦، ٦٥)
 ١٠ - يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم (٧٣)
 ١١ - وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم الله ورسوله ... (٩١) ٥٨٢
 ١٢ - والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ... الفوز
 العظيم (١٠٠) ٦٦٤، ٦١٢
 ١٣ - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ... والله سميع عليم (١٠٣) ٦٦١
 ١٤ - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ... (١٠٨) ٦٧٨
 ١٥ - لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار (١١٧) ٨٤٨
 ١٦ - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
 بالمؤمنين رؤوف رحيم (١٢٨) ٣٢٥، ٣١٨، ١٥٩، ١٥

يونس

- ١ - وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (٢) ٣١٥، ٣٥
 ٢ - والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) ٧٢٨
 ٣ - لننظر كيف تعملون (١٤) ٩١١
 ٤ - والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٢٥) ٣٣٣
 ٥ - أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله ... صادقين (٣٨) ٣٦٢
 ٦ - فإن كنت في شك ... (٩٤) ٦٩٨
 ٧ - ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فمكون من الخاسرين (٩٥) ٦٩٩
 ٨ - فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ... (٩٨) ٧٦٤
 ٩ - قل يأيها الناس إن كنتم في شك من ديني ... من المؤمنين (١٠٤) ٦٩٨
 ١٠ - ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك (١٠٦) ٧١٦
 ١١ - قد جاءكم الحق من ربكم (١٠٨) ٣٢٥

هـ

- ١ - ليلوكم أيكم أحسن عملا (٧) ٩١١
- ٢ - قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (١٣) ٣٦٢
- ٣ - ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفرقون (٣٧) ٨١٢
- ٤ - وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي . . . (٤٤) ٣٨٧، ٣٦٧
- ٥ - فلا تسألن ما ليس لك به علم . . . الجاهلين (٤٦) ٧١٥، ٧١٤
- ٦ - وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧) ٨١٢
- ٧ - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . . . (٨٨) ١٩٤
- ٨ - فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء (١٠٩) ٦٩٩

يوسف

- ١ - وإن كنت من قبله لمن الغافلين (٣) ٧٢٨
- ٢ - ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما (٢٢) ١٣١
- ٣ - وغلقت الأبواب وقالت هيت لك (٢٣) ٨٣١
- ٤ - ولقد همت به وهم بها . . . كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (٢٤) ٨٣١، ٨١١
- ٥ - إنا لنراها في ضلال مبين (٣٠) ٧٢٦
- ٦ - ولقد راوته عن نفسه فاستعصم (٣٢) ٨٣١
- ٧ - اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه (٤٢) ٨٤٢، ٧٤٤، ٧٤٢
- ٨ - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء . . . (٥٣) ٨٣١
- ٩ - اجعلني على خزائن الأرض . . . (٥٥) ١٩٤
- ١٠ - إنكم لسارقون (٧٠) ٩١٠، ٩٠٩

١١ - كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه . . . وفوق كل ذي علم

٩٠٩، ٧٣٥

عليم (٧٦)

(٣٨ م)

- ١٢ - فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (٨٠) ٣٦٥
 ١٣ - واسأل القرية (٨٢) ٢٤٤
 ١٤ - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٩٢) ١٤٢
 ١٥ - إنك لفي ضلالك القديم (٩٥) ٧٢٦
 ١٦ - من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي... (١٠٠) ٧٤٠
 ١٧ - حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا (١١٠) ٧٠١

الرد

- ١ - أولئك عليهم اللعنة (٢٥) ٩٠٨

إبراهيم

- ١ - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه (٤) ٢٢٥، ٧٥
 ٢ - لئن شكرتم لأزيدنكم (٧) ٣٣٠
 ٣ - وقال الذين كفروا لرسولهم انخرجنكم من أرضنا... (١٣) ٧٢٣
 ٤ - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها (٣٤) ٢٨
 ٥ - واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام (٣٥) ٧٢٢، ٢٨٩

الحجر

- ١ - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩) ٧٦٣، ٣٨٨، ٣٧٦
 ٢ - لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) ٤١
 ٣ - ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) ٧٣
 ٤ - وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) ٣٢٥
 ٥ - فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين... بما يقولون (٩٤-٩٧) ٤٨٩، ٣٧٨، ٥٧

النحل

- ١ - إنا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (٤٠) ٣٤٠

- ٢ - وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم
يتفكرون (٤٤)
٧٢٦، ٣٢٥، ٧٤
- ٣ - ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء (٨٩)
٣٩١
- ٤ - إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . لعلكم تذكرون (٩٠)
٣٦٥
- ٥ - لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (١٠٣)
٥٠٨
- ٦ - أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا (١٢٣)
٧٩٥
- ٧ - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١٢٦)
٨٣٩

الإسراء

- ١ - سبجان الذي أسرى . . . (١)
٢٥٢، ٢٤٧، ٢٣١
- ٢ - إنه كان عبدا شكورا (٣)
٣٣٠، ١٩١
- ٣ - وإن أسأتم فلها . . . (٧)
٩٠٨
- ٤ - ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (٥٥)
٣٠٩
- ٥ - وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (٦٠)
٢٤٥
- ٦ - وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك . . . ولولا أن ثبتناك لقد
كدت تركن إليهم شيئا قليلا . . . نصيرا (٧٣-٧٥) ٣٨، ٧١٦، ٧٤٩، ٧٥٦
- ٧ - إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات . . . (٧٥) ٧١٦، ٧١٨، ٧٥٣
- ٨ - عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩)
٢٩٠، ٢٨٩
- ٩ - قل ائن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (٨٨) ٣٦٢
- ١٠ - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين . . . (٩٥) ٦٩١

الكهف

- ١ - فاعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦) ٥٧، ٧٠٨
- ٢ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد . . . (١١٠) ٦٩٠
- ٣ - وإذا قال موسى لفتهاه . . . (٦٠) ٧٤٣
- ٤ - وما أنسانيه إلا الشيطان (٦٣) ٧٤٢

- ٧٨٢ ٥ - وعلمناه من لدنا علما (٦٥)
 ٧٣٥ ٦ - هل أتيتك على أن تعلمني مما علمت رشدا (٦٦)
 ١٩٤ ٧ - ستجدني إن شاء الله صابرا (٦٩)
 ٢٢٩ ٨ - وكان تحته كنز لهما (٨٢)
 ٧٨٣ ٩ - وما فعلته عن أمري (٨٢)

مريم

- ٣٤٨ ١ - فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)
 ٢ - يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . . .
 ١٩٠ ، ١٢٧ ويوم يبعث حيا . . . (١٢ - ١٥)
 ١٩١ ، ١٢٨ ٣ - قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . . . مادمت حيا (٣٠)
 ١٩٣ ٤ - إنه كان مخلصا (٥١)
 ١٩٣ ٥ - إنه كان صادق الوعد . . . مرضيا (٥٤ ، ٥٥)
 ٢٣٣ ٦ - ورفعناه مكانا عليا (٥٧)

طه

- ٥٦ ١ - طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢ ، ١)
 ٧٥٧ ٢ - أكاد أخفيها (١٥)
 ٨٣٣ ٣ - وفتناك فتونا (٤٠)
 ١٠٨٤ ٤ - لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)
 ٧١٨ ٥ - لا تخافا إني معكما (٤٦)
 ٨٢٣ ٦ - ولقد عهدنا إلى آدم . . . عزمنا (١١٥)
 ٨٢٣ ٧ - إن هذا عدوك ولزورك . . . (١١٧)
 ٨٤٠ ، ٨٢٣ ، ٨١١ ٨ - وعصى آدم ربه فغوى (١٢١)
 ٨٤٤ ٩ - ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢)

الأنبياء

- ١ - ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون
الليل والنهار لا يفترون (١٩، ٢٠) ٨٥٢
- ٢ - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٢٢) ٣٩١
- ٣ - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢٣) ٣٤٠
- ٤ - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه (٢٦) ١١٠٩
- ٥ - ومن يقل منهم إني إله من دونه . . . الظالمين (٢٩) ٢٢٥
- ٦ - ولقد آتينا إبراهيم رشده (٥١) ١٢٩
- ٧ - قالوا أأنت فعلت هذا بآلقتنا يا إبراهيم . قال : بل فعله كبيرهم
هذا . . . (٦٢، ٦٣) ٧٧٩، ٧٧٨، ٧٥٩
- ٨ - ولوطا آتيناها حكما وعلما (٧٤) ١٩٤
- ٩ - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (٧٩) ١٢٨
- ١٠ - إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر . . . سبحانك إني كنت
من الظالمين (٨٧) ٨١١، ٧٠٩، ٣٠٨
- ١١ - إنهم كانوا يسارعون في الخيرات . . . خاشعين (٩٠) ١٩٤
- ١٢ - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) ٣١٨، ١٥٩، ٦٤، ١٩، ١٨

الحج

- ١ - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (٥٢) ٧٦٠، ٧٤٩، ٧٤١، ٣٤٧
- ٢ - ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض . . .
وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٣، ٥٤) ٧٦٢
- ٣ - وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس (٧٨) ٣٤

المؤمنون

- ١ - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٩٦) ١٥٧

النور

- ١ - ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا... عظيم (١٦) ١١١٠
 ٢ - وليعنفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم... (٢٢) ١٣٦
 ٣ - الله نور السموات والأرض... والله بكل شيء عليم (٣٥) ٢٠
 ٤ - يكاد سنا برقه يذهب بالابصار (٤٣) ٧٥٧
 ٥ - ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم
 الفائزون (٥٢) ٣٦٦
 ٦ - وإن تطيعوه تهتدوا (٥٤) ٥٤٣
 ٧ - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم... (٥٥) ٣٧٥
 ٨ - فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم (٦١) ٦٣٧
 ٩ - لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
 بعضا (٦٣) ٩٢٩ ، ٦٦٥ ، ٥٨٩ ، ٥٨٧

الفرقان

- ١ - إلفك افتراء (٤) ٣٦٣
 ٢ - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام... (٢٠) ٦٩٠
 ٣ - الرحمن فاسأل به خبيرا (٥٩) ٦٩٩ ، ٣٢٨

الشعراء

- ١ - لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) ٥٧
 ٢ - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) ٥٧
 ٣ - فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ٧٢٦
 ٤ - فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين (٢١) ١٩٢

- ٧٢٢ ٥ - إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠)
- ٧٢٢ ٦ - أفأرى ما كنتم تعبدون . . . إلا رب العالمين (٧٥ - ٧٧)
- ٨١٢ ، ٢٨٨ ٧ - والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢)
- ٢٨٨ ٨ - واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤)
- ٢٨٨ ٩ - ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧)
- ١٩٢ ١٠ - إني لكم رسول أمين (١٠٧)
- ٩٢ ، ١٨ ١١ - وتقلبك في الساجدين (٢١٩)

النمل

- ٣٩٣ ١ - إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦)

القصاص

- ٣٦٦ ، ٣٤٩ ١ - وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . . . المرسلين (٧)
- ٢ - فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان . . .
- ٨٣٢ ، ٨١١ ، ٧٤٣ قال رب إني ظلمت نفسي . . . (١٥ ، ١٦)
- ١٩٢ ٣ - إن خير من استأجرت القوى الأمين (٢٦)
- ٣٣٣ ٤ - إنك لا تهدي من أحببت . . . (٥٦)

العنكبوت

- ٩٢١ ، ٣٦٨ ١ - فكلأ أخذنا بذنبة فهم من أرسلنا عليه حاصبا ... (٤٠)
- ٥٠٨ ٢ - وما كنت تقلو من قبله من كتاب . . . المبطلون (٤٨)
- ٥٦١ ٣ - أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم (٥١)

الروم

- ٣٧٥ ١ - وهم من بعد غلبهم سيفعلون (٣)
- ٣٩١ ٢ - ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (٥٨)

لقمان

١ - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ١٣٦

الأحزاب

١ - اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين (١) ٧١٨، ٧١٧

٢ - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم (٦) ٦٠٤، ٣٣٢، ٧٥

٣ - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح (٧) ٧٢٠، ٣٣١، ٦٠

٤ - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... (٢٣) ٦١٣

٥ - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (٣٣) ٦٠٦، ٦٠٤، ٢٨٩، ٢١٦

٦ - وإذا تقول الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك

زوجك ... (٣٧) ٨٨٣، ٨٨١، ٨٧٩، ٨٧٨

٧ - ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين

خلوا من قبل ... (٣٨) ٨٨٢، ٨٨٠

٨ - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (٤٠) ٨٨١

٩ - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ... (٤٣) ٦٦١

١٠ - يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى

الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٥، ٤٦) ٥٨٧، ٣٣٣، ٣٢٦، ٢٩، ٢١

١١ - وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا

أزواجه من بعده أبدا ... (٥٣) ٩٢٧، ٢٣٠

١٢ - إن الله وملائكته يصلون على النبي (٥٦) ٦٧٠، ٦٦٤، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٦، ٦٥، ٢٦

١٣ - إن الذين يذنون الله ورسوله لعنهم الله ... (٥٧) ٩٧٠، ٩٤٤، ٩٢٧

١٤ - لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ... تفتيلا (٦١، ٦٠) ٩٦٥، ٩٤٤

١٥ - يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا

الرسولا ... (٦٦) ٥٤٤، ٦١

١٦ - يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ... (٦٩) ١٩١

سبأ

- ١ - وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد (١١ ، ١٠) ١٩٦
- ٢ - وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤) ١٠٨٤
- ٣ - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (٢٨) ٢٢٥ ، ٧٤
- ٤ - ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١) ٣٦٧

فاطر

- ١ - وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك (٤) ٥٨
- ٢ - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٢٤) ١٠٦٩

يس

- ١ - يس . والقرآن الحكيم (٢ ، ١) ٤٢
- ٢ - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا . . . فهم لا يبصرون (٩ ، ٨) ٤٩٧
- ٣ - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم . . . يرجعون (٥٠ ، ٤٩) ٩٢٤
- ٤ - أو ليس الذي خلق السموات والأرض (٨١) ٣٩١

الصافات

- ١ - طالعها كأنه روس الشياطين (٦٥) ٧٤٣
- ٢ - وإن من شيعته لإبراهيم (٨٣) ٦٢
- ٣ - إذا جاء ربه بقلب سليم (٨٤) ٧٢٢
- ٤ - إني سقيم (٨٩) ٧٧٨
- ٥ - فبشرناه بغلام حليم (١٠١) ١٩٣
- ٦ - ستجدني إن شاء الله من الصابرين (١٠٢) ١٩٣

٧ - إذ أبق إلى الفلك المشحون (١٤٠) ٣٠٨

٨ - وما منا إلا له مقام معلوم . . . المسبحون (١٦٤ - ١٦٦) ٨٥٢

ص

١ - إنه أواب (١٧) ١٩٤

٢ - وظن داود أنما فتناه . . . وحسن مآب (٢٤ ، ٢٥) ٨٤٤ ، ٨٢٧ ، ٨١١

٣ - ولقد فتننا سليمان . . . (٣٤) ٨١٢

٤ - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من

بعدي (٣٥) ٨٣٧ ، ٧٣٨ ، ٥١٤

٥ - فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء . . . وحسن مآب (٣٦ - ٤٠) ٨٤٤

٦ - نعم العبد إنه أواب (٣٠ ، ٤٤) ١٩٣

٧ - أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب (٤١) ٧٤٢

٨ - إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) ١٩٠

٩ - واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق . . . الأخيار (٤٥ - ٤٨) ١٩٣

الزمر

١ - تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . . . إلى ذكر الله (٢٣) ٣٨٥

٢ - والذي جاء بالصدق وصدق به . . . ذلك جزاء المحسنين (٣٣ ، ٣٤) ٢٨

٣ - أليس الله بكاف عبده (٣٦) ٤٨٨ ، ٦٦

٤ - حسبي الله (٣٨) ٢٨٨

٥ - لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥) ٧١٨ ، ٧١٦ ، ٦٩٨

غافر

١ - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (١٦) ٢٧٧

فصلت

١ - هم . تنزيل من الرحيم الرحيم . . . مثل صاعقة عاد وثمود (١ - ١٣) ٣٨٧

- ٢ - في أكنة مما تدعونا إليه ... (٥) ٣٦٤
 ٣ - لاتسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) ٧٦٢، ٣٦٤
 ٤ - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة ... (٣٤) ٩٦٠، ٣٦٧
 ٥ - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... (٤٢) ١١٠١، ٣٨٨

الشورى

- ١ - ليس كمثل شيء (١١) ٣٤٠، ٣٣٨
 ٢ - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (١٣) ٧٩٥
 ٣ - إلا المودة في القربى (٢٣) ١٦
 ٤ - فإن يشأ الله يختم على قلبك (٢٤) ٧١٨، ٧١٧
 ٥ - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣) ١٣٦
 ٦ - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب (٥١) ٣٤٩، ٣٤٥، ٢٦٨، ٢٤٥

- ٧ - وإنك تهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) ٣٣٣
 ٨ - وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ... ولا الإيمان (٥٢) ٧٢٧

الزخرف

- ١ - حتى جاءهم الحق ورسول مبين (٢٩) ٣٢٥
 ٢ - واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : ... (٤٥) ٦٩٩

الدخان

- ١ - ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ... رسول أمين (١٧، ١٨) ١٥٣
 ٢ - ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣٢) ١٨٨

الأحقاف

- ١ - وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (٩) ٨١٣
 ٢ - وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ... منذرين (٢٩) ٥١١

٣ - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (٣٥) ١٩٢ ، ١٣٦

محمد

١ - واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (١٩) ٨١٣ ، ٨١٠

٢ - ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ... (٣١) ٩١٢

الفتح

١ - إنا فتحنا ... ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٢٤١)

٨١٠ ، ٣٣٦ ، ٢٨٨ ، ٢٢٥ ، ٦٦

٢ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ... فوق أيديهم (١ - ١٠) ٦٧

٣ - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله

ورسوله ... (٩ ، ٨) ٥٨٧ ، ٥٣٧

٤ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ٥٣٨

٥ - لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة (١٨) ٦١٣

٦ - وهو الذى كف أيديهم عنكم ... وكان الله بما تعملون بصيرا (٢٤) ١٤٣

٧ - لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥) ٦٣

٨ - لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين (٢٧) ٣٧٥

٩ - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ...

ذلك مثلهم فى التوراة ... (٢٩) ٦١٢ ، ٣٨١

الحجرات

١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ...

لَا تَشْعُرُونَ (٢) ٩٤٦

٢ - إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠) ٧٨٠

٣ - وَجَمَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ... أَتَقَامُ (١٣) ٢١٦

ق

١ - ق وَالْقُرْآنُ الْحَمِيدُ (١) ٤٥

٣٢٨ ٢ - وما أنت عليهم بجبار (٤٥)

الذاريات

٩٤٥ ١ - قتل المراصون (١٠)

٥٨ ٢ - كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)

٥٨ ٢ - فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)

الطور

١ - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ...

٣٨٦ المصيطرون (٣٥ - ٣٧)

٤٨٨ ، ٥٨ ٢ - واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ... (٤٨)

النجم

٢٣١ ، ٤٩ ، ٤٥ ١ - والنجم إذا هوى (١)

٢٣١ ٢ - والنجم إذا هوى ... ربه الكبرى (١ - ١٨)

٧٤٧ ٣ - وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى بوحي (٤ ، ٣)

٢٦٩ ، ٢٦٧ ٤ - دنا فتدلى (٨)

٢٨٧ ، ٢٦٩ ، ٢٦٦ ٥ - فكان قاب قوسين أو أدنى (٩)

٢٦٧ ٦ - فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠)

٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٤١ ٧ - ما كذب الفؤاد ما رأى (١١)

٢٥٨ ، ٢٤١ ٨ - أفتأرونه على ما يرى (١٢)

٢٥٨ ٩ - ولقد رآه نزلة أخرى (١٣)

٢٤٠ ، ٢٣٩ ١٠ - إذ يفشى السدرة ما يفشى (١٦)

٢٥٦ ، ٢٤٨ ١١ - ما زاغ البصر وما طغى (١٧)

٧٤٨ ١٢ - أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى (٢٠ ، ١٩)

القمر

- ١ - اقتربت الساعة وانشق القمر ... سحر مستمر (٢٠١) ٣٩٦، ٣٩٣
- ٢ - ولقد يسرنا القرآن للذكر ... (١٧) ٣٩٤
- ٣ - سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) ٣٧٧

الواقعة

- ١ - لا يمسه إلا المطهرون . (٧٩) ٨٥٢
- ٢ - فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) ٢٠

المجادلة

- ١ - وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول (٨) ٩٤٧، ٣٧٧
- ٢ - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ... (٢٢) ٥٧٥

الحشر

- ١ - وما أفاء الله على رسوله منهم فإا أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ... رؤوف رحيم (٦ - ١٠) ٦١٥
- ٢ - وما آتاكم الرسول فخذوه ... (٧) ٧٤٧، ٥٥٢، ٥٤٣
- ٣ - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ... (٨) ١١١٢
- ٤ - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم (٩) ١١١٢، ٥٧١
- ٥ - والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا (١٠) ١١١٢، ٦٦٤
- ٦ - أو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا ... (٢١) ٣٨٥

الممتحنة

- ١ - لقد كان لكم فيها أسوة حسنة (٦) ٥٤٧

الجمعة

- ١ - هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ... انى ضلال مبين (٢) ١٧

المنافقون

- ١ - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ... (١) ٥٤
- ٢ - قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤) ٩٤٥
- ٣ - والله العزة وللرسوله (٨) ٣٣٦

التغابن

- ١ - فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا (٨) ٥٣٧
- ٢ - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم (١٤) ٢٨٣

التحريم

- ١ - لم تحرم ما أحل الله لك ... رحيم (١) ٨٨٣
- ٢ - وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ... ظهير (٤) ٥١١ ، ٦٦
- ٣ - لا يمسسون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦) ٨٥٢
- ٤ - يوم لا يخزى الله النبي (٨) ٢٨٨

القلم

- ١ - ن والقلم وما يسطرون ... على الخراطوم (١ - ١٦) ٥٣
- ٢ - وإنك لعلى خلق عظيم (٤) ٣٢٧ ، ١٢٦
- ٣ - فلا تطع المكذابين ... قال أساطير الأولين (٨ - ١٥) ٥٥
- ٤ - ولا تكن كصاحب الحوت (٤٨) ٧١٠
- ٥ - فاجتبه ربه فجعله من الصالحين (٥٠) ٧١٠

الحاقة

- ١ - الحاقة . ما الحاقة ... من باقية (١ - ٨) ٤٩٣
- ٢ - إنه لنول رسول كريم (٤٠) ٣٢٧
- ٣ - ولو تقول علينا بعض الأقاويل ... الوتين (٤٤ - ٤٦) ٧٥٣ ، ٧١٨
- ٤ - لأخذنا منه باليمين (٤٥) ٧١٧

نوح

- ١ - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٦) ١٣٧

الجن

- ١ - إنما سمعنا قرآن عجبا . يهدى إلى الرشدا (٢٠١) ٣٩٠

المذثر

- ١ - ذرني ومن خلقت وحيدا ... سحر يؤثر (١١ - ٢٤) ٣٧١

- ٢ - إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) ٣٦٣

عبس

- ١ - عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى (٢٠١) ٨١٠

- ٢ - كرام بررة (١٦) ٨٥٢

التكوير

- ١ - فلا أقسم بالخنس ... شيطان رجيم (١٥ - ٢٥) ٥٢

- ٢ - ذى قوة عند ذى العرش مكين (٢٠) ٣٣١

- ٣ - مطاع ثم أمين (٢١) ٣٣٤ ، ١٧٢ ، ٢٠

المطففين

- ١ - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ٢٤٤

الطارق

- ١ - والسماء والطارق . . . النجم الثاقب (١ - ٣) ٥٠

الفجر

- ١ - والفجر . وليال عشر (٢٠١) ٤٦

البلد

- ١ - لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد (٢٠١) ٤٣

- ٢ - ووالله وما ولد (٣) ٤٤

٣١٨ ٣ - وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة (١٧)

الضحى

٤٧ ١ - ما ودعك ربك وما قلى (٣)

٤٧ ٢ - وللآخرة خير لك من الأولى (٤)

٣٠٥ ، ٤٧ ٣ - ولسوف يعطيك ربك فترضى (٥)

٧٢٧ ، ٧٢٤ ٤ - ووجدك ضالا فهدى (٧)

الشرح

٢٦٠ ١ - ألم نشرح لك صدرك (١)

٨١٠ ٢ - ووضعنا عنك وزرك الذى ألقى ظهرك (٣)

٢١ ٣ - ألم نشرح . . . فارغب (١ - ٨)

٢٨٨ ٤ - ورفعنا لك ذكرك (٤)

التين

٤٤ ١ - وهذا البلد الأمين (٣)

الكوثر

٧٣ ١ - إنا أعطيناك الكوثر . . . (١ - ٣)

النصر

٨٤٨ ، ٣٧٥ ١ - إذا جاء نصر الله والفتح توأبا (١ - ٣)

المسد

٤٩٢ ١ - تبت يدا أبى لهب وتب (١)

٣ - فهرس موضوعات الكتاب مفصلة*

الكتاب يتضمن التعريف بقدر المصطفى ٤ ، رجاء المؤلف للثواب في تأليفه ٦ ،

تسمية الكتاب « الشفا » ٨ ، أقسام الكتاب ٨ ، أقسام الكتاب وأبوابه : ٨-١١

تعظيم العلى لقدر هذا النبي ١٢ ، فضائل النبي ومحاسنه كثيرة ١٣ ، منها ما صرح الله

في كتابه ، ومنها ما أبرزه للعيان ١٣ ، ١٤ ، من حديث الإسراء ١٤

ثناء الله عليه ، وإظهار قدره لديه ١٥ ، ما جاء من المدح والثناء وتعداد المحاسن

في القرآن الكريم ١٥ - ٢٢ ، رفع الله ذكره ٢٣ - ٢٤ ، قرن طاعته بطاعته ٢٤ ، ٢٥

واسمه باسمه ٢٤ ، إرشاده الناس إلى الأدب في تقديم مشيئة الله ٢٥ ، اختلاف المفسرين

في قوله تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبي ٢٦ ، محمد هو الذى جاء بالصدق ٢٨

في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة ٢٩ ، هو موصوف

في التوراة والإنجيل ببعض صفته في القرآن ٣٠ - ٣٣ ، ابن جانبه ٣٣ ، أمة محمد ٣٤ ،

شفاعته ٣٥

ما ورد من خطاب النبي مورد الملاحظة والميرة ٣٦ ، عفا الله عنك لم أذنت لم ٣٦ ،

من إكرامه وبره به ٣٧ ، يجب على المسلم أن يتأدب بأدب القرآن ٣٧ ، عتاب الله

إياه ، وعتاب الأنبياء ٣٨ ، تسلية الرسول وتقرير أنه صادق ٣٩ ، كان يسمى الأمين

٣٩ ، خطابه وخطاب الأنبياء ٤١

قسمه تعالى بمقام قدره ٤١ ، القسم بمدة حياته ٤١ ، الاختلاف في معنى « يس » .

« لا » في قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » ٤٣ ، الحروف التي بدئت بها السور : ٤٤

قسمه تعالى له ليظهر مكانته ٤٦ ، والضجى والليل إذا سجي ٤٦ ، سبب نزول

هذه السورة ٤٦ ، ما تضمنته هذه السورة من كرامة الله له ٤٧ اختلاف المفسرين

* حاولنا في هذا الفهرس أن نبرز أهم المسائل ، وأحاديث الرسول الواردة في الكتاب .

في قوله تعالى : « والنجم إذا هوى » ٥٠ ، ما تضمنته « والسماء والطارق » من فضله وشرفه ٥٠ ، ما الذى اشتملت عليه هذه الآيات من تركية جلته وعصمتها ٥١ ، ما اشتملت عليه الآيات « ن ، والقلم » من المبرة في المخاطبة والآداب في المحاورة ٥٣ ما ورد في جهته مورد الشفقة والإكرام ٥٦ ، توجيسته « طه ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى » ٥٦ ، فيم نزلت ٥٦ ، الشفقة والمبرة في قوله تعالى : « فلكم باخع نفسك على آثارهم » ٥٧ ، آيات أخرى في الدلالة على ذلك ٥٧ ، تعزية الله له ٥٨ ما أخبر الله به في القرآن من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء ٥٩ ، آيات من القرآن الكريم وشرحها ٥٩ ، حديث قتادة : كنت أول الأنبياء في الخلق .

إعلام الله خلقه بصلواته عليه : ٦٣ ، آيات تظهر مكانته ٦٣ ، حديث : أنزل الله على أمانين لأمتي ٦٤ ، حديث : أنا أمان لأصحابي ٦٤ ، الفرق بين لنظ الصلاة والبركة ٦٥ ، تفسير حروف كميمص ٦٥

ما تضمنته سورة الفتح من كراماته ٦٧ ، إعلام النبي بما قضاه الله له من ظهوره وغلبته على عدوه ٦٧ ، وأنه مغفور له ٦٨ ، وإتمام نعمته عليه بالفتح . . . ٦٨ ، وعدّه محاسنه وخصائصه : من شهادته على أمته بتبليغه الرسالة ٦٩ ، وإتمام النعمة ، والهداية ٦٩ ، ومن نعمته عليه أن جعله حبيب ٧٠

ما أظهره الله في كتابه من كرامته عليه ومكانته عنده ٧٢ ، قصة الإسراء ٧٢ ، عصمته من الناس ٧٢ ، إعطاؤه السكوث ٧٣ ، إيتاؤه السبع المثاني والقرآن العظيم ٧٣ ، إرساله إلى الناس كافة ٧٥

تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقاً ٧٧ ، خصال الجلال في البشر نوعان : ٧٧ ، الضروري المحض ٧٧ ، المكتسبة الأخروية ٧٨

اجتماع كل خصال الخير فيه ٧٩ ، تفصيل في ذلك ٨١ ، الصورة وجمالها ٨٢ ،

حديث : كان أزهر اللون ٨٣ ، حديث البراء : ما رأيت من ذي لمة .: ٨٤ ، حديث أبي هريرة : ما رأيت أحسن من رسول كأن الشمس تجري في وجهه ٨٤ ، حديث جابر بن سمرة : كان وجهه مثل السيف ٨٤ ، ووصف أم معبد له : ٨٤

نظافة جسمه وطيب ريحه ٨٥ ، حديث أنس : ماشمت عنبراً قط ولا مسكاً... ٨٦ ،

حديث جابر بن سمرة : أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده... ٨٦ ، نومه في دار أنس فغرق ٨٧ ، حديث جابر : لم يكن النبي يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه ٨٧ ، حديث جابر : أردفني النبي خلفه ٨٧ ، عائشة تقول للنبي : إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئاً ٨٨ ، حديث علي في غسله : غسلت النبي ٨٩ ، قول أبي بكر حين قبل النبي بعد موته ٨٩ ، شرب مالك بن سنان دمه ٨٩ ، شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته ٨٩ ، امرأة شربت بوله ٩٠ ، النبي ولد مختوناً ٩٠ ، نومه وصلاته ولم يتوضأ ٩١

وفور عقله وذكاء ليه ٩١ ، قال وهب... قرأت فوجدت في جيمها : أنه أرجح

الناس عقلاً ٩٢ ، قول مجاهد : كان الرسول إذا قام في الصلاة يرى من خلفه ٩٢ ، في الموطأ : إني لأراكم من وراء ظهري ٩٢ ، عن عائشة : كان يرى في الظلة ٩٣ ، رؤيته الملائكة والشياطين ٩٣ ، حديث أبي هريرة : لما نبأني الله لموسى ٩٤... ، صرع النبي ركانة ٩٥ ، حديث أبي هريرة : ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله في مشيه ٩٥

فصاحة لسانه وبلاغة قوله ٩٥ ، دليل ذلك كلامه مع قریش والأنصار ، وأهل

الحجاز ونجد ، ومع ذي الشعار ، وطهفة ٩٦ ، كتابه إلى همدان ٩٧ ، قوله لنهد ٩٨ ، كتابه لوائيل بن حجر ٩٩ ، جوامع كلمه وحكمه أنف فيها الناس ١٠١ ، أمثلة من كلامه ١٠٢ ، وصف أم معبد لكلامه ١٠٦

شرف نسبه وكرم بلده ١٠٧ ، حديث أبي هريرة : بعثت من خير قرون بني

آدم... ١٠٨ ، حديث : إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ١٠٨ ، قوله : إن الله اصطفى

من ولد إبراهيم إسماعيل... ١٠٨ ، وحديث ابن عمر : إن الله اختار خلقه... ١٠٨ ،
وعن ابن عباس : إن قريشا كانت نورا ١٠٩
ما تدعو ضرورة الحياة إليه على ثلاثة ضروب ١٠٩ :

الضرب الأول : ما التمدح بقلته اتفاقا ١٠٩ ، حديث : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه ١١١ ، حديث عائشة : لم يمتلئ جوف النبي شيئا قط ١١٢ ، من حكمة لقمان :
إذا امتلأت المدة ١١٣ ، في الحديث قوله : أما أنا فلا آكل متكئا ١١٣ ، قوله :
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ١١٤

الضرب الثاني : ما يتفق للمدح بكثرة ١١٤ ، من ذلك النسخ ١١٤ ، النسخ
سنة مأثورة ١١٤ ، قول النبي : تناكعوا تناسلوا ١١٥ ، نهى النبي عن التبتل ١١٥ ،
تفسير قوله تعالى في يحيى : إنه كان حصورا ١١٥ ، عن أنس أنه كان يدور على نسائه
١١٨ ، قول سليمان : لأطوفن الليلة على مائة امرأة... ١١٨ ، رزق النبي الحشمة
والسكينة في القلوب ١٢٠ ، مثل تدل على ذلك ١٢٠

الضرب الثالث : ما تختلف الحالات في التمدح به ككثرة المال ١٢١ ، لم يستأثر
النبي بشيء من النى والفنمية ١٢٣ ، زهده فيما عدا ما تدعو إليه الضرورة ١٢٤
الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة ١٢٥ ، قالت عائشة : كان خلقه القرآن ١٢٦ ،
قول الرسول : بعثت لأتم مكارم الأخلاق ١٢٦ ، أمثلة مما تحسلى به النبي والأنبياء
١٢٧ ، قصة المرجومة ١٢٨ ، قصة العبي ١٢٩ ، ما أخبرت به آمنة بنت وهب عن
النبي حين ولد ١٣٠ ، حديث النبي : بنضت إلى الأوثان... ١٣٠ ، بعض الناس
يطبع على بعض هذه الأخلاق ١٣١ ، كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة
والكذب ١٣٢

بيان أصول هذه الأخلاق وتحقيق وصف النبي بها ١٣٣ ، أصنافها ونقطة دائرتها

مكان النبي من كمال العقل ١٣٣

الفرق بين الحلم والاحتمال . . . ١٣٥ ، حديث : ما خير النبي في أمرين قط إلا اختار أيسرهما . . . ١٣٧ ، لم يدع على قومه ١٣٧ ، رجل قال له اعدل ، فبين له جهله ١٣٨ ، تصدى غورث بن الحارث للفتك به ١٣٩ ، عفو عن اليهودية التي سمته ١٣٩ ، قوله : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ١٣٩ ، أعرابي يجذبه بردائه . . . وقول الأعرابي له : إنك لا تكافي بالسبيئة السبيئة ١٤٠ ، حديث عائشة : ما رأيت الرسول منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله ١٤٠ ، حديثه مع زيد بن سمنة حين جاءه يتقاضاه ديننا عليه ١٤١ ، حلمه وصبره يتجلى في عفو عن قریش بعد الفتنة ١٤٢ ، كان رسول الله أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا ١٤٣

الجود والكرم والسخاء والسماحة وممانيتها ١٤٤ ، حديث : ما سئل النبي عن شيء فقال : لا ١٤٥ ، حديث ابن عباس : كان النبي أجود الناس بالخير . . . ١٤٥ ، محمد يعطى عطاء من لا يخشى فاقة ١٤٥ ، أمثلة أخرى لجوده وسخائه : ١٤٦ ، ١٤٧ معنى الشجاعة والنجدة ١٤٧ ، لم يفسر النبي يوم حنين ١٤٨ ، قوله : أنا النبي لا كذب ١٤٩ ، ابن عمر يقول : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أَرْضى من رسول الله ١٥٠ ، قول علي : إنا كنا إذا حى البأس . . . ١٥٠ ، حديث أنس : كان النبي أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . . . ١٥١ ، أبي بن خلف يتوعد النبي يوم بدر ، ويحاول قتله يوم أحد ١٥١

معنى الحياء والإغضاء ١٥٢ ، حديث : كان النبي : أشد حياء من العذراء في خدرها ١٥٣ ، حديث عائشة : لم يكن النبي فاحشا ولا متفجشا ١٥٤

حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ١٥٤ ، حديث علي عنه إنه كان أوسع الناس صدرا . . . ١٥٥ ، قول النبي لقيس بن سعد : اركب ، فأبى ، فقال له : إما أن تتركب وإما تنصرف ١٥٥ ، كان الرسول بكرم كريم كل قوم . . . ١٥٦ ، كان دائم

البشر ١٥٦ ، أنس يقول : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أف قط . . .
١٥٧ ، مثل أخرى له مع أصحابه ١٥٧ ، ١٥٨

خلقه الشفقة والرحمة والرأفة ١٥٩ ، إعطاؤه صفوان بن أمية الغنم . وقول صفوان :
لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبفض الخلق إليّ . . . ١٦٠ ، حديث الأعرابي الذي
قال له : لا ، ولا أجلت - بعد أن قال له : أحسنت إليك ؟ ١٦٠ ، قول النبي : مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت . . . ١٦١ ، قوله : إني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر ١٦٢ ، شففته على قومه حتى بعد أن كذبوه ١٦٣ ، عرض جبريل
عقابهم ١٦٣

خلقه في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ١٦٤ ، حديث ابن أبي الحساء : بايعت
النبي ببيع قبل أن يبعث وبقيت منه بقية ١٦٤ ، كان يصل ذوي رحمه من غير أن
يؤثرهم ١٦٥ ، قدم وفد النجاشي فقام يخدمهم ١٦٦ ، حديثه مع أخته من الرضاعة :
الشيء ١٦٦ ، مثل أخرى من بره بذوي رحمه : ١٦٧

تواضعه على علوم منصبه ١٦٨ ، اختار أن يكون نبيا عبدا ١٦٨ ، قوله : لا تقوموا
كما تقوم الأعاجم ١٦٨ ، جلوسه إلى امرأة في عقلا شيء ١٦٩ ، مثل من تواضعه ١٦٩ -
١٧١ ، قوله لرجل هابه : إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ١٧١
عدله وأمانته . . . ١٧٢ ، كان يسمى قبل نبوته الأمين ١٧٢ ، حكم في وضع
الحجر الأسود ١٧٢ ، شهادة أبي جهل بصدقة ١٧٣ ، صدق لهجته ١٧٤ ، وعدله ١٧٤ ،
النبي جزأ نهاره ثلاثة أجزاء ١٧٥ ، قوله : ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته ١٧٥
وقارؤه وصمته وتؤدته ومروءته . . . ١٧٦ ، كان أوقر الناس في مجلسه ١٧٦ ،
مثل من مظاهر وقاره ١٧٧ ، جلوسه ومشيه ١٧٧ ، كلامه ترتيل أو ترسيل ١٧٨ ،
سكوته على أربع ١٧٨

زهده في الدنيا ١٨٩ ، عائشة تقول : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام تباعا ١٨٠ ،

مثل أخرى لهذه ١٨١ ، ١٨٢ ، طعامه القليل ، وفراشه حشوه ليف ١٨٣ ، عائشة تقول : كنت أبكي رحمة له ١٨٤ .

خوفه ربه وطاعته له ١٨٤ ، قول الرسول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ١٨٥ ، صلاته حتى تنتفخ قدماه ١٨٥ ، ١٨٦ ، مثل من عبادته ١٨٦ ، ١٨٧ ،

تفضيل الأنبياء في كمال الخلق وحسن الصورة ١٨٨ ، صفة موسى ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، صفة أيوب ويحيى ١٩٠ ، صفة نوح ١٩١ ، وصف جماعة من الأنبياء ١٩٢ - ١٩٥ ، صفة سليمان ١٩٥ ، ويوسف ١٩٥ ، ودأود ١٩٦

حديث الحسن عن أبي هالة في وصفه للنبي ١٩٨ - ٢٠٨ ، تفسير غريب هذا الحديث ومشكله ٢٠٩

ماورد من صحيح الأخبار بعظيم قدره عند ربه ٢١٥ ، ما ورد من ذكر مكانته عند ربه ٢١٥ ، قول الرسول : إن الله قسم الخلق قسمين ٢١٦ ، عن أبي هريرة : قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ٢١٦ ، عن وائلة : قال : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ١٦٠ ، من حديث أنس : أنا أكرم ولد آدم ٢١٧ ، في حديث ابن عباس : أنا أكرم الأولين والآخرين ٢١٧ ، عن عائشة قال جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها ... ٢١٧ ، وعن أنس : أتى النبي بالبراق ٢١٧ ، وعن ابن عباس : لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه ٢١٧ ، شعر لعباس بن عبد المطلب : ٢١٨ ، ٢١٩ ، قول النبي : أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ٢١٩ ، عن أبي هريرة : نهضت بالربع ٢٢٠ ، عن عتبة : إني فرط لكم ... ٢٢١ ، عن ابن عمرو قال : أنا محمد النبي الأمي ٢٢١ ، ومن رواية ابن وهب : قال الله تعالى : صل يا محمد ... ٢٢٢ ، وروى عن حذيفة : بشرني ربي أول من يدخل الجنة ٢٢٢ ، وعن أبي هريرة : ما من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ٢٢٣ ، وعن علي : كل نبي أعطى سبعة نجباء ٢٢٤ ، وقال النبي : إن الله قد حبس عن مكة الفيل ٢٢٤ ، وعن ابن عباس : إن الله فضل محمدا على أهل السماء ٢٢٥ ، حديث شق صدره ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، أخبار عن كرامته ورفعة منزلته : ٢٢٨ ، ٢٢٩

تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء : ٢٣١ ، قصة الإسراء وصحتها ٢٣١ ، حديث

الإسراء ٢٣٢ ، أحاديث أخرى في الإسراء : ٢٣٥ - ٢٤٥

هل كان الإسراء بروحه أو جسده ؟ على ثلاث مقالات ٢٤٥ ، معظم السلف

أن الإسراء بالجد وفي اليقظة ٢٤٦ ، وقالت طائفة : كان الإسراء إلى السماء بالروح

٢٤٧ ، الحق والصحيح أنه إسراء بالجد والروح في القصة كلها : ٢٤٨ ، الأحاديث

في ذلك ٢٤٩ - ٢٥٢

إبطال حجج من قال إنها نوم ٢٥٢

رؤيته لربه واختلاف السلف فيها ٢٥٨ ، حديث عائشة : لقد قف شعري . . .

٢٥٧ ، ما روى عن بعض الصحابة في ذلك ٢٥٨ - ٢٦٠ ، رأى المؤلف أن رؤيته تعالى

في الدنيا جائزة عقلا ٢٦١ ، الدليل على جوازها ٢٦١ ، رأى بعض السلف أن الرؤية

في الدنيا ممتنعة ٢٦٣ ، رأى للمالك يؤيد ذلك ٢٦٣ ، قول النبي : نور أنى أراه ٢٦٦

ماورد في قصة الإسراء من مناجاته لله ٢٦٨ ، بعض من نقل ذلك ٢٦٧ ، كلام

الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ٢٦٩

ماورد في حديث الإسراء من الدنو والقرب ٢٦٩ ، آراء في الدنو والقرب ٢٧٠ ،

عن أنس : عرج بن جبريل إلى سدرة المنتهى ٢٧٠ ، تأويل الآية : ثم دنا فتدلى

٢٧١ - ٢٧٢

تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة ٢٧٣ ، حديث : أنا أول الناس خروجاً

٢٧٣ ، قول الرسول : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ٢٧٥ ، وعن ابن عباس : أنا حامل

لواء الحمد ٢٧٥ ، وعن أنس : أنا أول الناس يشفع في الجنة ٢٧٦ ، وأحاديث أخرى

في الباب : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، الحوض ٢٧٨

في تفضيله بالحجة والخلة ٢٧٩ ، حديث : لو كنت متخذاً خليلاً ٢٨٠ ، قوله :

ألا وأنا حبيب الله ولا نفر... ٢٨١ ، تفسير الخلة ٢٨٢ ، الخلة أقوى من النبوة
٢٨٣ ، أيهما أرفع درجة : الخلة أو المحبة ٢٨٤
أصل المحبة ٢٨٥ ، محبة الله لعبده ٢٨٥ ، مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة للنبي ٢٨٦ ،
الفرق بين المحبة والخلة ٢٨٧

في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود ٢٨٩ ، حديث : إن الناس يصيرون يوم القيامة
جُئى ٢٩٠ ، حديث : يحشر الناس يوم القيامة ... ٢٩٠ ، أحاديث وأخبار في الشفاعة
والمقام المحمود ٢٧١ ، ما المقام المحمود ؟ ٢٩٣ ، من صفة يوم القيامة ٢٩٤ ، حديث
الشفاعة ٢٩٤ - ٣٠٠ ، حديث : لكل نبوة دعوة ٣٠١ ، ٣٠٢

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة ٣٠٣ ، حديث : إذا سمعتم للوذن
فتولوا مثل ما يقول ٣٠٤ ، حديث : الوسيلة أعلى درجة في الجنة ٣٠٤ ، الكوثر
٣٠٤ ، ٣٠٥

نهييه عن التفضيل ٣٠٦ ، حديث : ما ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس
ابن متى ٣٠٦ ، خبر اليهودي الذي قال : والذي اصطفى موسى على البشر ٣٠٦ ،
تأويلات في أحاديث التفضيل ٣٠٧ ، النبوة لا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل في أمور
آخر زائدة عليها ٣٠٨

في أسمائه صلى الله عليه وسلم ٣١١ ، حديث : لى خمسة أسماء ٣١١ ، سماه الله
في كتابه : أحد ، ومحمد ٣١٢ ، تفسير هذين الاسمين ٣١٢ ، ٣١٣ ، أول من تسمى بمحمد
من العرب ٣١٤ ، قول النبي : وأنا الماحى ٣١٤ ، قوله : وأنا الحاشر ، والعاقب ٣١٥ ،
بعض أسمائه الأخرى ٣١٦ - ٣١٩ ، من ألقابه في القرآن ٣١٩ ، أسماء أخرى ٣٢٠ ،
ومن أسمائه في الكتب المتقدمة ٣٢١ ، كنيته المشهورة ٣٢٢

في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ٣٢٣ ، خص الله بعض
الأنبياء ببعض الأسماء والصفات ٣٢٣ ، تفضيل النبي بنحو ثلاثين اسماً منها ٣٢٤ ،
حديث : أنا أمانة لأصحابي ٣٣٥

صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ٣٣٧ ، ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ٣٣٨ ،

تفسير للقصيرى ٣٣٨ ، حقيقة التوحيد عندى ذى النون المصرى ٣٣٩

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ٣٤١ ، من تأمل حميد سيره ورجاحة

عقله وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته ٣٤٢ ، وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه

٣٤٢ ، أمثلة لمن آمنوا به لذلك ٣٤٢ ، معنى الرسول والنبي ٣٤٦ ، معنى الوحي ٣٤٨

المعجزة ٣٤٩ ، هي على ضربين ٣٤٩ ، معجزات نبينا من النوعين ٣٥٠ ، معجزات

النبي على قسمين ٣٥١ ، كثير من الآيات المأثورة عنه معلومة بالقطع ٣٥٣ ، انشقاق

القمر ٣٥٣ ، قصة نبع الماء وتكثير الطعام ٣٥٤ ، إخباره عن الغيوب ٣٥٦

إعجاز القرآن ٣٥٨ ، وجوه إعجازه في أربعة وجوه ٣٥٨ ، أولها حسن تأليفه

٣٥٨ ، الوجه الثانى نظمه العجيب ٣٦٩ ، الوجه الثالث ما انطوى عليه من الإخبار

بالمغيبات ٣٧٥ ، الوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم

البائدة ٣٧٩

هذه الوجوه الأربعة بينة لا نزاع فيها ولا مرية ٣٨٢ ، من الوجوه البينة في إعجازه

غير هذه الوجوه ، آى وردت بتعجيز قوم في قضايا ٣٨٢ ، قوله تعالى لليهود : قل إن

كانت لكم الهدى الآخرة ، آية المباهلة ٣٨٣ ، قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا

على عبدنا . . . ٣٨٤

من وجوه إعجازه : الروعة التى تلحق قلوب سامعيه ٣٨٤ ، قوله صلى الله عليه

وسلم : إن القرآن صعب مستصعب ٣٨٥ ، جبير بن مطعم يسمع قوله تعالى : أم خلقوا

من غير شيء . . . فكاد قلبه أن يطير للإسلام ٣٨٦ ، سمع عتبة بن ربيعة النبي يقول :

حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته . . . فأمسك بيده على النبي

وناشده الرحم أن يكف ٣٨٧ ، من رام معارضته اعترته روعة وهيبة كف بها عن

ذلك ٣٨٧ ، محاولة ابن المقفع ذلك ٣٨٨ ، طلب يحيى بن حكم الغزال ذلك ٣٨٨

من وجوه إعجازه كونه آية باقية ٣٨٨ ، قارئه لا يعلمه ٣٨٩ ، وصف الذي القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ... ٣٩٠ ، ومن هذه الوجوه جمعه لمعارف وعلوم لم تعدها العرب ٣٩٠ ، ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم ٣٩١ ، قول النبي : إن الله أنزل هذا القرآن أمرا وزاجرا ٣٩٢ ، في الحديث : إني منزل عليك تورا حديثة ٣٩٣ ، وعن كعب : عليكم بالقرآن ٣٩٣ ، ومن وجوه إعجازه جمعه بين الدليل ومدلوله ٣٩٤ ، ومنها أن جمعه في حيز المنظوم الذي لم يعهد ٣٩٤ ، ومنها تيسير حفظه ٣٩٤ ، ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا ٣٩٥

انشقاق القمر وحبس الشمس ٣٩٦ ، عن ابن مسعود : انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين ٣٩٧ ، آية القمر كانت ليلا ٤٠٠ ، رد الشمس أو حبسها ٤٠٠ ، عن أسماء بنت عميس أن النبي كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي ٤٠٠ ، عن أبي إسحاق : لما أسرى رسول الله ٤٠١

نبي الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ٤٠٢ ، حديث أنس : رأيت رسول الله وحانت صلاة العصر ٤٠٢ ، روى هذا الحديث غير أنس ٤٠٣ ، حديث جابر : عطش الناس يوم الحديبية ٤٠٤ ، وحديث مسلم في ذكر غزوة بواط ٤٠٤ ، عن الشعبي : أتى النبي في بعض أسفاره بإداوة ماء ٤٠٥

تفجير الماء ببركته ٤٠٦ ، عن معاذ في قصة غزوة تبوك ٤٠٦ ، وحديث البراء وسلة في قصة الحديبية ٤٠٦ ، عن أبي قتادة أن الناس شكوا إلى الرسول العطش ٤٠٧ ، حديث عمران حين أصاب النبي وأصحابه عطش في بعض أسفارهم ٤٠٨ ، وعن سلمة : قال نبي الله : هل من وضوء ٤٠٨ ، حديث عمر في جيش العسرة ٤٠٩ ، أبو طالب يقول للنبي بذى الجاز : عطشت وليس عندي ماء ٤٠٩

تكثير الطعام ببركته ودعائه ٤١٠ ، عن جابر أن رجلا أتى النبي يستطعمه ٤١٠ ، حديث أبي طلحة ٤١٠ ، حديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق

ألف رجل ٤١١ ، حديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله وأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما ٤١٢ ، وعن سمرة أتى النبي بقصعة فيها لحم ٤١٢ ، حديث عبد الرحمن بن أبي بكر : كنا مع النبي ثلاثين ومائة ٤١٢ ، حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة وغيره : ذكروا نخصة أصابت الناس ٤١٣ ، عن أبي هريرة : أمرني النبي أن أدعوه له أهل الصفة ٤١٣ ، عن علي : جمع رسول الله بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ٤١٤ ، قال أنس : إن النبي حين ابتنى بزینب ... ٤١٤ ، عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لفدائها ٤١٥ ، حديث جابر في دين أبيه بعده موته ٤١٦ ، قال أبو هريرة : أصاب الناس نخصة ٤١٦ ، حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعة النبي فوجد ابنا ٤١٧ ، حديث خالد بن عبد العزيز أنه أجزر النبي شاة ٤١٨ ، حديث الأجرى في إنسكاح النبي لعلي فاطمة ٤١٨ ، حديث أنس : تزوج رسول الله فصنعت أمي حيسا ٤١٩

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة ٤٢٠ ، عن ابن عمر : كنا مع رسول الله في سفره ٤٢٠ ، سأل أعرابي رسول الله آية ٤٢٠ ، حديث جابر الطويل : ذهب رسول الله يقضى حاجته ٤٢١ ، وعن أسامة بن زيد نحوه ٤٢٢ ، حديث يمل بن سيبابة في نحوه ٤٢٣ ، حديث ابن مسعود : إن الجن قالوا : من يشهد لك ٤٢٤ ، حديث أنس : إن جبريل قال للنبي : أتحب أن أريك آية ٤٢٥ ، عن ابن إسحاق في نحوه ٤٢٦ ، عن الحسن أنه صلى الله عليه شكبا إلى ربه من قومه ٤٢٦ ، حديث عن عمر في نحوه ٤٢٦ ، عن ابن عباس : قال النبي لأعرابي : رأيت إن دعوت هذا المذق ٤٢٦

قصة حنين الجذع ٤٢٧ ، قال جابر : كان المسجد مستقوفا ٤٢٧ ، حديث غيره

٤٢٨ ، في حديث بريدة : فقال النبي : إن شئت أردك إلى العائط ٤٢٩

معجزته في سائر الجادات ٤٣٠ ، عن ابن مسعود : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام

٤٣٠ ، وقال أنس : أخذ النبي كفا من حمى ٤٣٠ ، حديث علي : كنا بمكة مع الرسول فخرج إلى بعض نواحيها ٤٣١ ، وعن عائشة : لما استقبلني جبريل ٤٣١ ، قول النبي : اثبت أحد ٤٣٢ ، ومثله عن أبي هريرة في حراء ٤٣٢ ، حديث ابن عمر : قرأ

على المنبر : وما قدروا الله حق قدره ٤٣٣ ، عن ابن عباس : كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم ٤٣٣ ، حديث النبي مع الراهب في ابتداء أمره ٤٣٤

الآيات في ضروب الحيوانات ٤٣٤ ، حديث عائشة : كان عندنا داجن ٤٣٥ ،

وعن عمر أن رسول الله كان في محفل ٤٣٥ ، قصة كلام الذئب ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، عن جابر ، عن رجل أتى النبي وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ٤٣٩ ، عن أنس : دخل النبي حائط أنصاري ٤٣٩ ، حديث الجمل ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، قصة المضياء وكلامها النبي ٤٤٠ ، حمام مكة أظلت النبي ليلة الفار ٤٤١ ، حديث الظبية التي نادته ٤٤١ ، ماروى من تسخير الأسد لسفينة ٤٤٢ ، كلام الحمار الذي أصابه بخيبر ٤٤٣ ، حديث الناقة ٤٤٣ ، حديث العنز ٤٤٣

في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان ٤٤٤ ، عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي بخيبر شاة مصلية ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، أتى النبي بصبي قد شب لم يتكلم قط ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، عن الحسن أتى رجل إلى النبي فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا ٤٤٩ ، عن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء ٤٤٩ ، حديث : كفت فيمن دفن ثابت بن قيس ، وكان قتل باليامة ٤٥٠ ، ذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة حز ميتا ٤٥٠ .

إبراء المرضي وذوى العاهات ٥١ ، حديث سعد في قصة أحد حين أصيبت عين قتادة ٥١ ، بصق النبي على أثر سهم في وجه قتادة ٥٢ ، أعى قال يا رسول الله : ادع الله أن يكشف لي عن بصري ٥٢ ، ابن ملاعب الأسنة حين أصابه استسقاء ٥٢ نفث رسول الله في عين حبيب فأبصر ٥٣ ، في مثله ٥٣ ، ٥٤

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم : ٥٥ ، حديث حذيفة ٥٥ ، عن أنس : قال : قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ٥٦ ، دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ٥٦ ، دعاؤه لمعاوية بالتمكين في البلاد ٥٧ ، ودعا بعز الإسلام بعمر ٥٧ ، دعا في الاستسقاء فسقوا ٥٧ ، دعاؤه لأبي قتادة ، وللناقة ، ولابن عباس ، وعبد الله

ابن جعفر ٤٥٨ ، دعاؤه لغيرهم ٤٥٩ ، سأله الطفيل بن عمرو آية لقومه ٤٥٩ ، دعا على مضر فأقحطوا ٤٦٠ ، قال لرجل رآه يأكل بشماله : كل بيمينك ٤٦٠ ، قال لعقبة : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ٤٦٠ ، دعاؤه على قريش حين وضعوا السلا على رقبتة ٤٦١ ، دعاؤه على الحكم بن أبي العاص ، وكان يختلج بوجهه ويفعز ٤٦١ ، ودعا على محلم بن جثامة فأت لسبع ٤٦١ ، جعده رجل بيع فرس ٤٦١

كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له ٤٦٢ ، عن أنس أن أهل المدينة فزعوا ٤٦٢ ، نحس جل جابر ٤٣٢ ، ركب حمار قطوفا ٤٦٣ ، عن أسماء : أنها أخرجت جبة طيالة ٤٦٣ ، سكب من فضل وضوئه في بئر قباء ٤٦٤ ، كان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي فأمرها ألا تمصرها ٤٦٤ ، بركته فيما لمسه وغرسه ٤٦٥ ، غرس رسول الله ثلاثمائة ودية إلا واحدة ٤٦٥ ، أعطى قتادة عرجونا .. فأضاء له ٤٦٦ ، بركته في درور الشياه الحوائل ٤٦٧ ، وتزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكأه ٤٦٧ ، مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ ٤٦٩ ، أخذ قبضة من تراب يوم حنين ، ورعى بها في وجوه الكفار ٤٦٩

ذكر ما أُطلع عليه من الغيوب ٤٧٠ ، عن حذيفة قال : قام فينا الرسول مقاما ٤٧١ ، ما أعلم به أصحابه مما وعدم ؛ من الظهور على الأعداء ٤٧٢ ، وقتلهم الفرس ٤٨٣ ، وغير ذلك ٤٧٤ ، إخباره بملك بني أمية ٤٧٥ ، وبقتل عثمان ٤٧٦ ، وبمخاربة الزبير لعلى ٤٧٦ ، وأخبر عن حنظلة الفسيل ٤٧٧ ، غير ذلك من إخباره بما لم يكن ٤٧٨ ، ٤٨٦ ، إعلامه قريشا بأكل الأرض ما في صحيفتهم ٤٨٧ ، إعلامه قريشا بغيرهم التي مر بها ٤٨٧

في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه ٤٨٨ ، عن عائشة : كان النبي يحرس حتى نزل : والله يهصك من الناس ٤٨٩ ، أتاه أعرابي فقال له : من يمنعك مني ٤٩٠ ، وقوع مثلها له يوم بدر ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وفي غزوة غطفان ٤٩١ ، حمالة الحطب تضع العضاء في طريقه ٤٩٢ ، حمالة الحطب أنت الرسول وفي يدها فهر تريد

أن تضربه ٤٩٢ ، نجاته من تدبير قريش قتله ٤٩٤ ، وحمايته عن رؤيتهم في الغار ٤٩٤ ، قصته مع سراقه بن مالك حين الهجرة ٤٩٤ ، جاءه أبو جهل بصخرة وهو ساجد ليطرحها عليه ٤٩٦ ، قصة النبي إذ خرج إلى بني قريظة ٤٩٧ ، خروجه إلى بني النضير ومؤامرتهم على قتله ٤٩٨ ، شيبه بن عثمان يقول يوم حنين : اليوم أدرك ثأري من محمد ٤٩٩ ، حديث فضالة بن عمرو مع النبي يوم الفتح ٥٠٠

من معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ٥٠١ ، الاحتواء على لغات العرب ٥٠١ ، المعرفة بضرب الأمثال ٥٠٢ ، الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف ٥٠٢ ، ٥٠٣ قوله : خير ما تداويتم به ٥٠٤ ، قوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ٥٠٤ ، قوله : إن الزمان قد استدار ٥٠٥ ، قوله : ألقى الهداة ٥٠٦ ، علمه بلغات العرب ٥٠٧ ، قوله تعالى : إنما يعلمه بشر . والرد على ذلك ٥٠٨

من خصائصه وكراماته أنبأؤه مع الملائكة والجن ٥١١ ، قوله تعالى : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ٥١٢ ، رؤية بعض الصحابة جبريل عنده ٥١٢ ، رأى عبد الله ابن مسعود الجن ٥١٣ ، عن عمر قال : بينما نحن جلوس مع النبي إذ أقبل شيخ ٥١٣ ، قال الرسول : إن شيطاناً تفلت البارحة ليقطع على صلاتي ٥١٤

من دلائل نبوته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار ٥١٥ ، وما ألقي من ذلك في التوراة والإنجيل ٥١٦ ، إلى ما أنذر به السكهان ٥١٨ ، وما ظهر على السنة الأصنام من نبوته ٥١٨

من ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده ٥١٨ ، قول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ٥١٩ ، ما تعرفت به حليلة وزوجها من بركتته ٥١٩ ، ومن ذلك حراسة السماء بالشهب ٥٢٠ ، ما نشأ عليه من بفض الأصنام وللعنة عن أمور الجاهلية ٥٢٠ ، روت حليلة أنها رأت غمامة تظله ٥٢١ ، من ذلك تحبيب الخلوة إليه ٥٢١

معجزات النبي أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين ٥٢٣ ، الأول كثرتها ٥٢٣ ،

إعجاز القرآن بوجهين ٥٢٤ ، الثاني : وضوح معجزاته ٥٢٥ ، معجزة موسى ٥٢٥ ، معجزة عيسى ٥٢٥ ، جملة معارف العرب حين مبعته أربعة ٥٢٦ ، سائر معجزات الرسل انقضت بانقراضهم ٥٢٧ ، حديث : ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ٥٢٨ ، وجه ثالث في إعجاز القرآن على مذهب من قال بالصرفة ٥٢٩

ما يجب على الأنام من حقوقه ٥٣٧ ، في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته ٥٣٧ ، حديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ٥٣٨ ، الإيمان به ٥٣٩ ، قول جبريل للنبي : أخبرني عن الإسلام ٥٣٩ ، الحال المذمومة هي الشهادة باللسان دون تصديق القلب ٥٤٠ ، الفرق بين القول والعقد ٥٤٠ ، الكلام في الإسلام والإيمان ٥٤٢

وجوب طاعته ٥٤٢ ، آيات تدعو إلى ذلك : ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، حديث : قال الرسول : من أطاعني فقد أطاع الله ٥٤٤ ، حديث : إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ٥٤٤ ، قول النبي : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ٥٤٥ ، حديث : مثلي ومثل ما بعثني الله به ٥٤٥

وجوب اتباعه وامتنال أمره والافتداء به ٥٤٦ ، آيات تدل على ذلك ٥٤٧ ، روى عن الحسن أن أقواما قالوا : يا رسول الله ، إنا نحب الله ٥٤٨ ، معنى حب الله ٥٤٨ ، عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي : فعليكم بسنتي ٥٥٠ ، في حديث أبي رافع : لا ألفين أحداكم متكئا على أريكته ٥٥١ ، في حديث عائشة : صنع رسول الله شيئا ترخص فيه ٥٥١ ، قال النبي : القرآن صعب مستصعب ٥٥١ ، قول النبي من اقتدى بي فهو مني ٥٥٢ ، وقال : أحسن الحديث كتاب الله ٥٥٢ ، وقال : العلم ثلاثة ٥٥٣ ، وقال : عمل قليل في سنة خير ٥٥٣ ، وقال : إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة ٥٥٣ ، وقال : للتمسك بسنتي ٥٥٣ ، وقال : إن بني إسرائيل افترقوا ٥٥٣ ، وعن أنس : من أحيأ سنتي فقد أحيأني ٥٥٤

ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنتيه والاعتداء به ٥٥٤ ، سأل رجل
عبد الله بن عمر ، فقال : إنا نجد صلاة الخوف ٥٥٤ ، وقال عمر بن عبد العزيز :
سن رسول الله وولادة الأمر من بعده سننا ٥٥٥ ، وقال الحسن : عمل قليل في سنة
خير ٥٥٥ ، عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله بتعلم السنة والفرائض والالحن ٥٥٦ ،
على يقول : لم أكن أدع سنة رسول الله لقول أحد من الناس ٥٥٦ ، وقال أبي :
عليكم بالسبيل والسنة ٥٥٧ ، وقال الشافعي : ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها
٥٥٨ ، وقال عمر : ونظر إلى الحجر الأسود : إنك حجر لا تنفع ولا تضر ٥٥٨ ، وقال
سهل : أصول مذهبنا ثلاثة ٥٥٨ ، حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ٥٥٩

مخالفة أمر النبي وتبديل سنته ضلال ٥٥٩ ، الآيات المؤيدة لذلك ٥٥٩ ، عن
أبي هريرة : إن الرسول خرج إلى المقبرة ... وذكر الحديث في صفة أمته ٥٦٠ ، قول
الرسول : كفى بقوم حمقا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم ٥٦١
لزوم محبته صلى الله عليه وسلم ٥٦٣ ، الآيات التي تحض على ذلك ٥٦٣ ، حديث :
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ٥٦٤ ، وعن أنس : ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان ٥٦٤

في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم ٥٦٥ ، عن أنس أن رجلا أتى النبي فقال : متى
الساعة ٥٦٥ ، قول النبي : المرء مع من أحب ٥٦٥ ، أتى رجل النبي ، فقال : يا رسول
الله ، لأنت أحب إلى من أهلي ومالي ٥٦٦ ، وفي حديث أنس : من أحبني كان معي
في الجنة ٥٦٦

ما روى عن السلف من محبتهم للنبي وشوقهم إليه ٥٦٧ ، عن أبي هريرة : أن
الرسول قال : من أشد أمتي حبا لي ٥٦٧ ، قول عمر للنبي : لأنت أحب إلي من نفسي
٥٦٧ ، ونحوه عن عمرو بن العاص ، وعبد بن خالد ٥٦٧ ، وأبو بكر ٥٦٨ ، امرأة

من الأنصار تقول بعد أن رأت النبي سالما يوم أحد: كل مصيبة بعدك جلل ٥٦٨، على
يصف حب الرسول ٥٦٨، قول بلال حين احتضر: واطرباه، غدا ألقى الأحبة ٥٦٩،
قول زيد بن الدثنة: والله ما أحب أن يمهدا الآن في مكانه تصيبه شوكة وإني جالس
في أهلي ٥٧٠

علامة محبته صلى الله عليه وسلم: ٥٧١، الصادق في حب النبي ٥٧١، حديث:
إن قدرت أن تصبح وتسمى ليس في قلبك غش لأحد فافعل ٥٧٢، من علامات محبته
٥٧٢، حديث: آية الإيمان حب الأنصار ٥٧٥، بغض من أبغض الله ورسوله ٥٧٥،
ومن علامات محبته حب القرآن والسنة ٥٧٦، وشفقته على أمته، وزهد مدعيها في
الدنيا ٥٧٧

في معنى المحبة وحقيقتها ٥٧٨، حقيقة المحبة ٥٧٩، النبي جامع للمعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة ٥٨٠، النبي مستوجب للمحبة ٥٨١

وجوب مناصحته الرسول ٥٨٢، قال الرسول: إن الدين النصيحة ٥٨٢،
نصيحة الله تعالى ٥٨٣، النصيحة لكتابه ٥٨٣، النصيحة لرسوله ٥٨٣، ٥٨٤،
نصيحة المسلمين ٥٨٤، النصيحة لإحدى ثمرات المحبة ٥٨٥، النصيحة لأئمة المسلمين ٥٨٥
تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره ٥٨٧، آيات تحث على ذلك ٥٨٧، نهيا عن
التقدم بين يديه ٥٨٨، قوله تعالى: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، تفسيرها
وسبب نزولها ٥٨٩، كانت اليهود تعرض بالنبي بقولهم: راعنا، فنهى المسلمون عن
قولها ٥٩١

عادة الصحابة في تعظيمه ٥٩١، حديث عمرو بن العاص في ذلك ٥٩٢، كان
أصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ٥٩٢، عروة بن مسعود يقول حين رأى من
تعظيم أصحابه: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه . ٣٩٣، أقوال مختلفة
في ذلك ٣٩٤

في تعظيم النبي بعد موته ٥٩٥ ، تعظيم النبي بعد موته لازم كما كان حال حياته
٥٩٥ ، قول أبي إراهيم النخعي في ذلك ٥٩٥ ، مناظرة أبي جعفر مالك في مسجد
الرسول ٥٩٦ ، كان مالك إذا ذكر النبي تغير لونه ٥٩٧ ، وكذلك جعفر بن محمد
٥٩٧ ، وغيرهما ٥٩٨ ، ٥٩٩

سيرة السلف في تعظيم رواية حديث الرسول وسنته ٥٩٩ ، عن ابن مسعود حين
يروى اخذت ٥٩٩ ، مالك بن أنس يكره أن يأخذ الحديث وهو قائم ٦٠٠ ، ابن
السيب يقول: كرهت أن أحدث عن رسول الله وأنا مضطجع ٦٠٠ ، كان مالك لا يحدث
بحديث رسول الله إلا وهو على وضوء ٦٠١ ، وقال: أحب أن أعظم حديث الرسول
ولا أحدث به إلا عن طهارة ٦٠٢ ، وكذلك كان حال الأعمش وقنادة ٦٠٢

توقيره وبر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه ٦٠٤ ، من توقيره هؤلاء جميعا
٦٠٤ . قول الرسول: أنشدكم الله أهل بيتي ٦٠٥ ، قول الرسول: إني تارك فيكم
ما إن أخذتم به لم تضلوا ٦٠٥ ، لما نزلت: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...
دعا فاطمة وحسنا وحسينا ٦٠٦ ، قول النبي في علي ٦٠٦ ، قوله للعباس ٦٠٧ ، قول
الرسول: أحب الله من أحب حسنا وحسينا ٦٠٧ ، قوله: لا تؤذي في عائشة ٦٠٨ ،
مثل للبر بآل النبي ٦٠٨ - ٦١١

من توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم ٦١١ ، قوله تعالى: محمد رسول الله...
٦١٢ ، آيات أخرى في الحديث على ذلك ٦١٢ ، حديث الرسول: اقتدوا بالذين من
بمدي ٦١٢ ، أحاديث أخرى في هذا المعنى ٦١٤ ، قول مالك فيمن أبغض الصحابة
٦١٥ ، قال أيوب السخيتاني: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ٦١٦ ، أخبار أخرى
في نحو ذلك ٦١٧

من إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه ٦١٩ ، كانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعر النبي ٦١٩ ، كان مالك لا يركب بالمدينة دابة ٦٢٠ ، قول النبي:
من حلف علي منبري كاذبا ٦٢١ ، تعظيم مدينة الرسول ٦٢١ - ٦٢٤

حكم الصلاة عليه والتسليم ، وفرض ذلك ٦٢٥ ، دليل ذلك من القرآن ، ومن

قول ابن عباس وغيره ٦٢٥ ، ٦٢٦ في معنى السلام ثلاثة وجوه ٦٢٦

الصلاة على النبي فرض على الجملة ٦٢٧ ، الطبري يقول إنها على الندب ٦٢٧ ،

لشهور أن ذلك واجب في الجملة ٦٢٨ ، آراء للفقهاء في ذلك ٦٢٩ - ٦٣٢

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ٦٣٣ ، في تشهد الصلاة ٦٣٣ ،

سمع النبي رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ٦٣٣ ، عمر بن الخطاب يقول : الدعاء

والصلاة معلق بين السماء والأرض ... ٦٣٤ ، وعن علي وابن مسعود مثله ٦٣٤ ، عن جابر :

قال الرسول : لا تجمعوني كقدح الراكب ٦٣٤ ، قول ابن عطاء : للدعاء أركان

وأجزة ٦٣٥ ، في الحديث : الدعاء بين الصلاتين على لا يرد ٦٣٥ ، في دعاء ابن

عباس ٦٣٥ ، من مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه ٦٣٦ ، حديث : رغم

أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ٦٣٦ ، كراهة الصلاة عليه عند الذبح ، والتعجب

٦٣٦ ، روى النسائي الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ٦٣٧ ، ومن مواطن

الصلاة عليه دخول المسجد ٦٣٧ ، إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ٦٣٧ ، المراد

بالبيوت ٦٣٨ ، من مواطن الصلاة عليه الصلاة على الجنائز ٦٣٨ ، وفي الرسائل ٦٣٩ ،

حديث : إذا صلى أحدكم فليقل : التحيات لله والصلاة والطيبات ٦٣٩ ، السلام عليه ٦٤٠

كيفية الصلاة عليه والتسليم ٦٤٠ ، قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ٦٤٠ ،

كيفية الصلاة عليه ٦٤٢ ، حديث من سره أن يكتم بالمكنيا الأولى ٦٤٢ ، سلامة

السكندی يقول : كان على يعلمنا الصلاة على النبي ٦٤٣ - ٦٤٥ ، ورواية عبد الله بن

مسعود في الصلاة عليه ٦٤٦ ، وكان الحسن البصري يقول .. ٦٤٦ ، وغيرهم ٦٤٧ - ٦٤٩

فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له ٦٤٩ ، الرسول يقول : إذا

سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ٦٤٩ ، ثواب هذا العمل ٦٥٠ ، كان رسول الله إذا

ذهب ربع الليل قام فقال : ٦٥١ ، بشارة جبريل للنبي ٦٥٢

في ذم من لم يصل على النبي وإثمه ٦٥٣ ، حديث : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ٦٥٤ حديث : البخيل كل البخيل ٦٥٤ ، أحاديث وآثار في مثل ذلك ٦٥٥ ، ٦٥٦

تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه ٦٥٦ ، حديث : ما من أحد يسم على ... ٦٥٧ ، قول الرسول : من صلى على عند قبري ٦٥٧ ، عن الحسن ابن علي : لا تتخذوا بيتي عيداً ٦٥٨

في الاختلاف في الصلاة على غير النبي ٦٥٩ ، يرى ابن عباس أنه لا تجوز الصلاة على غير النبي ٦٥٩ ، مذهب مالك ٦٦٠ ، وروى عن أبي هريرة ، أن الرسول قال : صلوا على أنبياء الله ورسله ٦٦٠ ، الصلاة في لسان العرب ٦٦١ ، آيات وأحاديث تؤيد ذلك ٦٦١ ، آل النبي ٦٦٢ ، رأى المؤلف أنه لا يصل على غير الأنبياء ٦٦٣ ، يذكرون سواهم من الأئمة بالفقران والرضا ٦٦٤ ، ما يؤيد هذا الرأي ٦٦٤

حكم زيارة قبر الرسول ٦٦٦ ، زيارة قبره سنة ٦٦٦ ، قول النبي : من زار قبري وجبت له شفاعتي ٦٦٦ ، قول الرسول : من زارني في المدينة محتسباً ٦٦٧ ، كره مالك أن يقال : زرنا قبر النبي ٦٦٧ ، لما ذكره مالك أن يقال : طواف الزيارة وزرنا قبر النبي ٦٦٨ ، فضل زيارة المدينة ٦٧٠ ، كيفية الوقوف عند قبر النبي ٦٧١ - ٦٧٧ ، وما يقال حينئذ ٦٧٢ ، قول الرسول : ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ٦٧٣ ، ٦٨٢ ، ما يفعله أهل المدينة ٦٧٦ ، قول النبي : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ٦٧٧

ما يلزم من دخل مسجد النبي من الأدب ٦٧٨ ، المسجد الذي أسس على التقوى ٦٧٨ ، حديث : لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ٦٧٩ ، ما كان يقوله النبي إذا دخل المسجد ٦٧٩ ، عمر بن الخطاب ينهى عن رفع الصوت في المسجد ٦٨٠ ، يكره في مسجد الرسول الجهر على المصلين ٦٨٠ ، حديث : صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة ٦٨٠ ، تفضيل المدينة على مكة ٦٨١ ، موضع قبره أفضل بقاع الأرض ٦٨٢ ،

قول الرسول : منبرى على ترعة من ترع الجنة فيه معنيان ٦٨٣ ، المراد بـ « منبرى » ٦٨٣ ، قوله : روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين ٦٨٣ ، قال النبي في المدينة : لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد ٦٨٤ ، وقوله : إنما المدينة كالسكر ٦٨٤ ، وقوله : لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها ... ٦٨٥ ، قول المفسرين في قوله تعالى : إن أول بيت وضع للناس ٦٨٥ ، حرمة الكعبة ٦٨٧ ، الدعاء عند الركن الأسود ٦٨٧ ، من صلى خلف المقام ركعتين ٦٨٧ ، قول الرسول : ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له ٦٨٧ ، وتأيد كثير من الصحابة لهذا الحديث عملا ٦٨٨

ما يجب للنبي ، وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه ٦٩٠ ، النبي وسائر الأنبياء من البشر ٦٩١ ، الأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه ٦٩١ ، لو كانوا من الملائكة ٦٩٢

عصمة نبينا وسائر الأنبياء ٦٩٤ ، النبي نزه عن كثير من الآفات ٦٩٤

حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته ٦٩٥ ، ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله ٦٩٥ ، لا يمرض على هذا بقول إبراهيم : قال بلى ولكن ليطامن قلبي ٦٩٥ ، لسته وجوه ٦٩٦ ، نفى الشك عن الرسول ٦٩٧ ، ٧٠١ ، معنى قوله تعالى : حتى إذا استأنس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ٧٠١ ، عن عائشة أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ٧٠٣ ، حديث النبي في جواره غار حراء ٧٠٤ ، حديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها ٧٠٦ ، فرار يونس خشية تكذيب قومه ٧٠٩ ، تفسير قوله تعالى : إذ ذهب مغاضبا ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ما معنى الحديث ، إنه ليغان على قلبي ٧١٠ - ٧١٤ ، معنى قول الله لحمد : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٧١٤ ، وقوله لنوح ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ٧١٤ ، عصمة الأنبياء بعد النبوة قطعا ٧١٥ ، ما معنى وعيد الله للنبي في قوله : إني أشركت ليحبطن مملك ، وغيرها من الآيات ٧١٦ ، الجواب عن ذلك ٧١٧ - ٧١٩

عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته ٧١٩، الصواب أنهم معصومون

قبل النبوة ٧١٩، الدليل على ذلك من القرآن ٧٢٠، شق قلب النبي وهو صغير ٧٢١، معنى قول إبراهيم : هذا ربي ٧٢٢، الدليل على برأته من ذلك ٧٢٢، معنى قوله تعالى : ووجدك ضالا فهدى ٧٢٤ - ٧٢٧، وقوله : وعلمك ما لم تكن تعلم ٧٢٥، وقوله : وإن كنت من قبله لمن الضالين ٧٢٨، في قصة بحيرا ٧٢٩

في حكم عقد النبي في التوحيد والشرع ٧٣٠، قلوب الأنبياء مملوءة علما وبقينا

٧٣٠، ما تعلق بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة ٧٣٠، أما ما يتعلق بالدين فلا يصح إلا العلم به ٧٣١، حديث أم سلمة : إني إماما أقضى بينكم برأيي ٧٣١، قصة بدر والإذن للمتخلفين ٧٣٢، أما ما تعلق بمقدمه في التوحيد والشرع ٧٣٤

إجماع الأمة على عصمة النبي من الشيطان ٧٣٥، حديث : ما منكم من أحد إلا

وكل به قرينه من الجن ٧٣٦، جاءت الآثار بتعصدي الشياطين له في غدير موطن ٧٣٧ - ٧٣٩، حديث : إن عيسى بن مريم كفى من أسه ٧٣٩، معنى قوله تعالى : وإما ينزغنك من الشيطان نزع ٧٤٠، معنى قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك ... إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمانيته ٧٤١، قول النبي : إن هذا واد به شيطان ٧٤٢، قول المفسرين في قول تعالى : فأنساه الشيطان ٧٤٤

عصمة النبي في أقواله وأفعاله ٧٥٤، قول النبي : إني لا أقول في ذلك كله إلا

حقا ٧٤٧، دليل المعجزة ٧٤٧

سؤالات لبعض الطاعنين ٧٤٨، ما قيل إن النبي : قال : تلك الغرائيق العللا .

٧٤٨، والقول الصحيح في ذلك ٧٥٢ - ٧٦٣، قصة يونس مع قومه وقوله : لا أرجع إليهم كذابا ٧٦٣، عبد الله بن سرح وقوله : إني كنت أصرف محمدا حيث أريد ٧٦٤، والرد على هذا القول ومثله ٧٦٥ - ٧٦٧

ما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه ٧٦٨ : الذي يجب اعتقاده تنزيه النبي أن

يقع خبره بخلاف مخبره لا عهدا ولا سهوا ٧٦٨ ، الصواب تنزيه النبي عن القليل والكثير ٧٧٢

معنى حديث السهو : صلى رسول الله صلاة العصر ٧٧٤ ، أجوبة للعلماء في ذلك ٧٧٤ - ٧٧٨ ، قصة كلمات إبراهيم المذكورة في الحديث : أنها كذباته الثلاث ٧٧٨ ، تفسير ذلك ٧٧٨ ، قول إبراهيم : بل فعله كبيرهم ٧٧٩ ، وقوله : أختي ٧٧٩ ، حديث : كان النبي إذا أراد غزوة وزى ٧٨٠ ، سئل موسى أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه ذلك ٧٨١ ، تفسير ذلك ٧٨٢ ، ٧٨٣

ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ٧٨٤ ، أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء . من الفواحش والكبائر ٧٨٤ ، وهم معصومون من كتمان الرسالة ٧٨٥ ، أما الصغائر فجوزها جماعة من السلف ٧٨٦ ، والمحققون يقولون بمعصمتهم من الصغائر ٧٨٦ - ٧٨٩ ، الباحات جائز وقوعها منهم ٧٩٢

في عصمتهم قبل النبوة ٧٩٣ ، الصحيح عصمتهم من كل ما يوجب الريب ٧٩٣ ، هل كان النبي متعبا لشرع قبله قبل أن يوحى إليه ٧٩٣ ، حجج القائلين بنفى ذلك ٧٩٣ ، وقالت طائفة بأنه كان عاملا بشرع من قبله ٧٩٤ ، من كان يتبع ٧٩٤ ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو ٧٩٦ ، ذلك على وجهين ٧٩٦ ، ماطريقة البلاغ ، وما هو خارج من هذا ٧٩٧ ، حكم الأول ٧٩٧ ، حكم الثاني ٧٩٩

الأحاديث المذكور فيها السهو ٨٠٠ ، حديث ذى اليمين ٨٠٠ ، حديث ابن مسعود : صلى النبي الظهر خمسا ٨٠٠ ، قول النبي : إنما أنا بشر ٨٠١ ، أحاديث في النسيان والسهو ٨٠٢ ، حديث : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي ٨٠٥ ، تفسير ذلك ٨٠٥ - ٨٠٧ ، الرد على من أجاز عليهم الصغائر ٨٠٩ ، الاحتجاج بالقرآن ٨١٠ ، ٨١١ - ٨١٦ ، الاحتجاج بالأحاديث ٨١١ ، قصة أسارى بدر ٨١٦ - ٨٢١ ، تفسير قوله تعالى : عبس وتولى ٨٢١ ، قصة آدم وقوله تعالى : فأكلا منها ٨٢٢ ، وتفسير ذلك ٨٢٣ - ٨٢٦ ،

قصة داود ، وقوله تعالى : وظن داود أنما افتناه ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، قصة يوسف وإخوته ٨٢٩ ، قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها ٨٢٩ - ٨٣٢ ، وقول يوسف : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ٨٣١ ، خبر موسى مع قتيله ٨٣٢ - ٨٣٤ ، قصة سليمان ٨٣٥ ، وتأويل ذلك : ٨٣٥ - ٨٣٧ ، قصة نوح مع ابنه ٨٣٨ ، معنى قول النبي : ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد ٨٤٠

دفع شبهات نشأت عما تقدم ٨٤٠ ، معنى قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى ٨٤٠ ، ٨٤١ ، قول يوسف : اذكرني عند ربك ٨٤٢ ، قول بعض المتكلمين : زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات ٨٤٤ ، رأى ابن عطاء في قضية صاحب الحوت ٨٤٥ ، توجيه قول الرسول : أفلا أكون عبدا شكورا ٨٤٦ ، معنى لطيف في التوبة والاستغفار ٨٤٧

عصمة النبي في كل حالاته ٨٤٩ ، لهذا احتاط على الرجلين اللذين رأياه ليلا مع

صفية ٨٤٩ ، فوائد ذلك ٨٥٠

القول في عصمة الملائكة ٨٥١ ، حكم المرسلين منهم حكم النبيين ٨٥٢ ، واختلف في غير المرسلين ٨٥٢ ، الصواب عصمة جميعهم ٨٥٣ ، اختلف في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان ٨٨٥ ، رأى أكثر المفسرين ٨٨٥ ، قراءة : وما أنزل على الملائكين - بكسر اللام ٨٥٧ ، رأى المفسرين فيها ٨٥٧ ، إبليس من الملائكة أو من الجن ٨٥٨

ما يخص الأنبياء في الأمور الدنيوية ويطرأ عليها من العوارض البشرية ٨٦٠ ، الرسل والأنبياء من البشر ٨٦٠ ، يجوز عليهم ما يجوز على البشر ٨٦٠ ، حوادث تدل على ذلك : ٨٦١ - ٨٦٣ ، سائر الأنبياء مبتلى ومعافى ٨٦٣ ، الطوارئ والتغيرات تختص بأجسامهم البشرية ٨٦٣ ، قول النبي : إن عيني تنامان . . . وقوله : إني لست كهينتكم . . . وقوله : لست أنسى ٨٦٤

النبي سحر ٨٦٥ ، كيف جاز عليه وهو معصوم ٨٦٥ ، الرد على ذلك ٨٦٦ - ٨٦٩

النبي وأحوال الدنيا ٨٧٠ ، حديث : قدم رسول الله وهم يأبرون النخل ٨٧٠ ،
وقوله : إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ٨٧٠ ، نزوله بأدنى مياه بدر ، ورأى
الحباب بن المنذر في ذلك ٨٧١

بعض أمور البشر الجارية على يديه وقضايام قد يظمر له منها ما الأمر بخلافه
أحيانا ٨٧٤ ، حديث : إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ٨٧٤ ، حرمان أحكام
النبي على الظاهر وحكمة ذلك ٨٧٥

أقواله الدنيوية الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال ٨٧٦ ، المعارض ٨٧٧ ، ممازحته
ومداعبته ٨٧٧ ، وكذلك ما صورته صورة الأمر والنهي ٨٧٨ ، قصة زيد بن حارثة
٨٧٨ ، أصح ما حكاه أهل التفسير : ٨٧٩ - ٨٨٣

معنى الحديث : لما حضر الرسول وفي البيت رجال قال هلموا أكتب كتابا
٨٨٤ ، روايات الحديث ٨٨٤ ، تفسيره ٨٨٥ - ٨٩٠

ماوجه الحديث : اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ٨٩١ ، روايات
الحديث ٨٩١ ، معناه ٨٩٢ - ٨٩٥ ، حديث الزبير ، وقول النبي حين تخصمه مع
الأنصارى في شراج الحرة : اسق يا زبير ٨٩٦ ، تفسيره ٨٩٧ ، الحديث في إقامته
عكاشة من نفسه ٨٩٨ ، حديث الأعرابي الذي طلب منه الرسول الاقتصاص منه
٨٩٩ ، حديث سواد بن عمرو : أتيت النبي وأنا متخلق ٨٩٩

جواز السهو والغلط في أفعال النبي الدنيوية ٩٠٠ ، صفة أفعاله ٩٠١ ، يفعل الفعل
ثم يتركه - يكون غيره خيرا منه ٩٠٣ ، يصبر للجاهل ٩٠٤ ، يتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته ٩٠٤ ، قوله لعائشة في الداخل عليه : بئس ابن العشيرة ، وكيف جاز
أن يظهر خلاف ما يبطن : ٩٠٥ - ٩٠٧ ، قول النبي لعائشة - في بريرة : اشتريها
واشترطى عليها ٩٠٧ ، الرد على ذلك في وجوه ثلاثة ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ما معنى فعل يوسف
بأخيه إذ جعل السقاية في رحله ٩٠٩ ، وقوله : أيتها العير إنكم لسارقون ٩١٠

الحكمة في إجراء الأمراض وشدها عليه وعلى الأنبياء ٩١١ - ٩١٣ ، أى الناس
أشد بلاء ٩١٣ ، حديث : ما يزال البلاء بالمؤمن ٩١٤ ، حديث : إذا أراد الله بعبيده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا ٩١٤ ، سبب ابتلاء يعقوب بيوسف ٩١٥ ، سبب بلاء
أيوب ومحنة سليمان ٩١٦ ، فائدة شدة المرض والوجع بالنبي ٩١٧ - ٩١٩ ، المؤمن
مرزأ مصاب بالبلايا ٩٢٠ ، موت الفجاءة ٩٢٤

نصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه ٩٢٦ ، الآيات الدالة على هذه
الأحكام ٩٢٧ ، قول اليهود : راعنا ٩٢٧ ، قول الرسول : تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي ٩٢٨ ، للناس في هذا الحديث مذاهب : ٩٢٩ ، من سمي باسم محمد ٩٣١

بيان ما هو سب أو نقص في حقه ٩٣٢ ، جزاء من سب النبي : ٩٣٣ - ٩٣٨ ، من
دعا على نبي من الأنبياء ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، تسمية النبي بالينيم ٩٤٠ ، جزاء الاستهزاء
بالرسول ٩٤١ ، جزاء من قصد النبي بأذى أو تنصص معرضا أو مصرحا ٩٤٢

الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ٩٤٤ ، من القرآن ٩٤٤ - ٩٤٧ ، من
الآثار ٩٤٨ ، قتل كعب بن الأشرف ، وعبد الله بن أبي الحقيق ٩٤٩ ، قتل ابن
خطل وجاريته ٩٤٩ ، حوادث أخرى : ٩٥٠ - ٩٥٤ ، مالك يقول للرشيذ : ما بقاء
الامة بعد شتم نبيها ٩٥٤ ، سبب هذا الجزاء لسانه أو متنقصه ٩٥٥

لم يقتل النبي الذي قال له : السام عليكم ، وغيره ٩٥٨ ، أسباب ذلك ٩٥٨ - ٩٦٢ ،
لم يقتل المنافقين : ٩٦٣ - ٩٦٥ ، القائل الرسول : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله
٩٦٦ ، حديث : ما انتقم الرسول لنفسه ٩٦٩

وجه قتل القاصد لسبه ٩٧١ ، إذا كان القائل غير قاصد للسب والإضرار ٩٧٢ ،
إذا قصد سابه تكذيبه ٩٧٥ ، من شك في حرف مما جاء به ٩٧٦ ، إذا أتى من
الكلام بحمل أو بمشكل يمكن حمله على النبي وغيره ٩٧٨ ، دم المسلم لا يقدم عليه
إلا بأمر بين ٩٨١ ، إذا لم يقصد سبا ، لكنه يقصد الترفيع لنفسه ٩٨٥ ، أمثلة لذلك :
٩٨٦ - ٩٩٦ ، حق أمثال هؤلاء ٩٩٠

إذا قال القائل ذلك حاكياً عن غيره ٩٩٧ ، حكمه ٩٩٧ ، حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسوله في كتابه ٩٩٩ وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي: ٩٩٩
ذكر ما يجوز على النبي أو يختلف فيه وما يطرأ من الأمور البشرية على طريق
الرواية ومذاكرة العلم ١٠٠٣ ، حكم ذلك ١٠٠٣ ، كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف ١٠٠٤ قول النبي - مخبراً عن نفسه - باستئجاره لرعاية الغنم ١٠٠٤ ،
وأخبر الله بذلك عن موسى ١٠٠٤ ، الحكمة في ذلك ١٠٠٥ ، ذكر الله يحمه وعييلته
١٠٠٥ ، وصفه بأنه أمي ١٠٠٧ ، الأمية في غيره نقيصة ١٠٠٧

مما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز ١٠١١ ، إذا أخذ في أبواب
المصحة وتكلم في مجاري أفعاله ١٠١١ ، وإذا تكلم على العلم ١٠١٢ ، وإذا تكلم في
الأفعال ١٠١٢ ، جودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه ١٠١٣

في حكم سابه وشاتمته ومتنقصه ١٠١٥ ، مشهور مذهب مالك ١٠١٥ ، رأى غيره
١٠١٦ - ١٠٢٠ من لم يره ردة ١٠٢٠ ، من علم أنه سبه معتقداً استحلاله ١٠٢١

إذا قلنا بالاستنباط حيث نصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد
١٠٢٣ ، مذهب الجمهور أن المرتد يستتاب ١٠٢٣ ، آراء أخرى ١٠٢٣ ، المرتد والمرتدة
في ذلك سواء ١٠٢٤ ، آراء أخرى ١٠٢٤

حكم من لم تتم الشهادة عليه ، أو احتمل ١٠٢٨ ، إذا تاب المرتد ١٠٢٩

حكم الذي إذا صرح بسبه أو عرض ١٠٣٠ ، يستدل عليه من القرآن ، وبقتل
النبي لابن الأشرف وأشباهه ١٠٣١ ، ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام ١٠٣٢ ،
إذا سبه ثم أسلم ١٠٣٢ ، لا يسقط إسلام الذي ساب قتله ١٠٣٣ ، إذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم ١٠٣٥ ، من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى

ميراث من قتل بسب النبي وغـله والصلاة عليه ١٠٤٠ ، أقوال للعلماء في ذلك

١٠٤١ - ١٠٤٦

حكم من سب الله وملائكته وكتبه وأنبياءه وآل النبي وأزواجه وصحبه

١٠٤٧ ، ساب الله من المسلمين ، كافر حلال الدم ١٠٤٧ ، الاختلاف في استنابته

١٠٤٧ ، اختلاف فتها قرطبة في مسألة هارون بن حبيب ١٠٤٨ ، وجه ترك

استنابته ١٠٥٠

حكم من أضاف إلى الله ما لا يليق به على طريق التأويل ١٠٥١ ، اختلاف قول

مالك وأصحابه في ذلك ١٠٥١ - ١٠٥٤ ، من قال : القرآن مخلوق ١٠٥٤ ،

القدرى ١٠٥٤

تحقيق القول في إكفار المتأولين ١٠٥٦ ، من الفقهاء والمتكلمين من صوب

التكفير ١٠٥٦ ، ومنهم من أباه ١٠٥٦ ، اختلاف قولي مالك في ذلك ١٠٥٧ ،

قولهم في الخوارح ١٠٦٠ ، حديث : يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ١٠٦٠ ،

وتأويله ١٠٦١

بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه ، وما ليس بكفر

١٠٦٥ ، كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوجدانية أو عبادة أحد غير الله - كفر

١٠٦٦ ، أمثال هؤلاء ١٠٦٦ ، من اعترف بإلهية الله ، ولكن وصفه بغير صفاته ١٠٦٧ ،

القطع بكفر من قال بقدم العالم ١٠٦٧ ، من دان بالوجدانية وصحة النبوة ، ولكنه

جوز على الأنبياء الكذب ١٠٦٨ ، حكم من قال : إن في كل جنس من الحيوان

نذيراً أو نبياً ١٠٦٩ ، من ادعى نبوة أحد مع نبينا ١٠٧٠ ، حكم طوائف أخرى :

١٠٧١ - ١٠٧٨ ، من أنكر الإجماع المجرد ١٠٧٩ ، حديث : من خالف الجماعة

١٠٧٩ ، الكفر بالله هو الجهل بوجوده ١٠٨٠ ، من جهل صفة من صفاته ١٠٨١ ،

حديث السوداء ١٠٨٢ ، من أثبت الوصف ونفى الصفة ١٠٨٤ ، مسائل الوعد والوعيد ،

والرؤية والمخلوق ؛ وخلق الأفعال ١٠٨٦

حكم الذي الساب لله ١٠٨٧ ، اختلاف العلماء في الذي إذا تزندق ١٠٨٩
حكم مفترى الكذب على الله ١٠٨٩ ، حكم المجنون والمعتوه في ذلك ١٠٩٠ ،
حرق علي بن أبي طالب من ادعى له الألوهية ١٠٩٠ ، المتنبى ، والحلاج ، وابن أبي الفراقيد
١٠٩١ ، من تنبأ قتل ١٠٩١
حكم من تسلم بسقط القول وسخف اللفظ ، بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه
١٠٩٢ ، فتيا بعض الفقهاء في أمثال لهؤلاء ١٠٩٣ ، إسراف كثير من الشعراء في
هذا الاستخفاف ١٠٩٥
حكم من استخف بالأنبياء والملائكة ١٠٩٧ ، آراء الفقهاء في أمثال لهؤلاء
١٠٩٨ ، حكم من استخف بمن لم يقم الإجماع على كونه من الملائكة أو
الأنبياء ١٠٩٩
حكم المستخف بالقرآن أو بشيء منه ١١١١ ، حديث : المراء في القرآن كفر ،
وحديث : من جحد آية من كتاب الله ١١٠٢ ، إجماع المسلمين أن القرآن المتلو هو
كلام الله ووحيه ١١٠٢ ، وأن من نقص منه ، أو بدله - كافر ، ١١٠٣ - ١١٠٥
رأى مالك قتل من سب عائشة ١١٠٣
سب آل بيته وأزواجه وأصحابه وتفتصم حرام ملعون فاعله ١١٠٦ ، حديث :
الله في أصحابي ١١٠٦ ، حديث : لا تسبوا أصحابي ١١٠٧ ، وقول النبي :
لا تؤذوني في عائشة ١١٠٧ ، مشهور مذهب مالك : ١١٠٨ - ١١١٠ ، أقوال لبعض
الصحابه وفتيا في أمثال هؤلاء ١١١١ ، حديث : من انتقص أحدا من أصحاب
النبي ١١١١ ، من سب غير عائشة من أزواج النبي ١١١٣

٤ — فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية
	(ب)	
٦٢١	أبو الفضل الجوهري	أُبَّيَا
٩٩٠	أبو نواس	خَصِيبِ
٦٢٣	القاضي عياض	بِالْآيَاتِ
٩٨٨	حسان المصيصي	مُحَمَّدُ
	(ر)	
٩٩٢	حسان بن ثابت	وَمُنْفَخْرُ
٣٤٥	ابن رواحة	بِالْخَبْرِ
٩٨٧	المعري	فَقِيرِ
٩٩٢	جرير	أَنْصَارِي
٥٦٩	عجوز	الْأَخْيَارُ
	(ع)	
٩٩٢	حسان بن ثابت	وَالشَّيْعُ
٣٥٤	الناطقة الذبياني	دَاعِي
	(ق)	
٢١٩ ، ٢١٨	العباس بن عبد المطلب	الْوَرَقُ
	(ك)	
٣٥٥	جارية من الأنصار	يَحْمَدُونَكَا
١٠٩٥	بعض الأعراب	لَكََا
	(ل)	
٣٥٤	الشفري	وَأَرْجُلُ

الصفحة	الشاعر	الغاية
٩٨٧	المعري	بدلُ
٢٨٦	بعضهم	خليلًا
	(م)	
٦٢١	أبو نواس	الأوهامُ
	(ن)	
٩٨٨	الآخر	رضوانٍ
٩٩١	أبو نواس	الشراكانِ
٩٨٨	زيد بن عبد الرحمن المغربي	جبرين
	(هـ)	
٩٩١	أبو نواس	نقرة

٥ - فهرس الأعلام

ابن المقفع ٣٨٧	(١)
ابن المنكدر ١٦٣	آدم ٢٢٨، ٨١١، ٨١٣
أبو إسحاق بن شعبان ٦٣٧	آمنة بنت وهب ١٣٠
أبو إسحاق البرقي (إبراهيم بن عبد الرحمن)	إبراهيم (عليه السلام) ١٢٩، ١٣٠، ٢٩٥،
٩٧٩	٦٩٦، ٦٩٧، ٧٧٨، ٧٨٠، ٧٩٤
أبو أمامة ١٦٨	إبراهيم بن حسين ٩٣٥، ١٠٤٩
أبو أيوب ٤١٢	إبراهيم بن حماد ٤٤٣
أبو بردة بن أبي موسى ٦٤	إبراهيم بن عبد الله بن قرين ٦٠٠
أبو برزة الأسلمي ٩٥٣	ابن أبي الحقيق (أبو رافع) ٧٦٩، ٩٤٩
أبو بكر الآجري ٤١٨، ٥٨٤	ابن ذى يزن ٥١٦، ١٠٠٦
أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف ٥٨٣	أبن أبي رافع ٥٦١
أبو بكر بن أبي شببة ٦٥٧	ابن أبي الفرافيد (محمد بن علي) ١٠٩١
أبو بكر بن بكير ٦٢٨	ابن أبي فديك ٦٧٠
أبو بكر بن زيدون ٩٨٨	ابن أبي مريم ٩٩٣
أبو بكر بن سابق ٨٨	ابن أبي مليكة ٦٧١
أبو بكر بن طاهر ١٨	ابن أبي هالة ٨٥، ١٥٦، ١٧٨، ١٨٧
أبو بكر بن الطيب ١١٠٩	ابن إسحاق = محمد بن إسحاق
أبو بكر بن العلاء ٦٩٩	ابن بجينة (عبد الله) ٨٠٠
أبو بكر بن عمرو بن حزم ٦٣٨	ابن خالويه ١٧٥
أبو بكر بن عياش ٦١٠	ابن سحنون = محمد بن سحنون
أبو بكر بن فورك ٦٥، ١٥٩، ٢٨٣، ٢٨٧،	ابن سيرين = محمد بن سيرين
٤٢٥، ٨٢٤، ١٠١٠	ابن شهاب ١٦٠
أبو بكر بن محمد ٦	ابن عطاء (أحمد بن محمد بن سهل) ٤٥، ٢٤،
أبو بكر بن المنذر ٥٢٩، ٩٣٣	٤٦
	ابن السكلي (محمد بن السائب) ١٧

أبو بكرة الأبهري ١١٠٥	أبو رمة ٣٤٣
أبو بكر الباقلائي ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨٦	أبو سعيد الخدري ٢٤ ، ٣٥ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٤٧٧ ، ٥٧٧ ، ٦٤١ ، ٦٥٦ ، ٩١٧ ، ٩١٩ ، ١٠٦١
أبو بكر البزار ٧٦٥ ، ٧٥١	أبو سفیان بن حرب ١٤٣ ، ١٧٣ ، ٤٣٨ ، ٥٧٠
أبو بكر الشاشي (محمد بن علي) ١٠٩٦	أبو سليمان بن الحارث ٥١٣
أبو بكر الصديق ٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٠٧ ، ٦١٧ ، ٩٣٣ ، ٩٥٢ ، ٩٧٣ ، ١١١٤ ، ١٠٢٥	أبو طالب (عم النبي) ٥٢٠
أبو بكر الهذلي ٢٦٣	أبو الطفيل ١٦٦
أبو تمام (محمد الأبهري) ٨٢٢	أبو طلحة ٤١٠
أبو جعفر المنصور ٥٩٥	أبو العباس المبرد ١٧٤ ، ٦٢٥
أبو جهم ٤٩٨ ، ٤٥٤ ، ٣٦٩	أبو عبد الله بن عتاب ٩٤٠
أبو جهنم بن حذيفة ٤٩٣	أبو عبد الله بن الرباط ٩٤١
أبو الحسن الأشعري ٢٦١ ، ٤٤٨ ، ١٠٨١	أبو عبيد القاسم بن سلام ١٠٠٢
أبو الحسن القابسي ٣٤ ، ٥٩ ، ٩٧٣ ، ٩٨٠ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ١٠١٦ ، ١٠٤١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٩	أبو عبيدة ٧٠١
أبو الحسن بن القصار ٦٢٨ ، ٩٦٤	أبو عثمان بن الحداد (سعيد) ٩٧٧ ، ١١٠٤
أبو الحسن الماوردي ٢٨	أبو عثمان الحيري ٥٥٨
أبو حميد الساعدي ٦٤٠ ، ٦٦٣	أبو عمر بن عبد البر ٦٤٨
أبو حنيفة النعمان ٩٣٣ ، ٩٧٥ ، ١٠٢٦	أبو عمر الطلعنكي ٢٦٠
١٠٩٨ ، ١٠٩١ ، ١٠٤٤	أبو الفضل الجوهري ٦٢١
أبو ذر الهروي ١٨٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ ، ٥٦٧ ، ١١١١	أبو القاسم بن الجلاب ١٠٣٩
	أبو القاسم بن المأمون ٤٦٣
	أبو قتادة ١٦٦

٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤	أبو قحافة ٥٦٨
٥٠٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٢	أبو الليث السمرقندي ٢٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٢٢٧
٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٦٤٢ ، ٦٥٠	٣٩٨ ، ٤٩٨ ، ٥٤٤
٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٧٥	أبو عذرة ٦١٩
٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨٣ ، ٧٣٧ ، ٧٧٤	أبو محمد بن أبي زيد ٦٣٠ ، ٦٤٩ ، ٩٣٨
٩١٤ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ ، ٩٢٠ ، ٩١٠٢	٩٧٣ ، ٩٨١ ، ٩٨٣ ، ٩٩٨ ، ١٠٤٣
أبو الوليد الباهي ٦٧٢ ، ٦٨٢	١٠٤٨ ، ١٠٨٨ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥ ،
أبو يعلى العبدى ٦٣٠	١١٠٩ ، ١٠٢٥
أبي بن خاف ١٥١ ، ٤٨٣	أبو محمد بن نصر (عبد الوهاب المالكي)
أبي بن كعب ٥٥٧ ، ٦٥١	٦٣٨ ، ٧٨٧ ، ٩٥٤ ، ١٠٩٧
أحمد بن أبي سليمان ٩٣٩ ، ٩٧٧	أبو محمد بن منصور (القاضي) ٩٩٦
أحمد بن بقى ٥٩٥	أبو محمد الأصيلي ٣٨٣
أحمد بن حنبل ٥٨٤ ، ٥٩٩ ، ٧٢٨ ، ١٠٥٥	أبو المظفر الإسفرايني ٤٤ ، ٤٢٨ ، ٦٦٥
أحمد بن خيرون ١٤	أبو المعالي الجويني (عبد الملك بن يوسف إمام
أحمد بن سعيد ٦٧٧	الحرمين) ٣٣٩ ، ٥٣٠ ، ١٠٥٨
أحمد بن صالح ٤٠١	أبو موسى الأشعري ٣٩١ ، ٣١٧
أحمد بن فضالويه ٦٢٠	أبونواس (الحسن بن هاني) ٩٩٠ ، ٩٩١
الأخفش ٥٨٨	أبو الهذيل ١٠٦٢
الأخفس بن شريق ١٧٣	أبو هريرة ٧ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٤٧
أربد بن قيس ٥٠٠	١٧١ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢١٦
أرميا ١٠٠٦	٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٥
بنو إسرائيل ٥٢٢ ، ٥٥٣	٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣
أسامة بن زيد ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٥١٢ ، ٥٧٤	٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤
٦٠٧	٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧
أسامة بن شريك ٥٩٢	٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥

أنس بن مالك ١٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١١٨ ،
 ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،
 ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ،
 ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ،
 ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
 ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢ ،
 ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٤ ،
 ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ،
 ، ٤٣٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ،
 ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ ،
 ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ،
 ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٣ ، ٦٥٠ ، ٦٦٢ ،
 ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٨٩٤ ،
 ٩٢٩ ، ٩١٧ ، ٩١٤
 أهبان بن أوس ٤٣٧
 أوس بن أوس ٦٣٧
 أوس بن حارثة ٥١٥
 أوس بن عبد الله ٤١
 أويس القرني ٤٧٩
 أيوب (عليه السلام) ١٩٠ ، ٧٤٢ ، ٩١٦ ،
 أيوب السختياني ٥٩٦ ، ٦١٦
 (ب)
 الباقلائي = أبو بكر

إسحاق التجيبي (أبو إبراهيم) ٥٧٣ ، ٥٨٤ ،
 ٥٩٥
 إسحاق بن إبراهيم الفقيه ٦٣٩
 إسحاق بن راهويه ٨٧
 إسحاق بن منصور ١٤
 الإسفرايني = أبو المظفر
 أسماء بنت أبي بكر ٤٠١ ، ٤٦٣ ،
 أسماء بنت عميس ٤٠٠
 إسماعيل ١٩٣
 إسماعيل بن أبي حكيم ٧٠٧
 إسماعيل بن إسحاق القاضي ١٠٥٥
 أصبغ بن الفرج ٩٧٩ ، ١٠١٦ ، ١٠٢٦ ،
 ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ،
 ، ١٠٤٥ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٩ ، ١١٠٤ ،
 الأصمعي (عبد الملك بن قريب) ٣٦٦
 الأعمش ٣٩٧ ، ٦٠٢
 كندر ٤٨٦
 أم أيمن ٩٠ ، ٥٢٠ ، ٦١١ ، ٧٢٩ ،
 أم حبيبة ٢٩١
 أم سلمة ٤٤١
 أم عثمان بنت أبي العاص ٥١٩
 أم مالك ٤٦٤
 أم معبد ٨٤ ، ١٠٦ ،
 أم هانئ ٢٤٩
 أمية بن خلف ٤٩٤

بحيرا الراهب ٧٢٩

البراء بن عازب ٨٤ ، ١٤٨ ، ٥٩٤

بريدة ٤٢٠ ، ٤٢٩

بريرة (مولاة عائشة) ١١٢ ، ٩٠٧

بشر بن بكر التيمسي ١٠٥٤

بقي بن مخلد ٩٣

بكر بن العلا ٣٢٨ ، ٧٥٠ ، ٨٢٠

بكر القاضي ٧٢٧

بلال بن الحارث ٥٥٤

بلال بن رباح ٥٦٩ ، ٨٠٦

بلعام الرومي ٥٠٩

(ت)

تيم ٥١٥ ، ٥١٦

بنو تميم ٥٨٩

تميم الداري ٥٨٢

(ث)

ثابت بن قيس بن شماس ٤٥٠ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠

ثمالة بن أقرس ١٠٦٤

ثويبة (مولاة أبي لهب) ١٦٧

(ج)

جابر بن سمرة ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٧٧ ، ٤٣١

جابر بن عبد الله ١٤٥ ، ١٧٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٤

٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ،

٤٣٩ ، ٥٥٠ ، ٦١٥ ، ٦٥٢ ، ٦٥٦ ،

٧٠٨

الجاحظ (عمرو بن بحر) ١٠٦٤

جامع بن شداد ٣٤٣

جبريل ١٤ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ١٦٣ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ،

٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٠٤ ، ٤٨٩ ،

٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٦٥٠ ،

٧٢١ ، ٨١٩ ، ٨٧٩

جبير بن مطعم ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٩

جذل بن جذل السكندی ٥١٨

ابن جريج ٩٠

جرير بن عبد الحميد ٦٠٣

جرير بن عبد الله ٤٧ ، ١٥٧

جعفر بن سليمان ٦١٠

جعفر بن محمد ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٤٥ ،

٥٠ ، ٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٤١٥ ،

٤٣٢ ، ٥٩٧ ، ٦٥٥ ، ٧٢٥

الجاندي ٣٤٤

الجنيد ٧٢٦

جهجاه الغفاري ٤٦٤ ، ٦٢١

(ح)

الحارث بن أسد ٨٤٧

الحارث بن مسكين ٩٨٠

حارثة بن وهب ٢٧٩

حاطب بن أبي باتمة ٤٨٣

الحباب بن المنذر ٨٧١

(خ)

خالد بن سعيد ٦١٦
 خالد بن عبد العزيز ٤١٨
 خالد بن معدان ٢٢٥
 خالد بن الوليد ٤٦٣، ٤٨٦، ٥١٤، ٥٦٧
 ٦١٩، ٩٥١
 خبيب بن يساف ٤٥٤
 خثعم ٤٥٤
 خديجة بنت خويلد ١٦٧، ٥٢١، ٧٠٢، ٧٠٦
 الحضر ٥٢٢، ٧٣٥
 الخطابي (أبو سايان البستي) ٢٥، ٢٦،
 ٥٨٢، ٦٣١، ٩٣٥
 ابن خطل ٩٤٩
 ابن خوير منذاذ ٧٨٨

(د)

ابن داسة ٦
 داود (عليه السلام) ١١٩، ١٩٤، ٨١١
 ٨٢٧، ٨٢٨
 دغثور بن الحارث ٤٩١
 دكين الأحمسي ٤١٥

(ذ)

ذو النون المصري ٣٣٩
 ذو اليدين ٨٠٠

(ر)

رافع بن خديج ٨٧٠

حبيب بن الربيع ٩٣٩، ٩٤٢، ٩٧٧

حبيب بن فديك ٤٥٣

حذيفة بن اليمان ٢٥، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٩٢

٤٧١، ٥٦٩، ٦١٣

حسان المصيصي ٩٨٨

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٩٩، ٢٠٠

٢٠٣، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٧٨، ٤٨٣،

٥٧٤، ٥٧٥، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٥٧، ٦٥٨

الحسن البصري ٢٢، ٢٧، ٣٥، ٢٤٥،

٢٤٩، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٩١، ٥٥٣،

٥٥٥، ٦٤٦، ٦٦٢، ٧٧٨، ١٠٥٥

الحسين بن علي ٤٨٥، ٥٧٤، ٦٠٦، ٦٠٨، ٧٢٦

الحسين بن محمد ٦

الحسين بن محمد الجبائي ٢٤

الحسين بن محمد الحافظ ١٤

حفص بن غياث ١٠٥٥

حفصة ١٨٣

الحكم بن أبي العاص ٤٦٩، ٤٩٣

حايمة السعدية ٥١٩، ٥٢١، ٦١١

حماد بن سلمة بن دينار ٧، ٧٠٥

حمير ٥٠٥

حنش بن عبد الله ٦٣٥

حنش بن عقيل ٤٦٦

حنظلة بن حذيم ٤٦٨

حنظلة بن الفسيل ٤٧٧

حي بن أخطب ٤٩٨

أبو رافع = ابن أبي الحقيق

الربيع بن أنس ٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤

الربيع بن خثيم ١٧٣

ركانة ٩٥

(ز)

الزبير بن باطيا ٥١٧

الزبير بن العوام ٦١٧ ، ٧٧١ ، ٨٩٦

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) ٤٢

٣٨٣ ، ٥٤٨ ، ٥٨٣ ، ٧٢٢

زياد النميري ٣٠٠

زيد بن أرقم ٦٠٥

زيد بن أسلم ٥٦٩

زيد بن ثابت ٦٠٨ ، ٦٧٨

زيد بن حارثة ٨٨١

زيد بن الحباب ٦٥٠

زيد بن خازجة ٤٥ ، ٦٤٣

زيد بن الدثنة ٥٧٠

زيد بن سعدة ١٤١

زيد بن سوحيان ٤٨٥

زيد بن عمرو بن نفيل ٥١٦

زينب بنت أم أسلم ٤٦٨ ، ٨٧٤

زينب بنت جحش ٨٧٩

(س)

سالم بن الجعد ٤٠٤

السائب بن يزيد ٤٦٧

سبأ ٥٠٤

سحنون (عبد السلام بن عبد السلام) ١١٣

٦٣٦ ، ٩٣٤ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٩٤ ،

١٠٣٤ ، ١٠٣٦ ، ١٠٥٣ ، ١٠٨١ ،

١١٠٨ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٢

ابن سحنون = محمد بن سحنون

سراقه بن مالك ٤٨٥ ، ٤٩٤

سريج بن يونس ٢٢٨

سعد بن أبي وقصة ٤٥١ ، ٦٠٦ ، ٦٥٣

سعد بن عباد ٤٦٣

سعدون الخولاني ٦٨٦

سعدى بن كرز ٥١٨

سعيد بن جبير ٢٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥ ، ٧٥١ ،

٧٦٤

سعيد بن زيد ٤٣٢

سعيد بن سليمان ١٠٩٨

سعيد بن المسيب ٦٧٨

سعيد بن ميثاء ٤١١

سفيان بن العاص ٥١٢

سفيان بن مجاشع ٥١٥

سفيان الثوري ١١١

سفيان بن وكيع ٢٠٤ ، ٢٠٨

سفينة (مولى النبي) ٤٤٢

سلامة السكندى ٦٤٣

سلمان الفارسي ٤٦٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩

الشيء (أخت النبي من الرضاة) ١٦٦	سلعة بن الأكوع ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
(ص)	٤٣٧ ، ٤٥٣
صفوان بن سليم ١١٨ ، ٥٩٨	سليان (عليه السلام) ١١٨ ، ١٩٣ ، ٧٣٨ ،
صفوان بن عسال ٥٩٠	٧٤٢ ، ٨١٢ ، ٨٣٥ ، ٨٥٦ ، ٩١٦ ،
صفوان بن قدامة ٥٦٥	سليان بن الأشعث ٧
صفية (زوج النبي) ٨٤٩	سليان بن سحيم ٦٥٨ ، ٦٩٠ ،
صفية بنت مجدة ٦١٩	سمرة بن جندب ٤١٢
(ض)	السمرقندي = أبو الليث
ضرار بن مرة ٦٠٢	سهل بن سعد ١٤٥ ، ٤٢٨ ،
(ط)	سهل بن عبد الله التستري ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٤ ،
طاوس ١١٨	٤٧ ، ١١٥ ، ٥٤٣ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧٦ ،
الطبري (أبو جعفر) ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٦٨٣ ،	٥٨٨ ، ٦١٨ ،
٨٨٠ ، ٩٣٣ ، ٩٣٧	سهيل بن عمرو ٤٨٦
الطفيل بن عمرو ٤٥٩	سواد بن عمرو ٨٩٩
(ع)	سواد بن قارب ٥١٨
عاصم بن عمرو بن قتادة ٤٥١	ابن سيرين = محمد بن سيرين
عامر بن ربيعة ٦٥١	سيف بن ذي يزن = ابن ذي يزن
عامر بن الطفيل ٥٠٠	(ش)
عامر بن عبد الله بن الزبير ٥٩٨	شافع بن كليب ٥١٨
عائذ بن عمرو ٤٦٨	الشافعي ٥٥٨ ، ١٠٥٤
عائشة بنت أبي بكر ٨٨ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،	شداد بن أوس ٢٥٠
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،	شعيب (عليه السلام) ١٩٤
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ،	الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ٥١٩
١٨٠ - ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ،	شمير بن حوشب ٨٥٨
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ،	شيبه بن عثمان الحنفي ٤٩٩
(٤٢ - الشفا / ٢)	

عبد الله بن الحسن بن حسين ٦٠٨
 عبد الله بن الحكم ٩٣٧
 عبد الله بن الزبير ٩٦٩
 عبد الله بن الزبير ٨٩ ، ٤٧٧ ، ٥٧٠ ، ٦٨٢
 عبد الله بن سلام ٣٩ ، ٣٤٢
 عبد الله بن الشيخير ١٨٧
 عبد الله بن صالح ٦٠٤
 عبد الله بن عباس ٩٦ ، ١٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ،
 ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، ١٨٢ ،
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ،
 ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ،
 ٥٠٦ ، ٥١٢ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٨٨ ،
 ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦٣٥ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧ ،
 ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧١٠ ،
 ٧٢٥ ، ٧٥٧ ، ٨٠٧ ، ٨١٣ ، ٨٢٣ ،
 ٨٢٧ ، ٨٦٨ ، ٨٧١ ، ٨٨٤ ، ٩٥٢ ،
 ٩٥٣ ، ١٠٢٤ ، ١١٠٢
 عبد الله بن عبد الله بن أبي ٧٥٦
 عبد الله بن عبيد الله الأنصاري ٤٥٠
 عبد الله بن عمر ٢٨٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٥٣٩ ،
 ٥٤٤ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ،
 ٥٧٥ ، ٦٠٩ ، ٦٢٠ ، ٦٣٢ ، ٦٤٠ ،
 ٦٥٧ ، ٦٦٣ ، ٦٦٦ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ،
 ٦٨٥ ، ١٠٥٥

٤٨٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤ ، ٧٠٣ ،
 ٧٠٧ ، ٧٣٦ ، ٧٩٩ ، ٨٦٥ ، ٩٠٥ ،
 ٩٦٩ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١١٠ ،
 العباس بن عبد المطلب ١٠٨ ، ٢١٨ ، ٥٦٨ ،
 ٦٠٧
 العباس بن مرداس ٤٣٨
 عبد الباقي بن مرزوق = ابن قانع
 عبد الرحمن بن أبي بكر ٤١٢
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ٤٧٠
 عبد الرحمن بن أبي عمرة ٤١٣
 عبد الرحمن بن عوف ١٨٢ ، ٤٥٦ ، ٦١٧ ،
 ٦٥٠
 عبد الرحمن بن القاسم ٢٣٠ ، ٥٩٨ ،
 عبد الرحمن بن مهدي ٥٩٩
 عبد الرزاق بن حمام ٩٥١
 عبد العزيز بن أبي سلمة ١٠٢٣
 عبد الله بن أبي ١٣٩
 عبد الله بن أبي أوفى ٤٤٠
 عبد الله بن أبي الحقيق = ابن أبي الحقيق
 عبد الله بن أبي الحساء ١٦٤
 عبد الله بن أحمد بن حنبل ٢٦٠
 عبد الله بن أنيس ٤٥٣
 عبد الله بن جحش ٤٦٧ ، ٨٢٠ ،
 عبد الله بن جعفر ٤٥٨ ، ٥٧٥ ،
 عبد الله بن الحارث ٩٥٩

عقبة بن فرقد ٤٦٧	عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٧٨ ، ٢٦١
عتكلان الجيري ٥١٦	٣٠٣ ، ٥٥٢ ، ٦٤٩ ، ٦٧٩ ، ٧٤٧
عثمان بن أبي شيبة ٧٢٨	عبد الله بن قرط ٤٤١
عثمان بن عفان ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٦١٧	عبد الله بن قميصة ٨٦٢
العرباض بن سارية ٢٢٤ ، ٥٥٠	عبد الله بن المبارك ٦٠٢ ، ٦١٦
عروة بن أبي الجعد ٤٥٩	عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ٦
عروة بن مسعود ٥٩٢	عبد الله بن مسعود ١٦٤ ، ١٧٨ ، ٢٥٧ ،
عطاء بن أبي رباح ٧	٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٢٤ ،
عطاء بن يسار ٣٠	٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٥١٣ ،
عطاء ٢٥٨ ، ٥٥٨ ، ٨٦٨ ، ١٠٢٤	٥٥٦ ، ٥٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٩ ، ٦٣١ ،
ابن عطاء (أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء)	٦٣٤ ، ٦٣٩ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥١ ،
٢٤ ، ٢٦ ، ٦٩ ، ١٢٩ ، ٦٢٥ ، ٧١٣ ، ٧٢٦	٧٣٦ ، ٨٠٠ ، ٨٢٧ ، ٩١٩
٨٤٥	عبد الله بن منفل ٥٧٧ ، ١١٠٦
عطية السعدي ١٠١	عبد بن حميد ٤٩٢
عقبة بن أبي معيط ٩٥٠	عبدة بن خالد بن معدان ٥٦٧
عقبة بن الحارث ٦٠٨	عبد الملك بن حبيب ١٠٤٩
عقبة بن عامر ٢٢١	عبد الملك بن الماجشون ١٠٨٩
عقبة بن عمرو ٦٤١	عبد الملك بن مروان ١٠٩١
عكاشة ٨٩٨	عبد الوهاب المالكي = أبو محمد بن نصر
علي بن أبي طالب ١٧ ، ٣٩ ، ٦٠ ، ٨٥ ،	عبيد الله بن أبي طلحة ٦٥٠
٨٩ ، ٩١ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،	عبيد الله بن الحسن المنبري ١٠٦٣
١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٤١٤ ،	عبيد الله بن عبد الله ٣٩٩
٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٥٤ ،	عبيد الله بن يحيى ١٠٣٩
٥٥٦ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٨١ ، ٦٠٦ ،	عقبة بن أبي لهب ٤٦٠ ، ٤٨٣
٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ،	عقبة بن ربيعة ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧

عمرو بن الحارث ١٨١	١٠٥٥ ، ١٠٤٤ ، ١٠٢٤ ، ١٠١٧ ، ٩٤٨
عمرو بن دينار ٦٨٨ ، ٦٣٧	١٠٩٠
عمرو بن شرحبيل ٧٠٥	علي بن إسماعيل الأشعري = أبو الحسن
عمرو بن العاص ٥٦٧ ، ٥٩٢	الأشعري
عمرو بن عوف المزني ٥٥٤	علي بن الحسين ٢٩٢
عمرو بن الليث ٥٨٥	علي بن الحكم ٧
عمرو بن ميمون ٥٩٩	علي بن عاصم ١٠٥٥
عمير بن سعد ٤٦٧	علي بن عيسى ٥٢
عوف بن مالك ١٨٦	عمار بن ياسر ٥٧٣
عون بن عبد الله ٣٦ ، ١٠٩٦	عمران بن حصين ١٥١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،
عيسى بن دينار ٨٠٢	٤٠٨ ، ٥١٣
عيسى بن مريم ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٢٤ ،	عمر بن أبي سلمة ٦٠٦
٢٢٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ،	عمر بن الخطاب ٢٧ ، ٦٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،
٣٣٩ ، ٥٢٥ ، ٧٣٩	١٤٦ ، ١٦٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٣٩ ،
عيسى بن مناس (أبو موسى) ٩٨٣	٣٦٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ،
(غ)	٥١٣ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ -
النزالي ١٠٦٥	٥٦٩ ، ٥٩٢ ، ٦٠٩ ، ٦١٧ ، ٦٣٤ ،
غطفان ٤٩٩	٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٨٢٠ ، ٨٨٤ ، ٨٨٨ ،
غوث بن الحارث ١٣٩ ، ٤٩٠ ، ٨٦٢	٩٣٠ ، ١٠٢٤ ، ١١١١
غيلان بن سلمة ٤٢٣	عمر بن السائب ١٦٧
(ف)	أبو عمر النخعي (ابن عبد البر) ٦ ، ٢٥ ،
فاطمة بنت الرسول ٤١٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧٨ ،	عمر بن عبد العزيز ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٩٩٣ ،
٥٧٤ ، ٦٠٦ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥	عمرو بن أمية ٤٩٨
فاطمة بنت النعمان ٥١٨	عمرو بن ثعلبة الجهني ٤٦٨
فرعون ١٢٩ ، ٩٩٠	عمرو بن جحاش ٤٩٧

كعب بن أسد ٥١٧
كعب بن الأضراف ٥٤٨ ، ٩٤٩ ، ١٠٣١
كعب بن زهير ٩٦٠
كعب بن عجرة ٦٤١
كعب بن مالك ٢٩٠ ، ٦١٨
كلثوم بن الحصين ٤٥٣

(ل)

ابن لبابة (محمد بن يحيى) ١٠٣٩
لبيد بن الأعصم ١٣٩ ، ٤٨٦ ، ٨٦٢
لقمان ١١٣

(م)

ماروت ٨٥٥ ، ٨٥٧
مالك بن أنس ٢٦٣ ، ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ،
٦١٠ ، ٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٩ ،
٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٦٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ ،
٦٧٥ ، ٦٧٩ ، ٩٣٣ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ،
٩٦٤ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٥ ،
١٠٢٦ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٧ ، ١٠٤٣ ،
١٠٥١ ، ١٠٨٧ ، ١٠٩٨ ، ١١٠٣ ،
١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٣ ،

مالك بن أوس بن الحدثان ٦٥٠

مالك بن سنان ٨٩

مالك بن صعصعة ٢٦٧

الماوردي ٢٥٨

المبارك بن عبد الجبار ١٤

فضالة بن عبيد ٦٣٣

فضالة بن عمرو ٥٠٠

القابسي = أبو الحسن

القاسم سلام = أبو عبيد

ابن القاسم (عبد الرحمن المصري) ٩٣٥
٩٣٦

ابن قانع (عبد الباقي) ٢٢٨ ، ٤٤٤ ، ٩٥٢
القبط ٥٣٢

قتادة بن ملحان ٤٦٨

قتادة بن النعمان ٤٦٦

قريش ١٧٤ ، ٣٧٠ ، ٤٣٤ ، ٤٨١ ، ٤٨٧ ،

٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،

٧٢٠ ، ٩٠٣

بدو قريظة ٤٩٧

قس بن ساعدة ٥١٥

القشيري (أبو القاسم) ٣٣٨ ، ٥٤٩ ،

٥٨٥ ، ٦٢٦ ، ٧٢٠ ، ٧٥٧ ، ٨٨٠ ،

قضاة ٥٠٥

قيس بن زيد الجذامي ٤٦٨

قيس بن سعد ١٥٥

قيصر ٤٧٣

(ك)

كابس بن ربيعة ٦١٠

كسرى ١٧٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٥١٩ ،

كعب الأحبار ٣١ ، ٢٠

محمد بن الواز ٩٦٤، ١٠٥٢	البرد = أبو العباس
مسروق ٢٥٧، ٣٩٨	المتنبى ٩٨٦
مسيلة الكذاب ٤٧٨	مجاهد بن جبر ٢٩، ٩٢، ٣٩٧، ٤٢٤، ٧٠٢
مصعب بن عبد الله ٥٩٧، ٦٠١	علم بن جثامة ٤٦٩
مصعب بن عمير ٥١٣	محمد بن أحمد بن محبوب ١٤
مضر ٤٦٠	محمد بن إدريس ٦٨٨
معاذ بن جبل ٢٥٩	محمد بن إسحاق ٣١، ٤٨، ٢٤٥، ٢٥٨،
المطابق بن عمران ٦١٧	٢٦٠، ٤٢٦، ٤٤٦، ٤٩٢، ٤٩٧،
معاوية بن أبي سفيان ٤٥٧، ٤٧٥، ٥٠٦	٥٦٨، ٧٠٤، ٧٠٦، ٨٧١
معرض بن معيقب ٤٤٩	محمد بن الحسن بن محمد بن زياد = النقاش
المعري ٩٨٧	محمد بن الحسن (أبو الحسن) ٦٨٨
معوذ بن عفراء (١) ١٤٦	محمد بن السائب = ابن السكبي
المفيرة بن نوفل ١٨٥، ٦١٨	محمد بن سحنون ٤٤٦، ٩٧٣، ٩٧٦، ٩٣٤،
المقدام بن معديكرب ١١١	١٠١٦، ١٠١٧، ١٠٣٥، ١٠٣٦،
المقوقس ٥١٦	١٠٣٧، ١٠٤٧، ١٠٨٧، ١١٠٣
مكي (أبو محمد) ٥٨، ٢٢٧، ٢٧٠، ٥٨٩	محمد بن سعد ٨٨، ٩٣٠
٧٠٩، ٧٤٢، ٨١٦	محمد بن سعيد ٦٢٨
المهاجر بن أبي أمية ٩٥٢	محمد بن سيرين ٥٩٩، ٦٠٩، ٦٧٤
موسى (عليه السلام) ١٢٩، ١٨٩، ٩٩١	محمد بن عجلان (أبو عبد الله) ١٠٠٩
١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٣٤، ٢٣٥،	محمد بن علي بن الحسن ٢٤٣
٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨١،	محمد بن علي الترمذى ٣٦، ٥٤٧
٢٩٦، ٥٢٥، ٧٢٦، ٧٣٥، ٧٤٣،	محمد بن عيسى (أبو عبد الله) ٩٨٤
٧٤٤، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٩١، ٧٨١،	محمد بن كعب القرظى ٢٥٩، ٢٧١
٨٤٤، ٩٩٠، ٩٩١، ١٠٠٤	محمد بن مسلمة ٦٤٠، ٦٨٠، ٩٦٥، ١٠٤٧

(و)

الواسطي ٥٤، ٥٦، ٣٣٨
 وائل بن حجر ٩٩
 وائلة بن الأصقع ١٠٨، ٢١٦
 ورقة بن نوفل ١٤٦، ٥١٦، ٧٠٧
 الوليد بن عباد بن الصامت ٤٠٤
 الوليد بن مسلم ٩٣٣، ١٠١٩
 الوليد بن المغيرة ٣٦٥، ٣٦٩
 الوليد بن يزيد ٤٨٥
 وهب بن منبه ٩٢
 وهيب بن الورد ٦٤٧

(ي)

يحيى بن حكم الغزال ٣٨٨
 يحيى بن عمر ٩٤١
 يحيى بن يحيى الليثي ٦٦٠، ٦٧٢
 يزيد بن أبي سعيد المهري ٦٧٠
 يعقوب (عليه السلام) ٩١٥
 يعلى بن سيابة ٤٢٣
 يهود ٤٨٢
 يوسف (عليه السلام) ١٣٠، ١٩٤، ١٩٥
 ٧٤٢، ٧٤٣، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣٢
 ٨٤٢، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٥
 يوشع ٧٤٢، ٧٤٣
 يونس (عليه السلام) ٧٦٣، ٨١١، ٨٢٥
 يونس بن بكير ٤٠١

موسى بن إسماعيل ٧

موسى بن زياد (القاضي) ١٠٩٣

موسى بن عقبة ٧٦٠

موسى بن عيسى العباسي ١١١٠

(ن)

النابغة الجعدي ٤٥٨

النجاحي ٦٣، ١٦٦، ٤٨٤

النضر بن الحارث ١٧٤، ٣٧١، ٥٠٩

بنو النضير ٤٩٨

النعمان بن بشير ٤٥٠

النعمان بن مقرون ٤١٥

نقطويه ٣٤٥

النفقش (محمد بن الحسن) ٤٣، ١١٩، ٢٣٠

٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٠، ٣١٧

نهد ٩٨

نوح ١٩١، ٢٩٥، ٥١٤، ٧١٤، ٧٣٨

٧٩٤، ٨١٢

هاروت ٨٥٥، ٨٥٧

هارون بن حبيب ١٠٤٨

هارون الرشيد ٩٥٤

هامة بن الهيم ٥١٤

هرقل ١٧٣، ١٩٠، ٥١٦

هشام بن أحمد (أبو الوليد) ٦

هشام بن هشام بن الغازي ٦٠٣

همدان ٩٧

هوازن ١٤٦، ١٦٦

٦ - فهرس الأماكن والبلاد ونحوها

(خ)	(١)
خراسان ٥٨٥	أحد ١٥١، ٤٥١، ٤٥٣، ٥١٣، ٨٦٢
الخنديق ٤٥٣، ٨٠٤	(ب)
خير ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٣، ٧٦٩	بحيرة طبرية ٥١٩
(ذ)	بلد ١٥١، ١٧٣، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٧،
ذو أمر ٤٩١	٤٨٣، ٤٩٠، ٥١٢، ٧٣٢، ٧٣٩،
ذو الحليفة ٥٥٦	٨١٦، ٨١٨، ٨٢١
ذو قرد ٤٥٢	البصرة ٤٨١
ذروان (بئر) ٤٨٦	بنداد ٤٨٥، ١٠٩١، ١١٠٥،
(س)	بواط ٤٠٤
السودان ١٠٦٦	بيت المقدس ٤٨٧، ٧٩١
(ص)	(ت)
الصين ١٠٠٦	تاهرت ٩٧٧
(ط)	تبوك ٤٠٦، ٤٠٩
الطائف ٦٨	تهامة ٤٩٣
الطف ٤٨٥	(ث)
(ع)	ثبير ٤٣٣
العراق ٧٨٩	ثور (غار) ٨٦٢
عمان ٣٤٤	(ج)
(ق)	الحديبية ٤٠٦، ٤٠٧
القسطاطينية ٤٨٧	حرا ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٨٥، ٧٠٤
قرطبة ٩٨٤، ١٠٤٨، ١٠٩٨	الحطيم ٢٥٤
القروان ٩٤١	حنين ١٤٨، ٤٩٩
	الحوآب ٤٧٦

مصر ١٠٣٨، ٥١٦
مكة ١٥، ٦٨، ٤٤٩، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٦،
٦٨١، ٥٧٠
المنستير ٦٨٦
(أ)
الهند ١٠٦٦
(ي)
يثرب ٤٨٧
اليامة ٤٥٠
اليمن ٩٥٢، ٤٤٢

(ك)

الكعبة ٥٢٠، ٥١٣
الكوفة ٦٨١، ٩٣٣، ١١١٠

(م)

مؤنة ٤٨٤
مالقة ١١١٤
المدينة ٤٦٢، ٥٧٣، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٦٩،
٨٧٢، ٦٨١
المروة ٥٠٩

٧ - فهرس مراجع الشرح والتحقيق، والتعليق

- | | |
|--------------------------------------|--|
| أسباب النزول للواحدى | مكتبة الحلبي ١٣٧٩ هـ |
| الاستيعاب لابن عبد البر | مكتبة نهضة مصر |
| الإصابة لابن حجر | مكتبة نهضة مصر ١٩٧٠ م |
| أحكام القرآن لابن العربي | دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ هـ |
| الإكمال لابن ماكولا | نسخة المخطوطة المحققة |
| البداية والنهاية لابن كثير | المطبعة السلفية |
| تاج العروس للزبيدي | دار ليبيا للنشر والتوزيع |
| تاريخ بغداد للخطيب | طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ |
| تاريخ الطبري | دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠ م |
| تبصير المغتبه بتحرير الشنبة لابن حجر | المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٣٨٣ هـ |
| تفسير ابن كثير | دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة |
| تفسير الطبري (جامع البيان) | دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت |
| تفسير القرطبي | طبع دار الكتب المصرية |
| تقريب التهذيب لابن حجر | المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٨٠ هـ |
| تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني | الهند ١٣٢٥ هـ |
| جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري | المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٤ هـ |
| دلائل النبوة لأبي نعيم | المكتبة العربية بحلب ١٣٩٠ هـ |
| ديوان أبي نواس | مطبعة مصر ١٩٥٣ م |
| ديوان حسان بن ثابت | المكتبة التجارية ١٣٤٧ هـ |
| ديوان المتنبي | مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ |
| الذخيرة لابن بسام | لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٤٢ م |

دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م	زهر الآداب للحصرى
مطبعة بولاق ١٢٨٦ هـ	سقط الزند (التنوير)
دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢ م	سنن ابن ماجه
المطبعة الكستلية ، بتصحيح نصر الموريني ١٢٨٠ هـ	سنن أبي داود
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٣٧ م	سنن الترمذى
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٤ م	سنن النسائى
المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٩٣٢ م	السيرة الحلبيه
المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٣٧ م	سيرة ابن هشام
المطبعة العثمانية بتركيا ١٣١٩ هـ	شرح الشفا للقارى
دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ	الشعر والشعراء لابن قتيبة
نسخة المخطوطة المحقة	الشمائل المحمدية للترمذى
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٣٢ هـ	الشمائل المحمدية (المواهب)
طبعة محمد صبيح	صحيح البخارى
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٥ م	صحيح مسلم
دار إحياء الكتب العربية	الصناعتين لأبى هلال العسكري
دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨ م	الطبقات الكبرى لابن سعد
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٤٥ م	الفائق فى غريب الحديث للزمخشري
القاهرة ١٩٣٥ م	القاموس المحيط للفيروز ابادى
المطبعة البهية المصرية ١٣٤٣ هـ	الكشاف للزمخشري
طبعة مكتبة المثنى	لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى
مكتبة القدسي ١٣٥٦ هـ	اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير
الطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ	لسان العرب لابن منظور
دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤ م	مرصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع

دار صادر بيروت	مسند أحمد
المطبعة المنيرية بالأزهر	مسند الطيالسي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٢ م	المشبه للذهبي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥١ م	الموطأ لمالك
دار الفكر بالقاهرة ١٩٦٩ م	معترك الأقران في إعجاز القرآن
محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
مطبعة بريل - لندن ١٩٦٥ م	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٣ هـ	معجم البلدان لياقوت
لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٤٥ م	معجم ما استعجم للبـنـكـري
مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦ م	المغازي للواقدي
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١ م	المفردات في غريب القرآن
طبع حجر بالقاهرة ١٢٧٦ هـ	مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٢ م	ميزان الاعتدال للذهبي
المطبعة العثمانية ١٣١٧ هـ	نسيم الرياض (شرح الشفا) للخفاجي
دار الكتب المصرية بالقاهرة	نهاية الأرب للنويري
المطبعة العلمانية بالقاهرة ١٣١١ هـ	النهاية لابن الأثير

تصويبات

وقعت بعض الأخطاء في أثناء الطبع تصويبها فيما يأتي :

الصفحة	السطر	الصواب
٨٥	١٠	في
٢٧٣	١٠	بن
٣٣٣	٥	وَأَسْلُ
٣٤٨	٤	٢
٤٣٢	١٧	في سنن .
٤٨٤	١	{ أرقام المصححين
٤٨٥	١	
٤٩٠	٥	غَوَرَتْ
٦٧٧	١٧	أبا أيوب
٧٣٣	١١	فَالْآخِر
٧٨٥	٤	تَقْضَى
٧٨٥	١٣	معذنين
٧٨٥	٢٤	جبلتهم
٨٢٣	٩	الناصحين
٨٢٤	١٦	تأيسه وتفريره
٨٣٠	٧	صممت
٩٠٧	٩	قَبْلُ
٩٠٨	٣	اشترطى
٩١١	٨	ليبلوكم
٩٣٠	٩	تسموا
١٠٢٣	٩	ومحمد
١٠٤٠	١٣	القتل
١٠٤٢	٧	العقبة
١١٠٦	١١	وولداهما